

تفسير القرآن العظيم

للإمام ابن كثير

فقيه المفسرين ومفسر المحدثين

حقيقه وخرج أمانيه وعلو عليه

أبو إسحاق الحويني

اختصره

أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين

أشرف على طبعه

عبد بن فواز الصميل

الجزء الأول

المقدمة - حتى الآية ١٤١ من سورة البقرة

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

قَالَ^(١) الشَّيْخُ، الإِمَامُ، الْعَالِمُ، الْعَلَّامَةُ، الْأَوْحَدُ، الْبَارِعُ، الْحَافِظُ، الْمُتَّقِنُ، الْمُجْتَهِدُ، الْقُدُّوَةُ، عَلَّامَةُ الْعُلَمَاءِ، وَارِثُ الْأَنْبِيَاءِ، بَرَكَتُهُ الْإِسْلَامَ، وَحُجَّةُ الْأَعْلَامِ، مُحْيِي السُّنَّةِ، وَمَنْ عَظُمَتْ بِهِ اللَّهُ عَلَيْنَا الْمِنَّةُ، عِمَادُ الدِّينِ (أَبُو الْفِدَاءِ)^(٢) إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْخَطِيبِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ كَثِيرٍ الْبَصْرَاوِيُّ الشَّافِعِيُّ، نَفَعَ اللَّهُ بِهِ، وَحَفِظَهُ بِعَيْنِهِ، وَأَمَدَّهُ بِقُوَّتِهِ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ:

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢﴾ [الفاتحة] وقال (تعالى)^(٣): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ﴿١﴾ فِيمَا يَنْزِيلُ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَلَائِكِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُذَرِّ الْأَذْيَانَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

وافتح خَلْفَهُ بالحمد، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام].

واختتمه بالحمد، فقال - بعد ما ذكر مَالَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ -: ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر]. ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص].

كما قال (تعالى)^(٤): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمَّْا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ].

فله الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ؛ أَي: فِي جَمِيعِ مَا خَلَقَ وَمَا هُوَ خَالِقٌ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، كَمَا يَقُولُ الْمُصَلِّي: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مَلَأَ السَّمَوَاتِ وَمَلَأَ الْأَرْضَ وَمَلَأَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ»^(٥).

ولهذا يُلْهِمُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ تَسْبِيحَهُ وَتَحْمِيدَهُ، كَمَا يُلْهِمُونَ النَّفْسَ؛ أَي: يَسْبِّحُونَهُ وَيَحْمَدُونَهُ عَدَدَ

(١) هذه الألقاب لم تنتظم كلها في نسخة واحدة، وقد لفقتها من (ج) و(ك) و(ل) و(ي).

(٢) وقع في (ج) و(ل): «أبو الفضل» وفي (ي): «أبو الوفاء»!

(٣) من (ك) و(ن) و(ي). (٤) من (ن).

(٥) هذا جزء من حديث طويل: أخرجه مسلم (٧٧١/٢٠١، ٢٠٢)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد ورد عن ثمانية من الصحابة، استوفيت أحاديثهم تخريجاً في «تسلياة الكظيم» فله الحمد.

أنفاسهم؛ لما يرون من عظيم نعيمه عليهم، وكمال قدرته، (ودوام)^(١) سلطانه، وتوالى مننه، (وإحسانه)^(٢)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٠﴾ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْنُ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَ دَعْوَانَهُمْ أَنْ لَعْنَدَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾﴾ [يونس].

والحمد لله الذي أرسل رسله ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] وختمهم بالنبي الأمي العربي، المكي الهادي لأوضح السبل، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن من لدن بعثته إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف] وقال تعالى: ﴿لَا يُذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم، وأسد وأحمر، وإنس وجان، فهو نذير له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلَنَّاُ مَوْعِدَهُ﴾ [هود: ١٧] فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده ينص الله تعالى؛ وكما قال (تعالى)^(٣): ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثَ سَأَسْتَدْرِيْجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِ لَهُمْ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

وقال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ»^(٥) قال مجاهد (١/٢/١): يعني الإنس والجن؛ فهو، صلوات الله وسلامه عليه، رسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن، مبلغاً لهم عن الله تعالى ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت].

وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه ندبهم (إلى)^(٦) تفهيمه؛ فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَبَّوْا عَائِيَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩٦﴾﴾ [ص] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٩٧﴾﴾ [محمد].

فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانّه، وتعلم ذلك وتعليمه؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران] فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله (المنزل)^(٧) (عليهم)^(٨)، وإقبالهم

(١) في (ك) و(ن) و(ي): «عظيم»، وأشار في حاشية (ي) أنه وقع في نسخة: «دوام».

(٢) في (ن): «ودوام إحسانه إليهم».

(٣) من (ن).

(٤) من (ز).

(٥) أخرجه مسلم (٣/٥٢١)، والبخاري (١/٤٣٥، ٤٣٦، ٥٣٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٦) في (ز): «فيه»!

(٧) ساقط من (ز) و(ك).

(٨) في (ز) و(ك): «إليهم».

على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله. فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما (أمرنا الله به) ^(١) من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهمه؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ هُمُ الرُّسُلُ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ سَوَاءٍ مَعَهُمْ أَعْيُنُكُمْ أَلَيْسَ بِالْحَقِّ مَا نُذَارِكُهُمْ أَنَّهُ هُوَ يُرْسِلُ الرُّسُلَ هَاتِفَةً مُؤْتِيَةً ۚ﴾ [الحديد: ٢١] أعلّموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ^(٢) [الحديد: ٢١] ففي ذكره - تعالى - لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه - تعالى - كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يُلين القلوب بالإيمان والهدى بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي؛ والله المؤمل المسؤول أن يفعل بنا (ذلك) ^(٣)، إنه جواد كريم.

فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: أن أصح (الطرق) ^(٤) في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد (فسر) ^(٥) في موضع آخر. (وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر) ^(٦) فإن أعيان ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له؛ بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِنَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَا اللَّهُ وَلَا تُكِنُّ السُّلُوبُ خَصِيمًا ۚ﴾ [النساء: ٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً ۚ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ﴾ [النحل: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۚ﴾ [النحل: ٩٤].

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» ^(٧)؛ يعني: السنة.

(١) في (ز) و(ن) و(ي): «أمرنا به» لما لم يسم فاعله. (٢) في (ن): «هذا».

(٣) في (ن): «الطريق».

(٤) في (ن) و(ي): «بسط».

(٥) ساقط من (ك) و(ن) و(ز).

(٦) حديث صحيح.

أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) واللفظ له، وأحمد (١٣١/٤)؛ وابن حبان (١٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٢٠/ رقم ٦٦٩، ٦٧٠)، وفي «مسند الشاميين» (١٠٦١)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (٢٠٩/٤)؛ والآجري في «الشرعية» (٥١)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣٣٢/٩)؛ وفي «الدلائل» (٥٤٩/٦)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (١٥٠/١) من طريقين عن عبد الرحمن بن أبي عوف الحمصي، عن المقدم بن معدي كرب مرفوعاً: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه». وهو عند بعضهم مختصر.

وأخرج ابن عدي في «الكامل» (٨٥٨/٢) الفقرة الأخيرة منه. وسنده جيد. وله طريق آخر.

أخرجه الترمذي (٢٦٦٤)؛ وابن ماجه (١٢)؛ والدارمي (١٤٤/١)؛ وأحمد (١٣٢/٤)؛ والطحاوي (٤/ ٢٠٩)؛ والحاكم (١٩٠/١)؛ والطبراني (ج ٢٠/ رقم ٦٤٩)؛ وابن عبد البر في «الجامع» (١٠٩/١)؛ والبيهقي (٧٦/٧)، و(٣٣١/٩) من طرق عن معاوية بن صالح، عن الحسن بن جابر، عن المقدم بن معدي كرب مرفوعاً نحوه.

والسُّنَّة - أيضاً - تنزلُ عليه بالوحي، كما ينزلُ القرآن، إِلَّا أَنَّهُ لَا تُتْلَى كَمَا يُتْلَى الْقُرْآنُ (١/٢/٢). وقد استدلَّ الإمامُ الشافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَثَمَةِ عَلَى ذَلِكَ بِأَدْلَةٍ كَثِيرَةٍ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ (ذِكْرِ) (١) ذَلِكَ.

والغرضُ أَنَّكَ تَطْلُبُ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فَمِنَ السُّنَّةِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَعَاذٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «فِيمَ تَحْكُمُ؟» قَالَ: بِكِتَابِ اللهِ. قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قَالَ: بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي. قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لَمَّا يُرْضَى رَسُولَ اللهِ» (٢).

وهذا الحديث في (المسانيد) (٣) و«السنن» بإسنادٍ جَيِّدٍ كَمَا هُوَ مَقَرَّرٌ فِي مَوْضِعِهِ. وحينئذٍ: إذا لم نجد التفسيرَ في القرآن ولا في السُّنَّة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أَدْرَى بِذَلِكَ؛ لَمَا شَاهَدُوا مِنَ الْقُرَائِنِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي اخْتَصَّصُوا بِهَا، وَلَمَّا لَهُمْ مِنَ الْفَهْمِ التَّامِ، وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لَا سِوَمَا عُلَمَائِهِمْ وَكِبَرَاؤُهُمْ؛ كَالْأَثَمَةِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَالْأَثَمَةِ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال الإمامُ أبو جعفرٍ (محمَّد) (٤) بَنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، ثَنَا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ، ثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ؛ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ - يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ -: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا (نَزَلَتْ) (٥) آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ (فِيْمَنْ) (٦) نَزَلَتْ، (وَأَيْنَ نَزَلَتْ) (٧)، وَلَوْ أَعْلَمُ (مَكَانَ) (٨) أَحَدٍ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ مَنِّي تَنَالَهُ الْمَطَايَا لِأَثَمَتِهِ (٩).

= قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».

وقال الحاكم: «إسناده صحيح». كذا! وفيه تسامح ذكرته في «الأصل».

وفي الباب عن جماعة من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، مِنْهُمْ: أَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَجَابِرٌ، وَالْعَرَبَاذِيُّ بْنُ سَارِيَةَ.

(١) من (ج) و(ل).

(٢) منكر.

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٥٩٢، ٣٥٩٣)؛ وَالتِّرْمِذِيُّ (١٣٢٧)؛ وَأَحْمَدُ (٢٣٠/٥، ٢٤٢)؛ وَالدِّرَامِيُّ (٥٥/١)؛ وَالتِّبَالِيُّ (٥٥٩)؛ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١٧٧/١٠)؛ وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» (٣٤٧/٢، ٥٨٤)؛ وَالْعَقِيلِيُّ فِي «الضَّعَفَاءِ» (٢١٥/١)؛ وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْجَامِعِ» (٥٦، ٥٥/٢)؛ وَالْخَطِيبُ فِي «الْفَقِيهِ وَالْمُتَّفَقِ» (١٥٤)، (١٥٥)؛ وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «الْكِبَرِيِّ» (١١٤/١٠)؛ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْعِلَلِ الْمُتَنَاهِيَةِ» (١٢٦٤) مِنْ طَرُقٍ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ الثَّقَفِيِّ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ مَعَاذٍ، عَنْ مَعَاذٍ.. فَذَكَرَهُ.

وعزاه المصنف في «تفسير سورة الحجرات» لابن ماجه فوهم.

وهذا حديث منكر، ضعفه صيارفة هذا الفن: البخاري، والترمذي، والعقيلي، وابن عدي، والدارقطني في آخرين ذكرهم شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني في بحث ممتع له حول هذا الحديث في «الضعيفة» (٨٨١) فانظره لزماً.

(٣) وقع في (ك) و(ل) و(ن): «المسانيد»، وأشار في هامش (ن) أن في بعض النسخ «المسند».

(٤) زيادة من (ز) و(ع) و(ك) و(ي).

(٥) في (ج): «نزل».

(٦) في (ك): «فيم».

(٧) ساقط من (ج).

(٨) ساقط من (ن).

(٩) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (٨٣). وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧/٩)؛ وَمُسْلِمٌ (١١٥/٢٤٦٣)، مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ بِهِ.

وقال الأعمش^(١) أيضاً، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، قال: كان الرجلُ منّا إذا تعلّمَ عشرَ آياتٍ لم يُجاوزْهُنَّ حتّى يعرفَ معانيهنَّ والعملَ بهنَّ.

وقال أبو عبد^(٢) الرّحمن السّلمي: حدّثنا الذين كانوا يُقرئُوننا أنّهم كانوا يستقرئون من النّبي ﷺ، فكانوا إذا تعلّموا عشرَ آياتٍ لم يخلّفوها حتّى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعملَ جميعاً.

ومنهم: الحبرُ البخر^(٣) عبدُ الله بنُ عبّاسٍ ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ وترجمانُ القرآنِ ببركةِ دعاءِ رسولِ الله ﷺ له حيثُ قال: «اللّهُمَّ فقههُ في الدّينِ وعلمهُ التّأويلَ»^(٤).

وقال ابن^(٥) جرير: حدّثنا محمّد بنُ بشارٍ، ثنا وكيعٌ، ثنا سفيانٌ، عن الأعمش، عن مسلم

(١) أخرجه ابن جرير (٨١) من طريق الحسين بن واقد، عن الأعمش به وسنده صحيح.

(٢) صحيح.

أخرجه ابن جرير (٨٢) قال: حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا جرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن السلمي فذكره.

قال الشيخ أبو الأشبال رحمه الله: «هذا إسناد صحيح متصل»! كذا قال! ومحمد بن حميد شيخ الطبري واه، وقد كذبه جماعة من أهل الري، وطوح الشيخ بقول الجارحين له إذ قال في «شرح الترمذي» (٥٠٣/٢)، (٥٠٤): «ونستخير الله في أنه ثقة»! وقد ناقشته في «بذل الإحسان» (٢٠٣/١ - ٢٠٥) فراجعه. ولكن له طريق آخر.

فأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١٧٢/٦) قال: أخبرنا حفص بن عمر الحوضي، قال: حدّثنا حماد بن زيد، قال: حدّثنا عطاء بن السائب أن أبا عبد الرحمن السلمي قال: فذكره بنحوه وزاد: «ولنه سيرت القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء، لا يجاوز تراقيهم، بل لا يجاوز هاهنا». ووضع يده على الحلق. وهذا إسناد صحيح، وحماد بن زيد كان ممن سمع من عطاء قبل اختلاطه كما قال النسائي والعقيلي. وأخرجه أحمد (٤١٠/٥)؛ وابن أبي شيبة (٤٦٠/١٠)؛ وعبد الرزاق (٣٨٠/٣)؛ والحاكم (٥٥٧/١). وعنه البيهقي في «الشعب» (٥١٠/٤) من طرق عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن به.

(٣) كذا سماه مجاهد بن جبر: أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٩٢٠)؛ وابن سعد (٣٦٦/٢)؛ ويعقوب بن سفيان في «المعرفة» (٤٩٦/١)؛ والطبري في «تهذيب الآثار» (٢٧٦ - مسند ابن عباس)؛ والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٣٣)؛ والحاكم (٥٣٥/٣)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣١٦/١)؛ والخطيب في «تاريخه» (١٧٤/١) بسند صحيح عن مجاهد قال: «كان ابن عباس رضي الله عنهما يسمى «البحر» من كثرة علمه». وأخرج نحوه أحمد في «الفضائل» (١٨٧٥)؛ وابن سعد (٣٦٦/٢) عن عطاء.

(٤) صحيح.

أخرجه أحمد (٢٦٦/١، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥)؛ وفي «الفضائل» (١٨٥٦، ١٨٥٨، ١٨٨٢)؛ وابن أبي شيبة (١١١/١٢، ١١٢)؛ وابن سعد في «الطبقات» (٣٦٥/٢)؛ ويعقوب بن سفيان في «تاريخه» (٤٩٣/١)، (٤٩٤). وكذا ابن حبان (٧٠٥٥)؛ والحاكم (٥٣٤/٣)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٠/رقم ١٠٥٨٧) من طريق حماد بن سلمة وزهير بن معاوية، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: كنت في بيت ميمونة بنت الحارث، فوضعت لرسول الله ﷺ طهوراً، فقال: «من وضع هذا؟» قالت ميمونة: عبد الله. فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل».

وهذا سند جيد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) صحيح.

أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠٤).

وأخرجه أحمد في «الفضائل» (١٨٦٠، ١٨٦١)؛ وأبو خيثمة في «كتاب العلم» (٤٨)، وابن سعد =

- قال: - قال عبد الله؛ يعني: ابن مسعود: نِعَمَ تُرْجَمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ. ثم رواه^(١) عن يحيى بن داود، عن إسحاق الأزرق، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح، أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود - أنه قال: نِعَمَ التُّرْجَمَانِ لِلْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ. ثم رواه^(٢) عن بُنْدَارٍ، عن جعفر بن عون، عن الأعمش به، كذلك.

فهذا إسنادٌ صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة. وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعُمِّرَ بعده عبد الله بن عباس ستاً وثلاثين سنة؛ فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود رضي الله عنه؟!^(٣)

وقال الأعمش^(٤)، عن أبي وائل: استخلف عليّ عبد الله بن عباس على الموسم، فخطب النَّاسَ، فقرأ في خطبته سورة البقرة؛ وفي رواية سورة الثور، ففسرها تفسيراً لو سمعه الروم والتُّرك والدَّيلم لأسلموا.

ولهذا غالب (١/٣/١) ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّيُّ الكبير في «تفسيره» عن هذين الرجلين (عبد الله)^(٥) بن مسعود، وابن عباس؛ ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» رواه البخاري^(٦) عن عبد الله بن عمرو.

ولهذا كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ^(٧) (قد أصاب يوم اليرموك)^(٨) زَامِلَتَيْنِ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ

= (٢/٣٦٦)؛ وابن أبي شبة (١٢/١١٠، ١١١)؛ ويعقوب بن سفيان في «تاريخه» (١/٤٩٤، ٤٩٥)؛ والطبري في «التهذيب» (٢٦٨ - ٢٧١ مسند ابن عباس)؛ والبلاذري في «أنساب الأشراف»؛ والحاكم (٣/٥٣٧)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٦/١٩٣)؛ والخطيب (١/١٧٤) من طرق عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود. وعند بعضهم: «لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا أحد، ونعم ترجمان القرآن... إلخ».

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن سعد (٢/٣٦٦) من طريق مالك بن مغول، عن سلمة بن كهيل، قال: قال عبد الله: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

قال الحافظ في «الإصابة» (٤/١٤٦): «سنده حسن».

(١) رقم ١٠٥. (٢) رقم ١٠٦.

(٣) ساقط من (ز) و(ن).

(٤) أخرجه الطبري (٨٥، ٨٦، ٨٧). وكذلك يعقوب بن سفيان في «المعرفة» (١/٤٩٥، ٤٩٦)؛ وأبو العباس السراج، كما في «الإصابة» (٤/١٤٩)، من طرق عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن عباس. وهذا سند صحيح.

(٥) من (ز).

(٦) في «صحيحه» (٦/٤٩٦ - فتح).

وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٦٦٩)؛ والدارمي (١/١١١)؛ وأحمد (٢/١٥٩، ٢٠٢، ٢١٤)؛ وابن حبان (٦٢٥٦) في آخرين من طريق أبي كبشة السلولي، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.

(٧) في (ك) و(ن): «عنهما» وسقطت الترضية من (ز). (٨) في (ز): «يوم اليرموك قد أصاب».

الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.
ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد تُذكر للاستشهاد لا للاعتضاد؛ فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.
والثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل (ولا من هذا القبيل)^(١)، فلا نُؤمن به ولا نُكذِّبه؛ ويجوز حكايته لما تقدّم؛ وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.

ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيراً؛ ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكر في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي (شجر) كانت، وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم؛ ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرًّا ظَهَرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف] فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا؛ فإنه تعالى (حكى)^(٢) عنهم ثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين، وسكت عن الثالث؛ فدل على صحته؛ إذ لو كان باطلاً لردّه كما ردّها.

ثم أرشد (إلى)^(٤) أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته^(٥) [فيقال]^(٦) في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ فإنه ما يعلم ذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه؛ فهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرًّا ظَهَرًا﴾ أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته^(٥) ولا تسألهم عن ذلك؛ فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب.

فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن تُنبّه على الصحيح منها، وتبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته؛ فتشتغل به عن «الأهم»^(٧).

فأما من حكى خلافاً في مسألة، ولم يستوعب أقوال الناس فيها، فهو ناقص؛^(٨) [إذ (قد)^(٩) يكون الصواب في الذي تركه؛ أو يحكى الخلاف ويطلقه، ولا ينبّه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص]^(٨) أيضاً، فإن صحّ غير الصحيح عامداً فقد (٢/٣/١) تعمّد الكذب، أو جاهلاً فقد

(١) ساقط من (ج). (٢) في (ز) و(ن): «الشجر».

(٣) كذا في (ج) و(ل). ووقع في «ع» و(ك) و(ي) و(ز): «أخبر» وأشار في هامش (ع) و(ي) إلى اللفظ الآخر.

(٤) في (ز) و(ن): «على».

(٦) في (ز): «فقال».

(٨) ساقط من (ك).

(٩) ساقط من (ج).

(٥) ساقط من (ك).

(٧) في (ز) و(ن): «الأهم فالأهم» وهي زيادة قلقه.

أخطأ؛ وكذلك مَنْ نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً ويرجع حاصلها إلى قولٍ أو قولين معنًى فقد ضيَّع الزمان، وتكثَّر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبَي زُور^(١). والله الموفق للصواب.

فَضْلٌ

إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السُّنَّة، ولا وجدته عن الصَّحابة، فقد رجع كثيرٌ (من)^(٢) الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين؛ كمجاهد بن جبر؛ فإنه كان آية في التفسير، كما قال محمد بن إسحاق^(٣): حدثنا أبان بن صالح، عن مُجاهد؛ قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عَرَضَاتٍ مِنْ فاتِحَتِهِ إلى خاتِمَتِهِ، أوقفه عند كُلِّ آيةٍ منه، وأسأله عنها.

وقال ابن جرير^(٤): حدثنا أبو كريب، ثنا طلق بن غنَّام، عن عثمان المكي، عن ابن أبي مليكة؛ قال: رأيتُ مجاهداً سأل ابنَ عباسٍ عن تفسير القرآن ومعه ألواحُه؛ قال: فيقول له ابنُ عباسٍ: اكتب، حتَّى سأله عن التفسير كُلِّهِ.

ولهذا كان سفيان^(٥) الثوريُّ يقول: إذا جاءكَ التفسير عن مُجاهدٍ فحسبك بِهِ.

وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم؛ فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباينٌ في الألفاظ يحسبها (بعض)^(٦) مَنْ لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً؛ وليس كذلك؛ فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكلُّ بمعنى واحدٍ (في كثير من)^(٧) الأماكن، فليتنفَّظن اللَّيْبُ لذلك. والله الهادي.

وقال شعبه بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في القُرُوع ليست حُجَّةً، فكيف تكون حجةً في التفسير؟ يعني أنها لا تكون حجةً على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على

(١) إشارة إلى ما أخرجه البخاري (٣١٧/٩)؛ ومسلم (١٢٧/٢١٣٠).

(٢) ساقط من (ج).

(٣) أخرجه الطبري (١٠٨)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٢٧٩، ٢٨٠)، ومن طريقه الذهبي في «التذكرة» (٢/٧٠٦)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج ١٦/٢٥٢) من طريق ابن إسحاق بسنده سواء.

قال الذهبي: «هذا حديث حسن الإسناد»، وأخرجه أحمد في «الفضائل» (١٨٦٦)؛ وابن أبي شيبه (١٠/٥٥٩) من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد مثله.

(٤) في «تفسيره» (١٠٧)، ورجاله ثقات إلا عثمان المكي، ولعله عثمان بن أبي الكنت. ترجمه ابن أبي حاتم (٣/١٦٥) وقال: «روى عن ابن أبي مليكة، روى عنه البصريون ويسرة بن صفوان» وذكره ابن حبان في «الثقات» (٢٠١/٧).

ويحتمل أن يكون: عثمان بن الأسود المكي، أو عثمان بن صفوان. والله أعلم.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٠٩) قال: حدثني عبيد الله بن يوسف الجبيري، عن أبي بكر الحنفي، قال: سمعت سفيان الثوري فذكره. وسنده جيد.

(٦) زيادة من (ج) و(ل).

(٧) في (ن): «في أكثر».

الشيء فلا يرتأب في كونه حجة؛ فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجةً على (قول) ^(١) بعض، ولا على مَنْ بعدهم؛ ويُرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك.

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما رواه (الإمام) ^(٢) محمد بن جرير رحمه الله (تعالى) ^(٣) حيث قال ^(٤):

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سفيان، حدثني عبد الأعلى - هو ابن عامر الثعلبي - عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ؟ قال: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، أَوْ بِمَا لَا يَعْلَمُ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

وهكذا أخرجه الترمذي ^(٥)، والنسائي ^(٦) من طريق عن سفيان الثوري، به؛ ورواه أبو داود ^(٧)، عن مسدد، عن أبي عوانة، عن عبد الأعلى، به، (مرفوعاً) ^(٨).

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

وهكذا رواه ابن جرير ^(٩) أيضاً عن يحيى بن طلحة اليربوعي، عن شريك، عن عبد الأعلى، به، مرفوعاً؛ ولكن رواه ^(١٠) عن محمد بن حميد، عن الحكم بن بشير، عن عمرو بن قيس الملائي، عن عبد الأعلى، عن سعيد، عن ابن عباس فوقه، (١/٤/١).

(١) زيادة من (ن). ووقعت في (ز): «فلا يكون بعضهم حجةً على بعض».

(٢) زيادة من (ل).

(٣) زيادة من (ن).

(٤) في «تفسيره» (٧٤).

(٥) في «فضائل القرآن» (١٠٩، ١١٠).

(٦) كما في «أطراف المزي» (٤/٤٢٣). وهذا الحديث لا يوجد في نسخ السنن التي بأيدينا؛ لأنها من رواية اللؤلؤي، وقد وقع في رواية ابن العبد كما قال العراقي في «تخريج الإحياء» (١/٣٧)، والزبيدي في «الإتحاف» (٤/٥٢٦).

وابن العبد؛ هو: علي بن الحسن بن العبد الأنصاري، أحد رواة «سنن أبي داود» والله الموفق.

(٨) زيادة من (ك) و(ن).

(٩) في «تفسيره» (٧٣).

وأخرجه أيضاً أحمد (٢٠٦٩، ٢٤٢٩، ٢٩٧٦، ٣٠٢٥)؛ وأبو يعلى (ج٤/رقم ٢٥٨٥) بزيادة في أوله، والبزار في «مسنده» (ج٢/ق ٢٦٥، ٢٩٣)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١/١٦٧، ١٦٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج١٢/رقم ١٢٣٩٢)؛ وأبو يعلى الخليلي في «الإرشاد» (١/٣٩٦)؛ وابن بطة في «الإبانة» (٧٩٩، ٨٠٥) وآخرون من طرق عن عبد الأعلى بن عامر بسنده سواء. وسنده ضعيف لأجل عبد الأعلى هذا، ووهم المنذري رحمه الله وهماً شديداً إذ قال في «الترغيب» (١/١٢١): «رواه أبو يعلى ورواته ثقات محتج بهم في الصحيح»!! كذا قال! وعبد الأعلى بن عامر ما أخرجا له شيئاً أصلاً، لا احتجاجاً ولا متابعة.

(١٠) يعني ابن جرير (رقم ٧٦) وسنده ضعيف جداً، ومحمد بن حميد واه.

ورواه وكيع بن الجراح، عن الثوري، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قوله: أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٥١٢) ونجم الدين النسفي في «ذكر علماء سمرقند» (رقم ٨٠٧) عن وكيع هكذا موقوفاً وقد رواه عن الثوري جماعة من الثقات مرفوعاً كما مر ذكره، وهذا الاختلاف من عبد الأعلى بن عامر.

وعن^(١) محمد بن حُميد، عن جرير، عن ليث، عن بكر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس من قوله. فإله أعلم.

وقال ابن^(٢) جرير: حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري، حدثنا حبان^(٣) بن هلال، حدثنا سهيل أخو حزم، حدثنا أبو عمران الجوني، عن جندب - أن رسول الله ﷺ - قال: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بَرَأْيَهُ فَقَدْ أَخْطَأَ»^(٤).

وقد روى هَذَا الحديث أبو داود، والترمذي، والنسائي، مِنْ حديث سهيل بن أَبِي حَزْم (الْقُطَيْعِي)^(٥).

وقال الترمذي: «غريب». وقد تكلم بعض أهل العلم في سُهَيْل.

(١) أخرجه ابن جرير أيضاً (٧٧) بلفظ: «من تكلم في القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار» وسنده كسابقه، وليث هو ابن سليم، والكلام فيه مشهور. وبكر هو ابن سودة. وزعم محقق أبي يعلى (٢٢٨/٤) أن بكرأ تابع عبد الأعلى الثعلبي، وهو قد خالفه فأوقفه كما ترى. وإله أعلم. وهذا الحديث لا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً، إذ مداره على عبد الأعلى وقد ضعفه أحمد وأبو زرعة وابن سعد. وقال أبو حاتم، وابن معين، والنسائي، والدارقطني: «ليس بالقوي». وقال الحافظ في «التهذيب»: «وصح له الحاكم، وهو من تساهله». ولكن وجدت له طريقاً آخر مرفوعاً.

أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٣٦٨/٨) قال: حدثنا محمد بن المنذر، عن عبد الله بن شيبه الصغاني عن أبي عاصم النبيل، ثنا ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس مرفوعاً: «من قال في القرآن برأيه... الحديث».

وهذا إسناد ضعيف أيضاً. وعبد الله بن شيبه لا أعرف من حاله شيئاً. وابن جريج مدلس وقد عنعنه. وإله أعلم.

(٢) في «تفسيره» (رقم ٨٠).

(٣) وقع في (ن): «حيان» بالياء وهو خطأ.

(٤) ضعيف.

أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)؛ والنسائي في «الفضائل» (١١١)؛ والترمذي (٢٩٥٣) من طرق عن سهيل بن أبي حزم، ثنا أبو عمران الجوني، عن جندب مرفوعاً. ومن هذا الوجه:

أخرجه ابن أبي حاتم في «العلل» (ج ٢/رقم ١٦٨٠)؛ وأبو يعلى في «المسند» (٩٠/٣)؛ وفي «المفاري» (٣٢)؛ والرويان في «مسنده» (ج ٢٨/٢٨٣/٢)؛ والطبراني في (ج ٢/رقم ١٦٧٢)؛ وفي (الأوسط) (ج ٢/ق ١٠/٢)؛ وابن عدي في «الكامل» (١٢٨٨/٣)؛ وابن بطة في «الإبانة» (٧٩٨، ٨٠٦)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٠٨١) وآخرون.

وعزاه الزبيدي في «الإتحاف» (٥٢٦/٤) لابن حبان فوهم.

وقال البغوي في شرح السنة (٢٥٩/١): «غريب» وكذا نقل المصنف عن الترمذي وسبقه المزي في «الأطراف» (٤٤٤/٢) ولكني لم أجد هذا النقل في «المطبوعة»، وفيها سقط كثير. فإله المستعان. وعلى كل حال فالسند ضعيف، وسهيل بن أبي حزم ضعفه أحمد والبخاري وأبو حاتم وغيرهم وقد خالفه حماد بن زيد في إسناده ومثته كما شرحته في «تسليمة الكظيم».

وأخرج ابن عدي في «الكامل» (٢١٣٠/٦) من طريق محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس مرفوعاً: «من قال في القرآن برأيه، فإن أصاب لم يؤجر». وسنده ساقط، والكلبي تالف البتة، فكذبه غير واحد من النقاد. وفي الباب شواهد أخرى واهية.

(٥) في (ل) و(ن): «القطيعي» وهو خطأ.

وفي لفظ لهم: «مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»؛ أي: لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابيه، كمن حكّم بين الناس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخفّ جرماً ممّن أخطأ. والله أعلم.

وهكذا سمي الله القذفة: كاذبين؛ فقال: ﴿فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣] فالقاذف كاذب ولو كان قد قذف من زنى في نفس الأمر؛ لأنه أخبر بما لا يحلّ له الإخبار به؛ ولو كان أخبر بما يعلم؛ لأنه تكلف ما لا علم له به. والله أعلم.

ولهذا تحرّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما روى شعبة^(١)، عن سليمان، عن عبد الله بن مروة، عن أبي معمر؛ قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أي أرضي تقلني؛ وأي سماء تظلني، إذا قلت في كتاب الله (بما)^(٢) (لا)^(٣) أعلم.

وقال أبو عبيد^(٤) القاسم بن سلام: حدثنا محمد بن يزيد، عن العوّم بن حوشب، عن إبراهيم التيمي، أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَكَّهُمْ وَأَبَا﴾ ﴿٣٦﴾ [عبس] فقال: أي سماء تظلني؛ وأي أرض تقلني، إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. منقطع.

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه ابن جرير (٧٩) قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة بإسناده سواء. وأخرجه مسدد في «مسنده» كما في «المطلب العالية» (٣٠٠/٣) وعبد بن حميد - كما في «الفتح» (١٣/٢٧١) وهذا سند رجاله ثقات، ولكنه منقطع بين أبي معمر، - واسمه: عبد الله بن سخبرة -، وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كما صرح به الحافظ.

(٢) في (ن): «ما».

(٣) في (ع): «لم».

(٤) إسناده ضعيف.

أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (١/٥٨)؛ وابن أبي شيبة (٥١٣/١٠)؛ وعبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» (٣١٧/٦)، وهو منقطع كما ذكر المصنف رضي الله عنه، وسبقه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «أصول التفسير» (١٠٨) وتلاههما ابن حجر في «الفتح» (٢٧١/١٣) وقد خولف العوام بن حوشب فيه. خالفه الحسن بن عبيد الله، فرواه عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. فزاد: «أبا معمر» في سنده.

أخرجه ابن جرير (٧٨)؛ وابن عبد البر في «الجامع» (٥٢/٢) من طريق حفص بن غياث، عن الحسن به وهو منقطع أيضاً كما تقدم.

وأخرج البيهقي في «المدخل» (٧٩٢) عن سعيد بن منصور وهو في «تفسيره» (٣٩) ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، قال: سئل أبو بكر الصديق عن آية من كتاب الله سبحانه... فذكر نحوه.

قال البيهقي في «الشعب» (٢٢٨/٥): «ابن أبي مليكة عن أبي بكر مرسل».

وأخرج ابن أبي شيبة (٥١٢/١٠)؛ والخطيب في «الجامع» (١٩٣/٢) من طريقين عن الحسن بن عمرو، عن عامر الشعبي، عن أبي بكر رضي الله عنه نحوه. وهذا منقطع أيضاً.

وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٠٨٢) من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن القاسم، عن أبي بكر به.

ورواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد مقاربة، فقد كان أثبت الناس فيه كما قال أبو حاتم، لكنه منقطع بين القاسم وجده رضي الله عنه.

(١) [وقال أبو (٢) عبيد أيضاً: حدثنا يزيد، عن حميد، عن أنس - أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وَفَكَهْمَهُ وَأَبَا﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه، فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر!

وقال (محمد بن سعيد) (٣): حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس؛ قال: كنا عند عمر بن الخطاب عليه السلام وفي ظهر قميصه أربع رِقَاع، فقرأ: ﴿وَفَكَهْمَهُ وَأَبَا﴾ فقال: فما الأب؟ ثم قال: إن هذا لهو التكلف؛ فما عليك أن لا تَذَرِيَه؟ (١).

وهذا كله محمولٌ على أنهما عليهما السلام إنما أرادَا استكشافَ عِلْمِ كَيْفِيَةِ الْأَبِّ، وإلا فكونه نَبْتاً من الأرضِ ظاهراً لا يُجْهَلُ؛ (لقوله) (٤) تعالى: ﴿فَأَلْبَسْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ وَعِنَبًا [عبس: ٢٧، ٢٨].

وقال ابن جرير (٥): حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابنُ عُليّة، عن أيوب، عن ابن أبي مُليكة: أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها. «إِسْنَادٌ» (٦) صَحِيحٌ.

وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن أبي مُليكة، قال: سأل رجل ابن عباس عن ﴿يَوْمَ كَانَ مَقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]؟ فقال له ابن عباس: فما ﴿يَوْمَ كَانَ (١/٤/٢) مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]؟ فقال له الرَّجُلُ: إِنَّمَا سَأَلْتُكَ لِتُحَدِّثَنِي؛ فقال ابن عباس: هما يومانِ ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

وقال (أيضاً) (٧) ابن جرير (٨): حدثني يعقوب - يعني: ابن إبراهيم - ثنا ابنُ عُليّة، عن مهدي بن

(١) ساقط من (ن).

(٢) إسناده صحيح.

أخرجه أبو عبيد (١/٥٨)؛ وابن أبي شيبه (١٠/٥١٢، ٥١٣)؛ وسعيد بن منصور في «تفسيره» (ق١/١٨٦)؛ والحاكم (٢/٥١٤)، وعنه البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٠٨٤) من طريق يزيد بن هارون، عن حميد، عن أنس.

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

(٣) ووقع في (ز) و(ك): «عبد بن حميد».

وقد أخرجه عبد بن حميد في «تفسيره» - كما في «الفتح» (١٣/٢٧١)؛ وابن سعد (٣/٣٢٧) قالوا: حدثنا سليمان بن حرب بسنده سواء.

وأخرجه البخاري (١٣/٢٦٤، ٢٦٥) قال: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس قال: كنا عند عمر فقال: «نهينا عن التكلف». هكذا أخرجه البخاري مختصراً. وتكلم عليه الحافظ في «الفتح» بما يجدر أن يراجع.

وأخرجه ابن جرير (٣٠/٦٠، ٦١)؛ وعبد بن حميد كما في «الفتح»؛ والبيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٠٨٤)؛ والجوزقاني في «الأباطيل» (٧٠٤) من طرق عن الزهري، عن أنس. وسنده صحيح أيضاً. وقال الجوزقاني: «هذا حديث صحيح».

(٤) في (ن): «كقوله».

(٥) في «تفسيره» (٩٨) وسنده صحيح.

(٦) في (ل) و(ن): «إسناده».

(٧) في (ن): «ابن جرير أيضاً».

(٨) في «تفسيره» (٩٩) وسنده صحيح. والوليد بن مسلم هو ابن شهاب العنبري أبو بشر البصري وثقه ابن معين وأبو حاتم وابن حبان.

ميمون، عن الوليد بن مسلم؛ قال: جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله، فسأله عن آية من القرآن. فقال: أخرج عليك إن كنت مسلماً لما قمت عني - أو قال -: أن تجالسني.

وقال مالك^(١)، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب - أنه كان إذا سُئل عن تفسير آية من القرآن قال: إننا لا نقول في القرآن شيئاً.

وقال الليث^(٢)، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب - إنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن.

وقال شعبة^(٣)، عن عمرو بن مرة؛ قال: سألت رجلاً سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: لا تسألني عن القرآن، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء - يعني عكرمة -.

وقال ابن شاذب^(٤): حدثني يزيد (بن أبي يزيد)^(٥)، قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحرام والحلال، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع.

وقال ابن جرير^(٦): حدثني أحمد بن عبد الصبّ، ثنا حماد بن زيد، ثنا عبيد الله بن عمر؛ قال: لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير؛ منهم سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع.

وقال أبو عبيد^(٧): حدثنا عبد الله بن صالح، عن (الليث)^(٨)، عن هشام بن عروة، قال: ما سمعت أبي يؤول آية من كتاب الله قط.

وقال أيوب^(٩)، وابن عون، وهشام الدستوائي، عن محمد بن سيرين؛ سألت عبيدة - يعني السلماني - عن آية من القرآن، فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن. فاتق الله، وعليك بالسداد.

وقال أبو عبيد^(١٠): حدثنا معاذ، عن ابن عون، عن عبد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه؛ قال: إذا حدثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده.

(١) أخرجه ابن جرير (٩٣، ٩٤)؛ وابن سعد (١٣٧/٥) من طرق عن مالك بسنده سواء. وسنده صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (٩٥) قال: حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت الليث... فذكره وهذا سند صحيح. وتابعه عبد الله بن صالح، عن الليث به.

أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (١/٥٨، ٢).
(٣) أخرجه أبو عبيد (٢/٥٨)؛ وابن جرير (١٠١)؛ وابن أبي شيبة (٥١١/١٠) من طريق محمد بن جعفر، أخبرنا شعبة بسنده سواء. وسنده صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٠٠) قال: حدثني عباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال: حدثنا عبد الله بن شاذب بسنده سواء. وسنده صحيح.

(٥) ساقط من (ج). (٦) في «تفسيره» (٩٢) وسنده صحيح.

(٧) في «فضائل القرآن» (٢/٥٨) وسنده جيد. (٨) في (ن): «ليث».

(٩) أخرجه ابن جرير (٩٧) قال: حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن أيوب، وابن عون، عن ابن سيرين به. وأخرجه أبو عبيد (٢/٥٨)؛ وابن أبي شيبة (٥١١/١٠)؛ وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٤٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٠٨٥) من طريق آخر عن ابن عون به. وسنده صحيح.

(١٠) في «الفضائل» (٢/٥٨) وسنده صحيح.

(۷) منکر.

محمد بن خالد بن عثمة، حدثنا (جعفر)^(١) بن محمد الزبير، حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة؛ قالت: ما كان النبي ﷺ يُفسر شيئاً من القرآن إلا آياً (بعدد)^(٢) علمهن إياه جبريل عليه السلام.

ثم رواه^(٣) عن أبي بكر محمد بن يزيد الطرسوسي، عن معن بن عيسى، عن جعفر بن خالد، عن هشام، به. فإنه حديث منكر غريب.

وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري. قال البخاري: «لا يتابع في حديثه». وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي: «منكر الحديث»، وتكلم عليه الإمام أبو جعفر بما حاصله أن هذه الآيات مما لا يعلم إلا بالتوقيف عن الله تعالى مما وقفه عليها (جبريل)^(٤). وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث فإن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه. ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يُعذر أحد في «جهله»^(٥)؛

= أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩٠) قال: حدثنا العباس بن عبد العظيم، قال: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة، قال: حدثني جعفر بن محمد الزبيري، قال: حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة فذكرته. كذا رواه العباس.

وخالفه محمد بن المثنى فقال: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة، ثنا حفص، أظنه ابن عبد الله، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. فجعل شيخ «ابن عثمة» هو «حفص بن عبد الله» بدل «جعفر بن محمد الزبيري». أخرجه البزار (ج ٣/ رقم ٢١٨٥). وأخشى أن يكون هذا من البزار نفسه.

فقد رواه معن القزاز عن فلان بن محمد بن خالد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. أخرجه أبو يعلى (ج ٨/ رقم ٤٥٢٨) قال: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا معن القزاز. و«فلان» هذا هو جعفر. فقد أخرجه الطبري (٩١) قال: حدثنا أبو بكر محمد بن يزيد الطرسوسي، قال: أخبرنا معن، عن جعفر بن خالد، عن هشام بسنده سواء.

وأخرجه ابن شاهين في «الأفراد» (ج ٥/ ق ١٠٩ - ٢/ ١١٠) قال: حدثنا البغوي، قال: ثنا هارون بن عبد الله، قال: ثنا معن بن عيسى، قال: ثنا جعفر بن محمد بن خالد الزبيري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعاً.

قال ابن شاهين: «وهذا حديث غريب من حديث المدينة، لا أعلم رواه عن جعفر بن محمد الزبيري إلا معن بن عيسى وخالد بن مخلد القطواني». ثم رواه من طريق القطواني وقال: قال لنا عبد الله بن محمد؛ يعني: البغوي، هذا حديث غريب لم نسمعه إلا منه؛ يعني: من هارون بن عبد الله. اهـ. وقول ابن شاهين: «لا أعلم رواه عن جعفر إلا معن وخالد، متعقب بأن محمد بن خالد بن عثمة رواه أيضاً عن جعفر كما مر ذكره».

فترجح من هذا أنه «جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري» كما قال ابن كثير رحمه الله. قال البخاري: «لا يتابع على حديثه».

وقال الأزدي: «منكر الحديث».

وقال الطبري (٨٩/ ١ - شاكراً): «وجعفر بن محمد الزبيري لا يعرف في أهل الآثار».

(١) في (ن): «أبو جعفر» وهو خطأ.

(٢) في (ز) و(ك): «تعد» وهي مخالفة لما في «الطبري» وبقية الأصول.

(٣) رقم ٩١. (٤) في (ي): «جبرائيل».

(٥) في (ن): «جهالته».

كما صرَّح بذلك ابنُ عباسٍ فيما^(١) قال ابنُ جرير^(٢): حَدَّثَنَا (محمَّد)^(٣) بَنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانٌ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ؛ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ: وَجْهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ (لَا يَعْلَمُهُ)^(٤) إِلَّا اللَّهُ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ^(٥): وَقَدْ رَوَى نَحْوُهُ فِي حَدِيثٍ فِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ؛ حَدَّثَنِي (يُونُسُ)^(٦) بَنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدْفِيُّ، أَنبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ (قَالَ)^(٧): سَمِعْتُ عَمْرُو بْنَ الْحَارِثِ يَحْدُثُ عَنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ (مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ)^(٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ: حَلَالٌ وَحَرَامٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِالْجَهَالَةِ بِهِ، وَتَفْسِيرٌ: تَفْسِيرُهُ الْعَرَبُ، وَتَفْسِيرٌ تَفْسِيرُهُ الْعُلَمَاءُ، وَمِثَابُهُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ، وَمَنْ ادَّعَى عِلْمَهُ سِوَى اللَّهِ فَهُوَ كَاذِبٌ». وَالنَّظَرُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ فِي إِسْنَادِهِ هُوَ مِنْ جِهَةِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ، فَإِنَّهُ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ إِنَّمَا وَهَمٌ فِي رَفْعِهِ؛ وَلَعَلَّهُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا تَقَدَّمَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) من أول هنا: بداية النسخة (هـ).

(٢) في «تفسيره» (٧١) وسنده ضعيف لانقطاعه، فإن أبا الزناد لم يسمع من ابن عباس فقد قال أبو حاتم الرازي، كما في «المراسيل»: (١١١): «أبو الزناد لم ير ابن عمر» وكلاهما مدني، فأولى أن لا يرى ابن عباس، وذلك لأن ابن عمر مات سنة (٧٣) ومات ابن عباس بالطائف سنة (٦٨). وقال البخاري: «أبو الزناد لم يسمع من أنس» ومات أنس سنة (٩٢) أو بعدها بسنة، فأولى أن لا يسمع من ابن عباس، والله أعلم.

(٣) ساقط من (هـ).

(٤) في (ن): «يعلمه أحد».

(٥) في «تفسيره» (٧٢)، وأخرجه ابن المنذر، وأبو نصر السجزي، وابن الأنباري في «الوقف»، كما في «الكنز» (٥٥/٢)، وإسناده ساقط، ومحمد بن السائب تالف.

(٦) في (ي): «يوسف»! وهو خطأ ظاهر.

(٧) زيادة من (ز) وهي ثابتة في «الطبري».

(٨) كذا في «الطبري» و(ج) و(ك) و(ل) و(ن) وهو الصواب. ووقع في (ز) و(ع) و(ي): «عن أم هانئ» وهو خطأ ظاهر. ووقع في (هـ): «عن مرة الهمداني»!! وهو خطأ فاحش!

كتاب فضائل القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال البخاري^(١) رَحِمَهُ اللهُ: «كيف (نزول)^(٢) الوحي؟ وأول ما نزل» قال ابن عباس: المهيمن الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله.

حدثنا عبيد الله بن موسى، عن شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة، قال: أخبرني عائشة، وابن عباس قالا: لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة (عشراً)^(٣). اهـ.

ذكر البخاري رَحِمَهُ اللهُ كتاب «فضائل القرآن» بعد «كتاب التفسير»؛ لأن التفسير أهم، فلهذا بدأ به. (ونحن قدمنا «الفضائل» قبل «التفسير»، وذكرنا فضل كل سورة قبل تفسيرها، ليكون ذلك باعثاً على حفظ القرآن وفهمه والعمل بما فيه. والله المستعان)^(٤). وقول ابن عباس في تفسير: «المهيمن»: إنما يريد به البخاري قوله تعالى في: «المائدة» بعد ذكر التوراة والإنجيل ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال الإمام أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ اللهُ: ثنا المثنى، ثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية عن علي - يعني: ابن أبي طلحة - عن ابن عباس (في)^(٥) قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال: المهيمن الأمين قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله، وفي رواية شهيداً عليه.

وقال سفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عن أبي إسحاق السبيعي، عن التميمي، عن ابن عباس ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال: مؤتمناً، وبنحو ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف.

وأصل الهيمنة: الحفظ والارتقاب، يُقال: (إذا رقب)^(٦) الرجل الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن فلان عليه، فهو مهيمن هيمنة، وهو عليه مهيمن.

وفي أسماء الله تعالى ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣] وهو الشهيد على كل شيء القريب الحفيظ بكل شيء.

(١) في «كتاب فضائل القرآن» من «صحيحه» (٣/٩).

(٢) كذا في «الأصول» كلها. وفي «البخاري» (٣/٩): «نزل». قال الحافظ في «الفتح»: «كذا لأبي ذر: «نزل» بلفظ الفعل الماضي، ولغيره: «كيف نزول الوحي» بصيغة الجمع». اهـ.

(٣) كذا في «الأصول». وفي «البخاري»: «عشر سنين».

قال الحافظ: «عشر سنين، كذا للكشيميني، ولغيره: «وبالمدينة عشراً» بإبهام المعدود». اهـ.

(٤) وقع في (أ): «فلهذا بدأ به، فجرينا على منواله وسنته مقتدين به».

وما أثبتته من (ج) و(ط) و(ل) وهي متأخرة عن (أ) فهذا يدل على أن ابن كثير هو الذي غير موضع «الفضائل»، فنقلها إلى أول الكتاب بدل آخره، وقد أحسن بذلك رَحِمَهُ اللهُ. والله أعلم.

(٥) من (ج). (٦) في (ج): «أرقب».

وأما الحديث الذي أسنده البخاري أنه ﷺ أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً، فهو مما انفرد به البخاري^(١) دون مسلم، وإنما رواه النسائي من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن، عن يحيى وهو (ابن أبي كثير)^(٢) عن أبي سلمة عنهما.

وقال أبو عبيد القاسم^(٣) بن سلام: حدثنا يزيد، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ ﴿وَقَرَأْنَا لَهُ فَرْقَنَهُ لِنَقَرَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكِّهِ وَزَلَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء] هذا إسناد صحيح.

أما إقامته بالمدينة عشراً فهذا مما لا خلاف فيه. وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة؛ لأنه ﷺ أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح.

(١) في «صحيحه» (٣/٩ - فتح).

وأخرجه النسائي في «الفضائل» (رقم ١) عن حسين بن محمد. وأحمد (٢٦٩٦) حدثنا حسن؛ يعني: ابن موسى الأشيب، قالوا: حدثنا شيبان... فذكره. وهذا إسناد صحيح.

وقال المصنف في «تاريخه» (٢٥٧/٥): «لم يخرج مسلم».

وأخرج ابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٢٦) بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال: «كان يقال: أنزل القرآن على نبي الله ﷺ في ثماني سنين بمكة، وعشراً بعد ما هاجر». وكان قتادة يقول: «عشر بمكة وعشر بالمدينة».

(٢) في (أ): «ابن كثير».

(٣) في «فضائل القرآن» (ص ٢٢٢).

وأخرجه النسائي في «الفضائل» (١٤، ١٥)؛ وابن أبي شيبه (٥٣٣/١٠)؛ والطبري في «تفسيره» (١٥/١١٩)؛ والحاكم (٢٢٢/٢) من طريق عن داود بن أبي هند بسنده سواء. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي؛ وهو كما قال.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢٠٥/٤) لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (ج ١٢/رقم ١٢٣٨٢) من طريق عمرو بن عبد الغفار، ثنا الأعمش، ثنا حسان أبو الأشرس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر] قال: «أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ونزله جبريل ﷺ على محمد ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم».

قال الهيثمي في «المجمع» (١٤٠/٧): «في إسناده عمرو بن عبد الغفار وهو ضعيف».

قلت: لم يتفرد به. فتابعه جرير بن عبد الحميد، وعمار بن رزق، وأبو بكر بن عياش والثوري فرووه عن الأعمش بسنده سواء تاماً ومختصراً.

أخرجه النسائي (١٦)؛ وابن أبي شيبه (٥٣٣/١٠)؛ والبخاري (ج ٣/رقم ٢٢٩٠)؛ والحاكم (٢٢٣/٢) وقال: «صحيح الإسناد».

وتابعه منصور بن المعتمر عن سعيد بن جبير بسنده سواء.

أخرجه الطبري (١٦٦/٣٠، ١٦٧)؛ والحاكم (٢٢٢/٢، ٥٣٠) وقال: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

وأخرجه الحاكم (٥٣٠/٢) من طريق حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحوه وقال: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي! وليس كما قال؛ فلم يخرج الشيخان لحكيم بن جبير شيئاً، ثم هو ضعيف.

ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشر اختصاراً في الكلام؛ لأن العرب كثيراً ما يحذفون الكسور في كلامهم، أو أنهما إنما اعتبرا قرن جبريل ﷺ (به عليه السلام) ^(١).

فإنه قد روى الإمام أحمد أنه قرن به ﷺ ميكائيل في ابتداء الأمر يلقي إليه (الكلمة) ^(٢) والشيء ثم قرن به جبريل. ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن أنه ابتدئ بنزوله في مكان شريف وهو البلد الحرام، كما أنه (كان) ^(٣) في زمن شريف، وهو شهر رمضان، فاجتمع له شرف الزمان والمكان.

ولهذا يُستحبُّ إكثارُ تلاوة القرآن في شهر رمضان؛ لأنه ابتدئ بنزوله. ولهذا كان جبريل ^(٣) يعارض به رسول الله ﷺ في كل سنة في شهر رمضان، فلما كانت السنة التي توفي فيها عارضه (به) ^(٤) مرتين تأكيداً وتثبيتاً.

وأيضاً ففي (هذا) ^(٥) الحديث بيان أنه من القرآن مكي، ومنه مدني. فالمكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو غيرها من أي البلاد كان، حتى ولو كان بمكة أو عرفة.

وقد أجمعوا على سور أنها من المكي، وأخر أنها من المدني، واختلفوا في آخر. وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط في تقييدها عسراً ونظراً.

ولكن قال بعضهم: كل سورة في أولها شيء من الحروف المقطعة فهي مكية، إلا البقرة وآل عمران، كما أن كل سورة فيها ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهي مدنية، وما فيه ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا، والغالب أنه مكي. وقد يكون مدنياً كما في البقرة ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ﴾ [البقرة].

قال أبو عبيد ^(٤): حدثنا أبو معاوية، حدثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم، عن علقمة: كل شيء في القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فإنه أنزل بالمدينة، وما كان منها ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فإنه أنزل بمكة.

ثم قال ^(٥): حدثنا علي بن معبد، عن أبي المليح، عن ميمون بن مهران، قال: ما كان في القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ - و - ﴿يَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: ٢٦] فإنه مكي.

(١) ساقط من (أ). (٢) في (ج): «الحكمة».

(٣) ورد هذا من حديث فاطمة الزهراء، وأبي هريرة، وابن عباس ؓ وتأتي أحاديثهم قريباً إن شاء الله تعالى.

(٤) في «الفضائل» (ص ٢٢٢).

وأخرجه أيضاً ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٦) قال: أنبأنا ابن نمير، قال: حدثنا أبو معاوية بسنده سواء. هكذا رواه أبو معاوية، عن رجل، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قوله. ورواه قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود فذكر مثله.

أخرجه البزار (ج ٣/ رقم ٢١٨٦) وقال: «لا نعلم أحداً أسنده إلا قيس، وغيره يرسله» والبزار يشير إلى رواية أبي معاوية السابقة، لكن قيساً لم يتفرد به كما قال، فتابعه الجراح بن مليح الرؤاسي، فرواه عن الأعمش مثل رواية قيس.

أخرجه الحاكم (٣/ ١٨) من طريق يحيى بن معين، ثنا وكيع بن الجراح، عن أبيه. وسنده صحيح.

(٥) في «الفضائل» (ص ٢٢٢).

وما كان ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فإنه مدني.

ومنهم من يقول: إن بعض السور نزل مرتين: مرة بالمدينة ومرة بمكة، والله أعلم. ومنهم من يستثنى من المكي آيات، يدعى أنها من المدني، كما في سورة الحج وغيرها.

والحق في ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح، فالله أعلم.

وقال أبو عبيد^(١): حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والحج، والنور، والأحزاب، والذين كفروا^(٢)، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر والممتحنة، والحواريون^(٣)، والتغابن، و﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقَتُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق] و﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحریم] والفجر، ﴿وَأَلَّيْ إِذَا يَشْقَى﴾ [الليل] و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر] و﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة]^(٤) و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ [الزلزلة] و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [النصر]. وسائر ذلك بمكة.

هذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رواوا عنه التفسير.

وقد ذكر في المدني سوراً في كونها مدنية نظر.

(وفاته)^(٥) الحجرات والمعوذات.

الحديث الثاني

وقال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا معتمر، قال: سمعتُ أبي، عن أبي عثمان، قال: أنبئتُ أنَّ جبريلَ ﷺ أتى النَّبِيَّ ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «من هذا؟» أو كما قال، قالت: هذا دحية، فلما قام قالت: والله ما حسبه إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ بخبر جبريل أو كما قال.

قال أبي^(٦): فقلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد ﷺ.

وهكذا رواه أيضاً في «علامات النبوة»^(٧) عن عباس بن الوليد النرسي، ومسلم في «فضائل أم سلمة» عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى كلهم عن معتمر بن سليمان به.

والغرض من إيراد هذا الحديث ههنا أنَّ السفيرَ بين الله وبين محمد ﷺ جبريل ﷺ، وهو ملكٌ كريمٌ، ذو وَجَاهَةٍ وَجَلَالَةٍ وَمَكَانَةٍ، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [٩٢] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٤﴾ [الشعراء] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [٩٦] ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٩٧﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٩٨﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٩٩﴾ الآيات [التكوير].

(٢) يعني: سورة محمد ﷺ.

(٤) سقط من (أ) و(ط).

(٦) القائل: هو معتمر بن سليمان.

(١) في «الفضائل» (ص ٢٢١).

(٣) يعني: سورة الصف.

(٥) في (أ): «وما به».

(٧) من «صحيحه» (٦/٦٢٩ - فتح).

وأخرجه أيضاً في «فضائل القرآن» (٣/٩)؛ ومسلم (١٠٠/٢٤٥١) من طرق عن معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد. وعند مسلم زيادة في أوله.

فمدح الرب - تبارك وتعالى - عبديه ورسوليه جبريل ومحمداً (صلوات الله وسلامه عليهما)^(١)، وسنستقصى الكلام على تفسير هذا المكان في موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة. وفي الحديث فضيلة عظيمة لأُم سلمة رضي الله عنها، كما بينه مسلم رحمته الله لرؤيتها هذا الملك العظيم، وفضيلة - أيضاً - لدحية بن خليفة الكلبي، وذلك أن جبريل عليه السلام (كثيراً)^(٢) ما (كان يجيء)^(٣) إلى رسول الله ﷺ على (صورته)^(٤)، وكان جميل الصورة ﷺ، وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة، وهم قبيلة من قضاة، وقضاة قيل إنهم من عدنان، وقيل من قحطان، وقيل بطن مستقل بنفسه، والله أعلم.

الحديث الثالث

حدثنا^(٥) عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، حدثنا سعيد المقبري عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة». ورواه أيضاً في «الاعتصام» عن عبد العزيز بن عبد الله. ومسلم والنسائي، عن قتيبة جميعاً عن الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه واسمه كيسان المقبري به. وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أُعطِيها نبي من الأنبياء وعلى كل كتاب أنزل.

وذلك أن معنى الحديث: «ما من نبي إلا أُعطي - أي: من المعجزات - ما آمن عليه البشر»؛ أي: ما كان دليلاً على تصديقه فيما جاءهم به وأتبعه من أتبعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه. وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحياً منه إليه منقولاً إلى الناس بالتواتر، ففي كل حين هو كما أنزل. فلهذا قال: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً» وكذلك وقع. فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته، ودوامها إلى قيام الساعة واستمرار معجزته. ولهذا قال الله (تبارك وتعالى)^(٦): ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان] وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ جُمِعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء].

(١) في (أ): «صلى الله وسلم عليهما».

(٢) في (أ): «كان كثيراً».

(٣) في (أ): «يأتي».

(٤) في (أ): «على صورة دحية».

(٥) القائل هو البخاري، رحمه الله تعالى، في «صحيحه» (٣/٩ - فتح).

وأخرجه أيضاً «كتاب الاعتصام» (٢٤٧/١٣)؛ ومسلم (٢٣٩/١٥٢)؛ والنسائي في «التفسير» (١٤٩)؛ وفي

«فضائل القرآن» (٢)؛ وأحمد (٣٤١/٢، ٤٥١)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٢٣٣/١٠)؛ والبيهقي في

«الكبرى» (٤/٩)؛ وفي «الدلائل» (١٢٩/٧)؛ والبخاري في «شرح السنة» (١٣/١٩٥، ١٩٦) من طرق عن

الليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً.

قال أبو نعيم: «صحيح ثابت».

(٦) من (ج).

ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْتَرَبَهُ قُلُ فَنَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾ ﴿١٣﴾ [هود] ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْتَرَبَهُ قُلُ فَنَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾ ﴿٣٨﴾ [يونس] وقصر التحدي على هذا المقام في السور المكية. كما ذكرنا في المدينة أيضاً، كما في سورة البقرة حيث يقول تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ اللَّهِ الَّتِي وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ﴾ ﴿٢٤﴾ [البقرة] وأخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضاً.

هذا وهم أفصح الخلق وأعلمهمُ بالبلاغة والشعر (وقريط)^(١) الكلام وضروبه، لكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز المحتوى على العلوم الكثيرة الصحيحة النَّافِعة، والأخبار الصَّادقة، عن الغيوب الماضية والآتية، والأحكام العادلة المحكمة، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقال الإمام أحمد بن حنبل^(٢): حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق قال: ذكر محمد بن كعب القرظي عن الحارث بن عبد الله الأعور قال: قلت: لأبي أمير المؤمنين فلا سألته عما سمعتُ العشيّة، قال: فجيئته بعد العشاء فدخلتُ عليه، فذكر الحديث. قال: ثم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أتاني جبريلُ فقال: يا محمد أمتك مختلفةٌ بعدك - قال: - فقلتُ له: فأين المخرجُ يا جبريلُ؟ - قال: - فقال: (كتاب الله)^(٣)، به يقصمُ الله كلَّ جبارٍ، من اعتصمَ به نجا، ومن تركه هلك - مرتين - قولُ فضلٍ، وليس بالهزل، لا تخلقه الألسنُ، ولا تفتني عجائبه، فيه نبأ ما كان قبلكم، وفصل ما بينكم، وخبر ما هو كائن بعدكم». هكذا رواه الإمام أحمد.

وقد قال أبو عيسى الترمذي^(٤): حدثنا عبد بن حميد، حدثنا حسين بن علي الجعفي، حدثنا

(١) في (أ): «قريض» وهما بمعنى.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٩١/١) ومن طريقه ابن بشران في «الأمالي» (ج ١/٦/٢) بسنده سواء. وهذا سند ضعيف جداً، وابن إسحاق مدلس، وقد استخدم ما يدل على التدليس قطعاً، لكنه متابع كما يأتي. والحارث الأعور واهي الحديث.

(٣) في (أ): «في كتاب الله»؛ وحرف الجر مقحم، ليس في «الأصول» ولا في «المسند».

(٤) في «سننه» (٢٩٠٦).

وأخرجه الدارمي (٣١٢/٢، ٣١٣)؛ وإسحاق بن راهويه في «مسنده»، كما في «النكت الظراف» (٣٥٧/٧)، وعنه ابن نصر في «قيام الليل» (ص ٧٥)؛ وابن أبي شيبه (٤٨٢/١٠)؛ وأبو طاهر المخلص في «الفوائد» (ج ٩/ق ٢٠٤/١، ٢)؛ وابن الأنباري في «الوقف والابتداء» (ق ١/٢، ٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٧٨٨)؛ والبخاري في «شرح السنة» (٤/٤٣٧، ٤٣٨)؛ والشجري في «الأمالي» (٩١/١) من طريق حمزة بن حبيب الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث، عن علي فذكره. قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول وفي حديث الحارث مقال». اهـ.

* قلت: وهذا سند ضعيف جداً. والحارث الأعور متروك الحديث.

حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: (وقد)^(١) فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة» فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله. وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ» [الجن: ١، ٢] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» خذها إليك يا أعور. ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال.

(قُلْتُ) لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عن الحارث الأعور فبرئ حمزة من عهده. على أنه وإن كان ضعيف الحديث (إلا أنه)^(٢) إمام في القراءة. والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه بل (قد)^(٣) كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه (يتعمد)^(٤) الكذب في الحديث فلا، والله أعلم.

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن^(٥) صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود عليه السلام، عن النبي ﷺ.

قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه «فضائل القرآن»^(٦): حدثنا أبو اليقظان، حدثنا عمار بن محمد الثوري أو غيره عن إسحاق الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن مادية الله فتعلموا من ماديته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن

(١) كذا في (ج) و(ل) و«الترمذي». وفي (أ) و(ط): «أو قد».

(٢) في (أ): «فإنه».

(٣) ساقط من (ج).

(٤) في (أ): «تعمد».

(٥) يقصد: معناه، لا ثبوته.

(٦) «الفضائل» (ص ٢١).

وأخرجه ابن أبي شيبه (٤٨٢/١٠، ٤٨٣) وعند ابن شاهين في «الترغيب» (٢٠١)؛ وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٥٨) مختصراً، وابن حبان في «المجروحين» (١٠٠/١)، وابن نصر في «قيام الليل» (٧٠)؛ والحاكم (٥٥٥/١)؛ وأبو بكر الكلاباذي في «معاني الأخبار» (ق ٢/٢٠٩ - ١/٢٣٨)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٧٨٦)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/٢٧٨)؛ والخطيب في «الجامع» (١/١٠٧)؛ وابن الجوزي في «الواهيات» (١/١٠١)؛ والشجري في «الأمالي» (١/٨٤) من طرق عن إبراهيم بن مسلم الهجري عن أبي الأحوص عن ابن مسعود مرفوعاً.

وعزه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٣٣٧) لابن الأنباري في «المصاحف» ولا يصح كما يأتي ذكره.

(تبعه)^(١)، لا يَعْوجُّ فيَقْوَمُ، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلُق عن كثرة الرَّدِّ، فاثْلُوهُ، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا (أقول)^(٢): ألم (حرف)^(٣)، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر.

وهذا غريب^(٤) من هذا الوجه، ورواه محمد بن فضيل عن أبي إسحاق الهجري، واسمه إبراهيم بن مسلم وهو أحد التابعين، ولكن تكلموا فيه كثيراً، وقال أبو حاتم الرازي: لين ليس (بقوي)^(٥). وقال أبو الفتح الأزدي: رَفَّاعٌ كثيرُ الوَهَم.

(قلت): فيُحتمَلُ - والله أعلم - أن يكون وهم في رفع هذا الحديث، وإنما هو من كلام ابن مسعود، ولكن له شاهد من وجه آخر، والله أعلم.

وقال أبو عبيد^(٦) أيضاً: حدثنا حجاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود قال: لا يَسْأَلُ عَبْدٌ عن نَفْسِهِ إلا القرآن، فَإِنْ كَانَ يَحِبُّ القرآنَ فَإِنَّهُ يَحِبُّ اللهَ ورسولَهُ.

الحديث الرابع

قال البخاري^(٧): حَدَّثَنَا عمرو بنُ محمدٍ، حَدَّثَنَا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، ثنا أبي عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك أن الله تَابَعَ الوَحْيَ على رسولِهِ ﷺ قبل وفَاتِهِ حتَّى تَوَفَّاهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيُ، ثم تُوَفِّي رسولُ الله ﷺ بَعْدُ.

وهكذا رواه مسلم، عن عمرو بن محمد هذا - وهو الناقذ - وحسن الحُلَوَانِيُّ وعبد بن حميد. والنسائي، عن إسحاق بن منصور الكوسج، أربعتهم عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزُّهْرِيُّ به.

ومعناه: أن الله - تعالى - تَابَعَ نُزُولَ الوَحْيِ على رسولِهِ ﷺ شيئاً بعد شيءٍ كُلُّ وقتٍ بما يَحْتَاجُ إليه، ولم تقع فترةٌ بعد الفترة الأولى التي كانت بعد نُزُولِ الملكِ أولَ مَرَّةٍ بقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] فإنه استلَبَتْ الوَحْيَ بعدها حيناً، يقال: قَرِيباً من سنتين وأكثر، ثم حَمِيَ الوَحْيُ وتتابع، وكان أولُ شيءٍ نَزَلَ بعد تلك الفترة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ﴾ ﴿قُرْ فَأَنْذِرِ﴾ ﴿[المدثر].

(١) في (ج): «اتبعه».

(٢) في (ل): «أقول لكم».

(٣) من هامش (أ). وليس هذا الحرف في (ج) و(ط) و(ل)؛ ولعله: «عشر».

(٤) وقال ابن الجوزي: «لا يصح».

أما الحاكم فقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بصالح بن عمر». ورده الذهبي بضعف الهجري.

(٥) في (أ): «بالقوي». وفي «الجرح والتعديل» (١/١٣٢): «ليس بقوي، لين الحديث».

(٦) في «فضائل القرآن» (ص ٢١، ٢٢).

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٦٥٧) من طريق شعبة عن أبي إسحاق بسنده سواء بلفظ: «من أحب أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فليُنظر، فإن كان يحب القرآن، فهو يحب الله ورسوله ﷺ».

قال الهيثمي في «المجمع» (٧/١٦٥): «رجاله ثقات».

* قلت: وسنده صحيح.

(٧) في «الفضائل» (٣/٩ - فتح).

وأخرجه مسلم (٢/٣٠١٦)؛ والنسائي في «فضائل القرآن» (٨)؛ وأحمد (٣/٢٣٦) من طريق يعقوب بن إبراهيم بسنده سواء.

الحديث الخامس

حدثنا^(١) أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن الأسود بن قيس قال: سمعت جُنْدَباً يقول: اشتكى (النبي)^(٢) ﷺ فلم يقيم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك، فأنزل الله تعالى ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى].

وقد رواه البخاري في «غير موضع»^(٣) - أيضاً - ومسلم والترمذي والنسائي من طرقٍ أُخرٍ عن سفيان وهو الثوري وشعبة بن الحجاج، كلاهما عن الأسود بن قيس العبدي، عن جُنْدَب بن عبد الله البجلي به. (وسياًتي)^(٤) الكلام على هذا الحديث في تفسير سورة الضحى (إن شاء الله)^(٥).

والمناسبة في ذكر هذا الحديث والذي قبله في فضائل القرآن أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة، حيث جعل الوحي متتابعاً عليه ولم يقطعه عنه، ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقاً ليكون ذلك أبلغ في العناية والإكرام.

قال البخاري رحمه الله^(٦): نزل القرآن بلسان قريش والعرب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء].

حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني أنس بن مالك قال: فأمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم، ففعلوا.

هذا الحديث قطعة^(٧) من حديث سياًتي قريباً الكلام عليه، ومقصود البخاري منه ظاهراً، وهو أن القرآن نزل بلغة قريش، وقريش خلاصة العرب.

ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود^(٨): حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد، ثنا يزيد، ثنا شيبان

(١) قائل هذا هو البخاري رحمه الله في «الفضائل» (٣/٩ - فتح).

(٢) في (أ): «رسول الله».

(٣) من «صحيحه» في «التهجد» (٨/٣) وفي «التفسير» (٨/١٧٠، ١٧١).

وأخرجه مسلم (١١٤/١٧٩٧)، من حديث عن جندب بن عبد الله فذكره.

(٤) في (أ): «وقد تقدم» وهذا بناء على ما قدمناه أن «الفضائل» كانت في آخر التفسير ثم قدمها الحافظ المصنف رحمه الله.

(٥) من (ج) و(ط) و(ل).

(٦) في «الصحيح» هنا كلمة «باب»، وجرى المصنف على إغفالها.

(٧) يأتي تخريجه في «جمع القرآن» إن شاء الله تعالى.

(٨) في «المصاحف» (ص ١١) وإسناده صحيح كما قال المصنف رحمه الله.

وأخرجه ابن أبي داود أيضاً قال: حدثنا عبد الله بن محمد الزهري، قال: حدثنا وهب بن جرير بن حازم، قال:

حدثنا أبي، قال: سمعت عبد الملك بن عمير يحدث عن عبد الله بن المغفل، عن عمر بن الخطاب مثله.

وسنده صحيح أيضاً.

«وقد خفى وجه دخوله في هذا الباب على كثير من الأئمة حتى قال ابن كثير في «تفسيره»: ذكر هذا الحديث في الترجمة التي قبلها أظهر وأبين، فلعل ذلك وقع من بعض النساخ. وقيل: بل أشار المصنف بذلك إلى أن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤] لا يستلزم أن يكون النبي ﷺ أرسل بلسان قريش فقط لكونه منهم، بل أرسل بلسان جميع العرب؛ لأنه أرسل إليهم كلهم بدليل أنه خاطب الأعرابي الذي سأله بما يفهمه بعد أن نزل الوحي عليه بجواب مسألته، فدل على أن الوحي كان ينزل عليه بما يفهمه السائل من العرب قرشياً كان أو غير قرشي، والوحي أعم من أن يكون قرآناً يتلى أو لا يُتلى. قال ابن بطال: مناسبة الحديث للترجمة أن الوحي كله متلوّاً كان أو غير متلوٍّ وإنما نزل بلسان العرب، ولا يرد على هذا كونه ﷺ بعث إلى الناس كافة عرباً وعجماً وغيرهم؛ لأن اللسان الذي نزل عليه به الوحي عربي، وهو يبلغه إلى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم، ولذا قال ابن المنير: كان إدخال هذا الحديث في الباب الذي قبله أليق، لكن لعله قصد التنبيه على أن الوحي بالقرآن والسنة كان على صفة واحدة ولسان واحد». اهـ.

جَمْعُ الْقُرْآنِ

(١) [قال المؤلف الشيخ عماد الدين بن كثير رَحِمَهُ اللهُ فيمَا وُجِدَ على ظهر الجزء الأول من «تفسيره»:

«فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ حَسَنَةٌ» ثبت في «الصحيحين» عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، ومعاذُ بنِ جبلٍ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وأبو زيدٍ. فقليل له: مَنْ أبو زيدٍ؟ قال: أحدُ عمومتي. وفي لفظٍ للبخاري، عن أنسٍ، قال: لم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذُ بنِ جبلٍ، وزيدُ بنِ ثابتٍ، وأبو زيدٍ، ونحن ورثناه. قُلْتُ: أبو زيدٍ هذا ليس بمشهورٍ؛ لأنَّه مات قديماً، وقد ذكروه في أهل بدرٍ، وسَمَّاهُ بعضهم: «سعيد بن عبيد».

ومعنى قول أنس: «لم يجمع القرآن» - يعني: من الأنصار - سوى هؤلاء، وإلا فمن المهاجرين جماعة كانوا يجمعون القرآن: كالصديق، وابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم.

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ: قد عُلم بالاضطرار أن [١].

(٢) [رسول الله ﷺ قدَّم أبا بكرٍ في مرض الموت ليصلي بالنَّاسِ، وقد ثبت في الخبر المتواتر أن رسول الله ﷺ قال: «ليوم الناس أقرؤهم». فلو لم يكن الصديقُ أقرأ القوم، لما قدَّمه عليهم. نقله أبو بكر بن زنجويه في كتاب «فضائل الصديق» عن الأشعري.

وحكى القرطبي في أوائل «تفسيره» عن القاضي أبي بكر الباقلاني أنَّه قال بعد ذكره حديث أنس بن مالك هذا: «فقد ثبت بالطرق المتواترة أنَّه جمع القرآن: عثمانُ، وعليُّ، وتميمُ الداريُّ، وعبادةُ بنُ الصامت، وعبدُ الله بن عمرو بن العاص. فقولُ أنس: لم يجمعه غير أربعة، يحتمل أنه لم يأخذه تلقياً من في رسول الله غير هؤلاء الأربعة، وأنَّ بعضهم تلقى بعضه عن بعض. قال: وقد تظاهرت الروايات بأنَّ الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ؛ لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول لهم».

قال القرطبي: «لم يذكر القاضي ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وهما ممن جمع القرآن». آخر الفائدة [٢].

(٣) [قال البخاري (٣): حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت قال: أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر بن الخطاب أتاني، فقال: إن القتل قد استحرَّ (٤) بقراء القرآن، وإنِّي أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثيرٌ من القرآن، وإنِّي أرى أن

(١) ساقط من (أ) و(ط) واستدرسته من (ل) وحاشية (ج).

(٢) ساقط من (أ) و(ط) واستدرسته من (ل) وحاشية (ج).

(٣) ساقط من (ج) و(ط) و(ل). (٤) يعني: اشتد.

تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير؛ فلم يزل عمرُ يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فأجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان على أثقل مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ﷺ، فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف^(١) وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجد لها مع غيره^(٢) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة.

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر ﷺ. وقد روى البخاري^(٣) هذا في غير موضع من «كتابه». ورواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به.

وهذا من أحسن وأجل وأعظم ما فعله الصديق ﷺ، فإنه أقامه الله - تعالى - بعد النبي ﷺ مقاماً لا ينبغي لأحد من بعده: قَاتَلَ الأَعْدَاءَ مِنْ مَانِعِي الزَّكَاةِ وَالْمُرْتَدِينَ وَالْفِرْسَ وَالرُّومَ، وَنَفَذَ الْجِيُوشَ، وَبَعَثَ الْبُعُوثَ وَالسَّرَايَا، وَرَدَّ الأَمْرَ إِلَى نَصَابِهِ، بَعْدَ الْخَوْفِ مِنْ تَفَرُّقِهِ وَذَهَابِهِ، وَجَمَعَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ مِنْ أَمَاكِنِهِ الْمُتَفَرِّقَةِ حَتَّى تَمَكَّنَ الْقَارِئُ مِنْ حِفْظِهِ كُلِّهِ. وَكَانَ هَذَا مِنْ سِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر].

فجمع الصديق الخير وكف الشرور - رضي الله عنه وأرضاه - ولهذا روي عن غير واحد من الأئمة منهم وكيع (وابن مهدي)^(٤) وقبيصة، عن سفيان الثوري، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، عن (عبد)^(٥) خير، عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، إنَّ أبا بكرٍ كان أوَّلَ من جمع القرآن بين اللوحين^(٦). هذا إسنادٌ صحيحٌ.

وقال أبو بكر بن أبي داود في «كتاب المصاحف»^(٧): حدثنا هارون بن إسحاق، حدثنا عبدة،

(١) اللخاف: بكسر اللام؛ جمع «الخفة»، وهي صفائح الحجارة الرقاق، وتجمع على «لخف» بضمين.

(٢) يعني: مكتوبة، صرح به جماعة منهم الحافظ في «الفتح» (١٥/٩).

(٣) في «صحيحه» (١٠/٩)، ١١ و ١٣/١٨٣، ٤٠٤ فتح).

(٤) وقع في (أ): «ابن زيد» وهو خطأ واضح. (٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص ٥) من طريق وكيع وأبي أحمد الزبيري، وعبد بن سليمان، وقبيصة بن عقبة، وخلاد بن يحيى، كلهم من طريق الثوري، عن السدي الكبير، عن عبد خير، عن علي فذكره.

وهذا سند حسن، والسدي مختلف فيه، ولا بأس به.

فتصحیح المصنف ﷺ للسند فيه نوع تسامح. والله أعلم.

(٧) (ص ٦) وسنده منقطع؛ لأن عروة بن الزبير لم يدرك أبا بكر ﷺ، فقول المصنف: «صحيح» فيه نظر، فكان ينبغي تقييده بأن يقول: «صحيح إلى عروة» والله أعلم.

عن هشام، عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي جمع القرآن بعد النبي ﷺ يقول: ختمه. صحيح أيضاً، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء؛ أي: اشتد القتل وكثر في قراء القرآن يوم اليمامة؛ يعني: يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه (من)^(١) بني حنيفة، بأرض اليمامة في حديقة الموت.

وذلك أن مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة ألف. فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفاً، فالتقوا معهم، فانكشف الجيش الإسلامي لكثرة من فيه من الأعراب. فنادى القراء من كبار الصحابة: يا خالد! أخلصنا، يقولون ميزنا من هؤلاء الأعراب. فتميزوا منهم وانفردوا، فكانوا قريباً من ثلاثة آلاف. ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتلاً شديداً، وجعلوا يتنادون: يا أصحاب سورة البقرة، فلم يزل ذلك دأبهم، حتى فتح الله عليهم، وولى جيش الكفر فاراً، وأتبعتهم السيوف المسلمة في أقفيتهم قتلاً وأسراراً؛ وقتل الله مسيلمة وفرق شمل أصحابه، ثم رجعوا إلى الإسلام.

ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضي الله عنهم، فلهذا أشار عمر على الصديق، بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه (شيء)^(٢) بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك في مواطن القتال. فإذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظاً، فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته. فراجعه الصديق قليلاً ليستثبت الأمر، ثم وافقه، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت في ذلك. ثم صار إلى ما رآه رضي الله عنهم أجمعين وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصاري.

ولهذا قال أبو بكر^(٣) بن أبي داود: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد، حدثنا يزيد، (حدثنا)^(٤) مبارك (بن)^(٥) فضالة، عن الحسن أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله، فقليل: كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله، (فأمر)^(٦) بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في المصحف.

وهذا منقطع؛ فإنَّ الحسن لم يدرك عمر. ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع، ولهذا كان مهمناً على حفظه وجمعه، كما:

رواه ابنُ أبي^(٧) داود حيث قال: حدثنا أبو الطاهر، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو بن طلحة الليثي، عن محمد بن عمرو، عن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، أن عمر لما جمع القرآن، كان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان، وذلك عن أمر الصديق له في ذلك كما قال أبو بكر بن أبي داود:

(١) ساقط من (أ) و(ط). (٢) ساقط من (أ).

(٣) في «كتاب المصاحف» (ص ١٠) وضعفه المصنف بالانقطاع وكذا ضعفه في «مسند عمر» (٢/ ٥٦١)، ويضاف إليه أن المبارك بن فضالة مع ضعفه فهو مدلس. والله أعلم.

(٤) في (أ): «ابن!!» (٥) في (أ): «عن» وكلاهما خطأ.

(٦) في (أ): «ثم أمر». وفي «المصاحف»: «وأمر».

(٧) في «المصاحف» (ص ٦) وتحسين المصنف إنما هو بسبب أن لرواية عروة أصلاً صحيحاً، قد مر ذكره، فهو يقول: «منقطع حسن الإسناد».

حدثنا أبو الطاهر، أنا ابن وهب، أخبرني ابنُ أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذٍ فرق^(١) أبو بكر رضي الله عنه أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه.

منقطع حسن.

ولهذا قال زيد بن ثابت: ووجدت آخر سورة التوبة - يعني قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾ إلى آخر الآيتين [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] مع أبي خزيمة الأنصاري^(٢). وفي رواية مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم أجدها مع غيره، فكتبوها عنه؛ لأنه جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين في قصة الفرس الذي ابتاعها رسول الله ﷺ من الأعرابي، فأنكر الأعرابي البيع، فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول الله ﷺ، فأمضى شهادته وقبض الفرس من الأعرابي.

والحديث رواه «أهل السنن»^(٣) وهو مشهور.

(١) يعني: خاف.

(٢) قال: الحافظ في «الفتح» (١٥/٩)، قوله: (وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري) وقع في رواية عبد الرحمن بن مهدي، عن إبراهيم بن سعد «مع خزيمة بن ثابت» أخرجه أحمد والترمذي. ووقع في رواية شعيب، عن الزهري كما تقدم في سورة التوبة «مع خزيمة الأنصاري» وقد أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» من طريق أبي اليمان، عن شعيب فقال فيه: «خزيمة بن ثابت الأنصاري» وكذا أخرجه ابن أبي داود من طريق يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، وقول من قال عن إبراهيم بن سعد «مع أبي خزيمة» أصح، وقد تقدم البحث فيه في تفسير سورة التوبة وأن الذي وجد معه آخر سورة التوبة غير الذي وجد معه الآية التي في الأحزاب، فالأول اختلف الرواة فيه على الزهري، فمن قائل: «مع خزيمة» ومن قائل: «مع أبي خزيمة» ومن شك فيه يقول: «خزيمة أو أبي خزيمة» والأرجح أن الذي وجد معه آخر سورة التوبة أو خزيمة بالكنية، والذي وجد معه الآية من الأحزاب خزيمة.

(٣) كذا! ولم يروه منهم إلا أبو داود (٣٦٠٧)؛ والنسائي (٣٠١/٧، ٣٠٢) من طريق الزهري، عن عمارة بن خزيمة أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ:

«أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي فاستبعه النبي ﷺ ليقتضيه ثمن فرسه، فأسرع رسول الله ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيسأموونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ، فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس وإلا بعته، فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي، فقال: أو ليس قد ابتعته منك؟ فقال الأعرابي: لا والله ما بعته، فقال النبي ﷺ: بلى قد ابتعته منك، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً، فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد ابتعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: بم تشهد؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ شهادة وزاد أحمد وغيره: خزيمة بشهادة رجلين».

«فطفق الناس يلودون بالنبي ﷺ والأعرابي، وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أنني بايعتك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك! النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ، ومراجعة الأعرابي، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً، يشهد أنني بايعتك» وأخرجه من هذا الوجه: أحمد (٢١٥/٥، ٢١٦)؛ وابن سعد في «الطبقات» (٣٧٨/٤، ٣٧٩)، ومحمد بن يحيى الذهلي في «جزئه»، كما في «الفتح» (٥١٨/٨)؛ وابن أبي عمير في «مسنده»، كما في «المطالب العالية» (٩٣/٤)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٨٥)، وعنه أبو الشيخ في «الأخلاق» (٤٥)، والطحاوي في «الشرح» (١٢٦/٤)؛ والحاكم (١٧/٢)؛ والبيهقي (٦٦/٧ و ١٤٥/١٠، ١٤٦)؛ =

وروى أبو جعفر الرازي^(١)، عن الربيع، عن أبي العالية أن أبي بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت.

وقد روى ابن وهب عن عمرو بن طلحة الليثي، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، أن عثمان شهد بذلك أيضاً.

وأما قول زيد بن ثابت: فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال. وفي رواية: من العُصب والرقاع والأضلاع. وفي رواية: من الأكتاف والأفتاب وصدور الرجال.

أما العصب فجمع «عسيب»، قال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: وهو من السعف فوق الكرب، لم ينبت عليه الخوص، وما نبت عليه الخوص فهو السعف. واللخاف: جمع لخفة، وهي: القطعة من الحجارة مستدقة، كانوا يكتبون عليها وعلى العصب وغير ذلك مما يمكنهم الكتابة عليه بما يناسب ما يسمعون من القرآن من رسول الله ﷺ.

ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه، فكان يحفظه، فتلقاه زيد هذا من عسبه، وهذا من لخافه، ومن صدر هذا؛ أي: من حفظه وكانوا أحرص شيء على أداء الأمانات. وهذا من أعظم الأمانة؛ لأن الرسول ﷺ أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] ففعل صلوات الله وسلامه عليه.

ولهذا سألهم في حجة الوداع يوم عرفة على رؤوس الأشهاد، والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين، فقال: «إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت. فجعل يشير بإصبعه إلى السماء وينكتها عليهم ويقول: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد». رواه مسلم^(٢)، عن جابر.

وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال: «بلغوا عني ولو آية»^(٣)؛ يعني: ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة، فليؤدها إلى من وراءه، فبلغوا عنه ما أمرهم به. فأدوا القرآن قرآناً، والسنة سنة، لم يلبسوا هذا بهذا.

= والخطيب في «المبهمات» (ص ١٢٠)؛ وابن بشكوال في «الغوامض» رقم (١٠٩)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج ٥/ق ٦١٢).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ورجاله باتفاق الشيخين ثقات، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا: وله طرق أخرى وشواهد. ذكرتها في «التسليّة».

(١) أخرجه ابن الضريس في «الفضائل» (٢٧)؛ وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/١٣٤)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص ٩)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٧/١٣٨، ١٣٩)؛ والخطيب في «التلخيص» (١/٤٠٣)؛ والضياء في «المختارة» (ج ٢/رقم ١١٥٥)، وابن مردويه في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٤/٣٣١)؛ وعنه الضياء في «المختارة» (١١٥٦) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب. ويأتي سياقه في آخر سورة التوبة إن شاء الله.

وقال المصنف في «سورة التوبة» (٤/١٨٠): «غريب». اهـ. ويشير بذلك إلى ضعف سنده وأبو جعفر الرازي سيئ الحفظ.

(٢) في «صحيحه» (١٢١٨/١٤٧). وهو جزء من حديث جابر بن عبد الله الطويل في حجة الوداع.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٦/٦ - فتح). قد مر تخريجه.

ولهذا قال ﷺ: «من كتب عني سوى القرآن فليمح»^(١)؛ أي: لثلا يختلط بالقرآن، وليس معناه أن لا يحفظوا السنة ويرووها، والله أعلم. فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول ﷺ إليهم إلا وقد بلغوه إلينا، والله الحمد والمنة.

فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله في الصحف؛ لثلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته، ثم أخذها عمر بعده، فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة، فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين؛ لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته، وكانت (عند)^(٢) أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كما سنذكره إن شاء الله.

قال البخاري^(٣) رحمه الله: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم، (حدثنا)^(٤) ابن شهاب، أن أنس بن مالك حدثه، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضي الله (عنهما)^(٥)، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق؛ فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالصحف (ننسخها)^(٦) ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما أنزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال ابن شهاب الزهري: فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، سمع زيد بن ثابت، (قال)^(٧): فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها «في المصحف»^(٨).

وهذا أيضاً من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

- (١) أخرجه مسلم (٧٢/٣٠٠٤). (٢) ساقط من (ج). (٣) في «الفضائل» (١١/٩ - فتح)؛ وأخرجه الترمذي (٣١٠٤)؛ والنسائي (١٣)؛ وأبو عبيد (ص ١٥٣) كلاهما في «الفضائل» وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٩٩١/٣)؛ وأبو يعلى (٨٧)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص ١٩)؛ والبيهقي (٣٨٥/٢)؛ والطبراني في «مسند الشاميين»؛ والخطيب في «المدرج»، كما في «الفتح» (١٦/٩). (٤) ساقط من (ج). (٥) في (ج): «عنه». (٦) في (أ): «فنسخها». (٧) في (ط): «يقول». (٨) في (أ): «بالمصحف».

فإن الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن؛ أن يذهب منه شيء. وهو جمع الناس على قراءة واحدة؛ لثلا يختلفوا في القرآن، ووافقه على ذلك جميع الصحابة. وإنما روى عن عبد الله بن مسعود^(١) شيء من التغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف، وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الإمام. ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق^(٢)، حتى قال علي^(٣) بن أبي طالب: «لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا».

فاتفق الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي على أن ذلك من مصالح الدين. وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»^(٤) وكان

(١) يشير المصنف رحمه الله تعالى إلى ما أخرجه مسلم (١١٤/٢٤٦٢) والسياق له، والنسائي في «الفضائل» (٢٢) قالوا: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا عبدة بن سليمان، حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله بن مسعود أنه قال:

«وَمَنْ يَقُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ» [آل عمران: ١٦١]. ثم قال: على قراءة من تأمروني أن أقرأ؟ فلقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة. ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنني أعلمهم بكتاب الله. ولو أعلم أن أحدا أعلم مني لرحلت إليه.

قال شقيق: فجلست في حلق أصحاب محمد ﷺ. فما سمعت أحدا يرد ذلك عليه، ولا يعيبه وتابعه هارون بن إسحاق، ثنا عبدة بن سليمان بسنده سواء.

(٢) ويأتي تخريجه قريبا.

(٣) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ١٥٧)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (١٢، ٢٣) من طرق عن شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن رجل، عن سويد بن غفلة، عن علي أنه قال حين أحرق عثمان المصاحف: «لو لم يصنعه هو لصنعه».

وهكذا رواه عن شعبة ثقات أصحاب منهم: «محمد بن جعفر غندر، وأبو داود الطيالسي، وعبد الرحمن بن مهدي». وخالفهم يعقوب بن إسحاق الحضرمي وهو صدوق، فرواه عن شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سويد بن غفلة، عن علي.

فأسقط الوساطة بين علقمة وسويد.

أخرجه ابن أبي داود (ص ١٢) ورواية الجماعة أرجح من غير شك.

ولكن أخرج عمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦)؛ وابن أبي داود (ص ٢٣)؛ والبيهقي (٤٢/٢) من طريق محمد بن أبان، قال: أخبرني علقمة بن مرثد، قال: سمعت العيزار بن حريث، يقول: لما خرج المختار... فذكره مطولا.

وفيه: «قال علي: أيها الناس! إياكم والغلو في عثمان؛ تقولون: أحرق المصاحف! والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ، ولو وليت مثل ما ولي، لفعلت مثل الذي فعل».

قلت: وهذا سند رجاله ثقات، إلا محمد بن أبان وهو ابن صالح الكوفي، ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/١٩٩) ونقل عن أبيه قال: «ليس هو بقوي في الحديث، يكتب حديثه على سبيل المجاز!». وقال أحمد: «لم يكن يكذب».

فالحديث محتمل للتحسين بالطريقين معاً، والله أعلم.

(٤) حديث صحيح.

أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)؛ والترمذي (٢٦٧٦)؛ وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)؛ والدارمي (٤٣/١، ٤٤)؛ وأحمد (١٢٦/٤، ١٢٧)؛ وأبو عبيد في «الخطب والمواعظ» (٢)؛ وابن حبان في «صحيحه» (١٠٢) وفي «الثقات» (٤/١)؛ والطبري في «تفسيره» (١٠/٢١٢)؛ وابن نصر في «السنة» (٢١، ٢٢)؛ وابن أبي عاصم في «السنة» (١/١٩، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠) وآخرون عن العرياض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ =

السبب في هذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فإنه لما كان غازياً في فتح أرمينية وأذربيجان وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق، وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى، ورأى منهم اختلافاً (كثيراً)^(١) وافتراقاً، فلما رجع إلى عثمان أعلمه، وقال لعثمان: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة والسامرة يخالفونهم في ألفاظ كثيرة ومعاني أيضاً، وليس في توراة السامرة حروف الهمزة، ولا حرف الهاء ولا الياء، والنصارى أيضاً بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهي مخالفة لنسختي اليهود والسامرة.

وأما الأناجيل التي بأيدي النصارى فأربعة: إنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل متى، وإنجيل يوحنا، وهي مختلفة أيضاً اختلافاً كثيراً. وهذه الأناجيل الأربعة كل منها لطيف الحجم. منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط، ومنها ما هو (أكبر)^(٢) من ذلك، إما بالنصف أو الضعف. ومضمونها سيرة عيسى عليه السلام، وأيامه، وأحكامه، وكلامه، ومعه شيء قليل مما يدعون أنه كلام الله، وهي مع هذا مختلفة كما قلنا. وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل، ثم هما منسوختان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة.

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفزعه، وأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن ترسل إليه بالصحف التي عندها مما جمعه الشيخان؛ ليكتب ذلك في مصحف واحد، وينفذه إلى الآفاق ويجمع الناس على القراءة به وترك ما سواه، ففعلت حفصة. وأمر عثمان هؤلاء الأربعة، وهم زيد بن ثابت الأنصاري، أحد كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أحد فقهاء الصحابة ونجبائهم علماً وعملاً، وأصلاً وفضلاً. وسعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي وكان كريماً جواداً ممدحاً، وكان أشبه الناس لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي.

فجلس هؤلاء نفر الأربعة يكتبون بالقرآن نسخاً، وإذا اختلفوا في (وضع)^(٣) الكتابة على أي لغة رجعوا إلى عثمان، كما اختلفوا في التابوت^(٤)، أيكتبونه بالتاء أو الهاء؟ فقال زيد بن ثابت:

= يوماً بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً. وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ».

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

وقال أبو نعيم: «هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين» نقله ابن رجب في «جامع العلوم» (ص ٢٢٦).

(١) ساقط من (أ) و(ط) و(ل). (٢) في (أ) و(ل): «أكثر».

(٣) في (أ): «موضع».

(٤) أخرجه الترمذي (٣١٠٤)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ١٠٠٠ - ١٠٠١)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص ١٩)؛ والبيهقي (٣٨٥/٢) من قول الزهري.

إنما هو التابوه، وقال الثلاثة القرشيون: إنما هو التابوت، (فترافعوا)^(١) إلى عثمان فقال: اكتبوه بلغة قريش، فإن القرآن نزل بلغتهم. وكان عثمان (رضي الله عنه)^(٢) - والله أعلم - رتب السور في المصحف، وقدم السبع الطوال، وثنى بالمئين.

ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذي والنسائي، من حديث غير واحد من الأئمة الكبار، عن عوف الأعرابي، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس^(٣) قال: قلت لعثمان بن عفان: «ما حملكم»^(٤) (على)^(٥) أن عمدتم إلى الأنفال، وهي من المئين، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتوها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا».

وكانت الأنفال من أول ما (نزل)^(٦) بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وحسبت أنها منها، (فقبض)^(٧) رسول الله ﷺ ولم (يبين)^(٨) لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، فوضعتها في السبع الطوال.

= قال الحافظ في «الفتح» (٢٠/٩): «قال الخطيب: إنما رواها ابن شهاب مرسله» اهـ. وأخرجه البيهقي من طريق أبي الوليد، عن إبراهيم بن سعده عن الزهري قوله، وصنيعه يرجح الإرسال. والله أعلم.

(١) في (أ) و(ط): «فترافعوا».

(٢) من (أ).

(٣) حديث منكر.

أخرجه أبو داود (٧٨٦، ٧٨٧)؛ والنسائي في «الفضائل» (٣٢)؛ والترمذي (٣٠٨٦)؛ وأحمد (٥٧/١)، (٦٩)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (٢/٤٧)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/١٠١٥، ١٠١٦)؛ وابن حبان (٤٣)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص ٣١، ٣٢)؛ والحاكم (٢/٢٢١، ٢٣٠)؛ والبيهقي (٢/٤٢)؛ والخطيب في «الموضح» (١/٣٣٨) من طريق عوف الأعرابي، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس، فذكره.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن، لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس، ويزيد الفارسي هو من التابعين من أهل البصرة، ويزيد بن أبان الرقاشي، هو من التابعين من أهل البصرة، وهو أصغر من يزيد الفارسي، ويزيد الرقاشي إنما يروى عن أنس بن مالك» اهـ.

قلت: فاختلف العلماء هل يزيد الفارسي هو يزيد بن هرمز، أم هما رجلان؟! فذهب ابن مهدي، وأحمد، وابن المديني، ومحمد بن المثنى، وابن سعد إلى أنهما واحد، وأنكر ذلك يحيى القطان، وابن معين، وأبو حاتم، والترمذي، وعمر بن علي الفلاس، ومال إليه البخاري والخطيب، وإقامة البرهان على ذلك فيه طول ذكرته في «التسلي» والخلاصة أن يزيد الفارسي شبه المجهول، فتفرده بهذا الحديث الخطير لا يقبل منه، وتصحيح الحاكم ومن قبله ابن حبان مردود، وكذلك تجويد ابن كثير له فيما يأتي، ولعل مستندهم هو عدم التفريق بين الفارسي وابن هرمز، والله أعلم.

(٤) ساقط من (ج).

(٥) ساقط من (ط).

(٦) في (ج): «وقبض».

(٧) في (أ): «نزلت».

(٨) في (أ) و(ط): «تين».

ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي متلقى عن النبي ﷺ. وأما ترتيب السور، فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله^(١) عنه - ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتباً آياته فإن نكسه أخطأ خطأ كبيراً. وأما ترتيب السور فمستحب؛ اقتداءً بعثمان ﷺ. والأولى إذا قرأ: أن يقرأ متوالياً، كما قرأ ﷺ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين^(٢)، وتارة^(٣) بـ ﴿سَبِّحْ﴾ [الأعلى: ١] و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية] فإن فرق جاز، كما صح^(٤) أن رسول الله ﷺ قرأ في العيد بـ ﴿ق﴾ [ق: ١] و﴿أَفْزَتْ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] رواه مسلم، عن أبي (واقد)^(٥).

وفي «الصحيحين»^(٦) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿آلَ﴾ [السجدة] و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: ١] وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضاً، فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران، أخرجه^(٧) مسلم. وقرأ عمر^(٨) في الفجر بسورة النحل ثم بيوسف.

ثم إن عثمان ﷺ ردَّ الصحف إلى حفصة ﷺ فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها؛ لئلا يكون فيها شيء يخالف المصاحف الأئمة التي نفذها عثمان إلى الآفاق، مصحفاً إلى مكة، ومصحفاً إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين؛ وترك عند أهل المدينة مصحفاً.

(١) بل الصواب أن ترتيب السور توقيفي أيضاً، وللشيخ أبي الأشبال أحمد بن محمد شاكر بحث مانع قوي حول هذا الموضوع.

(٢) صحيح.

أخرجه مسلم (٦٤/٨٧٩) والسياق له.

(٣) صحيح.

أخرجه مسلم (٦٢/٨٧٨) واللفظ له.

(٤) صحيح.

أخرجه مسلم (١٤/٨٩١).

(٥) وقع في «الأصول» كلها: «عن أبي قتادة» وهو سبق قلم، صوابه: «أبو واقد».

(٦) صحيح.

أخرجه البخاري (٣٧٧/٢، ٥٥٢)؛ ومسلم (٦٥/٨٨٠، ٦٦) من حديث أبي هريرة.

(٧) صحيح.

أخرجه مسلم (٢٠٣/٧٧٢).

وعزاه المصنف ﷺ في مطلع تفسير سورة البقرة لـ «الصحيحين» فوهم.

(٨) أخرجه البخاري (٥٩/٧ - ٦١)؛ وابن حبان (٦٩١٧) في قصة مقتل عمر ﷺ، عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ قبل أن يصاب بأيام بالمدينة... وساق الحديث وفيه: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفيين، قال: استوا، حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس... الحديث. ولم أقف على ما ذكره المصنف ﷺ أنه قرأ بالسورتين في ركعة وأنه قدم النحل على يوسف. فالله أعلم. وأخرجه مسلم (١٩٦/٤٧٣)؛ وأحمد (٢٤٧/٣) من طريق حماد بن سلمة نا ثابت البناني عن أنس بسياق أطول.

رواه أبو بكر بن أبي داود^(١)، عن أبي حاتم السجستاني؛ سمعه يقوله.

وصحح^(٢) القرطبي أنه إنما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف - وهذا غريب - وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن تحرق لثلاث تختلف قراءات الناس في الآفاق. وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم. وإنما نقم عليه ذلك (أولئك)^(٣) الرهط الذين تماؤؤوا عليه وقتلوه - قاتلهم الله - وذلك في جملة ما أنكروا مما لا أصل له. وأما سادات المسلمين من الصحابة ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين، فكلهم وافقوه.

قال أبو داود^(٤) الطيالسي وابن مهدي وغندر، عن شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن رجل، عن سويد بن غفلة قال علي حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعتة.

وقال أبو بكر بن أبي داود^(٥): حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد.

وهذا إسناد صحيح.

وقال أيضاً^(٦): حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف، حدثنا يحيى بن كثير، حدثنا ثابت بن عمارة الحنفي قال: سمعت غنيم بن قيس المازني قال: قرأت القرآن على الحرفين جميعاً، والله ما يسرنني أن عثمان لم يكتب المصحف وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام فأصبح له مثل ماله. قال: قلنا له: يا أبا العنبر لم؟ قال: لو لم يكتب عثمان المصحف لطفى الناس يقرؤون الشعر. وحدثنا يعقوب بن^(٧) سفيان، حدثنا محمد بن عبد الله، حدثني عمران بن حدير، عن أبي

(١) في «المصاحف» (ص ٣٤).

(٢) في «تفسيره» (٥٤/١) وعبارته: «ونسخ منها عثمان نسخاً، قال غيره: قيل: سبعة، وقيل: أربعة، وهو الأكثر».

(٣) سقط من (أ).

(٤) مر تخريجه آنفاً.

(٥) في «المصاحف» (ص ١٢).

وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٥٦، ١٥٧)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/١٠٠٤) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد فذكره وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي داود (ص ١٣) ومن طريقه المزني في «التهذيب» (٢٣/١٢٣) وسنده جيد. ويحيى بن كثير هو ابن درهم العنبري؛ وثقه عباس العنبري، وابن حبان.

وقال النسائي: «ليس به بأس» وقال أبو حاتم: «صالح الحديث».

وثابت بن عمارة وثقه ابن معين والدارقطني وابن حبان. وقال أحمد والنسائي: «لا بأس به» وقال أبو حاتم: «ليس عندي بالمتين» وأبو حاتم جراح!

ورفع شأنه شعبة بن الحجاج، فقال: «تأتوني وتدعون ثابت بن عمارة».

وغنيم بن قيس أدرك النبي ﷺ ولم يره، ووفد على عمر بن الخطاب، وغزا مع عتبة بن غزوان؛ ووثقه النسائي.

(٧) أخرجه ابن أبي داود (ص ١٣) وسنده صحيح.

ومحمد بن عبد الله هو الأنصاري، وعمران بن جرير وثقه الجمع.

قال يزيد بن هارون: «كان عمران أصدق الناس».

وأبو مجلز، هو: لاحق بن حميد، ثقة معروف.

مجلز قال: لولا أن عثمان كتب القرآن لألفت الناس يقرؤون الشعر.

وحدثنا^(١) أحمد بن سنان، سمعت ابن مهدي يقول: خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا لعمر: صبره نفسه حتى قتل مظلوماً. وجمعه الناس على المصحف.

وأما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد قال إسرائيل، عن أبي إسحاق عن حميد بن مالك قال: لما أمر عثمان بالمصاحف - يعني: بتحريقها - ساء ذلك عبد الله بن مسعود وقال: من استطاع منكم أن يغسل مصحفاً فليغسل، فإنه من غل شيئاً جاء بما غل يوم القيامة، ثم قال عبد الله: لقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد صبي، أفأترك ما أخذت من في رسول الله ﷺ؟^(٢)

وقال أبو بكر^(٣): حدثنا (عبد الله بن محمد)^(٤) بن النعمان، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا (أبو)^(٥) شهاب، عن الأعمش، عن أبي وائل قال: خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال: ﴿وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] غلوا مصاحفكم، وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان، والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله مني، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكاناً تبلغه الإبل أعلم بكتاب الله مني لأتيته. قال أبو وائل: فلما نزل عن المنبر جلست في الحلق، فما أحد ينكر ما قال.

أصل هذا مخرج في «الصحيحين»^(٦)، وعندهما: «ولقد علم أصحاب محمد ﷺ أنني من أعلمهم بكتاب الله».

وقول أبي وائل: فما أحد ينكر ما قال؛ يعني: من فضله وحفظه وعلمه، والله أعلم، وأما أمره بغل المصاحف وكتمانها فقد أنكره عليه غير واحد.

قال الأعمش^(٧)، عن إبراهيم، عن علقمة قال: قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء فقال: كنا نعد

(١) ابن أبي داود (ص ١٣) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١/٣٨٩، ٤٠٥، ٤١٤)؛ والطبائسي (٤٠٥) ومن طريقه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/١٠٢)؛ (٢٤٧)؛ وابن أبي داود (ص ١٥)؛ والدارقطني في «المؤلف» (ص ٦٧٢)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٢٥)؛ والحاكم (٢/٢٢٨) وصححه؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٤٣٤، ٨٤٣٥)؛ والهيثم بن كليب في «المسند» (ق ١/٩٩، ٢) من طرق عن أبي إسحاق، عن خمير بن مالك، عن ابن مسعود فذكره، وهذا سند رجاله ثقات، إلا خمير بن مالك فترجمه ابن أبي حاتم (١/٣٩١) ولم يحك فيه شيئاً، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٤/٢١٤) وقال ابن سعد: «له حديثان».

(٣) ابن أبي داود (ص ١٥، ١٦).

(٤) وقع في (أ): «محمد بن عبد بن محمد»! و«محمد» الأولى مقحمة.

(٥) في (أ) و(ط): «ابن» وهو خطأ.

(٦) أخرجه البخاري (٩/٤٦ - فتح)؛ ومسلم (٢٤٦٢/١١٤) من حديث عن ابن مسعود.

(٧) أخرجه ابن أبي داود (ص ١٨) قال: حدثنا عمي وحمدان بن علي قالا: حدثنا ابن الأصبهاني عن عبد السلام بن حرب، عن الأعمش بسنده سواء.

وهذا سند صحيح، وعم ابن أبي داود هو: «محمد بن الأشعث»، وابن الأصبهاني هو محمد بن سعيد بن سليمان.

عبد الله (جباناً)^(١) فما باله يواثب الأمراء؟

وقال أبو بكر بن أبي داود^(٢): باب رضى عبد الله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك:

حدثنا عبد الله بن سعيد ومحمد بن عثمان العجلي قالوا: حدثنا أبو أسامة، حدثني زهير، حدثني الوليد بن قيس، عن عثمان بن حسان العامري، عن فلفلة الجعفي قال: فرعت فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف، فدخلنا عليه فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين، ولكننا جئنا حين راعنا هذا الخبر، فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف - أو حروف - وإن الكتاب قبلكم كان ينزل - أو نزل - من باب واحد على حرف واحد.

وهذا^(٣) الذي استدل به أبو بكر رضي الله عنه على رجوع ابن مسعود فيه نظر من جهة أنه لا يظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه، والله أعلم.

(١) كذا في «الأصول» كلها؛ من «الجبين» بالميم والباء، ووقع في «كتاب المصاحف» «حناناً» بالحاء المهملة والنون، فكأنه تصحيف، فإن لم يكن فتوجيه ظاهر والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد في «العلل» (٣٧٢٥ - رواية عبد الله) وفي «المسند» (٤٤٥/١)؛ وابن أبي داود (ص ١٨)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (١٠٠٦/٣)؛ والهيثم بن كليب في «مسنده» (٨٨١)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٨٢/٤) من طريق زهير بن معاوية، حدثني الوليد بن قيس، عن عثمان بن حسان العامري، عن فلفلة الجعفي فذكره.

وخالفه سفيان الثوري، فرواه عن الوليد بن قيس، عن القاسم بن حسان، عن فلفلة، أخرجه النسائي في «الفضائل» (٩) من طريق أبي داود وأحمد في «العلل» (٣٧٢٣) عن إسحاق بن يوسف كلاهما، عن الثوري.

ونظر الدارقطني، كما في «العلل» (٢٣٧/٥)، في هذا الاختلاف، ورجح رواية الثوري، ويقصد الدارقطني أن شيخ الوليد بن قيس هو «القاسم» وذلك أنه قد وقع في اسمه اختلاف هل هو «عثمان بن حسان» أو «القاسم بن حسان». فقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٤٨/١/٣): «عثمان بن حسان العامري، ويقال: القاسم بن حسان، وبعثمان أشبه، روى عن فلفلة الجعفي، روى عنه أبو همام الوليد بن قيس. سمعت أبي يقول ذلك». اهـ.

وأخرج البخاري في «التاريخ الكبير» (٢١٩/٢/٣) هذا الحديث مختصراً في ترجمة عثمان بن حسان العامري، وأشار إلى رواية سفيان، فالظاهر من صنيعهما أن الأصوب أنه «عثمان» لا «القاسم» وقد رواه أحمد في «العلل» (٣٧٢٤) قال: حدثنا أبو أسامة بحفظه، قال: أخبرني سفيان وزهير، عن الوليد بن قيس، عن القاسم بن حسان، عن فلفلة الجعفي... فذكره؛ فهذا يؤيد ما ذهب إليه الدارقطني، إلا أن يكون أبو أسامة وهم على زهير فيه والله أعلم، وسواء كان هذا أو ذاك فهو مجهول الحال. وفلفلة الجعفي ذكره ابن حبان في «الثقات» وروى عنه جمع من الثقات، وقال ابن سعد: «قليل الحديث». وقال الهيثمي في «المجمع» (١٥٢/٧، ١٥٣): «فيه عثمان بن حسان العامري، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقيّة رجاله ثقات!» وقال شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني رحمه الله تعالى في «الصحيحة» (٢/١٣٥): «وهذا إسناد جيد موصول، رجاله كلهم ثقات معروفون غير فلفلة هذا...» كذا! ولم يلتفت شيخنا، رضي الله عنه، إلى الاختلاف على الوليد بن قيس في إسناده. وسواء كان شيخه القاسم أو عثمان فهل في أحدهما توثيق معتبر؟!

(٣) قلت: هذا الذي عقب به المصنف رضي الله عنه على استدلال ابن أبي داود له وجه قوي، فإن قيل: قول ابن مسعود هذا يدل على أنه رضى بحرف غيره، فهذا نقض اعتراضه الأول؟! قيل: إنما أنكر أن يقرأ هو على =

وقال أبو بكر^(١) أيضاً: حدثني عمي، حدثنا أبو رجاء، أنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد قال: قام عثمان فخطب الناس فقال: (يا أيها)^(٢) الناس (عهدكم)^(٣) نبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن وتقولون: قراءة أبي وقراءة عبد الله، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك، وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتى تجمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدتهم: لسمعت رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك؟ فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان قال: من أكتب الناس؟ قال: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، قال: فأبي الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص؛ قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد. فكتب زيد مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: قد أحسن.

إسناد صحيح.

وقال أيضاً^(٤): حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، ثنا أبو بكر (حدثنا)^(٥) هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن كثير بن أفلح قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت، قال: فبعثوا إلى الربرة التي في بيت عمر فجيء بها، قال: وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارعوا في شيء أخروه، قال محمد: فقلت لكثير وكان فيهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال: لا، قال محمد: فظننت ظناً إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله.

صحيح أيضاً.

(قلت): الربرة هي الكتب المجتمعة، وكانت عند حفصة رضي الله عنها؛ فلما جمعها عثمان رضي الله عنه في المصحف ردها إليها ولم يحرقها في جملة ما حرقه مما سواها؛ لأنها هي بعينها (التي)^(٦) كتبه وإنما رتبها، ثم إنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها، فما زالت عندها حتى ماتت؛ ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتآول في ذلك ما تآول عثمان.

= حرف زيد بن ثابت ولم ينكر على غيره أن يقرأ، لذلك فهذا الأثر غير صريح في الرجوع، وأقصى ما فيه الإيماء إلى ذلك وكان ابن مسعود رضي الله عنه أراد تسكين الفتنة، كما فعل في زمان الحج مع عثمان لما أتم الصلاة في منى. وقال: «الخلاف شر». فرضي الله عنهم أجمعين.

(١) أخرجه ابن أبي داود (ص ٢٣، ٢٤) وصححه المصنف رحمه الله سنده وفيه شيء؛ لأن سماع إسرائيل من جده كان بأخرة، نعم؛ كان الذهبي وغيره يرجح إسرائيل في جده على سفيان وشعبة، ويصفه بأنه «عكاز جده». وقد توبع إسرائيل، فتابعه غيلان بن جامع، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد فذكر نحوه أخرجه ابن أبي داود أيضاً (ص ٢٤) من طريق يحيى بن يعلى بن الحارث، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا غيلان به. وهذا سند رجاله ثقات.

(٢) في (أ) و(ط): «أيها». (٣) في (أ): «عهد».

(٤) أخرجه ابن أبي داود (ص ٢٥، ٢٦) وصححه المصنف وفي إسناده أبو بكر بن عياش، وهو ثقة إلا أنه لما كبر ساء حفظه، وكتابه صحيح. فالله أعلم.

(٥) في (أ): «ابن» وهو خطأ. (٦) في (أ): «الذي».

كما رواه أبو بكر بن أبي داود^(١): حدثنا محمد بن عوف، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني سالم بن عبد الله أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها عن الصحف التي كتب منها القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه إياها، قال سالم: فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بها مروان فشقت.

وقال مروان: إنما فعلت هذا؛ لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول: إنه قد كان شيء منها لم يكتب. إسناده صحيح.

وأما ما رواه الزهري عن خارجة عن أبيه في شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إياها في سورتها، فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر، وإنما هذا كان حال جمع الصديق الصحف كما جاء مصرحاً به في غير هذه الرواية، عن الزهري، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت، والدليل على ذلك أنه قال: فألحقناها في سورتها من المصحف، وليست هذه الآية ملحقة في الحاشية في المصاحف العثمانية.

فهذه الأفعال من أكبر القربات التي بادر إليها الأئمة الراشدون: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، حفظا على الناس القرآن وجمعاه؛ لئلا يذهب منه شيء؛ وعثمان رضي الله عنه جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان من عمره ﷺ، فإنه عارضه به عامئذ مرتين، ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لما مرض «وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي».

أخرجاه في «الصحيحين»^(٢).
وقد روي أن علياً رضي الله عنه أراد (أن)^(٣) يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ مرتباً بحسب نزوله أولاً فأولاً، كما رواه ابن أبي داود^(٤) رحمته الله حيث قال:

(١) في «المصاحف» (ص ٢٤، ٢٥) وسنده صحيح كما قال المصنف رحمه الله تعالى.

وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٥٦)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/١٠٠٣، ١٠٠٤)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٨/٣٠٠).

(٢) صحيح.

أخرجه البخاري (١١/٧٩، ٨٠)؛ ومسلم (٥/١٦ - نووي).

(٣) ساقط من (ج).

(٤) ضعيف منقطع.

أخرجه ابن أبي داود (ص ١٠) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج ١٢/٣٢٧، ٣٢٨)، وأما تليين ابن أبي داود لأشعث، فالجواب عنه أنه متابع. فأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٨/٣٠٠، ٣٠١) من طريق إسماعيل بن عليه قال: حدثنا أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين قال: لما بويع أبو بكر أبطاً علي عن بيعته... ثم ساق نحوه. وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٥٤٥) أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا ابن عون، عن ابن سيرين مثله. وأخرجه ابن عساكر (١٢/٣٢٨) من طريق ابن عليه، عن أيوب وابن عون، عن ابن سيرين، قال: نبئت أن علياً... فذكره وهذا سند رجاله ثقات رجال الشيخين، لكنه منقطع =

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا ابن فضيل، عن أشعث، عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل، فأرسل إليه أبو بكر رضي الله عنه بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ فقال: لا والله إلا إني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلا لجمعة، فبايعه ثم رجع.

هكذا رواه وفيه انقطاع.

ثم قال: لم يذكر (المصحف) ^(١) أحد إلا أشعث وهو لين الحديث، وإنما رووا: حتى أجمع القرآن؛ يعني: أتم حفظه، فإنه يقال للذي (يحفظ) ^(٢) القرآن قد جمع القرآن.

(قلت): وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر، والله أعلم، فإن علياً لم ينقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني يقال: إنها بخط علي رضي الله عنه، وفي ذلك نظر فإن في بعضها: كتبه علي بن (أبو) ^(٣) طالب! وهذا لحن من الكلام، وعلي رضي الله عنه من أبعد الناس عن ذلك، فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو فيما رواه عنه (أبو) ^(٤) الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي، وأنه قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، وذكر أشياء أخر تممها أبو الأسود بعده، ثم أخذ الناس عن أبي الأسود فوسعوه ووضحوه، وصار علماً مستقلاً.

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن، شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديماً بمدينة طبرية، ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثمانين عشرة وخمسمائة، وقد رأيت كتاباً عزيزاً جليلاً عظيماً ضخماً بخط حسن مبین قوي بحبر محكم، في رق أظنه من جلود الإبل، والله أعلم، زاده الله تشريفاً وتكريماً وتعظيماً.

فأما عثمان رضي الله عنه، فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف، وإنما كتبها زيد بن ثابت في أيامه وغيره، فنسبت إلى عثمان؛ لأنها بأمره وإشارته، ثم قرئت على الصحابة بين يدي عثمان، ثم نفذت إلى الآفاق رضي الله عنه.

وقد قال أبو بكر بن أبي داود ^(٥): حدثنا علي بن حرب الطائي، حدثنا قريش بن أنس، حدثنا

= كما قال المصنف رحمه الله تعالى. وأخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص ٣٦) من طريق هوزة بن خليفة، ثنا عوف، عن محمد بن سيرين، عن عكرمة فيما أحسب قال: لما كان بعد بيعة أبي بكر رضي الله عنه علي بن أبي طالب في بيعته... وساق نحوه وفيه: قال أبو بكر: ما أقعدك عني؟ قال: رأيت كتاب الله يزداد فيه، فحدثت نفسي ألا ألبس ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمعه، فقال له أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت.

قال محمد بن سيرين: فقلت له: ألفوه كما أنزل الأول فالأول؟ قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه ذلك التأليف ما استطاعوا. قال محمد: أراه صادقاً وهو منقطع أيضاً.

(١) في (ط): «الصحف».

(٢) من (ل) وهو الموافق لما في «المصاحف» (ص ١٠)، ووقع في (أ) و(ج) و(ط): «يجمع» وهو سبق قلم. والله أعلم.

(٣) في (ج): «أبي»؛ وفيه تضييع لهذا التعقب.

(٤) ساقط من (أ).

(٥) وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣٨٣/٤) من طريق معتمر بن سليمان التيمي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا =

سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد مولى بني أسيد قال: لما دخل المصريون على عثمان ضربوه بالسيف على يده، ف وقعت على ﴿سَيَكُونُ هَذَا اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] فمد يده وقال: والله إنها لأول يد خطت المفصل.

وقال أيضاً^(١): حدثنا أبو الطاهر، حدثنا ابن وهب قال: سألت مالكا عن مصحف عثمان فقال لي: ذهب.

يحتمل أنه سأله عن المصحف الذي كتبه بيده ويحتمل أن يكون سأله عن المصحف الذي تركه في المدينة، والله أعلم.

(قلت): وقد كانت الكتابة في العرب قليلة جداً، وإنما أول ما تعلموا ذلك ما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره أن بشر بن عبد الملك أخا أكيدر دومة تعلم الخط من الأنبار، ثم قدم مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية، وتعلمه معاوية من عمه سفيان بن حرب.

وقيل: إن أول من تعلمه من الأنبار قوم من «طيء» من قرية هناك يقال لها: «بقة»، ثم هذبوه ونشروه في جزيرة العرب، فتعلمه الناس.

ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود^(٢)، حدثنا عبد الله بن محمد الزهري (إن شاء الله)^(٣)، حدثنا سفيان، عن مجاهد، عن الشعبي قال: سألنا المهاجرين: من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الأنبار.

(قلت): والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابة المتكوفة، ثم هذبها أبو علي بن مقلة الوزير، وصار له في ذلك منهج وأسلوب في الكتابة، ثم قربها علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب، وسلك الناس وراءه، وطريقته في ذلك واضحة جيدة^(٤).

والغرض أن الكتابة لما كانت في ذلك الزمان لم تحكم جيداً، وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى، وصنف الناس في ذلك. واعتنى بذلك الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ اللهُ في كتابه: «فضائل القرآن»،

= أبو نضرة، عن أبي سعيد مولى أبي أسيد فذكره.

وأخرجه عمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (١١٣٨/٣، ١١٣٩) من طريق سعيد بن يزيد، حدثنا أبو نضرة، عن أبي سعيد به؛ وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ١/رقم ١١٩) من طريق الزهري عن أبي سلمة قال: لما ضرب الرجل يد عثمان قال: إنها لأول يد خطت المفصل. وحسنه الهيثمي في «المجمع» (٩٤/٩) وليس بحسن؛ لأنه منقطع بين أبي سلمة وعثمان. والله أعلم.

(١) أخرجه ابن أبي داود (ص ٣٥) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي داود (ص ٤) وسنده صحيح إلى الشعبي.

(٣) ساقط من (أ) و(ل).

(٤) وقال ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٣/٣٤٢): «هذب ابن البواب طريقة ابن مقلة نقحها، وكساها طلاوة وبهجة».

والحافظ أبو بكر بن أبي داود رحمته الله، فبوبا على ذلك، وذكرنا قطعةً صالحةً هي من صناعة القرآن ليست مقصدنا ههنا.

ولهذا نص الإمام مالك رحمته الله^(١) على أنه لا توضع المصاحف إلا على وضع كتابة الإمام. ورخص غيره في ذلك، واختلفوا في الشكل والنقط، فمن مرخص ومن مانع. فأما كتابة السورة وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب (فكثر)^(٢) في مصاحف زماننا. والأولى اتباع السلف الصالح.

ثم قال البخاري^(٣): ذكر كُتَابِ النبي ﷺ.

وأورد فيه من حديث الزهري، عن ابن السباق، عن زيد بن ثابت أن أبا بكر الصديق قال له: وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وذكر نحو ما تقدم في جمعه القرآن وقد تقدم، وأورد حديث زيد بن ثابت^(٤) في نزول ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الْقُرْبَرِ﴾ [النساء: ٩٥] ولم يذكر البخاري أحداً من الكُتَّاب في هذا الباب سوى زيد بن ثابت، وهذا عجب، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا، والله أعلم. وموضع هذا في «كتاب السيرة» عند ذكر كُتَّابه عليه (الصلاة)^(٥) والسلام.

ثم قال البخاري^(٦) رحمته الله:

أنزل القرآن على سبعة أحرف:

حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب قال: حدثني عبيد الله بن

(١) ساقط من (أ) و(ط). (٢) في (أ): «فكثر».

(٣) كذا نقل ابن كثير المصنف رحمته الله عن «صحيح البخاري»، والذي فيه: «باب: كاتب النبي ﷺ» هكذا بالإفراد، وليس بالجمع. ونقل الحافظ في «الفتح» (٢٢/٩) هذا عن المصنف هنا، ثم قال: «لم أقف في شيء من النسخ إلا بلفظ: «كاتب»، بالإفراد وهو مطابق لحديث الباب؛ نعم قد كتب الوحي لرسول الله ﷺ جماعة غير زيد بن ثابت، أما بمكة فلجميع ما نزل بها لأن زيد بن ثابت إنما أسلم بعد الهجرة، وأما بالمدينة فأكثر ما كان يكتب زيد، وكثرة تعاويه ذلك أطلق عليه الكاتب بلام العهد كما في حديث البراء بن عازب ثاني حديثي الباب، ولهذا قال له أبو بكر: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ. وكان زيد بن ثابت ربما غاب فكتب الوحي غيره. وقد كتب له قبل زيد بن ثابت أبي بن كعب وهو أول من كتب له بالمدينة، وأول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح، ومن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن الربيع الأسدي ومعيقب بن أبي فاطمة وعبد الله بن الأرقم الزهري وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة في آخرين، وروى أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عباس عن عثمان بن عفان قال: «كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا، الحديث» اهـ.

(٤) صحيح.

أخرجه البخاري (٤٥/٦ و ٢٥٩/٨).

(٥) ساقط من (ج) و(ط) و(ل).

(٦) في «صحيحه» (٢٣/٩ - فتح).

وأخرجه أيضاً في «بدء الخلق» (٣٠٥/٦)؛ ومسلم (٢٧٢/٨١٩).

عبد الله أن عبد الله بن عباس حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل ﴿﴾ على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف».

وقد رواه أيضاً في «بدء الخلق»، ومسلم من حديث يونس ومسلم أيضاً عن معمر، كلاهما عن الزهري بنحوه.

ورواه ابن جرير من حديث الزهري به.

ثم قال الزهري: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون وحداً لا يختلف في حلال ولا في حرام، وهذا مبسوط في الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد^(١) القاسم بن سلام حيث قال:

حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد، كلاهما عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن أبي بن كعب قال: ما حك في صدري شيء منذ أسلمت، إلا أنني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي، فقلت: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فأتينا رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أقرأني آية كذا وكذا: قال: «نعم». وقال الآخر: أليس تقرئني آية كذا وكذا؟ قال: «نعم» فقال: «إن جبريل وميكائيل أتاني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استرده حتى بلغ سبعة أحرف، وكل حرف كاف شاف».

وقد رواه النسائي^(٢) من حديث يزيد - وهو ابن هارون - ويحيى بن سعيد القطان، كلاهما عن حميد الطويل، عن أنس، عن أبي بن كعب بنحوه.

وكذا رواه^(٣) ابن أبي عدي (ومحمد)^(٤) بن ميمون الزعفراني ويحيى بن أيوب، كلهم عن حميد به.

(١) في «فضائل القرآن» (ص ٢٠١).

(٢) في «المجتبى» (١٥٤/٢) قال: أخبرني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا يحيى القطان. وأخرجه في «الفضائل» (١١) قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أنا يزيد بن هارون كلاهما عن حميد الطويل، بسنده سواء.

وأخرجه أحمد (١١٤/٥، ١٢٢) حدثنا يحيى القطان؛ وابن أبي شيبه (٥١٧/١٠)؛ وعبد بن حميد (١٦٤)؛ وابن حبان (٧٣٧)؛ والضياء في «المختارة» (١١٢٩) (١١٣٠)؛ والبيهقي في «السنن الصغرى» (١٠١٠) عن يزيد بن هارون، كلاهما عن حميد الطويل به.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٦) قال: حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي. وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا محمد بن ميمون الزعفراني، جميعاً عن حميد بسنده سواء وهذه الأسانيد كلها صحاح.

وأخرجه عبد الله بن أحمد (١٢٢/٥)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٨٩/٤)؛ وابن أبي حاتم في «العلل» (ج ٢/رقم ١٧٤٥)؛ وابن جرير (٢٧) من طريق أخرى عن حميد الطويل به. ورواه عن حميد: «بشر بن المفضل، ومعتمر بن سليمان، وعبد الله بن بكر السهمي، ويحيى بن أيوب».

قلت: فقد رواه عن حميد الطويل: «يحيى القطان، ويزيد بن هارون، وبشر بن المفضل، ويحيى بن أيوب، وعبد الله بن بكر السهمي، ومعتمر بن سليمان، وابن أبي عدي، ومحمد بن ميمون» ثمانية، عن حميد، عن أنس، عن أبي بن كعب. وخالفهم حماد بن سلمة، فرواه عن حميد الطويل، عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عن أبي بن كعب فذكره، ويأتي الكلام عليه.

(٤) في (أ): «محمود»! وهو خطأ.

وقال ابن جرير^(١): حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا أبو الوليد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف».

فأدخل بينهما عبادة بن الصامت.

وقال الإمام أحمد بن حنبل^(٢) رحمه الله: حدثنا يحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، حدثني عبد الله بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بن كعب، قال: كنت في المسجد، فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فقمنا جميعاً فدخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل هذا فقرأ (غير)^(٣) قراءة صاحبه، فقال لهما النبي ﷺ: «اقرأ - فقرأوا فقال: - أصبتما» فلما قال لهما النبي ﷺ الذي قال: كبر علي ولا إذا كنت في الجاهلية، فلما رأى الذي غشني ضرب في صدري، ففضت عرقاً. وكأنما أنظر إلى الله فرقاً، فقال: «يا أبي إن الله أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فأرسل إلي أن أقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فأرسل إلي أن أقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة مسألة تسألنيها - قال - قلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليه فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام».

وهكذا رواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد به.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا محمد بن فضيل، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن جده، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: خفف (عن)^(٤) أمتي، فقال: اقرأه على حرفين، فقلت: رب خفف (عن)^(٤) أمتي، فقال: اقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة، كلها شافٍ كافٍ».

(١) في «تفسيره» (٢٨).

وأخرجه أحمد (١١٤/٥)؛ وابن حبان (٧٤٢)؛ وتمام الرازي في «الفوائد» (١٧٠٦)؛ وابن عدي في «الكامل» (٦٧٩/٢)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٨٢/٤) من طرق عن حماد بن سلمة عن حميد الطويل، عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عن أبي بن كعب فذكره. فزاد في الإسناد «عبادة بن الصامت»، ولعل هذا مما وهم فيه حماد، وكان تغير حفظه قليلاً ويؤيده إيراد ابن عدي للحديث في ترجمته ولم أجد من تابعه مع مخالفة هذا الجمع.

وذكر أبو حاتم، كما في «العلل» (١٧٤٥) رواية حماد من غير ترجيح، فإن كان يرجع روايته على زهير، فلم يتفرد زهير به، فتابعه من قدمنا ذكرهم، وهم أكثر عدداً وأشدّ إتقاناً. والله أعلم.

(٢) صحيح.

أخرجه أحمد (١٢٧/٥) قال: حدثنا يحيى بن سعيد، بسنده سواء.

وأخرجه مسلم (٢٧٣/٨٢٠).

ورواه عن إسماعيل بن أبي خالد: «وكيع، ويحيى القطان، وابن نمير، ومحمد بن بشر، ومحمد بن يزيد الواسطي، وخالد بن عبد الله، ومحمد بن فضيل، ومحمد بن عبيد».

(٣) في (أ): «سوى». (٤) في (ج): «على».

وقال ابن جرير^(١):

(حدثنا)^(٢) يونس، عن ابن وهب، أخبرني هشام بن سعد، عن عبيد الله بن عمر، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بن كعب أنه قال: سمعت رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءةً تخالف قراءتي، ثم سمعت آخر يقرأها بخلاف ذلك، فانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل، فسألتهما: من أقرأهما؟ فقالا: رسول الله ﷺ، فقلت: لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ إذ خالفتما ما أقرأني رسول الله، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما: «اقرأ - فقرأ فقال: - أحسنت - ثم قال للآخر: - اقرأ - فقرأ - فقال: - أحسنت» قال أبي: فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي، فعرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهي، فضرب يده في صدري، ثم قال: «اللهم أخسئ الشيطان عنه، يا أبي أتاني آت من ربي فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف (عن أمتي)^(٣)، ثم أتاني الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على (حرفين)^(٤)، فقلت: رب خفف عن أمتي، ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك، وقلت مثل ذلك، ثم أتاني الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة - فقال: - يا رب اللهم اغفر لأمتي، يا رب اغفر لأمتي، واختبأت الثالثة شفاعاً لأمتي يوم القيامة».

إسناد صحيح.

(١) في «تفسيره» رقم (٣٨).

وصرح المصنف بصحة سنده، ولكن قال إبراهيم الحربي، كما في «التهذيب» (٧/٤٠)، «لم يدرك عبيد الله عبد الرحمن بن أبي ليلى» فأجاب عنه الشيخ العلامة أبو الأشبال رحمه الله بقوله: «وأنا أرجح أن هذا خطأ من الحربي، فإن عبد الرحمن مات سنة (٨٢) أو (٨٣) وعبيد الله مات سنة (١٤٤) أو (١٤٥) فالمعاصرة ثابتة، وهي كافية في إثبات اتصال الرواية، إذا لم يكن الراوي مدلساً، وما كان عبيد الله ذلك قط، ولذلك جزم ابن كثير بصحة الإسناد». اهـ.

قلت: لا يتم لك الأمر إلا إذا أثبت أن عبيد الله عُمر، وقد صرح الذهبي في «السير» (٦/٣٠٤) «أن عبيد الله ولد بعد السبعين أو نحوها» فمن المحتمل أن يكون في أول السبعين أو في آخرها، وعلى أي تقدير فيكون تجاوز العاشرة بسنين قليلة، سنتين أو ثلاثة، وهذا وإن كان أدرك الزمان، لكن لعل الحربي قصد «إدراك السماع»، فإذا أضفت إلى هذا أن عبد الرحمن كوفي، وعبيد الله مدني، ويبعد أن يرحل ابن عشر سنين أو فوقها بقليل لطلب الحديث ترجح لك كلام الحربي، ثم فوق كل هذا فإن هشام بن سعد قد خولف في روايته عن عبيد الله بن عمر، خالفه المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عبيد الله بن عمر، عن سيار أبي الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رفعه إلى النبي ﷺ فذكره. أخرجه ابن جرير (٣٩) قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، ثنا المعتمر. فخالفه المعتمر في موضعين:

الأول: أنه أثبت الوساطة بين عبيد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي ليلى وهو يؤيد كلام الحربي في الانقطاع.

الثاني: أنه أرسله، ورواية المعتمر أرجح، فهو أوثق من هشام بن سعد، بل تكلم أحمد وابن معين والنسائي في حفظ هشام وضعفوه، ومشاه غيرهم: فتصحيح المصنف للإسناد لا يخفى ما فيه. والله تعالى أعلم.

(٢) في (ج): «عن».

(٣) في (أ): «حدثني».

(٤) في (ج): «حرف واحد» وهو سبق قلم.

(قلت): وهذا الشك الذي حصل لأبي في تلك الساعة هو - والله أعلم - السبب الذي لأجله قرأ عليه رسول الله ﷺ قراءة (إبلاغ وإعلام)^(١) ودواء لما كان حصل له سورة ﴿لَمْ يَكُنِ (الَّذِينَ كَفَرُوا)^(٢) مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾... ﴿إِلَى آخِرِهَا [البينة: ١]﴾^(٣)، لاشتغالها على قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ [البينة] وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أنزلت مرجعه (ﷺ)^(٤) من الحديبية على عمر بن الخطاب، وذلك لما كان تقدم له من الأسئلة لرسول الله ﷺ (ثم)^(٥) لأبي بكر الصديق، وفيها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقال ابن جرير^(٦): حدثنا محمد بن مثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن أبي ليلي، عن أبي بن كعب أن رسول الله كان عند إضاعة بني غفار، فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، قال: «أسأل الله معافاته ومغفرته فإن أمتي لا تطيق ذلك» قال: ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين، قال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، إن أمتي لا تطيق ذلك»، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، قال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، إن أمتي لا تطيق ذلك» ثم جاءه الرابعة فقال: «إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأیما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا».

وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من رواية شعبة به. وفي لفظ لأبي داود^(٧)، عن أبي بن كعب قال: قال (لي)^(٨) رسول الله ﷺ: «إني أقرئت القرآن، (فقليل)^(٩) لي: على حرف أو حرفين؟ فقال الملك الذي معي: قل: على حرفين، فقل لي: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك الذي معي: قل: على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف إن قلت: سمياً عليمياً عزيزاً حكيماً ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب».

وقد روى ثابت^(١٠) بن قاسم نحوه من هذا عن أبي هريرة^(١١)، عن النبي ﷺ ومن كلام ابن مسعود نحو ذلك.

(١) في (أ): «إعلام وإبلاغ».

(٢) ساقط من (أ).

(٣) ساقط من (ط).

(٤) في (أ): «و».

(٥) صحيح وهو في «تفسيره» رقم (٣٥).

وأخرجه مسلم (٢٧٤/٨٢١).

(٦) أخرجه أبو داود (١٤٧٧) من طريق سليمان بن صرد، عن أبي بن كعب، ويأتي تخريجه قريباً.

(٧) ساقط من (أ).

(٨) في (ج): «قل».

(٩) كذا في «الأصول» كلها، وليس هو، كما يتبادر، التابعي الذي يروى الحديث عن أبي هريرة، ولكنه كما يبدو لي أحد العلماء المصنفين، وقد روى الحديث بسنده إلى أبي هريرة في «مصنفه»، ويقع لي، والله أعلم، أنه: «قاسم بن ثابت السرقسطي» صاحب كتاب «الدلائل» في غريب الحديث، فلعل اسمه انقلب على المصنف أو الناسخ، فإن كان ذلك كذلك، وإلا فليحرق. والعلم عند الله تعالى.

(١٠) حسن.

(١١) حسن.

وقال الإمام^(١) أحمد: حدثنا حسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن أبي قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المراء فقال رسول الله ﷺ لجبريل: «إني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ العامي والعجوز الكبيرة والغلام، فقال: مرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف».

وأخرجه الترمذي من حديث عاصم بن أبي النجود، عن زر^(٢)، [عن (أبي)^(٣) به، وقال: «حسن صحيح»].

وقد رواه أبو عبيد^(٤)، عن أبي النضر، عن شيبان، عن عاصم بن أبي النجود، عن

= أخرجه أحمد (٢٣٢/٢ - ٤٤٠)؛ وابن أبي شعبة (٥١٦/١٠)؛ وابن حبان (٧٤٣)؛ والبخاري (ج ٣/٢٣١٣)؛ والطبري (٨، ٩) من طرق عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، حكيماً، عليماً، غفوراً، رحيماً».

قال ابن حبان: «حكيماً عليماً غفوراً رحيماً قول محمد بن عمرو، أدرجه في الخبر، والخبر إلى سبعة أحرف» وسنده حسن، ويأتي الكلام عن طرده قريباً إن شاء الله.

وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٠٧٣) من كلام ابن مسعود نحوه. ورجال إسناده ثقات، وفي أبي بكر بن عياش كلام.

(١) في «مسنده» (١٣٢/٥).

وأخرجه ابن أبي شعبة (٥١٨/١٠)؛ وابن حبان (٧٣٩)؛ وابن جرير (٢٩)؛ وأبو الفضل الزهري في «حديثه» (ج ٣/ق ٧٣/٢) من طريق زائدة بن قدامة بسنده سواء. وتابعه شيبان بن عبد الرحمن، عن عاصم بن أبي النجود به. أخرجه الترمذي (٢٩٤٤)، والضياء في «المختارة» (١١٦٨) من طريق الحسن بن موسى، نا شيبان بسنده سواء. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وتابعه عبيد الله بن موسى، وأبو النضر هاشم بن القاسم، كلاهما عن شيبان بسنده سواء أخرجه الهيثم بن كليب في «مسنده» (١٤٨٠، ١٤٨١). ووقع عنده في رواية أبي النضر، قال: «نا أبو معاوية، عن عاصم». وأبو معاوية هذا ليس هو الضرير محمد بن خازم، بل هو شيبان بن عبد الرحمن وهذه كنيته. والله أعلم. واختلف على شيبان كما يأتي.

وقد توبع شيبان. تابعه أبو عوانة الوضاح اليشكري فرواه عن عاصم، بسنده سواء أخرجه الضياء في «المختارة» (١١٦٩) وتابعهما حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن أبي بن كعب فذكره. أخرجه الطيالسي (٥٤٣). واختلف فيه على حماد، كما يأتي إن شاء الله تعالى.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) وقع في «الأصول»: «ابن مسعود» وهو خطأ، فلم يقع في «الترمذي» حديث ابن مسعود هذا؛ نعم أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٨٩/٨) من طريق يحيى بن أبي بكير، قال: حدثنا شيبان بن عبد الرحمن أبو معاوية، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن عبد الله قال: أتيت المسجد فجلست إلى ناس وجلسوا إلي... وذكر حديثاً فيه أنهم اختلفوا في القراءة.

وهذا لون آخر من الاختلاف في إسناده ومتنه، فهل وهم يحيى بن أبي بكير على شيبان فيه؟ أو لعله من سوء حفظ عاصم، وهذا أقوى. والمحفوظ أن هذا يرويه الأعمش وأبو بكير بن عياش، وإسرائيل بن يونس وغيرهم عن عاصم، عن زر، عن عبد الله وليس فيه ذكر الأحرف السبعة. أخرجه أحمد (٤٢١، ٤١٩/١)؛ وابن حبان (٧٤٦، ٧٤٧)؛ والطبري (١٢، ١٣)؛ والحاكم (٢٢٣/٢، ٢٢٤) وصححه. وأصله في «البخاري» من حديث النزال بن سبرة، عن ابن مسعود. والله أعلم.

(٤) في «فضائل القرآن» (ص ٢٠٢، ٢٠٣).

فهكذا رواه أبو النضر هاشم بن القاسم، عن شيبان.

زرّاً^(١)، عن حذيفة، أن رسول الله ﷺ لقي جبريل عند أحجار المراء. فذكر الحديث والله أعلم.

وهكذا رواه الإمام^(٢) أحمد، عن (عفان)^(٣)، عن حماد، عن عاصم، عن زر، عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «لقيت جبريل عند أحجار المراء فقلت يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية، الرجل والمرأة والغلام والعجارية والشيخ العامي الذي لم يقرأ كتاباً قط؛ فقال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف». وقال أحمد^(٤) أيضاً:

حدثنا وكيع وعبد الرحمن، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن ربعي بن حراش قال: حدثني من لم يكذبني (يعني)^(٥) - حذيفة - قال: «لقي النبي ﷺ، جبريل عند أحجار المراء فقال: إن أمتك يقرؤون القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منهم فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه».

= وخالفه عبيد الله بن موسى والحسن بن موسى الأشيب فروياه عن شيان، عن عاصم، عن زر، عن أبي بن كعب. وقد مر ذكره آنفاً. وكلهم من الثقات الأثبات فيترجح لي أن الاضطراب من عاصم بن أبي النجود. وعندي أنه من «مسند أبي بن كعب» أشبه لكثرة الطرق بذلك. والله أعلم.

(١) ساقط من (أ).
(٢) في «مسنده» (٣٩١/٥، ٤٠٠) قال: حدثنا عفان بإسناده سواء.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٣/رقم ٣٠١٩) قال: حدثنا محمد بن العباس المؤدب، ثنا عفان بن مسلم بسنده سواء.

وتابعه عبد الصمد بن عبد الوارث، وهدي بن خالد، ومنصور بن سقير، كلهم عن حماد بن سلمة بسنده سواء.

أخرجه أحمد (٤٠٥/٥، ٤٠٦)؛ والبزار (ج ٣/رقم ٢٣١٠)؛ والطحاوي في «المشكّل» (٤/١٨٢)؛ وابن قانع في «معجم الصحابة» (١/٣٧).
وخالفهم جميعاً أبو داود الطيالسي، فرواه في «مسنده» (٥٤٣)؛ عن حماد بن سلمة بسنده سواء لكنه جعله عن «أبي بن كعب» وهم يترجحون عليه في حماد لا سيما «عفان بن مسلم» هذا إن لم يكن الاضطراب فيه من عاصم كما سبق ذكره والله أعلم.

وقال البزار: «هكذا رواه حماد بن سلمة، ورواه أبو معاوية عن عاصم عن زر عن أبي بن كعب» فكانما يشير إلى أن الوهم فيه من حماد وليس من الرواة عنه، وأبو معاوية التي أشار البزار إلى روايته هو، عندي، شيان بن عبد الرحمن، مع أن هذه الكنية إذا أطلقت عُني بها «الضرير محمد بن خازم» لكنني لم أجد له رواية عن عاصم بن بهدلة، مع شهرة رواية شيان بن عبد الرحمن لهذا الحديث، فهذا هو الذي حدا بي أن أرجح هذا الرأي والله أعلم.

(٣) ساقط من (ج) و(ل).
(٤) في «مسنده» (٣٨٥/٥، ٤٠١) ولم يجمع الإمام حديث شيخه في سياق واحد، إنما فرقه، وهذا الجمع من تصرف المصنف ﷺ.

وهذا إسناد رجاله ثقات، إلا إبراهيم بن مهاجر فقد لينة أكثر النقاد، فتصحیح المصنف لإسناده لا يخفى ما فيه، أما الهيثمي فقال في «المجمع» (٧/١٥١): «رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم!» وهذا وهم عجيب، أظنه بسبب عجلة الهيثمي النظر في السند، فقد وقع في السند: «... ربعي بن حراش، حدثني من لم يكذبني، يعني حذيفة» فلما وقع بصره على قوله: «من لم يكذبني» قال ما قال!! وقد علمت أنه سمي. فرحمه الله تعالى.

(٥) ساقط من (أ).

وقال عبد الرحمن: «إن من أمتك الضعيف فمن قرأ على حرف فلا يتحول عنه إلى غيره رغبة عنه».

هذا إسناد صحيح، ولم يخرجوه.

(حديث آخر) في معناه عن سليمان بن صرد.

قال ابن جرير^(١): حدثنا إسماعيل بن موسى السدي، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صرد يرفعه قال: «أتاني ملكان فقال أحدهما: اقرأ، قال: على كم؟ قال: على حرف، قال: زده، حتى انتهى إلى سبعة أحرف».

ورواه النسائي^(٢) في «اليوم والليلة» عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام، عن إسحاق الأزرق،

(١) في «تفسيره» رقم (٢١).

وأخرجه الطحاوي في «المشكّل» (١٨٩/٤) قال: حدثنا فهد، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل ابن بنت السدي بإسناده سواء.

وخالفه محمد بن جعفر الوركاني، فرواه عن شريك، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صرد، عن أبي بن كعب رفعه. أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١٢٥/٥) عن الوركاني. ورواية الوركاني أولى، فهو أوثق من إسماعيل بن موسى.

وقد توبع شريك على جعله من «مسند سليمان بن صرد». فتابعه زيد بن أبي أنيسة، عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد، قال: أتى محمداً ﷺ الملكان ثم ذكر نحوه.

أخرجه أبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (ج ١٠/١١٨ ق ٢)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٨٩/٤) من طريق أبي نصر التمار، قال: حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي، عن زيد بن أبي أنيسة.

وتابعه عبد الله بن جعفر الرقي، حدثنا عبيد الله بن عمرو بسنده سواء.

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١١٨٩)؛ وقال الهيثمي (١٥٣/٧): «رواه الطبراني وفيه جعفر، ولم أعرفه، وبقيّة رجاله ثقات». وقد وقع سقط نحو ورقة من «نسخة الأوسط» فكان مما سقط، والله أعلم: «عبد الله بن» وبقي: «جعفر»، لذلك لم يعرفه الهيثمي رحمه الله تعالى.

ولكن خالفهما العوام بن حوشب، فرواه عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صرد، عن أبي بن كعب فذكره. ويأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٦٧١) قال: أخبرنا عبد الرحمن بن سلام، قال: حدثنا إسحاق الأزرق، حدثنا العوام بسنده سواء.

هكذا رواه إسحاق الأزرق، فجعل العوام بن حوشب متابعا لشريك وزيد بن أبي أنيسة على جعل الحديث من «مسند سليمان بن صرد».

وخالفه يزيد بن هارون، فرواه عن العوام بن حوشب، قال: حدثني أبو إسحاق الهمداني، عن سليمان بن صرد، عن أبي بن كعب فذكره. فجعله من «مسند أبي بن كعب».

أخرجه النسائي (٦٧٠) أيضاً، قال: أخبرنا أبو داود، قال: حدثنا يزيد.

وأخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٢٠١)؛ وأحمد بن منيع في «مسنده»، كما في «إتحاف المهرة» (ق ١/٢٢٩)؛ ومن طريقه أبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (ج ٩/١١٨ ق ١)؛ والضياء في «المختارة»

(١١٧٦)؛ وابن الأعرابي، ومن طريقه الخطابي في «الغريب» (٥٨٧/١)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٦/١٨٨).

وهذا الوجه أشبه، وإسحاق الأزرق وإن كان ثقة مأموناً، فقد قال ابن سعد: «ربما غلط»، ويحتمل أن يصح الوجهان معاً كما أشار إلى ذلك المصنف ﷺ، ويكون الحديث بـ«أبي بن كعب» أشهر وأكثر. والله أعلم.

عن العوام بن حوشب، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صرد، قال: أتى أبي بن كعب رسول الله ﷺ برجلين اختلفا في القراءة، فذكر الحديث.

وهكذا رواه أحمد بن منيع، عن يزيد بن هارون، عن العوام^(١) [ابن حوشب به.

ورواه أبو عبيد، عن يزيد بن هارون، عن العوام^(١)، (عن)^(٢) أبي إسحاق، عن سليمان بن صرد، عن أبي أنه أتى النبي ﷺ برجلين، فذكره.

وقال ابن جرير^(٣): حدثنا أبو كريب، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن فلان العبدى - قال ابن جرير: ذهب عني اسمه - عن سليمان بن صرد، عن أبي بن كعب، قال: رحت إلى المسجد فسمعت رجلاً يقرأ، فقلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله ﷺ، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: استقرئ هذا، قال: فقراً، فقال: «أحسنت» قال^(٤) [قلت: إنك أقرأتني كذا وكذا، فقال: «وأنت قد أحسنت» (قال: فقلت)^(٥) قد أحسنت! قد أحسنت!؟ قال^(٤) فضرب بيده على صدري ثم قال: «اللهم أذهب عن أبي الشك» قال: ففضت عرقاً، وامتلاً جوفى فرقاً، قال: ثم قال: «إن الملكين أتياي، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف، وقال الآخر: زده، قال: قلت: زدني، فقال: اقرأه على حرفين، حتى بلغ سبعة أحرف، اقرأه على سبعة أحرف».

وقد رواه أبو عبيد، عن حجاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن (سقيز)^(٦) العبدى، عن سليمان بن صرد، عن أبي^(٧) [عن النبي ﷺ بنحو ذلك.

ورواه أبو داود^(٨)، عن أبي الوليد الطيالسي، عن همام، عن قتادة، عن يحيى بن يعمر، عن سليمان بن صرد، عن أبي^(٧) بن كعب بنحوه.

(١) ساقط من (أ). (٢) في (ج): «ابن» وهو خطأ.

(٣) في «تفسيره» رقم (٢٥).

وأخرجه أبو عبيد (ص ٢٠٢)؛ وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند (٥/ ١٢٤)؛ والهيثم بن كليب في «مسنده» (١٤٣٩)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ٢٨٥، ٢٨٦) من طرق عن إسرائيل بن يونس بسند سواء.

وسقيز، ويقال: صقيز، قال فيه الحسيني: «مجهول» فرد عليه الحافظ في «التعجيل» (٣٨٥) قائلاً: «ولم يصب في ذلك، فقد ذكره في حرف الصاد المهملة، ولم يذكر البخاري ولا ابن أبي حاتم فيه قدحاً، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٤/ ٣٨٥)». اهـ.

قلت: وما ذكره ابن حجر لا يخرج عما قاله الحسيني كما لا يخفى، فأما ابن حبان فخطه معروفة، وأما تبييض البخاري وابن أبي حاتم للراوي فليس أمانة توثيق؛ لأن البخاري قد يبيض للراوي ويضعفه في «ضعفائه»؛ وأما ابن أبي حاتم فقد صرح في مطلع «كتابه» أنه يبيض للراوي إذا لم يعلم فيه شيئاً. والله الموفق. وهذا الوجه أيضاً من وجوه الاختلاف على أبي إسحاق في إسناده، ولعله منه فقد كان حفظه تغير، ونازع الذهبي في اختلاطه. ولعل هذا الوجه هو أشبه الوجوه كلها لمكان إسرائيل بن يونس من جده، وملازمته إياه. والله أعلم.

(٤) ساقط من (أ) وفي (ط): «فقلت».

(٦) في (أ): «ستير»!

(٧) ساقط من سياق (أ)، وقيد بخط دقيق في الحاشية.

(٨) في «سننه» (١٤٧٧).

فهذا الحديثُ محفوظ من حيث الجملة عن أبي بن كعب، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزاعي شاهد ذلك، والله أعلم.

(حديث آخر عن أبي بكرة):

قال الإمام^(١) أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل وميكائيل ﷺ، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف واحد، فقال ميكائيل: استزده، قال: اقرأ القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ، ما لم تختتم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب برحمة» وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن زيد بن الحباب، عن حماد بن سلمة به، وزاد في آخره «كقولك: هلم وتعال».

(حديث آخر عن سمرة):

قال الإمام^(٢) أحمد: حدثنا بهز وعفان، كلاهما عن حماد بن سلمة، أنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف».

= وأخرجه أحمد (١٢٤/٥)؛ وابنه في «زوائد المسند»؛ والطحاوي في «المشكل» (١٨٩/٤)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٣٨٤/٢)؛ وفي «الصغرى» (١٠٠٩)؛ والضياء في «المختارة» (١١٧٣ - ١١٧٥) من طرق عن همام بن يحيى، عن قتادة، عن يحيى بن يعمر، عن سليمان بن صرد، عن أبي بن كعب فذكره. وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

(١) في «مسنده» (٤١/٥).

وأخرجه أحمد أيضاً (٥١/٥)؛ والطحاوي في «المشكل» (١٩١/٤) من طريق عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة به. وتابعه زيد بن الحباب، عن حماد. أخرجه ابن أبي شيبه (٥١٧/١٠)؛ وابن جرير (٤٠ - ٤٧). وتوبع حماد بن سلمة؛ تابعه عبد الوارث بن سعيد، عن علي بن زيد به.

أخرجه مسدد بن مسرهد في «مسنده»، كما في «إتحاف المهرة» (ق٢٢٩/١)، قال: ثنا عبد الوارث. وعزاه الهيثمي في «المجمع» (١٥١/٧) للطبراني، وقال: «فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو سيء الحفظ، وقد توبع، وبقي رجال أحمد رجال الصحيح». اهـ.

(٢) في «مسنده» (١٦/٥، ٢٢) ورواية بهز وعفان وقعت في «المسند» مفرقة في موضعين، وهذا الجمع بينهما من صنيع المصنف رحمه الله تعالى، ولم يصب في صنيعه هذا، فإن رواية بهز بن أسد عن حماد: «سبعة أحرف» ورواية عفان عنه: «ثلاثة أحرف» فقد اختلفا في هذا الحرف فلا يصح جمع روايتهما في سياق واحد. والله أعلم.

وأخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص٢٠٣)؛ وابن أبي شيبه (٥١٧/١٠)؛ وتمام الرازي في «الفوائد» (٧٤٢)؛ والبزار (ج٣/رقم ٢٣١٤)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٧/رقم ٦٨٥٣)؛ وابن عدي في «الكامل» (٦٧٩/٢)؛ والحاكم (٢٢٣/٢)؛ والطحاوي في «المشكل» (١٩٥/٤) من طريق حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة مرفوعاً: «أنزل القرآن على ثلاثة أحرف».

ورواه عن حماد هكذا: «حجاج بن منهل، وعفان بن مسلم» وخالفهما بهز، كما تقدم، فقال: «سبعة أحرف».

قال البزار: «لا نعلم يروى هذا اللفظ إلا عن سمرة، ولا رواه عن قتادة إلا حماد».

وقال الحاكم: «قد احتج البخاري برواية الحسن عن سمرة، واحتج مسلم بأحاديث حماد بن سلمة، وهذا الحديث صحيح، وليس له علة». ووافقه الذهبي!

إسناد صحيح، ولم يخرجوه.

(حديث آخر عن أبي هريرة):

قال الإمام^(١) أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثني أبو حازم، عن أبي سلمة لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، وراء في القرآن كفر - ثلاث مرات - فما علمتم منه فاعملوا وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه».

ورواه النسائي، عن قتيبة، عن أبي ضمرة أنس بن عياض به.

(حديث آخر عن أم أيوب):

قال الإمام^(٢) أحمد: حدثنا سفيان، عن عبيد الله - وهو ابن أبي يزيد - عن أبيه، عن أم أيوب - يعني: امرأة أبي أيوب - الأنصارية أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزاء».

وهذا إسناد صحيح، ولم يخرجوه أحد من أصحاب الكتب الستة.

(حديث آخر عن أبي جهيم):

قال أبو عبيد^(٣): حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن يزيد بن خصيفة، عن مسلم بن سعيد مولى

= كذا قال! وقد قال الذهبي في «السير» (٥٨٨/٤): «قال قائل: إنما أعرض أهل الصحيح عن كثير مما يقول فيه الحسن: «عن فلان» وإن كان مما قد ثبت لقيه فيه لـ«فلان» المعين؛ لأن الحسن معروف بالتدليس، ويدلس عن الضعفاء، فيبقى في النفس من ذلك، فإننا وإن ثبتنا سماعه من سمرة، يجوز أن يكون لم يسمع فيه غالب النسخة التي عن سمرة، والله أعلم». اهـ.

(١) في «مسنده» (٣٠٠/٢).

وأخرجه النسائي في «الفضائل» (١١٨)؛ وابن حبان (٧٤)؛ وابن جرير (٧)؛ وأبو يعلى في «مسنده» (ج ١٠/رقم ١٠١٦)؛ والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٦/١١) من طرق عن أنس بن عياض بسنده سواء. وإسناده صحيح.

وتابعه محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، حكيماً عليمًا، غفوراً رحيمًا»، لفظ ابن حبان.

(٢) في «مسنده» (٤٣٣/٦، ٤٦٢، ٤٦٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة (٥١٥/١٠، ٥١٦)؛ والحميدي (٣٣٨)؛ وابن جرير (٢٠ - ٢٣)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٣٢٠)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٨٣/٤) من طريق سفيان بن عيينة بإسناد سواء. وهذا سند حسن. وتابعه أبو الربيع السمان، قال: حدثني عبيد الله بن أبي يزيد بسنده سواء أخرجه ابن جرير (٢٤)؛ وأبو الربيع السمان متروك.

(٣) في «فضائل القرآن» (ص ٢٠٢).

وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٦٢/١/٤)؛ والحاثر بن أبي أسامة في «مسنده» (ق ١/٩٠ - زوائده)؛ والبيهقي في «الشعب» (٦٠٦٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٥٠٥/٤، ٥٠٦) من طريق إسماعيل بن جعفر، عن يزيد بن خصيفة، عن مسلم بن سعيد، عن أبي جهيم فذكره.

ورواه عن إسماعيل بن جعفر هكذا: «أبو عبيد، وعلي بن حجر، وعاصم بن علي» وخالفهم خالد بن القاسم المدائني فرواه عن إسماعيل بن جعفر، أنبأ يزيد بن خصيفة، عن بسر بن سعيد، مولى الحضرميين، عن أبي جهيم الأنصاري فذكره.

فجعل شيخ يزيد: «بسرًا» لا «مسلمًا».

أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (ق ١/٩٠) لكن خالدًا المدائني كذبه إسحاق بن راهويه وقال =

الحضرمي - وقال غيره عن بسر بن سعيد - عن أبي جهيم الأنصاري أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله ﷺ فمشيا جميعاً حتى أتيا رسول الله ﷺ فذكر أبو جهيم أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا القرآن (نزل)»^(١) على سبعة أحرف، فلا تماروا فإن مرء فيه كفر».

وهكذا رواه أبو عبيد على الشك.

وقد رواه الإمام أحمد على الصواب، فقال: حدثنا أبو سلمة الخزاعي، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني يزيد بن خصيفة، أخبرني بسر بن سعيد، حدثني أبو جهيم أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، قال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ، فسألا النبي ﷺ فقال: «القرآن يقرأ على سبعة أحرف، فلا تماروا في القرآن، فإن مرء في القرآن كفر».

وهذا إسناد صحيح أيضاً، ولم يخرجوه.

ثم قال أبو عبيد^(٢): حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن بسر بن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلاً قرأ آية من القرآن

= يعقوب بن شيبة: «تركه الناس أجمع، وكان علي ابن المدني حسن الرأي فيه».

وقد خولف إسماعيل بن جعفر في إسناده على الوجه الأول.

خالفه سليمان بن بلال، فرواه يزيد بن خصيفة، عن بسر بن سعيد، عن أبي جهيم به.

أخرجه أحمد (١٦٩/٤، ١٧٠)؛ والطبري (٤١)؛ وابن عبد البر في «المتمهيد» (٢٨٢/٨)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٨٣/٤).

ولعل هذا الاختلاف من يزيد بن خصيفة، فهو وإن كان ثقة إلا أن أحمد قال في رواية: «منكر الحديث» وقد خولف فيه كما يأتي.

وزعم المعلق على «تهذيب الكمال» (١٧٣/٣٢) أن هذا لم يثبت عن أحمد، ولم يبد حجة سوى قوله: «فيما أرى!» وبأن أحمد قال: «لا أعلم إلا خيراً»، وهذا القول لا يمنع أن يكون لأحمد فيه قول آخر. والله أعلم. وقد رجح المصنف رواية سليمان بن بلال وصحح الإسناد لذلك.

(١) في (أ): «أنزل».

(٢) في «فضائل القرآن» (ص ٢٠٢) وعبد الله بن صالح كاتب الليث فيه مقال شهير، لكنه كان من ألزم الناس لليث، لزمه عشرين سنة، ولم يتفرد به.

فأخرجه أحمد (٢٠٤/٤، ٢٠٥)؛ وابن أبي عمر في «مسنده»، كما في «إتحاف المهرة» (ق ١/٢٣٠)، من طريق عبد الله بن جعفر، والدراوردي كلاهما عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن بسر بن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو، عن عمرو بن العاص.

قال الحافظ في «الفتح» (١٢٦/٩): «إسناده حسن».

* قلت: لكن خولف محمد بن إبراهيم التيمي فيه. خالفه يزيد بن خصيفة وهو أوثق منه، فرواه عن بسر بن سعيد، عن أبي جهيم. وهذا أولى والله أعلم.

وأخرجه ابن أبي شيبة (٥٢٨/١٠) قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن سعد مولى عمرو بن العاص قال: تشاجر رجلان في آية فارتفعا إلى رسول الله ﷺ فقال: «لا تماروا في القرآن؛ فإن المرء فيه كفر».

وسئل عنه أبو حاتم، كما في «العلل» (١٧٨٢)، فقال: «هذا وهم؛ إنما رواه يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن بسر بن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ». اهـ.

فقال عمرو - يعني: ابن العاص -: إنما هي كذا وكذا بغير ما قرأ الرجل، فقال الرجل: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ فخرجنا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه، فذكرنا ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فأبي ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا في القرآن فإن وراء فيه كفر».

ورواه الإمام أحمد، عن أبي سلمة الخزاعي، عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن بسر بن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص به نحوه، وفيه «فإن المراء فيه كفر إنه الكفر به».

وهذا أيضاً (حديث^(١)) جيد.

(حديث آخر عن ابن مسعود):

قال ابن جرير^(٢): حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب، أخبرني حيوة بن شريح، عن عقيل بن خالد، عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الكتاب الأول نزل من باب واحد، وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه، وافعّلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتهم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا به كل من عند ربنا».

ثم رواه^(٣) عن أبي كريب، عن المحاربي، عن ضمرة بن حبيب، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن ابن مسعود من كلامه وهو أشبه، والله أعلم.

(١) ساقط من (أ) و(ط).

(٢) في «تفسيره» رقم (٦٧).

وأخرجه ابن حبان (٧٤٥)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٨٤/٤، ١٨٥)؛ وأبو نصر السجزي في «الإبانة»، كما في «الدر» (٦/٢)؛ والهروي في «ذم الكلام» (ق٢/٢)، كما في «الصحيحة» (٥٨٧)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٧٥/٨)؛ والحاكم (٥٥٣/١، ٢٨٩/٢، ٢٩٠) وصححه ولم يوافقه الذهبي في الموضع الثاني وتعبه الحافظ، أعني الحاكم، في «الفتح» (٢٩/٩) وقال: «في تصحيحه نظر، لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود». وسبقه ابن عبد البر والطحاوي إلى هذا الإعلال. فقال الأول في «التمهيد» (٨/٢٧٥): «وهذا حديث عند أهل العلم لا يثبت؛ لأنه يرويه حيوة عن عقيل، عن سلمة هكذا، ويرويه الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، عن سلمة بن أبي سلمة، عن أبيه عن النبي ﷺ، وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود، وابنه سلمة ليس ممن يحتج به». اهـ.

(٣) يعني ابن جرير رقم (٧٠)؛ وأخرجه ابن الضريس في «الفضائل» (١٢٩) من هذا الوجه ورجاله ثقات، لكنه منقطع بين القاسم وابن مسعود، فلم يدركه. قال ابن المديني: «لم يلق القاسم من أصحاب النبي ﷺ غير جابر بن سمرة»؛ وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج٥/رقم ٢٠٩٥) من طريق معارك بن عباد، حدثني عبد الله بن سعيد المقبري، حدثني أبي، عن أبي هريرة مرفوعاً: «أعربوا القرآن واتبعوا غرائب وفرائضه وحدوده فإن القرآن نزل على خمسة أوجه.. وساقه بمثل كلام ابن مسعود.

وسنده ضعيف جداً، ومعارك ضعيف، وعبد الله بن سعيد متروك.

ثم رأيت في «الضعيفة» (١٣٤٦) لشيخنا الألباني رحمه الله، وضعفه جداً وعزاه لابن جبرون المعدل في «الفوائد العوالي» (١/٢٨)، والثقفي في «الثقفيات» (ج٩/رقم ١٤) من طريق معارك بن عباد به».

فصل

قال أبو عبيد^(١): قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة إلا ما حدثني عفان، عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ قال: «نزل القرآن على (ثلاثة)^(٢) أحرف».

قال أبو عبيد^(٣): ولا نرى المحفوظ إلا السبعة؛ لأنها المشهورة وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، وهذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى، والثالث بلغة أخرى سواهما كذلك إلى السبعة، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض، وذلك بين في أحاديث تترى.

قال: وقد روى الكلبي^(٤)، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن.

قال أبو عبيد^(٥): والعجز هم بنو سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف وهم علياء هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب علياء هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم.

ولهذا قال عمر^(٦): لا يملئ في مصاحفنا إلا غلمان قريش أو ثقيف،^(٧) [قال ابن جرير^(٨): واللغتان الأخريان قريش وخزاعة، رواه قتادة، عن ابن عباس ولكن لم يلقه]^(٩).

(١) في «الفضائل» (ص ٢٠٣) ورواه عنه البيهقي في «الكبرى» (٣٨٥/٢) و«الصغرى» (١٠٠٣).

(٢) في «الأصول»: «سبعة» وهو سبق قلم من المصنف أو الناسخ.

(٣) في «الفضائل» (ص ٢٠٣) ورواه عنه البيهقي في «الكبرى» (٣٨٥/٢)؛ و«الصغرى» (١٠٠٣).

(٤) انظر: «التمهيد» (٢٨٠/٨)؛ و«فتح الباري» (٢٦/٩، ٢٧) وسنده ضعيف جداً، والكلبي هو محمد بن السائب، تالف اليتة.

(٥) في «فضائل القرآن» (ص ٢٠٤).

(٦) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٢٠٤)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (١٠١٤/٣)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص ١١)؛ والخطيب في «تاريخه» (٤٥٠/٧) من طريق جرير بن حازم، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن معقل، عن عمر بن الخطاب ﷺ. وقد خول جرير بن حازم في إسناده.

خالفه شيبان بن عبد الرحمن وأبو عوانة فروياه عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن عمر بن الخطاب به. وهذا أصح.

أخرجه أبو عبيد (ص ٢٠٤) معلقاً وابن أبي داود (ص ١١) وقال ابن كثير في «مسند عمر» (٥٦٢/٢): «إسناده صحيح» وتابعهما جرير بن عبد الحميد، عن عبد الملك، عن جابر، عن عمر. أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٤١٩) قال: نا جرير بن عبد الحميد.

(٧) سقط من سياق (ط) وألحق بالهامش.

(٨) في «تفسيره» (٦٦/١) ونقل المصنف عبارته بشيء من التصرف وحديث قتادة عن ابن عباس أخرجه ابن جرير (٦٥). وأخرجه أبو عبيد (ص ٢٠٤) قال: وكذلك يحدثون عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن سمع ابن عباس فذكر نحوه. فهذا يؤيد كلام ابن جرير.

قال أبو عبيد^(١): وحدثنا هشيم، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس أنه كان يسئل عن القرآن فينشد فيه الشعر، قال أبو عبيد: يعني أنه كان يستشهد به على التفسير.

وحديثنا^(٢) هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد - أو مجاهد - عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَلِيلَ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق] قال: وما جمع. وأنشد:

قد اتسقن لو يجدن سائقاً^(٣)

حدثنا هشيم^(٣): أنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات] قال: الأرض.

قال: وقال ابن عباس: قال أمية بن أبي الصلت:

عندهم لحم بحر ولحم ساهرة

حدثنا يحيى^(٤) بن سعيد، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن (مجاهد عن)^(٥) ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا ابتدأتها. إسناده جيد أيضاً.

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمته الله بعد ما أورد طرفاً مما تقدم: «وصح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون (الجميع)^(٦)، إذ كان معلوماً أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبع بما يعجز عن إحصائه».

ثم قال: «وما برهانك على ما قلته دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك من أنه نزل بأمر

(١) في «الفضائل» (ص ٢٠٥) وإسناده جيد.

وأخرجه ابن أبي شيبة (٥١٧/٨، ٥١٨ و ٤٧٤/١٠) قال: حدثنا أبو داود الطيالسي، عن مسمع بن مالك الليروعي، سمعت عكرمة، عن ابن عباس فذكره، ومسمع بن مالك ترجمه ابن عساكر (ج ١٦/٤٩٩، ٥٠٠) ولم يذكر فيه شيئاً يتعلق بروايته.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «فضائله» (ص ٢٠٥). هكذا رواه هشيم بن بشير بالشك. وأخرجه ابن جرير (٧٦/٣٠) من طريق شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد، عن ابن عباس فذكره وسنده صحيح، ووقع عند ابن جرير: «مستوسقات لو يجدن سائقاً».

وهذا عجز بيت صدره: «إن لنا قلائصاً حقائقاً». عزاه ابن منظور في «لسانه» (٤٨٣٧/٥)، للعجاج وعزاه في «الدر المنثور» (٣٣٠/٦) لابن صرمة ومطلعه عنده: «إن لنا قلائصاً نقانقا».

(٣) أخرجه أبو عبيد (ص ٢٠٥) وهذا الشطر مكسور، ليس بموزون. ووقع في «اللسان» (٢١٣٢/٣). قال ابن عباس وأنشد:

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به أبداً مقيم
وأخرج ابن أبي شيبة (٥١٦/٨، ٤٧٥/١٠) عن الشعبي أنه أنشد في تفسير هذه الآية أبياتاً لأمية بن أبي الصلت: «وفيها لحم ساهرة وبحر».

(٤) أخرجه أبو عبيد أيضاً. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢٤٤/٥) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر، والبيهقي في «الشعب». وإبراهيم بن مهاجر فيه ضعف من قبل حفظه.

(٥) ساقط من (أ). (٦) في (أ) «الجمع».

وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل، ونحو ذلك من الأقوال فقد علمت قائل ذلك عن سلف الأمة وخيار الأئمة؟

قيل له: إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأويل الأخبار التي تقدم ذكرها هو ما زعمت أنهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره، فيكون ذلك لقولنا مخالفاً، وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه، والذي قالوا من ذلك كما قالوا، وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن رسول الله ﷺ وعن جماعة من الصحابة من أنه نزل من سبعة أبواب الجنة كما تقدم.

يعني كما تقدم في رواية (عن)^(١) أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود أن القرآن نزل من سبعة أبواب الجنة.

قال ابن جرير: والأبواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والقصص والمثل، التي إذا عمل بها العامل وانتهى إلى حدودها المنتهى استوجب به الجنة.

ثم بسط^(٢) القول في هذا بما حاصله أن الشارع رخص للأمة التلاوة على سبعة أحرف.

ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اختلاف الناس في القراءة، وخاف من تفرق كلمتهم. جمعهم على حرف واحد، وهو هذا المصحف الإمام. قال: واستوسقت له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعله من ذلك الرشد والهداية، وتركت القراءة بالأحرف الستة، التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمة معرفتها، (وتعفت)^(٣) آثارها. فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها، لدثورها وعفو آثارها - إلى أن قال:

فإن قال من ضعفت معرفته: وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها؟

قيل: إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة؛ لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العمل بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة، ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الأمة. وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين، - إلى أن قال: - فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف ونصبه وجره، وتسكين حرف وتحريكه، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة، فمن معنى قول النبي ﷺ: «أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف» بمعزل؛ لأن المرء في مثل هذا ليس بكفر في قول أحد من علماء الأمة. وقد أوجب ﷺ بالمرء في الأحرف السبعة الكفر كما تقدم^(٤).

(١) ساقط من (أ).

(٢) (٥٧/١ - ٦٧) فأنطب وأطاب رحمه الله تعالى، ورضي عنه.

(٣) في (أ): «وانعفت».

(٤) هذا كله من كلام ابن جرير، لم ينقله المصنف بلفظه، بل تصرف فيه.

الحديث الثاني: قال البخاري^(١) رحمه الله: حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب قال: (أخبرني)^(٢) عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة (رسول الله)^(٣) ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة. فتصبرت حتى سلم فليته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ (قال)^(٤): أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها، فقال رسول الله ﷺ: «(أرسله)^(٥) اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال ﷺ «كذلك أنزلت» ثم قال: (اقرأ يا عمر) فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه».

وقد رواه الإمام أحمد^(٦) والبخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من طرق عن الزهري.

ورواه الإمام أحمد^(٧) (أيضاً)^(٨)، عن ابن مهدي، عن مالك، عن الزهري، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عبد، عن عمر، فذكر الحديث بنحوه.

وقد قال الإمام أحمد^(٩): حدثنا عبد الصمد، حدثنا حرب بن ثابت، حدثنا إسحاق بن

(١) في «فضائل القرآن» (٢٣/٩ - فتح).

(٢) في (أ): «النبى».

(٣) ساقط من (أ).

(٤) في «مسنده» (٢٩٧).

أخرجه البخاري في «الفضائل» (٨٧/٩)، وفي «استنابة المرتدين» (٣٠٣/١٢) معلقاً، وفي «التوحيد» (١٣/٥٢٠)؛ ومسلم (٢٧١/٨١٨).

(٥) في «مسنده» (٢٧٧).

وأخرجه البخاري في «الخصومات» (٧٣/٥)؛ ومسلم (٢٧٠/٨١٨).

(٦) ساقط من (ج) و(ط) و(ل).

(٧) في «مسنده» (٣٠/٤). وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث بسنده سواء.

ووقع عند ابن جرير: «فوقع في صدر عمر شيء، فعرف النبي ﷺ ذلك في وجهه»، قال: فضرب صدره وقال: «ابعد شيطاناً - قالها ثلاثاً - ثم قال: «يا عمر! ... فذكره».

وقد خولف عبد الصمد في إسناده.

خالفه موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حرب بن ثابت المنقري، قال: حدثني إسحاق الأنصاري، عن أبيه، عن جده وكانت له صحبة عن النبي ﷺ فذكره.

أخرجه البغوي في «معجمه» - كما في «الكنز» (٦١٨/١) -، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣٨٢/١/١) وقال:

«وقال عبد الصمد: حدثنا حرب أبو ثابت، سمع إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ مثله. وقال بعضهم: لقن عبد الصمد، فقال: ابن عبد الله بن أبي طلحة، ولم يكن في كتابه =

عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه، عن جده قال: قرأ رجل عند عمر فغير عليه، فقال: قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير علي، قال: فاجتمعا عند النبي ﷺ فقرأ الرجل على النبي ﷺ فقال له: «قد أحسنت» قال: فكأن عمر وجد من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر إن القرآن كله صواب ما لم تجعل عذاب مغفرة، ومغفرة عذاب».

وهذا إسناد حسن. وحرب بن ثابت هذا يكنى بأبي ثابت، لا نعرف أحداً جرحه. وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال.

قال أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي المالكي في «مقدمات تفسيره»: وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي، ونحن نذكر منها خمسة أقوال.

(قلت): ثم سردها القرطبي وحاصلها ما أنا مورده ملخصاً:

(فالأول) وهو قول أكثر أهل العلم منهم سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب وأبو جعفر محمد بن جرير والطحاوي أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بالفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال وهلم.

وقال الطحاوي: وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبي بكرة^(١) قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده. حتى بلغ سبعة أحرف فقال: اقرأ فكل كاف شاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة، (على)^(٢) نحو هلم وتعال وأقبل، واذهب وأسرع وعجل.

وروى ورقاء (عن)^(٣) (ابن أبي)^(٤) نجيج، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتُلْكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] للذين آمنوا أمهلونا، للذين آمنوا آخرون، للذين آمنوا أرقبونا، وكان يقرأ ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْأَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] مروا فيه، سعوا فيه.

= «ابن عبد الله». وقال الحسن بن علي، حدثنا يزيد بن هارون، عن حرب، عن إسحاق بن جارية، قال: لقيته بواسط القصب، أو كما قال. اهـ.

قلت: فالبخاري يشير إلى الاختلاف في نسب «إسحاق»، وكأن البخاري يرجح أنه «إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة»، فإنه نقل توهيم عبد الصمد بعبارة قلقة، فقال: «وقال بعضهم» وفي ترجمة «حرب بن أبي حرب أبي ثابت» (٢/١/٦٢) قال: «وقال مسلم: حدثنا حرب بن ثابت، سمع إسحاق بن عبد الله. حدثني إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عبد الصمد، قال: حدثنا حرب أبو ثابت، قال: حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة. ويقال: إن هذا إسحاق ليس بـ«ابن أبي طلحة»، وهم فيه عبد الصمد من حفظه، وأصله صحيح. اهـ.

فقد استفدنا من ترجمة البخاري هذه أن عبد الصمد توبع على جعله «إسحاق بن عبد الله»، تابعه مسلم بن إبراهيم الفراهيدي، وكأن البخاري يضعف دعوى توهيم عبد الصمد، إذ إنه نقله بلفظ «يقال» الذي يفيد التضعيف غالباً.

(١) مَرَّ تخريجه آنفاً، وكلام الطحاوي هذا ذكره في «المشكل» (٤/١٩١ - ١٩٤).

(٢) ساقط من (أ). (٣) ساقط من (ج) و(ط) و(ل).

(٤) في (أ): «أبي نجيج».

قال الطحاوي وغيره: وإنما كان ذلك رخصةً أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات، وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش وقراءة رسول الله ﷺ لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ، وقد ادعى الطحاوي والقاضي الباقلاني والشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ذلك كان رخصةً في أول الأمر، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة. (قلت): وقال بعضهم: إنما كان الذي جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم. وإنما جمعهم عليها لما رأى من اختلافهم في القراءة المفضية إلى تفرق الأمة وتكفير بعضهم بعضاً. فرتب لهم المصاحف الأئمة على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان كان من عمره ﷺ وعزم عليهم أن لا يقرؤوا بغيرها. وأن لا يتعاطوا الرخصة التي كانت لهم (فيها)^(١) سعة. ولكنها أدت إلى الفرقة والاختلاف، كما ألزم عمر بن الخطاب الناس^(٢) [بالطلاق الثلاث المجموعة حتى تتابعوا فيها وأكثروا منها قال: فلو أنا أمضيناه عليهم، وأمضاه عليهم. وكذلك كان ينهى]^(٣) عن المتعة في أشهر الحج؛ لئلا تقطع زيارة البيت في غير أشهر الحج. وقد كان أبو موسى (يفتي)^(٤) بالتمتع، فترك فتياءه اتباعاً لأمر المؤمنين وسمعاً وطاعةً للأئمة المهديين.

(القول الثاني): أن القرآن نزل على سبعة أحرف، وليس المراد أن جميعه يقرأ على سبعة أحرف، ولكن بعضه على حرف وبعضه على حرف آخر.

قال الخطابي: وقد يقرأ بعضه بالسبع لغات كما في قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] و﴿يَزْنَعُ وَيَلْعَبُ﴾ [يوسف: ١٢].

قال^(٥) القرطبي: ذهب إلى هذا القول أبو عبيد واختاره ابن عطية.

قال أبو عبيد^(٥): وبعض اللغات أسعد به من بعض. وقال القاضي الباقلاني: ومعنى قول عثمان إنه نزل بلسان قريش؛ أي: معظمه ولم يقم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله، قال الله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] ولم يقل: قرشياً، قال: واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً؛ يعني: حجازها ويمناها.

وكذا قال الشيخ^(٦) أبو عمر ابن عبد البر، قال: لأن لغة غير قريش موجودة في صحيح القراءات كتتحقيق الهمزات فإن قرشياً لا تهمز.

وقال ابن عطية: قال ابن عباس: ما كنت أدري معنى: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] حتى سمعت أعرابياً يقول لبئر ابتدأ حفرها: أنا فطرتها.

(القول الثالث): أن لغات القرآن السبع منحصرة في مضر على اختلاف قبائلها خاصة، لقول عثمان: إن القرآن نزل بلغة قريش، وقريش هم بنو النضر بن الحارث على الصحيح من أقوال أهل النسب، كما ينطق به الحديث في «سنن ابن ماجه» وغيره.

(٢) سقط من سياق (ط) وقيد بالحاشية.

(٤) في «تفسيره» (٤٣/١، ٤٤).

(٥) في «فضائل القرآن» (ص ٢٠٣) وعبارته هناك: «وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض».

(٦) في «التمهيد» (٢٨٠/٨).

(القول الرابع): وحكاها الباقلاني عن بعض العلماء أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء منها ما (تتغير)^(١) حركته ولا تتغير صورته ولا معناه، مثل ﴿وَيُضِيقُ صَدْرِي﴾ [الشعراء: ١٣] ويضيق. ومنها ما لا تتغير صورته ويختلف معناه. مثل ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ - (وباعد)^(٢) - بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبا: ١٩] وقد يكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف، مثل ﴿نُنَشِّرُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] و(ننشزها) أو بالكلمة مع بقاء المعنى مثل ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] - أو - (كالصوف المنفوش) أو باختلاف الكلمة واختلاف (المعنى)^(٣)، مثل ﴿وَطَلَعَ مَنْضُودٌ﴾ [الواقعة: ١٩] (وطلع منضود) أو بالتقدم والتأخر: مثل ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] أو (سكرة الحق بالموت) أو بالزيادة، مثل ﴿تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَجَّةً - أنثى﴾ [ص: ٢٣] ﴿وَأَمَّا أَلْفَلُكُ فَكَانَ - كافراً وكان - أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠] ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَهِهِمْ - لهن - عَفْوَ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

(القول الخامس): أن المراد بالأحرف السبعة معاني القرآن، وهي أمر، ونهي، ووعد ووعد، وقصص، ومجادلة، وأمثال.

قال ابن عطية: وهذا ضعيف؛ لأن هذه لا تسمى حروفاً، وأيضاً فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحليل (حرام)^(٤)، ولا في تغيير شيء من المعاني، وقد أورد القاضي الباقلاني في هذا حديثاً، ثم قال: وليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة بها.

فصل

قال القرطبي: قال كثير من علمائنا (الداودي)^(٥) وابن أبي صفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف من السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف، ذكره ابن النحاس وغيره. قال القرطبي: وقد سوغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها وإنما اختار القراءة المنسوبة إليه؛ لأنه رآها أحسن (والأولى)^(٦) عنده، قال: وقد أجمع المسلمون في هذه الأمصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما رواه ورأوه من القراءات، وكتبوا في ذلك مصنفات، واستمر الإجماع على الصواب، وحصل ما وعد الله من حفظه الكتاب^(٧). قال البخاري^(٨) رَحِمَهُ اللَّهُ:

تأليف القرآن

حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال:

- (١) في (أ): «لا تتغير» وهو خطأ.
- (٢) ساقط من (ج).
- (٣) في (أ): «المعاني».
- (٤) في (أ) و(ط): «حلال»؛ ولا معنى لها، ثم وقفت على عبارة ابن عطية في «تفسيره» (٣٥/١) فقال: «وأيضاً فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا تحليل حرام».
- (٥) في (ط): «المداوردي»!
- (٦) في (أ): «وأولى». وفي «تفسير القرطبي» (٤٦/١)، «ما هو الأحسن عنده والأولى».
- (٧) كتب على حاشية (ج): «آخر الجزء الأول من أجزاء المؤلف».
- (٨) في «فضائل القرآن» (٣٨/٩، ٣٩ فتح) وحذف المصنف، كعادته، من كلام البخاري كلمة «باب». وأخرجه النسائي في «فضائل القرآن» (١٢) من طريق حجاج، عن الأعور، عن ابن جريج بسنده سواء.

(وأخبرني)^(١) يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين عليها السلام إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك ما يضرك؟ قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك، فقالت: لم؟ قال: لعلني أؤلف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيُّ قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول (شيء)^(٢): لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً. لقد نزل بمكة على محمد عليه السلام وإني لجارية ألعب ﴿بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور.

والمراد من التأليف ههنا ترتيب سورة؛ وهذا العراقي سأل أولاً عن أي الكفن خير أو أفضل، فأخبرته عائشة عليها السلام أن هذا مما لا ينبغي أن يعتنى^(٣) بالسؤال عنه ولا القصد له ولا الاستعداد له، فإن في هذا تكلفاً لا طائل تحته، وكانوا في ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتعنت في الأسئلة، كما سأل بعضهم^(٤) عبد الله بن عمر عن دم البعوض^(٥) [يصيب الثوب، فقال ابن عمر: انظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض]^(٥) وقد قتلوا ابن بنت رسول الله عليه السلام!! ولهذا لم تبالغ معه عائشة عليها السلام في الكلام؛ لئلا يظن أن ذلك أمر مهم^(٦)، وإلا:

فقد روى أحمد^(٧) وأهل السنن من حديث سمرة وابن عباس، عن رسول الله عليه السلام قال: «البسوا

(١) كذا أداة التحمل مسبوقه بواو العطف، قال الحافظ في «الفتح» (٣٩/٩). «كذا عندهم، وما عرفت ماذا عطف عليه، ثم رأيت الواو ساقطة في رواية النسفي وما وقفت عليه من طرق هذا الحديث». اه فتعقبه البدر العيني، كعادته، في «العمدة» (٢٢/٢٠) فقال: «وقال بعضهم، وهو يعني: الحافظ، ما عرفت... إلخ قلت: يجوز أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره أن يقال: قال ابن جريج: أخبرني فلان بكذا وأخبرني يوسف بن ماهك... إلى آخره. انتهى كلام البدر، ولا يخفى ما فيه؛ لأن الحافظ قصد أنه ما وقف على رواية تعين له من الذي عناه ابن جريج لما قال: «وأخبرني» وهذا التجويز الذي ذكره العيني لا يعجز عن تقديره الطالب المبتدئ، فكيف بالحافظ ابن حجر؟ وقد ظهر لي جلياً حرص البدر العيني على تعقب الحافظ ما أمكنه ذلك، ولو بأوهى التعقبات، وذلك أثناء تصنيفي لكتاب «صفو الكدر في المحاكمة بين العيني وابن حجر» وهو خاص بالمسائل الحديثية وما يلتحق بها من أصول ونحوه. فالله المسؤول أن يغفر لنا وإياهم. إنه جواد كريم.

(٢) في (أ): «شيء نزل»؛ وزيادة «نزل» مقحمة لا معنى لها.

(٣) ولهذا كانوا يصرفون السائل إلى ما ينفعه، ومثاله ما رواه الشيخان، عن أنس أن رجلاً سأل النبي عليه السلام فقال: متى الساعة؟ فقال له: «وما أعددت لها؟». فانظر يرحمك الله كيف صرفه عن السؤال الذي لا طائل تحته، ووجهه إلى ما ينبغي له أن يعتني به. وهكذا فليكن الدعاة إلى الله تعالى مع الناس.

(٤) يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري في (ح) صحيحه (٩٥/٧، ٤٢٦/١٠) وفي «الأدب المفرد» (٨٥)؛ والنسائي في «الخصائص» (١٤١)؛ والترمذي (٣٧٧٠) وغيرهم من طريق محمد بن أبي يعقوب، عن عبد الرحمن بن أبي نعيم؛ قال: كنت شاهداً لابن عمر وسأله رجل عن دم البعوض؟ فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق! قال: انظروا إلى هذا؛ يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبي عليه السلام، وسمعت النبي عليه السلام يقول: «هما ريحائتي من الدنيا».

(٥) ساقط من (ج). (٦) وهذا أصل مهم جداً من أصول الدعوة، فتأمله.

(٧) أما حديث ابن عباس، فأخرجه أحمد (٢٣١/١، ٢٤٧، ٣٢٨، ٣٥٥، ٣٦٣)؛ وأبو داود (٣٨٧٨)؛ =

من ثيابكم البياض، وكفنوا فيها موتاكم، فإنها أطهر وأطيب» وصححه الترمذي من الوجهين. وفي «الصحيحين»^(١) عن عائشة أنها قالت: كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وهذا محرر في «باب الكفن» من «كتاب الجنائز».

ثم سألها عن ترتيب القرآن، فانتقل إلى سؤال كبير، وأخبرها أنه يقرأ غير مؤلف؛ أي: مرتب السور، وكان هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم وقبل الإلزام^(٢) به، والله أعلم، ولهذا أخبرته إنه لا يضرك بأي سورة بدأت، وإن أول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار، وهذه إن لم تكن ﴿أقرأ﴾ [العلق: ١] فقد يحتمل أنها أرادت اسم جنس لسور المفصل التي فيها الوعد والوعيد ثم لما انتقاد الناس إلى التصديق أمروا ونهوا بالتدريج أولاً فأولاً، وهذا من حكمة الله ورحمته.

ومعنى هذا الكلام أن هذه السورة أو السور التي فيها ذكر الجنة والنار ليست البداءة بها في أوائل المصاحف مع أنها من أول ما نزل، «وهذه البقرة والنساء من أوائل ما في المصحف وقد نزلت عليه في المدينة وأنا عنده».

فأما ترتيب الآيات في السور، فليس في ذلك رخصة بل هو أمر توقيفي عن رسول الله ﷺ كما تقدم تقرير ذلك، ولهذا لم ترخص له في ذلك، بل أخرجت له مصحفها فأملت عليه أي السور، والله أعلم.

وقول عائشة: لا يضرك بأي سورة بدأت يدل على أنه لو قدم بعض السور أو آخر كما

= والنسائي (١٤٩/٨، ١٥٠)؛ والترمذي (٩٩٤)؛ وفي «الشماثل» (٥١)؛ وابن ماجه (١٤٧٢، ٣٤٩٧)؛ وابن حبان (١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١)؛ والحاكم (٣٤٥/١، ١٨٥/٤) وآخرون من طرق عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً فذكره.

وصححه الترمذي، والحاكم: على شرط مسلم، وابن القطان كما في «التلخيص» (٦٩/٢) وجود المصنف إسناده عند الآية رقم (٣١) من سورة الأعراف.

وأما حديث سمرة بن جندب؛ فأخرجه النسائي (٣٤/٤، ٢٠٥/٨)؛ وأحمد (٢٠/٥، ٢١)؛ وعبد الرزاق (٦١٩٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٧/رقم ٦٩٧٥، ٦٩٧٦)؛ والحاكم (١٨٥/٤)؛ والبيهقي (٤٠٣/٣) من طريق أيوب السخيتاني، عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، عن سمرة مرفوعاً.

وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وقد اختلف في إسناده وقد فصلت ذلك في «التسلي».

(١) أخرجه البخاري (١٣٥/٣، ٤٠)؛ ومسلم (٤٥/٩٤١)؛ وأبو نعيم في «المستخرج» (ج١٦/ق٢٤/١)؛ وأبو داود (٣١٥١، ٣١٥٢)؛ والنسائي (٣٥/٤، ٣٦)؛ والترمذي (٩٩٦)؛ وابن ماجه (١٤٦٩)؛ وأحمد (٦/١١٨، ٢١٤) وآخرون من طرق عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.

(٢) كذا قال المصنف، وتعقبه الحافظ في «الفتح» (٣٩/٩، ٤٠) قائلاً: «كذا قال! وفيه نظر فإن يوسف بن ماهك لم يدرك زمان إرسال عثمان المصاحف إلى الآفاق، فقد ذكر المزي أن روايته عن أبي بن كعب مرسله، وأبي عاش بعد إرسال المصاحف على الصحيح، وقد صرح يوسف في هذا الحديث أنه كان عند عائشة حين سألها هذا العراقي، والذي يظهر لي أن هذا العراقي كان يأخذ بقراءة ابن مسعود لما حضر مصحف عثمان إلى الكوفة، لم يوافق على الرجوع عن قراءته ولا على إعدام مصحفه فكان تأليف مصحفه مغايراً لتأليف مصحف عثمان، ولا شك أن تأليف المصحف العثماني أكثر مناسبة من غيره، فلهذا أطلق العراقي أنه غير مؤلف». اهـ. ونقله العيني في «العمدة» (٢٢/٢٠) ملخصاً، ولم يعزه لقائله!

(دل) ^(١) عليه حديث حذيفة (وابن مسعود) ^(٢) وهو في «الصحيح» ^(٣) أنه ﷺ قرأ في قيام الليل البقرة ثم النساء ثم آل عمران.

وقد حكى ^(٤) القرطبي، عن أبي بكر بن الأنباري في «كتاب الرد» أنه قال: فمن آخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات، وغير الحروف والآيات، وكان مستنده اتباع مصحف عثمان رضي الله عنه، فإنه مرتب على هذا النحو المشهور.

والظاهر أن ترتيب السور (فيه) ^(٥) منه ما هو راجع إلى رأي عثمان رضي الله عنه، وذلك ظاهر في سؤال ابن عباس له عن ترك البسملة في أول براءة وذكره الأنفال من الطول، والحديث في الترمذي وغيره بإسناد جيد ^(٦) قوي.

وقد ذكرنا عن علي أنه كان قد عزم على ترتيب القرآن بحسب نزوله ولهذا حكى القاضي الباقلاني أن أول مصحفه كان ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝﴾ [العلق] وأول مصحف ابن مسعود ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝﴾ [الفاتحة] ثم البقرة ثم النساء ^(٧) [على ترتيب مختلف، وأول مصحف أبي (الحمد لله) ثم النساء] ^(٨) ثم آل عمران ثم الأنعام ثم المائدة ثم كذا على اختلاف شديد.

ثم قال ^(٩) القاضي: ويحتمل أن ترتيب السور في المصحف على ما هو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم. وكذا ذكر مكي في تفسير سورة براءة، قال: فأما ترتيب الآيات والبسملة في الأوائل فهو من النبي ﷺ.

وقال ابن ^(٨) وهب في (جامعه) ^(٩): سمعت سليمان بن بلال يقول: سئل ربيعة لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة؟ فقال: قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه، وقد أجمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ينتهي إليه ولا يسئل عنه.

قال ابن وهب: وسمعت مالكا يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ. قال أبو الحسن بن بطلال ^(١٠): (إنما يجب) ^(١١) تأليف سوره في الرسم والخط خاصة، ولا نعلم أن أحداً قال: إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي القرآن ودرسه، وإنه لا يحل لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة، ولا الحج بعد الكهف، ألا ترى إلى قول عائشة: لا يضرك أيه قرأت قبل، وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة، ثم يقرأ في الركعة الأخرى بغير السورة التي تليها.

(١) في (أ): «يدل».

(٢) ساقط من (أ).

(٣) يعني: «صحيح مسلم» وهو يقصد حديث حذيفة الذي مضى تخريجه. والحمد لله.

(٤) انظر هذا القول في «تفسير القرطبي» (٦٠/١، ٦١) ولم ينقلها المصنف بنصها، إنما تصرف فيها.

(٥) ساقط من (أ).

(٦) كذا قال! وقد ذكرنا قبل ذلك أنه حديث منكر، فراجع.

(٧) ساقط من (ج).

(٨) انظر هذه القول في «تفسير القرطبي» (٦٠/١، ٦١) ولم ينقلها المصنف بنصها، إنما تصرف فيها.

(٩) في (أ): «طائفة»!!

(١٠) انظر هذه القول في «تفسير القرطبي» (٦٠/١، ٦١) ولم ينقلها المصنف بنصها، إنما تصرف فيها.

(١١) في (أ): «إنا نجد»!

قال: وأما ما روي عن ابن مسعود^(١) وابن عمر أنهما كرهاً أن يقرأ القرآن (منكوساً)^(٢)، وقالوا: إنما ذلك منكوس القلب، فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة فيبتدئ بآخرها إلى أولها، فإن ذلك حرام محظور^(٣).

(ثم قال البخاري): حدثنا آدم، عن شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال: سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: «إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي». انفرد بإخراجه البخاري^(٤).

والمراد منه ذكر ترتيب هذه السور في مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية.

وقوله: «من العتاق الأول»؛ أي: من قديم ما نزل.

وقوله: «وهن من تلادي»؛ أي: من قديم ما قنيت وحفظت، والتالد في لغتهم: قديم المال والمتاع، والطارف: حديثه وجديده، والله أعلم.

حدثنا أبو^(٥) الوليد، حدثنا شعبة، أنا أبو إسحاق سمع البراء بن عازب الله ﷺ يقول: تعلمت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قبل أن يقدم النبي ﷺ.

وهذا متفق عليه وهو قطعة من حديث الهجرة. والمراد منه أن ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى] سورة مكية نزلت قبل الهجرة، والله أعلم.

(١) أخرجه عبد الرزاق (ج ٤/رقم ٧٩٤٧)؛ وابن أبي شيبة (١٠/٥٦٤)؛ وأبو عبيد (ص ٦٥) من طريق الثوري وأبي معاوية معاً عن الأعمش، عن شقيق أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: يا أيها الناس تعلموا القرآن، فإن أحذكم لا يدري متى يخيل إليه. قال: وجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن أرايت إلى رجل يقرأ القرآن منكوساً؟ قال: ذلك منكوس القلب. وأتى بمصحف قد ذهب وزين فقال عبد الله: «إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق». هذا لفظ عبد الرزاق. ولفظ ابن أبي شيبة مختصر. وسنده صحيح.

(٢) في (ج) و(ل): «مقلوباً».

(٣) إلى هنا انتهى كلام ابن بطال.

(٤) في «فضائل القرآن» (٩/٣٩ - فتح)، وأخرجه أيضاً في (٨/٣٨٨، ٤٣٥)، وأخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢١٠) قال: أخبرنا عمرو بن مرزوق، أنبأ شعبة به وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/١٣٦) لابن مردويه، وعزاه الحافظ في «الفتح» (٨/٤٣٥) للإسماعيلي وقد خولف شعبة فيه. خالفه المسعودي، فرواه عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن أبيه عبد الله بن مسعود فذكره. أخرجه أبو عبيدة في «الفضائل» (ص ١٣٣) وقال: «كان شعبة يخالفه في الإسناد» ولا شك أن رواية شعبة أقوى، وهي المحفوظة. والمسعودي كان اختلط.

وقال أبو عبيد: «قوله: «من تلادي»؛ يعني: من قديم ما أخذت من القرآن، وذلك أن هذه السور نزلت بمكة». اهـ.

(٥) أخرجه البخاري في «الفضائل» (٩/٣٩).

وأخرجه البخاري أيضاً (٥/٩٣ و ٦/٦٢٢ و ٧/٢٤٠، ٢٥٥ و ١٠/٧٠ - فتح)؛ ومسلم في «الأشربة» (٩ - ٢٠/٩٠، ٩١)؛ وفي «الزهد» (٩ - ٢٠/٧٥).

وقول المصنف ﷺ: «متفق عليه»؛ يعني: على أصل الحديث، وإلا فلم يرو مسلم قول البراء الذي أخرجه البخاري. والله أعلم.

(ثم قال)^(١): حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن شقيق قال: قال عبد الله: لقد علمت^(٢) النظائر التي كان النبي ﷺ يقرؤها ثنتين اثنتين في كل ركعة، فقام عبد الله ودخل معه علقمة، وخرج علقمة فسألناه، فقال: عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود، آخرهن من الحواميم (حم الدخان وعم يتساءلون).

هذا التأليف الذي عن ابن مسعود غريب مخالف لتأليف عثمان رضي الله عنه، فإن المفصل في مصحف عثمان رضي الله عنه من سورة الحجرات إلى آخره، وسورة الدخان لا تدخل فيه بوجه، والدليل على ذلك ما: رواه الإمام أحمد^(٣) حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جده أوس بن حذيفة قال: كنت في الوفد الذين أتوا (النبي)^(٤) ﷺ فذكر حديثاً فيه أن النبي ﷺ كان يسمر معهم بعد العشاء، فمكث عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء، قال: قلنا: ما أمكثك عنا يا رسول الله؟ قال: «طراً عليّ حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه».

قال: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من (ق) حتى يختم.

ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي به. وهذا إسناد حسن.

فصل

فأما نقط المصحف وشكله، فيقال: إن أول من أمر به عبد الملك بن مروان، فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يعمر ففعلا ذلك، ويقال إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي، وذكروا أنه كان لمحمد بن سيرين مصحف قد نقطه له يحيى بن يعمر، والله أعلم.

(١) يعني: البخاري في «الفضائل» (٣٩/٩ - فتح).

وأخرجه مسلم (٢٧٥/٧٢٢ - ٢٧٨)؛ وأبو داود (١٣٩٦)؛ والنسائي (١٧٤/٢ - ١٧٦)؛ والترمذي (٦٠٢)؛ وأحمد (٣٨٠/١، ٤١٧، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٥٥) وغيرهم، وقد سقت طرقه وألفاظه في «التسلي».

(٢) كذا في «الأصول» كلها، والذي في «البخاري»: «تعلمت» ولم يشر الحافظ إلى وقوع هذا اللفظ في إحدى روايات «الصحيح» فآله أعلم.

(٣) في «مسنده» (٩/٤، ٣٤٣) ومن طريقه المزي في «التهذيب» (٤١١/١٩).

وأخرجه أبو داود (١٣٩٣)؛ وابن ماجه (١٣٤٥)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (١٦/٢/١)؛ وابن أبي شيبه (٥٠١/٢، ٥٠٢)؛ والطيالسي (١١٠٨)؛ وابن سعد في «الطبقات» (٥١٠/٥)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص ٩٢، ٩٣) في آخرين من طرق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن جده أوس بن حذيفة فذكره.

وإسناده محتمل للتحسين، لولا الاختلاف الذي وقع في إسناده والذي يترجح لدي ضعف إسناده. والله أعلم.

(٤) في (ج): «رسول الله»؛ وكتب فوقها بخط دقيق: «النبي».

وأما كتابة الأعشار على الحواشي، فينسب إلى الحجاج أيضاً.
وقيل: بل أول من فعله المأمون.

وحكى أبو عمرو الداني، عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف وكان يحكه، وكره مجاهد ذلك أيضاً.

وقال مالك: لا بأس به بالحبر. فأما بالألوان المصبغة فلا. وكره تعداد آي السور في أولها في المصاحف الأمهات، فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأساً.

وقال قتادة: بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا.

وقال يحيى بن (أبي)^(١) كثير: أول ما أحدثوا النقط، وقال: هو نور له، ثم أحدثوا النقط عند آخر الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم.

ورأى إبراهيم النخعي: فاتحة سورة كذا، فأمر بمحوها، وقال: قال ابن مسعود: لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه.

قال أبو عمرو الداني: ثم قد أطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الأمهات وغيرها.

ثم قال البخاري رحمه الله: ^(٢) كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ.

قال مسروق عن فاطمة، عن عائشة: أسر إلي رسول الله ﷺ: «إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي». هكذا ذكره ^(٣) معلقاً، وقد أسنده ^(٤) في (موضع) ^(٥) آخر.

ثم قال ^(٦): حدثنا يحيى بن قزعة، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في (شهر) ^(٧) رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة.
وهذا الحديث متفق ^(٨) عليه.

وقد تقدم الكلام عليه في أول الصحيح وما فيه من الحكم والفوائد، والله أعلم.
ثم قال ^(٩): حدثنا خالد بن يزيد، حدثنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي

(١) ساقط من (أ).

(٢) أسقط المصنف من كلام البخاري كلمة: «باب»، وقد نهينا عليه قبل ذلك.

(٣) في «فضائل القرآن» (٤٣/٩ - فتح).

(٤) في «كتاب الاستئذان» (٧٩/١١، ٨٠). وأخرجه مسلم (٥/١٦ - نووي).

(٥) في (أ): «مواضع». (٦) يعني: البخاري في «الفضائل» (٤٣/٩).

(٧) ساقط من (أ).

(٨) أخرجه البخاري (٣٠/١) و١١٦/٤ و٣٠٥/٦ و٥٦٥؛ وفي «الأدب المفرد» (٢٩٢)؛ ومسلم (٥٠/٢٣٠٨)؛

والنسائي (١٢٥/٤)؛ والترمذي في «الشمائل» (٣٤٦)؛ وأحمد (٢٨٨/١)، ٣٢٦، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٣

وآخرون من طرق عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس فذكره.

(٩) يعني: البخاري في «الفضائل» (٤٣/٩).

هريرة قال: كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشراً؛ فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه.

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن أبي بكر - وهو ابن عياش - عن أبي حصين واسمه عثمان بن عاصم به.

والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابله على ما أوحاه إليه عن الله تعالى ليبقى ما بقي، ويذهب ما نسخ توكيداً واستثباتاً وحفظاً.

ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره ﷺ (اقتراب أجله)^(١) على جبريل مرتين وعارضه به جبريل كذلك، ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله.

وعثمان رضي الله عنه جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة رضي الله عنه وأرضاه، وخص بذلك رمضان من بين الشهور؛ لأن ابتداء الإحياء كان فيه. ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه، ومن ثم كثر اجتهاد الأئمة في تلاوة القرآن، كما تقدم ذكرنا لذلك.

القراء من أصحاب النبي ﷺ

حدثنا^(٢) حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن عمرو، عن إبراهيم، عن مسروق ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود فقال: لا أزال أحبه، سمعت النبي ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب رضي الله عنه». وقد أخرجه^(٣) البخاري في «المناقب» في غير موضع، ومسلم والنسائي من حديث الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق به.

فهؤلاء أربعة: اثنان من المهاجرين الأولين: عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين، وكان يؤم الناس قبل مقدم النبي ﷺ (في)^(٤) المدينة، واثنان من الأنصار: معاذ بن جبل وأبي بن كعب، وهما سيدان كبيران رضي الله عنهم أجمعين. ثم قال^(٥): حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد الله فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أنني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم. قال شقيق: فجلست في الحلقة أسمع ما يقولون فما سمعت راداً يقول غير ذلك.

(١) ساقط من (أ) و(ط) و(ل) وهي زيادة قلقة، وإن كان لها وجه في الكلام.

(٢) البخاري في «فضائل القرآن» (٦٤/٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٢/٧)؛ ومسلم (١١٦/٢٤٦٤، ١١٧).

(٤) ساقط من (أ).

(٥) البخاري في «الفضائل» (٤٦/٩، ٤٧).

وأخرجه مسلم (١١٤/٢٤٦٢)؛ والنسائي (١٣٤/٨) وفي «الفضائل» (٢٢)؛ وأحمد (٤١١/١)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص ١٥) من طرق عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود وتقدم طرق أخرى لهذا الحديث.

حدثنا^(١) محمد بن كثير، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كنا بحمص فقرأ ابن مسعود سورة يوسف فقال رجل: ما هكذا أنزلت، فقال: قرأت على رسول الله ﷺ فقال: «أحسن» ووجد منه ريح الخمر، فقال: أتجترئ أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر؟ (فجلده)^(٢) الحد.

حدثنا^(٣) عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا مسلم عن مسروق قال: قال عبد الله: والذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه. وهذا كله حق وصدق، وهو من إخبار الرجل (بما)^(٤) يعلم من نفسه مما قد يجهره غيره، فيجوز ذلك للحاجة كما قال تعالى إخباراً عن يوسف لما قال لصاحب مصر: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ [يوسف: ٥٥].

ويكفيه مدحاً وثناءً قول رسول الله ﷺ: «استقرئوا القرآن من أربعة» فبدأ به.

وقال أبو^(٥) عبيد: حدثنا مصعب بن المقدم، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عمر، عن النبي ﷺ: «من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

وهكذا رواه الإمام^(٦) أحمد، عن أبي معاوية، عن الأعمش به مطولاً وفيه قصة.

(١) البخاري في «الفضائل» (٤٧/٩).

وأخرجه مسلم، والنسائي في «فضائل القرآن» (١٠٥)؛ وأحمد (٣٥٩١، ٤٠٣٣)؛ والإسماعيلي وأبو عوانة، وأبو نعيم جميعاً في «المستخرج»، كما في «الفتح» (٤٩/٩) من طرق عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود به.

(٢) كذا في «الأصول» كلها، وفي «الصحيح»: «فضربه».

(٣) البخاري في «الفضائل» (٤٧/٩). وقد تقدم تخريجه.

(٤) في (أ): «مما».

(٥) في «فضائل القرآن» (ص ٢٥٥) ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٤٢١). وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٥٦)؛ والبرجلاني في «الكرم والجود» (٧٨)؛ والحاكم في «المستدرک» (٢/٢٢٧ و ٣/٣١٨)؛ والخطيب في «تاريخه» (٤/٣٢٦) وفي «التلخيص» (١/٣٨٨) من طرق عن مصعب بن المقدم بسنده سواء. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٦) في «مسنده» (٢٥، ٢٦) قال: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: جاء رجل إلى عمر وهو بعرفة. قال أبو معاوية: وحدثنا الأعمش، عن خيثمة، عن قيس بن مروان أنه أتى عمر فقال... وساق حديثاً طويلاً ذكرته في «التسليّة» وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٥٧)؛ وأبو يعلى (١٩٤)؛ والطحاوي في «المشكّل» (٥٥٩٤)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٤٢٢)؛ والضياء في «المختارة» (٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨) من طرق عن الأعمش بالوجهين معاً. وإسنادهما صحيح.

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٥٦)؛ والترمذي (١٦٩)؛ وابن أبي شيبه (٢/٢٨٠ و ١٠/٥٢٠)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص ٢٢٤، ٢٢٥)؛ وابن خزيمة (١١٥٦، ١٣٤١)؛ وابن حبان (٢٠٣٤)؛ وأبو يعلى (١٩٥)؛ والبرجلاني في «الكرم والجود» (٧٨) في آخرين من طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عمر... فذكره.

ووهب ابن التركماني في «الجواهر النقي» (١/٤٥٢) إذ ظن أن علقمة الذي روى هذا الحديث عن عمر هو: =

وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي معاوية به .
وصححه الدارقطني وقد ذكرته في «مسند عمر»^(١) .

وفي «مسند الإمام أحمد»^(٢) أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» .

وابن أم عبد؛ هو عبد الله بن مسعود كان يعرف بذلك .

ثم قال البخاري^(٣): حدثنا حفص بن عمر، حدثنا همام، حدثنا قتادة قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد .

ورواه مسلم من حديث (همام)^(٤)، (حدثنا قتادة، قال: سألت...)^(٥) .

ثم قال البخاري: تابعه الفضل^(٦)، عن حسين بن واقد، عن ثمامة، عن أنس بن مالك .

حدثنا معلى بن أسد، حدثنا عبد الله بن المثنى، حدثنا ثابت و ثمامة، عن أنس بن مالك^(٧) قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قال: ونحن ورثناه .

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط، وليس هذا هكذا بل الذي لا يشك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضاً، ولعل مراده لم يجمع

= «علقمة بن وقاص الليثي» راوي حديث: «إنما الأعمال بالنيات» والصحيح أنه «علقمة بن قيس» . والله أعلم .

(١) (١٧١/١ - ١٧٣) وقال بعد ذكر بعض طرقه: «وهذا الحديث لا يشك أنه محفوظ، وهذا الاضطراب لا يضر صحته، والله أعلم» . اهـ .

(٢) «المسند» (٤٤٦/٢) قال: حدثنا وكيع، عن جرير بن أيوب، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره .
ووقع في «المطبوع»: «غريضاً» ثم أعقبه المحقق بقوله: «كذا قال» وصواب اللفظ: «غضاً» وأخرجه أحمد أيضاً في «فضائل الصحابة» (١٥٣٧)؛ وأبو يعلى (ج ١٠/رقم ٦١٠٦)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (١٩٧/١)، (١٩٨)؛ والبخاري (ج ٣/رقم ٢٦٨٢) من طرق عن جرير بن أيوب بسنده سواء .
وقال البزار: «جرير ليس بالحافظ» . اهـ . وتركه النسائي وضعفه ابن السكن والساجي وقال: «جداً» وقال أبو حاتم والبخاري وغيرهما: «منكر الحديث» بل اتهمه الفضل بن دكين بوضع الحديث فالسند ضعيف جداً . والله أعلم .

(٣) في «فضائل القرآن» (٤٧/٩ - فتح) .

وأخرجه مسلم (١٢٠/٢٤٦٥)؛ وأبو يعلى (ج ٥/رقم ٢٨٧٨) من طريقين آخرين عن همام بن يحيى بسنده سواء .

وأخرجه البخاري (١٢٧/٧)؛ ومسلم (١١٩/٢٤٦٥) من طرق عن شعبة، عن قتادة بسنده سواء .

(٤) في (ج): «هشام» وهو تصحيف .

(٥) ساقط من (أ) و(ط) .

(٦) وهذه المتابعة أخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده» عن الفضل وهو ابن موسى السيناني أفاده الحافظ في «الفتح» (٥٢/٩) ثم رواه موصولاً في «التعليق» (٣٨٣/٤) من طريق علي بن الحسن بن شقيق، ثنا الحسين بن واقد فذكره .

(٧) أخرجه البخاري في «فضائل القرآن» (٤٧/٩) وانفرد به .

القرآن من الأنصار، ولهذا ذكر الأربعة من الأنصار وهم أبي بن كعب في الرواية الأولى المتفق عليها، وفي الثانية من أفراد البخاري أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد، وكلهم مشهورون، إلا أبا زيد هذا فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث، وقد اختلف في اسمه.

فقال الواقدي: واسمه قيس بن السكن ابن قيس بن زعورا بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار.

وقال ابن نمير: اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس. وقيل: هما اثنان جمعا القرآن، حكاه أبو عمر ابن عبد البر.

وهذا بعيد، وقول الواقدي أصح؛ لأنه خزرجي لأن أنساً قال: نحن ورثناه وهم من الخزرج. وفي بعض الألفاظ: وكان أحد عمومتي.

وقال قتادة^(١): عن أنس قال: افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومنا الذي حمته الدبر عاصم بن ثابت، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت.

فقالت الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي. وقد شهد أبو زيد هذا بديراً فيما ذكره غير واحد.

وقال موسى بن عقبة الزهري: قتل أبو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبي عبيد على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة.

والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق ﷺ قدمه رسول الله ﷺ في مرضه إماماً على المهاجرين والأنصار مع أنه قال: «يوم القوم أقرؤهم لكتاب الله»^(٢) فلولا أنه كان أقرأهم لكتاب الله لما قدمه عليهم.

هذا مضمون ما قرره الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وهذا التقرير لا يدفع ولا يشك فيه وقد جمع الحافظ ابن السمعاني في ذلك جزءاً. وقد بسطت تقرير ذلك في (كتاب)^(٣) «مسند الشيخين».

(١) أخرجه أبو يعلى (ج ٥/رقم ٢٩٥٣)؛ والبزار (ج ٣/رقم ٢٨٠٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٤/رقم ٣٤٨٨)؛ وأبو نعيم في «المعرفة» (ج ١/١٨٦/١) من طريق عن عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس فذكره.

قال الهيثمي (١٠/٤١): «رجاله رجال الصحيح». وحسن إسناده البوصيري في «الإتحاف» وهو كما قال. والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم (٥/١٧٢، ١٧٣ نووي)؛ وأبو عوانة (٢/٣٥، ٣٦)؛ وأبو داود (٥٨٢)؛ والنسائي (٢/٧٦)؛ والترمذي (١/٤٥٩ - ٥٤٨)؛ وابن ماجه (٩٨٠)؛ وأحمد (٤/١١٨، ١٢١، ٢٧٢)؛ وابن خزيمة (٣/١٠)؛ وابن حبان (٣/٤٤٦، ٤٤٧)؛ وابن الجارود (٣٠٨) وآخرون من طرق عن إسماعيل بن رجاء، عن أوس بن ضمجع، عن أبي مسعود البدي فذكره بتمامه.

(٣) ساقط من (أ).

ومنهم^(١) عثمان بن عفان قد قرأه في ركعة كما سنذكره، وعلي بن أبي طالب^(٢)، يقال: إنه جمعه على ترتيب ما أنزل، وقد قدمنا هذا.

ومنهم^(٣) عبد الله بن مسعود وقد تقدم عنه أنه قال: ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما أنزلت، ولو علمت أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه المطي لذهبت إليه.

ومنهم سالم مولى^(٤) أبي حذيفة، كان من السادات النجباء، والأئمة الأتقياء وقد قتل يوم اليمامة شهيداً.

ومنهم الحبر البحر^(٥) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول وترجمان القرآن، قد تقدم عن مجاهد أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقفه عند كل آية وأسأله عنها.

ومنهم عبد الله بن عمرو^(٥)، كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث ابن جريج، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن عبد الله بن عمرو قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أقرأه في شهر» وذكر تمام الحديث.

ثم قال البخاري^(٦): حدثنا صدقة بن الفضل، أنا يحيى، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال عمر: علي أقضانا، وأبي أقرؤنا، وإنا لندع من لحن أبي. وأبي يقول: أخذته من في رسول الله ﷺ فلا أتركه لشيء؛ قال الله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

وهذا يدل على أن الرجل الكبير قد يقول الشيء يظنه صواباً وهو خطأ في نفس الأمر، ولهذا قال الإمام مالك: ما من أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد إلا قول صاحب هذا القبر؛ أي: فكله مقبول صلوات الله وسلامه عليه.

ثم ذكر البخاري فضل فاتحة الكتاب وغيرها، وذكرنا في تفسيرها فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب.

ثم قال:

نزول السكينة والملائكة عند القراءة

وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم، عن أسيد بن الحضير قال: بينا هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن

(١) ويأتي تخريجه.

(٢) ولم يصح عنه كما تقدم ذكره.

(٣) وهو صحيح عنهم كما تقدم.

(٤) وهو صحيح كما تقدم.

(٥) أخرجه النسائي في «فضائل القرآن» (٨٩)؛ وابن ماجه (١٣٤٦)؛ وأحمد (٦٥/٦)؛ وعبد الرزاق (٥٩٥٦)؛ وابن حبان (٧٥٦، ٧٥٧)؛ والفريابي في «فضائل القرآن» (١٢٧)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٢٨٥/١) من طريق ابن جريج، سمعت ابن أبي مليكة، عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن ابن عمرو فذكره.

وهذا سند متصل رجاله ثقات إلا يحيى بن حكيم بن صفوان فلم يوثقه إلا ابن حبان ولم يرو عنه إلا ابن أبي مليكة. ولكنه متابع.

(٦) في «فضائل القرآن» (٤٧/٩). وأخرجه البخاري في «التفسير» (١٦٧/٨).

تصبيه، فلما (أخره)^(١) رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: «اقرأ يا بن حضير، اقرأ يا بن حضير» قال: فأشفقت أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فرفعت رأسي وانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصاييح فخرجت حتى لا أراها، قال: «أو تدري ما ذاك؟» قال: لا، قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، لو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم».

قال ابن الهاد: وحدثني هذا الحديث عبد الله بن خباب، عن أبي سعيد الخدري عن أسيد بن الحضير.

هكذا أورد البخاري^(٢) هذا الحديث معلقاً وفيه انقطاع في الرواية الأولى، فإن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي المدني تابعي صغير لم يدرك أسيداً؛ لأنه مات سنة عشرين، وصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم فيه غرابة من حيث إنه قال: وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد، ولم أره بسند متصل عن الليث (كذلك)^(٣) إلا ما ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في «الأطراف» أن يحيى بن عبد الله بن بكير رواه عن الليث كذلك.

وقد رواه الإمام^(٤) أبو عبيد في «فضائل القرآن» فقال: وحدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن بكير، عن الليث، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أسيد بن حضير، فذكر الحديث إلى آخره.

ثم قال: قال ابن الهاد: وحدثني عبد الله بن خباب، عن أبي سعيد عن أسيد بن حضير بهذا. وقد رواه النسائي^(٥) في «فضائل القرآن» عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن شعيب بن الليث، وعن علي بن محمد بن علي، عن داود بن منصور، كلاهما عن الليث، عن خالد بن

(١) كذا وقع في (أ)، وكتب بخط دقيق جداً في (ج). ونصر الحافظ في «الفتح» (٦٤/٩) على أن هذا اللفظ وقع في رواية القابسي. ووقع في «الصحيح»: «اجتره»؛ يعني: جره عن المكان الذي هو فيه، خشية أن تطأه الفرس. ووقع في (ج) و(ط): «أخذه» ولم ينبه عليها الحافظ في الفتح. فالله أعلم.

(٢) في «فضائل القرآن» (٦٣/٩) وقد صرح الإسماعيلي في «المستخرج»؛ والضياء في «المختارة»؛ والحافظ في «الفتح» أن الإسناد منقطع بين محمد بن إبراهيم التيمي وأسيد بن حضير، وعندني أن البخاري خرج هذا الإسناد عرضاً لأجل الإسناد الموصول الذي ذكره في آخر الحديث، لذا فالتعويل على الإسناد الموصول كما قال الحافظ وغيره. وقد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٦٢) من طريق محمد بن عمرو، عن محمد بن إبراهيم، عن محمود بن لبيد أن أسيد بن حضير فساقه فهذا يؤيد الانقطاع.

(٣) في (أ): «بذلك».

(٤) (ص ٢٦) وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٨٤/٧)؛ وأبو نعيم في «المعرفة» (٨٧٦)، وفي «الدلائل» (٥٠٢)، والحافظ في «التغليق» (٣٨٧/٤) من طريق يحيى بن بكير، حدثنا الليث بن سعد بسنده سواء.

(٥) في «فضائل القرآن» (٤١، ٩٩) وعنه الضياء في «المختارة» (١٤٦٤) من طريق سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن الهاد بسنده سواء.

وتابعه الدراوردي ويحيى بن أيوب كلاهما عن يزيد بن الهاد مثله.

أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٢٨، ١٩٢٩)، والطبراني في «الكبير» (٥٦١).

يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن يزيد بن عبد الله - وهو ابن الهاد - عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد، عن أسيد به.

ورواه يحيى بن بكير، عن الليث كذلك أيضاً فجمع بين الإسنادين.

ورواه في «المناقب»^(١) عن أحمد بن سعيد الرباطي، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الله بن خباب، عن أبي سعيد أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده... الحديث.

ولم يقل: «عن أسيد»، ولكن ظاهره أنه عنه، والله أعلم.

وقال أبو^(٢) عبيد: حدثني عبد الله بن صالح، عن الليث، عن ابن شهاب، عن ابن كعب بن مالك، عن أسيد بن حضير أنه كان يقرأ على ظهر بيته، يقرأ القرآن وهو حسن الصوت. ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه.

وحدثنا^(٣) قبيصة، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أسيد بن حضير قال: قلت: يا رسول الله بينا أنا أقرأ البارحة بسورة، فلما انتهيت إلى آخرها سمعت وجبة من خلفي حتى ظننت أن فرسي تطلق، فقال رسول الله: «اقرأ أبا عتيك مرتين»، قال: فالتفت فرأيت إلى أمثال المصابيح ما بين السماء والأرض، فقال رسول الله: «اقرأ أبا عتيك» فقال: والله ما استطعت أن أمضي، فقال: «تلك الملائكة تنزل لقراءة القرآن، أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب».

وقال أبو داود^(٤) الطيالسي: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمع البراء يقول: بينما رجل يقرأ

(١) في «فضائل الصحابة» رقم (١٤٠).

وأخرجه مسلم (٧٩٦/٢٤٢)؛ وأحمد (٨١/٣) من طريق يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الله بن خباب، عن أبي سعيد أن أسيداً... وساق الحديث.

* قلت: هكذا رواه إبراهيم بن سعد، عن يزيد بن الهاد فجعله من مسند «أبي سعيد» وكأن الوجهين محفوظان، قال الضياء في «المختارة» (٢٦٨/٤): «إنه بمسند أسيد أشبه وذلك أن في الحديث قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! بينما أنا البارحة... وساق الحديث».

(٢) في «فضائل القرآن» (ص ٢٧).

وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣١٣/١/٣) قال: وقال ابن يوسف: ثنا الليث، حدثني ابن شهاب، عن ابن كعب، هو ابن مالك، أن أسيداً... فذكره.

وابن يوسف هو عبد الله بن يوسف التنيسي.

(٣) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٢٧).

وأخرجه ابن حبان (١٧١٦)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٣٠)؛ والدولابي في «الكنى» (١/٨٣)؛ والطبراني في «الكبير» (٥٦٦)؛ والحاكم (٥٥٤/١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٨٢٤) من طرق عن حماد بن سلمة بسنده سواء.

ورواه عن حماد: «عفان بن مسلم، والتبوكي، وهدة بن خالد».

(٤) في «مسنده» (٧١٤).

وأخرجه مسلم (٧٩٥/٢٤١)؛ والترمذي (٢٨٨٥)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٨٣/٧)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣٤٢/٤) من طريق الطيالسي بسنده سواء.

وأخرجه البخاري (٦٢٢/٦)؛ ومسلم (٧٩٥/٢٤١).

سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض - أو قال: فرسه يركض - فنظر فإذا مثل الضبابة أو مثل الغمامة، فذكر ذلك لرسول الله، فقال: «تلك السكينة تنزلت للقرآن - أو تنزلت على القرآن».

وقد أخرجه صاحب «الصحيح» من حديث شعبة.

والظاهر أن هذا هو أسيد بن الحضير رضي الله عنه.

فهذا مما يتعلق بصناعة الإسناد، وهذا من أغرب تعليقات البخاري رحمه الله، ثم سياقه ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة.

وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس، كما:

قال أبو عبيد^(١): حدثنا عباد بن عباد، عن جرير بن حازم، عن عمه جرير بن يزيد أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس؟ لم تزل داره البارحة تزهو مصابيح قال: «فلعله قرأ سورة البقرة»، قال: فسئل ثابت فقال: قرأت سورة البقرة.

وفي الحديث المشهور الصحيح «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزل عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

رواه مسلم^(٢) عن أبي هريرة.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] جاء في بعض التفاسير أن الملائكة تشهده.

وقد جاء في «الصحيحين»^(٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيعرج إليه الذين نزلوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون».

(١) في «فضائل القرآن» (ص ٢٧).

وعزاه الحافظ في «الفتح» (٧٥/٩) لأبي داود، وقال: «من طريق مرسل».

وقال الحافظ ابن كثير في أول سورة البقرة: «هذا إسناد جيد، إلا أن فيه إبهاماً، ثم هو مرسل» اهـ.

(٢) في «صحيحه» (٣٨/٢٦٩٩) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً مطولاً. وأخرجه الترمذي (٢٩٤٥)؛ وابن ماجه (٢٢٥)؛ وأحمد (٢٥٢/٢، ٤٠٧) وغيرهم من طريق الأعمش. وهو عند أبي داود (١٤٥٥، ٤٩٤٦)؛ والنسائي، كما في «الأطراف» (٣٧٥/٩)، مختصراً.

وعزاه الزيلعي في «نصب الراية» (٣٠٧/٣) للبخاري فوهم، وقد قال الحافظ في «الفتح» (١٧٤/١): «لم يخرج المصنف، يعني: البخاري، لاختلاف فيه» اهـ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣/٢، ٤١٥/١٣، ٤٦١)؛ ومسلم (٢١٠/٦٣٢) من طريق أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعاً... فذكره.

وأخرجه النسائي (٢٤٠/١، ٢٤١)؛ وأحمد (٤٨٦/٢)؛ وأبو عوانة (٣٧٨/١)؛ وابن حبان (١٧٣٧) وغيرهم عن أبي الزناد. وللحديث طرق عن أبي هريرة.

من قال: لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين

حدثنا قتيبة^(١)، حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رفيع قال: دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس، فقال له شداد بن معقل: أترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين. قال: ودخلنا على محمد ابن الحنفية فسألناه، فقال: ما ترك إلا ما بين الدفتين.

تفرد به البخاري^(٢)، ومعناه أنه ﷺ ما ترك مالا ولا شيئا يورث عنه، كما قال عمرو^(٣) بن الحارث أخو جويرية: ما ترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا. وفي حديث^(٤) أبي الدرداء «إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذه بحظ وافر».

ولهذا قال ابن عباس: وإنما ترك ما بين الدفتين يعني القرآن، والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة؛ أي: تابعة له، والمقصود الأعظم كتاب الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢].

فالأنبياء ﷺ لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها، وإنما خلقوا للآخرة يدعون إليها ويرغبون فيها، ولهذا قال^(٥) رسول الله ﷺ: «(لا نورث)»^(٦) ما تركنا فهو صدقة».

وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصديق ﷺ لما سئل ميراث رسول الله ﷺ فأخبر عنه بذلك، ووافقه على نقله عنه ﷺ غير واحد من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلي والعباس وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم، وهذا ابن عباس يقوله أيضاً عنه ﷺ، رضي الله عنهم أجمعين.

فضل القرآن على سائر الكلام

حدثنا هبة بن خالد أبو خالد، حدثنا همام، (حدثنا قتادة)^(٧)، حدثنا أنس بن مالك، عن أبي موسى ﷺ، عن النبي ﷺ: «مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمر طعمها طيب ولا ریح لها. ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل

(١) في «البخاري»: «قتيبة بن سعيد».

(٢) في «فضائل القرآن» (٦٤/٩).

وأخرجه الإسماعيلي في «مستخرجه»، كما في «الفتح»، و«عمدة القاري» (٣٧/٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦/٥ و ٧٥/٦، ٩٧، ٢٠٩ و ١٤٨/٨)؛ والنسائي (٢٢٩/٦)؛ والترمذي في «الشمائل» (٣٨١)؛ وأحمد (٢٧٩/٤) وغيرهم من طرق عن أبي إسحاق السبيعي، عن عمرو بن الحارث.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)؛ وابن ماجه (٢٢٣)؛ والدارمي (٨٣/١)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/٤)؛ (٣٣٧)؛ وابن حبان (٨٠) وهو حديث حسن، ووقع في إسناده اختلاف ذكرته في «التسليمة» فاطلبه هناك. والله الموفق.

(٥) أخرجه مالك (٢٧/٩٩٣)؛ والبخاري (١٩٦/٦، ١٩٧، ٧٧/٧، ٧٨، ٣٣٦، ٤٩٣ و ٥/١٢)؛ ومسلم (٥٤ - ٥١/١٧٨٥).

(٧) ساقط من (أ).

(٦) ساقط من (أ).

الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها».

وهكذا رواه^(١) في مواضع آخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به.

ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجوداً وعدماً، فدلّ على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر.

(ثم قال)^(٢): حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثني عبد الله بن دينار قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا: نحن أكثر عمالاً وأقل عطاءً، قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذاك فضلي أوتيته من شئت».

تفرد به من هذا الوجه ومناسبه للترجمة أن هذه الأمة مع قصر مدتها فضلت الأمم الماضية مع طول مدتها، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي «المسند»^(٣) و«السنن» عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم توفون سبعين أمةً، أنتم خيرها وأكرمها على الله».

وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم القرآن الذي شرفه الله على كل كتاب أنزله وجعله مهيمناً عليه وناسخاً له وخاتماً له؛ لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة، وهذا القرآن نزل منجماً بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وبمن أنزل عليه، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة.

(١) في «فضائل القرآن» (٦٥/٩، ٦٦).

وأخرجه البخاري أيضاً في «التوحيد» (٥٣٥/٩)؛ ومسلم (٢٤٣/٧٩٧).

(٢) البخاري في «فضائل القرآن» (٦٦/٩).

وأخرجه أحمد (١١١/٢، ١١٢) من طريق سفيان، حدثني عبد الله بن دينار، عن ابن عمر.

وأخرجه البخاري في «الإجازة» (٤٤٦/٤، ٤٤٧)؛ والترمذي (٢٨٧١) من طريق مالك، عن عبد الله بن دينار وتابعه إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار به. أخرجه ابن حبان (٦٦٣٩، ٧٢١٧) وله طرق أخرى عن ابن عمر.

(٣) أخرجه أحمد (٣/٥، ٥)؛ والترمذي (٣٠٠١)؛ وابن ماجه (٤٢٨٧، ٤٢٨٨)؛ وعبد بن حميد (٤٠٩)؛ والطبري في «تفسيره» (٢٠٩/١، ٣٠/٤)؛ ونعيم بن حماد في «زوائد الزهد» (٣٨٢)؛ والحاكم (٨٤/٤)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٩/رقم ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥)؛ والبيهقي (٥/٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج ٤/٤٤٣)؛ وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣٠/١) من طرق عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده مرفوعاً فذكره.

قال الترمذي: «حديث حسن» وهو كما قال: وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وله طرق أخرى عن حكيم بن معاوية.

تنبيه: قول المصنف: «والسنن» فيه تسامح، فلم يخرج من أهل السنن غير اثنين حسب.

وأعظم الأمم المتقدمة هم اليهود والنصارى، فاليهود استعملهم الله من لدن موسى إلى زمان عيسى، والنصارى من ثم إلى أن بعث محمداً ﷺ ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة، وهو المشبه بآخر النهار، وأعطى المتقدمين قيراطاً قيراطاً، وأعطى هؤلاء قيراطين قيراطين ضعفي ما أعطى أولئك، فقالوا: أي ربنا ما لنا أكثر عملاً وأقل أجراً؟ فقال: هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذاك فضلي؛ أي: الزائد على ما أعطيتكم أوتيه من أشياء، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد].

الوصاة بكتاب الله

حدثنا^(١) محمد بن يوسف، حدثنا مالك بن مغول، حدثنا طلحة هو ابن مصرف، سألت عبد الله بن أبي أوفى: أوصى النبي ﷺ؟ قال: لا، قال: قلت: فكيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص؟ قال: أوصى بكتاب الله ﷻ.

وقد رواه في مواضع آخر مع بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق عن مالك بن مغول به.

وهذا نظير ما تقدم عن ابن عباس أنه ما ترك إلا ما بين الدفتين. وذلك أن الناس كتب عليهم الوصية في أموالهم كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] وأما هو ﷺ فلم يترك شيئاً يورث عنه، (وإنما)^(٢) ترك ماله صدقةً جاريةً من بعده فلم يحتاج إلى وصية في ذلك.

ولم يوص إلى خليفة يكون بعده على التنصيب؛ لأن الأمر كان ظاهراً من إشاراته وإيماءاته إلى الصديق، ولهذا لما هم بالوصية إلى أبي بكر ثم عدل عن ذلك قال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»^(٣) وكان كذلك وإنما أوصى الناس باتباع كلام الله.

من لم يتغن بالقرآن

وقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أُنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

حدثنا يحيى^(٤) بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة ؓ أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغن بالقرآن». وقال صاحب له: يريد يعجز به، فرد من هذا الوجه.

(١) البخاري في «فضائل القرآن» (٦٧/٩).

وأخرجه أيضاً في «الوصايا» (٣٥٦/٥) وفي «المغازي» (١٤٨/٨)؛ ومسلم (١٦٣٤/١٦، ١٧).

(٢) في (أ): «وأما»!

(٣) أخرجه البخاري (١٠/١٢٣، ١٣/٢٠٥)؛ ومسلم (١١/٢٣٧٨).

(٤) البخاري في «فضائل القرآن» (٦٨/٩). وأخرجه أيضاً في «التوحيد» (٤٥٣/١٣) وفي «خلق الأفعال»

(٢٤٢)؛ ومسلم (٧٩٢/٢٣٢).

ثم رواه عن علي بن عبد الله المدني، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري به. قال سفيان: تفسيره يستغني به.

وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به.

ومعناه: أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو ﷺ يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم.

كما قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات. ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١]، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم.

ومنهم من فسر الأذن ههنا بالأمر.

والأول أولى لقوله: «ما أذن الله لشيء»، ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن أي: يجهر به، والأذن: الاستماع؛ لدلالة السياق عليه، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۖ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۖ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ﴾ [الانشقاق] أي: استمعت لربها. وحقت أي وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن ههنا هو الاستماع.

ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه^(١) بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قيته».

وقول سفيان بن عيينة: إن المراد بالتغني يستغني به، فإن أراد أنه يستغني به عن الدنيا وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره، فخلافاً للظاهر من مراد

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٤٠)؛ وأحمد (٢٠/٦)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (١٢٤/١/٤)؛ وابن حبان (٦٥٩)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ٥٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٨/رقم ٧٧٢)؛ والبيهقي (١٠/٢٣٠)؛ والسمعاني في «أدب الإملاء» (ص ٩٣، ٩٤) من طرق عن الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة بن عبيد مرفوعاً... فذكره.

قال البوصيري في «الزوائد» (١/٤٣٦): «هذا إسناد حسن» وجوده المصنف كما رأيت وفي قولهما تسامح؛ لأن ميسرة هذا قال الذهبي في «الميزان»: «ما حدث عنه سوى إسماعيل بن عبيد الله» فهو مجهول العين وإن وثقه ابن حبان كما هو معروف. كيف وقد اختلف على الوليد بن مسلم في إسناده فقد رواه دحيم وإسحاق بن إبراهيم الطالقاني عن الوليد، ثنا الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله عن فضالة بن عبيد مرفوعاً. فسقط ذكر «ميسرة». أخرجه أحمد (١٩/٦)؛ والحاكم (٥٧٠/١، ٥٧١) وقال: «صحيح على شرط الشيخين» فردّه الذهبي بقوله: «منقطع» وهذا الوجه أرجح من الأول؛ لأن يحيى بن حمزة والوليد بن مزيد وبشر بن بكر ومحمد بن شعيب بن شابور رووه عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد عن فضالة بن عبيد مثله.

أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٧٧، ٧٨)؛ والحاكم (٥٧٠/١، ٥٧١)؛ والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٨٠)؛ والبيهقي في الشعب (ج ٥/رقم ١٩٥٧). وتابعه ثور بن يزيد، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن فضالة. أخرجه البخاري في «الكبير» (١٢٤/١/٤). فهذا الوجه أقوى بلا ريب فالصواب في الإسناد أنه ضعيف من الوجهين. والله أعلم.

الحديث؛ لأنه قد فسره بعض رواه بالجهر وهو تحسين القراءة والتحزين بها.

قال حرملة: سمعت ابن عيينة يقول: معناه: يستغني به، فقال لي الشافعي: ليس هو هكذا ولو كان هكذا لكان يتغاني، إنما هو يتحزن ويترنم به.

قال حرملة: وسمعت ابن وهب يقول: يترنم به، وهكذا نقل المزني والربيع، عن الشافعي رحمهما الله.

وعلى هذا فتصدير البخاري الباب بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [٥١] [العنكبوت] فيه نظر؛ لأن هذه الآية الكريمة ذكرت رداً على الذين سألوا آيات تدل على صدقه حيث قال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [٥١] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [العنكبوت: ٥٠، ٥١] ومعنى ذلك: أولم يكفهم آية دالة على صدقك إنزالنا القرآن عليك وأنت رجل أمي؟ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّوا بِإِصْبَاحِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [٥١] [العنكبوت] أي: وقد جئت فيه بخبر الأولين والآخرين فأين هذا من التغني بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا؟ فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية فيه نظر.

فَضْلٌ

في إيراد أحاديث في معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالأصوات

قال أبو عبيد^(١): حدثنا عبد الله بن صالح، عن قباث بن رزين، عن علي بن رباح اللخمي، عن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن في المسجد نتدارس القرآن قال: «تعلموا كتاب الله واقتنوه» قال: وحسبت أنه قال: وتغنوا به - فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من المخاض من العقل».

وحدثنا عبد الله^(٢) بن صالح، عن موسى بن علي، عن أبيه، عن عقبة، عن رسول الله ﷺ مثل ذلك إلا أنه قال: «واقتنوه وتغنوا به» ولم يشك.

(١) في «فضائل القرآن» (ص ٢٩). وأخرجه النسائي في «فضائل القرآن» (٦٠، ٧٤)؛ وأحمد (٤/١٥٠، ١٥٣)؛ وأبو يعلى (ج ٣/رقم ١٧٤٠)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٨/رقم ٨٠٠، ٨٠٢) من طرق عن قباث بن رزين، عن علي بن رباح، عن عقبة بن عامر فذكره، ورواه عن قباث: «عبد الله بن صالح، وعبد الله بن يزيد المقرئ، وعبد الله بن المبارك، والليث بن سعد» وسنده جيد، وقباث وثقه بن معين وابن حبان. وقال أحمد وأبو حاتم: «لا بأس به» وتوبع كما يأتي.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٢٩).

وأخرجه النسائي في «فضائل القرآن» (٥٩)؛ والدارمي (٣١٦/٢)؛ وأحمد (٤/١٤٦)؛ وابن أبي شيبة (٢/٥٠٠، ٤٧٧/١٠)؛ وابن حبان (١٧٨٨)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ٩٧)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٨/رقم ٨٠١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٨١٥) من طرق عن موسى بن رباح، عن أبيه، عن عقبة بن عامر مثله. وسنده جيد أيضاً. وموسى بن علي فيه كلام يسير، وهو متابع كما مر آنفاً.

وهكذا رواه (أحمد)^(١) والنسائي في (كتاب)^(٢) «فضائل القرآن» من حديث موسى بن علي، عن أبيه به، ومن حديث عبد الله بن المبارك عن قباث بن رزين، عن علي بن رباح، عن عقبة. وفي بعض ألفاظه: خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا وذكر الحديث.

ففيه دلالة على السلام على القارئ.

(ثم قال)^(٣) أبو عبيد^(٤): حدثنا أبو اليمان عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، عن (المهاضر)^(٥) بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار، وتغنوه وتغنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون». وهذا مرسل.

ثم قال أبو عبيد: قوله: «تغنوه»؛ أي: اجعلوه غناءكم من الفقر ولا تعدوا الإقلال معه فقراً. وقوله: «وتغنوه» يقول: اقتنوه كما تقتنوا الأموال، اجعلوه مالكم.

وقال أبو عبيد^(٦): حدثني هشام بن عمار، عن علي بن حمزة، عن الأوزاعي قال: حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، عن فضالة بن عبيد، عن النبي ﷺ قال: «الله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته».

قال أبو عبيد: هذا الحديث بعضهم يزيد في إسناده. يقول: «عن إسماعيل بن عبيد الله، عن مولى فضالة، عن فضالة».

وهكذا رواه ابن ماجه، عن راشد بن سعيد بن أبي راشد، عن الوليد، عن الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن ميسرة مولى فضالة، عن فضالة، عن النبي ﷺ «الله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته».

(١) ساقط من (أ) و(ط) ولم أر واو العطف بينهما، فيكون الإمام أحمد رواه هو والنسائي، ويحتمل أنه يقصد: «رواه أحمد النسائي»، والنسائي اسمه «أحمد بن شعيب» واستبعد أن يعني ابن كثير هذا، فلم يجر على هذا التعبير، إلا أن يكون سقط من السياق: «ابن شعيب» وعلى كل حال فقد رواه الإمام أحمد والنسائي كما مر بك. والحمد لله.

(٢) ساقط من (ج) و(ط). (٣) في (أ): «وقال».

(٤) في «فضائل القرآن» (ص ٢٩). كذا رواه أبو اليمان الحكم بن نافع مرسلًا. وخالفه بقية بن الوليد والوليد بن مسلم فروياه عن أبي بكر بن أبي مريم، عن المهاضر بن حبيب، عن عبيدة الأملوكي مرفوعاً فذكره.

أخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٨٥٢)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/٢٦٠)؛ وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب» (٢٢٧٠)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج ٤/ق ٥٩٦)؛ وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٢/٢٥٢)؛ للطبراني في «الكبير» وضعفه «أبي بكر بن أبي مريم». وخالفهما عيسى بن يونس وموسى بن أعين فروياه عن أبي بكر بن أبي مريم، عن المهاضر بن حبيب، عن عبيدة الأملوكي صاحب النبي ﷺ فذكره موقوفاً.

أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/٨٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨٥٣، ١٨٥٤)؛ وأخرجه البخاري أيضاً من طريقين آخرين عن عبيدة قوله. والموقوف أشبه.

(٥) في (أ): «المهاجر». (٦) مرّ تخريجه آنفاً.

قال أبو عبيد: يعني الاستماع.

وقوله في الحديث الآخر: «ما أذن الله لشيء»؛ أي: ما استمع.

وقال أبو القاسم البغوي^(١): حدثنا محمد بن حميد، حدثنا سلمة بن الفضل، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي مليكة، حدثنا القاسم بن محمد، حدثني السائب قال: قال لي سعد: يا بن أخي هل قرأت القرآن؟ قلت: نعم، قال: غن به فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «غنوا بالقرآن، ليس منا من لم يغن بالقرآن، وابكوا فإن لم تقدرُوا على البكاء فتباكوا».

وقد روى أبو داود من حديث الليث (وعمر بن دينار كلاهما)^(٢) عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عبد الله بن أبي نهيك، عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»^(٣).

^(٤) [ورواه ابن ماجه^(٥) من حديث ابن أبي مليكة، عن عبد الرحمن بن السائب، عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ^(٦): «إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه، فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منا».

^(٧) (وقال أحمد^(٨): حدثنا وكيع، حدثنا سعيد بن حسان المخزومي، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن أبي نهيك، عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

قال وكيع: يعني يستغنى به.

ورواه أحمد^(٩) أيضاً عن حجاج وأبي النضر، كلاهما عن الليث بن سعد.

وعن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار كلاهما عن عبد الله بن أبي مليكة به^(١٠) وفي هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده، ليس هذا موضعه. والله أعلم.

(١) أخرجه المخلص في «الفوائد» (٢/٥٢) من طريق محمد بن حميد بسنده سواء. وسنده واه، وابن حميد متروك، وكذبه جماعة من أهل الري.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) في «سننه» (١٤٦٩، ١٤٧٠) وسنده صحيح وقد اختلف على ابن أبي مليكة في سنده اختلافاً كثيراً ذكرته في «التسلي» وأقوى الوجوه في هذا الاختلاف ما رواه أبو داود هنا والله الحمد.

(٤) ساقط من (أ).

(٥) في «سننه» (١٣٣٧) من طريق الوليد بن مسلم، ثنا أبو رافع، عن ابن أبي مليكة به. وأخرجه أبو يعلى (٩٨٦)؛ والآن في «أخلاق حملة القرآن» (٨٥)؛ وأبو العباس الأصم في «الثاني من حديثه» (ق١٧١/١).

(٦) والبيهقي (٢٣٠/١٠) من طرق عن الوليد بن مسلم وعزاه البوصيري في «الزوائد» (١/٤٣٤) للحاكم في «المستدرک» وقال: «هذا إسناده فيه أبو رافع واسمه إسماعيل بن رافع ضعيف متروك». اهـ.

(٧) ساقط من (أ) و(ط).

(٨) في «مسنده» (١٤٧٦) وإسناده صحيح.

وأشار الحاكم في «المستدرک» (٥٦٩/١) إلى رواية سعيد بن حسان.

(٩) في «مسنده» (١٥١٢، ١٥٤٩) ولم يروه مجموعاً هكذا، بل هذا من تصرف المصنف رحمه الله.

(١٠) ساقط من (أ) و(ط).

وقال أبو داود^(١): حدثنا عبد الأعلى بن حماد، حدثنا عبد الجبار بن الورد قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عبيد الله بن أبي زيد: مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته، فدخلنا عليه، فإذا رجل رث البيت، رث الهيئة، فانتسبنا له، فقال: تجار كسبة (تجار كسبة)^(٢) فسمعتة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» قال: فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد أرايت إذا لم يكن حسن الصوت، قال: يحسنه ما استطاع.

تفرد به أبو داود، فقد فهم من هذا أن السلف ﷺ إنما فهموا من التغني بالقرآن إنما هو تحسين الصوت به وتحزينه، كما قاله الأئمة رحمهم الله.

ويدل على ذلك أيضاً ما رواه أبو داود^(٣) حيث قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن طلحة، عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم».

وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث شعبة، عن طلحة وهو ابن مصرف، به.

وأخرجه النسائي من طرق أخرى عن طلحة وهذا إسناد جيد.

وقد وثق النسائي وابن حبان عبد الرحمن بن عوسجة هذا. ونقل الأزدي عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال: سألت عنه بالمدينة فلم أرهم يحمّدونه.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام^(٤): حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة قال: نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث «زينوا القرآن بأصواتكم».

قال أبو عبيد: وإنما كره أيوب فيما نرى أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ في الألحان المبتدعة، فلهذا نهاه أن يحدث به.

(قلت): ثم إن شعبة روى الحديث متوكلاً على الله كما روي له، ولو ترك كل حديث يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير، بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن وحملوها

(١) في «سننه» (١٤٧١). وأخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٠٣)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٢٨/٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٥/رقم ٤٥١٤)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٥٤/٢، ٢٣٠/١٠) وفي «الصغرى» (٩٨٣) من طريق عبد الجبار بن الورد بسنده سواء. قال الهيثمي في «المجمع» (١٧١/٨) «ورجاله ثقات».

* قلت: وهو أحد وجوه الاختلاف على ابن أبي مليكة في إسناده.

(٢) من (ج) و(ط) واعلم أن هذه العبارة: «فانتسبنا فقال: تجار كسبة» ليست موجودة في نسخ «أبي داود» المطبوعة، والله أعلم. ثم رأيت الحافظ في «الفتح» (٦٩/٩) عزاه لأبي داود وابن الضريس في «فضائل القرآن»؛ وأبي عوانة في «مستخرجه» من طريق ابن أبي مليكة، عن عبيد الله بن أبي نهيك قال: «لقيني سعد بن أبي وقاص وأنا في السوق فقال: تجار كسبة... ثم ساق الحديث» والاختلاف في صحابي الحديث واضح، ولم أجد الحديث في كتاب ابن الضريس المطبوع. والله أعلم.

(٣) في «سننه» (١٤٦٨). وأخرجه البخاري في «خلق الأفعال» (٦٨)؛ والنسائي في «سننه» (١٧٩/٢، ١٨٠)، وفي «فضائل القرآن» (٧٥)، وفي «مجلسان من إملائه» (٤٦)؛ وابن ماجه (١٣٤٢)؛ والدارمي (٤٧٤/٢)؛ وأحمد (٢٨٣/٤، ٢٨٥، ٣٠٤) وآخرون من طرق عن طلحة بن مصرف، عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب مرفوعاً... فذكره.

(٤) في «فضائل القرآن» (ص ٨١).

على غير محاملها الشرعية المرادة، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه وتحزينه والتخشع به، كما رواه الحافظ الكبير بقي بن مخلد رحمته الله حيث قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم ^(١) [حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة، عن أبي بردة بن أبي موسى ^(١)، عن أبيه، قال: قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم: «يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة» قلت: أما والله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيراً.

ورواه مسلم ^(٢) من حديث طلحة به. وزاد «لقد أوتيت زمزماً من مزامير آل داود» وسيأتي هذا في بابه حيث يذكره البخاري.

والغرض أن أبا موسى قال: لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيراً، فدل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه، وقد كان أبو موسى - كما قال ﷺ -: قد أعطي صوتاً حسناً، كما سأذكره إن شاء الله مع خشية تامة ورقة أهل اليمن (الموصوفة) ^(٣) فدل على أن هذا من الأمور الشرعية.

قال أبو عبيد ^(٤): وحدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: كان عمر إذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده.

قال أبو عبيد ^(٥): (حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال) ^(٦): حدثنا سليمان التيمي أو نبئت عنه، حدثنا أبو عثمان النهدي قال: كان أبو موسى يصلي بنا، فلو قلت: إني لم أسمع صوت صنج ^(٧) قط ولا بربط ^(٨) قط ولا شيئاً قط أحسن من صوته.

(١) ساقط من (أ).

(٢) في «صحيحه» (٢٣٦/٧٩٣). وأخرجه أيضاً ابن حبان (٧١٩٨)؛ والبيهقي (٢٣٠/١٠)، (٢٣١) بهذا التمام ويأتي تخريجه قريباً.

(٣) ساقط من (أ).

(٤) في «فضائل القرآن» (٣ - ٧٩) وليس عنده لفظة: «ربنا».

وأخرجه الدارمي (٣٣٩/٢) قال: حدثنا عبد الله بن صالح بسنده سواء.

وأخرجه ابن سعد (١٠٩/٤)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٢٥٨/١)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٦١/٢) من طريق يونس، عن الزهري، عن أبي سلمة أن عمر بن الخطاب... إلخ.

وأخرجه عبد الرزاق (ج ٢/رقم ٤١٧٩، ١٤٨٠، ٤١٨١)؛ وابن حبان (٢٢٦٤) من طريق معمر بن راشد وابن جريج وعمرو بن الحارث ثلاثهم عن الزهري بسنده سواء. وهو منقطع بين أبي سلمة وعمر بن الخطاب ﷺ، ولم يسمع أيضاً من أبي موسى كما قال أحمد على ما ذكره ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص ٢٥٥) وله طريقان آخران عند ابن سعد (١٠٩/٤) أحدهما معضل والآخر منقطع.

(٥) في «فضائل القرآن» (ص ٧٩). وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١٠٨/٤) قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي - وهو ابن علي بن سعيد - هكذا شك ابن علي أسمع من التيمي أم بلغه عنه، لكن أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٨/١) من طريق صفوان بن عيسى والبخاري في «خلق الأفعال» (٢٩١) عن المعتمر بن سليمان قال: ثنا سليمان قال، ثنا سليمان التيمي بسنده سواء.

وعزه الحافظ في «الفتح» (٩٣/٩)؛ لابن أبي داود وقال: «سند صحيح».

(٦) ساقط من «الأصول» كلها واستدركته من «الفضائل».

(٧) الصنج بفتح المهملة وسكون النون بعدها جيم هو آلة تتخذ من النحاس كالطبقين يضرب أحدهما بالآخر.

(٨) البربط: بالموحدتين بينهما راء ساكنة ثم طاء مهملة بوزن: «جعفر» وهو آلة تشبه العود. فارسي معرب. =

وقال ابن ماجه^(١): حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة قالت: أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء، ثم جئت فقال: «أين كنت؟» قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام فقامت معه حتى استمع له، ثم التفت إلي فقال: «هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا».

إسناد جيد.

وفي «الصحيحين»^(٢) عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءةً منه.

وفي بعض ألفاظه: فلما سمعته قرأ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور] قلت أن فؤادي قد انصدع.

وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركاً على دين قومه وإنما كان قدم في فداء الأسارى بعد بدر، ونأهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصر على الكفر، فكان هذا سبب هدايته، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع من القلب كما:

قال أبو عبيد^(٣): حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ليث، عن طاوس قال: أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله.

= وانظر: «النهاية» (١/١١٢).

(١) في «سننه» (١٣٣٨). وقال البوصيري في «الزوائد» (١/٤٣٥): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» وأخرجه الحاكم (٣/٢٢٥، ٢٢٦)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/٣٧١) من طرق عن الوليد بن مسلم، ثنا حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط يحدث عن عائشة به قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي وليس كما قال؛ لأن عبد الرحمن بن سابط لم يخرج له البخاري شيئاً، ولم يحتج الشيخان ولا أحدهما برواية الوليد، عن حنظلة ولا حنظلة عن عبد الرحمن، ولا عبد الرحمن عن عائشة. فالصواب أن السند صحيح مطلقاً وصرح الوليد في جميع الإسناد، ثم هو لم يتفرد به، فقال أبو نعيم عقبه: «ورواه ابن المبارك، عن حنظلة» قلت: وهو عنده في «الجهاد» (١٢٠) ووقع في سننه اختلاف وأخرجه أحمد (٦/١٦٥) قال: حدثنا ابن نمير، ثنا حنظلة بسنده سواء. وهو صحيح أيضاً وأخرجه البزار (ج ٣/رقم ٢٦٩٤) من وجه آخر عن عائشة بأخصر من حديث ابن سابط قال الهيثمي (٩/٣٠٠): «رجالهم رجال الصحيح». وقال الحافظ في «الإصابة» (٣/١٦): «رجالهم ثقات» وليس في هذا تصحيح للإسناد، لأجل عنعنة ابن جريج. والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢/٢٤٧، ١٨٦/٦، ٣٢٣/٧، ٦٠٣/٨)؛ ومسلم (٤٦٣) من طريق الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه.

وأخرجه أبو داود (٨١١)؛ والنسائي في «سننه» (٢/١٦٩)، وفي «تفسيره» (٥٤٩)؛ وابن ماجه (٨٣٢)؛ وأحمد (٤/٨٠، ٨٤) من هذا الوجه.

(٣) في «فضائل القرآن» (ص ٨٠) وفي «غريب الحديث» (٢/١٤١)، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٤٦٤).

قال: حدثنا حفص، عن ليث، عن طاوس، قال: كان يقال: أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله. وسنده ضعيف؛ لأجل ليث بن أبي سليم وقد خولف فيه كما يأتي.

(١) [وحدثنا قبيصة، عن سفيان، عن ابن جريج، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله] (١).

وحدثنا قبيصة (٢)، عن سفيان، عن ابن جريج، عن ابن طاوس، عن أبيه، وعن الحسن بن مسلم، عن طاوس قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أحسن صوتاً بالقرآن؟ فقال: «الذي إذا سمعته رأيت أنه يخشى الله».

وقد روي هذا متصلاً من وجه آخر.

فقال ابن ماجه (٣): حدثنا بشر بن معاذ الضريير، حدثنا عبد الله بن جعفر المديني، حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله».

ولكن عبد الله بن جعفر هذا - وهو والد علي ابن المديني - وشيخه ضعيفان والله أعلم. والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة.

فأما الأصوات بالنغمات المحدثه المركبة على الأوزان والأوضاع الملهمه والقانون الموسيقي فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب.

وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الإمام العلم أبو عبيد (٤) القاسم بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

حدثنا نعيم بن حماد، عن بقية بن الوليد، عن حصين بن مالك الفزاري قال: سمعت شيخاً يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين، وسيجيئ قوم من بعدي يرجعون

(١) ساقط من (ج) و(ط) وهو عندي خطأ من الناسخ فقد انتقل بصره إلى السند التالي له، وألحق به متن الأثر السابق، ولم أجد في «كتاب أبي عبيد» إلا الرواية التي يرويها ابن جريج، عن ابن طاوس وعن الحسن بن مسلم، كلاهما عن طاوس». فالله أعلم.

(٢) أخرجه أبو عبيد (ص ٨٠) أيضاً. وهذه الرواية أرجح من رواية ليث بن أبي سليم مع إرسالها.

(٣) في «سننه» (١٣٣٩). وأخرجه الآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٨٣)، وفي «فوائده»؛ وابن أبي داود في «كتاب الشريعة»، كما في «إتحاف السادة» (٥٢١/٤) وضعف إسناده البوصيري في «الزوائد» (١/٤٣٦) وسبقه شيخه العراقي في «تخريج الإحياء» (٢٨٦/١) والصواب أنه ضعيف جداً. والله أعلم.

(٤) في «فضائل القرآن» (ص ٨٠).

وأخرجه ابن نصر في «قيام الليل» (ص ٣٥)؛ ويعقوب بن سفيان في «المعرفة» (٤٨٠/٢)؛ والحكيم الترمذي في «نواذر الأصول» (ج ٣/١٠٤)؛ والطبراني في «الأوسط» (ج ٢/١٥٤)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/٥١٠، ٥١١)؛ البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٤٠٦)؛ والجوزقاني في «الأباطيل» (٧٢٣)؛ وابن الجوزي في «الواحيات» (١١٨/١) من طريق بقية بن الوليد عن الحصين بن مالك الفزاري، عن أبي محمد، عن حذيفة مرفوعاً به.

قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن حذيفة إلا بهذا الإسناد، تفرد به بقية».

قلت: وهو صدوق لكنه يدلّس تدليس التسوية كما صرح به أبو حاتم في «العلل» (١٩٥٧) وشيخ بقية وشيخه مجهول، والخبر منكر كما قال الذهبي. والله أعلم.

بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم».

وحدثنا^(١) يزيد، عن شريك، عن أبي اليقظان عثمان بن عمير، عن زاذان أبي عمر، عن عليم قال: كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال يزيد: لا أعلمه إلا قال: عابس الغفاري - فرأى الناس يخرجون في الطاعون قال: ما هؤلاء؟ قال: يفرون من الطاعون فقال: يا طاعون خذني، فقالوا: أتمنى الموت وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتمنين أحدكم الموت»؟ فقال: إني أبادر خصلاً، سمعت رسول الله ﷺ يتخوفهن على أمته: بيع الحكم، والاستخفاف بالدم وقطيعه الرحم وقوم يتخذون القرآن مزامير، يقدمون أحدهم ليس بأفقههم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناء، وذكر خلتين آخرتين.

وحدثنا يعقوب بن^(٢) إبراهيم، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان بن عمير، عن زاذان، عن عابس الغفاري، عن النبي ﷺ مثل ذلك أو نحوه.

وحدثنا^(٣) يعقوب، عن إبراهيم، عن الأعمش، عن رجل، عن أنس أنه سمع رجلاً يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدث الناس فأنكر ذلك ونهى عنه. وهذه طرق حسنة^(٤) في باب التهيب.

وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء، وقد نص الأئمة رحمهم الله على النهي عنه، فأما إن خرج به إلى التمثيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفاً أو ينقص حرفاً فقد اتفق العلماء على تحريمه، والله أعلم.

(١) أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٨١) وفي «الغريب» (١٤١/٢).

وأخرجه أحمد (٤٩٤/٣)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨٠/٢/٤)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (٥/٥٨٣)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٦٠/٢)؛ وأبو غرزة الحافظ في «مسند عابس»؛ وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١/٧٨)؛ كما في «الصحيح» (٩٧٩)؛ والجوزقاني في «الأباطيل» (٧٢٤) من طريق شريك النخعي بسنده سواء. وسنده ضعيف، وقال الجوزقاني: «باطل» وليس كما قال والصواب أنه حديث حسن أو صحيح كما حققته في «التسليّة».

(٢) أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٨١). وأخرجه البخاري في «الكبير» (٨٠/١/٤)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٤٠٩)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٨/رقم ٥٨، ٥٩) من طرق عن ليث بن أبي سليم وقد خالف شريكاً بإسقاط «عليم» من السند، وروايته أرجح من رواية شريك. فقد تابعه سليمان التيمي عند الطبراني (٦٠) وله طريق قوي يرويه موسى بن عبد الله الجهني عن زاذان عابس الغفاري.

أخرجه الخراطبي في «مساوئ الأخلاق» (٢٧٧)؛ والطبراني في «الكبير» (١٨/رقم ٦٢، ٦٣)، وفي «الأوسط» (٦٨٩)؛ وقال الهيثمي (٢٤٥/٥): «رجال رجال الصحيح» وله شواهد عن جماعة من الصحابة.

(٣) أبو عبيد (ص ٨١).

وخولف يعقوب بن إبراهيم. خالفه عبد الله بن إدريس فرواه عن الأعمش قال: قرأ رجل عند أنس بلحن من هذه الألحان فكره أنس ذلك. أخرجه الدارمي (٣٤٠/٢) والمخالفة أن ابن إدريس جعله عن الأعمش عن أنس. ولم يسمع منه. والصواب أنه يروى عنه بالواسطة وأخرجه أيضاً ابن نصر في «قيام الليل» (ص ٢٣٧).

(٤) يعني: بتعاضدها، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار^(١): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا رُوْحٌ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَخْنَسِ، عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْهُ مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ». ثم قال: «(وإنما)^(٢) ذكرناه؛ لأنهم اختلفوا على ابنِ أَبِي مَلِيكَةَ فِيهِ فَرَوَاهُ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ الْوَرْدِ عَنْهُ، عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ، عَنْ أَبِي لُبَابَةَ وَرَوَاهُ عُمَرُو بْنُ دِينَارٍ، وَاللَيْثُ عَنْهُ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَهْيَكٍ، عَنْ سَعْدٍ، وَرَوَاهُ عَسَلُ بْنُ سَفْيَانَ عَنْهُ عَنْ عَائِشَةَ، وَرَوَاهُ نَافِعُ مَوْلَى ابْنِ عَمْرِو عَنْهُ عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ».

اغتياب صاحب القرآن

حدثنا^(٣) أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري، حدثني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب (فقام به)^(٤) آتاء (الليل)^(٥) ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آتاء الليل والنهار».

انفرد به البخاري من هذا الوجه، واتفقا على إخراجه من رواية سفيان، عن الزهري.

ثم قال البخاري^(٦): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا رُوْحٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ ذُكْوَانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آتاء الليل (وآتاء)^(٧) النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل؛ ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل».

ومضمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن في غبطة، وهي حسن الحال، فينبغي أن يكون شديد الاغتياب بما هو فيه، ويستحب تغيبه بذلك، يقال: غبطه يغبطه (بكسر الباء)^(٨) غبطاً: إذا تمنى مثل ما هو فيه من النعمة، وهذا بخلاف الحسد المذموم، وهو تمنى زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت لذلك الحاسد أو لا، وهذا مذموم شرعاً مهلك، وهو أول معاصي إبليس حين حسد آدم ما منحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والإعظام.

(١) في «مسنده» (ج ٣/ رقم ٢٣٣٢، كشف الأستار).

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ١١/ رقم ١١٢٣٩) من طرق عن ابن الأخنس، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس مرفوعاً. قال الهيثمي (٧/ ١٧٠): «رجال البزار رجال الصحيح». قلت: وقد مر الكلام عنه، وهذا أحد وجوه الاختلاف على ابن أبي مليكة في إسناده، وقد فصلته في «التسليمة». والله الحمد.

(٢) في (أ): «ولنا ما».

(٣) البخاري في «فضائل القرآن» (٧٣/٩).

وأخرجه أيضاً في «كتاب التوحيد» (١٣/ ٥٠٢)؛ ومسلم (٨١٥)؛ والنسائي في «فضائل القرآن» (٩٧)؛ والترمذي (١٩٣٦)؛ وابن ماجه (٤٢٠٩)؛ وأحمد (٩/ ٢)؛ والحميدي (٢/ ٢٧٨)، وآخرون من طريق سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه مرفوعاً. وله طرق أخرى عن الزهري.

(٤) في (أ): «فهو يقوم به» وهو مخالف لرواية «الصحيح» ولباق (الأصول).

(٥) في (أ): «الليل والنهار» وليس «لنهار» ذكر. (٦) في «فضائل القرآن» (٧٣/٩).

(٧) ساقط من (أ). (٨) في (أ): «بالكسر».

والحسد الشرعي الممدوح هو تمني حال مثل ذاك الذي هو على حالة سارة، ولهذا قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين» فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناء الليل والنهار والنعمة المتعدية، وهي إنفاق المال بالليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكْثُرَ﴾ [فاطر].^(١) وقد روي نحو هذا من وجه آخر.

فقال عبد الله^(٢) ابن الإمام أحمد: وجدت في كتاب أبي بخط يده^(١):

^(١) [كتب إلي أبو توبة الربيع بن نافع، فكان في كتابه: حدثنا الهيثم بن حميد، عن زيد بن واقد، عن سليمان بن موسى، عن كثير بن مرة، عن يزيد بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنافس بينكم إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ويتبع ما فيه فيقول رجل: لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلاناً، فأقوم به كما يقوم به؛ ورجل أعطاه الله مالاً فهو ينفق ويتصدق، فيقول رجل: لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلاناً فأتصدق به»]^(١).

وقريب من هذا ما قال الإمام أحمد^(٣): حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا عبادة بن مسلم، حدثني يونس بن خباب، عن سعيد أبي البخري الطائي، عن أبي كبشة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، فأما الثلاث التي أقسم عليهن فإنه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم أحد مظلماً فيصبر عليها إلا زاده الله بها عزاً، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر - وأما الذي أحدثكم حديثاً فاحفظوه فإنه قال - إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعلم الله^(٤) فيه حقه - قال - فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو يقول: لو كان لي مال عملت بعمل فلان - قال - فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخط في ماله بغير علم، لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم الله فيه حقه، فهذا بأخبث المنازل، وعبد

(١) ساقط من سياق (ط) وقيد في الحاشية.

(٢) في «المسند» (١٠٤/٤، ١٠٥).

وأخرجه الفريابي في «فضائل القرآن» (١٠٧)؛ وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٩٩)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٢٢/رقم ٦٢٦)، وفي «الأوسط» (٢٩٩٢)؛ وفي «مسند الشاميين» (١٢١٢)؛ وعنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج ١٨/٢٣٣)؛ والخطابي في «الغريب» (١/١٩٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٨٢٠) من طريق الهيثم بن حميد بسنده سواء.

قال المنذري في «الترغيب» (١/٤٣٩)؛ والهيثمي في «المجمع» (٢/٢٥٦): «رجاله ثقات». قلت: ولكنه منقطع، قال أبو مسهر: «سليمان بن موسى لم يدرك كثير بن مرة». ولكن له طريق آخر أخرجه ابن قانع في «معجم الصحابة» (ج ١١/١٩٢ ق ٢ - ١/١٩٣) وإسناده جيد. والله أعلم.

(٣) في «المسند» (٢٣١/٤).

وأخرجه الترمذي (٢٣٢٥)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٢٢/رقم ٨٥٥، ٨٦٨)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٢٨٩/١٤، ٢٩٠) من طريق عبادة بن مسلم بسنده سواء قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

قلت: لكن يونس بن خباب ضعيف، ولكن له طريق آخر ويأتي.

(٤) من (ج) و(ط) و(ل).

لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو كان لي مال لفعلت بعمل فلان - قال: - هي نيته فوزرهما فيه سواء.

وقال أيضاً^(١): حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي كبشة الأنماري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً وعلماً، فهو يعمل به (في)^(٢) ماله ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً، فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل - قال: قال رسول الله - فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً، فهو يخط فيه ينفقه في غير حقه؛ ورجل لم يؤته الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل - قال: قال رسول الله - فهما في الوزر سواء.

إسناد صحيح، (ولله الحمد والمنة)^(٣).

خيركم من تعلم القرآن وعلمه

حدثنا^(٤) حجاج بن منهال، حدثنا شعبة، أخبرني علقمة بن مرثد، سمعت سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن عثمان بن عفان ؓ، عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان ؓ حتى كان الحجاج، قال: وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا.

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن وهو عبد الله بن حبيب السلمي رَحِمَهُ اللهُ.

وحدثنا^(٥) أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان بن عفان ؓ قال: قال النبي ﷺ: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه».

وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق، عن سفيان، عن علقمة، عن أبي عبد الرحمن من غير ذكر «سعد بن عبيدة»، كما رواه شعبة ولم يختلف عليه فيه.

وهذا المقام مما حكم لسفيان الثوري فيه على شعبة. وخطأ بندار يحيى^(٦) بن سعيد في روايته

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٠/٤، ٢٣١).

وأخرجه ابن ماجه (٤٢٢٨)؛ وأبو عوانة في «صحيحه»؛ كما في «الفتح» (٧٤/٩)؛ ووكيع (٢٤٠)؛ وهناد بن السري (٥٨٦) كلاهما في «الزهد»؛ والمروزي في «زوائد الزهد» (٩٩٩)؛ والفريابي في «الفضائل» (١٠٥)، (١٠٦)؛ والطحاوي في «المشكل» (٢٦٣)؛ والطبراني في «الكبير» (٨٦٧)؛ وابن الأعرابي في «معجمه» (ج٤/ق٦٤ - ٢ - ١٨٩/١)؛ والبيهقي (١٨٩/٤) وسنده صحيح كما قال المصنف؛ وأعله الحافظ في «النكت الظراف» (٢٧٤/٩) بما ينظر فيه. والله أعلم.

(٢) في (ج) و(ط) و(ل): «فيهما»! (٣) من (أ).

(٤) البخاري في «فضائل القرآن» (٧٤/٩).

(٥) البخاري في «فضائل القرآن» (٧٤/٩)؛ وأخرجه النسائي في «الفضائل» (٦٣)؛ والترمذي (٢٩٠٨)؛ وأحمد (٥٧/١) وغيرهم من طرق عن سفيان الثوري بسنده سواء.

(٦) كلا لم يخطئ يحيى القطان في روايته، وقد استوفيت تخريج الحديث، وتعليقه وترجيح الراجح في «تسليمة الكظيم» فله الحمد.

ذلك عن سفيان، عن علقمة، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، وقال: رواه الجماعة من أصحاب سفيان عنه بإسقاط «سعد بن عبيدة» ورواية سفيان أصح.
وفي هذا المقام المتعلق بصناعة الإسناد طول لولا الملالة لذكرناه. وفيما ذكر كفاية وإرشاد إلى ما ترك، والله أعلم.

والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسول وهم الكمل في أنفسهم المكملون لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ولا يتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]، وكما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] في أصح قول المفسرين في هذا هو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضاً، فجمعوا بين التكذيب والصد، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام: ١٥٧] فهذا شأن شرار الكفار، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكمل في نفسه، وأن يسعى في تكميل غيره كما قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت] فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما يتبغى به وجه الله، وعمل هو في نفسه صالحاً، وقال قولاً صالحاً أيضاً فلا أحد أحسن حالاً من هذا. وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي أحد أئمة الإسلام ومشايخهم ممن رغب في هذا المقام ففقد يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج.

^(١) [قالوا: وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة]^(١)، رَحِمَهُ اللَّهُ (وأثابه)^(٢)، وآتاه ما طلبه ورامه أمين.

^(٣) [ثم قال البخاري^(٤): حدثنا عمرو بن عون، حدثنا حماد، عن أبي^(٣)].^(٥) [حازم عن سهل بن سعد قال: أتت النبي ﷺ امرأة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله، فقال: «ما لي في النساء من حاجة» فقال رجل: زوجنيها؟ قال: «أعطاها ثوباً» قال: لا أجد، قال: «أعطاها ولو خاتماً من حديد» فاعتل له، فقال: «ما معك من القرآن؟» قال: كذا وكذا، قال: «قد زوجتكها بما معك من القرآن؟».

وهذا الحديث متفق على صحة إخرجه من طرق عديدة.

والغرض منه الذي قصده البخاري أن هذا الرجل تعلم الذي تعلمه من القرآن، وأمره النبي ﷺ^(٥).

(١) سقط من سياق (أ) واستدرك في الحاشية. (٢) ساقط من (ج).

(٣) من أول هنا إلى آخر الفصل ساقط من (ج).

(٤) في «فضائل القرآن» (٧٤/٩)؛ وأخرجه مالك (٨/٥٢٦/٢) و(٥٧٢/١)، رواية أبي مصعب؛ والبخاري (٤/٤٨٦، ٧٨/٩، ١٣١، ١٧٥، ١٨٠، ١٨١، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٦، ٣٢٢، ٣٢٣ و٤٠٢/١٣ فتح)؛ ومسلم (٧٧/١٤٢٥).

(٥) ساقط من (ج).

(١) [أن يعلم تلك المرأة ويكون ذلك صداقاً لها على ذلك، وهذا فيه نزاع بين العلماء: هل يجوز أن يجعل (مثل هذا) (٢) صداقاً؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن؟ وهل هذا كان خاصاً بذلك الرجل؟ وما معنى قوله ﷺ: «زوجتكها بما معك من القرآن» أي: بسبب ما معك، كما قاله أحمد بن حنبل: نكرمك بذلك أو بعوض ما معك، وهذا أقوى لقوله في «صحيح مسلم» «فعلمها» وهذا هو الذي أرادته البخاري ههنا، وتحريز باقي الخلاف المذكور في باب النكاح والإجازات، وبالله المستعان] (١).

القراءة عن ظهر قلب

إنما (أفرد) (٣) البخاري في هذه الترجمة حديث أبي حازم، عن سهل بن سعد الحديث الذي تقدم الآن، وفيه أنه ﷺ قال للرجل: «فما معك من القرآن؟» قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا لسور عدها، قال: «أتقرأهن عن ظهر قلب؟» قال: نعم، قال: «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن».

وهذه الترجمة من البخاري ﷺ مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل، والله أعلم. ولكن الذي صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل؛ لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف، وهو عبادة كما صرح به غير واحد من السلف، وكرهوا أن يمضي على الرجل يوم لا ينظر في مصحفه. واستدلوا على أفضلية التلاوة في المصحف بما رواه الإمام (العلم) (٤) أبو عبيد ﷺ في كتابه (فضائل القرآن) (٥):

حدثنا نعيم بن حماد، عن بقية بن الوليد، عن معاوية بن يحيى، عن (سليمان بن سليم) (٦)، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة». وهذا الإسناد فيه ضعف، فإن معاوية بن يحيى هذا هو الصدفي أو الأطربلسي وأياً ما كان فهو ضعيف.

وقال الثوري (٧)، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود قال: أديموا النظر في المصحف. وقال حماد (٨) بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن ماهك، عن ابن عباس، عن عمر

- (١) ساقط من (ج). (٢) بياض في (أ). (٣) في (أ): «أورد». (٤) في (ل): «العالم». (٥) (ص ٤٦) وأخرجه ابن شاهين في «الترغيب» (١٩٤) من طريق أبي عبيد بسنده سواء وسنده ضعيف جداً، وليس كما قال المصنف: «فيه ضعف»؛ وضعفه الحافظ في «الفتح» (٧٨/٩)؛ والزبيدي في «إتحاف السادة» (٤٩٥/٤). (٦) وقع اضطراب في هذا الاسم، ففي (أ) و(ط): (سليم بن مسلم)، وفي (ج): «سليمان بن مسلم». (٧) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٤٦)؛ وعبد الرزاق (ج ٣/رقم ٥٩٧٩)؛ وابن أبي شيبة (٥٣١/١٠)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٦٨٧، ٨٦٩٦) من طرق عن الثوري به وسنده حسن. (٨) أخرجه أبو عبيد (ص ٤٦) قال: حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة بسنده سواء. وهذا سند مقارب، ورواية =

أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه .

وقال حماد^(١) أيضاً، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن ابن مسعود أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف (فقرأوا)^(٢) وفسر لهم .
إسناد صحيح .

وقال حماد بن سلمة^(٣)، عن حجاج بن أرطاة، عن ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر، قال :
إذا رجع أحدكم من سوقه فليشر المصحف وليقرأ .

وقال الأعمش^(٤)، عن خيثمة : دخلت على ابن عمر وهو يقرأ في المصحف فقال : هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة .

فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكر منه، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير فالاستثبات أولى والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال .

فأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن ؛ لأن الكتابة لا تدل على الأداء كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيحه وغلطه، وإذا أدى الحال إلى هذا منع منه إذا وجد شيخاً يوقفه على ألفاظ القرآن . فأما عند العجز عن تلقن فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فيجوز عند الضرورة ما لا يجوز عند الرفاهية، فإذا قرأ في المصحف والحالة هذه فلا حرج عليه، ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لغته ولفظه، فقد :

قال الإمام أبو عبيد^(٥) : حدثني هشام بن إسماعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب، عن الأوزاعي أن رجلاً صحبهم في سفر، قال : فحدثنا حديثاً ما أعلمه إلا رفعه إلى رسول الله ﷺ قال : «إن العبد إذا قرأ فحرف أو أخطأ، كتبه الملك كما أنزل» .

وحدثنا حفص بن غياث، عن الشيباني عن بكر بن الأخنس قال : كان يقال إذا قرأ الأعجمي والذي لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل .

وقال بعض العلماء : المدار في هذه المسألة على الخشوع، فإن (كان)^(٦) الخشوع أكثر عند

= حماد بن سلمة، عن علي بن زيد متماسكة، والله أعلم .

(١) أخرجه أبو عبيد (ص٤٧) أيضاً قال : حدثنا حجاج، عن حماد بسنده سواء .

(٢) في (أ) : «فقرأ» بالإنفراد .

(٣) أخرجه أبو عبيد (ص٤٦) قال : حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة بسنده سواء وسنده ضعيف . وابن أرطاة وثوير ضعيفان وحجاج أمثلهما .

(٤) أخرجه أبو عبيد (ص٤٧) ؛ وابن أبي شيبه (١٠/٥٣١، ٥٣٠) من طريق عن الأعمش بسنده سواء . وسنده صحيح .

(٥) أخرجه أبو عبيد (ص٤٧) وسنده ضعيف لإعضاله .

وعزه السيوطي في «الجامع» للدليمي في «مسند الفردوس»، عن ابن عباس، فقال المناوي في «فيض القدير» (١/٤١٦) : «فيه هشيم بن بشير قال الذهبي : حافظ حجة مدلس، عن أبي بشر مجهول» . اهـ . كذا قال ! وأبو بشر هذا هو جعفر بن إياس وهو ثقة فإن كان رواه عن مجاهد، عن ابن عباس ففي روايته عن مجاهد ضعف، وإن كان يرويه عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فسنده قوي . والله أعلم .

(٦) ساقط من (ج) .

القراءة عن ظهر قلب؛ فهو أفضل وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل. فإن استويا فالقراءة نظراً أولى؛ لأنها أثبت، وتمتاز بالنظر إلى المصحف.

قال الشيخ أبو زكريا النواوي رحمته الله في «التبيان»: والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل.

تنبيه: إن كان البخاري رحمته الله أراد بذكره حديث سهل الدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف ففيه نظر:

لأنها^(١) قضية عين، فيحتمل أن ذلك الرجل كان لا يحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول الله ﷺ منه، فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقاً في حق من يحسن ومن لا يحسن، إذ لو دل على هذا لكان ذكر حال رسول الله ﷺ وتلاوته عن ظهر قلب - لأنه أُمي لا يدرك الكتابة - أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده.

الثاني: أن سياق الحديث إنما هو لأجل استبaths أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب ليتمكن تعليمها لزوجته، وليس المراد ههنا أن هذا أفضل من التلاوة نظراً ولا عدمه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

استذكار القرآن وتعااهده

حدثنا^(٢) عبد الله بن يوسف، أنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت». هكذا رواه مسلم والنسائي من حديث مالك به.

وقال الإمام أحمد^(٣): حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقراه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل، فإن عقلها حفظها وإن أطلق عقلها ذهبت، فكذلك صاحب القرآن».

أخرجاه، قاله ابن الجوزي في «جامع المسانيد» وإنما هو من أفراد مسلم من حديث عبد الرزاق به. حدثنا^(٤) محمد بن عرعة، حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت بل نسي، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم».

تابعه^(٤) بشر هو ابن محمد السخيتاني، عن ابن المبارك، عن شعبة.

(١) يعني: أولاً؛ لأنه سيذكر وجهاً آخر بعده.

(٢) البخاري في «فضائل القرآن» (٧٩/٩)؛ وأخرجه أيضاً مسلم (٢٢٦/٧٨٩، ٢٢٧)؛ ومالك (٦/٢٠٢/١)؛ والنسائي (١٥٤/٢)؛ وفي «فضائل القرآن» (٦٦، ٦٨)؛ وابن ماجه (٣٧٨٣)؛ وأحمد (١٧/٢، ٢٣، ٢٦، ٣٠، ٦٤، ١١٢) وغيرهم من طريق نافع، عن ابن عمر مرفوعاً.

(٣) في «المسند» (٣٥/٢، ٣٦)؛ وأخرجه عبد الرزاق (ج٣/رقم ٥٩٧١)؛ ومسلم؛ وابن ماجه (٣٧٨٣) عن معمر بسنده سواء.

(٤) البخاري في «فضائل القرآن» (٧٩/٩، ٨٠)، وأخرجه مسلم (٢٢٨/٧٩٠ - ٢٣٠).

وقد رواه الترمذي، عن محمود بن غيلان، عن أبي داود الطيالسي، عن شعبة به، وقال: حسن صحيح.

وأخرجه النسائي من رواية شعبة.

وحدثنا^(١) عثمان (حدثنا)^(٢) جرير، عن منصور مثله.

وتابعه^(٣) ابن جريج، عن عبدة، عن شقيق قال: سمعت عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ.

وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جريج به.

ورواه النسائي في «اليوم والليلة» من حديث محمد بن جحادة، عن عبدة وهو ابن أبي لبابة به.

وهكذا رواه مسلم، عن عثمان وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم، عن جرير به.

وستأتي رواية البخاري له عن أبي نعيم، عن سفيان الثوري، عن منصور به.

والنسائي من رواية ابن عيينة، عن منصور به.

فقد رواه هؤلاء عن منصور به مرفوعاً في رواية هؤلاء كلهم.

وقد رواه النسائي^(٤) عن قتيبة، عن حماد بن زيد، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله موقوفاً.

وهذا غريب.

وفي «مسند أبي يعلى»^(٥) «فإنما هو نسي» بالتخفيف.

حدثنا^(٦) محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده (لهو)^(٧) أشد تفصيلاً من الإبل في عقلها».

وهكذا رواه مسلم، عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن براد الأشعري، كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة به.

وقال الإمام أحمد^(٨): حدثنا علي بن إسحاق، أنا عبد الله بن المبارك، حدثنا موسى بن

(١) البخاري في «فضائل القرآن» (٧٩/٩، ٨٠)، وأخرجه مسلم (٧٩٠/٧٢٨ - ٢٣٠).

(٢) في (أ): «ابن»!!

(٣) في «اليوم والليلة» (٧٢٨) وقد خولف قتيبة، خالفه عفان بن مسلم فرواه عن حماد بن زيد بسنده سواء مرفوعاً بأتم منه. أخرجه أحمد (٤٦٣/١) ولا تعل إحدى الروایتين الأخرى لثقة الذين رواوا الوجهين فكان ابن مسعود كان يرفعه مرة، ويحكيه من قبل نفسه أخرى. والله أعلم.

(٤) في «المسند» (ج ٩/رقم ٥١٣٦)؛ وعزاه الحافظ في «الفتح» (٨٠/٩)؛ لابن أبي داود في «كتاب الشريعة» قال: «بخط موثق به، على كل سين علامة التخفيف».

(٥) ذكره البخاري في «الفضائل» (٧٩/٩)؛ ووصله مسلم (٧٩٠/٢٣٠).

(٦) البخاري في «الفضائل» (٩٧/٩)؛ وأخرجه مسلم (٧٩١/٢٣١).

(٧) في (ج): «هو».

(٨) في «مسنده» (١٤٦/٤).

علي، سمعت أبي يقول: سمعت عقبة بن عامر يقول: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا كتاب الله وتعاهدوه وتغنوا به، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من المخاض في العقل».

ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهدته لئلا يعرضه حافظه للنسيان، فإن ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه.

فإنه قال الإمام أحمد^(١): حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا خالد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد، عن رجل، عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل (وما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم يلقاه، وهو أجذم)»^(٢).

وهكذا رواه جرير بن^(٣) عبد الحميد ومحمد^(٤) بن فضيل، عن يزيد بن أبي زياد، كما رواه خالد بن عبد الله.

وقد أخرجه أبو داود^(٥)، عن محمد بن العلاء، عن (ابن إدريس)^(٦)، عن يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد، عن سعد بن عبادة، عن النبي ﷺ بقصة نسيان القرآن، ولم يذكر الرجل المبهم.

وكذا رواه أبو بكر بن عياش، عن يزيد بن أبي زياد، وقد رواه شعبة، عن زيد، فوهم^(٧) في إسناده.

ورواه وكيع، عن أصحابه، عن يزيد (عن)^(٨) عيسى بن فائد، عن النبي ﷺ، مرسلًا.

وقد رواه الإمام^(٩) أحمد في «مسند عبادة بن الصامت» فقال: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد، عن عبادة بن الصامت قال:

= وأخرجه النسائي في «الفضائل» (٦٠)؛ والدارمي (٣١٦/٢)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ١٤٠)؛ وابن حبان (١٧٨٨)؛ والقرطبي في «فضائل القرآن» (١٦٢، ١٦٣)؛ وابن أبي شيبة (٥٠٠/٢ و ٤٧٧/١٠)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٧/رقم ٨٠١)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨١٥) وسنده صحيح.

(١) في «المسند» (٣٨٥/٥)؛ وأخرجه الحربي في «الغريب» (٤٢٨/٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٦/رقم ٥٣٨٩، ٥٣٩٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٨١٨) من طريق خالد بن عبد الله الطحان بسنده سواء وهذا سند ضعيف جداً، ويزيد بن أبي زياد ضعيف، وعيسى بن فائد مجهول ثم جهالة شيخه أيضاً ثم الاضطراب في إسناده، وقد فصلت كل ذلك في «التسلي» ولكن للشطر الأول بعض الشواهد تصححه، منها حديث أبي أمامة، قواه شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني، حفظه الله، في «الصحيحة» (٣٤٩) فراجع.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ١٠٣، ١٠٤) قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد عن سعد بن عبادة فذكره.

(٤) أما طريق محمد بن فضيل فأخرجه ابن أبي شيبة (٤٧٨/١٠ و ٢١٩/١٢)؛ والبزار (ج ٢/رقم ١٦٤٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٦/رقم ٥٣٨٨، ٥٣٩١).

(٥) في «سننه» (١٤٧٤) ومن طريقه الخطيب في «الجامع» (١/١١٠).

(٦) في (ج): «ابن أبي إدريس»!! (٧) راجع «تحفة الأشراف» (٣/٢٧٤) للمزي.

(٨) في (أ): «ابن»!! (٩) في «مسنده» (٥/٣٢٣).

قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه منها إلا عدله، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم».

وكذا رواه أبو عوانة، عن يزيد بن أبي زياد.

ففيه اختلاف لكن هذا في باب الترهيب مقبول^(١)، والله أعلم.

لا سيما إن كان له شاهد من وجه آخر، كما:

قال أبو عبيد^(٢): حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال: حدثت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوتيتها رجل فنيها».

قال ابن جريج^(٣): وحدثت عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكبر (ذنوب)^(٤) توفي به أمتي يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت مع أحدهم فنيها».

وقد روى أبو داود والترمذي وأبو يعلى والبزار وغيرهم من حديث ابن أبي رواد، عن ابن جريج، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيتها رجل ثم نسيها».

قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وذاكرت به البخاري فاستغربه.

(١) في هذا القول نظر، فلا يثبت وعيد إلا بنص صحيح، وقد قدمنا أن إسناده الحديث ضعيف جداً للضعف والجهالة والاضطراب، نعم قد يستفاد الوعيد من ظاهر نصوص أخرى كما يأتي.

(٢) في «فضائل القرآن» (ص ١٠٣) وسنده ضعيف معضل أو منقطع؛ ولكن أخرجه أبو داود (٤٦١)؛ والترمذي (٢٩١٦)؛ وابن خزيمة (ج ٢/رقم ١٢٩٧)؛ وأبو يعلى (ج ٧/رقم ٤٢٦٥)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨١٤)؛ وفي «الكبرى» (٢/٤٤٠)؛ والخطيب في «الجامع» (١/١٠٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٢/٣٦٤)؛ وابن الجوزي في «الواحيات» (١/١٠٩) من طريق عبد المجيد بن أبي رواد، عن ابن جريج، عن المطلب بن عبد الله عن أنس. وقال الترمذي: «غريب» واستغربه البخاري أيضاً وأعله بالانقطاع بين المطلب وأنس، وأعله الدارقطني بالانقطاع بين ابن جريج والمطلب. وقد اختلف فيه على عبد المجيد بن أبي رواد، وعلى ابن جريج كما ذكرته في «التسليية»، وأقوى الوجوه عندي ما رواه عبد الرزاق (ج ٣/رقم ٥٩٧٧) وعنه الطبراني والخطيب في «الجامع» (١/١٠٨) عن ابن جريج، عن رجل عن أنس. والحديث على أي وجه كان لا يصح والله أعلم.

(٣) في «فضائل القرآن» (ص ١٠٣) وسنده ضعيف معضل أو منقطع؛ ولكن أخرجه أبو داود (٤٦١)؛ والترمذي (٢٩١٦)؛ وابن خزيمة (ج ٢/رقم ١٢٩٧)؛ وأبو يعلى (ج ٧/رقم ٤٢٦٥)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨١٤)، وفي «الكبرى» (٢/٤٤٠)؛ والخطيب في «الجامع» (١/١٠٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٢/٣٦٤)؛ وابن الجوزي في «الواحيات» (١/١٠٩) من طريق عبد المجيد بن أبي رواد، عن ابن جريج، عن المطلب بن عبد الله عن أنس. وقال الترمذي: «غريب» واستغربه البخاري أيضاً وأعله بالانقطاع بين المطلب وأنس، وأعله الدارقطني بالانقطاع بين ابن جريج والمطلب. وقد اختلف فيه على عبد المجيد بن أبي رواد، وعلى ابن جريج كما ذكرته في «التسليية»، وأقوى الوجوه عندي ما رواه عبد الرزاق (ج ٣/رقم ٥٩٧٧) وعنه الطبراني والخطيب في «الجامع» (١/١٠٨) عن ابن جريج، عن رجل عن أنس. والحديث على أي وجه كان لا يصح والله أعلم.

(٤) في (أ): «ذنوب».

وحكى البخاري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أنه أنكر سماع المطلب من أنس بن مالك.
(قلت): وقد رواه محمد بن يزيد الأدمي، عن ابن أبي رواد، عن ابن جريج، عن الزهري،
عن أنس، عن النبي ﷺ به، فالله أعلم.

وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً
ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٧٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ
آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٧٦﴾ [طه].

وهذا الذي قاله هذا وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن
وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه.

ولهذا قال ﷺ: «تعاهدوا القرآن» وفي لفظ: «استذكروا القرآن، فإنه أشد تفصيلاً من صدور
الرجال من النعم».

التفصي: التخلص، يقال: تفصى فلان من البلية إذا تخلص منها، ومنه: تفصى النوى من
الثمرة إذا تخلص منها؛ أي: إن القرآن أشد تفلتاً من الصدور من النعم إذا أرسلت من غير
عقال.

وقال أبو عبيد^(١): حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: قال عبد الله - يعني:
ابن مسعود - إني لأمقت القارئ أن أراه سميناً نسياً للقرآن.

وحدثنا^(٢) عبد الله بن المبارك، عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: سمعت الضحاك بن مزاحم
يقول: ما من أحد تعلم القرآن (ثم)^(٣) نسيه إلا بذنب يحدثه؛ لأنه الله تعالى يقول: ﴿وَمَا
أَصْبَحْكُمْ مِنْ مَّصِيكَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب.

ولهذا قال إسحاق بن راهويه وغيره: يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوماً لا يقرأ فيها
القرآن، كما أنه يكره له أن يقرأه في أقل من ثلاثة أيام، كما سيأتي هذا حيث يذكره البخاري بعد
هذا، وكان الأليق أن يتبعه هذا الباب، ولكن ذكر بعد هذا قوله:

القراءة على الدابة

حدثنا^(٤) حجاج، حدثنا شعبة، أخبرني أبو إياس قال: سمعت عبد الله بن مغفل ﷺ قال:
رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح.

(١) في «فضائل القرآن» (ص ١٠٤)؛ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٢٧/٤) من طريق جرير، عن الأعمش
بسند سواء ورجاله ثقات، لكنه منقطع بين إبراهيم النخعي وابن مسعود، فلم يدركه والله أعلم.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ١٠٤) وفي «غريب الحديث» (١/١٤٥)؛ وأخرجه ابن المبارك (٨٥)؛
ووكيع (٩٥) كلاهما في «الزهد»؛ وابن أبي شيبة (٤٧٨/١٠، ٤٧٩)؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره»؛ كما
في «ابن كثير» (١٩٦/٧)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٨١٣) من طريق عبد العزيز بن أبي رواد،
سمعت الضحاك بن مزاحم... فذكره وسنده جيد.

(٣) في (أ): «نسيه».

(٤) البخاري في «الفضائل» (٩/٨٣، ٩٢)، ومسلم (٧٩٤/٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩).

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن شعبة، عن أبي إياس وهو معاوية بن قرة به.

وهذا أيضاً له تعلق بما تقدم من تعاهد القرآن وتلاوته سفرأ وحضرأ، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء إذا لم يتله القارئ في الطريق، وقد نقله ابن أبي داود، عن أبي الدرداء أنه كان يقرأ في الطريق، وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه أذن في ذلك، وعن الإمام مالك أنه كره ذلك.

كما قال ابن أبي داود: وحدثني أبو الربيع، أخبرنا ابن وهب قال: سألت مالكا عن الرجل يصلي من آخر الليل، فيخرج إلى المسجد وقد بقي من السورة التي كان يقرأ منها شيء فقال: ما أعلم القراءة تكون في الطريق.

وقال الشعبي: تكره قراءة القرآن في ثلاثة مواطن: في الحمام، وفي الحشوش، وفي بيت الرحى وهي تدور.

وخالفه في القراءة في الحمام كثير من السلف أنها لا تكره، وهو مذهب مالك والشافعي وإبراهيم النخعي وغيرهم.

وروى ابن أبي داود، عن علي بن أبي طالب أنه كره ذلك، ونقله ابن المنذر، عن أبي وائل شقيق بن سلمة والشعبي والحسن البصري ومكحول وقبيصة بن ذؤيب وهو رواية عن إبراهيم النخعي، ويحكى عن أبي حنيفة، رحمهم الله: أن القراءة في الحمام تكره.

وأما القراءة في الحش فكراهتها ظاهرة ولو قيل بتحريم ذلك صيانة لشرف القرآن لكان مذهبا. وأما القراءة في بيت الرحى وهي تدور فثلا يعلو غير القرآن عليه، والحق يعلو ولا يعلو، والله أعلم.

(تعلم الصبيان القرآن)

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم.

قال: وقال ابن عباس: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم أنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جمعت المحكم في عهد النبي ﷺ فقلت له: وما المحكم؟ قال: المفصل.

انفرد بإخراجه البخاري^(١)، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن؛ لأن ابن عباس أخبر عن سنه حين موت رسول الله ﷺ وقد كان جمع المفصل وهو من الحجرات، كما تقدم ذلك، وعمره إذ ذاك عشر سنين.

وقد روى^(٢) البخاري أنه قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا مختون، وكانوا لا يختنون حتى

(١) في «الفضائل» (٨٣/٩).

(٢) في «كتاب الاستئذان» (٨٨/١١) عن سعيد بن جبير قال: سئل ابن عباس: مثل من أنت حين قبض =

يحتلم، فيحتمل أنه احتلم لعشر سنين جمعاً بين هذه الرواية وتلك ويحتمل أنه تجوز في هذه الرواية بذكر العشر وترك ما زاد عليها من الكسر، والله أعلم.

وعلى كل تقدير ففيه دلالة على جواز تعليم القرآن في الصبا، وهو ظاهر بل قد يكون مستحباً أو واجباً؛ لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يصلي به، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيراً وأشدّ علوقاً بخاطره، وأرسخ وأثبت كما هو المعهود من حال الناس.

وقد استحب بعض^(١) السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلاً للعب، ثم توفر همته على القراءة لثلاث يلزم أولاً بالقراءة فيملها ويعدل عنها إلى اللعب.

وكره^(٢) بعضهم تعليمه القرآن وهو لا يعقل ما يقال له، ولكن يترك حتى إذا عقل وميز علم قليلاً قليلاً بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه.

واستحب^(٣) عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلحق خمس آيات خمس آيات.

رويناه عنه بسند جيد.

نسيان القرآن وهل يقول: نسيت آية كذا وكذا؟

وقول الله: ﴿سُقِرْتُكَ فَلَا تَنسَى﴾ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

حدثنا^(٤) الربيع بن يحيى، حدثنا زائدة، حدثنا هشام (عن)^(٥) عروة، عن عائشة قالت: لقد سمع النبي ﷺ رجلاً يقرأ في المسجد فقال: «(يرحمه)»^(٦) الله لقد أذكرني آية كذا وكذا من سورة كذا». انفرد به.

وحدثنا^(٧) محمد بن عبيد بن ميمون، حدثنا عيسى بن يونس، عن هشام وقال: «أسقطتهن من سورة كذا وكذا». انفرد به أيضاً.

= النبي ﷺ؟ قال: «أنا يومئذ مختون... إلخ.

ثم روى عن ابن عباس قال: قبض النبي ﷺ وأنا ختين.

(١) منهم سعيد بن جبيرة. وانظر: «فتح الباري» (٨٣/٩).

(٢) منهم إبراهيم النخعي، أخرجه ابن أبي داود كما في «الفتح».

(٣) أخرجه الإسماعيلي، كما في «مسند الفاروق» (١٧٠/١) للمصنف؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨٠٧)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣١٩/٩)؛ والخطيب في «تاريخه» (٢٨٧/١٣) من طريق علي بن بكار، عن أبي خلدة خالد بن دينار، عن أبي العالية، عن عمر بن الخطاب قال: تعلموا القرآن خمساً خمساً، فإن جبريل ﷺ نزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً خمساً.

وقد جود المصنف سنده، وفيه نظر، فقد خولف علي بن بكار. خالفه وكيع ومسلم بن إبراهيم والفضل بن دكين فرووه عن أبي خلدة عن أبي العالية قوله: أخرجه ابن أبي شيبه (٤٦١/١٠)؛ وابن أبي حاتم في «العلل» (ج ٢/رقم ١٧٤٩)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨٠٦) وقال: «رواية وكيع أصح» وكذا رجح أبو زرعة أنه من قول أبي العالية ليس عن عمر. والله أعلم.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢٠٥/٤) نحوه لأبي سعيد الخدري.

(٤) البخاري في «الفضائل» (٨٤/٩، ٨٥).

(٥) في (أ): «ابن»!!

(٦) في (أ): «رحمه».

(٧) البخاري في «كتاب الشهادة» (٢٦٤/٥).

تابعه علي^(١) بن مسهر^(٢) وعبد، عن هشام وقد أسندهما البخاري في موضع آخر ومسلم معه في عبدة.

حدثنا أحمد^(١) بن أبي رجاء، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل، فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا (آية)^(٣) كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا».

ورواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة.

الحديث الثاني^(٤): حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت كيت وكيت بل هو نسي».

ورواه مسلم والنسائي من حديث منصور به، وقد تقدم.

وفي «مسند أبي يعلى»: «فإنما هو نسي» بالتخفيف. هذا لفظه.

وفي هذا الحديث والذي قبله دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص له (إذا كان)^(٥) بعد الاجتهاد والحرص.

وفي حديث ابن مسعود أدب في التعبير عن حصول ذلك، فلا يقول: نسيت كذا، فإن النسيان ليس من فعل العبد، وقد تصدر عنه أسبابه من التناسي والتغافل والتهاون المفضي إلى ذلك، فأما النسيان نفسه فليس بفعله، ولهذا قال: بل هو نسي، مبني لما لم يسم فاعله، وأدب أيضاً في ترك إضافة ذلك إلى الله تعالى، وقد أسند النسيان إلى العبد في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] وهو - والله أعلم - من باب المجاز الشائع بذكر المسبب وإرادة السبب؛ لأن النسيان إنما يكون عن سبب قد يكون ذنباً، كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم، فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالأذان، والحسنة تذهب السيئة، فإذا زال السبب للنسيان انزاح فحصل الذكر للشيء بسبب ذكر الله تعالى، والله أعلم.

من لم ير بأساً أن يقول: سورة البقرة وسورة كذا وكذا.

حدثنا^(٦) عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثني إبراهيم، عن علقمة وعبد الرحمن بن يزيد، عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه».

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمن بن يزيد.

(١) في «فضائل القرآن» (٨٧/٩).

(٢) في «كتاب الدعوات» (١٣٦/١١)؛ وأخرجه مسلم (٢٢٤/٧٨٨، ٢٢٥).

(٣) كذا في «الأصول» وليست هذه اللفظة في «البخاري» من حديث أبي أسامة عن هشام، ووقعت في رواية علي بن مسهر.

(٤) مرّ تخريجه في باب: «استذكار القرآن وتعاهده».

(٥) ساقط من (ج).

(٦) البخاري في «فضائل القرآن» (٨٧/٩)؛ وأخرجه أيضاً في «الفضائل» (٥٥/٩) باب: فضل سورة البقرة من طريق شعبة، عن الأعمش به؛ وأخرجه أيضاً ومسلم (٢٥٥/٧٠٨).

وصاحباً الصحيح^(١) والنسائي وابن ماجه من حديث علقمة، كلاهما عن أبي مسعود (عقبة)^(٢) بن عمرو الأنصاري البصري.

الحديث الثاني: (٣) ما رواه من حديث الزهري عن عروة، عن المسور وعبد الرحمن بن عبد القاري، كلاهما عن عمر قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان وذكر الحديث بطوله كما تقدم وكما سيأتي.

الحديث الثالث: ما رواه من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، سمع رسول الله ﷺ قارئاً يقرأ من الليل في المسجد فقال: (يرحمه)^(٤) الله (لقد)^(٥) أذكرني كذا وكذا آية، كنت أسقطهن من سورة كذا وكذا.

وهكذا في «الصحيحين»^(٦) عن ابن مسعود أنه كان يرمى الجمرة من الوادي ويقول: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة.

وكره بعض السلف ذلك، ولم يروا أن يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، كما جاء وتقدم من رواية يزيد^(٧) الفارسي، عن ابن عباس، عن عثمان أنه قال: إذا نزل من القرآن شيء يقول رسول الله ﷺ: «اجعلوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا».

ولا شك أن هذا أحوط وأولى، ولكن قد صحت الأحاديث بالرخصة في الآخرة، وعليه عمل الناس اليوم في ترجمة السور في مصاحفهم وبالله التوفيق.

الترتيل في القراءة

وقوله ﷻ: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤].

وقوله: ﴿وَقَرَأْنَا لَهُمْ تِلْكَ الْقُرْآنَ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكٍّ﴾ [الإسراء: ١٠٦] وما يكره أن يهذ كهذ الشعر. (يفرق)^(٨): يفصل، قال ابن عباس: ﴿فَوَقَّعَهُ﴾ فصلناه.

حدثنا^(٩) أبو النعمان، حدثنا مهدي بن ميمون، حدثنا واصل، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: غدونا على عبد الله فقال رجل: قرأت المفصل البارحة، فقال: هذا كهذ الشعر؟ إنا قد سمعنا القراءة وإنني لأحفظ القراءات اللاتي كان يقرأ بهن النبي ﷺ ثماني عشرة سورة من المفصل، وسورتين من آل حم.

ورواه مسلم، عن شيبان بن فروخ، عن مهدي بن ميمون، عن واصل وهو ابن حيان الأحذب، عن أبي وائل، عن شقيق بن سلمة، عن ابن مسعود به.

(١) معطوف على قوله: «وأخرجه».

(٢) في (أ): «عتبة» بالتاء وهو تصحيف.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) في (أ): «رحمه».

(٥) ساقط من (أ).

(٦) أخرجه البخاري (٣/ ٥٨٠، ٥٨١)؛ ومسلم (١٢٩٦/ ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩).

(٧) سبق تخريجه وذكرنا هناك أنه حديث منكر، والله أعلم.

(٨) في «الصحيح»: «فيها يفرق».

(٩) البخاري في «الفضائل» (٨٨/ ٩)؛ وأخرجه مسلم (٢٧٨/ ٨٢٢).

وقال الإمام ^(١) أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن زياد بن نعيم، عن مسلم بن مخراق، عن عائشة أنه ذكر لها أن ناساً يقرءون القرآن في الليل مرة أو مرتين، فقالت: أولئك قرأوا ولم يقرأوا، كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه.

الحديث الثاني: حدثنا ^(٢) قتيبة، حدثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ فِيهِ﴾ [القيامة] كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه.

وذكر تمام الحديث كما سيأتي وهو متفق عليه.

وفيه وفي الذي قبله دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هذمة ولا (سرعة) ^(٣) مفرطة بل بتأمل وتفكر.

قال الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا الْقُرْآنَ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِكُنْزٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص].

وقال الإمام أحمد ^(٤): حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

وقال أبو عبيد ^(٥): حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: قرأ علقمة على عبد الله فكانه عجل، فقال عبد الله: فداك أبي وأمي، رتل فإنه زين القرآن.

(١) في «مسنده» (٩٢/٦، ١١٩)؛ وأخرجه ابن المبارك في «مسنده» (٥٧)؛ وأحمد بن منيع، كما في «المطالب العالية» (١٤٢/١)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص ٦٧)؛ وأبو يعلى (ج ٨/رقم ٤٨٤٢)؛ وعنه أبو الشيخ في «الأخلاق» (٥٣٨)؛ والفريابي في «فضائل القرآن» (١١٦)؛ والبيهقي (٣١٠/٢) من طريق ابن لهيعة بسنده سواء.

وقد رواه عن ابن لهيعة ابن المبارك من قدماء أصحابه وقد تابعه يحيى بن أيوب، عن الحارث بن يزيد بسنده سواء.

أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٧)؛ والفريابي (١١٧)؛ والبيهقي (٣١٠/٢) ولكن مسلم بن مخراق ترجمه البخاري في «الكبير» (٢٧١/١/٤)؛ وابن أبي حاتم (١٩٤/١/٤) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً؛ أما ابن حبان فذكره في «الثقات» (٣٩٧/٥) على قاعدته في توثيق المجاهيل!

(٢) البخاري في «الفضائل» (٨٨/٩)؛ وأخرجه أيضاً في (٢٩/١، ٨٦٠/٨، ٨٦١، ٨٦٢، ٤٩٩/١٣)؛ وأخرجه مسلم (١٤٧/٤٤٨، ١٤٨).

(٣) في (أ): «بسرعة».

(٤) في «مسنده» (١٩٢/٢) وسنده حسن لأجل عاصم بن أبي النجود؛ وأخرجه النسائي في «الفضائل» (٨)؛ والترمذي (١٧٨/٥)؛ وابن حبان (١٧٩٠) من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن الثوري به؛ وأخرجه أبو داود (١٤٦٤)؛ والترمذي (٢٩١٤)؛ وابن أبي شيبه (٤٩٨/١٠)؛ والبيهقي في «سننه» (٥٣/٢)؛ والحاكم (١/٥٥٢، ٥٥٣)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٥/٤) من طريق عن الثوري؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي! وله شواهد عن أبي سعيد وأبي هريرة.

(٥) في «فضائل القرآن» (ص ٧٤).

قال: وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن.

وحدثنا^(١) إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن (أبي جمرة)^(٢) قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول.

وحدثنا^(٣) حجاج، عن شعبة وحماد بن سلمة، عن أبي (جمرة)^(٤)، عن ابن عباس نحو ذلك، إلا أن في حديث حماد: «أحب إلي من أن أقرأ القرآن أجمع هزيمة». ثم قال البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مد القراءة

حدثنا^(٥) مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم الأزدي، حدثنا قتادة قال: سألت أنس بن مالك، عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يمد مداً.

وهكذا رواه أهل السنن من حديث جرير بن حازم به.

حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام، عن قتادة قال: سئل أنس بن مالك: كيف كان قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم.

انفرد به البخاري^(٦) من هذا الوجه.

(١) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٧٤)؛ وأخرجه الآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٨٩)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٣٩٦/٢)؛ وفي «الشعب» (١٨٨٢) من طريق الحسن بن محمد الزعفراني، قال: نا ابن علي بسنده سواء. وإسناده صحيح.

(٢) في (ج): «أبي حمزة» بالحاء المهملة والزاي، وهو يروي أيضاً عن ابن عباس ولكن الذي يروي هذا الأثر هو أبو جمرة بالجيم والراء المهملة.

(٣) أبو عبيد (ص ٧٤)؛ وأخرجه البيهقي في «الكبرى» (٣٩٦/٢ و ١٣/٣)؛ وفي «الشعب» (ج ٥/رقم ١٩٧١، ١٩٧٢) من طريق حماد وشعبة كلاهما عن أبي جمرة، قال: قلت لابن عباس: إني رجل سريع القراءة، فربما قرأت القرآن في ليلة مرة أو مرتين! فقال ابن عباس: لأن أقرأ بسورة واحدة أعجب إلي من أن أفعل مثل الذي تفعل، فإن كنت فاعلاً لا بد، فاقرأه قراءة تسمع أذنك ويعيه قلبك.

لفظ حديث شعبة، وإسناده صحيح؛ وأخرج ابن المبارك في «الزهد» (١١٩٣)؛ وعبد الرزاق في «المصنف» (ج ٢/رقم ٤١٨٧) من طريق معمر، عن أبي جمرة نحوه.

ووقع عند البيهقي في «الكبرى»: «أبو حمزة»!!

(٤) في (ج): «أبي حمزة» بالحاء المهملة والزاي، وهو يروي أيضاً عن ابن عباس ولكن الذي يروي هذا الأثر هو أبو جمرة بالجيم والراء المهملة.

(٥) البخاري في «فضائل القرآن» (٩١/٩).

(٦) في «فضائل القرآن» (٩١/٩)؛ وأخرجه ابن المظفر في «غرائب شعبة» (١١٣)؛ والبعوي في «شرح السنة» (٤٨١/٤)؛ وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣٧٦/١)؛ وابن أبي داود، كما في «الفتح» (٩١/٩)؛ والدارقطني (٣٠٨/١)؛ وابن حبان (٦٣١٧) من طريق عمرو بن عاصم عن همام بن يحيى وجرير بن حازم عن قتادة، عن أنس به.

وفي معناه الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد^(١).

حدثنا أحمد بن عثمان، عن عبد الله بن المبارك، عن الليث بن سعد، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم سلمة أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ مفسرةً حرفاً حرفاً.

وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل، عن يحيى بن إسحاق، وأبو داود، عن يزيد بن خالد الرملي والترمذي والنسائي، كلاهما عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد به. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

ثم قال أبو عبيد^(٢): وحدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّكَعَ الرَّكْعَةَ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝﴾ [الفاتحة].

وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن جريج.

وقال الترمذي: «غريب وليس إسناده بمتصل».

يعني أن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة لم يسمعه من أم سلمة إنما رواه عن يعلى بن مملك كما تقدم، والله تعالى أعلم.

الترجيع

حدثنا^(٣) آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، حدثنا أبو إياس قال: سمعت عبد الله بن مغفل قال: رأيت النبي ﷺ وهو على ناقته - أو جملة - يسير به وهو يقرأ سورة الفتح - أو من سورة الفتح - قراءةً لينةً وهو يرجع.

وقد تقدم هذا الحديث في القراءة على الدابة، وأنه من المتفق عليه، وفيه أن ذلك كان يوم الفتح.

وأما الترجيع فهو التردد في الصوت، كما جاء أيضاً في البخاري أنه جعل يقول: آآ وكأن ذلك صدر من حركة الدابة تحته، فدل على جواز التلاوة عليه وإن أفضى إلى ذلك.

ولا يكون ذلك من باب الزيادة في الحروف بل ذلك مغتفر للحاجة كما يصلي على الدابة حيث توجهت به مع إمكان تأخير ذلك، والصلاة إلى القبلة، والله أعلم.

(١) في «فضائل القرآن» (ص ٧٤)؛ وأخرجه أبو داود (١٤٦٦)؛ والنسائي (١٨١/٢)، وفي «فضائل القرآن» (٨٢)؛ والترمذي (٢٩٢٣)؛ وفي الشماميل (٣٠٧)؛ والبخاري في «خلق الأفعال» (١٧١، ١٧٢)؛ وأحمد (٦/٢٩٤، ٣٠٠)؛ وابن خزيمة (ج ٢/رقم ١١٥٨)؛ وصححه الحاكم (٣٠٩/١، ٣١٠) على شرط مسلم ووافقه الذهبي وليس كما قال؛ لأن يعلى بن مملك لم يخرج له مسلم ثم فيه جهالة ولم يرو عنه إلا ابن أبي مليكة وقد اختلف في إسناده كما يأتي.

(٢) في «فضائل القرآن» (ص ٧٥)؛ وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٢٣/رقم ٦٠٣)؛ وأبو عمرو الداني في «الوقف والابتداء» (ص ١١٠، ١١١) عن أبي عبيد به وأخرجه أبو داود (٤٠٠١)؛ والترمذي (٢٩٢٧)؛ وفي «الشماميل» (٣٠٩)؛ وأحمد (٦/٣٠٢، ٣٢٣) وغيرهم من طريق يحيى بن سعيد الأموي بسنده سواء وضعفه الترمذي بالانقطاع وأصاب في ذلك لما ذكرته في «تسليية الكظيم» والله أعلم.

(٣) البخاري في «الفضائل» (٩٢/٩) وقد مر تخريجه.

حسن الصوت بالقراءة

حدثنا^(١) محمد بن خلف أبو بكر، حدثنا (أبو)^(٢) يحيى الحماني، حدثنا (بريد)^(٣) بن عبد الله بن أبي بردة، عن جده أبي بردة، عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود».

وهكذا رواه الترمذي، عن موسى بن عبد الرحمن الكندي، عن أبي يحيى الحماني واسمه عبد الحميد بن عبد الرحمن، وقال: «حسن صحيح».

وقد رواه مسلم من حديث طلحة (بن يحيى بن طلحة)^(٤)، عن أبي بردة، عن أبي موسى وفيه قصة.

وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخاري: من لم يتغن بالقرآن، وذكرت هناك أحكاماً أغنى عن إعادتها ههنا، والله تعالى أعلم.

من أحب أن يسمع القراءة من غيره

حدثنا^(٥) عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي القرآن» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «إني أحب أن أسمع من غيري».

وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش، وله طرق يطول بسطها، وقد تقدم فيما رواه مسلم من حديث طلحة (بن يحيى بن طلحة)^(٦) عن أبي بردة، عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له: «يا أبا موسى لو رأيته وأنا أستمع لقراءتك البارحة» فقال: أما والله لو أعلم أنك تستمع قراءتي لحبرتها لك تحبيراً^(٧).

وقال الزهري، عن أبي سلمة: كان عمر إذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى^(٧)، فيقرأ عنده.

وقال أبو عثمان النهدي: كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت: إني لم أسمع صوت صنع قط ولا يربط قط ولا شيئاً قد أحسن من صوته^(٧).

قول المقرئ للقارئ: حسبك

حدثنا^(٨) محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي» فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال:

(١) البخاري في «الفضائل» (٩٢/٩) وقد مر تخريجه.

(٢) ساقط من (أ). (٣) في (أ): «يزيد».

(٤) ساقط من (ج).

(٥) البخاري في «الفضائل» (٩٣/٩، ٩٤، ٩٨)؛ وأخرجه مسلم (٢٤٧/٨٠٠).

(٦) سقط من سياق (ج) واستدرسته من الحاشية. (٧) تقدم تخريج هذه الأخبار.

(٨) البخاري في «الفضائل» (٩٤/٩).

«نعم» فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء] قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.

أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من رواية الأعمش به.
ووجه الدلالة ظاهر.

وكذا الحديث الآخر: «اقرأوا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا»^(١).

في كم يقرأ القرآن؟

وقول الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنْهُ﴾

حدثنا^(٢) علي، حدثنا سفيان قال: قال لي ابن شبرمة: نظرت كم يكفي الرجل من القرآن؟ فلم أجد سورة أقل من ثلاث آيات. فقلت: لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات.

قال سفيان^(٣): أخبرنا منصور عن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن يزيد أخبره علقمة، عن أبي مسعود فلقيته وهو يطوف بالبيت، فذكر النبي ﷺ أن: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

وقد تقدم أن هذا الحديث متفق عليه.

وقد جمع البخاري فيما بين عبد الرحمن بن يزيد وعلقمة، عن أبي مسعود، وهو صحيح؛ لأن عبد الرحمن سمعه أولاً من علقمة، ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فسمعه منه.

وعلي هذا هو ابن المديني وشيخه: سفيان بن عيينة، وما قاله عبد الله بن (شبرمة)^(٤) فقيه الكوفة في زمانه استنباط حسن.

وقد جاء في حديث في «السنن»^(٥): «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات» ولكن هذا الحديث أعني حديث أبي مسعود أصح وأشهر وأخص، ولكن وجه مناسبته للترجمة التي ذكرها البخاري^(٦) فيه نظر، والله أعلم.

(١) يأتي تخريجه. (٢) البخاري في «الفضائل» (٩٤/٩).

(٣) قائل ذلك هو علي ابن المديني، ووقع هذا صريحاً في سائر روايات «الصحيح»، إلا رواية أبي ذر، فلم يذكر علي ابن المديني، والله أعلم.

(٤) في (أ): «الكوفة»!!

(٥) كذا قال ابن كثير رحمه الله: «السنن» وهذا يعني الأربعة، ولم أجد الحديث فيها ولا في أحدها، إنما أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٦٨٧/٥) من طريق عمر بن يزيد المدائني، عن عطاء، عن ابن عمر مرفوعاً: «لا تجزئ في المكتوبة إلا بفاتحة الكتاب، وثلاث آيات فصاعداً».

وأخرجه ابن الجوزي في «الواهيات» (٤١٩/١) من طريق ابن عدي وقال: «هذا حديث لا يصح، ومحمد بن معاوية قال محمد بن عبد الله الحضرمي، لا نريده كان واقفياً. وعمر بن يزيد انفرد بما لا يرويه غيره». اهـ والصواب إعلاله بعمر بن يزيد، فقد قال ابن عدي: «منكر الحديث».

وما أورده ابن عدي في ترجمته يدل على وهائه. والله أعلم.

(٦) كذا قال المصنف رحمه الله، وتعقبه الحافظ في «الفتح» (٩٥/٩) فقال: «وقد خفيت مناسبة حديث أبي مسعود بالترجمة على ابن كثير، والذي يظهر أنها من جهة أن الآية المترجم بها تناسب ما استدل به ابن عيينة من =

والحديث الثاني أظهر في المناسبة وهو قوله:

حدثنا^(١) موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعْلِها، فتقول: نعم الرجل من رجل، لم يَطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناها. فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: «الْقَني به» فلقيته بعد فقال: «كيف تصوم؟» قال: كل يوم. قال: «كيف تختم؟». قال: كل ليلة، قال: «صم كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر» قال: قلت: إني أطيق أكثر من ذلك، قال: «صم ثلاثة أيام في الجمعة» قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «أفطر يومين وصم يوماً» قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صم، أفضل الصوم صوم داود: صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة» فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذلك أني كبرت وضعفت، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرأ يعرضه بالنهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق عليه النبي ﷺ.

وقال^(٢) بعضهم: في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع.

وقد رواه في «الصوم»^(٣)، والنسائي أيضاً عن بNDAR، عن غندر، عن شعبة، عن مغيرة، والنسائي من حديث حصين، كلاهما عن مجاهد به.

ثم روى البخاري^(٤) ومسلم وأبو داود من حديث يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن عبد الرحمن مولى (بني زهرة)^(٥)، عن أبي سلمة قال: وأحسبني سمعت أنا من أبي سلمة، عن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ: «اقرأ القرآن في شهر» قلت: إني أجد قوة، قال: «فاقرأ في سبع، ولا تزدد على ذلك».

فهذا السياق ظاهره يقتضي المنع من قراءة القرآن في أقل من سبع.
وهكذا الحديث الذي رواه أبو عبيد^(٦).

حدثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيى بن بكير كلهم عن ابن لهيعة، عن حبان بن واسع، عن

= حديث أبي مسعود، والجامع بينهما أن كلا من الآية والحديث يدل على الاكتفاء بخلاف ما قال ابن شبرمة. اهـ.

(١) البخاري في «فضائل القرآن» (٩٤/٩، ٩٥). (٢) القائل هو البخاري.

(٣) (٢٢٤/٤)؛ وأخرجه النسائي (٢٠٩/٤، ٢١٠)؛ وفي «فضائل القرآن» (٩١) وآخرون تقدم ذكرهم.

(٤) أخرجه البخاري في «الفضائل» (٩٥/٩)؛ ومسلم (١١٥٩/١٨٤)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٣٩٦/٢ و٤/٢٩٩)؛ وفي «الشعب» (ج ٥/رقم ٩٧٥).

(٥) في (أ): «أبي هريرة»!

(٦) في «فضائل القرآن» (ص ٨٧)؛ وأخرجه يعقوب الفسوي في «التاريخ» (٢٩٨/١)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٠٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٨/رقم ٨٧٧) من طرق عن ابن لهيعة، حدثني حبان بن واسع، عن أبيه، عن قيس بن أبي صعصعة فذكره.

قال الهيثمي في «المجمع» (٢٦٩/٢): «فيه ابن لهيعة، وفيه كلام».

قلت: وقد اضطرب في إسناده كما يأتي إن شاء الله تعالى، وقد ذكر ابن السكن، كما في «الإصابة» (٥/٤٧٩)، أن ابن لهيعة تفرد به.

أبيه، عن قيس بن صعصعة أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال: «في كل خمس عشرة» قال: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: «ففي كل جمعة».

وحدثنا^(١) حجاج، عن شعبة، عن محمد بن ذكوان - رجل من أهل الكوفة - قال: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يقول: كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة.

وعن^(٢) حجاج، عن شعبة، عن أيوب، سمعت أبا قلابه، عن (أبي المهلب)^(٣) قال: كان أبي بن كعب يختم القرآن في كل ثمان، وكان^(٤) تميم الداري يختمه في كل سبع.

وحدثنا^(٥) هشيم، عن الأعمش، عن إبراهيم^(٦) [أنه كان يقرأ القرآن في كل سبع.

حدثنا^(٧) جرير، عن منصور، عن إبراهيم^(٦)] قال: كان الأسود يختم القرآن في كل ست.

وكان علقمة يختمه في كل خمس، فلو تركنا ومجرد هذا لكان الأمر في ذلك جلياً، ولكن دلت أحاديث أخر على جواز قراءته فيما دون ذلك، كما:

(١) أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٨٧) ويأتي الكلام عليه قريباً إن شاء الله تعالى.

(٢) أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٨٨)؛ وأخرجه عبد الرزاق (ج ٣/ رقم ٥٩٤٩)؛ وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (١٢٠٩)؛ وابن سعد (٣/ ٥٠٠)؛ والفريابي في «فضائل القرآن» (١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ١٥٦)؛ وأبو عمرو الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص ٣٢٣) من طرق عن أيوب السختياني، عن أبي قلابه، عن أبي المهلب، عن أبي بن كعب فذكره. وهذا سند ظاهره الصحة، وقد صرح أبو المهلب بالسماع من أبي بن كعب في رواية معمر بن راشد والثوري عن أيوب وكلاهما من الثقات الأثبات، ولكن قال شعبة: «أبو المهلب لم يسمع من أبي بن كعب». كذا في «المراسيل» (ص ١٤٣)؛ لابن أبي حاتم، وزاد في «مقدمة الجرح والتعديل» (ص ١٢٩)، «أبو المهلب لم يسمع من أبي حديثه أنه كان يقرأ القرآن في ثمان» ومثل هذا النفي الخاص يقدّم على مطلق القول بالسماع عند بعض العلماء، فلعل الثوري ومعمر أحفظاً ما لم يحفظه شعبة، والعبرة في إثبات السماع بالأسانيد الصحيحة، إذ لعل النافي لم يطلع على مثل هذا الإسناد، أو وقع له الإسناد بواسطة بينهما، فإذا رآه مرة بغير واسطة جزم بالانقطاع، والذي عندي أن الإسناد صحيح ما لم يقع التصحيف في الكتاب. والله أعلم. وقد خولف أيوب. خالفه خالد الحذاء فرواه عن أبي قلابه، قال: كان أبي بن كعب يختم في كل ثمان. . . أخرجه أبو عبيد (ص ٨٨) وعنه أبو عمرو الداني في «البيان» (ص ٣٢٥) من طريق علي بن عاصم، عن خالد. وقد توبع علي بن عاصم. تابعه هشيم، عن خالد الحذاء أخرجه أبو عمرو الداني أيضاً وخالفهما وهيب فرواه عن خالد عن أبي قلابه عن أبي المهلب عن أبي بن كعب أخرجه الفريابي في «الفضائل» (١٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في «الفضائل» (٩/ ٩٥)؛ ومسلم (١١٥٩/ ١٨٤).

(٤) أخرجه أبو عبيد (ص ٨٨)؛ وأبو عمرو الداني في «البيان» (ص ٣٢٥)؛ والفريابي (١٣٦).

(٥) أخرجه أبو عبيد (ص ٨٨)، وعنه الداني (ص ٣٢٨٨) وسنده صحيح.

(٦) ساقط من (أ).

(٧) أخرجه أبو عبيد (ص ٨٨)؛ وابن أبي شيبه (٢/ ٥٠١)؛ والفريابي (١٣٩)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٩٩، ١٠٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (٢٠٠٠)؛ وأبو عمرو الداني (ص ٣٢٦، ٣٢٧)؛ وابن حبان في «الثقات» (٣١/ ٤) من طرق عن منصور، عن إبراهيم. وسنده صحيح. وتابعه الأعمش عن إبراهيم به. أخرجه الداني (ص ٣٢٧).

رواه الإمام أحمد في «مسنده»^(١)، حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا حبان بن واسع، عن أبيه، عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال: يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال: «نعم» قال: فكان يقرؤه حتى توفي.

وهذا إسناد جيد قوي (حسن^(٢)، فإن) حسن (ابن^(٣) موسى) الأشيب ثقة متفق على جلالته، روى له الجماعة وابن لهيعة، إنما يخشى من تديسه أو سوء حفظه، وقد صرح ههنا بالسماع، وهو من أئمة العلماء بالديار المصرية في زمانه، وشيخه حبان بن واسع بن حبان وأبوه كلاهما من رجال مسلم، والصحابي لم يخرج له أحد من أهل الكتب الستة، وهذا على شرط كثير منهم، والله أعلم.

وقد رواه أبو عبيد رضي الله عنه، عن ابن بكير، عن ابن لهيعة، عن حبان بن واسع، عن أبيه، عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال: يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال: «نعم إن استطعت» قال: فكان يقرؤه كذلك حتى توفي.

حديث آخر: قال أبو عبيد^(٤): حدثنا يزيد، عن همام، عن قتادة، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث». وهكذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث قتادة به.

وقال الترمذي: «حسن صحيح».

حديث آخر: قال أبو^(٥) عبيد، حدثنا يوسف بن الغرق^(٦)، عن الطيب بن سلمان قال: حدثنا عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة تقول: كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن في أقل من ثلاث.

(١) سقط هذا الحديث من «المسند» المطبوع، وقد ذكره الحافظ في «أطراف المسند» (٢/٤٦٥) وكذا عزاه الهيثمي في «المجمع» (٢/٢٦٨) إلى أحمد؛ وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٧٤)؛ وأبو عبيد (ص ٨٨)؛ والفريابي (١٢٨) كلاهما في «فضائل القرآن»؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٦/رقم ٥٤٨١)؛ والداني في «البيان» (ص ٣٢٦) من طريق عن ابن لهيعة بسنده سواء. وقد أجاب المؤلف رضي الله عنه عن ابن لهيعة فقال: وابن لهيعة إنما يخشى من تديسه أو سوء حفظه وقد صرح ههنا بالسماع، وهو من أئمة العلماء بالديار المصرية. اه فلم يجب ابن كثير على اتهامه بسوء الحفظ إلا بقوله: هو من أئمة العلماء، وهذا لا يعني أنه حافظ ثبت، فكم من عالم فقيه وصالح دين لم يقبل العلماء روايته لخفة ضبطه، وهذا الحديث قد اضطرب فيه ابن لهيعة في تسمية صحابي الحديث، وإن كان الأشبه أنه «سعد بن المنذر» لرواية ابن المبارك وهو من قدماء أصحاب ابن لهيعة. فالله أعلم.

(٢) ساقط من (ج).

(٣) (ج): «ابن أبي موسى»!!

(٤) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٨٩)؛ وأخرجه أبو داود (١٣٩٠، ١٣٩٤)؛ والترمذي (٢٩٤٩)؛ والنسائي في «الفضائل» (٩٢)؛ وابن ماجه (١٣٤٧)؛ والدارمي (٢٨٩/١)؛ وأحمد (٦٥٣٥، ٦٥٤٦، ٦٧٧٥)؛ والطاليسي (٢٢٧٥)؛ وابن أبي شيبة (٢/٥٠٠، ٥٠١)؛ وابن حبان (٧٥٨)؛ والفريابي (١٤٢) - (١٤٥)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ١٩٨١)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/٢٦٥) من طرق عن قتادة بسنده سواء وقد اختلف في إسناده وهذا أرجح الوجوه والله أعلم ومن ثم صححه الترمذي.

(٥) في «الفضائل» (ص ٨٨، ٨٩). وشيخ أبي عبيد: «يوسف بن الغرق» كذبه أبو الفتح الأزدي، وقال أبو علي الحافظ «منكر الحديث» ووثقه ابن حبان، ومشاه ابن عدي (٧/٢٦٢٥) ولينه أبو حاتم الرازي.

(٦) الغرق: بالغين المعجمة والقاف بينهما راء مكسورة. وانظر: «تبصير المتنبه» (٣/١٠٤١).

هذا حديث غريب جداً وفيه ضعف، فإن الطيب بن سلمان هذا بصري ضعفه الدارقطني وليس هو بذلك المشهور، والله أعلم.

وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث، كما هو مذهب (أبي عبيد)^(١) وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الخلف أيضاً.

قال أبو عبيد^(٢)، حدثنا يزيد، عن هشام بن حسان، عن حفصة، عن أبي العالية، عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث. صحيح.

وحدثنا^(٣) يزيد، عن سفيان، عن علي بن بزيمة، عن أبي عبيدة قال عبد الله: من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز.

وحدثنا^(٤) حجاج، عن شعبة، عن علي بن بزيمة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله مثله (سواء)^(٥).

وحدثنا حجاج^(٦)، عن شعبة، عن محمد بن ذكوان، عن (عبد الرحمن بن)^(٧) عبد الله بن مسعود، عن أبيه أنه كان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث. إسناده صحيح.

^(٨) [وفي «المسند»^(٩) عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعاً: «اقرأوا القرآن، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به»]^(٨).

(١) في (ج): (أبو عبيد) على حكاية الحال.

(٢) في «فضائل القرآن» (ص ٨٩). وأخرجه أبو عمرو الداني في «البيان» (ص ٣٢٥، ٣٢٦) من طريق سفيان، عن هشام، عن أم الهذيل عن أبي العالية، عن معاذ أنه كان يقرأه في ثلاث.

ووقع في «الكتاب»: «أم البديل» وهو تصحيف. وأم الهذيل هي حفصة بنت سيرين، وقد صححه المؤلف رحمه الله، ولكن نقل ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص ٥٨) عن شعبة أنه قال: «قد أدرك أبو العالية رفيع بن مهران علي بن أبي طالب ولم يسمع منه شيئاً» وقد قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام في رمضان سنة أربعين، ومات معاذ بن جبل عليه السلام سنة ثمانين عشرة في خلافة عمر، وقد أدرك أبو العالية الجاهلية، فإدراكه لمعاذ صحيح، والله أعلم.

(٣) أخرجه أبو عبيد (ص ٨٩). (٤) يأتي تخريجه في آخر كتاب «فضائل القرآن».

(٥) ساقط من (أ).

(٦) أخرجه أبو عبيد (ص ٨٧)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ١٥٥)؛ والفريابي (١٣٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٧٠٦)؛ وابن أبي داود، وأبو عمرو الداني في «البيان» (ص ٣٢٥) من طرق عن شعبة، عن محمد بن ذكوان، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه. وأخرجه البخاري في «التاريخ» (١/٧٨) من هذا الوجه بلفظ: «كان عبد الله يختم في جمعة».

وقد صحح إسناده المؤلف رحمه الله، وقد قال الذهبي: «محمد بن ذكوان ما روى عنه غير شعبة» فهذا يعني أنه مجهول، وقد تبع الذهبي ابن أبي حاتم في هذا، وقد وقع لابن أبي حاتم خلط فنقل ما قيل في محمد بن ذكوان بياع الأكيسة، نقله في محمد بن ذكوان خال والد حماد بن زيد وهذا ضعيف، وذلك وثقه ابن معين وابن حبان وقال شعبة: «كان كخير الرجال»، فالصواب أن إسناده الحديث حسن والله أعلم.

(٧) ساقط من (أ). (٨) ساقط من (أ) و(ط).

(٩) أخرجه أحمد (٣/٤٤٤)؛ وأبو يعلى (ج ٣/رقم ١٥١٨)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٣٨٣) من طرق =

(١) [فقلوه: «لا تغلوا فيه»؛ أي: لا تبالغوا في تلاوته بسرعة في أقصر مدة، فإن ذلك ينافي التدبر غالباً، ولهذا قابله بقوله: «ولا تجفوا عنه»؛ أي: لا تركوا تلاوته] (١).

فصل

وقد ترخص جماعات من السلف في تلاوة القرآن في أقل من ذلك، منهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال أبو عبيد (٢) رضي الله عنه: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني ابن خضيفة، عن السائب بن يزيد أن رجلاً سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي، عن صلاة طلحة بن عبيد الله فقال: إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان رضي الله عنه، فقال: نعم، قال: قلت: لأغلبن الليلة على الحجر فقامت، فلما قمت إذا أنا برجل مقنع يزحمني، فنظرت فإذا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فتأخرت عنه فصلى، فإذا هو يسجد سجود القرآن حتى إذا قلت: هذه هوادي الفجر أوتر بركة لم يصل غيرها.

وهذا إسناد صحيح.

ثم قال (٣): حدثنا هشيم، أنا منصور، عن ابن سيرين قال: قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة حيث دخلوا على عثمان ليقتلوه: إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيي الليل كله بركة يجمع فيها القرآن. وهذا حسن.

وقال (٤) أيضاً: حدثنا أبو معاوية، عن عاصم بن سليمان، عن ابن سيرين أن تميماً الداري قرأ القرآن في ركعة.

حدثنا (٥) حجاج، عن شعبة، عن حماد، عن سعيد بن جبير أنه قال: قرأت القرآن في ركعة في البيت؛ يعني: الكعبة.

= عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جده أبي سلام، عن أبي راشد، عن عبد الرحمن بن شبل... فذكره. وسنده صحيح وقد اختلف في إسناده وهذا أثبت الوجوه.

(١) ساقط من (أ) و(ط).

(٢) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٩٠)؛ وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج ٣/رقم ٤٦٥٣) من طريق ابن جريج بسنده سواء. وصحح المؤلف سنده وهو كما قال، ولكن ليس في هذه الرواية دلالة على أن عثمان رضي الله عنه ختم القرآن في ركعة، بل فيها عكسه، فهي تدل بجلاء على أنه صلى أكثر من ركعة لكنه أوتر بواحد لم يصل غيرها، ولو أنه أثبت بدلها رواية ابن المنكدر عن عبد الرحمن بن عثمان لكان أولى من هذه في مقام الاحتجاج، وقد سقت لفظها مع طرق أخرى في «تسليّة الكظيم» فله الحمد.

(٣) أخرجه أبو عبيد (ص ٩٠، ٩١)؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٧/١) قال: حدثنا هشيم بإسناده سواء؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (٥٠٣/٢) أيضاً؛ وابن سعد (٧٥/٣، ٧٦)؛ وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٤/١٢٧٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١/رقم ١٣٠)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٥٧/١) من طرق عن ابن سيرين فذكره.

(٤) أخرجه أبو عبيد (ص ٩١)؛ وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٧٧)؛ وابن أبي شيبة (٥٠٢/٢)، وعنه ابن حبان في «الثقات» (٣/٤٠)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٣/٢٥)؛ وفي «الشعب» (ج ٥/رقم ١٩٩٤) من طريق عاصم الأحول بسنده سواء.

(٥) أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٩١)؛ وأخرجه ابن حبان في «الثقات» (٤/٢٧٦) عن وكيع؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (١/٣٤٨) من طريق أبي نعيم؛ وابن سعد (٦/٢٥٩)، حدثنا يزيد بن هارون جميعاً عن =

وحدثنا^(١) جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة أنه قرأ القرآن في ليلة، طاف بالبيت أسبوعاً، ثم أتى المقام فصلى عنده^(٢) [فقرأ بالطول، ثم طاف بالبيت أسبوعاً، ثم أتى المقام فصلى عنده]^(٣)، فقرأ بالمئين، ثم طاف بالبيت أسبوعاً، ثم أتى المقام. فصلى عنده فقرأ بالمئاني، ثم طاف بالبيت أسبوعاً، ثم أتى المقام. فصلى عنده فقرأ بالمئاني، ثم طاف بالبيت أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن. وهذه كلها أسانيد صحيحة.

ومن أغرب ما ههنا ما رواه أبو^(٣) عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حدثنا سعيد بن غفير، عن بكر بن مضر أن سليم بن عتر التجيبي كان يقرأ القرآن في ليلة ثلاث مرات، ويجمع ثلاث مرات، قال: فلما مات قالت امرأته: رحمك الله إن كنت لترضى ربك وترضى أهلك، قالوا: وكيف ذلك؟ قالت: كان يقوم من الليل فيختم بالقرآن، ثم يلم بأهله، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يختم، ثم يلم بأهله، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يختم، ثم يلم بأهله، ثم يغتسل ويخرج إلى صلاة الصبح. قلت: كان سليم بن عتر تابعياً جليلاً ثقةً نبيلاً وكان قاضياً بمصر أيام معاوية وقاصها. قال أبو حاتم^(٤): روى عن أبي الدرداء وعنه ابن زحر.

ثم قال: حدثني محمد بن عوف، عن أبي صالح كاتب الليث، حدثني حرملة بن عمران، عن كعب بن علقمة قال: كان سليم بن عتر من خير التابعين. وذكره ابن يونس في «تاريخ مصر».

وقال: روى ابن أبي داود، عن مجاهد أنه كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء. وعن منصور^(٥) قال: كان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان. وعن إبراهيم بن سعد قال: كان أبي يحتبي فما يحل حبوته حتى يختم القرآن. قلت: وروي عن منصور^(٦) بن زاذان أنه كان يختم فيما بين الظهر والعصر، ويختم أخرى فيما بين المغرب والعشاء، وكانوا يؤخرونها قليلاً.

= الثوري، عن حماد مثله؛ وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص ٣٠٧)؛ وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٢٧٣/٤) من طريق إسحاق مولى عبد الله بن عمر، عن هلال بن يساف قال: دخل سعيد بن جبير الكعبة فقرأ القرآن في ركعة؛ وعلق الذهبي في «السير» (٣٢٥/٤) بقوله: «هذا خلاف السنة».

(١) أخرجه أبو عبيد (ص ٩١)؛ وعنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج ١١/ق ٨٢٢)؛ وأخرجه الفريابي في «فضائل القرآن» (١٤٠) قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة وابن حبان في «الثقات» (٢٠٨/٥) عن أبي بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا جرير بسنده سواء.

(٢) ساقط من (أ)، وليس هو في «كتاب أبي عبيد» أيضاً، فالله أعلم.

(٣) في «الفضائل» (ص ٩١) وهو غريب جداً، لا أصدقه فإنه لا يكاد المرء يفعل ذلك ولو قرأ القرآن هذا هذا. نعم! ذكر الذهبي في «السير» (١٣٢/٤) عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد أن سليم بن عتر كان يقرأ القرآن كله كل ليلة ثلاث مرات وسنده ضعيف.

(٤) في «الجراح والتعديل» (٢١١/١/٢، ٢١٢).

(٥) أخرجه ابن حبان في «الثقات» (١٦٤/٥، ١٦٥) من طريق ابن أبي شيبة، ثنا عبيدة بن حميد، عن منصور به وسنده صحيح.

(٦) أخرجه بحشل في «تاريخ واسط» (ص ٨١)؛ وابن حبان في «الثقات» (٤٧٤/٧)؛ والبيهقي في «الشعب» =

وعن الإمام الشافعي رحمته الله أنه كان يختم في اليوم واللييلة من شهر رمضان ختمتين وفي غيره ختمة.

وعن أبي عبد الله البخاري صاحب «الصحیح» أنه كان يختم في اللييلة ويومها من رمضان ختمة.

ومن غريب هذا وبديعه ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي قال: سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول: كان ابن الكاتب يختم بالنهار أربع ختمات، وبالليل أربع ختمات. وهذا نادر جداً، فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمول إما على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مما تقدم، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرؤونه (مع)^(١) هذه السرعة، والله سبحانه أعلم.

قال الشيخ أبو زكريا النواوي في كتابه «التيان»^(٢) بعد ذكر طرف مما تقدم: والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرؤه وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهزيمة.

ثم قال البخاري^(٣) رحمته الله:

البكاء عند قراءة القرآن

وأورد فيه من رواية الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ علي» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتي أن أسمعه من غيري» قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال لي: «كف أو أمسك» (فرأيت)^(٤) عينيه تدرفان.

وهذا من المتفق عليه كما تقدم، وكما سيأتي إن شاء الله.

من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به

حدثنا^(٦) محمد بن كثير، أنا سفيان، حدثنا الأعمش، عن خيثمة، عن سويد بن غفلة، عن علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان

= (ج ٥/رقم ١٩٩٩)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٥٧/٣، ٥٨) من طريق هشام بن حسان ويزيد بن هارون عن منصور.

(١) في (ج): «في».

(٢) (ص ٧٦).

(٣) في «فضائل القرآن» (٨٩/٩) وتقدم تخريجه. (٤) في (أ): «إذا».

(٥) الذي في «البخاري»: «باب إثم من رأى... إلخ».

(٦) البخاري في «الفضائل» (٩٩/٩)؛ وأخرجه البخاري أيضاً في «المناقب» (٦١٨/٦)، وفي «استيابة المرتدين»

(٢٨٣/٢)؛ ومسلم (١٠٦٦).

سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة.

وقد روى في موضعين آخرين، ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن الأعمش به. حدثنا^(١) عبد الله بن يوسف، حدثنا مالك، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح فلا يرى شيئاً، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً، ويتمارى في الفوق».

ورواه في موضع آخر ومسلم أيضاً والنسائي من طرق عن الزهري، عن أبي سلمة به. وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة به. حدثنا^(٢) مسدد بن مسرهد، حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به، كالتمر طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر - أو خبيث - وريحها مر».

ورواه في «مواضع آخر» مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به. ومضمون هذه الأحاديث التحذير من المراءاة بتلاوة القرآن التي هي من أعظم القرب، كما جاء في الحديث^(٣):

«واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بأعظم مما خرج منه» يعني القرآن. والمذكورون في حديث علي وأبي سعيد هم الخوارج وهم الذين لا يجاوز إيمانهم حناجرهم. وقد قال في الرواية الأخرى: «يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم، وصلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم».

ومع هذا أمر بقتلهم؛ لأنهم مرءون في أعمالهم في نفس الأمر وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك إلا أنهم أسسوا أعمالهم على اعتقاد غير صالح، فكانوا في ذلك كالمذمومين في قوله:

(١) البخاري في «الفضائل» (٩٩/٩).

(٢) البخاري في «الفضائل» (١٠٠/٩)؛ وأخرجه مسلم (٢٤٣/٧٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في «الفضائل» (١٠٠/٩)، وأخرجه مسلم (٢٤٣/٧٩٧)، وأبو داود (٤٨٣٠)، والنسائي في «فضائل القرآن» (١٠٦) وابن ماجه (٢١٤)، وأحمد (٤٠٨/٤)، والفرابي في «صفة المنافق» (٤٠)، والشجري في «الأمالي» (٨٣/١) من طرق عن شعبة، عن قتادة، عن أنس، عن أبي موسى به، ورواه همام بن يحيى، وأبو عوانة، وأبان بن يزيد العطار، وسعيد بن أبي عروبة ومعمّر بن راشد وأبو هلال الراسبي جميعاً عن قتادة. وقد ذكرت أحاديثهم في «التسليّة».

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة].

وقد اختلف العلماء في تكفير الخوارج وتفسيقهم ورد رواياتهم، كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله (تعالى) (١) (٢).

والمناقب المشبه بالريحانة (التي) (٣) لها ریح ظاهر وطعمها مر: هو المرائي بتلاوته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

ثم قال البخاري:

اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم

حدثنا (٤) أبو النعمان (محمد بن الفضل عارم) (٥)، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي عمران الجوني، عن جندب بن عبد الله (رضي الله عنه)، عن النبي (ﷺ) قال: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه».

حدثنا عمرو بن علي (بن بحر الفلاس) (٦)، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سلام بن أبي مطيع، عن أبي عمران الجوني، عن جندب قال: قال رسول الله (ﷺ): «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا» (٧) [عنه].

تابعه الحارث بن عبيد وسعيد بن زيد، عن أبي عمران ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان.

وقال غندر، عن شعبة، عن أبي عمران قال: سمعت جندباً قوله.

وقال ابن عون، عن أبي عمران، عن عبد الله بن الصامت، عن عمر قوله، وجندب أكثر وأصح.

وقد رواه في مواضع آخر ومسلم، كلاهما عن إسحاق بن منصور، عن عبد الصمد، عن همام، عن أبي عمران به.

(١) من (أ) و(ط).

(٢) هذا حديث ضعيف الإسناد أخرجه أحمد (٢٦٨/٥)، والترمذي (٢٩١١)، وابن نصر في «قيام الليل» (ص ٤١، ٤٢، ١٢٢)، وفي «تعظيم قدر الصلاة» (١٧٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٨ - الرد على الجهمية)، والخطيب (٨٨/٧، ١٢/٢٢٠) من حديث أبي أمامة واستغربه الترمذي وقد اختلف في سنده فمرة عن أبي أمامة، ومرة عن جبير بن نوفل، ومرة عن أبي ذر ومرة عن عقبة بن عامرة، ومرة عن جبير بن نفير مرسلاً، فهو حديث مضطرب لا يصح كما قال الإمام البخاري في «خلق أفعال العباد» (٥٠٩)، والله أعلم.

(٣) في (ج): «إلى».

(٤) البخاري في «الفضائل» (١٠١/٩)؛ ومن طريقه أبو بكر الكلاباذي في «معاني الأخبار» (١/٢٢٣)؛ وأخرجه أيضاً في «الاعتصام» (٣٣٥/١٣، ٣٣٦)؛ ومسلم (٤/٢٦٦٧).

وقد اختلف في هذا الحديث وقفاً ورفعاً، واختلف أيضاً في صاحبي الحديث والصواب ما رجحه الإمام البخاري (ﷺ) أنه عن جندب بن عبد الله مرفوعاً، وقد أشبعت المقام تحريراً في «تسليمة الكظيم» فله الحمد.

(٥) كذا وقع في «الأصول»: الاسم واللقب، والذي في «الصحيح» الكنية حسب، فهي زيادة من المصنف، وكذا الترضي على الصحابي ليس في «الصحيح».

(٦) في «الصحيح»: «فقوموا عنه».

(٧) ليس في «الصحيح».

ومسلم أيضاً عن يحيى بن يحيى، عن الحارث بن عبيد أبي قدامة، عن أبي عمران (به)^(١).
ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن سعيد بن حبان بن هلال، عن أبان العطار، عن أبي عمران به
مرفوعاً.

وقد حكى البخاري أن أبان وحماد بن سلمة لم يرفعا، فالله أعلم.
ورواه النسائي والطبراني من حديث مسلم بن إبراهيم، عن هارون بن موسى الأعور النحوي،
عن أبي عمران به.
ورواه النسائي أيضاً من طرق عن سفيان، عن الحجاج بن قرافصة، عن أبي عمران به
مرفوعاً.

وفي رواية: عن هارون بن زيد بن أبي الزرقاء، عن أبيه، عن سفيان، عن حجاج، عن أبي
عمران، عن جندب موقوفاً.
ورواه عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، عن إسحاق بن الأزرق، عن عبد الله بن عون، عن
أبي عمران، عن عبد الله بن الصامت، عن عمر قوله.
قال أبو بكر بن أبي داود: لم يخطئ ابن عون في حديث قط إلا في هذا، والصواب عن
جندب.

^(٢) [ورواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز، عن مسلم بن إبراهيم وسعيد بن منصور قالوا:
حدّثنا الحارث بن عبيد، عن أبي عمران، عن جندب مرفوعاً]^(٢).
فهذا ما تيسر من ذكر طرق هذا الحديث على سبيل الاختصار.

والصحيح منها ما أرشد إليه شيخ هذه الصناعة أبو عبد الله البخاري من الأكثر والأصح أنه
(عن)^(٣) جندب بن عبد الله مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ.
ومعنى الحديث أنه ﷺ أرشد (وحض)^(٣) أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة
على تلاوته (متفكرة)^(٤) متدبرة له لا في حال شغلها وملالها، فإنه لا يحصل المقصود من التلاوة
بذلك.

كما ثبت في الحديث^(٥) أنه قال ﷺ: «اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى
تملوا».

وقال^(٦): «أحب الأعمال إلى الله ما دام عليه صاحبه».
وفي اللفظ الآخر: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل».
ثم قال البخاري^(٧): حدّثنا سليمان بن حرب، حدّثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، عن

(١) ساقط من (أ) و(ط).

(٢) ساقط من (ج).

(٣) في (ج) و(ط): «وحظ».

(٤) في (ج): «مفكرة».

(٥) أخرجه البخاري (١/١٠١، ٣/٣٦)؛ ومسلم (٧٨٥/٢٢١).

(٦) أخرجه الشيخان وغيرهما، وفصلت تخريجه في «التسليّة».

(٧) في «الفضائل» (٩/١٠١). وأخرجه أيضاً في «الخصومات» (٥/٧٠)، وفي «أحاديث الأنبياء» (٦/٥١٣، ٥١٤).

النزال بن سبرة، عن عبد الله - هو ابن مسعود - أنه سمع رجلاً يقرأ آية (سمع) ^(١) النبي ﷺ (قرأ) ^(٢) خلفها، فأخذت بيده فانطلقت إلى النبي ﷺ فقال: «كلاكما محسن فاقراً - أكبر علمي قال - فإن من قبلكم اختلفوا فيه فأهلكهم (الله ﷻ)» ^(٣). وأخرجه النسائي من رواية شعبة به.

وهذا في معنى الحديث الذي تقدمه، وأنه ينهى عن الاختلاف في القراءة والمنازعة في ذلك والمراء فيه، كما تقدم في النهي عن ذلك، والله أعلم.

وقريب من هذا ما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «مسند أبيه» ^(٤)، حدثنا أبو محمد سعيد بن محمد الجرمي، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن الأعمش، عن عاصم، عن زر بن حبیش قال: قال عبد الله بن مسعود: تمارينا في سورة من القرآن فقلنا: خمس وثلاثون آية، ست وثلاثون آية، قال: فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا علياً يناجيه، فقلنا له: اختلفنا في القراءة فاحمر وجه رسول الله ﷺ فقال علي: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم. وهذا آخر ما أورده البخاري رحمه الله في «كتاب فضائل القرآن»، والله الحمد والمنة.

كتاب الجامع لأحاديث شتى

تتعلق بتلاوة القرآن وفضائله وفضل أهله

فصل

قال ^(٥) أحمد: حدثنا معاوية بن هشام، حدثنا شيبان، عن فراس، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال نبي الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: (اقرأ)» ^(٦) واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه.

(١) في (أ): «سمع من النبي ﷺ خلفها».

(٢) ساقط من «الأصول» واستدرسته من «الصحيح».

(٣) هذا مما زاده المصنف رحمه الله على ما في «الصحيح».

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١/١٠٥، ١٠٦).

وكان الأولى أن يعزوه لأحمد فقد أخرجه في «المسند» (٣٩٩٢، ٣٩٩٣) من طريق حماد بن سلمة وأبي بكر بن عياش معاً عن عاصم بسنده سواء.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/١)؛ وأبو يعلى (ج٨/رقم ٥٠٥٧)؛ وابن حبان (١٧٨٣)؛ وأبو عبيد (ص ٢١١)؛ والحاكم (٢/٢٢٣، ٢٢٤) وصححه؛ والخطيب في «المبهمات» (ص ٢٠٢، ٢٠٣) من طرق عن عاصم. وسنده حسن.

(٥) في «مسنده» (٤٠/٣)؛ وأخرجه ابن ماجه (٣٧٨٠)؛ وأبو يعلى (ج٢/رقم ١٠٩٤، ١٣٣٨)؛ وأبو نعيم الأصبهاني في «مسانيد فراس بن يحيى» (ص ١١٧، ١١٨) من طرق عن شيبان بن عبد الرحمن النحوي، عن فراس بن يحيى، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً؛ وضعف إسناده البوصيري في «الزوائد» (٣/١٨٧) لضعف العوفي، لكن له شواهد عن عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وبريدة بن الحصيب يصح بها الحديث، ومن ثم صححه الترمذي والحاكم.

(٦) في (أ): «ارق» وهو مخالف لما في «المسند».

وقال^(١) أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، حدثني بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس التجيبي حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون خلف من بعد الستين سنة، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يحدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق، وفاجر» قال بشير: فقلت للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ قال: المنافق كافر به، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يؤمن به.

وقال^(٢) أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا ليث، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن أبي الخطاب، عن أبي سعيد أنه قال: إن رسول الله عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة، فقال: «ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن (من)^(٣) خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيه أو على قدميه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً (جريئاً)^(٤) يقرأ كتاب الله ولا يرفع يديه إلى شيء منه».

وقال الحافظ أبو بكر^(٥) البزار: حدثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي، حدثنا الحسين بن (عبد الأول)^(٦)، حدثنا محمد بن الحسن الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد

(١) في «المسند» (٣٨/٣، ٣٩)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره»؛ كما في «ابن كثير» (٢٣٩/٥)؛ والبخاري في «خلق الأفعال» (٦١٠)؛ والحاكم (٢/٣٧٤ و ٤/٥٤٧)؛ وعنه البيهقي في «الدلائل» (٦/٤٦٥)؛ وفي «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٣٨٥)؛ وابن حبان (٧٥٥) من طريق أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا حيوة بن شريح بإسناده سواء.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح رواه حجازيون وشاميون أثبات» وصححه في الموضع الثاني ووافقه الذهبي في الموضعين، والوليد بن قيس التجيبي روى عنه جماعة ووثقه ابن حبان، فحديثه محتمل وله ما يعضده. فأخرج أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٠٦)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ١٢٨)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤/٤٣٩) من طرق عن ابن لهيعة، عن موسى ابن وردان، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «تعلموا القرآن، واسألوا الله به قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرؤه لله ﷻ وهذا سند فيه ضعف، لكنه يتقوى بالطريق الماضي.

(٢) في «مسند» (٣٧/٣، ٤١، ٤٢، ٥٧، ٥٨)؛ وأخرجه النسائي (١١/٦، ١٢)؛ وابن أبي شيبه (٥/٣٤٠، ٣٤١)؛ والحاكم (٢/٦٧)؛ والبيهقي (٩/١٦٠)؛ وابن عساكر في «الأربعون في الجهاد» (٨٣) من طرق عن الليث بن سعد به وسنده ضعيف؛ لجهالة أبي الخطاب راويه عن أبي سعيد، فقد صرح بجهالته ابن المديني والنسائي والذهبي.

(٣) ساقط من (أ).

(٤) ساقط من (أ).

(٥) وأخرجه الترمذي (٢٩٢٦)؛ والدارمي (٢/٣١٧)؛ وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢٨)؛ وأبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٨٥، ٣٣٩)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ١٢٢)؛ والحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (ج ٣/١٠٣ و ٢/٢٧٢)؛ وابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٧٢) وآخرون من طرق عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد وهذا سند ضعيف جداً، ومحمد بن الحسن متروك وقال أبو حاتم كما في «العلل» (١٧٣٨): «منكر» ولكنه توبع وانحصرت علة هذا الإسناد في عطية العوفي، وللحديث شواهد من حديث عمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبد الله وحكيم بن حزام ومن مرسل عمرو بن مرة ومالك بن الحارث. والحديث حسن بجملة هذه الشواهد كما حققته في «التسلي» والله أعلم.

(٦) في «الأصول»: «عبد الأعلى» وهو خطأ.

قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب السائلين» وقال رسول الله ﷺ: «إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه».

ثم قال: تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه.

وقال الإمام أحمد^(١): حدثنا أبو عبيدة الحداد، حدثني عبد الرحمن بن بديل بن ميسرة، حدثني أبي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أهلين من الناس» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته».

وقال أبو القاسم^(٢) الطبراني: حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار، حدثنا خالد بن خدّاش، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت^(٣) أنس بن مالك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم.

وقال الحافظ^(٤) أبو القاسم الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا محمد بن عباد

(١) في «مسنده» (١٢٧/٣، ١٢٨).

وأخرجه أيضاً (١٢٧/٣، ٢٤٢) قال: حدثنا عبد الصمد ومؤمل قالوا: ثنا عبد الرحمن بن بديل بسنده سواء؛ وأخرجه النسائي في «فضائل القرآن» (٥٦)؛ وابن ماجه (٢١٥)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص ٣٨)؛ والطيالسي (٢١٢٤)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ١٢١)؛ والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٧)؛ والحاكم (٥٥٦/١) من طرق عن عبد الرحمن بن بديل بسنده سواء.

وصحح إسناده الدميّاطي في «المتجر الرابع» (١١٨٣)؛ والمنذري في «الترغيب» (٣٥٤/٢)، وكذلك البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/٩١)؛ وحسنه العراقي في «تخريج الأحياء» (٢٨٠/١)؛ وجوده شيخنا الألباني في «الضعيفة» (٨٥/٤)؛ وقال الذهبي في «الميزان» (٦٢٦/٣): «إسناده صالح»؛ ووافقه الحافظ في «اللسان» (٢٥٤/٥). وقال الحاكم بعد تخريجه للحديث: «قد روي هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنس هذا أمثلها». وله شاهد من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً مثله. أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (ق ١/٩١ - زوائده) بسند ضعيف جداً.

(٢) في «المعجم الكبير» (ج ١/رقم ٦٧٤). وقال الهيثمي في (المجمع) (١٧٢/٧): «رجاله ثقات» وأخرجه الدارمي (٣٣٦/٢) قال: حدثنا عفان. والفريابي في «الفضائل» (٨٣) قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قالوا: حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس. وسنده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أبو عبيد (ص ٤٨)؛ والفريابي (٨٤) من طريق ابن المبارك، أخبرنا همام، عن ثابت، عن أنس مثله. وأخرجه ابن الضريس (٨٤)؛ والفريابي (٨٥، ٨٦) من طريق وكيع بن الجراح، عن مسعر، عن قتادة، عن أنس مثله وهذه أسانيد صحيحة.

(٣) في (أ) و(ط): «عن».

(٤) في «المعجم الكبير» (ج ١/رقم ٧٣٨)؛ وأخرجه ابن نصر في «قيام الليل» (ص ١٢٤)؛ وأبو يعلى (ج ٥/رقم ٢٧٧٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٣٧٦)؛ والشجري في «الأمالي» (٨٢/١) من طرق عن شريك النخعي، عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس؛ وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣٤٩/١) لأبي نعيم في «فضل العلم» وفي «رياض المتعلمين».

وهذا سند ضعيف جداً، وي زيد الرقاشي متروك، وشريك سيء الحفظ وقد خولف فنقل القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٧٦) عن الدارقطني أنه قال: «ورواه أبو معاوية عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن الحسن مرسلًا وهو أشبههما بالصواب». اهـ. ثم وقفت على هذه المخالفة، فرواها سعيد بن منصور في «تفسيره» رقم (٥) قال: نا أبو معاوية بسنده سواء وهذا الوجه مع إرساله فهو ضعيف جداً لأجل الرقاشي، فالحديث لا يصح بوجه. والله أعلم.

المكي، حدّثنا حاتم بن إسماعيل، عن شريك، عن الأعمش، عن يزيد بن أبان، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن غني لا فقر بعده ولا غنى دونه».

وقال الحافظ أبو بكر^(١) البزار: حدّثنا سلمة بن شبيب، حدّثنا عبد الرزاق، حدّثنا عبد الله بن المحرر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن».

ابن المحرر ضعيف.

وقال الإمام أحمد^(٢): حدّثنا حسن، حدّثنا ابن لهيعة، حدّثنا بكر بن سودة، عن وفاء الخولاني، عن أنس بن مالك قال: بينما نحن (نقرأ)^(٣) فينا العربي والعجمي والأسود والأبيض إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أنتم في خير تقرءون كتاب الله وفيكم رسول الله، وسيأتي على الناس زمان يثقفونه كما يثقف القدح يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها».

وقال الحافظ أبو بكر^(٤) البزار: حدّثنا يوسف بن موسى، حدّثنا عبد الله بن الجهم، حدّثنا عمرو بن أبي قيس، عن عبد ربه بن عبد الله، عن عمر بن نبهان، عن الحسن، عن أنس أن النبي ﷺ قال: «إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره».

(١) في «مسنده» (٢٣٣٠ - كشف الأستار).

وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٤٨٤/٢)؛ وابن عدي (١٤٥٢/٤)؛ والقشيري في «الرسالة» (٦٤٠/٢) من طريق عبد الله بن محرر، عن قتادة، عن أنس مرفوعاً.

قال البزار: «تفرد به عبد الله بن المحرر وهو ضعيف الحديث». وبه أعله الهيثمي (١٧١/٧)؛ وأخرجه الطيوري في «الطيوريات» (ج ٥/٨١/٢)؛ والخطيب (٢٦٨/٧) من طريق الفضل بن حرب، عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن أنس مرفوعاً مثله. والفضل مجهول بالنقل كما قال العقيلي وقد خالفه عبد الرحمن بن مهدي وعبد الصمد بن عبد الوارث وجماعة في لفظه، وروايتهم هي الراجحة على نحو ما فصلته في «التسليّة» وله شاهد من حديث ابن عباس وسنده واه.

(٢) في «مسنده» (١٤٦/٣) قال: حدّثنا حسن، ثنا ابن لهيعة به.

وأخرجه أيضاً (١٥٥/٣) قال: حدّثنا يحيى بن إسحاق أنا ابن لهيعة به؛ وقد اضطرب فيه ابن لهيعة فأخرجه أحمد أيضاً (٣٣٨/٥) قال: حدّثنا حسن ثنا ابن لهيعة، ثنا بكر بن سودة، عن وفاء بن شريح، عن سهل بن سعد فذكره مرفوعاً فجعله من «مسند سهل» وهذا هو الصواب فقد رواه عمرو بن الحارث عن بكر بن سودة عن وفاء بن شريح عن سهل بن سعد مثله.

أخرجه أبو داود (٨٣١)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٤٠٤)؛ وابن حبان في «صحيحه» (١٧٨٧)؛ وفي «الثقات» (٤٩٨/٥)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٦/رقم ٦٠٢٤) من طرق عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث به؛ وأخرجه ابن حبان (١٧٨٦) أيضاً من طريق حرملة بن يحيى، ثنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث وآخر معه، عن بكر بن سودة مثله. وهذا «الآخر» هو ابن لهيعة. وله شاهد من حديث جابر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن، وفيما الأعرابي والعجمي فقال: «اقرأوا فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقيم القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه». أخرجه أبو داود (٨٣٠)؛ وأحمد (٣٩٧/٣)؛ وابن بشران في «الأمالي» (ج ٤/٣٨/٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٣٩٩)؛ والبخاري في «شرح السنة» (٨٨/٣) من طرق عن خالد بن عبد الله الواسطي، عن حميد الأعرج، عن ابن المنكدر، عن جابر.

(٣) في (أ): «نفر»!

(٤) في «مسنده» (ج ٣/رقم ٢٣٢١ - كشف) وقال: «لم يروه إلا أنس» وأعله الهيثمي في «المجمع» (١٧١/٧) بعمرو بن نبهان فقد ضعفه أبو حاتم والبخاري وغيرهما.

وقال الحافظ أبو يعلى^(١): حدثنا الفضل بن الصباح، حدثنا أبو عبيدة، (عن محتسب)^(٢)، حدثني يزيد الرقاشي، عن أنس قال: قعد أبو موسى في بيت واجتمع إليه ناس، فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال: فأتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ألا أعجبك من أبي موسى أنه قعد في بيت فاجتمع إليه ناس، فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال: فقال رسول الله ﷺ: «أستطيع أن تقعدني حيث لا يراني منهم أحد؟» قال: نعم، قال: فخرج رسول الله ﷺ فأقعد الرجل حيث لا يراه منهم أحد، فسمع قراءة أبي موسى فقال: «إنه ليقرأ على مزمار من مزامير داود عليه السلام».

هذا حديث غريب، ويزيد الرقاشي ضعيف.

وقال الإمام أحمد^(٣): حدثنا مصعب بن سلام، حدثنا جعفر هو ابن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» ثم يرفع صوته وتحمر وجنتاه ويشد غضبه إذا ذكر الساعة^(٤) (كأنه منذر جيش، قال: ثم يقول: «أتتكم الساعة، بعثت أنا والساعة هكذا»^(٥) - وأشار بأصبعه السبابة والوسطى - صبحتكم الساعة ومستكم، من ترك مالاً فلأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ».

وقال الإمام أحمد^(٥): حدثنا عبد الوهاب - يعني ابن عطاء - أنا أسامة بن زيد الليثي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا قوم يقرءون القرآن قال: «اقرأوا القرآن وابتغوا به الله ﷻ من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه».

وقال أحمد أيضاً^(٦): حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا خالد، عن حميد الأعرج، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن، وفينا العجمي والأعرابي قال: فاستمع، قال: فقال: «اقرأوا فكل حسن، وسيأتي قوم يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه».

(١) في «مسنده» (ج ٧/رقم ٤٠٩٦)؛ وحسنه الهيثمي في «المجمع» (٣٦٠/٩) ووههم في ذلك بل السند واهٍ ويزيد الرقاشي متروك ومحتسب ضعيف الحفظ أيضاً أما آخر الحديث فقد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما كما تقدم تخريجه والحمد لله رب العالمين.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) في «مسنده» (٣/٣١٠، ٣١١)؛ وأخرجه مسلم (٨٦٧)؛ والنسائي (٣/١٨٨، ١٨٩).

(٤) ساقط من (ج).

(٥) في «مسنده» (٣/٣٥٧)؛ وأخرجه أبو يعلى (ج ٤/رقم ٢١٩٧)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٤٠٠، ٢٤٠١) من طريق آخرين عن أسامة بن زيد به، وأسامة في حفظه ضعف لكنه متابع من حميد بن قيس الأعرج كما مر ذكره. والله أعلم.

(٦) في «مسنده» (٣/٣٩٧)؛ وأخرجه أبو داود (٨٣٠)؛ وابن بشران في «الأمالي» (ج ٤/ف ٣٨/٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٣٩٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٣/٨٨) من طرق عن خالد بن عبد الله الواسطي بسنده سواء. وقد خولف حميد الأعرج كما مر ذكره.

وقال أبو بكر^(١) البزار: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، حدثنا عبد الله بن الأجلح، عن الأعمش، عن المعلى الكندي، عن عبد الله بن مسعود قال: إن هذا القرآن شافع مشفع، من اتبعه قاده إلى الجنة، ومن تركه أو أعرض عنه - أو كلمة نحوها - زحَّ في قفاه إلى النار.

وحدثنا^(٢) أبو كريب، حدثنا عبد الله بن الأجلح، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن عبد الله، عن النبي ﷺ بنحوه.

وقال الحافظ أبو يعلى^(٣): حدثنا أحمد بن عبد العزيز بن مروان أبو صخر، حدثني (بكر)^(٤) بن يونس، عن موسى بن علي، عن أبيه، عن يحيى بن (أبي)^(٥) كثير اليمامي، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ألف آية كتب (الله)^(٦) له قنطاراً، والقنطار مائة رطل، والرطل اثنتا عشرة أوقية، والأوقية ستة دنانير، والدينار أربعة وعشرون قيراطاً، والقيراط مثل أحد، ومن قرأ ثلاثمائة قال الله لملائكته: نصب عبي (لي)^(٧) أشهدكم يا ملائكتي أنني قد غفرت له، ومن بلغه عن الله فضيلة فعمل بها إيماناً (به)^(٨) ورجاء ثوابه أعطاه الله ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك، وإن لم يكن ذلك كذلك».

(١) في «مسنده» (ج ١/رقم ١٢١) ورجاله ثقات إلى المعلى الكندي فلم يوثقه إلا ابن حبان وله طريق آخر؛ أخرجه الدارمي (٣١١/٢)؛ وابن أبي شيبة (٤٩٧/١٠) من طريق الشعبي، عن ابن مسعود، وهو منقطع؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٩٧/١٠، ٤٩٨) من طريق زبيد اليمامي عن ابن مسعود، وهو منقطع كسابقه؛ وأخرجه عبد الرزاق (ج ٣/رقم ٦٠١٠) من طريق الثوري عن أبي إسحاق وغيره عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود. وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البزار (١٢٢)؛ وقال الهيثمي في «المجمع» (١٧١/١): «رجاله ثقات»؛ وسبقه المنذري فقال في «الترغيب» (٨٠/١): «إسناده جيد».

(٣) في «معجم شيوخه» (٧٤) ولم يسقه كاملاً، إنما ذكره من أوله إلى قوله: «الرطل اثنتا عشرة أوقية». وسنده ضعيف جداً وبكر بن يونس قال البخاري: «منكر الحديث» وضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: «عامة ما يرويه لا يتابع عليه»، ويحيى بن أبي كثير لم يسمع جابر بن عبد الله؛ وأخرجه ابن السني في «اليوم والليلة» (٦٩٩) من طريق أبي يعلى بسنده سواء بلفظ: «من قرأ ثلاثمائة آية إلى قوله: قد غفرت له»؛ ثم رأته في «كنز العمال» (٢٩٧٣/١٩/٢) من عند قوله: «القنطار مائة رطل... إلى قوله: والدينار أربعة وعشرون قيراطاً» فعزاه للدليمي عن جابر قال: وفيه الخليل بن مرة؛ قال البخاري: «منكر الحديث».

وأما قوله: «ومن بلغه عن الله فضيلة... إلخ» فأخرج هذا القدر الخطيب في «تاريخه» (٢٩٦/٨)؛ والأصبهاني في «الترغيب» (٥٧)، وصدر الدين أبو علي البكري في «الأربعين» (ص ٣٩، ٤٠) من طريق الحسن بن عرفة؛ وهو في «جزئه» (٦٣) قال: حدثنا أبو يزيد خالد بن حيان الرقي، عن فرات بن سلمان وعيسى بن كثير كليهما عن أبي رجاء، عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر مرفوعاً فذكره وأبو رجاء هذا لا أعرفه؛ وروى هذا الحديث ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٥٨/١) وقال: «لا يصح، أبو رجاء كذاب»؛ ووافقه السيوطي في «اللائل» (٢١٤/١)؛ ولكن صرح السخاوي في «المقاصد» (ص ١٩١)؛ وفي «القول البديع» (ص ١٩٧) أنه لا يعرف، أفاده شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني حفظه الله في الضعيفة (٤٥١) وزعم ابن طولون أن الحديث جيد الإسناد، ورده شيخنا فراجع بحته هناك. والحاصل أن الحديث لا يصح، والله أعلم.

(٤) في (أ): «بكير» وهو خطأ. (٥) ساقط من (أ).

(٦) من (ج) و(ط) و(ل). (٧) في (أ): «كي».

(٨) ساقط من (ج).

وقال أحمد^(١): حدثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب».

قال البزار: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه.

وقال الطبراني^(٢): حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثني أبي قال: وجدت في كتاب أبي بخطه عن عمران بن أبي عمران، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب يوم القيامة، وذلك أن الله ﷻ يقول: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هَذَا فَلَا يَصِلُ وَلَا يَشْفَى﴾ [طه: ١٢٣].»

وقال الطبراني^(٣): حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، حدثنا أبي، حدثنا ابن لهيعة، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به».

وقال أيضاً^(٤): حدثنا أبو يزيد القراطيسي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عبد الله بن سليمان، عن سعيد أبي سعد البقال، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أحسنوا الأصوات بالقرآن».

(١) في «مسنده» (٢٢٣/١)؛ وأخرجه الترمذي (٢٩١٣) وقال: «حسن صحيح»؛ والدارمي (٣٠٨/٢)؛ والحاكم (٥٥٤/١) وقال: «صحيح الإسناد»؛ والطبراني في «الكبير» (١٢/رقم ١٢٦١٩)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢٠٨٢/٦)؛ والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص ٤١٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٧٩٣)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤٤٣/٤) من طرق عن جرير بن عبد الحميد، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس مرفوعاً، وإسناده ضعيف لأجل قابوس هذا فقد لينه النسائي، وقال أبو حاتم: «ردى الحفظ، ينفرد عن أبيه بما لا أصل له، فربما رفع المرسل، وأسند الموقوف». وكان ابن معين شديد الحط عليه، وقد وثقه في رواية. وله شاهد موقوف عن ابن مسعود سبق تخريجه عند حديث: «إن هذا القرآن مأدبة الله والحمد لله. ولما صحح الحاكم إسناده رده الذهبي بقوله: «قابوس لين».

(٢) في «المعجم الكبير» (ج ١٢/رقم ١٢٤٣٧) وفي «الأوسط» (ج ٢/ق ٣٤٤/٢). قال الهيثمي في «المجمع» (١٦٩/١): «فيه أبو شيبة وهو ضعيف جداً». كذا قال! وإنما قال عثمان بن أبي شيبة: «وجدت في كتاب أبي» وأبوه: محمد بن إبراهيم بن عثمان، وهو ثقة، وثقه ابن معين وابن حبان ولكن عمران بن أبي عمران ما عرفته والله أعلم.

والصواب أنه موقوف، فقد أخرجه ابن أبي شيبة (٤٦٧/١٠، ٤٦٨)؛ وعبد الرزاق (ج ٣/رقم ٦٠٣٣)؛ وابن جرير (٣٢٥/١٦)؛ والحاكم (٢٨١/٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٨٧١) من طرق عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله. وهذا سند رجاله ثقات، إلا عطاء بن السائب كان اختلط. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣١١/٤)؛ لابن أبي شيبة مرفوعاً، والذي فيه الموقوف حسب، والله تعالى أعلم.

(٣) في «المعجم الكبير» (ج ١١/رقم ١٠٨٥٢)؛ ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١٩/٤)؛ وقال الهيثمي (٧/١٧٠): «فيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وفيه ضعف»!

قلت: وقد تقدم تخريجه، فاطلبه هناك.

(٤) في «الكبير» (ج ١٢/رقم ١٢٦٤٣)؛ وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/١٢٢١ و ٢٤٣٩/٦)؛ والخطيب في «الموضح» (١٣٢/٢) من طريق أبي سعد البقال بسنده سواء: «زينوا أصواتكم بالقرآن» وسنده ضعيف جداً وأبو سعد البقال اسمه سعيد بن المرزبان ضعيف، ولعله وإه، والضحاك بن مزاحم لم يسمع ابن عباس والله أعلم.

وروى أيضاً^(١) بسنده إلى الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً: «أشرف أمتي حملة القرآن». وقال الطبراني^(٢): حدّثنا معاذ بن المثنى، حدّثنا إبراهيم بن أبي سويد الذارع، حدّثنا صالح المري، عن قتادة، عن زرار بن أوفى، عن ابن عباس قال: سألت رجل رسول الله ﷺ فقال: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: «الحال المرتحل» قال: يا رسول الله ما الحال المرتحل؟ قال: «صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره، وفي آخره حتى يبلغ أوله».

ذكر الدعاء المأثور لتحفظ القرآن وطرد النسيان:

قال أبو القاسم الطبراني^(٣) في «معجمه الكبير»: حدّثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدّثنا هشام بن عمار، حدّثنا محمد بن إبراهيم القرشي، حدّثني أبو صالح وعكرمة، عن ابن عباس قال: قال علي بن أبي طالب: يا رسول الله القرآن يتفلت من صدري، فقال النبي ﷺ: «أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته؟» - قال: نعم بأبي أنت وأمي قال: - صل ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وبحم الدخان. وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وبحم تنزيل السجدة، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد، فاحمد الله وأثن عليه وصل على النبيين واستغفر للمؤمنين، ثم قل: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني من أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حب كتابك كما علمتني وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني، وأسألك أن تنور بالكتاب بصري، وتطلق به لساني، وتفرج به عن قلبي، وتشرح به صدري، وتستعمل به بدني، وتقويني على ذلك

(١) يعني الطبراني في «الكبير» (ج ١٢/رقم ١٢٦١٢) من طريق سعد بن سعيد الجرجاني، عن نهشل أبي عبد الله، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً فذكره؛ وأخرجه الإسماعيلي في «معجمه» (ج ١/ق ١/٤، ٢)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/١١٩٤ و ٧/٢٥٢١)؛ والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص ٢١٨، ٤٩٤)؛ والخطيب (٤/١٢٤، ٨/٨٠) من هذا الوجه. قال ابن عدي: «حديث غير محفوظ»؛ وقال الهيثمي (٧/١٦١): «فيه سعد بن سعيد الجرجاني وهو ضعيف!! وقصر جداً، فنهشل متروك، بل كذبه إسحاق بن راهويه. والضحاك لم يسمع من ابن عباس فالحديث ضعيف جداً، لذلك قال البخاري: «لا يصح». والله أعلم.

(٢) في «المعجم الكبير» (ج ١٢/رقم ١٢٧٨٣)؛ وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٦٠)؛ وأخرجه الترمذي (٢٩٤٨)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ١٨٨)؛ والحاكم (١/٥٦٨)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٨٤٦ و ج ٥/رقم ١٩٠٦)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٦/١٧٤) من طرق عن صالح المري بسنده سواء. وسنده ضعيف لذلك استغربه الترمذي وقد رواه الترمذي والدارمي (٢/٣٣٧) من طريقين عن صالح المري عن قتادة، عن زرار بن أوفى مرسلأ، ورجح الترمذي المرسل. والحديث ضعيف على الوجهين والله أعلم.

(٣) في «المعجم الكبير» (ج ١١/رقم ١٢٠٣٦)؛ وفي «الدعاء» (١٣٣٣)؛ ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/١٣٨) وقال: «هذا حديث لا يصح، ومحمد بن إبراهيم مجروح، وأبو صالح لا نعلمه إلا إسحاق بن نجيع وهو متروك». اهـ.

وأخرجه ابن السني في «اليوم والليلة» (٥٧٩)؛ والعقيلي في «الضعفاء» من طريقين آخرين عن هشام بن عمار بسنده سواء. وقال العقيلي: «الحديث غير محفوظ وليس له أصل».

وتعيني عليه، فإنه لا يعينني على الخير غيرك، ولا يوفق له إلا أنت، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً تحفظه بإذن الله وما أخطأ مؤمناً قط» فأثنى النبي ﷺ بعد ذلك بسبع جمع فأخبره بحفظ القرآن والحديث، فقال النبي ﷺ: «مؤمن ورب الكعبة، علم أبا الحسن علم أبا الحسن». هذا سياق الطبراني.

وقال أبو عيسى الترمذي^(١) في «كتاب الدعوات» من «جامعه»: حدثنا أحمد بن الحسن، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس أنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال: بأبي أنت وأمي، تفلت هذا القرآن من صدري فما أجذني أقدر عليه؟ فقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا الحسن، أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت في صدرك؟» قال: أجل يا رسول الله فعلمني، قال: - إذا كانت ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب، وقال أخي يعقوب لبيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨] يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة، فإن لم تستطع فقم في وسطها، فإن لم تستطع فقم في أولها فصل أربع ركعات، تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحَمَّ الدخان، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل السجدة، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الشاء على الله، وصل عليّ وأحسن وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين

(١) في «سننه» (٣٥٧٠) وقال: «حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم»؛ وأخرجه الحاكم (١/٣١٦، ٣١٧)؛ والشجري في «الأمالي» (١/١١٣/١١٤)؛ والدارقطني في «الأفراد»؛ وعنه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/١٣٨، ١٣٩) من طريق الوليد بن مسلم به ومنهم من يرويه عن عطاء وحده ونقل ابن الجوزي عن الدارقطني أنه قال: «تفرد به هشام بن عمار عن الوليد» وليس كما قال، فقد رواه سليمان بن عبد الرحمن عن الوليد أيضاً وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين فتعقبه الذهبي بقوله: هذا حديث منكر شاذ أخاف لا يكون موضوعاً، فقد حيرني والله جودة إسناده ثم ذكر سند الحاكم وقال: ذكره الوليد مصرحاً بقوله: «ثنا ابن جريج فقد حدث به سليمان قطعاً وهو ثبت». اهـ. وقال الذهبي أيضاً في ترجمة سليمان بن عبد الرحمن من «الميزان» (٢/٢١٣، ٢١٤) بعد ذكره للحديث: «وهو مع نظافة سنده حديث منكر جداً في نفسي منه شيء فالله أعلم فلعل سليمان شبه له كما قال في أبو حاتم: لو أن رجلاً وضع له حديثاً لم يفهم». اهـ.

وقال المنذري في «الترغيب» (٢/٣٦١): «طرق وأسانيد هذا الحديث جيدة، ومتمنه غريب جداً». وقال الحافظ في «اللسان»: «لعل الوليد دلّسه عن ابن جريج فقد ذكر ابن أبي حاتم في ترجمة محمد بن إبراهيم القرشي أنه روى عنه الوليد بن مسلم وهشام بن عمار». اهـ.

قلت: وهذا الحديث منكر، وليس إسناده نظيفاً كما قال الذهبي: أو جيداً كما قال المنذري: فإن الوليد بن مسلم دلّسه ولم يصرح إلا في شيخه حسب، والمعروف أن مدلس التسوية ينبغي أن يصرح في كل طبقات السند، وقد صرح بذلك الحافظ في «الفتح» (٢/٣١٨) في حديث آخر رواه الوليد بن مسلم فقال: «وقد صرّح بالتحديث في جميع الإسناد». اهـ. فقول الذهبي: إن الوليد صرّح بالتحديث لا يخفى ما فيه، فإن الوليد لا يدلّس تدليس الإسناد حسب حتى يقال فيه ذلك. والله أعلم. ثم ابن جريج مدلس وقد عنعنه في جميع طرقه، وتدليسه قبيح كما قال الدارقطني فقد يكون أسقط من الإسناد متهماً أو نحوه فتكون البلية من ذلك الساقط وبالجمله فالحديث لا يصح سنداً ولا متناً والله أعلم.

والمؤمنات وإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل في آخر ذلك: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعينني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري، وأن تطلق به لساني، وأن تفرج به عن قلبي، وأن تشرح به صدري، وأن تغسل به بدني، فإنه لا يعينني على الخير غيرك ولا يؤتيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً تجاب بإذن الله والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمناً قط» قال ابن عباس: فوالله ما لبث علي إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله ﷺ في المجلس فقال: يا رسول الله، والله إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن فإذا قرأتهن على نفسي تفلتن، وأنا أعلم اليوم أربعين آية أو نحوها فإذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت؛ وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً. فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك «مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن».

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم. كذا قال. وقد تقدم من غير طريقة.

ورواه الحاكم في مستدركه من طريق الوليد، ثم قال: على شرط الشيخين، ولا شك أن سنده من الوليد على شرط الشيخين حيث صرح الوليد بالسماع من ابن جريج فالله أعلم فإنه من البين غرابته بل نكارتة والله أعلم.

وقال الإمام أحمد^(١): حدثنا وكيع، حدثنا العمري، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها، وإن تركها ذهبت». ورواه أيضاً^(٢) عن محمد بن عبيد ويحيى بن سعيد، عن عبيد الله العمري به.

ورواه أيضاً^(٣) عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً بنحوه. وقال البزار^(٤): حدثنا محمد بن معمر، حدثنا حميد بن حماد بن أبي الخوار، حدثنا مسعر، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: سئل رسول الله: أي الناس أحسن قراءة؟ قال: «من إذا سمعته يقرأ رؤيت أنه يخشى الله ﷻ».

قال الإمام أحمد^(٥): حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن

(١) في «المسند» (٢٣/٢).

(٢) (٣٦، ٣٥/٢) وأخرجه أيضاً (١١٢، ٦٤/٢) عن عبد الرحمن بن مهدي وإسحاق بن عيسى كلاهما عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً. وقد تقدم تخريجه.

(٤) في «مسنده» (ج ٣/رقم ٢٣٣٦ - كشف).

وأخرجه الروياني في «مسنده» (ج ٣١/٢٤١)؛ والطبراني في «الأوسط» (١/١١٤/٢ و ١/٨٤/٢)؛ وتمام الرازي في «الفوائد» (١٤٥٨)؛ وابن عدي في «الكامل» (٦٩٣/٢)؛ والخطيب في «تاريخه» (٣/٢٠٨)؛ وفي «التلخيص» (١/١٢٩) من طريق محمد بن معمر البحراني بسنده سواء. وسنده ضعيف أو واه لأجل حميد بن حماد فإنه ضعيف ثم إنه خولف فيه. وقد بسطت ذلك في «التسليية» فله الحمد.

(٥) في «المسند» (١٩٢/٢). وقد تقدم تخريجه.

عمرو، عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

وقال أحمد^(١): حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أقرأ القرآن فلا أجد قلبي يعقل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «إن قلبك حشى الإيمان وإن العبد يعطى الإيمان قبل القرآن».

وبهذا الإسناد^(٢) أن رجلاً جاء بابن له فقال: يا رسول الله إن ابني يقرأ المصحف بالنهار، ويبيت بالليل، فقال رسول الله ﷺ: «ما تنقم؟ إن ابنك يظل ذاكراً ويبيت سالماً».

وقال أحمد^(٣): حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة، عن حيي، عن أبي عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن منعتك النوم بالليل فشفعني فيه - قال: - فيشفعان».

وقال أحمد^(٤):

(١) في «المسند» (١٧٢/٢) ووقع عنده: «وإن الإيمان يعطى العبد قبل القرآن»؛ قال الهيثمي (٦٣/١): «فيه ابن لهيعة» وهو يشير إلى ضعفه. والله أعلم.

(٢) يعني في «المسند» (١٧٣/٢)؛ وقال الهيثمي (٢٧٠/٢): «فيه ابن لهيعة وفيه كلام».

(٣) في «مسنده» (١٧٤/٢).

وقال الهيثمي (٣٨١/١٠): إسناده حسن على ضعف في ابن لهيعة وقد وثق.

قلت: لم يتفرد به فتابعه ابن وهب قال: حدثني حيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن، عن ابن عمرو مرفوعاً أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٨ - الجزء المفقود)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ٢٣)؛ والحاكم (٥٥٤/١)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (١٨٣٩) قال الحاكم: «على شرط مسلم» ووافقه الذهبي؛ وقال الهيثمي (١٨١/٣): «رجال رجال الصحيح»! وسبقه المنذري في «الترغيب» (٨٤/٢) فقال: «رجال محتج بهم في الصحيح»! كذا قالوا وحيي بن عبد الله ما احتج به مسلم ولا البخاري، وهو حسن الحديث.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٨٥ - زوائد نعيم)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١٦١/٨)؛ والجوزقاني في «الأباطيل» (٦٨٣) من طريق رشدين بن سعد، عن حيي بن عبد الله بسنده سواء.

قال الجوزقاني: «هذا حديث باطل ونقل عن ابن معين قال: رشدين بن سعد لا يكتب حديثه» ولم يتفرد به رشدين كما رأيت، وقال المنذري في «الترغيب»: «رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الجوع» وغيره بإسناد حسن».

(٤) في «مسنده» (١٧٥/٢)؛ وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٩٤٢) من طريق ابن وهب نا ابن لهيعة بسنده سواء. وقد اضطرب فيه ابن لهيعة، فرواه ابن وهب عنه، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر الجهني مرفوعاً فذكر؛ أخرجه ابن بطة (٩٤٤) أيضاً ولعل هذا الوجه أرجح من الأول فقد رواه عبد الله بن المبارك وعبد الله بن يزيد المقرئ وقتيبة بن سعيد ثلاثتهم عن ابن لهيعة، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر مرفوعاً.

أخرجه أحمد (١٥١/٤، ١٥٤ - ١٥٥)؛ والفريابي في «صفة المنافق» (٣٢، ٣٣، ٣٤)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٧/رقم ٨٤١)؛ وابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/١٨٤)؛ وابن عدي في «الكامل» (٤/١٤٦٦)؛ والخطيب (٣٥٧/١)؛ وابن وضاح في «البدع» (٢٨٠) وهذا سند لا بأس به، ورواية العبادة عن =

حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة (حدثنا دراج)^(١)، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أكثر منافقي أمتي قراؤها».

وقال أحمد^(٢): حدثنا وكيع، حدثني همام، عن قتادة، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه».

ورواه أيضاً^(٣) عن غندر، عن شعبة، عن قتادة به.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال أبو القاسم الطبراني^(٤): حدثنا محمد بن إسحاق بن راهويه، حدثنا أبي، حدثنا عيسى بن يونس ويحيى بن أبي الحجاج التميمي، عن إسماعيل بن رافع، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبه غير أنه لا يوحى إليه. ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى، فقد

= ابن لهيعة أمثل من غيرها، وقد توبع ابن لهيعة تابعه الوليد بن المغيرة وهو ثقة، عن مشرح بن هاعان بسنده سواء.

أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦١٤)؛ والفريابي (٣٥)؛ والبيهقي في «الشعب» (٦٥٦١) من طريق أبي سلمة الخزاعي، ثنا الوليد. وأخرجه أحمد (١٥٥/٤) من هذا الوجه. وسنده جيد. ومشرح بن هاعان صدوق في حفظه مقال يسير. وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وابن عباس وعصمة بن مالك.

(١) سقط من «الأصول» كلها، واستدركتها من «المسند».

(٢) في «مسنده» (١٦٤/٢، ١٩٣، ١٩٥). وأخرجه أيضاً (١٦٥/٢، ١٨٩) عن يزيد وبهز عن همام به. وتقدم تخريجه.

(٣) في «المعجم الكبير» وقد سقط من «المطبوع» في جملة المفقود من «المعجم»، وعزاه الزبيدي في «الإتحاف» (٤٦٦/٤) لمحمد بن نصر في «كتاب الصلاة»؛ وقال الهيثمي في «المجمع» (١٥٩/٧): «فيه إسماعيل بن رافع وهو متروك».

قلت: ولم أجد في «كتاب الصلاة» لكن رواه ابن نصر في «قيام الليل» (ص ٧٦) قال: حدثنا إسحاق أخبرنا عيسى بن يونس، عن إسماعيل بن رافع بسنده سواء. ولم يتفرد به إسماعيل فتابعه علي بن هاشم عن إسماعيل بن عبيد الله به. أخرجه الشجري في «الأمالي» (٩٢/١) من طريق إسماعيل بن عمرو البجلي. قال: حدثنا علي بن هاشم. والبجلي ضعيف. وقد أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٩٩) قال: أخبرنا إسماعيل بن رافع، عن إسماعيل بن رافع، عن رجل عن عبد الله بن عمرو موقوفاً مختصراً. وهذا «المبهم» هو «إسماعيل بن عبيد الله عن عبد الله بن عمرو موقوفاً بطوله. وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٦٧/١٠)؛ والخطيب في «اللفقيه والمتفقه» (٥٧/١) من طريق وكيع، قال: حدثنا إسماعيل بن عبيد الله.

وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٣٥٢) من طريق محمد بن عبيد، حدثنا محرز أبو رجاء الشامي، عن إسماعيل بن عبيد الله عن ابن عمرو موقوفاً. ورجاله ثقات.

وأخرجه الحاكم (٥٥٢/١)؛ وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٠٣/١) من طريق عمرو بن الربيع بن طارق، ثنا يحيى بن أيوب، عن خالد بن أبي يزيد، عن ثعلبة بن يزيد، عن ابن عمرو مرفوعاً فذكره. قال الحاكم: «صحيح الإسناد»! وهذا سند ضعيف، ويحيى بن أيوب فيه لين، وثعلبة بن يزيد ما عرفته، وليس هو ثعلبة بن يزيد الحماني إنما هو فيما يظهر لي: ثعلبة بن أبي الكنود المترجم في «التاريخ الكبير» (٢/١/١٧٥) ونص في «الجرح والتعديل» (٤٦٣/١/١) أنه يروى عن عبد الله بن عمرو. وفي «التهذيب» (٨/٢٠٩) في ترجمة خالد بن يزيد أنه يروي عن «ثعلبة بن أبي حكيم الحمراوي أبي الكنود». ولم يوثقه إلا ابن حبان (٩٩/٤) والله أعلم. والصواب في هذا الحديث الوقف والله أعلم.

عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحند فيمن يحند، ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن.

وقال الإمام أحمد^(١): حدثنا أبو سعيد مولى بن هاشم، حدثنا عباد بن مسرة، عن الحسن، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة».

وقال البزار^(٢): حدثنا محمد بن حرب، حدثنا يحيى بن المتوكل، حدثنا عنبسة بن مهران، عن الزهري، عن (سعيد)^(٣) وأبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «مراء في القرآن^(٤) كفر». ثم قال عنبسة: هذا ليس بالقوي، وعنده في إسناده آخر.

وقال الحافظ^(٥) أبو يعلى: حدثنا أبو بكر (حدثنا ابن)^(٦) إدريس، حدثنا المقبري، عن

(١) في «المسند» (٣٤١/٢)؛ وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١٣٣/٣)؛ وابن مردويه كما في «إتحاف السادة» (٤/٥٠٠)، من هذا الوجه. قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٢٨١/١): «فيه ضعف وانقطاع» وأعله الهيثمي في «المجمع» (١٦٢/٧) بعباد بن مسرة. وقال المنذري في «الترغيب» (٣٤٥/٢) «رواه أحمد عن عباد بن مسرة واختلف في توثيقه، عن الحسن عن أبي هريرة، والجمهور على أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة» ولم يتفرد به عباد؛ فتابعه صالح بن مقسم، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره. أخرجه ابن منده في «الرد على من يقول (المرح) حرف» (٢٤) من طريق هشام بن عمار، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن صالح بن مقسم فذكره. وقد خولف هشام في إسناده. خالفه سعيد بن منصور فرواه في «تفسيره» (٩) قال: نا إسماعيل ابن عياش، عن ليث وهو ابن أبي سليم، عن مجاهد، عن أبي هريرة مرفوعاً: «من تلا آية... الحديث» وتابعه الهيثم بن خارجة قال: حدثنا إسماعيل بن عياش بسنده سواء أخرجه الشجري (٧٦/١) ورواية سعيد والهيثم أرجح، وهشام بن عمار فيه مقال من قبل حفظه، ولعل هذا الاختلاف يكون من إسماعيل بن عياش. وبالجمله فليس للحديث إسناده حسن ولا صحيح والله أعلم.

(٢) في «مسند» (ج ٢/٢٨٨ ق ٢) وقال: «وهذا الحديث لا نعلم أحداً رواه عن الزهري، عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة إلا عنبسة وهو رجل ليس بالقوي، وعنده فيه إسناده آخر». اهـ. والإسناده الذي أشار البزار أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٩٢/٥) من طريق محمد بن حرب الواسطي، عن يحيى بن المتوكل، عن عنبسة بن مهران، عن مكحول، عن ابن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً مثله. وقال أبو نعيم: «غريب من حديث مكحول لم نكتبه إلا من حديث ابن حرب». وأفة هذه الأسانيد هو عنبسة هذا، فقد قال أبو حاتم: «منكر الحديث» وضعفه أبو داود وغيره.

وأخرجه أبو داود (٤٦٠٣)؛ وأحمد (٢٥٨/٢، ٢٨٦، ٤٢٤، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٩٤، ٥٠٣، ٥٢٨)؛ وابن حبان (٥٩)، وغيرهم من طرق عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً وهذه طرق بعضها صحيح وبعضها حسن، ذكرتها في «التسليّة».

(٣) في (أ): «شعبة! وقع في (ج): «سعيد بن أبي سلمة»!!

(٤) إلى هنا انتهت النسخة (ط).

(٥) في «مسند» (ج ١١/رقم ٦٥٦٠)؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٥٦/١٠)؛ والحاكم (٤٣٩/٢)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٠٩٣، ٢٠٩٤، ٢٠٩٥)؛ وأحمد بن منيع في «مسند»، كما في «المطالب» (٣/٢٩٨)؛ والخطيب (٧٧/٨، ٧٨)؛ وابن الأنباري في «الوقف والابتداء» (ص ٥) من طرق عن عبد الله بن سعيد المقبري، عن جده، عن أبي هريرة مرفوعاً.

وسنده ضعيف جداً، وعبد الله بن سعيد متروك، وبه أعلى الهيثمي (١٦٣/٧). أما الحاكم فصححه فردّه الذهبي بقوله: «بل أجمع على ضعفه».

(٦) في (أ): «ابن أبي»!

جده، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائب».

وقال الطبراني^(١): حدثنا موسى بن خازم الأصبهاني، حدثنا محمد بن بكير الحضرمي، حدثنا إسماعيل بن (عياش)^(٢)، عن يحيى بن الحارث (الذماري)^(٣)، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن فضالة بن عبيد وتميم الداري، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ عشر آيات في ليلة، كتب له قنطار، والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك ﷻ: اقرأ وأرق بكل آية درجة حتى ينتهي إلى آخر آية معه، يقول ربك: اقض، فيقول العبد بيده: يا رب أنت أعلم، فيقول: بهذه الخلد وبهذه النعيم»^(٤).

^(٥) [وروى الحافظ^(٦) ابن عساكر في ترجمة: «معقس بن عمران بن حطان» قال: دخلت مع أبي علي أم الدرداء عليها السلام، فسألها أبي: ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأ؟ قالت: حدثني عائشة قالت: جعلت درج الجنة على عدد آي القرآن فمن قرأ ثلث القرآن ثم دخل الجنة كان على الثلث من درجها، ومن قرأ نصف القرآن كان على النصف من درجها، ومن قرأ كله كان في عليين، لم يكن فوقه إلا نبي أو صديق أو شهيد»^(٥).

وقال الطبراني^(٧): حدثنا مسعدة بن سعد العطار المكي، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي،

(١) في «المعجم الكبير» (ج ٢/ رقم ١٢٥٣)؛ وعنه الشجري في «الأمالي» (٧٧/١)؛ وأخرجه أيضاً في «الأوسط» (ج ٢/ ق ٢٣٤/١) وقال: «لا يروى هذا الحديث عن فضالة وتميم إلا بهذا الإسناد، تفرد به إسماعيل». فقال الهيثمي (٢/ ٢٦٧): «فيه إسماعيل بن عياش ولكنه من روايته عن الشاميين وهي مقبولة». اهـ. وعزه المنذري في «الترغيب» (١/ ٤٣٩)؛ للطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وقال: «بإسناد حسن وفيه إسماعيل بن عياش عن الشاميين وروايته عنهم مقبولة عند الأكثرين». اهـ. وكذا حسنه الدمياطي في «المعجم الرابع» (٣٨٧)؛ وشيخ الطبراني ترجمه أبو نعيم في «أخبار أصفهان» (٢/ ٣١٢) ولم يذكر فيه شيئاً. ولكنه لم يتفرد به في الجملة، فأخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٢٣) وعنه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/ رقم ٢٠٠٦، ٢٠٠٧) قال: نا إسماعيل بن عياش به وأعله أبو حاتم الرازي في «العلل» (ج ١/ رقم ٤٢٢) بالوقف، والرواية الموقوفة عند الدارمي في «سننه» (٢/ ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥).

(٢) في (أ): «عباس»! (٣) في (أ): «الذماري»!

(٤) في حاشية (ج): «آخر الجزء الثاني من أجزاء المؤلف أثابه الله».

وبهذا انتهى ما في النسخة (أ) وجاء في آخرها: «آخر فضائل القرآن، وبه تم التفسير للحافظ العلامة الرُّخْلَةُ الجهبذ، مفيد الطالبين الشيخ عماد الدين إسماعيل الشهير بابن كثير، كثر الله فوائده، على يد أفقر العباد إلى الله الغني محمد بن أحمد بن معمر المقرئ البغدادي، عفا الله عنه، ونفعه بالغ ووفقه للعمل به آمين، وحرس الله مجد مالكة. آمين، بتاريخ يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين وسبعمائة هلالية هجرية صلوات الله وسلامه على مشرفها، والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً». اهـ.

(٥) من أول هنا إلى آخر «فضائل القرآن» من (ج) و(ل) وسقط من (أ) ولا أدري هل كان في (ط)؟ ففيها سقط.

(٦) في «تاريخ دمشق» (ج ١٧/ ق ١٠)؛ وأخرجه أبو عبيده في «فضائل القرآن» (ص ٣٧)؛ وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٧) من طريق محمد بن عبد الرحمن السدوسي، عن معقس بن عمران بن حطان، قال: سمعت أم الدرداء تقول: سألت عائشة.. فذكره. وأخرجه ابن عساكر من طرق أخرى عن محمد بن عبد الرحمن ومعقس - بالقاف - ابن عمران لا أعرف من حاله شيئاً يوجب قبول خبره، ولم يذكر ابن عساكر في ترجمته شيئاً. فالله أعلم.

(٧) في «المعجم الكبير» (ج ٣/ رقم ٢٨٩٩) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ١٥٥ - تراجم النساء) =

حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم مولى جميع بن حارثة الأنصاري، حدثني عبد الله بن ماهان الأزدي، حدثني فايد مولى عبيد الله بن أبي رافع، حدثني سكينه بنت الحسين بن علي، عن أبيها قال: قال رسول الله ﷺ: «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة».

وروى الطبراني^(١) من حديث بقية، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن المهاصر بن حبيب، عن عبيدة المليكي، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «يا أهل القرآن! لا توسدوا القرآن، واتلوه حق تلاوته من آناء الليل والنهار، وتغنوه وتقنوه، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون، ولا تستعجلوا ثوابه، فإن له ثواباً».

وفي حديث عقبة^(٢) بن عامر نحوه كما تقدم.
وقال الإمام أحمد^(٣): حدثنا أبو سعيد، حدثنا ابن لهيعة، عن مشرح، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن القرآن جعل في إهاب، ثم أُلقي في النار ما احترق».

تفرد به.
قيل: معناه: أن الجسد الذي يقرأ القرآن لا تمسه النار.
وفي «سنن ابن ماجه»^(٤) من طريق المغيرة بن نهيك، عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من تعلم القرآن ثم تركه، فقد عصاني».

وفي حديث رواه «أبو يعلى»^(٥)

= وأعله الهيثمي (١٦١/٧) بإسحاق بن إبراهيم مولى جميع بن حارثة فهو ضعيف وأخرجه الخطيب ومن طريقه ابن عساكر (ص ١٥٥)؛ وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٥٣/١) من هذا الوجه وقال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح، وفائد ليس بشيء، قال أحمد: هو متروك الحديث، وقال يحيى: ليس بثقة، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به». وأخطأ ابن الجوزي، فالواقع في السند هو فائد أبو الوراق أما الواقع في السند فهو فائد المدني روى عنه القعني وزيد بن الحباب وجماعة، وثقه ابن معين وقال أبو حاتم: لا بأس به. وللحديث شواهد كلها ساقطة، والحديث من جميع طرقه لا يصح. والله أعلم.

(١) في «المعجم الكبير»، كما في «المجمع» (٢٥٢/٢)، وقال: «فيه أبو بكر بن أبي مريم»؛ وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٨٥٢)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢٦٠/١)؛ وكذا أبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب» (٢٢٧٠)؛ وابن عساكر في «تاريخه» (ج ٤/ق ٥٩٥، ٥٩٦) وقد اختلف في إسناده، والحديث لا يصح بوجه من الوجوه. والله أعلم.

(٢) يشير إلى حديثه «تعلموا كتاب الله واقتنوه...» وقد تقدم تخريجه.

(٣) في «مسنده» (١٥١/٤، ١٥٥)؛ وأخرجه الدارمي (٣٠٩/٢)؛ وأبو عبيد (ص ٢٢، ٢٣)؛ والفريابي (٢/١) كلاهما في الفضائل؛ والرويان في «مسنده» (ج ١٩/ق ٤٨٨)؛ والحكيم الترمذي في «النوادر» (ج ٣/ق ١٠١/٢)؛ وأبو يعلى (ج ٣/رقم ١٧٤٥)؛ وأبو الشيخ في الطبقات (٧٤٠)؛ وابن شاهين في «الترغيب» (١٩٦)؛ وابن عدي (٢٤٦٠/٦)؛ والطحاوي في «المشكل» (٣٩٠/١) وآخرون من طرق عن ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر، وقد اختلف في سنده، والصواب في هذا الحديث الوقف، كما حققته في «تسليمة الكظيم» والحمد لله وله شاهدان عن سهل بن سعد وعصمة بن مالك، ولا يثبت واحد منهما والله أعلم.

(٤) كذا قال المصنف رحمه الله: «من تعلم القرآن...» والذي في «سنن ابن ماجه» (٢٨١٤) «من تعلم الرمي ثم تركه... إلخ».

(٥) في «مسنده» (ج ٢/رقم ١٠٠٠)؛ وأخرجه الطبراني في «الصغير» (٦٦/٢، ٦٧)؛ والخطيب (٣٩٢/٧)، =

من طريق ليث، عن مجاهد، عن (أبي)^(١) سعيد مرفوعاً: «عليك بتقوى الله فإنها رأس كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذكر لك في السماء، واخزن لسانك إلا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان».

وهذا ذكر آثار مرويّة عن ابن أم عبد: عبد الله بن مسعود أحد قراء القرآن من الصحابة المأمور بالتلاوة على نحوهم.

روى الطبراني^(٢)، عن الدبري، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أبي إسحاق قال: قال ابن مسعود: «كل آية خير مما في السماء والأرض».

ومن طريق شعبة^(٣)، عن أبي إسحاق، عن مرة، قال ابن مسعود: «من أراد العلم فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين».

ومن طريق سفيان^(٤) وشعبة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص، عن عبد الله؛ قال: «إن هذا القرآن ليس فيه حرف إلا له حد، ولكل حد مطلع».

ومن حديث^(٥) الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن سيار أبي الحكم، عن ابن مسعود،

= (٣٩٣) من طريق عبد الأعلى بن حماد، حدثنا يعقوب القمي، عن ليث، عن مجاهد، عن أبي سعيد مرفوعاً قال الطبراني: «لا يروى عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد، تفرد به يعقوب القمي».

قلت: يعقوب لا بأس به كما قال النسائي ووثقه ابن حبان والطبراني ولينه الدارقطني ولكن ليث بن بي سليم ضعيف. وله طريق آخر عند أحمد (٨٢/٣) نحو لكنه معل بالانقطاع.

(١) ساقط من «الأصل».

(٢) في «المعجم الكبير» (ج ٩/ رقم ٨٦٦٢) من طريق عبد الرزاق وهو في «مصنفه» (ج ٣/ رقم ٥٩٩٢) عن معمر، عن أبي إسحاق عن ابن مسعود وإسناده منقطع بين أبي إسحاق وابن مسعود ثم رواه الطبراني عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن أبيه وهو منقطع أيضاً فأبو عبيدة لم يسمع من أبيه. وأعلم أن لفظ الرواية مطول وقد اختصر المصنف منه هذه الجملة بالمعنى، وإلا فلفظ الرواية: «ثم يقول، يعني ابن مسعود، تعلمها فإنها خير لك مما بين السماء والأرض».

(٣) الطبراني في «المعجم الكبير» (ج ٩/ رقم ٨٦٦٦) من طريق محمد بن كثير، ثنا شعبة فذكره؛ وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص ١٥٧) عن يحيى بن سعيد القطان، ثنا شعبة به وسنده صحيح؛ وأخرجه الطبراني أيضاً (٨٦٦٤، ٨٦٦٥) من طريق إسرائيل وزهير عن أبي إسحاق بسنده سواء. وهو عند ابن أبي شيبة (٩٤/١٤) من طريق زهير.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٨١٤)؛ وأبو عبيد (ص ٨٩)؛ وابن أبي شيبة (٤٨٥/١٠)؛ والفريابي في «الفضائل» (٧٨) والنحاس في «القطع والائتناف» (ص ٨٤) من طريق سفيان الثوري، عن أبي إسحاق بسنده سواء. وسنده صحيح أيضاً.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٩/ رقم ٨٦٦٧، ٨٦٦٨) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٩/ رقم ٨٦٨٦) قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، ثنا محمد بن يوسف الفريابي، ثنا الثوري بسنده سواء.

قلت: وشيخ الطبراني واو، فقد قال ابن عدي: «يحدث عن الفريابي وغيره بالبواطيل» وقد أخرجه الفسوي في «تاريخه» (٣/ ١٤٦)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/ رقم ٢١٠١) من طريق قبيصة عن الثوري، عن إسماعيل عن سيار أبي حمزة، عن ابن مسعود مثله. ورجاله ثقات الإسناد إلا سياراً أبا حمزة فشبه المجهول، والظاهر أنه لم يدرك ابن مسعود.

قال: «أعربوا هذا القرآن، فإنه عربي، وسجيء قوم يثقفونه، وليسوا بخياركم». والثوري^(١)، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود، قال: «أديموا النظر في المصحف، وإذا اختلفتم في «ياء» و«تاء» فاجعلوها «ياء»، «ذكروا القرآن، فإنه مذكر».

وقال عبد الرزاق^(٢)، عن إسرائيل، عن عبد العزيز بن رفيع، عن شداد بن معقل، سمعت ابن مسعود يقول: «إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة، وليصلين قوم لا خلاق لهم، ولينزعن القرآن من بين أظهركم». قالوا: يا أبا عبد الرحمن! ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا؟! قال: يُسرى على القرآن ليلاً، فيذهب به من أجواف الرجال، فلا يبقى في الأرض منه شيء، ويصبح الناس نفراً كالبهائم، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُذْهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدَ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء].

وقال الطبراني^(٣): حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، حدثنا شعبة، عن علي بن بزيمة، عن أبي عبيدة بن عبد الله، عن أبيه، قال: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث، فهو راجز». وقال هشام^(٤)، عن الحسن أنه بلغه عن ابن مسعود مثل ذلك.

= وقد خولف الثوري في إسناده خالفه هشيم بن بشير فرواته عن إسماعيل، عمن حدثه عن ابن مسعود؛ أخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢١٠٠)؛ وأخرجه أبو عبيد (ص ٢٠٨)؛ وابن أبي شيبة (٤٥٧/١٠) من طريق الثوري عن عقبة الأسدي، عن أبي العلاء عن ابن مسعود قال: «أعربوا القرآن فإنه عربي» وسنده ضعيف وعقبة هذا شبه المجهول؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٥٦/١٠)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٦٨٥) من طريق ليث بن أبي سليم وهو ضعيف عن طلحة بن مصرف، عن إبراهيم عن علقمة، عن عبد الله قال: «أعربوا القرآن»؛ وأخرجه الطبراني (٨٦٨٤) من هذا الوجه مرفوعاً وهو منكر وله طريق آخر عند أبي نعيم في «الحلية» (٣٠٩/٨).

(١) أخرجه الطبراني (٨٦٨٧) من طريق شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وقد قدمنا أنه واه ولكنه لم يتفرد بأصله، فأخرجه أبو عبيد (ص ٤٦)؛ وعبد الرزاق (ج ٣/رقم ٥٩٧٩)؛ وابن أبي شيبة (١٠/٥٣١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٠٢٨)؛ والطبراني في «الكبير» (٨٦٩٦) من طريق الثوري بسنده سواء؛ وأخرجه البيهقي (٢٠٢٩) من طريق مفضل بن صدقة عن عاصم به، وسنده حسن. وله طرق أخرى تقدم ذكرها.

(٢) وأخرجه الطبراني (ج ٩/رقم ٨٧٠٠)؛ وأخرجه عبد الرزاق (ج ٣/رقم ٥٩٨٦)؛ والضياء المقدسي في «اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن» (١٩). وله طرق أخرى ذكرتها في «التسلي» يثبت بها. قال الهيثمي (٥٢/٧، ٣٣٠): «رجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة» قلت: وشداد هذا لم يوثقه إلا ابن حبان (٣٥٧/٤) وقال ابن سعد: «قليل الحديث».

(٣) «المعجم الكبير» (ج ٩/رقم ٨٧٠٢)؛ وأخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٨٩) قال: حدثنا حجاج؛ وأخرجه ابن المقري في «معجمه» (ج ٧/١٣٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ١٩٨٣) من طريق يعقوب بن إسحاق الحضرمي، كلاهما عن شعبة بسنده سواء؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (٥٠١/٢)؛ والفريابي (١٤٦)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٧٠٣، ٨٧٠٤) من طريق الثوري ومسرر كلاهما عن علي بن بزيمة به.

وأخرجه الفريابي (١٤٧، ١٤٨)؛ وأبو عمرو الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص ٣٢٢) من طريق إسرائيل وأبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود فذكره. وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين أبي عبيدة وأبيه، ووهم محقق «الشعب» فقال: «إسناده لا بأس به»!

(٤) أخرجه الطبراني (ج ٩/رقم ٨٧٠٥) وضعفه ظاهر.

ومن طريق الأعمش^(١)، عن أبي وائل، قال: كان عبد الله بن مسعود يقل الصوم، فيقال له في ذلك، فيقول: «إني إذا صمت ضعفت عن القرآن والصلاة، والقراءة والصلاة أحب إلي».

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٨٦٨) من طريق زائدة، عن الأعمش به؛ وأخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٢٦)؛ وابن أبي شيبة (٥٠٩/١٠)؛ وابن جرير في «تهذيب الآثار» (٥٢١ - مسند عمر) من طريق أبي معاوية والثوري معاً عن الأعمش به.

وابن جرير في «التهذيب» (٥٢٠، ٥٢١ - مسند عمر)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٨٦٩، ٨٨٧٠، ٨٨٧٥) من طريق الثوري وشعبة وزهير بن معاوية ثلاثهم عن أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود مثله وهذان إسنادان صحيحان.

وزاد زهير في روايته: قال ما رأيت فقيهاً أقل صوماً من عبد الله بن مسعود فقليل له: لم لا تصوم؟ قال: إني أختار الصلاة... وذكر نحوه ولم يذكر القراءة.

وأخرجه الطبراني (٨٨٧١) من طريق بكير بن عامر عن الشعبي عن ابن مسعود قال: «الصلاة أحب إلي من الصوم، ولم يكن يصلي الضحى»؛ قال الهيثمي (٢٥٧/٢): «فيه بكير بن عامر وثقه أحمد وضعفه ابن معين وغيره».

ثم أخرجه الطبراني (٨٨٧٢) من طريق حماد بن سلمة، عن أبي حمزة عن إبراهيم، عن ابن مسعود فذكره. وسنده ضعيف جداً. وأبو حمزة هو ميمون ضعيف ولعله واه، ثم هو منقطع بين إبراهيم النخعي وابن مسعود. فالعمدة على ما تقدم والحمد لله.

مقدمة مفيدة تذكّر في أول التفسير قبل الفاتحة^(١)

قال أبو بكر بن الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا همام، عن قتادة؛ قال: نزل في المدينة من القرآن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن والطلاق و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحریم: ١] إلى رأس العشر، و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ [الزلزلة]، و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [النصر] هؤلاء السور نزلت بالمدينة، وسائر السور بمكة.

فأما عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آية؛ ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال؛ فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهم من قال: ومائتا^(٢) آية وأربع آيات.

وقيل: وأربع عشرة آية. وقيل: ومائتان وتسع عشرة آية. وقيل: ومائتان وخمس وعشرون آية، أو ست وعشرون آية. وقيل: ومائتا آية^(٣) وست وثلاثون آية^(٢)، حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه «البيان». وأما كلماته فقال الفضل بن شاذان، عن عطاء بن يسار: سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة.

وأما حروفه^(٣) فقال عبد الله بن كثير، عن مجاهد: هذا ما أحصينا من القرآن، وهو ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفاً.

وقال الفضل^(٤)، عن عطاء بن يسار: ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً.

(١) هذا العنوان بكامله من (ن). ووقع في (ج) و(ل): «مقدمة مفيدة» واعلم أن هذه المقدمة بكاملها ساقطة من (ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي).

(٢) ساقط من (ن) وفيها: «مائتان وست...».

(٣) وقد ورد في عدد حروفه حديث مرفوع لكنه منكر؛ أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ج ٢/ق ١١٤/١) قال: حدثنا محمد بن عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني، حدثني أبي، عن جدي آدم بن أبي إياس، ثنا حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: «القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأه صابراً محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الحور العين». قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن عمر عليه السلام إلا بهذا الإسناد، تفرد به: حفص بن ميسرة». اهـ. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤٢٢/٦) لابن مردويه.

* قلت: وهذا سند رجاله ثقات إلا شيخ الطبراني: «محمد بن عبيد» أورده الذهبي في «الميزان» (٦٣٩/٣) وقال: تفرد بخبر باطل ثم ذكر الحديث؛ وقال الهيثمي (١٦٣/٧) «شيخه، يعني الطبراني ذكره الذهبي في «الميزان» بهذا الحديث ولم أجد لغيره في ذلك كلاماً، وبقي رجاله ثقات».

(٤) في (ن): «ابن» وهو خطأ.

وقال سلام أبو محمد الحماني^(١): إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب؛ فقال: أخبروني عن القرآن كله؛ كم من حرف هو؟ قال: فحسبنا فأجمعوا أنه ثلاثمائة ألف وأربعون ألفاً وسبعمائة وأربعون حرفاً.

قال: فأخبروني عن نصفه فإذا هو إلى الفاء من قوله في الكهف: ﴿وَلَيَتَلَطَّفْ﴾ [الآية: ١٩] وثلثه الأول عند رأس مائة آية من براءة والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء، والثالث إلى آخره.

وسبعه الأول إلى الدال من^(٢) قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ﴾ [النساء: ٥٥] والسُّبع الثاني إلى التاء من قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿(أُولَئِكَ) حِطَّتْ﴾ [الآية: ١٤٧] والثالث إلى الألف الثانية من قوله (تعالى)^(٣) في الرعد^(٤): ﴿أَكَلَهَا﴾ [الآية: ٣٥].

والرابع إلى الألف من قوله في (الحج)^(٥): ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ [الآية: ٣٤]. والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: ٣٦]. والسادس إلى الواو من قوله (تعالى)^(٦) في الفتح: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنٍّ أَلَسَّوْهُ﴾ [الآية: ٦]. والسابع إلى آخر القرآن.

قال سلام أبو محمد: عملنا ذلك في أربعة أشهر؛ قالوا: وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن؛ فالأول إلى آخر الأنعام، والثاني إلى: ﴿وَلَيَتَلَطَّفْ﴾ من سورة الكهف، والثالث إلى آخر الزمر، والرابع إلى آخر القرآن.

وقد ذكر^(٧) الشيخ أبو عمرو الداني في كتابه (البيان) خلافاً في هذا كله. فالله أعلم. وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها، وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن؛ والحديث في «مسند (الإمام)^(٨) أحمد»، و«سنن أبي داود» و«ابن ماجه»، و«غيرهم»^(٩)؛ عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله ﷺ في حياته: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث^(١٠) عشرة، وحزب المفضل [من ﴿ق﴾]^(١١) حتى تختم.

فصل (١٢)

واختلف في معنى السورة مم هي مشتقة؛ فقيل: من الإبانة والارتفاع؛ قال النابغة: أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ترى كل ملك دونها يتذبذب فكان القارئ ينتقل بها من منزلة إلى منزلة. وقيل: لشرفها وارتفاعها كسور البلد. وقيل:

- (١) أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص ١١٩). (٢) في (ج): «إلى»!
- (٣) من (ن).
- (٤) في (ل): «من أكلها في الرعد».
- (٥) في (ن): «الألف في الحج من قوله».
- (٦) من (ن).
- (٧) في (ن): «حكى».
- (٨) من (ن).
- (٩) في (ل): «وغيرهما».
- (١٠) في (ن): «ثلاثة عشر».
- (١١) ساقط من (ن).
- (١٢) ساقط من (ل).

سميت سورة لكونها قطعةً من القرآن وجزءاً منه مأخوذ من أسرار الإناء وهو البقية. وعلى هذا فيكون أصلها مهموزاً؛ وإنما (خففت)^(١)، فأبدلت الهمزة واواً لانضمام ما قبلها. وقيل: لتمامها وكمالها؛ لأن العرب يسمون الناقة التامة سورةً.

قلت: ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها، كما يسمى سور البلد، لإحاطته بمنزله ودوره، (والله أعلم)^(٢).

وجمع السورة: سور - بفتح الواو -، وقد يجمع على سُورَات وسُورَات.

وأما الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها، (وانفصالها)^(٣)؛ أي: هي بائنة (من)^(٤) أختها ومنفردة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٨]. وقال النابغة:

توهمت آيات لها فعرفت لها لستة أعوام وذا العام سابع
قيل: لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه، كما يقال: خرج القوم بآياتهم؛ أي: بجماعاتهم؛ وقال الشاعر:

خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا
وقيل: سميت آية؛ لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها؛ قال سيبويه: وأصلها آية مثل أكمة وشجرة، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلت ألفاً، فصارت آية بهمزة بعدها مدة. وقال الكسائي: أصلها آية، على وزن آمنة، فقلت ألفاً، ثم حذفت لالتباسها. وقال الفراء: أصلها آية بتشديد الياء الأولى، فقلت ألفاً كراهية (التشديد)^(٥)، فصارت آية. وجمعها آي، وآياي، وآيات.

وأما الكلمة فهي (اللفظة الواحدة)^(٦) وقد يكون على حرفين مثل: ما، ولا، (ولك)^(٧) (ونحو ذلك)^(٨). وقد يكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل: ﴿لَيْسْتَ خَلْقَهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، و﴿أَنْزَلْنَاهُمْ﴾ [هود: ٢٨]، و﴿فَأَنْشَيْتُكُمْ﴾ [الحجر: ٢٢].

وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ ﴿وَالصُّحُفِ﴾ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ وكذلك ﴿الْعَمَّ﴾ ﴿وَالطَّهَّ﴾ ﴿وَالْبَسَّ﴾ و﴿حَمَّ﴾ في قول الكوفيين: و﴿حَمَّ﴾ ﴿عَسَّ﴾ ﴿عَمَّ﴾ عندهم كلمتان.

وغيرهم لا يسمى هذه آيات؛ بل يقول: هذه فواتح السور.

وقال أبو عمرو الداني: لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى: ﴿مُدَاهَمَتَانِ﴾ [سورة الرحمن: الآية: ٦٤].

(١) في (ج): «خفف» وفي (ن): «خففت الهمزة»! (٢) ساقط من (ن).

(٣) في (ج) و(ل): «انفصاله». (٤) في (ن): «عن».

(٥) في (ن): «للتشديد». (٦) في (ن): «اللفظة الواحدة».

(٧) ساقط من (ل) و(ن). (٨) ساقط من (ج) و(ن).

فصل (١)

قال القرطبي^(٢): أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من (التراكيب)^(٣) الأعجمية، وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية؛ كإبراهيم، ونوح، ولوط. واختلفوا: هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية؟ فأنكر ذلك الباقلاني، (والطبري)^(٤)؛ وقالوا: ما وقع فيه (مما)^(٥) يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات^(١).

(١) هذا الفصل ساقط من (ج) وهو مقدم في الذكر على الفصل السابق عليه في (ل).
 (٢) في «تفسيره» (٦٨/١).
 (٣) في (ل): «الكتب»!
 (٤) في (ل): «الطبراني»!!
 (٥) في (ل): «ما».

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ^(١)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)^(٢)

^(٣) [يقال لها: الفاتحة؛ أي: فاتحة الكتاب خطأ، وبها (تفتتح)^(٤) القراءة في (الصلاة)^(٥)] ويقال لها أيضاً: أم الكتاب عند الجمهور؛ (وكره)^(٦) أنس، والحسن (٢/٤٢/١)، وابن سيرين كرها؛ (تسميتها)^(٧) بذلك؛ قال الحسن، وابن سيرين: إنما ذلك اللوح المحفوظ. وقال الحسن: الآيات المحكمات هن أم الكتاب، و(كذا كرها)^(٨) أيضاً أن يقال لها: أم القرآن.

وقد ثبت في (الحديث)^(٩) عند الترمذي^(١٠)، وصححه عن أبي^(١١) [هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «(الحمد لله رب العالمين)^(١٢) أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني» (ويقال لها: السبع المثاني)^(١٣) والقرآن العظيم^(١٤)].
ويقال لها: «الحمد» (ويقال لها)^(١٥): «الصلاة»؛ لقوله (ﷺ)^(١٦) عن ربه^(١٧): «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي...» الحديث؛ فسميت الفاتحة صلاة؛ لأنها شرط فيها^(١٨).

- (١) كذا في الأصول، وفي (ز): «فاتحة الكتاب». (٢) من (ن).
(٣) ساقط من (ز)، و(ع)، و(هـ) و(ي). (٤) في (ل): «تفتح». (٥) في (ل) و(ن): «الصلوات». (٦) في (ل) و(ن): «ذكره»!
(٧) وقع في (ن): «كرها تسميتها» ولفظة «كرها» مقحمة لا معنى لها وقد قيدت بهامش النسخة وأشار الناسخ إلى أنها سقطت من السياق، وجاءت هذه اللفظة على التثنية إشارة إلى الحسن وابن سيرين فقط.
(٨) يعني الحسن وابن سيرين، ووقعت في (ن): «ولذا كرها»! وفي (ك): «وكذا كروها» وفي (ل): «وكذا كره». (٩) في (ن): «الصحيح»!
(١٠) في «سننه» (٣١٢٤)؛ وأخرجه البخاري (٣٨١/٨) وفي «جزء القراءة» (١٤٩)؛ وأبو داود (١٤٥٧)؛ والدارمي (٣٢١/٢)؛ وأحمد (٤٤٨/٢)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص ١١٧، ١١٨)؛ وابن جرير في «تفسيره» (٤٠/١٤، ٤١)؛ والبيهقي في «التمهيد» (٢٠١/٢٠، ٢٠٢)؛ والبيهقي (٧٨)؛ والدارقطني في «العلل» (ج ٣/١٤/١)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠١/٢٠، ٢٠٢)؛ والبيهقي في «الشعب» (٢١٣٧، ٢١٤٠)؛ والبيهقي في «شرح السنة» (٤٤٥/٤) من طرق عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً وليس عند البخاري: «الحمد لله».
(١١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي). (١٢) في (ن): «الحمد لله رب العالمين». (١٣) ساقط من (ك) و(ن). (١٤) ساقط من (ل). (١٥) في (ج) و(ل): «عليه السلام». (١٦) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١٣٢)، وفي «جزء القراءة» (٧٢)؛ ومسلم (٢٩٦/١).

(١) [ويقال لها: «الشفاء» لما رواه الدارمي^(٢)، عن أبي سعيد، مرفوعاً: (١) (٣)] «فاتحة الكتاب شفاء من كل سم». ويقال لها: «الرقية» لحديث أبي سعيد (في)^(٤) «الصحيح»^(٥) حين رقى بها الرجل السليم، فقال له رسول الله ﷺ: «وما يدريك أنها رقية؟».

وروى الشعبي^(٦)، عن ابن عباس أنه سماها «أساس القرآن»؛ قال: (وأساسها)^(٧) بسم الله الرحمن الرحيم. وسماها سفيان بن عيينة «بالواقية»^(٨).

وسماها يحيى^(٩) بن أبي كثير «الكافية»؛ لأنها تكفي عما عداها، ولا يكفي ما سواها عنها، كما جاء في بعض الأحاديث المرسلة^(١٠): «أم القرآن عوض من غيرها، وليس غيرها»^(١١).

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٢) كذا قال ابن كثير ﷺ، ووهم في ذلك؛ لأن الدارمي رواه في «سننه» (٣٢٠/٢) عن عبد الملك بن عمير قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره هكذا معضلاً أو مرسلاً وليس عند الدارمي: «سم» بل «داء».

ثم تبين لي أن ابن كثير تبع القرطبي في هذا الوهم، فقد ذكره الأخير في «تفسيره» (١١٢/١) وعزاه للدارمي عن أبي سعيد مرفوعاً بلفظه. وأثر عبد الملك بن عمير أخرجه أيضاً البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢١٥٤) وقال السيوطي في «الدر المنثور» (٥/١): «رجاله ثقات» أما حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «فاتحة الكتاب شفاء من السم» فأخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (١٧٨) وعنه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢١٥٣)؛ والثعلبي في «تفسيره» (ج ١/١٤ - ٢/٦) قال: حدثنا سلام الطويل، عن زيد العمي، عن ابن سيرين عن أبي سعيد مرفوعاً به. وسنده واه جداً، وسلام الطويل متروك وزيد العمي ضعيف، ورجح البيهقي أن هذا الحديث مختصر من حديث اللديغ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى.

(٣) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي). (٤) ساقط من (ك).

(٥) أخرجه البخاري (٤/٤٥٣، ١٠/١٩٨، ٢٠٩)؛ ومسلم (٢٢٠١/٦٥)، وله طرق وألفاظ. ووقع في إسناده اختلاف لا يضر.

(٦) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (ج ١/١٤ - ١/١٤) مطولاً بسند رجاله ثقات إلا مزاحم بن محمد فلم أعرفه ويكنى بـ«أبي هريرة».

(٧) في (ك): «وأسمائها!!»

(٨) أخرجه الثعلبي (١/١٤ - ١/١٤) من طريق أبي يزيد حاتم بن محبوب المسامي، نا عبد الجبار بن العلاء، قال: كان سفيان بن عيينة يسمي فاتحة الكتاب: الواقية. وحاتم بن محبوب لم أجد له ترجمة، والله أعلم.

(٩) كذا وقع في جميع «الأصول»، والصواب أنه: «عبد الله بن يحيى بن أبي كثير» فأخرجه الثعلبي (١/١٤ - ١/١٤) من طريق علي بن حجر، نا عفيف بن سالم، قال: سألت عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن قراءة الفاتحة خلف الإمام؟ فقال: عن الكافية تسأل؟ قلت: وما الكافية؟ قال: «الفاتحة»، أما علمت أنها تكفي عن سواها، إياك أن تصلي إلا بها». وهذا سند جيد إن كان من دون علي بن حجر ثقات. والله أعلم.

(١٠) كذا قال ابن كثير ﷺ «المرسلة» ولا وجه لهذه اللفظة؛ لأن الحديث متصل كما يأتي ليس بمرسل، ولعل المصنف لما نظر في «تفسير القرطبي» (١/١١٣) فوجده يقول: «يدل عليه ما روى محمد بن خلاد الإسكندراني قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره» أقول: لعله لما رأى هذا قال ما قال! وفي عبارة القرطبي خلل، ولعله سقط منها: «... الإسكندراني بسنده قال... إلخ» والله أعلم.

ثم إن هذا الحديث منكر، أخرجه الدارقطني (١/٣٢٢)؛ والحاكم (١/٢٣٨)؛ والثعلبي (١/١٤ - ١/١٤) من طريق محمد بن خلاد الإسكندراني، ثنا أشهب بن عبد العزيز، حدثني سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت مرفوعاً فذكره.

قال الحاكم: «رواة هذا الحديث كلهم أئمة وكلهم ثقات على شرطهما» كذا قال! ومحمد بن خلاد وشيخه =

(١) [عوضاً] (٢) منها» ويقال لها: سورة الصلاة، والكنز؛ ذكرهما الزمخشري (٣) في كشافه (١) وهي مكية؛ (قاله ابن عباس، وقتادة وأبو العالية) (٤)، وقيل: مدنية؛ (قاله أبو هريرة، ومجاهد، وعطاء بن يسار، والزهري) (٤).

ويقال: نزلت مرتين؛ مرة بمكة، ومرة بالمدينة. والأول أشبه، (٥) (لقلوه تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِ﴾ [الحجر: ٨٧]) (٦) (والله تعالى أعلم) (٦).

(٦) (وحكى أبو الليث السمرقندي أن نصفها نزل بمكة، ونصفها الآخر نزل بالمدينة؛ وهو غريب جداً، نقله القرطبي (٧) عنه) (٦).

وهي سبع آيات بلا خلاف (٨) (وقال عمرو بن عبيد: ثمان. وقال حسين الجعفي: ستة. وهذان (القولان) (٩) شاذان) (٨). وإنما اختلفوا في البسملة؛ هل هي آية مستقلة من أولها كما هو (المشهور) (١٠) عن جمهور قراء الكوفة، وقول جماعة من الصحابة والتابعين، وخلق من الخلف. أو بعض آية، (أو لا) (١١) تعد من أولها بالكلية، كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء؟ على ثلاثة أقوال، كما سيأتي تقريرها في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

قالوا: وكلماها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفاً.

قال البخاري في أول «كتاب التفسير» (١٢): «سميت أم الكتاب؛ لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة.

وقيل: إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته.

قال ابن جرير (١٣): «والعرب تسمى كل جامع أمراً - أو مقدم لأمر، إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع - «أماً»؛ فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: «أم الرأس»، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها «أماً»؛ واستشهد بقول ذي الرمة:

= لم يخرج لهما الشيخان شيئاً، وقال الدارقطني: «تفرد به محمد بن خلاد، عن أشهب، عن ابن عيينة». قلت: ومحمد بن خلاد قال ابن يونس: «يروي مناكير». وقال الذهبي: «لا يدرى من هو وانفرد بهذا الخبر» وتعجب الحافظ في «اللسان» (١٥٦/٥) من قول الذهبي، وابن خلاد وثقه العجلي وكذا ابن حبان. قال الحافظ: «وما أعرف للمؤلف - يعني الذهبي - سلفاً في ذكره في الضعفاء سوى قول ابن يونس... إلخ» والمحفوظ ما رواه الحفاظ عن ابن عيينة بالسند المتقدم: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». والله أعلم وقد رواه أصحاب الزهري الثقات هكذا.

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٢) في (ن): «عوض»!

(٣) انظر: «الكشاف» (٤/١).

(٤) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٥) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٦) ساقط من (ك) و(ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٧) في «تفسيره» (١/١١٥).

(٨) ساقط من (ج) و(ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٩) من (ن) وسقط من (ك).

(١٠) ساقط من (ن) وفيها: «كما هو عند الجمهور... إلخ» وكذا سقط من (ع) و(هـ).

(١١) في (ز): «ولا».

(١٢) يعني: من «صحيحه» (٨/١٥٥).

(١٣) في «تفسيره» (١/١٠٧، ١٠٨).

على رأسه أم لنا نقتدي بها جماع أمور ليس نعصي لها أمراً
يعني: الرمح.

قال: وسميت مكة أم القرى؛ لتقدمها أمام جميعها، وجمعها ما سواها.
وقيل: لأن (١/٤٣/١) الأرض دحيت (منها)^(١).

ويقال لها أيضاً: الفاتحة؛ لأنها تفتتح بها القراءة، وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام، وصح تسميتها بالسبع المثاني؛ قالوا: لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة، وإن كان للمثاني معنى آخر غير هذا كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله (تعالى)^(٢).

قال الإمام أحمد^(٣): حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا ابن أبي ذئب، وهاشم بن هاشم، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أنه قال في أم القرآن: «هي أم القرآن وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم».
ثم رواه^(٤) عن إسماعيل بن عمر، عن ابن أبي ذئب، به.

وقال أبو جعفر^(٥) محمد بن جرير الطبري: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني».

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في «تفسيره»: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، حدثنا محمد بن غالب بن (حرب)^(٦)، حدثنا إسحاق بن عبد الواحد الموصلي، حدثنا المعافى بن عمران، عن عبد الحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، عن المقبري، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله رب العالمين سبع آيات: بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم؛ وهي أم الكتاب، (وفاتحة الكتاب)^(٧)».

وقد رواه الدارقطني^(٨) أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه أو مثله؛ وقال: «كلهم ثقات».

(١) في (ز) و(ك): «من تحتها».

(٢) من (ك) و(ن).

(٣) في مسنده (٤٤٨/٢).

(٤) في «مسند» (٤٤٨/٢).

(٥) في «تفسيره» (٤٠/١، ٤١) وقد تقدم تخريجه في أول السورة.

(٦) في (ن): «حارث» وهو خطأ، وهو محمد بن غالب بن حرب المعروف بـ«تمتام» أحد الحفاظ له ترجمة في «الجرح والتعديل» (٥٥/١/٤) و«تاريخ بغداد» (١٤٣/٣ - ١٤٦).

(٧) ساقط من (ج).

(٨) في «سننه» (٣١٢/١)؛ وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (ج٢/١٠ - ٢/١١)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٤٥/٢، ٣٧٦، ٣٧٧)؛ وفي «الشعب» (ج٥/رقم ٢١٢١)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/٦/١) من طريق عبد الحميد بن جعفر سنده سواء. ونقل المصنف رحمته الله عن الدارقطني أنه قال: «كلهم ثقات» ولم أجد هذا القول في «سننه» وإنما قاله في الحديث الذي بعده، فلعل نظر المصنف انتقل حال النقل، والله أعلم.

وروى البيهقي^(١) عن علي، وابن عباس، وأبي هريرة؛ أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿سَبَّحًا مِّنَ الْمَلَكِ﴾ [الحجر: ٨٧] بالفاتحة، وأن البسملة هي الآية السابعة منها وسيأتي تمام هذا عند البسملة.
^(٢) [وقد روى الأعمش^(٣)، عن إبراهيم؛ قال: قيل لابن مسعود:] ^(٢) ^(٤) [لم لم تكتب الفاتحة في مصحفك؟ فقال: لو كتبتها لكتبها في أول كل سورة. قال أبو بكر بن داود: يعني حيث يقرأ في الصلاة، قال: واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابتها.

وقد قيل: إن الفاتحة أول شيء أنزل من القرآن، كما ورد في حديث رواه البيهقي في «دلائل النبوة»^(٥)، ونقله الباقلاني أحد أقوال ثلاثة. (هذا أحدها)^(٦)؛ وقيل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينُ﴾ [المدينة] كما في حديث جابر في «الصحيح»^(٧). وقيل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق] وهذا هو الصحيح^(٨) كما سيأتي تقريره في موضعه، والله المستعان^(٩).

= وقد رواه أبو بكر الحنفي، كما عند الدارقطني، قال: ثنا عبد الحميد بن جعفر، أخبرني نوح بن أبي بلال، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً. قال أبو بكر الحنفي: ثم لقيت نوحاً فحدثني عن سعيد المقبري عن أبي هريرة بمثله ولم يرفعه، وهذا هو الصواب، وعندي أن عبد الحميد بن جعفر وهم في رفعه، فهو وإن كان وثقه غير واحد فقد ضعفه الثوري ولينه النسائي، وقال ابن حبان: «ربما أخطأ» ومما يدل على وهمه أن أبا بكر الحنفي وهو أوثق منه لقي نوحاً فحدثه به موقوفاً، ويتأيد هذا البحث بما رواه الثعلبي (١/٩) من طريق يزيد بن سنان، نا أبو بكر الحنفي، نا نوح بن أبي بلال قال: سمعت سعيداً المقبري عن أبي هريرة قال: «إذا قرأتم أم القرآن فلا تدعوا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها إحدى آياتها، وإنها السبع المثاني» هكذا ذكره موقوفاً، ويزيد بن سنان أبو خالد القزاز وثقه النسائي، وابن حبان وابن أبي حاتم وزاد: «صدوق»، ومما يدل على هذا أيضاً أن الثقات رووه عن ابن أبي ذئب عن المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً ولم يذكر أحد منهم: «إحداهن بسم الله الرحمن الرحيم». والله أعلم. ثم رأيت البيهقي (٤٥/٢) صحح وقفه لله الحمد.

(١) في «سننه» (٤٥/٢). وأخرجه هذه الآثار أيضاً سعيد بن منصور في «تفسيره» (ق ١/١٤٦)؛ والطحاوي في «المشكّل» (٧٩/٢)؛ وعبد الرزاق في «المصنّف» (ج ٢/رقم ٢٦٠٩)؛ والطبري (٥٤/١٤، ٥٥)؛ والبيهقي في «الشعب» (٢١٤١، ٢١٤٢)؛ والحاكم (٢/٢٥٧)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/٢١٢). وإسناد أثر علي بن أبي طالب جيد، أما أثر ابن عباس فصححه الحاكم ووافقه الذهبي! وفيه والد ابن جريج تكلم فيه البخاري والعقيلي.

(٢) ساقط من (ز) و(ها) و(ي).

(٣) لكنه منقطع، وإبراهيم النخعي لم يدرك ابن مسعود. (٤) ساقط من (ز) و(ها) و(ي).

(٥) انظر: «الدلائل» (١٥٨/٢) وقال البيهقي: «فهذا منقطع».

وقال المصنف في «البداية والنهاية» (٩/٣) بعد أن عزاه لأبي نعيم أيضاً: «وهو مرسل، وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل». وزعم الزمخشري في «الكشاف» (٢٢٣/٤) أن أكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل من القرآن، هو خطأ واضح، وكان الرجل مزجى البضاعة في النقل، تام الفقر في هذا الباب، وهذا سمت عام للمعتزلة وهو الجهل بالنقل، لذلك ضلوا، فنسأل الله أن يربط على قلوبنا حتى نلقاه. وتعقبه الحافظ في «الفتح» (٧١٤/٨) وقال بعد حكاية مقالته: «كذا قال! والذي ذهب أكثر الأئمة إليه هو الأول؛ يعني: أن سورة العلق أول ما نزل، وأما الذي نسبته إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول». اهـ.

(٦) ساقط من (ن) وسقط لفظ «أحدها» من (ج) و(ك) و(ي).

(٧) أخرجه البخاري (٨/٦٧٦، ٦٧٧)؛ ومسلم (٧٣/٢٥٧) ويأتي تخريجه بعد إن شاء الله.

(٨) وثبت فيه حديث عائشة وغيره، ويأتي تخريجه في موضعه إن شاء الله.

ذكر ما ورد في فضل الفاتحة:

قال الإمام أحمد^(١) (بن محمد بن حنبل)^(٢) رحمه الله تعالى في «مسنده»: «حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، حدثني خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المعلى (رضي الله عنه)^(٣) قال: كنت أصلي، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت؛ قال: (وأيتته)^(٤) فقال: «ما منعك أن تأتيني؟» قال: قلت: يا رسول الله؛ إني كنت أصلي. قال: «ألم يقل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]»، ثم قال: «لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد»؛ قال: (٢/٤٣/١)؛ فأخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله؛ إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن. قال: «نعم»، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» وهكذا رواه البخاري عن مسدد وعلي ابن المديني، كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان، به. ورواه في موضع آخر من «التفسير» وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، من طرق عن شعبة، به.

ورواه الواقدي^(٥)، عن محمد بن معاذ الأنصاري، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المعلى، عن أبي بن كعب، فذكر نحوه.

وقد وقع في «الموطأ»^(٦) للإمام مالك (بن أنس)^(٧) (رضي الله عنه)^(٨) ما ينبغي التنبيه عليه؛ فإنه رواه مالك، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي أن أبا سعيد مولى (عامر)^(٩) بن كريز، أخبرهم أن رسول الله ﷺ نادى أبي بن كعب وهو يصلي في المسجد، فلما فرغ من صلاته لحقه؛ فوضع النبي ﷺ يده على يدي وهو يريد أن يخرج من باب المسجد، ثم قال (رضي الله عنه)^(٧): «إني لأرجو أن لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في (القرآن)^(١٠) مثلها».

قال أبي (رضي الله عنه)^(٧): فجعلت أبطئ في المشي رجاء ذلك؛ ثم قلت: يا رسول الله،

(١) في «مسنده» (٢١١/٤) وأخرجه أيضاً (٤٥٠/٣) قال: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة بمثله وأخرجه البخاري (١٥٦/٨، ١٥٧، ٣٠٧، ٣٨١، ٥٣/٩)؛ وأبو داود (١٤٥٨)؛ والنسائي (١٣٩/٢)؛ وفي «فضائل القرآن» (٣٥)، وفي «تفسيره» (١، ٢٩)؛ وابن ماجه (٣٧٨٥)؛ والدارمي (٣٨٩/١، ٣٢٠/٢) وغيرهم من هذا الوجه.

(٢) ساقط من (ل). (٣) ساقط من (ل) و(ه).

(٤) في (ه) و(ن): «فأيتته».

(٥) والواقدي متروك وشيخه مجهول كما صرح بذلك الحافظ في «الفتح» (١٥٧/٨) وتلقفه منه البدر العيني في «العمدة» (٨١/١٨) والمحفوظ رواية شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن.

(٦) (٣٧/٨٣/١)؛ وأخرجه من طريق مالك إسحاق بن راهويه، كما في «إتحاف المهرة» (ق ١٢٥/٢)؛ للبوصيري وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١١٧) وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/٢١٧): «أبو سعيد مولى عامر... حديثه هذا مرسل» وقد خولف مالك في إسناده. خالفه شعبة والدراوردي، وعبد الرحمن بن إبراهيم، وإسماعيل بن جعفر وإبراهيم بن طهمان وجماعة فرووه عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: مر النبي ﷺ على أبي بن كعب وهو قائم يصلي.. وساق الحديث بنحوه؛ أخرجه النسائي في «تفسيره» (٢٢٥)؛ والترمذي (٢٨٧٥) وقال: «حسن صحيح»؛ والدارمي (٢/٣٢٠، ٣٢١)؛ وأحمد (٢/٤١٢، ٤١٣)، وغيرهم. واختلف في إسناده أيضاً.

(٧) ساقط من (ك). (٨) من (ن).

(٩) وقع في (ك) و(ن): «ابن عامر».

(١٠) كذا في (ه) و(ي) وهو الموافق لما في «الموطأ» ووقع في (ج) و(ز) و(ك) و(ل): «الفرقان».

(السورة)^(١) التي وعدتني؟ قال: «كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟» قال: فقرأت عليه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى أتيت على آخرها؛ فقال رسول الله ﷺ: «هي هذه السورة، وهي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيت».

فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلى كما اعتقده ابن^(٢) الأثير في «جامع الأصول» ومن تبعه؛ فإن ابن المعلى صحابي أنصاري، وهذا تابعي من موالي خزاعة، وذاك الحديث متصل صحيح، وهذا ظاهره أنه منقطع إن لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبي بن كعب؛ فإن كان قد سمعه منه فهو على شرط^(٣) مسلم. والله أعلم.

على أنه قد روى عن أبي بن كعب من غير وجه، كما قال الإمام أحمد^(٤): حدثنا عفان، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه؛ قال: خرج رسول الله ﷺ على أبي بن كعب وهو يصلي؛ فقال، يا أبي. فالتفت ثم لم يجبه؛ ثم (صلى)^(٥) أبي، فخفف ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ، فقال: السلام عليك أي رسول الله.

^(٦) فقال: «وعليك السلام. ما منعك أي أبي (إذ)^(٧) دعوتك أن تجيبني؟» فقال: أي رسول الله؛ إني^(٦) كنت في الصلاة. قال: «أولست تجد فيما أوحى الله تعالى إليّ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]» قال: بلى يا رسول الله؛ لا أعود، قال: «أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهما؟» قلت: نعم أي رسول الله. قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو ألا أخرج من هذا الباب حتى تعلمها». قال: فأخذ رسول الله ﷺ بيدي يحدثني وأنا (أبتطأ)^(٨) مخافة أن يبلغ قبل أن يقضى

(١) وقع في (ز) و(ن) و(هـ): «ما السورة».

(٢) وكذلك نبه على خطأ ابن الأثير: الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢٩/١)، والحافظ في «الفتح» (١٥٧/٨).

(٣) كذا قال! وهو مذهب جماعة من العلماء منهم الحاكم النيسابوري صاحب «المستدرک» أنهم إذا رأوا رجال الإسناد رجال الصحيح قالوا على شرطه، والصواب: مراعاة الترجمة، فإذا كان صاحب «الصحيح» مثلاً أخرج هذه الترجمة قيل: إنها على شرطه، وليس مجرد الرجال حسب وخذ مثلاً: فهشيم بن بشير من رجال «الصحيحين» وكذا الزهري، ومع ذلك فلو رأينا الإسناد: «هشيم عن الزهري» فلا يقال: على شرطهما؛ لأنهما ما أخرجا شيئاً لهشيم عن الزهري إنما أخرج هذه الترجمة النسائي والترمذي، فبعد هذا نقول: لو سمعه أبو سعيد مولى عامر من أبي بن كعب لم يكن على شرط مسلم؛ لأنه لم يخرج هذه الترجمة، إنما روى حديثاً واحداً لأبي سعيد هذا ولكن عن أبي هريرة. والله أعلم.

(٤) في «مسنده» (٤١٢/٢، ٤١٣)؛ وأخرجه النسائي في «تفسيره» (٢٢٥)؛ والترمذي (٢٨٧٥)؛ والدارمي (٢/٣٢٠، ٣٢١)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص ١١٦، ١١٧)؛ وابن جرير في «تفسيره» (٤٠/١٤)؛ وابن خزيمة (٣٧/٢، ٣٨)؛ وأبو يعلى (٣٦٧/١١)؛ والسراج في «تاريخه»، كما في «التمهيد» (٢١٨/٢٠)؛ والطحاوي في «المشکل» (٤٦٧/١، ٤٦٨)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٢١٨/٢٠، ٢١٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤٤٤/٤، ٤٤٥، ٤٤٦)، وفي «تفسيره» (٤٢/١، ٤٣) من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن به وصححه الترمذي والبغوي.

(٥) في كل (الأصول): «قال»، وما ذكرته من «المسند».

(٦) ساقط من (ك).

(٧) في (ج) و(ل): «أن».

(٨) كذا في (ز) وهو الموافق لما في «المسند» وفي سائر (الأصول): «أبتأطأ» وهما بمعنى.

الحديث. فلما دنونا من الباب (١/٤٤) قلت: أي رسول الله؛ ما السورة التي وعدتني؟ قال: «ما تقرأ في الصلاة؟» قال: فقرأت عليه أم القرآن. قال: «والذي نفسي بيده! ما (أنزل الله)»^(١) في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؛ إنها السبع المثاني.

ورواه الترمذي، عن قتيبة، عن الدراوردي، عن العلاء، (عن أبيه)^(٢)، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)^(٣)... فذكره.

وعنده: «أنها من السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيته».

ثم قال: هذا حديث حسن صحيح.

وفي الباب عن أنس^(٤) بن مالك.

ورواه عبد^(٥) الله ابن الإمام أحمد، عن إسماعيل (أبي معمر)^(٦)، عن أبي أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بن كعب فذكره مطولاً بنحوه أو (قريب)^(٧) منه.

(١) كذا في (ز) وهو الموافق لرواية «المسند»، وفي سائر (الأصول): «أنزل».

(٢) من أول سورة الفاتحة إلى هذا الموضع ساقط من النسخة (ع).

(٣) زيادة من (ن).

(٤) أخرجه النسائي في «فضائل القرآن» (٣٦)؛ وفي «اليوم والليلة» (٧٢٣)؛ وابن حبان (١٧١٣)؛ والحاكم (١/٥٦٠)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٥١٤٤)؛ والضياء في «المختارة» (١٧١٨، ١٧١٩، ١٧٢٠) من طريق علي بن عبد الحميد المعني، بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر النون، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت البناني، عن أنس قال: كان النبي ﷺ في مسير، فمشى ورجل من أصحابه إلى جنبه، فالتفت إليه وقال: «ألا أخبرك بأفضل القرآن؟ قال: فتلا: الحمد لله رب العالمين». وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم قلت: بل صحيح فقط، وعلي بن عبد الحميد لم يخرج له مسلم شيئاً، وعلق له البخاري، والله أعلم.

والحديث عزاه السيوطي في «الدراوردي» (١٥/١)؛ لأبي ذر الهروي في «الفضائل».

(٥) في «زوائد المسند» (١١٤/٥، ١١٥)؛ وأخرجه النسائي (١٣٩/٢)؛ والترمذي (٣١٢٥)؛ والدارمي (٢/٣٢٠)؛ وابن خزيمة (ج ١/رقم ٥٠٠، ٥٠١)؛ وابن حبان (١٧١٤ - موارد)؛ وابن المنذر في (الأوسط) (٣/٩٩)؛ وعبد بن حميد (١٦٥)؛ وابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٤٦)؛ وابن جرير (٤١/١٤)؛ والحاكم (١/٥٥٨، ٢/٢٥٨)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٢١٨/٢٠، ٢١٩)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢١٣٩)، وفي «القراءة خلف الإمام» (١٠٣) من طريق عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بن كعب... فذكره.

قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»!

قلت: وقد خولف عبد الحميد، خالفه جماعة كثر منهم الدراوردي وإسماعيل بن جعفر وآخرون سبق ذكر أسمائهم فرووه عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن أياً... الحديث. فجعلوه من «مسند أبي هريرة». ورجح الترمذي رواية الدراوردي ومن معه، وخالفه ابن عبد البر فقال في «التمهيد»: «رواية عبد الحميد بن جعفر أشبه عندي». وحكم الترمذي أصح وأسد؛ لأن عبد الحميد بن جعفر وإن كان ثقة فقد قال ابن حبان: «ربما أخطأ» وقد خالفه عشرة من الثقات فروايتهم أولى، وتتأيد روايتهم بشيء آخر ذكرته في «التسلي» والمقام هنا لا يحتمل البسط. والله الموفق.

(٦) وقع في (ز) و(ن): «ابن أبي معمر» وهو خطأ، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن معمر أبو معمر القطيعي الهروي نزيل بغداد، قال ابن معين: «ثقة مأمون».

(٧) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي). ووقع في (ز) و(ن) و(ه): «قريباً».

وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن أبي عمار حسين بن حريث، عن الفضل بن موسى، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بن كعب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بيني وبين عبدي نصفين». هذا لفظ النسائي.

وقال الترمذي: ((حديث^(١) حسن غريب)).

وقال الإمام أحمد^(٢): حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا هاشم - يعني ابن البريد، حدثنا عبد الله بن محمد (بن)^(٣) عقيل، عن (ابن)^(٤) جابر؛ قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد أهرق الماء فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليّ (قال)^(٥): فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد (علي)^(٦). قال: فانطلق رسول الله ﷺ يمشي وأنا خلفه حتى دخل رحله، ودخلت أنا المسجد، فجلست كثيراً حزناً، فخرج علي رسول الله ﷺ (و)^(٧) قد تطهر، فقال: «عليك السلام ورحمة الله»؛ وعليك السلام ورحمة الله؛ ثم قال: «ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر (بأخير)^(٨) سورة في القرآن؟» قلت: بلى يا رسول الله قال: «اقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾» حتى تختهما».

هذا إسناده جيد، وابن عقيل^(١٠) هذا يحتج به الأئمة الكبار، وعبد الله بن جابر هذا (هو)^(١١) الصحابي ذكر ابن الجوزي أنه هو العبدى. والله أعلم. ويقال: إنه عبد الله بن جابر الأنصاري^(١٢) البياضي فيما ذكره الحافظ ابن عساكر.

(١) زيادة من (ن) و(ه).

(٢) في «مسنده» (١٧٧/٤). وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢١٥٣) من طريق علي بن هاشم، عن هاشم بن البريد بسنده سواء. وقد اختلف في إسناده كما يأتي.

(٣) في (ج): «عن» وهو خطأ.

(٤) ساقط من (ن).

(٥) من (ز) و(ل) و(ن) و(ه).

(٦) من (ن).

(٧) زيادة «وبركاته» في الموضعين، ولم يقع هذا اللفظ في «المسند».

(٨) كذا في «الأصول» كلها، وفي «المسند»: «بخير»، وفي (ل): «ما خير».

(٩) لكن اختلف عليه في إسناده فقد رواه محمد بن عبيد وعلي بن هاشم كلاهما عن هاشم بن البريد عن ابن

عقيل، عن عبد الله بن جابر. وخالفهما عيسى بن يونس فرواه عن هاشم بن البريد، عن ابن عقيل، عن

جابر بن عبد الله الأنصاري فذكر نحوه من أوله فقط ولم يذكر «ألا أخبرك... إلخ» أخرجه ابن ماجه

(٣٥٢)؛ وأبو يعلى، كما في «زوائد البوصيري»، وابن أبي حاتم في «العلل» (٦٨)؛ وابن عدي (٧/

٢٥٧٤)؛ والخطيب في «تلخيص المتشابه» (٢/٧٦٦). وحسن إسناده البوصيري في «الزوائد» وقال مغلطاي

في «شرح ابن ماجه» (ج ١/٦٨) «هذا الحديث إسناده لا بأس». اهـ. ولعل هذا الاختلاف من عبد الله بن

محمد بن عقيل مع أنه يلوح لي أنهما حديثان لا حديث واحد، لاشتغال حديث محمد بن عبيد وعلي بن

هاشم على زيادة في المتن ليست في حديث عيسى بن يونس. والله أعلم.

(١١) زيادة من (ز).

(١٢) ولعل هذا هو الصواب، وقد ذكر الحافظ في «الإصابة» (٣٣/٤، ٣٤) هذا الحديث في ترجمة «البياضي»

دون العبدى. والله أعلم.

(١) «واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والسور على بعض، كما هو المحكي عن كثير من العلماء؛ منهم إسحاق بن [١] (٢) [راهويه، وأبو بكر بن العربي، وابن (٢) الحصار من المالكية.

وذهبت طائفة أخرى إلى أنه لا تفاضل في ذلك؛ لأن الجميع كلام الله، ولثلا يومهم التفضيل نقص المفضل عليه، وإن كان الجميع فاضلاً. نقله القرطبي عن الأشعري، وأبي بكر الباقلاني، وأبي حاتم (ابن حبان) (٣) البستي، ويحيى بن يحيى، ورواية عن الإمام مالك (أيضاً) (٤) [٢].

حديث آخر: قال البخاري في «فضائل القرآن» (٥): حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا وهب، حدثنا هشام، عن محمد، عن معبد، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: كنا في مسير لنا، فنزلنا فجاءت جارية فقالت: إن سيد (١/٤٤/٢) الحي سليم، وإن نفرنا غيب، فهل (منكم) (٦) راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبئه (٧) برقية، فرقاه فبرأ؛ فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبناً؛ فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية؟ أو كنت ترقى؟ قال: لا ما رقيت إلا بأمر الكتاب. قلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي (أو) (٨) نسأل رسول الله ﷺ.

(فلما قدمنا إلى المدينة ذكرناه للنبي ﷺ) (٩) فقال: «وما كان يدرية أنها رقية؟، اقساموا واضربوا لي بسهم».

وقال أبو معمر (١٠): حدثنا عبد الوارث، حدثنا هشام، حدثنا محمد بن سيرين، حدثني معبد بن سيرين، عن أبي سعيد الخدري بهذا.

(١) ساقط من (ع).

(٢) ساقط من (ع) ووقع في (ن): «ابن الحضار» بالضاد المعجمة، وهو تصحيف وصوابه بالصاد المهملة وهو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد القرطبي المالكي كان أحد الأذكياء. قال ابن حزم: «ما لقيت أشد إنصافاً في المناظرة من ابن بشر، ولقد كان أعلم من لقيته بمذهب مالك مع قوته في علم اللغة والنحو ودقة فهمه». وانظر: «السير» (١٧/٤٧٣ - ٤٧٥). قلت: وهذه شهادة من بين فكي أسد، فله دره.

(٣) ساقط من (ها) و(ي) وفي (ن) زيادة: «وأبي حيان» وأظنه تكرير من الناسخ.

(٤) ساقط من (ز).

(٥) يعني: من «صحيحه» (٩/٥٤)؛ وهشام هو ابن حسان، ومحمد ومعبد هما ابنا سيرين؛ وأخرجه مسلم (٢٢٠١/٦٦)؛ وأبو داود (٣٤١٩)؛ وأحمد (٣/٨٣)؛ وابن حبان (٦١١٣) من طريق يزيد بن هارون، أخبرنا هشام بن حسان بسنده سواء نحوه.

(٦) في (ج): «معكم» بالعين المهملة بدل النون، والذي في «البخاري» وسائر (الأصول): «منكم».

(٧) نأبئه برقية: أي ما كنا نعلم أنه يرقى فنعيه بذلك. كذا في «النهاية» (١/١٧).

(٨) كذا في «البخاري» وفي سائر (الأصول)، وفي (ن): «ونسأل» بواو العطف.

(٩) ساقط من (ج).

(١٠) وهذا التعليق وصله الإسماعيلي في «مستخرجه» من طريق محمد بن يحيى الذهلي، عن أبي معمر قال الحافظ في «الفتح» (٩/٥٤، ٥٥): «أراد؛ يعني: البخاري، بهذا التعليق التصريح من محمد بن سيرين لهشام، ومن معبد لمحمد، فإنه في الإسناد الذي ساقه أولاً بالنعنة في الموضعين».

وهكذا رواه مسلم، وأبو داود، من رواية هشام - وهو ابن حسان، عن ابن سيرين، به .
وفي بعض روايات «مسلم»^(١) لهذا الحديث أن أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم؛
يعني: اللديغ؛ يسمونه بذلك تفاقلاً.

حديث آخر: روى «مسلم»^(٢) في «صحيحه»، والنسائي في «سننه»، من حديث أبي الأحوص
سلام بن سليم، عن عمار بن رزيق، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن
سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبرائيل إذ سمع نقيضاً^(٣) فوقه،
فرفع جبريل بصره إلى السماء، فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط. قال: فنزل منه
ملك، فأتى النبي ﷺ فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب،
وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفاً منها إلا أوتيته.
وهذا لفظ النسائي ولمسلم نحوه.

حديث آخر: قال مسلم^(٤): حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي - هو ابن راهويه، حدثنا
سفيان بن عيينة، عن العلاء - يعني ابن عبد الرحمن بن يعقوب (الحرقي)^(٥)، عن أبي
هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداع - ثلاثاً - غير
تمام».

فقيل لأبي هريرة: إنا نكون (وراء)^(٦) الإمام فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت
رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﷻ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدني ما سألت؛
فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾
قال الله: أثني علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾» (قال)^(٧): مجدني عبدي.

(١) كذا! وهو وهم، ولم يقع ذلك في «صحيح مسلم» إنما أخرجه النسائي في «اليوم واللييلة» (١٠٢٧)،
(١٠٣٠)؛ والترمذي (٢٠٥٣)؛ وابن ماجه (٢١٥٦)؛ وأحمد (١٠/٣) وغيرهم من طريق الأعمش، عن أبي
بشر، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد فذكره وفيه: «فأتونا فقالوا: هل أحد منكم يرقى؟ قلت: أنا راق...
الحديث». وأخرجه أحمد (٥٠/٣)؛ والدارقطني (٦٤/٣) من طريق عبد الرحمن بن النعمان أبي النعمان
الأنصاري، قال: سمعت سليمان بن قتة، بالقاف والتاء المثناة من فوق، قال: نا أبو سعيد الخدري فذكر
الحديث وفيه: «فمر بنا رجل من أهل القرية، فقال: يا معشر العرب هل منكم أحد يحسن أن يرقى؟ إن
الملك يموت. فقال أبو سعيد: فأتيته فقرأ عليه فاتحة الكتاب فأفاق وبرأ... الحديث».

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٦).

(٣) نقيضاً؛ أي: صوتاً كصوت الباب إذا فتح.

(٤) في «صحيحه» (٣٨/٣٩٥)؛ وأخرجه البخاري في «جزء القراءة» (١١، ٧١، ٧٤، ٧٨، ٢٦١)؛ وأبو عوانة
(١٢٧/٢)؛ والترمذي (٢٩٥٣)؛ وأحمد (٢٤١/٢)؛ والحميدي (٩٧٣، ٩٧٤)؛ وابن أبي حاتم في
«تفسيره» (٢٣)؛ والسراج في «حديثه» (ج ١٠/ق ١٩٠، ١، ٢) وآخرون من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن،
عن أبيه، عن أبي هريرة مطولاً ومختصراً.

(٥) الحرقي، بضم الحاء المهملة وفتح الراء، ووقع في (ن): «الخرقي» بالخاء المعجمة وهو تصحيف.

(٦) كذا في «صحيح مسلم» وفي سائر (الأصول). ووقع في (ن): «خلف» وهو شاذ.

(٧) كذا في «صحيح مسلم» وهو كذلك في (ز) و(ع) و(ي). ووقع في (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(ها): «قال الله».

وقال مرةً: فوض إلي عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ❶ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ❷ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ❸ ﴿١﴾ (قال) ❷: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.

وهكذا رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه، وقد رواه ❸ أيضاً عن قتيبة، عن مالك، عن العلاء، عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة، عن أبي هريرة، (به) ❹. وفي هذا السياق: «فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل». (وهكذا) ❺ رواه ابن إسحاق ❻ عن العلاء.

وقد رواه (مسلم) ❷ من حديث ابن جريج، عن العلاء، عن أبي السائب هكذا. ورواه أيضاً ❸ من حديث ابن أبي أويس، عن العلاء، عن أبيه وأبي السائب، كلاهما عن أبي هريرة.

وقال الترمذي ❹: «هذا حديث حسن. وسألت أبا زرعة عنه، فقال: كلا الحديثين صحيح: من قال: عن العلاء، عن أبيه، وعن العلاء، عن أبي السائب».

وقد روى هذا الحديث عبد ❶ الله ابن الإمام أحمد من حديث العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بن كعب مطولاً.

وقال ابن جرير ❶: حدثنا صالح بن مسمار المروزي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عنبة بن

(١) وقع في (ج)، و(ع) و(ل) و(ي) بعد قوله الضالين: «آمين».

(٢) وكذا في «مسلم» وفي سائر الأصول أيضاً، ووقع في (ع) و(ن): «قال الله».

(٣) أخرجه مسلم (٣٩٥/٣٩)؛ والنسائي (١٣٥/٢، ١٣٦) كلاهما عن قتيبة بن سعيد عن مالك.

(٤) ساقط من (ل) و(ن).

(٥) كذا في (ل) و(ن) و(هـ) ووقع في (ج) و(ز) و(ع) و(ي): «كذا».

(٦) أما رواية بن إسحاق فأخرجها أحمد (٢٨٦/٢)؛ والبخاري في «جزء القراءة» (٧٣)؛ وابن جرير (٨٦/١)؛ والبيهقي في «القراءة» (٥٧، ٥٨).

وهكذا رواه الوليد بن كثير وورقاء بن عمر، ومحمد بن عجلان، جميعاً عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبي السائب عن أبي هريرة.

(٧) في «صحيحه» (٣٩٥/٤٠)؛ البخاري في «جزء القراءة» (٧٥).

(٨) يعني: مسلماً في «صحيحه» (٣٩٥/٤١).

(٩) وكذا قال في «العلل الكبير» (٢٣٥/١)؛ وصححه أحمد أيضاً كما في «مسائل أبي داود» (ص ٣١٢) وقال الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (ج ٣/٢٠١/٢): «فالحديث صحيح من كلا الوجهين كأن العلاء سمعه من أبيه عن أبي هريرة، وسمعه من أبي السائب وهو عبد الله بن السائب الجهني، عن أبي هريرة، فمرة رواه عن أبيه ومرة رواه عن أبي السائب». اهـ.

(١٠) في «زوائد المسند» (١١٤/٥، ١١٥) وقد تقدم تخريجه قريباً.

(١١) في «تفسيره» (٨٦/١)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩)؛ والإسماعيلي في «معجمه» (ج ٢/٨٠/١، ٢) وعنه السهمي في «تاريخ جرجان» (ص ١٨٥)؛ والحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (ج ٣/٢٠١/٢).

٢، ١/٢٠٢ من طريق زيد بن الحباب بسنده سواء. وقال الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى «تفسير الطبري» (٢٠١/١)، هذا إسناد جيد صالح، ثم نقل قول ابن كثير بالغرابة وقال: «ولعله يريد =

سعيد، عن مطرف بن طريف، عن (سعد)^(١) بن إسحاق (بن)^(٢) كعب بن عجرة، عن جابر بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، وله ما سأل؛ فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: حمدني عبدي. وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال: أثني علي عبدي ثم قال: هذا لي وله ما بقي».

وهذا غريب من هذا الوجه.

(ثم)^(٣) الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه: أحدها - أنه قد أطلق فيه لفظ الصلاة، والمراد القراءة؛ (كقوله)^(٤) تعالى: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: بقراءتك، كما جاء مصرحاً به في «الصحيح»^(٥)، عن ابن عباس. وهكذا قال في هذا الحديث: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدني ما سأل».

ثم بين تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة؛ فدل على (عظمة)^(٦) القراءة في الصلاة، وأنها من أكبر أركانها إذ أطلقت العبادة وأريد بها جزء واحد منها؛ وهو القراءة، كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصلاة في قوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، والمراد: صلاة الفجر، كما جاء مصرحاً به في «الصحيحين»^(٧): (إنه)^(٨) يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار.

فدل هذا كله على أنه لا بدّ من القراءة في الصلاة، وهو اتفاق من العلماء، ولكن اختلفوا في مسألة نذكرها في:

الوجه الثاني: وذلك أنه هل يتعين للقراءة في الصلاة (فاتحة)^(٩) الكتاب أم تجزئ هي (و)^(١٠) غيرها؟ على قولين مشهورين؛ فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم؛ أنها لا تتعين، بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصلاة. واحتجوا بعموم قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ

= أنه لم يروه أحد من حديث جابر إلا بهذا الإسناد، وليس من ذلك بأس، وقد ثبت معناه من حديث أبي هريرة، فهو شاهد قوي لصحته. اهـ.

(١) وقع في (ك) و(ن): «سعيد» وهو خطأ.

(٢) وقع في (ن): «عن» وهو خطأ.

(٣) بياض في (ك).

(٤) في (ك): «لقوله».

(٥) أخرجه البخاري (٨/٤٠٤، ٤٠٥، ١٣/٤٦٣، ٥٠٠، ٥١٨)؛ ومسلم (٤٤٦/١٤٥).

تنبيه: وقع في النسخة المطبوعة من «سنن الترمذي» رواية شعبة موصولة بذكر ابن عباس ونص المزي في «تحفة الأشراف» (٤/٣٩٧) أن رواية شعبة ليس فيها ذكر «ابن عباس» والنسخة كثيرة التحريف والسقط. والله أعلم.

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي) ووقع في (ز): «عظيم».

(٧) أخرجه البخاري (٢/١٣٧، ٨/٣٩٩)؛ ومسلم (٦٤٩/٢٤٦)؛ وأبو عوانة (١/٣٧٧، ٣٧٨)؛ والنسائي (١/٢٤١)، وفي «تفسيره» (٣١٣)؛ والترمذي (٣١٣٥)؛ وابن ماجه (٦٧٠)؛ وأحمد (٢/٤٧٤) من حديث أبي هريرة. وله طرق.

(٨) في (ز): «من أنه».

(٩) في (ن): «غير فاتحة... إلخ» وهذه اللفظة لا معنى لها.

(١٠) في (ز) و(ن): «أو».

مِنَ الْقُرْآنِ ﴿ [المزمل: ٢٠] وبما ثبت في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة في قصة المسيء في صلاته - أن رسول الله ﷺ قال له: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن»؛ قالوا: فأمره بقراءة ما تيسر، ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها، فدل على ما قلنا.

والقول الثاني: أنه تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة، ولا تجزئ الصلاة بدونها؛ وهو قول بقية الأئمة: مالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وأصحابهم، وجمهور العلماء.

واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه (١/٤٥/٢): «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج»^(٢). والخداج: هو الناقص، كما فسر به في الحديث «غير تمام».

واحتجوا أيضاً بما ثبت في «الصحيحين»^(٣) من حديث الزهري، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

وفي «صحيح ابن خزيمة»^(٤)، وابن حبان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن». والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ووجه المناظرة ههنا يطول ذكره. وقد أشرنا إلى مأخذهم في ذلك رحمهم الله.

ثم إن مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه تجب قراءتها في كل ركعة. وقال آخرون: إنما تجب قراءتها في معظم الركعات. وقال الحسن، وأكثر البصريين: إنما تجب قراءتها في ركعة (واحدة)^(٥) (من الصلاة)^(٦) أخذاً بمطلق الحديث: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

^(٧) (وقال أبو حنيفة (وأصحابه)^(٨))، والثوري، والأوزاعي: لا تتعين قراءتها؛ بل لو قرأ غيرها أجزأه؛ لقوله تعالى: ﴿فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠] (كما تقدم)^(٩)، والله أعلم^(١٠).

(١) أخرجه البخاري (٢/٢٣٧، ٢٧٦، ٢٧٧، ٣٦/١١) وفي «جزء القراءة» (١١٣) مختصراً؛ ومسلم (٤٥/٣٩٧).

(٢) مر تخريجه أثناء الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدني نصفين... الحديث».

(٣) أخرجه البخاري (٢/٢٣٦، ٢٣٧)، وفي «خلق أفعال العباد» (٥٢٠، ٥٢١)، وفي «جزء القراءة» (٨١)؛ ومسلم (٣٤/٣٩٤).

(٤) أخرجه ابن خزيمة (٤٩٠)؛ وابن حبان (٤٥٧ - موارد)؛ وأحمد (٢/٤٥٧، ٤٧٨)؛ وأبو عوانة (٢/١٢٧)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (١/٢١٦)؛ وفي «المشكل» (٢/٢٣)، من طرق عن شعبة، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً. قال ابن حبان: «لم يقل في خبر العلاء هذا: «لا تجزئ» إلا شعبة، ولا عنه إلا وهب بن جرير ومحمد بن كثير». اهـ.

قلت: رواه عن شعبة أيضاً: «غندر، وسعيد بن عامر». ووقع هذا اللفظ أيضاً في رواية زياد بن أيوب، عن ابن عيينة، عن الزهري عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت مرفوعاً. أخرجه الدارقطني (١/٣٢١)، وقال: «هذا إسناد صحيح» وقد خولف زياد بن أيوب، خالفه ثلاثون نفساً من أصحاب ابن عيينة فرووه عنه بالسند المتقدم بلفظ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وكأن زياداً رواه بالمعنى وانظر: «نصب الراية» (١/٣٦٥) وقد صححه ابن قطان أيضاً. والله أعلم.

(٥) بياض في (ه).

(٦) في (ز) و(ن): «الصلوات» وهذا اللفظ سقط من (ي).

(٧) ساقط من (ك). (٨) ساقط من (ه).

(٩) ساقط من (ز) و(ك) و(ن) و(ه) و(ي). (١٠) ساقط من (ك).

وقد روى ابن^(١) ماجه، من حديث أبي سفيان السعدي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد مرفوعاً: «لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها». وفي صحة هذا نظر. وموضع تحرير هذا كله في «كتاب الأحكام الكبير»^(٢). والله أعلم.

والوجه الثالث: هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء:

أحدها: أنه تجب عليه قراءتها، كما تجب على إمامه، لعموم الأحاديث المتقدمة.

والثاني: لا تجب على المأموم قراءة بالكلية (لا الفاتحة)^(٣) ولا غيرها، لا في الصلاة الجهرية ولا في الصلاة السرية، لما رواه الإمام أحمد بن^(٤) حنبل في «مسنده»، عن جابر بن

(١) في (سننه) (٨٣٩)؛ وأخرجه الترمذي (٢٣٨)؛ وعنه ابن الجوزي في «الواهيات» (٧٠٦)؛ وابن حبان في «المجروحين» (٣٨١/١) من طريق أبي سفيان السعدي، عن أبي نضرة، عن سعيد مرفوعاً بلفظ أطول وفيه: «لا صلاة لمن لم يقرأ بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها». وليس عندهم: «في كل ركعة» وهي زيادة منكرة جداً، وأبو سفيان السعدي اسمه طريف بن شهاب تركه النسائي وضعفه ابن معين وأحمد، وقال ابن حبان: «كان شيخاً مغفلاً».

والحديث بهذا السياق منكراً، وقد ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي قتادة أن النبي ﷺ قرأ في الركعتين الأخيرتين من الظهر والعصر بأم الكتاب وحدها. والله أعلم.

والحديث ضعفه الحافظ في «التلخيص» (٢٣٢/١)؛ والبوصيري في «الزوائد» (٢/٢٩١) وقال: «هذا إسناد ضعيف، وأبو سفيان السعدي اسمه طريف بن شهاب، وقيل: ابن سعد، قال ابن عبد البر: أجمعوا على ضعفه لكن لم ينفرد ابن ماجه بإخراج هذا الحديث عن أبي سفيان عن أبي نضرة فقد تابع أبا سفيان على روايته لهذا الحديث قتادة كما رواه... إلخ».

قلت: كذا قال البوصيري! وفي قوله: تسامح، فإن قتادة وإن تابعه على الإسناد لكنه خالفه في لفظه فقد أخرجه أبو داود (٨١٨)؛ والبخاري في «جزء القراءة» (١٢)؛ وأحمد (٣/٩٧)؛ وأبو يعلى (ج٢/رقم ١٢١٠)، وعنه ابن حبان (١٧٩٠) من طريق همام بن يحيى، قال: ثنا قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: أمرنا نبينا ﷺ أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر. وقال الحافظ في «الفتح» (٢/٢٤٣): «سنده قوي» وقال في «التلخيص» (٢٣٢/١): «إسناده صحيح».

(٢) وهذا الكتاب ما أتمه المصنف ﷺ، ووصل فيه إلى كتاب الحج كما قال السيوطي في: «ذيل تذكرة الحفاظ» (ص ٣٦١)؛ والداودي في «الطبقات» (١١١/١) وذكر الكتاب أيضاً ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (٢٣١/٦).

(٣) وقع في (ن): «للفاتحة» ثم ضبطها بفتح اللام الأولى وسكون اللام الثانية، وبهذا الضبط يلتقى مع بقية الأصول ولكن خالفهم في رسم الحرف.

(٤) في «مسنده» (٣/٣٣٩) قال: حدثنا أسود بن عامر، أنا حسن بن صالح، عن أبي الزبير، عن جابر مرفوعاً... فذكره.

قلت: كذا وقع الإسناد في «المسند» وسقط منه «جابر الجعفي» رواه عن «أبي الزبير» وقد أثبتته الحافظ في «أطراف المسند» (٢/١٣٩)، ورواه ابن الجوزي في «التحقيق» (١/٣٢٠) من طريق أحمد فأنبته. والله أعلم.

وأخرجه ابن ماجه (٨٥٠)؛ وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٠٥٠)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (١/٢١٧)؛ والدارقطني (١/٣٣١)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/٥٤٢)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٧/٣٣٤) من طرق عن الحسن بن صالح بسنده سواء وسنده ضعيف جداً لوهاء جابر الجعفي وتابعه ليث بن أبي سليم، عن أبي الزبير بسنده سواء.

أخرجه الطحاوي (١/٢١٧)؛ والدارقطني (١/٣٣١)؛ وابن عدي (٦/٢١٠٧)؛ وابن الأعرابي في «معجمه» =

عبد الله، عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة». ولكن إسناده^(١) ضعيف.

ورواه^(٢) مالك، عن وهب بن كيسان، عن جابر من كلامه؛ وقد روي هذا الحديث من طرق، ولا يصح شيء منها عن النبي ﷺ، والله أعلم.

والقول الثالث: أنه تجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم، ولا يجب ذلك في الجهرية، لما ثبت في «صحيح^(٣) مسلم»، عن أبي موسى الأشعري؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا؛ وإذا قرأ فأنتصتوا...» وذكر بقية الحديث.

وهكذا رواة بقية «أهل السنن»^(٤): أبو داود والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن أبي هريرة،

= (ق ١٧٣/١)؛ والبيهقي (١٦٠/٢) وضعفه من الوجهين الدارقطني وابن عدي والبيهقي وقد وقع في سنده اختلاف مؤثر، ولا يصح هذا الحديث إلا موقوفاً وقد وضعفه صيارفة هذا الفن، ممن تقدم ذكره ونزيد أيضاً: البخاري وأبا موسى الرازي أحد الحفاظ، وابن المنذر وكثيراً من المتأخرين منهم والحافظ وغيرهما.

(١) في هذا الحكم تسامح، والصواب أنه ضعيف جداً كما تقدم.

(٢) في «الموطأ» (٣٨/٨٤/١)؛ وأخرجه الطحاوي (٢١٧/١)؛ والدارقطني (٣٢٧/١)؛ والخلعي في «الخلعيات» (١/٤٧/٢٠)؛ والبيهقي (١٦٠/٢) من طريق مالك، عن وهب بن كيسان، عن جابر قال: «من صلى ركعة لم يقرأ فيها بأم القرآن لم يصل إلا وراء الإمام». قال البيهقي: «هذا هو الصحيح عن جابر من قوله غير مرفوع».

(٣) أخرجه مسلم (٦٣/٤٠٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٦٠٤)؛ والنسائي (١٤١/٢، ١٤٢)؛ وابن ماجه (٨٤٦)؛ وأحمد (٤٢٠/٢)؛ وابنه عبد الله في «زوائد المسند» في ذات الموضع؛ وابن أبي شيبه (٣٢٦/٢)؛ والطحاوي في «الشرح» (٢١٧/١)؛ وتمام الرازي في «الفوائد» (٩٧٢)؛ والدارقطني (٣٢٧/١)؛ والبيهقي (١٥٦/٢) من طريق أبي خالد الأحمر، عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره مطولاً. وهذا الحديث لم يخرج الترمذي كما قال المصنف رحمه الله. قال أبو داود: «وهذه الزيادة: «إذا قرأ فأنتصتوا» ليست بمحفوظة، والوهم عندنا من أبي خالد».

وقال البخاري في «جزء القراءة» (٢٦٧): «ولم يذكروا «فأنتصتوا» ولا يعرف هذا من صحيح حديث أبي خالد الأحمر، قال أحمد: أراه يدلّس» ثم قال: «روى أبو سلمة، وهمم، وأبو يونس وغير واحد عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، ولم يتابع أبو خالد في زيادته». اهـ.

ونقل البيهقي (١٥٦/٢، ١٥٧) عن ابن معين أنه سئل عن هذا الحديث فقال: «ليس بشيء». وخالفهم في ذلك الإمام مسلم فسأله أبو بكر ابن أخت أبي النضر فقال له: فحديث أبي هريرة هو صحيح؟ يعني: «إذا قرأ فأنتصتوا» فقال مسلم: هو عندي صحيح فقال له: لم لم تضعه ههنا؟ قال: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا، إنما وضعت ههنا ما أجمعوا على صحته. وكذا صححه الإمام أحمد كما قال ابن عبد البر؛ ونقله عنه ابن التركماني في «الجوهر النقي» (١٥٧/٢)؛ وصححه أيضاً ابن حزم (٢٤٠/٣).

قلت: أما قول أبي داود والبخاري إن أبا خالد الأحمر لم يتابع على روايته وأنه وهم فيها فليس كذلك. فقد تابعه محمد بن سعد الأنصاري، قال: حدثنا ابن عجلان بسنده سواء أخرجه النسائي (١٤٢/٢)؛ والدارقطني (٣٢٨/١)؛ والخطيب في «تاريخه» (٣٢٠/٥)؛ ومحمد بن سعد وثقه محمد بن عبد الله المخرمي وابن معين والنسائي كما في «تاريخ بغداد» وكذا تابعه الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم ومصعب والقعقاع ثلاثتهم عن أبي صالح مثله أخرجه أبو العباس السراج في «مسنده»، كما في «النكت الظرف» (٣٤٣، ٣٤٤)، للحافظ ورواه إسماعيل بن أبان الغنوي ومحمد بن ميسر الصاغاني =

عن النبي ﷺ أنه قال: «وإذا قرأ فأنصتوا» وقد صححه مسلم^(١) بن الحجاج أيضاً، فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول؛ وهو قول قديم للشافعي رحمه الله؛ والله أعلم، ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

والغرض من ذكر هذه المسائل ههنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور والله أعلم.

وقال الحافظ أبو^(٢) بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا غسان بن عبيد، عن أبي عمران الجوني، عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضعت جنبك على الفراش، وقرأت فاتحة الكتاب، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾» [الإخلاص] فقد أمنت من كل شيء إلا الموت».

(الكلام على تفسير أحكام الاستعاذة)^(٣).

^(٤) [قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَزْعُمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف]^(٤).

^(٥) [وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَمَا يُلْقُوهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُوهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿١٠٠﴾ وَإِنَّمَا يَزْعُمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠١﴾﴾ [فصلت]^(٥).

^(٦) [فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها؛ وهو أن الله (تعالى)^(٧) يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة^(٦)

= وهما ضعيفان عن ابن عجلان؛ بسنده أخرجه الدارقطني (٣٢٩/١، ٣٣٠) فإعلال الحديث بأبي خالد الأحمر مع ثقته لا يصح لما ذكرت، وإنما الصواب إعلاله بابن عجلان، وبه أعل الحديث أبو حاتم الرازي، فقال كما في «العلل» (٤٦٥) لولده: «ليست هذه الكلمة بالمحفوظة وهي من تخاليط ابن عجلان، وقد رواه خارجة بن مصعب أيضاً، وتابع ابن عجلان، وخارجة أيضاً ليس بالقوي». اهـ. وكذلك قال البيهقي.

(١) في «صحيحه» (٣٠٤/١) عبد الباقي) وإن لم يروه في «كتابه» وفي هذا دلالة على أن الشيخين تركا من الأحاديث كثيراً لم يخرجاه في كتابيهما.

(٢) في «مسنده» (ج/٤/رقم ٣١٠٩ - كشف الأستار) وقال: «لا نعلمه بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه عن أنس ولم نسمعه إلا من إبراهيم». اهـ. وقال الهيثمي (١٠/١٢١): «فيه غسان بن عبيد وهو ضعيف ووثقه ابن حبان وبقيّة رجاله رجال الصحيح» وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/١) أما المنذري فقال في «الترغيب» (١/٤١٦): «رجالهم رجال الصحيح إلا غسان بن عبيد» فأوهم أنه قوي وقد قال أحمد: «خرقت حديثه» وضعفه ابن معين وابن عدي وغيرهما. فهو علة الحديث. والله أعلم.

(٣) كذا في (ج) و(ك) و(ل)، ووقع في (ز) و(ع) و(هـ) و(ي): «الكلام على تفسير الاستعاذة». وفي (ن): «أحكام الاستعاذة والكلام على تفسيرها».

(٥) ساقط من (ع).

(٤) ساقط من (ع).

(٧) من (ك) و(ن).

(٦) ساقط من (ع) و(هـ) و(ي).

(١) [به من العدو الشيطاني لا محالة؛ إذ لا يقبل مصانعة ولا إحساناً، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل؛ كما قال تعالى: ﴿يَنْبَىٰ ۤأَدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال (تعالى) (٢): ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِن أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر].

وقال (تعالى) (٢): ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] (١).

(٣) [وقد أقسم للوالد آدم (عليه السلام) (٤) أنه له لمن الناصحين وكذب، فكيف معاملته لنا؟ وقد قال: ﴿فَاعْبُدْكَ لَا تُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٧) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) ﴿[ص] (٣).

وقال (الله) (٥) تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٦٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٦٩) إِنَّمَا سُلْطَانُكَ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾ [النحل].

قالت طائفة من القراء وغيرهم: (يتعوذ) (٦) بعد القراءة، واعتمدوا (على) (٧) ظاهر سياق الآية، ولدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة، وممن ذهب إلى ذلك حمزة فيما نقله (ابن قلوبا عنه) (٨)، وأبو حاتم السجستاني، حكى ذلك أبو القاسم (٩) يوسف بن علي بن (جبارة) (١٠) الهذلي المغربي في كتابه «الكامل» (١١)؛ وروى عن أبي هريرة أيضاً، وهو غريب.

(١٢) [ونقله (فخر الدين) (١٣) محمد بن عمر الرازي في «تفسيره»، عن ابن سيرين في رواية عنه؛ قال: وهو قول إبراهيم النخعي، وداود بن علي الأصبھاني الظاهري.

وحكى القرطبي (١٤)، عن أبي بكر بن العربي، عن «المجموعة»، عن مالك رحمه الله (تعالى) (١٥): أن القارئ يتعوذ بعد الفاتحة. واستغربه ابن (١٦) العربي؛ وحكى قولاً ثالثاً؛ وهو

(١) من (ن). (٢) ساقط من (ع) و(ه) و(ي).

(٣) ساقط من (ع) و(ه) و(ي). (٤) من (ل) و(ن).

(٥) من (ج) و(ع) و(ل) و(ه) و(ي). (٦) في (ز): «نتعوذ».

(٧) ساقط من (ع) و(ه).

(٨) في (ن): «عنه ابن قلوبا»، ووقع في (ز): «فلوفا» بالفاء. وهو عبد الرحمن بن قلوبا، بقافين راوٍ معروف ضابط.

(٩) له ترجمة في «معرفة القراء الكبار» للذهبي رقم (٣٦٧) وقال في آخر ترجمته: «وله أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات، وحشد في كتابه أشياء منكورة لا تحل القراءة بها ولا يصح لها إسناد». اهـ.

(١٠) في (ن): «جنادة» بالنون والبدال المهملة وهو تصحيف.

(١١) في (ن): «كتاب العبادة الكامل»!! واسم الكتاب «الكامل في القراءات».

(١٢) ساقط من (ز). (١٣) ساقط من (ن).

(١٤) في «تفسيره» (٨٨/١) ونقله الفخر في «تفسيره» (١١٦/٢٠) عن الواحدي أنه نقله عن مالك أيضاً.

(١٥) من (ج) وسقط ذكر الترحم من (ه) و(ي).

(١٦) في «أحكام القرآن» (١١٧٦/٣) وقال: «ومن أغرب ما وجدناه قول مالك في «المجموعة» ثم نقله وقال: =

الاستعاذة (أولاً)^(١) وآخرها جمعاً بين الدليلين، نقله (فخر الدين)^(٢) (الرازي)^(٣) (٤).

والمشهور الذي عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع (الوسواس)^(٥) (فيها)^(٦)؛ (ومعنى)^(٧) الآية عندهم: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل] أي: إذا أردت القراءة؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ (١/٤٦) فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ...﴾ الآية [المائدة: ٦] أي: إذا أردتم القيام.

والدليل على ذلك: الأحاديث عن رسول الله ﷺ بذلك؛ قال الإمام أحمد^(٨) بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حدثنا محمد بن الحسن بن (أش)^(٩)، حدثنا جعفر بن سليمان، عن علي بن علي بن (الرفاعي

= «وهذا قول لم يرد به أثر، ولا يعضده نظر ولو كان هذا كما قال بعض الناس أن الاستعاذة بعد القراءة لكان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة لا تشبه أصول مالك ولا فهمه، والله أعلم بسر هذه الرواية». اهـ.

قلت: وكتاب «المجموعة» هذا تأليف محمد بن إبراهيم بن عبدوس وكان من كبار أصحاب سحنون وأئمة وقته قال ابن فرحون في «الديباج المذهب» (١٧٥/٢) في ترجمته: «ألف كتاباً شريفاً سماه «المجموعة» على مذهب مالك وأصحابه، أعجلته المنية قبل تمامه». اهـ.

وله ترجمة في «سير النبلاء» (٦٣/١٣، ٦٤) للذهبي، و«الوافي بالوفيات» (٣٤٢/١) للصفدي.

(١) بياض في (هـ).

(٢) من (ج) و(ع) و(ل).

(٣) ساقط من (ز).

(٤) من (ن).

(٥) في (ن): «الموسوس» وأشار في الهامش أن في «نسخة»: «الوسواس».

(٦) في (ن): «عنها» وهذا اللفظ ساقط في (هـ).

(٧) ساقط من (ك).

(٨) في «مسنده» (٥٠/٣)؛ وأخرجه أيضاً (٦٩/٣) قال: حدثنا حسن بن الربيع ثنا جعفر بن سليمان بسنده سواء حتى قوله: «لا إله غيرك».

وأخرجه أبو داود (٧٧٥)؛ والنسائي (١٣٢/٢)؛ والترمذي (٢٤٢)؛ وابن ماجه (٨٠٤)؛ والدارمي (١/٢٢٦)؛ وعبد الرزاق (ج ٢/رقم ٢٥٥٤)؛ وابن أبي شيبه (٢٣٢/١)؛ وابن خزيمة (ج ١/رقم ٤٦٧)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (١٩٧/١، ١٩٨)؛ والطبراني في «الدعاء» (٥٠١)؛ والدارقطني (٢٩٨/١)؛ والبيهقي (٣٤/٢، ٣٥)؛ وابن الجوزي في «الواهيات» (٤٢٠/١) من طرق عن جعفر بن سليمان الضبعي، عن علي بن علي الرفاعي، عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري فذكره.

قال الترمذي: «وحدث أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب؛ قال: وقد تكلّم في إسناد حديث أبي سعيد، كان يحيى بن سعيد يتكلم في علي بن علي الرفاعي، وقال أحمد: لا يصح هذا الحديث». وأجاب عن ذلك الحافظ في «تنتائج الأفكار» (٤١٢/١، ٤١٣) فقال: «هذا حديث حسن، فأما النسائي فسكت عليه فاقضى أنه لا علة له عنده، وأما ابن ماجه فلم يتكلم عليه أصلاً كعادته، وأما البيهقي في أصل كلامه في «السنن الكبير» و«الخلافات» أن حديث علي: «وجهت وجهي...» أرجح من هذا الحديث لكون حديث علي مخرجاً في «الصحيح» ولكون هذا وإن جاء من طرق متعددة لكن لا يخلو سنده من مقال، وإن أفاد مجموعها القوة، وهذا حاصل كلام ابن خزيمة في «صحيحه» وأشار إلى أن حديث أبي سعيد أرجح، وقال العقيلي بعد أن أخرجه من طريق حارثة في ترجمته في «الضعفاء»: هذا الحديث روى بأحاديث حسان غير هذا. قال الحافظ: وقد وثق علي بن علي: يحيى بن معين وأحمد وأبو حاتم وآخرون، وسائر رواة رواة الصحيح». اهـ.

(٩) كذا في (ج) و(ع) و(و). ووقع في (ك) و(ل) و(ن) و(هـ) وفي «المسند» «أنس»، بنون وسين مهملة، وهو تصحيف. و«أش» بالتاء المثناة فوق وشين معجمة. كما في «تبصير المنتبه» (٢٧/١) للحافظ و«توضيح المشته» (٢٧٥/١)؛ لابن ناصر الدين الدمشقي.

اليشكري^(١)، عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك» - (ثم يقول)^(٢) «لا إله إلا الله ثلاثاً»؛ ثم يقول: - «أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه».

^(٣) (ويقول: (الله أكبر)^(٤)؛ ثلاثاً، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه)^(٣).

وقد رواه أهل السنن الأربعة من رواية جعفر بن سليمان، عن علي بن علي وهو الرفاعي. وقال الترمذي: هو أشهر شيء في هذا الباب، وقد فسر الهمز بالموتة، (وهي)^(٥) الخنق، والنفخ بالكبر، والنفث بالشعر. كما رواه أبو^(٦) داود، وابن ماجه، من حديث شعبة، وعن عمرو بن مرة، عن عاصم (العنزي)^(٧)، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه؛ قال: رأيت رسول الله ﷺ حين دخل في الصلاة قال: «الله أكبر كبيراً - ثلاثاً، والحمد لله كثيراً - ثلاثاً، سبحان الله بكرة وأصيلاً - ثلاثاً، اللهم إني أعوذ بك من الشيطان، من همزه ونفخه ونفثه».

قال عمرو: همزه: الموتة^(٨). ونفخه: الكبر. ونفثه: الشعر.

(١) كذا في (ز) و(ع) و(ن) و(هـ) و(ي)، ووقع في (ن): «علي بن الرفاعي اليشكري» وسقط ذكر «الرفاعي» من (ج) و(ك) و(ل) و(المسند).

(٢) كذا في (ك) و(ن) و(هـ) وهو الموافق لما في «المسند»، ووقع في (ج) و(ز) و(ع) و(ل) و(ي): «ويقول».

(٣) ساقط من (ج) و(ز) ووقع في (ك) و(ل) تقديم وتأخير في بعض الكلمات.

(٤) ساقط من (ن) و(هـ).

(٥) كذا في (ز) و(ع) و(ن) و(هـ) و(ي)، ووقع في (ج) و(ك) و(ل): «وهو».

(٦) أخرجه أبو داود (٦٧٤)؛ وابن ماجه (٨٠٧)؛ وأحمد (٨٥/٤)؛ وابن خزيمة (٤٦٨)؛ وابن حبان (٤٤٣)،

(٤٤٤)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤٨٨/٢، ٤٨٩)؛ والطيالسي (٩٤٧)؛ وأبو يعلى (ج ١٣/رقم

٧٣٩٨)؛ وابن الجارود في «المنتقى» (١٨٠)، والطبراني في «الكبير» (ج ٢/رقم ١٥٦٨)؛ والحاكم (١/

٢٣٥)؛ والبيهقي (٣٥/٢)؛ وابن حزم في «المحلى» (٢٤٨/٣)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤٣/٣) من

طرق عن شعبة بسنده سواء. قال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي! وليس كما قال؛ لأن عاصماً

العنزي مجهول ما وثقه إلا ابن حبان، وقد اختلف في اسمه. فرواه حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن

مرة فقال: «عن عباد بن عاصم» عن نافع بن جبير، عن أبيه فذكره.

أخرجه ابن أبي شيبه (٢٣١/١، ٢٣٨ و ١٩٢/١٠)؛ وأحمد (٨٣/٤)؛ وابن خزيمة (٤٦٩)؛ والطبراني في

«الكبير» (ج ٢/رقم ١٥٧٠). ورواه مسعر بن كدام عن عمرو بن مرة فقال: «عن رجل من عنزة» عن نافع بن

جبير، عن أبيه. أخرجه أبو داود (٧٦٥)؛ وأحمد (٨٠/٤، ٨١)؛ والطبراني في «الكبير» (١٥٦٩)؛

والخطيب في تاريخه (٤٣٦/١٣، ٤٣٧)؛ وذكر البخاري في «تاريخه» أن أبا عوانة رواه عن حصين عن

عمرو بن مرة عن عمار بن عاصم، عن نافع بن جبير، عن أبيه. ورواه أيضاً زائدة عن عمرو بن مرة عن

عمار بن عاصم مثله قال البزار: «اختلفوا في اسم العنزي الذي رواه وهو غير معروف». وقال ابن خزيمة:

«وعاصم العنزي وعباد بن عاصم مجهولان لا يدري من هما ولا يعلم الصحيح ما روى حصين أو

شعبة». اهـ. هكذا فرق بينهما ابن خزيمة، وكذا فعل البخاري وابن أبي حاتم وابن حبان، والذي يبدو لي

أنه رجل واحد اضطرب الرواة في تعيينه والله أعلم ولعل الصواب في هذا المتن الوقف كما يأتي. والله

أعلم.

(٧) في (ك) و(ن): «الغزى»! وهو خطأ. (٨) الموتة: يعني الجنون.

وقال ابن ماجه^(١): حدثنا علي بن المنذر، حدثنا ابن فضيل، حدثنا عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ؛ قال: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه ونفخه ونفثه».

قال: همزه الموتة، (ونفثه الشعر، ونفخه الكبير)^(٢).

وقال الإمام أحمد^(٣): حدثنا إسحاق بن يوسف، حدثنا شريك، عن يعلى بن عطاء، عن رجل حدثه - أنه سمع أبا أمامة الباهلي يقول: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبر ثلاثاً، ثم قال: «لا إله إلا الله - ثلاث مرات،^(٤) (وسبحان الله وبحمده - ثلاث مرات)^(٥) ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه».

وقال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في «مسنده»^(٥): حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان الكوفي، حدثنا علي بن هاشم بن البريد، عن يزيد بن زياد، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بن كعب رضي الله عنه؛ قال: تلاحي رجلان عند النبي ﷺ

(١) في «سننه» (٨٠٨)؛ وأخرجه أحمد (٤٠٤/١)؛ وابنه في «زوائد المسند»؛ وابن أبي شيبه (١٨٥/١٠)، (١٨٦)؛ وأبو يعلى (ج ٨/رقم ٤٩٩٤، ٩/رقم ٥٠٧٧)؛ وابن خزيمة (٢٤٠/١)؛ والحاكم (٢٠٧/١)؛ والبيهقي (٣٦/٢) من طريق محمد بن فضيل بسنده سواء.

قال الحاكم: «صحيح وقد استشهد البخاري بعطاء بن السائب» ووافقه الذهبي! كذا قال! وهذا إسناد ضعيف؛ لأن ابن فضيل سمع من عطاء في الاختلاط كما قال أبو حاتم الرازي وغيره، ولكنه توبع فتابعه ورواه بن عمر وعمار بن رزيق فروياه عن عطاء بن السائب بسنده سواء.

أخرجه أحمد (٤٠٣/١)؛ وأبو يعلى (ج ٩/رقم ٥٣٨٠)؛ والبيهقي (٣٦/٢) وقد سمعا من عطاء في الاختلاط أيضاً كما يعلم من مطالعة ترجمة «عطاء».

وخالفهم حماد بن سلمة، فرواه عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن ابن مسعود أنه كان يتعوذ في الصلاة من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه.

أخرجه الطيالسي (٣٩٦ - منحة المعبود) وعنه البيهقي (٣٦/٢). وهذه الرواية عندي أولى؛ لأن حماد بن سلمة سمع من عطاء قبل الاختلاط وبعده، ولكن أعله البوصيري في «الزوائد» (٣١٠/١) فقال: «وقيل: إن أبا عبد الرحمن السلمي لم يسمع من ابن مسعود». قلت: وهذا القول خطأ من قائله، وقد دلت على ذلك في تخريج حديث: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». والله الحمد. ويكفي الآن قول البخاري في «التاريخ الكبير» (٧٣/١/٣) وفي «الصغير» (٢٠١/١): «سمع علياً وعثمان وابن مسعود».

والبخاري حجة في هذا الباب. والله أعلم.

(٢) في (ن) و(هـ): «نفخه الكبير ونفثه الشعر».

(٣) في «مسنده» (٢٥٣/٥): «وشريك النخعي ساء حفظه لكنه لم يتفرد به. فتابعه حماد بن سلمة أنا يعلى بن عطاء بسنده سواء أخرجه أحمد (٢٥٣/٥) قال: حدثنا بهز، ثنا حماد بن سلمة به فانحصرت العلة في جهالة الراوي عن أبي أمامة. والله أعلم.

(٤) ساقط من (ج).

(٥) لم أجده في «مسنده» المطبوع، فلعله في «المسند الكبير».

وأخرجه الضياء المقدسي في «المختارة» (١٢٣٦) من طريق أبي يعلى بسنده سواء. وأخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٣٩١)؛ وعنه الضياء في «المختارة» (١٢٣٨) من طريق الفضل بن موسى، نا يزيد بن زياد بسنده سواء؛ وهذا سند ظاهره الجودة: ولكنه معل بالمخالفة كما يأتي.

فتمزع^(١) أنف أحدهما غضباً؛ فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم شيئاً لو قاله لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

وكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة» عن يوسف بن عيسى المروزي، عن الفضل بن موسى، عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد، به.

وقد روى هذا الحديث أحمد^(٢) بن حنبل، عن أبي سعيد، عن زائدة، وأبو داود، عن يوسف بن موسى، عن جرير بن عبد الحميد، والترمذي، والنسائي في «اليوم والليلة»، عن بندار، عن ابن مهدي، عن الثوري. والنسائي أيضاً (١/٤٧) من حديث زائدة بن قدامة، ثلاثهم عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل ﷺ؛ قال: استب رجلان عند النبي ﷺ، فغضب أحدهما غضباً شديداً حتى يخيل إلي أن أحدهما يتمزع أنفه من شدة غضبه؛ فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب». فقال: ما هي يا رسول الله؟ قال: يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم».

قال: فجعل معاذ يأمره، فأبى، وجعل يزداد غضباً. وهذا لفظ أبي داود.

قال الترمذي: مرسل؛ يعني: أن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل، فإنه مات قبل سنة عشرين.

قلت: وقد يكون (عبد الرحمن)^(٣) بن أبي ليلى (ﷺ)^(٤) سمعه من أبي بن كعب، كما تقدم، وبلغه عن معاذ بن جبل؛ فإن هذه القصة شهد بها غير واحد من الصحابة ﷺ.

قال البخاري^(٥): حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عدي بن ثابت؛ قال: قال سليمان بن صرد ﷺ: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، فأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه؛ فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما (يجد)^(٦)؛ لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول رسول الله ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون.

وقد رواه^(٧) أيضاً مع مسلم وأبي داود والنسائي من طرق متعددة عن الأعمش به، وقد جاء

(١) تمزع: يعني تقطع، وتشقق، يريد: اشتد غضبه.

(٢) في «مسنده» (٢٤٠/٥)؛ وأخرجه أبو داود (٤٧٨٠)؛ والنسائي في «اليوم والليلة» (٣٨٩، ٣٩٠)؛ والترمذي (٣٤٥٢)؛ وابن أبي شيبة (٣٤٦/٨)؛ وابن السني في «اليوم والليلة» (٤٥٤)؛ والضياء في «المختارة» (١٢٣٧)؛ وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٣٦٥/٥) من طرق عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل... فذكره.

قلت: هكذا رواه سفيان الثوري وزائدة بن قدامة وجرير بن عبد الحميد مخالفين يزيد بن زياد وروايتهما أرجح، فالصواب أن الحديث من «مسند معاذ بن جبل» وقد أعلاه الترمذي بالإرسال؛ لأن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يدرك معاذاً.

(٣) ساقط من (ك). (٤) من (ج).

(٥) في «كتاب الأدب» من «الصحيح» (٥١٨، ٥١٩)؛ وأخرجه أيضاً (٣٣٧/٦، ٤٦٥/١٠)؛ وفي «الأدب المفرد» (٤٣٤، ١٣١٩)؛ ومسلم (١٠٩/٢٦١٠، ١١٠).

(٦) في (ن): «يجده». (٧) يعني: البخاري.

في الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها هاهنا، وموطنها كتاب الأذكار وفضائل الأعمال. والله أعلم.

وقد روى أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ أمره بالاستعاذة، كما قال الإمام أبو جعفر^(١) بن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمار، حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس؛ قال: أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال: «يا محمد استعذ».

قال: «استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»؛ ثم قال: «قل: بسم الله الرحمن الرحيم». ثم قال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق].
قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها (الله)^(٢) على محمد ﷺ بلسان جبريل.
وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف؛ فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً. والله أعلم.

[مسألة^(٣)]

وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمه يأثم تاركها. وحكى (فخر الدين)^(٤) (الرازي)^(٥)، عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة! قال: وقال ابن سيرين. إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب.
واحتم (فخر الدين)^(٤) (الرازي)^(٥) لعطاء بظاهر الآية: (فاستعذ)؛ وهو أمر ظاهره الوجوب؛ وبمواظبة النبي ﷺ عليها؛ لأنها تدراً شر الشيطان؛ وما لا يتم الواجب إلا به (٢/٤٧/١) فهو واجب؛ ولأن الاستعاذة أحوط، وهو أحد مسالك الوجوب.
وقال بعضهم: كانت واجبة على النبي ﷺ دون أمته. وحكى عن مالك أنه لا يتعوذ في المكتوبة، ويتعوذ لقيام رمضان في أول ليلة منه.

مسألة

وقال الشافعي في «الإملاء»: يجهر بالتعوذ، وإن أسر فلا يضر.
وقال في «الأم» بالتخوير؛ لأنه أسر ابن عمر، وجهر أبو هريرة.
واختلف قول الشافعي فيما عدا الركعة الأولى؛ هل يستحب التعوذ فيها؟ على قولين؛ ورجح عدم الاستحباب. والله أعلم^(٣).
^(٦) [فإذا قال المستعيز: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كفى ذلك عند الشافعي، وأبي حنيفة^(٦)].

(١) في «تفسيره» (١٣٧، ١٣٨، ١٣٩) وسنده ضعيف جداً، وبشر بن عمار تركه الدارقطني وضعفه النسائي والبخاري وابن حبان. والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس كما قال الأئمة المحققون، ونازع في ذلك الشيخ أبو الأشبال رحمه الله وقد ناقشته في ذلك في «التسليّة».

(٢) زيادة من (ز) و(ل) و(ن). (٣) ساقط من (ز) و(ع) و(ه) و(ي).

(٤) ساقط من (ن). (٥) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(٦) ساقط من (ز) و(ع) و(ه) و(ي).

(١) زاد بعضهم: أعوذ بالله السميع العليم.
(٢) (وقال آخرون: بل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ إن الله هو السميع العليم) (٣)؛
قاله الثوري، والأوزاعي.

وحكى عن بعضهم أنه يقول: أستعيز بالله من الشيطان الرجيم؛ لمطابقة أمر الآية، ولحديث الضحاك
عن ابن عباس المذكور. والأحاديث الصحيحة، كما تقدم، أولى بالاتباع من هذا. والله أعلم (١).

[مسألة (٣)]

ثم الاستعاذة في الصلاة إنما هي للتلاوة، وهو قول أبي حنيفة ومحمد. وقال أبو يوسف: بل
للصلاة؛ فعلى هذا يتعوذ المأموم وإن كان لا يقرأ، ويتعوذ في العيد بعد الإحرام وقبل تكبيرات
العيد. والجمهور بعدها قبل القراءة.

ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطيب له. وهو لتلاوة
كلام الله، وهي استعانة بالله واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو
المبين الباطن الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة، ولا يدارى
بالإحسان، بخلاف العدو من نوع الإنسان، كما دلت على ذلك (٣) (٤) [آيات من القرآن في ثلاث من
المثاني. وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ﴿١٥﴾ [الإسراء].

وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري (يوم بدر) (٥)، فمن قتله العدو (الظاهري) (٦) البشري
كان شهيداً، ومن قتله العدو الباطن كان طريداً، ومن غلبه العدو (الظاهر) (٧) كان مأجوراً، ومن
قهره العدو الباطني كان مفتوناً أو موزوراً، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه
استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان (٤).

(٨) فصل

والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق (بجنابه) (٩)، من شر كل ذي شر والعياذ
يكون لدفع الشر واللياذ (يكون) (١٠) لطلب جلب الخير، كما قال المتنبي (١١):

(١٢) يا من ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به ممن أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره (١٢)

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٢) ساقط من (ز) و(ع).

(٣) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(٤) ساقط من (ز) و(ع).

(٥) هذا الفصل إلى آخر بيتي المتنبي ساقط من (ز) و(ع).

(٦) في (ك) و(ل): «بجنابه».

(٧) من (ن) و(هـ).

(٨) في «ديوانه» ٢٢٥/٢ بشرح البرقوقي.

(٩) إلى هنا انتهى السقط من (ز) و(ع) والذي ابتدأ من قوله: «مسألة»، وجمهور العلماء... إلخ ثم اعلم أن
المتنبي قال هذه الأبيات في جعفر بن كيغلف، فنسأل الله السلامة، ولا ينبغي أن يخاطب بهذا إلا الله تعالى.

ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ أي: أستجير بجناب الله من الشيطان (الرجيم)^(١) أن يضرني في ديني أو دنيائي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أمر (الله تعالى)^(٢) بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رشوة (١/٤٨/١)، ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه.

وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن، لا أعلم لهن رابعة.
(قوله تعالى في الأعراف)^(٣): ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [١٩٩] فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر.

ثم قال: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف].
وقال تعالى في سورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١): ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٢) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ (٣) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٤) [المؤمنون]
وقال تعالى في سورة حم السجدة: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (١) وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٢) ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣) [فصلت].

والشيطان في لغة العرب مشتق من «شطن»، إذا بعد؛ فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير.

وقيل: مشتق من «شاط»؛ لأنه مخلوق من نار؛ ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب؛ قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه (الصلاة والسلام)^(٤).

أَيُّمَا شَاطِنَ عَصَاهُ عَكَاهُ ثم يلقى في السجن (والأغلال)^(٥)
فقال: أيما شاطن ولم يقل: أيما شائط.

وقال النابغة الذبياني، وهو زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع (بن غيظ)^(٦) بن مرة بن سعد بن ذبيان:

- (١) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).
- (٢) كذا في (ز) و(ع) و(ك) و(ي)، ووقع في (هـ): «الله سبحانه» وسقط لفظ «تعالى» من (ج) و(ل) وفي (ن) لم يذكر لفظ الجلالة.
- (٣) كذا في (ع) و(ك) و(هـ) و(ي)، ووقع في (ج) و(ل): «قوله تعالى» وفي (ز): «قوله في الأعراف» وفي (ن): «قوله».
- (٤) كذا في (ع) و(ك) و(ل) و(ي)، ووقع في (ج): «السلام والصلاة». وسقط لفظ «الصلاة» من (ز) و(ن) و(هـ).
- (٥) أشار في (ج) و(ع) و(ي) إلى أنه في نسخة: «والأكبال» بدل «الأغلال».
- (٦) بياض في (ج) و(ع) و(ن) و(ي) واستدرسته من «طبقات فحول الشعراء» (١/٥١)؛ لابن سلام الجمحي، ووقع في (ز) و(ك) و(ل): «يربوع بن مرة».

نأت بسعاد عنك نوى شطون فباتت والفؤاد بها رهين
يقول: بعدت بها طريق بعيدة.

(١) (وقال سيويه: العرب تقول: تشيطن فلان، إذا فعل فعل الشياطين، ولو كان من: «شاط» لقالوا: تشيط) (١).

فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح؛ ولهذا يسمون كل من تمرد من جني وإنسي وحيوان شيطانا. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وفي «مسند (الإمام) أحمد»، عن أبي ذر (رضي الله عنه) (١)، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن» فقلت: أو للإنس شياطين؟ قال: «نعم» (٣).

وفي «صحيح مسلم» (٤)، عن أبي ذر (أيضاً) (٥) قال: قال رسول الله ﷺ: «يقطع الصلاة: المرأة والحصار والكلب الأسود». فقلت: يا رسول الله، ما بال الكلب الأسود من الأحمر (من) (٦) الأصفر؟ فقال: «الكلب الأسود شيطان».

وقال ابن وهب (٧): أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه - أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب بردونا، فجعل يتبختر به، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبختراً، فنزل عنه، وقال: ما حملتوني إلا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي. إسناده صحيح.

والرجيم: فعيل بمعنى مفعول (١/٤٨/٢)؛ أي: إنه مرجوم مطرود عن الخير كله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا أَلَدُنَيَا بِمَصْنُوعٍ وَجَعَلْنَا زُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

(١) ساقط من (ز).

(٢) من (ز) و(ن).

(٣) أخرجه أحمد (١٧٨، ١٧٩)؛ والنسائي (٢٧٥/٨)؛ والطيالسي (٤٧٨)؛ والبزار في «مسنده» (١٦٠ - كشف)؛ وابن مردويه في «تفسيره»؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٣/رقم ٣٥٧٦) من طرق عن المسعودي، عن أبي عمر، ويقال: أبو عمرو، عن عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر مطولاً ومختصراً. وسنده واه، وأبو عمر هذا تركه الدارقطني وعبيد بن الخشخاش، بمعجمتين، ويقال: الحسحاس بمهملتين، تركه الدارقطني أيضاً كما في «سؤالات البرقاني» (٣٢٧) وأما ابن حبان فوثقه!! وقال البخاري: عبيد بن الخشخاش لم يذكر سماعاً من أبي ذر، أما الهيثمي في «المجمع» (١/١٥٩، ١٦٠) فقال: «فيه المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط» كذا قال!! وكان ينبغي له أن يعل الحديث بوحدة مما ذكرت على الأقل؛ لأن المسعودي واسمه عبد الرحمن بن عبد الله إنما اختلط ببغداد وسماع أهل الكوفة منه جيد كما قال أحمد وغيره وقد رواه عنه: جعفر بن عون، ويعلى بن عبيد، وعبيد الله بن موسى وكلهم كوفيون وقد ذكر المصنف رضي الله عنه (في تفسير الآية ١١٢ من سورة الأنعام) بعدما ذكر الحديث وطرقه: «فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته. والله أعلم». اهـ.

كذا! وفيه نظر ذكرته في «التسليية»، نعم كثير من فقراته. ثابت بشواهد أخرى. والله أعلم.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٥/٥١٠).

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي). ووقع في (ز) و(ن) و(ه): «والأصفر».

(٧) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٣٦) قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أنبأنا ابن وهب بسنده سواء، وسنده جيد وهشام بن سعد فيه مقال لكنه أثبت الناس في زيد بن أسلم كما قال أبو داود. وروايته هنا عنه، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنًا أَلَمَّا الدُّنْيَا بِزَيْنِهِ أَكْرَمُوا﴾ ① وَحَفِظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ② لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ③ دُحُورًا ④ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ⑤ إِلَّا مَن حَظِيَ الْخُطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَائِقٌ ⑥ [الصفات].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ ⑦ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ⑧ إِلَّا مَن اسْتَرَفَ اسْتَعَفَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ ⑨ [الحجر] إلى غير ذلك من الآيات.
(١) وقيل: رجيم بمعنى راجم؛ لأنه يرمي الناس بالوسواس (والرباثة) (٢). (والأول أشهر) (٣).
(وأصح) (٤) (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتح بها الصحابة كتاب الله، واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل؛ ثم اختلفوا: هل هي آية مستقلة في أول كل سورة، أو من أول كل سورة كتبت في أولها أو أنها بعض آية من (أول) (٥) كل سورة، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها، أو أنها إنما كتبت للفصل، لا أنها آية - على أقوال للعلماء؛ سلفاً وخلفاً؛ وذلك مبسوط في غير هذا الموضع.
وفي «سنن أبي داود» (٦) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان لا يعرف فصل السور حتى ينزل عليه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ⑩.

(١) ساقط من (ز).

(٢) جمع: ريثة، وهي: الخديعة أو ما يحجب المرء عن الخير، ووقع في (ل): «الرفاثة».

(٣) ساقط من (هـ) و(ي).

(٤) من (ن).

(٥) ساقط من (ن).

(٦) أخرجه أبو داود (٧٨٨) قال: حدثنا قتيبة بن سعيد وأحمد بن محمد المروزي، وابن السرح قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال قتيبة فيه: عن ابن عباس قال: فذكره فهذا يدل على أن رواية أحمد بن محمد وابن السرح مرسله ليس فيها ذكر «ابن عباس». وأخرجه أبو داود أيضاً «المراسيل» (٣٦) من طريق أحمد بن محمد المروزي بسنده سواء. وقال: «قد أسند هذا الحديث، وهذا أصح» يعني: المرسل. وأخرجه البيهقي في «الكبرى» (٤٢/٢)، وفي «الشعب» (ج ٥/رقم ٢١٢٥) من طريق أبي داود السالفة. وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/٢١٠) من طريق أبي داود عن قتيبة بسنده موصولاً.

ورواه أيضاً يونس بن عبد الأعلى والحميدي عن ابن عيينة، عن عمرو، عن سعيد بن جبير مرسلًا. أخرجه الحميدي (٥٢٨)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٣٧٦) وخالفهم أبو كريب وأحمد بن عبده وقتيبة بن سعيد ومعلّى بن منصور والحسن بن الصباح فرووه عن ابن عيينة، عن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موصولاً.

أخرجه أبو داود (٧٨٨)؛ والبخاري (ج ٣/رقم ٢١٨٧)؛ وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين» (٧٧٩)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/٢٥٥، ٢٥٦)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/٢١٠)؛ والحاكم (١/٢٣١) وعنه البيهقي في «المعرفة» (٢/٣٦٥، ٣٦٦) وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» وقال الذهبي: «أما هذا فثابت» ويعضد الرواية المرسله أن ابن جريج رواه عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير مرسلًا أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج ٢/رقم ٢٦١٧) عن ابن جريج وخولف عبد الرزاق، خالفه الوليد بن مسلم فرواه عن ابن جريج، ثنا عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موصولاً. أخرجه الحاكم (٣٢٢، ٣٢١/١) وعنه البيهقي (٢/٤٣) من طريق محمد بن عمرو الضريير، ثنا الوليد بن مسلم وصرح =

وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في «مستدركه» أيضاً. وروى مرسلًا عن سعيد بن جبير.

وفي «صحيح ابن خزيمة»^(١)، عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة، وعدّها آية؛ لكنه من رواية عمر^(٢) بن هارون البلخي، وفيه ضعف، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة عنها، وروى له الدارقطني متابعاً^(٣) عن أبي هريرة مرفوعاً. وروى مثله عن علي، وابن عباس، وغيرهما. وممن حكى عنه أنها آية من كل سورة، إلا «براءة»: ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو هريرة، وعلي. ومن التابعين: عطاء، وطاوس، وسعيد بن جبير، ومكحول، والزهري، وبه يقول عبد الله بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمهم الله.

= الوليد بالتحديث، ولكن رواه دحيم عن الوليد مثل رواية محمد بن عمرو لكنه أسقط سعيد بن جبير من الإسناد، وقصر في إسناده كما قال البيهقي وصحح الرواية الموصولة في «المعرفة» والرواية الموصولة صحيحة، فقد أخرج الطبراني في «الكبير» (ج ١٢/رقم ١٢٥٤٦) من طريق ابن وهب، عن عمرو بن قيس، عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، فإذا قال: «بسم الله الرحمن الرحيم افتتح سورة أخرى». وسنده صحيح.

(١) أخرجه ابن خزيمة (٤٩٣) ومن طريقه الحاكم (٢٣٢/١) وأخرجه أيضاً ابن المنذر في «الأوسط» (١١٩/٣)، (١٢٠)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٤٢/٢)، وفي «الشعب» (ج ٥/رقم ٢١١٤، ٢١١٥)؛ وأبو أحمد الحاكم في «شعار أصحاب الحديث» (ص ٦٣)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/٩/١) من طريق عمر بن هارون بسنده سواء وقال الحاكم: «عمر بن هارون أصل في السنة ولم يخرجاه وإنما أخرجه شاهدًا». اهـ. وهو يشير إلى ضعفه. وقول المصنف ﷺ في عمر بن هارون «فيه ضعف» فيه تسامح فقد قال ابن معين وصالح جزرة: «كذاب» زاد ابن معين: «خبث» وتركه ابن مهدي وأحمد والنسائي وأبو علي النيسابوري، وضعفه الدارقطني جداً، وقال أبو داود: «غير ثقة» وختم الذهبي (٢٢٩/٣) بقوله: «وكان من أوعية العلم على ضعفه وكثرة مناكيره، وما أظنه ممن يتعمد الباطل». اهـ. وقد مضى الحديث في «فضائل القرآن» من وجه آخر عن ابن جريج فراجع إن شئت والحمد لله على التوفيق.

(٢) ساقط من (ز).

(٣) كذا قال المصنف ﷺ، وفيه نظر من وجهين:

الأول: أن المتابعات تكون في السند خاصة، ولم يتابع عمر بن هارون أحد على عد البسملة آية من الفاتحة، بل خالفه يحيى بن سعيد الأموي فلم يذكرها، فلعل المصنف قصد المتابعة في المعنى، وهو ما يسمى «الشاهد»، والخطب في مثل هذا سهل.

الثاني: أن الشاهد الذي عناه المصنف أخرجه الدارقطني (٣١٢/١) من طريق ابن سمعان، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام...» ثم ذكر الحديث القدسي: «قال الله ﷻ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها له، يقول عبدي إذا افتتح الصلاة: بسم الله الرحمن الرحيم، فيذكرني عبدي... الحديث». قال الدارقطني: ابن سمعان هو عبد الله بن زياد بن سمعان متروك الحديث وروى هذا الحديث جماعة من الثقات عن العلاء بن عبد الرحمن منهم: مالك بن أنس، وابن جريج، وروح بن القاسم، وابن عيينة، وابن عجلان، والحسن بن الحر وأبو أويس وغيرهم على اختلاف منهم في الإسناد واتفاق منهم على المتن فلم يذكر أحد منهم في حديثه «بسم الله الرحمن الرحيم» واتفاقهم على خلاف ابن سمعان أولى بالصواب. اهـ. وذكر الدارقطني طريقاً آخر عن أبي هريرة لكنه معل بالوقف، وتقدم الكلام عليه.

وقال مالك، وأبو حنيفة، وأصحابهما: ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور.
وقال الشافعي في قول في بعض طرق مذهبه: هي آية من الفاتحة، وليست من غيرها. وعنه
أنها بعض آية من أول كل سورة، وهما غريان.

وقال داود: هي آية مستقلة في أول كل سورة لا منها. وهذا رواية عن الإمام أحمد بن حنبل.
وحكاها أبو بكر الرازي، عن أبي الحسن الكرخي، وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله.
هذا ما يتعلق بكونها آية من الفاتحة أم لا؟

وأما الجهر بها (فمفرع)^(١) على هذا؛ فمن رأى أنها ليست «منها»^(٢) فلا يجهر بها.
وكذا من قال: إنها آية (في)^(٣) أولها: وأما من قال بأنها من أوائل السور، فاختلفوا؛ فذهب
الشافعي (رحمته الله)^(٤) إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة؛ وهو مذهب طوائف من الصحابة
والتابعين وأئمة المسلمين (سلفاً وخلفاً)^(٥) فجهر بها من الصحابة: أبو هريرة، وابن عمر، وابن
عباس، ومعاوية، وحكاها ابن عبد البر، والبيهقي، عن عمر، وعلي. ونقله الخطيب عن الخلفاء
الأربعة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وهو غريب، ومن التابعين عن سعيد بن جبير،
وعكرمة، وأبي قلابة، والزهري وعلي بن (الحسين)^(٦)، وابنه محمد، وسعيد بن المسيب،
وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وسالم، ومحمد بن كعب القرظي (ومحمد بن عبيد)^(٧)، وأبي
بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وأبي وائل، وابن سيرين، ومحمد بن المنكدر، وعلي بن
عبد الله بن عباس، وابنه محمد، ونافع مولى ابن عمر، وزيد بن أسلم، وعمر بن عبد العزيز،
والأزرق بن قيس، وحبيب بن أبي ثابت، وأبي الشعثاء، ومكحول، وعبد الله بن معقل بن مقرن.
زاد البيهقي: وعبد الله بن صفوان، ومحمد ابن الحنفية.

زاد ابن عبد البر: وعمرو بن دينار.

والحجة في ذلك أنها بعض الفاتحة، فيجهر بها كسائر أبعاضها.
وأيضاً فقد روى النسائي في «سننه»^(٨)، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحهما»، والحاكم

(١) كذا في كل «الأصول»، ما عدا (ج) و(ل) ففيها «ففرع».

(٢) وقع في (ن): «من الفاتحة» وأشار في (ي) إلى هذه اللفظة.

(٣) في (ز): «من».

(٤) من (ز).

(٥) كذا في (ز) و(ن) و(هـ)، ووقع في بقية «الأصول»: «خلفاً وسلفاً» وما أثبتة أليق.

(٦) وقع في (ن): «الحسن» وهو خطأ.

(٧) من (ن) وحدها.

(٨) أخرجه النسائي (١٣٤/٢)؛ وابن خزيمة (٢٥١/١)؛ وابن حبان (٤٥١)؛ والطحاوي في «شرح المعاني»

(١٩٩/١)؛ والحاكم (٢٣٢/١)؛ وابن الجارود في «المنتقى» (١٨٤)؛ والبيهقي (٤٦/٢، ٥٨) من طريق

الليث بن سعد، قال: حدثني خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن نعيم المجرم، عن أبي هريرة
فذكره مطولاً ومختصراً.

وتابعه حيوة بن شريح عن خالد بن يزيد بسنده سواء. أخرجه ابن حبان (٤٥٠)؛ والدارقطني (٣٠٦/١)
وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وأخرجه أحمد (٤٩٧/٤) من طريق رشدين، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال به.
ورشد بن سعد ضعيف.

في «مستدركه»، عن أبي هريرة أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة. وقال بعد أن فرغ: إني لأشبهكم صلاةً برسول الله ﷺ، وصححه الدارقطني، والخطيب، والبيهقي، وغيرهم.
وروى أبو داود^(١) والترمذي، عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ كان يفتتح الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم.

ثم قال الترمذي: وليس إسناده بذلك.

وقد رواه الحاكم في «مستدركه»^(٢)، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم. ثم قال: «صحيح».

وفي «صحيح البخاري»، عن أنس بن مالك، أنه سئل عن قراءة (رسول الله) ﷺ فقال: كانت (قراءته)^(٤) مدًّا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم^(٥).

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن أبي داود»، و«صحيح ابن خزيمة»، و«مستدرك الحاكم»، عن أم سلمة رضي الله عنها؛ قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٦) وقال الدارقطني: إسناده صحيح.

وروى (الإمام أبو عبد الله)^(٧) الشافعي (رحمته الله)^(٨)؛ والحاكم في «مستدركه»، عن أنس؛ أن

(١) أخرجه أبو داود، كما في «أطراف المزي» (٢٦٥/٥)؛ والترمذي (٢٤٥)؛ وابن حبان في «الثقات» (٥/٥٦٤)؛ وابن عدي في «الكامل» (٣٠٥/١)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٨٠/١، ٨١)؛ والدارقطني (١/٣٠٤)؛ والبيهقي (٤٧/٢) من طريق المعتمر بن سليمان، عن إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان عن أبي خالد عن ابن عباس، فذكره. وضعفه أبو داود وابن عدي والعقيلي وإسماعيل بن حماد ضعيف، وذكر الترمذي أن أبا خالد هذا يقال: أنه الوالي واسمه هرمز، والصواب أنه غيره وقد فرق بينهما البخاري وابن أبي حاتم وابن حبان وهو ظاهر صنيع ابن عدي والعقيلي، وجعلهما المزي وابن حجر واحداً!

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٨/١) من طريق عبد الله بن عمرو بن حسان، ثنا شريك، عن سالم عن ابن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم. ثم قال الحاكم: «قد احتج البخاري بسالم هذا وهو ابن عجلان الأفيطس، واحتج مسلم بشريك وهذا إسناده صحيح وليس له علة». اهـ. فتعقبه الذهبي بقوله: «كذا قال المصنف! وابن حسان كذبه غير واحد ومثل هذا لا يخفى على المصنف!!»

قلت: وشريك لم يحتج به مسلم كما قال الحاكم وقد خالفه في متنه مبشر بن عبد الله فرواه عن سالم الأفيطس عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان جبريل عليه السلام إذا نزل على رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم علم أن السورة قد انقضت. أخرجه الطحاوي في «المشكّل» (١٣٧٥) وسنده جيد، وقد رواه عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحوه، ومرّ تخريجه قريباً والحمد لله.

(٣) في (ن): «النبى».

(٤) كذا في (ز) و(ع) و(ك) و(ن) و(هـ) و(ي) وسقط من (ج) و(ل).

(٥) تقدم تخريجهما في كتاب «فضائل القرآن» باب: القراءة بالمد.

(٦) تقدم تخريجهما في كتاب «فضائل القرآن» باب: القراءة بالمد.

(٨) من (ج) و(ز) و(ع) و(ل) و(هـ) و(ي).

(٧) زيادة من (ن).

معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة، فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك، فلما صلى المرة الثانية بسمل^(١).

وفي هذه الأحاديث والآثار التي أوردناها كفاية ومقنع في الاحتجاج لهذا القول عما عداه. فأما المعارضات والروايات الغريبة وتطريقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر. وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بالبسملة في الصلاة، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مغفل، وطوائف من سلف التابعين والخلف، وهو مذهب أبي حنيفة، والثوري، وأحمد بن حنبل.

وعند الإمام مالك أنه لا يقرأ البسملة بالكلية لا جهراً ولا سراً، واحتجوا بما في «صحيح مسلم»^(٢)، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يفتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بالحمد لله رب العالمين.

وبما في «الصحيحين»^(٣)، عن أنس بن مالك؛ قال: صليت خلف النبي (٢/٤٩/١) ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا (يستفتحون)^(٤) بالحمد لله رب العالمين. «ولمسلم»^(٥): لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها.

(١) أخرجه الشافعي في «كتاب الأم» (٣/١، ٩٣) ومن طريقه الحاكم (٢٣٣/١)؛ والدارقطني (٣١١/١)؛ والبيهقي قال: أخبرنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم، أن أبا بكر بن حفص بن عمر أخبره أن أنس بن مالك أخبره قال: صلى معاوية بالمدينة صلاةً فجهر فيها بالقراءة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة، ولم يكبر حين يهوى حتى قضى تلك الصلاة، فلما سلم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين: يا معاوية! أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلما صلى بعد ذلك قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعد أم القرآن، وكبر حين يهوى ساجداً.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد أحتج بعبد المجيد بن عبد العزيز وسائر الرواة متفق على عدالتهم».

قلت: وكان ابن أبي رواد أعلم الناس بحديث ابن جريج كما قال ابن معين وتابعه عبد الرزاق عند الدارقطني، وهذا سند جيد رجاله رجال مسلم، لكن في كونه على شرط مسلم نظر، فإن هذه الترجمة: «ابن جريج عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي بكر بن حفص عن أنس» ما احتج بها مسلم، إنما احتج بابن أبي رواد عن ابن جريج فقط. والله أعلم. وقال الدارقطني: «كلهم ثقات» وقد اختلف في سنده.

(تنبيه) ظهر لك بعد ذكر سياق هذا الأثر أن المصنف ﷺ اختصره اختصاراً مخلاً، فإن ما ذكره المصنف يدل على أن معاوية ترك البسملة بالكلية، وليس كذلك بل تركها عند قراءته للسورة التي بعد أم الكتاب. والله أعلم، نعم ما ذكره المصنف ظاهر في رواية إسماعيل بن عياش عند الدارقطني لكنها معلقة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠/٤٩٨) من طريق حسين المعلم، عن بديل بن ميسرة، عن أبي الجوزاء، عن عائشة بسياق أطول.

(٣) أخرجه البخاري (٢/٢٢٦، ٢٢٧)، وفي (جزء القراءة) (١١٧)؛ ومسلم (٣٩٩/٥٠، ٥١) من طريق شعبة، قال: سمعت قتادة يحدث عن أنس فذكره ولم يقع عند البخاري ذكر «عثمان» رضي الله عنه، نعم أخرجه البخاري في «جزء القراءة»، (١١٨) فذكر «عثمان».

(٤) في (ن): «يفتتحون».

(٥) في «صحيحه» (٣٩٩/٥٢) من طريق الأوزاعي، عن قتادة، عن أنس.

ونحوه في «السنن»^(١) عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

فهذه مآخذ الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة وهي قريبة؛ لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر والله الحمد والمنة.

فصل في فضلها

قال الإمام ^(٢) [العلم] ^(٣) الحبر العابد ^(٢) أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمته الله في «تفسيره»^(٤): حدثنا أبي، حدثنا جعفر بن مسافر، حدثنا زيد بن المبارك الصنعاني، حدثنا سلام بن وهب الجندي، حدثنا أبي، عن طاوس، عن ابن عباس: أن عثمان بن عفان سأل رسول الله ﷺ عن ﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ فقال: «هو اسم من أسماء الله، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب».

وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه، عن سليمان بن أحمد، عن علي بن المبارك، عن زيد بن المبارك، به.

وقد روى الحافظ بن ^(٥) مردويه من طريقين: عن إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يحيى،

(١) هذا يومهم أن أصحاب السنن الأربعة رووه، ولم يروه منهم أبو داود؛ فأخرجه النسائي (١٣٥/٢)؛ والترمذي (٢٤٤)؛ وابن ماجه (٨١٥)؛ وأحمد (٨٥/٤)؛ (٥٤/٥، ٥٥)؛ والطحاوي في «الشرح» (١/٢٠٢)؛ والبيهقي (٥٠/٢)؛ والقاضي عبد الجبار في «تاريخ داريا» (ص ٥٧) من طريق الجريري وعثمان بن غياث عن أبي نعامة الحنفي قيس بن عباية، عن ابن عبد الله بن مغفل قال: سمعني أبي وأنا في الصلاة، أقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال لي: أي بني! محدث، إياك والحدث، قال: ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغض إليه الحدث في الإسلام؛ يعني: منه، قال: قد صليت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان فلم أسمع أحداً منهم يقولها، فلا تقلها، إذا أنت صليت فقل: «الحمد لله رب العالمين». قال الترمذي: «حديث حسن»؛ واختلف في إسناده.

ونقل الزيلعي في «نصب الراية» (٣٣٢/١) عن النووي في «الخلاصة» أنه قال: «وقد ضعف الحفاظ هذا الحديث وأنكروا على الترمذي تحسينه كابن خزيمة وابن عبد البر والخطيب وقالوا: إن مداره على ابن عبد الله بن مغفل وهو مجهول». اهـ. وله متابعات متكلم فيها، والمقام في تحقيقه طويل.

(٢) ساقط من (ل).

(٣) كذا في (ج) و(ع) و(ي) ووقع في (ز) و(ك) و(ن) و(هـ): «العالم».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» رقم (٥). وأخرجه الحاكم ووافقه الذهبي! وليس كما قال، وقد رقم (٢١٢٣) من طريق جعفر بن مسافر بسنده سواء وصححه الحاكم ووافقه الذهبي! وليس كما قال، وقد قال الذهبي في ترجمته «سلام بن وهب»: «خبر منكر بل كذب»، وسأل ابن أبي حاتم أباه عنه كما في «العلل» (ج ٢/رقم ٢٠٢٩)، فقال: «هذا حديث منكر»؛ وقال الذهبي في «المغني» (٢٧٢/١): «سلام بن وهب عن ابن طاوس بخبر موضوع، لا يعرف». واختلف في سنده فأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢/١٦٢)؛ والخطيب في «تاريخه» (٣١٣/٧) وعنه الذهبي في «الميزان» (١٨٢/٢) من طريق سلام بن وهب عن ابن طاوس عن أبيه، عن ابن عباس مرفوعاً فذكره، ووجه الاختلاف أن سلام بن وهب رواه أولاً عن أبيه عن طاوس ثم رواه عن ابن طاوس عن أبيه. قال العقيلي: «سلام بن وهب الجندعي عن ابن طاوس لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به».

وجملة القول الثابت أن هذا الحديث باطل. والله أعلم.

(٥) أخرجه ابن جرير (٤١/١، ٤٢)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢٩٩/١)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٢٥١/٧)، =

عن مسعر، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى ابن مريم ﷺ أسلمته أمه (إلى) (١) الكتاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب (قال) (٢): ما أكتب؟ قال: بسم الله. قال له عيسى: وما بسم الله؟ قال المعلم: ما أدري».

قال له عيسى: «الباء بهاء الله والسين سنأوه، والميم مملكته، والله إله الآلهة، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة».

وقد رواه (٣) ابن جرير (٤) [من حديث إبراهيم بن العلاء الملقب (زبريق) (٥)، عن إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي مليكة، عن حدثه، عن ابن مسعود، ومسعر، عن عطية] (٤)، عن أبي سعيد، (عن النبي) (٦) ﷺ... فذكره.

وهذا غريب جداً، وقد يكون (٧) صحيحاً إلى من دون رسول الله ﷺ. وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات. والله أعلم.

= (٢٥٢) وفي «حديث الكديمي» (ق ١/٣٦٠)؛ وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٢٠٣، ٢٠٤)؛ والشعبي في «تفسيره» (١/١٨/٢) من طريق إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى، عن مسعر، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. قال ابن عدي: «باطل بهذا الإسناد، لا يرويه غير إسماعيل».

وقال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع محال، ما يضع هذا الحديث إلا ملحد يريد شين الإسلام، أو جاهل في غاية الجهل وقلة المبالاة بالدين ولا يجوز أن يفرق حروف الكلمة المجتمعة فيقال: الألف من كذا: واللام من كذا، وإنما هذا يكون في الحروف المقطعة... ثم قال: فقد جمع واضع هذا الحديث جهلاً وافراً وإقداماً عظيماً، وأتى بشيء لا تخفى برودته والكذب فيه» وأقر السيوطي بوضعه في «اللائل» (١/١٧٢)؛ وقال في «تدريب الراوي» (١/٥٦): «غريب جداً» وقال في «الدر المنثور» (١/٨): «سنده ضعيف جداً» وعلته إسماعيل بن يحيى هذا فقد كذبه الدارقطني وأبو علي النيسابوري والحاكم، وقال الأزدي: «ركن من أركان الكذب» واتهمه صالح جزرة بوضع الحديث وكذلك ابن حبان.

(١) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).

(٢) في (ل) و(ن): «فقال».

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤٠ - شاکر) قال: حدثنا إسماعيل بن الفضل، قال: حدثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك، وهو يلقب بزبريق، بسنده سواء.

وأخرجه أبو نعيم في «حديث محمد بن يونس الكديمي» (ق ١/٣٦٠) من طريقه، ثنا الحسين بن علي بن مصعب النخعي، ثنا عبد الوهاب بن الضحاك، أنا إسماعيل بن عياش بسنده سواء وسنده تالف، والكديمي وإي والحسين بن علي أحد مشايخ الإسماعيلي ذكره في «معجمه» (ق ٣/٨٣) وقال: «قد غلب عليه البلغم شيخ كبير» وقال الذهبي: «عمر وتغير لا يعتمد عليه»، وعبد الوهاب بن الضحاك ساقط ألبة، وزبريق قال الحافظ: مستقيم الحديث إلا في حديث واحد يقال: إن ابنه محمداً أدخله عليه، ومداره على إسماعيل بن يحيى وقد مرّ حاله.

(٤) ساقط من (هـ). (٥) في (ن): «ابن زبريق»!

(٦) في (ن): «قال: قال رسول الله».

(٧) ونقل الشيخ أبو الأشبال في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/١٢٢) قول ابن كثير هذا وقال: «وما أدري كيف فات الحافظ ابن كثير أن في إسناده هذا الكذاب فتسقط روايته بمرة، ولا يحتاج إلى هذا التردد». اهـ. قلت: ففعل الحافظ ابن كثير يشير إلى سند آخر، فقد رأيت السيوطي قال في «الدر المنثور» (٢/٢٥): «وأخرج ابن المنذر بسند صحيح إلى سعيد بن جبيرة قال: لما ترعرع عيسى جاءت به أمه إلى الكتاب، فدفعته إليه...» ثم ساقه بنحوه، فهذا يرجح كونه من الإسرائيليات، ويصدق ظن المصنف ﷺ.

وقد روى جوير^(١)، عن الضحاك نحوه من قبله.

وقد روى ابن مردويه^(٢) من حديث يزيد بن خالد، عن سليمان بن بريدة، وفي رواية عن عبد الكريم أبي أمية، عن (ابن)^(٣) بريدة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت علي آية لم تنزل على نبي غير سليمان (بن داود)^(٤) وغيري، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم».

وروى بإسناده عن (عبد الكبير)^(٥) بن المعافي بن عمران، عن أبيه، عن عمر بن ذر، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله؛ قال: لما نزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بأذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله ألا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه.

^(٦) [وقال وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، قال: من أراد أن ينجي الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فيجعل الله له من كل حرف منها جنة من كل واحد]^(٦).

^(٦) [ذكره ابن عطية^(٧) والقرطبي^(٨) ووجهه ابن عطية (ونظره)^(٩) بحديث: «لقد رأيت بضعة»^(٦)

(١) أخرجه إسحاق بن بشر وابن عساكر عن جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس وساق كلاماً طويلاً، راجع «الدر المثور» (٢٦/٢) وسنده تالف جداً، وجوير هالك والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وإسحاق بن بشر صاحب «كتاب المبتدأ» ساقط أيضاً. وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢) عن جوير عن الضحاك قوله.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٢٩)؛ وابن الأعرابي في «معجمه» (٢/١١٨/٦)؛ وأبو أحمد الحاكم في «شعار أصحاب الحديث» (ص ٦٨)؛ والدارقطني (٣١٠/١)؛ والبيهقي (٦٢/١٠) من طريق علي بن الجعد وإبراهيم بن مجشّر، نا سلمة بن صالح الأحمر، عن يزيد بن أبي خالد، عن عبد الكريم بن أبي أمية عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا أخرج من المسجد حتى أعلمك آية من سورة لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري» قال: فمشى وتبعته حتى انتهى إلى باب المسجد، فأخرج رجله من أسكفة المسجد وبقيت الأخرى؛ فقلت بيني وبين نفسي أنسي؟ قال: فأقبل علي بوجهه وقال: بأي شيء تفتح القراءة إذا افتتحت الصلاة؟ قال: قلت: ببسم الله الرحمن الرحيم، قال: «هي هي» ثم خرج. وعزاه السيوطي في «الدر» (٧/١) لابن أبي حاتم.

قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن ابن بريدة إلا عبد الكريم، ولا عنه إلا يزيد، تفرد به سلمة».

قلت: وسنده ضعيف جداً، وسلمة بن صالح، قال الذهبي: تركوه.

وابن أبي المخارق ضعيف. وقال البيهقي والسيوطي: «إسناده ضعيف».

(٣) في (ن): «أبي»!! (٤) ساقط من (ج).

(٥) وقع في (ن): «عبد الكريم الكبير»!! وفي (ز): «عبد الكريم»! وهذا السند الذي أورده المصنف جيد، لكنني أخشى من دون عبد الكبير وأسانيد ابن مردويه يغلب عليها ما يغلب على أسانيد الطبراني. وأخرجه الثعلبي في «تفسيره» (ج ١/ق ٦/٢) من وجه آخر عن عمر بن ذر بسنده سواء.

(٦) ساقط من (ز).

(٧) في «تفسيره» (٨٢/١) وأشار إلى القول دون أن ينسبه إلى ابن مسعود ثم قال: «وهذا من ملح التفسير، وليست من متين العلم». ولعله لم يقف على قائله وأنه ابن مسعود ﷺ، والسند صحيح إليه، وأخرجه الثعلبي في «تفسيره» (٢/٦/١) من طريق عبد الله بن هاشم، ثنا وكيع بإسناده سواء وهذا الأثر له حكم الرفع كما لا يخفى، وقد أشار ابن عطية إلى هذا الأثر بقوله: «فقال بعض الناس» فهذا يدل على ما ذكرته والله أعلم.

(٨) في «تفسيره» (٩٢/١).

(٩) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ه) و(ي): «نظّره» بالطاء المعجمة المشددة قبلها نون، ووقع في (ن): =

(١) «ولثلاثين ملكاً يتدرونها» (٢) لقول الرجل: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفاً وغير ذلك» (١).

وقال الإمام أحمد (بن حنبل) (٣) في «مسنده» (٤): حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم؛ قال: سمعت أبا تيممة يحدث عن رديف النبي ﷺ؛ قال: عشر بالنبي ﷺ (حمارة) (٥)؛ فقلت: تعس الشيطان. فقال النبي ﷺ: «لا تقل: تعس الشيطان؛ فإنك إذا قلت: تعس الشيطان تعاضم، وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت: باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب». هكذا وقع في رواية الإمام أحمد.

وقد روى النسائي في «اليوم والليلة»، وابن مردويه في «تفسيره»، من حديث خالد الحذاء،

= «ونصره» بالصاد المهملة وكذا وقع في المطبوعات التي وقعت عليها من «التفسير» وهو خطأ فاحش؛ لأن ابن عطية ما نصر هذا القول، كيف وهو يقول: «هذا من ملح التفسير وليست من متين العلم» ولكن معنى «نظره» أي جعل لهذا القول نظائر. والله أعلم.

(١) ساقط من (ز). (٢) أخرجه البخاري (٢/٢٨٤ - فتح).

(٣) ساقط من (ه).

(٤) أخرجه أحمد (٥٩/٥) قال: حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة، عن عاصم؛ قال: سمعت أبا تيممة يحدث عن رديف النبي ﷺ. قال شعبة: قال عاصم: عن أبي تيممة، عن رجل عن رديف النبي ﷺ... وذكر الحديث.

وأخرجه أحمد أيضاً (٧١/٥) قال: حدثنا عفان، حدثنا شعبة مثله على الشك ووافق شعبة على الرواية الأولى من غير شك: سفيان الثوري ومعمّر بن راشد فروياه عن عاصم الأحول، عن أبي تيممة الهجيمي، عن كان رديف النبي ﷺ... فذكره. أخرجه عبد الرزاق (ج ١١/رقم ٢٠٨٩٩)؛ وأحمد (٥٩/٥، ٣٦٥)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٥٩/١)؛ البغوي في «شرح السنة» (١٢/٣٥٣، ٣٥٤). قال المنذري في «الترغيب» (٨١/٤): «إسناده جيد» ويأتي ما فيه.

وقد تابع عاصم الأحول: خالد الحذاء، فرواه عن أبي تيممة، عن رديف النبي ﷺ مثله. أخرجه الحاكم (٢٩٢/٤) من طريق يزيد بن زريع، عن خالد الحذاء وقال: «صحيح الإسناد» ورده الذهبي بالمخالفة. وقد خولف يزيد بن زريع في إسناده. فخالفه وهب بن بقية وابن المبارك فروياه عن خالد الحذاء، عن أبي تيممة، عن أبي المليح، عن رجل كان رديف النبي ﷺ وساق الحديث.

أخرجه أبو داود (٤٩٨٢)؛ والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٥٤) وخالفهما محمد بن حمران القيسي، فرواه عن خالد الحذاء، عن أبي تيممة، عن أبي المليح، عن أبيه قال: كنت رديف النبي ﷺ فذكره.

أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٥٥٥)، وعنه ابن السني (٥٠٩)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٠٦٨) وعنه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٨٢/١)؛ الطحاوي في «المشكّل» (١٥٩/١)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١/رقم ٥١٦)؛ الحاكم (٢٩٢/٤)؛ وأبو عبد الله الصوري في «جزء من حديثه» (ق ٣٠٦/١).

قال النسائي: هذا عندي خطأ، والصواب عندنا حديث عبد الله بن المبارك. اهـ. وهذا نقد صحيح، ومحمد بن حمران، قال ابن حبان: «يخطئ» فقول الهيثمي في «المجمع» (١٣٢/١٠): «محمد بن حمران ثقة» فيه تسامح وخالف جميع من تقدم عبد الوهاب بن عطاء فرواه عن خالد الحذاء عن أبي تيممة عن أبي المليح قال: كان رجل رديف النبي ﷺ... وساقه نحوه.

أخرجه النسائي (٥٥٦)؛ والخطيب في «المتفق والمفترق» (٢/١٦١/١١) والصواب في كل هذا رواية ابن المبارك وهب بن بقية، وجهالة الصحابي لا تضر والحمد لله. وبهذا يظهر ما في تجويد المنذري لرواية أحمد من النظر، والله أعلم.

(٥) ساقط من جميع «الأصول» واستدركته من «المسند».

عن أبي تميمه، وهو الهجيمي، عن أبي المليح بن أسامة بن عمير، عن أبيه؛ قال: كنت رديف النبي ﷺ... فذكره؛ وقال: «لا تقل هكذا، فإنه يتعاضم حتى يكون كالبيت؛ ولكن قل: باسم الله، فإنه يصغر حتى يكون كالذباب».

فهذا من تأثير بركة «باسم الله»؛ ولهذا تستحب في أول كل عمل وقول؛ فتستحب في أول الخطبة لما جاء: «كل (أمر)^(١) لا يبدأ فيه ببسم الله (الرحمن الرحيم)^(٢)». فهو أجزم^(٣).
(٤) [وتستحب البسمة عند دخول الخلاء، لما ورد من الحديث^(٥) في ذلك]^(٤).

وتستحب في أول الوضوء لما جاء في «مسند الإمام أحمد»^(٦)، و«السنن»، من رواية أبي

(١) كذا في «ز» و«ل» و«ن»، ووقع في «ج» و«ع» و«ك» و«ها» و«ي»: «خطبة» وأشار في «ج» و«ع» و«ي» إلى أنه وقع في نسخة ما أثبتته في المتن.

(٢) من «ز».

(٣) أخرجه عبد القادر الرهاوي في «الأربعين» ومن طريقه ابن السبكي في «طبقات الشافعية» (٦/١) وسنده ضعيف جداً، وعزاه المناوي في «فيض القدير» (١٤/٥) للخطيب البغدادي في «تاريخه»، وأخرجه أبو داود (٤٨٤٠)؛ والنسائي في «اليوم والليلة» (٤٩٤)؛ وابن ماجه (١٨٩٤)؛ وأحمد (٣٥٩/٢)؛ وابن حبان (١)، (٢)؛ وأبو عوانة في «مستخرجه»؛ والدارقطني (٢٢٩/١)؛ والغافقي في «مسند الموطأ» (ق ١/٢)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٨/٣، ٢٠٩)؛ والشريف الرضوي في «المجازات النبوية» (ص ١٦٦، ١٦٧)؛ والخطيب في «الجامع» (٦٩/٢، ٧٠) من طرق عن الأوزاعي، عن قرة بن عبد الرحمن، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع». واختلف في متنه كثيراً قال أبو داود: رواه يونس وعقيل وشعيب، وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري مرسلاً، وصوب الدارقطني المرسل، وأخرج المرسل النسائي في «اليوم والليلة» (٤٩٥، ٤٩٦) وهو الصواب، وقره بن عبد الرحمن ضعفه أحمد وابن معين وأبو زرعة وآخرون، وقد خالفه الإثبات من أصحاب الزهري فأرسلوه، وبهذا تعلم خطأ من حسنه كابن الصلاح والنووي وابن السبكي في «الطبقات» (٥/١ - ٢٠) وأطال في غير طائل، وللنووي حجة واهية في تحسينه فقال: «وهو حديث حسن، وقد روى موصولاً ومرسلاً ورواية الموصول جيدة الإسناد، وإذا روى الحديث موصولاً ومرسلاً فالحكم للاتصال عند الجمهور». اهـ. كذا قال! وهذا الباب، يعني الاتصال والإرسال إنما يحكم فيه المحدثون دون غيرهم، هم لا يحكمون للموصول إذا خالف المرسل، بل يرجحون بالعدد والحفظ والملازمة ونحو ذلك، فإذا روى الحديث رجل ضعفه النقاد وخالفه الثقات الأثبات فلا يحكم لروايته عليهم أبداً، وقد أيد النووي الدارقطني في تضعيفه لزيادة «وإذا قرأ فأنصتوا» التي رواها مسلم في «صحيحه» مع أن راويها هو سليمان التيمي وهو ثقة ثبت؛ لأنه خالف أصحاب قتادة، فكيف يحكم لرواية قرة بن عبد الرحمن ومره حاله على رواية أصحاب الزهري المتقين؟! هذا ما تاباه الأصول وطرائق المحدثين. والله أعلم، وجملة القول أن الحديث ضعيف، والصواب فيه الإرسال. والحمد لله على التوفيق، وانظر: «الإرواء» (٢٩/١ - ٣٢) لشيخنا الألباني رحمه الله.

(٤) ساقط من «ز».

(٥) يشير إلى ما رواه المعمرى في «اليوم والليلة» من طريق عبد الله بن المختار، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس مرفوعاً: «إذا دخلتم الخلاء فقولوا: بسم الله، أعوذ بالله من الخبث والخبائث» قال الحافظ في «الفتح» (٢٤٤/١): «إسناده على شرط مسلم وفيه زيادة التسمية، ولم أرها في غير هذه الرواية» وقال في «نتائج الأفكار» (١٩٦/١): «رواته موثقون». وقد روى هذا الحديث شعبة وابن علي وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وآخرون فلم يذكروا التسمية، وقد حققت هذا البحث في «بذل الإحسان» (١٩٧/١ - ١٩٩) فراجع.

(٦) أما حديث أبي هريرة: فأخرجه أحمد (٤١٨/٢)؛ وأبو داود (١٠١)؛ وابن ماجه (٣٩٩)؛ والترمذي في «العلل الكبير» (١١١/١)؛ وأبو يعلى (ج ١١/رقم ٦٤٠٩) وغيرهم من طريق يعقوب بن سلمة، عن أبيه، =

هريرة، وسعيد بن زيد، وأبي سعيد - مرفوعاً: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه». وهو حديث حسن.

ومن العلماء من أوجبها عند الذكر ههنا، ومنهم من قال بوجوبها مطلقاً، وكذا تستحب عند الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة، وأوجبها آخرون عند الذكر ومطلقاً في قول بعضهم كما سيأتي بيانه في موضعه (إن شاء الله) ^(١).

^(٢) [وقد ذكر الرازي في «تفسيره» ^(٣) في فضل البسملة أحاديث منها: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتيت أهلك فسم الله، فإنه إن وجد لك ولد كتب لك بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسنات». وهذا لا أصل له، ولا رأيته في شيء من الكتب المعتمد عليها ولا غيرها] ^(٢).

وهكذا تستحب عند الأكل لما في «صحيح مسلم» ^(٤): أن رسول الله ﷺ قال لربييه عمر بن أبي سلمة: «قل: بسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك».

ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه، وكذلك تستحب عند الجماع لما في «الصحيحين» ^(٥) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن (أحدهم) ^(٦) إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله،

= عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله تعالى». وصححه الحاكم (١٤٦/١) وتعبه ابن الصلاح والنووي في «المجموع» (٣٤٤/١)؛ وابن حجر في «التلخيص» (١/٧٢) وفي «التناج» (٢٦٦/١) وله علتان.

وأما حديث سعيد بن زيد: فأخرجه أحمد (٧٠/٤، ٣٨٢/٦)؛ والترمذي (٢٥)؛ وابن ماجه (٣٩٨) وآخرون يطول الأمر بذكرهم وهو أمثل أحاديث الباب.

وأما حديث أبي سعيد الخدري فأخرجه أحمد (٤١/٣)؛ والترمذي في «العلل» (١١٢/١، ١١٣)؛ وابن ماجه (٣٩٧)؛ وابن أبي شيبة (٢/١، ٣)؛ وأبو عبيد في «الطهور» (ق٢/٧)؛ وأبو يعلى (٣٢٤/٢، ٤٢٤) وآخرون. وقد استوفيت الكلام على طرقه وشواهد في «بذل الإحسان» (٣٤٠/٢ - ٣٧١) ولي فيه جزء مفرد باسم «كشف المخبوء بثبوت حديث التسمية عند الوضوء» وهو مطبوع وانفصلت فيه على أنه حديث حسن ثابت. والله أعلم.

(١) من (ك) و(ن). (٢) ساقط من (ز) و(ع) و(ل).

(٣) انظر تفسير «الرازي» (١١٧/١) والحديث المذكور أخرجه أبو الحسين بن المهدي في «فوائده» وعنه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٨٥/٣، ١٨٦) وساق حديثاً طويلاً، ثم قال ابن الجوزي: «هذا حديث ليس له أصل، وفي إسناده جماعة مجاهيل لا يعرفون أصلاً ولا نشك أنه من وضع بعض القصاص أو الجهال وقد خلط الذي وضعه في الإسناد، ومن المعروفين في إسناده: حماد بن عمرو، قال يحيى: كان يكذب ويضع الحديث، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث وضعاً على الثقات، لا يحل كتب حديثه إلا على وجه التعجب» وانظر: «اللآلئ» (٣٧٧/٢، ٣٧٨)، «وتنزيه الشريعة» (٣٤٠/٢).

(٤) لم يخرج مسلم في «صحيحه» بهذا اللفظ، إنما أخرجه (١٠٨/٢٠٢٢) بلفظ: «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك».

أخرجه البخاري (٥٢٣/٩)؛ ومسلم (١٠٩/٢٠٢٢).

(٥) أخرجه البخاري (٢٢٨/٩)؛ ومسلم (٥/١٠ - شرح النووي).

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ل) و(ها) و(ي) وهو الموافق لما في «الصحيحين»، ووقع في (ز) و(ك) و(ن): «أحدهم».

اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً.
ومن ههنا ينكشف لك أن القولين عند النحاة في (تقدير)^(١) المتعلق بالباء في (قولك)^(٢):
باسم الله - هل هو اسم أو فعل - متقاربان، وكل قد ورد به القرآن؛ أما من قدره باسم تقديره
باسم الله ابتدائي؛ فلقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بَحْرَهَا مَجْرِئُهَا وَفُرْسُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
(١) ﴿هود﴾ ومن قدره بالفعل^(٣) (أمرأ أو خبرأ؛ نحو: أبداً باسم الله، أو ابتدأت باسم الله)^(٣)
فلقوله (تعالى)^(٤): ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق] وكلاهما صحيح؛ فإن الفعل لا بد له من
مصدر؛ فلك أن تقدر الفعل ومصدره، وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله إن كان قياماً أو
قعوداً أو أكلاً أو شرباً، أو قراءةً أو وضوءاً أو صلاة؛ فالمشروع ذكر (اسم)^(٥) الله في الشروع
في ذلك كله؛ تبركاً وتيمناً واستعانة على الإتمام والتقبل. والله أعلم.

ولهذا روى ابن جرير^(٦)، وابن أبي حاتم، من حديث بشر بن عمار، عن أبي روق، عن
الضحاك، عن ابن عباس؛ قال: إن أول ما نزل به جبريل على محمد ﷺ قال: يا محمد؛ قل:
أستعيز بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. ثم قال: قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
(١) قال: قال له جبريل: (قل)^(٧): باسم الله يا محمد.

يقول: اقرأ بذكر الله ربك، وقم واقعد بذكر الله تعالى. لفظ ابن جرير.

وأما مسألة الاسم؛ هل هو المسمى أو غيره، ففيها للناس ثلاثة أقوال: ^(٨) [أحدها: أن
الاسم؛ هل هو المسمى، وهو قول أبي عبيدة، وسيبويه؛ واختاره الباقلاني، وابن فورك. وقال
(فخر الدين)^(٩) الرازي^(٨)؛ ^(١٠) [وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب (الري)^(١١) في
«مقدمات تفسيره»^(١٢): قالت الحشوية، والكرامية، والأشعرية: الاسم نفس المسمى، (وغير
التسمية)^(١٣)، وقالت المعتزلة: الاسم غير المسمى ونفس التسمية.

والمختار عندنا أن الاسم غير المسمى وغير التسمية، ثم نقول: إن كان المراد بالاسم هذا
اللفظ الذي هو أصوات متقطعة وحروف مؤلفة فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى، وإن^(١٠)

(١) في (ج): «تقديم» وهو تصحيف.

(٢) في (ن): «قوله» وذكر في الهامش أن في نسخة «قولك».

(٣) ساقط من (ز). (٤) من (ل) و(ن).

(٥) ساقط من (ز).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٣٨)؛ وابن أبي حاتم (٤) من طريق أبي كريب محمد بن العلاء، ثنا عثمان بن سعيد،
ثنا بشر بن عمار بسنده سواء.

وإسناده ضعيف جداً وبشر بن عمار تركه الدارقطني وضعفه البخاري والنسائي وغيرهما والضحاك بن
مزاحم لم يسمع من ابن عباس، وسبق أن نبه المصنف على هذا.

(٧) سقط من سائر «الأصول» واستدرسته من «الطبري» و«ابن أبي حاتم».

(٨) من أول هنا إلى «الله علم على الرب تبارك وتعالى» ساقط من (ز).

(٩) ساقط من (ن). (١٠) ساقط من (ز).

(١١) في (ك): «الذي»! وفي (ل): «ابن الخطيب الرازي».

(١٢) انظر: «تفسيره» (١/ ١١٤ - ١١٦). (١٣) وقع في (ن): «غير نفس التسمية».

(١) كان المراد بالاسم ذات المسمى فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات، وهو عبث، فثبت أن (الخوض) (٢) في هذا (البحث) (٣) على جميع التقديرات يجري مجرى العبث.

ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم للمسمى بأنه قد يكون الاسم موجوداً والمسمى مفقوداً؛ كلفظة المعدم، وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعددة؛ كالمترادفة، وقد يكون الاسم واحداً والمسميات متعددة كالمشترك، وذلك دال على تغاير الاسم والمسمى.

وأيضاً فالاسم لفظ وهو عرض. والمسمى قد يكون ذاتاً ممكنةً أو واجبةً بذاتها. وأيضاً فلفظ النار والثلج لو كان هو المسمى لوجد اللفظ بذلك حر النار أو برد الثلج ونحو ذلك؛ ولا يقوله عاقل (١).

(٤) وأيضاً فقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً» (٥)؛ فهذه أسماء كثيرة والمسمى واحد، وهو الله تعالى.

وأيضاً فقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ (الْحُسْنَى)﴾ (٦) أضافها إليه، كما قال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة] ونحو ذلك؛ فالإضافة تقتضي المغايرة. وقوله (تعالى) (٧): ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: فادعوا الله بأسمائه؛ وذلك دليل على أنها غيره.

واحتج من قال: الاسم هو المسمى بقوله (تعالى) (٧): ﴿نَبِّرْكَ أَنتَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن] والمتبارك هو الله (تعالى) (٧).

والجواب أن الاسم (يعظم) (٨) لتعظيم الذات المقدسة. وأيضاً فإذا قال الرجل: زينب طالق - يعني: امرأته - طلقت، ولو كان غير المسمى لما وقع الطلاق.

والجواب أن المراد أن الذات المسماة بهذا الاسم طالق. قال الرازي: وأما التسمية فإنها جعل الاسم معيناً لهذه الذات، فهي غير الاسم أيضاً. والله أعلم (٤).

(الله): علم على الرب تبارك وتعالى، يقال: إنه الاسم الأعظم. لأنه يوصف بجميع الصفات، كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٣٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤٤) [الحشر] فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له، كما قال

(١) ساقط من (ز).

(٢) في (ع) و(هـ) و(ي): «المختص»!! وأشار في (ي) إلى أن الصواب ما أثبتته.

(٣) في (ج) و(ل): «المبحث».

(٤) إلى هنا انتهى السقط الواقع في (ز).

(٥) يأتي تخريجه إن شاء الله بعد قليل.

(٦) من (ج) و(ل) و(هـ).

(٧) من (ن).

(٨) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ي)، ووقع في (ن) و(هـ): «معظم».

تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وفي «الصحيحين»^(١) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة». وجاء تعدادها في رواية الترمذي^(٢) [وابن ماجه، وبين الروایتين اختلاف زيادة ونقصان.

وقد ذكر (فخر الدين)^(٤) (الرازي)^(٥) في «تفسيره» عن بعضهم^(٣) أن لله خمسة آلاف اسم، [ألف في الكتاب والسنة الصحيحة، وألف في التوراة، وألف في الإنجيل، وألف في الزبور، وألف في اللوح المحفوظ]^(٦).

وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى، ولهذا لا يعرف في كلام العرب له اشتقاق من فعل يفعل؛ فذهب من ذهب من النحاة إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له.
[وقد نقله القرطبي^(٨) عن جماعة من العلماء، منهم الشافعي، والخطابي، وإمام الحرمين، والغزالي وغيرهم.

ووى عن الخليل وسيبويه أن الألف واللام فيه لازمة، قال الخطابي: ألا ترى أنك تقول: يا الله، ولا تقول: يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام]^(٧).

وقيل: إنه مشتق، واستدلوا عليه بقول رؤية بن العجاج:

لله در الغانيات المدة^(٩) سبحن واسترجعن من تألهي

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر، وهو التأله، من أله يأله إلهةً وتألهاً، كما روي عن ابن عباس^(١٠) أنه قرأ: ﴿وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] قال: عبادتك؛ أي: أنه كان يعبد ولا يعبد. وكذا قال مجاهد وغيره.

[وقد استدل بعضهم على كونه مشتقاً بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾]^(١١)

(١) أخرجه البخاري (٣٥٤/٥، ٢١٤/١١، ٣٧٧/١٣)؛ ومسلم (٥/٢٦٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٧) وضعفه وابن ماجه (٣٨٦١)؛ وابن حبان (٨٠٨)؛ والحاكم (١٦/١)؛ والبيهقي في «الأسماء» (ص ٥)، وكذلك ضعفه سائر أهل العلم، وصححه الحاكم وحسنه النووي، وردوه عليهما، وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الأمر في «سورة الأعراف» إن شاء الله تعالى.

(٣) ساقط من (ز). (٤) ساقط من (ن).

(٥) ساقط من (ج) و(ك) و(هـ) و(ي) ووقع في (ل): «فخر الدين الرازي».

(٦) ساقط من (ز). (٧) ساقط من (ز).

(٨) في «تفسيره» (١٠٣/١).

(٩) المدة: أي المادحات، ومده؛ يعني: مدح، وانظر: «اللسان» (٤١٦١/٥). ومعنى البيت: أنهم مدحن حسنه وجماله، واسترجعن حسرة عليه، أنه تسك وتطلب العبادة وهجر الدنيا ولم يستفد بحسنه شيئاً.

(١٠) ولم تثبت هذه القراءة، ويأتي بيانه في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى.

(١١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

[الأنعام: ٣] ^(١) [أي: المعبود في السموات والأرض] ^(٢) كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُهُ﴾ [الزخرف: ٨٤].

ونقل سيويه عن الخليل أن أصله إلاه مثل فعال، فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة. [قال سيويه: مثل الناس، أصله أناس. وقيل: أصل الكلمة: «لاه»، فدخلت الألف واللام للتعظيم، وهذا اختيار سيويه؛ قال الشاعر:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت ديانني فتخزونني
قال القرطبي ^(٣): بالخاء المعجمة؛ أي: فتسوسني.

وقال الكسائي والفراء: أصله الإله، حذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية، كما قال: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] أي: لكن أنا. وقد قرأها كذلك الحسن.

قال القرطبي ^(٣): ثم قيل: هو مشتق من وله إذا تحير. والوله: ذهاب العقل يقال: رجل واله، وامرأة ولهى، (وماء موله) ^(٤) إذا أرسل في ^(١) ^(٥) [الصحراء. فالله تعالى (تتحير الألباب والفكر) ^(٦) في حقائق صفاته؛ فعلى هذا يكون (أصله) ^(٧): «ولاه»، فأبدلت الواو همزة، كما قالوا في وشاح: إشاح، ووسادة: إسادة.

وقال (فخر الدين) ^(٨) الرازي ^(٩): وقيل: إنه مشتق من: «ألهمت إلى فلان»؛ أي: سكنت إليه؛ فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته؛ لأن الكامل على الإطلاق دون غيره. قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَنْصُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩].

قال: وقيل: من «لاه، يلوه»، إذا احتجب. وقيل: اشتقاقه من أله الفصيل: أُولع بأمه. والمعنى أن العباد (مولهون) ^(١٠) مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال.
قال: وقيل: مشتق من أله الرجل يأله، إذا فزع من أمر نزل به، فألهه؛ أي: أجاره، فالمجبر لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُجَارُّ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

وهو المنعم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ^(٥).

^(١١) [وهو المطعم؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

وهو الموجد؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨].

(٢) ساقط من (ن).

(٤) في (ن): «مالوها»!!

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(ه) و(ي).

(٣) «تفسير القرطبي» (١/١٠٢).

(٥) ساقط من (ز) و(ع) و(ه) و(ي).

(٦) كذا في (ج) و(ل) وفي (ك): «يتحير أولو الألباب والفكر» وفي (ن): «يتحير الفكر».

(٧) ساقط من (ن).

(٨) ساقط من (ك) و(ن).

(٩) «تفسير الرازي» (١/١٦٥).

(١١) ساقط من (ز) و(ع) و(ه) و(ي).

وقد اختار (فخر الدين)^(١) (الرازي)^(٢) أنه اسم غير مشتق (البتة)^(٣)؛ قال: وهو قول الخليل، وسيبويه، وأكثر الأصوليين والفقهاء؛ ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوه، منها أنه لو كان مشتقاً لاشترك في معناه كثيرون. ومنها أن بقية الأسماء تذكر صفات له، فتقول: الله الرحمن الرحيم الملك القدوس؛ فدل أنه ليس بمشتق؛ قال: فأما قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾ (١) ﴿اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ١، ٢] على قراءة الجر، فجعل ذلك من باب عطف البيان. ومنها: قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وفي الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامداً غير مشتق نظر. والله أعلم.

(٤) [وحكى (فخر الدين)^(١) (الرازي)^(٢) عن بعضهم (أنه ذهب إلى)^(٥) أن اسم الله تعالى عبراني لا عربي، ثم ضعفه، وهو حقيق بالتضعيف، كما قال. وقد^(٤) حكى (فخر الدين)^(١) (الرازي)^(٢) هذا القول، ثم قال: واعلم أن (الخلق)^(٦) قسمان: واصلون إلى ساحل بحر المعرفة، ومحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة، وتيه الجهالة^(٧).

(٨) [فكانهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم. وأما الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النور، وفسحة الكبرياء والجلال، فتأهوا في ميادين الصمدية، وبادوا في عرصة الفردانية؛ فثبت أن الخلائق كلهم والهون في معرفته.

وروي عن الخليل بن أحمد أنه قال: لأن الخلق يألهون إليه - بنصب اللام (وجرها)^(٩) - لغتان. وقيل: إنه مشتق من الارتفاع؛ فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع: لاهاً، وكانوا يقولون إذا طلعت الشمس: لاهت.

وقيل: إنه مشتق من ألّه الرجل، إذا تعبد، وتأله إذا تنسك. وقرأ ابن عباس ﴿وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]^(٨).

وأصل ذلك الإله، فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة، فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام الزائدة في أولها للتعريف، فأدغمت إحداها في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاماً واحدةً مشددةً وفخمت تعظيماً، فقيل: «الله».

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة. ورحمن أشد مبالغة من رحيم. وفي كلام ابن جرير ما يفهم (منه)^(١٠) حكاية الاتفاق على هذا. وفي تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك، كما تقدم في الأثر^(١١) عن عيسى عليه السلام أنه قال: والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة.

(١) من (ج) و(ك) و(ل).

(٢) من (ن).

(٣) البتة: بهزمة وصل، وانظر ضبطها في «فتح الباري» (٣٩٢/٩) للحافظ.

(٤) ساقط من (ك).

(٥) ساقط من (ن).

(٦) في (ن): «الخلائق».

(٧) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٨) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٩) كذا في (ج) و(ل) وفي (ك) و(ن): «كسرهما».

(١٠) من (ن).

(١١) لكنه لا يصح كما تقدم شرحه، والله أعلم.

(١) [وزعم بعضهم أنه غير مشتق؛ إذ لو كان كذلك لاتصل بذكر المرحوم؛ وقد قال: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]]^(١).

(٢) [وحكى ابن الأنباري في «الزاهر»، عن المبرد - أن الرحمن اسم عبراني ليس بعربي. وقال أبو إسحاق الزجاج في «معاني القرآن»: وقال أحمد بن يحيى: الرحيم عربي، والرحمن عبراني، فلهذا جمع بينهما.

قال أبو إسحاق: وهذا القول مرغوب عنه.

وقال القرطبي^(٣): والدليل على أنه مشتق ما أخرجه الترمذي^(٤)، وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: أنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته».

قال: وهذا نص في الاشتقاق، فلا معنى للمخالفة والشقاق.

قال: وإنكار العرب لاسم الرحمن لجهلهم بالله، وبما وجب له^(٢).

(٥) [قال القرطبي^(٦): (ثم قيل)^(٧): هما بمعنى واحد؛ كندمان ونديم؛ قاله أبو عبيد.

وقيل: ليس بناء فعلاً كفعل؛ فإن «فعلاً» لا تقع إلا على مبالغة الفعل، نحو قولك: رجل غضبان، «للرجل الممتلئ غضباً»^(٨). (وفعل) قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول.

قال أبو علي الفارسي: الرحمن اسم (عام)^(٩) في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى. والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر؛ أي: أكثر رحمة.

ثم حكى^(١٠) عن الخطابي وغيره أنهم استشكلوا هذه الصفة، وقالوا: لعله أرفق، كما في^(٥)

(١) ساقط من (ز). (٢) ساقط من (ز).

(٣) «تفسير القرطبي» (١/١٠٤).

(٤) في «سننه» (١٩٠٧)؛ وأبو داود (١٦٩٤)؛ وأحمد (١/١٩٤)؛ وابن أبي شيبه (٣٤٧/٨، ٣٤٨)؛ والبزار (ج ١/١١/١)؛ والحميدي (٦٥)؛ والبرقي في «مسند عبد الرحمن بن عوف» (ق ١٧٩/٢)؛ وأبو يعلى (ج ٢/رقم ٨٤٠)؛ والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٢٦١) وفي «المساوي» (٢٦٥)؛ والبيهقي في «الآداب» (١١)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٢٢/١٣) من طريق ابن عيينة، عن الزهري، عن أبي سلمة، قال: اشتكى أبو الرداد، فجاءه عبد الرحمن بن عوف عائداً، فقال: خيرهم وأوصلهم ما علمت أبا محمد فقال عبد الرحمن: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ... فذكره ولكن عند الترمذي وغالب المخرجين «بتته» بدل «قطعته» وصححه الترمذي وتعبه المنذري في «مختصر سنن أبي داود» (٢/٢٦٢) بأن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئاً كما قال ابن معين.

وقد اختلف في إسناده، وللحديث شواهد كثيرة يصح بها.

(٥) ساقط من (ز).

(٦) في «تفسيره» (١/١٠٥).

(٧) ساقط من (ل) وسقطت لفظة: «ثم» من (ج).

(٨) ساقط من (ج) و(ل)، وسقطت لفظة «للرجل» من (ك) و(هـ) و(ي).

(٩) كذا في (ك) و(ن) و(هـ) و(ي) ووقع في (ج) و(ل): «غاية».

(١٠) يعني: القرطبي في «تفسيره» (١/١٠٦).

(١) [الحديث (٢): «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، وإنه يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف».

وقال ابن المبارك: الرحمن إذا سئل أعطى، والرحيم إذا لم يسأل يغضب. وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي، وابن ماجه^(١)، [من حديث أبي صالح الفارسي الخوزي، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»^(٢). وقال بعض الشعراء:

(١) ساقط من (ز).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٨٨)؛ وابن حبان (١٩١٤ - موارد)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣٠٦/٨)؛ والدولابي في «الكنى» (٤١/٢) من طريقين عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً ذكره. وهو حديث صحيح وله شواهد عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن المغفل وأنس، وأبي بكر رضي الله عنه.

(٣) ساقط من (ز).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٧٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٤/١) عن حاتم بن إسماعيل، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وأحمد (٤٤٣/٢، ٤٧٧)، وابن أبي شيبة (٢٠٠/١٠)، والبخاري في «البحر الزخار» (ج ٢/٢٣٢)، وابن عدي في «الكامل» (٢٧٥٠/٧)، والبخاري في «شرح السنة» (١٨٨/٥)، وفي «تفسيره» (١٠٣/٤) عن وكيع، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨)، والحاكم (٤٩١/١)، وأحمد (٤٤٢/٢)، ومن طريقه: ابن بشران في «الأمالي» (ج ٢/٢٤٤)، عن مروان بن معاوية، والبخاري (٢/٢٣٢)، والحاكم (١/٤٩١)، وعنه البيهقي في «الدعوات» (٢٢)، والطبراني في «الأوسط» (٢٤٣١)، ومن طريقه: المزي في «التهذيب» (٤١٨/٣٣)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (ص ٢٩٠) عن أبي عاصم النبيل، والرامهرمزي أيضاً عن صفوان بن عيسى، خمستهم عن أبي المليح، عن أبي صالح الخوزي، عن أبي هريرة مرفوعاً ذكره، قال الترمذي: «لا نعرفه إلا من هذا الوجه». وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن أبي صالح، إلا أبو المليح»، وقال ابن عدي: «وهذا يُعرف بأبي صالح هذا»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، فإن أبا صالح الخوزي، وأبا المليح الفارسي لم يذكرهما بالجرح، إنما هما في عداد المجهولين لقلة الحديث»، قلت: فإذا كانا في عداد المجاهيل فكيف يصح إسناد حديثهما؟ وأخشى أن يكون مذهب الحاكم كمذهب ابن حبان، أن العدل من لم يُعرف منه جرح؛ ولم سلمنا ذلك، فإن أبا صالح الخوزي عُرف بالجرح، فقد ضَعَفَهُ ابن معين، ومشاه أبو زرعة، فقال: «لا بأس به»، وقال الحافظ في «الفتح» (٩٥/١١): «مختلف فيه»، وقد تفرَّد به كما قال هؤلاء الحفاظ، ومثله لا يحتمل تفرُّده. فإسناد حديثه ضعيف، والله أعلم.

فائدة: قال الحافظ في «الفتح»: «ووقع في رواية البزار والحاكم: عن أبي صالح الخوزي: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه».

قلت: ولم يقع هذا التصريح بالسماع لا عند البزار، ولا الحاكم، أما «المستدرک» فلا أجزم أن اللفظة لم تقع فيه، لكثرة التصحيف الواقع فيه.

وأما «مسند البزار» فإنه رواه من طريق وكيع، وأبي عاصم بالإسناد إلى أبي صالح، عن أبي هريرة هكذا بالعنعنة، والله أعلم.

فائدة ثانية: قال البزار: «وأبو صالح الخوزي إنما قيل: الخوزي، لأنه كان ينزل بمكة في شعب الخوز». فائدة ثالثة: قال الحافظ في «الفتح»: «ظنَّ الحافظ ابن كثير أنه - يعني: أبا صالح الخوزي - أبو صالح السمان، فجزم بأن أحمد تفرَّد بتخريجه، وليس كما قال، فقد جزم شيخه المزي في «الأطراف» بما قلته رحمته الله».

قلت: كذا قال الحافظ، وقد قال ابن كثير في «تفسيره» (١٤٣/٧): «تفرَّد به أحمد، وهذا إسناد لا بأس به».

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب^(١) وقال ابن جرير^(٢): حدثنا السري بن يحيى التميمي، حدثنا عثمان بن زفر، سمعت العزمي يقول: الرحمن الرحيم؛ قال: الرحمن لجميع الخلق، الرحيم قال: بالمؤمنين. قالوا: ولهذا قال: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىٰ﴾ ﴿طه﴾، فذكر الاستواء باسمه الرحمن، ليعم جميع خلقه برحمته. وقال: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] فخصهم باسمه الرحيم؛ قالوا: فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة؛ لعمومها في الدارين لجميع خلقه. والرحيم خاصة بالمؤمنين؛ لكن جاء في الدعاء المأثور^(٣): «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما».

= وقال الحافظ ابن كثير بعد ذلك بسطرين: «وأما أبو صالح هذا فهو الخوزي، سكن شعب الخوز. قال البزار في «مسنده»، فأنت ترى أن ابن كثير لم يشبهه عليه الخوزي بالسمان، فقد صرح بأن أبا صالح هو الخوزي. إلا أن يكون ابن كثير قد جزم بأن أبا صالح هو السمان في كتاب آخر؛ نعم أخطأ في قوله: «تفرد به أحمد» فقد أخرجه الترمذي. وكذلك أيضاً في قوله: «هذا إسناد لا بأس به» فقد عرفنا ما فيه من البأس. والله أعلم.

(١) في «تفسيره» (١٤٦) وسنده جيد والسري بن يحيى هو ابن أخي هناد بن السري قال ابن أبي حاتم - كما في «الجرح والتعديل» (٢/١/٢٨٥): «كان صدوقاً» وعثمان بن زفر وثقه مطين وابن حبان. وقال أبو حاتم: «صالح الحديث صدوق»؛ والعزمي هو محمد بن عبد الله وهو تالف، لكنه لم يرو شيئاً ههنا فلا يضعف الإسناد به والله أعلم.

(٢) ورد ذكره في الهامش رقم (٣) في الصفحة السابقة.

(٣) لكنه لا يثبت، فأخرجه البزار (ج ٤/رقم ٣١٧٧)؛ والحاكم (١/٥١٥)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٦/١٧١)، (١٧٢)؛ وابن أبي الدنيا في «الدعاء» - كما في «إتحاف السادة» (٥/١٠٠)؛ والأصبهاني في «الترغيب» (١٢٥٤)؛ والطبراني في «الدعاء» (١٠٤١)؛ والمروزي في «مسند أبي بكر» (٤٠) من طريق الحكم بن عبد الله الأيلي، عن القاسم بن محمد، عن عائشة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل عليها فقال: هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاءً كان يعلمناه وذكر أن عيسى ﷺ كان يعلمه أصحابه ويقول: لو كان على أحدكم جبل ذهب ديناه لقضاه الله ﷻ عنه: اللهم فارج اللهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت رحماني، فارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك» قال أبو بكر رضي الله عنه: فكان علي بقية من دين وكنت للدين كارهاً فكنت أدعو بذلك حتى قضاه الله ﷻ عني.

قال البزار: «لا نعلم أحداً رواه مرفوعاً إلا أبو بكر، ولا نعلم له عنه إلا هذا الطريق، والحكم ضعيف جداً وإنما ذكرناه إذ لم نحفظه عن غيره وقد حدث به أهل العلم على ما فيه».

أما الحاكم فزعم أنه حديث صحيح، فرده عليه الذهبي ومن قبله المنذري، أما الذهبي فقال في «الخصائص المستدرك»: «الحكم ليس بثقة» وأما المنذري فقال في «الترغيب» (٢/٦١٦) بعد ذكر تصحيح الحاكم: «كيف والحكم متروك متهم والقاسم مع ما قيل فيه لم يسمع من عائشة!!»

كان قال المنذري: وهو ذهول غريب؛ لأن القاسم هو ابن محمد بن أبي بكر، وعائشة هي عمته وهو مكث من الرواية عنها حتى قال ابن معين، كما في «معجم ابن المقرئ» (ج ٦/ق ١٢٣/١): «القاسم عن عائشة؛ مشبك بالذهب» وهو يشير إلى متانة هذه الترجمة، والله أعلم.

واقصر السيوطي في «الدر المنثور» (٩/١) على تضعيف الإسناد! والصواب أنه ضعيف جداً، وكذلك أعلاه الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٨٦) فقال: «فيه الحكم بن عبد الله الأيلي وهو متروك». وله شاهد عن عبد الرحمن بن سابط مرفوعاً.

أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/٤٤١) وهو مرسل حسن الإسناد. والله أعلم.

(١) [واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يسم به غيره؛ كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠] وقال تعالى: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف] ولما تجهرم مسيلمة الكذاب، وتسمى برحمن اليمامة، كساه الله جلباب الكذب، وشهره به، فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب، فسار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضرة (وأهل المدر) (٢) وأهل (الوبر) (٣) من أهل البادية والأعراب (١).

وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن؛ لأنه أكد به. (والمؤكد) (٤) لا يكون إلا أقوى من المؤكد.

والجواب: أن هذا ليس من باب (التأكيد) (٥)، وإنما هو من باب النعت (بعد النعت) (٦)؛ ولا يلزم فيه ما ذكروه.

وعلى هذا فيكون (تقديم) (٧) اسم الله الذي لم يسم به أحد غيره، ووصفه أولاً بالرحمن الذي منع من التسمية به لغيره، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠] وإنما تجهرم مسيلمة اليمامة في التسمي به، ولم يتابعه على ذلك إلا من كان معه في الضلالة.

وأما الرحيم فإنه تعالى وصف به غيره حيث قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة] كما وصف غيره (بغير ذلك) (٨) من أسمائه، (في قوله) (٩): ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان].

والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره؛ (كاسمه) (١٠) الله، والرحمن، والخالق، والرازق (١١) ونحو ذلك؛ فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الأسماء؛ فلهذا ابتداء بالأخص فالأخص.

فإن قيل: فإذا كان الرحمن أشد مبالغة فهلا اكتفى به عن الرحيم؟ فقد روى عن عطاء الخراساني ما معناه أنه لما تسمى غيره - تعالى - بالرحمن جيء بلفظ الرحيم؛ ليقطع (التوهم) (١٢)

(١) ساقط من (ز). (٢) في (هـ) و(ي): «... الحضرة من أهل المدر».

(٣) في (ك): «المدر».

(٤) في (ز) و(هـ) و(ي): «والتأكيد».

(٥) في (ز): «التوكيد».

(٦) في (ن): «تقدير!! وفي (ك): «تقدم!»

(٧) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي)، ووقع في (ز) و(ن): «كما وصف غيره بذلك». وفي (ل): «غيره بعد ذلك من أسمائه».

(٨) في (ن): «كما قال تعالى».

(٩) (١٠) ساقط من (ن) وفي (ز): «كاسم».

(١١) كذا في (ز) و(ع) و(ك)، ووقع في (ج) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي): «الرازق» بتقديم الألف على الزاي، ولعله سبق قلم.

(١٢) في (ن): «الوهم» وأشار في الهامش إلى ما أثبتته.

بذلك؛ فإنه لا يوصف بالرحمن الرحيم إلا الله تعالى، كذا رواه ابن جرير^(١)، عن عطاء؛ ووجهه بذلك، والله أعلم.

وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن حتى رد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية لما قال رسول الله ﷺ لعلي: «اكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾» فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم. رواه البخاري^(٢). وفي بعض الروايات: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان].

والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم، فإنه قد وجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن.

قال ابن جرير^(٣): وقد أنشد بعض الجاهلية (الجهلاء)^(٤).

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربي يمينها
وقال سلامة بن جندب (الطهوي)^(٥):

عجلتم علينا (عجلتيناً)^(٦) عليكم وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق
وقال ابن جرير^(٧): حدثنا أبو كريب، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمارة، حدثنا أبو روق عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس؛ قال: الرحمن الفعلان من الرحمة، وهو من كلام العرب، وقال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الرقيق الرفيق لمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه، وكذلك أسماؤه كلها.

وقال ابن جرير^(٨) أيضاً: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا حماد بن مسعدة، عن عوف، عن الحسن، قال: الرحمن اسم ممنوع.

(١) في «تفسيره» (١٤٩) ورجاله ثقات إلا نصر بن عمرو اللخمي الفلسطيني فلم أجد فيه إلا ما ذكره الدولابي في «الكنى» (١١٠/١) من أنه روى عنه يحيى بن صالح الوحاظي.

(٢) في «صحيحه» (٣٢٩/٥ - ٣٣٣). وأخرجه مسلم (١٧٨٤/٩٣)؛ وأحمد (٢٦٨/٣) من طريق عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة بسنده سواء وفيه: «ما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم».

(٣) في «تفسيره» (١٣١/١ - شاعر).

(٤) كذا في (ج) و(ل) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»، ووقع في (ز) و(ع) و(ك) و(ن) و(هـ) و(ي): «الجهال».

(٥) هذه النسبة ثابتة في كل «الأصول» وأنكرها الشيخ محمود شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٣١/١).

(٦) في (ك) و(ل) و(ن): «عجلنا».

(٧) في «تفسيره» (١٤٨) وسنده ضعيف جداً وتقدم القول فيه.

(٨) في «تفسيره» (١٥٠) وإسناده صحيح، وعوف هو ابن أبي جميلة الأعرابي.

وقال ابن أبي^(١) حاتم: حدثنا أبو سعيد (بن)^(٢) يحيى بن سعيد القطان، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني أبو الأشهب، عن الحسن؛ قال: (الرحيم)^(٣) اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه، تسمى به تبارك وتعالى.

^(٤) [وقد جاء في حديث^(٥) أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته حرفاً حرفاً: ﴿يَسْمِـ
أَوهَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِـمِـةِ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِـمِـةِ﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿فَقَرَأَ
بعضهم كذلك، وهم طائفة. ومنهم من وصلها بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَكَسَرَتْ﴾^(٥)
^(٦) [الميم لالتقاء الساكنين وهم الجمهور، وحكى الكسائي من الكوفيين عن بعض العرب أنها
تقرأ بفتح الميم وصلة الهمزة، فيقولون: ﴿يَسْمِـأَوهَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِـمِـةِ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
﴿فَقَرَأَ﴾ فنقلوا حركة الهمزة إلى الميم بعد تسكينها، كما قرئ قوله تعالى: ﴿اَللهُ لَا اِلَهَ اِلَّا
هُوَ﴾ [آل عمران: ١، ٢].

قال ابن عطية^(٧): ولم ترد هذه قراءة عن أحد فيما علمت.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(القراء)^(٨) السبعة على ضم الدال في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وهو مبتدأ وخبر.

وروى عن سفيان بن عيينة بن العجاج أنهما قالوا: (الحمد لله) - بالنصب، وهو على إضمار فعل. وقرأ ابن أبي عبلة «الحمد لله» بضم الدال واللام إتباعاً للثاني الأول، وله شواهد لكنه شاذ. وعن الحسن وزيد بن علي (الحمد لله) بكسر الدال إتباعاً للأول الثاني^(٧).

قال أبو جعفر بن جرير (رحمته الله)^(٩): معنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر لله خالصاً دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخرأ.

(١) في «تفسيره» رقم (٧) وإسناده صحيح، وأبو سعيد بن يحيى، هو أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، قال ابن أبي حاتم: «كان صدوقاً» وقال ابن حبان: «كان متقناً». وأبو الأشهب، هو جعفر بن حيان السعدي.

(٢) ساقط من (ز).

(٣) وقع في (ز) و(ن) و(هـ): «الرحمن»، وما أثبتته وقع في سائر الأصول، وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم» ولما في «الدر المنثور» (٩/١)، وإن كان كلام الحسن أليق أن يجعل لاسم: «الرحمن» والله أعلم.

(٤) ساقط من (ز).

(٥) مَرَّ تخريجه في أول الفاتحة.

(٦) ساقط من (ز).

(٧) في «تفسيره» (٩٣/١).

(٨) في (ك): «القرأ».

(٩) ساقط من (ز) و(هـ).

(١) [وقال ابن جرير (رحمته الله) (٢): الحمد لله حدثنا أثنى به على نفسه. وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه، فكأنه قال: قولوا: الحمد لله] (١).

قال: وقد قيل: إن قول القائل: الحمد لله ثناء عليه (بأسمائه الحسنى وصفاته العلى) (٣). وقوله: الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه.

ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلاً من الحمد والشكر مكان الآخر. (١) [وقد نقل السلمي هذا المذهب: أنهما سواء، عن جعفر الصادق، وابن عطاء من الصوفية.

وقال ابن عباس: الحمد لله كلمة كل شاعر. وقد استدلل القرطبي (٤) لابن جرير بصحة قول القائل: الحمد لله شكراً] (١).

وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان؛ كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولساني والضمير المحجبا
ولكنهم اختلفوا أيهما أعم: الحمد أو الشكر؟ على قولين: والتحقيق أن بينهما عموماً
وخصوصاً، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة
والمتعدية، تقول: حمدته لفروسيته، وحمدته لكرمه، وهو أخص؛ لأنه لا يكون إلا بالقول،
والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه؛ لأن يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم. وهو أخص؛
لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته لفروسيته؛ وتقول: شكرته على كرمه
وإحسانه إلخ.

هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين (٥). والله أعلم.

(٢) من (ن).

(١) ساقط من (ز).

(٣) كذا في «الأصول» كلها، ووقع في (ز): «بأسمائه وصفاته الحسنى»، وهذا هو الموافق لما في «تفسير الطبري» (١٣٧/١).

(٤) في «تفسيره» (١٣٣/١).

(٥) لكن هذا التحرير فيه إبهام وأوضح منه ما قاله الإمام المحقق ابن القيم (رحمته الله)، فقال في «مدارج السالكين» (٢٥٦/٢، ٢٥٧): «وتكلم الناس في الفرق بين الحمد والشكر أيهما أعلى وأفضل؟ وفي الحديث: «الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره» والفرق بينهما أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه وأخص من جهة متعلقاته والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب، ومعنى هذا أن الشكر يكون بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقياداً، ومتعلقه: النعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعته وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان. اهـ.

وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الحمد: نقيض الذم، تقول: حمدت الرجل أحمده حمداً (ومحمدة)^(١)، فهو حميد، ومحمود. والتحميد: أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر.

وقال في الشكر: هو الثناء على المحسن بما (أولاهه)^(٢) من المعروف، يقال: شكرته وشكرت له، وباللام أفصح. ^(٣)[وأما المدح فهو أعم من الحمد؛ لأنه يكون للحي وللमित وللجماد أيضاً، كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون قبل الإحسان وبعده، وعلى الصفات المتعدية واللازمة أيضاً؛ فهو أعم]^(٣).

ذكر (أقوال)^(٤) السلف في الحمد:

قال ابن أبي^(٥) حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو معمر القطيعي، حدثنا حفص، عن حجاج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال عمر رضي الله عنه: قد علمنا سبحانه الله، ولا إله إلا الله، فما الحمد لله؟ فقال علي: كلمة رضيها الله لنفسه.

^(٦)(ورواه (غير)^(٧) أبي معمر)^(٦) عن حفص؛ فقال: قال عمر^(٨) لعلي - وأصحابه عنده - لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر - قد عرفناها، فما الحمد لله؟ قال علي: كلمة أحبها الله تعالى لنفسه، ورضيها لنفسه، وأحب أن تقال.

وقال علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران؛ قال ابن عباس: الحمد لله كلمة الشكر، وإذا قال العبد: «الحمد لله» قال: شكرني عبدي. رواه ابن أبي^(٩) حاتم.

وروى أيضاً هو^(١٠)، وابن جرير، من حديث بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك،

(١) ساقط من (ج) ووقع في (ل): «مجدته»!!

(٢) في (ن) و(ه): «أولاه».

(٣) ساقط من (ز).

(٤) في (ج) و(ل): «قول».

(٥) في «تفسيره» (١٢).

(٦) كذا في (ز) و(ك) و(ن) و(ي)، ووقع في (ه): «ورواه غيره عن أبي معمر» وهو خطأ.

(٧) في (ج) و(ل): (عن)! وهو خطأ واضح.

(٨) كذا نقله المصنف عن «تفسير ابن أبي حاتم»، وسبق قلمه في نقل النص فقد أخرجه ابن أبي حاتم (١٣) قال: وحدثنا به الأشج فقال: ثنا حفص، وخالفه فيه، فقال فيه: قال عمر لعلي رضي الله عنهما وأصحابه عنده: لا إله إلا الله والحمد لله والله أكبر قد عرفناها؟ فما: «سبحان الله؟» فقال علي، كلمة أحبها لنفسه ورضيها لنفسه، وأحب أن تقال. وكذا رواه ابن أبي حاتم (٣٤٧) بذات السند في تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ [البقرة: ٣٢] فأنت ترى أن عمر سأل عن معنى «سبحان الله» بينما ابن كثير نقل أن عمر سأل عن معنى «الحمد لله» وفي سنده هذا الأثر أو ذاك ضعف؛ لأجل الحجاج وهو ابن أرقطاة.

(٩) في «تفسيره» (٨) قال: حدثنا أبي، ثنا أبو معمر المنقري، ثنا عبد الوارث، ثنا علي بن زيد بن جدعان بسنده سواء وعزاه السيوطي في «الدر» (١١/١) لابن جرير وابن المنذر وسنده ضعيف لأجل علي بن زيد.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٩)؛ وابن جرير (١٥١) من طريق أبي كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، ثنا بشر بن عمار بسنده سواء وسنده ضعيف جداً لوهاء بشر بن عمار والانتقطاع بين الضحاك وابن عباس. وقد تقدم هذا الإسناد.

عن ابن عباس - أنه قال: الحمد لله هو الشكر لله، والاستخذاء له، والإقرار له بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك.

وقال كعب^(١) الأخبار: الحمد لله ثناء الله. وقال الضحاك^(٢): الحمد لله رداء الرحمن وقد ورد الحديث بنحو ذلك.

قال ابن^(٣) جرير: حدثنا سعيد بن عمرو السكوني، حدثنا بقية بن الوليد، حدثني عيسى بن إبراهيم، عن موسى بن أبي حبيب، عن الحكم بن عمير، وكانت له صحبة، قال: قال (النبي)^(٤) ﷺ: «إذا قلت: الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك».

وقد روى الإمام أحمد^(٥) بن حنبل: حدثنا روح، حدثنا عوف، عن الحسن، عن الأسود بن

(١) أخرجه ابن جرير (١٥٣)؛ وابن أبي حاتم (١٠) من طريق سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن السلولي، عن كعب. وسنده صحيح، وتكلم الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر رحمته الله في رواية كعب الأخبار وقوله، وأسقطه كله، فلو أنه تحفظ قليلاً؟؟!

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١) من طريق بزيع أبي حازم، عن يحيى بن عبد الرحمن أبي بسطام، عن الضحاك بن مزاحم. وسنده ضعيف، وبزيع ضعفه ابن معين والنسائي وكان أبو نعيم الفضل يتكلم فيه، ويحيى بن عبد الرحمن قال أبو حاتم: «ليس بالقوى».

(٣) أخرجه ابن جرير (١٥٢) وسنده ضعيف جداً وله علل:
الأولى: عننه. بقية بن الوليد، فينبغي أن يصرح في كل طبقات السند؛ لأنه كان يدلّس تدليس التسوية.
والثانية: عيسى بن إبراهيم: هو ابن طهمان تركه النسائي وأبو حاتم.
وقال البخاري: «منكر الحديث».

الثالثة: ضعف موسى بن أبي حبيب، ضعفه أبو حاتم.
الرابعة: قال الذهبي في «الميزان» (٢٠٢/٤): «وله، يعني لموسى هذا، عن الحكم بن عمير رجل قيل: له صحبة، والذي أرى أنه لم يلقه، وموسى مع ضعفه متأخر عن لقي صحابي كبير، وإنما أعرف له رواية عن علي بن الحسين...» وبالجملّة فالحديث ضعيف جداً.

(٤) في (ن): «رسول الله».

(٥) في «المسند» (٤٣٥/٣). وأخرجه النسائي في «النعوت» (٤١٦/٤ - السنن الكبرى)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٥٩)؛ وابن سعد (٤٢/٧)؛ وابن منده في «التوحيد» (٧٥٤، ٧٥٥)؛ وأبو أحمد الحاكم في «الكنى» (ج ١٧/٢٩٧ق ١)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١١٥٩)؛ وابن جرير في «تفسيره» (١٥٤)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١/رقم ٨٢٠ - ٨٢٥، ٨٣٦)؛ والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص ٤١٣)؛ وأبو نعيم في «المعرفة» (٨٩٧)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (٢٩٨/٤)؛ وابن قانع في «معجم الصحابة» (ج ١/٤/١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٨/رقم ٤٠٥٧)؛ وابن عدي في «الكامل» (١٧٦٣/٥)؛ وأبو محمد الجوهري في «حديث أبي الفضل الزهري» (ج ٦/١٠١ق ١)؛ والحاكم (٦١٤/٣)؛ والمحاملي في «الأمالي» (ق ٧٨/٢)؛ والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٨٢)؛ وعبد الغني المقدسي في «أحاديث الشعر» (٣٠) من طرق كثيرة عن الحسن، عن الأسود بن سريع فذكره.

قال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي! وليس كما قالوا فقد قال علي ابن المديني وأبو داود والبخاري وعباس الدوري وابن منده: «لا يصح سماع الحسن من الأسود» قال ابن المديني: «الأسود بن سريع قتل أيام الجمل، وإنما قدم الحسن البصرة بعد ذلك». قال الحافظ في «التهديب» (٣٣٩/١) بعد ذكر أشياء: «وكل هذا يدل على أن الحسن وأقرانه لم يلحقوه».

قلت: ولكن قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٤٤٥/١/١): «وقال لنا مسلم: حدثنا السري بن يحيى، حدثنا الحسن، حدثنا الأسود بن سريع أنه غزا مع النبي ﷺ أربع غزوات».

سريع؛ قال: قلت: يا رسول الله؛ ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى؟ فقال: «أما إن ربك يحب الحمد».

ورواه النسائي عن علي بن حجر، عن ابن علي، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن الأسود بن سريع، به. (أبو عيسى الحافظ)^(١) الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث موسى بن إبراهيم بن كثير، عن طلحة بن خراش، عن جابر بن^(٢) عبد الله؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله».

وقال الترمذي: «حسن غريب».

^(٣) [وروى ابن ماجه^(٤)، عن أنس بن مالك ﷺ؛ قال: قال]^(٣) ^(٥) [رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة، فقال الحمد لله، إلا كان الذي أعطى أفضل ما أخذ».

وقال القرطبي في «تفسيره»^(٦): وفي «نوادير الأصول»، عن أنس^(٧) ^(٥) ^(٨) [عن النبي ﷺ]^(٨)،

= وهذا سند صحيح يثبت سماع الحسن من الأسود في الجملة ولكن الحسن مدلس فنحتاج إلى تصريحه بالسماع، ولم يتفرد به الحسن، فتابعه عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن الأسود بن سريع قال: قدمت على نبي الله ﷺ فذكره فيه: «فجعلت أنشده فدخل رجل طوال أقنى، فقال لي: «أمسك» فلما خرج قال: «هات» فجعلت أنشده، فلم ألبث أن عاد! فقال لي: «أمسك» فلما خرج قال: «هات» فقلت: من هذا يا نبي الله الذي دخل قلت: «أمسك» وإذا خرج قلت: «هات»؟ قال: «هذا عمر بن الخطاب، وليس من الباطل في شيء».

(١) من (ن).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)؛ والنسائي في «اليوم والليلة» (٨٣١)؛ وابن ماجه (٣٨٠٠)؛ وابن حبان (٢٣٢٦) - موارد؛ والخراطي في «فضيلة الشكر» (٧)؛ وابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٠٢)؛ والحاكم (٤٩٨/١)، (٥٠٣)؛ والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٣)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٤٢/٦، ٤٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٨/رقم ٤٠٦١)؛ وفي «الأسماء والصفات» (١٧٩/١)؛ وفي «الدعوات الكبير» (١١٧)؛ والأصبهاني في «الترغيب» (٢٤٨١)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤٩/٥)؛ وفي «تفسيره» (١٥٥/٤)؛ والشجري في «الأمالي» (١٣/١) من طرق عن موسى بن إبراهيم الأنصاري بسنده سواء. وحسنه الترمذي كما رأيت وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقد تفرد به موسى بن إبراهيم هذا، ولم يوثقه إلا ابن حبان (٧/٤٤٩) ورغم ذلك قال: «كان ممن يخطئ» وتسامح الحافظ فقال في «التقريب»: «صدوق يخطئ» فمثل هذا الراوي المقل في روايته إذا غمزه ابن حبان مع تسامحه، فلا ينبغي تحسين حديثه إلا بالشواهد المجدية. فالصواب أن سنده ضعيف، ولعل الترمذي حسنه لوجود شواهد. والله أعلم.

(٣) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(ه) و(ي).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٥)؛ والخراطي في «فضيلة الشكر» (١)؛ وابن السني في «اليوم والليلة» (٣٥٦)؛ والطبراني في «الأوسط» (١٣٧٩)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٨/رقم ٤٠٩١)؛ والضياء في «المختارة» (٢١٩٤، ٢١٩٥، ٢١٩٦) من طرق عن الضحاك بن مخلد أبي عاصم، عن شبيب بن بشر، عن أنس بن مالك مرفوعاً فذكره. قال الطبرني: «لم يرو هذا الحديث عن شبيب إلا أبو عاصم».

وقال البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (٣/١٩٢): «هذا إسناد حسن، شبيب بن بشر مختلف فيه». وقال الضياء: «رواه أبو مسلم الكشي عن أبي عاصم فلم يرفعه».

(٥) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(ه) و(ي). (٦) «تفسير القرطبي» (١٣١/١).

(٧) وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/٢٧٦/١٥) بسند مظلم. وانظر: «الضعيفة» (٨٧٥) لشيخنا أبي عبد الرحمن الألباني رحمه الله.

(٨) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(ه) و(ي).

[١] قال: «لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمتي، ثم قال: الحمد لله، لكان الحمد لله أفضل من ذلك». قال القرطبي^(٢) وغيره: أي لكان إلهامه الحمد لله أكبر نعمةً عليه من نعم الدنيا؛ لأن ثواب الحمد لا يفنى، ونعيم الدنيا لا يبقى؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف].

وفي «سنن ابن ماجه»^(٣)، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حدثهم أن «عبدًا من عباد الله قال: يا رب؛ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فعضلت بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى الله، فقالا: يا ربنا، إن عبدًا قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها. قال الله - وهو أعلم بما قال عبده: ماذا قال عبدي؟ قالوا: يا رب، إنه قال: لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لهما: «اكتبها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها».

وحكى القرطبي^(٤) عن طائفة أنهم قالوا: قول العبد: الحمد لله رب العالمين أفضل من قوله: لا إله إلا الله، لاشتمال: «الحمد لله رب»^(٥) [العالمين] على التوحيد مع الحمد^(٥).
^(٥) [وقال آخرون: لا إله إلا الله أفضل؛ لأنها (الفصل)^(٦) بين الإيمان والكفر، وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، كما ثبت في الحديث «المتفق عليه»^(٧).
 وفي الحديث^(٨) الآخر^(٥).....

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠١)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٢/رقم ١٣٢٩٧)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٨/رقم ٤٠٧٧) من طريق إبراهيم بن المنذر حدثني صدقة بن بشير قال: سمعت قدامة بن إبراهيم الجمحي يحدث عن عبد الله بن عمر فذكره مرفوعاً.

قال البوصيري في «الزوائد» (٣/١٩١): «هذا إسناد فيه مقال، قدامة بن إبراهيم ذكره ابن حبان في «الثقات»، وصدقه بن بشير لم أر من جرحه ولا من وثقه وباقي رجال الإسناد ثقات، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» من هذا الوجه. اهـ.

قلت: فالإسناد ضعيف، ولم أجده عند أحمد، ولم يذكره الحافظ في «أطراف المسند». فالله أعلم.

(٤) في «تفسيره» (١/١٣٢).

(٦) كذا في (ج) و(ل) وفي (ن): «التفصيل»!

(٧) أخرجه البخاري (٣/٢٦٢ و ١٢/٢٧٥ و ١٣/٢٥٠)؛ ومسلم (٣٢/٢٠، ٣٣/٢١، ٣٤، ٣٥).

(٨) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/١٥٩٩ - ١٦٠٠)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٨/رقم ٣٧٧٨) من طريق عبد الرحمن بن يحيى المدني، عن مالك، عن سمي مولى أبي بكر، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل قلبي وقول الأنبياء قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير».

قلت: كذا روى عبد الرحمن بن يحيى عن مالك ووهم عليه قال ابن عدي: «حدث عن الثقات بالمناكير» وقال العقيلي: «مجهول لا يقيم الحديث من جهته» وصرح بغلظه ابن عبد البر في «التمهيد» (٦/٣٩)؛ والبيهقي في «السنن» (٥/١١٧) وفي «الشعب» وقال: «هكذا رواه عبد الرحمن بن يحيى وغلط فيه إنما رواه مالك في «الموطأ» مرسلًا».

وقال ابن عدي: «هذا منكر عن مالك.. لا يرويه غير عبد الرحمن هذا، وعبد الرحمن غير معروف».

وقال ابن عبد البر: «لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث، ولا أحفظه بهذا الإسناد مستنداً من =

(١) «في السنن» (٢): «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له». وقد تقدم عن جابر مرفوعاً «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله» وحسنه الترمذي (١).

والألف واللام في «الحمد» لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى، كما جاء في الحديث (٣): «اللهم لك (الحمد كله، ولك الملك كله)» (٤)، ويبدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله». الحديث.

والرب: هو المالك المتصرف. ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح؛ وكل

= وجه يحتج بمثله.

فقد رواه يحيى بن يحيى وأبو مصعب أحمد بن أبي بكر ويحيى بن بكير وعبد الرزاق ومطرف بن عبد الله جماعتهم عن مالك وهو في «الموطأ» (١/٢١٤، ٣٢/٢١٥ و ٢٤٦/٤٢٢) عن زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش، عن طلحة بن عبيد الله بن كريب أن النبي ﷺ قال: «أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

وأخرجه من طريق مالك عبد الرزاق في «المصنف» (ج ٤/رقم ٨١٢٥): والمحامي في «الدعاء» (٦٣)؛ والبيهقي في «الكبرى» (١١٧/٥) وفي «فضائل الأوقات» (١٩١) وفي «الدعوات الكبير»، كما في «إتحاف السادة» (٣٧٣/٤)؛ والبغوي في «شرح السنة» (١٥٧/٧) وقال البيهقي: «هذا مرسل حسن» وله شاهد عن علي بن أبي طالب مرفوعاً مثله أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٨٧٤) وفي «فضل عشر ذي الحجة» (٢/١٣) بسند قال فيه الترمذي (٣٥٢٠): «ليس إسناده بالقوي» وشاهد آخر عن عبد الله بن عمرو أخرجه الترمذي (٣٥٨٥)؛ وأحمد (٦٩٦١)؛ والمحامي في «الدعاء» (٦٤)؛ والبيهقي في «فضائل الأوقات» (١٩٢) بإسناد ضعيف وشاهد ثالث عن ابن عمر أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤٦٢/٣)؛ والطبراني في «الدعاء» (٨٧٥) وفي «كتاب المناسك» كما في «الإتحاف» (٣٧٣/٤) بسند فيه الفرج بن فضالة وهو منكر الحديث. وله شاهد رابع من مرسل المطلب بن عبد الله بن حنطب. أخرجه الأصبهاني في «الترغيب» (٢٤٨٢) وهو مرسل حسن الإسناد، فالحديث محتمل للتحسين بهذا المرسل، ومرسل طلحة بن عبيد الله بن كريب، بفتح الكاف، والله أعلم.

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(ه) و(ي).

(٢) ساقط من (ن) وفي قوله: «السنن» تساهل إذ لم يخرج الترمذي كما مر بك.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ٨/رقم ٤٠٨٨) من طريق خالد بن يزيد، حدثنا ابن أبي ذئب عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أي الدعاء خير أدعو به في صلاتي؟ قال: نزل جبريل ﷺ فقال: «إن خير الدعاء أن تقول في الصلاة: اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، ولك الخلق كله، وإليك يرجع الأمر كله، أسألك من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله».

ونقل البيهقي عن الحاكم أنه قال: «تفرد به خالد بن يزيد العمري، عن ابن أبي ذئب».

قلت: وسنده ضعيف جداً، وخالد بن يزيد كذبه أبو حاتم وقال البخاري: «ذاهب الحديث» وقال ابن حبان: «منكر الحديث، يروى الموضوعات عن الثقات» وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص أن أعرابياً قال للنبي ﷺ: علمني دعاءً لعل الله أن ينفعني به قال: «قل: اللهم لك الحمد كله، وإليك يرجع الأمر كله».

أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٠٨٧) وسنده مقارب. والله أعلم.

(٤) في (ج) و(ل): «الملك كله، والحمد كله».

ذلك صحيح في حق الله تعالى، ^(١) [ولا يستعمل الرب لغير الله، بل بالإضافة؛ تقول: رب الدار ورب كذا. وأما الرب فلا يقال إلا لله ﷻ، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم] ^(١).

والعالمين: جمع عالم، ^(١) [وهو كل موجود سوى الله ﷻ] ^(١).

والعالم: جمع لا واحد له من لفظه. والعوالم أصناف المخلوقات في السموات وفي البر والبحر، وكل قرن منها وجيل يسمى عالماً أيضاً.

وقال بشر بن عمار ^(٢)، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: «الحمد لله رب العالمين»: الحمد لله الذي له الخلق كله: السموات (والأرضون) ^(٣) (ومن فيهن) ^(٤) وما بينهن مما نعلم ومما لا نعلم.

وفي رواية سعيد بن ^(٥) جبير، وعكرمة ^(٦)، عن ابن عباس: رب الجن والإنس. وكذلك قال سعيد ^(٧) بن جبير، ومجاهد ^(٨)، وابن جريج ^(٩)، وروي عن علي نحوه. (قال) ^(١٠) ابن أبي حاتم،

(١) ساقط من (ز).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٥٦)؛ وابن أبي حاتم (١٤) من طريق أبي كريب محمد بن العلاء، حدثنا عثمان بن سعيد الزيات، ثنا بشر بن عمار بسنده. وسنده ضعيف جداً، ومَرَّ الكلام عليه.

(٣) في (ن): «الأرض».

(٤) ساقط من (هـ) ووقع في (ن): «وما فيهن».

(٥) رواية سعيد بن جبير: أخرجه ابن جرير (١٥٨)؛ وابن أبي حاتم (١٨)؛ والحاكم (٢٥٨/٢) من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره وسنده صحيح وعطاء بن السائب وإن كان اختلط فقط رواه عنه سفيان الثوري عند الحاكم وسمع منه قديماً، وقد أردف الحاكم هذا الأثر بقوله: «ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند» وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٣/١) للفرابي وعبد بن حميد وابن المنذر وزعم أن ابن أبي حاتم صححه! ونسب الشوكاني في «فتح القدير» (٢١/١) التصحيح إلى الحاكم وهو أقرب وإن لم أر تصحيحه في «المستدرک» فلعله سقط منه فإنه كثير السقط والتحريف.

(٦) ورواية عكرمة: أخرجه ابن جرير (١٥٧) من طريق الضحاك بن مخلد، عن شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله ورجاله ثقات إلا شبيب بن بشر فمختلف فيه فوثقه ابن معين وابن شاهين وليه أبو حاتم وغمزه ابن حبان وضعفه ابن الجوزي.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٥٩، ١٦٠) من طريق عطاء بن السائب وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير، ورواية عمرو بن دينار فيها زيادة والأثر حسن بمجموع الطريقين. والله أعلم.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٦١) قال: حدثني محمد بن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد فذكره. وسنده ضعيف جداً. وابن حميد الرازي وإياه، ومهران هو ابن أبي عمر في روايته عن الثوري اضطراب وقد خالفه أبو أحمد الزبيري فرواه عن الثوري، عن رجل، عن مجاهد أخرجه ابن جرير (١٦٢) قال: حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، ثنا أبو أحمد الزبيري وهذه الرواية أولى من الأولى مع ضعف سندها، فإن الثوري لم يسمع من مجاهد شيئاً؛ لأن الثوري ولد سنة (٩٧) ومات مجاهد سنة (١٠٠) أو بعدها بقليل كما قال الشيخ أحمد شاكر وعزاه السيوطي في «الدر» (١٣/١) لعبد بن حميد.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٦٥) من طريق الحسين بن داود قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج به وسنده جيد، والحسين هو «سنيد» وسماعه من حجاج الأعور صحيح كما بين ذلك الشيخ العلامة ذهبي العصر المعلمي اليماني ﷺ في «التنكيل» (٢٢٦/١، ٢٢٧).

(١٠) في (ج) و(ز): «قاله».

بإسناد لا يُعتمد عليه ^(١) [واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وهم الجن والإنس. قال الفراء، وأبو عبيدة: العالم عبارة عما يعقل، وهم الإنس والجن، والملائكة، والشياطين؛ ولا يقال للبهائم عالم ^(٢).

^(٣) [وعن زيد بن أسلم (وأبي عمرو بن العلاء) ^(٣)، (وأبي محيصن) ^(٤): العالم كل ما له روح ترفرف] ^(٢).

وقال قتادة ^(٥): رب العالمين: كل صنف عالم ^(٦) [وقال الحافظ (ابن عساكر) ^(٧) في «ترجمة مروان بن الحكم» ^(٨)، وهو (أحد) ^(٩) خلفاء بني أمية، وهو يعرف (بالجعدي) ^(١٠) ويلقب بالحمار: أنه قال: خلق الله سبعة عشر ألف عالم؛ أهل السموات وأهل الأرض عالم واحد، وسائرهم لا يعلمهم إلا الله ﷻ] ^(٦).

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية - في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ - قال: الإنس عالم، والجن عالم، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف، أو أربعة عشر ألف عالم - هو يشك - الملائكة على الأرض، وللأرض أربع زوايا، في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم، خلقهم الله لعبادته رواه ابن ^(١١) جرير، وابن أبي حاتم. ^(١٢) [وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح] ^(١٢).

وقال ابن أبي ^(١٣) حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الفرات - يعني ابن الوليد، عن (مغيث) ^(١٤) بن سمي عن تبيع - يعني الحميري - في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: العالمين ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. ^(١٥) [وحدثني مثله عن سعيد بن المسيب] ^(١٥).

وقد روى نحو هذا مرفوعاً، كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى في «مسنده» ^(١٦): حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد، حدثني محمد بن

(١) ساقط من (ز). (٢) ساقط من (ز) و(ع).

(٣) من (ج) و(ك) و(ل). (٤) من (ن) و(ه) و(ي).

(٥) أخرجه ابن جرير (١٦٣) بسند صحيح. (٦) ساقط من (ز) و(ع) و(ك).

(٧) ساقط من (ن). (٨) في «تاريخ دمشق» (ج ١٦/ ٣٣٨ - ٣٦٣).

(٩) كذا في (ن) و(ه) و(ي) ووقع في (ج) و(ل): «آخر» وهو خطأ.

(١٠) في (ن): «الجعد».

(١١) أخرجه ابن جرير (١٦٤)؛ وابن أبي حاتم (١٥) وسنده جيد.

(١٢) ساقط من (ز) و(ي).

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٤٥) من طريق أبي حاتم الرازي بسنده سواء

ورجاله ثقات إلا فرات بن الوليد فلم أجد له ترجمة، ولعله «فرات الجبيلي» المترجم في «تاريخ دمشق»

(ج ١٤/ ٢٠٤) لابن عساكر فقد ذكر أن الوليد بن مسلم روى عنه والله أعلم وسقط ذكره في «مختصر تاريخ

دمشق» (٢٠/ ٢٦١) لابن منظور.

(١٤) في (ز) و(ك): «معتب»! وهو خطأ ظاهر.

(١٥) ساقط من (ز) و(ي).

(١٦) لم أجدّه في «مسنده» المطبوع، فلعله في «المسند الكبير» وقد نسبه لأبي يعلى: السيوطي في «الدر المنثور» =

عيسى بن كيسان، حدثنا محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله؛ قال: قل الجراد في سنة من سني عمر التي وُلِّي فيها، فسأل عنه فلم يخبر بشيء، فاغتم لذلك، فأرسل راكباً يضرب إلى كذا^(١)، وآخر إلى الشام، وآخر إلى العراق، يسأل: هل رؤى من الجراد شيء أم لا؟ قال: فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد، فألقاها بين يديه؛ فلما رآها كبر، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله ألف أمة؛ ستمائة في البحر، وأربعمائة في البر؛ فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد؛ فإذا هلك تابعت مثل النظام إذا قطع سلكه». محمد بن عيسى هذا وهو الهلالي، ضعيف^(٢).

^(٣) [وحكى البغوي^(٤)، عن سعيد بن المسيب - أنه قال: لله ألف عالم: ستمائة في البحر وأربعمائة في البر. وقال وهب^(٥) بن منبه: لله ثمانية عشر ألف عالم؛ الدنيا عالم منها. وقال مقاتل: العوالم ثمانون ألفاً. وقال كعب الأحبار: لا يعلم عدد العوالم إلا الله ﷻ - (نقله كله البغوي^(٦)).

وحكى القرطبي^(٧) عن أبي سعيد الخدري أنه قال: إن لله أربعين ألف عالم، الدنيا من شرقها إلى مغربها عالم واحد منها.

وقال الزجاج: العالم: (كل ما خلق الله)^(٨) في الدنيا والآخرة^(٩).

= (١٣/١)، وفي «اللائئ المصنوعة» (٨١/١)؛ والحافظ في «المطالب العالية» (٢٣٣٩)؛ وأخرجه ابن أبي عاصم في «الأوائل» (ق ١٣/١، ٢)؛ وابن عدي في «الكامل» (٥/١٩٩٠، ٦/٢٢٤٨)؛ ونعيم بن حماد في «الفتن» (٦٧٤)؛ وابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٥٦، ٢٥٧)؛ والدولابي في «الكنى» (٢/٢٥)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٣٨)؛ والحكيم الترمذي في «النوادر»، كما في «تنزيه الشريعة» (١/١٩٠)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٧/رقم ١٠١٣٢ - ١٠١٣٥)؛ والخطيب في «تاريخه» (١١/٢١٧، ٢١٨) من طريق عبيد بن واقد بسنده سواء.

ووقع عند الخطيب: «جابر عن ابن عمر» وأرى أن ذكر «ابن عمر» خطأ في الإسناد وهذا حديث باطل، قال ابن حبان: «موضوع لا شك فيه» وكذلك قال ابن الجوزي، ومحمد بن عيسى ذاهب الحديث تالف.

(١) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي): وكذلك وقع في «المجروحين» من رواية أبي يعلى. ووقع في (ز) و(ن): «اليمن» وكذا وقع في «المطالب» وعند البيهقي والخطيب وابن عدي فكان قوله: «اليمن» تفسير لهذا الإبهام، ووقع في «الدر المنثور»: «كداء» فإن صح هذا فلعله يفسر ما في (ع) فقد رسمت الكلمة فيها هكذا «كدي» فلعله أراد «كدي» وهي مناخ من خرج من مكة يريد اليمن كما في «مراصد الاطلاع» (٣/١١٥١) وبهذا تجتمع الروايتان والله أعلم.

(٢) في هذا التضعيف تسامح، فالرجل ضعيف جداً كما يعلم من كلمات العلماء فيه.

(٣) ساقط من (ز) و(هـ).

(٤) في «تفسيره» (٤٠/١)

(٥) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٩٤٦)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٤/٧٠) من طريق عبد المنعم بن إدريس وحماد بن سلمة، عن إدريس بن سنان، عن وهب بن منبه. وسنده ضعيف أو وإدريس بن سنان وضعفه ابن عدي وتركه الدارقطني، وقال ابن معين: «يكتب من حديثه الرقاق» وهذا تضعيف له.

(٦) من (ج) و(ل) و(ي). (٧) في «تفسيره» (١/١٣٨).

(٨) كذا في (ن). وفي (ي): «ما خلقه» وكذلك في (ج) ولكنه لم يذكر لفظ الجلالة. وفي (ك): «العالم كلما خلقه في الدنيا...!» وفي (ل): «العالم كلما خلقه الله!!»

(١) [قال القرطبي^(٢): وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين؛ كقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ [الشعراء].

والعالم: مشتق من العلامة. قلت: لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته؛ كما قال ابن المعتز:

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد^(١)

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٣)

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٣) تقدم الكلام عليه في البسملة بما أغنى عن الإعادة.
(٣) [قال القرطبي^(٢): إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب؛ كما قال تعالى: ﴿يَتَّقْ عِبَادِي أَفَى أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ﴾ (٤) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٥﴾ [الحجر] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَفَعُولٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥] قال: فالرب فيه ترهيب، والرحمن الرحيم ترغيب^(٣).

(٤) [وفي «صحيح مسلم»^(٥)، عن إبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد»^(٤).

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٦)

قرأ بعض القراء: «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ» وقرأ آخرون «مَلِكِ» وكلاهما صحيح متواتر في السبع^(٤) [ويقال: «مَلِكِ»^(٧) - بكسر اللام وبإسكانها، ويقال: «ملك» أيضاً، وأشبع نافع كسرة الكاف؛ فقرأ «ملكي يوم الدين». وقد رجح كلاً من القرائتين مرجحون من حيث المعنى، وكلاهما (صحيحة)^(٨) حسنة. ورجح الزمخشري^(٦): «ملك»؛ لأنها قراءة أهل الحرمين؛ ولقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] وقوله: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وحكي عن أبي حنيفة أنه قرأ «مَلِكُ يوم الدين» عن أنه فعل وفاعل ومفعول وهذا شاذ غريب جداً^(٤).

وقد روى أبو بكر بن أبي داود^(٩) في ذلك شيئاً غريباً حيث قال: حدثنا أبو عبد الرحمن

(٢) في «تفسيره» (١/١٣٩).

(٤) ساقط من (ز) و(ه).

(١) ساقط من (ز) و(ه).

(٣) ساقط من (ز) و(ه).

(٥) أخرجه مسلم (٢٣/٢٧٥٥) من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً.

وأخرجه البخاري (٣٠١/١١) من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة وفيه زيادة.

(٦) وقع في (ن): «مالك» وهو تحريف.

(٦) في «الكشاف» (٧/١).

(٨) في (ك): «صحيح»!

(٩) في «المصاحف» (ص ٩٣).

(الأذرمي)^(١)، حدثنا عبد الوهاب (عن)^(٢) عدي بن الفضل، عن أبي المطرف، عن ابن شهاب^(٣) - أنه بلغه أن رسول الله ﷺ وأبا بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية، كانوا يقرؤون ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال ابن شهاب: وأول من أحدث «ملك» مروان.

قلت: مروان عنده علم بصحة ما قرأه، لم يطلع عليه ابن شهاب. والله أعلم.

وقد روى من طرق^(٤) متعددة أوردها مردويه أن رسول الله ﷺ كان يقرأها ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ومالك مأخوذ من المُلْك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم]. وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [١] مَلِكِ النَّاسِ [٢] [الناس] و«ملك» مأخوذ من الملك. كما قال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وقال: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [٥] [الفرقان].

وتخصيص المُلْك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه؛ لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين؛ لأنه لا يدعى أحد هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، كما قال (تعالى)^(٦): ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [٢٨] [النبا] وقال تعالى: ﴿وَحُشِعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقْتُ وَسَعِيدٌ﴾ [١٥٥] [هودا].

وقال الضحاك^(٧) عن ابن عباس: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول: لا يملك أحد في ذلك

(١) وقع في (ل) و(ن): «الأزدي»! وهو تصحيف. (٢) وقع في جميع «الأصول»: «ابن» وهو تصحيف.

(٣) وسنده ضعيف جداً، وهو مع إرساله أو إعضاله، فإن عدي بن الفضل ساقط، لكنه توبع تابعه عبد الوارث بن سعيد ووهيب بن خالد، وهارون الأعور ثلاثتهم عن أبي المطرف طلحة بن عبيد الله بن كريب، بفتح الكاف، عن الزهري أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرؤون «مالك». ولم يذكر «عثمان» في رواية عبد الوارث. أخرجه أبو عمر الدوري في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» (٤، ٥، ٦) وأخرجه الدوري (٨) قال: حدثنا عفان، ثنا خالد بن يزيد، عن شيخ يكنى أبا مطرف، أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ومعاوية قرأوا «مالك» وأول من قرأها «ملك» مروان. وأخرجه أبو داود (٤٠٠٠) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، قال معمر: وربما ذكر ابن المسيب، فساقه مثله.

(٤) ومدارها على الزهري، واختلف عليه فيه اختلافاً كثيراً، فمرة يروونه عنه عن أنس ومرة عنه عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، ومرة عنه عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ومرة عنه عن سعيد بن المسيب مرسلًا، وتارة يروونه عنه معضلاً أو مرسلًا، والحديث لا يصح من جميع وجوهه وقد فصلتها في «التسلية» والحمد لله.

(٥) من (ن) و(ه).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٦٦)؛ وابن أبي حاتم (٢٤) من طريق أبي كريب، ثنا عثمان بن سعيد الزيات، ثنا بشر بن عمار، عن أبي روق عن الضحاك، عن ابن عباس فذكره. وسنده ضعيف جداً، وبشر بن عمار واو. والضحاك لم يسمع من ابن عباس ومرو الكلام عليه.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٦٦)؛ وابن أبي حاتم (٢٤) من طريق أبي كريب، ثنا عثمان بن سعيد الزيات، ثنا بشر بن عمار، عن أبي روق عن الضحاك، عن ابن عباس فذكره. وسنده ضعيف جداً، وبشر بن عمار واو. والضحاك لم يسمع من ابن عباس ومرو الكلام عليه.

اليوم معه^(١) حكماً، كملكهم في الدنيا؛ قال: ويوم الدين: يوم الحساب للخلائق؛ وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه. وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف، وهو ظاهر.

وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه ذهب إلى أن تفسير ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٢) أنه القادر على إقامته، ثم شرع يضعفه.

والظاهر أنه لا منافاة بين هذا القول وما تقدم، وأن كلاً من القائلين (بهذا)^(٣) القول وبما قبله يعترف بصحة القول الآخر، ولا ينكره؛ ولكن السياق أدل على المعنى الأول من هذا كما قال تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ (وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا)^(٤) [الفرقان: ٢٦].

والقول الثاني يشبه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: ٧٣] والله أعلم.
^(٤) [والمَلِكُ في الحقيقة هو الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ...﴾ [الحشر: ٢٣].

وفي «الصحيحين»^(٥) [٤].

^(٦) [عن أبي هريرة (رضي الله عنه)] مرفوعاً: «أخنع اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك، ولا (مالك)^(٨) إلا الله (تعالى)^(٧)».

«وفيهما»^(٩) عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يقبض الله الأرض»،^(٦) [ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟].

وفي القرآن العظيم ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فأما تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧] ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠]. وفي «الصحيحين»^(١١): «مثل الملوك على الأسرة».

والدين: الجزاء والحساب كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥] وقال: ﴿أَوَلَا لِمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣] أي: مجزيون محاسبون. وفي الحديث^(١٢): «الكيس من دان نفسه، وعمل لما»^(١٠).....

(١) ساقط من (ك) ووقعت العبارة في (ن): «لا يملك أحد معه في ذلك... إلخ».

(٢) في (ن): «لهذا».

(٣) زيادة من (ن).

(٤) ساقط من (ز).

(٥) أخرجه البخاري (٥٨٨/١٠)؛ ومسلم (٢٠/٢١٤٣).

(٦) ساقط من (ز).

(٧) من (ن).

(٨) كذا وقع في «ن» ووقع في سائر «الأصول»: «ملك» وإنما أثبت ما في (ن)؛ لأنها الموافقة لما في «مسلم» و«البيهقي» في كتابيه فقد رواه كلاهما عن ابن أبي شيبة بلفظ: «مالك».

(٩) يعني: في «الصحيحين». فأخرجه البخاري (٣٧٢/١١)، (٣٦٧/١٣)؛ ومسلم (٢٣/٢٧٨٧).

(١٠) ساقط من (ز).

(١١) أخرجه البخاري (١٠/٦ و ٣٩١/١٢)؛ ومسلم (١٦٠/١٩١٢).

(١٢) لكنه حديث ضعيف.

(١) [بعد الموت]؛ أي: حاسب نفسه؛ كما قال عمر (٢) [ﷺ] (١) (٣) [حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر (على من لا تخفى عليه أعمالكم) (٤) ﴿يَوْمَ يُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافَةٌ﴾ [الحاقة].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء من ﴿إِيَّاكَ﴾ وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر، وهي قراءة شاذة (مرذولة) (٥)؛ لأن «إيا» ضوء الشمس. وقرأ بعضهم أيّاك - بفتح الهمزة وتشديد الياء. وقرأ بعضهم هياك؛ فالهاء بدل الهمزة، كما قال الشاعر:

فهياك والأمر الذي إن تراحت (٦) موارده ضاقت عليك مصادره

و﴿نَسْتَعِينُ﴾ بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوى يحيى بن وثاب، والأعمش، فإنهما كسراها؛ وهي لغة بني أسد وربيعة وبني تميم (وقيس) (٧) (٣). والعبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد، وبغير معبد؛ أي: مذلل. وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف.

= أخرجه الترمذي (٢٤٥٩) وحسنه؛ وابن ماجه (٤٢٦٠)؛ وأحمد (١٢٤/٤)؛ وفي «الزهد» (ص ٣٨)؛ وابن المبارك في «الزهد» (١٧١)؛ والطبراني في «معجمه» (١١٢٢)؛ وابن أبي الدنيا في «محاسنة النفس» (١)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٧/رقم ٧١٤٣)؛ وفي «مسند الشاميين» (١٤٨٥)؛ والحارث بن أبي أسامة في «مسنده»؛ والحاكم (١/٥٧ - ٢٥١/٤)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٣/٣٦٩)؛ وفي «الشعب» (ج ٧/رقم ١٠٥٤٦)؛ وفي «الآداب» (١١٣٠)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٦٧، ٢٦٨، ١٧٤/٨)؛ والعسكري في «الأمثال»؛ والخطيب في «تاريخه» (١٢/٥٠)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٣٠٨/١٤، ٣٠٩)؛ والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٨٥)؛ وأبو يعلى الفراء في «الأمالي» (ج ٦/٤١١)؛ وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ٣٦، ٣٧) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب، عن شداد بن أوس مرفوعاً وتماه: «والعاجز من أتبع نفسه هواها، ثم تمنى على الله». قال الحاكم: «صحيح على شرط البخاري» فردّه الذهبي بقوله: «لا والله! وأبو بكر وإه» وقال ابن طاهر: مدار هذا الحديث عليه وهو ضعيف جداً، كما في «إتحاف السادة» (٧/٤٤)، وقال ابن عدي في «الكامل» (٢/٤٧٣): «ولأبي بكر بن أبي مريم غير ما ذكرت من الحديث والغالب على حديثه الغرائب، وقل ما يوافقه الثقات، وأحاديثه صالحة، وهو ممن لا يحتج بحديثه». ونقل الزبيدي في «إتحاف السادة» (٨/٤٢٨) عن أبي نعيم الأصبهاني أن للحديث طريقاً آخر وذكره فعلق الزبيدي قائلاً: وكأنه نظر إلى هذا الحاكم فصحه وتعقبه الذهبي بأن ابن أبي مريم وإه وكذا قال ابن طاهر: إن مداره على أبي بكر بن أبي مريم وهو ضعيف جداً وكأنهم لم يروا ما توبع عليه فتأمل. اهـ.

(١) ساقط من (ز).

(٢) أخرجه الترمذي (٦٣٨/٤) معلقاً بصيغة التمريض ووصله ابن أبي الدنيا في «محاسنة النفس» قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، ثنا سفيان بن عيينة، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج، قال: قال عمر بن الخطاب فذكره وفيه: «قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم..» وأخرجه أبو الليث السمرقندي في «تنبيه الغافلين» (ص ٤٤٢، ٤٤٣) من طريق سفيان به. وهذا سند رجاله ثقات لكنه منقطع بين ثابت بن الحجاج وعمر بن الخطاب فلم يدره.

(٣) ساقط من (ز). (٤) من (ن) و(هـ) و(و).

(٥) كذا في (ج) و(ل) و(هـ) و(و) ووقع في (ك) و(ن): «مردودة».

(٦) في «تفسير القرطبي» (١/١٤٦): «توسعت». (٧) من (ج) و(ل).

وقدم المفعول، وهو «إياك»، وكرر؛ للاهتمام والحصر؛ أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك؛ وهذا هو كمال الطاعة.

والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين.

وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ⑤ فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله ﷻ. وهذا المعنى في غير آية من القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّتًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩] ﴿رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ ⑥ [المزمل] وكذلك هذه الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ⑤.

وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب، وهو (مناسب) ^(١)؛ لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى؛ فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ⑤.

وفي هذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنی، وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك؛ ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه، كما جاء في «الصحيحين» ^(٢)، عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

وفي «صحيح مسلم» ^(٣) من حديث العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل؛ إذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ① قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ② قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ③ قال الله: مجدني عبدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ④ قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ⑤ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑥ [الفاتحة] قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل».

وقال الضحاك ^(٤)، عن ابن عباس ؓ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني: إياك نوحده ونخاف (ونرجو) ^(٥) يا ربنا لا غيرك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على طاعتك، وعلى أمورنا كلها.

وقال قتادة ^(٦): ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يأمركم أن تخلصوا له العبادة، وأن تستعينوه على أموركم.

(١) في (ز) و(ع) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي): «مناسبة».

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٦/٢، ٢٣٧)؛ ومسلم (٣٩٤/٣٤) وقد مضى تخريجه.

(٣) (٣٩٥/٣٩) ومضى تخريجه.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٧١، ١٧٢)؛ وابن أبي حاتم (٢٧) من طريق أبي كريب، ثنا عثمان بن سعيد، ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس. وسنده ضعيف جداً وتقدم مراراً.

(٥) في (ن): «نرجو».

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٨) من طريق مطر الوراق عن قتادة. وسنده لا بأس به ومطر الوراق كان أكبر أصحاب قتادة كما قال أبو حاتم، وقال ابن معين: «صالح» وضعفه غيره وروايته عن عطاء ضعيفة.

وإنما قدم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأن العبادة له هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم، والله أعلم.

^(١) [فإن قيل: فما معنى النون في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟] فإن كانت للجمع فالداعي واحد، وإن كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام؟^(١).

^(٢) [وقد أجب بأن المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد، والمصلي فرد منهم، ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم؛ فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها، وتوسط لهم بخير.

ومنهم من قال: يجوز أن تكون للتعظيم، كأن العبد قيل له: إذا كنت داخل العبادة فأنت شريف وجاهك عريض؛ فقل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.]

وإن كنت خارج العبادة فلا تقل: نحن، ولا فعلنا، ولو كنت في مائة ألف، أو ألف ألف، (لافتقار الجميع إلى الله ﷻ)^(٣).

ومنهم من قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ألطف في التواضع من «إياك (أعبد)»^(٤)؛ لما في الثاني من (تعظيمه)^(٥) نفسه من جعله نفسه وحده أهلاً لعبادة الله تعالى الذي لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادته، ولا يثني عليه كما يليق به؛ والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد، لانتسابه إلى جناب الله تعالى؛ كما قال بعضهم:^(٦)

^(٦) [لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

وقد سمى الله رسوله ﷺ بعبده في أشرف مقاماته؛ (فقال)^(٧): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١] ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] فسماه: عبداً عند إنزاله عليه، وقيامه في الدعوة، وإسرائه به، وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ٩٧ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ٩٨ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ٩٩ [الحجر].

وقد حكى (فخر الدين)^(٨) (الرازي)^(٩) في «تفسيره»^(١٠) عن بعضهم أن مقام العبودية أشرف من مقام الرسالة، لكون العبادة تصدر من الخلق إلى الحق، والرسالة من (الحق إلى الخلق)^(١١)؛ قال: ولأن الله (يتولى)^(١٢) مصالح عبده، والرسول (يتولى)^(١٣) مصالح (أُمَّته)^(١٤).

وهذا القول خطأ، والتوجيه أيضاً ضعيف لا حاصل له، ولم يتعرض^(١٤) [له (فخر الدين)^(١٥)]

(١) ساقط من (ز).

(٣) وقع في (ن): «لاحتياج الجميع إلى الله ﷻ وقرهم إليه».

(٤) في (ن): «عبدنا».

(٦) ساقط من (ز).

(٨) ساقط من (ن).

(١٠) «تفسير الرازي» (٢٥٤/١).

(١٢) في (ج) و(ل): «متولى».

(١٤) ساقط من (ز).

(٢) ساقط من (ز).

(٥) في (ن): «تعظيم».

(٧) من (ن) و(هـ) و(ي).

(٩) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي).

(١١) ساقط من (هـ).

(١٣) في (هـ) و(ي): «العبد» وهو سبق قلم.

(١٥) ساقط من (ن).

(١) [الرازي] (٢) بتضعيف ولا رد.

وقال بعض الصوفية: العبادة إما لتحصيل ثواب (ورد) (٣) عقاب؛ قالوا: وهذا ليس بطائل؛ (إذ مقصوده تحصيل مقصوده) (٤) وإما (للتشريف) (٥) بتكاليف الله تعالى؛ وهذا أيضاً عندهم ضعيف؛ بل العالي أن يعبد الله لذاته المقدسة الموصوفة بالكمال؛ قالوا: ولهذا يقول المصلي: أصلي لله، ولو كان لتحصيل الثواب (ودرء العذاب) (٦) لبطلت (صلاته) (٧).

وقد رد ذلك عليهم آخرون، وقالوا: كون العبادة لله ﷻ لا ينافي أن يطلب معها ثواباً، ولا أن يدفع عذاباً، كما قال ذلك الأعرابي: أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ؛ إنما أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار؛ فقال النبي ﷺ: «حولها ندندن» (٨) [١].

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

(١) [قراءة الجمهور بالصاد] (٩)، وقرئ السراط؛ وقرئ بالزاي. قال الفراء: وهي لغة بني عذرة وبني كلب (١). لما تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال؛ كما قال: «فصنفها لي؛ ونصفها لعبدي؛ ولعبي ما سألت». وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسؤوله، ثم يسأل حاجته (١) [وحاجة إخوانه المؤمنين (بقوله) (١٠): «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١١)] (١)؛ لأنه أنجح للحاجة؛ وأنجح للإجابة؛ ولهذا أرشد الله إليه؛ لأنه الأكمل؛ وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه، كما قال موسى (عليه السلام) (١٢): «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ

(١) ساقط من (ز).

(٢) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(ها) و(ي).

(٣) في (ن) و(ي): «أو درء».

(٤) كذا في (ج) و(ل) و(ن) ووقع في (ك): «إذ يحصل مقصوده»، ووقع في (ها) و(ي): «إذ تحصيله تحصيل مقصوده».

(٥) في (ن) و(ك): «للتشريف».

(٦) كذا في (ج) و(ل) و(ي) و(ها): «درء عقاب» وفي (ن): «درء العقاب» وفي (ك): «رد العذاب».

(٧) في (ن): «الصلاة».

(٨) أخرجه ابن ماجه (٩١٠، ٣٨٤٧)؛ وابن خزيمة (٧٢٥)؛ وابن حبان (٥١٤) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: «ما تقول في الصلاة؟» قال: أتشهد ثم أقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار... الحديث. وإسناده صحيح، وصححه النووي والبوصيري في «الزوائد» ولكن خولف جرير بن عبد الحميد، خالفه زائدة بن قدامة، فرواه عن الأعمش، عن أبي صالح عن بعض أصحاب النبي ﷺ... فذكره، أخرجه أحمد (٤٧٤/٣)؛ وأبو داود (٧٩٢)، ويمكن حمل إحدى الروايتين على الأخرى مع أن رواية زائدة أشبه، والحديث صحيح على كل حال، فقد أخرجه أبو داود (٧٩٣)؛ وابن خزيمة (١٦٣٣، ١٦٣٤)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٧٤/٣)؛ والبيهقي (١١٦/٣، ١١٧) بسند جيد. من حديث جابر وأصلحه في «الصحيحين» من وجه آخر. وأخرجه أحمد (٧٤/٥) عن رجل من بني سلمة يقال له: سليم فذكر نحوه. ورجاله ثقات.

(٩) من (ن) و(ها).

(١٠) في (ج): «فقوله»!

(١١) من (ن).

(١٢) من (ز) و(ن).

فَقِيرٌ ﴿[القصص: ٢٤] وقد يتقدمه مع ذلك وصف مسؤول؛ كقول ذي النون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤول؛ كقول الشاعر:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شميئك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء
والهداية ههنا: الإرشاد والتوفيق، وقد تتعدى الهداية بنفسها، كما هنا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا، أو أرزقنا أو أعطنا: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (٢) [البلد] أي: بينا له الخير والشر. وقد تُعدى بالي؛ كقوله (تعالى) (٢): ﴿أَجْتَنَّهُ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١] ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَمِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة؛ وكذلك قوله (تعالى) (٣): ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] وقد تعدى باللام؛ كقول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] أي: وفقنا لهذا، وجعلنا له (أهلاً) (٤).

وأما الصراط المستقيم فقال الإمام أبو جعفر (٥) بن جرير: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه؛ (وكذلك) (٦) في لغة جميع العرب؛ فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم
قال: والشواهد على ذلك أكثر من أن (تحصّر) (٧) قال: ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل ووصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته، والمعوج باعوجاجه. ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله وللرسول؛ فروي أنه كتاب الله؛ قال ابن أبي (٨) حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثني يحيى بن يمان، عن حمزة الزيات، عن سعد - وهو أبو المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصراط المستقيم كتاب الله».

وكذلك رواه ابن جرير من حديث حمزة بن حبيب الزيات، وقد (٩) [تقدم في فضائل القرآن فيما] (٩) رواه أحمد والترمذي، من رواية الحارث الأعور عن علي مرفوعاً؛ «وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم».

(١) هو أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان. وهي في «ديوانه» (١٧) وهذان البيتان من أعذب الشعر وأجمله. ووقع في بعض الكتب: «الحباء» بالموحدة بدل التحتانية وهو تصحيف.

(٢) من (ز) و(ن). (٣) من (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).

(٤) ساقط من (ع) و(هـ) و(ي). وفي (ج): «وجعلنا أهلاً له».

(٥) في «تفسيره» (١٧٠/١ - شاكراً). (٦) في (ن): «وذلك».

(٧) كذا في سائر «الأصول»، ووقع في (ك): «تحصى» وهو الموافق لما في «تفسير ابن جرير».

(٨) في «تفسيره» (٣٢) وهو حديث ضعيف جداً وقد تقدم تخريجه في أوائل «فضائل القرآن».

(٩) ساقط من (ز).

وقد روي موقوفاً (على) ^(١) علي عليه السلام؛ وهو أشبه ^(٢). والله أعلم.

وقال الثوري ^(٣)، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: الصراط المستقيم كتاب الله. وقيل: هو الإسلام.

وقال الضحاك ^(٤)، عن ابن عباس؛ قال: قال جبريل لمحمد ﷺ: «قل يا محمد: اهدنا الصراط المستقيم»، يقول: (ألهمنا) ^(٥) الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا (عوج) ^(٦) فيه. وقال ميمون بن ^(٧) مهران، عن ابن عباس - في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ^(٨) - قال: ذاك الإسلام.

وقال إسماعيل ^(٨) بن عبد الرحمن السدي الكبير، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن

(١) في (ز) و(ك): «عن».

(٢) كذا قال المصنف رحمه الله! ولا يصح الموقوف أيضاً؛ لأن مداره على الحارث الأعور، وهو وإه.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٧٧)؛ والحاكم (٢٥٨/٢)؛ البيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٧٩٠) من طريق سفيان الثوري بسنده سواء.

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

قلت: إن كان بالنظر إلى الإسناد من عند سفيان الثوري فصاعداً فنعم، وإلا فقد رواه الحاكم من طريق الحسن بن علي بن عفان العامري عن أبي داود الحفري عمر بن سعد عن الثوري. والعامري من رجال ابن ماجه وحده، والحفري من أفراد مسلم دون البخاري فليس الإسناد على شرط واحد منهما وإن كان صحيحاً. وأخرجه ابن نصر في «السنة» (٢٤)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٠٣/٢)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/١٢) من طريق مسعر بن كدام عن منصور مثله. وأخرجه ابن نصر في «السنة» (٢١) عن إسحاق بن راهويه. والآجري في «الشریعة» (ص ١٢)؛ وعنه ابن بطة في «الإبانة» (١٣٥) عن عثمان بن أبي شيبة كلاهما عن جرير، عن منصور عن أبي وائل، عن عبد الله قال: إن هذا الصراط محتضر يحتضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله! هلم هذا الصراط ليصدوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله، فإن حبل الله هو كتاب الله. وهذا لفظ ابن أبي شيبة.

وأخرجه ابن نصر (٢٢) من طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود مثله وهذه أسانيد صحيحة وعزاء السيوطي في «الدر» (١٥/١) لوكيع وابن المنذر وعبد بن حميد وابن الأنباري في «كتاب المصاحف».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٧٩)؛ وابن أبي حاتم (٣١، ٣٦) من طريق أبي كريب محمد بن العلاء، ثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك به وسنده ضعيف جداً وقد تقدم مراراً.

(٥) كذا في سائر «الأصول» وقع في (ز): «اهدنا». (٦) في (ن): «اعوجاج».

(٧) أخرجه ابن جرير (١٨٠) من طريق الفرات بن السائب، عن ميمون بن مهران به. وسنده ضعيف جداً لأجل الفرات هذا فقد قال البخاري في «التاريخ الكبير» (١٣٠/١/٤) «تركوه، منكر الحديث» وقال أحمد: «قريب من محمد بن زياد الطحان في ميمون يتهم بما يتهم به ذاك». والطحان هذا قال فيه أحمد: «كذاب أعور يضع الحديث» وتركه الدارقطني وغيره. وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢٠٧/٢): «كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، ويأتي بالمعضلات عن الثقات، لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه ولا كتب حديثه إلا على سبيل الاختبار».

(٨) أخرجه ابن جرير (١٦٨، ١٨٢)؛ والحاكم (٢٥٨/٢)، من طريق عمرو بن حماد بن طلحة القناد، قال: حدثنا أسباط بن نصر، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي فذكره.

قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي.

والصواب أنه حسن الإسناد، وأوجز الكلام على هذا الإسناد لكثرة دورانه في كتب التفسير، وقد اختلف =

عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قالوا: هو الإسلام.

وقال عبد^(١) الله بن محمد بن عقيل، عن جابر: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ [قال: (الإسلام هو أوسع)^(٣) مما بين السماء والأرض.

وقال ابن^(٤) الحنفية في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٢﴾، قال: هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره.

= فيه العلماء، وفهمت عبارات بعضهم خطأ.

فاعلم أيها المسترشد أن ابن جرير يروي تفسير السدي من طريق شيخه موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثني عمرو بن حماد القتاد، قال: «حدثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، عن أبي مالك وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ»...

فالإسناد إلى السدي واحد، ثم يتفرع من عنده. ولنتظر فيه.

فاعلم أن السدي يروي تفسيره بعدة أسانيد وبيانها هكذا:

١ - السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس. ٢ - السدي عن أبي صالح، عن ابن عباس.

٣ - السدي عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود. ٤ - السدي عن ناس من أصحاب النبي ﷺ.

فأما الإسناد الأول: فأبو مالك هو الغفاري، واسمه غزوان وثقه ابن معين وابن حبان، وقال ابن سعد (٦/٢٩٥): «كان قليل الحديث».

وأما الإسناد الثاني: ففيه أبو صالح وهو مولى أم هانئ، واسمه باذام ويقال: باذان وفيه كلام كثير والصواب في حاله أنه ضعيف، وهو يروي في التفسير ما لم يتابعه أهل التفسير عليه كما قال ابن عدي، لكنه متابع بأبي مالك الغفاري.

وأما الإسناد الثالث: فمرة الهمداني هو ابن شراحيل، وهو من كبار التابعين الثقات.

وأما الإسناد الرابع: فمنقطع، فإن السدي لم يدرك كبير أحد من أصحاب النبي ﷺ وجملة الكلام أن السدي يروي تفسير القرآن عن اثنين من التابعين عن ابن عباس، وعن تابعي واحد عن ابن مسعود، ومن رواية نفسه عن ناس من الصحابة.

فالإسنادان الأول والثالث جيدان، والثاني والرابع ضعيفان.

وقد أثنى العلماء على تفسير السدي، فقال أبو يعلى الخليلي في «الإرشاد» (١/٣٩٧، ٣٩٨): «وتفسير إسماعيل بن عبد الرحمن السدي فإنما يستند بأسانيد إلى عبد الله بن مسعود وابن عباس وروى عن السدي الأئمة مثل: الثوري وشعبة، لكن التفسير الذي جمعه رواه عنه أسباط بن نصر وأسباط لم يتفقوا عليه، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي» اهـ.

وجملة القول: أن إسناد تفسير السدي جيد حسن. والله أعلم.

(١) أخرجه ابن نصر في «السنة» (٢٥)؛ وابن جرير (١٧٨)؛ والحاكم (٢/٢٥٨، ٢٥٩)؛ والثعلبي في «تفسيره» (٢/١٢/١) من طريق الحسن بن صالح، زاد ابن جرير: وعلي بن صالح، كلاهما عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، والصواب: أن إسناده حسن؛ لأجل الكلام الذي قيل في ابن عقيل. والله أعلم. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/١٤، ١٥) ل«وكيع، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والمحامي في «الأمالي»».

(٢) ساقط من (ل).

(٣) في (ن): «هو الإسلام أوسع» وفي (هـ): «هو الإسلام هو أوسع».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٨١) من طريق إسماعيل الأزرق، عن أبي عمر البزار، عن ابن الحنفية. وإسناده واه، وإسماعيل الأزرق هو ابن سلمان تركه ابن نمير والنسائي. وقال ابن معين: «ليس حديثه بشيء» وقال =

وقال عبد الرحمن^(١) بن زيد بن أسلم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو الإسلام.

وفي معنى هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد في «مسنده»^(٢) حيث قال: حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء، حدثنا ليث - يعني: ابن سعد، عن معاوية بن صالح - أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه، عن النواس بن سمعان، عن رسول الله ﷺ، قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً، ولا تعوجوا، وداع يدعو من (جوف)^(٣) الصراط؛ فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك، لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه؛ فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله؛ وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم».

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، من حديث^(٤) [الليث بن سعد، به ورواه الترمذي، والنسائي، جميعاً، عن علي بن حجر، عن بقية، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن]^(٤) [النواس بن سمعان، به وهو إسناد حسن صحيح والله أعلم.

وقال مجاهد^(٦): ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: الحق، وهذا أشمل، ولا منافاة بينه وبين ما تقدم^(٥).

= ابن حبان: «يفرد بمناكير يرويها عن المشاهير».

(١) أخرجه ابن جرير (١٨٥) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٢/٤، ١٨٣).

وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٧٢١٦)؛ وابن مردويه وعنه الأصبهاني في «الترغيب» (٤٧٣) من طريق إسحاق بن الحسن ثنا الحسن بن سوار بسنده سواء ثم أخرجه البيهقي والطحاوي في «المشكّل» (٢١٤٢)؛ وابن جرير (١٨٧)؛ والآجري في «الشرعية» (ص ١١، ١٢)؛ ومحمد بن نصر في «السنّة» (١٧) من طريق آدم بن أبي إياس، عن الليث بن سعد بسنده سواء. وتويع الليث بن سعد. تابعه عبد الله بن صالح أبو صالح كاتب الليث، فرواه عن معاوية بن صالح به أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٣)؛ وابن جرير (١٨٦)؛ والطحاوي (٢٠٤٣، ٢١٤١)؛ وابن أبي عاصم في «السنّة» (١٩)؛ وابن نصر في «السنّة» (١٦)؛ والآجري في «الشرعية» (ص ١٢، ١٣)؛ والرامهرمزي في «الأمثال» (٣)؛ والحاكم (١/٧٣)؛ وابن مردويه وعنه الأصبهاني في «الترغيب» (٤٧٣)؛ والثعلبي (٢/١٢/١)؛ وابن بطة في «الإبانة» (١٣١) من طرق عن عبد الله بن صالح.

وأخرجه النسائي في «التفسير» (٢٥٣)؛ والترمذي (٢٨٥٩)؛ وأحمد (١٨٣/٤)؛ والطحاوي (٢١٤٣)؛ وابن أبي عاصم في «السنّة» (١٨)؛ وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢٨٠)؛ والطبراني في «مستد الشامي» (١١٤٧)؛ وابن نصر في «السنّة» (١٨) من طرق عن بقية بن الوليد، قال: حدثني بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن النواس بن سمعان فذكره مرفوعاً. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» كذا في «أطراف المزي» (٦١/٩) ووقع في «المطبوعة»: «حديث غريب» وهي كثيرة السقط والتحريف.

(٣) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ن) و(ي) ووقع في (ز) و(ل) و(هـ): «فوق» وأشار في (ن) إلى أنه ورد في نسخة «فوق».

(٥) ساقط من (ج).

(٤) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٥) من طريق خالد بن عبد الرحمن المخزومي، ثنا عمر بن ذر، عن =

(١) [وروى ابن أبي حاتم، وابن جرير، من حديث] (١) أبي النضر هاشم بن القاسم، حدثنا حمزة بن المغيرة، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو النبي ﷺ وصاحبه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن، فقال: صدق أبو العالية ونصح.

وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة، فإن من اتبع النبي ﷺ، واقتدى باللذين من بعده: أبي بكر، وعمر - فقد اتبع الحق؛ (١) [ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن] (١)؛ وهو كتاب الله، وحبله المتين، وصراطه المستقيم؛ فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضاً، والله الحمد.

وقال الطبراني (٣): حدثنا محمد بن الفضل السقطي، حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله؛ قال: الصراط المستقيم الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ.

ولهذا قال الإمام أبو جعفر (٤) بن جرير رَحِمَهُ اللهُ: والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني: ﴿(أَهْدِنَا) (٥) الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أن يكون معنياً به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته، ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل؛ وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام، وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمره الله به، والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهاج النبي ﷺ ومنهاج الخلفاء الأربعة، وكل عبد صالح؛ وكل ذلك من الصراط المستقيم.

فإن قيل: (فكيف) (٦) يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها، وهو متصف بذلك؟ فهل هذا من تحصيل الحاصل أم لا؟ فالجواب: أن لا، ولولا احتياجه ليلاً ونهاراً إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في (تثبيته) (٧) على الهداية، ورسوخه فيها، وتبصره وازدياده منها، واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله؛ فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمدّه

= مجاهد فذكره. وسنده ضعيف جداً والمخزومي تالف. قال أبو حاتم: «تركوا حديثه» وقال البخاري: «ذهب الحديث». وأما عمر بن ذر فثقه، لكن قال البرديجي: «روى عن مجاهد أحاديث منكيرا» ويبدو أنه قصد الأحاديث المرفوعة كما هو ظاهر.

(١) ساقط من (ج).
(٢) أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٢٢٩/٦) معلقاً؛ ووصله ابن جرير (١٨٤)؛ وابن أبي حاتم (٣٤)؛ وابن نصر في «السنّة» (٢٧) من طرق عن هشام بن القاسم بسنده سواء؛ وأخرجه الحاكم (٢٥٩/٢) من طريق الحارث بن أبي أسامة عن هاشم بن القاسم بسنده سواء لكنه جعله عن «أبي العالية عن ابن عباس»، وكأن ذكر «ابن عباس» مقحم في السند؟! وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي وإسناده جيد، وحمزة بن المغيرة بن نشيط وثقه ابن حبان، وقال ابن معين: «ليس به بأس».

(٣) في «معجمه الكبير» (ج ١٠/١٠٤٥٤) وسنده صحيح. ومحمد بن الفضل هو ابن جابر السقطي شيخ الطبراني، قال الدارقطني: «صدوق» ووثقه الخطيب في «تاريخه» (١٥٣/٣) ومن فوقه ثقات.

(٤) في «تفسيره» (١٧١/١).

(٥) ساقط من (ج).

(٦) في (ز): «كيف».

(٧) في (ج): «تثبته».

بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه (الله تعالى) ^(١) لسؤاله؛ فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آتاء الليل وأطراف النهار.

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية [النساء: ١٣٦] فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس من باب تحصيل الحاصل؛ لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك. والله أعلم.

^(٢) [وقد] ^(٣) قال تعالى آمراً لعباده المؤمنين أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُفِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران] وقد كان الصديق ^(٤) (رضي الله عنه) ^(٥) ^(٦) يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سراً؛ فمعنى قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ استمر بنا عليه، ولا تعدل بنا إلى غيره، (ولا تضلنا عنه) ^(٧) ^(٨).

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

قد تقدم الحديث فيما إذا قال العبد: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾... إلى آخرها أن الله (تعالى) ^(٨) يقول: «هذا لعبدي ولعبدي ما سألت».

وقوله (تعالى) ^(٨): ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مفسر للصراط المستقيم، هو بدل منه عند النجاة. ويجوز أن يكون عطف بيان، والله أعلم.

والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في «سورة النساء» حيث قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾.

(١) كذا في (ز) و(ك) و(ن) ووقع في (ج) و(ع) و(ل) و(هـ) و(ي): «من وفقه لسؤاله».

(٢) ساقط من (ز).

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢٥/٧٩/١) ومن طريقه عبد الرزاق في «المصنف» (ج ٢/رقم ٢٦٩٨) وابن المنذر في «الأوسط» (١١٢/٣) بسند صحيح عن أبي عبد الله الصنابحي قال: قدمت المدينة في خلافة أبي بكر الصديق، فصليت وراءه المغرب، فقرأ في الركعتين الأوليين بأم القرآن وسورة من قصار المفصل، ثم قام في الثالثة فدنوت منه حتى إن ثيابي لتكاد تمس ثيابه، فسمعتة قرأ بأم القرآن وبهذه الآية: ﴿رَبَّنَا لَا تُفِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران] زاد عبد الرزاق: قال أبو عبيد: يعني شيخ مالك، وأخبرني عبادة؛ يعني: ابن نسي، أنه كان عند عمر بن عبد العزيز في خلافته، فقال عمر لقيس؛ يعني: ابن الحارث، كيف أخبرتني عن أبي عبد الله؛ يعني: الصنابحي، فحدثه، فقال عمر: ما تركناها منذ سمعناها، وإن كنت قبل ذلك لعلني غير ذلك، فقال رجل: وعلى أي شيء كان أمير المؤمنين قبل ذلك؟ قال: كنت أقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] وأخرجه عبد الرزاق (٢٦٩٩)؛ وابن أبي شيبه (٣٧١/١) من طريق عن ابن عون، عن رجاء بن حيوة، عن محمود بن الربيع، أن الصنابحي قال: صليت مع أبي بكر المغرب، فدنوت منه... وساقه مثله وسنده صحيح أيضاً، زاد عبد الرزاق: عن محمد بن راشد قال: سمعت رجلاً يحدث به مكحولاً عن سهل بن سعد الساعدي أنه سمع أبا بكر قرأها في الركعة الثالثة، فقال له مكحول: إنه لم يكن من أبي بكر قراءة، إنما كان دعاءً منه.

(٦) ساقط من (ج) و(ل).

(٥) ساقط من (ز).

(٨) من (ج) و(ع) و(ل) و(ي).

(٧) ساقط من (ن).

وقال الضحاك^(١)، عن ابن عباس: صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين؛ وذلك نظير ما قال ربنا تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾ الآية.

وقال أبو جعفر^(٢) الرازي، عن الربيع بن أنس: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: هم النبيون.

وقال ابن^(٣) جريج، عن ابن عباس: هم المؤمنون، وكذا قال مجاهد^(٤). وقال وكيع^(٥): هم المسلمون. وقال عبد الرحمن^(٦) بن زيد بن أسلم: هم النبي ﷺ ومن معه.

والتفسير المتقدم عن ابن عباس ﷺ أعم وأشمل. والله أعلم.

وقول تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٧) [قرأ الجمهور «غير» بالجر على النعت. قال الزمخشري^(٨): وقرئ بالنصب على الحال، وهي قراءة رسول الله ﷺ، وعمر بن الخطاب، ورويت^(٩) عن ابن كثير؛ وذو الحال الضمير في عليهم، والعامل أنعمت]^(١٠).

(والمعنى)^(١١) اهدنا الصراط المستقيم صراط الذي أنعمت عليهم، ممن تقدم وصفهم ونعتهم؛ وهم أهل الهداية والاستقامة، والطاعة لله ورسله، وامتنال أوامره وترك نواهيه وزواجه، غير صراط المغضوب عليهم؛ وهم الذين فسدت (إراداتهم)^(١٢)، فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين؛ وهم الذين فقدوا العلم؛ فهم هائمون في الضلالة، لا يهتدون إلى الحق. وأكد الكلام بـ«لا» ليدل على أن ثم مسلكين فاسدين؛ وهما طريقة اليهود والنصارى.

وقد زعم بعض النحاة أن «غير» هاهنا استثنائية، فيكون على هذا منقطعاً لاستثنائهم من المنعم عليهم، وليسوا منهم؛ وما أوردناه أولى؛ لقول الشاعر^(١٣):

(١) من (ن).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٨٨)؛ وابن أبي حاتم (٣٨) وسنده ضعيف جداً كما تقدم.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٨٩)؛ وأبو جعفر الرازي وثقه جمع وتكلم فيه آخرون بسوء الحفظ، ولكن روايته هنا جيدة، فقد كان عالماً بتفسير القرآن معتنياً به، وتفسير أبي العالية نسخة يرويها عنه أبو جعفر، وهذا أخرى أن يكون جودها واعتنى بها بخلاف الحديث السرد. والله أعلم.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٩٠) وإسناده ضعيف لانقطاعه بين ابن جريج وابن عباس.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٩) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٩١، ١٩٢) وإسناده صحيحان.

(٧) ساقط من (ز). (٨) في «الكشاف» (٩/١).

(٩) واختلف عن ابن كثير في هذا الحرف، فروى عنه الوجهان معاً: النصب والجر.

وانظر: «الحجة للقراء السبعة» (١٤٢/١ - ١٦٢)؛ لأبي علي الفارسي. وابن كثير هو عبد الله بن كثير بن عمرو المكي، أحد القراء السبعة المشاهير، قرأ على مجاهد وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء. توفي سنة (١٢٢هـ) رحمه الله.

(١٠) في (ز): «يعني».

(١١) كذا في (ج) و(ع) و(ي) ووقع في (ز) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ): «إرادتهم» وأشار في (ي) أنه وقع في «نسخة»: «أراؤهم».

(١٢) هو النابغة الذبياني، وهو في «ديوانه» (١٩٨) وهو يصف عيينة بن حصن بالجبن والجور كأنه جمل من =

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقِيْشٍ يَقْعَقِعُ عِنْدَ رَجُلِيْهِ بِشَن
 أَي: كَأَنَّكَ جَمَلٌ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقِيْشٍ، فَحَذَفَ الْمَوْصُوفَ، وَاكْتَفَى بِالصِّفَةِ. وَهَكَذَا ﴿غَيْرِ
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: غَيْرُ صِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، اكْتَفَى بِالْمُضَافِ إِلَيْهِ عَنْ ذِكْرِ الْمُضَافِ. وَقَدْ
 دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ (تَعَالَى) ^(١): ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
 عَلَيْهِمْ﴾ ثُمَّ قَالَ (تَعَالَى) ^(١): ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.
 وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ «لَا» فِي قَوْلِهِ (تَعَالَى) ^(١): ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ زَائِدَةٌ وَأَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ عِنْدَهُ:
 «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ»؛ وَاسْتَشْهَدَ بَيْتُ الْعَجَاجِ:

فِي بـئـر لا حـور سـعـى ومـا شـعـر

أَي: فِي بئر حور. وَالصَّحِيحُ مَا قَدَمْنَاهُ، وَلِهَذَا رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ فِي كِتَابِ
 «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ» ^(٢) عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ
 الْخَطَّابِ رضي الله عنه - أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ الضَّالِّينَ». وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.
 وَكَذَلِكَ حُكِيَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّهُ قَرَأَ كَذَلِكَ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ صَدَرَ مِنْهُمَا عَلَى وَجْهِ
 التفسير. فَيَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ إِنَّمَا جِيءَ بِ«لَا» لِتَأْكِيدِ النفي ^(٣) [ثَلَا يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى:
 «الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ»] ^(٣)، وَلِلْفَرْقِ بَيْنَ الطَّرِيقَتَيْنِ؛ لِيَجْتَنِبَ كُلُّ (وَاحِدٍ) ^(٤) مِنْهُمَا؛ فَإِنْ طَرِيقَةُ أَهْلِ
 الْإِيمَانِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْعِلْمِ بِالْحَقِّ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالْيَهُودُ فَقَدُوا الْعَمَلَ، وَالنَّصَارَى فَقَدُوا الْعِلْمَ،
 وَلِهَذَا كَانَ الْغَضَبُ لِلْيَهُودِ، وَالضَّلَالُ لِلنَّصَارَى؛ لِأَنَّ مِنْ عِلْمٍ وَتَرَكَ اسْتَحَقَّ الْغَضَبُ بِخِلَافٍ مِنْ
 لَمْ يَعْلَمْ؛ وَالنَّصَارَى لَمَّا كَانُوا قَاصِدِينَ شَيْئاً لَكِنِّهِمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا الْأَمْرَ
 مِنْ بَابِهِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ (الرَّسُولِ) ^(٥) الْحَقِّ، ضَلُّوا. وَكُلٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ضَالٌّ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ،
 لَكِنْ أَخْصَصَ أَوْصَافَ الْيَهُودِ الْغَضَبَ، ^(٦) [كَمَا قَالَ (تَعَالَى) ^(٧) عَنْهُمْ: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾
 [المائدة: ٦٠]] ^(٦)، وَأَخْصَصَ أَوْصَافَ النَّصَارَى الضَّلَالَةَ، ^(٦) [كَمَا قَالَ (تَعَالَى) ^(٧) عَنْهُمْ: ﴿قَدْ
 ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَصَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]] ^(٦).

وَبِهَذَا جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ؛ ^(٦) [وَذَلِكَ وَاضِحٌ بَيِّنٌ فِيمَا] ^(٦) قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ^(٨): حَدَّثَنَا

= جَمَالُ بَنِي أَقِيْشٍ، وَهُمْ حِي مِنَ الْيَمَنِ فِي إِبِلِهِمْ نَفَارٌ شَدِيدٌ، وَكَانَتْ إِبِلُهُمْ إِذَا سَمِعَتْ صَوْتَ الشَّنِّ، وَهُوَ
 الْقَرْبَةُ الْبَالِيَّةُ، نَفَرَتْ نَفَراً شَدِيداً.

(١) مِنْ (ز) وَ(ن).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي «الْفَضَائِلِ» (ص ١٦٢)؛ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٧٧)؛ وَابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي
 «الْمَصَاحِفِ» (ص ٥١) مِنْ طَرَقٍ عَنِ الْأَعْمَشِ، بِسَنَدِهِ سَوَاءٌ وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ
 الْمَثُورِ» (١٥/١) لَوَكَيْعٍ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنِ الْأَنْبَارِيِّ فِي «الْمَصَاحِفِ».

(٣) سَاقِطٌ مِنْ (ز).

(٤) مِنْ (ن).

(٥) سَاقِطٌ مِنْ (ن).

(٦) مِنْ (ز) وَ(ن).

(٨) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٣٧٨/٤، ٣٧٩)؛ وَعَنهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (ج ١٧/رقم ٢٣٧)؛ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي
 «الدَّلَائِلِ» (٣٣٩/٥، ٣٤٠) مَطْوِلاً.

وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٨٩/٨، ٢٩٠ تحفة الأحوذني)؛ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٤٠)؛ وَابْنُ جَرِيرٍ (١٩٤)، =

محمد بن جعفر، حدثنا شعبة؛ قال: سمعت سماك بن حرب يقول: سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدي بن حاتم؛ قال: جاءت خيل رسول الله ﷺ فأخذوا عمتي وناساً، فلما أتوا بهم إلى رسول الله ﷺ صفوا له، فقالت: يا رسول الله؛ ناء الوافد، وانقطع الولد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة، فمُنَّ علي، مَنَّ الله عليك. قال: «من وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم. قال: «الذي فر من الله ورسوله!» قالت: فمُنَّ علي. فلما رجع ورجل إلى جنبه ترى أنه علي، قال سليه حملاناً، فسألته فأمر لها؛ قال: فأتتني فقالت: لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها فإنه قد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه، فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان... وذكر قريتهم من النبي ﷺ؛ قال: فعرفت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر؛ فقال: يا عدي، ما أفرك؟ أن يقال: لا إله إلا الله؟ فهل من إله إلا الله؟ ما أفرك؟ أن يقال: الله أكبر، فهل شيء أكبر من الله ﷻ؟ قال: فأسلمت فرأيت وجهه استبشر. وقال: إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى. وذكر الحديث.

ورواه الترمذي من حديث سماك بن حرب. وقال: «حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه». قلت: وقد رواه حماد^(١) بن سلمة، عن سماك، عن مري بن قطري، عن عدي بن أبي حاتم؛ قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: هم اليهود. ﴿وَالضَّالِّينَ﴾؟ قال: النصارى هم الضالون. وهكذا رواه سفيان^(٢) بن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم، به.

= (٢٠٨)؛ وابن حبان (١٧١٥)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/١٣/١) من طريق شعبة، عن سماك بن حرب بسنده سواء مختصراً ولم يذكروا القصة. ثم أخرجه الترمذي (٢٨٦/٨، ٢٨٩) من طريق عمرو بن أبي قيس عن سماك بن حرب بسنده سواء مطولاً. وأخرجه ابن أبي حاتم (٤١) من هذا الوجه مختصراً. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ١٧/رقم ٢٣٦) من طريق قيس بن الربيع عن سماك به مطولاً. قلت: وهذا سند ضعيف، ومداره على عباد بن حبيش فهو وإن وثقه ابن حبان وتبعه الهيثمي في «المجمع» (٣٣٥/٥) فقد جهله ابن القطان وقال الذهبي: «لا يعرف» وقع في سنده اختلاف يأتي ذكره إن شاء الله. (١) أخرجه ابن جرير (١٩٥، ٢٠٩) من طريق محمد بن مصعب، عن حماد بن سلمة بسنده سواء قلت: وخولف حماد بن سلمة في إسناده، فخالفه شعبة وعمرو بن أبي قيس، وقيس بن الربيع ثلاثتهم روه عن سماك، عن عباد بن حبيش، عن عدي بن حاتم كما تقدم تخريجه وحماد بن سلمة ثقة تغير في آخر حياته ﷺ، ولكن ليس عليه عهدة هذا الاختلاف إذ الراوي عنه هو محمد بن مصعب القرقيساني ضعفه النقاد أحمد وابن معين والنسائي وغيرهم لغفلته عن ضبط الحديث، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر فلم يصب! وخالفهم جميعاً عمرو بن ثابت فرواه عن سماك عن سمع عدي بن حاتم فذكره. أخرجه الطيالسي في «سنده» (١٠٤٠) وعمرو بن ثابت الكوفي متروك، ورواية شعبة ومن معه هي الراجحة وقد مر ذكر ما فيها.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٣، ٢٠٧) قال: حدثني أحمد بن الوليد الرملي، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي، قال: حدثنا سفيان بن عيينة بسنده سواء وأخرجه تمام الرازي في «الفوائد» (١٤٨) عن أحمد بن الوليد به وصحح إسناده الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر ﷺ لكنه معل بالمخالفة فقد خولف عبد الله بن جعفر، خالفه سعيد بن منصور فرواه في «تفسيره» (١٧٩) قال: نا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد أن رسول الله ﷺ فذكره هكذا معضلاً، ورواية سعيد أرجح لل تفاوت بينه وبين عبد الله بن جعفر في الحفظ، =

وقد روى حديث عدي هذا من طرق، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها.
وقال عبد^(١) الرزاق: أخبرنا معمر، عن بديل العقيلي، أخبرني عبد الله بن شقيق - أنه أخبره من سمع رسول الله ﷺ وهو بوادي القرى على فرسه، وسأله رجل من بني القين؛ فقال: يا رسول الله؛ من هؤلاء؟ قال: «الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ». وأشار إلى اليهود، «والضالون هم النصارى».

وقد رواه الجريري، وعروة، وخالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق، فأرسلوه ولم يذكروا من سمع النبي ﷺ.

ووقع في رواية عروة تسمية عبد الله (بن عمر)^(٢). فالله أعلم.

وقد روى ابن مردويه^(٣) من حديث إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذر؛ قال: سألت رسول الله ﷺ عن المغضوب عليهم. قال: «اليهود». قلت: الضالين؟ قال: «النصارى».

وقال السدي^(٤)، عن أبي مالك؛ عن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود؛ وعن أنس من أصحاب النبي ﷺ «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» هم اليهود، «وَلَا الضَّالِّينَ» هم النصارى.

= لا سيما أن هذا مع ثقته كان اختلط وبقي في اختلاطه إلى أن مات ﷺ، كما قال ابن حبان في «الثقات» (٣٥٢، ٣٥١/٨).

(١) في «تفسيره» (٣٧/١) ومن طريقه أحمد في «مسنده» (٣٣، ٣٢/٥)؛ وابن جرير (١٩٨، ٢١٢)؛ والثعلبي في «تفسيره» (١/١٣). قال الهيثمي في «المجمع» (٣١١/٦): «رجاله رجال الصحيح».

قلت: خولف فيه بديل العقيلي. خالفه سعيد بن إياس الجريري وخالد الحذاء فروياه عن عبد الله بن شقيق أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر وادي القرى وساقه. أخرجه أبو عبيد في «الأموال» (٧٦٥)؛ وابن جرير (١٩٦، ١٩٩، ٢١٠). وأخرجه أيضاً (١٩٧، ٢١١) من طريق ابن علية عن الجريري عن عروة بن عبد الله بن قشير، عن عبد الله بن شقيق أن رجلاً أتى النبي ﷺ فذكره. والوجهان ثابتان عن الجريري وأنه يرويه مرة عن عبد الله بن شقيق ومرة عن عروة بن عبد الله عن عبد الله بن شقيق؛ لأن ابن علية روى عنه الوجهين، وابن علية سمع من الجريري قبل الاختلاط. فالذين أرسلوا الحديث أكثر عدداً مع الثقة والضبط، لولا أنه اختلف على خالد الحذاء فيه فرواه حماد بن زيد عنه وعن بديل بن ميسرة والزيبر بن الخريت عن عبد الله بن شقيق عن رجل من بلقين أنه أتى النبي ﷺ بوادي القرى... فذكره.

أخرجه حميد بن زنجويه في «الأموال» (١١٣٦)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٣٣٦/٦) ورواه خالد الواسطي، عن خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق، عن رجل من بلقين، عن ابن عم له فساقه. أخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ٨/رقم ٤٠٢٠). والذي عندي أن رواية الوصل أشبه. والله أعلم.

(٢) في (ن): «ابن عمرو».

(٣) وعزاه إلى ابن مردويه: الحافظ في «الفتح» (١٥٩/٨) وقال: «إسناد حسن».

قلت: وهذا أحد وجوه الاختلاف في هذا الحديث. وقد خولف إبراهيم بن طهمان كما مرّ بك مخالفة معمر بن راشد له وروايته أشبه، ولعلّ الراوي عن إبراهيم بن طهمان فيه كلام والله أعلم.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢١٧) وسنده لا بأس به. والاعتماد في رواية ابن عباس على رواية أبي مالك عنه، وليس علي رواية أبي صالح باذام.

وقال الضحاك^(١)، وابن جريج^(٢)، عن ابن عباس: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ النصارى.

وكذلك قال الربيع^(٣) بن أنس، وعبد الرحمن بن^(٤) زيد بن أسلم، وغير واحد.
وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافاً. وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم، النصارى ضالون الحديث المتقدم.

وقوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في «سورة البقرة»: ﴿يَسْكَمَا أَشْتَرُوا بِوَدِّ أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَقِيًّا أَنْ يُزِيلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبْلَ أَنْ يَعْصِبَ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ وقال في «المائدة»: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثْوًى عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة].

وفي [«السيرة»]^(٥) عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف قالت له اليهود: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. فقال: أنا من غضب الله أفر. وقالت له النصارى: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سخط الله. فقال: لا أستطيعه. فاستمر على فطرته، وجانب عبادة الأوثان، ودين المشركين، ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى. وأما أصحابه فتنصروا ودخلوا في دين النصرانية؛ لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك، وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لما بعثه آمن بما وجد من الوحي ﷺ.

^(٦) [مسألة] والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والطاء، لقرب مخرجيهما؛ وذلك أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ومخرج الطاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا؛ ولأن كلا من الحرفين من الحروف المجهورة، ومن الحروف الرخوة، ومن الحروف المطبقة؛ فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم.

وأما حديث: «أنا أفصح من نطق بالضاد»^(٧) فلا أصل له، والله أعلم^(٦).

(١) أخرجه ابن جرير (٢١٥)؛ وابن أبي حاتم (٤٢) بسند ضعيف جداً.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢١٦) وهو منقطع بين ابن جريج وابن عباس.

(٣) أخرجهما ابن جرير (٢١٨، ٢١٩).

(٤) وقع في (ج) و(ل) و(ي): «أَنْبَيْتُكُمْ» وهو سبق قلم.

(٥) وقع في (ج) و(ل): «السنن» وهو خطأ.

وأخرجه البخاري (١٤٢/٧، ١٤٣) مطولاً.

(٦) ساقط من (ز).

(٧) ولم أقف له على إسناد، ونقل العجلوني في «كشف الخفاء» (٢٠٠/١، ٢٠١) عن السيوطي أنه قال في =

فَضْلٌ

اشتملت هذه السورة الكريمة، وهي سبع آيات، على حمد الله وتمجيده، والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنی المستلزمة لصفاته (العلی)^(١) وعلى ذكر المعاد، وهو يوم الدين؛ وعلى إرشاده (عبده)^(٢) إلى سؤاله والتضرع إليه، والتبرئ من حولهم وقوتهم، وإلى إخلاص العبادة له، وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالى، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه، حتى (يفضي بهم ذلك)^(٣) إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة المفضي بهم إلى جنات النعيم في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة، ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل؛ لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم، والضالون. وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾ [المجادلة: ١٤] وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان هو الذي أضلهم بقدره؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] وقال: ﴿مَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَكَأَيُّ هَادٍ لَمْ يَرْكُدْهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال، لا كما تقول الفرقة القدريّة ومن هذا حذوهم من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه؛ ويحتجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن؛ ويتركون ما يكون فيه صريحاً في الرد عليهم وهذا حال أهل الضلال والغي.

وقد ورد في الحديث الصحيح^(٤): «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم» - يعني في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧] فليس، بحمد الله، لمبتدع في القرآن حجة صحيحة؛ لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل، مفرقاً بين الهدى والضلال؛ وليس فيه تناقض ولا اختلاف؛ لأنه من عند الله ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

فَضْلٌ

يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها: «آمين»، (مثل يس)^(٥). ويقال: آمين - بالقصر أيضاً. ومعناه: اللهم استجب.

= «اللائي»: «معناه صحيح ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ وأورده أصحاب الغريب ولا يعرف له إسناد» وقال مثله الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص ٣٢٧).

(١) في (ز) و(ن): «العليا». (٢) في (ك) و(ل): «عبده».

(٣) في (ن): «يقضي لهم بذلك».

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٩/٨)؛ ومسلم (١/٢٦٦٥). (٥) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(ه) و(ي).

والدليل (على استحباب التأمين)^(١) ما رواه الإمام^(٢) أحمد، وأبو داود، والترمذي، عن وائل بن حجر؛ قال: سمعت النبي ﷺ قرأ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقال: آمين - مد بها صوته، «ولأبي داود»: «رفع بها صوته». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن». وروي عن علي^(٣) وابن مسعود، وغيرهم.

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: «آمين»

(١) في (ز) و(ع) و(هـ) و(ي): «والدليل على ذلك».

(٢) أخرجه أحمد (٣١٦/٤، ٣١٧)؛ ومسلم في «التميز» (ص ١٨٠)؛ وأبو داود (٩٣٢)؛ والترمذي (٢٤٨)؛ والدارمي (٢٢٨/١)؛ وابن أبي شيبة (٥٢٥/١٠)؛ وابن المنذر في «الأوسط» (١٣١/٣)؛ وابن أبي شيبة (٤٢٥/٢)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٢٢/رقم ١١١)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (١٤/٧)؛ والدارقطني (٣٣٤/١)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٥٧/٢)؛ وفي «المعرفة» (٣٩٠/٢)؛ والشعلبي في «تفسيره» (٢/١٣/١)؛ والبخاري في «شرح السنة» (٥٨/٣)؛ من طرق عن سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن حجر بن عنبس، عن وائل بن حجر فذكره ورواه الثوري باللفظين معاً: «يُمد بها صوته» و«يرفع بها صوته» ورواه أصحابه عنه هكذا: فرواه يحيى القطان وابن مهدي ووكيع والمحاربي والأشجعي عنه بلفظ: «يُمد بها» ورواه قبيصة بن عقبة ومحمد بن كثير والفريابي وخلاد بن يحيى وأبو داود الحفري عنه بلفظ: «يرفع» فهذا يدل على أن المقصود بـ«المد» هنا: رفع الصوت. قال الترمذي: «حديث حسن» وصححه إسناده الدارقطني. وقد رواه العلاء بن صالح ومحمد بن سلمة بن كهيل كلاهما عن سلمة بن كهيل بسنده سواء نحوه. أخرجه أبو داود (٩٣٣)؛ والترمذي (٢٤٩)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٢٢/رقم ١١٣، ١١٤)، وخالفهم في هذا الحرف: شعبة بن الحجاج فرواه عن سلمة بن كهيل، عن حجر أبي العنابس، قال: حدثني علقمة بن وائل، عن وائل بن حجر فذكره لكن قال: «وقال آمين وأخفى بها صوته».

أخرجه مسلم في «التميز» (ص ١٨٠)؛ أحمد (٣١٦/٤)؛ والطيالسي (١٠٢٤)، وابن حبان (١٨٠٥)؛ والدارقطني (٣٣٤/١)؛ والحاكم (٢٣٢/٢)؛ وصححه على شرط الشيخين، والطبراني (ج ٢٢/رقم ١٠٩، ١١٠، ١١٢)؛ وأبو حفص الدوري في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» (١١)؛ والبيهقي (٥٧/٢)؛ من طرق عن شعبة. وقد تكلم العلماء في رواية شعبة وغلطوه فيها منهم البخاري ومسلم والدارقطني والبيهقي وغيرهم ولكن قال البيهقي في «المعرفة» (٣٩٢/٢): «وقد روينا بإسناد صحيح عن أبي الوليد الطيالسي عن شعبة كما رواه الثوري» اهـ.

ثم أخرجه في «سننه» (٥٨/٢) ثم إن شعبة خالف الثوري في موضعين من الإسناد، وقد فصلته في «التسليّة» والله الحمد.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٨٥٤)؛ وابن أبي حاتم في «العلل» (ج ١/رقم ٢٥١) من طريق ابن أبي ليلى، عن سلمة بن كهيل، عن حجية بن عدي، عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ إذا قال: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفتحة: ٧] قال: «آمين» قال البوصيري في «الزوائد» (١/٢٩٧): «هذا إسناد ضعيف فيه مقال، وابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ضعفه الجمهور، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وباقي رجاله ثقات؛ وله شاهد من حديث وائل بن حجر...» اهـ.

قلت: حديث وائل لا يشهد له؛ لأن ابن أبي ليلى خالف شعبة والثوري والعلاء بن صالح ومحمد بن سلمة بن كهيل فأربعتهم، على خلاف بينهم وبين شعبة في الإسناد، روه عن سلمة بن كهيل فجعلوه من مسند «وائل بن حجر» وخالفهم ابن أبي ليلى، وهو سئ الحفظ فرواه عن سلمة بن كهيل فجعله من «مسند علي» فروايت منكرة والله أعلم.

وقال أبو حاتم: «هذا عندي خطأ، إنما هو سلمة، عن حجر أبي العنابس عن وائل بن حجر، عن النبي ﷺ ثم قال أبو حاتم: كان ابن أبي ليلى سئ الحفظ».

حتى يسمع من يليه من الصف الأول. رواه أبو داود^(١)، وابن ماجه - وزاد فيه: «(فيرتج)»^(٢) بها المسجد» - والدارقطني، وقال: «هذا إسناد حسن».

وعن بلال أنه قال: يا رسول الله، لا تسبقني بآمين. رواه أبو داود^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (٩٣٤)؛ وعنه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٣/٧)؛ وابن ماجه (٨٥٣)؛ وأبو يعلى (ج ١/١) رقم ٦٢٢٠؛ والمزي في «التهذيب» (٢٨/٣٤) من طريق صفوان بن عيسى عن بشر بن رافع، عن أبي عبد الله ابن عم أبي هريرة فذكره. وما ذكره المصنف هو لفظ أبي داود. وعند ابن ماجه، قال: ترك الناس التأمين ثم ساق مثله.

قال البوصيري في «الزوائد» (١/٢٩٦): هذا إسناد ضعيف، أبو عبد الله لا يعرف حاله، وبشر ضعفه أحمد، وقال ابن حبان: «يروي الموضوعات» اهـ.

فأما نقل المصنف تحسين الدارقطني للإسناد ففيه تسامح؛ لأن طريق الدارقطني مختلف عن طريق أبي داود وابن ماجه. فقد أخرجه في «سننه» (٣٣٥/١) وكذلك ابن حبان (٤٦٣ - موارد)؛ والحاكم (٢٢٣/١)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (١٤/٧)؛ والبيهقي (٥٨/٢) من طريق إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي، قال: حدثنا عمرو بن الحارث، قال: حدثنا عبد الله بن سالم، عن الزبيدي، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من قراءة أم القرآن رفع صوته وقال: «آمين» وهذا الطريق قال فيه الدارقطني: «هذا إسناد حسن» وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي! وليس كما قالوا: فأما قول الحاكم فخطأ؛ لأن هذا الترجمة: «إسحاق بن إبراهيم عن عمرو بن الحارث الحمصي، عن عبد الله بن سالم عن الزبيدي» ما خرجها الشيخان ولا أحدهما، بل ولا احتجا برواتها عدا الزبيدي فمن رجالهما وعبد الله بن سالم الأشعري من رجال البخاري وحده، ثم إسحاق بن إبراهيم الملقب بـ(زريق) ضعيف وعمرو بن الحارث هو الحمصي وليس المدني فإن هذا أعلى منه في الطبقة، وهذا الحمصي وثقه ابن حبان في «الثقات» (٤٨٠/٨) وقال: «مستقيم الحديث» فردّه الذهبي في «الميزان» فقال: «تفرد بالرواية عنه إسحاق بن إبراهيم زريق ومولاة له اسمها علوة فهو غير معروف العدالة وابن زريق ضعيف» اهـ. وبهذا يظهر ما في قول الدارقطني أيضاً. والله أعلم.

وقوله: «فيرتج المسجد» لا يصح في المرفوع، إنما أخرج البخاري (٢٦٢/٢) معلقاً ووصله عبد الرزاق (ج ٢/رقم ٢٦٤٠)؛ وابن أبي شيبه (٤٢٧/٢) في «مصنفيهما»؛ وابن المنذر في «الأوسط» (١٣٢/٣)؛ والفاكهي في «أخبار مكة» (٩٦/٣)؛ والبيهقي (٥٩/٢) من طريق ابن جريج عن عطاء أن ابن الزبير كان يؤمن ويؤمن من خلفه حتى إن للمسجد للجة. وفي رواية: «لرجة» قلتُ وسنده صحيح لولا عنعنة ابن جريج فإنه قبيح التدليس، وكان شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني، رَحِمَهُ اللهُ، يمشيها عن عطاء وحده. وأخرج البيهقي (٥٩/٢) من طريق أبي حمزة السكري محمد بن ميمون، عن مطرف بن طريف عن خالد بن أبي أيوب، عن عطاء قال: أدركت مائتين من أصحاب النبي ﷺ في هذا المسجد إذا قال الإمام «غَيْرِ الْمَضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْفُكَايِنَ» [الفاتحة: ٧] سمعت لهم رجّةً بـ«آمين» وهذا سند رجاله ثقات خلا خالد بن أبي أيوب، ما عرفته ثم ظهر لي أنه تصحيف وصوابه خالد بن أبي نوف. ووقع في ترجمة عطاء بن أبي رباح من «التهذيب» (٧٣/٢٠) «ابن أبي عوف» وكل هذا خطأ، وخالد بن أبي نوف هذا ما وثقه إلا ابن حبان فهو مجهول الحال، وأشار المزي في «تحفة الأشراف» (٣٨٧/٣) إلى الحديث الوحيد الذي رواه له النسائي (١٧٤/١) وقال: «وإسناده مجهول» وكل رجال الإسناد معروفون، فيتجه الكلام إلى ابن أبي نوف، والظاهر عندي أن قوله: «إسناده مجهول» من كلام النسائي كما يعرف من عادة المزي في كتابه، فلو صح هذا الأثر لكان له حكم الرفع كما لا يخفى والله أعلم.

(٢) في (ز): «يرتج».

(٣) أخرجه أبو داود (٩٣٧) قال: حدثنا إسحاق بن راهويه، حدثنا وكيع، عن الثوري: عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن بلال فذكره. وتوبع وكيع. تابعه عبد الرحمن بن مهدي، عن الثوري بسنده =

= مثله. أخرجه ابن خزيمة (ج ١/ رقم ٥٧٣) قال: حدثنا محمد بن حسان الأزرق بخبر غريب غريب، إن كان حفظ اتصال الإسناد، حدثنا ابن مهدي. ثم أبان ابن خزيمة عن وجه الغرابة فقال عقب تخريجه للحديث: «هكذا أملى علينا محمد بن حسان هذا الحديث من أصله عن ابن مهدي، عن الثوري، عن عاصم فقال: «عن بلال» والرواة إنما يقولون في هذا الإسناد: «عن أبي عثمان أن بلالاً قال للنبي ﷺ».

* قلت: محمد بن حسان الأزرق ثقة مأمون، وثقه الدارقطني، وابن حبان وابن أبي حاتم وزاد: «صدوق» والعجلي وقال عبد الله بن أحمد: «كان صدوقاً لا بأس به»، وفي رواية إسحاق بن راهويه عن وكيع ما يشد روايته. وخالفهما، أعني: وكيعاً وابن مهدي: عبد الرزاق فرواه عن الثوري عن عاصم، عن أبي عثمان أن بلالاً قال للنبي ﷺ فأرسله أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ١/ رقم ١١٢٤)؛ والبيهقي (٥٦/٢) من طريق عبد الرزاق وهو في «مصنفه» (ج ٢/ رقم ٢٦٣٦) ثم قال البيهقي: «ورواية عبد الرزاق أصح» ووكيع أثبت في الثوري من عبد الرزاق لولا أنه اختلف عليه.

فرواه موسى بن معاوية، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا سفيان، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان أن بلالاً قال للنبي ﷺ... فذكره. أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٥/٧) وموسى هذا ما عرفته ويغلب على ظني أنه مصحّف، ومهما كان من أمر فإن إسحاق بن راهويه راويه عن وكيع إمام حافظ يقظ فالراجع روايته عن وكيع، ثم رواية وكيع عندي أرجح من رواية عبد الرزاق لا سيما وقد رواه شعبة عن عاصم، عن أبي عثمان عن بلال. أخرجه الحاكم (٢١٩/١) وعنه البيهقي (٥٦/٢) من طريق روح بن عباد وآدم بن أبي إياس كلاهما عن شعبة. وخالفهما غندر فرواه عن شعبة، عن عاصم عن أبي عثمان: قال بلال للنبي ﷺ فذكره أخرجه أحمد (١٥/٦).

وتابع شعبة على هذه الرواية عبد الواحد بن زياد، عن عاصم به أن بلالاً فذكره. أخرجه البيهقي (٢٣/٢) وتابع شعبة على الرواية الأولى وهي: «عن بلال» القاسم بن معن وعباد بن عباد كلاهما عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان عن بلال به.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ١/ رقم ١١٢٥)؛ وفي «الأوسط» (ج ٢/ ق ١٧/١)؛ والبيهقي (٢٢/٢، ٢٣). وأخرجه أحمد (١٢/٦) من طريق محمد بن فضيل، عن عاصم، عن أبي عثمان قال: قال بلال يا رسول الله لا تسبقني بآمين. وكذا وقع في «أطراف المسند» (٦٤٥/١) للحافظ وأشار المحقق أنه وقع في أحد النسخ: «أن رسول الله ﷺ قال لبلال: «لا تسبقني بآمين» فصار قائل هذا القول هو النبي ﷺ ليس بلالاً، وهذا هو الصواب في رواية محمد بن فضيل عن عاصم يدل عليه أن البيهقي قال (٢٣/٢): ورواه محمد بن فضيل عن عاصم بلفظ آخر.. ثم رواه من طريق «مسند أحمد» فجعل المقالة من لفظ النبي ﷺ، وكذلك رواه (٥٦/٢) بهذا السياق. ثم قال: «فكأن بلالاً كان يؤمن قبل تأمين النبي ﷺ فقال: لا تسبقني بآمين، كما قال إذا أمن الإمام فأمنوا». اهـ.

وأشار الحافظ في «الفتح» (٢٦٣/٢) إلى هذا الحديث وقال: «ورجاله ثقات لكن قيل: إن أبا عثمان لم يلق بلالاً، وقد روى عنه بلفظ: أن بلالاً قال: وهو ظاهر الإرسال، ورجحه الدارقطني وغيره على الموصول» والصواب أن الوجهين متكافئان، بل جهة الوصل أقوى، فيبقى قول من قال: «أبو عثمان لم يلق بلالاً» وهو قول ضعيف، وكأنه لذلك مرّضه الحافظ، فإن أبا عثمان مخضرم أدرك الجاهلية وهو أكبر سنّاً من عائشة ومن أنس وابن عباس وثبت سماعه من عمر بن الخطاب في «صحيح البخاري» وغيره ورد الحاكم على هذه المقالة فقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأبو عثمان النهدي مخضرم قد أدرك الطائفة الأولى من الصحابة». اهـ.

وفي تصحيحه الحديث على شرط الشيخين نظر من جهة أن الشيخين لم يحتجا بـ«أبي عثمان عن بلال» ولكن الإسناد صحيح والحمد لله. ثم قال البيهقي (٢٣/٢): «وروى بإسناد ضعيف عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال: قال بلال... وليس بشيء إنما رواه الجماعة الثقات عن عاصم دون ذكر سلمان».

قلت: ما أشار إليه البيهقي: أخرجه الطبراني (ج ٦/ رقم ٦١٣٦) قال: حدثنا محمد بن العباس الأخرم =

(١١) [ونقل أبو نصر القشيري عن الحسن، وجعفر الصادق، أنهما شددا الميم من «آمين»؛ مثل: ﴿آمِينَ أَلَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢] (١)].

قال أصحابنا وغيرهم: ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة، ويتأكد في حق المصلي، وسواء كان منفرداً أو إماماً أو مأموماً، وفي جميع الأحوال؛ لما جاء في «الصحيحين» (٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا؛ فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

«ولمسلم» (٣) أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال أحدكم في الصلاة: آمين والملائكة في السماء آمين، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه» (٤) [قيل: بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان] (٤). (٥) [وقيل: في الإجابة. وقيل (٦): في صفة الإخلاص] (٥).

وفي «صحيح» مسلم (٧) عن أبي موسى - مرفوعاً: «إذا قال - يعني الإمام - ولا الضالين فقولوا: آمين يجبكم الله».

وقال جوبير (٨)، عن الضحاك، عن ابن عباس؛ قال: قلت: يا رسول الله؛ ما معنى آمين؟ قال: «رب افعل».

(٩) [وقال الجوهري: معنى آمين: كذلك فليكن. وقال الترمذي (١٠): معناه: لا تخيب رجاءنا. وقال الأکثرون: معناه: اللهم استجب لنا] (٩).

= ثنا أحمد بن يحيى الصوفي، ثنا سعيد بن عمرو الأشعري ثنا سفيان بن عيينة، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان أن بلالاً قال للنبي ﷺ: «لا تسبقني بآمين»، وأخرجه أبو بكر الشافعي في «الغليات» (ج ٢/٣٨٨) من طريق ابن أبي عمر ثنا سفيان بن عيينة به ولكن شيخ أبي بكر الشافعي فيه ضعيف. قال الهيثمي في «المجمع» (١١٣/٢): «رجاله موثقون». وسنده صحيح كلهم أئمة أثبات، ولا يتجه إعلاله بالشذوذ مع إمكان الجمع، وهذا الإمكان ظاهر بل راجح. والله أعلم.

(١) ساقط من (ز).

(٢) أخرجه البخاري (٢/٢٦٢، ٢٦٦)؛ ومسلم (١/٣٠٧ - عبد الباقي).

(٣) في «صحيحه» (٧٥/٤٠٩)؛ والثعلبي في «تفسيره» (٢/١٣/١).

(٤) ساقط من (ز). (٥) ساقط من (ز).

(٦) هذا قول ابن حبان، فقال في «صحيحه» (١٠٨/٥): «معنى قوله ﷺ: «فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة» أن الملائكة تقول: آمين من غير علة: من رياء وسمعة، أو إعجاب، بل تأمينها يكون خالصاً لله، فإذا أمن القارئ لله من غير أن يكون فيه علة من إعجاب أو رياء أو سمعة كان موافقاً تأمينه في الإخلاص تأمين الملائكة، غفر له حينئذ ما تقدم من ذنبه». اهـ. وتعقبه الحافظ في «الفتح» (٢/٢٥٦) ورجح أن الموافقة في القول والزمان. وما ذهب إليه الحافظ هو الحق. والله أعلم.

(٧) أخرجه مسلم (٤٠٤/٦٢).

(٨) يعني: في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (١٧/١) وجوبير هالك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس كما مر ذكره وله طريق آخر عن ابن عباس. أخرجه الثعلبي (٢/١٣/١) من طريق محمد بن فضيل، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس مثله. وسنده ساقط. والكلبي تالف.

(٩) ساقط من (ز).

(١٠) هو محمد بن علي المعروف بـ«الحكيم الترمذي»، وليس صاحب «السنن»، كما عند الثعلبي (٢/١٣/١) وله ترجمة في «سير النبلاء» (٤٣٩/١٣ - ٤٤٢).

(١) [وحكى القرطبي^(٢) عن مجاهد^(٣)، وجعفر الصادق، وهلال^(٤) بن يساف أن أمين اسم من أسماء الله تعالى. وروى عن ابن عباس مرفوعاً، ولا يصح؛ قاله أبو بكر^(٥) بن العربي المالكي^(١)].

وقال أصحاب مالك: لا يؤمن الإمام ويؤمن المأموم، لما رواه^(٦) «مالك» عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ^(١) [«وإذا قال - يعني الإمام: ولا الضالين فقولوا: آمين...» الحديث]^(١).

(٧) [واستأنسوا أيضاً بحديث أبي موسى (عند مسلم)^(٨)]: «وإذا قرأ ولا الضالين فقولوا: آمين»^(٧)].

وقد قدمنا في «المتفق عليه»: «إذا أمن الإمام فأمنوا»، وأنه عليه (الصلاة)^(٩) والسلام كان يؤمن إذا قرأ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية. وحاصل الخلاف أن الإمام إن نسي التأمين جهر المأموم به قولاً واحداً؛ وإن أمن الإمام جهراً فالجديد أنه لا يجهر المأموم، وهو مذهب أبي حنيفة، ورواية عن مالك؛ لأنه ذكر من الأذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة. والقديم أنه يجهر (به)^(١٠)، وهو مذهب (الإمام)^(١١) أحمد بن حنبل، والرواية الأخرى عن مالك لما تقدم: «حتى يرتج المسجد»^(١٢). ولنا قول آخر ثالث أنه إن كان المسجد صغيراً لم يجهر المأموم؛ لأنهم يسمعون قراءة الإمام، وإن كان كبيراً جهر، ليبلغ التأمين من في أرجاء المسجد. والله أعلم.

وقد روى الإمام أحمد في «مسنده»^(١٣) عن عائشة رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ ذكرت عنده

(١) ساقط من (ز). (٢) في «تفسيره» (١/١٢٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٤٢٦) ووكيع في «تفسيره» من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد. وليث ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٤٢٦) عن وكيع وهذا في «تفسيره»، كما في «الدر المنثور» (١/١٧)، قال: ثنا سفيان عن منصور، عن هلال بن يساف به. وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج٢/رقم ٢٦٥٠)؛ والثعلبي (١/١٣٢) من طريق سفيان الثوري وأخرجه ابن أبي شيبة أيضاً عن جرير عن منصور بسنده. وسنده صحيح. ولكن هذا الباب لا يقبل فيه إلا الصحيح المرفوع كما هو معلوم. والله الموفق. وأخرجه عبد الرزاق (ج٢/رقم ٢٦٥١) موقوفاً على أبي هريرة بسند ضعيف جداً.

(٥) في «أحكام القرآن» (١/٦) وظاهر من نقل المصنف عن ابن العربي أنه عني بقوله: «لا يصح» حديث ابن عباس المرفوع، وليس هذا في عبارة ابن العربي فقد قال: «المسألة الرابعة: ... قيل إنها اسم من أسماء الله تعالى، ولا يصح نقله، ولا ثبت قوله». اهـ.

(٦) في «الموطأ» (١/٨٧/٤٥) ومروته تخريجه آنفاً.

(٧) ساقط من (ل).

(٨) ساقط من (ز) و(ل).

(٩) من (ز) و(ن) وفي (ك): «ﷺ».

(١٠) ساقط من (ج).

(١١) من (ن).

(١٢) أخرجه أحمد (٦/١٣٤، ١٣٥)؛ والبيهقي (٢/٥٦) مطولاً، والبخاري في «التاريخ» (١/٢٢) مختصراً

من طريق حصين بن عبد الرحمن، عن عمر بن قيس، عن محمد بن الأشعث، عن عائشة وفيه قصة =

اليهود، فقال: «إنهم لن يحسدونا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وصلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله^(١) (ولها) وصلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين».

ورواه ابن ماجه، ولفظه: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين». «وله»^(٢) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على قول آمين، فأكثرُوا من قول آمين». وفي إسناده طلحة بن عمرو، وهو ضعيف. وروى ابن مردويه^(٣)، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين».

وعن أنس^(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت آمين في الصلاة، وعند الدعاء، لم يعط أحد

= وأخرجه البخاري والبيهقي من طريق مجاهد عن محمد بن الأشعث عن عائشة مختصراً ومحمد بن الأشعث لم يوثقه إلا ابن حبان، وترجمه البخاري وابن أبي حاتم (٢٠٦/٢/٣) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. ولكن للحديث طريق آخر. أخرجه ابن ماجه (٨٥٦)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٨)؛ وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١٢٢)؛ وابن خزيمة (١٥٨٥) من طريق سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره. وسياق ابن خزيمة مطول قال البوصيري في «الزوائد» (١/٢٩٧): «هذا إسناده صحيح احتج مسلم بجميع رواته».

(١) ساقط من (ج) و(ز).
(٢) يعني: ابن ماجه، وقد أخرجه في «سننه» (٨٥٧) من طريق خالد بن يزيد بن صبيح المري، أنبأنا طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس مرفوعاً به.

قال البوصيري (١/٢٩٨): «هذا إسناده ضعيف؛ لاتفاقهم على ضعف طلحة بن عمرو» قلت: فالصواب أن الإسناده ضعيف جداً، وطلحة هذا متروك، تركه أحمد والنسائي وغيرهما وضعفه ابن معين وأبو داود وابن سعد وزاد: «جداً» والكلام فيه طويل الذيل.

(٣) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢١٩)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢٤٣٢/٦)؛ والشعبي في «تفسيره» (١/١٣) من طريق المؤمل بن عبد الرحمن، عن أبي أمية بن يعلى الثقفي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً.

قال ابن عدي: «هذا الحديث بهذا الإسناد لا يرويه عن أبي أمية بن يعلى، وإن كان ضعيفاً، غير مؤمل هذا».

قلت: وسنده ضعيف جداً. ومؤمل بن عبد الرحمن وضعفه أبو حاتم الرازي. وقال ابن عدي: «عامه حديثه غير محفوظ» وشيخه أبو أمية اسمه «إسماعيل» تركه ابن معين في رواية والنسائي والدارقطني، وقال البخاري: «سكتوا عنه» وأورد له ابن عدي في «الكامل» (٣٠٩/١ - ٣١١) أحاديث تدل على أنه واه، وهذا الحديث منكر جداً، والله أعلم.

(٤) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (ق ١/١٩، ٢ زوائد) قال: حدثنا عبد العزيز بن أبان، ثنا زربي مولى خالد، ثنا أنس مرفوعاً: «أعطيت ثلاث خصال: صلاة في الصفوف، وأعطيت السلام، وأعطيت آمين، ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم، إلا أن يكون الله أعطاها هارون، فإن موسى كان يدعو، ويؤمن هارون».

وهذا سند واه جداً، وعبد العزيز بن أبان متروك، لكنه لم يتفرد به، فتابعه حرمي بن عماره وعبد الصمد بن عبد الوارث كلاهما عن زربي بن عبد الله عن أنس قال: كنا عند النبي ﷺ جلوساً فقال: «إن الله أعطاني خصلاً ثلاثاً، فقال رجل من جلسائه: وما هذه الخصال يا رسول الله؟! قال: «أعطاني صلاة في الصفوف، وأعطاني التحية، إنها لتحية أهل الجنة وأعطاني التأمين، ولم يعطه أحداً من النبيين قبل، إلا أن يكون الله أعطى هارون؛ يدعو موسى ويؤمن هارون» أخرجه ابن خزيمة (١٥٨٦) والسياق له وقال: «إن =

قبلي إلا أن يكون موسى؛ كان موسى يدعو وهارون يؤمن، فاختموا الدعاء بآمين؛ فإن الله يستجيبه لكم.

قلت: ومن هنا نزع بعضهم^(١) في الدلالة بهذه الآية الكريمة؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ أَمْوَالِكُمْ وَأَتُوا إِلَيْنَا بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْوَدَاعَةَ فَلَنْ يَمْصُرَنَّكُمْ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ^(٢)﴾ [يونس] فذكر الدعاء عن موسى وحده، ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون آمن، فنزل منزلة من دعا؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ فدل ذلك على أن من آمن على دعاء فكأنما قاله؛ فلهذا قال من قال: إن المأموم لا يقرأ؛ لأن تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها؛ ولهذا جاء في الحديث: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»^(٣) [رواه أحمد في «مسنده»]^(٢). وكان بلال يقول: «لا تسبقني بآمين (يا رسول الله)»^(٣).

فدل هذا المنزع على أن المأموم لا قراءة عليه في الجهرية. والله أعلم.

ولهذا قال ابن مردويه^(٤): حدثنا أحمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن محمد بن سلام، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا جرير، عن (ليث بن أبي سليم)^(٥)، عن كعب، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين، فوافق «آمين» أهل الأرض «آمين» أهل السماء غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه ومثل من لا يقول: آمين كمثله رجل غزا مع قوم، فاقتربوا، فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه، فقال: لم لم يخرج سهمي؟ فقيل: إنك لم تقل: آمين»^(٦).

* * *

= ثبت الخبر وابن مردويه، والحكيم الترمذي في «النوادر» كما في «الدر» (١٧/١)؛ وابن عدي (١٠٩٤/٣) فانحصرت العلة في زربي بن عبد الله فهو واو، قال ابن حبان: «منكر الحديث على قلته، ويروي عن أنس ما لا أصل له فلا يحتج به». وقال البخاري: «فيه نظر» وقال ابن عدي: «ولزربي من الحديث قليل، وأحاديثه وبعض متون أحاديث منكورة». وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج ٢/رقم ٢٦٥١) عن بشر بن رافع، عن أبي عبد الله، عن أبي هريرة: قال: كان موسى بن عمران إذا دخل آمن هارون على دعائه، قال: وسمعت أبا هريرة: آمين اسم من أسماء الله ﷻ. وسنده واو. وبشر بن رافع ضعفه أحمد وقال ابن حبان: «يروي الموضوعات» وأبو عبد الله هو ابن عم أبي هريرة اختلف في اسمه وقال ابن القطان والذهبي: «لا يعرف».

(١) انظر: «التمهيد» (١٢/٧، ١٦/٢٢)؛ لابن عبد البر رحمه الله.

(٢) ساقط من (ز) و(ع) و(ه) و(ي).

(٣) من (ن).

(٤) وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (ج ١١/رقم ٦٤١١) قال: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير بسنده سواء قال السيوطي في «الدر المنثور» (١٧/١): «إسناده جيد!» وليس كما قال فإن ليث بن أبي سليم ضعيف، وقد صح أوله كما مرّ قريباً. والله أعلم.

(٥) في (ن): «ليث عن ابن أبي سليم» وهو خطأ ظاهر.

(٦) في حاشية (ج): «آخر الجزء الثالث من أجزاء المؤلف» وفي حاشية (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضاً بأصله».

(رب يسر وأعن يا كريم)^(١)

تفسير

سورة البقرة

ذكر ما ورد في فضلها:

قال الإمام أحمد^(٢): حدثنا عارم، حدثنا معتمر، عن أبيه، عن رجل، عن أبيه، عن معقل بن يسار. أن رسول الله ﷺ قال: «البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ من تحت العرش، فوصلت بها، أو فوصلت بسورة البقرة، و﴿يَسَّ﴾ [يس] قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم». انفرد به أحمد.

وقد رواه أحمد^(٣) أيضاً - عن عارم، عن عبد الله بن المبارك، عن سليمان التيمي، عن أبي

(١) من «ن».

(٢) في «مسنده» (٢٦/٥).

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٢٠/رقم ٥١١، ٥٤١) من طريق محمد بن عبد الأعلى ومحمد بن أبي بكر المقدمي كليهما عن معتمر بن سليمان بسنده سواء تاماً.

وأخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (١٠٧٥) قال: أخبرنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا معتمر بسنده سواء من قوله: «يس قلب القرآن... إلخ»؛ وأخرجه الروياني (٢/٢٢٣/٣٠) عن عمرو بن علي عن المعتمر به إلى قوله: «من تحت العرش».

وأخرجه أبو الشيخ في «الأمثال» (٢٧٤) عن محمد بن عبد الأعلى بسنده سواء بلفظ: «البقرة سنام القرآن وذروته»؛ وأخرجه الروياني في «مسنده» (ج ٣٠/ق ٢٢٢/١) قال: نا أبو عبد الله الزياتي، نا معتمر، عن أبيه، عن رجل، عن معقل بن يسار مرفوعاً بتمامه. فأسقط شيخ الروياني «والد» شيخ سليمان التيمي، والأشبه إثباته، وانظر «التسليّة».

وتوبع معتمر على الوجه الأول فتابعه ابن المبارك، فرواه عن سليمان التيمي، عن رجل، عن أبيه، عن معقل بن يسار مرفوعاً: «اقرأوا يس على موتاكم».

أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٩٣١)، عن ابن المبارك، وخالفه جماعة عن ابن المبارك كما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى، وأغرب السيوطي فقال في «الدر المنثور» (٢٠/١): «وإسناده صحيح!! ويأتي ما فيه».

(٣) في «مسنده» (٢٧/٥).

وأخرجه البخاري في «الكنى» (٥٠٥) معلقاً ووصله أبو داود (٣١٢١)؛ وابن ماجه (١٤٤٨)؛ عن ابن أبي شيبة، وهذا في «مصنفه» (٢٣٧/٣)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص ١٣٦)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٢٠/رقم ٥١٠)؛ والحاكم (٥٦٥/١)؛ وعنه البيهقي في «سننه الكبرى» (٣/٣٨٣)؛ وفي «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٢٣٠)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٢٩٥/٥) من طرق عن ابن المبارك، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان وليس بالنهدي، عن أبيه، عن معقل بن يسار مرفوعاً فذكره.

وقد رواه عن ابن المبارك هكذا جمع يترجحون على الطيالسي، وللوليد بن مسلم فيه وجه آخر ثم الترجيح في كل ذلك نظري؛ يعني: لا يفيد الحديث قوة إذ له ثلاث علل لخصها الحافظ ابن حجر، فقال في «التلخيص» (١٠٤/٢): «وأعله ابن القطان بالاضطراب، وبالوقف، وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه، ونقل =

عثمان - وليس بالنهدي - عن أبيه، عن معقل بن يسار؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوها على موتاكم» - يعني: يس.

فقد تبيننا بهذا الإسناد معرفة المبهم في الرواية الأولى.

وقد أخرج هذا الحديث على هذه الصفة في الرواية الثانية أبو داود، والنسائي، وابن ماجه. وقد روى الترمذي^(١) من حديث حكيم بن جبير، وفيه ضعف، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن: آية الكرسي».

وفي «مسند أحمد»^(٢)، و«صحيح مسلم»؛ والترمذي، والنسائي، من حديث سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً؛ فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان».

وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وقال أبو عبيد^(٣) القاسم بن سلام: حدثني ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي

= أبو بكر ابن العربي عن الدارقطني أنه قال: هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن، ولا يصح في هذا الباب حديث. اهـ.

(١) في «سننه» (٢٨٧٨).

وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٠١٩)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ١١٧)؛ والحاكم (١/٥٦٠، ٥٦١، ٢/٢٥٩)؛ عن الحميدي وهذا في «مسنده» (٩٩٤)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢/٦٣٧)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢١٥٨)؛ من طريق حكيم بن جبير، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/٢٠) لابن المنذر.

وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه». اهـ وهذا هو الصواب أما الحاكم فقال: «صحيح الإسناد، والشيخان لم يخرجاه عن حكيم بن جبير لو هن في رواياته، إنما تركاه لغلوه في التشيع». اهـ.

(*) قلت: كذا قال! ولو كان ثقةً غالباً في تشيعه لم يضره ذلك على الصحيح من أقوال أهل العلم منهم البخاري ومسلم، ولكن ضعفه جماهير النقاد مثل أحمد وابن معين وأبي داود والنسائي وغيرهم ولأوله شاهد من حديث سهل بن سعد لكنه ضعيف أيضاً ويأتي تخريجه قريباً.

واعلم أن الراجح في هذا الحديث الوقف كما يأتي إن شاء الله، ثم قوله: «وفيها آية هي سيدة آي القرآن: آية الكرسي» صحيح وله شواهد نذكرها إن شاء الله عند تفسير هذه الآية الكريمة والله الموفق.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٢/٧٨٠)، من طرق سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً. وصححه أيضاً: البغوي في «شرح السنة».

(٣) في «فضائل القرآن» (ص ١٢١).

وابن لهيعة سيء الحفظ، وابن أبي مريم هو سعيد بن الحكم بن أبي مريم، وليس من قدماء أصحابه ولم يتفرد به ابن لهيعة فتابعه عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب بسنده سواء. أخرجه الفريابي في «الفضائل» (٣٨) من طريق ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث وابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب به وابن وهب من قدماء أصحاب ابن لهيعة فيبقى الكلام على سنان بن سعد، ويقال: سعد بن سنان، وبه ترجم المزي في «التهذيب» وذكره باسم «سعد»: الترمذي في «سننه» (٦٤٦)؛ وابن عدي في «الكامل» (٣/١١٩١).

وأما ابن حبان فقال في (الثقات): «أرجو أن يكون الصحيح: سنان بن سعد، وقد اعتبرت حديثه فرأيت ما =

حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه». سنان بن سعد، ويقال بالعكس، وثقه ابن معين، واستنكر حديثه: أحمد بن حنبل وغيره.

وقال أبو عبيد^(١): حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص، عن عبد الله - يعني: ابن مسعود - ﷺ؛ قال: إن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة.

ورواه النسائي في «اليوم والليلة». وأخرجه الحاكم في «مستدرکه» من حديث شعبة؛ ثم قال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

وقال ابن مردويه^(٢): حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدثنا أيوب بن

= روى سنان بن سعد يشبه أحاديث الثقات، وما روى سعد بن سنان وسعيد بن سنان فيه المناكير، كأنهما اثنان». والظاهر من تصرف العلماء أنهما رجل واحد كما رجحه الخطيب في «موضح الأوهام» (١٦٤/٢)، وهو ظاهر صنيع ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٥١/١/٢) واختلف العلماء في حاله، وجملة القول فيه أنه مقارب الحديث ولمتن حديثه شواهد صحيحة كثيرة يأتي بعضها إن شاء الله تعالى. (١) في «فضائل القرآن» (ص ١٢١).

وأخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٩٦٤) قال: أخبرنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد؛ يعني: ابن جعفر، حدثنا شعبة بسنده سواء بلفظ: «جددوا القرآن ليربوا فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم، فإن الشيطان يفر... الحديث».

وأخرجه الدارمي (٣٢١/٢)؛ والحاكم (٥٦١/١) عن الفضيل بن دكين؛ والحاكم (٢٥٩/٢ - ٢٦٠) عن آدم بن أبي إياس كلاهما عن شعبة بسنده سواء بلفظ: «اقرأوا سورة البقرة في بيوتكم فإن الشيطان لا يدخل بيتاً... الحديث وقال في الموضع الأول: «صحيح على شرط الشيخين» وقال في الموضع الثاني: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي في الموضعين!، وحكمه في الموضع الثاني أسد، لأن البخاري ما احتج برواية أبي الأحوص - واسمه عوف بن مالك - عن ابن مسعود، بل مسلم، ثم الشيخان ما أخرجا شيئاً لسلمة بن كهيل عن أبي الأحوص. والله أعلم.

ويرويه عاصم بن بهدلة عن أبي الأحوص، ويأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢١٦٢) من طريقين عن أبي إسماعيل الترمذي قال: حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال بسنده سواء.

وأخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٩٦٣) قال: أخبرنا محمد بن نصر، قال: حدثنا أيوب بن سليمان بسنده سواء.

وقد توبع ابن عجلان. تابعه حلو بن السري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله مرفوعاً فذكره.

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٢٤٨، ٧٧٦٦)؛ وفي «الصغير» (١٤١) من طريق يعقوب بن إسحاق أبي يوسف القلوسي قال: نا الحارث بن محمد الكوفي، قال: نا حلو بن السري.

(*) قلت: وحلو بن السري وثقه الطبراني في «الصغير»؛ وابن حبان في «الثقات» (٢٤٨/٦) وخالفهما - أعني ابن عجلان وحلو بن السري - شعبة بن الحجاج، فرواه عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص قال: كان عبد الله يقول: «لا ألفين أحدكم يتعشى ثم يضطجع، فيضع رجلاً على رجل ويتغنى، ويدع سورة البقرة أن يقرأها، فإن الشيطان ليفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة». أخرجه ابن الضريس في «الفضائل» (١٧٥) قال: أخبرنا أبو عمر وهو حفص بن عمر، ثنا شعبة. وهذا سند صحيح، وهو أقوى من رواية ابن عجلان وحلو بن السري ويؤيده ما أخرجه ابن الضريس أيضاً (١٦٤) قال: أخبرنا أبو غسان، ثنا جرير، =

سليمان بن بلال، حدثني أبو بكر بن أبي أويس، عن سليمان بن بلال، عن محمد بن عجلان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحداكم يضع إحدى رجله على الأخرى يتغنى ويدع سورة البقرة يقرؤها؛ فإن الشيطان ينفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة، وإن أصفر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله».

وهكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة» عن محمد بن نصر، عن أيوب بن سليمان، به. ^(١) [وروى الدارمي في «مسنده» ^(٢)، عن ابن مسعود؛ قال: «ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان، وله ضراط».

وقال ^(٣): «إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وإن لكل شيء لباباً وإن لباب القرآن المفصل».

وروى أيضاً ^(٤) من طريق الشعبي؛ قال: قال عبد الله بن مسعود: ^(١) ^(٥) «من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة، أربع من أولها وآية الكرسي، وآياتان بعدها، وثلاث آيات من آخرها» - وفي رواية: «لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان، ولا شيء يكرهه ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق» ^(٥).

وعن سهل بن سعد؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن البقرة، وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله (شيطان) ^(٦) ثلاث ليالٍ، ومن قرأها في بيته نهراً لم يدخله (شيطان) ^(٦) ثلاثة أيام».

رواه أبو القاسم الطبراني ^(٧)،

= عن إبراهيم التيمي، عن أبي الأحوص قال: سمعت عبد الله يقول: إن أصفر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله ولا ألفين أحداكم يضع إحدى رجله على الأخرى... وساقه. وهذا سند صحيح أيضاً، فهذا يدل على أن الصحيح في هذا الحديث الوقف، ويأتي له شواهد تؤيد ذلك قريباً إن شاء الله تعالى.

(١) ساقط من (ز).

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (٣٢١/٢) بسند حسن.

(٣) أخرجه الدارمي وابن الضريس (١٧٧، ١٧٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٦٤٤)؛ والجوزقاني في «الأباطيل» (٧٠٦) من طريق حماد بن سلمة وحماد بن زيد كليهما عن عاصم، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود فذكره موقوفاً. وتابعهما أبو بكر بن عياش عن عاصم مثله. أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢٢٥٨) وسنده حسن، قال الدارمي عقبه: واللباب: الخالص.

(٤) يعني: الدارمي (٣٢٢/٢) قال: حدثنا جعفر بن عون، أنا أبو العميس، عن الشعبي فذكره وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٦٧٣) من طريق أبي نعيم، ثنا أبو العميس به، وسنده جيد، وأبو العميس هو عتبة بن عبد الله بن عتبة، أخو عبد الرحمن المسعودي وهو ثقة، تكلم فيه أبو نعيم الفضل بن دكين، وقد توبع فتابعه عاصم بن بهدلة، عن الشعبي فذكر مثله.

أخرجه الدارمي وابن الضريس (١٦٦، ١٧٩) من طريقين عن عاصم. وسنده حسن.

(٥) ساقط من (ز). (٦) في (ز) و(ل) و(ك): «الشيطان».

(٧) في «المعجم الكبير» (ج ٦/رقم ٥٨٦٤).

وأخرجه ابن حبان (١٧٢٧ - موارد) عن أبي يعلى وهو في «مسنده» (ج ١٣/رقم ٧٥٥٤)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٦/٢)؛ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/١٠١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢١٦١) من =

وأبو حاتم بن حبان في «صحيحه»، ^(١) [وابن مردويه من حديث الأزرق بن علي، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا خالد بن سعيد (المدني) ^(٢) عن أبي حازم، عن سهل، به. وعند ابن حبان: خالد بن سعيد (المدني) ^(٣)] ^(١).

وقد روى الترمذي ^(٤)، والنسائي، وابن ماجه، من حديث عبد الحميد بن جعفر، عن سعيد المقبري، عن عطاء مولى أبي أحمد، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ^(٥)؛ قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذوو عدد فاستقرأهم؛ فاستقرأ كل واحد منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثهم سناً، فقال: ما معك يا فلان؟ فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة. فقال: أمعك سورة البقرة؟ قال: نعم. قال: اذهب فأنت أميرهم». فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا أنني خشيت أن لا أقوم بها. فقال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن، واقروه؛ فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه في كل مكان. ومثل من تعلمه فتركه وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك». هذا لفظ رواية الترمذي. ثم قال: «هذا حديث حسن».

ثم رواه من حديث الليث، عن سعيد، عن عطاء مولى أبي أحمد مرسلًا. فالله أعلم ^(٦). قال البخاري ^(٧): وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أسيد بن حضير (رضي الله عنه)، قال: بينما هو يقرأ (من) ^(٨) الليل سورة البقرة - وفرسه مربوطة عنده - إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت ^(٩) [فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت] ^(٩)، ثم قرأ فجالت الفرس

= طريق خالد بن سعيد المدني، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد مرفوعاً قال العقيلي: «خالد بن سعيد لا يتابع على حديثه»، وقال ابن المديني: «لا نعرفه» وكذلك جهله ابن القطان، وبه ضعف الهيثمي الحديث في «المجمع» (٣١٢/٦).

(١) ساقط من (ز).

(٢) كذا في (ن) و(هـ) ووقع في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي): «المدني».

(٣) كذا في (ك) و(ن) وفي (ع) و(هـ) و(ي): «المدني» وفي (ج) و(ل): «المني».

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٧٦)؛ والنسائي في «كتاب السير»، كما في «أطراف المزي» (٢٨٠/١٠)؛ وابن خزيمة (ج٣/رقم ١٥٠٩) وعنه ابن حبان (١٧٨٩ - موارد)؛ والبزار في «مسنده» (ج٢/ق ١٧١/١، ٢)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ٢٥) من طرق عن عبد الحميد بن جعفر بطوله؛ وأخرجه ابن ماجه (٢١٧)؛ والحاكم (٤٤٣/١)؛ وأبو الشيخ في «الأمثال» (٣٣٤) مختصراً.

قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من حديث أبي هريرة بهذا الإسناد، وعطاء مولى أبي أحمد لا نعلمه حدث عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، ولا حدث عنه إلا سعيد المقبري».

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

(٥) من (ن).

(٦) وقع في (ج) و(ل) بعد هذا عنوان: «ما ورد في فضلها مع آل عمران» وهذا خطأ، لأن حديث أسيد بن حضير ليس فيه ذكر لـ «آل عمران»، والصواب ما ورد في سائر النسخ أن هذا العنوان موضعه بعد ذلك كما يأتي، والحمد لله تعالى.

(٧) في «فضائل القرآن» (٦٣/٩) ومر تخريجه في كتاب «فضائل القرآن» (٢٤٦/١).

(٨) في (ج) و(ل): «في».

(٩) ساقط من (ج).

فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه، فلما أخذه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: «اقرأ يا ابن حضير». قال: (فأشفقت)^(١) يا رسول الله (على يحيى)^(٢)، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي وانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها. قال: «وتدري ما ذاك؟» قال: لا. قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم». وهكذا رواه الإمام العالم أبو عبيد^(٣) القاسم بن سلام في كتاب «فضائل القرآن» عن عبد الله بن صالح، ويحيى بن بكير عن الليث، به.

وقد روى من وجه آخر عن أسيد بن حضير كما تقدم. والله أعلم. وقد وقع نحو من هذا لثابت بن قيس بن شماس^(٤)؛ وذلك فيما رواه أبو عبيد^(٥): حدثنا عباد بن عباد، عن جرير بن حازم، عن (عمه)^(٦) جرير بن يزيد - أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله ﷺ قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح. قال: «فلعله قرأ سورة البقرة». قال: (فستل ثابت)^(٧)، فقال: قرأت سورة البقرة. وهذا إسناد جيد إلا أن فيه إبهاماً، ثم هو مرسل. والله أعلم.

ذكر ما ورد في فضلها مع آل عمران:

قال الإمام أحمد^(٨): حدثنا أبو نعيم، حدثنا بشير بن مهاجر، حدثني عبد الله بن بريدة، عن

(١) في (ن): «قد أشفقت».

(٢) في (ز): «أن تطأ يحيى».

(٣) في «فضائل القرآن» (ص ٢٦).

وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٨٤/٧)؛ وأبو نعيم في «المعرفة» (٥٠٢)؛ والحافظ في «التعليق» (٣٨٧/٤) من طريق يحيى بن بكير وحده، ثنا الليث بن سعد بسنده سواء.

(٤) في (ج) و(ع) و(ك) و(ن) و(ي): «الشماس».

(٥) في «الفضائل» (ص ٢٧). وعزاه الحافظ في «الفتح» (٥٧/٩) لأبي داود وقال: «من طريق مرسل» فإله أعلم، ولم أجد في «المراسيل» له، فلعله أراد «ابن أبي داود».

(٦) ساقط من (ز).

(٧) في (ن): «فسألت ثابتاً».

(٨) في «مسنده» (٣٤٨/٥).

وأخرجه الدارمي (٣٢٤/٢)؛ وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٩٢/١٠، ٤٩٣)، ومن طريقه ابن الضريس في «الفضائل» (٩٩)؛ والثعلبي في «تفسيره» (٢/٥/١)؛ وأبو عبيد في «الفضائل» (ص ٣٦، ٣٧) قالوا: حدثنا أبو نعيم بسنده سواء. وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١٤٤/١)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨٣٥) من طريق خلاد بن يحيى، ثنا بشير بن المهاجر بسنده سواء بطوله.

وأخرج بعضه: ابن ماجه (٣٧٨١)؛ وأحمد (٣٥٢/٥، ٣٦١)؛ والحاكم (٥٥٦/١)؛ وابن عدي في «الكامل» (٤٥٤/٢) من طرق أخرى عن بشير بن المهاجر.

قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» وسكت عنه الذهبي.

وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٤٥٣/٤) من طريق حميد بن زنجويه، نا أبو نعيم مثل رواية أحمد وقال: «هذا حديث حسن غريب».

وقال البوصيري في «الزوائد» (٣/١٨٧): «رجالاه ثقات»، وقال الهيثمي (١٥٩/٧): «رجالاه رجال =

أبيه؛ قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعتة يقول: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة».

قال: ثم سكت ساعة، ثم قال: «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف؛ وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بِمَ كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن. ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها؛ فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً».

وروى ابن ماجه، من حديث بشير بن المهاجر بعضه. وهذا إسناد (حسن)^(١) على شرط مسلم؛ ^(٢) [فإن بشيراً هذا (أخرج)^(٣) له مسلم]^(٢)، ووثقه ابن معين. وقال النسائي: ما به بأس، إلا أن الإمام أحمد قال فيه: «هو منكر الحديث، قد اعتبرت أحاديثه فإذا هي (تجيب)^(٤)» بالعجب.

وقال البخاري: «يخالف في بعض حديثه». وقال أبو حاتم الرازي: «يكتب حديثه ولا يحتج به». وقال ابن عدي: «روى ما لا يتابع عليه». وقال الدارقطني: «ليس بالقوى». قلت: ولكن لبعضه^(٥) شواهد؛ فمن ذلك حديث أبي أُمّة الباهلي: قال الإمام أحمد^(٦):

= الصحيح، وقال السيوطي في «اللائي» (١/٢٤٤): «سنده صحيح».

(١) كذا في سائر «الأصول»، ووقع في (ل): «جيد».

(٢) ساقط من (ض).

(٣) في (ن): «خرج» ولم يرو مسلم لبشير بن المهاجر غير حديث واحد في «كتاب الحدود» (٢٣/١٦٩٥) عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه في رجم الغامدية، وفي سياقه مخالفة لما رواه سليمان بن بريدة عن أبيه. وضبط محمد فؤاد عبد الباقي ﷺ «بشيراً» بضم الباء وهو خطأ، والصواب فتحها. والله أعلم.

(٤) في (ن): «تأتي». وفي «تهذيب الكمال» (٤/١٧٧): «فإذا هو يجيب بالعجب».

(٥) يعني: لأوله، أما آخره فلم يأت له المصنف بشاهد.

(٦) في «مسنده» (٥/٢٤٩).

وأخرجه أيضاً في (٥/٢٥٥ - ٢٥٧)؛ وحמיד بن زنجويه في «فضائل القرآن»، كما في «الدر المنثور» (١/١٨)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٤/٢٥٦)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٨/رقم ٧٥٤٢، ٧٥٤٣)؛ وابن الضريس (٩٨)؛ والحاكم (١/٥٦٤)؛ والرويان في «مسنده» (ج ٣٠/ق ٢/٢١٨، ٢/٢٢٠)؛ والبيهقي في «الشعب» (١٨٢٧)؛ والفلاكي في «الفوائد» (ق/١/١١٠) من طرق عن يحيى بن أبي كثير بسنده سواء. ورواه عن يحيى: «أبان بن يزيد، وعلي بن المبارك، وسعيد بن أبي هلال، وهشام الدستوائي».

وخالفهم معمر بن راشد، فرواه عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي أُمّة مرفوعاً مثله؛ أخرجه أحمد (٥/٢٥١)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٨/رقم ٨١١٨) من طريق عبد الرزاق وهو في «مصنفه» (ج ٣/رقم ٥٩٩١)، ويحتمل أن يكون ليحيى بن أبي كثير شيخان فيه. والله أعلم.

وأخرجه ابن الضريس في «الفضائل» (٩٢) من طريق عطاء بن عجلان عن شهر بن حوشب، عن أبي أُمّة مرفوعاً بطوله.

حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا هشام، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلام، عن أبي أمامة؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه شافع (لأصحابه)»^(١) يوم القيامة، اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، يحاجان عن (أهلها)^(٢). ثم قال: اقرأوا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة.

وقد رواه مسلم^(٣) في «الصلاة» من حديث معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، عن جده^(٤) [أبي سلام ممتطور الحبشي، عن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي، به. الزهراوان: المنيرتان]^(٤). والغاية: ما أظلك من فوقك. والفرق: القطعة من الشيء. والصواف: المصطفة المتضامة. والبطلة: السحرة. ومعنى لا تستطيعها؛ أي: لا يمكنهم حفظها. وقيل لا تستطيع النفوذ في قارئها. والله أعلم.

ومن ذلك: حديث النواس بن سمعان، قال الإمام أحمد^(٥): حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرجسي، عن جبير بن نفير؛ قال: سمعت النواس بن سمعان الكلابي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران». وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد؛ قال: «كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما (شرق)^(٦) أو كأنهما فرقان من طير (صواف)^(٧) يحاجان عن صاحبهما».

ورواه مسلم، عن إسحاق بن منصور، عن يزيد بن عبد ربه، به. والترمذي من حديث الوليد بن عبد الرحمن الجرجسي، به. وقال: «حسن غريب»^(٨).

(١) في (ن): «لأهله» وفي (هـ): «لصاحبه» بالإنفراد.

(٢) في (ل) و(ن): «أهلها يوم القيامة» وهذه الزيادة ليست في «المسند» أيضاً.

(٣) في «صحيحه» (٢٥٢/٨٠٤).

وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦)؛ والحاكم (٢/٢٨٧).

ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٢١٥٦)؛ وفي «الكبرى» (٣٩٥/٢)؛ وفي «الصغرى» (٩٥٦)؛ وفي «الأسماء» (٢١٤/٢)؛ والطبراني في «الكبير» (٧٥٤٤) وفي «الأوسط» (٤٦٨)؛ وابن عساكر في «تاريخه» (ج ٦/ق ٦٢٨)؛ والجورقاني في «الأباطيل» (٦٧٨) من طرق عن معاوية بن سلام بسنده سواء. وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن زيد إلا معاوية بن سلام».

(٤) ساقط من (ج). (٥) في «مسنده» (١٨٣/٤).

وأخرجه مسلم (٢٥٣/٨٠٥)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (١٤٧/٢/٤)؛ والترمذي (٢٨٨٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢١٥٧) من طريق الوليد بن عبد الرحمن بسنده سواء.

(٦) في (ك): «شرف» بالفاء! والشرق، بسكون الراء: الضوء كما في «النهاية» (٤٦٤/٢).

(٧) في (ج): «صاف».

(٨) ووقع في مطبوعة «السنن»: «غريب» وهي كثيرة السقط والتصحيح.

وقال الترمذي عقب الحديث: «ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن، وفي حديث النواس عن النبي ﷺ ما يدل على ما فسروا، إذ قال النبي ﷺ: «وأهله الذين يعملون به في الدنيا» ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل».

وقال أبو عبيد^(١): حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة، عن عبد الملك بن عمير؛ قال: قال حماد: أحسبه عن أبي منيب، عن عمه - أن رجلاً قرأ البقرة وآل عمران، فلما قضى صلاته قال له كعب: أقرأت البقرة وآل عمران؟ قال: نعم. قال: فوالذي نفسي بيده، إن فيهما اسم الله الذي إذا دعي به (استجاب)^(٢).

قال: فأخبرني به. قال: لا، والله لا أخبرك به، ولو أخبرتك به لأوشكت أن تدعوه بدعوة أهلك فيها أنا وأنت.

وحدثنا^(٣) عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر - أنه سمع أبا أمامة يقول: إن أخاً لكم أرى في المنام أن الناس يسلكون في صدع جبل وعر طويل، وعلى رأس الجبل شجرتان خضراوان يهتفان: هل فيكم (من)^(٤) يقرأ سورة البقرة؟ وهل فيكم (من)^(٥) يقرأ سورة آل عمران؟ قال: فإذا قال الرجل نعم دنتا منه بأعناقهما حتى يتعلق بهما فتخطران به الجبل.

وحدثنا^(٥) عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن أبي عمران - أنه سمع أم الدرداء - تقول: إن رجلاً ممن قرأ القرآن أغار على جار له فقتله، وإنه أُقيد (منه)^(٦) فقتل؛ فما زال القرآن ينسل منه سورة سورة حتى بقيت البقرة وآل عمران جمعة؛ ثم إن آل عمران انسلت منه وأقامت البقرة جمعة؛ ف قيل لها: ﴿مَا يُبْدِلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلْيَقِيدِ﴾ [ق] قال: فخرجت كأنها السحابة العظيمة.

قال أبو عبيد: أراه يعني أنهما كانتا معه في قبره تدفعان عنه وتؤنسانه، فكانتا من آخر ما بقي معه من القرآن.

وقال أيضاً^(٧): حدثنا (أبو مسهر)^(٨) الغساني، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي - أن يزيد بن الأسود الجرشي كان يحدث أنه من قرأ البقرة وآل عمران في يوم برئ من النفاق حتى يمسي، ومن قرأهما في ليلة برئ من النفاق حتى يصبح. قال: فكان يقرؤهما كل يوم وليلة سوى جزئه.

(١) في «فضائل القرآن» (ص ١٢٦).

وأخرجه ابن الضريس (١٧٠) قال: أخبرنا علي بن عثمان، ثنا حماد بسنده سواء.

وأخرجه أيضاً (١٦٩) عن موسى بن إسماعيل، ثنا حماد، عن عبد الملك بن عمير، عن رجل أن رجلاً قام فقرأ البقرة وآل عمران وكعب جالس. وساقه مثله.

(٢) كذا في كل «الأصول» وهو الموافق لما في «فضائل أبي عبيد». ووقع في (ج): «أجاب».

(٣) أخرجه أبو عبيد (ص ١٢٦)؛ والدارمي (٣٢٤/٢) قال: حدثنا عبد الله بن صالح بسنده سواء وسنده جيد.

(٤) في (ن): «قارئ».

(٥) أخرجه أبو عبيد (ص ١٢٦، ١٢٧) وسنده حسن. وأبو عمران الأنصاري مختلف في اسمه، وثقه ابن حبان وقال أبو حاتم: «صالح».

(٦) في (ز) و(ن): «به».

(٧) يعني أبا عبيد في «فضائله» (ص ١٢٧) ولم يعزه السيوطي في «الدر» (١٩/١) لغيره ورجاله ثقات، لكنه منقطع فيما يظهر لي بين سعيد بن عبد العزيز ويزيد بن الأسود.

(٨) في (ن): «أبو سمير».

وحدثنا^(١) يزيد عن (وقاء)^(٢) بن إياس، عن سعيد بن جبير؛ قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كان - أو كتب - من القانتين.
فيه انقطاع، ولكن ثبت في «الصحيحين»^(٣) أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعة واحدة.

ذكر ما ورد في فضل السبع الطول:

قال أبو عبيد^(٤): حدثنا هشام بن إسماعيل الدمشقي، عن محمد بن شعيب، عن سعيد بن بشير،
عن قتادة، عن أبي المليح، عن وائلة بن الأسقع، عن النبي ﷺ؛ قال: «أعطيت السبع الطول مكان
التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل».
هذا حديث غريب^(٥). وسعيد بن بشير فيه لين.

(١) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ١٢٧).

وأخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٤٨٥) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٢٠١) من طريق
مروان بن معاوية قال: نا وقاء بن إياس الأسدي، قال: سمعني سعيد بن جبير ليلة وأنا أقرأ البقرة وآل عمران
والنساء، قال: ألم أسمعك قرأت البارحة البقرة والنساء وآل عمران؟ قلت: بلى قال: فلا تفعل، عليك بآل
حم والمفصل، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من قرأ البقرة والنساء وآل عمران كتب عند الله من الحكماء.
وسنده ضعيف ومنقطع. ووقاء بن إياس مشاه أبو حاتم وابن عدي وضعفه يحيى القطان وأحمد والنسائي
والساجي وغيرهم. وسعيد بن جبير لم يدرك عمر. والله أعلم واختصر البيهقي المحاوراة التي بين وقاء
وسعيد بن جبير.

(٢) كذا في (ع) و(ن) و(هـ) و(ي) ووقع في (ح) و(ز) و(ك) و(ل): «ورقاء» وهو خطأ.

(٣) كذا قال! وعزوه للبخاري وهم، فقد انفرد به مسلم، وتقدم تخريجه، والله الحمد.

(٤) في «فضائل القرآن» (ص ١٢٠).

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ١٧/رقم ١٨٧) من طريق هشام بن عمار، ثنا محمد بن شعيب بن شابور
بسند سواء؛ وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢٦)؛ والبيهقي في «الشعب» (٢٢٥٦) من طريقين آخرين عن
سعيد بن بشير بسند سواء.

وهذا سند واه، وسعيد بن بشير واه في قتادة، ومن ثم استغربه المصنف وكان الأولى أن يورد رواية
عمران بن داور القطان، عن قتادة بسند مثله، فإنها أقوى من رواية سعيد بن بشير. ورواية عمران هذه
أخرجها أحمد (١٠٧/٤)؛ وابن حرير في «تفسيره» (١٢٦)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٥٤/٢)؛ والبيهقي
في «الشعب» (٢١٩٢)؛ وأبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٥٥٧) من طريق الطيالسي، وهو في
«مسنده» (١٠١٢) قال: حدثنا عمران بن داور فذكره. وتوبع الطيالسي.

تابعه عمرو بن مرزوق، قال: أخبرنا عمران بن داور بسند سواء.

أخرجه الطبراني في «الكسر» (ج ٢٢/رقم ١٨٦)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٢٥٥).

وصحح إسناده الشيخ العلامة أبو الأشبال أحمد شاكر رحمته الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٠٠/١) وفيه
تساهل، لأن عمران بن داور مختلف فيه فقد ضعفه ابن معين والنسائي وأبو داود والعقيلي وغيرهم ووثقه
ابن حبان ومشاه أحمد وابن عدي وغيرهما.

وعزاه شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني، حفظه الله، في «الصحيحة» (١٤٨٠)؛ لابن منده في «المعرفة» (٢/٢٠٦)
وقال: «وهذا إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عمران القطان فهو حسن الحديث
للخلاف المعروف فيه».

(٥) تعقبه الشيخ أبو الأشبال رحمته الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٠٠/١) بقوله: «وهو تعليق غير محرر! فإن
سعيد بن بشير لم يتفرد به كما هو ظاهر». اهـ.

وقد رواه أبو عبيد^(١) عن عبد الله بن صالح، عن الليث، عن سعيد بن أبي هلال؛ قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: ... فذكره. والله أعلم.

ثم قال^(٢): حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن حبيب بن هند الأسلمي، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ؛ قال: «من أخذ السبع فهو حبر».

وهذا أيضاً غريب. وحبيب بن هند بن أسماء بن (هند)^(٣) بن حارثة الأسلمي. وروى عنه عمرو بن (أبي)^(٤) عمرو، وعبد الله بن أبي بكرة، وذكره أبو حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحاً. فالحمد لله أعلم.

وقد رواه الإمام أحمد، عن سليمان بن داود، وحسين؛ كلاهما عن إسماعيل بن جعفر، به. ورواه أيضاً عن أبي سعيد، عن سليمان بن بلال، عن حبيب بن هند، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر».

قال أحمد^(٥): وحدثنا حسين، حدثنا ابن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ (مثله)^(٦) قال عبد الله بن أحمد: وهذا أرى فيه: «عن أبيه عن الأعرج»، ولكن كذا كان في الكتاب، فلا أدري أغفله أبي أو كذا هو مرسل؟

^(٧) [وروى الترمذي^(٨)، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وهم ذوو عدد وقدّم عليهم أحدثهم سنّاً لحفظه سورة البقرة؛ وقال له: «اذهب فأنت أميرهم». وصححه الترمذي^(٧)].

(١) في «فضائل القرآن» (ص ١٢٠) وقال عقبه: قال عبد الله؛ يعني: ابن صالح، لم يحفظ الليث عن سعيد إلا أحاديث، هذا أحدها. اهـ وسنده ضعيف معضل. والله أعلم.

(٢) يعني: أبا عبيد في «الفضائل» (ص ١٢٠). وأخرجه أحمد (٦/٧٢، ٧٣)؛ وابن نصر في «قيام الليل» (ص ١٢٠)؛ والحاكم (١/٥٦٤)؛ والطحاوي في «المشكّل» (٢/١٥٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢١٩١)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤/٤٦٨) من طريق إسماعيل بن جعفر بسنده سواء.

قال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي! ووقع عند الحاكم والبغوي: «خير» بالخاء المعجمة والياء بدل «حبر» بالمهملة والموحدة. وتوبع إسماعيل بن جعفر. تابعه اثنان ممن وقفت عليهما.

أولهما: عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عمرو بن أبي عمرو. أخرجه الفريابي في «فضائل القرآن» (٦٥)؛ والبزار في «مسنده» (ج ٣/رقم ٢٣٢٧)؛ والطحاوي في «المشكّل» (٢/١٥٣، ١٥٤)؛ والبغوي (٤/٤٦٨).

ثانيهما: سليمان بن بلال، عن عمرو بن أبي عمرو. أخرجه أحمد (٦/٨٢)؛ والخطيب في «تاريخه» (١٠/١٠٨)؛ وابن الجوزي في «الواحيات» (١٤٩). قلت: وهذا سند ضعيف وحبيب بن هند ترجمه البخاري في «الكبير» (١/٣٢٧)؛ وابن أبي حاتم (١/٢/١١٠) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في «الثقات» وهو مجهول الحال، ولا أعلم أحداً تابعه عليه. والله أعلم.

(٤) ساقط من (ن).

(٦) ساقط من (ج) و(ل).

(٣) في (ن): «هذب»!

(٥) في «المسنّد» (٦/٧٣).

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) مرّ تخريجه في أول السورة.

ثم قال أبو عبيد^(١): حدثنا هشيم، أنبأنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير - في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الثَّمَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] قال: هي السبع الطول: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس. قال: وقال مجاهد: هي السبع الطول. وهكذا قال مكحول، وعطية بن قيس، وأبو محمد (الفارسي)^(٢)، وشداد بن أوس، ويحيى بن الحارث الذماري في تفسير الآية بذلك وفي تعدادها وأن يونس هي السابعة.

فصل

والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف؛ ^(٣) [وهي من أوائل ما نزل بها، لكن قوله تعالى فيها: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾ الآية [البقرة: ٢٨١] يقال: إنها آخر ما نزل من القرآن. ويحتمل أن تكون منها؛ وكذلك آيات الربا من (أواخر)^(٤) ما نزل؛ وكان خالد بن معدان يسمى البقرة فسطاط القرآن^(٥).

قال بعض العلماء: وهي مشتملة على ألف خبر، وألف أمر، وألف نهى. وقال العادون: آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات. وكلماتها ستة آلاف كلمة (ومائة)^(٥) وإحدى وعشرون كلمة. وحروفها خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة - حرف ف الله أعلم. قال ابن جريج^(٦)، عن عطاء، عن ابن عباس: نزلت بالمدينة سورة البقرة. وقال خصيف^(٧)، عن مجاهد، عن عبد الله بن الزبير؛ قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة. وقال الواقدي^(٨): حدثني الضحاك بن عثمان، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه؛ قال: نزلت البقرة بالمدينة. وهكذا قال غير واحد من الأئمة والعلماء والمفسرين؛ ولا خلاف فيه.

وقال ابن مردويه^(٩): حدثنا محمد بن معمر، حدثنا الحسن بن علي بن الوليد

(١) في «الفضائل» (ص ١٢٠).

وأخرجه ابن جرير (٥٣/٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (٢١٩٥) من طريق سعيد بن منصور، وهذا في «تفسيره» (١/١٤٦) قال: حدثنا هشيم فذكره ووقع عند سعيد مختصراً جداً وعزاه السيوطي في «الدر» (١٠٥/٤)؛ لابن الضريس وابن المنذر وابن أبي حاتم. ويأتي تخريجه في سورة الحجر إن شاء الله تعالى.

(٢) كذا في (ز) و(ك) و(ن) ووقع في (ج) و(ع) و(ل) و(ها) و(ي): «القاري».

(٣) ساقط من (ز).

(٤) في (ن): «مائتان».

(٥) أخرجه ابن الضريس في «الفضائل» (١٨) من طريق ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وعزاه في «الدر» (١٧/١) لأبي جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ»؛ وابن مردويه؛ والبيهقي في «الدلائل» من طرق عن ابن عباس.

(٦) أخرجه ابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (١٧/١).

(٧) والواقدي متروك.

(٨) في «تفسيره»، كما في «اللائل المصنوعة» (٢٣٩/١)؛ وأخرجه ابن الضريس، كما في «الدر المنثور» (١/١٨).

(٩) والطبراني في «الأوسط» (ج ٢/٥٢٢)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٤١٨/٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (٥/٢٣٤٦)؛ وابن قانع في «فوائده»، كما في «الفتح» (٨٨/٩)، وعنه ابن الجوزي في =

(الفارسي)^(١)، حدثنا خلف بن هشام؛ وحدثنا (عُبَيْس)^(٢) بن ميمون، عن موسى بن أنس بن مالك، عن أبيه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، ولا سورة النساء، وكذا القرآن كله؛ ولكن قولوا: السورة التي يذكر فيها البقرة، والتي يذكر فيها آل عمران؛ وكذا القرآن كله».

هذا حديث غريب لا يصح رفعه (عُبَيْس)^(٣) بن ميمون هذا (هو)^(٤) (أبو)^(٥) سلمة الخواص، وهو ضعيف الرواية لا يحتج به.

وقد ثبت في («الصحيح»)^(٦)، عن ابن مسعود أنه رمى الجمرة من بطن الوادي، فجعل البيت عن يساره، ومنى عن يمينه؛ ثم قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة. أخرجاه. وروى ابن مردويه^(٧).....

= «الموضوعات» (٢٥٠/١) من طريق عُبَيْس بن ميمون، عن موسى بن أنس بن مالك، عن أبيه مرفوعاً. قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن موسى بن أنس إلا عُبَيْس بن ميمون، تفرد به خلف بن هشام، ولا يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد».

(*) قلت: أما قول الطبراني: تفرد به خلف، فليس كذلك فتابعه جعفر بن عبد الله بن الزبيرقان، حدثني أبو عبيدة عُبَيْس الخزاز فذكره. أخرجه البيهقي في «الشعب».

وهذا حديث منكر، قال البيهقي: «عُبَيْس بن ميمون منكر الحديث، وهو لا يصح وإنما يروى فيه عن ابن عمر من قوله».

ونقل العقيلي عن عبد الله بن أحمد عن أبيه قال: «هذا منكر» وكذلك نقل ابن الجوزي عن أحمد. ونقل السيوطي في «الآلئ» (٢٣٩/١) عن الحافظ ابن حجر أنه انتقد ابن الجوزي في إيراده الحديث في «الموضوعات»، فقال في «الأمالي»: «أفراط ابن الجوزي في إيراد هذا الحديث في «الموضوعات»، ولم يذكر مستنده، إلا قول أحمد وتضعيف عُبَيْس، وهذا لا يقتضي وضع الحديث، وقد قال الفلاس في عُبَيْس: هو صدوق يخطئ كثيراً». اهـ ولذلك ضعف إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (١٨/١) وسبقه الحافظ في «الفتح» (٨٨/٩).

والصواب في هذا الحديث الوقف، فقد أخرج البيهقي في «الشعب» (ج ٥/رقم ٢٣٤٧) بسند صحيح عن ابن عمر قال: «لا تقولوا سورة البقرة، ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة» وكأن الحجاج بن يوسف الثقفي تلقى هذا عن ابن عمر، فكان ينهى أن يقال: «سورة كذا» كما يأتي ذكره قريباً إن شاء الله تعالى.

(١) ساقط من (ز). (٢) تصحف في «الأصول» إلى «عيسى».

(٣) تصحف في «الأصول» إلى «عيسى».

(٤) ساقط من (ج).

(٥) في (ز): «ابن»!!

(٦) في (ز): «الصحيحين» وهو فيهما وقد مرّ تخريجه.

(٧) وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (ج ٦/رقم ٣٦٠٦)؛ والطبراني في «الأوسط» (٢٧٥٨) من طريق محمد بن أبي بكر المقدمي، ثنا عمرو بن عاصم، ثنا أبو العوام عمران القطان، عن معمر، عن الزهري، عن أنس قال: لما كان يوم حنين، انهزم الناس عن رسول الله ﷺ إلا العباس بن عبد المطلب وأبا سفيان بن الحارث، وأمر رسول الله ﷺ أن ينادي: يا أصحاب سورة البقرة، يا معشر الأنصار!، ثم استحر النداء في بني الحارث بن الخزرج، فلما سمعوا النداء أقبلوا، فوالله ما شبهتهم إلا بالإبل تحن إلى أولادها، فلما التقوا التحم القتال فقال رسول الله ﷺ: «الآن حمي الوطيس» وأخذ كفاً من حصي أبيض، فرمى به وقال: «هزموا ورب الكعبة» وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ أشد الناس قتالاً بين يديه.

قال الهيثمي في «المجمع» (١٨١/٦): «رجالهما رجال الصحيح غير عمران بن داود القطان وهو أبو العوام وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه ابن معين وغيره»، وحسنه محقق مسند «أبي يعلى» ولم يصب لأنه معل، فقد =

من حديث شعبة، عن عقيل بن طلحة، عن عتبة بن (فرقد)^(١) قال: رأى النبي ﷺ في أصحابه تأخراً، فقال: «يا أصحاب سورة البقرة». وأظن هذا كان يوم حنين (حين)^(٢) ولّوا مدبرين أمر العباس، فناداهم: ^(٣) [«يا أصحاب الشجرة»؛ يعني: أهل بيعة الرضوان. وفي رواية^(٤)]: «يا أصحاب (سورة)^(٥) البقرة» (ينشطهم)^(٥) بذلك؛ فجعلوا يقبلون من كل وجه. وكذلك يوم اليمامة^(٦) مع أصحاب مسيلمة جعل الصحابة يفرون لكثافة (جيش)^(٧) بني حنيفة؛ فجعل المهاجرون والأنصار يتنادون: يا أصحاب سورة البقرة، حتى فتح الله عليهم، رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم﴾ ﴿١﴾

قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور؛ فمنهم من قال: هي مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله، ولم يفسروها ^(٨) [حكاه القرطبي في «تفسيره»^(٩)، عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود رضي الله عنهم (أجمعين)^(١٠)؛ وقاله عامر الشعبي، وسفيان الثوري، والربيع بن خثيم. واختاره أبو حاتم بن حبان^(٨). ومنهم من فسرهما؛ واختلف هؤلاء في معناها؛ فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنما هي أسماء السور ^(٨) [قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في «تفسيره»^(١١)]: وعليه إطباق الأكثر، ونقل عن سيبويه أنه نص عليه^(٨). ويعتضد (هذا)^(١٢) بما ورد في «الصحيحين»^(١٣) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الْم﴾ و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾.

= خولف عمران القطان، خالفه عبد الرزاق، فرواه في «مصنفه» (ج ٥/رقم ٩٧٤١) عن معمر، عن الزهري، قال: أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب، عن أبيه العباس قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فسأقه مطولاً. وليس فيه: «يا أصحاب سورة البقرة».

ومن طريق عبد الرزاق: أخرجه مسلم (١١٧/١٢ - شرح النووي)؛ وأحمد (١٧٧٥) وأبو عوانة (٢٠١/٤) - (٢٠٣) وتابعه ابن المبارك، ومحمد بن ثور، ومحمد بن حميد العبدي جميعاً عن معمر عن الزهري بسنده سواء.

- (١) وقع في (ج) و(ل) و(ن): «مرثد». وفي (ع) و(هـ) و(ي): «مزيد» ووقع في (ز) و(ك): «مربد» وكله خطأ، والصواب أنه: «عتبة بن فرقد»، وانظر لذلك «الإصابة» (٤/٤٣٩) للحافظ ابن حجر رحمته الله.
- (٢) في (ن): «يوم».
- (٣) ساقط من (ج).
- (٤) في (ز) و(ك) و(ل).
- (٥) في (ز) و(ن): «لينشطهم».
- (٦) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج ٥/رقم ٩٤٦٥) عن معمر. وابن أبي شيبه (٥٠٣/١٢)، عن وكيع وسعيد بن منصور في «سننه» (ج ٢/رقم ٢٩٠٨) عن يعقوب بن عبد الرحمن ثلاثتهم عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: كان شعار المسلمين يوم مسيلمة: يا أصحاب سورة البقرة. وهو مرسل.
- (٧) في (ز): «حشر».
- (٨) ساقط من (ز).
- (٩) انظر: «تفسير القرطبي» (١/١٥٤).
- (١٠) زيادة من (ن).
- (١١) في «الكشاف» (١/١٠).
- (١٢) في (ن): «لهذا».
- (١٣) أخرجه البخاري (٣٧٧/٢، ٥٥٢)؛ ومسلم (٨٨٠/٦٥، ٦٦) وتقدم تخريجه.

وقال سفيان^(١) الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أنه قال: ﴿الْمَ﴾ و﴿حَمَ﴾ و﴿الْمَصَ﴾ و﴿صَ﴾ فواتح افتتح الله بها القرآن. وكذا قال غيره^(٢) عن مجاهد.

وقال مجاهد^(٣) - في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عنه أنه قال -: ﴿الْمَ﴾ اسم من أسماء القرآن.

وهكذا قال قتادة^(٤)، وزيد بن أسلم^(٥): ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن^(٥) بن زيد (بن أسلم)^(٦): إنه اسم من أسماء السور؛ فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن، فإنه يبعد أن يكون ﴿الْمَصَ﴾ اسماً للقرآن كله؛ لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول: قرأت ﴿الْمَصَ﴾ أنما ذلك عبارة (عن)^(٧) سورة الأعراف لا لمجموع القرآن. والله أعلم.

وقيل: هي اسم من أسماء الله تعالى؛ (قال)^(٨) الشعبي^(٩): فواتح السور من أسماء الله (تعالى)^(١٠) وكذلك قال سالم بن عبد الله، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي^(١١) الكبير.

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣٠) بسند قوي. وعزاه السيوطي في «الدر» (٢٣/١)؛ لابن المنذر وأبي الشيخ.
(٢) كابن جريج. أخرجه ابن جرير (٢٣١)؛ وابن أبي حاتم (٥١) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله وصرح ابن جريج بالتحديث عند ابن أبي حاتم؛ وأخرجه ابن جرير (٢٢٨) عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن ابن جريج.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢٦) قال: حدثني المثنى بن إبراهيم الأملي، ثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود به وشيخ ابن جرير: المثنى لم أجد له ترجمة، ولم يزد الشيخ أبو الأشبال رحمته في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/١٧٦) إلا أن قال: «يروى عنه الطبري كثيراً في التفسير والتاريخ»، وقد راجعت «التاريخ» و«تهذيب الآثار» فلم يتكلم المحققون عليه بشيء، ثم وقفت له على متابع والحمد لله. فتابعه أبو حاتم الرازي قال: ثنا أبو حذيفة بسنده سواء. أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٠).

وأبو حذيفة مختلف فيه، وهو جيد الحديث إلا عن الثوري، وشيخه هنا؛ هو شبل بن عباد المكي وبقية رجال السند معروفون، فالإسناد حسن والله أعلم. ثم رأيت في «كتاب الإرشاد» (ص ٣٩٣) لأبي يعلى الخليلي أنه قال: «وتفسير ابن عباد المكي، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: قريب من الصحة». اهـ.

فالحمد لله على التوفيق.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٩/١) ومن طريقه ابن جرير (٢٢٥) عن معمر، عن قتادة. وسنده صحيح، وعزاه السيوطي في «الدر» (٢٢/١)؛ لابن أبي حاتم وعبد بن حميد، أما ابن أبي حاتم فلم يروه، إنما أشار إلى القول فقط.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣٢).

(٦) زيادة من (ن).

(٧) ساقط من (ز).

(٨) في (ز) و(ن): «فقال».

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة في «تفسيره»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، كما في «الدر» (٢٢/١). [أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن أبي شيبة عن سويد بن عمرو، عن أبي عوانة، عن إسماعيل بن سالم عن عامر الشعبي].

(١٠) من (ز) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي).

(١١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٦٥/١) من طريق محمد بن سليمان الباغندي الكبير، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن السدي. وسنده جيد. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/٢٢) لأبي الشيخ.

وقال شعبة، عن السدي: بلغني أن ابن عباس قال: ﴿ٱلْعَمَّ﴾ اسم من أسماء الله تعالى^(١) الأعظم؛ هكذا رواه ابن أبي حاتم^(٢)، من حديث شعبة.

ورواه ابن جرير^(٣)، عن بNDAR، عن ابن مهدي، عن شعبة؛ قال: سألت السدي عن ﴿حَمَّ﴾ [غافر] و﴿طَسَّ﴾ [النمل: ١] و﴿ٱلْعَمَّ﴾ فقال: قال ابن عباس: هي اسم الله الأعظم.

وقال ابن جرير^(٤): وحدثنا محمد بن المثنى، حدثنا أبو النعمان، حدثنا شعبة، عن إسماعيل السدي، عن مرة الهمداني؛ قال: قال عبد الله... فذكر نحوه.

^(٥) [وحكى مثله عن علي، وابن عباس]^(٥).

وقال علي بن أبي طلحة^(٦)، عن ابن عباس: هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله تعالى.

(١) زيادة من (ج) و(ل) و(ه).

(٢) في «تفسيره» (٤٤) من طريق يحيى بن عباد، عن شعبة. [وسنده ضعيف لأن السدي رواه بلاغاً].

(٣) في «تفسيره» (٢٣٣) قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة. فقول ابن كثير: «رواه ابن جرير عن بNDAR» سبق قلم، و«بNDAR» لقب لمحمد بن بشار، وهو من شيوخ الطبري أيضاً، وإنما رواه الطبري عن محمد بن المثنى، لا عن محمد بن بشار إلا أن يكون التصحيف وقع في «تفسير الطبري» والله أعلم، ثم ابن مهدي أثبت في شعبة من يحيى بن عباد الضبيعي، ولكن رواية ابن مهدي تؤول إلى رواية يحيى بن عباد، فإنه يبعد سماع السدي من ابن عباس، إنما يروى عنه بواسطة، وليس له عن ابن عباس في الكتب الستة ولا في مسند أحمد غير حديث واحد رواه أبو داود (٣٠٤١) في «كتاب الخراج»، فعلق عليه المنذري في «تهذيب سنن أبي داود» (٢٥١/٤) بقوله: «في سماع السدي من عبد الله بن عباس نظر، وإنما قيل: إنه رآه، ورأى ابن عمر، وسمع من أنس بن مالك ﷺ». اهـ.

(٤) في «تفسيره» (٢٣٤).

(٥) ساقط من (ز).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣٦) من طريق أبي صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة وهذه الصحيفة عن ابن عباس، والتي يروها علي بن أبي طلحة في ثبوتها اختلاف بين أهل العلم، لأنهم أجمعوا على أن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، ولم يره. صرح بذلك دحيم وأبو حاتم الرازي، كما في «المراسيل» (ص ١٤٠)؛ وابن معين، كما في سؤالات يزيد بن الهيثم، رقم (٢٦٠)؛ وابن حبان في «الثقات» (٢١١/٧)؛ والخطيب في «الموضح» (٣٥٥/١)، ونقل الإجماع أبو يعلى الخليلي في «الإرشاد» (ص ٣٩٤) وتبعهم في ذلك الهيثمي في «المجمع» (١٤/٧، ١٥)؛ والشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (٥٢٧/٢، ٥٢٨؛ و٢٢٣/٣ و٥٣٨/٧)، وشيخنا الألباني في «الصحيحة» (١٥٧٥).

بينما يقول السيوطي في «الإتقان» (٥/٢): «وطريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من أصح الطرق عنه». وعليها اعتمد البخاري في «صحيحه». اهـ. وأوماً الحافظ ابن حجر إلى ثبوتها فقال في «الفتح» (٨/ ٤٣٨، ٤٣٩): «وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهي عند البخاري، عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في «صحيحه» فيما يعلقه عن ابن عباس». وقد أسند أبو جعفر النحاس في «معاني القرآن» عن أحمد بن حنبل قال: «إن بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً، ما كان كثيراً» وليس قول أحمد صريحاً في ثبوتها، ما فيها إلا الإيماء، وإنما صححها من قبلها من العلماء على اعتبار أن علياً يروها عن مجاهد، فقد ذكر المزي في «التهذيب» (٤٩٠/٢٠) رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ثم قال: «مرسل بينهما مجاهد»، ولو ثبت عندنا أن الوساطة مجاهد لحكمنا بقوة هذا الإسناد، وقال السيوطي =

وروى ابن أبي حاتم، وابن جرير^(١)، من حديث ابن عُلية، عن خالد الحذاء، عن عكرمة - أنه قال: ﴿الْمَ﴾ قسم.

ورويًا^(٢) أيضاً من حديث شريك بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس: ﴿الْمَ﴾ قال: أنا الله أعلم. وكذا قال سعيد بن جبير^(٣).

وقال السدي^(٤)، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿الْمَ﴾ قال: أما ﴿الْمَ﴾ فهي حروف استفتحت من حروف هجاء (اسم)^(٥) الله تعالى.

وقال أبو جعفر^(٦) الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية - في قوله تعالى: ﴿الْمَ﴾ - قال: هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفاً: دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم.

قال عيسى بن مريم عليه السلام، وعجب؛ فقال: وأعجب أنهم ينطقون بأسمائه، ويعيشون في رزقه، فكيف يكفرون به؟ فالألف مفتاح (اسمه)^(٧) «الله»، واللام مفتاح اسمه لطيف، والميم مفتاح اسمه مجيد، فالألف آلاء الله، واللام لطف الله، والميم مجد الله، والألف سنة، واللام (ثلاثون)^(٨).

= في «الإتقان» (٢٠٧/٤): «وقال قوم: لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير، قال ابن حجر: بعد أن عرفت الوسطة، وهو ثقة، فلا ضير من ذلك». اهـ. وقد علقها البخاري بصيغة الجزم عن ابن عباس، ولم يمرض الصيغة إلا في موضعين (٢٤٥/٨، ٥٦٣) ومرضاها أيضاً في موضعين آخرين (٦٨٥/٨، ٧١١) من طريق آخر عن ابن عباس، وفي النفس غصة من تجويد هذا الإسناد، ولم أقف على قائل هذا القول: أن الوسطة بين ابن أبي طلحة وابن عباس هو مجاهد أو سعيد بن جبير، ولا على دليله على ذلك، ولقد مررت على كثير من كتب الحديث فلم أر لعلي بن أبي طلحة عن مجاهد إلا الحرف بعد الحرف، ولو سلمنا أنه روى عن مجاهد هذه الصحيفة، وهي طويلة، فما المصلحة من إسقاطه، وجعل السند منقطعاً؟ والذي يترجح عندي هو ضعف هذا الإسناد والله أعلم. [يمكن الوقوف على ذكر الوسطة بأنه مجاهد في مقدمة التفسير الصحيح فقد صرح النسائي في تفسيره وابن زنجويه في الأموال].

(١) في «تفسيره» (٥٢) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج. وابن جرير (٢٣٧) قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم كلاهما قال: ثنا ابن علية بسنده سواء. وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٣)؛ وابن جرير (٢٣٨)؛ والنحاس في «القطع والائتاف» (ص ١٩١)؛ والبيهقي في «الصفات» (١٦٤/١) وسنده ضعيف، لضعف شريك النخعي، واختلاط عطاء بن السائب.

وعزاه السيوطي في «الدر» (٢٢/١) لوكيع، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣٩) وسنده ضعيف كسابقه.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤٠)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٦٥/١) وسنده حسن.

(٥) في (ز) و(ن): «أسماء». [وسنده ضعيف لأن السدي خلط بين الأسانيد].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩). وهو عند ابن جرير (٢٤٣، ٢٤٤) من وجهين آخرين عن أبي جعفر الرازي لكنه جعله من قول الربيع بن أنس حسب. [وسنده جيد].

(٧) كذا في (ج) و(ع) و(ل) و(هـ) و(ي) ووقع في (ز) و(ك) و(ن): «اسم».

(٨) ساقط من (ج).

سنة، والميم أربعون (سنة)^(١).

هذا لفظ ابن أبي حاتم. ونحوه رواه ابن جرير؛ ثم شرع يوجه كل واحد من هذه الأقوال، ويوفق بينها، وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر، وأن الجمع ممكن؛ فهي أسماء للسور، ومن أسماء الله تعالى يفتح بها السور؛ فكل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته؛ كما افتتح سوراً كثيرةً بتحميده وتسبيحه وتعظيمه؛ قال: ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله، وعلى صفة من صفاته، وعلى مدة؛ وغير ذلك؛ كما ذكره الربيع بن أنس، عن أبي العالية؛ لأن الكلمة الواحدة تطلق على (معان)^(٢) كثيرة؛ كلفظة «الأمة»؛ فإنها تطلق ويراد به الدين؛ كقوله (تعالى)^(٣): ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله؛ كقوله (تعالى)^(٤): ﴿إِنَّ إِيزِيسَ كَانَ أُمَّةً فَاتِنًا لِلَّهِ خَيْفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٠٦] وتطلق ويراد بها الجماعة؛ كقوله (تعالى)^(٥): ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُوتُ﴾ [القصص: ٢٣] وقوله (تعالى)^(٦): ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: ٣٦] وتطلق ويراد بها الحين من الدهر؛ كقوله (تعالى)^(٧): ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أي: بعد حين، على أصح القولين - قال: فكَذَلِكَ هَذَا.

هذا حاصل كلامه موجهًا؛ ولكن هذا ليس كما ذكره أبو العالية؛ فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معاً، (ولفظ)^(٨) «الأمة» وما (أشبهه)^(٩) من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام، فأما حملة على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول، ليس هذا موضع البحث فيها. والله أعلم.

ثم إن (لفظ)^(١٠) «الأمة» يدل على كل من (معانيه)^(١١) في سياق الكلام بدلالة الوضع، فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره؛ فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف.

والمسألة مختلف فيها، وليس فيها إجماع حتى يحكم به، وما أشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا؛ كما قال الشاعر^(١٢):

قلنا لها قفى لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

تعني: وقفت.

(١) ساقط من (ز).

(٣) من (ن).

(٤) كذا في (هـ) وفي سائر «الأصول»: «لفظة» وقد اخترت ما في (هـ) لأن المصنف سيكررها.

(٥) كذا في سائر «الأصول»، وفي (ز) و(ن): «أشبهها».

(٦) في (ك) و(ن): «لفظة».

(٧) كذا في سائر «الأصول»، وفي (ن): «معانيها».

(٨) هذا الرجز للوليد بن عقبة كما ذكر الشيخ محمود شاكر في تحقيقه «الطبري» (١/ ٢١٢). والإيجاف: حث الدابة على سرعة السير.

وقال الآخر^(١):

ما للظلم عال؟ كيف لا يا ينقذ عنه جلده إذا يا فقال ابن جرير: كأنه أراد أن يقول: إذا يفعل كذا وكذا، فاكتفى بالياء من يفعل.

وقال الآخر^(١):

بالخير خيرات وإن شراً فإ لا أريد الشر إلا أن تا يقول: وإن شراً فشر، ولا أريد الشر إلا أن تشاء، فاكتفى بالفاء والتاء من الكلمتين عن بقيتهما، ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام. والله أعلم.

^(٢) [قال القرطبي^(٣): وفي الحديث^(٤): «من أعان على قتل مسلم بشرط كلمة...» الحديث، قال (سفيان)^(٥): هو أن يقول في «أقتل» «أق»^(٦)].

وقال خصيف^(٦)، عن مجاهد: إنه قال: فواتح السور كلها: ﴿قَ﴾ و﴿صَ﴾ و﴿حَمَ﴾ و﴿طَسَرَ﴾ و﴿الرَّ﴾ وغير ذلك، هجاء موضوع.

وقال بعض أهل العربية: هي حروف من حروف المعجم، استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنمة الثمانية والعشرين حرفاً؛ كما يقول القائل: ابني يكتب في - أ ب ت ث - أي: في حروف المعجم الثمانية والعشرين، فيستغني بذكر بعضها عن

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/٢١٣).

(٢) في «تفسيره» (١/١٥٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٦٢٠)؛ وأبو يعلى (ج ١٠/رقم ٥٩٠٠)؛ وابن أبي عاصم في «الدييات» (ص ٢٣)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٤/٣٨٢)؛ وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/١٠٤)؛ عن ابن عدي وهذا في «الكامل» (٧/٢٧١٤، ٢٧١٥)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٨/٢٢) من طريق يزيد بن زياد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره ونقل الذهبي في «الميزان» (٤/٤٢٥)؛ والحافظ في «التلخيص» (٤/١٤) أن أبا حاتم الرازي قال: «باطل موضوع» وعزا الحافظ هذا النقل لـ «علل الحديث»؛ لابن أبي حاتم ولم أجده فيه، ولكن نقل ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/٢٦٣) عن أبيه أنه قال في يزيد بن أبي زياد «ضعيف الحديث، كأنه حديثه موضوع» ونقل ابن الجوزي عن الإمام أحمد أنه قال: «ليس هذا الحديث بصحيح» وقال ابن عدي: «ليس بمحفوظ، وليزيد غير هذين الحديثين، وكل رواياته مما لا يتابع عليه في مقدار ما يرويه». ونقل العقيلي عن البخاري قال: «يزيد هذا منكر الحديث» قال العقيلي: «ولا يتابعه إلا من هو نحوه»؛ وأخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (ص ١٠٥) عن سعيد بن المسيب مرسلاً ولا يصح أيضاً. واختلف في سنده فرواه سالم الأفطس عن سعيد بن المسيب عن عمر مرفوعاً. أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/٧٥) وقال: «هذا حديث موضوع لا أصل له من حديث الثقات»؛ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/٧٤) عن الحكم بن عتيبة، عن سعيد بن المسيب، عن عمر مرفوعاً مثله. وهو منكر أيضاً، وللحديث شواهد عن ابن عباس وابن عمر، وكلها ساقطة، لا يلتفت لواحد منها، فالصواب أن هذا الحديث منكر.

وقد فصلت الكلام عليه في «تسليمة الكظيم» فله الحمد.

(٥) كذا في (ن) و(هـ) وهو الصواب، ووقع في بقية «الأصول»: «شقيق» وهو خطأ، وقائل هذه العبارة هو سفيان بن عيينة كما في «التلخيص» (٤/١٥) للحافظ.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤٢) بسند ضعيف. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/٢٣) لابن المنذر.

مجموعها؛ حكان ابن جرير^(١).

قلت: مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً وهي - ل م ص ر ك ه ي م ط (س)^(٢) ح ق ن - يجمعها قولك: «نص حكيم قاطع له سر»؛ وهي نصف الحروف عدداً، والمذكور منها أشرف من المتروك؛ ويبان ذلك من صناعة التصريف.

^(٣) [قال الزمخشري^(٤): وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على (أنصاف)^(٥) أجناس الحروف؛ يعني: من المهموسة والمجهورة، ومن الرخوة والشديدة، ومن المطبقة والمفتوحة، ومن المستعلية والمنخفضة،] ^(٦) ^(٣) [ومن حروف القلقة. وقد سردها مفصلاً؛ ثم قال: فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة (مكثورة)^(٧) بالمذكورة منها؛ وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله]^(٨).

ومن هاهنا (لخص)^(٨) بعضهم في هذا المقام كلاماً؛ فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها ﷻ عبثاً ولا سدى؛ ومن قال من الجهلة: (إن)^(٩) في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية فقد أخطأ خطأ كبيراً، فتعين أن لها معنى في نفس الأمر؛ فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين؛ وإنما اختلفوا؛ فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه، وإلا فالوقف حتى يتبين. هذا مقام.

المقام الآخر في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي؟ مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها.

فقال بعضهم: إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور. حكاها ابن جرير^(١٠)؛ (وهذا ضعيف)^(١١)؛ لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسمة تلاوةً وكتابةً.

وقال آخرون: بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين إذ تواصلوا بالإعراض عن القرآن، حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه.

حكاها ابن جرير^(١٢) أيضاً؛ وهو ضعيف أيضاً؛ لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها، بل غالبها ليس كذلك؛ ولو كان كذلك أيضاً لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك.

(١) في «تفسيره» (٢٠٩/١ - شاكراً).

(٢) في (ح): (م) وهو سبق قلم.

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) انظر: «الكشاف» (١٧/١).

(٥) في (ن) و(هـ): «أصناف».

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) كذا في (ع) و(ن) و(هـ) و(ي) وهو الموافق لما في «الكشاف» (١٧/١) ووقع في (ج) و(ك) و(ل): «ثلاثون»!

(٨) كذا في (ع) و(ن) و(هـ) و(ي) ووقع في «ز» و(ك): «لحظ» وفي (ج) و(ل): «يخص»!

(٩) وقع في (ج) و(ز) و(ك) و(ل): «إنه».

(١٠) في «تفسيره» (٢٢٠/١ - ٢٢٤).

(١١) في (ج): «وهذا حكاها ضعيف» وكأن صوابه: «وهذا الذي حكاها ضعيف».

(١٢) في «تفسيره» (٢١٠/١ - شاكراً).

ثم إن هذه السورة والتي تليها - أعني البقرة وآل عمران - مدينتان ليستا خطاباً للمشركون، فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه.

وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله؛ هذا مع أنه (مركب)^(١) من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها. ^(٢)[وقد حكى هذا المذهب (فخر الدين)^(٣) الرازي في «تفسيره» عن المبرد وجمع من المحققين]^(٢).

^(٤)[وحكى القرطبي^(٥) عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري^(٦) في «كشافه»، ونصره أتم نصر. وإليه ذهب الشيخ (الإمام)^(٧) العلامة (شيخ الإسلام)^(٨) أبو العباس (أحمد)^(٩) (بن عبد الحليم)^(١٠) لبن تيمية، وشيخنا الحافظ (الجهنزي)^(١١) (الإمام)^(١٢) أبو الحجاج (المزي)^(١٣)، وحكاها لي عن (أبي العباس)^(١٤) ابن تيمية.

قال الزمخشري^(٦): ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن، وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي (والتبكيث)^(١٥)، كما كررت قصص كثيرة، وكرر (التحدي)^(١٦) (بالتصريح)^(١٧) في أماكن؛ قال: وجاء (منها)^(١٨) على حرف واحد؛ كقوله: ﴿صَّٰءَ﴾، ﴿تَّٰءَ﴾، ﴿قَّٰءَ﴾. وحرفين، مثل: ﴿حَمَّ﴾. وثلاثة، مثل: ﴿آلَ﴾. وأربعة، مثل: ﴿آلَرَ﴾ و﴿آلَصَّ﴾. ^(٤).

^(١٩)[وخمسة، مثل: ﴿كَهَيَّصَ﴾ و﴿حَمَّ﴾ و﴿عَسَقَ﴾؛ لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات؛ ما هو على حرف، وعلى حرفين، وعلى ثلاثة، وعلى أربعة، وعلى خمسة؛ لا أكثر من ذلك.

قلت^(١٩) ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف، فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته؛ وهذا معلوم بالاستقراء؛ وهو الواقع في تسع وعشرين سورة؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿آلَ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ [البقرة: ١، ٢] ﴿آلَ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْفَتِيُّ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ [آل عمران: ١ - ٣] ﴿آلَصَّ﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ [الأعراف: ١، ٢] ﴿آلَرَ﴾ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ [إبراهيم: ١] ﴿آلَ﴾ نَزَّلَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾

(١) كذا في (ك) و(ن) و(ي) وفي (هـ): «ركب» وفي (ج) و(ل): «تركب» وسقط هذا اللفظ من (ز).

(٢) ساقط من (ز).

(٣) ساقط من (ن) و(هـ).

(٥) في «تفسيره» (١/١٥٥).

(٧) ساقط من (ي).

(٩) ساقط من (ك) و(ن).

(١١) ساقط من (هـ) ووقع في (ن): «المجتهد».

(١٣) في (ك): «النرى»!

(١٥) في (ك): «التسكيت».

(١٦) في (ك): «البخاري»!!

(١٧) كذا في (ج) و(ل) و(هـ) وفي باقي «الأصول»: «بالصريح».

(١٩) ساقط من (ز).

(١٨) في (ج): «فيها».

[السجدة] ﴿حَمْدٌ﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ [فصلت] ﴿حَمْدٌ﴾ عَسَقَ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ [الشورى] وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن (أنعم) ^(١) النظر. والله أعلم.

وأما من زعم أنها دالة على معرفة المُدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم، فقد ادعى ما ليس له؛ وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف ^(٢)؛ وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته، وهو ما رواه محمد بن إسحاق بن يسار صاحب «المغازي»: حدثني الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله بن رثاب؛ قال: مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله ﷺ، وهو يتلو فاتحة سورة البقرة: ﴿الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فأتى أخاه حبي بن أخطب في رجال من اليهود؛ فقال: تعلمون والله، لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل (الله) ^(٣) (تعالى) ^(٤) عليه: ﴿الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فقال: أنت سمعته؟ قال: نعم. قال: فمشى حبي بن أخطب في أولئك النفر من (يهود) ^(٥) إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد؛ ألم يذكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك: ﴿الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «بلى». فقالوا: جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال: «نعم». قالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين نبي منهم ما مدة ملكه، وما أجل أمته غيرك!

(فقال) ^(٦) حبي بن أخطب، وأقبل على من كان معه، فقال لهم: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون؛ فهذه إحدى وسبعون سنة؛ أفندخلون في دين نبي إنما مدة ملكه، وأجل أمته، إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد؛ هل مع هذا غيره؟ فقال: نعم، قال: ما ذاك؟ قال: ﴿الْمَصِّ﴾ [الأعراف]. قال: هذا أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون. فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: نعم. قال ما ذاك؟ قال: الر. قال: هذا أثقل وأطول؛ الألف واحدة، واللام ثلاثون، والراء مائتان، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة، فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: «نعم». قال: ماذا؟ قال: ﴿الْمَرِّ﴾ [الرعد] قال: هذا أثقل وأطول؛ الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان؛ فهذه إحدى وسبعون ومائتان.

ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً. ثم قال: قوموا عنه.

(١) كذا في (ج) و(ع) وأشار إليها في (ي) ووقع في (ز) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي): «أمعن» وأشار إليه ناسخ (ع) وهما بمعنى. والله أعلم.

(٢) بل منكر، أخرجه ابن جرير (٢٤٦) وأطال الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر في نقده (١/٢١٨ - ٢٢٠) فراجع.

(٣) من (ز) و(ع) و(ك) و(ن) و(ي). وفي (ج) و(ل) و(هـ): «أنزل عليه» لما لم يسم فاعله.

(٤) من (ن). (٥) في (ز) و(ن): «اليهود».

(٦) في (ز): «فقام».

ثم قال أبو ياسر لأخيه حُيي بن أخطب ولمن معه من الأحبار: ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمدٍ كله إحدى وسبعون، وإحدى وثلاثون ومائة، وإحدى وثلاثون ومائتان، وإحدى وسبعون ومائتان؛ فذلك سبعمائة وأربع سنين.

فقالوا: لقد تشابه علينا أمره؛ فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

فهذا (الحديث)^(١) مداره على محمد بن السائب الكلبي، وهو ممن لا يحتاج بما انفرد به. ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحاً أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها، وذلك يبلغ منه جملة كثيرة، وإن حسبت مع التكرار فأظم وأعظم^(٢). والله أعلم.

^(٣) [قال الطبراني^(٤): حدثنا فضيل بن محمد، حدثنا أبو نعيم، حدثنا أبو العميس، سمعت الشعبي يقول: (قال عبد الله)^(٥): «من قرأ عشر آيات من البقرة في بيت، لم يدخله شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربعاً من أولها، وآية الكرسي، (وآيتين)^(٦) بعدها، وخواتيمها»]^(٣).

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾

قال (ابن جريج)^(٧): قال ابن عباس: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ (أي)^(٨) هذا الكتاب. وكذا قال مجاهد وعكرمة، وسعيد بن جبير، والسدي، ومقاتل بن حيان، وزيد بن أسلم، وابن جريج أن «ذلك» بمعنى هذا؛ والعرب (تقارض)^(٩) بين (هذين الاسمين)^(١٠) الإشارة؛ فيستعملون كلاهما مكان الآخر. وهذا معروف في كلامهم^(١١) [وقد حكاه البخاري عن معمر بن المثنى أبي عبيدة]^(١١).

^(١٢) [وقال^(١٣)] الزمخشري^(١٤): ذلك إشارة إلى ﴿آلَ ٱلَّذِينَ﴾، كما قال (تعالى)^(١٥): ﴿لَا فَاِرِضْ وَلَا يَكْرُ عَوَائِي بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] وقال (تعالى)^(١٥) [١٣]: ﴿ذَلِكَ حَكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَسْأَلُكُمُ﴾ [المتحنة: ١٠] وقال: ﴿ذَلِكَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٦٤] وأمثال ذلك^(١٦) [مما أشير به إلى ما تقدم ذكره^(١٦). والله أعلم]^(١٢).

(١) من (ن).

(٢) في (ع): «بلغ مقابلة بنسخة المصنف فصح الله في مدته».

(٣) من (ج) و(ل).

(٤) في «المعجم الكبير» (ج ٩/رقم ٨٦٧٣).

وأخرجه الدارمي (٣٢٢/٢) قال: حدثنا جعفر بن عون، أنا أبو العميس به وسنده جيد، وتكلمت عليه في أول السورة، وذكرت له متابعا آخر هناك. فالحمد لله.

(٥) سقط من (ج) و(ل) واستدرسته من «المعجم». (٦) في (ل): «اثنين»!

(٧) في (ك): «ابن جرير»! [سند ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من ابن عباس، ويتقوى بالآثار التي تليه]

(٨) من (ن). (٩) في (ن): «تعارض».

(١٠) كذا في سائر «الأصول»، وفي (ن): «بين اسمي الإشارة».

(١١) ساقط من (ز).

(١٢) ساقط من (ز).

(١٣) ساقط من (هـ). (١٤) في «الكشاف» (١٤/١).

(١٥) ساقط من (ك).

(١٦) من (ن).

(١) [وقد ذهب بعض المفسرين (فيما) (٢) حكاة القرطبي (٣) وغيره] (١) (٤) [أن «ذلك» إشارة إلى القرآن الذي وُعد الرسول ﷺ بإنزاله عليه، أو التوراة، أو الإنجيل، أو نحو ذلك في أقوال عشرة. وقد ضعف هذا المذهب كثيرون. والله أعلم] (٤).

والكتاب: القرآن. ومن قال: إن المراد بـ«ذَلِكَ الْكِتَابُ» الإشارة إلى التوراة والإنجيل كما حكاه ابن جرير (٥) وغيره، فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع، وتكلف ما لا علم له به.

والريب (٦): الشك. قال السدي (٧)، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: «لَا رَيْبَ فِيهِ» لا شك فيه.

وقاله أبو الدرداء (٨)، وابن عباس (٩)، ومجاهد، وسعيد بن جبیر، وأبو مالك، (ونافع) (١٠) مولى ابن عمر، وعطاء، وأبو العالية، والربيع (١١) بن أنس، ومقاتل بن حيان، والسدي، وقتادة (١٢)، وإسماعيل بن أبي خالد، وقال ابن أبي حاتم: لا أعلم في هذا خلافاً.

(١) ساقط من (ك).

(٢) في (ج): «مما».

(٤) ساقط من (ز).

(٣) في «تفسيره» (١/١٥٧، ١٥٨).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١/٢٢٧، ٢٢٨ - شاكر).

(٦) جاء في حاشية النسخة (ع): «قال الشيخ الإمام شمس الدين ابن القيم عليه الرحمة: الريب ضد الطمأنينة واليقين، فهو قلق واضطراب وانزعاج، كما أن اليقين والطمأنينة ثبات واستقرار، والفرق بين الشك والريب من وجوه: أحدها: أنه يقال: شك مريب، ولا يقال: ريب مشك. الثاني: أن يقال: رابني أمر كذا، ولا يقال: شككتني.

الثالث: أن يقال: رابه يريبه، إذا أزعجه وأقلقه، ومنه قول النبي ﷺ وقد مر بطبي خائف في أصل شجرة: «لا يريبه أحد»، ولا يحسن هنا أن يقال: لا يشككه أحد.

الرابع: أنه لا يقال للشاك في طلوع الشمس أو غروبها، أو دخول الشهر، أو وقت الصلاة: هو مرتاب في ذلك، وإن كان شاكاً فيه.

الخامس: أن يقال: رابني مجيئه وذهابه وفعله، ولا يقال: شككتني، فإن الشك سبب الريب، فإنه يشك أولاً، فيوقعه شكه في الريب، فالشك مبدأ الريب، كما أن العلم مبدأ اليقين». اهـ.

(*) قلت: ثم وجدت كلام ابن القيم، بحمد الله، في «بدائع الفوائد» (٤/١٠٧) فأضاف سادساً، وهو في ترتيبه «خامساً» قال: «إن الريب ضد الطمأنينة واليقين، فهو قلق واضطراب وانزعاج كما أن اليقين والطمأنينة ثبات واستقرار». وقد مضى في مطلع كلام الناقل عن ابن القيم فكأنه تصرف في عبارته. والله أعلم.

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٥٤). وقال ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٥): «ولا أعلم في هذا الحرف اختلافاً بين المفسرين».

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٥) من طريق أبي اليمان الحكم بن نافع، ثنا حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عوف، عن عبد الرحمن بن مسعود الفزاري، عن أبي الدرداء قال: الريب؛ يعني: الشك من الكفر وأخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١٤١) وقال: حدثنا هاشم بن القاسم، ثنا حريز بسنده سواء ولم يذكر الشك. وذكر كلاماً آخر. ورجاله ثقات، إلا عبد الرحمن بن مسعود الفزاري، فذكره ابن حبان في «الثقات» (١٠٨/٥) وقال: «يروى عن أبي الدرداء، عداده في أهل الشام». [ويتقوى بما يليه].

(٩) أخرجه ابن جرير (٢٥٥، ٢٥٦) بسندين ضعيفين. [ويتقوى بما يليه].

(١١) أخرجه ابن جرير (٢٥٨) بسند منقطع.

(١٠) ساقط من (ج).

(١٢) أخرجه ابن جرير (٢٥٧) وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/٣٩) بسند قوي.

(١) [وقد يستعمل الريب في التهمة؛ قال جميل (٢):

بثينة قالت: يا جميل أربتني فقلت كلانا يا بثين مريب
واستعمل أيضاً في الحاجة، كما قال بعضهم (٢):

قضينا من تهامة كل ريب وخبر ثم (أجمعنا) (٣) السيوف (١)

ومعنى الكلام (هنا) (٤) أنه هذا الكتاب، وهو القرآن لا شك فيه أنه (منزل) (٥) من عند الله، كما قال (تعالى) (٦) في السجدة: ﴿الَّذِينَ تَزِيلُ أَلْفُ مِائَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ يُبْغِضُونَ﴾ (٧).

(١) [وقال بعضهم: هذا خبر، ومعناه النهي؛ أي: لا ترتابوا فيه] (١).

ومن القراء من يقف على قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ﴾ ويبتدئ بقوله تعالى: ﴿فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ والوقف على (قوله تعالى) (٧): ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أولى للآية التي ذكرناها، ولأنه يصير قوله تعالى: ﴿هُدًى﴾ صفة للقرآن؛ وذلك أبلغ من (كون) (٨) ﴿فِيهِ هُدًى﴾.

وهذا: يحتمل من حيث العربية أن يكون مرفوعاً على النعت، ومنصوباً على الحال، وخصت الهداية للمتقين، كما قال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًّى أُولَئِكَ يُبَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤] ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٧] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن؛ لأنه هو في نفسه هدى، ولكن لا يناله إلا الأبرار؛ كما قال (تعالى) (٩): ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ فَدَّجَاءُ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) [يونس].

وقد قال السدي (١٠)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني: نوراً للمتقين. وقال الشعبي: هدى من الضلالة (١١).

وقال سعيد بن جبیر: تبيان للمتقين، وكل ذلك صحيح. وقال السدي (١٢): عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس. وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب

(١) ساقط من (ز).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١/١٥٩)، وعزا في «اللسان»، مادة: ريب، البيت الثاني إلى كعب بن مالك الأنصاري، وكذلك عزاه إليه ابن الأنباري في «الوقف والابتداء» (ص ٥٧).

(٣) في (ك) و(هـ): «أجمعنا» وهو تصحيف ظاهر.

(٤) زيادة من (ج) و(ل) و(ن).

(٥) في (ز) و(ن): «نزل».

(٦) زيادة من (ز) و(ن).

(٧) من (ز) و(ن)، وفي (ل): «قوله» ولم يذكر «تعالى».

(٨) في (هـ): «كونه».

(٩) زيادة من (ن) و(هـ).

(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٦٠، ٢٦٣). [وسنده ضعيف].

(١١) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق بيان عن الشعبي].

(١٢) أخرجه ابن جرير (٢٦٠ - ٢٦٣).

رسول الله ﷺ: ﴿هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قال: هم المؤمنون^(١).

^(٢) [وقال أبو روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿هُدَىٰ﴾^(٣) ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ قال (للمؤمنين)^(٤) ﴿الَّذِينَ﴾ [البقرة: ٣] [يتقون]^(٥) الشرك بي، ويعملون بطاعتي]^(٦).

وقال محمد بن^(٦) إسحاق، عن محمد (بن أبي محمد)^(٧) مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو (عن)^(٨) سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ قال الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به.

^(٩) [وقال سفيان^(١٠) الثوري، عن رجل، عن الحسن البصري - قوله تعالى: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ - قال: اتقوا ما حرم (الله)^(١١) عليهم]^(٩)، ^(١٢) [وأدوا ما افترض عليهم]^(١٢).

وقال أبو بكر بن^(١٣) عياش: سألتني الأعمش عن المتقين. قال: فأجبتة، فقال لي: سل عنها الكلبي، فسألته، فقال: الذين يجتنبون كبائر الإثم. قال: فرجعت إلى الأعمش، فقال: (نرى)^(١٤) أنه كذلك ولم ينكره.

وقال قتادة^(١٥): ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ هم الذين نعتهم الله بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣] الآية والتي بعدها.

واختار ابن^(١٦) جرير أن الآية تعم ذلك كله؛ وهو كما قال.

وقد روى الترمذي^(١٧)،

(١) [وسنده ضعيف].

(٢) هذا المقطع في (ز) متأخر عن الذي بعده. [وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس].

(٣) من (هـ).

(٤) في (ن): «هم المؤمنون».

(٥) في (ل): «يتعذون».

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٦٢)؛ وابن أبي حاتم (٦٢) وسنده ضعيف تقدم التنبيه عليه. [لكن حسنه الحافظ ابن حجر والسيوطي، واعتبره الشيخ محمد نسيب الرفاعي من الأسانيد الثابتة، وحسنه ابن بشير كما في مقدمة التفسير الصحيح ٣٨/١، ٣٩].

(٧) ساقط من (ز).

(٨) ساقط من (ز) و(ن).

(٩) هذه الفقرة مقدمة في (ج) و(ل) على الفقرة السابقة عليها.

(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٦١) قال: حدثنا سفيان بن وكيع، ثنا أبي، عن الثوري به وسنده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع، ولجهالة شيخ الثوري.

(١١) من (ز) و(ن).

(١٢) (هذه الفقرة مقدمة في (ج) و(ل) على الفقرة السابقة عليها.

(١٣) أخرجه ابن جرير (٢٦٤).

(١٤) في (ن): «يرى».

(١٥) أخرجه ابن جرير (٢٦٥). [وسنده صحيح].

(١٦) في «تفسيره» (٢٣٣/١، ٢٣٤).

(١٧) أخرجه الترمذي (٢٤٥١) وقال: «حسن غريب»؛ وابن ماجه (٤٢١٥)؛ وعبد بن حميد في «المنتخب» (٤٨٤)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/١٥٨)؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٠)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٧/رقم ٤٤٦)؛ والحاكم (٤/٣١٩)؛ والبيهقي في «سننه» (٥/٣٣٥)، وفي «الشعب» (ج ١٠/رقم ٥٣٦١)؛ والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢) من طريق هاشم بن القاسم قال: ثنا أبو عقيل عبد الله بن عقيل بسنده سواء. قال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي!! وليس كما =

وابن ماجه، من رواية أبي عقيل - (عبد الله بن عقيل)^(١)، عن عبد الله بن يزيد، عن ربيعة بن يزيد، وعطية بن قيس، عن عطية السعدي؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً (لما)^(٢) به بأس». ثم قال الترمذي: «حسن غريب».

وقال ابن أبي حاتم^(٣): حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن عمران، حدثنا إسحاق بن سليمان؛ يعني: الرازي، عن المغيرة بن مسلم، عن ميمون أبي حمزة؛ قال: كنت جالساً عند أبي وائل، فدخل علينا رجل يقال له: أبو عفيف من أصحاب معاذ، فقال له شقيق بن سلمة: يا أبا عفيف! ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل؟ قال: بلى، سمعته يقول: يحبس الناس يوم القيامة في بقيع واحد، فينادي مناد: أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن، لا يحتجب الله منهم ولا يستتر.

قلت: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله العبادة؛ فيمرون إلى الجنة.^(٤) [ويطلق الهدى ويراد به (ما يقر في)^(٥) القلب من الإيمان؛ وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا الله ﷻ]. قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلا هَادِي لَمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦] وقال: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] إلى غير ذلك من الآيات.

ويطلق ويراد به بيان الحق، وتوضيحه والدلالة عليه، والإرشاد إليه؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧] وقال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [١٢]. [البلد] على تفسير من قال: المراد بهما الخير والشر؛ وهو الأرجح. والله أعلم.

وأصل التقوى التوقي مما يكره؛ لأن أصلها: «وقى» من الوقاية؛ قال النابغة^(٦) [٤]:

[سقط النصيف ولم ترد إساقطه فتناولته واتقتنا باليد
وقال (آخر)^(٨) [٧]:

= قال، وعبد الله بن يزيد ترجمه ابن عدي (١٥٥١/٤) وقال: «سمعت ابن حماد؛ يعني: الدولابي، يقول: عبد الله بن يزيد الذي يروى عنه أبو عقيل الثقفي أحاديثه منكرة. قاله السعدي. وهذا الذي حكاه عن السعدي، لا أقف على معرفة ذلك». اهـ.

والحديث رواه الدولابي في «الكنى» (٣٤/٢) وسقط بعض رجال السند، وليس عنده ما ذكره عنه ابن عدي. فالله أعلم، والكتاب كثير السقط والتحريف. فالحاصل أن السند ضعيف، لضعف عبد الله.

(١) ساقط من (ج) ووقع في (هـ): «أبي عقيل عن عبد الله بن عقيل» وزيادة (عن) خطأ.

(٢) في (ز) و(ن): «مما».

(٣) في «تفسيره» (٦١) وسنده ضعيف، وميمون الأعور ضعيف، وأبو عفيف لم أعرفه، وما وجدت له ترجمة. والله أعلم.

(٤) ساقط من (ز).

(٥) كذا في (ن) و(هـ) و(ي) ووقع في (ج) و(ك): «ما ينزل». وفي (ل) بياض.

(٦) وهو في «ديوانه» (ص ٣٤)، وانظر «تفسير القرطبي» (١/١٦١).

(٧) ساقط من (ز). (٨) في (ن) و(هـ): «الآخر».

(١) «فألقت قناعاً دونه الشمس وأتقت بأحسن موصولين كفّ ومعصم وقد قيل (٢): إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى، فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى. قال: فما عملت؟ قال: شمريت واجتهدت. قال: فذلك التقوى.

وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز؛ فقال:

خل الذنوب صغيرها وكبیرها ذاك التقوى
واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى
وأنشد أبو الدرداء (٣) يوماً:

يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا (١)
(٣) «وفي «سنن ابن ماجه» (٤)، عن أبي أمامة رضي الله عنه؛ قال (٣): «[قال رسول الله ﷺ: «ما استفاد المرء بعد تقوى الله (خيراً) (٦) (له) (٧) من زوجة صالحة، إن نظر إليها سرتة، وإن أمرها أطاعته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحتة في نفسها وماله»] (٥).

(١) وأخرج ابن أبي الدنيا في «كتاب التقوى»، كما في «الدر» (٢٤/١)، عن أبي هريرة أن رجلاً قال له: ما التقوى؟ قال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه، أو جاوزته، أو قصرت عنه. قال: ذاك التقوى.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «كتاب التقوى»، كما في «الدر» (٢٥/١)، عن محمد بن يزيد الرحبي قال: قيل لأبي الدرداء! إنه ليس أحد له بيت في الأنصار إلا قال شعراً فمالك لا تقول؟ قال: وأنا قلت فاستمعوه، وذكره.

وسنده ضعيف، ومحمد بن يزيد الرحبي ترجمه البخاري (٢٦١/١/١)؛ وابن حبان في «الثقات» (٣٥/٩)، وقالوا: «يروى عن عروة بن رويم روى عنه إسماعيل بن عياش» فمع جهالة فظاهر أنه لم يدرك أبا الدرداء. والله أعلم.

(٣) ساقط من (ز).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٧)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٨/رقم ٧٨٨١) من طريق هشام بن عمار، ثنا صدقة بن خالد، ثنا عثمان بن أبي عاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة مرفوعاً قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/٧٠): «هذا إسناد فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، وعثمان بن أبي العاتكة مختلف فيه». اهـ.

(*) قلت: كذا قال البوصيري: «علي بن زيد بن جدعان» وهو خطأ واضح، وكنت أظن الخلل من مطبوعة «الزوائد»، فراجعت مخطوطة الكتاب، وعندي نسختان، كلاهما بخط ولد البوصيري واسمه «محمد» النسخة الأولى كتبت سنة ٨٤٣، والنسخة الثانية كتبت في رمضان (٨٥٦) وكلتاها اتفقتا على هذا الخطأ، والصواب أنه علي بن يزيد الألهاني، وهو واه، وعثمان بن أبي العاتكة متمسك، لكن روايته عن علي بن يزيد ضعيفة أو واهية، وهشام بن عمار يضعف من قبل حفظه. فالسند ضعيف جداً.

(٥) ساقط من (ز).

(٦) في (ك) و(هـ): «خير».

(٧) ساقط من (ن) و(ي).

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾

قال أبو جعفر^(١) الرازي، عن العلاء بن المسيب بن رافع، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله؛ قال: الإيمان: التصديق. وقال علي^(٢) بن أبي طلحة وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون. وقال معمر^(٣)، عن الزهري: الإيمان: العمل.

وقال أبو جعفر^(٤) الرازي، عن الربيع بن أنس: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يخشون.

قال ابن جرير^(٥) (وغيره)^(٦): والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً؛ (قال)^(٦) وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل. والإيمان كلمة جامعة (للاقرار)^(٧) بالله وكتبه ورسله، وتصديق الإقرار بالفعل.

قلت: أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض، وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] وكذلك إذا استعمل مقروناً مع الأعمال؛ كقوله (تعالى)^(٨): ﴿(إِلَّا)^(٩) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣] فأما إذا استعمل مطلقاً فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً.

هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة؛ بل قد حكاه الشافعي، وأحمد بن حنبل، (وأبو عبيد)^(١٠)، وغير واحد إجماعاً: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أفردنا الكلام فيها في أول «شرح البخاري»؛ والله الحمد والمنة. ومنهم من فسره بالخشية؛ (لقوله)^(١١) تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الملك: ١٢] وقوله: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [٣٣] [ق]. والخشية: خلاصة الإيمان والعلم؛ كما قال (تعالى)^(١٢): ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

^(١٣) [وقال بعضهم: يؤمنون بالغيب كما يؤمنون بالشهادة، وليسوا كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ [البقرة: ١٩] وقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [١] [المنافقون] فعلى هذا يكون قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾^(١٣)

(١) أخرجه ابن جرير (٢٧١) قال: حدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه وسنده ضعيف للانقطاع، وأبو إسحاق تغير.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٦٨). [وسنده ثابت]. (٣) أخرجه ابن جرير (٢٧٠) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٦٩). [وسنده جيد]. (٥) في «تفسيره» (١/ ٢٣٥ - شاعر).

(٦) ساقط من (ن). (٧) في (ن): «للايمان».

(٨) من (ن). (٩) في (ك): «إن».

(١٠) في (ن): «أبو عبيدة»، وهو أبو عبيد القاسم بن سلام.

(١١) في (ن) و(هـ): «كقوله».

(١٢) من (ز) و(ن).

(١٣) ساقط من (ز).

﴿١﴾ [بِالْغَيْبِ وَيُتِمُّونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٥﴾] حالاً؛ أي: في حال كونهم غيباً عن الناس [١].

وأما الغيب المراد هاهنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه؛ وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد: قال أبو جعفر^(٢) الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قال: يؤمنون بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره، ولقائه؛ ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا غيب كله.

وكذا قال قتادة^(٣) بن دعامة.

وقال السدي^(٤)، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: أما الغيب: فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار، وما ذكر في القرآن.

وقال محمد بن^(٥) إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ - قال: بما جاء منه -؛ يعني: من الله تعالى.

وقال سفيان^(٦) الثوري، عن عاصم، عن زر؛ قال: الغيب: القرآن.

وقال عطاء بن^(٧) أبي رباح: من آمن بالله فقد آمن بالغيب.

وقال إسماعيل^(٨) بن أبي خالد: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، قال: بغيب الإسلام.

وقال زيد بن^(٩) أسلم: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، قال: بالقدر؛ فكل هذه متقاربة في معنى واحد؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به.

وقال سعيد بن منصور^(١٠): حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن (يزيد)^(١١)؛ قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً، فذكرنا أصحاب النبي ﷺ

(١) ساقط من (ز).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٧٦)؛ وابن أبي حاتم (٦٧) من طريقين عن أبي جعفر الرازي. وسنده حسن. [وقال الحافظ ابن حجر: سنده جيد. ينظر مقدمة التفسير الصحيح].

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٧٥) وسنده صحيح. (٤) أخرجه ابن جرير (٢٧٣). [وسنده ضعيف].

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٧٢) وسنده [حسن].

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٧٤)؛ وابن أبي حاتم (٦٩) من طريق أبي أحمد الزبيري، ثنا سفيان. وسنده صحيح.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٠) بسند قوي.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١). [بسند صحيح من طريق إبراهيم بن حميد عن إسماعيل بن أبي خالد].

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢) بسند ضعيف، فيه عبد الله بن جعفر السعدي.

(١٠) في «تفسيره» (١٨٠).

وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٦)؛ وابن منده في «الإيمان» (٢٠٩)؛ والحاكم (٢/٢٦٠) من طرق

عن الأعمش به قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي وهو كما قال. [وصحح سنده

الحافظ ابن حجر في الكافي الشافعي ص ٤، ٥ (ح ٢٢)].

(١١) في (ك): «زيد» وهو خطأ.

وما (سبقوا)^(١) به؛ فقال عبد الله: إن أمر محمد ﷺ كان بيناً لمن رآه؛ والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بغيث؛ ثم قرأ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ غَيْرِهِ﴾ [البقرة: ٥].

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم في «مستدركه» من طرق، عن الأعمش، به. وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

وفي معنى هذا: الحديث الذي رواه (الإمام)^(٢) أحمد^(٣): حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، حدثني (أسيد)^(٤) بن عبد الرحمن، عن خالد بن دريك، عن ابن محيريز؛ قال: قلت لأبي جمعة: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ. قال: نعم، أحدثك حديثاً جيداً: تغدينا مع رسول الله ﷺ، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح؛ فقال: يا رسول الله؛ (أحد)^(٥) خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك! قال: «نعم، قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني».

طريق أخرى: قال أبو بكر بن مردويه في «تفسيره»^(٦): حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل (بن)^(٧) عبد الله بن مسعود، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا معاوية بن صالح، عن صالح بن جبيرة؛ قال: قدم علينا أبو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ببيت المقدس

(١) في (ن): «سبقونا».

(٣) في «مسنده» (١٠٦/٤).

وأخرجه الدارمي (٢/٢١٧)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٤/رقم ٣٥٣٨)؛ وابن قانع في «معجم الصحابة» (ج ٣/٣٦١)؛ وأبو نعيم في «المعرفة» (ج ١/١٧٩)؛ وفي «الحلية» (١٤٨/٥، ١٤٩)؛ وابن عساكر في «تاريخه» (ج ٨/١٨٨)؛ ونجم الدين النسفي في «ذكر علماء سمرقند» (٧٦٧) من طرق عن الأوزاعي بسنده سواء.

وقوى هذا الوجه: الحافظ في «الفتح» (٧/٧) وقد اختلف في إسناده على الأوزاعي وفصلته في «التسلي».

[حسنه الحافظ ابن حجر الفتح ٦/٧].

(٤) في (ز) و(ك) و(ن): «أسد» مكبراً، وهو خطأ.

(٥) في (ز) و(ن): «هل أحد» وفي (ك): «أأحد»، وأشار إلى هذه في (ي).

(٦) وعبد الله بن جعفر هو ابن أحمد بن فارس الأصبهاني أحد الثقات كما في «السير» (٥٥٣/١٥) وشيخه إسماعيل هو الملقب بـ«سمويه» صاحب الأجزاء والفوائد التي تنبئ بحفظه وسعة علمه وثقة ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وغيرهما. وانظر «السير» (١٣/١٠، ١١)؛ وأخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١٢٤)، وفي «التاريخ الكبير» (٣١١/٢/١)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٣٦) والرويان في «مسنده» (ج ٣/٢٦٥ - ٢/٢٦٦)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٤/رقم ٣٥٤٠)؛ والهروي في «ذم الكلام» (ق ١/١٤٨، ٢)؛ وابن عساكر في «تاريخه» (ج ٨/١٨٧، ١٨٨)؛ والنسفي في «الأربعين من حديث السلفي»، كما في «الإصابة» (٦٧/٧) للحافظ، من طريق عبد الله بن صالح بسنده سواء.

قال الحافظ في «الفتح» (٧/٧): «وإسناد هذه الرواية أقوى من إسناد الرواية المتقدمة».

(*) قلت: يعني الحافظ رحمه الله بالرواية المتقدمة هي التي حكم بحسن إسناده ويروها أسيد بن عبد الرحمن، عن صالح بن جبيرة، عن أبي جمعة وفيها: «هل أحد خير منا؟ قال: نعم» أما في رواية معاوية بن صالح، عن صالح بن جبيرة ففيها: «هل قوم أعظم أجراً منا؟»، فليس هناك خير من الصحابة، وإن زاد بعضهم في الأجر عليهم في بعض العمل. هذا مراد الحافظ والله أعلم.

(٧) في (ن): «عن» وهو خطأ ظاهر.

(ليصلي)^(١) فيه، ومعنا يومئذ رجاء بن (حياة)^(٢) (ﷺ)^(٣)؛ فلما انصرف خرجنا نشيعه؛ فلما أراد الانصراف قال: إن لكم جائزةً وحقاً أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ. قلنا: هات رحمك الله. قال: كنا مع رسول الله ﷺ، ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة، فقلنا: يا رسول الله، هل من قوم أعظم منا أجراً؟ آمنا بالله واتبعناك. قال: «ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحي من السماء؛ بل قوم (من)^(٤) بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحيين يؤمنون به، ويعملون بما فيه، أولئك أعظم منكم أجراً» - مرتين.

ثم رواه من حديث^(٥) ضمرة بن ربيعة، عن مرزوق بن نافع، عن صالح بن جببر، عن أبي جمعة، بنحوه.

وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة التي اختلف فيها أهل الحديث، كما قررته في أول «شرح البخاري»؛ لأنه مدحهم على ذلك، وذكر أنهم أعظم أجراً من هذه الحثية لا مطلقاً. وكذا الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة^(٦) العبدى، حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي، عن المغيرة بن قيس التميمي، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده؛ قال: قال رسول الله ﷺ: أي الخلق أعجب إليكم إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم! قالوا: فالنبيون. قال: وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم! قالوا: فنحن. قال: وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «ألا إن أعجب الخلق إليّ إيماناً لقوم يكونون من بعدكم يجدون صحفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها». قال أبو حاتم الرازي: المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث.

قلت: ولكن قد روى أبو يعلى في «مسنده»^(٧)، وابن مردويه في «تفسيره»؛ والحاكم في

(١) في (ن): «يصلى».

(٢) من (ن)، وقد استقر أن الترضى خاص بالصحابة دفعاً للإيهام، ورجاء بن حياة تابعي.

(٣) ساقط من (ن)، والعبارة فيها: «قوم بعدكم يأتيهم كتاب من بين لوحيين».

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣١٠/٢/١) معلقاً، ووصله ابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/٣٦/٣)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٤/رقم ٣٥٤١)؛ وأبو نعيم في «المعرفة» (١/١٧٩/١)؛ وابن عساكر في «تاريخه» (ج٨/ق ١٨٧) من طرق عن ضمرة بن ربيعة.

ومرزوق بن نافع ترجمه البخاري في «الكبير» (٣٨٣/١/٤)؛ وابن أبي حاتم (٢٦٥/١/٤) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في «الثقات» (١٨٩/٩) على طريقته في توثيق المجاهيل ولكنه متابع. (٦) في «جزئه» المشهور (١٩).

ووقع في «الدر المنثور» (٢٦/١): «الحسن بن عروة في حزه»!! ومن طريقه إسماعيل الصفار في «جزئه» (٢/٩٠)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٥٣٨/٦)؛ والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٦١)؛ وطراد أبو الفوارس في «ما أملاه يوم الجمعة ١٤ شعبان سنة ٤٧٨»، كما في «الضعيفة» (٦٤٧)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب» (٤٨)، وسنده ضعيف وله علتان:

الأولى: أن رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين والعراقيين منكراً، وهذه منها، والمغيرة بن قيس بصري. الثانية: أن المغيرة ترجمه ابن أبي حاتم (٢٢٧/١/٤) ونقل عن أبيه قال: «هو منكر الحديث»، وقد اختلف في إسناده.

(٧) أبو يعلى في «مسنده» (ج١/رقم ١٦٠).

«مستدرکه»، من حديث محمد بن أبي حميد - وفيه ضعف - عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، عن النبي ﷺ بمثله أو نحوه.

وقال الحاكم: «صحيح الإسناد. ولم يخرجاه».

وقد روى نحوه^(١) عن أنس بن مالك - مرفوعاً. والله أعلم.

وقال ابن أبي^(٢) حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد المسندي، حدثنا إسحاق بن

= وأخرجه أبو القاسم البغوي في «حديث مصعب بن الزبير» (٢/١٥٢)؛ والبخاري (ج ٣/رقم ٢٨٣٩)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٢٣٨/٤)؛ والحاكم (٨٥/٤، ٨٦)؛ والهروى في «ذم الكلام» (ق ١/١٤٨)؛ وابن أبي شريح في «جزء بيبي» (١٠٤)؛ والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٣٦، ٣٧)؛ وابن عساكر (ج ١٦/ق ٥٤٨) من طريق محمد بن أبي حميد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب مرفوعاً. قال الحاكم: «صحيح الإسناد» فردّه الذهبي قائلاً: «بل محمد ضعفه».

(*) قلت: وهو واه قال البخاري: «إنما نعرف هذا من حديث محمد بن أبي حميد وهو مدني ليس بالقوي حدث بهذا وبحديث آخر لم يتابع عليه».

وقد توبع تابعه يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن أسلم بسنده سواء. أخرجه البخاري (٢٨٣٩)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٢٣٨/٤) من طريق منهال بن بحر، قال: حدثنا هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير به.

قال العقيلي: «وهذا الحديث إنما يعرف بمحمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم، وليس بمحفوظ من حديث يحيى بن أبي كثير، ولا يتابع منهال عليه أحد».

وقال البخاري: «لا نعلمه يروى عن عمر إلا من هذا الوجه، وحديث المنهال بن بحر يرويه الحفاظ الثقات، عن هشام، عن يحيى، عن زيد مرسلاً».

أما الهيثمي فقال في «المجمع» (٦٥/١٠) أشار إلى هذا الإسناد: «أحد إسنادي البخاري المرفوع حسن، المنهال بن بحر وثقه أبو حاتم وفيه خلاف، وبقيّة رجاله رجال الصحيح» اهـ.

(*) قلت: وكيف يكون حسناً مع وجود هذه العلة التي أشار إليها البخاري، وهي المخالفة، لا سيما قد قال: يرويه الحفاظ الثقات عن هشام مرسلاً، ومع تصريح العقيلي أن الحديث غير محفوظ عن يحيى بن أبي كثير؟!

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٠) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أنس مرفوعاً مثله. وقال: «غريب من حديث أنس».

أما الهيثمي فقال (٦٥/١٠): «فيه سعيد بن بشير، وقد اختلف فيه، فوثقه قوم وضعفه آخرون، وبقيّة رجاله ثقات» اهـ.

(*) قلت: رواية سعيد بن بشير عن قتادة خاصة تكثر فيها المناكير، ولذلك استغربها البخاري.

(٢) في «تفسيره» (٧٣).

وأخرجه الطبراني، ومن طريقه ابن مردويه في «تفسيره»، كما عند المصنف (٢٧٩/١)، قال: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا رجاء بن محمد السقطي، حدثنا إسحاق بن إدريس به. وأخرجه ابن أبي عاصم، وعنه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢٨٤/٧) من وجه آخر عن إسحاق بن إدريس.

وسنده ضعيف جداً، وإسحاق كذبه ابن معين، وواه أبو زرعة وتركه النسائي وغيره لكنه لم يتفرد به. فتابعه إبراهيم بن حمزة الزبيري، عن إبراهيم بن جعفر بسنده سواء ولم يذكر «أولئك قوم آمنوا بالغيب».

أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٢٤/رقم ٥٣٠)؛ وابن الأثير في «أسد الغابة» (٤٤/٧)؛ وإبراهيم بن حمزة ثقة، وثقه ابن سعد، وابن حبان، ومسلمة بن قاسم.

وقال أبو حاتم: «صدوق»، وقال النسائي: «لا بأس به».

إدريس، أخبرني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الأنصاري، أخبرني جعفر بن محمود، عن جدته (نويلة)^(١) بنت أسلم؛ قالت: صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة، فاستقبلنا مسجد إيلياء، فصلينا سجدتين، ثم جاءنا من يخبرنا أن رسول الله ﷺ قد استقبل البيت الحرام، فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء، فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن (مستقبلوا)^(٢) البيت الحرام. قال إبراهيم: فحدثني رجال من بني حارثة أن رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك قال: «أولئك قوم آمنوا بالغيب». هذا حديث غريب من هذا الوجه.

﴿يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُقْفُونَ﴾ ﴿٣﴾.

قال ابن عباس: ﴿يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يقيمون الصلاة بفروضها^(٣). وقال الضحاك، عن ابن عباس: (إقامة)^(٤) الصلاة: (إتمام)^(٥) الركوع والسجود، والتلاوة، والخشوع، والإقبال عليها فيها. وقال قتادة^(٦): (إقامة)^(٧) الصلاة: المحافظة على مواقيتها^(٨) [ووضوئها، وركوعها وسجودها. وقال مقاتل^(٩) بن حيان: إقامتها المحافظة على مواقيتها^(٨)، وإسباغ الطهور (فيها)^(١٠)، وتمام

= وقال الهيثمي في «المجمع» (١٤/٢): «رجاله موثقون».

وإبراهيم بن جعفر ذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/٦)، وترجمه البخاري في «الكبير» (٢٧٨/١/١)، وابن أبي حاتم (٩١/١/١) ونقل عن أبيه قال: «هو صالح» وأبوه جعفر بن محمود ذكره ابن حبان في «الثقات» (١٠٧/٤)، وترجمه البخاري (١٩٩/٢/١)؛ وابن أبي حاتم (٤٨٩/١/١) ونقل عن أبيه قال: «محلّه الصدق» ووقع عندهما: «مسلمة» بدل «سلمة» وهذا الإسناد حسن، وهو أجود من الذي أورده المصنف، لكن عذر المصنف في عدم إيراده، والله أعلم، أنه ليس فيه محل الشاهد الذي أورده من أجله وهو قوله: «أولئك قوم آمنوا بالغيب».

(١) في (ن): «بديلة» وهو وجه في اسمها، ووجه ثان: «تويلة» بالطاء.

(٢) في (ز) و(ل) و(ن): «مستقبلون».

(٣) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس].

(٤) في (ج) و(ل): «إقام».

(٥) في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ه): «تمام».

[وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، ومعناه صحيح].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٥) بسند صحيح.

وعزاه السيوطي في «الدر» (٢٧/١) لعبد بن حميد وحده.

(٧) في (ج): «إقام».

(٨) ساقط من (ج).

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٦) من طريق محمد بن مزاحم أنبأ بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان وهذا سند جيد، وبكير بن معروف متمسك، قال أحمد وأبو داود والنسائي: «لا بأس به» وضعفه أحمد في رواية وابن المبارك، وقال ابن عدي: «بكير بن معروف ليس بكثير الرواية، وأرجو أنه لا بأس به، وليس حديثه بالمنكر جداً». وهذا الذي قاله ابن عدي يتعلق بالأحاديث المرفوعة، والرجل فكان صاحب تفسير، اهتم به وعانى عليه، ولا شك أنه في تفسيره أضبط وأحفظ، والله أعلم.

(١٠) أشار في (ج) و(ع) أنه وقع في نسخة: «لها».

ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد والصلاة على النبي ﷺ؛ فهذا إقامتها.
وقال علي بن أبي^(١) طلحة وغيره^(٢)، عن ابن عباس: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال: زكاة أموالهم.

وقال السدي^(٣)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال: نفقة الرجل على أهله. وهذا قبل أن تنزل الزكاة.

وقال جوبير^(٤)، عن الضحاك: كانت النفقات (قربات)^(٥) يتقربون بها إلى الله على قدر ميسرتهم وجهدهم، حتى نزلت فرائض الصدقات: سبع آيات في سورة براءة مما يذكر فيهن الصدقات هن الناسخات المثبتات.

وقال قتادة^(٦): ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فأنفقوا مما أعطاكم الله، هذه الأموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم يوشك أن تفارقها.

واختار ابن جرير^(٧) أن الآية عامة في الزكاة والنفقات؛ فإنه قال: وأولى التأويلات وأحقها بصفة القوم أن يكونوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين - زكاة (كان)^(٨) ذلك، أو نفقة من لزمته نفقته، من أهل (و)^(٩) عيال وغيرهم ممن يجب عليهم نفقته بالقرابة والملك، وغير ذلك؛ لأن الله تعالى عم وصفهم، ومدحهم بذلك. وكل من الإنفاق والزكاة ممدوح به محمود عليه.

قلت: كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال؛ فإن الصلاة حق الله وعبادته، وهي مشتملة على توحيده، والثناء عليه، وتمجيده والابتهاال إليه، ودعائه والتوكل عليه. والإنفاق: هو من الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم، وأولى الناس بذلك القربات والأهلون والمماليك، ثم الأجانب؛ فكل من النفقات الواجبة، والزكاة المفروضة، داخل في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

ولهذا ثبت في «الصحيحين»^(١٠)، عن ابن عمر (رضي الله عنهما)^(١١): أن رسول الله ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت». والأحاديث في هذا كثيرة.

(١) أخرجه ابن جرير (٢٨٦) [وسنده ثابت].

(٢) أخرجه ابن إسحاق، ومن طريقه الطبري (٢٨٥)؛ وابن أبي حاتم (٧٧) قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحوه، [وسنده حسن].

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٨٨) وهو حسن، وأخرجه ابن أبي حاتم (٧٨) من قول السدي. [وسنده ضعيف لخلط السدي بين الأسانيد].

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٨٧) وجوبير تالف. (٥) كذا في (ز)، وفي سائر «الأصول»: «قرباتاً»!!

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٩) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وسنده صحيح.

(٧) في «تفسيره» (٢٤٤/١ - شاعر). (٨) في (ن): «كانت»، وسقط اللفظ من (ل).

(٩) في (ز) و(ن): «أو». (١٠) أخرجه البخاري (٤٩/١)؛ ومسلم (١٦/٢٢).

(١١) من (ن).

وأصل الصلاة في كلام العرب: الدعاء؛ قال الأعشى^(١):

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها وإن ذبحت صلى عليها وزمما
وقال أيضاً^(١):

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم^(٢)
أنشدهما ابن جرير مستشهداً على ذلك.
وقال الآخر، وهو الأعشى أيضاً^(١):

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضى نوماً فإن لجنب المرء مضطجعا
يقول: عليك من الدعاء مثل الذي دعيت له. وهذا ظاهر.

ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة، بشروطها المعروفة، وصفاتها وأنواعها المشهورة.

قال ابن جرير^(٣): (وأرى)^(٤) أن الصلاة (المفروضة)^(٥) سميت صلاة لأن المصلي يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه (فيها)^(٦) من حاجته^(٧).

^(٨) [وقيل: هي مشتقة من الصلوتين إذا تحركا في الصلاة عند الركوع والسجود، وهما عرقان (يمتدان)^(٩) من الظهر حتى يكتنفا عجب الذنب. ومنه سمي المصلي، وهو (التالي)^(١٠) للسابق في حلبة الخيل. وفيه نظر.

وقيل: هي مشتقة من «الصلي»، وهو الملازمة للشيء، من قوله تعالى: ﴿لَا يَصَلُّهَا﴾ [الليل: ١٥] أي: لا يلزمها ويدوم فيها، ﴿إِلَّا الْآشَقَّ﴾ [الليل: ١٥].

وقيل: مشتقة من تصلية الخشبة في النار لتقوم، كما أن المصلي يقوم عوجه بالصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر. والله أعلم^(٨).

وأما الزكاة فسياأتي الكلام عليها في موضعه إن شاء الله (تعالى)^(١١).

(١) هو في «ديوانه» (ص ٢٩٣) و(ص ٣٥) و(ص ١٠١).

(٢) في حاشية (ج): «ارتسم؛ أي: كبر ودعا لها. قالها الجوهري».

(٣) في «تفسيره» (٢٤٣/١ - شاكراً).

(٤) في (ن): «وروى» وأشار في الحاشية أنه وقع في نسخة: «أرى».

(٥) ساقط من (ن).

(٦) ساقط من (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «تفسير ابن جرير».

(٧) عند «ابن جرير» بعدها: «تعرض الداعي بدعائه ربه استنجاح حاجته وسؤله».

(٨) ساقط من (ز).

(٩) في (ج) و(ل): «ممتدان».

(١٠) في (ج): «الثاني».

(١١) من (ن).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (١).

قال ابن عباس^(١): ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: (يصدقونك)^(٢) بما جئت به من الله، وما جاء به من قبلك من المرسلين، لا يفرقون بينهم، ولا يجحدون ما جاؤوهم به من ربهم.

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: بالبعث والقيامة، والجنة والنار، والحساب والميزان، وإنما سميت الآخرة؛ لأنها بعد الدنيا.

وقد اختلف المفسرون في الموصوفين هنا، هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣) [البقرة] ومن هم؟ على ثلاثة أقوال حكاه ابن جرير^(٣):

أحدها: أن الموصوفين أولاً هو الموصوفون ثانياً، وهم كل مؤمن؛ مؤمنوا العرب و(مؤمنو)^(٤) أهل الكتاب وغيرهم؛ قاله مجاهد، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة.

والثاني: هما واحد، وهم مؤمنو أهل الكتاب.

وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات، كما قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (٥) الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى (٦) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٧) وَالَّذِي أخرجَ الْمَرْعى (٨) فَجَعَلَهُ غُثَاً أَحْوَى (٩) [الأعلى] وكما قال الشاعر^(٥):

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
فعطفت الصفات بعضها على بعض، والموصوف واحد.

والثالث: أن الموصوفين أولاً مؤمنو العرب، والموصوفون ثانياً بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (١) (مؤمنوا)^(٦) أهل الكتاب. نقله السدي^(٧) في «تفسيره» عن ابن عباس، وابن مسعود، وأناس من الصحابة.

واختاره ابن جرير (رحمته الله)^(٨)، ويستشهد لما قال بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعَةً لِلَّهِ...﴾ الآية [آل عمران: ١٩٩].

ويقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٩) وَإِذَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (١٠) أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ الْسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١١) [القصص] وبما ثبت في «الصحيحين»^(٩) من حديث الشعبي، عن أبي

(١) أخرجه ابن جرير (٢٨٩)؛ وابن أبي حاتم (٨٠) من طريقين عن سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: فيما حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس. [وسنده حسن].

(٢) في (ز) و(ن) و(ه): «يصدقون». (٣) في «تفسيره» (٢٤٥/١).

(٤) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ه) و(ي).

(٥) والبيت في «خزانة الأدب» (٤٠٧/١) غير منسوب. وانظر «شواهد الكشاف» (١٨/١).

(٦) ساقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ه) و(ي). (٧) أخرجه ابن جرير (٢٩٢) [وسنده ضعيف].

(٨) من (ن).

(٩) [أخرجه الشيخان من طريق الشعبي به (صحيح البخاري، العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله (ح) ٩٧)؛ =

بُرْدَة، عن أبي موسى - أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وآمن بي. ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه. ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها».

وأما ابن جرير^(١) فما استشهد على صحة ما قال إلا بمناسبة، وهي أن الله (تعالى)^(٢) وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين، فكما أنه صنف الكافرين إلى صنفين: (منافق، وكافر)^(٣)، فكذلك المؤمنون صنفهم إلى صنفين: عربي، وكتابي.

قلت: والظاهر قول مجاهد فيما رواه الثوري^(٤)، عن رجل، عن مجاهد. ورواه غير^(٥) واحد عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد - أنه قال: أربع آيات من (أول)^(٦) سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، (وثلاث عشرة)^(٧) في المنافقين؛ فهذه الآيات الأربع عامات في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي وكتابي من إنسي وجني، وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى؛ بل كل واحدة مستلزمة للأخرى، وشرط معها؛ فلا يصح الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول (ﷺ)^(٨)، وما جاء به من قبله من الرسل (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)^(٩) والإيقان بالآخرة؛ كما أن هذا لا يصح إلا (بهذاك)^(١٠).

وقد أمر الله المؤمنين بذلك، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَلَكْتُبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَلَكْتُبِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ الآية [النساء: ١٣٦] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أَنزَلَ إِلَيْنَا ءَلِكُتَابِ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحِدٌ...﴾ الآية [العنكبوت: ٤٦] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [النساء: ٤٧] وقال تعالى: ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَمَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك؛ فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ءَلْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقال (تعالى)^(١١): ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ١٥٢] إلى غير ذلك من

= وصحيح مسلم، الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ح [١٥٤].

(١) في «تفسيره» (٢٤٨/١، ٢٤٩). (٢) من (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).

(٣) في (ن): «كافر ومنافق».

(٤) أخرجه ابن جرير (٣١٦) من طريق سفيان بن وكيع قال: ثنا أبي، عن الثوري.

(٥) مثل عيسى بن ميمون، وشبل بن عباد المكي. أخرج ذلك ابن جرير (٣١٤، ٣١٥) وهو صحيح الإسناد، وعزاه السيوطي في «الدر» (٢٣/١) للفريابي وعبد بن حميد وابن الضريس وابن المنذر.

(٦) زيادة من (ن).

(٧) في (ن): «ثلاثة عشر»!

(٨) من (ز) و(ن) و(هـ).

(٩) من (ن).

(١٠) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي)؛ وفي (ز) و(ن): «بذلك»، وفي (ل): «بذلك».

(١١) يعني: «صحيح البخاري» ولكن المصنف ﷺ وهم في عزوه هذا اللفظ إلى البخاري، فليس عنده «إذا حدثكم أهل الكتاب» وكان المصنف كتب الحديث من حفظه فلفقه من حديثين كما يأتي وإنما الذي عند =

الآيات الدالة على أمر جميع المؤمنين بالإيمان بالله ورسوله وكتبه، لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية؛ وذلك أنهم يؤمنون بما بأيديهم مفصلاً؛ فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصلاً كان لهم على ذلك الأجر مرتين. وأما غيرهم فإنما يحصل له الإيمان بما تقدم مجملاً، كما جاء في «الصحيح»^(١): «إذا حدثكم أهل الكتاب (فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) ولكن قولوا: ﴿ءَأَمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾».

ولكن قد يكون إيمان كثير من العرب بالإسلام الذي بعث به محمد ﷺ أتم وأكمل، وأعم وأشمل، من إيمان من دخل منهم في الإسلام؛ فهم وإن حصل لهم أجران من تلك الحيثية، فغيرهم (قد)^(٢) يحصل له من التصديق ما ينيف ثوابه على الأجرين اللذين حصلا لهم. والله أعلم.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المتصفون بما تقدم من الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق من الذي رزقهم الله، والإيمان بما أنزل إلى الرسول ومن قبله من الرسل، والإيقان بالدار الآخرة؛ وهو (يستلزم)^(٣) الاستعداد لها من (العمل بالصالحات)^(٤) وترك المحرمات. ﴿عَلَى هُدًى﴾ أي: على نور وبيان وبصيرة من الله تعالى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

وقال محمد بن إسحاق^(٥)، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم (به)^(٦)؛ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الذين أدركوا ما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا. وقال ابن جرير^(٧): وأما معنى قوله (تعالى)^(٨): ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

فإن معنى ذلك أنهم على نور من ربهم، وبرهان واستقامة، وسداد (بتسديد الله)^(٩) إياهم، وتوفيقه لهم.

وتأويل قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: المنجحون، المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم، وإيمانهم بالله وكتبه ورسوله من الفوز بالثواب، والخلود في الجنات، والنجاة مما أعد الله لأعدائه من العقاب.

وقد حكى ابن جرير^(١٠) قولاً عن بعضهم أنه أعاد اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ عَلَى

= البخاري: عن أبي هريرة ؓ قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام»، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا... الآية».

(١) في (ن): «فلا تكذبوهم ولا تصدقوهم».

(٢) ساقط من (ز) و(ل) و(ن).

(٣) في (ن): «مستلزم».

(٤) في (ن): «الأعمال الصالحة».

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٩٣، ٢٩٤)؛ وابن أبي حاتم (٨٤ - ٨٨) من طريق سلمة بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن إسحاق به [وسنده حسن].

(٦) من (ن).

(٧) في «تفسيره» (٢٤٩/١).

(٨) من (ن).

(٩) في (ن): «بتسديده».

(١٠) في «تفسيره» (٢٤٨/١).

هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إلى مؤمني أهل الكتاب الموصوفين بقوله (تعالى) (١): ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾ [البقرة: ٤] (الآية) (٢)، (٣) [على ما تقدم من الخلاف. وعلى هذا فيجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾] (٣). منقطعاً مما قبله، وأن يكون مرفوعاً على الابتداء وخبره ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (٤) وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ؛ واختار أنه عائد إلى جميع من تقدم ذكره من مؤمني العرب وأهل الكتاب، لما رواه السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود؛ وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ. أما الذين يؤمنون بالغيب فهم المؤمنون من العرب، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك هم المؤمنون من أهل الكتاب، ثم جمع الفريقين: فقال: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٥﴾ وقد تقدم من الترجيح أن ذلك صفة (المؤمنين) (٥) عامة والإشارة عائدة عليهم. والله أعلم.

وقد نقل (هذا) (٦) عن مجاهد، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة؛ رحمهم الله. وقال ابن أبي (٧) حاتم: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري، حدثنا أبي، حدثنا ابن لهيعة، حدثني عبيد الله بن المغيرة، عن (أبي الهيثم) (٨) - واسمه سليمان بن (عبد) (٩)، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ؛ وقيل له: يا رسول الله، إنا نقرأ من القرآن فنجوا، ونقرأ (من القرآن) (١٠) فنكاد أن نياس، أو كما قال. قال: «أفلا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار؟ قالوا: بلى يا رسول الله؛ قال: ﴿الْمَ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ هؤلاء أهل الجنة. قالوا: إنا نرجوا أن نكون هؤلاء، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾...﴾ إلى قوله: ﴿بِقُرْآنٍ فَتَعَالَىٰ أَلَمَ ﴿٤﴾﴾...﴾ إلى قوله: ﴿بِقُرْآنٍ فَتَعَالَىٰ أَلَمَ ﴿٥﴾﴾...﴾ [البقرة: ٦] إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧] هؤلاء أهل النار. قالوا: لسنأهم يا رسول الله؟ قال: أجل» (١١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾ أي: غطوا (الحق) (١٢) وستروه، وقد كتب الله تعالى عليهم

- (١) من (ز) و(ن).
- (٢) من (ز).
- (٣) ساقط من (ج).
- (٤) ساقط من (ز) و(ن).
- (٥) في (ز) و(ن): «للمؤمنين».
- (٦) ساقط من (ن).
- (٧) في «تفسيره» (٨٦) ورجاله ثقات غير ابن لهيعة، ففيه مقال مشهور.
- (٨) في (ج) و(ل): «أبي القاسم»! وهو تصحيف.
- (٩) كذا في (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي) وهو الموافق لما في تفسير ابن أبي حاتم ووقع في (ن) و(هـ): «عبيد الله» وكتب ابن المحب في حاشية (ج) وأشار إلى «عبد» صوابه «عمرو» وهو سليمان بن عمرو بن عبيد أو عبد العتواري.
- قلت: فكأنهم نسبوه إلى جده. والله أعلم.
- (١٠) كذا في (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم» وسقط من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي).
- (١١) [سنده ضعيف].
- (١٢) في (ز): «الكفر» وهو خطأ واضح.

ذلك، سواء عليهم إنذارك وعدمه؛ فإنهم لا يؤمنون بما جنتهم به؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝٩٧﴾ [يونس] وقال تعالى في حق المعاندين من أهل الكتاب: ﴿وَلَيْنَ آتَيْنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ...﴾ الآية [البقرة: ١٤٥] أي: إن من كتب الله عليه الشقاوة فلا مسعد له، ومن أضله فلا هادي له؛ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وبلغهم الرسالة، فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر، ومن تولى فلا تحزن عليهم، (ولا يهمدنك)^(١) ذلك؛ ﴿فَلَمَّا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نُذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].

وقال علي بن أبي^(٢) طلحة، عن ابن عباس - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يحرص أن يؤمن جميع الناس، ويتابعوه على الهدى؛ فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الأول.

وقال محمد بن^(٣) إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة - أو سعيد بن جبيرة - عن ابن عباس ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بما أنزل إليك، وإن قالوا: إنا قد آمنا بما جاءنا قبلك، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق، وقد كفروا بما جاءك، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك، فكيف يسمعون منك إنذاراً وتحذيراً، وقد كفروا بما عندهم من علمك؟

وقال أبو جعفر^(٤) الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: نزلت هاتان الآيتان في قادة الأحزاب، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا يَمَعَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩].

والمعنى الذي ذكرناه أولاً، وهو المروي عن ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة أظهر، (ويفسره^(٥) بقية) الآيات التي في معناها. والله أعلم.

وقد ذكر ابن أبي حاتم^(٦) هاهنا حديثاً؛ فقال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح

(١) كذا في (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(ي)، ووقع في (هـ): «يهدنك»، وفي (ن): «يهمنك»، وسقط هذا اللفظ من (ل).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٩٧)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٢/رقم ١٣٠٢٥)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٤٦) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح [وسقط ذكره عند الطبري] عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره. [وسنده ثابت]. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢٨/١، ٢٩) لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٩٥)؛ وابن أبي حاتم (٩٢) من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق به وعزاه السيوطي (٢٩/١) لابن إسحاق. [وسنده حسن].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٣) من طريق آدم بن أبي إياس، عن أبي جعفر الرازي به. [وسنده جيد]. وأخرجه ابن جرير (٢٩٨) من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، عن الربيع بن أنس من قوله ولم يذكر «أبا العالية».

(٥) في (ز) و(ن): «يفسر بقية».

(٦) في «تفسيره» (٨٦) ومر الكلام عليه آنفاً.

المصري، حدثنا أبي، حدثنا ابن لهيعة، حدثني عبيد الله بن المغيرة، عن أبي الهيثم، عن عبد الله بن عمرو؛ قال: قيل: يا رسول الله؛ إنا نقرأ من القرآن فنجوا؛ ونقرأ فنكاد أن نياس؛ فقال: «ألا أخبركم؟» ثم قال: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ هَؤُلَاءِ أَهْلُ النَّارِ». قالوا: لسا (هم) ^(١) يا رسول الله. قال: «أجل» ^(٢).

^(٣) [وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ محله من الإعراب أنه جملة مؤكدة للتي قبلها ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ أي: هم كفار في كلا الحالين؛ فلهذا أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ويحتمل أن يكون «لا يؤمنون» خبراً؛ لأن تقديره إن الذين كفروا لا يؤمنون، ويكون قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ جملةً معترضةً. والله أعلم ^(٣).

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قال السدي ^(٤): «خَتَمَ اللَّهُ» أي: طبع الله. وقال قتادة في هذا الآية: استحوذ عليهم الشيطان؛ إذ أطاعوه، فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة؛ فهم لا يبصرون هدى، ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون ^(٥).

وقال ابن جريج ^(٦): قال مجاهد: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» قال (الطبع) ^(٧) ثبتت الذنوب على القلب، فحفت به من كل نواحيه حتى تلتقى عليه، فالتقاؤها عليه: الطبع. والطبع: الختم. قال ابن جريج ^(٨): الختم على القلب والسمع.

قال ابن جريج ^(٩): وحدثني عبد الله بن كثير: أنه سمع مجاهداً يقول: الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإفقال، والإفقال أشد (من) ^(١٠) ذلك كله.

وقال الأعمش ^(١١): أرانا مجاهد بيده؛ فقال: كانوا يرون أن القلب في مثل هذه - يعني: الكف، فإذا أذنّب العبد ذنباً ضم منه، وقال بإصبعه الخنصر هكذا، فإذا أذنّب ضم، وقال بإصبع أخرى، فإذا أذنّب ضم، وقال بإصبع أخرى هكذا، حتى ضم أصابعه كلها، قال: ثم يطبع عليه بطابع.

وقال مجاهد: كانوا يرون أن ذلك الرين. ورواه ابن جرير ^(١٢)، عن أبي كريب، عن وكيع، عن الأعمش، عن مجاهد، بنحوه.

(١) في (ن): «منهم».

(٢) ساقط من (ز).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٧) عن السدي، عن أبي مالك قوله. وسنده حسن.

(٥) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة].

(٦) أخرجه ابن جرير (٣٠٢)؛ وابن أبي حاتم (٩٩) من طريق حجاج بن محمد، ثنا ابن جريج، عن مجاهد. وابن جريج مدلس، ولم يسمع من مجاهد إلا حرفاً واحداً.

(٧) ساقط من (ز). (٨) أخرجه ابن جرير (٣٠٢ - ٣٠٦).

(٩) أخرجه ابن جرير (٣٠٣) وسنده قوي. (١٠) من (ن).

(١١) أخرجه ابن جرير (٣٠٠) من طريق يحيى بن عيسى، عن الأعمش. وسنده حسن.

(١٢) في «تفسيره» (٣٠١).

قال ابن جرير^(١): وقال بعضهم: إنما معنى قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ إخبار من الله عن تكبرهم، وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق؛ كما يقال: إن فلاناً (لأصم)^(٢) عن هذا الكلام، إذا امتنع من سماعه، ورفع نفسه عن تفهمه تكبراً؛ قال: وهذا يصح؛ لأن الله تعالى^(٣) قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وأسماعهم.

^(٤) [قلت: وقد أظن الزمخشري^(٥) في تقرير ما رده ابن جرير هاهنا، وتأول الآية من خمسة أوجه؛ وكلها ضعيفة جداً، وما (حداه)^(٦) على ذلك إلا اعتزاله؛ لأن الختم على قلوبهم ومنعها عن وصول الحق إليها قبيح عنده، يتعالى الله عنه في اعتقاده؛ ولو فهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُونَ بِهِ أُولَئِكَ مَرَوُّهُمُ وَنَذْرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٥] وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم، وحال بينهم وبين الهدى جزاءً وفاقاً على تماديهم في الباطل، وتركهم الحق؛ وهذا عدل منه تعالى حسن، وليس بقبيح، فلو أحاط علماً بهذا لما قال ما قال والله أعلم.

قال القرطبي^(٧): وأجمعت الأمة على أن الله تعالى^(٨) قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاةً لكفرهم، كما^(٩) [قال: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] وذكر حديث قلب القلوب^(١٠)، و«يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك»^(١١)]^(٩).

(١) في «تفسيره» (١/٢٦٠).

(٢) كذا في (ج) و(ز) و(ع) و(ل) و(ها) و(ي) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»؛ وفي (ن): «أصم»؛ وفي (ك): «لأهت»!!

(٣) من (ن). (٤) ساقط من (ز).

(٥) في «الكشاف» (١/٢١).

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ها) و(ي)؛ وفي (ن): «جراه».

(٧) في «تفسيره» (١/١٨٧).

(٨) كذا في (ك) وهو الموافق لما في «القرطبي»، ووقع في (ن): ﴿وَلَمْ يَذْكُرْ لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ﴾ في (ج) و(ع) و(ل) و(ها) و(ي).

(٩) ساقط من (ز).

(١٠) يعني حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً: «مثل القلب مثل ريشة، تقلبها الرياح بفلاة». أخرجه ابن ماجه

(٨٨)؛ وابن أبي عاصم في «السنن» (٢٢٨) من طريق يزيد الرقاشي، عن غنيم بن قيس، عن أبي موسى.

ويزيد الرقاشي واه، وخالفه سعيد الجبري، فرواه عن غنيم بن قيس قال: قال أبو موسى فذكره موقوفاً.

أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١٩٩) قال: حدثنا إسماعيل، عن الجبري. وهذا سند جيد، وإسماعيل بن

عليه سمع من الجبري قبل الاختلاط، وخالفه يزيد بن هارون فرواه عن الجبري به مرفوعاً. أخرجه أحمد

(٤١٩/٤)؛ وابن أبي عاصم (٢٢٧) ورواية إسماعيل أصح ويزيد سمع من الجبري في الاختلاط، ومما

يؤيد رواية الوقف أن علي بن مسهر رواه عن عاصم الأحول، عن أبي كبشة السدوسي، عن أبي موسى

قال: «إنما سمى القلب لتقلبه... إلخ». أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/٢٦٣) وتوابع علي بن مسهر.

تابعه عبد الله بن المبارك في «الزهد» (٣٥٨)، وعزه السيوطي في «الجامع الصغير» للطبراني في «الكبير»

وصححه قال الشارح المناوي في «فيض القدير» (٢/٣): «قال العراقي: إسناده حسن».

(١١) أخرجه النسائي في «النعوت» (٤١٤/٤ - الكبرى)؛ وابن ماجه (١٩٩)؛ وأحمد (١٨٢/٤)؛ وابن أبي

عاصم في «السنن» (٢١٩ - ٢٣٠)؛ وابن حبان (٢٤١٩ - موارد)؛ والحاكم (٢٨٩/٢ و ٣٢١/٤)؛ والطبراني =

(١) [وذكر حديث حذيفة الذي في «الصحيح»^(٢) عن رسول الله ﷺ؛ قال: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً؛ فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباد كالكوز مجخياً لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكراً...» الحديث]^(١).

قال (ابن جرير)^(٣): والحق عندي في ذلك ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله ﷺ؛ وهو ما حدثنا به محمد بن بشار، حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا ابن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع (واستغفر)^(٤) صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلق قلبه، فذلك الران الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين].

وهذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي، والنسائي، عن قتبية (عن)^(٥) الليث بن سعد؛ وابن ماجه، عن هشام بن عمار، عن حاتم بن إسماعيل، والوليد بن مسلم، ثلاثهم عن محمد بن عجلان، به. وقال الترمذي: «(حديث)^(٦) حسن صحيح».

ثم قال ابن جرير^(٧): فأخبر (رسول الله)^(٨) ﷺ أن الذنوب إذا تابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا

= في «الدعاء» (١٢٦٢)؛ والآجري في «الشريعة» (ص ٣١٧) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، سمعت بسر بن عبيد الله، قال: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: حدثني النواس بن سمعان مرفوعاً: «ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه» وكان رسول الله ﷺ يقول: «يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك» قال: «والميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة». قال البوصيري في «الزوائد» (١/٨٧): «هذا إسناد صحيح» ونقل المناوي في «فيض القدير» (٥/٤٩٣) عن العراقي أنه قال: «إسناده جيد» وللحديث شواهد عن جماعة من الصحابة يأتي تخريجها إن شاء الله تعالى في تفسير سورة الأنفال الآية [٢٤].

(١) ساقط من (ز).

(٢) يعني: «صحيح مسلم» وهو في «كتاب الإيمان» (٢٣١/١٤٤).

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠٤)؛ وأخرجه الترمذي (٣٣٣٤)؛ والنسائي في «التفسير» (٦٧٨)، وفي «اليوم والليلة» (٤١٨)؛ وابن ماجه (٤٢٤٤)؛ وأحمد (٢/٢٩٧)؛ وابن حبان (١٧٧١ - موارد)؛ وابن جرير (٣٠/٦٢)؛ والآجري في «الشريعة» (١١١)؛ والحاكم (٢/٥١٧)؛ والبيهقي في «الكبرى» (١٠/١٨٨) وفي «الشعب» (٦٨٠٨)، وفي «الآداب» (١١٧٩)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٨٨/٥، ٨٩) من طرق عن محمد بن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً. وسنده جيد. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» وصححه الحاكم على شرط مسلم وفيه نظر، فإن مسلماً لم يحتج بابن عجلان.

(٤) كذا في «تفسير الطبري» وسائر الكتب التي خرجت هذا الحديث، ووقع في سائر «الأصول»: «واستعجب».

(٥) في (ن): «و» وهو خطأ فاحش. (٦) من (ج).

(٧) في «تفسيره» (٢٦١/١).

(٨) من (ز) و(ن)، ووقع في (ك): «النبى» وضرب عليها الناسخ.

للكفر (منها) ^(١) مخلص؛ فذلك هو الختم والطبع ^(٢) [الذي ذكره الله في قوله] ^(٣): ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ ^(٤) نظير الختم والطبع ^(٥) على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا (بفض) ^(٥) ذلك عنها ثم حلها؛ فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد (فضه) ^(٦) خاتمه وحله رباطه (عنها) ^(٧).

واعلم أن الوقف التام على قوله (تعالى) ^(٨): ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً﴾ جملة تامة؛ فإن الطبع يكون على القلب وعلى السمع، والغشاوة - وهي الغطاء - تكون على البصر، كما قال السدي في «تفسيره» ^(٩)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود؛ وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ يقول: فلا يعقلون ولا يسمعون. ويقول: «وجعل على أبصارهم غشاوة» يقول: على أعينهم فلا يبصرون.

وقال ابن جرير ^(١٠): حدثني محمد بن سعد، حدثنا أبي، حدثني عمي الحسين بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، والغشاوة على أبصارهم.

قال ^(١١): وحدثنا القاسم، حدثنا الحسين: يعني: ابن داود، وهو سني، حدثني حجاج، وهو ابن محمد الأعور، حدثني (ابن) ^(١٢) جريج؛ قال: الختم على القلب والسمع، والغشاوة على البصر؛ قال الله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤] وقال: ﴿وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال ابن جرير: (ومن) ^(١٢) نصب «غشاوة» من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً﴾ يحتمل أنه نصبها بإضمار فعل؛ تقديره: وجعل على أبصارهم غشاوة. ويحتمل أن يكون نصبها على الاتباع على محل ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾ ^(١٣) [الواقعة].

وقول الشاعر:

(علفتها) ^(١٣) تبناً وماء بارداً حتى شئت همالةً عيناها
وقال الآخر ^(١٤):

(١) في (ز) و(ن): «عنها».

(٣) كذا في (ج) و(ل) و(ي) وفي (ز) و(ن): «ذكر في قوله تعالى»؛ وفي (ه): «قال الله».

(٤) من (ن).

(٦) في (ل): «بنقض».

(٦) كذا في (ج) و(ي)؛ وفي (ز) و(ه): «فض»؛ وفي (ك) «فض به»؛ وفي (ن): «فظ»؛ وفي (ل): «نقض».

(٧) ساقط من (ز).

(٨) من (ز) و(ن).

(٩) أخرجه ابن جرير (٣٠٨)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٩٥) عن السدي قوله.

(١٠) في «تفسيره» (٣٠٥) وسنده ضعيف...

(١٢) ساقط من (ج). [وسنده ضعيف لضعف سنيده].

(١٣) في (ج) و(ك) و(ل) و(ي): «علفتها».

(١٤) نسبه القرطبي إلى عبد الله بن الزبيري، وهو في «الكامل» (١/٣٤٤) أيضاً.

ورأيت زوجك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً
تقديره: وسقيتها ماءً بارداً. ومعتقلاً رمحاً.

لما تقدم وصف المؤمنين في صدر السورة بأربع آيات، ثم عرف حال الكافرين بهاتين الآيتين - شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر. ولما كان أمرهم يشبه على كثير من الناس أطنب في ذكرهم بصفات متعددة؛ كل منها نفاق، كما أنزل سورة براءة فيهم، وسورة المنافقين فيهم، وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور تعريفاً لأحوالهم لتجتنب ويجتنب من تلبس بها أيضاً؛ فقال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨ يَخْدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩﴾

النفاق: هو إظهار الخير، وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي؛ وهو الذي يخلد صاحبه في النار. وعملي؛ وهو من أكبر الذنوب، كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله (تعالى) ^(١). وهذا كما قال (ابن جريج) ^(٢): المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه ^(٣).

وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية؛ لأن مكة لم يكن فيها نفاق؛ بل كان خلافه؛ من الناس من كان يظهر الكفر مستكراً وهو في الباطن مؤمن، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع حلفاء الخزرج؛ وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، وقل من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام ﷺ، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً؛ لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف؛ بل قد كان عليه (الصلاة) ^(٤) والسلام وادع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة؛ فلما كانت وقعة بدر العظمى، وأظهر الله كلمته، (وأعلا) ^(٥) الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أبي بن سلول - وكان رأساً في المدينة، وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا أن يملكوه عليهم، فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه؛ فبقي في نفسه من الإسلام وأهله. فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر قد توجه؛ فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب؛ فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب.

فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد (نافق) ^(٦) (لأنه لم يكن أحد) ^(٧) يهاجر مكرهاً، بل يهاجر

(١) من (ز) و(ك) و(ن).

(٣) أخرجه ابن جرير (٣١٩) وسنده قوي.

(٥) في (ن): «وأعز».

(٧) ساقط من (ي).

(٢) في (ج): «ابن جرير»!

(٤) من (ز) و(ن)؛ وفي (ك): «ﷺ».

(٦) من (ن).

(فترك)^(١) ماله وولده وأرضه رغبةً فيما عند الله في الدار الآخرة.

قال محمد بن إسحاق^(٢): حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) يعني: المنافقين من الأوس والخزرج، ومن كان على أمرهم.

وكذا فسرهما بالمنافقين (من الأوس والخزرج)^(٣) أبو العالية والحسن، وقتادة، والسدي؛ ولهذا نبه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم، ومن اعتقاد إيمانهم، وهم كفار في نفس الأمر؛ وهذا من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خير؛ فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) أي: يقولون ذلك قولاً ليس وراءه شيء آخر كما قال (تعالى)^(٤): ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾^(٥) [المنافقون: ١] أي: إنما يقولون ذلك إذا جاءوك فقط لا في نفس الأمر؛ ولهذا يؤكدون في الشهادة بـ«إن» ولام التأكيد في خبرها، كما أكدوا (قولهم)^(٦): قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ﴾ وليس الأمر كذلك، كما (أكد بهم)^(٧) الله في شهادتهم، وفي خبرهم هذا بالنسبة إلى اعتقادهم بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] وبقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: بظاهرها ما أظهره من الإيمان مع إسرارهم الكفر، يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك، وأن ذلك نافعهم عنده، وأنه يروج عليه، كما قد يروج على بعض المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ءَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة].

ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾^(٨) إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ.

^(٩) [يقول: وما يغرون بصنيعهم هذا، ولا يخدعون إلا أنفسهم، وما يشعرون]^(٩) بذلك من أنفسهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] ومن^(١٠) القراء من قرأ ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وكلتا القراءتين ترجع إلى معنى واحد.

قال ابن جرير^(١١): فإن قال قائل: كيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعاً، وهو لا يظهر

(١) في (ز): «ويترك».

(٢) أخرجه ابن إسحاق، كما في «الدر المنثور» (٢٩/١)، ومن طريقه ابن جرير (٣١٢)؛ وابن أبي حاتم (١٠٤). [وسنده حسن].

(٣) ساقط من (ي).

(٤) من (ز) و(ن).

(٥) من (ن).

(٦) في (ن): «أمرهم».

(٧) في (ن): «كذبهم».

(٨) كذا في (ز) و(ل) و(ن) و(هـ) ووقع في (ج) و(ع) و(ك) و(ي): «يخادعون» وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو بن العلاء.

(٩) ساقط من سياق (ج)، واستدرسته من الحاشية. (١٠) وهم بقية السبعة دون من سميتهم آنفاً.

(١١) في «تفسيره» (٢٧٣/١) - شاكراً.

بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا تقيّة؟ قيل: لا تمنع العرب أن تسمي من أعطى بلسانه غير الذي في ضميره تقيّة لينجو مما هو له خائف مخادعاً، فكذلك المنافق سمي مخادعاً لله وللمؤمنين بإظهار ما ظهره بلسانه تقيّة بما يخلص به من القتل (والسباء)^(١) والعذاب العاجل، وهو لغير ما أظهره مستبطن؛ وذلك من فعله وإن كان خداعاً للمؤمنين في عاجل الدنيا، فهو لنفسه بذلك من فعله خادع؛ لأنه يظهر لها بفعله ذلك بها أنه يعطيها أمنيّتها، ويسقيها كأس سرورها، وهو (موردها)^(٢) حياض عطبها، ومجرعها به كأس عذابها، (ومُزيرها)^(٣) من غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به؛ فذلك خديعته نفسه ظناً منه، مع إساءته إليها في أمر معادها، أنه إليها محسن؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ إعلاماً منه عباده المؤمنين أن المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم، في إسخاطهم عليها ربهم، بكفرهم وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين، ولكنهم على (عمياء)^(٤) من أمرهم مقيمون.

ومقال ابن أبي حاتم: أنبأنا علي بن المبارك فيما كتب إلي، حدثنا زيد بن المبارك، حدثنا محمد بن ثور، عن ابن جريج - في قوله تعالى: ﴿يَخْدَعُونَ اللَّهَ﴾ - قال: يظهرون لا إله إلا الله، يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم، وفي أنفسهم غير ذلك.

وقال سعيد^(٦)، عن قتادة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يُخْدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ نعت المنافق عند كثير: خنع الأخلاق، يصدق بلسانه، وينكر بقلبه، ويخالف بعمله، يصبح على حال، ويمسي على غيره، ويمسي على حال، ويصبح على غيره، ويتكفأ تكفأ السفينة كلما هبت ريح (هب)^(٧) معها.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٠﴾

قال السدي^(٨)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود؛ وعن أناس من أصحاب (النبي)^(٩) ﷺ في هذه الآية: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ قال: شك، ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ قال: شكاً.

وقال ابن إسحاق^(١٠)، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبیر، عن ابن عباس: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ - قال: شك.

(١) في (ك) و(ن): «السي».

(٢) في (ك): «يزيدها» وفي «ابن جرير»: «مذيقها» وأثبت الشيخ محمود شاكر حفظه الله ما أثبتته هنا عن هذا الموضع وأزاره: يعني حملة على الزيارة، وهذا من باب السخرية بهم.

(٣) في (ن): «عمي».

(٤) في «تفسيره» (١٠٧) وسنده جيد.

(٥) هو سعيد بن أبي عروبة، والخبر أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٨) من طريق يزيد بن زريع، ثنا ابن أبي عروبة. وسنده صحيح.

(٦) في (ن): «هبت»، ووقع كذلك عند «ابن أبي حاتم»، وهو خطأ فإن هذا الفعل عائد على «المنافق» والله أعلم.

(٧) أخرجه ابن جرير (٣٢٤) [وسنده ضعيف].

(٨) في (ن) و(ه): «رسول الله».

(٩) في (ن) و(ه): «رسول الله».

(١٠) أخرجه ابن إسحاق ومن طريقه ابن جرير (٣٢٢)؛ وابن أبي حاتم (١١٢، ١١٤) [وسنده حسن].

وكذلك قال مجاهد، وعكرمة، والحسن البصري، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة.
وعن عكرمة، وطاوس: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ يعني: الرياء.
وقال الضحاك^(١)، عن ابن عباس: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ - قال: نفاق. ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ - قال: نفاقاً. وهذا كالأول.

وقال عبد الرحمن^(٢) بن زيد بن أسلم: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ قال: هذا مرض في الدين، وليس مرضاً في الأجساد؛ وهم المنافقون. والمرض: الشك الذي دخلهم في الإسلام.
﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ قال: زادهم رجساً؛ وقرأ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥] قال: شراً إلى شرهم، وضلالة إلى ضلالتهم. وهذا الذي قاله عبد الرحمن رَضَّ اللَّهُ حسن، وهو الجزء من جنس العمل. وكذلك قاله الأولون؛ وهو نظير قوله تعالى أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَيْنَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد].

^(٣) [وقوله: ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ وقرئ^(٤) «يُكْذِبُونَ». وقد كانوا متصفين بهذا وهذا؛ فإنهم كانوا كذبة ويكذبون (بالحق)^(٥)، يجمعون بين هذا وهذا.

وقد سئل القرطبي^(٦) وغيره من المفسرين عن حكمة كفه عليه (الصلاة)^(٧) والسلام^(٨) [عن قتل المنافقين مع علمه بأعيان بعضهم، وذكروا أجوبة عن ذلك؛ منها ما ثبت في «الصحاحين»]^(٩) أنه^(١٠) [٣] قال لعمر رضي الله عنه: «أكره^(١١) أن يتحدث العرب أن محمداً يقتل أصحابه».
ومعنى هذا خشية (أن يقع)^(١٢) بسبب ذلك (تنفير)^(١٣) لكثير من^(١٤) [الأعراب عن الدخول في الإسلام ولا يعلمون حكمة قتله لهم، وأن قتله إياهم إنما هو على الكفر؛ فإنهم إنما يأخذونه بمجرد ما يظهر لهم فيقولون: إن محمداً يقتل أصحابه]^(١٥).

(١) أخرجه ابن جرير (٣٢٣)؛ وابن أبي حاتم (١١١) وسنده ضعيف كما تقدم.

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٢٥) وسنده صحيح. (٣) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٤) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي جعفر، ويعقوب.

(٥) في (ن): «بالغيب». (٦) كما في «تفسيره» (١/١٩٨، ١٩٩).

(٧) من (ن). (٨) ساقط من (ك).

(٩) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي). (١٠) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(١١) أخرجه البخاري (٥٤٦/٦، ٦٤٨/٨، ٦٥٢)؛ ومسلم (٦٣/٢٥٨٤)، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فقال رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول الله! كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوا فإنها منتنة» فسمعا عبد الله بن أبي فقال: قد فعلوها، والله! لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» واللفظ لمسلم. وأخرجه البخاري في «فرض الخمس» (٢٣٨/٦) مختصراً.

(١٢) في (ج) و(ل): «أن لا يقع». (١٣) كذا في (ج) و(ك) وفي (ل) و(ن): «تغير».

(١٤) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(١) [قال القرطبي^(٢): وهذا قول علمائنا وغيرهم، كما كان يعطي المؤلفه (قلوبهم)^(٣) مع علمه (بسوء)^(٤) اعتقادهم.

قال ابن عطية^(٥): وهي طريقة أصحاب مالك، نص عليه محمد بن الجهم، والقاضي إسماعيل، (و)^(٦) الأبهري (و)^(٧) ابن الماجشون^(٨).

(٨) [ومنها: ما قال مالك (ﷺ): إنما كف رسول الله ﷺ عن المنافقين (ليسُن) ^(٩) لأُمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه.

قال القرطبي^(١١): وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه وإن اختلفوا في سائر الأحكام^(١٢).

(١٢) [قال^(١٣): ومنها ما قال الشافعي: إنما منع رسول الله ﷺ من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم؛ لأن ما يظهرونه يجب ما قبله.

ويؤيد هذا قوله عليه (الصلاة)^(١٤) والسلام في الحديث المجمع على صحته في «الصحيحين»^(١٥) وغيرهما: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله ﷻ».

ومعنى هذا أن من قالها جرت عليه أحكام الإسلام ظاهراً؛ فإن كان يعتقد أنها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة، وإن لم يعتقد أنها لم ينفعه (في الآخرة)^(١٦) جريان الحكم عليه في الدنيا، وكونه كان خليط أهل الإيمان: ﴿يُتَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الآية [الحديد: ١٤] ^(١٧).

(١٧) [فهم يخالطونهم في بعض المحشر، فإذا حَقَّتْ المحقوقة تميزوا منهم، وتخلفوا بعدهم، وحيل بينهم وبينهم، ولم يمكنهم أن يسجدوا معهم، كما نطقت بذلك الأحاديث^(١٨) ^(١٩).

ومنها ما قاله بعضهم: إنه إنما لم يقتلهم؛ لأنه كان (لا يخاف)^(٢٠) من شرهم مع وجوده ﷺ بين أظهرهم، يتلو عليهم آيات الله مبينات، فأما بعده فيقتلون إذا أظهروا النفاق، وعلمه

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(ها) و(ي).

(٢) في «تفسيره» (١/١٩٩).

(٣) من (ج).

(٤) في «تفسيره» (١/١٧١).

(٥) ساقط من (ج). والأبهري هو الفقيه المحدث محمد بن عبد الله بن محمد أبو بكر، مترجم في «سير النبلاء» (١٦/٣٣٢).

(٦) في (ن): «وعن».

(٧) ساقط من (ز).

(٨) في (ن): «ليبين».

(٩) ساقط من (ز).

(١٠) من (ن).

(١١) أخرجه البخاري (٣/٢٦٢؛ و١٢/٢٧٥؛ و١٣/٢٥٠؛ ومسلم (٢٠/٣٢).

(١٢) ساقط من (ن).

(١٣) وقد ذكر المصنف ﷺ بعضها في سورة القلم عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].

(١٤) في (ج): «يخاف».

(١) [المسلمون؛ قال مالك: المنافق في عهد رسول الله ﷺ هو الزنديق اليوم.

قلت: وقد اختلف العلماء في قتل الزنديق إذا أظهر الكفر؛ هل يستتاب أم لا؟ أو يفرق بين أن يكون داعية أم لا؟ أو يتكرر منه ارتداده أم لا؟ أو يكون إسلامه ورجوعه من تلقاء نفسه، أو بعد أن ظهر عليه؟ على أقوال متعددة، موضع بسطها وتقريرها وعزوها «كتاب الأحكام».

تنبيه: قول من قال: كان عليه (الصلاة) (٢) والسلام يعلم أعيان بعض المنافقين إنما مستنده حديث (٣) حذيفة بن اليمان في تسمية (١). (١) [أولئك الأربعة عشر منافقاً في غزوة تبوك الذين هموا أن يفتكوا برسول الله ﷺ في ظلماء الليل عند عقبة (هنالك) (٤) عزموا على أن ينفروا به الناقه ليسقط عنها؛ فأوحى (الله) (٥) إليه أمرهم (وأطلع) (٦) على ذلك حذيفة. ولعل الكف عن قتلهم كان لمدرِك من هذه المدارك أو لغيرها. والله أعلم.

فأما غير هؤلاء فقد قال الله (تعالى) (٥): ﴿وَمَنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنهَ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكُم بِهِمْ ثُمَّ لَا يُخَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦) ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا﴾ (٦) [الأحزاب] ففيها دليل على أنه لم يغر بهم، ولم (يدل) (٧) على أعيانهم؛ وإنما كان يذكر له صفاتهم فيتوسمها في بعضهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

وقد كان من أشهرهم بالنفاق عبد الله بن أبي بن سلول، وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الذي سبق في صفات المنافقين، ومع هذا (١). (٨) [لما مات صلى عليه رسول الله ﷺ وشهد دفنه كما يفعل ببقية المسلمين وقد عاتبه عمر بن الخطاب (ﷺ) (٩) فيه، فقال: «إني أكره أن تتحدث العرب أن محمداً يقتل أصحابه» (١٠).

وفي رواية في «الصحيح» (١١): «إني خيرت فاخترت». وفي رواية (١١): «لو أعلم أني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت» (٨).

(١) ساقط من (ز).

(٢) من (ن).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٧٩/٩ - ١١).

(٤) في (ن): «هناك».

(٥) من (ن).

(٦) في (ن): «فاطلع».

(٧) في (ن): «يدرك»!

(٨) ساقط من (ز).

(٩) من (ن).

(١٠) لم يقل النبي ﷺ هذا الكلام في هذا الموضع، فلعل قلم المصنف رحمه الله سبقه، وقد مرت مناسبة هذا الحديث منذ قليل. والله أعلم.

(١١) يعني: «صحيح البخاري» وقد رواه في «الجنائز» (٢٢٨/٣)؛ وفي «التفسير» (٣٣٣/٨).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

قال السدي في «تفسيره»^(١)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة الطيب (الهمداني)^(٢)، عن ابن مسعود، وعن أنس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ (قال: هم المنافقون)^(٣).

أما ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قال: الفساد هو الكفر، والعمل بالمعصية.

وقال أبو جعفر^(٤)، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية - في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قال: يعني لا تعصوا في الأرض، وكان فسادهم ذلك معصية الله؛ لأنه من عصى الله في الأرض، (أو)^(٥) (بمعصية الله)^(٦)، فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة.

وهكذا^(٧) قال الربيع بن أنس، وقتادة.

وقال ابن^(٨) جريج، عن مجاهد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قال: إذا ركبوا معصية الله ففعلوا كذا وكذا، قالوا: إنما نحن (على الهدى)^(٩) مصلحون.

و(قد)^(١٠) قال وكيع، وعيسى بن يونس، وعثام بن علي، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدي، عن سلمان الفارسي^(١١): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ قال سلمان: لم يجرئ أهل هذه (الآية)^(١٢) بعد.

وقال ابن جرير^(١٣): حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم، حدثنا عبد الرحمن بن شريك، حدثني أبي، عن الأعمش، عن زيد بن وهب وغيره، عن سلمان (الفارسي)^(١٤) في هذه الآية، قال: ما جاء هؤلاء.

(١) ومن طريقه: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٣٩).

(٢) من (ز) و(ن).

(٣) من (ن) وحدها، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري». [وسنده ضعيف].

(٤) أخرجه ابن جرير (٣٤٠)؛ وابن أبي حاتم (١٢١) من طريقين عن أبي جعفر الرازي عن الربيع، عن أبي العالية. [وسنده جيد].

(٥) في (ج) و(ل): «و». (٦) في (ن): «بمعصيته».

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٢). (٨) أخرجه ابن جرير (٣٤٢).

(٩) ساقط من (ج)، ووقع في (هـ): «مصلحون على الهدى» وأشار الناسخ إلى أنه وقع تقديم وتأخير في الكلام.

(١٠) ساقط من (ن).

(١١) أخرجه ابن جرير (٣٣٧)؛ وابن أبي حاتم (١٢٣) من طريق ثلاثتهم عن الأعمش به وسنده ضعيف لضعف عباد بن عبد الله ولكن تابعه زيد بن وهب وغيره عن سلمان الفارسي مثله.

أخرجه ابن جرير (٣٣٨) من طريق عبد الرحمن بن شريك، قال: حدثنا أبي، قال: حدثني الأعمش، عن زيد بن وهب. وسنده ضعيف أيضاً وعبد الرحمن بن شريك وثقه ابن حبان ولكن وهاب أبو حاتم الرازي، وأبوه شريك النخعي سيء الحفظ وانضمام أحد السندين إلى آخر يشعر أن للكلام أصلاً. والله أعلم.

(١٢) في (ك): «الامة»!! (١٣) في «تفسيره» (٣٣٨).

(١٤) ساقط من (ن).

قال ابن جرير: يحتمل أن سلمان (رضي الله عنه)^(١) أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فساداً من الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، لا أنه عني أنه لم يعض ممن تلك صفته أحد.

قال ابن جرير^(٢): فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضه، وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد (عملاً)^(٣) إلا بالتصديق به، والإيقان بحقيقته، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً؛ فذلك إفساد المنافقين في (الأرض)^(٤)، وهم يحسبون أنهم يفعلهم ذلك مصلحون فيها.

وهذا الذي قاله حسن؛ فإن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِصُعُوبِ أَوْلِيَاءِهِمْ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال] فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين، كما قال تعالى: ﴿يَتَّخِذُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهَ عَالِيَكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء].

ثم قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء] فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين، فكان الفساد من جهة المنافق حاصل؛ لأنه هو الذي غرَّ المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له؛ ووالى الكافرين على المؤمنين، ولو أنه استمر على (حاله الأول)^(٥) لكان شره أخف، ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لأفلح وأنجح؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [١١] أي: نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين؛ ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء؛ كما قال محمد^(٦) بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [١١] أي: إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب.

يقول الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [١٢] يقول: ألا إن هذا الذي يعتمدونه، ويزعمون أنه إصلاح، هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فساداً.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٣]

يقول تعالى: وإذا قيل للمنافقين: ﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ أي: كإيمان الناس بالله وملائكته،

(١) من (ن).

(٣) كذا في كل «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»، ووقع في (ز): «عمل» بالرفع، على اعتبار أن الفعل مبني لما لم يسم فاعله.

(٤) في «الطبري»: «أرض الله».

(٥) في (ز) و(هـ): «حالته الأولى».

(٦) أخرجه ابن إسحاق ومن طريقه: ابن جرير (٣٤١)؛ وابن أبي حاتم (١٢٤). [وسنده حسن].

وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والجنة والنار، وغير ذلك مما أخبر (المؤمنون)^(١) به وعنه؛ وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزواجر ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ يعنون - لعنهم الله -: أصحاب رسول الله ﷺ؛ قاله أبو العالية^(٢)، والسدي في «تفسيره»^(٣) بسنده عن ابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من الصحابة؛ وبه يقول الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد^(٥) بن أسلم، وغيرهم: يقولون: أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة، وعلى طريقة واحدة، وهم سفهاء؟

والسفهاء: جمع سفيه كما أن الحكماء جمع حكيم، (والحلما جمع حليم)^(٦). والسفيه: هو الجاهل الضعيف الرأي، القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار؛ ولهذا سمي الله النساء والصبيان سفهاء في قوله (تعالى)^(٧): ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥] قال عامة علماء (التفسير)^(٨): هم النساء والصبيان.

وقد تولى الله ﷻ (جوابهم)^(٩) في هذه المواطن كلها؛ فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ فأكد وحصر السفاهة فيهم.

﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل؛ وذلك أردى لهم، وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾   **الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيُذَكِّرُهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْهَوْنَ** ﴿١٥﴾

يقول تعالى: وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ (أي)^(١٠): أظهرنا لهم الإيمان والموالات والمصافاة غروراً منهم للمؤمنين ونفاقاً، ومصانعةً وتقيةً، وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم.

﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ يعني: وإذا انصرفوا وذهبوا (وخلصوا)^(١١) إلى شياطينهم؛ فضمن «خلوا» معنى انصرفوا؛ لتعديته بـ«إلى»، ليدل على الفعل المضمر، والفعل الملقوظ به.

ومنهم من قال: «إلى» هنا بمعنى «مع». والأول أحسن. وعليه يدور كلام ابن جرير^(١٢). وقال السدي^(١٣)، عن أبي مالك: ﴿خَلَوْا﴾ يعني: مضوا. وشياطينهم: سادتهم وكبرائهم ورؤسائهم من أحبار اليهود ورؤوس المشركين والمنافقين.

(١) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي) ووقع في (ز) و(ل) و(ن): «المؤمنين» على اعتبار أن الفعل مبني للمعلوم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٩). [وسنده جيد].

(٣) أخرجه ابن جرير (٣٤٤). [وسنده ضعيف ويتقوى بالآثار التي تليه].

(٤) أخرجه ابن جرير (٣٤٥، ٣٤٦). [وسنده جيد]. (٥) ساقط من (ز).

(٦) من (ز) و(ن). (٧) في (ز): «السلف».

(٨) ليس في (ع) و(ل) و(هـ) و(ي) وسقط لفظ «تعالى» من (ز) و(ن).

(٩) في (ل): «إخوانهم».

(١٠) ساقط من (ن). (١١) في (ز): «وأخلصوا».

(١٢) في «تفسيره» (٢٩٨/١). (١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٠). [وسنده حسن].

قال السدي في «تفسيره»^(١)، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة (الهمداني)^(٢)، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾^(٣) [يعني: هم رؤوسهم في الكفر]^(٣).

^(٤) [وقال الضحاك^(٥)، عن ابن عباس: وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم]^(٤).

وقال محمد بن^(٦) إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب، وخلاف ما جاء به الرسول ﷺ.

وقال مجاهد^(٧): ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين.

وقال قتادة^(٨): ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ قال: إلى رؤوسهم وقادتهم في الشرك والشر.

وبنحو ذلك فسرهُ أبو مالك، وأبو العالية، والسدي، والربيع بن أنس.

قال ابن جرير: وشياطين كل شيء مردته، ويكون الشيطان من الإنس والجن؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وفي «المسند»^(٩)، عن أبي ذر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن». فقلت: يا رسول الله، أو للإنس شياطين؟ قال: «نعم».

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ قال محمد بن إسحاق^(١٠)، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ أي: إنا على مثل ما أنتم عليه ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ أي: إنما نحن نستهزئ بالقوم ونلعب بهم.

وقال الضحاك^(١١)، عن ابن عباس؛ قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ ساخرون بأصحاب محمد ﷺ.

(١) ومن طريقه ابن جرير (٣٥١). [وسنده ضعيف، ويشهد له سابقه].

(٢) من (ن). (٣) ساقط من (ك).

(٤) ساقط من (ك).

(٥) أخرجه ابن جرير (٣٤٩)؛ وابن أبي حاتم (١٣٦) وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير (٣٥٠)؛ وابن أبي حاتم (١٣٧). [وسنده حسن].

(٧) أخرجه ابن جرير (٣٥٥)؛ وابن أبي حاتم (١٣٩)؛ وعبد بن حميد، كما في «الفتح» (١٦١/٨)، من طريقين عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد وسنده صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير (٣٥٢)؛ وابن أبي حاتم (١٣٨) من طريق عبد الوهاب بن عطاء ويزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وهذا سند صحيح، وعبد الوهاب ويزيد من قدماء أصحاب سعيد.

(٩) للإمام أحمد (١٧٨/٥، ١٧٩) وتقدم تخريجه في «سورة الفاتحة» عند الكلام على الاستعاذة.

(١٠) أخرجه ابن جرير (٣٥٠)؛ وابن أبي حاتم (١٤١). [وسنده حسن].

(١١) أخرجه ابن جرير (٣٥٩)؛ وابن أبي حاتم (١٤٢) وسنده ضعيف [ويشهد له ما يليه].

وكذلك قال الربيع^(١) بن أنس، وقتادة.

وقوله تعالى جواباً لهم ومقابلةً على صنيعهم: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١٥﴾.

وقال ابن جرير^(٢): أخبر تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله (تعالى)^(٣): ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُفْسِقُونَ وَالْمُفْسِقَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِس مِنْ ثُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا ثُورًا فَقَضِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُمُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ ﴿١٣﴾ الآية [الحديد] وقوله (تعالى)^(٣): ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ تُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ الآية [آل عمران: ١٧٨].

قال^(٤): فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى ذكره، وسخريته ومكره، وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به، عند قائل هذا القول ومتأول هذا التأويل.

قال^(٥): وقال آخرون: بل استهزأوه بهم توبيخه إياهم، ولومه لهم على ما ركبوا من معاصيه والكفر به.

قال^(٥): وقال آخرون: هذا وأمثاله على سبيل الجواب؛ كقول الرجل لمن يخدعه إذا ظفر به: أنا الذي خدعتك. ولم يكن منه خديعة، ولكن قال ذلك إذا صار الأمر إليه.

قالوا: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [آل عمران] و﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على الجواب؛ والله لا يكون منه المكر ولا الهزاء. والمعنى أن المكر والهزاء حاق بهم.

وقال آخرون: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١٤﴾ الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وقوله: ﴿يُخَلِّدُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَلِّدُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] و﴿سَأَلَ اللَّهُ فَانْسَبَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] وما أشبه ذلك، إخبار من الله تعالى أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء، (ومعاقبهم)^(٥) عقوبة الخداع، فأخرج خبره عن (جزائه)^(٦) إياهم، وعقابه لهم، مخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ، وإن اختلف المعنيان، كما قال تعالى: ﴿وَحَزَّوْا سَيِّئَةً سَاءَتْ مَثَلُهُمْ﴾ [الشورى: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَّكَ عَلَيْهِمْ قَاعِدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤] فالأول ظلم، والثاني عدل، فهما وإن اتفق لفظهما فقد اختلف معناهما. قال: وإلى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك.

قال^(٨): وقال آخرون: إن معنى ذلك أن الله أخبر عن المنافقين أنهم إذا خلوا إلى مردتهم قالوا: إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد ﷺ^(٩) وما جاء به وإنما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم مستهزئون؛ فأخبر تعالى أنه يستهزئ بهم، فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا - يعني: من عصمة دمائهم وأموالهم - خلاف الذي لهم عنده في الآخرة؛ يعني: من العذاب والنكال.

(١) أخرجهما ابن جرير (٣٦١، ٣٦٢). [بسندين ثابتين].

(٢) في "تفسيره" (٣٠١/١).

(٣) يعني: ابن جرير (٣٠٢/١، ٣٠٣).

(٤) في (ز): "جوابه".

(٥) يعني: ابن جرير (٣٠٣/١).

(٦) في (ن): "فمن عفا وأصلح فأجره على الله".

(٧) في (ن): "فمن عفا وأصلح فأجره على الله".

(٨) يعني: ابن جرير (٣٠٣/١).

(٩) في (ز) و(ن).

ثم شرع ابن جرير^(١) يوجه هذا القول وينصره؛ لأن المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب (والعبث)^(٢) (متنف)^(٣) عن الله ﷻ بالإجماع. وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك.

قال: وبنحو ما قلنا فيه روي الخبر عن ابن عباس^(٤): حدثنا أبو كريب، حدثنا عثمان، حدثنا بشر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس - في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ قال: يسخر بهم للنقمة منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال السدي^(٥)، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة (الهمداني)^(٦)، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ: يمدهم: يملئهم لهم. وقال مجاهد^(٧): يزيدهم.

^(٨) [وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾] [المؤمنون] وقال: ^(٩) ^(٨) ﴿سَنَسْدَرُجَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] قال بعضهم: كلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمة، وهي في الحقيقة نقمة. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَأَوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿١٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام].

قال ابن جرير^(١٠): والصواب يزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم؛ كما قال (تعالى)^(١١): ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام].

والطغيان: هو المجاوزة في الشيء، كما قال (تعالى)^(١٢): ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمُ فِي الْفَجَاءِ﴾ [الحاقة].

وقال الضحاك^(١٣)، عن ابن عباس: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ في كفرهم يترددون. وكذا فسره السدي^(١٤) بسنده عن الصحابة، وبه^(١٥) يقول أبو العالية، وقتادة، والربيع بن أنس، ومجاهد، وأبو مالك، وعبد الرحمن بن زيد: في كفرهم وضلالتهم.

(٢) في (ج): «العنت»!

(١) في «تفسيره» (٣٠٣/١).

(٤) يعني ابن جرير (٣٦٣) وسنده ضعيف.

(٣) في (ن): «متنف»!

(٥) في (تفسيره)، ومن طريقه ابن جرير (٣٦٤)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٤٤) عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].

(٦) من (ن).

(٧) أخرجه ابن جرير (٣٦٥)؛ وابن أبي حاتم (١٤٥). [وسنده صحيح] وعزاه السيوطي في «الدر» (٣١/١)

للفريابي وابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٩) ساقط من (ز).

(٨) ساقط من (ز).

(١١) من (ز) و(ن).

(١٠) في «تفسيره» (٣٠٧/١).

(١٢) من (ن).

(١٣) أخرجه ابن جرير (٣٦٦)؛ وابن أبي حاتم (١٤٨) وسنده ضعيف [ويشهد له ما يليه].

(١٤) أخرجه ابن جرير (٣٦٧). [وسنده ضعيف ويشهد له ما يليه].

(١٥) أخرج أقوالهم: ابن جرير (٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠)؛ وابن أبي حاتم (١٤٧). [وكلها أسانيد ما بين صحاح وجياد].

قال ابن جرير^(١): والعمه: الضلال، يقال: عمه فلان يعمه عمها وعموها، إذا ضل. قال: وقوله: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ في ضلالتهم، وكفرهم الذي غمرهم دنسه، وعلاهم رجسه، يترددون حيارى ضللاً، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً؛ لأن الله (تعالى)^(٢) قد طبع على قلوبهم، وختم عليها، وأعمى أبصارهم عن الهدى، وأغشاها؛ فلا يبصرون رشداً، ولا يهتدون سبيلاً.

^(٣) [وقال بعضهم: العمى في العين، والعمه في القلب؛ وقد يستعمل العمى في القلب أيضاً؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. وتقول: عمه الرجل يعمه عموها فهو عمه وعامه، وجمعه عُمَّة. وذهبت إبله (العمهى)^(٤)؛ إذا لم يدر أين ذهبت^(٥)].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَت بِخَنَازِينِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٦﴾.

قال السُّدِّيُّ في «تفسيره»^(٥)، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ قال: أخذوا الضلالة، وتركوا الهدى.

وقال (محمد)^(٦) بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس^(٧): ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ أي: الكفر بالإيمان. وقال مجاهد^(٨): آمنوا ثم كفروا. وقال قتادة^(٩): استحبوا الضلالة على الهدى.

وهذا الذي قاله قتادة يشبهه في المعنى قوله تعالى في ثمود: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

وحاصل قول المفسرين فيما تقدم أن المنافقين عدلوا عن الهدى إلى الضلال، واعتاضوا عن الهدى بالضلالة؛ وهو معنى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ أي: بذلوا الهدى ثمناً للضلالة. وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الإيمان ثم رجع عنه إلى الكفر؛ كما قال (تعالى)^(١٠) فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: ٣] وأنهم استحبوا

(١) في «تفسيره» (٣٠٩/١).

(٢) ليس في (ن).

(٣) ساقط من (ز) و(ه).

(٤) في (ن): «العمهاء».

(٥) ومن طريقه ابن جرير (٣٨١)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٥٥) عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].

(٦) من (ل).

(٧) أخرجه ابن جرير (٣٨٠)؛ وابن أبي حاتم (١٥٣) [وسنده حسن].

(٨) أخرجه ابن جرير (٣٨٣، ٣٨٤)؛ وابن أبي حاتم (١٥٤) من طرق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وسنده صحيح.

(٩) أخرجه ابن جرير (٣٨٢)؛ وابن أبي حاتم (١٥٢) من طريقين عن قتادة، وسنده جيد.

(١٠) من (ز) و(ن).

الضلالة على الهدى، كما (قد)^(١) يكون حال فريق آخر منهم؛ فإنهم أنواع وأقسام؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتْ يَحْدَرُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أي: ما ربحت (صفتهم)^(٢) في هذه البيعة. ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أي: راشدين في صنعهم ذلك.

وقال ابن^(٣) جرير: حدثنا (بشر)^(٤)، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَمَا رِيحَتْ يَحْدَرُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة، ومن الجماعة إلى الفرقة، ومن الأمن إلى الخوف، ومن السنة إلى البدعة. وهكذا رواه ابن أبي حاتم^(٥) من حديث يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة بمثله سواء.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ۖ ضُمُّ بَكُمْ عُنَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٧)

^(٦) [يقال: مثلي ومثل ومثيل أيضاً. والجمع أمثال؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمَثَّلُوا لَمْ يُغْنِ عَنْكَ كَثْرَتُهُمْ فِي ظُلُمَةٍ﴾ (٧) للناس وما يعقلهما إلا العليمون] (٨) [العنكبوت].

(وتقرير)^(٧) هذا المثل أن الله سبحانه شبههم في اشتراطهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى، بمن استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله، وانتفع بها، وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، وتأنس بها؛ فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره، وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدى؛ وهو مع (ذلك)^(٨) أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياء لما أبصره؛ فلماذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى، واستحبابهم الغي على الرشد.

وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا، ثم كفروا، كما أخبر (تعالى عنهم)^(٩) في غير هذا الموضع. والله أعلم.

^(١٠) [وقد حكى هذا الذي قلناه (فخر الدين)^(١١) الرازي في^(١٢) (١٠) (١٢) «تفسيره» عن السدي^(١٣)؛ ثم قال: والتشبيه هنا في غاية الصحة؛ لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولاً نوراً، ثم بنفاقهم ثانياً أبطلوا ذلك (النور)^(١٤) فوقعوا في حيرة عظيمة؛ فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين]^(١٢).

(٢) في (ج): «صفتهم»!!

(١) ساقط من (ز) و(ن).

(٣) في «تفسيره» (٣٨٥).

(٤) في (ن): «بشير» وهو خطأ وفي «تفسير الطبري»: «بشر بن معاذ». [وسنده صحيح].

(٥) في «تفسيره» (١٥٧) من طريق العباس بن الوليد ثنا يزيد بن زريع به. [وسنده صحيح].

(٦) ساقط من (ز).

(٧) في (ن): «وتقدير».

(٨) في (ن): «هذا».

(٩) كذا في (ل) و(ن) وفي (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(ه) و(ي): «عنهم تعالى».

(١١) ساقط من (ل) و(ن).

(١٢) ساقط من (ز).

(١٣) وأخرجه ابن جرير (٣٨٨) عن السدي.

(١٤) ساقط من (ز).

(١٤) ساقط من (ن).

وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل ها هنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات؛ واحتج بقوله (تعالى) ^(١): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُوْنَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِيْنَ﴾ ﴿٨﴾ [البقرة].

والصواب أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم؛ وهذا لا ينفي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك ثم سلبوه، وطبع على قلوبهم. ولم يستحضر ابن جرير (رَحِمَهُ اللهُ) ^(١) هذه الآية ها هنا، وهي قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ ءَامَنُوْا ثُمَّ كَفَرُوْا فَطُبِعَ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ﴾ ﴿٣﴾ [المنافقون] فلهذا وجه هذا المثل بأنهم استضاءوا بما أظهوره من كلمة الإيمان؛ أي: في الدنيا؛ ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة. قال: وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد، كما قال: ﴿رَأَيْتَهُمْ يَظُنُّوْنَ اِلَيْكَ تَدُوْرٌ اَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشٰى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] أي: كدوران الذي يغشى عليه من الموت، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ اِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] ^(٢) [وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِيْنَ حُمِلُوْا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوْهَا كَمَثَلِ الْاِحْمَارِ يَحْمِلُ اَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

وقال بعضهم: تقدير الكلام: مثل قصتهم (كقصة) ^(٣) (الذي استوقد) ^(٤) ناراً.

وقال بعضهم: المستوقد واحد لجماعة معه. وقال آخرون: «الذي» ها هنا بمعنى «الذين»، كما قال الشاعر ^(٥):

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد ^(٦)
قلت: وقد التفت في أثناء المثل من الواحد إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُوْرِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٰتٍ لَا يَبْصُرُوْنَ﴾ ﴿٧﴾ ضَمَّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرٰجِعُوْنَ ﴿٨﴾ وهذا أفصح في الكلام، وأبلغ في النظام.

وقوله (تعالى) ^(٦): ﴿ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُوْرِهِمْ﴾ أي: (أذهب) ^(٧) عنهم ما ينفعهم، وهو النور، وأبقى لهم ما يضرهم، وهو الإحراق والدخان.

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٰتٍ﴾ وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق ﴿لَا يَبْصُرُوْنَ﴾ لا يهتدون إلى (سبيل) ^(٨) خير، ولا يعرفونها، وهم مع ذلك ﴿ضُمَّ﴾ لا يسمعون خيراً، ﴿بِكُمْ﴾ لا يتكلمون بما ينفعهم، ﴿عُمَىٰ﴾ في ضلالة وعماية البصيرة؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا لَا تَعْمٰى اِلَّا بَصُرٌ وَلٰكِن تَعْمٰى اَلْقُلُوْبُ اَلَّتِيْ فِي الصُّدُوْرِ﴾ [الحج: ٤٦] فلهذا لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة.

(٢) ساقط من (ز).

(١) من (ز) و(ن).

(٤) في (ن): «الذين استوقدوا».

(٣) في (ك): «كمثل».

(٥) قال الشيخ محمود شاكر حفظه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (٣٢٠/١): «هذا الشعر للأشهب بن رميلة وعزا ذلك لـ«الخزانة» (٥٠٧/٢، ٥٠٨)؛ و«البيان» (٥٥/٤)؛ و«كتاب سيبويه» (٩٦/١)؛ و«المؤتلف والمختلف» (٣٣) للآمدي، وذكر البغدادى أن أبا تمام أنشد البيت في أبيات لحريث بن محفض في كتابه «مختار أشعار القبائل». وروايته «إن اللألى» ولا شاهد فيه، وهم يقولون: إن النون حذفت من «الذين» فصارت «الذي ل طول الكلام وللتخفيف، وهي بمعنى الجمع لا المفرد، و«فلج» وإد بين البصرة وحمى ضرية، كانت فيه هذه الواقعة التي ذكرها». اهـ.

(٦) من (ز) و(ن).

(٧) في (ك) و(ن): «ذهب»؛ وفي (ن): «ذهب عنهم بما».

(٨) في (ز): «سبل».

ذكر أقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه:

قال السدي في «تفسيره»^(١)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة (الهمداني)^(٢)، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة - في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ زعم أن ناساً دخلوا في الإسلام مقدم نبي الله ﷺ المدينة، ثم إنهم نافقوا، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة، فأوقد ناراً؛ ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾^(٣) ما حوله من قذى أو أذى، فأبصره حتى عرف ما يتقى (منها)^(٤) فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره، فأقبل لا يدري ما يتقى من أذى (فكذلك)^(٥) المنافق؛ كان في ظلمة الشرك، فأسلم، فعرف الحلال والحرام، والخير والشر؛ فبينما هو كذلك إذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشر.

^(٦) [وقال العوفي، عن ابن عباس^(٧)، في هذه الآية؛ قال: أما النور فهو إيمانهم الذي كانوا يتكلمون به. وأما الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم الذي كانوا يتكلمون به؛ وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم فعتوا بعد ذلك]^(٦).

وقال مجاهد^(٨): ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ أما إضاءة النار فأقبالهم إلى المؤمنين والهدى. وقال عطاء^(٩) الخراساني - في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ قال: هذا مثل المنافق يبصر أحياناً، ويعرف أحياناً، ثم يدركه عمى القلب.

وقال ابن أبي حاتم: وروى عن عكرمة، والحسن، والسدي، والربيع^(١٠) بن أنس، نحو قول عطاء الخراساني.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(١١) - في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا...﴾ إلى آخر الآية؛ قال^(١٢): هذه صفة المنافقين، كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم، كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ﴿نَارًا﴾^(١٣)، ثم كفروا، فذهب الله بنورهم، فاتنزع، كما ذهب بضوء هذه النار، فتركهم في ظلمات لا يبصرون.

(١) وعنه ابن جرير (٣٨٨)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢) عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].

(٢) من (ن). (٣) في (ز): «فأضاءت».

(٤) في (ز) و(ن): «منه».

(٥) كذا في (ز) و(ع) و(ها) و(ي) ووقع في (ج) و(ك) و(ل) و(ن): «فذلك».

(٦) ساقط من (ز).

(٧) أخرجه ابن جرير (٣٨٩) وسنده ضعيف كما قدمت.

(٨) أخرجه ابن جرير (٣٩٣)؛ وابن أبي حاتم (١٦١) من طرق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وسنده صحيح، وأخرجه ابن جرير (٣٩٥) عن ابن جريج عن مجاهد مثله.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٠) بسند ضعيف. [ويتقوى بالآثار التالية].

(١٠) أخرجه ابن جرير (٣٩٦).

(١١) وأخطأ ناسخ (ن) فجعل قول عطاء الخراساني السابق قولاً لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فكان نظره انتقل أثناء النسخ.

(١٢) أخرجه ابن جرير (٣٩٧) وسنده صحيح.

(١٣) من (ل) و(ن).

وأما قول ابن جرير^(١) فيشبهه ما رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس^(٢)، في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ قال: هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام، فيناكحهم المسلمون، ويوارثونهم، ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز، كما سلب صاحب النار ضوءه.

وقال أبو جعفر الرازي^(٣)، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ فإنما ضوء النار ما أوقدتها، فإذا خمدت ذهب نورها، وكذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الإخلاص بلا إله إلا الله أضاء له، فإذا شك وقع في الظلمة.

وقال الضحاك^(٤): ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ «أما نورهم»^(٥) فهو إيمانهم الذي تكلموا به.

وقال عبد الرزاق^(٦)، عن معمر، عن قتادة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ فهي لا إله إلا الله، أضاءت لهم، فأكلوا بها وشربوا، وأمّنوا في الدنيا، (ونكحوا)^(٧) النساء، وحقنوا دماءهم، حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

وقال سعيد^(٨)، عن قتادة في هذه الآية: إن المعنى أن المنافق تكلم بلا إله إلا الله، فأضاءت له في الدنيا، فناكح بها المسلمين، وغازاهم بها، ووارثهم بها، وحقن بها دمه وماله؛ فلما كان عند الموت سلبها المنافق؛ لأنه لم يكن لها أصل في قلبه ولا حقيقة في عمله.

﴿وَرَكَّهْمَ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ قال علي^(٩) بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَرَكَّهْمَ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ يقول: في عذاب إذا ماتوا.

وقال (محمد) بن إسحاق^(١٠)، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس^(١١): ﴿وَرَكَّهْمَ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ أي: يبصرون الحق ويقولون به، حتى إذا خرجوا من ظلمة الكفر أطفئوا بكفرهم ونفاقهم فيه، فتركهم في ظلمات الكفر؛ فهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حق.

وقال السدي في «تفسيره»^(١٢) بسنده: ﴿وَرَكَّهْمَ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ فكانت الظلمة نفاقهم.

وقال الحسن البصري^(١٣): ﴿وَرَكَّهْمَ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ فذلك حين يموت المنافق، فيظلم

(١) في «تفسيره» (١/٣٢٤، ٣٢٥).

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٨٧)؛ وابن أبي حاتم (١٥٨) [وسنده ثابت].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٩) وهو عند ابن جرير (٣٩٦) عن الربيع بن أنس قوله. [وسنده جيد].

(٤) أخرجه ابن جرير (٣٩٢) وسنده حسن. (٥) من (ن).

(٦) في «تفسيره» (١/٣٩١) وعنه ابن جرير (٣٩١)؛ وابن أبي حاتم (١٦٤) وسنده صحيح.

(٧) في (ن): «وأنكحوا».

(٨) هو ابن أبي عروبة. وأخرجه ابن جرير (٣٩٠) عن يزيد بن زريع، عن سعيد به. [وسنده صحيح].

(٩) أخرجه ابن جرير (٣٨٧)؛ وابن أبي حاتم (١٦٧). [وسنده ثابت].

(١٠) من (ز) و(ن).

(١١) أخرجه ابن إسحاق كما في «الدر المنثور» (١/٣٢) ومن طريقه ابن جرير (٣٨٦)؛ وابن أبي حاتم (١٦٨). [وسنده حسن].

(١٢) وعنه ابن جرير (٣٨٨)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٧٠) عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧١) بسند ضعيف.

عليه عمله عمل السوء، فلا يجد له عملاً من خيرٍ عمل به يصدق به قول لا إله إلا الله.

﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَى﴾ قال السدي^(١) بسنده: صم بكم عمى؛ فهم خرس عمي.

وقال علي بن أبي طلحة^(٢)، عن ابن عباس: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَى﴾ يقول: لا يسمعون الهدى ولا يصرونه؛ ولا يعقلونه. وكذا قال أبو العالية، وقتادة بن دعامة.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قال ابن عباس^(٣): أي لا يرجعون إلى هدى. وكذا قال الربيع بن أنس.

وقال السدي^(٤) بسنده: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٨﴾ إلى الإسلام.

وقال قتادة^(٥): فهم لا يرجعون؛ أي: لا يتوبون، ولا هم يذكرون.

﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُم فِي مَآذِنِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾.

وهذا مثل آخر ضربه (الله)^(٦) تعالى لضرب آخر من المنافقين، وهم قوم يظهر لهم الحق تارةً، ويشكون تارةً أخرى؛ فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم ﴿كَصَيْبٍ﴾.

والصيب: المطر؛ قاله^(٧) ابن مسعود، وابن^(٨) عباس، وناس من الصحابة، وأبو العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن البصري، وقتادة، وعطية العوفي، وعطاء الخراساني، والسدي، والربيع بن أنس.

وقال الضحاك: هو السحاب. والأشهر هو المطر نزل من السماء، في حال ظلمات؛ وهي الشكوك، والكفر، والنفاق.

﴿وَرَعْدٌ﴾ وهو ما يزعج القلوب من الخوف؛ فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد، والفرع؛ كما قال تعالى: ﴿يَخْشَوْنَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوَّ﴾ [المنافقون: ٤] وقال: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لَيْسَ لَهُمْ وَفَاءٌ لَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ ﴿٥١﴾ لَوْ يَحْدُوثُ مَلْجَأٌ أَوْ مَفْزَعٌ أَوْ مَدَّخَلٌ لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [التوبة].

والبرق هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان من نور الإيمان؛

(١) أخرجه ابن جرير (٤٠٠) وهو عند ابن أبي حاتم (١٧٤) عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٩٩)؛ وابن أبي حاتم (١٧٣). [وسنده ثابت].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨) وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم (١٧٩) قوله. [وسنده ضعيف].

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠)؛ وابن جرير (٤٠١) نحوه. [وسنده صحيح].

(٦) من (ز) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي). (٧) أخرجه ابن جرير (٤٠٨).

(٨) أخرجه ابن جرير (٤٠٥)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٧٤٣) من طريق محمد بن عبيد عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس فذكره. وسنده قوي، وبقيّة الآثار عند ابن جرير وأبي الشيخ (٧٤٤)؛ وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» (٥٤/١). [وهذه الآثار أسانيداً ثابتة سوى أثر عطية العوفي ويتقوى بالآثار الأخرى].

ولهذا قال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْدِقَهُمْ فِي مَآذِنِهِمْ مِنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: (ولا يجدي) ^(١) عنهم حذرهم شيئاً؛ لأن الله محيط بقدرته، وهم تحت مشيئته وإرادته؛ كما قال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ الْجُنُودِ ۖ فِرْعَوْنُ وَهَامُودُ ۖ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝١٨ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ۝١٩﴾ ^(٢) [البروج].

ثم قال: ﴿يَكَاذُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ أي: لشدة وقوته في نفسه، وضعف بصائرهم، وعدم ثباتها للإيمان.

وقال علي بن أبي ^(٣) طلحة، عن ابن عباس: ﴿يَكَاذُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ يقول يكاد: محكم القرآن يدل على عورات المنافقين.

وقال ابن ^(٤) إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿يَكَاذُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ أي: لشدة ضوء الحق، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي: كلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه؛ وتارة تعرض لهم الشكوك أظلمت قلوبهم، فوقفوا حائرين.

وقال علي بن ^(٥) أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ يقول: كلما ^(٦) [أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه، وإذا أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر؛ كقوله (تعالى) ^(٧)]: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْفَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الحج: ١١].

وقال محمد ^(٨) بن إسحاق، عن محمد (بن أبي محمد) ^(٩)، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿كُلَّمَا﴾ ^(٦) أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي: يعرفون الحق، ويتكلمون به؛ فهم (من) ^(١٠) قولهم به على استقامة، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا؛ أي: متحيرين.

(١) في (ج) و(ل): «يجزي».

(٢) قال في حاشية (ج): «حاشية: الصواعق: جمع صاعقة، وهي نار تنزل من السماء في وقت الرعد الشديد، وحكى الخليل بن أحمد عن بعضهم: صاعقة، وحكى بعضهم: صاعقة، وصاعقة ونقل عن الحسن البصري أنه قرأ: من الصواعق حذر الموت؛ بتقديم القاف وأنشدوا لأبي اللحم: يحكون بالمصقولة القواطع تشقق البرق عن الصواعق قال النحاس: وهي لغة بني تميم وبعض بني ربيعة. حرر ذلك القرطبي». اهـ.

قلت: وقد ثبتت هذه الحاشية في (ي) ولكن ناسخ (ل) وضعها في سياق الكلام، وكذلك ناسخ (ع) كتبها على حاشية نسخته وأشار في السياق إلى موضعها، والصواب أنها حاشية كما صرح به في (ج) والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن جرير (٤٥٤) مطولاً. واختصره المصنف وهو كذلك عند ابن أبي حاتم (٢٠٤). [وسنده ثابت].

(٤) أخرجه ابن جرير (٤٥١) مطولاً؛ وابن أبي حاتم (٢٠٧) مختصراً. [وسنده حسن].

(٥) أخرجه ابن جرير (٤٥٤)؛ وابن أبي حاتم (٢٠٩). [وسنده ثابت].

(٦) ساقط من (ك). (٧) من (ن).

(٨) أخرجه ابن جرير (٤٥١). وهو عند ابن أبي حاتم (٢١٢) مختصر. [وسنده ثابت].

(٩) ساقط من (ج) و(ع). (١٠) في (ز): «في».

وهكذا^(١) قال أبو العالية، والحسن البصري، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي بسنده عن الصحابة؛ وهو أصح وأظهر. والله أعلم.

وهكذا يكونون يوم القيامة عند ما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم؛ فمنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة فراسخ، وأكثر من ذلك وأقل من ذلك؛ ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضيء (له)^(٢) أخرى، (ومنهم من يمشي)^(٣) على الصراط تارة ويقف أخرى؛ ومنهم من يطفأ نوره بالكلية، وهم الخُلَص من المنافقين الذين قال (تعالى)^(٤) فيهم: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُتَفَقِّتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِس مِنْ قُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣].

وقال في حق المؤمنين: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَوْمَ جَنَّتْ بَحْرَى مِنْ نَحْيِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية [الحديد: ١٢] وقال (تعالى)^(٥): ﴿يَوْمَ لَا يَحْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨].

ذكر الحديث الوارد في ذلك:

قال سعيد بن أبي عروبة، (عن قتادة)^(٥) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ الآية [الحديد: ١٢]. ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن (أبين)^(٦) فصنعاء ودون ذلك، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه. رواه ابن جرير^(٧) ورواه ابن أبي حاتم من حديث عمران بن داود القطان، عن قتادة بنحوه.

وهذا كما قال المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن، عن عبد الله بن مسعود؛ قال: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة؛ ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم؛ وأدناهم نوراً على إبهامه يطفأ مرةً ويتقد مرةً.

وهكذا رواه ابن جرير^(٨)، عن ابن مثنى، عن ابن إدريس، عن أبيه، عن المنهال.

(١) أخرج هذه الآثار عنهم ابن جرير (٤٥٢، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠) [وهذه الآثار أسانيدھا ثابتة سوى سند السدي ضعيف ويتقوى بتلك الآثار].

(٢) ساقط من (ن).

(٣) كذا في (ع) و(هـ) و(ي)؛ وفي (ك): «يمشي»؛ وفي (ج) و(ز) و(ل): «فيمشي».

(٤) من (ز) و(ن). (٥) ساقط من جميع الأصول ولا بد منه.

(٦) ذكر في (ي) أن «أبين» اسم رجل نسبت إليه «عدن».

(٧) في «تفسيره» (١٢٨/٢٧) وسنده ضعيف لإعضاله وله شواهد يأتي النظر فيها في تفسير سورة الحديد إن شاء الله تعالى.

وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٥/٢) عن معمر، عن قتادة. قال: بلغنا أن المؤمنين... إلخ ولم يذكر رفعاً، مع أن السيوطي لما عزاه في «الدر المنثور» (١٧٢/٦) إلى عبد الرزاق ذكر «الرفع» فلعله تسامح في عزوه هكذا. والله أعلم.

(٨) في «تفسيره» (١٢٨/٢٧).

وأخرجه ابن أبي شيبه (٢٩٩/١٣) ومن طريقه الحاكم في «المستدرک» (٤٧٨/٢) قال: حدثنا عبد الله بن إدريس بسنده سواء. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٧٢/٦)؛ لابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» ووقع في «تلخيص المستدرک» أنه على =

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا (علي بن محمد)^(١) (الطنافسي)^(٢)، حدثنا ابن إدريس، سمعت أبي (يذكر)^(٣) عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن، عن عبد الله (بن مسعود)^(٤): ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحریم: ٨] - قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرةً ويطفأ أخرى^(٥).

وقال ابن أبي حاتم (أيضاً)^(٦): حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا أبو يحيى الحماني، حدثنا (عتبة)^(٧) بن (اليقطان)^(٨) عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فأما المنافق فيطفأ نوره؛ فالمؤمن مشفق مما يرى من إطفاء نور المنافقين، فهم يقولون: ﴿رَبِّنَا أَتَيْمٌ لَنَا نُورُنَا﴾^(٩) [التحریم: ٨].

وقال الضحاك بن مزاحم: يعطى كل من كان يظهر الإيمان في الدنيا يوم القيامة نوراً؛ فإذا انتهى إلى الصراط طُفئ نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا فقالوا: ﴿رَبِّنَا أَتَيْمٌ لَنَا نُورُنَا﴾^(١٠) [التحریم: ٨].

فإذا تقرر هذا صار الناس أقساماً: مؤمنون خلص، وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة. وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها. ومنافقون، وهم قسمان: خلص، وهم المضروب لهم المثل الناري، ومنافقون يترددون؛ تارةً يظهر لهم لمع (من)^(١١) الإيمان، وتارةً يخبوا؛ وهم أصحاب المثل المائي، وهم أخف حالاً من الذين قبلهم.

وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور، من ضرب مثل المؤمن، وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دري؛ وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان، واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولا تخليط، كما سيأتي تقريره في موضعه^(١٢) إن شاء الله.

ثم ضرب مثل العُباد من الكفار الذين يعتقدون أنهم على شيء، وليسوا على شيء، وهم أصحاب الجهل المركب في قوله (تعالى)^(١٣): ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَرِهًا بِغِيَةِ يَحْسَبُهُ الظَّالِمَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ الآية [النور: ٣٩].

= شرط البخاري! وكلا القولين خطأ فليس هو على شرط أحدهما والمنهال بن عمرو من مفاريد البخاري، وقيس بن السكن من مفاريد مسلم، وهو سند جيد. والله أعلم.

(١) في (ن): «محمد بن علي بن محمد» و«محمد» الأولى مقحمة.

(٢) في (ز) و(ل): «الطيالسي» وهو خطأ. (٣) في (ز): «بكر»!!

(٤) من (ن). (٥) [سند حسن].

(٦) من (ز) و(ع) و(ن) و(هـ) و(ي). (٧) في (هـ): «عتبة» بالقاف، وهو خطأ ظاهر.

(٨) في (ز): «اليقطان» وهو خطأ أيضاً.

(٩) [سند ضعيف لضعف عتبة بن يقظان (التقريب ص ٢٣٨١)].

(١٠) [يشهد له سابقه]. (١١) ساقط من (ن).

(١٢) في سورة النور عند الآية [٣٥].

(١٣) من (ن).

ثم ضرب مثل الكفار الجهال الجهل البسيط، وهم الذين قال (الله) ^(١) (تعالى) ^(٢) فيهم: ﴿أَوْ كَظُلُمْتُمْ فِي تَجَارِئِكُمْ يَفْسَلُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمْتُمْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهُمْ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور].

فقسم الكفار ها هنا إلى قسمين: داعية ومقلد، كما ذكرهما في أول سورة الحج: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج] وقال (بعده) ^(٣): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج].

وقد قسم الله المؤمنين في أول الواقعة وفي آخرها. وفي سورة الإنسان إلى قسمين: سابقون وهم المقربون، وأصحاب يمين وهم الأبرار.

فتلخص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان: مقربون وأبرار، وأن الكافرين صنفان: دعاة ومقلدون، وأن المنافقين أيضاً صنفان: منافق خالص، ومنافق فيه شعبة من نفاق، كما جاء في «الصحيحين» ^(٤)، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه واحدة منهم كانت فيه خصلة من النفاق، حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتّمن خان».

استدلوا به على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان وشعبة من نفاق؛ إما عملي لهذا الحديث، أو اعتقادي كما دلت عليه الآية، كما ذهب إليه طائفة من السلف وبعض العلماء، كما تقدم وكما سيأتي إن شاء الله (تعالى) ^(٥).

قال الإمام ^(٦) أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو معاوية - يعني: شيبان - عن ليث، عن

(١) من (ج) و(ل) و(ه).

(٢) من (ن) ووقع في (ز) و(ع) و(ك) و(ي): «قال فيهم».

(٣) من (ز) وحدها ووقع ترتيب الآيتين هكذا في (ك) وأما في (ج) و(ع) و(ل) و(ن) و(ه) و(ي) فقد ذكرت الآية الثانية قبل الأولى.

(٤) كذا عزاه المصنف رحمه الله للصحيحين من حديث ابن عمرو بلفظ: «ثلاث» وهو وهم، ولم أر لفظ «ثلاث» في حديث ابن عمرو إلا موقوفاً. أخرجه الفريابي في «صفة المنافق» (١٦، ١٧)؛ وابن جرير في «تفسيره» (١٠/١٩٢) بسندين فيهما مقال.

أما لفظ حديث ابن عمرو في «الصحيحين» وفي غيرهما: «أربع من كن فيه» أو «أربع خلال من كن فيه» أو «أربعة من كن فيه» وزاد على ما ذكره المصنف: «وإذا خاصم فجر».

أخرجه البخاري في «الإيمان» (٨٩/١)؛ وفي «المظالم» (١٠٧/٥)؛ وفي «الجزية» (٢٧٩/٦)؛ ومسلم في «الإيمان» (١٠٦/٥٨)؛ وأبو عوانة (٢٠/١)؛ وأبو داود (٤٦٨٨)؛ والنسائي (١١٦/٨)؛ والترمذي (٢٦٣٢)؛ وأحمد (١٨٩/٢، ١٩٨) وآخرون من طرق عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً فذكره. وقد خرّجته في «الصمت» (٤٧١)؛ لابن أبي الدنيا وعزاه الزبيدي في «الإتحاف» (٢/٢٦٩) لابن ماجه وهو وهم.

(٥) من (ج) و(ك) و(ل) و(ه).

(٦) في «مسنده» (١٧/٣)؛ وأخرجه الطبراني في «الصغير» (١٠٩/٢، ١١٠) وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٤/٣٨٥) من طريق أحمد بن خالد الوهبي قال: ثنا شيبان بن عبد الرحمن بسنده سواء.

قال الطبراني: «لم يروه عن شيبان إلا أحمد بن خالد الوهبي، ولا يروى عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد».

عمرو بن مرة، عن أبي البخري، عن أبي سعيد؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح؛ فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن (سراج)»^(١) فيه نوره. وأما القلب الأغلف فقلب الكافر^(٢) [وأما القلب المنكوس فقلب (المنافق)]^(٣) [٢]، عرف ثم أنكر. وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق. ومثل الإيمان فيه كمثّل البقلة يمدّها الماء الطيب. ومثل النفاق فيه كمثّل القرحة يمدّها القيح والدّم؛ فأَي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه». وهذا إسناد جيد حسن.

وقوله (تعالى)^(٤): ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥) [قال (محمد)^(٦) بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبیر؛ عن ابن عباس - في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ قال: لما تركوا من (الحق)^(٨) بعد معرفته.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥): قال (ابن إسحاق)^(٩): أي إن الله على كل ما أراد بعباده من نعمة أو عفو قدير.

وقال ابن جرير^(١٠): إنما وصف الله تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع، لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته، وأخبرهم أنه بهم محيط، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير. ومعنى قدير قادر، كما (أن)^(١١) معنى عليم عالم.

^(١٢) [وذهب ابن جرير (الطبري)^(١٣) ومن تبعه من كثير من المفسرين إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين، وتكون «أو» في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بمعنى الواو؛ كقوله (تعالى)^(١٤): ﴿وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ إِمَّا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] أو تكون للتخيير؛ أي: اضرب لهم مثلاً بهذا، وإن شئت بهذا]^(١٢).

= (*) قلت: لم يتفرد به الوهبي كما رأيت، وقد تابعه أيضاً هاشم بن القاسم ثنا شيبان. [قال محققو المسند: إسناد ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سُلَيْم، ولا نقطاعه، أبو البخري، وهو سعيد بن فيروز، لم يدرك أبا سعيد الخدري (المسند ١٧/٢٠٨ ح ١١١٢٩)].

(١) كذا في (ج) و(ز) و(ل) وهو الموافق لما في «المسند»؛ ووقع في (ع) و(ك) و(ن) و(ها) و(ي): «فسراج».

(٢) ساقط من (ج). (٣) في (ن): «المنافق الخالص»!!

(٤) من (ن). (٥) ساقط من (ك).

(٦) ساقط من (ك).

(٧) أخرجه ابن جرير (٤٧٠)؛ وابن أبي حاتم (٢١٤) من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق به. [وسنده حسن].

(٨) في (ج): «حق».

(٩) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي) و(ها) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم» (٢١٥). ووقع في (ز) و(ن): «ابن عباس! وهو خطأ».

(١٠) في «تفسيره» (١/٣٦١). (١١) ساقط من (ج).

(١٢) ساقط من (ز). (١٣) من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ها) و(ي).

(١٤) من (ن).

(١) [قال القرطبي^(٢): «أو» للتساوي، مثل جالس الحسن أو ابن سيرين على ما وجهه الزمخشري^(٣) إن كلا منهما مساوٍ للآخر في إباحة^(١) [١] الجُلوس إليه، ويكون معناه على قوله: سواء ضربت لهم مثلاً بهذا أو بهذا، فهو مطابق لحالهم.

قلت: وهذا يكون باعتبار جنس المناققين؛ فإنهم أصناف، ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله (تعالى)^(٤) في سورة (براءة)^(٥)؛ ومنهم؛ ومنهم؛ ومنهم - يذكر أحوالهم وصفاتهم، وما يعتمدونه من الأفعال والأقوال؛ فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقةً لأحوالهم وصفاتهم. والله أعلم؛ كما ضرب المثلين في سورة النور لصنفي الكفار الدعاة والمقلدين؛ في قوله (تعالى)^(٦): ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كُفْرًا يَبْقِيَهُ...﴾ إلى أن قال: ﴿أَوْ كَظُلُمْتَ فِي يَمْرِ يُجْي...﴾ الآية [النور: ٣٩، ٤٠] فالأول للدعاة الذين هم في جهل مركب. والثاني لذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلدين. والله أعلم بالصواب^(٧) [١].

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ عَبْدُؤا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

شرح^(٨) تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغهم النعم الظاهرة والباطنة، بأن جعل لهم الأرض فراشاً؛ أي: مهداً كالفراش (مقررة)^(٩) موطأة، مثبتة بالرواسي الشامخات، والسماء بناءً وهو السقف، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء] وأنزل لهم من السماء ماء؛ والمراد به السحاب ها هنا في وقته عند احتياجهم إليه؛ فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد، رزقاً لهم ولأنعامهم، كما قرر هذا في غير موضع من القرآن. ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

(١) في «تفسيره» (٢١٥/١).

(٢) في «الكشاف» (٣٣/١).

(٣) ساقط من (ز).

(٤) من (ك) و(ن) و(هـ) و(ي).

(٥) في (ج): «إبراهيم» وهو خطأ.

(٦) من (ن).

(٧) في حاشية (ع): «بلغ مقابلة، قرأه المصنف معارضاً بأصله، فصح الله في مدته».

(٨) في حاشية (ج): «حاشية: قال الحافظ أبو بكر البزار: ثنا محمد بن عبد الملك الواسطي، ثنا طلق بن غنام، ثنا قيس، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عكرمة، عن عبد الله قال: كل شيء نزل ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١] فهو بمكة، وكل شيء ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] فهو بالمدينة. ثم قال: لا نعلم أحداً أسنده إلا قيس وغيره يرويه مراسلاً»، وأدخل ناسخ (ل) هذه الحاشية في سياق كلام المصنف وفيه نظر إذ صرح ابن المحب ناسخ (ج) أنها حاشية، ولم يشر أنها من صنع المؤلف لذلك ما وجدتها في أي نسخة مسبوكة في سياق الكتاب والله أعلم.

(٩) في (ز): «مقدرة». ومعنى «مقررة»: مسواة مدحوة كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤] ويأتي ذكر المؤلف لها قريباً إن شاء الله تعالى.

ومضمونه أنه الخالق الرازق، مالك الدار وساكنيها، ورازقهم؛ فهذا يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به غيره؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وفي «الصحيحين»^(١)، عن ابن مسعود؛ قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك...» الحديث.

وكذا حديث^(٢) معاذ: «أتدري ما حق الله على عباده؟... أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً...» الحديث.

وفي الحديث^(٣) الآخر: «لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ليقول: ما شاء الله ثم شاء فلان».

وقال حماد بن^(٤) سلمة: حدثنا عبد الملك بن عمير، عن ربيعي بن حراش، عن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة أم المؤمنين لأمها؛ قال: رأيت فيما يرى النائم كأني أتيت على نفر من اليهود؛ فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزيز ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

قال: ثم مررت بنفر من النصارى^(٥) [فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى]^(٥) قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته؛ فقال: «هل أخبرت بها أحداً؟» قلت: نعم، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد؛ فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها؛ فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

(١) أخرجه البخاري (١٦٣/٨)؛ و٤٣٣/١٠؛ و٤٩١/١٣؛ و٥٠٣؛ ومسلم (١٤١/٨٦)؛ وأبو عوانة (٥٦/١)؛ وأبو داود (٢٣١٠)؛ وأحمد (٤٣٤/١) وغيرهم من طريق منصور بن المعتمر، عن أبي وائل، عن عمرو بن شرحبيل، عن ابن مسعود. ووقع في سنده اختلاف لا يضر، ذكرته في «التسليّة».

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٧/١٠)؛ و٦٠/١١، ٦١، ٣٣٧؛ وفي «الأدب المفرد» (٩٤٣)؛ ومسلم (٤٨/٣٠) واللفظ له.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٨٠)؛ والنسائي في «اليوم والليلة» (٩٨٥)؛ وأحمد (٣٨٤/٥، ٣٩٤، ٣٩٨)؛ وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤١)؛ وابن أبي شيبة (١١٧/٩)؛ و٣٤٦/١٠؛ والطيالسي (٤٣٠)؛ وابن السني في «اليوم والليلة» (٦٧١)؛ والطحاوي في «المشكّل» (٩٠/١)؛ والبيهقي في «الكبرى» (٢١٦/٣)؛ وفي «الأسماء والصفات» (ص ١٤٤)؛ وفي «الاعتقاد» (١٥٦، ١٥٧) من طرق عن شعبة، عن منصور بن المعتمر قال: سمعت عبد الله بن يسار، عن حذيفة مرفوعاً فذكره. قال الذهبي في «مذهب سنن البيهقي» (٣/١٩٠): «إسناده صالح»!! وصححه النووي في «الأذكار» (ص ٣٠٨)، وهو كما قال. ووقع في سنده اختلاف لا يضره. والله أعلم.

(٤) أخرجه أحمد (٧٢/٥)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٧٤٣)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٨/رقم ٨٢١٤)؛ والحاكم (٤٦٣/٣)؛ والخطيب في «الموضح» (٣٠٣/١) من طرق، عن حماد بن سلمة بسنده سواء مطولاً ومختصراً. [وسكت عنه الحاكم والذهبي ويشهد له سابقه].

(٥) ساقط من (ج).

هكذا رواه ابن مردويه^(١) في تفسير هذه الآية من حديث حماد بن سلمة، به. وأخرجه ابن ماجه^(٢) من وجه آخر، عن عبد الملك بن عمير، به، بنحوه.

وقال سفيان بن سعيد الثوري، عن الأجلح بن عبد الله الكندي، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس؛ قال: قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتني لله ندا؟ (قل)^(٣): ما شاء الله وحده». رواه ابن مردويه، وأخرجه النسائي^(٤)، وابن ماجه، من حديث عيسى بن يونس عن الأجلح، به.

وهذا كله صيانة وحماية لجناح التوحيد. والله أعلم.

وقال محمد بن إسحاق^(٥): حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ للفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين؛ أي: وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم.

وبه^(٦) عن ابن عباس: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم (يرزقكم)^(٧) غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من (توحيده)^(٨) هو الحق الذي لا شك فيه؛ وهكذا قال قتادة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، حدثنا أبي عمرو، حدثنا أبي الضحاك بن مخلد أبو عاصم، حدثنا شبيب بن بشر، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس - في قول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ - قال الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي. ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة. ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت. وقول الرجل لولا الله وفلان - لا تجعل فيها «فلان»؛ هذا كله به شرك.

(١) هكذا عزا المصنف لابن مردويه وحده، وفيه قصور لا يخفى، فقد أخرجه من طريق حماد بن سلمة أحمد وغيره كما مر آنفاً.

(٢) في «سننه» (٢/٢١٨) قال: حدثنا عبد الملك بن محمد بن أبي الشوارب، ثنا أبو عوانة، عن عبد الملك بن عمير به مختصراً. [وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٧٢١)].

(٣) من (ن). وفي (ل): «بل»!

(٤) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨)؛ وابن ماجه (٢١١٧)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)؛ وأحمد (١/٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧)؛ وابن أبي شيبة (٩/١١٧، ١١٨)؛ و (١٠/٣٤٦)؛ وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٢)؛ وابن السني في «اليوم والليلة» (٦٧٢)؛ والطحاوي في «المشكّل» (٩٠/١)؛ والطبراني في «الكبير» (١٣٠٠٥، ١٣٠٠٦)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٤/٩٩)؛ والبيهقي (٣/٢١٧) من طرق عن الأجلح عن يزيد الأصم، عن ابن عباس مرفوعاً. وسنده حسن. [وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح ٦٠١)].

(٥) أخرجه ابن إسحاق، كما في «الدر المنثور» ومن طريقه ابن جرير (٤٧٢)؛ وابن أبي حاتم (٢١٦).

(٦) أخرجه ابن جرير (٤٨٦)؛ وابن أبي حاتم (٢٣٢) [سنده حسن].

(٧) ساقط من (ج) و(ل). (٨) في (ن): «التوحيد».

(٩) في «تفسيره» (٢٣٠) وسنده جيد، وأخرجه الطبري (٤٨٥) عن عكرمة قوله.

وفي الحديث^(١) أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: ما شاء الله وشئت. قال: «أجلعتني لله نداً». وفي الحديث الآخر^(٢): «نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون: تقولون: ما شاء الله وشاء فلان». قال أبو العالية^(٣): فلا تجعلوا لله أنداداً؛ أي: عدلاء شركاء. وهكذا قال الربيع بن أنس، وقتادة، والسدي، وأبو مالك، وإسماعيل بن أبي خالد. وقال مجاهد^(٤): ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قال: تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل.

ذكر حديث في معنى هذه الآية الكريمة:

قال الإمام^(٥) أحمد: حدثنا عفان، حدثنا أبو خلف موسى بن خلف، وكان يعد من البدلاء، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جده ممطور، عن الحارث الأشعري - أن نبي الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ أمر يحيى بن زكريا ﷺ بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، (فكان يبطن)^(٦) بها، فقال له عيسى ﷺ: إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن، وإما أن أبلغهن. فقال: يا أخي، إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي. قال: فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعده على الشرف، فحمد الله وأثنى عليه؛ ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن؛ أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإن مثل ذلك (مثل)^(٧) رجل اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب،

(١) مر تخريجه آنفاً.

(٢) أخرجه النسائي (٦/٧) بهذا اللفظ وهو من حديث قتيلة بن صيفي. وصححه الحافظ في «الإصابة» (٤/٣٨٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٣١) وسنده حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير (٤٨٨)؛ وابن أبي حاتم (٢٣٣) من طريقين عن سفيان الثوري، عمن حدثه عن مجاهد وسنده ضعيف لجهالة الراوي عن مجاهد؛ وأخرجه ابن جرير (٤٨٩) أيضاً عن قبيصة بن عقبة، عن الثوري، عن مجاهد، فأسقط الوساطة، وهذا الوجه ضعيف أيضاً فإن الثوري لم يدرك مجاهداً.

(٥) في «مسنده» (٤/١٣٠، ٢٠٢).

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٣/رقم ٣٤٢٧)؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١٢٥)؛ وابن الأثير في «أسد الغابة» (٣٨٣/١) من طريق موسى بن خلف، ثنا يحيى بن أبي كثير بسنده سواء.

وأخرجه الترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤)؛ والبخاري في «الكبير» (٢/٢٦٢)؛ والطالسي (١١٦١، ١١٦٢)؛ وابن خزيمة (ج ٣/رقم ١٨٩٥)؛ وأبو يعلى (ج ٣/رقم ١٥٧١)؛ وابن نصر (١٢٤، ١٢٦)؛ وابن حبان (١٢٢٢، ١٥٥٠)؛ وابن منده في «الإيمان» (٢١٢)؛ والآجري في «الشريعة» (ص ٨)؛ والطبراني في «الكبير» (٣٤٢٧، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩)؛ والحاكم (١/١١٨، ٤٢١، ٤٢٢) وصححه ووافقه الذهبي كلهم من طرق عن يحيى بن أبي كثير بسنده مثله وصرح يحيى بالتحديث عند أبي يعلى وابن حبان والآجري. وتابعه معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام بسنده سواء مثله.

(٦) كذا في (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي)؛ وفي (ن): «وأنه كاد أن يبطن»؛ وفي (هـ): «كاد أن يبطن» وهو الموافق لما في «المسند».

(٧) كذا في (ج) و(ز) و(ع) و(ل) و(ي). وفي (ن) و(هـ): «كمثل» وسقط هذا اللفظ من (ك).

فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأياكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا.

وأمركم بالصيام؛ فإن مثل ذلك كمثّل رجل معه صُرّة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك. وإن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثّل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه. فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فكّ نفسه.

وأمركم بذكر الله كثيراً. وإن مثل ذلك كمثّل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه؛ وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله.

قال: وقال رسول الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمسٍ الله أمرني بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله؛ فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع (ربقة) (١) الإسلام من عنقه إلا أن يراجع. ومن دعا بدعوى جاهلية فهو من جُئى جهنم».

قالوا: يا رسول الله؛ [وإن صام (وإن) صلّى؟ فقال: (٢)] «وإن صام، وزعم أنه مسلم؛ فادعوا المسلمين بأسمائهم (على ما) (٤) سماهم الله ﷻ المسلمين المؤمنين عباد الله».

هذا حديث حسن، والشاهد منه في هذه الآية قوله: «وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً».

(٥) [وهذه الآية دالة على توحيدة تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل بها كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع (تعالى) (٦)، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى؛ فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية، واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها، ومنافعها، ووضعها في مواضع النفع بها محكمة - علم قدرة خالقها، وحكمته وعلمه، وإتقانه، وعظيم سلطانه، كما قال بعض الأعراب - وقد سئل: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله! إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج! ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير!.

وحكى (فخر الدين) (٧) (الرازي) (٨) عن الإمام مالك - أن الرشيد سأله عن ذلك، فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنعيمات] (٥).

(١) في (ع) و(ل): «ريق».

(٣) من (ج) و(ك).

(٤) كذا في (ز) و(ع) و(ن) و(هـ) و(ي)؛ وفي (ج) و(ك) و(ل): «بل بما».

(٥) ساقط من (ز) و(ك).

(٦) من (ع) و(ن) و(هـ) و(ي)؛ وفي (ل): «فقال».

(٧) ساقط من (ن).

(٨) ساقط من (ج) و(ع) و(ل) و(ي)؛ وفي (هـ): «فخر الدين الرازي».

(١) [وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فأني مفكر في أمر قد أخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيئ وتسير بنفسها، وتخرق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد] (١).

(١) [فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل. فقال: ويحكم! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟! فبهت القوم، ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه] (١).

(٢) [وعن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد، يأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة (والبعير) (٣) والأنعام فتلقيه بعراً وروثاً، وتأكله الطباء فيخرج (منها) (٤) المسك، وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمد (بن حنبل) (٥) (رحمته الله) (٦) أنه سئل عن ذلك، فقال: ها هنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز؛ فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره، فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح - يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

وسئل أبو نواس عن ذلك، فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر
(٧) [عيون من لجين شاخصات
على قضب الزبرجد شاهدات
وقال ابن المعتز:

فيا عجباً كيف يعصى الإلـه
أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

وقال آخرون: من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار (المنيرة) (٨) من السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويراً، ولها في أنفسها سير يخصصها، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها، كما قال (تعالى) (٩): ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۚ وَمِمَّنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ ۖ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨] (٧).

(١) ساقط من (ز) و(ك).

(٣) كذا في (ج) و(ل)؛ وفي (ن): «البقر».

(٥) من (ن).

(٧) ساقط من (ز) و(ك) و(هـ) و(ي).

(٩) في (ن).

(٢) ساقط من (ز) و(ك) و(هـ) و(ي).

(٤) كذا في (ج) و(ن)؛ وفي (ل): «منه».

(٦) من (ل).

(٨) في (ن): «النيرة».

(١) [وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع؛ وما ذراً في الأرض من الحيوانات المتنوعة، والنبات المختلف الطعوم والأشكال، مع اتحاد طبيعة التربة والماء، استدل على وجود الصانع، وقدرته العظيمة، وحكمته، ورحمته ولطفه بهم، وإحسانه إليهم، وبره بهم، لا إله غيره، ولا رب سواه، عليه توكلت وإليه أنيب.

والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جداً^(١).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله إلا هو؛ فقال مخاطباً للكافرين: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني: محمد ﷺ - فأتوا بسورة من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله، فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله، فإنكم لا تستطيعون ذلك.

قال ابن عباس^(٢): ﴿شُهَدَاءَكُمْ﴾ أعوانكم^(٣) [أي: قوماً آخرين يساعدونكم على ذلك]^(٣).

^(٤) [وقال السدي، عن أبي مالك: شركاءكم^(٥)]^(٦) [أي: استعينوا بالكهنتكم في ذلك يمدونكم وينصرونكم]^(٦).

وقال مجاهد: وادعوا شهداءكم، قال: ناس يشهدون به^(٧)؛ (يعني: حكم الفصحاء)^(٨).

وقد تحداهم الله تعالى بهذا^(٤) في غير موضع من القرآن، فقال في سورة القصص: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [القصص].

وقال في سورة سبحان: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

وقال في سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِمِثْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَقْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [هود].

وقال في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

- (١) ساقط من (ز) و(ك) و(هـ) و(ي).
- (٢) أخرجه ابن إسحاق، كما في «الدر المنثور» (٣٥/١)، ومن طريقه ابن جرير (٤٩٦)؛ وابن أبي حاتم (٢٤١) [وسنده حسن].
- (٣) من (ج) و(ل)؛ وفي (ن): «قال السدي، عن أبي مالك: شركاءكم؛ أي: قوماً آخرين يساعدونكم على ذلك؛ أي: استعينوا... إلخ» فأدخل الناسخ إحدى العبارتين في الأخرى.
- (٤) ساقط من (هـ).
- (٥) من (ج) و(ل).
- (٦) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق السدي به].
- (٧) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد].
- (٨) ساقط من (ز) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي).

وَتَقْصِيلَ الْكَتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ [يونس].
وكل هذه الآيات مكية.

ثم تحداهم بذلك أيضاً في المدينة؛ فقال في هذه الآية: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، (أي: شك^(١)) ﴿مِمَّا زَلَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني: محمداً ﷺ - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ يعني: من مثل القرآن؛ قاله مجاهد، وقتادة^(٢)، واختاره ابن جرير^(٣) [الطبري، والزمخشري (وفخر الدين)^(٤) الرازي، ونقله عن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، والحسن البصري، وأكثر المحققين؛ ورجح ذلك بوجوه؛ من أحسنها أنه تحداهم كلهم متفرقين ومجتمعين، سواء في ذلك أميهم وكتابيهم؛ وذلك أكمل في التحدي؛ وأشمل من أن يتحدى أحادهم الأميين ممن لا يكتب ولا يعاني شيئاً من العلوم^(٥)، وبديل قوله (تعالى)^(٥): ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ﴾ [هود: ١٣] وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨] وقال بعضهم: من مثل محمد ﷺ؛ يعني: من رجل أمي مثله.

والصحيح الأول؛ لأن التحدي عام لهم كلهم، مع أنهم أفصح الأمم، وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عداوتهم له، وبغضهم لدينه (وتعصبهم لدينهم)^(٦) ومع هذا عجزوا عن ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ «ولن» لنفي التأييد (في المستقبل)^(٧)؛ أي: ولن تفعلوا ذلك أبداً.

وهذه أيضاً معجزة أخرى، وهو أنه أخبر^(٨) [خبراً جازماً قاطعاً مقدماً غير خائف ولا مشفق]^(٨) أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد^(٨) [الآبدين ودهر الداهرين]^(٨)؛ وكذلك وقع الأمر، لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا، ولا يمكن؛ وأنى يتأتى ذلك لأحد والقرآن كلام الله خالق كل شيء؟ وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين.

^(٩) [ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنوناً ظاهرة وخفية، من حيث اللفظ، ومن جهة المعنى؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِي كُنْتُ أَكْمَلْتُ لَكَ آيَاتِي ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّي حَكِيمٌ خَيْرٌ﴾ [هود] فأحكمت ألفاظه، وفصلت معانيه، أو بالعكس على الخلاف؛ فكل من لفظه ومعناه فصيح (لا يجارى)^(١٠) ولا يدانى؛ فقد أخبر عن مغيبات ماضية؛ وكانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء، وأمر بكل خير، ونهى عن كل شر؛ كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقاً في الإخبار، وعدلاً في الأحكام؛^(٩) [فكلمة حق وصدق، وعدل وهدي]^(١١)،

(١) ساقط من (ج).

(٢) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة].

(٣) ساقط من (ز).

(٤) ساقط من (ن).

(٥) من (ن).

(٦) ساقط من (ز) و(ن). ووقع في (ل): «وتعصبهم على دينهم».

(٨) ساقط من (ز).

(٧) ساقط من (ز).

(٩) في (ن): «لا يحاذى».

(١٠) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(١١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(١) [ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء، كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها؛ كما (يقال) (٢) في الشعر: إن أعذبه أكذبه.

وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء، أو الخيل، أو الخمر، أو في مدح شخص معين، أو فرس، أو ناقة، أو حرب، أو كائنة (أو سير) (٣) أو مخافة، أو سبع، أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لا تفيد شيئاً إلا قدرة المتكلم المعين على (التعبير عن) (٤) الشيء الخفي أو الدقيق، وإبرازه إلى الشيء الواضح. ثم تجد له فيه بيتاً أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد، وسائرهما هذر لا طائل تحته.

وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلاً وإجمالاً ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير؛ فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسطة أو وجيزة، وسواء تكررت أم لا؛ وكلما تكرر حلا وعلا، لا يخلق عن كثرة الرد، ولا يمل منه العلماء؛ وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات؛ فما ظنك بالقلوب الفاهمات؛ وإن وعد أتى بما (١). (٥) [يفتح القلوب والآذان، (ويشوق) (٦) إلى دار السلام، ومجاورة عرش الرحمن؛ كما قال في الترغيب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧) [السجدة] وقال: ﴿وَفِيهَا مَا شَتَّهِهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنشَرُ فِيهَا خَلِيدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقال في الترهيب: ﴿أَفَأَمِنْتُ أَن يَخِيفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ [الإسراء: ٦٨] ﴿ءَأَمِنْتُ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِيفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (٨) أَمْ أَمِنْتُ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (٩) [الملك].

وقال في الزجر: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٠].
وقال في الوعظ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (١٠) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (١١) مَّا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ (١٢) [الشعراء].

إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة.
وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب؛ والنهي عن كل قبيح رذيل ذني؛ كما قال ابن مسعود وغيره من السلف: إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] فأرعاها سمعك، فإنها خير يأمر به، أو شر ينهى عنه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (١٣) (١٤) ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧] (١٥).

(٢) في (ن): «قيل».

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٣) ساقط من (ن).

(٤) ساقط من (ن)؛ وفي (ج): «التعبير على الشيء».

(٥) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٦) في (ج): «نوف»!

(٧) ساقط من (ز) و(ع) و(هـ) و(ي).

(٨) ساقط من (ج) و(ل).

(١) [وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأهوال (وبيان الأحوال) (٢)، وفي وصف الجنة والنار، وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم (والملاذ) (٣) والعذاب الأليم؛ بشرت (به) (٤)، وحذرت وأنذرت؛ ودعت إلى فعل الخيرات، واجتناب المنكرات، وزهدت في الدنيا، ورغبت في الآخرة، وثبتت على (الطريق) (٥) المثلى، وهدت إلى صراط الله المستقيم، وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم] (١).

ولهذا ثبت في «الصحيحين» (٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «(ما من الأنبياء من نبي) (٧) إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» - لفظ مسلم.

وقوله ﷺ: «وإنما كان الذي أوتيت (وحياً) (٨)؛ أي: الذي اختصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه، بخلاف غيره من الكتب الإلهية فإنها ليست معجزة (عند كثير من العلماء) (٩)». والله أعلم.

وله عليه (الصلاة و) (١٠) السلام من الآيات الدالة على نبوته وصدقه فيما جاء به ما لا يدخل تحت حصر. والله الحمد والمنة.

(١١) [وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في (الصرفة) (١٢)؛ فقال: إن كان هذا القرآن معجزاً في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا في قواهم معارضته، فقد حصل المدعى وهو المطلوب. وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله، ولم يفعلوا ذلك، مع شدة عداوتهم له، كان ذلك دليلاً على أنه من عند الله لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك. وهذه الطريقة، وإن لم تكن مرضية؛ لأن القرآن في نفسه معجز، لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا، إلا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة، والمنافحة عن الحق؛ وبهذه الطريقة أجاب (فخر الدين) (١٣) (الرازي) (١٤) في «تفسيره» (١٥) عن سؤاله في السور القصار كـ «العصر»، و«إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» ﴿١﴾ [الكوثر] (١١).

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أما الوقود - بفتح الواو - فهو ما يلقي في النار لإضرارها؛ كالحطب ونحوه، كما قال (تعالى) (١٦): ﴿وَأَمَّا أَلْفَسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ ﴿١٧﴾ [الجن] وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ

(١) ساقط من (ز) و(ع) و(ه) و(ي).

(٣) كذا في (ك) و(ن)؛ وفي (ج) و(ل): «المداد».

(٥) كذا في (ج) و(ك) و(ل)؛ وفي (ن): «الطريقة».

(٧) في (ز) و(ن): «ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر» وهو مخالف للفظ مسلم.

(٨) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(١٠) من (ز) و(ن).

(١٢) كذا في (ك) و(ن) و(ي)؛ وفي (ج) و(ل): «الصوفية»! وقع في (ه) بياض في موضع هذه الكلمة.

(١٣) من (ج) و(ك) و(ل) و(ي).

(١٤) من (ل) و(ن)؛ وفي (ه): «الفخر الرازي».

(١٥) راجع بحثه في «تفسيره» (١٢٦/١ - ١٢٨).

(١٦) من (ن).

لَهَا وَرَدُّونَ ﴿٩٨﴾ ﴿١﴾ [الأنبياء].

والمراد بالحجارة ها هنا هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتنة، وهي أشد الأحجار حرّاً إذا حميت، أجارنا الله منها.

وقال عبد الملك بن ميسرة الزراد، عن عبد الرحمن بن سباط، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود - في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قال: هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين.

رواه ابن^(٢) جرير؛ وهذا لفظه، وابن أبي حاتم، والحاكم في «مستدركه»؛ وقال: «على شرط الشيخين».

وقال السدي في «تفسيره»^(٣)، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة: اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة؛ أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار.

وقال مجاهد^(٤): حجارة من كبريت أنتن من الجيفة.

وقال أبو جعفر^(٥) محمد بن علي: حجارة من كبريت.

وقال ابن جرير^(٦): حجارة من كبريت أسود في النار.

قال لي عمرو بن دينار: أصلب من هذه الحجارة وأعظم.

^(٧)[وقيل: المراد بها حجارة الأصنام والأنداد التي كانت تعبد من دون الله، كما قال (تعالى)^(٨): ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ...﴾ [الأنبياء: ٩٨] حكاه القرطبي (وفخر الدين)^(٩)]^(٧).

^(١٠)[الرازي]^(١١)، ورجحه على الأول؛ قال: لأن أخذ النار في حجارة الكبريت ليس بمستنكر، فجعلها هذه الحجارة أولى.

وهذا الذي قاله ليس بقوي؛ وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أشد^(١٠)

(١) في (ن) بعد هذه الآية «لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون».

(٢) في «تفسيره» (٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٧)؛ وابن أبي حاتم (٢٤٥)؛ والحاكم (٢/٢٦١، ٤٩٤) من طرق عن مسعر بن كدام، عن عبد الملك بن ميسرة بسنده سواء.

ومن هذا الوجه: أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٠/١)؛ وهناد بن السري في «الزهد» (٦٣)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٩٠٢٦)؛ وسعيد بن منصور في «تفسيره» (ق ٢/١٨٢)؛ والبيهقي في «الشعب» - وعزاه السيوطي في «الدر» (٣٦/١) لعبد بن حميد وابن المنذر والفريابي. وسنده صحيح.

(٣) ومن طريقه ابن جرير (٥٠٥) وسنده حسن. وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٦) من قول السدي. [وسنده ضعيف].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٧) وسنده ضعيف. (٥) ذكره ابن أبي حاتم عنه بلا إسناد.

(٦) أخرجه ابن جرير (٥٠٦)؛ وابن أبي حاتم (٢٤٨) وسنده صحيح.

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) من (ن).

(٩) من (ج) و(ك) و(ل) و(ي).

(١٠) ساقط من (ز) و(ض).

(١١) من (ن)؛ وفي (هـ): «فخر الدين الرازي».

(١) [لحرها، وأقوى لسعيرها، ولا سيما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك؛ ثم إن أخذ النار بهذه الحجارة أيضاً مشاهد؛ وهذا الجص يكون أحجاراً، فيعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك. وكذلك سائر الأحجار تفجرها النار وتحرقها؛ وإنما سيق هذا في حر النار التي وعدوا بها وشدة ضرامها وقوة لهبها؛ كما قال (تعالى) (٢): ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] وهكذا رجح القرطبي (٣) أن المراد بها الحجارة التي تسعر بها النار لتحمر ويشتد لهبها؛ قال: ليكون ذلك أشد عذاباً لأهلها.

قال (٤): وقد جاء في الحديث (٥) عن النبي ﷺ أنه قال: «كل مؤذ في النار» (١).

(١) [قلت] (٦) وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف؛ ثم قال القرطبي: وقد فسر بمعنيين: أحدهما: أن كل من آذى الناس دخل النار. والآخر أن كل ما يؤدي في النار يتأذى به أهلها من السباع والهوم وغير ذلك (١).

وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ الأظهر أن الضمير في «أعدت» عائد إلى النار التي وقودها الناس والحجارة. ويحتمل عوده إلى الحجارة، كما قال ابن مسعود. ولا منافاة بين القولين في المعنى؛ لأنهما متلازمان.

و﴿أُعِدَّتْ﴾؛ أي: أرصدت وحصلت للكافرين بالله ورسوله، كما قال ابن إسحاق، عن محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر. (٧) [وقد استدلل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن، لقوله (تعالى) (٨): ﴿أُعِدَّتْ﴾ أي: أرصدت] (٧).

(٩) [وهيئت، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها: «تحتاج الجنة والنار» (١٠). ومنها: «استأذنت النار ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في» (٩)

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) في «تفسيره» (١/ ٢٣٥، ٢٣٦).

(٥) حديث باطل. أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١١/ ٢٩٩)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الواحيات» (٢/ ٢٦٣).

(٢٦٣) من طريق عثمان بن الخطاب أبي عمرو الأشج المعروف بـ«أبي الدنيا» أنهم اجتمعوا عليه في بغداد في دار إسحاق وأحدقوا به وضايقوه، فقال: لا تؤذوني فلاني سمعت علي بن أبي طالب يقول: قال رسول الله ﷺ... فذكره.

قال الخطيب في ترجمة أبي الدنيا هذا: «والعلماء لا يشتون قوله ولا يحتجون بحديثه... ثم قال: وما علمت أن أحداً ببغداد كتب عنه حرفاً واحداً، ولم يكن عندي بذلك الثقة».

وقال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح، والأشج غير موثق بقوله عند العلماء».

وقال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٣٣) في ترجمة «الأشج»: «حدث بقله حياء بعد الثلاثمائة عن علي». اهـ ونقل المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٣٠) عن الذهبي في «ديوان الضعفاء» أنه قال: «خبر غريب» ولم أجد هذا في «ديوان الضعفاء» (رقم ٢٧٥٧) بل قال في ترجمة الأشج هذا: «طرق كذاب جري».

(٦) ساقط من (ن).

(٨) من (ن).

(٩) ساقط من (ز).

(١٠) أخرجه البخاري (٨/ ٥٩٥)؛ ومسلم (٣٦/ ٢٨٤٦).

(١) [الصيف] (٢). وحديث ابن مسعود: (سمعنا) (٣) وجبة، فقلنا: (ما هذا؟ فقال) (٣) [١] (١) (رسول الله ﷺ) (٤): «هذا حجر ألقى به من شفير جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها». وهو عند مسلم (٥)، وحديث صلاة الكسوف (٦)؛ وليلة الإسراء (٧)، وغير ذلك من الأحاديث المتواترة في هذا المعنى. وقد خالفت المعتزلة بجهلهم في هذا، ووافقهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الأندلس (١).

(٨) [تنبيه ينبغي الوقوف عليه:

قوله (تعالى) (٩): ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ وقوله في سورة يونس: ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨] يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط فتعم، كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين، كما هو مقرر في موضعه؛ فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصرها؛ وهذا ما لا أعلم فيه نزاعاً بين الناس سلفاً وخلفاً.

وقد قال (العلامة فخر الدين) (١٠) (الرازي) (١١) في «تفسيره» (١٢): فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ يتناول سورة الكوثر، وسورة العصر، و﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون] ونحن نعلم بالضرورة أن الإتيان بمثله، أو بما يقرب منه ممكن.

فإن قلتم: إن الإتيان بمثل هذه السور خارج عن مقدار البشر كان (ذلك) (١٣) مكابرة، والإقدام على هذه المكابرات مما يطرق (التهم) (١٤) إلى الدين (٨).

(١٥) [قلنا: فلهذا السبب اخترنا الطريق الثاني، وقلنا: إن بلغت هذه السورة في الفصاحة حد الإعجاز فقد حصل المقصود؛ وإن لم يكن كذلك كان امتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم إلى (توهين) (١٦) أمره معجزاً؛ فعلى التقديرين يحصل المعجز. هذا لفظه بحروفه] (١٥).

(١) أخرجه البخاري (١٨/٢)، والسياق له.

(٢) ساقط من (ه).

(٣) ساقط من (ز).

(٥) أخرجه في «صحيحه» (٣١/٢٨٤٤)، ووهم المصنف ﷺ إذ جعله من حديث ابن مسعود وإنما رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة ؓ، ولفظه: كنا مع رسول الله ﷺ، إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: «تدرون ما هذا؟» قال: قلنا الله ورسوله أعلم. قال: «هذا حجر رمى به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوى في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها».

(٦) يشير إلى حديث ابن عباس قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى والناس معه فقام قياماً طويلاً... الحديث وفيه: «قالوا: يا رسول الله! رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كعكعت؟ قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً، لو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار فلم أر منظراً قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء...» الحديث. أخرجه البخاري (٨٣/١)، ٢٣٢/٢، ٥٤٠، و٦/٢٩٧، ٢٩٨/٩؛ ومسلم (١٧/٩٠٧).

(٧) ويأتي تخريج أحاديثها في سورة الإسراء إن شاء الله تعالى.

(٨) ساقط من (ز) و(ه) و(ي).

(٩) من (ن).

(١٠) من (ج) و(ك) و(ل).

(١١) من (ل) و(ن).

(١٢) راجع بحثه في «تفسيره» (١٢٦/١ - ١٢٨).

(١٣) ساقط من (ن).

(١٤) في (ن): «بالتهمة».

(١٥) في (ك) و(ن): «تهوين».

(١) [والصواب أن كل سورة من القرآن معجزة، لا يستطيع البشر معارضتها طويلاً كانت أو قصيرة] [العصر].

قال الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر].

وقد روينا عن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يسلم، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ (إلى آخرها) (٢) ففكر ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: ولقد أنزل علي مثله؛ فقال: وما هو؟ فقال: يا وبر. يا وبر، إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حقر فقر، ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أنني لأعلم أنك تكذب (٣) [١].

﴿وَيَبِّرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١٥﴾.

لما ذكر تعالى ما أعده لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنكال عطف بذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة؛ وهذا معنى تسمية القرآن مثاني على أصح أقوال العلماء، كما سنبسطه في موضعه؛ وهو أن يذكر الإيمان ويتبع بذكر الكفر أو عكسه، أو حال السعداء، ثم الأشقياء، أو عكسه. وحاصله ذكر الشيء ومقابله.

وأما ذكر الشيء ونظيره فذاك التشابه، كما سنوضحه إن شاء الله؛ فلهذا قال تعالى: ﴿وَيَبِّرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فوصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار، (٤) [كما وصف النار بأن وقودها الناس والحجارة. ومعنى تجري من تحتها الأنهار] (٤)؛ أي: من تحت أشجارها وغرفها. وقد جاء في الحديث (٥):

(١) ساقط من (ز) و(هـ) و(ي).

(٢) [سيأتي تخريجه في سورة العصر].

(٣) ساقط من (ن).

(٤) ساقط من (ن).

(٥) أخرجه ابن مردويه في «تفسيره»، كما في «ابن كثير» (٢٩٧/٧)، طبع الشعب؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٢٠٥) وفي «صفة الجنة» من طريق مهدي بن حكيم، ثنا يزيد بن هارون، أنبأنا الجري، عن معاوية بن قرة، عن أنس بن مالك مرفوعاً: «لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض؟ لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض، حافتها خيام اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر». قلت: يا رسول الله! وما الأذفر؟ قال: «الذي لا خلط فيه».

وعزاه السيوطي في «الدر» (٣٨/١) للضيء المقدسي في «صفة الجنة».

(*) قلت: وهذا سند ضعيف، والجري واسمه سعيد بن إياس كان اختلط، وسماع يزيد بن هارون من

متأخر، وقد اضطرب فيه، فقد رواه يعقوب بن عبيدة وبشر بن معاذ كلاهما عن يزيد بن هارون بسنده سواء

موقوفاً. أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» كما في «ابن كثير» (٢٩٦/٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» =

«أن أنهارها تجري في غير أخدود» وجاء في الكوثر^(١) «أن (حافتيه)^(٢) قباب اللؤلؤ المجوف» ولا منافاة بينهما؛ فطينها المسك الأذفر، وحبابؤها اللؤلؤ والجوهر، نسأل الله من فضله (وكرمه)^(٣) إنه هو البر الرحيم.

وقال ابن أبي^(٤) حاتم: قرئ على الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنهار الجنة تفجر من (تحت تلال آخر أو من)^(٥) تحت جبال المسك».

وقال (أيضاً)^(٦): حدثنا أبو سعيد، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق؛ قال: قال عبد الله^(٧): «أنهار الجنة تفجر من جبل مسك».

وقوله (تعالى)^(٨): ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قال السدي

= (٣١٦)؛ ورجح المنذري في «الترغيب» (٥١٨/٤) الموقوف وقال: «هو أشبه بالصواب» كذا! وطريق الموقوف والمرفوع واحد، فالظاهر أنه لا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً، ولكن معنى كلام المنذري أنه إذا تردد الناقد في الحكم بالرفع والوقف فإن الأخذ بالوقف هو الأشبه، لأنه المناسب للاحتياط، إذ الأخذ بالأقل عند الاختلاف هو مذهب الجماهير من أهل الحديث والله أعلم.

وقد صح هذا من قول مسروق قال: «أنهار الجنة تجري في غير أخدود وثمرها كالقلال، كلما أخذت ثمرة عادت مكانها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعاً»؛ أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩٧/١٣)؛ وهناد بن السري في «الزهد» (٩٥، ١٠٣)؛ والمروزي في «زوائد الزهد» (١٤٨٩)؛ وابن صاعد أيضاً (١٤٩٠)؛ وابن جرير في «تفسيره» (٥٠٩، ٥١٠، ٥١١)؛ وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣١٥)؛ والبيهقي في «البعث» (٢٩٢) من طرق عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن مسروق. وسنده صحيح.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤/١١).

(٢) في (ج): «حافته» بالرفع، وإنما يصح ذلك بحذف «إن».

(٣) ساقط من (ز) و(ن).

(٤) في «تفسيره» رقم (٢٥٣).

وأخرجه ابن حبان (٢٦٢٢)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٣٢٦/٢)؛ والحاكم كما في «حادي الأرواح» و«إتحاف السادة» (٥٣٤/١٠)؛ وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣١٣)؛ والبيهقي في «البعث» (٢٦٦) من طريق أسد بن موسى بسنده سواء. ولفظ البيهقي مطول أخرج بعضه الطبراني في «الأوسط» (ج ٢/٢٦٦ ق ١) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن ابن ثوبان إلا أسد بن موسى».

وحسن إسناده العراقي في «تخريج الإحياء» (٥٢٢/٤) وقال المنذري في «الترغيب» (١٠٠/٣، ٢٦٢): «رواه الطبراني في «الأوسط» ورواته ثقات إلا شيخه المقدم بن داود وقد وثق».

(*) قلت: تابعه الربيع بن سليمان ويوسف بن يزيد القراطيسي كلاهما عن أسد بن موسى به.

(٥) ساقط من (ل).

(٦) ساقط من (ج) و(ك).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٥)؛ وابن أبي شيبة (٩٦/١٣)؛ والبيهقي في «البعث» (٢٦٧) من طريقين عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن ابن مسعود به قال البيهقي: «هذا موقوف صحيح». وأخرجه عبد الرزاق (ج ١١/رقم ٢٠٨٧٣) أخبرنا معمر، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق قوله ولم يذكر «ابن مسعود» فلعل معمر قصر في إسناده وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣٧/١)؛ لأبي الشيخ في «تفسيره».

(٨) من (ز) و(ن).

في «تفسيره»^(١)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة؛ قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل؛ قال: إنهم أتوا بالثمرة في الجنة، فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا.

وهكذا قال قتادة^(٢)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ونصره ابن^(٤) جرير.

وقال عكرمة^(٥): ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قال: معناه مثل الذي كان بالأمس. وكذا

قال الربيع بن أنس.

وقال مجاهد^(٥): يقولون: ما أشبهه به.

قال ابن جرير: وقال آخرون: بل تأويل ذلك الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنة من قبل هذا، لشدة مشابهة بعضه بعضاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِمْ مُمْتَلِكًا﴾ قال سنيد^(٦) بن داود: حدثنا شيخ من أهل المصيصة، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير؛ قال: يؤتى أحدهم بالصحفة من الشيء، فيأكل منها، ثم يؤتى بأخرى، فيقول: هذا الذي أتينا به من قبل، فتقول الملائكة: كل، فاللون واحد، والطعم مختلف.

وقال ابن^(٧) أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عامر بن يساف، عن يحيى بن أبي كثير، قال عشب الجنة الزعفران، وكشبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفواكه، فيأكلونها، ثم يؤتون بمثلها؛ فيقول لهم أهل الجنة: هذا الذي أتيتونا آنفاً به؛ فتقول لهم الولدان: كلوا (فإن)^(٨) اللون واحد، والطعم (مختلف)^(٩)؛ وهو قول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِمْ مُمْتَلِكًا﴾.

وقال أبو جعفر^(١٠) الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿وَأَتُوا بِهِمْ مُمْتَلِكًا﴾ قال: يشبه بعضه بعضاً، ويختلف في الطعم.

قال ابن أبي حاتم^(١١): وروي عن مجاهد، والربيع بن أنس، والسدي، نحو ذلك.

وقال ابن جرير^(١٢) بإسناده، عن السدي في «تفسيره» عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن

(١) أخرجه ابن جرير (٥١٢)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٨)، عن السدي قوله [وسنده ضعيف].

(٢) أخرجه ابن جرير (٥١٣) وسنده صحيح. (٣) أخرجه ابن جرير (٥١٦) وسنده صحيح.

(٤) في «تفسيره» (٣٨٧/١، ٣٨٨).

(٥) أخرجه ابن جرير (٥١٤، ٥١٥)؛ وابن أبي حاتم (٢٥٩، ٢٦٠) [وسنده صحيح] وعزاه في «الدر» (٣٨/١) لعبد بن حميد عن عكرمة.

(٦) أخرجه ابن جرير (٥١٨). [وسنده ضعيف لإبهام شيخ سنيد، ويشهد له ما يليه، وأخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس نحوه].

(٧) في «تفسيره» (٢٦٢)؛ وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٥٣) عن داود بن رشيد، عن عامر بن يساف. [وسند ابن أبي حاتم حسن].

(٨) ساقط من (ن). (٩) ساقط من (ج).

(١٠) أخرجه ابن جرير (٥٢٧) بسند ضعيف.

(١١) [أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي جعفر به وسنده جيد].

(١٢) أخرجه ابن جرير (٥٢٤). [وسنده ضعيف].

ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا﴾ يعني: في اللون والمرأى، وليس يشبهه في الطعم وهذا اختيار ابن جرير.

وقال عكرمة^(١): ﴿وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا﴾ قال: يشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أطيب.

وقال سفيان^(٢) الثوري، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس: لا يشبه شيء مما في الجنة في الدنيا إلا في الأسماء.

وفي رواية: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، ورواه ابن جرير من رواية الثوري، وابن أبي حاتم، من حديث أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش، به.

وقال عبد الرحمن^(٣) بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا﴾ قال: يعرفون أسمائه كما كانوا في الدنيا: الفتح بالفتح، والمان بالمان، قالوا في الجنة: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، وأتوا به متشابهًا، يعرفونه، وليس هو مثله في الطعم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قال ابن أبي^(٤) طلحة، عن ابن عباس: مطهرة من القذر والأذى.

وقال مجاهد^(٥): من الحيض والغائط، والبول والنخام والبزاق، والمني والولد.

وقال قتادة^(٦): مطهرة من الأذى والمأثم. وفي رواية عنه: لا حيض ولا كلف.

وروى عن عطاء، والحسن، والضحاك، وأبي صالح، وعطية، والسدي نحو ذلك.

وقال ابن جرير^(٧): حدثني يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: المطهرة التي لا تحيض، قال: وكذلك خلقت حواء عليها السلام (فلما)^(٨) عصت قال الله تعالى: إني خلقتك مطهرةً وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة. وهذا غريب.

(١) أخرجه ابن جرير (٥٣٣)؛ وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤١/١) وعنه ابن جرير (٥٣٢) قال: أخبرنا معمر عن قتادة فذكره بلفظه. وتابعه محمد بن ثور عن معمر مثله، [وسنده صحيح]، أخرجه ابن الأنباري في «الأضداد» (ص ٣٨٦).

(٢) أخرجه وكيع في «نسخته عن الأعمش» (١)؛ وابن جرير (٥٣٤) من طريق الثوري به. وأخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٣، ٨)؛ وابن جرير (٥٣٥)؛ وابن أبي حاتم (٢٦١) من طرق عن الأعمش بسنده سواء. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣٨/١)؛ لمسدد وابن المنذر والبيهقي في «البعث» وهو أثر صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (٥٣٦) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٥٣٩)؛ وابن أبي حاتم (٢٦٥) [وسنده ثابت].

(٥) أخرجه هناد في «الزهد» (٢٧ - ٢٩)؛ ونعيم بن حماد في «زوائد الزهد» (٢٤٣)؛ وعبد الرزاق في «تفسيره» (٤١/١)؛ وابن جرير (٥٤٢ - ٥٤٥)؛ والبيهقي في «البعث» (٣٦٠)؛ وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٦٢) من طرق عن مجاهد. وهو صحيح.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤١/١)؛ وابن جرير (٥٤٦ - ٥٤٨)؛ وأبو نعيم (٣٦١) من طرق عن قتادة. [وسنده صحيح].

(٧) في «تفسيره» (٥٥٠) وإسناده صحيح، واستغربه المصنف وأصاب، ولا يقبل مثل هذا الكلام إلا من النبي ﷺ أو ينزل به وحى.

(٨) في (ز): «حتى».

وقال الحافظ أبو بكرة^(١) بن مردويه: حدثنا إبراهيم بن محمد، حدثني جعفر بن محمد بن حرب، وأحمد بن محمد (الجوري)^(٢)؛ قالوا: حدثنا محمد بن عبيد الكندي، حدثنا عبد الرزاق بن عمر البزيعي، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن شعبة، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قال: من الحيض والغائط، والنخاعة والبزاق. هذا حديث غريب. وقد رواه الحاكم في «مستدركه» عن محمد بن يعقوب، عن الحسن بن علي بن عفان، عن محمد بن عبيد، به. وقال: «صحيح على شرط الشيخين». وهذا الذي ادعاه فيه نظر؛ فإن عبد الرزاق بن عمر البزيعي هذا قال فيه أبو حاتم ابن حبان البستي: «لا يجوز الاحتجاج به».

قلت: والأظهر أن هذا من كلام قتادة كما تقدم. والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذا هو تمام السعادة، فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع، فلا آخر له، ولا انقضاء؛ بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام. والله المسؤول أن يحشرنا في زمرةهم، إنه جواد كريم (بر)^(٣) رحيم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧﴾

قال السُّدِّيُّ في «تفسيره»^(٤) عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين - يعني: قوله (تعالى)^(٥): ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ...﴾ [البقرة: ١٩] الآيات الثلاث - قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال؛ فأنزل الله هذه الآية إلى قوله (تعالى)^(٥): ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

(١) في «تفسيره». وعزاه له السيوطي في «الدر المنثور» (٣٩/١) وقال: «أخرج الحاكم وابن مردويه وصححه» ولعل الصواب: «الحاكم وصححه وابن مردويه».

ولم أقف عليه في «المستدرک» فالله أعلم.

وأخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (٢٠٤) قال: نا محمد بن عبيد، نا عبد الرزاق بن عمر بسنده سواء، وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٦٣) من طريق محمد بن عبيد مثله. وذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمة «البزيعي» (٦٠٨/٢، ٦٠٩) وقال: «أخطأ»؛ يعني: في رفعه. وقال الحافظ في «الفتح» (٣٢٠/٦): «لا يصح إسناده» وهو الصواب. وكأنه نسي هذا التحقيق فقال في «التعليق» (٤٩٩/٣): «إسناده لا بأس به!!»

(٢) في (ن): «الخواري»، في (ج): «الجوازي»! وهو أحمد بن محمد بن جوري، ترجمه الخطيب في «تاريخه» (٤١٠/٤) وقال: «في حديثه غرائب ومناكير».

(٣) ساقط من (ج).

(٤) ومن طريقه ابن جرير (٥٥٤)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٧٣) عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].

(٥) من (ن).

وقال عبد الرزاق^(١)، عن معمر، عن قتادة: لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله (تعالى)^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

وقال سعيد^(٣)، عن قتادة: أي إن الله لا يستحي من الحق أن يذكر شيئاً ما قل أو كثر، وإن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا! فأنزل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

قلت: العبارة الأولى عن قتادة فيها إشعار أن هذه الآية مكية، وليس كذلك؛ وعبارة رواية سيعد عن قتادة أقرب. والله أعلم.

وروى ابن^(٤) جريج، عن مجاهد نحو هذا الثاني عن قتادة.

وقال ابن أبي حاتم: روي عن الحسن، وإسماعيل بن أبي خالد نحو قول السدي، وقتادة. وقال أبو جعفر^(٥) الرازي، عن الربيع بن أنس في هذه الآية - قال: هذا مثل ضربه الله للدنيا أن البعوضة تحيا ما جاءت، فإذا سمئت ماتت؛ وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم المثل في القرآن: إذا امتثلوا من الدنيا (رياً)^(٦) أخذهم الله (تعالى)^(٧) عند ذلك؛ ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (حَقَّ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا)^(٨) [الأنعام: ٤٤].

هكذا رواه ابن جرير، ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية بنحوه. فالحق أعلم.

فهذا اختلافهم في سبب النزول.

وقد اختار ابن جرير ما حكاه السدي؛ لأنه أَمْسُ بالسورة؛ وهو مناسب.

ومعنى الآية أنه تعالى أخبر أنه لا يستحيي «أي: لا يستنكف. وقيل: لا يخشى، أن يضرب مثلاً ما؛ أي: أي مثل كان بأي شيء كان صغيراً كان أو كبيراً».

و«ما» هاهنا للتقليل (زائدة)^(٩) وتكون «بعوضة» منصوبةً على البدل، كما تقول: لأضربن ضرباً ما؛ فيصدق بأدنى شيء،^(١٠) [أو تكون «ما» نكرةً موصوفةً ببعوضة]^(١١).

واختار ابن جرير أن «ما» موصولة، و«بعوضة» معربة بإعرابها؛ قال: وذلك سائغ في كلام العرب أنهم يعربون صلة «ما» و«من» بإعرابهما؛ لأنهما يكونان معرفةً تارةً ونكرةً أخرى، كما قال حسان بن ثابت:

(١) في «تفسيره» (٤١/١) ومن طريقه ابن جرير (٥٥٨)؛ وابن أبي حاتم (٢٧٤) وعزاه السيوطي في «الدر» (١/

٤١) لعبد بن حميد وابن المنذر. [وسنده صحيح].

(٢) من (ج)، وفي (ك): «وَاللَّهُ».

(٣) أخرجه ابن جرير (٥٥٧) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٥٦١) [وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من مجاهد].

(٥) أخرجه ابن جرير (٥٥٥)؛ وابن أبي حاتم (٢٧١). [وسنده جيد].

(٦) ساقط من (ك).

(٧) من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ه) و(ي).

(٨) من (ج).

(٩) ساقط من (ز) و(ي).

(يكفي)^(١) بنا فضلاً على من غيرنا حب النبي محمد إيانا
قال: ويجوز أن تكون «بعوضة» منصوبة بحذف الجار وتقدير الكلام: إن الله لا يستحي أن
يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها^(٢) [وهذا الذي اختاره الكسائي والفراء.
وقرأ الضحاك، وإبراهيم بن أبي عبلة «بعوضة» - بالرفع^(٣). قال ابن جني: وتكون صلة لـ «ما»
وحذف العائد، كما في قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤] (أي على الذي هو أحسن)^(٤).
وحكى سيبويه: ما أنا بالذي قائل لك شيئاً؛ (أي)^(٥) (يعني)^(٦) (بالذي هو قائل لك شيئاً)^(٧) [٢].
وقوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾: فيه قولان:

أحدهما: فما دونها في الصغر والحقارة؛ كما إذا وصف رجل باللؤم والشح، فيقول السامع:
نعم، وهو فوق ذلك - يعني: فيما وصفت. ^(٢) [وهذا قول الكسائي، وأبي عبيدة؛ (قاله)^(٨)
الرازي^(٩)، وأكثر^(١٠)] [المحققين.

^(١١) (وفي الحديث^(١٢): «لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً منها شربة ماء»)^(١١) [١].

(١) كذا في (ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ)؛ وفي (ج) و(ي): «فكفى»؛ وفي (ز): «وكفى» وهو الموافق لما في
«تفسير الطبري» (٤٠٤/١).

(٢) ساقط من (ز). (٣) [وهي قراءة شاذة].

(٤) ساقط من (ج)؛ وفي (ك): «أي على الذي أحسن هو أحسن».

(٥) ساقط من (ك). (٦) من (ج) و(ك) و(ن).

(٧) ساقط من (ك). (٨) كذا في (ن). وفي جميع الأصول: «قال».

(٩) في «تفسيره» (١٤٨/١، ١٤٩).

(١٠) ساقط من (ك).

(١٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٤٦/٣)؛ وابن عدي في «الكامل» (١٩٥٦/٥)؛ وأبو
نعيم في «الحلية» (٢٥٣/٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (٣٢٥/٧) عن عبد الحميد بن سليمان.
وابن ماجه (٤١١٠)؛ والحاكم (٣٠٦/٤)؛ والبيهقي في «الشعب» عن زكريا بن منظور. والطبراني في
«الكبير» (ج ٦/رقم ٥٩٢١) عن زمعة بن صالح ثلاثتهم عن أبي حازم، عن سهل بن سعد مرفوعاً. فذكره.
قال الترمذي: «هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه».

(*) قلت: الرواة الثلاثة عن أبي حازم ضعفاء. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد! فرده الذهبي بقوله:
«زكريا ضعفه» ولكن للحديث شاهد عن أبي هريرة أخرجه البزار (٣٦٩٣)؛ وابن عدي (٢٢٣٥/٦)؛
والقضاعى في «مسند الشهاب» (١٤٤٠) وفي إسناده صالح مولى التوأمة وكان اختلط؛ وأخرجه ابن أبي
الفوارس في «المنتقى من حديث المخلص» (٢/١٠٥)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٧/رقم ١٠٤٧٠) من
طريق أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً مثله. وأبو معشر ضعيف. ثم وقفت له على طريق
آخر صحيح. أخرجه ابن بشران في «الأمالي» (ج ٢٢/٢٤١) قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن
عبد الله بن زياد القطان ثنا محمد بن بشر، ثنا أحمد بن حاتم، ثنا محمد بن عجلان، ثنا سهيل بن أبي
صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله. وهذا سند صحيح، ولم يذكره كل من تكلم على الحديث
ممن وقفت عليهم فله الحمد. وأبو سهل القطان ثقة، مترجم في «تاريخ بغداد» (٤٥/٥، ٤٦)، ومحمد بن
بشر هو ابن مطر أبو بكر الوراق، ترجمه الخطيب (٩٠/٢) ونقل عن إبراهيم الحربي: «صدوق لا يكذب»
وقال الدارقطني: «ثقة». وأحمد بن حاتم هو ابن يزيد الطويل، ترجمه الخطيب أيضاً ونقل توثيقه عن
عبد الله بن أحمد والدارقطني وابن معين، وبقيّة رجاله ثقات معروفون. وله طرق أخرى عن أبي هريرة
وشواهد عن الصحابة ذكرتها في «التسليّة».

والثاني: فما فوقها: فما هو أكبر منها؛ لأنه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة؛ وهذا ^(١) [قول قتادة بن دعامة، و] ^(٢) اختيار ابن جرير؛ ^(٣) [وأيضاً] ما رواه مسلم ^(٤) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة» ^(٥)؛ فأخبر أنه لا يستصغر شيئاً يضرب به مثلاً؛ ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة، ^(٦) [وكما (لم)] ^(٧) يستنكف عن خلقها، كذلك (لا) ^(٨) يستنكف من ضرب المثل بها] ^(٩)، كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَعْمُوا لَهُ إِنَّكَ الَّذِينَ تَذْعُرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ۚ﴾ [الحج] وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [العنكبوت] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝﴾ تُوْقُّ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۝﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۝﴾ [إبراهيم] وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ الآية [النحل: ٧٥] ثم قال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ الآية [النحل: ٧٦] كما قال: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ الآية [الروم: ٢٨].

وقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ...﴾ الآية [الزمر: ٢٩].

وقد قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ۝﴾ [العنكبوت]. وفي القرآن أمثال كثيرة.

قال بعض السلف: إذا سمعت المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأن الله (يقول) ^(٧): ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ۝﴾. وقال مجاهد (في) ^(٨) قوله (تعالى) ^(٩): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾: الأمثال صغیرها وكبیرها يؤمن بها المؤمنون، ويعلمون أنها الحق من ربهم، ويهديهم الله بها ^(٩). وقال قتادة ^(١٠): ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي: يعلمون أنه كلام الرحمن، وأنه من عند الله.

(١) ساقط من (ز). (٢) في (ن): «فإنه يؤيده».

(٣) في «صحيحه» (٤٧/٢٥٧٢) من طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة مرفوعاً.

(٤) ساقط من (ز) و(ك). (٥) في (ن): (لا).

(٦) في (ه): «لم». (٧) في (ن): «قال».

(٨) من (ن).

(٩) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد].

(١٠) أخرجه ابن جرير (٥٦٥)؛ وابن أبي حاتم (٢٧٧) من طريق يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة

وسنده صحيح.

وروى^(١) عن مجاهد، والحسن، والربيع بن أنس، نحو ذلك.

وقال أبو العالية^(٢): ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني: هذا المثل ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ كما قال في سورة المدثر: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْفِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْثَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وكذلك قال هاهنا: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾.

وقال السدي في «تفسيره»^(٣)، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ يضل به كثيراً؛ يعني (به)^(٤) المنافقين؛ ﴿وَيَهْدِي﴾ كثيراً؛ يعني (به)^(٥) المؤمنين؛ فيزيد هؤلاء ضلالة إلى (ضلالتهم)^(٥)؛ لتكذيبهم بما قد علموه حقاً يقيناً من المثل الذي ضربه الله (بما ضرب لهم)^(٦)، وأنه لما (ضربه)^(٧) له موافق، فذلك إضلال الله إياهم به. ويهدي به - يعني: بالمثل - كثيراً من أهل الإيمان والتصديق؛ فيزيدهم هدى إلى هداهم، وإيماناً إلى إيمانهم؛ لتصديقهم بما قد علموه حقاً يقيناً أنه موافق لما ضربه الله له مثلاً، وإقرارهم به؛ وذلك هداية من الله لهم به.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ قال: هم المنافقون. وقال أبو العالية^(٨): ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ قال: هم أهل النفاق، وكذا قال الربيع^(٩) بن أنس.

وقال ابن جريج^(١٠)، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ قال: يقول يعرفه الكافرون فيكفرون به.

وقال قتادة^(١١): ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ فسقوا، فأضلهم الله على فسقهم.

وقال ابن أبي حاتم^(١٢): حدثت، عن إسحاق بن سليمان، عن أبي سنان، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد، عن سعد ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ يعني: الخوارج.

وقال شعبة^(١٣)، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد، قال: سألت أبي، فقلت: قوله

(١) هذه الآثار عند ابن جرير (٥٦٤ - ٥٦٦)؛ وابن أبي حاتم (٢٧٩). [وأسانيدها ما بين صحيح وجيد].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٧٦) بسند حسن. (٣) ومن طريقه ابن جرير (٥٦٧) [وسنده ضعيف].

(٤) من (ن). (٥) في (ز): «ضلالهم».

(٦) كذا في (ز) و(ن)؛ وفي (ج) و(ك) و(هـ): «لما ضرب له»؛ وفي (ع) و(ي): «بما ضرب له».

(٧) في (ن): «ضرب». (٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٨٣). [وسنده جيد].

(٩) أخرجه ابن جرير (٥٧٠).

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٨٧) وفيه عنونة ابن جريج. [وسنده ضعيف].

(١١) أخرجه ابن جرير (٥٦٩)؛ وابن أبي حاتم (٢٨٦) من طريقين عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة وسنده صحيح.

(١٢) في «تفسيره» (٢٨٢) وسنده ظاهر الضعف.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٨٨، ٢٩٣) من طرق، عن شعبة بسنده سواء.

وأخرجه البخاري (٤٢٥/٨)؛ والنسائي في «التفسير» (٣١٣)؛ وابن أبي حاتم (٢٩٦) مختصراً من طريق =

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ إلى آخر الآية؛ فقال: هم الحرورية. وهذا الإسناد (إن) ^(١) صح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فهو تفسير على المعنى، (لا) ^(٢) أن الآية أريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على علي بالنهروان؛ فإن أولئك لم يكونوا حال نزول الآية؛ وإنما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل؛ لأنهم سموا خوارج، لخروجهم، عن طاعة الإمام، والقيام بشرائع الإسلام.

والفاسق في اللغة: هو الخارج عن الطاعة أيضاً. وتقول العرب: فسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرتها؛ ولهذا يقال للفأرة: فويسقة لخروجها عن جحرها للفساد.

وثبت في «الصحيحين» ^(٣) عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الغراب والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور»؛ فالفاسق يشمل الكافر والعاصي، ولكن فسق الكافر أشد وأفحش، والمراد به من الآية الفاسق الكافر، والله أعلم؛ بدليل أنه وصفهم بقوله (تعالى) ^(٤): ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٧٧).

وهذه الصفات صفات الكفار المبينة لصفات المؤمنين، كما قال تعالى في سورة الرعد: ﴿أَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ﴾ (٨) الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٩) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (١٠)... إلى آيات، إلى أن قال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (١٦) [الرعد].

وقد اختلف أهل التفسير في معنى العهد الذي وصف هؤلاء الفاسقين بنقضه؛ فقال بعضهم: هو وصية الله إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسله؛ ونقضهم ذلك: هو تركهم العمل به.

وقال آخرون: بل هي في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم؛ وعهد الله الذي نقضوه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها، واتباع محمد ﷺ إذا بعث، والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم؛ ونقضهم ذلك: هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته، وإنكارهم ذلك، وكتمانهم علم ذلك (عن) ^(٥) الناس بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا

= شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد قال: سألت أبي عليه السلام ﴿هَلْ لَكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلًا﴾ [الكهف: ١٠٣] هم الحرورية؟ قال: لا، هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمداً ﷺ، وأما النصارى كفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وكان سعد يسميهم الفاسقين.

(١) هكذا في كل «الأصول» ووقع في بعض النسخ المطبوعة «وإن» بزيادة الواو والفرق بينهما واضح، ولا شك أن هذا التفسير صح عن سعد بن أبي وقاص كما مرّ بك، وكأن اللاتق بعلم ابن كثير رحمته الله أن تكون العبارة (وإن) لأن صحة هذه الأسانيد لا تخفي على مثله إن شاء الله تعالى. والله أعلم.

(٢) في (ج): «إلا» وقد أفسد المعنى.

(٣) أخرجه البخاري (٤/٣٤ و٦/٣٥٥)؛ ومسلم (٦٨/١١٩٨، ٧٠، ٧١).

(٤) من (ن).

(٥) كذا في (ج) و(ل) و(هـ)، وسقط من (ز) و(ع) و(ن) و(هـ). ووقع في (ك): «من» وأشار إليها في (ي).

يكتمونهم؛ فأخبر تعالى أنهم نبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً.

وهذا اختيار ابن جرير^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و(هو)^(٢) قول مقاتل بن حيان.

وقال آخرون: بل عنى بهذه الآية جميع أهل الكفر والشرك والنفاق. وعهده إلى جميعهم في توحيدهم ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته؛ وعهده إليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي (بمثلها)^(٣)، الشاهدة لهم على (صدقهم)^(٤)؛ قالوا: ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبينت لهم صحته بالأدلة، وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أن ما أتوا به حق.

وروي عن مقاتل بن حيان (أيضاً)^(٥) نحو هذا^(٦). وهو حسن. ^(٧) [وإليه مال الزمخشري^(٨)؛ فإنه قال: فإن قلت: فما المراد بعهد الله؟ قلت: ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد، كأنه أمر وصّاهم به]^(٩).

^(٩) [ووثقه عليهم؛ وهو معنى قوله (تعالى)^(١٠): ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] إذ أخذ الميثاق عليهم (في)^(١١) الكتب المنزلة عليهم؛ كقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]^(٩).

وقال آخرون: العهد الذي ذكره تعالى: هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصف في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآيتين. ونقضهم ذلك: تركهم الوفاء به.

وهكذا روي^(١٢) عن مقاتل بن حيان أيضاً، حكى هذه الأقوال ابن جرير في «تفسيره»^(١٣).

وقال أبو جعفر الرازي^(١٤)، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية - في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ - قال: هي ست خصال من المنافقين؛ إذا كانت فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا أؤتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض؛ وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الخصال الثلاث: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا أؤتمنوا خانوا.

وكذا قال الربيع بن أنس^(١٥) أيضاً.

(١) في «تفسيره» (١/٤١٠، ٤١١).

(٢) من (ج) و(هـ) و(ي).

(٣) كذا في (ز) و(ن)؛ وفي (ج) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي): «بمثله».

(٤) كذا في (ز) و(ن)؛ وفي (ج) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي): «صدقه».

(٥) ساقط من (ز).

(٦) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان].

(٧) ساقط من (ز) و(هـ).

(٨) في «الكشاف» (١/٤٨).

(٩) ساقط من (ز) و(هـ).

(١٠) من (ن).

(١١) كذا في (ج) و(ي)؛ وفي (ك) و(ل) و(ن): «من».

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٩٥) [بسند جيد].

(١٣) (١/٤٤١، ٤١٢).

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٨٩). [وسنده جيد].

(١٥) أخرجه ابن جرير (٥٧٣).

وقال السدي في «تفسيره»^(١) بإسناده. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ قال: هو ما عهد إليهم في القرآن، فأقروا به، ثم كفروا فنقضوه.

وقوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ قيل: المراد به صلة الأرحام والقربات، كما فسره قتادة^(٢)؛ كقوله (تعالى)^(٣): ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد] ورجحه ابن جرير^(٤).

وقيل: (المراد)^(٥) أعم من ذلك؛ فكل ما أمر الله بوصله وفعله (قطعه) وتركوه. وقال مقاتل بن حيان^(٦) في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ قال: في الآخرة. وهذا كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وقال الضحاك^(٨)، عن ابن عباس: كل شيء نسبته الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل «خاسر» فإنما يعني به الكفر، وما نسبته إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب.

وقال ابن جرير^(٩) في قوله (تعالى)^(١٠): ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الخاسرون)^(١١) جمع خاسر، وهم الناقصون أنفسهم حظوظهم بمعصيتهم الله من رحمته، كما يخسر الرجل في تجارته، بأن يوضع من رأس ماله في بيعه. وكذلك المنافق والكافر خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمته. يقال منه: خسر الرجل يخسر خسراً وخساراً وخساراً، كما قال جرير بن عطية^(١٢):

إن سليطاً في الخسار إنه أولاد قوم خلقوا أقننه

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٨).

يقول تعالى: محتجاً على وجوده وقدرته، وأنه الخالق المتصرف في عباده: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ أي: كيف تجحدون وجوده، أو تعبدون معه غيره؟ ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي: وقد كنتم عدماً فأخرجكم إلى الوجود، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٢٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿[الطور: ٣٣] وقال (تعالى)^(١٣): ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان] والآيات في هذا كثيرة.

وقال سفيان الثوري^(١٤): عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٩١) عن السدي قوله، وعادة ابن أبي حاتم أنه يختصر إسناد السدي في «تفسيره» فليتبّه لذلك.

(٢) أخرجه ابن جرير (٥٧٤) بسند صحيح.

(٣) من (ز) و(ن).

(٤) من (ن).

(٥) في «تفسيره» (٤١٦/١).

(٦) في (ن): «قطعه».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٩٨) [بسند جيد].

(٨) أخرجه ابن جرير (٥٧٥) بسند ضعيف.

(٩) في «تفسيره» (٤١٧/١).

(١٠) ساقط من (ج) و(ك) و(ل) و(ها) و(ي).

(١١) من (ن).

(١٢) هو في ديوانه (٥٩٨). وانظر «تفسير الطبري» (٤١٧/١).

(١٣) من (ن).

(١٤) أخرجه ابن جرير (٥٧٧)؛ وابن أبي حاتم (٣٠١) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، ثنا سفيان الثوري به؛ =

﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [غافر: ١١] قال: هي التي في البقرة: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

وقال (ابن جريج)^(١)، عن عطاء، عن ابن عباس^(٢): كنتم أمواتاً فأحياكم: أمواتاً في أصلاب آبائكم، لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم، ثم يميتكم مودة الحق، ثم يحييكم حين يبعثكم، قال: وهي مثل قوله (تعالى)^(٣): ﴿أَمْنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

^(٤) [وقال الضحاك، عن ابن عباس^(٥)، في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ﴾]^(٤) قال: كنتم تراباً قبل أن يخلقكم، فهذه ميتة؛ ثم أحياكم فخلقكم، فهذه حياة؛ ثم يميتكم فترجعون إلى القبور؛ فهذه ميتة أخرى؛ ثم يبعثكم يوم القيامة^(٦) [فهذه حياة (أخرى)]^(٧) فهذه ميتتان وحياتان؛ فهو كقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

وهكذا روي عن السدي^(٨) بسنده عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة، وعن أبي العالية، والحسن (البصري)^(٩)، ومجاهد، وقتادة، وأبي صالح، والضحاك، وعطاء الخراساني نحو ذلك.

وقال الثوري^(١٠)، عن السدي، عن أبي صالح: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال: يحييكم في القبر ثم يميتكم.

وقال ابن جرير^(١١)، عن يونس، عن ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ قال: خلقهم في ظهر آدم، ثم أخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم، ثم خلقهم في الأرحام، ثم أماتهم، ثم أحياهم يوم القيامة؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] وهذا غريب، والذي قبله.

والصحيح ما تقدم عن ابن مسعود، وابن عباس، وأولئك الجماعة من التابعين؛ وهو كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجمانية: ١٢] [و(عبر)^(١٣) عن الحال قبل الوجود بالموت، لجامع ما يشتركان فيه من عدم]^(١٢)

= وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٩٠٤٤)؛ والحاكم (٤٣٧/٢) من طريق إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق بسنده سواء. قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي!

وليس كما قالوا، والصواب أنه على شرط مسلم وهذه الترجمة: «أبو إسحاق عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود» لم يخرجها البخاري في «صحيحه» بل في «الأدب المفرد» والله أعلم.

(١) في (ج): «ابن جرير»!

(٣) من (ن).

(٥) أخرجه ابن جرير (٥٨٣)؛ وابن أبي حاتم (٣٠٢) بسند ضعيف.

(٦) ساقط من (ك).

(٨) في «تفسيره» ومن طريقه ابن جرير (٥٧٦). [وسنده ضعيف ويتقوى بالآثار التي تليه].

(٩) ساقط من (ن).

(١١) رقم (٥٨٦) وسنده صحيح.

(١٣) في (ك): «يخبر».

(١٠) أخرجه ابن جرير (٥٨٤) بسند حسن.

(١٢) ساقط من (ز).

(١) [الإحساس، كما قال في الأصنام: ﴿أَمُوتُ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ...﴾ الآية [النحل: ٢١] وقال: ﴿وَأَيُّهُمُ الَّذِينَ الْأَرْضُ أَلْيَتُهُ أَحْيَيْتُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (١) [يس].

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ .

لما ذكر تعالى دلالة من خلقهم، وما يشاهدونه من أنفسهم، ذكر دليلاً آخر مما يشاهدونه من خلق السموات والأرض؛ فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أي: قصد إلى السماء. والاستواء ها هنا: (مضمّن) (٢) معنى القصد والإقبال؛ لأنه عدي بـ «إلى» «فسواهن»؛ أي: فخلق السماء سبعاً.

والسما هنا: اسم جنس؛ فلهذا قال: ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ (٣)، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: وعلمه محيط بجميع ما خلق؛ كما قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤].

وتفصيل هذه الآية في سورة «حم السجدة» (٤) وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَحْمِلُونَ لَهُ الْأَنْدَادُ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ (٦) ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (٧) فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٨) [فصلت].

ففي هذه دلالة على أنه تعالى ابتداء بخلق الأرض أولاً، ثم خلق السموات سبعاً؛ وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله، ثم أعاليه بعد ذلك.

وقد صرح المفسرون بذلك، كما سنذكره بعد هذا (إن شاء الله) (٩).

فأما قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (١٠) رَفَعَ سَعَتَهَا فَسَوَّاهَا (١١) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (١٢) وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (١٣) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (١٤) وَالْجِبَالِ أَنْسَبَهَا (١٥) (مِنَّا لَكُمْ وَلِتُحْيِيَكُمُ) (١٦) [النازعات] فقد قيل: إن «ثم» ها هنا إنما هي لعطف الخبر على الخبر، لا لعطف الفعل على الفعل؛ كما قال الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده
وقيل: إن الدحي كان بعد خلق (السموات) (١٧)؛ رواه علي بن أبي طلحة (١٨)، عن ابن عباس.
وقد قال السدي في «تفسيره» (١٩)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة،

(١) ساقط من (ز). (٢) في (ز): «تضمن».

(٣) في (ن): «فسواهن سبع سموات» ولا يظهر قصد المصنف بإتمامها كما لا يخفى.

(٤) من (ز) و(ك) و(ن). (٥) من (ز) و(ك) و(ن).

(٦) من (ن). (٧) في (ن): «السموات والأرض!!»

(٨) أخرجه ابن جرير (٥٩٤) [وسنده ثابت].

(٩) أخرجه ابن جرير (٥٩١)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١١٨/٢، ١١٩)؛ وابن أبي حاتم (٣٠٧) واختصر هذا سنده كما نبهت عليه. [وسنده ضعيف].

عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)﴾^(١) قال: إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء؛ فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً، فارتفع فوق (الماء)^(٢)، فسما عليه، فسماء سماء، ثم أيس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين، في الأحد والإثنين؛ فخلق الأرض على حوت، والحوث هو الذي ذكره الله في القرآن: ﴿ت وَالْقَلْبِ﴾ [القلم: ١]. والحوث في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاء على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح؛ وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرك الحوث فاضطرب، فتزلزلت الأرض، فأرسي عليها الجبال، فقرت؛ فالجبال تفخر على الأرض؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وخلق الجبال فيها، وأقوات أهلها، وشجرها، وما ينبغي لها في يومين، في الثلاثاء والأربعاء، وذلك حين يقول: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُمْ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ١٠] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكْنَا فِيهَا﴾ [فصلت: ٩، ١٠] يقول: أنبت شجرها، ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] ^(٣) [يقول: أقواتها لأهلها] ^(٣) ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ [فصلت: ١٠] يقول: من سأل فهكذا الأمر؛ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماءً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين، في الخميس والجمعة؛ وإنما سمي يوم الجمعة؛ لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض؛ ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] قال: خلق (الله)^(٤) في كل سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ومما لا يعلم؛ ثم زين السماء الدنيا بالكواكب، فجعلها زينةً وحفظاً تحفظ من الشياطين.

فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش فذلك حين يقول: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] ويقول: ﴿كَانَّا رَفَقًا فَفَنَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقال ابن جرير^(٥): حدثني المثنى، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني أبو معشر، عن سعيد بن

(١) من (ل) و(ن). (٢) في (ج): «السماء»!

(٣) كذا في (ك) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (٥٩١) ووقع في (ز) و(ع) و(ل) و(ن) و(ها) و(ي): «لأهلها» وسقط من (ج).

(٤) من (ز) و(ن).

(٥) في «تفسيره» (٥٩٥)؛ وفي «تاريخه» (٤٧/١، ٥٥).

وأخرجه أبو الشيخ في «كتاب العظمة» (٨٨٢) من طريق محمد بن بكير الحضرمي، ثنا أبو معشر به. وهذا سند ضعيف، لضعف أبي معشر واسمه نجيع بن عبد الرحمن، ولكن تابعه ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن عبد الله بن سلام فذكره.

أخرجه ابن منده في «كتاب التوحيد» (٦١)؛ والبيهقي في «الأسماء» (١٢٣/٢، ١٢٤)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٤٨/٢٣)؛ والفريابي في «القدر» (٢ - بتحقيق) وسنده صحيح.

ولكن رواه حماد بن خالد الخياط، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن عبد الله بن سلام فذكره فزاد في الإسناد «والد سعيد المقبري».

أخرجه عباس الدوري في «تاريخ ابن معين» (٤٩/٣).

أبي سعيد، عن عبد الله بن سلام - أنه قال: إن الله بدأ الخلق يوم الأحد، فخلق الأرضين في الأحد والاثنين؛ وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السموات في الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم على عجل؛ فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة.

وقال مجاهد^(١) في قوله (تعالى)^(٢): ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ قال: خلق الله الأرض قبل السماء، فلما خلق الأرض (ثار)^(٣) منها دخان؛ فذلك حين يقول: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ قال: بعضهن فوق بعض؛ وسبع أرضين - يعني (بعضهن)^(٤) تحت بعض.

^(٥) [وهذه الآية دالة على أن الأرض خلقت قبل السماء، كما قال في آية السجدة: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٥) ^(٦) [وَيَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِيلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٧﴾] [فصلت] فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعاً بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير^(٧) عن قتادة - أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض، وقد توقف في ذلك القرطبي^(٨) في «تفسيره» لقوله تعالى: ﴿مَّا تُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٨﴾ وَأَنطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿١٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿١١﴾﴾^(٩) [النازعات] قالوا: فذكر خلق السماء قبل الأرض.

وفي «صحيح البخاري»^(١٠) أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه، فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء، وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء.

وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديماً وحديثاً. وقد حررنا ذلك في سورة النازعات^(١١).

^(١١) [وحاصل ذلك أن الدحي مفسر بقوله (تعالى)^(١٢): ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(١٣) أَخْرَجَ مِنْهَا^(١٤)]

(١) أخرجه ابن جرير (٥٩٢)؛ وابن أبي حاتم (٣١٢)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٨٨٣) من طريق عبد الرزاق وهو في «تفسيره» (٤١/١، ٤٢) قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وسنده صحيح.

(٢) من (ن). (٣) في (ز): «بان».

(٤) كذا في (ز) و(ك)؛ وفي (ن) و(هـ): «بعضها» وسقطت الكلمة من (ج) و(ع) و(ل) و(ي).

(٥) ساقط من (ز) و(هـ). (٦) ساقط من (ز) و(هـ).

(٧) في «تفسيره» (١٥٣/١). (٨) في «تفسيره» (٢٠٤/١٩).

(٩) في (ن) بعدها: «والجبال أرساها».

(١٠) في «كتاب التفسير» (٥٥٥/٨، ٥٥٦) قال: حدثني يوسف بن عدي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي وساق حديثاً طويلاً.

قال الحافظ في «الفتح» (٥٥٩/٨): «وأخرجه الطبري من رواية مطرف من طريق المنهال بن عمرو بتمامه».

(١١) ساقط من (ز) و(هـ). (١٢) من (ن).

(١) «مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا» (٣٠) (وَالْجِبَالُ أَرْسُنَهَا) (٣١) ﴿[النازعات] ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعاً فيها بالقوة إلى الفعل، لما (اكتملت) (٣) صورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية دحى بعد ذلك الأرض، فأخرجت ما كان مودعاً فيها من المياه، فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها، وألوانها وأشكالها، وكذلك جرت (هذه) (٣) الأفلاك، فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة، والله سبحانه وتعالى أعلم﴾ (١).

وقد ذكر ابن أبي (٤) حاتم، وابن مردويه في تفسير هذه الآية الحديث الذي رواه مسلم، والنسائي، في «التفسير» أيضاً، من رواية ابن جريج؛ قال: أخبرني إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل».

وهذا الحديث من غرائب «صحيح مسلم»؛ وقد تكلم عليه علي ابن المديني، والبخاري، وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار؛ وإنما اشبهه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً؛ وقد حرر ذلك البيهقي.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣١).

يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم بتنويهه بذكرهم في الملائكة الأعلى قبل إيجادهم؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ﴾ أي: واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة، واقصص على قومك ذلك.

وحكى ابن جرير (٥) عن بعض أهل العربية (وهو أبو عبيدة) (٦) أنه زعم أن «إذ» ها هنا زائدة، وأن تقدير الكلام: وقال ربك. ورده ابن جرير (٢).

(٧) قال القرطبي (٨): وكذا رده جميع المفسرين، حتى قال الزجاج: هذا اجتراء من أبي عبيدة (٧).

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي: قوماً يخلف بعضهم بعضاً، قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد

(٢) في (ك) و(ن): «أكملت».

(١) من (ك) و(ل) و(ن).

(٣) ساقط من (ز) و(ه).

(٤) في «تفسيره» (٣٠٥).

وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤١٣/١/١) معلقاً ووصله مسلم (٢٧/٢٧٨٩).

(٥) في «تفسيره» (٤٣٩/١) وعبارته: «زعم بعض المنسوين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة» ولم يسمه.

(٦) ساقط من (ز) و(ه).

(٧) ساقط من (ز).

(٨) في «تفسيره» (٢٦٢/١).

جيل؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ خَلِيفَةً﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢] وقال: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ [الزخرف: ٥٩]. وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْوِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩، ومريم: ٥٩].

(١) [وقرئ في الشاذ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ - حكاهما الزمخشري (٢) وغيره. ونقله القرطبي (٣) عن زيد بن علي (١)].

وليس المراد هنا بالخليفة آدم ﷺ فقط، (١) [كما يقوله طائفة من المفسرين] (١).

(٤) [وعزاه القرطبي إلى ابن عباس، وابن مسعود، وجميع أهل التأويل. وفي ذلك نظر؛ بل الخلاف في ذلك كثير؛ حكاه (فخر الدين) (٥) الرازي في «تفسيره» (٦) وغيره. والظاهر أنه لم يرد آدم عينا (٤)؛ إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾؛ فإنهم إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص، أو فهموه من الطبيعة البشرية؛ فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمإ مسنون؛ (٤) [أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم، ويردعهم عن المحارم والمآثم؛ قاله القرطبي (٤)]. أو أنهم قاسوهم على من سبق، كما سنذكر أقوال المفسرين في ذلك.

وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين؛ (١) [وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول؛ أي: لا يسألونه شيئا لم يأذن لهم فيه؛ وها هنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقا؛ قال قتادة: وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ الآية] (١).

وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا؛ ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض، ويسفك الدماء؟ فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك؛ أي: نصلي لك كما سيأتي؛ أي: ولا يصدر منا شيء من ذلك، وهلا وقع الاقتصار علينا؟

قال الله تعالى - مجيباً لهم عن هذا السؤال -: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفساد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم؛ فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون، والعباد والزهاد، والأولياء والأبرار والمقربون، والعلماء العاملون، والخاشعون، والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم.

(٧) [وقد ثبت في «الصحيح» (٨) أن الملائكة إذا صعدت إلى الرب تعالى بأعمال عباده يسألهم] (٧).

(٢) في «الكشاف» (١/٥٠).

(٤) ساقط من (ز) و(ه).

(٦) في «تفسيره» (١/١٨٠، ١٨١).

(٨) مرّ تخريجه في «كتاب فضائل القرآن» (١/٢٥١).

(١) ساقط من (ز).

(٣) في «تفسيره» (١/٢٦٣).

(٥) ساقط من (ن).

(٧) ساقط من (ز) و(ه).

(١) [وهو أعلم: «كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون». وذلك لأنهم يتعاقبون فينا، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر، فيمكث هؤلاء ويصعد أولئك بالأعمال، كما قال عليه (الصلاة و) (٢) السلام: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل» (٣) (١)].

(٢) [فقولهم: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون من تفسير قوله (لهم) (٤): ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾].

وقيل: معنى قوله (تعالى) (٥) - جواباً لهم -: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إني لي حكمة (مفصلة) (٦) في خلق هؤلاء والحالة ما ذكرتم لا تعلمونها.

وقيل: إنه جواب (لقولهم) (٧) ﴿وَمَنْ يُسَيِّئْ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسْ لَكَ﴾ فقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من وجود إبليس بينكم، وليس هو كما وصفتم أنفسكم به.

وقيل: بل تضمن قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ سَيِّئٌ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسْ لَكَ﴾ طلباً منهم أن يسكنوا الأرض بدل بني آدم؛ فقال الله تعالى لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أن بقاءكم في السماء أصلح لكم وأليق بكم ذكره (فخر الدين) (٨) (الرازي) (٥) مع غيرها من الأجوبة والله (سبحانه) (٩) (وتعالى) (١٠) أعلم (٢).

ذكر أقوال المفسرين (بسيط) (١١) ما ذكرناه:

قال ابن جرير (١٢): حدثني القاسم بن الحسن، (قال: حدثنا الحسين قال) (١٣): حدثني الحجاج، عن جرير بن حازم؛ ومبارك عن الحسن، وأبي بكر، عن الحسن وقتادة؛ قالوا: قال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. قال لهم: إني فاعل، (وهذا) (١٤) معناه أنه أخبرهم بذلك. وقال السدي: استشار الملائكة في خلق آدم، رواه ابن أبي (١٥) حاتم؛ وقال: وروي عن قتادة نحوه (١٦)؛ وهذه العبارة إن لم ترجع إلى معنى الإخبار ففيها تساهل (١٧) [وعبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جرير أحسن. والله أعلم] (١٧).

(١) ساقط من (ز) و(ه).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣/١٧٩، ٢٩٤).

(٣) من (ن).

(٤) ساقط من (ن).

(٥) من (ن).

(٦) في (ك): «منفصلة»!

(٧) من (ج) و(ك) و(ل) و(ي).

(٨) من (ل).

(٩) في (ل): «وبسط».

(١٠) في (ن): «هذا ومعناه».

(١١) في (ن): «هذا ومعناه».

(١٢) في (ن): «هذا ومعناه».

(١٣) في (ن): «هذا ومعناه».

(١٤) في (ن): «هذا ومعناه».

(١٥) في (ن): «هذا ومعناه».

(١٦) في (ن): «هذا ومعناه».

(١٧) في (ن): «هذا ومعناه».

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن أبي حاتم^(١): حدثنا أبي، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد، (حدثنا)^(٢) عطاء بن السائب، عن عبد الرحمن بن سابط - أن رسول الله ﷺ قال: «دحيت الأرض من مكة، وأول من طاف بالبيت الملائكة؛ فقال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ - يعني: مكة».

وهذا مرسل، وفي سنده ضعف، وفيه مدرج؛ وهو أن المراد بالأرض مكة. والله أعلم؛ فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك.

﴿خَلِيفَةً﴾ قال السدي في «تفسيره»^(٣)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة -: إن الله (تعالى)^(٤) قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. قالوا: ربنا، وما يكون ذاك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً.

قال ابن جرير^(٥): فكان تأويل الآية على هذا: إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم^(٦) بين خلقي، وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه. وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه.

قال ابن جرير: وإنما معنى الخلافة التي ذكرها الله (تعالى)^(٧) إنما هي خلافة (قرن)^(٨) منهم قرناً.

قال^(٩): والخليفة: الفعيلة، من قولك: خلف فلان فلاناً في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس] ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة؛ لأنه خلف الذي كان قبله، فقام (بالأمر)^(١٠)، فكان منه خلفاً.

قال^(٩): وكان محمد بن إسحاق يقول في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يقول: ساكناً وعامراً يعمرها ويسكنها خلقاً ليس منكم.

(قال ابن جرير)^(١١): وحدثنا أبو كريب، حدثنا (عثمان)^(١٢) بن سعيد، حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس؛ قال: إن أول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها، وسفكوا فيها الدماء، وقتل بعضهم بعضاً؛ قال: فبعث الله إليهم إبليس، فقتلهم إبليس ومن

(١) في «تفسيره» (٣١٨). وأخرجه ابن جرير (٥٩٦) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب، عن ابن سابط. وعزاه السيوطي في «الدر» (٤٦/١) لابن عساكر.

(٢) في (ن): «ابن». (٣) ومن طريقه ابن جرير (٦٠٥). [وسنده ضعيف].

(٤) من (ن). (٥) في «تفسيره» (٤٥٢/١).

(٦) في (ن): «في الحكم بالعدل»، وليس في «الأصول» ولا في «الطبري».

(٧) من (ل). (٨) ساقط من (ل).

(٩) يعني ابن جرير (٤٤٩/١). (١٠) في «الطبري» (٤٤٩/١): «فقام بالأمر مقامه».

(١١) ساقط من (ج) و(ك) و(ل) وهو في «تفسير ابن جرير» (٦٠١) وسنده ضعيف.

(١٢) في (ز): «عمر» كذا نبه محققو طبعة «الشعب» ورسمها قريب جداً من عثمان، فإنهم يكتبونها هكذا «عثمن» فلعلها اشتبهت عليهم. والله أعلم.

معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، ثم خلق آدم فأسكنه إياها؛ فلذلك قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

وقال سفيان^(١) الثوري، عن عطاء بن السائب، عن ابن سابط: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ قال: يعنون به بني آدم.

وقال^(٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال الله للملائكة: إِنِّي أريد أن أخلق في الأرض خلقاً، وأجعل فيها خليفة، وليس لله سبحانه خلق إلا الملائكة، والأرض ليس فيها خلق. قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا؟﴾.

وقد تقدم ما رواه السدي، عن ابن عباس، وابن مسعود وغيرهما من الصحابة: أن الله أعلم الملائكة بما (يفعل)^(٣) ذرية آدم؛ فقالت الملائكة ذلك.

وتقدم (أنفاً)^(٤) ما رواه الضحاك، عن ابن عباس: أن الجن أفسدوا في الأرض قبل بني آدم؛ فقالت الملائكة ذلك، فقاوسا هؤلاء بأولئك.

وقال ابن أبي^(٥) حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن (بكير)^(٦) بن الأخنس، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو؛ قال: كان الجن بنو الجن في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة، فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء، فبعث الله جنداً من الملائكة، فضربوهم حتى (ألحقوهم)^(٧) بجزائر البحور؛ فقال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال أبو جعفر^(٨) الرازي، عن الربيع (بن أنس)^(٩)، عن أبي العالية - في قوله (تعالى)^(١٠): ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ إلى قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُتُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] -، قال: خلق الله الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الجن يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، فكفر قوم من الجن، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم (فكانت الدماء بينهم)^(١١) وكان الفساد في الأرض؛ فمن ثم قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ كما أفسدت الجن ويسفك الدماء كما سفكوا؟

(١) أخرجه ابن جرير (٦٠٣ - ٦٠٨)؛ وابن أبي حاتم (٣٢٧)، وسنده جيد.

(٢) أخرجه ابن جرير (٦٠٤) وسنده صحيح.

(٣) في (ن) و(ل) و(هـ): «تفعل».

(٤) في (ج) و(ل): «أيضاً».

(٥) في «تفسيره» (٣٢٢) ولكن أخرجه الحاكم (٢/ ٢٦١) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية بسنده سواء لكنه جعل الصحابي «ابن عباس» بدل «ابن عمرو» فلا أدري هل تصحف في «المستدرک» والتصحيح فيه كثير أم هو اختلاف بين ابن أبي شيبة والطنافسي؟! وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي وهو كما قالوا وقد أخرجه ابن منده في «التوحيد» (٥٧٢) من طريق سعدان بن نصر، ثنا أبو معاوية بسنده سواء عن عبد الله بن عمرو.

(٦) في (ك): «بكر» وهو خطأ.

(٧) في (ن): «لحقوا» وهو مخالف لما في «تفسير ابن أبي حاتم».

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٢٣)؛ وأخرجه ابن جرير (٦٠٢)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٨٨٠) من طريق عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس قوله. [وسنده جيد].

(٩) من (ع) و(ن) و(هـ) و(ي).

(١٠) من (ن).

(١١) كذا في «جميع الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (٦١٢). ووقع في (ن): «تقاتلهم ببيغهم».

قال ابن^(١) أبي حاتم: وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا مبارك بن فضالة، حدثنا الحسن؛ قال: قال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قال لهم: إني فاعل، فأمنوا بربهم، فعلمهم علماً، وطوى عنهم علماً علمه ولم يعلموه، فقالوا بالعلم الذي علمهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ قال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال الحسن: إن الجن كانوا في الأرض يفسدون، ويسفكون الدماء، ولكن جعل الله في قلوبهم أن ذلك سيكون؛ فقالوا بالقول الذي علمهم.

وقال عبد الرزاق^(٢)، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ كان الله أعلمهم أنه إذا كان في الأرض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء، فذلك حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟

وقال ابن أبي^(٣) حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام الرازي، حدثنا ابن المبارك، عن معروف - يعني: ابن خربوذ المكي -، عن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول: السجل ملك، وكان هاروت وماروت من أعوانه، وكان له في كل يوم ثلاث لمحات (ينظرهن)^(٤) في أم الكتاب؛ فنظر نظرة لم تكن له، فأبصر فيها خلق آدم وما (كان)^(٥) فيه من الأمور، فأسر ذلك إلى هاروت وماروت، وكانا من أعوانه؛ فلما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ - قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ قالوا: ذلك استطالة على الملائكة.

وهذا أثر غريب. وبتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب، وفيه نكارة توجب رده. والله أعلم.

ومقتضاه أن الذين قالوا ذلك إنما كانوا اثنين فقط، وهو خلاف السياق.

وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتم^(٦) أيضاً حيث قال: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عبيد الله^(٧)، حدثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير؛ قال: سمعت أبي يقول: إن الملائكة الذين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ سُبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ كانوا عشرة آلاف، فخرجت نار من عند الله فأحرقتهم.

وهذا أيضاً إسرائيلي منكر كالذي قبله. والله أعلم.

قال ابن جريج^(٨): إنما تكلموا بما أعلمهم الله أنه كائن من خلق آدم، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾؟

(١) في «تفسيره» (٣٢٤)؛ وأخرجه ابن جرير (٦١١) من طريق حجاج بن منهال، عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة، عن الحسن، وعن أبي بكر، عن الحسن وفتادة فذكره بأطول من سياق ابن أبي حاتم. [وسنده حسن].

(٢) في «تفسيره» (٤٢/١) ومن طريقه ابن جرير (٦١٠)؛ وابن أبي حاتم (٣٢٦). [وسنده صحيح].

(٣) في «تفسيره» (٣٢٨) وسنده ضعيف ومته منكر كما أشار إليه المصنف والله أعلم.

(٤) ساقط من (ن). (٥) من (ن).

(٦) في «تفسيره» (٣٢٩).

(٧) في (ز) و(ك) و(ل) و(هـ): «ابن أبي عبد الله»؛ وفي (ج) و(ع) و(ن) و(ي): «ابن أبي عبيد الله» وصوابه: «ابن عبيد الله» وهو مترجم في «الجرح والتعديل» (٦٧/٢/٤).

(٨) أخرجه ابن جرير (٦١٦) وسنده صحيح.

قال ابن جرير^(١): وقال بعضهم: إنما قالت الملائكة ما قالت: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ لأن الله أذن (لها)^(٢) في السؤال عن ذلك بعد ما أخبرهم أن ذلك كائن من بني آدم، فسألته الملائكة، فقالت على التعجب منها: وكيف يعصونك يا رب وأنت خالقهم؟ فأجابهم ربهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: أن ذلك كائن منهم، وإن لم تعلموه أنتم ومن بعض (من)^(٣) ترونه لي طائعا.

قال^(٤): وقال بعضهم: ذلك من الملائكة على وجه^(٥) الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك، فكأنهم قالوا: (يا رب)^(٦)، خبرنا - (مسألة)^(٧) استخبار منهم، لا على وجه^(٥) الإنكار. واختاره ابن جرير.

^(٨) [وقال سعيد^(٩)، عن قتادة؛ قوله (تعالى)^(١٠): ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ - قال: استشار الملائكة في خلق آدم، فقالوا: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ وقد علمت الملائكة (من علم الله)^(١١) أنه لا شيء أكره عند الله من سفك الدماء والفساد في الأرض - ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك. قال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فكان في علم الله أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسول وقوم صالحون وساكنو الجنة؛ قال: وذكر لنا عن ابن عباس أنه كان يقول: إن الله لما أخذ في خلق آدم (عليه السلام)^(١٢) قالت الملائكة: ما الله خالق خلقاً أكرم عليه منا، ولا أعلم منا؛ فابتلوا بخلق آدم، وكل خلق مبتلى، كما ابتليت السموات والأرض بالطاعة، فقال (الله تعالى)^(١٣): ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]^(٨).
^(١٤) [وقوله تعالى)^(١٥): ﴿وَنَحْنُ سُيُحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال عبد الرزاق^(١٦)، عن معمر، عن قتادة، قال: التسييح: التسييح. والتقديس: الصلاة.

وقال السدي^(١٧)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة^(١٨)، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة ﴿وَنَحْنُ سُيُحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: يقولون: نصلي لك.

(١) في «تفسيره» (٤٦٩/١، ٤٧٠).

(٢) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي) وهو الموافق لما في «الطبري» (٦١٦). ووقع في (ز) و(ن): «لهم».

(٣) في (ن): «ما» وفي (ز): «ومن يعصيني ممن ترونه».

(٤) يعني: ابن جرير (٤٧٠/١).

(٥) ساقط من (ك).

(٦) ساقط من (ج).

(٧) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٨) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٦٠٩)؛ وفي «التاريخ» (١٠٠/١) وسنده صحيح.

(٩) من (ن).

(١٠) ساقط من (ج) و(ع) و(ل).

(١١) هذه الفقرة وما بعدها إلى قوله: «أهل الكفر بك» مقدمة في (ك) و(هـ) على قوله في الفقرة السابقة، قال: سعيد... إلخ.

(١٢) في «تفسيره» (٤٢/١) ومن طريقه ابن جرير (٦٢٠، ٦٢١)؛ وابن أبي حاتم (٣٣٠) (٢٣٦) [وسنده صحيح]

وعزاه السيوطي في «الدر» (٤٦/١) لعبد بن حميد.

(١٣) أخرجه ابن جرير (٦١٩). [وسنده ضعيف].

وقال مجاهد^(١): «وَنَحْنُ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ» قال: نعظمك ونكبرك.

وقال الضحاك^(٢): التقديس: التطهير.

وقال محمد بن إسحاق^(٣): «وَنَحْنُ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ» قال: لا نعصي، ولا نأتي شيئاً نكرهه.

وقال ابن جرير^(٤): التقديس: هو التعظيم والتطهير. ومنه قولهم: سبوح قدوس: يعني بقولهم: سبوح: تنزيه (الله)^(٥)، وبقولهم قدوس: طهارة وتعظيم له (ولذلك)^(٦) قيل للأرض: أرض مقدسة؛ يعني بذلك: المطهرة؛ فمعنى قول الملائكة إذا: «وَنَحْنُ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ» ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك. «وَتُقَدِّسُ لَكَ» ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس، وما أضاف إليك أهل الكفر بك.

^(٧) [وفي «صحيح مسلم»^(٨)، عن أبي ذر رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده».

وروى البيهقي^(٩) عن عبد الرحمن بن قرط: أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به سمع تسبيحاً في السموات العلى «سبحان العلي الأعلى، سبحانه وتعالى»^(٧).

(١) أخرجه ابن جرير (٦٢٣)؛ وابن أبي حاتم (٣٣٣) من طرق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وسنده قوي وقد قدمت الدليل على ذلك في أول هذه السورة.

(٢) أخرجه ابن جرير (٦٢٥)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٣٢) لكنه جعله عن الضحاك، عن ابن عباس وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير (٦٢٤) بسند ضعيف جداً. (٤) في «تفسيره» (٤٧٥/١).

(٥) في (ز) و(ن): «له».

(٦) في (ن): «كذلك».

(٧) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٨) أخرجه مسلم (٨٥/٢٧٣١).

(٩) في «الأسماء والصفات»، كما في «الدر المنثور» (١٨٣/٤).

وأخرجه الطبراني في «الكبير»، كما في «ابن كثير» (٧٦/٥ - الشعب)؛ وفي «الأوسط» (٣٧٤٢)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٧/٢، ٨)؛ وفي «عوالي سعيد بن منصور» (٤)؛ وابن عساكر في «تاريخه» (ج ١٠/١٠٦ ق) كلهم عن سعيد بن منصور، وهذا في «سننه»، كما في «الدر المنثور» قال: حدثنا ميمون بن مسكين، حدثني عروة بن رويم، عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فلما رجع فكان بين زمزم والمقام وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغا السموات العلى، فلما رجع قال: «سمعت تسبيحاً في السموات العلى، مع تسبيح كثير: سبحت السموات العلى من ذي المهابة مشفقاً لذي العلو بما علا، سبحان العلي الأعلى، ﷻ».

وعزه الحافظ في «الإصابة» (٣٥٤/٤) للبخاري، يعني في «تاريخه»؛ وابن السكن. وعزه السيوطي في «الدر» (١٨٣/٤)؛ لابن أبي حاتم، قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد، تفرد به سعيد بن منصور». وقال الذهبي في «الميزان» (١٠١/٤): «مسكين بن ميمون لا أعرفه وخبره منكرو» وذكر له هذا الحديث. وتبعه في هذا الحكم الحافظ في «اللسان» (٢٨/٦)؛ والهيثمي في «المجمع» (٧٨/١). وخالفهم أبو نعيم الأصبهاني فقد نقل عنه الذهبي أنه صححه. وعبارة أبي نعيم في «عوالي سعيد بن منصور» هي: «هذا حديث صحيح غريب لم يروه عن عروة بن رويم غير مسكين بن ميمون فيما قالوا، وعبد الرحمن بن قرط يعد في الصحابة وتفرد بهذا الحديث عن النبي ﷺ في ذكر التسبيح، ومسكين بن ميمون هو الرملي وروى عنه هشام بن عمار وغيره هذا الحديث». اهـ ولكن وضع محقق «عوالي سعيد بن منصور» كلمة «صحيح» بين قوسين، فكأنه سقط من الأصل ولكنه استدركه بدلالة قول الذهبي =

﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال قتادة^(١): فكان في علم الله أنه سيكون في تلك الخليفة أنبياء ورسول، وقوم صالحون وساكنو الجنة.

وسياتي عن ابن مسعود، وابن عباس، وغير واحد من الصحابة والتابعين أقوال في حكمة قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

^(٢) [وقد استدلل القرطبي^(٣) وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة، ليفصل بين الناس فيما (يختلفون)^(٤) فيه، ويقطع تنازعهم، ويتنصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود، ويزجر عن تعاطي الفاحش، إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بالإمام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

والإمامة تنال بالنص، كما يقوله طائفة من أهل السنة في أبي بكر، أو بالإيماء إليه، كما يقول آخرون منهم، أو باستخلاف الخليفة آخر بعده، كما فعل الصديق (في)^(٥) عمر بن الخطاب، أو بتركه شورى في جماعة صالحين كذلك كما فعله عمر، أو باجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته، أو بمبايعة واحد منهم له؛ فيجب التزامها عند الجمهور؛ وحكى على (ذلك)^(٦) إمام الحرمين الإجماع والله أعلم.

أو بقره واحد (من)^(٧) الناس على طاعته، فتجب، لئلا يؤدي ذلك إلى الشقاق والاختلاف. وقد نص عليه الشافعي؛ وهل يجب الإشهاد على عقد الإمامة؟ فيه خلاف؛ فمنهم من قال: لا يشترط. وقيل: بلى؛ ويكفي شاهدان. وقال الجبائي: يجب أربعة، وعاقدا^(٨) [ويعقود له، كما ترك عمر (رضي الله عنه)^(٩) الأمر شورى بين ستة؛ فوقع الأمر على عاقد، وهو عبد الرحمن بن عوف، ومعقود له وهو عثمان (رضي الله عنه)^(١٠)، واستنبط وجوب الأربعة الشهود من الأربعة الباقين، وفي هذا نظر. والله أعلم. ويجب أن يكون ذكراً حراً بالغاً، عاقلاً مسلماً، عدلاً مجتهداً، بصيراً سليم الأعضاء، خبيراً بالحروب والآراء، قرشياً على الصحيح؛ ولا يشترط الهاشمي ولا المعصوم من الخطأ خلافاً (لغلاة)^(١١) الروافض.

ولو فسق الإمام هل ينعزل أم لا؟ فيه خلاف. والصحيح أنه لا ينعزل، لقوله عليه (الصلاة و)^(١٢) السلام: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»^(١٣) [١٣] (٨).

= فالله أعلم لكن الإسناد قوي، وقول الذهبي في مسكين بن ميمون لا أعرفه عجيب فقد وثقه ابن معين كما في «تاريخ الدوري» (٤/٤٧١) وذكره ابن شاهين في «الثقات» وكذلك ابن حبان (٥٠٥/٧) وسمى أباه «صالحاً» وسبقه البخاري (٤/٣٠٢) لكن ذكر الحافظ في «الإصابة» (٤/٣٥٥) أن سعيد بن منصور أخرجه عن مسكين فأرسله فلو صح هذا النقل لكان قد اختلف على سعيد في وصله وإرساله فالله أعلم.

(١) أخرجه ابن جرير (٦٣٩)؛ وابن أبي حاتم (٣٣٩) من طريقين عن قتادة. [وسنده صحيح].

(٢) ساقط من (ز) و(هـ).

(٣) في «تفسيره» (١/٢٦٤).

(٤) في (ن): «اختلفوا».

(٥) في (ن): «بعمر».

(٦) في (ك): «تلك».

(٧) ساقط من (ز) و(هـ).

(٨) من (ك).

(٩) في (ن): «لغلاة».

(١٠) من (ن): وفي (ك): «عليه».

(١١) أخرجه البخاري (٥/١٣)؛ ومسلم (٤٢/١٧٠٩) والسياق له.

(١) [وهل له أن يعزل نفسه؛ فيه خلاف، وقد عزل الحسن بن علي (عليه السلام) نفسه، وسلم الأمر إلى معاوية؛ لكن هذا لعذر؛ وقد مدح على ذلك.

فأما نصب إمامين في الأرض أو أكثر فلا يجوز، لقوله عليه (الصلاة و) (٢) السلام: «من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائناً من كان» (٣).

وهذا قول الجمهور، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد، منهم إمام الحرمين.

وقالت الكرامية: يجوز (اثنان) (٤) فأكثر، كما كان علي ومعاوية إمامين واجبي الطاعة؛ قالوا: وإذا جاز بعث نبين في وقت واحد وأكثر جاز ذلك في الإمامة؛ لأن النبوة أعلى رتبةً بلا خلاف (٥).

(٥) [وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحاق أنه جوز نصب إمامين فأكثر إذا تباعدت الأقطار، واتسعت الأقاليم بينهما. وتردد إمام الحرمين في ذلك.

قلت: وهذا يشبه حال (خلفاء) (٦) بني العباس بالعراق والفاطميين بمصر، والأمويين بالمغرب، (٧) [ولنقرر هذا كله في موضع آخر من «كتاب الأحكام» إن شاء الله تعالى] (٧) (٥).

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَكَادُمُ أَنْبِيُّهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ عَلِمَ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمَ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم. وهذا كان بعد سجودهم له؛ وإنما قدم هذا الفصل على ذاك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليقة حين سألوا عن ذلك، فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون؛ ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا، ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾.

قال السدي (٨)، عمن حدثه، عن ابن عباس: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، قال: (عرض عليه) (٩) أسماء ولده إنساناً إنساناً، والدواب؛ فقليل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس.

وقال الضحاك (١٠)، عن ابن عباس: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس؛ إنسان، (ودابة) (١١)، وسما، وأرض، وسهل، وبحر، (وجبل) (١٢)، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

(١) ساقط من (ز) و(ه).

(٢) من (ن).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٢/٦٠). واللفظ له.

(٤) في (ن): «اثنين».

(٥) ساقط من (ز) و(ه).

(٦) في (ن): «الخلفاء».

(٧) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٠) وسنده ضعيف.

(٩) في (ن) و(ه): «علمه» وهو مخالف لما في «تفسير ابن أبي حاتم».

(١٠) وأخرجه ابن جرير (٦٤٦) وسنده ضعيف.

(١١) في (ن): «دواب».

(١٢) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ه)؛ وفي (ز) و(ي): «جمل»؛ وفي (ن): «خيل»!

وروى^(١) ابن أبي حاتم، وابن جرير، من حديث عاصم بن كليب، عن سعيد بن معبد، عن ابن عباس: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال: علمه اسم الصخرة والقدر؟ قال: نعم حتى الفسوة والفسية.

وقال مجاهد^(٢): ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ - قال: علمه اسم كل دابة، وكل طير، وكل شيء.

^(٣) [وكذلك روي^(٤) عن سعيد بن جبير، وقتادة وغيرهم من السلف، أنه علمه أسماء كل شيء]^(٣).

وقال الربيع^(٥) - في رواية عنه -: أسماء الملائكة.

وقال حميد^(٦) الشامي: أسماء النجوم. وقال عبد الرحمن^(٧) بن زيد: علمه أسماء ذريته كلهم. واختار ابن^(٨) جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية؛ لأنه قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ وهذا عبارة عما يعقل.

وهذا الذي رجح به ليس بلازم؛ فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب، كما قال (تعالى)^(٩): ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور].

^(١٠) [وقد قرأ عبد الله بن مسعود: «ثم عرضهن». وقرأ أبو بن كعب: «ثم عرضها»؛ أي: المسميات]^(١٠).

والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها؛ وذواتها (وصفاتها)^(١١) وأفعالها، كما قال ابن عباس: حتى الفسوة والفسية؛ يعني: أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر؛ ولهذا قال البخاري^(١٢) في تفسير هذه الآية في «كتاب التفسير» من «صحيحه»: حدثنا مسلم بن إبراهيم،

(١) وأخرجه ابن جرير (٦٥١)؛ وابن أبي حاتم (٣٤١)؛ وسعيد بن معبد ترجمه البخاري في «الكبير» (١/٢).

(٤٦٨)؛ وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦٣/١/٢) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) أخرجه ابن جرير (٦٤٧)؛ وابن أبي حاتم (٣٤٢) من طريقين، عن مجاهد. وهو صحيح.

(٣) ساقط من (ج). [أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة].

(٤) أخرج هذه الآثار ابن جرير (٦٥٠، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧).

(٥) أخرجه ابن جرير (٦٥٩) وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٣)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (١٠٤٣) وسنده جيد.

(٧) أخرجه ابن جرير (٦٦٠) وسنده صحيح. (٨) في «تفسيره» (١/٤٨٥).

(٩) من (ن).

(١٠) ساقط من (ز) و(ه). [وهاتان القراءتان شاذتان تفسيريتان].

(١١) من (ن).

(١٢) في «صحيحه» (٨/١٦٠ - فتح) وقد رواه البخاري بإسنادين عن قتادة.

أحدهما: هشام الدستوائي، عن قتادة.

وقد رواه أيضاً في «كتاب التوحيد» من «صحيحه» (١٣/٣٩٢، ٣٩٣، ٤٧٧، ٤٧٨)؛ ومسلم (١٩٣/٣٢٤،

٣٢٥).

حدثنا هشام، (حدثنا)^(١) قتادة، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: ^(٢) [وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال]^(٣): «يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا؟ فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا (عند)^(٤) ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناك، ويذكر ذنبه فيستحيي؛ (فيقول) اتنوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض؛ فيأتونه فيقول: لست هناك، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحيي؛ فيقول: اتنوا خليل الرحمن فيأتونه فيقول: لست هناك، فيقول: اتنوا موسى عبداً كلمه الله، وأعطاه التوراة؛ فيأتونه، فيقول: لست هناك. ويذكر قتل النفس بغير نفس فيستحيي من ربه؛ (فيقول)^(٥): اتنوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه، فيأتونه فيقول: لست هناك، اتنوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأنتلق حتى أستأذن على ربي (فيؤذن)^(٥) لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل تسمع، واشفع تشفع؛ فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحذل لي حدّاً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه؛ فإذا رأيت ربي مثله؛ ثم أشفع فيحذل لي حدّاً فأدخلهم الجنة ^(٦) [ثم أعود الثالثة]^(٦) ثم أعود الرابعة، فأقول: ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود.

هكذا ساق البخاري هذا الحديث ها هنا، وقد رواه مسلم، والنسائي من حديث هشام، وهو ابن أبي عبد الله الدستوائي، عن قتادة، به. وأخرجه مسلم، والنسائي، وابن ماجه من حديث سعيد، وهو ابن أبي عروبة، عن قتادة.

ووجه إirاده ها هنا، والمقصود منه قوله عليه (الصلاة و)^(٧) السلام: فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس؛ خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء.

فدل هذا على أنه علمه أسماء جميع المخلوقات؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يعني: المسميات، كما قال عبد الرزاق^(٨)، عن معمر، عن قتادة؛ قال: ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة، ﴿فَقَالَ أَنِ يُنْفِئِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقال السدي في «تفسيره»^(٩)، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ثم عرض الخلق على الملائكة.

(١) في (ن): «عن».

(٢) ساقط من (ج).

(٣) في (ن): «إلى».

(٤) ساقط من (ج).

(٥) في (ن): «فيأذن».

(٦) ساقط من (ن).

(٧) من (ز) و(ن)؛ وفي (ك): «ﷺ».

(٨) في «تفسيره» (٤٣، ٤٢/١)، ومن طريقه ابن جرير (٦٦٤)؛ وابن أبي حاتم (٣٤٤) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة قال: علمه اسم كل شيء؛ هذا بحر، وهذا جبل، وهذا كذا، وهذا كذا؛ لكل شيء، ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة. هذا لفظ عبد الرزاق، واختصره ابن جرير، وابن أبي حاتم. وسنده صحيح.

(٩) ومن طريقه ابن جرير (٦٦٢)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٥)؛ عن السدي قوله. [وسنده ضعيف].

وقال ابن جريج^(١)، عن مجاهد: (ثم عرضهم)^(٢): عرض أصحاب الأسماء على الملائكة.
 وقال ابن جرير^(٣): حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثني الحجاج، عن جرير بن حازم،
 ومبارك بن فضالة، عن الحسن وأبي بكر، عن الحسن، وقتادة؛ قالوا: علمه اسم كل شيء،
 وجعل يسمي كل شيء باسمه، وعرضت عليه أمة أمة.
 وبهذا الإسناد^(٤) عن الحسن وقتادة - في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ - إني لم أخلق خلقاً
 إلا كنتم أعلم منه، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.
 وقال الضحاك^(٥)، عن ابن عباس: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن كنتم تعلمون أني لم أجعل في
 الأرض خليفة.

وقال السدي^(٦)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن
 مسعود؛ وعن ناس من الصحابة: إن كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون
 الدماء.

وقال ابن جرير^(٧): وأولى الأقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله، ومعنى ذلك:
 فقال أنبئوني بأسماء من عرضته عليكم أيها الملائكة القائلون: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا
 وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ من غيرنا أم منا؟ فنحن
 نسبح بحمدك ونقدس لك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قيلكم: (إني)^(٨) إن جعلت خليفتي في
 الأرض من غيركم عصاني (ذريته)^(٩)، وأفسدوا، وسفكوا الدماء، وإن جعلتكم فيها أتعلموني،
 واتبعتم أمري بالتعظيم لي والتقديس؛ فإذا كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم
 وأنتم تشاهدونهم فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد أخرى أن تكونوا
 غير عالمين.

﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ هذا تقديس وتنزيه من
 الملائكة لله تعالى^(١٠) [أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء (أو)^(١١) أن يعلموا شيئاً إلا
 ما علمهم الله تعالى]^(١٢)؛ ولهذا قالوا: ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ

(١) أخرجه ابن جرير (٦٦٥)؛ وابن جريج مدلس، ولم يسمع من مجاهد إلا حرفاً.

(٢) ساقط من (ن).

(٣) في «تفسيره» (٦٦٧)؛ والحجاج هو ابن محمد الأعور فيرويه مرة عن جرير بن حازم، ومبارك بن فضالة عن
 الحسن، ويرويه مرة عن أبي بكر الهذلي عن الحسن، وقتادة.
 والوجه الأول أجود، وأبو بكر الهذلي متروك.

(٤) أخرجه ابن جرير (٦٧٣). [وسنده ضعيف]. (٥) أخرجه ابن جرير (٦٧١)، وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير (٦٧٢) [وسنده ضعيف]. (٧) في «تفسيره» (٤٩٠/١، ٤٩١).

(٨) كذا في (ز) و(ض) و(ن) و(هـ) و(ي) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» ووقع في: (ج) و(ك) و(ل):
 «أي».

(٩) في (ن): «وذريته».

(١٠) ساقط من (ك).

(١١) كذا في (ج) و(هـ) و(ي) ووقع في: (ز) و(ض) و(ل) و(ن): «و».

الْحَكِيمُ» ^(١) [أي: العليم بكل شيء، الحكيم] ^(١) في خلقك وأمرك، وفي تعليمك ما تشاء ومنعك ما تشاء، لك الحكمة في ذلك؛ والعدل التام.

قال ابن أبي حاتم ^(٢): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا حفص بن غياث، عن حجاج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس: سبحان الله، قال: تنزيه الله نفسه عن السوء (قال) ^(٣)؛ ثم قال عمر لعلي وأصحابه عنده: «لا إله إلا الله» قد عرفناها، فما سبحان الله؟ فقال له علي: كلمة أحبها الله لنفسه، ورضيها، وأحب أن يقال.

قال ^(٤): وحدثنا أبي، حدثنا (ابن نفيل) ^(٥)، (حدثنا) ^(٦) النضر بن (عربي) ^(٧)؛ قال: سألت رجل ميمون بن مهران عن: «سبحان الله» قال: اسم يعظم الله به، ويعحاشي به من السوء. وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَتَكَاذِبُ أَتَيْنَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ^(٨).

قال زيد بن أسلم ^(٨): قال: أنت جبرائيل، أنت ميكائيل، أنت إسرافيل، حتى عدد الأسماء كلها حتى بلغ الغراب.

وقال مجاهد ^(٩) - في (قول الله) ^(١٠): ﴿قَالَ يَتَكَاذِبُ أَتَيْنَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ - قال: اسم الحمامة والغراب، واسم كل شيء.

وروي عن سعيد بن جبير، والحسن، وقتادة نحو ذلك ^(١١).

(١) ساقط من (ج).

(٢) في «تفسيره» (٣٤٧)؛ وأخرجه المحاملي في «الأمال» (٤٣٩) قال: حدثنا يوسف ابن موسى القطان، ثنا حفص بن غياث بسنده سواء.

وقد سبق الكلام على هذا الأثر (٤٥٦/١).

وأخرجه ابن جرير (٦٤/١١)، قال: حدثنا أبو كريب وأبو السائب، وخلاص بن أسلم قالوا: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا قابوس، عن أبيه أن ابن الكوا سألت علياً عليه السلام عن: «سبحان الله» قال: كلمة رضيها الله لنفسه.

وأخرجه علي بن محمد الحميري في «جزئه» رقم (٥) قال: حدثنا أبو كريب، ثنا عبد الله بن إدريس بسنده سواء.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١١٠/١)؛ لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وسنده ضعيف لضعف قابوس بن أبي ظبيان، وهو يمشي في المتابعات ولعل الأثر يتقوى بمجموع الطريقين. والله أعلم.

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) يعني: ابن أبي حاتم؛ وهو في «تفسيره» (٣٤٨) وسنده جيد.

(٥) في (ن): «ابن فضيل»!! وهو عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل، أبو جعفر النفيلي وهو ثقة حافظ.

(٦) في (ن): «ابن». (٧) في (ن): «عدي». [وسنده حسن].

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٥٤)، وسنده ضعيف، لضعف محمد بن أبان راويه عن زيد بن أسلم. فقد ضعفه ابن معين وأبو داود.

وقال البخاري: «ليس بالقوي».

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٥٥)، وفي إسناده قيس بن الربيع، وهو سيئ الحفظ. [ويشهد له ما سبق].

(١٠) في (ج): «قوله».

(١١) ذكره ابن أبي حاتم ونسبه إلى ثلاثهم بحذف السند.

فلما ظهر فضل آدم ﷺ على الملائكة ﷺ في سرده ما علّمه الله تعالى من أسماء الأشياء قال الله تعالى للملائكة: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْىْ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي: ألم أقدم إليكم أني أعلم الغيب الظاهر والخفي؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِأَقْوَلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه] وكما قال تعالى إخباراً عن الهدهد أنه قال لسليمان: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [١٥] اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾ [النمل].

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ غير ما ذكرناه؛ فروى الضحاك^(١) عن ابن عباس: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ - قال: أعلم السر كما أعلم العلانية؛ يعني: ما كنتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار.

وقال السدي^(٢)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة؛ قال: قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ...﴾ [البقرة: ٣٠] (الآية)^(٣) فهذا الذي أبدوا؛ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني: ما أسر إبليس في نفسه من الكبر والاغترار.

وكذلك قال سعيد بن^(٤) جبير، ومجاهد، والسدي، والضحاك، والثوري^(٥). واختار ذلك ابن جرير^(٦).

وقال أبو العالية^(٧)، والربيع^(٨) بن أنس، والحسن^(٩)، وقتادة^(١٠): هو قولهم: (لن)^(١١) يخلق ربنا خلقاً إلا كنا (نحن)^(١٢) أعلم منه، وأكرم (عليه منه)^(١٣).

(١) أخرجه ابن جرير (٦٧٨) من طريق بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، وسنده ضعيف؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٥٨) من طريق الفضل بن خالد النحوي، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس، وسنده ضعيف أيضاً، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن جرير (٦٧٩). [وسنده ضعيف]. (٣) من (ن).

(٤) أخرجه ابن جرير (٦٨٠)، وفي إسناده عمرو بن ثابت بن هرمز، وهو متروك؛ رافضي خبيث كما قال أبو داود.

(٥) أخرجه ابن جرير (٦٨١)، وسنده جيد. (٦) في (١/٥٠٠، ٥٠١).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٦٠) وسنده حسن.

(٨) أخرجه ابن جرير (٦٨٤)؛ وابن أبي حاتم (٣٦١).

(٩) أخرجه ابن جرير (٦٨٢) قال: وحديثي المثنى بن إبراهيم، قال: أخبرنا الحجاج الأنماطي، قال: حدثنا مهدي بن ميمون قال: سمعت الحسن بن دينار قال للحسن، ونحن جلوس عنده في منزله، يا أبا سعيد! أرايت قول الله للملائكة: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] ما الذي كنتم الملائكة؟ فقال الحسن: إن الله لما خلق آدم رأت الملائكة خلقاً عجباً، فكانهم دخلهم من ذلك شيء، فأقبل بعضهم إلى بعض، وأسروا ذلك بينهم، فقالوا: «وما يهكم من هذا المخلوق، إن الله لن يخلق خلقاً إلا كنا أكرم عليه منه».

ورجال السند ثقات معروفون إلا شيخ ابن جرير فلم أعرفه ولم أجد له ترجمة، والحسن بن دينار تالف البتة. له في الرواية إنما هو سائل، وإنما يرويه مهدي بن ميمون عن الحسن البصري، وابن دينار تالف البتة.

وقد نبه على ذلك الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى «تفسير الطبري» (١/٤٩٩).

(١٠) أخرجه ابن جرير (٦٨٣) وسنده صحيح. (١١) في (ز)، (ل)، (ن): «لم».

(١٢) من (ج) و(ي). (١٣) ساقط من (ج).

(١) [وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس: ﴿وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فكان الذي أبدو هو قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] وكان الذي كتموا بينهم هو قولهم: لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم] (١)؛ فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم.

وقال ابن جرير (٢)، حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، في قصة الملائكة وآدم: فقال الله للملائكة: كما لم تعلموا هذه الأسماء فليس لكم علم، إنما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها، هذا عندي قد علمته، (فلذلك) (٣) أخفيت عنكم أني أجعل فيها من يعصيني ومن يطيعني.

قال: وقد سبق من الله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] قال: ولم تعلم الملائكة ذلك، ولم يدروه. قال: فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا له بالفضل. وقال ابن جرير (٤): وأولى الأقوال في ذلك قول ابن عباس؛ وهو أن معنى قوله (تعالى) (٥): ﴿وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ﴾ وأعلم - مع علمي غيب السموات والأرض - ما تظهرونه بألسنتكم، وما كنتم (تخفونه) (٦) في أنفسكم، فلا يخفى علي شيء، سواء عندي سرائركم وعلايتكم. والذي أظهره بألسنتهم قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ والذي كانوا يكتُمون ما كان (منطوياً) (٧) (عليه) (٨) إبليس من الخلاف على الله في (أمره) (٩) والتكبر عن طاعته.

قال (١١): وصح ذلك كما تقول العرب: قُتِلَ الجيش وهُزِمُوا، وإنما قتل الواحد أو البعض، وهزم الواحد أو البعض؛ فيخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات: ٤] ذكر أن الذي نادى إنما كان واحداً من بني تميم، قال: وكذلك قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٥)

وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، وقد دل على ذلك (أحاديث أيضاً كثيرة) (١٠)؛ منها حديث الشفاعة المتقدم، وحديث موسى (عليه السلام) (١١): «رب أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة؛ فلما اجتمع به قال: أنت آدم الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته؟» قال: وذكر الحديث كما سيأتي إن شاء الله.

(١) ساقط من (ج). [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق أبي جعفر به].

(٢) في «تفسيره» (٦٧٧) وسنده صحيح. (٣) في (ن): «فكذلك».

(٤) في «تفسيره» (٥٠٠/١، ٥٠١). (٥) من (ز) و(ن).

(٦) في (ز) و(ها): «تخفون». (٧) في (ج): «مبطوناً».

(٨) ساقط من (ج). (٩) في (ز) و(ن): «وأمره».

(١٠) في (ن): أيضاً أحاديث كثيرة.

(١١) أخرجه الشيخان وبأني تخريجه إن شاء الله تعالى.

وقال ابن جرير^(١): حدثنا أبو كريب، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس؛ قال: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم: (الجن)^(٢)، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة؛ وكان اسمه الحارث، وكان خازناً من خُزَّان الجنة؛ قال: وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي؛ قال: وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار،^(٣) [وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهمت؛ قال: وخلق الإنسان من طين]^(٣).

فأول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها، وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً؛ قال: فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، وهم هذا الحي الذين يقال لهم: الجن، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال؛ فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه؛ فقال: قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد؛ قال: فاطلع الله على ذلك من قلبه، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه؛ فقال الله تعالى للملائكة الذين (كانوا)^(٤) معه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

فقال الملائكة - مجيبين له -: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] كما أفسدت الجن وسفكت الدماء؛ وإنما بعثنا عليهم لذلك؟ فقال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] يقول: إني قد اطلعت (من)^(٥) قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره. قال: ثم أمر بتربة آدم، فرفعت؛ فخلق الله آدم من طين لازب، واللَّازِبُ: (اللزج)^(٦) (الصلب)^(٧) من حمأ مسنون متين؛ وإنما كان حمأً مسنوناً بعد التراب، فخلق منه آدم بيده. قال: فمكث أربعين ليلةً جسداً ملقى، وكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل فيصوت؛ فهو قول الله تعالى: ﴿مِن صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤] يقول: كالشيء (المنفوخ)^(٨) الذي ليس بمصمت. قال: ثم يدخل (في فيه)^(٩) ويخرج من دبره، ويدخل من دبره ويخرج من فيه، ثم يقول: لست شيئاً للصلصلة، ولشيء ما خلقت، ولئن سلطت عليك لأهلكك، ولئن سلطت علي لأعصينك. قال: فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل رأسه، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحمًا ودمًا، فلما انتهت النفخة إلى سرتة نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من جسده، فذهب لينهض، فلم يقدر؛ فهو قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] قال:

(١) في «تفسيره» (٦٨٥)، وأيضاً (١٦٩/١٥) بطوله، وابن أبي حاتم (٣٦٦)؛ وابن الأنباري في «الأضداد» (ص ٣٣٦) مختصراً جداً وسنده ضعيف.

(٢) كذا في (ز) بالحاء المهملة وفي باقي الأصول بالجيم، ولعل الصواب بالمهملة، وقد ذكر في «القاموس» أن «الجن»، بكسر الحاء، حي من أحياء الجن ويدل عليه أن الأثر فرق بينه وبين الجن والله أعلم.

(٣) ساقط من (ز). (٤) من (ن) و(ع) و(ك) و(ل) و(ها) و(ي).

(٥) في جميع الأصول: «علي». (٦) في (ن): «اللازج».

(٧) كذا في «تفسير الطبري» (٦٠٦) ووقع في جميع الأصول: «الطيب».

(٨) كذا في (ج) و(ل) و(ها) وهو الموافق لما في الطبري. ووقع في (ز) و(ع) و(ك) و(ن) و(ي): «المنفرج».

(٩) كذا في جميع الأصول وهو الموافق لما في الطبري. وفي (ج): «ثم يدخل فيه من فيه».

ضجراً لا صبر له على سراء ولا ضراء، قال: فلما تمت النفخة في جسده عطس، فقال: «الحمد لله رب العالمين» بإلهام الله؛ فقال الله له: «يرحمك الله يا آدم».

قال: ثم قال تعالى للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات: اسجدوا لآدم، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر لما كان حدث نفسه من الكبر والاعترا؛ فقال: لا أسجد له، وأنا خير منه، وأكبر ستاً، وأقوى خلقاً؛ ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] يقول: إن النار أقوى من الطين.

قال: فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله؛ (أي) آيسه، من الخير كله، وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته.

ثم علم آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها؛ (ثم) ^(٢) عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة - يعني: الملائكة الذين كانوا مع إبليس الذين خلقوا من نار السموم؛ وقال لهم: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١] أي: يقول: أخبروني بأسماء هؤلاء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن كنتم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفة.

قال: فلما علمت الملائكة (مؤاخذه) ^(٣) الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب الذي لا يعلمه غيره الذي ليس لهم به علم ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ [البقرة: ٣٢] تنزيهاً لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره، تُبنا إليك، ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢] تبرياً منهم من علم الغيب، إلا ما علمتنا كما علمت آدم؛ فقال: ﴿يَكَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣] يقول: أخبرهم بأسمائهم ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ﴾ [البقرة: ٣٣] (يقول: أخبرهم) ^(٤) ﴿بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٣٣] أيتها الملائكة خاصة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٣] ولا يعلم غيري؛ ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] يقول: ما تظهرون، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] يقول: أعلم السر كما أعلم العلانية؛ يعني: ما كنتم إبليس في نفسه من الكبر والاعترا.

هذا سياق غريب، وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها؛ وهذا الإسناد إلى ابن عباس يروى به تفسير مشهور.

وقال السدي في «تفسيره» ^(٥)، عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن أنس من أصحاب النبي ﷺ: لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش، فجعل إبليس على ملك السماء الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم: الجن؛ وإنما سموا الجن لأنهم خُزَّان الجنة؛ وكان إبليس مع مُلكه خازناً، فوقع في صدره ^(٦)؛ وقال: ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي على الملائكة. فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك

(١) من (ز) و(ن).

(٢) في (ح): «في».

(٣) كذا في (ك) وهو الموافق لما في الطبري (٤٥٧/١) ووقع في (ج) و(ز) و(ع) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي): «موجدة».

(٤) من (ج) و(ع) و(ك) و(ي) و(هـ) وسقط لفظ: «يقول» من (ل).

(٥) ومن طريقه ابن جرير (٦٠٧) [وسنده ضعيف، وفي متنه بعض الإسرائيليات].

(٦) في «تفسير الطبري»: «في صدره كبر».

منه؛ فقال الله للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فقالوا: ربنا، وما يكون (ذلك) ^(١) الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً. قالوا: ربنا؛ ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ [البقرة: ٣٠] يعني: من شأن إبليس.

فبعث الله جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن (تنقص) ^(٢) مني، أو تشينني. فرجع ولم يأخذ، وقال: (يا) ^(٣) رب؛ إنها عاذت بك فأعذتها. فبعث ميكائيل فعاذت منها فأعادها؛ فرجع فقال كما قال جبريل. فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض، وخلط ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء؛ فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به؛ فبل التراب حتى عاد طيناً لازباً؛ واللّازب هو الذي (يلتزم) ^(٤) بعضه ببعض، ثم قال للملائكة: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ (٧٦) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُمُ سَجِدِينَ ﴿٧٧﴾ [ص] فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه، ليقول له: تتكبر عما عملت بيدي، ولم أتكبر أنا عنه بخلقه بشراً؛ فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة، ففرغوا منه لما رأوه (وكان) ^(٥) أشدهم فرعاً منه إبليس؛ فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة؛ فذلك حين يقول: ﴿مِن صَلَاسَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤] ويقول: لأمر ما خلقت. ودخل من فيه فخرج من دبره. وقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا، فإن ربكم صمد، وهذا أجوف؛ لئن سلطت عليه لأهلكه.

فلما بلغ الحين الذي يريد الله ﷻ أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له.

فلما نفخ فيه الروح، فدخل الروح في رأسه عطس؛ فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال له الله: «يرحمك ربك». فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل الروح إلى جوفه انتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ [الحجر] ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

قال الله له: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك لما خلقت بيدي؟ قال: أنا خير منه، لم أكن لأسجد (لبشر) ^(٦) خلقته من طين، قال الله له: ﴿فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣] يعني: ما ينبغي لك، ﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]، والصفار: هو الذل.

(١) في (ج): «ذاك».

(٢) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي) وهو الموافق لما في الطبري. وفي (ز): «تقبض»؛ وفي (ه): «تنقصني».

(٣) من (ن).

(٤) كذا في جميع الأصول وهو الموافق لما في الطبري. وفي (ج): «يلتزم».

(٥) في (ن): «فكان».

(٦) في (ز): «لمن».

قال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] ثم عرض الخلق على الملائكة، ﴿فَقَالَ أَتُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] أن بني آدم يفسدون في الأرض، ويسفكون الدماء؛ فقالوا: ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١] قَالَ ﴿يَقَادِمُ أَنْبَتْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْني أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] قال: قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] فهذا الذي أبدوا ﴿وَأَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٣٣] ما (كنتم) ^(١) ﴿تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]؛ يعني: ما أسر إبليس في نفسه من الكبر.

فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في «تفسير السدي»، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة. والله أعلم. والحاكم يروى في «مستدركه» بهذا الإسناد بعينه أشياء، ويقول: «(هو) ^(٢) على شرط البخاري» ^(٣).

والغرض أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم؛ لأنه وإن لم يكن من عنصرهم إلا أنه كان قد تشبه بهم، (وتوسم) ^(٤) بأفعالهم؛ فلهذا دخل في الخطاب لهم، وذم في مخالفة الأمر. وسنبسط المسألة إن شاء الله تعالى عند قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

ولهذا قال محمد بن إسحاق ^(٥)، عن خلاد، (عن) ^(٦) عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس؛ قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه (عزازيل) ^(٧)، وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهاداً، وأكثرهم علماً؛ (فذلك) ^(٨) دعاه إلى الكبر، وكان من حي يسمون: «حنأ». وفي رواية ^(٩): عن خلاد، عن عطاء، عن طاوس أو مجاهد، عن ابن عباس، أو غيره، بنحوه.

(١) ساقط من (ج). (٢) ساقط من (ز) و(ن).

(٣) كذا قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد راجعت «كتاب التفسير» من «المستدرک» وهو مظنة الإكثار من الرواية بهذا الإسناد، فلم أر الحاكم صرح فيه أن هذا الإسناد على شرط البخاري، وإنما يقول: على شرط مسلم. وانظر مثلاً (٢٥٨/٢)، ٢٦٠، ٢٧٣، ٢٧٥، ٣٢٢، ٥٧٩، ٥٩٠ (مرتان)، ٥٩٣ وفي (٢٦٦/٢) روى أثراً من طريق عمرو بن طلحة، ثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس، وقال: صحيح الإسناد. ولم يقيد بشرط مسلم. وساق في (٢٧١/٢) نفس هذا الإسناد وقال: على شرط مسلم. وذكره في (٥٨٤/٢) ولم يحكم عليه. والصواب أن هذا الإسناد ليس على شرط واحد منهما. وأبو مالك اسمه غزوان، ولم يخرج له شيئاً. وقد قدمت في (٤٨٨/١)، (٤٩٠) أن هذا الإسناد حسن، والله أعلم.

(٤) كذا في (ز) و(ع) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي). ووقع في (ج) و(ك): «ترسم» بالراء بدل الواو. (٥) أخرجه ابن جرير (٦٨٦) وأيضاً (١٦٩/١٥) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق به وهذا سند ضعيف، وابن حميد وإيه ولكنه توبع كما يأتي، وسلمة ضعيف.

(٦) كذا في (ز) و(ك) و(هـ). ووقع في (ج) و(ع) و(ل) و(ن) و(ي): «ابن!» وهو تصحيف واضح.

(٧) في حاشية (ج): «عزازيل».

(٨) من (ز)؛ وفي (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي): «فلذلك».

(٩) هي عند ابن جرير (٦٨٧) من طريق شيخه محمد بن حميد الرازي، ثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن خلاد به فشك فيه فقال: «طاوس أو مجاهد».

وقال ابن أبي^(١) حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد - يعني: ابن العوام، عن سفیان بن حسين، عن يعلى بن (مسلم)^(٢)، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: كان إبليس اسمه عزازيل، وكان من أشرف الملائكة من ذوي الأجنحة الأربعة، ثم ألبس بعد.

وقال سنيد^(٣): عن حجاج، عن ابن جريج؛ قال: قال ابن عباس: كان إبليس من (أشرف)^(٤) الملائكة (و)^(٥) أكرمهم قبيلةً، وكان خازناً على الجنان، وكان له سلطان سماء الدنيا، وكان له سلطان الأرض، وهكذا روى الضحاك^(٦) وغيره عن ابن عباس سواء.

وقال صالح مولى التوأمة، عن ابن عباس: إن من الملائكة قبيلةً يقال لهم: «الحن»: وكان إبليس منهم، وكان يسوس ما بين السماء والأرض، فعصى، فمسخه الله شيطاناً رجيماً، رواه ابن جرير^(٧).

وقال قتادة^(٨)، عن سعيد بن المسيب: كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا.

وقال ابن جرير^(٩): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عدي بن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن؛ قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس.

= ولم يتفرد به ابن حميد. فأخرجه ابن الأنباري في «كتاب الأضداد» (ص ٣٣٤، ٣٣٥) قال: أخبرنا أبو الحسن بن البراء، قال: حدثنا ابن غانم وابن حميد قالا: ثنا سلمة بن الفضل بسنده سواء، وابن غانم لا أعرفه الآن، فليحرق، ولعله ابن هشام، وهو علي بن هاشم بن مرزوق الرازي فإن يكنه، فقد قال أبو حاتم: «صدوق».

(١) في «تفسيره» (٣٦٥). [وسنده حسن].

وأخرجه ابن الأنباري في «الأضداد» (ص ٣٣٦) من طريق عثمان بن أبي شيبة، والبيهقي في «الشعب» (ج ١/ رقم ١٤٤) من طريق حنبل بن إسحاق قالا: حدثنا سعيد بن سليمان بسنده سواء. ووقع عندهم: «من ذوي الأربعة الأجنحة».

(٢) في (ك): «مسلمة»!

(٣) أخرجه ابن جرير (٦٨٩) وسنده ضعيف لانقطاعه. ورواه أيضاً (١٦٩/١٥).

(٤) في (ز) و(ع): «إشرف».

(٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن جرير (٦٨٥) وسنده ضعيف.

(٧) في «تفسيره» (٧٠٠) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، قال: حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر، عن شريك بن عبيد الله بن أبي نمر، عن صالح مولى التوأمة به.

(*) قلت: هكذا وقع الإسناد: «شريك عن صالح مولى التوأمة» وقد أخرجه ابن جرير قبل ذلك (٦٩٠) وأيضاً في «سورة الكهف» (١٦٩/١٥) من طريق ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبي نمر، أحدهما أو كلاهما، عن ابن عباس فذكره.

والسند الأول ضعيف جداً لوهاء شيخ الطبري. وسلمة ضعيف.

وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (١١٣٢) من طريق إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إن إبليس من الملائكة فلما عصى غضب الله تعالى عليه فصار شيطاناً رجيماً. وسنده جيد.

(٨) أخرجه ابن جرير (٦٩٢)، وأيضاً (١٦٩/١٥) ورجاله ثقات.

(٩) أخرجه ابن جرير (٦٩٦)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (١١٢٩)؛ وابن الأنباري في «الأضداد» (ص ٣٣٧) من طرق عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي، عن الحسن البصري. وسنده صحيح كما قال المصنف.

وهذا إسناد صحيح عن الحسن. وهكذا قال عبد الرحمن^(١) بن زيد بن أسلم سواء.
وقال شهر بن حوشب^(٢): كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض
الملائكة، فذهب به إلى السماء. رواه ابن جرير.

وقال سنيد بن داود^(٣): حدثنا هشيم، أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى، عن موسى بن نمير،
وعثمان بن سعيد بن كامل، عن سعد بن مسعود؛ قال: كانت الملائكة تقاتل الجن، فسُبي إبليس
وكان صغيراً، فكان مع الملائكة يتعبد معها، فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا، فأبى إبليس؛
فلذلك قال تعالى: ﴿إِلَّا إِلَيْسَ كَانَ مِنْ آلِجِنَّ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال ابن جرير^(٤): حدثنا محمد بن سنان (القزاز)^(٥)، حدثنا أبو عاصم، عن شريك، عن
رجل، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: إن الله خلق خلقاً، فقال: اسجدوا لآدم، فقالوا: لا
نفعل، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقتهم، ثم خلق خلقاً آخر، فقال: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص:
٧١] اسجدوا لآدم. قال: فأبوا، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقتهم، ثم خلق هؤلاء فقال: اسجدوا
لآدم. قالوا: نعم. وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم.

وهذا غريب ولا يكاد يصح إسناده؛ فإن فيه رجلاً (مبهماً)^(٦)، ومثله لا يحتاج به. والله أعلم.
وقال قتادة^(٧) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: فكانت الطاعة لله، والسجدة
لآدم؛ أكرم الله آدم (بها)^(٨) أن أسجد له ملائكته.

^(٩) [وقال بعض الناس: كان هذا سجود تحية وسلام وإكرام؛ كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى
الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَحْمَةً لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ١٠٠] وقد
كان هذا مشروعاً في الأمم الماضية، ولكنه (نسخ في ملتنا)^(١٠).

قال (معاذ)^(١١): قدمت الشام، فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم، فأنت يا رسول الله
أحق أن يسجد لك. فقال: «لا، لو كنت آمراً بشراً أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد
(لبعلها)^(١٢) من عظم حقه عليها»^(١٣) [٩].

(١) أخرجه ابن جرير (٧٠١) وسنده صحيح. (٢) أخرجه ابن جرير (٦٩٨) وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير (٦٩٩) وفيه من لم أعرفه، وسياقه غريب جداً.

(٤) في «تفسيره» (٧٠٢)، وسنده ضعيف. (٥) في (ن): «البزاز»؛ وفي (ز): «العزاز»!!

(٦) في (ل): «متهماً» وهو خطأ فاحش!

(٧) أخرجه ابن جرير (٧٠٧) بسند صحيح عن قتادة. وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٦٤) من طريق الوليد بن مسلم،
ثنا سعيد، عن قتادة، عن ابن عباس. وسنده منقطع.

(٨) من (ز) و(هـ). (٩) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) في (ك): «نسخ خفي علينا»!! (١١) في (ك): «معاوية»!!

(١٢) في (ن): «لزوجها».

(١٣) أخرجه الترمذي (١١٥٩)؛ وابن حبان (١٢٩١)؛ والبيهقي في «السنن الكبير» (٢٩١/٧)؛ وفي «الصغرى»
(٢٥٩٨)؛ والأصبهاني في «الترغيب» (١٤٩٤) من طرق عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي
هريرة مرفوعاً فذكره.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وكذلك وقع في «تحفة الأحوذى» (٣٢٤/٤)، وفي «عارضه» =

(١١) [ورجحه الرازي (٢)].

وقال بعضهم: بل كانت السجدة لله وآدم قبله فيها، كما قال [١] (١) [تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وفي هذا التنظير نظر. والأظهر أن القول الأول أولى، والسجدة لآدم إكراماً وإعظماً، واحتراماً وسلاماً؛ وهي طاعة لله ﷻ؛ لأنها امتثال لأمره تعالى.

وقد قواه (فخر الدين) (٣) الرازي في «تفسيره»، وضعف ما عداه من القولين الآخرين؛ وهما كونه جعل قبله؛ إذ لا يظهر في شرف؛ والآخر أن المراد بالسجود الخضوع لا الانحناء ووضع الجبهة على الأرض، وهو ضعيف كما قال [١].

وقال (قتادة) (٤): في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ حسد عدو الله إبليس آدم ﷺ (على) (٥) ما أعطاه الله من الكرامة؛ وقال: أنا ناري وهذا طيني. وكان بدء الذنوب الكبير؛ استكبر عدو الله أن يسجد لآدم ﷺ.

(٦) [قلت: وقد ثبت في «الصحيح» (٧) «لا يدخل الجنة من كان» (٦) (٨) [في قلبه مثقال حبة (من) (٩) خردل من كبر]. وقد كان في قلب إبليس من الكبر، والكفر والعناد، ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس] (٨).

وقال ابن أبي حاتم (١٠): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، حدثنا صالح بن حيّان، حدثنا عبد الله بن بريدة - قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ من الذين أبوا فأحرقتهم النار.

وقال أبو جعفر (١١)، عن الربيع، عن أبي العالوية: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: من العصاة.

وقال السدي (١٢): ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الذين لم يخلقهم الله يومئذ، يكونون بعد.

(١٣) [وقال محمد بن كعب (١٤) القرظي: ابتداء الله خلق إبليس على الكفر والضلالة وعمل بعمل] (١٣)

= [الأحوذى] (١١٠/٥)، و«تحفة الأشراف» (١٨/١١) ولكن نقل المنذري في «الترغيب» (٥٦/٣) أن الترمذي قال: «حسن صحيح» وكذلك وقع في سائر طبقات «الترغيب» وراجعت بعض مخطوطات «الترغيب» وعندي منها عشرة، فكلها اتفقت على هذا النقل، وكذلك نقل العجلوني في «كشف الخفاء» (١٦٢/٢) فالله أعلم. وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وشواهد عن كثير من الصحابة. يصفو منها شيء حسن.

(١) في «تفسيره» (٢٣٠/١، ٢٣١).

(٣) ساقط من (ن).

وأثر قتادة: أخرجه ابن أبي حاتم (٣٦٨) بسند صحيح.

(٥) ساقط من (ج) و(ك) و(هـ) و(ي).

(٧) يعني: «صحيح مسلم»، وهو فيه (١٤٨/٩١) من طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود مرفوعاً بلفظ: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء».

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) في «تفسيره» (٣٧٠) وسنده ضعيف؛ لضعف صالح بن حيّان.

(١١) أخرجه ابن جرير (٧٠٥)؛ وابن أبي حاتم (٣٧١) وسنده حسن.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٧٣) معلقاً.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٧٢) من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن محمد بن كعب. والربذي ضعيف.

(١) [الملائكة، فصيره الله إلى ما (ابتدأه)^(٢) عليه خلقه من الكفر؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١)].

(٣) [قال محمد بن نصر^(٤) المروزي: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمرو بن^(٣) [رافع البجلي، حدثنا كنانة بن جبلة، عن سهيل بن أبي (حزم)^(٦)، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر آدم بالسجود، فسجد؛ فقال: لك الجنة ولمن سجد من ولدك، وأمر إبليس بالسجود، فأبى أن يسجد، فقال: لك النار ولمن أبى من ولدك أن يسجد»^(٥)].

(٧) [قال بعض (المعربين)^(٨): ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: وصار من الكافرين بسبب امتناعه؛ كما قال: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِفِينَ﴾ [هود: ٤٣] وقال: ﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] وقال الشاعر: بتيها قفر والمطي كأنها قطا الحزن قد كانت فراخاً بيوضها أي: قد صارت.

وقال ابن فورك: تقديره: و(قد)^(٩) كان في علم الله من الكافرين. ورجحه القرطبي^(١٠)، وذكرها هنا مسألة، فقال: قال علماؤنا (رحمهم الله)^(١١): من أظهر الله على يديه ممن ليس بنبي كرامات وخوارق للعادات؛ فليس ذلك دالاً على ولايته، خلافاً لبعض الصوفية والرافضة^(٧).

- (١) ساقط من (ك) و(ي).
- (٢) كذا في (ن)؛ وفي (ز) و(ل): «أبدى»؛ وفي (ج): «بدأ».
- (٣) ساقط من (ز) و(ض) و(ه) و(ي).
- (٤) في «كتاب الصلاة» (٣١٨).
- وأخرجه البزار (٧٥٤ - زوائده)؛ وابن عدي في «الكامل» (٢٠٩٥/٦) من طريق يحيى بن أبي بكير، ثنا كنانة بن جبلة بسنده سواء.
- قال البزار: «غريب من حديث أنس، لا نعلمه عنه إلا من هذا الوجه؛ تفرد به: كنانة عن سهيل».
- وقال ابن عدي: «وهذا لا أعلم يرويه عن سهيل غير كنانة بن جبلة».
- (*) قلت: وكنانة بن جبلة قال ابن معين: «كذاب خبيث» وعلق عثمان الدارمي على مقالة ابن معين قائلاً: «هو قريب مما قال يحيى: خبيث الحديث». وقال الجوزجاني: «ضعيف الأمر جداً».
- أما أبو حاتم الرازي فقال: «محل الصدق، يكتب حديثه، حسن الحديث». كذا في «الجرح والتعديل» (٣/١٦٩، ١٧٠) لولده عبد الرحمن.
- وقال ابن عدي: «ولكنانة أحاديث غير هذا، ومقدار ما يرويه غير محفوظ» وهذا يدل على وهائه. أما صاحبنا عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي أيده الله فسبق قلمه فقال في تعليقه على الحديث في «كتاب الصلاة» أن كنانة مجهول!!
- وأيضاً: سهيل بن أبي حزم ضعيف. فسد الحديث واه. والله أعلم.
- وفي معناه حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، ويقول: يا ويله! أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار».
- أخرجه مسلم (١٣٣/٨١) وغيره ويأتي تخريجه إن شاء الله تعالى.
- (٥) ساقط من (ز) و(ه) و(ي).
- (٦) في (ج) و(ل): «حسنة»! وفي بقية الأصول: «حزمة»!!
- (٧) ساقط من (ز) و(ه) و(ي).
- (٨) كذا في (ج) و(ن)؛ وفي (ك) و(ي): «المفسرين» وفي (ل): «المقرئين».
- (٩) من (ن).
- (١٠) في «تفسيره» (٢٩٧/١).
- (١١) ساقط من (ن).

(١١) [هذا لفظه، ثم استدل على ما قال بأننا لا نقطع (لهذا) (٢) الذي جرى الخارق على يديه أنه يوافق الله بالإيمان (ولا هو) (٣) يقطع لنفسه بذلك، يعني: (والولي) (٤) الذي يقطع له بذلك في نفس الأمر.

قلت: وقد استدل بعضهم على أن الخارق قد يكون على (يد) (٥) غير الولي؛ بل قد يكون على (يدي) (٦) الفاجر والكافر أيضاً بما ثبت (٧) عن ابن صياد أنه قال: هو الدخ حين خبأ له رسول الله ﷺ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان] وبما كان يصدر عنه أنه كان يملأ الطريق إذا غضب حتى ضربه عبد الله بن عمر؛ وبما ثبت (٨) به الأحاديث عن الدجال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة؛ من أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض مثل اليعاسيب؛ وأنه يقتل ذلك الشاب ثم يحييه إلى غير ذلك من الأمور الموهلة.

وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصدي: قلت للشافعي: كان الليث بن سعد يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره (٩) [على الكتاب والسنة] (١٠). فقال الشافعي: قصر الليث ﷺ؛ بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء فلا تغتروا به، حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة (٩).

(١١) [وقد تكلم كثير من المفسرين عند هذه الآية وهي الأمر بسجود الملائكة لآدم على مسألة تفضيل البشر على الملك أو بالعكس، وقد بسط الكلام فيها فخر الدين الرازي في «تفسيره» (١٢)، وحكى عن أكثر أهل السنة أن الأنبياء أفضل من الملائكة، إلا أن أبا بكر الباقلائي، وأبا عبد الله الحلبي، فإنهما ذهبا إلى تفضيل الملائكة على الأنبياء، ثم شرع بذكر دلائل كل قول من الأقوال، وهذه المسألة مقررة في علم الأصول، وفيها أقوال كثيرة منتشرة، ولم يتكلم كثير من السلف فيها، فرأينا الإضراب عن بسط الكلام فيها ها هنا والله أعلم بالصواب] (١١).

(١٣) [وقد حكى (فخر الدين) (١٤) (الرازي) (١٥) وغيره قولين للعلماء، هل المأمور بالسجود لآدم خاص بملائكة الأرض، أو عام في ملائكة] (١٣).

(١) ساقط من (ز) و(هـ) و(ي).

(٢) في (ن): «بهذا».

(٣) في (ن): «وهو لا».

(٤) في (ج): «والذي»!

(٥) كذا في (ج)، (ل)؛ وفي (ك) و(ن): «يدي».

(٦) في (ن): «يد».

(٧) أخرجه البخاري (٢١٨/٣)؛ ٢٤٩/٥؛ ١٦٠/٦؛ ١٧١، ١٧٢؛ ٥٦٠/١٠؛ ٥٦١؛ ٥١٣/١١؛ ٥١٤؛ وفي «الأدب المفرد» (٩٥٨)؛ ومسلم (٢٩٣٠/٩٥، ٩٦).

(٨) وأحاديث الدجال متواترة، خلافاً لبعض المبتدعة الذين يزعمون أنها أخبار آحاد لا تقوم بها حجة في العقيدة. ومن تكلم في غير منه أتى بالعجائب.

(٩) ساقط من (ز) و(هـ) و(ي).

(١٠) وقعت العبارة في (ن): «يمشي على الماء ويطير في الهواء». وهو سهو من الناسخ ولم يقع الطيران في الهواء في كلام الليث.

(١١) هذا المقطع من (ج) و(ل). وسقط من (ز) و(ك) و(ن) و(هـ) و(ي).

(١٢) (٢٣٤/١ - ٢٥٥).

(١٣) ساقط من (ز) و(هـ) و(ي).

(١٤) ساقط من (ن).

(١٥) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(١) [السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ؟ وَقَدْ رَجَحَ كَلَا مِنْ الْقَوْلَيْنِ طَائِفَةٌ. وَظَاهَرَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الْعَمُومُ: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٢٥) إِلَّا إِبْلِيسَ] [الحجر: ٣٠، ٣١] فهذه أربعة أوجه مقوية للعموم. والله أعلم! (١).

﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥) فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفَرٌّ وَمَتَّعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (٢٦).

(يقول الله تعالى) (٢) - إخباراً عما أكرم به آدم: بعد أن أمر (ملائكته) (٣) بالسجود له فسجدوا إلا إبليس: إنه أباحه الجنة؛ يسكن منها حيث يشاء، ويأكل منها ما (يشاء) (٤) رَغَدًا؛ أي: هنيئاً واسعاً طيباً.

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه (٥)، من حديث محمد بن عيسى الدامغاني، حدثنا سلمة بن الفضل، عن ميكائيل، عن ليث، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر؛ قال: قلت: يا رسول الله؛ أرايت آدم؛ أنبيأ كان؟ قال: «نعم نبيأ رسولاً (كَلَّمَهُ) (٦) الله (قَبْلًا) (٧) - يعني: عياناً) (٨) فقال: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾.

وقد اختلف في الجنة التي أسكنها آدم أهى في السماء (أو) (٩) في الأرض؟ فالأكثر على الأول.

(١) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(٢) في (ن): «يقول تعالى».

(٣) في (ز) و(ض) و(ن): «الملائكة».

(٤) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) ووقع في (ز) و(ع) و(ن) و(هـ) و(ي): «شاء».

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٥٩) قال: حدثنا العباس بن حمدان، وأيضاً رقم (٧٣٣٥) قال: حدثنا محمد بن أبان قال: ثنا محمد بن عيسى الدامغاني بسنده سواء. قال الطبراني في «الموضع الأول»: «لم يروه عن إبراهيم التيمي إلا ليث، ولا رواه عن ليث إلا ميكال، وهو شيخ كوفي، ولا نعلمه أسند حديثاً غير هذا».

وزاد في «الموضع الثاني»: ولا، يعني: رواه، عن ميكائيل، إلا سلمة بن الفضل.

(*) قلت: والسند ضعيف جداً، ومن دون إبراهيم التيمي هم ما بين ضعيف ومجهول، والدامغاني فيه توثيق لين، وقد خالفه محمد بن حميد الرازي، فرواه عن سلمة بن الفضل، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن جعفر بن الزبير، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة، عن أبي ذر فذكر مثله. أخرجه ابن جرير في «التاريخ» (١/١٥١)؛ وابن حميد واه، وجعفر بن الزبير ساقط ثم رأيت الدامغاني رواه عن سلمة بن الفضل مثل رواية ابن حميد.

أخرجه أبو الشيخ في «كتاب العظمة» (١٠١٦).

وله طريق آخر عن أبي ذر مثله. أخرجه ابن جرير في «تاريخه» (١/١٥٠، ١٥١). وقد اختلف في سنده. فأخرجه أحمد (٥/٢٦٥، ٢٦٦)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٨/رقم ٧٨٧١) من طريق معان بن رفاعه، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة وساق حديثاً طويلاً وفيه: «قلت: يا نبي الله! فأى الأنبياء أول؟ قال: آدم. قلت: يا نبي الله! أو نبي كان آدم؟ قال: نعم نبي مكلم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم قال: يا آدم قبلاً...».

وسنده ضعيف جداً، وقد تقدم الكلام عليه.

(٦) في (ن): «يكلمه».

(٧) في (ن): «قبلاً».

(٩) في (ز): «أم».

(٨) زيادة من (ن).

(١) [وحكى القرطبي^(٢) عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الأرض]^(١).

وسياتي تقرير ذلك في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى.

وسياق الآية يقتضي أن حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة.

وقد صرح بذلك محمد بن^(٣) إسحاق؛ حيث قال: لما فرغ الله من معاتبة إبليس أقبل على آدم، وقد علمه الأسماء كلها؛ فقال: ﴿يَتَادُمُ أَتَيْنُهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ...﴾ [البقرة: ٣٣] إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٥) [البقرة: ٣٢] قال: ثم ألقيت السنة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم، (عن ابن عباس وغيره)^(٦)؛ ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر، ولأم مكانه لحماً، وآدم نائم لم يهب من نومه، حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء؛ فسواها امرأةً ليسكن إليها. فلما كشف عنه السنة وهب من نومه رآها إلى جنبه؛ فقال - فيما يزعمون والله أعلم: «لحمي ودمي (وزوجتي)»^(٧)؛ فسكن إليها. فلما زوجه الله، وجعل له سكناً من نفسه، قال له (قبلاً)^(٨): ﴿يَتَادُمُ أَتَيْنُهُمْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

ويقال: إن خلق حواء كان بعد دخول الجنة، كما قال السدي في (خبر)^(٩)، ذكره^(١٠) عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة: أخرج إبليس من الجنة، وأسكن آدم الجنة؛ فكان يمشي فيها (وحشاً)^(١١) ليس له زوج يسكن إليه، فنام نومةً، فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها: ما أنت؟ قالت: امرأة. قال: ولم خلقت؟ قالت: (تسكن)^(١٢) إلي. قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء. قالوا: ولم حواء؟ قال: إنها خلقت من شيء حي^(١٣)، قال الله: ﴿يَتَادُمُ أَتَيْنُهُمْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(هـ)، وسقط من سياق (ع) واستدركه الناسخ في «الحاشية» بخط دقيق جداً.

(٢) في «تفسيره» (٣٠٢/١) وعبارته هناك: «ولا التفات لما ذهب إليه المعتزلة والقدرية من أنه لم يكن في جنة الخلد، وإنما كان في جنة بأرض عدن، واستدلوا على بدعتهم... إلخ».

(٣) أخرجه ابن جرير (٧١١) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، يعني: ابن الفضل، عن ابن إسحاق بسنده سواء. وقد تقدم أن هذا الإسناد ضعيف جداً.

(٤) كذا في كل «الأصول»، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (٥١٤/١ - شاكراً)، ووقع في (ك): إلى قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُونُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

(٥) سقطت هذه اللفظة من (هـ).

(٦) هذه الجملة ثابتة في كل «الأصول»، وضرب عليها ابن المحب في (ج).

(٧) كذا في كل «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»، ووقع في (ز) و(ض): «روحي».

(٨) في (ن): «قبلاً» وفي هامش (ي): يعني: «مشافهة».

(٩) في (ز) و(ض): «تفسيره».

(١٠) أخرجه ابن جرير (٧١٠) [وسنده ضعيف].

(١١) في (ن): «وحشاً»؛ وفي «القاموس»: «الوحش: حيوان البر، كالوحش» ووقع في «القرطبي» (٣٠١/١): «مستوحشاً».

(١٢) في (ز) و(ن): «لتسكن» وما في سائر «الأصول» هو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(١٣) وأخرجه ابن منده في «التوحيد» (٨١) من طريق عبد الله بن محمد بن النعمان قال: حدثنا عمرو بن حماد، =

(١) [وأما قوله (تعالى) (٢)]: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ فهو اختبار من الله تعالى، وامتحان لآدم.

وقد اختلف في هذه الشجرة ما هي؟ فقال السدي (٣)، عمن حدثه، عن ابن عباس: الشجرة التي نُهي عنها آدم ﷺ هي الكرم. وكذا قال سعيد بن (٤) جبير، والسدي، والشعبي، وجعدة بن هبيرة، ومحمد بن قيس.

وقال السدي أيضاً في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ هي الكرم (٥). (وترجم) (٦) يهود أنها الحنطة.

وقال ابن جرير (٧)، وابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي، حدثنا أبو يحيى الحماني، حدثنا (النضر) (٨) أبو عمر الخزاز، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: الشجرة التي نهى (الله) (٩) عنها آدم ﷺ هي: السنبلة.

وقال عبد الرزاق (١١): أنبأنا ابن عيينة وابن المبارك، عن الحسن بن عمار، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، (١٢) [قال: هي السنبلة.

وقال محمد بن (١٣) إسحاق، عن رجل من أهل العلم، عن مجاهد، عن ابن عباس؛ (١٢) قال: هي البر.

= حدثنا أسباط بن نصر، عن إسماعيل السدي بسنده سواء. وقال: «هذا إسناد ثابت». وهذا يوافق ما سبق أن حققته، وانفصلت على قوة هذا الإسناد فالحمد لله على التوفيق.

- (١) ساقط من (ل). (٢) من (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ها) و(ي). (٣) أخرجه ابن جرير (٧٣٠)؛ وابن أبي حاتم (٣٨٠) من طريق إسرائيل بن يونس، عن السدي به. وضعفه ظاهر. وعزه السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣/١) لابن المنذر. (٤) أخرج هذه الآثار كلها ابن جرير (٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٨، ٧٣٩) ولم يذكر ابن جرير شيئاً عن الشعبي، إنما يرويه الشعبي عن جعدة بن هبيرة. وكذلك أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣٤/١) وسنده صحيح.

- (٥) [وسنده ضعيف]. (٦) في (ج) و(ك) و(ل) و(ض): «يزعم». (٧) في «تفسيره» (٧١٨)؛ وابن أبي حاتم (٣٨١) قالوا: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي بسنده سواء. وسنده واه، والنضر بن عبد الرحمن ضعيف جداً. (٨) في (ن): «أبو النضر» وهو خطأ. (٩) من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ها) و(ي)، ووقع في (ز) و(ض) و(ن): «نهى عنها آدم». (١٠) من (ز) و(ن). (١١) أخرجه ابن جرير (٧٢٥) وسنده ضعيف جداً، والحسن بن عمار متروك. (١٢) ساقط من (ك).

(١٣) أخرجه ابن جرير (٧٢٤) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، بسنده سواء وسنده ضعيف جداً.

ووقع في (ز) و(ن): «محمد بن إسحاق، عن رجل من أهل العلم، عن حجاج، عن مجاهد...». هكذا بزيادة: «حجاج» في الإسناد وهو خطأ محقق من الناسخ.

وقال ابن جرير^(١): وحدثني المثنى بن إبراهيم، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا القاسم، حدثني رجل من بني تميم - أن ابن عباس كتب إلى أبي (الجلد)^(٢) يسأله عن الشجرة التي أكل منها آدم، والشجرة التي تاب عندها آدم، فكتب إليه أبو (الجلد)^(٢): سألتني عن الشجرة التي نهى عنها آدم، وهي السنبلة، وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهو الزيتونة.

وكذلك^(٣) فسر الحسن البصري، وهب بن منبه، وعطية العوفي، وأبو مالك، ومحارب بن دثار، وعبد الرحمن بن أبي ليلى.

(وقال)^(٤) محمد بن إسحاق^(٥)، عن بعض أهل اليمن، عن وهب بن منبه - أنه كان يقول: هي البر، ولكن الحبة منها في الجنة ككلى البقر، (ألين)^(٦) من الزبد، وأحلى من العسل.

وقال سفيان الثوري^(٧)، عن حصين، عن أبي مالك: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ - قال: النخلة.

وقال (ابن جريج)^(٨)، عن مجاهد^(٩): ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ - قال: التينة.

وبه قال قتادة، وابن جريج^(١٠).

وقال أبو جعفر^(١١) الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: كانت الشجرة من أكل منها أحدث، ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث.

وقال عبد الرزاق^(١٢): حدثنا عمر بن عبد الرحمن بن (مهرب)^(١٣)؛ قال: سمعت وهب بن

(١) في «تفسيره» (٧٢٣) وسنده ضعيف.

(٢) (٢) في (ض): «مجلد»! وهو خطأ ظاهر.

(٣) هذه عبارة ابن أبي حاتم في «تفسيره» (ص ١٢٧ - البقرة)، وهذه الآثار أسندها ابن جرير في «تفسيره» (٧٢٦، ٧٢٨، ٧٢٩).

(٤) ساقط من (ض).

(٥) أخرجه ابن جرير (٧٢٦) قال: حدثنا ابن حميد؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٨٢) عن محمد بن عيسى قال: ثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق به. زاد ابن جرير: «وأهل التوراة يقولون: هي البر».

وسنده ضعيف.

(٦) في (ن): «وألين».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٨٤) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو أحمد، عن سفيان بسنده سواء. وسنده جيد.

(٨) في (ز) و(ن): «ابن جرير» وهو خطأ، لأن ابن جرير لم يروه عن مجاهد كما يأتي.

(٩) أخرجه ابن حاتم (٣٨٣) من طريق ابن أبي زائدة، قال ابن جريج، عن مجاهد. [وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من مجاهد].

(١٠) أخرجه ابن جرير (٧٤٠) من طريق حجاج الأعور، عن ابن جريج عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: «تينة» وسنده ضعيف معضل، وواضح أن هذا ليس تفسير ابن جريج، ولكن المصنف تبع ابن أبي حاتم في هذا القول.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٨٥). [وسنده جيد].

(١٢) أخرجه ابن جرير (٧٤٢) مطولاً؛ وابن أبي حاتم (٣٨٦) من طريقين عن عبد الرزاق به وسنده إلى وهب صحيح.

(١٣) وقع في (ل): «مهدي» وفي (ن): «مهران» وكلاهما خطأ، والصواب ما أثبتته، وهو عمر بن عبد الرحمن بن مهرب، ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٢١/١/٣) وقال: «يعرف بابن الدرية... سمع وهب بن منبه، روى عنه إبراهيم بن خالد الصنعاني وعبد الرزاق... ثم نقل عن ابن معين قال: ثقة». اهـ. =

منبه يقول: لما أسكن الله آدم وزوجته الجنة، ونهاه عن أكل الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها (في)^(١) بعض، وكان لها ثمر - يأكله الملائكة لخلدهم، وهي (الثمرة)^(٢) التي نهى الله عنها آدم وزوجته.

فهذه أقوال ستة في (تعين)^(٣) هذه الشجرة.

قال الإمام العلامة أبو جعفر^(٤) بن جرير رحمته الله: والصواب في ذلك أن يقال إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل (شجرة)^(٥) بعينها من أشجار الجنة دون سائر (أشجارها)^(٦)، فأكلا منها ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين؛ لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة. وقد قيل: كانت شجرة البر. وقيل: كانت شجرة العنب. وقيل: كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها؛ وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به. والله أعلم.

^(٧) [وكذلك رجع (الإبهام)^(٨) (فخر الدين)^(٩) الرازي في «تفسيره»^(١٠) وغيره وهو الصواب]^(٧).

وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ يصح أن يكون الضمير في قوله: «عنها» عائداً إلى الجنة، فيكون معنى الكلام - كما قرأ (حمزة)^(١١) و^(١٢) [عاصم (بن بهدلة)^(١٣) وهو ابن أبي النجود]^(١٢):

= وقال الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر رحمته الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/٥٢٥): «ومهرب» لم أجد نصاً بضبطها في هذا النسب، إلا قول صاحب «القاموس» أنهم سموها من مادة: «ه ر ب» بوزن «محسن»، يعني: بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه... اهـ.

(١) في (ز) و(ن): «من».

(٢) في (ز): «تفسير»، وأشار في هامش (ن): إلى أن ذلك وقع في نسخة.

(٣) في «تفسيره» (١/٥٢٠، ٥٢١ شاكر).

(٤) في (ج) و(ل): «الأشجار».

(٥) في (ك): «الإمام»!

(٦) في (ز) و(ن): «من».

(٧) في (ز) و(ن): «من».

(٨) في (ز) و(ن): «من».

(٩) في (ز) و(ن): «من».

(١٠) في (ز) و(ن): «من».

(١١) في (ز) و(ن): «من».

(١٢) في (ز) و(ن): «من».

(١٣) في (ز) و(ن): «من».

وقال السمين الحلبي في «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون» (١/٢٨٧، ٢٨٨): «قرأ حمزة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ والقراءتان يحتمل أن تكونا بمعنى واحد، وذلك أن قراءة الجماعة ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ [البقرة: ٣٦] يجوز أن تكون من: «زل عن المكان» إذا تنحى عنه، فتكون من الزوال كقراءة حمزة، ثم ذكر شعراً لا مريئ القيس ثم قال: فرددنا قراءة الجماعة إلى قراءة حمزة، أو نرد قراءة حمزة إلى قراءة الجماعة بأن نقول: معنى: أزالهما؛ أي: صرفهما عن طاعة الله تعالى، فأوقعهما في الزلة، لأن إغواءه وإيقاعه لهما في الزلة سبب للزوال. اهـ.

ورجح الطبري في المعنى رواية الجماعة. والله أعلم.

(١٣) ساقط من (ن).

(فأزالهما)^(١)؛ أي: فنحاهما.

ويصح أن يكون عائداً على أقرب المذكورين، وهو والشجرة، فيكون معنى الكلام - كما قال الحسن^(٢)، وقتادة: فأزالهما؛ أي: من (قبل)^(٣) الزلل، فعلى هذا يكون تقدير الكلام: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ أي: بسببها، كما قال (تعالى)^(٤): ﴿يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُولَئِكَ﴾ [الذاريات] أي: يصرف بسببه من هو مأفوك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ أي: من اللباس، والمنزل الرحب، والرزق الهنيء، والراحة.

﴿وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: قرار وأرزاق وآجال.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت مؤقت ومقدار معين، ثم تقوم القيامة.

وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدي بأسانيده، وأبي العالية، ووهب بن منبه، وغيرهم ها هنا أخباراً إسرائيلية عن قصة الحية وإبليس، وكيف جرى من دخول إبليس إلى الجنة ووسوسته؛ وسنيسط^(٥) ذلك إن شاء الله في سورة الأعراف؛ فهناك القصة أبسط منها ها هنا. والله الموفق.

وقد قال ابن أبي حاتم^(٦) ها هنا: حدثنا علي بن (الحسين)^(٧) بن إشكاب، حدثنا علي بن عاصم، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي بن كعب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم رجلاً طويلاً كثير شعر الرأس، كأنه نخلة سحوق، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه؛ فأول ما بدا منه عورته؛ فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة، فأخذت شعره شجرة، فنازعها، فناداه الرحمن: يا آدم، مني تفر.

فلما سمع كلام الرحمن قال: يا رب؛ لا، ولكن استحياء».

قال^(٨): وحدثني جعفر بن أحمد بن الحكم (القومسي)^(٩) سنة أربع وخمسين مائتين، حدثنا (سليم)^(١٠) بن منصور بن عمار، حدثنا علي بن عاصم، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي بن

(١) في (ز) و(ض) و(ك): «فأزالهما» وفيه تضييع لهذا الوجه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٨٨، ٣٨٩) عنهما. (٣) في (ز) و(ض) و(ي): «قبيل».

(٤) من (ز) و(ع) و(ن) و(ي). (٥) ويأتي تخريجه أيضاً هناك إن شاء الله تعالى.

(٦) في «تفسيره» (٣٩٢).

وقال الحافظ في «الفتح» (٣٦٧/٦): «إسناده حسن».

(٧) وقع في (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي): «الحسن» وهو خطأ، هو علي بن الحسين بن إبراهيم بن الحر بن زعلان أبو الحسن بن إشكاب البغدادي ثقة مأمون.

(٨) يعني: ابن أبي حاتم رقم (٣٩٣).

(٩) كذا في (ع) و(ك) و(ل) و(ها) و(ي) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»، و«قومس» بضم القاف وسكون الواو وكسر الميم ثم سين مهملة ناحية تقع بين «الري» و«نيسابور» كما في «معجم البلدان» (٤/٤١٤). ووقع في (ض): «القونسي» وفي (ز) و(ن): «القرشي» وكلاهما خطأ.

(١٠) وقع في كل «الأصول»: «سليمان» وهو خطأ، وصوابه: «سليم» كما ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/٢١٦)؛ والخطيب في «تاريخه» (٩/٢٣٢)؛ و«الميزان» (٢/٢٣٢)؛ و«اللسان» (٣/١١٢) وقال ابن أبي حاتم: «سألت أبي عنه فقلت: أهل بغداد يتكلمون فيه، فقال: مه، سألت ابن أبي الثلج عنه فقلت له: إنهم يقولون: كتب عن ابن علي وهو صغير، فقال: لا، كان هو أسن منا».

كعب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما ذاق آدم من الشجرة (فر)^(١) هارباً، فتعلقت شجرة بشعره، فنودي: يا آدم؛ أفراراً مني؟ قال: بل حياءً منك. قال: يا آدم، أخرج من جوارى، فبعزتي لا يساكنني فيها من عصاني، ولو خلقت مثلك ملء الأرض خلقاً، ثم عصوني، لأسكنتهم دار العاصين».

هذا حديث غريب، وفيه انقطاع؛ بل إعضال^(٢) بين قتادة وأبي بن كعب رضي الله (عنه)^(٣). وقال الحاكم^(٤): حدثنا أبو بكر بن (بالويه)^(٥)، عن محمد بن أحمد بن النضير، عن معاوية بن عمرو، عن زائدة، عن عمار بن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ما (أسكن)^(٦) آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس. ثم قال: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

^(٧) [وقال عبد بن حميد في «تفسيره»: حدثنا روح، عن هشام، عن الحسن؛ قال: لبث آدم في الجنة ساعة من نهار، تلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا]^(٧).

وقال أبو جعفر^(٨) الرازي: عن الربيع بن أنس، قال: خرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة، فأخرج آدم معه غصناً من شجرة الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة، وهو الإكليل من ورق الجنة.

وقال السدي^(٩): قال الله تعالى: ﴿أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ فهبطوا، ونزل آدم بالهند، ونزل معه الحجر الأسود، وقبضة من ورق الجنة، فبثه بالهند، فنبتت شجرة الطيب؛ فإنما أصل ما يجاء به من الطيب من الهند من قبضة الورق التي هبط بها آدم، وإنما قبضها آدم أسفاً على الجنة حين أخرج منها.

(١) في (ز) و(ن): «فر» وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم» وفي سائر «الأصول»: «مر».

(٢) [وسنده ضعيف كما قرر الحافظ ابن كثير]. (٣) في (ز): «عنهما».

(٤) في «كتاب التاريخ من المستدرک» (٥٤٢/٢) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج ٣/رقم ٥٥٨٠)؛ عن ابن جريج قال: حدثني حسن بن مسلم، لا أعلمه إلا، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وقال ابن جريج: وحدثني عثمان بن أبي سليمان نحوه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وسئل عن تلك الساعة فقال: خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة، وخلق من أديم الأرض كلها، أحمرها وأسودها، وطيبها وخبيثها، ولذلك كان في ولده الأسود والأحمر والطيب والخبيث، فأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، فله ما أمسى ذلك اليوم حتى عصاه، فأخرجه منها.

وهو صحيح من الوجهين وحسن بن مسلم وعثمان بن أبي سليمان كلاهما ثقة. ثم أخرجه عبد الرزاق (٥٥٨١) عن إبراهيم بن يزيد قال: حدثني حسن بن مسلم بسنده سواء نحوه. وإبراهيم متروك.

(٥) في (ن) و(هـ): «باكويه»؛ وفي (ل): «مالويه»! وهو خطأ، وهو محمد بن أحمد بن بالويه أبو بكر النيسابوري. مترجم في «سير النبلاء» (٤١٩/١٥). قال الحاكم: توفي سنة أربعين وثلاثمائة.

(٦) في (ض) و(هـ): «سكن» وهو الموافق لما في «المستدرک»، ولكن في طبعته تحريف كثير.

(٧) استدركه ناسخاً (ج) و(ع) في الحاشية، وصرح في (ج) أنها حاشية.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٩٤) [وسنده جيد] وأخرجه ابن جريج في «تاريخه» (١١٨/١) مختصراً.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٠١، ٤٢٢) قال: حدثنا أبو زرعة. ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي. وسنده حسن إلى السدي.

وقال عمران^(١) بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: أهبط آدم بـ«دحنا»^(٢): أرض بالهند.

وقال ابن أبي^(٣) حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس؛ قال: أهبط آدم ﷺ إلى أرض يقال لها: «دحنا» بين مكة والطائف. وعن الحسن البصري قال: أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بـ«دست ميسان»^(٤) من البصرة على أميال، وأهبطت الحية بأصبهان. رواه ابن أبي^(٥) حاتم.

وقال (ابن أبي حاتم)^(٦): (حدثنا)^(٧) محمد بن عمار بن الحارث، حدثنا محمد بن سعيد بن سابق، حدثنا (عمرو)^(٨) بن أبي قيس، عن (الزبير)^(٩) (بن)^(١٠) عدي، عن ابن عمر^(١١)؛ قال: أهبط آدم بالصفاء وحواء بالمرورة.

وقال رجاء بن (أبي سلمة)^(١٢): أهبط آدم ﷺ يده على ركبتيه مطأطئاً رأسه، وأهبط إبليس، مشبكاً بين أصابعه، رافعاً رأسه إلى السماء.

وقال عبد الرزاق^(١٣): قال معمر: أخبرني عوف، عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى؛ قال:

(١) أخرجه ابن جرير في «التاريخ» (١/١٢١)؛ والحاكم (٥٤٢/٢) عن موسى بن هارون قالاً: ثنا عمرو بن علي، ثنا عمران بن عيينة بسنده سواء ولم يذكر الحاكم اسم البلد، ووقع عند ابن جرير «دهنا»؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٩٧) عن المقدمي ثنا عمران بن عيينة به. وعطاء بن السائب كان اختلط، وقد اختلف عليه في تعيين موقع الأرض التي نزل عليها آدم ﷺ كما يأتي. أما الحاكم فقال: «هذا حديث صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي.

(٢) و«دحنا» بفتح أوله وسكون المهملة ثم نون وألف أرض خلق الله منها آدم كما في «معجم البلدان» (٢/٤٤٤) وهي من مخاليف الطائف.

(٣) في «تفسيره» (٣٩٨) وربما كان هذا السند أمثل من الذي قبله من جهة أن جرير بن عبد الحميد أوثق من عمران بن عيينة، لكنه، أعني جريراً، سمع من عطاء بعد الاختلاط أيضاً.

(٤) وهي محلة جلييلة بن «واسط» و«البصرة» و«الأهواز»، وهي إلى الأهواز أقرب (ياقوت) (٢/٤٥٥).

(٥) في «تفسيره» (٣٩٩) وسنده ضعيف.

(٦) في (ن): «محمد بن أبي حاتم» وهو غلط ظاهر، وقد سقطت أداة الكنية فهو: «أبو محمد بن أبي حاتم».

(٧) ساقط من (ل).

(٨) في (ن): «عمر» بدون الواو، غلط.

(٩) في (ل): «عن» غلط.

(١٠) في (ل): «عن» غلط.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٩٦) [وسنده ضعيف لأن الزبير بن عدي لم يسمع من ابن عمر والرواية من الإسرائيليات].

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٩٥) وسنده قوي. ووقع في كل «الأصول»: «رجاء بن سلمة» والصواب ما أثبتته، واسم أبو سلمة مهران الشامي كما في «التهذيب» (٩/١٦١).

(١٣) في «تفسيره» (٤٣/١)، (٤٤) ومن طريقه ابن أبي حاتم (٤٢١).

وأخرجه البزار (٢٢٤٥ - كشف)؛ وابن جرير (٥٣٧) عن ابن أبي عدي. والحاكم في «المستدرک» (٢/٥٤٣) وعنه البيهقي في «البعث والنشور» (١٨٠) عن هودبة بن خليفة كلاهما عن عوف بن أبي جميلة. عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى الأشعري فذكره موقوفاً. ووقع في «المستدرک»: «عن أبي بكر بن أبي موسى» وهو خطأ.

(*) قلت: فقد رواه معمر وابن أبي عدي وهودبة بن خليفة ثلاثتهم عن عوف به موقوفاً وخالفهم ربعي بن علي - أخو إسماعيل بن علي - فرواه عن عوف، عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى مرفوعاً. أخرجه البزار =

إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علّمه صنعة كل شيء، وزوده من ثمار الجنة؛ فشارككم هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير.

وقال الزهري، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، (عن أبي هريرة)^(١)؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها» رواه مسلم^(٢)، والنسائي.

^(٣)[وقال (فخر الدين)^(٤) (الرازي)^(٥): اعلم أن في هذه الآية (تهديداً)^(٦) عظيماً عن كل المعاصي من وجوه:^(٣)].

^(٧)[الأول - أن من تصور ما جرى على آدم بسبب إقدامه على هذه الزلة الصغيرة كان على وجل شديد من المعاصي؛ قال الشاعر:

يا ناظراً يرنو بعيني راقداً
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي
أنسيت ربك حين أخرج آدم
قال ابن القاسم:

ولكننا سبى العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم
^(٨)[قال (فخر الدين)^(٩) (الرازي)^(١٠)، عن فتح الموصلي، أنه قال: كنا قوماً من أهل الجنة فسبانا إبليس إلى الدنيا، فليس لنا إلا الهم والحزن حتى نرد إلى الدار التي أخرجنا منها^(١١)].

فإن قيل: فإن كانت جنة آدم التي أخرج منها في السماء كما يقوله الجمهور من العلماء، فكيف تمكن إبليس من دخول الجنة وقد طرد من هناك طرداً قديراً؟ والقدرى لا يخالف ولا يمانع؟

فالجواب أن هذا بعينه استدلل به من يقول: إن الجنة التي كان فيها آدم في الأرض لا في السماء، كما قد بسطنا هذا في أول (كتاب)^(١٢) «البداية والنهاية»^(٨).

= (٢٣٤٤ - كشف) وقال: «لا نعلم رفعه إلا رباعي». اهـ. وهو ثقة مأمون كما قال ابن معين، وقال ابن مهدي: «كنا نعد رباعي بن علي بن بقايا شيوخنا» ذكره عنهما ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/٢/٥١٠)، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٨/٢٤٤، ٢٤٥) فكانه صحيح من الوجهين معاً. والله أعلم.

(١) ساقط من (ج).

(٢) في «صحيحه» (١٧/٨٥٤).

(٤) ساقط من (ن).

(٥) ساقط من (ج) و(ع) و(ل) و(ي). وانظر «تفسير الرازي» (١٩/٢).

(٦) هكذا في (ج) و(ع) و(ل) و(ي). ووقع في «تفسير الرازي»: «تحذيراً».

(٧) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٩) ساقط من (ن).

(١١) هكذا اقتصر المصنف على نقل الوجه الأول، وترك وجهين آخرين ذكرهما الرازي، ولعله أخذ من كلام الرازي ما اقتضاه المقام. والله أعلم.

وقد أشار إلى كلام فتح الموصلي الإمام المحقق ابن القيم رحمه الله في «الميمية» فقال:

ولكننا سبى العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم؟

(١٢) كذا في (ج) و(ل)؛ وفي (ن) و(ي): «كتابنا» وهو فيه (١/٧٠ - ٨١).

(١) [وأجاب الجمهور بأجوبة: أحدها أنه منع من دخول الجنة مكرماً، فأما على وجه (الرد) (٢) والإهانة فلا يمتنع، ولهذا قال بعضهم - كما جاء في التوراة -: إنه دخل في فم الحية إلى الجنة. وقد قال بعضهم: يحتمل أنه وسوس لهما وهو خارج باب الجنة] (١).
 (١) [وقال بعضهم: يحتمل أنه وسوس لهما وهو في الأرض، وهما في السماء، ذكرهما الزمخشري (٣) وغيره.
 وقد أورد القرطبي (٤) ها هنا أحاديث في الحيات وقتلهن وبيان حكم ذلك فأجاد وأفاد] (١).

﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ قَبَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوْبُ الرَّجِيمُ﴾ (٧)

قيل: إن (هذه) (٥) الكلمات مفسرة بقوله تعالى: ﴿فَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَا تَغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف] وروى هذا عن مجاهد (٦)، وسعيد (٧) بن جبير، وأبي العالية (٨)، والربيع بن أنس، والحسن (٩)، وقتادة (١٠)، ومحمد (١١) بن كعب القرظي، وخالد بن معدان، وعطاء الخراساني، وعبد الرحمن (١٢) بن زيد بن أسلم.
 وقال أبو إسحاق (١٣) السبيعي، عن رجل من بني تميم؛ قال: أتيت ابن عباس، فسألته: ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه؟ قال: علم شأن الحج.
 وقال سفيان (١٤) الثوري، عن عبد العزيز بن رفيع، أخبرني من سمع عبيد بن عمير - وفي رواية

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٣) في «الكشاف» (٥١/١).

(٥) في (ج) و(ل): «هؤلاء».

(٦) أخرجه ابن جرير (٧٨٧) من طرق عن خصيف، عن مجاهد به.

وأخرجه ابن أبي حاتم (٤١٤) من طريق ابن مهدي، عن الثوري، عن خصيف، عن مجاهد وسعيد بن جبير معاً، وسنده جيد، وتوبع خصيف. تابعه النضر بن عربي عن مجاهد مثله. أخرجه ابن جرير (٧٨٩) قال: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبي، عن النضر بن عربي صدوق متماسك، ولكن ابن وكيع وهو سفيان، كان يلقي، ولا بأس بروايته هنا، فهو متابع وعزاه في «الدر المنثور» (٥٩/١) لوكيع وعبد بن حميد.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٤١٤) وسنده جيد.

(٨) أخرجه ابن جرير (٧٧٩) وسنده حسن.

(٩) أخرجه عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥٩/١).

(١٠) أخرجه ابن جرير (٧٧٨) عن سعيد بن أبي عروبة؛ وأيضاً (٧٩١)؛ وعبد الرزاق في «تفسيره» (٤٤/١) عن معمر كلاهما عن قتادة.

وسنده صحيح. وأخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ١٢/رقم ٦٧٧٤) عن شيبان عن قتادة بلفظ أطول.

(١١) أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، والبيهقي في «الشعب» كما في «الدر المنثور» (٥٩/١). ثم وقفت على إسناده عند البيهقي (ج ١٢/رقم ٦٧٧٢) فرواه من طريق جعفر بن عون، أخبرنا موسى بن عبيدة الربذي، عن محمد بن كعب القرظي به. والربذي ضعيف. [ويتقوى بما سبق].

(١٢) أخرجه ابن جرير (٧٧٤، ٧٩٢) وسنده صحيح.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤١٢) من طريق زهير بن معاوية ثنا أبو إسحاق السبيعي به وسنده ضعيف وعزاه السيوطي في «الدر» (٧٢/١) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(١٤) أخرجه ابن جرير (٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤)؛ وابن أبي حاتم (٤١٣)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» =

قال: أخبرني مجاهد، عن عبيد بن عمير أنه قال: قال آدم: يا رب!، خطيئتي التي أخطأت شيء كتبت علي قبل أن تخلقني، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي؟ قال: بل (كتبتك) ^(١) عليك قبل أن أخلقك. قال: فكما كتبت علي فاعفره لي قال: فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَتَيْنِ فَنَابَ عَلَيْهِ﴾.

قال السدي ^(٢)، عن حدثه، عن ابن عباس: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَتَيْنِ﴾، قال: قال آدم ﷺ: يا رب، ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى. ونفخت في من روحك؟ قيل له: بلى. ^(٣) [وعطست فقلت: يرحمك الله، وسبقت رحمتك غضبك؟ (قيل له: بلى)] ^(٣). وكتبت علي أن أعمل هذا؟ قيل له: بلى. قال: أرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قال: نعم.

(وكذا) ^(٤) رواه العوفي ^(٥)، وسعيد بن جبير، وسعيد بن معبد، عن ابن عباس، بنحوه. ورواه الحاكم في «مستدركه» ^(٦) من حديث ابن جبير، عن ابن عباس؛ وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

= (١٠١١)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٢٧٣/٣) من طرق عن الثوري، عن عبد العزيز بن رفيع، عن عمن سمع عبيد بن عمير فذكره.

وقد رواه عن الثوري هكذا: وكيع، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وعبد الرحمن بن مهدي، ومؤمل بن إسماعيل، وخالفهم عبد الرزاق فرواه في «تفسيره» (٤٤/١) وعنه ابن جرير (٧٨٥) فرواه عن الثوري، عن عبد العزيز بن رفيع، عن عبيد بن عمير به فأسقط الواسطة. ورواية الجماعة عن الثوري أقوى، ويحتمل أن يكون للثوري فيه وجهان وإن كان يرجح رواية الجماعة ما ذكره المصنف ﷺ أن الثوري رواه عن مجاهد عن عبيد بن عمير فإن كان راويه عن الثوري ثبناً فالإسناد متصل. والله أعلم.

(١) في (ن): «شيء كتبت».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤١١) من طريق عبيد الله بن موسى ثنا إسرائيل، عن السدي به. وسنده ضعيف لا تقطاعه ولكن سيأتي موصولاً إن شاء الله تعالى.

(٣) ساقط من (ج). (٤) في (ز) و(ن): «وهكذا».

(٥) أخرجه ابن جرير (٧٧٧) بسند ضعيف مسلسل بالضعفاء.

(٦) «المستدرک» (٥٤٥/٢) من طريق الحسن بن علي بن عفان، ثنا الحسن بن عطية، ثنا الحسن بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(*) قلت: سنده جيد، والحسن بن عطية هو ابن نجیح القرشي، قال أبو حاتم: «صدوق» وقال الذهبي في «المغني»: «ضعفه أبو الفتح الأزدي، ولا بأس به»، وقال الحافظ بن حجر: «أظنه اشتبه عليه بالذي قبله» والذي قبله هو الحسن بن عطية بن جندة العوفي.

وأخرجه ابن جرير (٧٧٥) قال: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عطية، عن قيس، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو بسنده سواء.

وابن عطية هو محمد بن الفضل بن عطية تالف، قال أحمد: «حديثه حديث أهل الكذب» وقال ابن معين والجوزجاني: «كان كذاباً» وكذلك قال النسائي، وقال صالح بن محمد الحافظ: «كان يضع الحديث»، واتفقوا على طرحه.

لكنه لم يتفرد به، فتابعه محمد بن يوسف الفريابي، قال: حدثنا قيس بن الربيع بسنده سواء.

أخرجه الآجري في «الشریعة» (ص ٣٠٢، ٣٠٣) ولكن قيس وابن أبي ليلى ضعيفان وقد اختلف على قيس في إسناده كما عند ابن جرير (٧٧٦) أيضاً، ورأيت صاحبنا الشيخ سعد بن عبد الله آل حميد حفظه الله =

وهكذا فسرهُ السدي^(١)، وعطية العوفي.

وقد روى ابن^(٢) أبي حاتم (ها هنا حديثاً)^(٣) شبيهاً بهذا، فقال: حدثنا علي بن (الحسين)^(٤) بن إشكاب، حدثنا علي بن عاصم، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال آدم ﷺ: أرأيت يا رب إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة؟ قال: نعم. فذلك قوله: ﴿فَنَلَقَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ﴾». وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وفيه انقطاع.

وقال أبو جعفر^(٥) الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية - في قوله تعالى: ﴿فَنَلَقَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ فَنَابَ عَلَيْهِ﴾ قال: إن آدم لما أصاب الخطيئة قال: أرأيت يا رب إن تبت وأصلحت؟ قال الله: «إِذَا (أُرجعك إلى)^(٦) الجنة»؛ فهي من الكلمات.

ومن الكلمات أيضاً: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقال ابن أبي^(٧) نجيج، عن مجاهد - أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿فَنَلَقَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ فَنَابَ عَلَيْهِ﴾ - قال: الكلمات: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك؛ رب إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ أي: إنه يتوب على من تاب إليه وأتاب؛ كقوله: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة: ١٠٤] وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [١١] الآيات [النساء]، وقوله: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [٦٦] [الفرقان] وغير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى يغفر الذنوب، ويتوب على من يتوب؛ وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بعبده، لا إله إلا هو التواب الرحيم^(٨).

^(٩) [وذكرنا في «المسند»^(١٠) الكبير] من طريق سليمان بن سليم، عن ابن بريده - وهو^(٩)

= خرج الحديث في تحقيقه لـ «تفسير سعيد بن منصور» (٥٥٥/٢) من رواية ابن جرير وحده ثم قال: «والحديث لا يصح عن ابن عباس ﷺ»، ولم يطلع حفظه الله على رواية الحاكم. والله الموفق.

(١) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (١٨٦) قال: نا الحسن بن يزيد الأصم قال سمعت السدي... فذكره. وسنده قوي.

(٢) في «تفسيره» (٤١٠).

(٣) في (ك): «حديثاً ههنا».

(٤) في (ج) و(ز) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي): «الحسن» وهو خطأ.

(٥) أخرجه ابن جرير (٧٧٩). [وسنده جيد].

(٦) في (ن): «أدخلك»، وهو مخالف لسائر الأصول، ولما في «الطبري».

(٧) أخرجه ابن جرير (٧٨٨) من طريق شبل، عن ابن أبي نجيج.

وأخرجه ابن أبي حاتم (٤١٥) من طريق عبد الله بن كثير، عن مجاهد مثله. وهو صحيح.

(٨) في (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف، معارضاً بأصله، حرسه الله».

(٩) ساقط من كل «الأصول»، واستدرسته من (ج) و(ل).

(١٠) وهو «جامع المسانيد والسنن» (١٨٢، ١٨١/٢) للمصنف رحمه الله.

(١) [سليمان -، عن أبيه، عن النبي ﷺ]: «لما أهبط آدم إلى الأرض، طاف بالبيت سبعاً، وصلى خلف المقام ركعتين، ثم قال: اللهم إنك تعلم سري وعلايتي، فأقبل معذرتي، وتعلم حاجتي، فأعطني سؤلي، وتعلم ما عندي، فاعفر ذنوبي، أسألك إيماناً يباشر قلبي، وبقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي. قال: فأوحى الله إليه: إنك قد دعوتني بدعاءٍ استجبت لك فيه، ولمن يدعوني به، وفرجت همومه وغموه، ونزعت فقره من بين عينيه، (واتجرت) (٢) له من وراء كل تاجر، وأتته الدنيا وهي كارهة، وإن لم يردها». رواه الطبراني في «معجمه الكبير» (٣) [١].

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٩).

يقول تعالى مخبراً عما أُنذر به آدم وزوجته وإبليس (حين) (٤) أهبطهم من الجنة، والمراد: الذرية: إنه سينزل الكتب، ويبعث الأنبياء والرسل؛ كما قال أبو العالية: الهدى: الأنبياء، والرسل، (والبيان) (٥) (٦).

وقال مقاتل بن حيان: الهدى: محمد ﷺ (٧).

وقال الحسن: الهدى: القرآن (٨). وهذا القولان صحيحان، وقول أبي العالية أعم.

(١) ساقط من كل «الأصول»، واستدرسته من (ج) و(ل).

(٢) في (ج): «تجرت».

(٣) لم أجده في «مسند بريدة» من «المعجم الكبير» وعزاه السيوطي في «الدر» (٥٩/١) للطبراني في «الأوسط» عن بريدة، وأظنه وهماً. وساق المصنف سنده في «جامع المسانيد» (٧٤٢) عن الطبراني قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي، حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا حميد بن معاذ، عن المنهال بن عمرو، عن سليمان بن سليم، عن ابن بريدة، عن أبيه مرفوعاً وأخرجه ابن مردويه في «المنتقى من حديث الطبراني» (ق ١/١٩٧) قال - يعني: الطبراني - حدثنا حفص بن عمر بن الصباح الرقي، ثنا محمد بن كثير، ثنا حميد بن معاذ، ثنا المنهال بن عمرو، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه مثله فسقط ذكر «سليمان بن سليم» من الإسناد، وكأن الصواب إثباته، والله أعلم. وحميد بن معاذ لم أعرفه. ثم وقفت على الحديث في «الدعوات الكبير» (٢٣١) للبيهقي فرواه من طريق محمد بن كثير، حدثنا عبد الله بن المنهال، عن سليمان بن قسيم، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه مرفوعاً مثله.

وسليمان بن قسيم [ضعيف]، والحديث لا يثبت من أي وجه، وتسامح السيوطي فقال في «الدر» (٥٩/١): «إسناده لا بأس به»! وله شاهد من حديث عائشة مرفوعاً مثله أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٩٧٤) من طريق النضر بن طاهر، ثنا معاذ بن محمد الخراساني، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. وقال: «لم يرو هذا الحديث عن هشام بن عروة إلا معاذ بن محمد، تفرد به: النضر بن طاهر». اهـ. (*) قلت: وهو متهم بالكذب.

(٤) في (ز) و(ض): «حتى».

(٦) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية].

(٧) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان].

(٨) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند ضعيف من طريق البراء بن يزيد عن الحسن (والبراء بن يزيد ضعيف التقريب ص ١١٣)].

﴿فَمَنْ يَجْعَلْ هُدًى﴾ أي: من أقبل على ما أنزلت به الكتب، وأرسلت به الرسل ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيما (يستقبلون)^(١) من أمر الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا، كما قال في سورة طه: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ ﴿٢٣٣﴾.

قال ابن عباس: فلا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ﴿٢٤﴾ [طه] كما قال ها هنا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ أي: مخلدون فيها لا محيد لهم عنها ولا محيص.

وقد أورد ابن^(٣) جرير (رحمته الله)^(٤) ها هنا حديثاً ساقه من (طريقين)^(٥)، عن (أبي مسلمة)^(٦) سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قُطعة، عن أبي سعيد؛ واسمه (سعد)^(٧) بن مالك بن سنان الخدري؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن (أقواماً)^(٨) أصابتهم النار بخطاياهم، فأماتهم إمامة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة».

وقد رواه مسلم^(٩)، من حديث شعبة، عن (أبي مسلمة)^(١٠) به.

^(١١) [وذكر هذا الإيهام الثاني لما تعلق به ما بعده من المعنى المغاير للأول. وزعم بعضهم أنه تأكيد وتكرير؛ كما يقال: قم، قم. وقال آخرون: بل الإيهام الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والثاني عن سماء الدنيا إلى الأرض. والصحيح الأول. والله (تعالى)^(١٢) أعلم (بأسرار كتابه)^(١٣)] ^(١١).

﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِي بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَذْهَبُونِ﴾^(١٤) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُوزُ﴾^(١٥).

يقول تعالى أمراً بني إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة (وآتم)^(١٣) والسلام، (ومهيجاً)^(١٤) لهم بذكر أبيهم إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام؛ وتقديره:

(١) في (ز) و(ن) و(ه): «يستقبلونه».

(٢) في «تفسيره» (٧٩٧).

(٣) كذا! وهو عند ابن جرير من ثلاثة طرق عن أبي مسلمة.

فأخرجه من طريق غسان بن مضر ويشر بن المفضل وإسماعيل بن عليّة ثلاثتهم عن أبي مسلمة سعيد بن يزيد.

(٦) في (ن): «أبو سلمة» وهو خطأ.

(٧) في (ل): «سعيد» وهو خطأ.

(٨) في (ض): «لكن أقوام» بالرفع مع تسكين نون «لكن»؛ وفي «مسلم»: «لكن ناس».

(٩) في «صحيحه» (٣٠٧/١٨٥) من طريق محمد بن جعفر غندر، ثنا شعبة.

(١٠) في (ض) و(ن): «أبو سلمة».

(١١) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(١٢) من (ل).

(١٣) من (ك).

(١٤) في (ك): «وتهيجاً».

يا بني العبد الصالح المطيع لله؛ كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق، كما تقول: يا ابن الكريم، افعل كذا؛ يا ابن الشجاع، بارز الأبطال؛ يا ابن العالم، اطلب العلم، ونحو ذلك.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء] فأسرائيل هو يعقوب (عليه السلام) ^(١) بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي ^(٢): حدثنا (عبد) ^(٣) الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب؛ قال: حدثني عبد الله بن عباس؛ قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ؛ فقال لهم: «هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب؟» قالوا: اللهم نعم، فقال النبي ﷺ: «اللهم اشهد».

وقال الأعمش ^(٤)، عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى ابن عباس، عن (عبد الله) ^(٥) بن عباس أن إسرائيل كقولك: عبد الله.

وقوله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: مجاهد: نعمة الله التي أنعم بها عليهم فيما سمى وفيما وسوى ذلك: أن فجر لهم الحجر، وأنزل عليهم المن والسلوى، (وأنجاهم) ^(٦) من (عبودية) ^(٧) آل فرعون.

وقال أبو ^(٨) العالية: نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الكتب. قلت: وهذا كقول موسى ﷺ لهم: ﴿يَقَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠] يعني: في زمانهم.

وقال محمد بن ^(٩) إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله (تعالى) ^(١٠): ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: بلائي عندكم وعند آبائكم

(١) من (ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(ه) و(ي).

(٢) في «مسنده» (٢٧٣١).

وأخرجه أحمد (٢٥١٤، ٢٥١٥، ٢٤٧١)؛ وابن سعد في «الطبقات» (١٧٤/١، ١٧٥)؛ وابن جرير (١٦٠٥، ٧٤٢٠)؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٥١ - آل عمران)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٢/رقم ١٣٠١٢)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٢٦٦/٦، ٢٦٧) من طرق عن عبد الحميد بن بهرام بسنده سواء وهو حديث طويل.

وعزه السيوطي في «الدر المنثور» (٨٩/١) للفریابی، وعبد بن حميد وأبي نعيم في «الدلائل». وسنده محتمل للتحسين، ولأكثر فقراته شواهد. وانظر: «تسليّة الكظيم».

(٣) في (ك): «حماد الحميد»!!

(٤) أخرجه ابن جرير (٧٩٨) قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن الأعمش به.

وابن حميد هو محمد، وهو واه.

(٥) من (ز) و(ن).

(٦) في (ن): «ونجاهم».

(٧) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي)؛ وفي (ز) و(ض) و(ه) و(ن): «عبودية» وهما بمعنًى. وانظر «لسان العرب» (٢٧٧٧ص).

(٨) أخرجه ابن جرير (٨٠٢)؛ وابن أبي حاتم (٤٣٩). [وسنده جيد].

(٩) أخرجه ابن إسحاق كما في «الدر المنثور» (٦٣/١) ومن طريقه ابن جرير (٨٠١)؛ وابن أبي حاتم (٤٣٨) [وسنده حسن].

(١٠) من (ن).

لما كان نجاهم (به)^(١) من فرعون وقومه.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال^(٢): بعهدي الذي أخذت (في)^(٣) أعناقكم للنبي (محمد)^(٤) ﷺ إذا جاءكم أنجز لكم ما وعدتكم عليه (بتصديقه)^(٥)، واتباعه، بوضع ما كان عليكم من (الإصر)^(٦) والأغلال التي كانت في أعناقكم، بذنوبكم التي كانت (من)^(٧) إحداثكم.

^(٨) [وقال الحسن البصري: هو قوله (تعالى): ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْهُمْ فَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾] [المائدة: ١٢].

وقال آخرون: هو الذي أخذه الله عليهم في التوراة: أنه سيعث من بني إسماعيل نبياً عظيماً يطيعه جميع (العرب)^(٩): (الشعوب)^(١٠) (والقبائل)^(١١)، والمراد به محمد ﷺ؛ فمن اتبعه (غفر)^(١٢) له ذنبه، (وأدخل)^(١٣) الجنة، وجعل له (أجران)^(١٤).

وقد أورد (فخر الدين)^(١٥) الرازي بشارات كثيرة عن الأنبياء عليهم (الصلاة و)^(١٦) السلام بمحمد ﷺ^(٨).

وقال أبو العالية^(١٧): ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ قال: عهده إلى عباده (دينه)^(١٨) الإسلام، (أن)^(١٩) يتبعوه.

وقال الضحاك^(٢٠)، عن ابن عباس: ﴿أُوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال: أرض عنكم، وأدخلكم الجنة؛ وكذا قال السدي^(٢١)، والضحاك^(٢٢)،

(١) ساقط من (ه).

(٢) يعني: ابن عباس. كما في «تفسير ابن أبي حاتم» (٤٤٥). [والأثر تنمة لسابقه].

(٣) كذا في (ن). وفي «سائر الأصول»: «من».

(٤) من (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ه) و(ي).

(٥) في (ن): «من تصديقه».

(٦) في (ج): «في».

(٧) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٨) من (ل) و(ي)، وسقط من (ج) و(ل) و(ن).

(٩) ساقط من (ي).

(١٠) في (ن): «غفر الله».

(١١) في (ن): «أدخله».

(١٢) في (ن): «أجرين» وهذا بناء على ظهور الفاعل، وعدم استتاره.

(١٣) ساقط من (ن). وانظر «تفسير الرازي» (٤٣/٢). (١٦) من (ن).

(١٤) أخرجه ابن جرير (٨٠٦)؛ وابن أبي حاتم (٤٤٣) [وسنده جيد].

(١٥) في (ك): «لدينه» وفي (ن): «دين» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(١٦) في (ن): «وأن».

(١٧) أخرجه ابن جرير (٨٠٩)؛ وابن أبي حاتم (٤٤١، ٤٤٤) من طريق بشر بن عمار عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس. وسنده ضعيف أو واه. وبشر بن عمار ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وأبو روق: اسمه عطية بن الحارث؛ صدوق لا بأس به.

(١٨) أخرجه ابن جرير (٨٠٧).

(١٩) أخرجه أبو الشيخ في «كتاب العظمة» (١٨٤) من طريق ابن المبارك، عن الحسن بن يحيى، عن الضحاك =

وأبو العالية، والربيع^(١) بن أنس.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّ فَآرْهُبُون﴾ أي: فاخشون؛ قاله أبو العالية^(٢)، والسدي^(٣) والربيع بن أنس، وقتادة.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّ فَآرْهُبُون﴾ أي: (أن)^(٤) أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النعمات التي قد عرفتم؛ من المسخ وغيره^(٥).

وهذا انتقال من الترغيب إلى الترهيب؛ فدعاهم إليه بالرغبة والرغبة لعلهم يرجعون إلى الحق، واتباع الرسول ﷺ، والاتعاظ بالقرآن وزواجه، وامثال أوامره، وتصديق أخباره، والله (الهادي لمن)^(٦) يشاء إلى (صراط)^(٧) مستقيم؛ ولهذا قال: ﴿وَأَمْنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾^(٨) [و﴿مُصَدِّقًا﴾ (منصوب)^(٩) على الحال من «ما»؛ أي: بالذي أنزلت مصدقاً؛ أو من الضمير المحذوف من (قوله)^(١٠)]: بما أنزلته مصدقاً، ويجوز أن يكون مصدراً من غير الفعل، وهو قوله: لما أنزلت مصدقاً به^(١١)؛ ويعني به: القرآن الذي (أنزله)^(١٢) على محمد ﷺ النبي الأمي العربي بشيراً ونذيراً، وسراجاً منيراً، مشتملاً على الحق من الله (تعالى)^(١٣)، مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل.

قال أبو العالية^(١٤) رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَمْنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يقول: يا معشر أهل الكتاب آمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم؛ يقول: لأنهم يجدون محمداً ﷺ مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

وروى عن مجاهد^(١٥)، والربيع^(١٥) بن أنس، وقتادة، نحو ذلك.

= فذكره وسنده حسن. والحسن بن يحيى وثقه ابن معين وابن حبان، ولم يذكر له المزي راوياً إلا ابن المبارك وعزاه السيوطي في «الدر» (٦٤/١) لعبد بن حميد.

- (١) أشار إليه ابن أبي حاتم (٤٤٣).
- (٢) أخرجه ابن جرير (٨١٢)؛ وابن أبي حاتم (٤٤٧). [وسنده جيد].
- (٣) أخرجه ابن جرير (٨١٣) [وسنده حسن].
- (٤) من (ن) وأشار في (ي) إلى أنها كذلك في بعض النسخ.
- (٥) [هذا الأثر تمة لرواية ابن إسحاق السابقة].
- (٦) في (ن): «يهدى من».
- (٧) في (ج) و(ز) و(ض): «صراطه».
- (٨) ساقط من سائر (الأصول)، واستدركته من (ل)، ومن حاشية (ج) و(ع).
- (٩) كذا في (ج) و(ع)؛ وفي (ل): «منصوباً» على تقدير فعل محذوف، كأنه قال: جاء منصوباً.
- (١٠) في (ل): «قولهم»!
- (١١) في (ج): «أنزل».
- (١٢) من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ن).
- (١٣) أخرجه ابن جرير (٨١٦)؛ وابن أبي حاتم (٤٤٨). [وسنده جيد].
- (١٤) أخرجه ابن جرير (٨١٤، ٨١٥)؛ وابن أبي حاتم (٤٤٩) من طرق عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد. [وسنده صحيح].
- (١٥) أشار إلى رواية الربيع وقتادة: ابن أبي حاتم في «تفسيره».

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ ^(١) [قال بعض (المفسرين) ^(٢)]: أول فريق كافر به، أو نحو ذلك ^(١).

قال ابن عباس ^(٣): ولا تكونوا أول كافر به، وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم.
وقال أبو العالية ^(٤): يقول: ولا تكونوا أول من كفر بمحمد ﷺ؛ ^(١) [يعني: من جنسكم أهل الكتاب بعد (سماعكم) ^(٥) بمبعثه] ^(١)، وكذا قال الحسن، والسدي، والربيع بن أنس.
واختار ابن جرير ^(٦) أن الضمير في قوله: «به» عائد على القرآن الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿بِمَا أُنزِلَتْ﴾ وكلا القولين صحيح؛ لأنهما متلازمان؛ لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد ﷺ؛ ومن كفر بمحمد ﷺ فقد كفر بالقرآن.

وأما قوله: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ فيعني به أول من كفر به من بني إسرائيل؛ لأنه قد تقدمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير؛ وإنما المراد أول من كفر به من بني إسرائيل مباشرة؛ فإن يهود المدينة أول بني إسرائيل خطبوا بالقرآن، فكفرهم به يستلزم أنهم أول من (كفر به) ^(٧) من جنسهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِكُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يقول: لا تعتاضوا عن الإيمان بآياتي، وتصديق رسول - بالدنيا وشهواتها؛ فإنها قليلة فانية؛ كما قال عبد الله بن المبارك ^(٨): أنبأنا عبد الرحمن بن (يزيد) ^(٩) بن جابر، عن هارون بن يزيد؛ قال: سئل الحسن - يعني: البصري - عن قوله تعالى: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ - قال: الثمن القليل الدنيا بحذافيرها ^(١٠).

وقال ابن لهيعة ^(١١): حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٢) كذا في (ك) و(ل) و(ي). ووقع في (ج) و(ن): «المعريين».

(٣) أخرجه ابن جرير (٨١٩)؛ وابن أبي حاتم (٤٥٠) وتقدم القول بضعفه.

(٤) أخرجه ابن جرير (٨١٨)؛ وابن أبي حاتم (٤٥١). [وسنده جيد].

(٥) كذا في (ن)؛ وفي (ج) و(ل) و(ن) و(ي): «سماعهم».

(٦) في «تفسيره» (٥٦٤/١ - شاكراً). (٧) في (ج): «كفره».

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٥٦)؛ وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٤٩٧) من طريق علي بن الحسن بن شقيق، أنا ابن المبارك بسنده سواء. وسنده ضعيف، وهارون بن يزيد البصري ترجمه البخاري في «الكبير» (٢٢٠/٢/٤)؛ وابن حبان في «الثقات» (٥٧٩/٧) وقال: «يروى عن رجل عن أبي هريرة» ورجح الشيخ العلامة عبد الرحمن المعلمي في حاشيته على «تاريخ البخاري» أنه هارون بن راشد، وأنه غلط بعض الرواة في اسمه فقلبه إلى «هارون بن يزيد»، وفي النفس غصة من هذا الترجيح، ورسمه رسم المجهول. والله أعلم.

(٩) في (ز) و(ن): «زيد» وهو خطأ.

(١٠) [أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن المبارك به وهو تفسير حسن].

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٥٤) قال: ذكر عن الحسن بن علي الحلواني، عن سعيد بن أبي مريم، أخبرني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير. وسنده ضعيف، فقد علقه ابن أبي حاتم كما ترى، وحال ابن لهيعة معروفة، وعطاء بن دينار قال أبو حاتم: «صالح الحديث، إلا أن التفسير أخذه من الديوان، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بن جبير بهذا =

يَا بَنِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿١﴾ إِنَّ آيَاتِهِ كِتَابُهُ الَّذِي (أُنْزِلَ) ^(١) إِلَيْهِمْ، وَإِنَّ الثَّمَنَ الْقَلِيلَ الدُّنْيَا وَشَهْوَاتِهَا.
وقال السدي ^(٢): ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِبَنِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يقول: لا تأخذوا (طمعاً) ^(٣) قليلاً، ولا تكتموا اسم الله؛ فذلك الطمع: (وهو) ^(٤) الثمن.

وقال أبو جعفر ^(٥)، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِبَنِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يقول: لا تأخذوا عليه أجراً؛ قال: وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول: يا ابن آدم، علم مجاناً كما علمت مجاناً.

^(٦) [وقيل: معناه لا تعاضوا عن البيان والإيضاح، ونشر العلم النافع في الناس بالكتمان واللبس، لتستمرروا على رياستكم في الدنيا القليلة الحقيرة الزائلة عن قريب.

وفي «سنن أبي داود» ^(٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: ^(٨) ^(٦) [قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة».

فأما تعليم العلم بأجرة فإن كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة، ويجوز أن يتناول من بيت المال ما يقوم (بحاله) ^(٩) وعياله. فإن لم يحصل له منه شيء وقطعه التعليم عن التكسب فهو كما لم يتعين عليه. (وإذا لم يتعين عليه) ^(١٠) فإنه يجوز أن يأخذ عليه أجرة عند مالك، والشافعي، وأحمد، وجمهور العلماء، كما في «صحيح» ^(١١) البخاري: ^(٨)

= التفسير إليه، فوجده عطاء بن دينار في الديوان، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبيرة. اهـ.

(١) كذا في (ج) و(ع) و(ل) و(ها) و(ي)؛ ووقع في (ز) و(ض) (ن): «أنزله».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٥٥)؛ وابن جرير (٨٢١) وعنده: «وذلك الثمن هو الطمع». [وسنده حسن].

(٣) ساقط من (ض)، ووضع محققو «تفسير ابن كثير، طبعة دار الشعب» والمرموز لها بالرمز (ز) أقول: وضعوا هذه اللفظة بين معكوفين، وهذا يدل على أنها ساقطة من الأصل، وقد علمت طريقتهم من متابعتي لعملهم، ثم النسخة المرموز لها ب(ض) كأنها منقولة من (ز) فلا يكون سقط في (ز) إلا وهو في (ض). فالله أعلم.

(٤) في (ك): «هو».

(٥) يعني: الرازي، وليس أبا جعفر بن جرير، وقد أخرجه في «تفسيره» (٨٢٠)، وكذلك ابن أبي حاتم (٤٥٣). [وسنده جيد].

(٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٧) رقم (٣٦٦٤) من طريق فليح بن سليمان، عن أبي طوالة عبد الله بن عبد الرحمن، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة به. ولكن عنده: «لم يجد عرف الجنة... يعني: ريحها»؛ وأخرجه ابن ماجه (٢٥٢)؛ وأبو الحسن بن سلمة في «زوائد عليه» (٩٣/١)؛ وأحمد (٣٣٨/٢)؛ وابن أبي شيبة (٥٤٣/٨)؛ وابن حبان (٨٩)؛ والحاكم (٨٥/١)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٤٦٧/٣)؛ وابن المقرئ في «معجمه» (ج ١/ق ٩/١، ٢) وآخرون من هذا الوجه.

قال العقيلي: «الرواية في هذا الباب لينّة». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح سنده، ثقات رواه على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد أسنده ووصله عن فليح جماعة غير ابن وهب» ووافقه الذهبي. [وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٤)].

(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٩) في (ن): «به حاله».

(١٠) ساقط من (ج).

(١١) في «كتاب فضائل القرآن» (٥٤/٩) وقدم تخريجه في «تفسير الفاتحة» (٣٨٤/١، ٣٨٥).

(١) [عن أبي سعيد في قصة (اللدغي) (٢) (و) (٣): «إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله» (٤). وقوله في قصة المخطوبة (٥): «زوجتكها بما معك من القرآن».

فأما حديث عبادة بن الصامت أنه علّم رجلاً من أهل الصفة شيئاً من القرآن، فأهدى له قوساً، [فسأل (عنه) (٧) رسول الله ﷺ] (٦)، فقال: (إن) (٨) أحببت أن (تطوق) (٩) بقوس من نار فاقبله؛ فتركه. رواه أبو (١٠) داود. وروي مثله عن أبي بن كعب (١١) مرفوعاً (١٠)؛ فإن صح إسناده فهو محمول عند كثير من العلماء؛ منهم أبو عمر (١٢) ابن عبد البر - على أنه (لما) (١٣) علّمه الله لم يجز بعد هذا أن يعتاض عن ثواب الله بذلك القوس.

فأما إذا كان من أول الأمر على التعليم بالأجرة فإنه يصح كما في حديث (اللدغي) وحديث (١٤) سهل في المخطوبة. والله أعلم (١).

(وقوله) (١٥): ﴿وَإِنِّي (١٦) فَأَقُوتُونَ﴾ قال ابن (١٧) أبي حاتم: حدثنا أبو عمر الدوري، حدثنا أبو

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٢) في (ك): «الملدوغ».

(٣) من (ل) وهي زيادة ضرورية، إذ بدونها يكون حديث أبي سعيد هو: «إن أحق ما أخذتم... إلخ» وإنما هو حديث ابن عباس كما يأتي، وهذا المتن لم يقع في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ على اختلاف ألفاظه. والله أعلم.

(٤) أخرجه البخاري (١٠/١٩٨، ١٩٩).

(٥) مرّ تخريج القصة في «فضائل القرآن» (١/٢٨١).

(٦) في (ك): «فقال رسول الله ﷺ عن ذلك».

(٧) ساقط من (ج) و(ل) و(و).

(٨) في (ك): «إني»!

(٩) في (ك): «تطوف».

(١٠) في «سننه» (٣٤١٦) [وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح ٢٩١٠)].

(١١) أخرجه ابن ماجه (٢١٥٨) قال: حدثنا سهل بن أبي سهل، ثنا يحيى بن سعيد، عن ثور بن يزيد، ثنا خالد بن معدان، حدثني عبد الرحمن بن سلم، عن عطية الكلاعي، عن أبي بن كعب قال: علمت رجلاً القرآن فأهدى إليّ قوساً، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «إن أخذتها أخذت قوساً من نار» فرددتها. [وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٨٥١)].

(١٢) في «كتاب التمهيد» (٢١/١١٤) وعبارته: «وحديث عبادة أبي يحتمل التأويل أيضاً، لأنه جائز أن يكون علمه لله، ثم أخذ عليه أجرأ؛ ونحو هذا» ١. هـ. وقول ابن عبد البر هنا يخالف ما نقله عنه ابن كثير، فلعل ابن عبد البر قال ما نقله ابن كثير في موضع آخر، أو في كتاب آخر. والله أعلم.

(١٣) في (ك) و(و): «كان».

(١٤) ساقط من (ج) و(ل).

(١٥) من (ك) و(ن).

(١٦) في (ل): «فإياي»!!

(١٧) في «تفسيره» (٤٥٧) وسنده جيد، وأبو عمر الدوري اسمه حفص بن عمر قال أبو حاتم: «صدوق» وضعفه الدارقطني، وسمع منه ابن أبي حاتم وهو صغير، فقد ولد ابن أبي حاتم سنة (٢٤٠) وتوفي أبو عمر الدوري سنة (٢٤٦) وقيل: سنة (٢٤٨) ولكن له طريق آخر فأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٤٣) قال: أخبرنا سفيان، عن عاصم، عن بكر بن عبد الله قال: لما كانت فتنة ابن الأشعث، قال طلق: اتقوها بالتقوى. قال بكر له: أجمل لنا التقوى. قال: التقوى عمل بطاعة الله. وساق نحوه.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/٦٤) من طرق قبيصة بن عقبة، عن سفيان الثوري بسنده سواء وسنده صحيح. والله أعلم.

إسماعيل المؤدب، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية، عن (طلق)^(١) بن حبيب؛ قال: التقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله (والتقوى)^(٢) أن تترك معصية الله^(٣) [مخافة عذاب الله، على نور من الله]^(٣).

ومعنى قوله: ﴿وَلِيَأْتِيَنَّ فَآتُونَ﴾ أنه تعالى يتوعدهم فيما (يعتمدونه)^(٤) من كتمان الحق وإظهار خلافه، ومخالفتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾.

يقول تعالى ناهياً لليهود عما كانوا يعتمدونه من تلبس الحق بالباطل، وتمويهه به، وكتمانهم الحق، وإظهارهم الباطل: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤) فمنهاهم عن الشيثيين معاً، وأمرهم بإظهار الحق، والتصريح به؛ ولهذا قال الضحاك^(٥)، عن ابن عباس: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾^(٦) [لا تخلطوا الحق بالباطل، والصدق بالكذب]^(٦).

وقال أبو العالية^(٧): ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يقول: لا تخلطوا الحق بالباطل، وأدوا النصيحة لعباد الله (في)^(٨) (أمر)^(٩) محمد ﷺ.

(وروي)^(١٠) عن سعيد بن جبير، والربيع بن أنس، نحوه. وقال قتادة^(١١): ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية^(١٢) [بالإسلام] ﴿وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أن دين الله الإسلام، (وأن)^(١٣) اليهودية والنصرانية^(١٢) بدعة ليست من الله. وروي عن الحسن البصري نحو ذلك^(١٤).

وقال محمد^(١٥) بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن

(١) ساقط من (ج). (٢) ساقط من (ن).

(٣) كذا في سائر «الأصول»، وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»، ووقع في (ن): «على نور من الله، تخاف عقاب الله».

(٤) في (ن): «يعتمدونه». (٥) أخرجه ابن جرير (٨٢٣) وسنده واه.

(٦) كذا في (ز) و(ن) وسقطت هذه الجملة من (ك) ووقع في سائر «الأصول»: «تخلطوا» والذي في «تفسير الطبري»: «لا تخلطوا الصدق بالكذب».

(٧) أخرجه ابن جرير (٨٢٤)؛ وابن أبي حاتم (٤٥٨) [وسنده جيد].

(٨) كذا في (ن) وهو الموافق لما في «الطبري» و«ابن أبي حاتم» وفي سائر «الأصول»: «من».

(٩) كتب ناسخ (ن) فوقها «أمة».

(١٠) في (ز) و(ن): «ويروى» وأشار إلى هذين الأثرين ابن أبي حاتم في «تفسيره» [بحذف السند] (ص ١٤٧ - البقرة).

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٥٩) [وسنده حسن]. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦٤/١) إلى عبد بن حميد.

(١٢) ساقط من (ك) والعبارة عنده: «ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية ببدعة ليست من الله!!»

(١٣) من (ع) و(ن) و(ه). (١٤) ذكره ابن أبي حاتم بحذف السند.

(١٥) أخرجه ابن جرير (٨٣٢)؛ وابن أبي حاتم (٤٦١) [وسنده حسن].

ابن عباس: ﴿وَتَكْنُؤُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: (لا تكتموا)^(١) ما عندكم من المعرفة برسولي، وبما جاء به، وأنتم تجدونه مكتوباً عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم.

وروي عن أبي^(٢) العالية نحو ذلك.

وقال مجاهد^(٣)، والسدي^(٤)، وقتادة، والربيع بن أنس: ﴿وَتَكْنُؤُوا الْحَقَّ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

^(٥) [قلت: ﴿وَتَكْنُؤُوا﴾^(٦) يحتمل أن يكون مجزوماً، (ويجوز)^(٧) أن يكون منصوباً؛ أي: لا تجمعوا بين هذا وهذا؛ كما يقال: لا تأكل السمك وتشرب اللبن.

قال الزمخشري^(٨): وفي مصحف ابن مسعود: وتكتمون الحق^(٩)؛ أي: في حال كتمانكم الحق، «وأنتم تعلمون» حال أيضاً، ومعناه: وأنتم تعلمون الحق. ويجوز أن يكون المعنى: وأنتم تعلمون ما في ذلك من^(١٠) [الضرر العظيم على الناس من إضلالهم عن الهدى المفضي بهم إلى النار إن سلكوا ما تبدونه لهم من الباطل المشوب بنوع من الحق، لتروجوه عليهم.

والبيان: الإيضاح، (وعكسه)^(١١) التكتان، وخلط الحق بالباطل]^(١٢).

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَآزَكُوا مَعَ الزَّكِيِّينَ﴾ قال مقاتل^(١٣): قوله: (تعالى)^(١٤) لأهل الكتاب: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أمرهم أن يصلوا مع النبي ﷺ، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أمرهم أن يؤتوا الزكاة؛ أي: يدفعونها إلى النبي ﷺ؛ ﴿وَآزَكُوا مَعَ الزَّكِيِّينَ﴾ أمرهم أن يركعوا مع الراكعين من أمة محمد ﷺ. يقول: كونوا (منهم، ومعهم)^(١٥).

وقال علي^(١٥) بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(١٦) يعني: بالزكاة طاعة الله والإخلاص.

وقال وكيع^(١٧)، عن (أبي جناب)^(١٨)، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾

قال: ما يوجب الزكاة؟ قال: مائتان فصاعداً.

(١) في (ج): «لا تكتموا الحق»!

(٢) أخرجه ابن جرير (٨٢٩)؛ وابن أبي حاتم (٤٦٠). [وسنده جيد].

(٣) أخرجه ابن جرير (٨٣٠)، (٨٣١) من طريقين عن ابن أبي نجيج، عن مجاهد. [وسنده صحيح].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٢). [وسنده حسن]. (٥) ساقط من (ز) و(ض).

(٦) في (ج) و(ل): «وتكتموا الحق» ووقع في (ك): «وتكونوا»!!

(٧) في (ن): «ويحتمل». (٨) في «الكشاف» (٥٣/١).

(٩) [وهي قراءة شاذة]. (١٠) ساقط من (ز) و(ض).

(١١) في (ل): «والعكس».

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٧) من طريق محمد بن علي، أنبأ أبو وهب ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان به وهذا سند لا بأس به، وأبو وهب هو محمد بن مزاحم صدوق، وبكير بن معروف فيه ضعف يسير مع الصدق والأمانة.

(١٣) من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي): «معهم ومنهم».

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٨) [وسنده ثابت]. (١٥) ساقط من (ز) و(ن).

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٩) قال: حدثنا علي بن الحسين ثنا أبو بكر وعثمان أبناء أبي شيبه قالوا: ثنا وكيع بسنده سواء. وأبو جناب الكلبي اسمه يحيى بن أبي حية ضعفه لكثرة تدليس، ولم يصرح بتحديث هنا؛ ورواية وكيع هذه مقدمة في (ك) على رواية مبارك بن فضالة.

(١٧) في (ض) و(ك) و(ل) و(هـ): «أبي خباب» بالخاء المعجمة والباء وهو تصحيف.

وقال مبارك^(١) بن فضالة، عن الحسن - في قوله (تعالى)^(٢): ﴿وَأَتُوا الزُّكَّورَ﴾ قال: فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا (بها)^(٣) وبالصلاة.

وقال ابن أبي حاتم^(٤): حدثنا أبو زرعة، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن أبي حيان التيمي، عن الحارث العكلي - في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الزُّكَّورَ﴾ قال: صدقة الفطر.
^(٥) [وقوله (تعالى)^(٦): ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكَّيْنِ﴾ أي: وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم، ومن أخص ذلك (وأكمله)^(٧) الصلاة]^(٥).

^(٨) [وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة. (وليسط)^(٩) ذلك «كتاب الأحكام الكبير» إن شاء الله تعالى، وقد تكلم القرطبي^(١٠) على (مسائل)^(١١) الجماعة والإمامة، (فأجاد)^(١٢)]^(٨).

﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

يقول تعالى: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون الناس بالبر، وهو جماع الخير - أن تنسوا أنفسكم، فلا (تأتمروا)^(١٣) بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم! فتنبهوا من رقدتكم، (وتبصروا)^(١٤) من عمايتكم.

وهذا كما قال عبد الرزاق^(١٥)، عن معمر، عن قتادة - في قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر؛ ويخالفون؛ فغيرهم الله ﷻ. وكذلك قال السدي^(١٦).

وقال ابن جريج^(١٧): ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس؛ فغيرهم الله بذلك؛ فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٧١). [وسنده حسن]. (٢) من (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(ن).

(٣) كذا في (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»، وفي سائر «الأصول»: «به».

(٤) في «تفسيره» (٤٧٢)، وأخاف أن يكون أبو حيان التيمي واسمه يحيى بن سعيد بن حيان لم يدرك الحارث بن أقيش العكلي، والناظر في ترجمة أبي حيان يميل إلى هذا. والله أعلم.

(٥) ساقط من (ض). (٦) من (ز) و(ن).

(٧) في (ك): «وأجمله»! (٨) ساقط من (ز) و(ض).

(٩) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي)؛ وفي (ل): «وبسط ذلك»؛ وفي (ن): «وأبسط ذلك في».

(١٠) في «تفسيره» (٣٥٢/١). (١١) في (ل): «مسألة».

(١٢) في (ل): «وأجاد». (١٣) في (ن) و(هـ): «تأتمرون».

(١٤) في (ض) و(ن) و(هـ): «تبصروا».

(١٥) في «تفسيره» (٤٤/١٠) ومن طريقه ابن جرير (٨٤٣)؛ وابن أبي حاتم (٤٧٨) وسنده صحيح.

(١٦) أخرجه ابن جرير (٨٤٢)؛ وابن أبي حاتم (٤٧٩) وسنده جيد.

(١٧) أخرجه ابن جرير (٨٤٤) وسنده صحيح.

وقال محمد بن^(١) إسحاق، عن محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَتَسْنُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: تتركون أنفسكم.

﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة، وتتركون أنفسكم؛ أي: وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي، وتنقضون ميثاقي، (وتجحدون)^(٢) ما تعلمون من كتابي.

وقال الضحاك^(٣)، عن ابن عباس في هذه الآية: يقول: أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد ﷺ؛ وغير ذلك مما أمرتم به، من إقام الصلاة؛ وتسنون أنفسكم.

وقال أبو جعفر^(٤) بن جرير (رحمته الله)^(٥): حدثني علي بن الحسن، حدثنا (مسلم)^(٦) الجرمي، حدثنا مخلد بن الحسين، عن أيوب السخيتاني، عن أبي قلابه - في قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ قال (أبو الدرداء)^(٧) (رحمته الله)^(٨): لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً.

وقال عبد الرحمن^(٩) بن زيد بن أسلم في هذه الآية: هؤلاء اليهود إذا جاء الرجل يسألهم عن الشيء ليس فيه حق ولا رشوة (ولا شيء)^(١٠) أمروه بالحق، (فقال الله تعالى)^(١١): ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع، ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه. وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له؛ (بل على تركهم^(١٢) له)؛ فإن الأمر بالمعروف (معروف)^(١٣)؛ وهو واجب على العالم، ولكن (الواجب^(١٤)) (و) الأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به، ولا يتخلف عنهم؛ كما قال شعيب رضي الله عنه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

(١) أخرجه ابن جرير (٨٤٠) بطوله؛ وابن أبي حاتم (٤٧٧) حتى قوله: «العهد من التوراة». [وسنده حسن].

(٢) في (ض): «وتحجون»! (٣) أخرجه ابن جرير (٨٤١) وسنده ضعيف.

(٤) في «تفسيره» (٨٤٦) ورجاله ثقات لكن رجح الشيخ أبو الأشبال رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (٢/

٩) أن أبا قلابه لم يسمع من أبي الدرداء قال: «فإن أبا الدرداء مات سنة (٣٢) وأبو قلابه متأخر الوفاة

مات سنة (١٠٤) وقيل: (١٠٧)». اهـ. وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢١٠)، وعزاه السيوطي

في «الدر المنثور» (٦٤/١) لعبد الرزاق وابن أبي شيبة. وروى ابن المبارك في «الزهد» (٢٩٥) ومن طريقه

أبو نعيم في «الحلية» (٢١٢/٥) قال: أخبرنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان قال: «لا يفقه الرجل كل

الفقه حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباعر ثم يعود إلى نفسه فتكون هي أحقر حاقراً». وسنده

صحيح.

(٥) من (ل). (٦) في (ن): «سالم»! وهو خطأ.

(٧) في (ك): «أبو الخالد رداء»!! (٨) من (ن).

(٩) أخرجه ابن جرير (٨٤٥) قال: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد فذكره.

وسنده صحيح.

(١٠) ساقط من (ن). (١١) في (ك): «فقال تعالى».

(١٢) ساقط من (ج). (١٣) ساقط من (ز).

(١٤) من (ج) و(ك) و(ل) و(ن).

أُنِيبُ ﴿ هود: ٨٨ ﴾ فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف.

وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف. وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية؛ فإنه لا حجة لهم فيها.

والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه؛ ^(١) قال مالك، عن ربيعة: سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر ^(١).

^(٢) قال مالك: وصدق؛ من ذا الذي ليس فيه شيء؟

(قلت) ^(٣) ^(٢): لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة، وفعله المعصية، لعلمه بها ومخالفته على بصيرة؛ فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم؛ ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك؛ كما قال الإمام أبو القاسم الطبراني في «معجمه» ^(٤) الكبير: حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي، والحسن بن علي (المعمري) ^(٥)؛ قالوا: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا علي بن سليمان الكلبي، حدثنا الأعمش، عن أبي تميمة الهجيمي، عن جندب (بن) ^(٦) عبد الله (رضي الله عنه) ^(٧)، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه».

هذا حديث غريب من هذا الوجه.

حديث آخر: قال الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» ^(٨): حدثنا وكيع، حدثنا حماد بن سلمة،

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) ساقط من (ك).

(٤) (ج ٢/ رقم ١٦٨١) ومن طريقه الشجري في «الأمال» (٦٧/١) مطولاً وفيه قصة.

وأخرج الخطيب في «الاقتضاء» (٧٠)؛ والأصبهاني في «الترغيب» (٢١٤٤) منه محل الشاهد. وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٣٢/٦): «فيه علي بن سليمان، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات! كذا قال! وعلي بن سليمان ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٨٨/١/٣، ١٨٩) ونقل عن أبيه أنه قال: «ما أرى بحديثه بأساً، صالح الحديث ليس بالمشهور». ونقل الأصبهاني في «الترغيب» (٢١٤٤)، عن هشام بن عمار قال: «ثنا علي بن سليمان وهو من أهل دمشق ثقة» ونقله ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج ١٢/ق ١٠٩). ثم رأيت الهيثمي ذكر الحديث في موضع آخر من «المجمع» (١٨٤/١، ١٨٥) وقال: «رجاله موثقون»، وحسنه شيخنا الألباني في تعليقه على «الاقتضاء»، وجود إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٦٥/١).

(٥) في (ك): «العمري»!

(٦) في (ل): «عن»! وهو خطأ ظاهر.

(٧) ساقط من (ل).

(٨) (١٢٠/١، ١٨٠) قال: حدثنا وكيع بسنده سواء.

وأخرجه وكيع في «الزهد» (٢٩٧) ومن طريقه أحمد في «الزهد» (ص ٤٥)؛ وابن أبي شيبه (٣٠٨/١٤) وتابعه عبد الله بن المبارك في «مسنده» (٢٧، ١٣٢)؛ وفي «الزهد» (٨١٩) ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٠٩) قال: أخبرنا حماد بن سلمة بسنده سواء.

وتابعهما عفان بن مسلم وشيبان بن عبد الرحمن كلاهما عن حماد بن سلمة به. أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٩٩/٦)؛ وفي «الموضح» (١٧٠/٢).

عن علي بن زيد - هو ابن جدعان - عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على قوم (تقرض شفاههم)»^(١) بمقاريض من نار.

قال: «قلت: من هؤلاء؟» قالوا: «خطباء: (أمتك)»^(٢) من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرُونَ الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون.

ورواه عبد^(٣) بن حميد في «مسنده» و«تفسيره»، عن الحسن بن موسى، عن حماد بن سلمة، به. ورواه ابن مردويه في «تفسيره» من حديث يونس بن محمد^(٤) المؤدب، والحجاج بن منهال؛ كلاهما عن حماد بن سلمة به.

وكذا رواه يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، (به)^(٥)؛ ثم قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا إسحاق بن إبراهيم التستري ببلخ، حدثنا مكّي بن إبراهيم، حدثنا عمر بن قيس، عن علي بن زيد، عن ثمامة؛ عن أنس؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم وألستهم بمقاريض من نار. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرُونَ الناس بالبر وينسون أنفسهم».

وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»^(٦)، وابن أبي حاتم، وابن مردويه أيضاً، من حديث هشام الدستوائي، عن المغيرة - يعني: ابن حبيب ختن مالك بن دينار - عن مالك بن دينار، عن ثمامة، عن أنس بن مالك؛ قال: لما عرج برسول الله ﷺ مر بقوم تقرض شفاههم؛ فقال: «يا جبريل؛

= وهذا سند فيه ضعف، وحماد بن سلمة كان من أثبت الناس في علي بن زيد، وقد اختلف في إسناده كما يأتي. والحديث صحيح على كل حال فله طرق. وقد ذكرتها في «التسليّة».

(١) كذا في (ع) و(ل) و(ن) و(هـ) وهو الموافق لما في «المسند» و(زهـد وكيع)، ووقع في (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ي): «شفاههم تقرض»، وأشار ناسخ (ع) إلى ذلك.

(٢) من (ن) وهو الموافق للرواية الثانية في «المسند» (١٨٠/٣) عن وكيع. وخلت منها الرواية الأولى في «المسند» (١٢٠/٣) عن وكيع، وهي كذلك في «زهـد وكيع».

(٣) في «المنتخب من المسند» (١٢٢٢)؛ وأخرجه أحمد (٢٣٩/٣، ٢٤٠) قال: حدثنا حسن بن موسى بسنده سواء.

(٤) وحديث يونس: أخرجه أحمد (٢٣١/٣) قال: حدثنا يونس بن محمد، ثنا حماد بن سلمة به وقد توبع حماد بن سلمة، تابعه المبارك بن فضالة، عن علي بن زيد به مختصراً؛ أخرجه الطيالسي في «مسنده» (٢٠٦٠). والمبارك فيه لين، ثم هو يدلّس.

(٥) من (ز) و(ن).

(٦) رقم (٥٣) من طريق يزيد بن زريع، حدثنا هشام الدستوائي، حدثنا المغيرة ختن مالك بن دينار عن مالك بن دينار، عن أنس فذكره مرفوعاً ثم قال: «روى هذا الخبر أبو عتاب الدلال، عن هشام، عن المغيرة، عن مالك بن دينار، عن ثمامة، عن أنس، ووهـم فيه، لأن يزيد بن زريع أتقن من مائتين من مثل أبي عتاب وذويه». ونقل كلام ابن حبان هذا الضياء في «المختارة» (٢٠٨/٧) وبهذا يظهر وهم المصنّف ﷺ لأنه عزا رواية «ثمامة عن أنس» إلى «صحيح ابن حبان»؛ وأخرجه أبو يعلى (ج/٧ رقم ٤١٦٠)؛ والطبراني في «الأوسط» (ج/١ ق/١٦٠/٢)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣٨٦/٢، ٢٤٨/٦، ٢٤٩)؛ والضياء في «المختارة» (٢٦٤٦، ٢٦٤٧) من طريق يزيد بن زريع عن هشام الدستوائي بسنده سواء. قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن المغيرة، عن مالك، إلا هشام» وقال أبو نعيم: «تفرد به يزيد بن زريع، عن هشام».

من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الخطباء من أمتك، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أفلا يعقلون.

حديث آخر: قال الإمام أحمد^(١): حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن أبي وائل؛ قال: قيل لأسامة وأنا رديفه: ألا تكلم عثمان؟ فقال: إنكم ترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم. إني لأكلمه فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من افتتحه، والله لا أقول لرجل: إنك خير الناس، وإن كان عليّ أميراً، بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول: قالوا: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أقتابه، فيدور بها في النار، كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار؛ فيقولون: يا فلان؛ ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟» (فقال)^(٢): كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية». ورواه البخاري ومسلم من حديث سليمان بن مهران الأعمش، به، نحوه.

^(٣) [وقال^(٤) أحمد]: حدثنا (سيار)^(٥) بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس^(٦)؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يعافي الأئمين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء»^(٧).

^(٧) [وقد ورد في بعض الآثار^(٨) أنه «يغفر للجاهل سبعين مرة»^(٩)]^(٧) [حتى يغفر للعالم مرة واحدة، ليس من يعلم كمن لا يعلم]^(٩).

(١) في «مسند» (٢٠٥/٥)؛ وأخرجه البيهقي في «الكبرى» (٩٤/١٠، ٩٥) من طريق محمد بن عبد الوهاب، وفي «الشعب» (ج ١٣/رقم ٧١٦١) من طريق محمد بن يحيى قال: حدثنا يعلى بن عبيد به؛ وأخرجه أحمد (٢٠٧/٥، ٢٠٩)؛ والبخاري (٣٣١/٦، ٤٨/١٣)؛ ومسلم (٥١/٨٩٨٩).

(٢) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) وهو الموافق لما في «المسند»؛ وفي (هـ) و(ي): «قال»؛ وفي (ز) و(ض): «فيقول».

(٣) ساقط من (ز) و(ض). (٤) ساقط من (ع) و(هـ) و(ي).

(٥) في (ل): «يسار»؛ وفي (ي): «بشار» وكلاهما خطأ.

(٦) لم يروه أحمد في «المسند»؛ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٣١/٢ و ٢٢٢/٩)؛ والخطيب في «الاعتضاء» (٨٠)؛ والضياء في «المختارة» (١٦٠٩)؛ وابن الجوزي في «الواحيات» (١٣٣/١)؛ وابن عساكر في «ذم من لا يعمل بعلمه» (١١) كلهم من طريق الإمام أحمد قال: حدثني سيار بن حاتم بسنده سواء؛ وأخرجه الرامهرمي في «المحدث الفاصل» (ص ٤٩٢) من طريق أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي بحلب قال: قلت لأحمد بن حنبل: أكتب عن سيار، عن جعفر، عن ثابت، عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يعفى عن الأئمين قبل أن يعفى عن العلماء»؟ قال: «نعم» وقال أبو نعيم في الموضع الأول: «هذا حديث غريب تفرد به سيار، عن جعفر، ولم نكتبه إلا من حديث أحمد بن حنبل» وقال في الموضع الثاني: «غريب من حديث ثابت، تفرد به سيار، عن جعفر. قال عبد الله؛ يعني: ابن الإمام أحمد: قال أبي: هذا حديث منكر، وما حدثني به إلا مرة». اهـ.

وقال ابن عساكر: «غريب، تفرد ابن سيار العنزي». وذكره الذهبي في «الميزان» (٤١١/١) في ترجمة «جعفر بن سليمان» وقال: «قيل: أخطأ من حدث به عن جعفر»، ونقل ابن الجوزي عن أحمد أنه قال: «الخطأ من جعفر».

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٨٦/٧، ١٠٠/٨) من طريقين عن ابن عيينة، قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: «يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد» وقد ورد بنحوه مرفوعاً عن أبي هريرة وهو منكر لا يصح.

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

(١) [وقد] (٢) قال (الله) (٣) تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

(٤) [وروى ابن (٥) عساكر في «ترجمة الوليد بن عقبة»، عن (٤) النبي ﷺ؛ قال: «إن أناساً من أهل الجنة يطلعون (إلى) (٦) أناس من أهل النار، فيقولون: بم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم؟ فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل».

ورواه (من حديث (٧): الطبراني)، عن أحمد بن يحيى (بن حيان (٨) الرقي)، عن زهير بن عباد الرواسي، عن أبي بكر (الداهري) (٩) عبد الله بن حكيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن الوليد بن عقبة؛ فذكره (٦).

وقال الضحاك (١٠)، عن ابن عباس - أنه جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس؛ إني أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، قال: (أوبلغت) (١١) ذلك؟ قال: أرجو؛ قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل. قال: وما هن؟ قال: قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أحكمت هذه؟ قال: لا. قال: فالحرف الثاني؟ قال: قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (١٣) [الصف] أحكمت هذه؟ قال: لا. قال: فالحرف الثالث؟ قال: قول العبد الصالح شعيب (ع) (١٤): ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ [هود: ٨٨] أحكمت هذه الآية؟ قال: لا. قال: فابدأ بنفسك. رواه ابن مردويه في «تفسيره».

(٢) من (ه).

(٤) ساقط من (ك).

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) من (ج) و(ع) و(ك) و(ي).

(٥) في «تاريخ دمشق» (ج ١٧/ق ٨٦٧).

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٢٢/رقم ٤٠٥)؛ وفي «الأوسط» (٩٩)، ومن طريقه الخطيب في «الاقتضاء» (٧٣) قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حبان، قال: نا زهير بن عباد، قال: نا أبو بكر الداهري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعب، عن الوليد بن عقبة مرفوعاً.

قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل بن أبي خالد، إلا أبو بكر الداهري، تفرد به: زهير».

(*) قلت: زهير ثقة، ولكن أبا بكر الداهري متروك ساقط، كذبه الجوزجاني، وقال ابن معين والنسائي: «ليس بثقة»، وبه أعله الهيثمي في «المجمع» (٢٧٦/٧) وقال: «ضعيف جداً»؛ أما السيوطي فإنه اقتصر في «الدر المنثور» (٥٦/١) على تضعيفه حسب.

(٦) في (ن) و(ه): «على».

(٨) في (ن): «الخباز الرملي»!! وهو أحمد بن يحيى بن خالد بن حبان أبو العباس الرقي، توفي في ربيع الأول سنة أربع وتسعين ومائتين، ترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام» حوادث سنة (٢٩١ - ٣٠٠).

(٩) في (ن) و(ي): «الزاهري»!!

(١٠) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج ١٣/رقم ٧١٦٢) من طريق بشر بن الحسين، حدثنا الزبير بن عدي، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس.

وعزه السيوطي في «الدر» (١/٦٥)؛ لابن مردويه وابن عساكر. وسنده ساقط، وبشر بن الحسين تالف، قال الدارقطني: «بشر بن الحسين أصبهاني متروك، عن الزبير بن عدي بواطيل، وله عنه نسخة موضوعة، قال: والزبير ثقة». والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(١١) في (ن): «أبلغت».

وقال الطبراني^(١): حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا زيد بن (الحريش)^(٢)، حدثنا عبد الله بن خراش، عن العوام بن حوشب، عن (المسيب)^(٣) بن رافع، عن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا الناس إلى قول أو عمل ولم يعمل هو به لم يزل في ظل سخط الله حتى يكف، أو يعمل ما قال أو دعا إليه».

^(٤) [إسناده فيه ضعف.

وقال إبراهيم النخعي: إني لأكره القصص لثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا النَّاسَ بَالِيزًا وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ [الصف] وقوله - إخباراً عن شعيب -: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلَفَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود]^(٤).

^(٥) [وما أحسن ما قال مسلم بن عمرو:

ما أقبح التزهيد من واعظ لو كان في تزهيده صادقاً إن رفض الناس فما باله الرزق مقسوم على من ترى وقال بعضهم: جلس أبو عثمان الحيري الزاهد يوماً على مجلس للتذكير فأطال السكوت، ثم أنشأ يقول]^(٥):

^(٦) [وغير تقى يأمر الناس بالتقى
قال: فضج الناس بالبكاء.
وقال أبو العتاهية الشاعر:
وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى
وقال أبو الأسود الدؤلي:
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
وابداً بنفسك فانهها عن غيرها
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى
طبيب يداوي الناس وهو مريض
عار عليك إذا فعلت عظيم
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
بالقول منك وينفع التعليم]^(٦)

(١) كما في «المجمع» (٢٧٦/٧)؛ ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٧/٢). قال الهيثمي: «فيه عبد الله بن خراش، وثقه ابن حبان وقال: «يخطئ» وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات». وضعف إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٦٥/١). والصواب أن إسناده ضعيف جداً، وعبد الله بن خراش قال فيه البخاري: «منكر الحديث» وكذلك قال أبو حاتم الرازي وزاد: «ذاهب الحديث ضعيف الحديث»، وقال أبو زرعة: «ليس بشيء ضعيف الحديث» وضعفه الساجي جداً وقال: «كان يضع الحديث»، وكذبه ابن عمار الموصلي. فقول المصنف: «إسناده فيه ضعف» فيه تسامح. والله أعلم.

(٢) في (ن): «الحارث» وهو تصحيف.

(٣) في (ج): «سعيد بن المسيب بن رافع» وهو خطأ واضح.

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) من (ج) و(ك) و(ل) و(ي).

(٦) من (ج) و(ك) و(ل) و(ي).

(١) [وذكر الحافظ ابن عساكر^(٢) في ترجمة «عبد الواحد بن زيد البصري» العابد الواعظ قال: «دعوت الله أن يريني رفيقي في الجنة؛ فقبل لي في المنام: هي امرأة بالكوفة يقال لها: «ميمونة السوداء»، فقصدت الكوفة لأراها، فقبل لي: هي ترعى غنماً بواد هناك، فجئت إليها فإذا هي قائمة تصلي، والغنم ترعى حولها، وبينهن الذئب لا ينفرون منهن ولا تسطو الذئاب عليهن، فلما سلمت قالت: يا ابن زيد! ليس الموعد هاهنا! إنما الموعد ثم، فسألته عن شأن الذئب والغنم، فقالت: إني أصلحت ما بيني وبين سيدي، فأصلح ما بين الذئب والغنم!، فقلت لها: عطيني، فقالت: يا عجباً من واعظ يوعظ! ثم قالت: يا ابن زيد! إنك لو وضعت موازين القسط على^(٣) [جوارحك لخبرتك بمكتوم مكنون ما فيها، يا ابن زيد! إنه بلغني: ما من عبد أعطى من الدنيا شيئاً، فابتغى إليه ثانياً، إلا سلبه الله حب الخلوة، وبدله بعد القرب البعد، وبعد الأنس الوحشة، ثم أنشأت تقول:

يا واعظاً قام لاحتساب	يزجر قوماً عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقاً	هذا من المنكر العجيب
تنهى عن الغي والتمادي	وأنت في النهي كالمرتب
لو كنت أصلحت قبل هذا	عيبك أو تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبي	موضع صدق من القلوب ^(٣)

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٥٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى أمراً عبده فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة؛ كما قال مقاتل بن^(٤) حيان في تفسير هذه الآية: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلاة؛ فأما الصبر فقليل: إنه الصيام، نص عليه مجاهد^(٥).

(٦) [قال القرطبي^(٧) وغيره: ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر، كما نطق به الحديث^(٨)] (٦).

(١) من (ج) و(ل) و(ي).

(٢) في «تاريخ دمشق» (ج ١٠/ق ٥٦٠، ٥٦١) سياق أخصر، ولوائح الكذب عليها واضحة!

(٣) من (ج) و(ل) و(ي).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٧)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٧/رقم ٩٦٨٥). [وسنده جيد].

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٨٤)؛ وابن شاهين في «الترغيب» (٢٧٨) من طريق سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجیح عن مجاهد فذكره وأشار إليه البيهقي في «الشعب» (١١٣/٧ - طبع بيروت). [وسنده صحيح].

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) في «تفسيره» (٣٧٣/١).

(٨) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (ج ٣/رقم ١٨٨٧)؛ وعنه البيهقي في «الشعب» (ج ٧/رقم ٢٣٣٦)؛ وابن أبي الدنيا (٤١)؛ وابن شاهين (١٦) كلاهما في «فضائل رمضان»؛ والواحدي في «الوسيط» (ج ١/ق ٦٤٠/١، ٢)؛ والأصبهاني في «الترغيب» (١٧٢٦)؛ وابن عساكر في «جزء فيه أحاديث شهر رمضان وفضل صيامه» (١٦) من طريق علي بن حجر، ثنا يوسف بن زياد، ثنا همام بن يحيى، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن سلمان الفارسي فذكر حديثاً مرفوعاً في فضل رمضان وفيه: «وهو شهر =

وقال سفيان الثوري^(١)، عن أبي إسحاق، عن جري بن كليب، عن رجل من بني سليم، عن النبي ﷺ؛ قال: «الصوم نصف الصبر».

وقيل: المراد بالصبر الكف عن المعاصي؛ ولهذا قرنه بأداء العبادات؛ وأعلها فعل الصلاة.
قال ابن^(٢) أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا (عبيد الله)^(٣) بن حمزة بن إسماعيل، حدثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي سنان، عن عمر بن الخطاب ﷺ؛ قال: الصبر صبران: صبر عند المصيبة حسن؛ وأحسن منه الصبر عن محارم الله.
(قال)^(٤): وروي عن الحسن^(٥) البصري نحو قول عمر.

وقال ابن المبارك^(٦)، عن ابن لهيعة، عن (عطاء)^(٧) بن دينار، عن سعيد بن جبيرة؛ قال: الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب (منه)^(٨)، واحتسابه عند الله، ورجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو يتجلد لا يرى منه إلا الصبر.

= الصبر، والصبر ثوابه الجنة... قال ابن خزيمة: «إن صح الخبر».
(*) قلت: وهو لم يصح، بل هو حديث منكر كما قال أبو حاتم في «العلل» (٧٣٣) ومداره على علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. والله أعلم.
(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٣) عن وكيع، والبيهقي في «شعب الإيمان» (ج ٢/رقم ٦٢٢) عن محمد بن كثير كلاهما عن سفيان الثوري بسنده سواء.
وأخرجه الترمذي (٣٥١٩)؛ والدارمي (١٣٢/١)؛ وأحمد (٤/٢٦٠ و ٥/٣٧٠)؛ وعبد الرزاق في «المصنف» (ج ١١/رقم ٢٠٥٨٢)؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (ق ٢/٢٩٣)؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٤٣٢، ٤٣٣) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي بسنده سواء.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن، وقد رواه شعبة وسفيان، عن أبي إسحاق». وهذا سند حسن. وجرى بن كليب وثقه ابن حبان والعجلي، وصح له الترمذي حديثاً.
(٢) في «تفسيره» (٤٨٨) وسنده ضعيف للانقطاع بين أبي سنان واسمه سعيد بن سنان البرجمي وبين عمر بن الخطاب ﷺ.
(٣) في (ن): «عبد الله»، وهو خطأ، [والمصواب]: عبيد الله بن حمزة، ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣١٢/٢/٢) وقال: «سئل أبي عنه فقال: صالح».
(٤) ساقط من (ز) و(ض) والقاتل هو ابن أبي حاتم.
(٥) أخرجه البيهقي في «الشعب» (ج ٧/رقم ٩٧٠٩) من طريق عبد الله بن الجراح، نا عمران بن خالد الخزاعي عن عمران القصير، عن الحسن قال: «الإيمان الصبر والسماحة، الصبر عن محارم الله وأداء فرائض الله». وسنده ضعيف. وعمران بن خالد ضعيف الحديث أو واه وهو يروى عن الحسن وابن سيرين كما في «الجرح والتعديل» (٢٩٧/١/٣) وعمران بن مسلم القصير في حفظه ضعف.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٨٩) قال: حدثنا أبي، ثنا هشام بن عبيد الله، ثنا ابن المبارك، وهذا في «الزهد» (١١١ - زوائد نعيم) قال: أخبرني ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار أن سعيد بن جبيرة قال: فذكره. وعطاء بن دينار قال أبو حاتم: «صالح الحديث، إلا أن التفسير أخذه من الديوان، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبيرة أن يكتب إليه بتفسير القرآن فكتب سعيد بن جبيرة بهذا التفسير إليه، فوجده عطاء بن دينار، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبيرة». وكذلك قال أحمد بن صالح: «تفسيره عن سعيد بن جبيرة صحيفة». [وسنده حسن].

(٧) وقع في سائر «الأصول»: «مالك» وهو خطأ، ولعله سبق قلم من المصنف ﷺ.

(٨) كذا في (ن) و(هـ) و(و)، ووقع في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل): «فيه».

وقال أبو العالية^(١)، في قوله (تعالى)^(٢): ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ قال: على مرضاة الله، وعلموا أنها من طاعة الله.

وأما قوله: ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر؛ كما قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ الآية [العنكبوت: ٤٥].

وقال الإمام أحمد^(٣): حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلي؛ قال: قال عبد العزيز أخو حذيفة؛ قال حذيفة - يعني: ابن اليمان (رضي الله عنه)^(٤) -: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى.

ورواه أبو داود،^(٥) [عن محمد بن عيسى، عن يحيى بن زكريا، عن عكرمة بن عمار، كما سيأتي]^(٥).

وقد رواه ابن جرير^(٦) من حديث ابن جريج، عن عكرمة بن عمار، عن محمد (بن عبيد)^(٧) بن أبي قدامة، عن عبد العزيز بن اليمان، عن حذيفة؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

^(٨) [ورواه بعضهم عن عبد العزيز بن أخي حذيفة، ويقال: أخى حذيفة، مرسلاً، عن النبي ﷺ].

وقال محمد بن نصر^(٩) المروزي في «كتاب الصلاة»: حدثنا سهل بن عثمان (أبو مسعود)^(١٠) العسكري، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة؛ قال: قال عكرمة بن عمار: قال محمد بن عبد الله الدؤلي. قال عبد العزيز: قال حذيفة: رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب، وهو مشتمل في شملة يصلي، وكان إذا حزبه أمر صلى. حدثنا^(١١) ^(٨).

(١) أخرجه ابن جرير (٨٥٣)؛ وابن أبي حاتم (٤٨٥). [وسنده جيد].

(٢) من (ن). (٣) في «مسنده» (٣٨٨/٥).

وأخرجه ابن جرير (٨٥٠) قال: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا خلف بن الوليد بسنده سواء.

ووقع في إسناده الحديث اضطراب يترشح منه ضعف الحديث. والله أعلم.

(٤) من (ن). (٥) ساقط من (ز) و(ض).

(٦) في «تفسيره» (٨٤٩) قال: حدثني إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: حدثنا الحسين بن رتاق الهمداني، عن ابن جريج بسنده سواء. [وصححه أحمد شاكر وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤/٢١٥].

هكذا وقع في «مطبوعة الطبري»: «الحسين بن رتاق». وهو تصحيف صوابه: «الحسن بن زياد الهمداني» كما في «ثقات ابن حبان» (١٦٨/٨)؛ و«تحفة الأشراف» (٥٠/٣) للمزي.

(٧) في (ن): «ابن أبي عبيد». (٨) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٩) في «كتاب تعظيم قدر الصلاة» (٢١٢).

(١٠) ساقط من (ن)، ووقع في (ج) و(ك) و(ل) و(ه): «ابن مسعود» وهو خطأ.

(١١) أخرجه ابن نصر (٢١٣) أيضاً.

وأخرجه النسائي في «الكبرى»، كما في «أطراف المزي» (٣٥٨/٧)؛ وأحمد (١٠٢٣، ١١٦١)؛ والطيالسي =

(١) [عبید الله^(٢)] بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمع حارثة بن مضرب، سمع علياً رضي الله عنه يقول: لقد رأيتنا ليلة بدر، وما فينا إلا نائم، غير رسول الله ﷺ يصلي ويدعو حتى أصبح^(١).

قال ابن جرير^(٣): وروي عنه عليه (الصلاة و)^(٤) السلام أنه مر بأبي هريرة وهو منبطح على بطنه، فقال له: [اشكنب^(٥) درد]، ومعناه: أيوجعك بطنك؟ قال: نعم. قال: «قم فصل، فإن الصلاة شفاء».

= (١١٦)؛ وأبو يعلى (٢٨٠، ٣٠٥)؛ وابن خزيمة (ج ٢/ رقم ٨٩٩) وعنه ابن حبان (٢٢٥٧)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٤٩/٣) من طرق عن شعبة، عن أبي إسحاق، سمع حارثة بن مضرب، سمع علياً فذكره. ولفظ النسائي: «لقد رأيتنا ليلة بدر، وما فينا إنسان إلا نائم إلا رسول الله ﷺ، فإنه كان يصلي إلى سحره، ويدعو حتى أصبح». وهذا سند صحيح.

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ي). (٢) في (ك) و(ن): «عبد الله» وهو خطأ.

(٣) في «تفسيره» (٨٥١) وتصديره الحديث بصيغة التمریض مشعر بضعفه عنده، وهو حديث منكر؛ أخرجه ابن ماجه (٣٤٥٨)؛ وابن القطان في «زوائده عليه»؛ وأحمد (٢/ ٣٩٠، ٤٠٣)؛ والبزار في «مسنده» (ج ٢/ ق ٢٢٩/١)؛ وابن حبان في «المجروحين» (١٩٦/١)؛ وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٩٨٥)؛ وتمام الرازي في «الفوائد» (١١٤٣)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٤٨/٢)؛ وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص ٢٥٥)؛ وأبو نعیم في «الطب» (ق ٦٤/٢)؛ وابن شاهين في «الأفراد» (ج ٥/ ق ١١٥/١)؛ وابن الجوزي في «الواهيات» (١٧٠/١، ١٧١) من طريق ذواد بن علبه، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن أبي هريرة فذكره.

ومعنى «اشكنب درد»: أتشتكي بطنك؟ ووقع عند البزار «دردش كم» وعند ابن ماجه: «اشكمت درد» قال ابن شاهين: هذا حديث غريب الإسناد، حسن المتن، وهذا الحديث منكر غير صحيح، وذواد، بالذال ثم واو مشددة وآخره دال مهملة، هو ابن علبه، بضم العين المهملة وسكون اللام بعدها باء موحدة قال ابن حبان: «منكر الحديث جداً، يروى عن الثقات ما لا أصل له، وعن الضعفاء ما لا يعرف». وقال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح، وحديث أبي هريرة يرويه ذواد بن علبه أبو المنذر الحارثي. قال يحيى: لا يكتب حديثه، وقال مرة: ليس شيء». قال ابن عدي: «هذا معروف بـ ذواد بن علبه» عن ليث، أسنده. وغيره أوقفه على أبي هريرة» فقال ابن الجوزي: «ولعله أخذه من ذوائد». والصلت بن الحجاج قال فيه ابن عدي: «في حديثه بعض النكرة». ثم قال: وللصلت غير ما ذكرت من الحديث، وليس بالكثير، وفي بعض أحاديثه ما ينكر عليه، بل عامته كذلك، ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً فأذكره». اهـ..

ثم قال ابن الجوزي: «وقد روى هذا الحديث عن أبي هريرة موقوفاً وهو أصح».

(*) قلت: وهذا الموقوف: أخرجه البخاري في «التاريخ الصغير» (٢/ ٢٥٨) ومن طريقه العقيلي (٤٨/٢)؛ وابن عدي (٣/ ٩٨٥)؛ وابن الجوزي (١/ ١٧٠) قال: ثنا ابن الأصبهاني، ثنا المحاربي - هو عبد الرحمن بن محمد - عن ليث، عن مجاهد قال: قال لي أبو هريرة: يا فارسي! اشكنب درد؟ قال ابن الأصبهاني: «رفعه ذواد بن علبه، وليس له أصل، أبو هريرة لم يكن فارسياً، إنما مجاهد فارسي».

وقال العقيلي: «الموقوف أولى». وقال ابن عدي: «وأظن أن بعض الضعفاء أيضاً قد رواه عن ليث فرفعه وأظنه معلى بن هلال». وقال ابن الجوزي: «فقد بان بهذا أن المتكلم بالفارسية أبو هريرة لا رسول الله ﷺ، وإنما الذي رفعه وهم». وقال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٣٣): «والأصح ما رواه المحاربي عن ليث عن مجاهد مرسلًا». اهـ.

وقد رجح وقفه أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (ص ٢٠٦) وتلميذه المحقق ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ٢١٠).

(٤) من (ز) و(ض) و(ن).

(٥) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»؛ وفي (ز) و(ض) و(هـ):

«اشكيت درد»؛ وفي (ن): «اشكم درد».

قال ابن جرير^(١): وقد حدثنا محمد بن (العلاء)^(٢)، ويعقوب بن إبراهيم؛ قالوا: حدثنا ابن عليه، حدثنا (عينه)^(٣) بن عبد الرحمن، عن أبيه - أن ابن عباس (نُعي)^(٤) إليه أخوه قُثم، وهو في سفر؛ فاسترجع، ثم تنحى عن الطريق، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته؛ وهو يقول: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٥). وقال سُنيِد^(٥)، عن حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ قال: إنهما معونتان على رحمة الله.

والضمير في قوله: ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾^(٦) عائد إلى الصلاة؛ نص عليه مجاهد^(٧). واختاره ابن جرير^(٨). ويحتمل أن يكون عائداً على ما (دل)^(٩) عليه الكلام، وهو الوصية بذلك؛ كقوله تعالى في قصة قارون: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُ إِلَّا الْمُصْطَرُونَ﴾^(١٠) [القصص] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١١) وَمَا يُفْلِحُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُفْلِحُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ^(١٢) [فصلت] أي: وما يلقي هذه الوصية إلا الذين صبروا، وما يلقاها؛ أي: يؤتاها ويلهمها إلا ذو حظٍ عظيم.

وعلى كل تقدير فقوله تعالى: ﴿وَأِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: مشقة ثقيلة إلا على الخاشعين. قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس؛ يعني: المصدقين بما أنزل الله. وقال مجاهد^(١١): المؤمنین حقاً. وقال أبو العالية^(١٢): ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الخائفين. وقال مقاتل^(١٣) بن حيان: إلا على الخاشعين؛ يعني به: المتواضعين. وقال الضحاك^(١٤): ﴿وَأِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ قال: إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين

(١) في «تفسيره» (٨٥٢) وإسناده صحيح.

(٢) وقع في (ض): «ابن عيينة»!!

(٣) في (ك): «نُعي»، بقاف!!

(٤) في (ن) و(هـ): «وإنها لكبيرة».

(٥) أخرجه ابن جرير (٨٥٤) وسنده صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم رقم (٤٩٠) وسنده قوي.

(٧) في «تفسيره» (١٥/٢) وقال: «إنها، وإن الصلاة، فالهاء والألف في «وإنها» عائدتان إلى الصلاة. وقد قال بعضهم: إن قوله: «وإنها» بمعنى: إن إجابة محمد ﷺ! ولم يجر لذلك بلفظ الإجابة ذكر، فتجعل «الهاء والألف» كناية عنه، وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته». اهـ.

(٨) في (ز) و(ن): «يدل».

(٩) أخرجه ابن جرير (٨٥٦)؛ وابن أبي حاتم (٤٩٣) [وسنده ثابت].

(١٠) أخرجه ابن جرير (٨٥٩)؛ وابن أبي حاتم (٤٩٤) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد. [وسنده صحيح].

(١١) وأخرجه ابن جرير (٨٥٨) من طريق الثوري، عن جابر، عن مجاهد مثله. وجابر هو ابن يزيد الجعفي وهو متروك.

(١٢) أخرجه ابن جرير (٨٥٧)؛ وابن أبي حاتم (٤٩٥) بسند حسن.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٦)؛ والبيهقي في «الشعب» (٩٦٨٥) من طريق بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان. ولفظ البيهقي مطول. وسنده حسن، وبكير بن معروف مختلف فيه، ولكنه مشهور برواية التفسير عن مقاتل، فهذا يقوى أمره أن يروى نسخةً يتعاهدها. والله أعلم.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩١) معلقاً ووصله ابن جرير (٨٥٦) من طريق يزيد بن هارون، أخبرنا جوير، عن =

(سطواته)^(١)، المصدقين بوعده ووعيده.

وهذا يشبه ما جاء في الحديث^(٢): «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه».

وقال ابن جرير^(٣): معنى الآية: واستعينوا أيها الأخبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله، وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر، المقربة من (رضا)^(٤) الله (تعالى)^(٥)، (العظيمة)^(٦) إقامتها إلا على (المتواضعين)^(٧) (المستكينين)^(٨) لطاعته المتدللين من مخافته.

هكذا قال! والظاهر أن الآية وإن كانت خطاباً في سياق إنذار بني إسرائيل فإنهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص؛ وإنما هي عامة لهم ولغيرهم. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ هذا من تمام الكلام الذي قبله؛ أي: إن الصلاة أو الوصاة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم؛ أي: (يعلمون أنهم)^(٩) (محشورون)^(١٠) إليه يوم القيامة، معروضون عليه.

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ أي: أمورهم راجعة إلى مشيئته، يحكم فيها ما يشاء بعدله؛ فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات، وترك المنكرات.

فأما قوله: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ قال ابن جرير^(١١) رَحِمَهُ اللهُ: العرب قد تسمى اليقين ظناً، والشك ظناً، نظير تسميتهم الظلمة سُدْفَةً، (والضياء سُدْفَةً)^(١٢)، والمغيث صارخاً، والمستغيث

= الضحاك. وسنده ضعيف جداً، وجويز تالف. ووقع في «تفسير ابن جرير»: «ابن يزيد» والصواب «يزيد». هذا، وقد خلط ابن كثير بين عبارة الضحاك وكلام ابن جرير فوصل القولين، والصواب أن العبارة التي نسبت إلى الضحاك: «إنها لثقيلة» ثم قال ابن جرير: «وبعني بقوله: «إلا على الخاشعين، إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين سطواته، المصدقين بوعده ووعيده».

(١) في (ن): «سطوته». وفي (ض): «لسطواته».

(٢) وهو قطعة من حديث: أخرجه النسائي في «التفسير» (٤١٤)؛ والترمذي (٢٦١٦)؛ وابن ماجه (٣٩٧٣)؛ وأحمد (٢٣١/٥)؛ وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/١٩٤)؛ وعبد بن حميد في «المنتخب» (١١٢)؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١٩٦) وغيرهم من طريق أبي وائل شقيق بن سلمة، عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه، ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال: «لقد سألتني عن عظيم...» الحديث. قال الترمذي: «حديث حسن صحيح» كذا قال! وقد نفى المنذري في «الترغيب» (٣/٥٢٩)؛ وابن رجب في «جامع العلوم» (٢/١٢٧)، (١٢٨) سماع أبي وائل من معاذ. ولكن للحديث طرق أخرى يرتقى بها الحديث إلى درجة الحسن. والحمد لله على توفيقه.

(٣) في «تفسيره» (١٧/٢).

(٤) في «ابن جرير»: «مراضى».

(٥) من (ع) و(ها) و(ي).

(٦) وقع في (ج) و(ك): «العظيم».

(٧) في (ن): «الخاشعين؛ أي: المتواضعين».

(٨) في (ل): «المسلوك»! وكتب فوقها بخط دقيق جداً كلمة ذهبت في التصوير، لعلها كانت تصحيحاً لهذه الكلمة.

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) في (ض): «يحشرون».

(١١) ساقط من (ج).

(١٢) في «تفسيره» (١٧/٢ - شاكراً).

صارخاً، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضده؛ كما قال (دريد)^(١) بن الصمة:
فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي (المسرد)^(٢)
يعني بذلك: تيقنوا بألفي مدجج يأتكم.

وقال (عميرة)^(٣) بن طارق:

فإن (تغتزوا)^(٤) قومي وأقعد فيكم وأجعل مني الظن غيباً مرجماً
يعني: وأجعل مني اليقين غيباً مرجماً.

قال^(٥): والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن في معنى اليقين أكثر من أن
تتصر، وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية. ومنه قول الله (تعالى)^(٦): ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا
أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣].

ثم قال ابن جرير^(٧): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا سفيان، عن جابر، عن
مجاهد (قال): «كل ظن في القرآن يقين؛ أي: ظننت، وظنوا».

وحدثني^(٨) المثنى، حدثنا إسحاق، حدثنا أبو داود (الحفري)، عن سفيان، عن (ابن)^(٩) أبي
نجيح، عن مجاهد؛ قال: «كل ظن في القرآن فهو علم» وهذا سند صحيح.

وقال أبو جعفر^(١٠) الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ
يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ﴾ قال: الظن ها هنا يقين.

قال ابن أبي حاتم^(١١): وروي عن مجاهد، والسدي، والربيع بن أنس، وقتادة نحو قول أبي العالية.
وقال سنيد^(١٢)، عن حجاج، عن ابن جريج: ﴿الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ﴾ (علموا أنهم ملاقوا
ربهم)^(١٣)؛ كقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ﴾ [الحاقة] يقول: «علمت». وكذا قال
عبد الرحمن بن زيد^(١٤) بن أسلم.

(١) في (ج) و(ل): «زيد»!! (٢) في (ج) و(ع) و(ك) و(ه) و(ي): «المسود»!

(٣) في (ك): «عمرة»! وفي «ض» و(ع) و(ن) و(ي): «عمير»!

(٤) كذا في (ج) و(ز) وهو الموافق لما في «ابن جرير» وقد وقع اضطراب عجيب في هذه الكلمة ففي (ل):

«نصروا» وفي (ع): «تعبروا»؛ وفي (ض) و(ن): «يعبروا»؛ وفي (ه): «تفروا» وفي (ك): «يغتروا»!

(٥) يعني: ابن جرير. (٦) من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ه) و(ي).

(٧) في «تفسيره» (٨٦٢) وفي سنده جابر الجعفي وهو متروك.

(٨) القائل هو ابن جرير (٨٦٣) وشيحه المثنى هو ابن إبراهيم الآملي يروي عنه ابن جرير كثيراً في «التفسير»
و«التاريخ» لكنني لم أجد له ترجمة، [وصحح سنده الحافظ ابن كثير].

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) أخرجه ابن جرير (٨٦١)؛ وابن أبي حاتم (٤٩٧). [وسنده جيد].

(١١) في «تفسيره» (٤٩٨) وهذه الآثار التي أشار إليها أخرج منها ابن جرير أثر مجاهد (٨٦٢، ٨٦٣)؛ والسدي
(٨٦٤) وسند هذا الأخير حسن.

(١٢) أخرجه ابن جرير (٨٦٥) وسنده صحيح. [لكن في سنده مقال].

(١٣) من (ن) وهو الموافق لما في «تفسير ابن جرير»، وسقط من سائر «الأصول».

(١٤) أخرجه ابن جرير (٨٦٦) بسند صحيح عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: «لأنهم لم يعاينوا فكان ظنهم يقيناً».

قلت: وفي «الصحيح»^(١): «أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس (وتربع)^(٢)؟ فيقول: بلى؛ (أي رب)^(٣)؛ فيقول (الله)^(٤) (تعالى)^(٥): (أفظنت)^(٦) إنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول الله: اليوم أنساك كما نسيتني. وسيأتي مبسوطاً عند قوله (تعالى)^(٣): ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] (إن شاء الله تعالى)^(٧) (والله تعالى أعلم)^(٨).

﴿يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٧).

يذكرهم تعالى (بسالف)^(٩) نعمه على آبائهم وأسلافهم، وما كان فضلهم به من إرسال الرسل منهم، وإنزال الكتب عليهم وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمِي عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة]. قال أبو جعفر^(١٠) الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ قال: بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان؛ فإن لكل زمان عالماً.

وروي^(١١) عن مجاهد، والربيع بن أنس، وقتادة، وإسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك. ويجب الحمل على هذا؛ لأن هذه الأمة أفضل منهم؛ لقوله تعالى - خطاباً لهذه الأمة -: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) يعني: «صحيح مسلم»، وهو فيه (١٦/٢٩٦٨) عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، وأخرجه الترمذي (٢٤٢٨)؛ وابن أبي داود في «البعث» (٣٤) من طريق مالك بن سعيير، عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة وعن أبي سعيد الخدري مرفوعاً نحوه.

(٢) في (ك): «ترتع» بقاء قبل العين المهملة، وهو تصحيف. ومعنى قوله: «ترتع» قال ابن أبي داود في «البعث» (ص ٧٤ بتحقيقه): «وأما قوله: «ترتع»؛ تأخذ المرباع. والمرباع: كان أهل الجاهلية إذا أغاروا فغنموا غنيمة، أعطوا سيدهم ربع ما غنموا؛ يضيف به الضيف، ويقوم به عن نواب الحى، فهذا المرباع». اهـ.

ومعنى قوله: «ترأس» أي: تكون رئيساً.

(٣) من (ك).

(٤) من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(هـ) و(ي).

(٥) من (ز) و(ن).

(٦) من (ك) و(ن).

(٨) كذا في (ل). وفي (ج) و(ع) و(ك) و(هـ) و(ي): «الله أعلم».

ووقع في (ع): «يلغ مقابلة بقراءة المصنف مما رضا بأصله، فسح الله في مدته».

(٩) في (ز) و(ض) و(ل): «سالف»؛ وفي (هـ): «سوالف».

(١٠) أخرجه ابن جرير (٨٦٩)؛ وابن أبي حاتم (٥٠١) من طريقين عن آدم بن أبي إياس ثنا أبو جعفر الرازي [وسنده جيد] وأثر قتادة عند عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٤/١، ٤٥) وعنه ابن جرير (٨٦٨). [وسنده صحيح].

(١١) هذا قول ابن أبي حاتم (ص ١٥٨ - البقرة). وأثر مجاهد عند ابن جرير (٨٧٠، ٨٧١). [وسنده صحيح].

وفي «المسانيد»^(١) و«السنن» عن معاوية بن^(٢) حيدة القشيري؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله».

والأحاديث في هذا كثيرة تذكر عند قوله (تعالى)^(٣): ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

^(٤) [وقيل: المراد (تفضيل)^(٥) بنوع ما من الفضل على سائر الناس، ولا يلزم تفضيلهم مطلقاً؛ حكاها (فخر الدين)^(٦) الرازي^(٧)، وفيه نظر.

وقيل: إنهم فضلوا على سائر الأمم لاشتغال أمتهم على الأنبياء منهم، حكاها القرطبي في «تفسيره»^(٨). وفيه نظر؛ لأن العالمين عام يشمل من قبلهم ومن بعدهم من الأنبياء؛ فإبراهيم الخليل قبلهم، وهو أفضل من سائر أنبيائهم. ومحمد بعدهم، وهو أفضل من جميع الخلق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة صلوات الله وسلامه عليه^(٩).

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

^(٩) [بحث فخر الدين الرازي^(١٠) ها هنا مع المعتزلة في إثبات^(٩) ^(١١)] الشفاعة، فأورد لهم شبهاً وأجاب عنها.

قلت: وقد بسطت الكلام على الأحاديث المتواترة في الشفاعة وأقسامها وتعدادها وأنواعها في كتابنا «البعث والنشور» والله الحمد والمنة^(١١).

لما ذكرهم (تعالى)^(١٢) بنعمه أولاً عطف على ذلك التحذير من (حلول)^(١٣) نقمه بهم يوم القيامة، فقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي: لا يغني أحد عن أحد؛ كما قال: ﴿وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً وَزَرْدٌ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] وغيرها. وقال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِئُهُ﴾ [عبس] وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ أَخَشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣] فهذا أبلغ المقامات أن كلاً من الوالد وولده لا يغني أحدهما عن الآخر شيئاً.

وقوله (تعالى)^(١٤): ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ يعني: (عن)^(١٥) الكافرين؛ كما قال: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ

(١) في (ض) و(ك) و(ن): «المسانيد». ووقع في (ك): «السنن والمسانيد».

(٢) حديث حسن. وقد مر تخريجه (٢٥٤/١، ٢٥٥). (٣) من (ز) و(ن).

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) في (ج) و(ع) و(ل): «تفضل».

(٦) ساقط من (ن) و(ه).

(٨) انظر: «تفسير القرطبي» (٣٧٦/١).

(٩) من (ل) وكتبها ناسخ (ج) و(ع) و(ي) في الحاشية.

(١٠) في «تفسيره» (٥٩/٢، ٧٠).

(١١) من (ل) وكتبها ناسخ (ج) و(ع) و(ي) في الحاشية.

(١٢) من (ز) و(ع) و(ن) و(ه) و(ي).

(١٣) في (ن): «طول».

(١٤) من (ز) و(ن).

(١٥) في (ن): «من».

شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ [المدثر] وكما قال عن أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿٥٠﴾ [الشعراء].

وقوله (تعالى) ^(١): ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي: لا يقبل منها فداء، كما قال (تعالى) ^(٢): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ [آل عمران: ٩١] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ [المائدة] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ٧٠] وقال: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ...﴾ الآية [الحديد: ١٥].

فأخبر تعالى أنهم إن لم يؤمنوا برسوله، ويتابعوه على ما بعثه به، ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه فإنه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذي جاه، ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهباً؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقال: ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

^(٣) [قال سنيد] حدثني حجاج، حدثني ابن جريج؛ قال: قال مجاهد: قال ابن عباس: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ قال: بدل، والبدل: الفدية.

وقال السدي ^(٤): أما «عدل» فيعدلها من «العدل» ^(٥)؛ يقول: لو جاءت بملء الأرض ذهباً تفتدي به ما تقبل منها.

وكذا قال عبد الرحمن ^(٦) بن زيد بن أسلم ^(٧).

وقال أبو جعفر ^(٧): الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] يعني فداء.

قال ابن ^(٨) أبي حاتم: وروي عن أبي مالك، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والربيع بن أنس، نحو ذلك.

وقال عبد ^(٩) الرزاق: أنبأنا الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن علي عليه السلام في حديث طويل؛ قال: والصرف والعدل: التطوع والفريضة.

وكذا قال الوليد ^(١٠) بن مسلم، عن عثمان بن أبي العاتكة، عن عمير بن هانئ. وهذا

(١) من (ز) و(ن). (٢) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) أخرجه ابن جرير (٨٨٤). [وسنده ضعيف]. (٤) أخرجه ابن جرير (٨٨٢) وسنده حسن.

(٥) في (ج) و(ل): «العذاب»!! (٦) أخرجه ابن جرير (٨٨٥) وسنده صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير (٨٨١)؛ وابن أبي حاتم (٥٠٥) وسنده حسن.

(٨) في (تفسيره) (ص ١٦٠ - البقرة). وأثر قتادة عند ابن جرير (٨٨٣) من طريق عبد الرزاق، وهذا في «تفسيره» (٤٥/١). [وسنده صحيح].

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٠٦) وهذه سند قوي، وعن عنة الأعمش عن شيوخه الذين أكثر عنهم مثل إبراهيم التيمي يمشيها الذهبي وغيره. وقال الحافظ في «الفتح» (٨٦/٤): «وعند الجمهور الصرف: الفريضة، والعدل: النافلة. ورواه ابن خزيمة بإسناد صحيح عن الثوري». اهـ.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٠٧) وسنده ضعيف لضعف عثمان بن أبي العاتكة.

القول غريب ها هنا، والقول الأول أظهر في تفسير هذه الآية.

وقد ورد حديث يقويه^(١)، وهو ما قاله ابن جرير: حدثني نجيب بن إبراهيم، حدثنا علي بن حكيم، حدثنا حميد بن عبد الرحمن،^(٢) [عن أبيه، عن عمرو بن قيس الملائي، عن رجل من بني أمية من أهل الشام أحسن عليه الثناء]^(٣)؛ قال قيل: يا رسول الله؛ ما العدل؟ قال: «العدل: الفدية».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: ولا أحد يغضب لهم فينصرهم وينقذهم من عذاب الله، كما تقدم من أنه لا يعطف عليهم ذو قرابة ولا ذو جاه، ولا يقبل منهم فداء؛ هذا كله من جانب التلطف، ولا لهم ناصر من أنفسهم، ولا من غيرهم، كما قال: ﴿فَمَا لَمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق] أي: إنه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فدية ولا شفاعاً، ولا ينقط أحداً من عذابه منقذ، (ولا يخلص^(٣) منه أحد)، (ولا يجيره)^(٤) منه أحد؛ كما قال (تعالى)^(٥): ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]. وقال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ [٥٠] وَلَا يُؤْتِيهِمْ ثَوَابَهُ أَحَدٌ [٥١] [الفجر] وقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ﴾ [٥٢] بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ [٥٣] [الصافات] وقال: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِنْكَهَرُ وَمَا كَانُوا يَقْتِرُونَ﴾ [الأحقاف]...

وقال الضحاك^(٦)، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ﴾ [٥٢] ما لكم اليوم لا تمانعون منا، هيهات! ليس ذلك لكم اليوم.

قال ابن جرير^(٧): وتأويل قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يعني: أنهم يومئذ لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع، ولا يقبل منهم عدل ولا فدية؛ بطلت هنالك المحاباة، واضمحلت الرشا والشفاعات، وارتفع من القوم (التعاون والتناصر)^(٨)، وصار الحكم إلى (العدل الجبار)^(٩) الذي لا ينفع لديه الشفعاء والنصرء؛ فيجزى بالسيئة مثلها وبالחסنة أضعافها. وذلك نظير قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوْهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [٥٤] مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ [٥٥] بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ [٥٦] [الصافات].

﴿وَإِذْ بَخَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [٨٩] وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمْلَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ [٩٠].

^(١٠) [آل الرجل من ينتسب إليه بنسب أو سبب؛ وقيل: هم أتباعه وأشياعه؛ وقيل: من هو على]

(١) كذا قال المصنف رحمه الله! والحديث الذي أشار إليه أخرجه ابن جرير (٨٨٦) وسنده ضعيف جداً لجهالة شيخ

عمرو بن قيس، ثم لإعضاله فإن بين عمرو بن قيس والني ﷺ اثنان على الأقل.

(٢) ساقط من (ج).

(٣) من (ن).

(٤) في (ن): «ولا يجير».

(٥) من (ز) و(ن).

(٦) أخرجه ابن جرير (٨٨٧) بسند ضعيف.

(٧) في (ن): «التناصر والتعاون».

(٨) في (ن): «الجبار العدل» وفي (ض): «عدل الجبار».

(٩) ساقط من (ل)، وهو في حاشية (ج) و(ع).

(١) [دينه وملته، وقد يطلق على الرجل نفسه، ويضاف إلى المعظم، فيقال: آل فلان، ولا يضاف إلى البلدان على المشهور، وجوز بعضهم: «آل المدينة»، كما يقال: أهل المدينة، وحكى أبو عبيدة: «آل مكة آل الله»، وهكذا يضاف إلى المضممر على الأشهر.

قال عبد المطلب:

وانصر على آل الصلي — ب وعابديه اليوم آلك
وقال غيره:

أنا الفارس الحامي حقيقة والدي وآلي كما تحمي حقيقة (آلكا) (٢) [١]
يقول (الله تبارك (٣) و) تعالى: اذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم إذ نجيناكم من آل فرعون؛ أي: خلصتكم منهم، وأنقذتكم من أيديهم صحبة موسى ﷺ؛ وقد كانوا يسومونكم؛ أي: يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب؛ وذلك أن فرعون - لعنه الله - كان قد رأى رؤيا هالته: رأى ناراً خرجت من بيت المقدس، فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر إلا بيوت بني إسرائيل مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل. ويقال: بل تحدث سُمّاره عنده بأن بني إسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم تكون لهم به دولة ورفعة.

وهكذا جاء في [«حديث (٤) الفتون»] كما سيأتي في موضعه (في «سورة (٥) طه») إن شاء الله تعالى (٦)؛ فعند ذلك أمر فرعون - لعنه الله - بقتل كل ذكر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل، وأن تترك البنات، وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال (وأراذلها) (٧).

وها هنا فسر العذاب بذبح الأبناء. وفي سورة إبراهيم عطف عليه؛ كما قال: ﴿يَسْؤُمُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذُبُّونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ﴾ [إبراهيم: ٦] وسيأتي تفسير ذلك في أول «سورة القصص» إن شاء الله تعالى. وبه الثقة والمعونة والتأييد.

(٨) [ومعنى يسومونكم: يولونكم؛ قاله أبو عبيدة، كما يقال: سامه خطة خسف؛ إذ أولاه إياها؛ قال عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا أن نقر الخسف فينا
وقيل: معناه يديمون عذابكم، كما يقال: سائمة الغنم؛ من إدامتها الرعى؛ نقله القرطبي (٩) [٨].

(١) ساقط من (ل)، وهو في حاشية (ج) و(ع).

(٢) ساقط من (ل). (٣) من (ل).

(٤) في (ض): «الحديث المصون»! وسقطت لفظة «الفتون» من (ك)، ويأتي تخريج هذا الحديث إن شاء الله تعالى في موضعه من سورة «طه».

(٥) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ه) و(ي).

(٦) من (ن).

(٧) في (ن): «أراذلها».

(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ي).

(٩) في «تفسيره» (١/٣٨٤).

(١) [وإنما قال ها هنا: ﴿يَذِخُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ ليكون ذلك تفسيراً للنعمة عليهم في قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ ثم فسره بهذا لقوله ها هنا: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] وأما في سورة إبراهيم فلما قال: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَنَّهُمْ إِلَهُ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] أي: بأياديهِ ونعمه عليهم؛ فناسب أن يقول هناك: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذِخُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ فعطف عليه الذبح، ليدل على تعدد النعم والأيادي على بني إسرائيل^(١).

وفرعون: علم على كل من ملك مصر كافراً من العمالق وغيرهم، كما أن «قيصر» علم على كل من ملك الروم مع الشام كافراً (وكذلك)^(٢)، «وكسرى» لمن ملك الفرس، «وتبع» لمن ملك اليمن كافراً، «والنجاشي» لمن ملك الحبشة، «وبطليموس» لمن ملك الهند^(٣).

ويقال: كان اسم فرعون الذي كان في (زمان)^(٤) موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان، وقيل: مصعب بن الريان، وأياً ما كان، فعليه لعنة الله^(٥) [وكان من سلالة عمليق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح، وكنيته: أبو مرة وأصله فارسي من «اصطخر»]^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال ابن جرير^(٦): وفي الذي فعلنا بكم من إنجائنا إياكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون، بلاء لكم من ربكم عظيم؛ أي: نعمة عظيمة عليكم في ذلك.

وقال علي بن أبي طلحة^(٧)، عن ابن عباس: قوله تعالى: ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال: نعمة. وقال مجاهد^(٨): ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال: نعمة من ربكم عظيمة. وكذا قال أبو العالية، وأبو مالك، والسدي^(٩)، وغيرهم.

وأصل البلاء: الاختبار. وقد يكون بالخير والشر، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] وقال: ﴿وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] قال ابن جرير^(١٠): وأكثر ما يقال في الشر بلوته أبلوه بلاء، وفي الخير أبلوه بلاء وبلاء؛ قال زهير بن أبي سلمى:

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو
قال: فجمع بين اللغتين؛ (لأنه)^(١١) أراد: فأنعى الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده.

(١٢) [وقيل: المراد بقوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾ (أنه)^(١٣) إشارة إلى ما كانوا فيه من العذاب المهيئ، من ذبح الأبناء، واستحياء النساء. قال القرطبي^(١٤): وهذا قول الجمهور، ولفظه - بعد ما حكى^(١٢)

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) ساقط من (ز) و(ض)، ووقع تقديم وتأخير في هذه الفقرة في (ن).

(٤) في «تفسيره» (٤٨/٢).

(٥) أخرجه ابن جرير (٨٩٩)؛ وابن أبي حاتم (٥١١). [وسنده ثابت].

(٦) أخرجه ابن جرير (٩٠١، ٩٠٢). [وسنده صحيح]. (٩) أخرجه ابن جرير (٩٠٠). [وسنده حسن].

(٧) في «تفسيره» (٤٩/٢). والبيت في ديوان زهير (١٠٩).

(٨) في (ج): «لا أراد»!

(٩) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(١٠) ساقط من (ي).

(١١) في «تفسيره» (٣٧٨/١).

(١٢) ساقط من (ي).

(١) [القول الأول، ثم قال: وقال الجمهور: الإشارة إلى الذبح ونحوه، والبلاء (ها هنا) (٢) في الشر. والمعنى: وفي الذبح مكروه وامتحان] (١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمْلَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ معناه: وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون، وخرجتم مع موسى ﷺ، خرج فرعون في طلبكم، ففرقنا بكم البحر؛ كما أخبر تعالى عن ذلك مفصلاً، كما سيأتي في موضعه. ومن أبسطها ما في «سورة الشعراء» إن شاء الله. ﴿فَأَمْلَيْنَاكُمْ﴾ أي: خلصناكم منهم، وحجزنا بينكم وبينهم، وأغرقناهم وأنتم تنظرون؛ ليكون ذلك أسفى لصدوركم، وأبلغ في إهانة عدوكم.

قال عبد الرزاق (٣): أنبأنا معمر، عن أبي إسحاق الهمداني، عن عمرو بن ميمون الأودي، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ قال: لما خرج موسى ببني إسرائيل بلغ ذلك فرعون؛ فقال: لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة. قال: فوالله ما صاح ليلتئذ ديك، حتى أصبحوا؛ فدعا بشاة، فذبحت؛ ثم قال: لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط؛ فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط. فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون: أين (أمرك) (٤) ربك؟ قال: أمامك، يشير إلى البحر، فأقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر؛ فذهب به الغمر؛ ثم رجع فقال: أين (أمرك) (٢) ربك يا موسى؟ فوالله ما كذبت (ولا) (٥) كُذبت - فعل ذلك ثلاث مرات.

ثم أوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضربه، فانفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم - يقول: مثل الجبل، ثم سار موسى ومن معه، واتبعهم فرعون في طريقهم حتى إذا تتاموا فيه أطبقه الله عليهم؛ فلذلك قال: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾.

وكذلك قال غير واحد من السلف كما سيأتي بيانه في موضعه.

وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء، كما قال الإمام أحمد (٦): حدثنا عفان، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عبد الله بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس؛ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء؛ فقال: «ما هذا اليوم الذي تصومون؟» قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله ﷻ فيه بني إسرائيل (من عدوهم) (٧)، فصامه موسى ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنا أحق بموسى منكم». فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصومه.

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٢) في (ك): «هنا» وهو الموافق لما في «تفسير القرطبي»؛ وفي (ج) و(ل): «هناك».

(٣) في «تفسيره» (١/٤٥، ٤٦) ومن طريقه ابن جرير (٩٠٨)؛ وابن أبي حاتم (٥١٢)؛ وأبو إسحاق السبيعي مدلس. [سند صحيح لكنه من الإسرائيليات].

(٤) في (ز) و(ن): «أمر».

(٥) كذا في (ل) و(ن) و(ه) و(ي)؛ وفي (ز) و(ض): «وما»، وسقط هذا الحرف من (ج).

(٦) وأخرجه هو أيضاً (١/٣١٠، ٣٣٦)؛ والبخاري (٤/٢٤٤؛ ٦/٤٢٩)؛ ومسلم (١١٣٠/١٢٨).

(٧) كذا في (ز) و(ن) و(ه)؛ وفي (ج) و(ض) و(ي): «من غرقهم». وقال في حاشية (ج): «لعله: عدوهم»؛ وفي (ك): «من الغرق».

وروى هذا الحديث البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، من طرق عن أيوب السخيتاني، به، نحو ما تقدم.

وقال أبو يعلى^(١) الموصلي: حدثنا أبو الربيع، حدثنا سَلَامٌ - يعني: ابن سليم، عن زيد العمي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، عن النبي ﷺ؛ قال: «فلق الله البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء». وهذا ضعيف من هذا الوجه؛ فإن زيدا العمي فيه ضعف، وشيخه يزيد الرقاشي أضعف منه.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه عند انقضاء أمد المواعدة، وكانت أربعين يوماً، وهي المذكورة في «الأعراف» في قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢] قيل إنها ذو القعدة بكمالها وعشر من ذي الحجة؛ وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون، وإنجائهم من البحر.

وقوله (تعالى)^(٢): ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة؛ ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ وهو ما يفرق بين الحق والباطل، والهدى (والضلال)^(٣) ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وكان ذلك أيضاً بعد خروجهم من البحر، كما دل عليه سياق الكلام في «سورة الأعراف»؛ ولقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص].

^(٤) [وقيل: الواو زائدة، والمعنى: وإذ آتينا موسى الكتاب الفرقان. وهذا غريب.

وقيل: عطفه عليه، وإن كان المعنى واحداً؛ كما في قول الشاعر^(٥):

وقدمت الأديم (لراشيه)^(٦) فألفى قولها كذباً وميناً^(٧)

^(٧) [وقال الآخر^(٨):

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد

فالكذب هو المين. والنأي هو البعد.

وقال عترة^(٩):

حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

فعطف الإقفار على الإقواء، وهو هو^(٧).

(١) في «مسنده» (ج ٧/رقم ٤٠٩٤) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦٩/١) لابن مردويه.

وسنده ضعيف جداً. ويزيد الرقاشي متروك، وزيد العمي ضعيف.

(٢) من (ن) و(ي). (٣) في (ض) و(ن): «الضلالة».

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) نسبه في «لسان العرب» مادة: «مين» إلى عدي بن زيد.

(٦) في (ن): «لراشيه»! والراشيان: عرقان في باطن الذراعين، أو «الرواهش» عروق ظاهر الكف كما في

«القاموس»، والأديم: الجلد. (٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) هو الحطيئة. والبيت في «ديوانه» (٣٩). (٩) هو في «ديوانه» (١٢٢).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَيْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٤).

هذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل؛ قال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَيْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ فقال ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع، (حين) ^(١) قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ^(٢) [الأعراف: ١٤٩] قال: فذلك حين يقول موسى: ﴿يَنْقُومِ إِلَيْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾.

وقال أبو العالية ^(٣)، وسعيد بن جبير، والربيع بن أنس: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ أي: إلى خالقكم.

قلت: وفي قوله ها هنا: ﴿إِلَى بَارِيكُمْ﴾ - تنبيه على عظم جرمهم؛ أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره.

وقد روى النسائي ^(٤)، وابن جرير، وابن أبي حاتم، من حديث يزيد بن هارون، عن الأصمغ بن زيد الوراق، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: فقال الله تعالى: إن توبتهم أن يقتل كل (رجل) ^(٥) منهم (كل) ^(٦) من لقي من ولد (أو) ^(٧) والد فيقتله بالسيف، ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن؛ فتاب أولئك الذين كانوا خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم، فاعترفوا بها، وفعلوا ما أمروا به، فغفر الله للقاتل والمقتول.

وهذا قطعة من حديث الفتون. وسيأتي في سورة طه بكماله إن شاء الله.

وقال ابن جرير ^(٨): حدثني عبد الكريم بن الهيثم، حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عيينة؛ قال: قال أبو سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: قال موسى لقومه: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾؛ قال: أمر موسى

(١) في (ن): «حتى».

(٢) من (ه)، وسقط من (ج)؛ و(ك) و(ل) و(ي)؛ وفي (ز) و(ض): «الآية» إشارة إلى تمتها.

(٣) أخرجه ابن جرير (٩٤٦)؛ وابن أبي حاتم (٥٣٠). [وسنده جيد].

(٤) في «تفسيره» (٣٤٦).

وأخرجه أبو يعلى (ج/٥/رقم ٢٦١٨)؛ وابن جرير (١٢٥/١٦)؛ وابن أبي حاتم (٥٣١)، وبحشل في «تاريخ واسط» (ض ٨٦)؛ والطحاوي في «المشكل» (٦٦). وسيأتي الكلام عليه في تفسير سورة (طه) إن شاء الله تعالى.

(٥) في (ن): «واحد».

(٦) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ي)؛ وفي (ه): (ما) وسقطت هذه اللفظة من (ن).

(٧) كذا في (ج) و(ك) و(ي). ووقع في (ز) و(ض) و(ن) و(ه): «و»؛ وفي (ن): «والد وولد».

(٨) في «تفسيره» (٩٣٦) وسنده صحيح. [والخبر من الإسرائيليات].

قومه عن أمر ربه ﷻ أن يقتلوا أنفسهم. قال: (واحتبى)^(١) الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، فأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم (ظلمة)^(٢) شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضاً، فانجلت (الظلمة)^(٣) عنهم، وقد (أجلوا)^(٤) عن سبعين ألف قتيل، كل من قتل منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت له توبة.

وقال (ابن^(٥) جريج): أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن^(٥) جبير ومجاهداً يقولان في قوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قالوا: قام بعضهم إلى بعض بالخناجر، يقتل بعضهم بعضاً؛ لا يحنو رجل على قريب ولا بعيد، حتى (ألوى)^(٦) موسى بثوبه، فطرحوا ما بأيديهم، فكشف عن سبعين ألف قتيل، وإن الله أوحى إلى موسى أن حسبي؛ فقد اكتفيت؛ فذلك حين ألوى موسى بثوبه^(٧) [وروي عن علي^(٨) رضي الله عنه نحو ذلك]^(٧).

وقال قتادة^(٩): أمر القوم بشديد من الأمر، فقاموا (يتناجزون)^(١٠) بالشفار يقتل بعضهم بعضاً حتى بلغ الله فيهم نقمته، فسقطت الشفار من أيديهم، فأمسك عنهم القتل، فجعل لحيهم توبة، وللمقتول شهادة.

وقال الحسن^(١١) البصري: أصابتهم ظلمة (حندس)^(١٢)، فقتل بعضهم بعضاً، ثم انكشف عنهم، فجعل توبتهم في ذلك.

وقال السدي^(١٣): في قوله: ﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال: فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف، فكان من قتل من الفريقين شهيداً، حتى كثر القتل، حتى كادوا أن يهلكوا، حتى قتل

(١) كذا في (ج) و(ز) و(ك) و(ل) و(ي) من: الاحتباء؛ وهو أن يضم الرجل رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره، وقد يكون الاحتباء باليدين عوضاً عن الثوب. ووقع في (ض) و(هـ): «احتبى» بالخاء المعجمة من الاحتباء وهو الاختفاء. وفي (ن): «أخبر» وكلاهما تصحيف.

(٢) في (ز): «ظلة».

(٣) في (ن): «ابن جريج».

(٤) أخرجه ابن جرير (٩٣٥) قال: حدثني عباس بن محمد؛ وابن أبي حاتم (٥٣٢) قال: حدثنا الحسن بن الصباح قال: ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج بسنده سواء. وسنده صحيح.

(٥) ألوى يعني: أشار.

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٦) من طريق إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق، عن عمارة بن عبد وأبي عبد الرحمن، عن علي بن أبي طالب قال: قالوا لموسى: ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضاً. فأخذوا السكاكين، فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وأمه، ولا يبالي من قتل، حتى قتل منهم سبعون ألفاً، فأوحى الله إلى موسى: مرهم فليرفعوا أيديهم، وقد غفر لمن قتل، وتيب على من بقي. وسنده صحيح لولا تدليس أبي إسحاق، وعمارة بن عبد الكوفي وثقه ابن حبان. وقال أبو حاتم: «شيخ مجهول لا يحتج بحديثه» ولكنه متابع كما رأيت. [والخير من الإسرائيليات].

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٣) وفي إسناده سعيد بن بشير وهو ضعيف خصوصاً في قتادة.

(٩) كذا في (ج) و(ع) و(هـ) و(ي). ووقع في (ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(ن): «يتناحرون» بالحاء والراء المهملتين.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٤) وسنده جيد.

(١١) حندس، بالكسر: الليل المظلم، والمراد: ظلمة شديدة.

(١٢) أخرجه ابن جرير (٩٣٧) مطولاً وابن أبي حاتم (٥٣٧) وسنده حسن.

منهم سبعون ألفاً، وحتى دعا موسى وهارون: ربنا أهلك بني إسرائيل، ربنا، البقية، البقية. فأمرهم أن (يضعوا)^(١) السلاح، وتاب عليهم؛ فكان من قُتل منهم من الفريقين شهيداً، ومن بقي مكفراً عنه؛ فذلك قوله: ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُّ الرَّحِيمُ﴾.

وقال الزهري^(٢): لما أمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسها برزوا ومعهم موسى، فاضطربوا بالسيوف، وتطاعنوا بالخناجر، وموسى رافع يديه حتى إذا (أفنوا)^(٣) بعضهم قالوا: يا نبي الله، ادع الله لنا؛ وأخذوا بعضديه يسندون يديه؛ فلم يزل أمرهم على ذلك حتى إذا قبل الله توبتهم قبض أيديهم بعضهم عن بعض، فألقوا السلاح.

وحزن موسى (وبنو)^(٤) إسرائيل للذي كان من القتل فيهم، فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى ما يحزنك؟ أما من قتل منهم فحي عندي يرزقون. وأما من بقي فقد قبلت توبته؛ فسر بذلك موسى وبنو إسرائيل. رواه ابن جرير بإسناد جيد عنه.

وقال ابن إسحاق^(٥): لما رجع موسى إلى قومه، وأحرق العجل وذراه في اليم، خرج إلى ربه (بمن)^(٦) اختار من قومه، فأخذتهم الصاعقة، ثم بعثوا فسأل موسى ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل؛ فقال: لا، إلا أن يقتلوا أنفسهم؛ قال: فبلغني أنهم قالوا لموسى: نصبر لأمر الله؛ فأمر موسى من لم يكن عبد العجل أن يقتل من عبده؛ فجلسوا بالأفنية، وأصلت عليهم القوم السيوف، فجعلوا يقتلونهم (وبكى)^(٧) موسى، (وبهش)^(٨) إليه النساء والصبيان، يطلبون العفو عنهم، [فتاب (الله)^(٩) عليهم، وعفا عنهم]^(٩)؛ وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف.

وقال عبد الرحمن^(١١) بن زيد بن أسلم: لما رجع موسى إلى قومه (وكان)^(١٢) سبعين رجلاً قد اعتزلوا مع هارون العجل لم يعبدوه، فقال لهم موسى: انطلقوا إلى (موعد)^(١٣) ريكم؛ فقالوا: يا موسى! ما من توبة؟ قال: بلى؛ ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِكِكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ...﴾ الآية. فاختلطوا السيوف (والجرزة)^(١٤) والخناجر والسكاكين.

قال: وبعث عليهم ضباباً. قال: فجعلوا يتلامسون بالأيدي، ويقتل بعضهم بعضاً.

- (١) في (ن): «يلقوا».
- (٢) أخرجه ابن جرير (٩٤١) وجوّد المصنف سنده.
- (٣) في (ن): «فتر».
- (٤) في (ج) و(ع): «وبنى»! وهو تصحيف.
- (٥) أخرجه ابن جرير (٩٤٤) بسند ضعيف جداً.
- (٦) في (ج) و(ل): «ثم».
- (٧) في (ن): «فهش».
- (٨) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ي) ومعناه: تهيأ للبكاء. وفي (ل): «أهش» وفي (هـ): «جهش».
- (٩) ساقط من (هـ).
- (١٠) من (ز) و(ن).
- (١١) أخرجه ابن جرير (٩٤٥) بسند صحيح.
- (١٢) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ي) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» وتقديره: وكان القوم. ووقع في (ز) و(ض) و(ل) و(ن) و(هـ): «وكانوا».
- (١٣) في (ج) و(ل): «موعدكم».
- (١٤) الجرزة: في (ك): «الجرد»، ووقع في (هـ) بياض موضع هذه الكلمة. والجرزة: عمود من حديد، جمع (جرز)، بضم الجيم.

قال: (و) ^(١)يلقى الرجل أباه وأخاه فيقتله وهو لا يدري. قال: (ويتنادون) ^(٢)(فيها) ^(٣)رحم الله عبداً (صبر) ^(٤)حتى يبلغ الله رضاه. قال: فقتلهم شهداء، وتيب على أحيائهم؛ ثم قرأ: ﴿تَنَابَّ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَمَلَكِكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٦﴾.

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق؛ إذ سألتهم رؤيتي جهرة عياناً مما لا يستطيع لكم، ولا لأمثالكم. كما قال ابن جريج ^(٥): قال ابن عباس في هذه الآية: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: علانية.

وكذا قال إبراهيم ^(٦) بن طهمان، عن عباد بن إسحاق، عن أبي الحويرث، عن ابن عباس - أنه قال في قول الله تعالى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: علانية؛ أي: حتى نرى الله. وقال قتادة ^(٧)، والربيع بن أنس: ﴿حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: عياناً.

وقال أبو جعفر ^(٨): عن الربيع بن أنس: هم السبعون الذين اختارهم موسى، فساروا معه؛ قال: فسمعوا كلاماً، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: فسمعوا صوتاً فصعقوا، يقول: ماتوا.

وقال مروان ^(٩) بن الحكم فيما خطب به على منبر مكة: الصاعقة صيحة من السماء.

وقال السدي ^(١٠) في قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الصاعقة: نار.

وقال عروة ^(١١) بن رويم في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ قال: صعق بعضهم، وبعض ينظرون؛ ثم بعث هؤلاء، وضُعت هؤلاء.

وقال السدي ^(١٢): ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم، وقد أهلكت خيارهم؟ ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَلَئِنْ أَتَيْتَهُمْ بِمَا

(١) ساقط من (ج).

(٢) في (ل): «وينادون».

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) في (ن): «وصبر نفسه».

(٥) أخرجه ابن جرير (٩٤٧) وسنده ضعيف لإعضاله. (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٨) وفي سنده ضعف.

(٧) أخرجه ابن جرير (٩٥٠) بسند صحيح، وهو عند ابن أبي حاتم (٥٣٩) بسند فيه سعيد بن بشير. وهو ضعيف في قتادة، ولكنه متابع.

(٨) أخرجه ابن جرير (٤٥٢)؛ وابن أبي حاتم (٥٤٣). [وسنده جيد].

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٥) من طريق ابن محيصن، عن أبيه قال: رأيت مروان بن الحكم على منبر مكة... فذكره. وابن محيصن هو عمر بن عبد الرحمن، كذا سماه في «تهذيب الكمال» (٤٢٩/٢١) وقال

البخاري: ومنهم من قال: محمد بن عبد الرحمن. وبه ترجمه الذهبي في «معرفه القراء الكبار» (٩٨/١) وهو ثقة احتج به مسلم ولكني لم أجد لأبيه ترجمة. فالله أعلم.

(١٠) أخرجه ابن جرير (٩٥٣)؛ وابن أبي حاتم (٥٤٤). [وسنده حسن].

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٠، ٥٤٦) بسند جيد.

(١٢) أخرجه ابن جرير (٩٥٨)؛ وابن أبي حاتم (٥٤٩) وسياق الطبري أطول. [وسنده حسن].

فَعَلَّ السُّفَهَاءَ مِنَّا ﴿[الأعراف: ١٥٥] فأوحى الله إلى موسى: إن هؤلاء السبعين ممن (اتخذ)^(١) العجل؛ ثم إن الله أحياهم، فقاموا (وعاش)^(٢) رجل رجل، ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون؟ قال: فذلك قوله (تعالى)^(٣): ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾.

وقال الربيع^(٤) بن أنس: كان موتهم عقوبةً لهم، فبعثوا من بعد الموت، ليستوفوا آجالهم. وكذا قال قتادة^(٥).

وقال ابن^(٦) جرير: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق؛ قال: لما رجع موسى إلى قومه، فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، وقال لأخيه وللسامري ما قال، وحرق العجل وذراه في اليم، اختار موسى منهم سبعين رجلاً الخير فالخير، وقال: انطلقوا إلى الله، وتوبوا إلى الله مما صنعتم، (وسلوه)^(٧) التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا، وطهروا ثيابكم. فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم؛ فقال له السبعون - فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمروا به، وخرجوا للقاء الله - قالوا: يا موسى، اطلب لنا إلى ربك نسمع كلام ربنا. فقال: أفعل.

فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل - كله، ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا، وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه؛ فضرب دونه بالحجاب، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل، ولا تفعل، فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام، فأقبل إليهم، فقالوا لموسى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فأخذتهم الرجفة، وهي: الصاعقة، فماتوا جميعاً.

وقام موسى يناشد ربه، ويدعوه، ويرغب إليه، ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَلَئِنِّي﴾ [الأعراف: ١٥٥] قد سفهوا؛ أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما يفعل السفهاء منا؟ أي: إن هذا لهم هلاك، واخترت منهم سبعين رجلاً الخير فالخير، أرجع إليهم؛ وليس معي منهم رجل واحد؛ فما الذي يصدقوني به، ويأمنوني عليه بعد هذا؟ ﴿إِنَّا هَذَاكَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فلم يزل موسى يناشد ربه ﷻ، ويطلب إليه حتى رد إليهم أرواحهم، ^(٨) [﴿فطلب﴾^(٩) إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل؛ فقال: لا، إلا أن يقتلوا أنفسهم] ^(١٠).

(هذا سياق محمد بن إسحاق)^(١٠).

(١) في (ز) و(ن): «اتخذوا»؛ وفي (ك): «اتخذتهم»!

(٢) في (ز) و(ض) و(ن) و(هـ): «عاشوا». (٣) من (ز) و(ن).

(٤) أخرجه ابن جرير (٩٦١) بسياق أطول؛ وابن أبي حاتم (٥٤٨). [وسنده جيد].

(٥) أخرجه ابن جرير (٩٦٠)؛ وابن أبي حاتم (٥٤٧). [وسنده صحيح].

(٦) في «تفسيره» (٩٥٧) وسنده ضعيف. (٧) في (ن): «واسألوه».

(٨) ساقط من (ج).

(٩) كذا في (ك) و(ل) و(هـ) و(ي) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»؛ وفي (ز) و(ن): «وطلب».

(١٠) ساقط من (ك).

(وقال) ^(١) (إسماعيل بن عبد الرحمن) ^(٢) السدي (الكبير) ^(٣): لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل، وتاب الله عليهم بقتل بعضهم لبعض، كما أمرهم الله به، أمر الله موسى أن يأتيه في كل أناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل؛ (ووعدهم) ^(٤) موسى؛ فاختار موسى (قومه) ^(٥) سبعين رجلاً على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا.. وساق البقية.

^(٥) [وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه إلى بني إسرائيل في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ والمراد: السبعون المختارون منهم، ولم يحك كثير من المفسرين سواء] ^(٥).

^(٦) [وقد أغرب (فخر الدين) ^(٧) الرازي في «تفسيره» حين حكى في قصة هؤلاء السبعين أنهم بعد إحيائهم قالوا: يا موسى؛ إنك لا تطلب من الله شيئاً إلا أعطاك، فادعه أن يجعلنا أنبياء، فدعا بذلك، فأجاب الله (ﷻ) ^(٨) دعوته.

وهذا غريب جداً؛ إذ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هارون، ثم يوشع بن نون. وقد غلط أهل الكتاب أيضاً في دعواهم أن هؤلاء رأوا الله (ﷻ)؛ فإن موسى الكليم (ﷺ) ^(٩) قد سأل ذلك، فمنع منه، فكيف يناله هؤلاء السبعون؟

القول الثاني في الآية ^(٦): قال عبد الرحمن ^(١٠) بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية: قال لهم موسى لما رجع من عند ربه بالألواح قد كُتِبَ فيها التوراة، فوجدهم يعبدون العجل، فأمرهم بقتل أنفسهم، ففعلوا؛ فتاب الله عليهم؛ فقال: إن هذه الألواح فيها كتاب الله فيه أمركم الذي أمركم به، ونهيكم الذي نهاكم عنه؛ فقالوا: ومن يأخذه بقولك أنت؟ لا، والله حتى نرى الله جهرَةً حتى يطلع الله علينا فيقول: هذا كتابي فخذوه؛ فما له لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى؟ وقرأ قول الله: ﴿لَنُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: فجاءت غضبة من الله؛ فجاءتهم صاعقة بعد التوبة، فصعقتهم فماتوا أجمعون.

قال: ثم أحياهم الله من بعد موتهم، وقرأ قول الله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ^(٥٦) فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله؛ فقالوا: لا. فقال: أي شيء أصابكم؟ فقالوا: أصابنا أنا متنا ثم أحيينا، قال: خذوا كتاب الله. قالوا: لا. فبعث الله ملائكة فتتقت الجبل فوقهم.

^(١١) [وهذا السياق يدل على أنهم كلفوا بعد ما أحيوا.

وقد حكى الماوردي ^(١٢) في ذلك قولين:

أحدهما: أنه سقط التكليف عنهم لمعايتهم الأمر جهرَةً حتى صاروا مضطرين إلى التصديق] ^(١١).

(١) بياض في «ض».

(٣) كذا في (ج) و(ض) و(هـ) و(ي). وفي (ن): «وواعدهم»؛ وفي (ل): «وعدهم».

(٤) ساقط من (ن).

(٥) ساقط من (ز) و(ض).

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) من (ج).

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) أخرجه ابن جرير (٩٥٩).

(١٢) لم أجد قوله هذا في «تفسيره» (١/١٢٣) عند تفسير هذه الآية، فلعله ذكره في موضع آخر أو في كتاب آخر. وقوله هذا نقله القرطبي في «تفسيره» عنه.

(١) [والثاني: أنهم مكلفون لثلا يخلو عاقل من تكليف. قال القرطبي (٢): وهذا هو الصحيح؛ لأن معانيهم للأمور (القطعية) (٣) لا تمنع تكليفهم؛ لأن بني إسرائيل قد شاهدوا أموراً عظماً من خوارق العادات، وهم في ذلك مكلفون. وهذا واضح (٤). والله أعلم (١)].

﴿وَلَلَّانَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٥٧).

لما ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النقم شرع يذكرهم أيضاً بما أسبغ عليهم من النعم فقال: ﴿وَلَلَّانَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ وهو جمع غمامة، سمي بذلك لأنه يغم السماء؛ أي: يواربها ويسترها، وهو السحاب الأبيض، ظللوا به في التيه ليقههم حر الشمس، كما رواه النسائي وغيره، عن ابن عباس في «حديث (الفتون)» (٥)؛ قال: ثم ظلل عليهم في التيه بالغمام. قال ابن أبي (٦) حاتم: وروي عن ابن عمر، والربيع بن أنس، وأبي مجلز، والضحاك، والسدي نحو قول ابن عباس. وقال الحسن، وقتادة (٧): ﴿وَلَلَّانَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ كان هذا في البرية، ظلل عليهم الغمام من الشمس.

وقال (ابن جريج) (٨): (وقال آخرون): وهو غمام أبرد من هذا وأطيب. وقال ابن أبي (٩) حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلَلَّانَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ قال: ليس بالسحاب؛ هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة، ولم يكن إلا لهم.

وهكذا رواه ابن جرير عن المثني بن إبراهيم، عن أبي حذيفة؛ وكذا رواه الثوري (١٠) وغيره، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ وكأنه يريد - والله أعلم - أنه ليس من زي هذا السحاب؛ بل أحسن منه، وأطيب وأبهى منظراً؛ كما قال سنيد في «تفسيره» (١١) عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج؛ قال: قال ابن عباس: ﴿وَلَلَّانَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ قال: غمام أبرد من هذا وأطيب، وهو الذي يأتي الله فيه في قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ (١٢) [البقرة: ٢١٠] وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر.

(٢) في «تفسيره» (٤٠٥/١).

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) في (ل) و(هـ) و(ن): «القطعية».

(٤) في حاشية (ج): «آخر الجزء الخامس من أجزاء المؤلف».

(٦) في «تفسيره» (ص ١٧٤ - البقرة).

(٥) في (ك): «الفتون».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٥٢) بسند جيد. وعزه السيوطي في «الدر المنثور» (٧٠/١) لعبد بن حميد وسياقه أطول.

(٨) وقع في (ز) و(ن) و(هـ): «ابن جرير» وهو خطأ. وقول ابن جريج هذا قاله ابن أبي حاتم في «تفسيره» (ص ١٧٥).

(٩) في «تفسيره» (٥٥٣) وهو عند ابن جرير (٩٦٣). [وسنده صحيح].

(١٠) أخرجه ابن جرير (٩٦٢) من طريق أبي أحمد الزبيري، ثنا سفيان الثوري. [وسنده صحيح].

(١١) ومن طريقه ابن جرير (٩٦٥) وسنده ضعيف لإعضاله.

(١٢) من (ز) و(ن).

قال ابن عباس: وكان معهم في التيه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ﴾ اختلفت عبارات المفسرين في المن ما هو؟ فقال علي بن أبي^(١) طلحة، عن ابن عباس: كان المن ينزل عليهم على الأشجار، فيغدون إليه، فيأكلون منه ما شاءوا.

وقال مجاهد^(٢): المن: صمغة. وقال عكرمة^(٣): المن: شيء أنزله الله عليهم مثل الطل شبه الرُّبِّ الغليظ.

وقال السدي^(٤): قالوا: يا موسى! كيف لنا بما هنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن، فكان يسقط على (الشجرة الزنجيل)^(٥).

وقال قتادة^(٦): كان المن ينزل عليهم في محلتهم سقوط الثلج، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يأخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك؛ فإذا (تعدى)^(٧) ذلك فسد، (و)^(٨) لم يبق، حتى إذا كان يوم سادسه^(٩) [ليوم جمعته]^(٩) أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه؛ لأنه كان يوم عيد، لا يشخص فيه لأمر معيشته، ولا يطلبه لشيء؛ وهذا كله في البرية.

وقال الربيع^(١٠) بن أنس: المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه.

وقال وهب بن^(١١) منبه - وسئل عن المن - فقال: (خبز الرقاق)^(١٢) مثل الذرة، أو مثل النقي.

وقال أبو جعفر^(١٣) بن جرير: حدثني (أحمد)^(١٤) بن إسحاق، حدثنا أبو أحمد، حدثنا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٥٦). [وسنده ثابت].

(٢) أخرجه ابن جرير (٩٦٦)؛ وابن أبي حاتم (٥٥٧) وهو صحيح، وعزاه الحافظ في «الفتح» (١٦٤/٨) للفريابي، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧٠/١) لوكيع وعبد بن حميد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٥٨) وفي سنده حفص بن عمر العدني وهو متروك. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/٧٠) لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه ابن جرير (٩٧٣)؛ وابن أبي حاتم (٥٥٩). [وسنده حسن].

(٥) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ي) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم». ووقع في «تفسير الطبري»: «شجر الزنجيل» وهو الموافق لما في (ز)؛ وفي (ن): «شجرة الزنجيل».

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٠) وفي إسناده سعيد بن بشير، وهو ضعيف لا سيما في قتادة. وأخرجه ابن جرير (٩٦٨) من وجه آخر جيد مختصراً.

(٧) في (ل): «بعد»!

(٨) في (ل): «أو».

(٩) ساقط من (ه).

(١٠) أخرجه ابن جرير (٩٦٩)؛ وابن أبي حاتم (٥٦٢). [وسنده جيد].

(١١) أخرجه ابن جرير (٩٧٢)؛ وابن أبي حاتم (٥٦١) من طريقين عن إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل، سمعت وهباً فذكره وسنده جيد.

(١٢) في (ن): «خبز رقاق».

(١٣) في «تفسيره» (٩٧١) وفي سنده جابر الجعفي، وهو واه.

(١٤) في (ن): «محمد» وهو خطأ.

إسرائيل، عن جابر، عن عامر - وهو الشعبي - قال: عسلكم هذا جزء من سبعين جزءاً من المن. وكذا قال عبد الرحمن^(١) بن زيد بن أسلم إنه العسل. ووقع في شعر أُمّية بن أبي الصلت حيث قال^(٢):

فرأى الله أنهم بمضيع لا بلذي مزرع ولا مثموراً
فسناها^(٣) عليهم غاديات ومرى مزنهم خلایا وخوراً
عسلاً ناطفاً وماءً فراتاً وحليباً ذا بهجة (مرموراً)^(٤)
فالناطف هو السائل. والحليب المرمور: الصافي منه.

والغرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن؛ فمنهم من فسره بالطعام، ومنهم من فسره بالشراب والظاهر - والله أعلم - أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب، وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد؛ فالمن المشهور إن أكل وحده كان طعاماً وحلاوة، وإن مزج مع الماء صار شراباً طيباً، وإن ركب مع غيره صار نوعاً آخر؛ ولكن ليس هو المراد من الآية وحده.

والدليل على ذلك قول البخاري^(٥): حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن عبد الملك، عن عمرو بن حريث، عن سعيد بن زيد رضي الله عنه؛ قال: قال النبي ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين». وهذا الحديث رواه الإمام^(٦) أحمد، عن سفيان بن عيينة، عن عبد الملك؛ وهو ابن عمير، به. وأخرجه الجماعة في كتبهم إلا أبا داود من طرق: عن عبد الملك، وهو ابن عمير، به.

(١) أخرجه ابن جرير (٩٧٠) وسنده صحيح. (٢) هو في «ديوانه» (ص ٣٤، ٣٥).

(٣) في «الديوان»: «فعفا لها» ووقعت الأبيات في «تفسير الطبري» مخالفة لبعض ما نقله المصنف هاهنا. ونصها عنده هكذا:

فرأى الله أنهم بمضيع لا بلذي مزرع ولا مثموراً
فسناها عليهم غاديات ومرى مزنهم خلایا وخوراً
عسلاً ناطفاً، وماءً فراتاً وحليباً ذا بهجة مثموراً
وقد تكلم الأستاذ الألمي محمود شاكر حفظه الله تعالى في شأن هذا الاختلاف، وزيف بعض الكلمات فيه، وذلك في تعليقه على «تفسير الطبري» (٩٤/٢، ٩٥) فراجع.

(٤) كذا في (ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(هـ) و(ي)، برائين؛ وفي (ج) و(ن): «مزموراً» بزي ثم راء مهملة. وقال الشيخ محمود شاكر حفظه الله (٩٥/٢) بعد أن نقل عن ناسخ مخطوطة «الطبري» أنه قال في طرف الصفحة: «المزمور: الصافي من اللبن. قال: وذلك شيء لا وجود له في كتب اللغة». ثم جعل مكان هذه اللفظة: «مثموراً» ثم قال: «ولم أجد «مثموراً» في كتب اللغة، ولكن يقال: الثمر والثمرة: اللبن الذي ظهر زبده وتحبب. قال ابن شميل: إذا مخض رؤي عليه أمثال الحصف في الجلد، ثم يجتمع فيصير زبداً، وما دامت صغاراً فهو ثمير. ويقولون: إن لبنك لحسن الثمر، وقد أثمر مخاضك. فكانه قال: «مثموراً» ويعني: «ثميراً» لأن «فعللاً» بمعنى «مفعول» هنا. اهـ.

(٥) في «كتاب التفسير» من «صحيحه» (١٦٣/٨) وسفيان هنا: هو الثوري. ثم رواه في «تفسير سورة الأعراف» (٣٠٣/٨) قال: حدثنا مسلم، ثنا شعبة، عن عبد الملك بن عمير بسنده سواء. وأخرجه في «الطب» (١٠/١٦٣) عن غندر عن شعبة به.

(٦) في «مسنده» (١٨٧/١) وعنه القطيعي في «جزء الألف دينار» (٤٧) قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الملك به وأخرجه مسلم (٢٠٤٩).

(١) [وقال الترمذي: «حسن صحيح».

ورواه البخاري^(٢) ومسلم (والنسائي)^(٣) من رواية الحكم عن الحسن العرنى، عن عمرو بن حريث، به^(١).

وقال الترمذي^(٤): حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر ومحمود بن غيلان؛ قالوا: حدثنا سعيد بن عامر، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم، والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

تفرد بإخراجه الترمذي؛ ثم قال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن عمرو، وإلا من حديث (سعيد)^(٥) بن عامر عنه. وفي الباب عن سعيد بن زيد، وأبي سعيد، وجابر - كذا قال!

وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في «تفسيره»^(٦) من طريق آخر، عن^(٧) [أبي هريرة، فقال: حدثنا أحمد بن (الحسين)^(٨) بن أحمد البصري، حدثنا أسلم بن سهل، حدثنا القاسم بن عيسى، حدثنا]^(٩) طلحة بن عبد الرحمن، (هذا سلمى واسطى يكنى بأبي محمد)^(٩)،^(١٠) [عن (قتادة)^(١١)، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين»]^(١٠).

(١) ساقط من (ه).

(٢) أخرجه البخاري في «الطب» من «صحيحه» (١٦٣/١٠)؛ ومسلم (٢٠٤٩).

(٣) ساقط من (ن).

(٤) في «سننه» (٢٠٦٦).

وأخرجه الطحاوي في «المشكّل» (٥٦٧٥)؛ وأبو الحسن أحمد بن محمد بن القاسم بن الصلت في «جزء من حديث ابن عبد العزيز الهاشمي وابن المطيري» (ق١/٧٦) من طريق سعيد بن عامر بسنده سواء. وقال البغوي في «شرح السنة» (٣٢٦/١١): «إسناده غريب».

(*) قلت: وهو إسناده حسن.

(٥) في (ل): «محمد» وهو خطأ.

(٦) وإسناده ضعيف جداً. وطلحة بن عبد الرحمن هذا، ذكره بحشل في «تاريخ واسط» (ص١٦٣) وترجمه ابن عدي في «الكامل» (١٤٣٢/٤، ١٤٣٣) وقال: «روى عن قتادة شيئاً لا يتابعونه عليه» ثم روى له بعض المناكير وقال: «ولطلحة غير ما ذكرت من الحديث مما يرويه عن قتادة، منه ما يتابعونه عليه، ومنه ما لا يتابع عليه». ثم رواية قتادة عن سعيد بن المسيب، كان ابن المديني يضعفها.

قال إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن»: سمعت علي بن المديني يضعف أحاديث قتادة عن سعيد بن المسيب تضعيفاً شديداً وقال: «أحسب أن أكثرها بين قتادة وسعيد فيها رجال».

وهو يشير إلى تدليس قتادة. ولم أقف على من خرّج هذا الوجه عن أبي هريرة ﷺ إلا ما ذكره ابن أبي حاتم الرازي في «العلل» (١٦٩٨) وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله قريباً.

(٧) ساقط من (ه).

(٨) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ي)؛ وفي (ز) و(ض) و(ن): «الحسن» وهو خطأ.

وانظر: «ثلاثة مجالس لابن مردويه» رقم (٤٧) وقال المحقق: «لم أعرفه».

(٩) من (ج).

(١٠) ساقط من (ك).

(١١) في (ج) و(ل): «عبادة»!! وهو خطأ ظاهر.

(١) [وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وطلحة بن عبد الرحمن^(١) هذا (سلمي واسطي)^(٢) يكنى بأبي محمد، وقيل: أبو سليمان المأدب، قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدي: «روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها».

ثم قال الترمذي^(٣): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة - أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا: الكمأة جدري الأرض. فقال نبي الله ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين، والعجوة من الجنة، وهي شفاء من السم».

(٤) [وهذا الحديث قد رواه النسائي^(٥)، عن محمد بن بشار، به؛ وعنه^(٦)، عن غندر، عن^(٧)]

(١) ساقط من (ك). (٢) في (ن): «السلمي الواسطي».

(٣) في «سننه» (٢٠٦٨).

وأخرجه أبو نعيم في «الطب» (١/٩٦) من هذا الوجه بذكر العجوة حسب. وأخرجه أحمد (٥١١/٢) قال: حدثنا أبو داود، يعني: الطيالسي، ثنا هشام الدستوائي بسنده سواء بتمامه وتوبع هشام الدستوائي. تابعه أبان بن يزيد العطار، عن قتادة، عن شهر، عن أبي هريرة فذكره أخرجه أحمد (٣٥٧/٢) قال: حدثنا أسود بن عامر، ثنا أبان به. وتابعه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة بسنده سواء. أخرجه أحمد (٣٥٦/٢، ٤٩٠) قال: حدثنا عبد الله بن بكر السهمي، ثنا ابن أبي عروبة. وخولف السهمي؛ خالفه روح بن عبادة وعبد الأعلى بن عبد الأعلى فروياه عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي هريرة فذكره. فزاد في الإسناد: «عبد الرحمن بن غنم» بين «شهر» و«أبي هريرة». أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦٦٧٠)؛ وأحمد (٣٢٥/٢)؛ وأخرجه النسائي أيضاً (٦٧٢١) مختصراً بذكر العجوة فقط.

وهذا الوجه أقوى، وعبد الأعلى من قدماء أصحاب سعيد بن أبي عروبة غير أن قتادة توبع على الوجه الأول، وهو أن شهر بن حوشب يرويه عن أبي هريرة بلا واسطة كما يأتي تحقيقه إن شاء الله.

(٤) ساقط من (ه).

(٥) في «السنن الكبرى» كما في «أطراف المزي» (١١٢/١٠) ولم أجد رواية محمد بن بشار عن معاذ بن هشام في «المطبوعة»، فلعله سقط منها؛ وأخرجه النسائي أيضاً (٦٦٧١، ٦٧٢٠) قال: أخبرنا نصير بن الفرج، ثنا معاذ بن هشام بسنده سواء. واختصره في الموضوع الثاني فذكر العجوة وحدها.

(٦) يعني: أن النسائي رواه عن محمد بن بشار أيضاً، لكن عن غندر، وهو محمد بن جعفر، عن شعبة... إلخ. وهو عنده في «السنن الكبرى» (٦٦٧٣) ورواه أيضاً من هذا الوجه (٦٧١٩) بشطره الثاني وهو ذكر العجوة.

وأخرجه أحمد (٣٠١/٢، ٣٠٥، ٤٨٨)؛ والطيالسي (٢٣٩٧)؛ وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٥٠٧)؛ وأبو يعلى (ج ١١/رقم ٦٣٩٨)؛ والطبراني في «الأوسط» (٣٣٨٨) من طرق عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة. وعند أحمد بتمامه. ورواه عن أبي بشر هكذا: «شعبة، وحماد بن سلمة، وهشيم بن بشير، وأبان بن تغلب» وخالفهم الأعمش فرواه عن أبي بشر، عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله مرفوعاً فذكره. أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦٦٧٤) وخالف كل من تقدم: سعاد، بتشديد العين المهملة، الكوفي فرواه عن أبي بشر، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة فذكره مرفوعاً. ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (١٦٩٨) وسأل عنه أباه فقال: «إنما هو جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ». اهـ فحكم أبو حاتم على رواية سعاد بالغلط، ولا جرم، فقد قال أبو حاتم فيه: «ليس بقوي في الحديث» كما نقله عنه ابنه في «الجرح والتعديل» أما حديث أبي سعيد وجابر فسيأتي الكلام عليه قريباً إن شاء الله.

(١) [شعبة، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن^(١) (١) [شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، به، وعن^(٢) محمد بن بشار، عن عبد الأعلى، عن خالد الحذاء، عن شهر بن حوشب بقصة الكمأة فقط. (ورواه^(٣) النسائي^(٤) أيضاً، وابن ماجه، من حديث محمد بن بشار، عن أبي عبد الصمد (عبد العزيز)^(٥) بن عبد الصمد، عن مطر الوراق، عن شهر بقصة العجوة عند النسائي، وبالقصتين عند ابن ماجه^(٦)].

وهذه الطريق منقطعة بين شهر بن حوشب وأبي هريرة؛ فإنه لم يسمع^(٦) منه، بدليل ما رواه النسائي^(٧) في «الوليمة» من «سننه» عن علي بن الحسين الدرهمي، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي هريرة؛ قال: خرج رسول الله ﷺ وهم يذكرون الكمأة، وبعضهم يقول: جدري الأرض. فقال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين». وروى عن شهر بن حوشب، عن أبي سعيد، وجابر؛ كما قال الإمام أحمد^(٨): حدثنا أسباط بن محمد، حدثنا الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري؛ قالوا: قال رسول الله ﷺ: «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين. والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم».

(١) ساقط من (ه).

(٢) يعني: ورواه النسائي أيضاً عن محمد بن بشار، عن عبد الأعلى... إلخ. وهو عنده في «السنن الكبرى» (١٥٧/٤) ولم يذكر العجوة. وأخرجه إسحاق بن راهويه في «المسند» (١٤٨) عن عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء به.

(٣) في (ز) و(ن): «وروى».

(٤) في «سننه الكبرى»، كما في «أطراف المزي» (١٠/١١٢)؛ وابن ماجه (٣٤٥٥)؛ والطبراني في «مسند الشاميين» (١٢٩٥)؛ والجرجاني في «الأمالي» (ق٢/٢٧ - ١/٢٨)؛ والبغوي في «شرح السنة» (١١/٣٣٣) من طرق عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة فذكره وهو عند النسائي مختصر كما قال المصنف رحمه الله. [أوصحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح٢٧٨٣)].

(٥) في (ن): «ابن عبد العزيز».

(٦) يعني: لم يسمع منه هذا الحديث بخصوصه، لا أنه لم يسمع منه مطلقاً، ولم أر من نفي سماعه من أبي هريرة وقال عبد الحميد بن بهرام، وهو من العالمين بشهر: «أتى على شهر بن حوشب ثمانون عاماً» وقال أيضاً: «مات شهر سنة ثمان وتسعين» وأقصى ما قيل في تاريخ وفاته، أنه مات سنة (١١٢). ومات أبو هريرة رضي الله عنه سنة (٥٨) وقيل قبلها بسنة أو بعدها بسنة فقد أدركه طويلاً. والله أعلم.

(٧) في «سننه الكبرى» (٦٦٧٠).

وأخرجه أحمد (٢/٣٢٥) قال: حدثنا روح بن عبادة، ثنا سعيد بن أبي عروبة. بسنده سواء. هكذا رواه عبد الأعلى بن عبد الأعلى وروح بن عبادة. وخالفهما عبد الله بن بكر السهمي، فرواه عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة به فسقط ذكر «عبد الرحمن بن غنم»؛ أخرجه أحمد (٢/٣٥٦، ٤٩٠). ورواية عبد الأعلى وروح أقوى، لا سيما وعبد الأعلى من قدماء أصحاب سعيد بن أبي عروبة، لكن الشأن في شهر بن حوشب كما يأتي إن شاء الله.

(٨) في «مسنده» (٤٨/٣).

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٦٦٧٤، ٦٦٧٦)؛ وابن ماجه (٣٤٥٣)؛ والطحاوي في «المشكل» (٥٦٧٤)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (١/١٢٠) من طرق عن الأعمش بسنده سواء. [أوصحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه دون العجوة في الجنة (ح٢٧٨١)].

وقال النسائي^(١) في «الوليمة» أيضاً: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

ثم رواه أيضاً وابن ماجه من طرق عن الأعمش، عن أبي بشر، عن شهر عنهما، به.
(٢) [وقد رواه - أعني النسائي^(٣)] - (٢) - (من حديث جرير)^(٤)، وابن ماجه (من حديث)^(٥) سعيد (بن مسلمة)^(٦)، كلاهما عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد.
(زاد)^(٧) النسائي (حديث)^(٨) جابر، عن النبي ﷺ قال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

ورواه ابن مردويه، عن أحمد بن عثمان، عن عباس الدوري، عن لاحق ابن صواب، عن عمار بن رزيق، عن الأعمش؛ كابن ماجه.

وقال ابن مردويه أيضاً: حدثنا أحمد بن عثمان، حدثنا عباس الدوري، حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كمآت، فقال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

وأخرجه النسائي^(٩) عن عمرو بن منصور، عن الحسن بن الربيع، به.

ثم ابن مردويه رواه أيضاً عن عبد الله بن إسحاق، عن الحسن بن سلام، عن عبيد الله بن موسى، عن شيبان، عن الأعمش، به.

وكذا رواه النسائي^(١٠)، عن أحمد بن عثمان بن حكيم، عن عبيد الله بن موسى.

وقد روي من حديث أنس^(١١) بن مالك رضي الله عنه، كما قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن عبد الله بن

(١) في «سننه الكبرى»، كما في «أطراف المزي» (١٨٩/٢).

(٢) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ل) و(ي)؛ وفي (ك) و(ن) و(ه): «ثم رواه».

(٣) في «السنن الكبرى» (٦٦٧٦)؛ والطحاوي في «المشكل» (٥٦٧٤) من حديث جرير بن عبد الحميد عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن أبي سعيد وجابر به.
وأخرجه ابن ماجه (٢/٣٤٥٣) من حديث سعيد بن مسلمة بن هشام عن الأعمش مثله ولم يذكر «جابرأ».
[وصححه الألباني كما سبق دون ذكر العجوة].

(٤) من (ل) و(ن) و(ي). (٥) في (ك) و(ه): «من طرق».

(٦) في (ن): «ابن أبي سلمة» وهو خطأ. (٧) في (ن): «ورواه».

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(٩) في «سننه الكبرى»، كما في «أطراف المزي» (٣/٣٨٨، ٣٨٩).

وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١٢٠/١) قال: حدثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحسن بن الربيع مثله.
(١٠) في «سننه الكبرى» رقم (٦٦٧٨).

وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٤٦/٧)؛ وأبو يعلى (١٣٤٨)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (١٢٠/١) من طريق عبيد الله بن موسى، ثنا شيبان به.

(١١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧٧٩/٢) من طريق محمد بن موسى الجرشى، ثنا حسان بن سياه، ثنا ثابت، عن أنس مرفوعاً... فذكره بتمامه.

إبراهيم، حدثنا حمدون بن أحمد، حدثنا حوثر بن أشرس، حدثنا حماد، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس: أن أصحاب رسول الله ﷺ تدارءوا في الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار؛ فقال بعضهم: نحسبه الكمأة، فقال رسول الله ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين. والعجوة من الجنة وفيها شفاء من السم».

وهذا الحديث محفوظ أصله^(١) من رواية حماد بن سلمة.

وقد روى الترمذي، والنسائي، من طريقه شيئاً من هذا. والله (تبارك وتعالى)^(٢) أعلم.

(وقد)^(٣) روي عن شهر، عن ابن عباس؛ كما رواه النسائي^(٤) أيضاً في «الوليمة» عن أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد، عن عبد الله بن عون الخراز، عن أبي عبيدة الحداد، عن عبد الجليل بن عطية، عن (شهر)^(٥)، عن عبد الله بن عباس، عن النبي ﷺ؛ قال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

فقد اختلف كما ترى فيه على شهر بن حوشب.

ويحتمل عندي أنه حفظه ورواه من هذه الطرق كلها، وقد سمعه من بعض الصحابة، وبلغه عن بعضهم؛ فإن الأسانيد إليه جيدة؛ وهو لا يتعمد الكذب. وأصل الحديث محفوظ عن رسول الله ﷺ كما تقدم من رواية سعيد بن زيد (رضي الله عنه)^(٦).

= قال ابن عدي: «وحسان بن سياه له أحاديث غير ما ذكرت، وعامتها لا يتابعه غيره عليها، والضعف يتبين على رواياته وحديثه». اهـ.

(*) قلت: وهو متروك. والله أعلم.

(١) يقصد المصنف ﷺ بـ«أصل الحديث» ما أخرجه النسائي في «التفسير» (٢٨٢)؛ والترمذي (٣١١٩)؛ وأبو يعلى (٤١٦٥)؛ وابن حبان (٤٧٥)؛ والطبري في «تفسيره» (١٣٦/١٣)؛ والحاكم (٣٥٢/٢)؛ والضياء في «المختارة» (١٩٢/٦، ١٩٣) من طرق عن حماد بن سلمة، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس أن رسول الله ﷺ أتى بقنّاع جزء فقال: «مَلَأَ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حَبِيبٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا» [إبراهيم: ٢٤] فقال: «هي النخلة» «وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ» [إبراهيم: ٣٣] قال: «هي الحنظلة». وأعله الترمذي بالوقف ويأتي الكلام عليه في تفسير «سورة إبراهيم» إن شاء الله تعالى.

فظاهر من هذا الحديث أنه لا يشترك مع حديث «الكمأة» في شيء من معانيه، اللهم إلا قوله: «الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض» وهذا القدر لا يكفي أن يقال فيه: «أصل الحديث» إلا إذا كان فيه شيء من صلب معناه والله أعلم.

(٢) من (ل). (٣) من (ج).

(٤) في «سننه الكبرى» (٦٦٦٩).

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (ج ١٢/رقم ١٣٠١٠) ومن طريقه الضياء في «المختارة» (٢١٥/١٠) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا عبد الله بن عون بسنده سواء.

وسنده ضعيف. وعبد الجليل بن عطية مختلف فيه فوثقه ابن معين، ولينه البخاري. وقال أبو أحمد الحاكم: «حديثه ليس بالقائم». وقال ابن حبان في «الثقات» (٤٢١/٨): «يعتبر حديثه عند بيان السماع في خبره إذا رواه عن الثقات، وكان من دونه ثقة» وهذا الشرط مفقود هنا في شيخه. وله طريق آخر عن ابن عباس أخرجه الطبراني في «معجمه الثلاثة» بسند ضعيف.

(٥) ساقط من (ن). (٦) من (ل) و(ن).

وأما السلوى فقال علي بن^(١) أبي طلحة، عن ابن عباس: السلوى: طائر (شبيهة)^(٢) بالسماي؛ كانوا يأكلون منه.

وقال السدي^(٣) في خبر ذكره عن أبي مالك؛ وعن أبي صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود؛ وعن ناس من الصحابة: السلوى: طائر يشبه^(٤) السماي.

وقال ابن أبي^(٥) حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا قرة بن خالد، عن جهضم، عن ابن عباس؛ قال: السلوى هو السماي.

وكذا^(٦) قال مجاهد، والشعبي، والضحاك، والحسن، وعكرمة، والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى؛ وعن عكرمة^(٧): أما السلوى فطير كطير يكون بالجنة أكبر من العصفور. أو نحو ذلك.

وقال قتادة^(٨): السلوى كان من طير إلى الحمرة تحشرها عليهم الريح الجنوب، وكان الرجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدى فسد، ولم يبق عنده، حتى إذا كان يوم سادسه^(٩) [ليوم (جمعه)]^(١٠) أخذ ما يكفيه ليوم سادسه^(٩) ويوم سابعه؛ لأنه كان يوم عبادة لا يشخص فيه لشيء ولا يطلبه.

وقال وهب^(١١) بن منبه: السلوى: طير سمين مثل (الحمام)^(١٢)، كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت. وفي رواية - عن وهب^(١٣)؛ قال: سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام لحماً،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٤) وسنده منقطع. (٢) في (ن): «يشبه».

(٣) أخرجه ابن جرير (٩٧٩) بسند حسن.

(٤) السماي: بتشديد السين المهملة بعدها ميم مخففة. قال الجوهري في «الصحاح» (٢١٣٨/٥): «طائر، ولا يقال: سماي بالتشديد» يعني: بتشديد الميم.

(٥) في «تفسيره» (٥٦٣) ورجاله مشهورون بالثقة إلا جهضمًا هذا، فلم أستطع تعيينه، وأظنه جهضم أبا رؤية الباهلي ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٤٧/٢/١)؛ وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/١/١) ٥٣٤، ٥٣٥؛ وذكره ابن حبان في «الثقات» (١١٣/٤، ١١٨) روى عنه محرر بن قعنّب وهو من شيوخ عبد الصمد بن عبد الوارث كما عند البخاري، وذكر ابن حبان أن عبد الصمد بن عبد الوارث يروى عنه، وهو مجهول الحال.

(٦) وهذا قول ابن أبي حاتم في «تفسيره». وأثر مجاهد عند ابن جرير (٩٨٢، ٩٨٣) وكذلك الشعبي (٩٨٧) وسنده ضعيف. وكذلك أثر الضحاك (٩٩٠) وسنده صحيح وعزاه السيوطي في «الدر» (٧١/١)؛ لأبي الشيخ وعبد بن حميد. وأثر الربيع بن أنس عنده برقم (٩٨٦).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٨) وسنده واه فيه حفص بن عمر العوني وهو متروك.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٦) بطوله وفي سنده سعيد بن بشير وهو ضعيف في قتادة. وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٦/١) ومن طريقه ابن جرير (٩٨١) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة بلفظ: «والسلوى كانت تحشرها عليهم الريح الجنوب» وفي رواية عبد الرزاق كلام عن «المن» تقدم ذكره. وعزاه السيوطي (٧٠/١) لعبد بن حميد.

(٩) ساقط من (ج). (١٠) في (ل): «جمعه».

(١١) أخرجه ابن جرير (٩٨٤) مختصراً وأيضاً (٩٩٥) مطولاً وابن أبي حاتم (٥٦٧) وسنده جيد. وعزاه السيوطي (٧١/١) لعبد بن حميد.

(١٢) في (ن): «الحمامة».

(١٣) أخرجه سفيان بن عيينة، كما في «الدر المنثور» (٧١/١) ومن طريقه ابن أبي حاتم (٥٦٥) بسند صحيح.

فقال الله: لأطعمنهم من أقل لحم يعلم في الأرض، فأرسل عليهم ريحاً، فأذرت عند مساكنهم السلوى، وهو السمانى، مثل ميل في ميل قيد رمح في السماء، فخبأوا للغد، ففتن اللحم، وخنز الخبز.

وقال السدي^(١): لما دخل بنو إسرائيل التيه قالوا لموسى ﷺ: كيف لنا بما ها هنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن، فكان (يسقط)^(٢) على (الشجر)^(٣) (الزنجبيل)^(٤) والسلوى، وهو طائر يشبه السمانى أكبر منه؛ فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير، فإن كما سميناً ذبحه وإلا أرسله؛ فإذا سمن أتاه فقالوا: هذا الطعام، فأين الشراب؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، فشرب كل سبط من عين، فقالوا: هذا الشراب، فأين الظل؟ فظل عليهم الغمام، فقالوا: هذا الظل، فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما يطول الصبيان، ولا (يتخرق)^(٥) لهم ثوب؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَوَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ وقوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ (الآية)^(٦) [البقرة: ٦٠].

وروي عن وهب^(٧) بن منبه، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ما قاله السدي. وقال سنيد^(٨)، عن حجاج، عن ابن جريج؛ قال: قال ابن عباس: خلق لهم في التيه ثياب لا (تخرق)^(٩) ولا تدرن.

قال ابن جريج: (وكان)^(١٠) الرجل إذا أخذ من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد إلا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسداً.

^(١١) [قال ابن^(١٢) عطية: السلوى طير بإجماع المفسرين؛ وقد غلط الهذلي في قوله: إنه العسل، وأنشد في ذلك مستشهداً:

وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألد من السلوى إذا ما (أشورها)^(١٣)
قال: فظن أن السلوى عسلاً^(١٤)].

(١) أخرجه ابن جرير (٩٩١) بسند حسن. واختصره المصنف.

(٢) في (ن): «ينزل». (٣) في (ل) و(ن): «شجر».

(٤) في «تفسير ابن جرير»: «الترنجيبين» وأشار المحقق إلى أنه وقع في «مخطوطة ابن جرير» أن الكلمة «الزنجبيل» وكذلك وقعت الكلمة هكذا في كل أصول «تفسير ابن كثير» نقلاً عن «ابن جرير» مما يدل على صحتها، وأن ما اختاره المحقق حفظه الله ضعيف والله أعلم.

(٥) كذا في (ج) و(ل) و(ن) و(ي)؛ وفي (ز) و(ض) و(ك) و(ه): «ينخرق».

(٦) من (ن). (٧) أخرجه ابن جرير (٩٩٥) مطولاً.

(٨) أخرجه ابن جرير (٩٩٧) وسنده ضعيف لإعضاله.

(٩) في (ل): «تخلق». (١٠) في (ز) و(ن): «فكان».

(١١) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(١٢) في «تفسيره» (٣٠٥/١) وقد اختصر المصنف عبارته.

(١٣) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «تفسير ابن عطية» و«القرطبي»: «نشورها» بنون في أوله. وفي «لسان العرب» (٢٣٥٦/٣): «شار العسل يشوره شوراً وشياراً وشياراً ومشاراً ومشاراً: استخرجه من الوقة واجتناه».

(١) [قال القرطبي^(٢): دعوى الإجماع لا تصح؛ لأن (المؤرج)^(٣) أحد علماء اللغة والتفسير قال: إنه العسل؛ واستدل ببيت الهذلي هذا، وذكر أنه كذلك في لغة كنانة لأنه (يسلى)^(٤) به، ومنه: عين سلوان.

وقال الجوهري: السلوى: العسل. واستشهد ببيت الهذلي أيضاً. والسلوانة - بالضم: خرزة كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر^(١) [فشرها العاشق سلا؛ قال الشاعر: شربت على سلوانة ماء مزنة فلا وجديد العيش يا مئى ما أسلو واسم ذلك الماء: السلوان.

وقال بعضهم: السلوان دواء (يشفي)^(٥) الحزين فيسلو، والأطباء يسمونه ((المفرج))^(٦). قالوا: والسلوى جمع بلفظ الواحد أيضاً، كما يقال: «سمانا» للمفرد والجمع^(٧) [(ودفلى)^(٨) كذلك]^(٩). وقال الخليل: واحده سلواة، وأنشد:

وإني لتعروني لذكرك هزة كما انتفض السلواة من بلل القطر
وقال الكسائي: السلوى واحدة، وجمعه سلاوى: نقله كله القرطبي^(١).
وقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أمر إباحة وإرشاد وامتنان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: أمرناهم بالأكل مما رزقناهم وأن يعبدوا، كما قال: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [سأ: ١٥] فخالفوا وكفروا، فظلموا أنفسهم؛ هذا مع ما شاهده من الآيات البينات، والمعجزات القاطعات، وخوارق العادات.

ومن ها هنا (تبيين)^(٩) فضيلة أصحاب محمد (ﷺ)^(١٠) وﷺ، على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم، (كما كانوا)^(١١) معه في أسفاره وغزواته، منها عام تبوك، في ذلك القبط والحر الشديد والجهد، لم يسألوا خرق عادة، ولا إيجاد أمر، مع أن ذلك كان سهلاً على (الرسول)^(١٢) ﷺ، ولكن لما أجهدهم الجوع سألوهم في تكثير طعامهم، فجمعوا ما معهم، فجاء قدر مبرك الشاة، فدعا الله فيه، وأمرهم فملئوا كل وعاء معهم. وكذا لما احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى، (فجاءت)^(١٣) سحابة فأمرتهم فشربوا وسقوا الإبل، وملئوا أسقيتهم، ثم نظروا فإذا هي لم تتجاوز العسكر.

فهذا هو الأكمل في الاتباع: المشي مع قدر الله، مع متابعة الرسول ﷺ.

-
- (١) ساقط من (ز) و(ض) و(ها). (٢) في «تفسيره» (٤٠٧/١).
(٣) بكسر الراء المشددة، ابن عمرو، أبو فيد السدوسي أحد أصحاب الخليل بن أحمد الفراهيدي، من طبقة سيويه والنضر بن شميل. توفي سنة (١٩٥) يوم موت أبي نواس الشاعر المعروف.
(٤) في (ل): «سبلى»!
(٥) في (ك): «يسقى»؛ وفي (ل): «شفى».
(٦) في (ن): «مفرج».
(٧) بياض في (ع) و(ى).
(٨) في (ن): «وويلي»!
(٩) في (ج): «يتبين».
(١٠) في (ج) و(ض) و(ك): «صلوات الله وسلامه عليه». (١١) في (ن): «مع ما كانوا».
(١٢) في (ن): «النبى».
(١٣) في (ن): «فجاءتهم».

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى، لا ثمناً لهم على نكولهم عن الجهاد، ودخولهم الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر صحبة موسى عليه السلام؛ فأمرُوا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل، وقتال من فيها من العمالق الكفرة، فنكلوا عن قتالهم، وضعفوا، واستحسروا؛ فرماهم الله (تعالى)^(١) في التيه عقوبةً لهم، كما ذكره تعالى في «سورة المائدة».

ولهذا كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس، كما نص على ذلك السدي^(٢)، والربيع^(٣) بن أنس، وقتادة^(٤)،^(٥) [أبو مسلم الأصفهاني، وغير واحد.^(٦)] [وقد قال (الله)^(٧) تعالى]^(٨)، حاكياً عن موسى: ﴿يَقُولُوا ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ (وَلَا تُزْنُوا)...﴾ الآيات [المائدة: ٢١]^(٩) [٥].

وقال آخرون: هي أريحا،^(٩) [ويحكى عن ابن عباس، وعبد الرحمن^(١٠) بن زيد]^(٩)، وهذا بعيد؛ لأنها ليست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس لا أريحا،^(٩) [وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنها مصر، حكاه (فخر الدين)^(١١) (الرازي)^(١٢) في «تفسيره»^(١٣) والصحيح الأول: أنها بيت المقدس]^(٩).

(وكان^(١٤) هذا) لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنةً مع يوشع بن نون عليه السلام، وفتحها الله عليهم عشية جمعة، وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلاً حتى أمكن الفتح^(١٥).^(١٦) [وأما «أريحا»، فقرية ليست مقصودةً لبني إسرائيل]^(١٦).

ولما فتحوها أمرُوا أن يدخلوا الباب، باب البلد، ﴿سُجَّدًا﴾ أي: شكراً لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر، ورد بلدهم عليهم، وإنقاذهم من التيه والضلال. قال العوفي^(١٧) في «تفسيره»، عن ابن عباس إنه كان يقول في قوله (تعالى)^(١٨): ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي: ركعاً.

(١) من (ج) و(ض) و(ع) و(ل) و(ي).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٠٠٠) وسنده حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٠٠١) وسنده ضعيف لجهالة شيخ الطبري.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٦/١) ومن طريقه ابن جرير (٩٩٩)؛ وابن أبي حاتم (٥٧٣). [وسنده صحيح].

(٥) ساقط من (ز) و(ض).

(٦) ساقط من (ن).

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) ساقط من (ن) و(ه).

(٩) انظر: «تفسير الرازي» (٩٤/٢).

(١٠) في (ز) و(ك) و(ن): «وهذا كان». وفي (ه): «وهذا».

(١١) وسيأتي الكلام عن هذا مفصلاً في سورة «المائدة» إن شاء الله تعالى.

(١٢) ساقط من (ز) و(ض).

(١٣) من (ن).

وقال ابن جرير^(١): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - ^(٢)[في قوله (تعالى)]^(٣)^(٢) ﴿وَادْخُلُوا أَبْنَاءَ سُجْدًا﴾ قال: رُكعاً من باب صغير.

ورواه الحاكم من حديث سفيان به. ورواه ابن أبي حاتم من حديث سفيان - وهو الثوري - به؛ وزاد: فدخلوا من قبل أستاذهم.

^(٤)[وقال الحسن البصري: أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم. واستبعده الرازي^(٥). وحكى عن بعضهم أن المراد بالسجود (ها هنا)^(٦) الخضوع لتعذر حمله على حقيقة^(٤)].

وقال خصيف^(٧): قال عكرمة: قال ابن عباس: كان الباب قبل القبلة، وقال^(٨) (ابن عباس، و^(٨) مجاهد^(٩)، والسدي، وقتادة^(١٠)، والضحاك: هو باب الحطة من باب إيلياء بيت المقدس، ^(٨)[وحكى الرازي عن بعضهم أنه عنى بالباب جهةً من جهات القبلة]^(٨).

وقال خصيف^(١١): قال عكرمة: قال ابن عباس: فدخلوا على شق. وقال السدي^(١٢)، عن أبي سعد الأزدي، عن أبي الكنود، عن عبد الله بن مسعود؛ قيل لهم: ادخلوا الباب سجداً، فدخلوا مقنعي رؤوسهم؛ أي: رافعي رؤوسهم خلاف ما أمروا.

^(١٣)[وقوله (تعالى)]^(١٤): ^(١٣) ﴿وَقُولُوا﴾ ^(١٥) حِطَّةٌ قال الثوري^(١٦)، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قال: مغفرة استغفروا.

وروي عن عطاء^(١٧)، والحسن^(١٨)، وقتادة، والربيع^(١٩) بن أنس نحوه. وقال الضحاك^(٢٠)، عن ابن عباس: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قال: قولوا هذا الأمر حق، كما قيل لكم.

(١) في «تفسيره» (١٠٠٧) وأخرج نحوه (١٠٠٨) من طريق أبي أسامة عن الثوري بسنده سواء وأخرجه ابن أبي حاتم (٥٧٧، ٥٨٠، ٥٩٤)؛ والحاكم (٢/٢٦٢) من طريق سفيان الثوري به. قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

(٢) ساقط من (هـ).

(٣) من (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ل) و(ي).

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) في «تفسيره» (٩٤/٢).

(٦) ساقط من (ع) و(هـ) و(ي). ووقع في (ن): «ها هنا بالسجود».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٧٧) وسنده صالح.

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(٩) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد].

(١٠) [ذكرهم ثلاثهم ابن أبي حاتم بحذف السند].

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٨١). [وفي سنده خصيف: سيء الحفظ].

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٨٣) بسند ضعيف.

(١٣) ساقط من (ج) و(ع) و(ل) و(ي).

(١٤) من (ن).

(١٥) ساقط من (ك).

(١٦) أخرجه ابن جرير (١٠١٢، ١٠١٦)؛ وابن أبي حاتم (٥٨٤). [وسنده حسن].

(١٧) أخرجه ابن جرير (١٠١٤) بسند جيد.

(١٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٧/١) عن الحسن وقتادة معاً ومن طريقه ابن جرير (١٠٠٩). [وسنده صحيح].

(١٩) أخرجه ابن جرير (١٠١٣) بسند ضعيف.

(٢٠) أخرجه ابن جرير (١٠١٧)؛ وابن أبي حاتم (٥٨٥) بسند ضعيف.

وقال عكرمة^(١): قولوا: «لا إله إلا الله».

^(٢) [وقال الحسن، وقتادة: أي: احطط عنا خطايانا]^(٢).

وقال الأوزاعي^(٣): كتب ابن عباس إلى رجل قد سماه، يسأله عن قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ فكتب إليه أن أقروا بالذنوب.

﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ هذا جواب الأمر؛ أي: إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات، وضاعفنا لكم الحسنات^(٤).

وحاصل الأمر أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم، ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها، والمبادرة إلى ذلك من المحبوب لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾ [النصر] فسر بعض الصحابة بكثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر. وفسر ابن عباس^(٥) بأنه نعى إلى رسول الله ﷺ أجله فيها، وأقره على ذلك عمر رضي الله عنه.

ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك عند ذلك، ونُعى إليه روحه الكريمة أيضاً؛ ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع جداً عند النصر؛ كما روي^(٦) أنه كان يوم الفتح - فتح مكة - داخلاً إليها من الثنية العليا، وإنه لخاضع لربه حتى إن (عثنونه)^(٧) ليمس مورك رحله (يشكر)^(٨) الله على ذلك. ثم لما دخل البلد اغتسل وصلى ثماني ركعات؛ وذلك ضحى؛ فقال بعضهم: هذه صلاة الضحى. وقال آخرون: بل هي صلاة الفتح^(٩). فاستحبوا للإمام وللأمير إذا

(١) أخرجه ابن جرير (١٠١٥)؛ وابن أبي حاتم (٥٨٦) من طريق حفص بن عمر، ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة. وحفص بن عمر متروك ولكنه لم يتفرد به فتابعه إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه مثله. أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٥٦٤)؛ وإبراهيم شبه المتروك. وعزاه السيوطي (٧١/١) لعبد بن حميد.

(٢) قول الحسن وقتادة متأخر بعد قول الأوزاعي في (ز) و(ض) و(ن). وأخرج قولهما هذا عبد الرزاق (١/٤٧) ومن طريقه ابن جرير (١٠٠٩) وتقدم الإشارة إليه. [وسنده صحيح].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٨٧) وسنده ضعيف لإعضاله.

(٤) جاء بعد هذه الجملة في (ع) و(هـ): «وحكى الرازي أنه عني بالباب جهة من جهات القرية» وقد تقدم هذا الكلام في موضعه عند قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْبَابَ﴾ [النساء: ١٥٤] ولا معنى لذكره هنا. والله أعلم.

(٥) كما أخرجه البخاري (٦٢٨/٦)؛ ٢٠/٨، ١٢٠، ٧٣٥، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس نحوه مختصراً.

(٦) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١٩/٤)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٦٨/٥) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: «لما نزل رسول الله ﷺ بذي طوى، ورأى ما أكرمه الله به من الفتح، جعل رسول الله ﷺ يتواضع لله، حتى إنه ليقول: قد كاد عثنونه أن يصيب واسطة الرحل».

وهذا مرسل حسن الإسناد، وله شاهد موصول أخرجه البيهقي (٦٨/٥، ٦٩) من طرق عبد الله بن أبي بكر المقدمي، ثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وذقنه على رحله متخشعاً، وسنده صحيح.

(٧) في (ل): «عيونه»! ووقع في (ك) و(هـ): «عسونه» بالسين وكلاهما تصحيف والعثنون: اللحية، أو ما فضل منها بعد العارضين.

(٨) في (ن) و(هـ): «شكراً لله».

(٩) وهكذا رجح ابن القيم رحمه الله. وانظر: «زاد المعاد» (٣/٤١٠).

فتح بلداً أن يصلي فيه ثماني ركعات عند أول دخوله، كما فعل سعد بن أبي وقاص^(١) ﷺ لما دخل إيوان كسرى؛ صلى فيه ثماني ركعات. والصحيح أنه يفصل بين كل ركعتين بتسليم؛ وقيل: يصليها كلها بتسليم واحد. والله أعلم.

^(٢) [وقد تكلم القرطبي^(٣) ها هنا على مسألة رواية الحديث بالمعنى، وأطال الكلام فيها، وحكى عن الجمهور وعن محمد بن سيرين، والقاسم بن محمد، ورجاء بن حيوة المنع، واختار ابن العربي^(٤) المالكي أن ذلك يجوز (في زمن)^(٥) الصحابة والتابعين لعلمهم باللغة، وقدرتهم على المطابقة، وأما من بعدهم فلا يجوز وقد أنكر بعض العلماء^(٦) على ابن العربي التفرقة والله أعلم.

قال وكيع: إن لم تكن الرواية بالمعنى فقد هلك الناس. وصدق وكيع. وقال الحسن البصري: إذا أصبت المعنى أجزاءك. وقال قتادة عن زرار: لقيت عدة من الصحابة، فاختلفوا علي في اللفظ، واجتمعوا في المعنى^(٧).

وقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: قال البخاري^(٨) (حدثني)^(٩) محمد، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن ابن المبارك، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا وقالوا حبة في شعرة».

ورواه النسائي، عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، عن عبد الرحمن (بن مهدي)^(٩) به - موقوفاً؛ وعن محمد بن عبيد بن محمد، عن ابن المبارك ببعضه مسنداً في قوله تعالى: ﴿حِطَّةٌ﴾ قال: ^(١٠) [فبدلوا (فقالوا)]^(١١) حبة.

(١) ذكر المصنف ﷺ خبر سعد ﷺ في «البداية والنهاية» (٧/ ٧٤) في أحداث سنة «ست عشرة».

(٢) من (ل)، وكتب في (ج) و(ي) في الحاشية. (٣) في «تفسيره» (١/ ٤١١ - ٤١٤).

(٤) في «أحكام القرآن» (١/ ٢٢).

(٥) كذا في (ج) و(ي)؛ وفي (ل): «في المطابقة ومن»!!

(٦) قال القرطبي (١/ ٤١٤) بعد تلخيص كلام ابن العربي: «قال بعض علمائنا: لقد تعاجم ابن العربي ﷺ، فإن الجواز إذا كان مشروطاً بالمطابقة فلا فرق بين زمن الصحابة والتابعين وزمن غيرهم، ولهذا لم يفصل أحد من الأصوليين ولا أهل الحديث هذا التفصيل. نعم؟ لو قال: المطابقة في زمنه أبعد كان أقرب. والله أعلم» اهـ.

وانظر بحث الرواية بالمعنى وجوازه من عدمه في «الكفاية» (ص ١٧١ - ٢٠٣) للخطيب البغدادي.

(٧) في «تفسير سورة البقرة» من «صحيحه» (٨/ ١٦٤).

(٨) من (ز) وهو الموافق لما في «الصحيح»، وفي بقية الأصول: «حدثنا». ومحمد، شيخ البخاري قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٦٤): «لم يقع منسوباً إلا في رواية أبي علي بن السكن، عن الفريري فقال: محمد بن سلام، ويحتمل عندي أن يكون محمد بن يحيى الذهلي فإنه يروى عن عبد الرحمن بن مهدي أيضاً، أما أبو علي الجبائي فقال: الأشبه أنه محمد بن بشار».

(٩) ساقط من (ن).

(١٠) ساقط من (ج) و(ل).

(١١) في (ن): «وقالوا».

وقال عبد^(١) الرزاق: أنبأنا معمر، عن همام بن منبه - أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «قال الله لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا أَبْوَابَ سُجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم: فقالوا: حبة في شعرة.

وهذا حديث صحيح رواه البخاري، عن إسحاق بن نصر، ومسلم، عن محمد بن رافع، والترمذي عن (عبد)^(٢) بن حميد، كلهم عن عبد الرزاق، به. وقال الترمذي: «حسن صحيح»^(٣).

وقال محمد بن^(٤) إسحاق: كان تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة، وعمن لا أتهم، عن ابن عباس - أن رسول الله ﷺ قال: «دخلوا الباب - الذي أمروا أن يدخلوا فيه سجداً - يزحفون: على أستاههم، وهم يقولون: حنطة في شعيرة».

وقال أبو^(٥) داود: حدثنا أحمد بن صالح، وحدثنا سليمان بن داود، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)^(٦) عن النبي ﷺ: «قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولها حطة نغفر لكم خطاياكم»؛ ثم قال^(٧) أبو داود: حدثنا جعفر بن مسافر، حدثنا ابن أبي فديك، عن هشام (بمثله)^(٨). هكذا رواه منفرداً به في «كتاب الحروف» مختصراً.

وقال ابن مردويه^(٩): حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن (فهد)^(١٠)، حدثنا أحمد بن محمد بن المنذر القزاز، حدثنا محمد بن إسماعيل بن (أبي)^(١١) فديك، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى

(١) أخرجه البخاري (٤٣٦/٦). (٢) في (ن): «عبد الرحمن»!!

(٣) [السنن (٢٩٥٦)].

(٤) أخرجه ابن جرير (١٠٢٠) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة وعلي بن مجاهد، قالوا: حدثنا محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة مرفوعاً وسنده ضعيف جداً، ومحمد بن حميد الرازي شيخ الطبري واه، وصالح مولى التوأمة ضعيف لاختلاطه لأنه طعن في الكبير، حتى قال ابن عيينة: «سمعت منه ولعابه يسيل من الكبير» وطعن فيه مالك لأنه أدركه بعد ما تغير واختلط كما قال أحمد وابن معين، فمن سمع منه قبل الاختلاط مثل ابن أبي ذئب فسماعه جيد. والراوي عنه هنا هو صالح بن كيسان، ولم ينصوا أنه سمع منه قبل الاختلاط. والله أعلم.

(٥) في «سننه» (٤٠٠٦) وسنده جيد، وهشام بن سعد وإن تكلم فيه بعض أهل العلم، فهو من أثبت الناس في زيد بن أسلم وعزاه السيوطي في «الدر» (٧١/١) للضيء في «المختارة». [وقال الألباني: حسن صحيح وصحيح سنن أبي داود ح].

(٦) من (ز) و(ن). (٧) رقم (٤٠٠٧).

(٨) في (ز) و(ض) و(ك) و(ه): «مثله».

(٩) وأخرجه البزار (١٨١٢ - كشف الأستار) قال: حدثنا إسحاق بن بهلول الأنباري، ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك بسنده سواء وفيه قصة. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» مثله، قال البزار: «لا نعلم أحداً رواه هكذا إلا محمد بن إسماعيل». وقال الهيثمي في «المجمع» (١٤٤/٦): «رجاله ثقات».

(١٠) في (ز) و(ن): «مهدي».

(١١) ساقط من (ك) و(ض).

إذا كان من آخر الليل (أجزنا)^(١) في (ثنية)^(٢) يقال لها: «ذات الحنظل»؛ فقال رسول الله ﷺ: «ما مثل هذه الثنية الليلة إلا كمثل الباب الذي قال الله لربي إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم».

وقال سفيان^(٣) الثوري: عن أبي إسحاق، عن البراء: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢] قال اليهود: قيل لهم: ادخلوا الباب سجداً - قال: رُكعاً، وقولوا حطة؛ أي: مغفرة؛ فدخلوا على أستاذهم، وجعلوا يقولون: حنطة حمراء فيها شعيرة؛ فذلك قول الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾.

وقال الثوري^(٤)، عن السدي، عن أبي سعد الأزدي، عن أبي الكنود، عن ابن مسعود: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾ (فقالوا)^(٥): حنطة حبة حمراء فيها شعيرة؛ فأنزل الله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾.

وقال أسباط^(٦)، عن السدي، عن مرة، عن ابن مسعود: أنه قال: إنهم قالوا: «هطا سمعانا أزية مزبا»؛ فهي بالعربية حبة حنطة حمراء (مثقوبة)^(٧) فيها شعرة سوداء؛ فذلك قوله (تعالى)^(٨): ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾.

وقال الثوري^(٩)، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد، عن ابن عباس في قوله (تعالى)^(٣): ﴿وَادْخُلُوا أَبْوَابَ سُجْدَاكُمْ﴾ قال: رُكعاً من باب صغير، (يدخلون)^(١٠) (فيه)^(١١) من قبل أستاذهم،

(١) في (هـ): «اجتزنا».

(٢) في (ج) و(ض) و(ي): «سرية»، وأشار في (ي) إلى أنه وقع في نسخة: «ثنية».

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «الطبقات» (٧٨٣) قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن جميل، ثنا عبد الله بن عمر، ثنا وكيع، عن سفيان الثوري به. وشيخ أبي الشيخ صدوق، وبقيّة السند ثقات معروفون، وهو سند صحيح لولا تدليس أبي إسحاق. واستغرب أبو الشيخ هذا الحديث. وأما قوله في الحديث أن السفهاء هم اليهود فقد أخرجه النسائي والترمذي وغيرهما ويأتي تخريجه عند الآية (١٤١) إن شاء الله.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٠٢٣)؛ وابن أبي حاتم (٥٩٢) من طريق عبد الرحمن بن مهدي؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٩٠٢٧) عن محمد بن يوسف الفريابي كلاهما عن سفيان الثوري بسنده سواء.

ووقع عند ابن جرير وابن أبي حاتم: «عن أبي سعيد الأزدي» وصوابه: «أبو سعد» وقد ترجمه البخاري في «الكنى» رقم (٣١٣) وقال: «سمع زيد بن أرقم، روى عنه السدي ويزيد بن أبي زياد وعن أبي الكنود». اهـ فقله: وعن أبي الكنود؛ يعني: أنه روى عن أبي الكنود ولم يذكر فيه شيئاً وترجمه ابن أبي حاتم (٤/٢/٣٧٨) ولم يحك فيه شيئاً وذكره ابن حبان في «الثقات» (٥/٥٦٨)؛ وأبو الكنود وثقه ابن حبان (٥/٤٤)؛ وابن سعد في «الطبقات» (٦/١٧٧) وقال: «له أحاديث يسيرة» وقد روى ابن ماجه (٤١٢٧) حديثاً من طريق السدي، عن أبي سعد الأزدي، عن أبي الكنود، عن خباب رضي الله عنه، فقال البوصيري في «الزوائد» (٣/٢٧٧): «هذا إسناد صحيح». [لوصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ج ٣/٣٣٢٩)].

(٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٠٢٩)؛ وابن أبي حاتم (٥٩٣) بسند حسن.

(٧) في (ض): «مستوية»؛ وفي (ل): «منقوشة». (٨) من (ن).

(٩) أخرجه ابن جرير (١٠٢٤) عن أبي أحمد الزبيري، وابن أبي حاتم (٥٩٤) عن يحيى بن آدم كلاهما عن سفيان الثوري بسنده سواء. وهذا سياق ابن أبي حاتم وسنده جيد.

(١٠) في (ز) و(ن): «فدخلوا». (١١) من (هـ).

وقالوا: حنطة؛ (فهو)^(١) قوله (تعالى)^(٢): ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾. وهكذا روى عن عطاء، ومجاهد^(٣)، وعكرمة^(٤)، والضحاك، والحسن^(٥)، وقتادة^(٥)، والربيع^(٦) بن أنس، ويحيى بن رافع.

وحاصل ما ذكره المفسرون، وما دل عليه السياق (من الحديث)^(٧) أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سجداً، فدخلوا يزحفون على أستاههم (من قبل أستاههم)^(٨)، رافعي رؤوسهم. وأمروا أن يقولوا حطة؛ أي: احطط عنا ذنوبنا (وخطايانا)^(٩) فاستهزؤا فقالوا: حنطة في (شعرة)^(١٠). وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة؛ ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم؛ وهو خروجهم عن طاعته.

ولهذا قال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

وقال الضحاك^(١١)، عن ابن عباس: كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب.

وهكذا روى عن مجاهد، وأبي مالك، والسدي، والحسن، وقتادة^(١٢) - أنه العذاب.

وقال أبو العالية^(١٣): الرجز: الغضب.

وقال الشعبي^(١٤): الرجز: إما الطاعون، وإما البرد.

وقال سعيد بن جبيرة: هو الطاعون.

وقال ابن أبي^(١٥) حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن إبراهيم بن سعد - يعني: ابن أبي وقاص - عن سعد بن مالك، وأسامة بن زيد، وخزيمة بن ثابت رضي الله عنه؛ قالوا: قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم».

وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري، به.

(١) في (ن): «فذلك».

(٢) من (ن).

(٣) أخرجه ابن جرير (١٠/٧، ١٠٢٨). لوسنده صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٠٣١) من طريق النضر بن عربي، عن عكرمة. وفي إسناده سفيان بن وكيع شيخ ابن جرير وفيه مقال. ووقع عند ابن جرير: «النضر بن عدي»! وهو تصحيف.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٧/١) ومن طريقه ابن جرير (١٠٢٦) أنبأنا معمر، عن قتادة والحسن فذكره. لوسنده صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٠٣٢) قال: حدثت عن عمار بن الحسن، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس. وهذا إسناد منقطع.

(٧) ساقط من (ج).

(٨) ساقط من (ن).

(٩) في (ك) و(ل) و(ن): «شعيرة».

(١٠) من (ن).

(١١) أخرجه ابن جرير (١٠٤٢)؛ وابن أبي حاتم (٥٩٦) بسند ضعيف.

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٠٣٨). لوسنده صحيح.

(١٣) أخرجه ابن جرير (١٠٣٩)؛ وابن أبي حاتم (٥٩٧). لوسنده جيد.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٩٨) وسنده ضعيف جداً.

(١٥) في «تفسيره» (٥٩٥). وأخرجه مسلم (٩٧/٢٢١٨).

وأصل الحديث في «الصحيحين»^(١) من حديث حبيب بن أبي ثابت: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها...» الحديث.

قال ابن جرير^(٢): أخبرني يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن يونس، عن الزهري؛ قال: (أخبرني)^(٣) عامر بن سعد بن أبي وقاص؛ عن أسامة بن زيد، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «إن هذا الوجد (أو)^(٤) السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم».

وهذا الحديث أصله مخرج في «الصحيحين» من حديث الزهري؛ ومن حديث مالك^(٥)، عن محمد بن المنكدر، وسالم بن أبي النضر، عن عامر بن سعد بنحوه.

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى ﷺ حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء، وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم، (وتفجير)^(٦) الماء لكم منه من ثنتي عشرة عيناً، لكل سبط من أسباطكم عين قد (عرفوها)^(٧) فكلوا من المن والسلوى، واشربوا من هذا الماء الذي أنبعته لكم بلا سعي منكم ولا كد، واعبدوا الذي سخر لكم ذلك؛ ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها.

وقد بسطه المفسرون في كلامهم، كما قال ابن عباس (رضي الله عنهما)^(٨) وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع، وأمر موسى ﷺ، فضربه بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، في كل ناحية منه ثلاث عيون، وأعلم كل سبط عينهم يشربون منها، لا يرتحلون من (منقلة)^(٩) إلا وجدوا ذلك معهم بالمكان الذي كان منهم بالمتزل الأول.

وهذا قطعة من الحديث الذي رواه النسائي^(١٠)، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وهو حديث الفتون الطويل.

وقال عطية^(١١) العوفي: وجعل لهم (حجر)^(١٢) مثل رأس الثور، يحمل على ثور؛ فإذا نزلوا

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٧٨/١٠، ١٧٩)؛ ومسلم (٩٧/٢٢١٨).

(٢) في «تفسيره» (١٠٣٦)؛ وأخرجه أيضاً في «تهذيب الآثار» (٨٩ - القسم المتمم).

وأخرجه البخاري (٣٤٤/١٢)؛ ومسلم (٩٦/٢٢١٨).

(٣) في (خ): (أخبرني).

(٤) في (ن): (و).

(٥) أخرجه البخاري (٥١٣/٦)؛ ومسلم (٩٨/٢٢١٨).

(٦) في (ز): «تفجير».

(٧) في (ج): «عرفوا».

(٨) في (ك): «مقلة»!

(٩) من (ن).

(١٠) ويأتي تخريجه إن شاء الله تعالى في «سورة طه».

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٣) وإسناده حسن. أما المعلق على تفسير ابن أبي حاتم فقال: «حديث منكر والمتهم به عطية» فنقول: أين هذا الحديث الذي اتهم به عطية؟ إنما هو قوله، وإنما ينظر في السند إليه، فلو أن كذاباً قال قولاً وصح السند إليه، فهل نقول: لم يقله لأنه كذاب؟!

(١٢) في (ه): «حجراً» على اعتبار أن الفعل «جعل» مبني للمعلوم.

منزلاً وضعوه، فضربه موسى (عليه^(١) السلام) بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، فإذا ساروا حملوه على ثور، فاستمسك الماء.

وقال عثمان^(٢) بن عطاء الخراساني، عن أبيه: كان لبني إسرائيل حجر، فكان يضعه هارون، ويضربه موسى بالعصا.

وقال قتادة^(٣): كان حجراً طورياً من الطور، يحملونه معهم، حتى إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه.
^(٤) [وقال الزمخشري^(٥): وقيل كان من رخام، وكان ذراعاً في ذراع. وقيل: مثل رأس الإنسان. وقيل: كان من (آس)^(٦) الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى، وله شعبتان تتقدان في الظلمة، وكان يحمل على حمار.

قال^(٧): وقيل: أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شبيب، فدفعه إليه مع العصا.
 وقيل: هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل، فقال له جبريل: ارفع هذا الحجر، فإن فيه قدرة، ولك فيه معجزة؛ فحمله في مخلاته.

قال الزمخشري^(٥): ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد؛ أي: اضرب الشيء الذي يقال له: الحجر^(٤).

^(٨) [وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه.

قال^(٩): وهذا أظهر في المعجزة، وأبين في القدرة؛ فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر، ثم يضربه فييبس؛ فقالوا: إن فقد موسى (عصاه)^(١٠) عطشنا؛ فأوحى الله إليه أن يكلم الحجارة فتنفجر، ولا يمسها بالعصا لعلهم يقرون. والله أعلم^(٨).

وقال يحيى^(١١) بن النضر: قلت لجويبر: كيف علم كل أناس مشربهم؟ قال: كان موسى يضع الحجر، ويقوم من كل سبط رجل، ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا، فينضح من كل عين على رجل فيدعو ذلك الرجل سبطه إلى تلك العين.

^(١٢) [وقال الضحاك^(١٣): قال ابن عباس: لما كان بنو إسرائيل في التيه شق لهم من الحجر أنهاراً^(١٢)، وقال (سفيان)^(١٤) الثوري، عن أبي سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس^(١٥)؛ قال:

(١) من (ن).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٤) وعثمان بن عطاء متروك.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٠٤٣) وسنده صحيح. (٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٥) في «الكشاف» (٧١/١). (٦) ساقط من (ن).

(٧) يعني: الزمخشري. (٨) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٩) يعني: الزمخشري. (١٠) في (ن): «هذا الحجر».

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٩) وسنده ضعيف جداً. ويحيى بن النضر، هكذا وقع في «أصول» التفسير، وصوابه: «يحيى أبو النضر» وهو يحيى بن كثير، وهو واه.

(١٢) هذه الفقرة مؤخرة عن التي تليها في (ج).

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧) وسنده ضعيف لانقطاعه بين الضحاك وابن عباس.

(١٤) ساقط من (ن).

(١٥) أخرجه ابن جرير (١٠٤٥) قال: حدثني عبد الكريم، قال: أخبرنا إبراهيم بن بشار، قال: حدثنا سفيان، =

ذلك في التيه ضرب لهم موسى الحجر، فصار منه اثنتا عشرة عيناً من ماء، لكل سبط منهم عين يشربون منها.

وقال مجاهد^(١) نحو قول ابن عباس.

وهذه القصة شبيهة بالقصة التي في «سورة الأعراف»، ولكن تلك مكية، فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب؛ لأن الله تعالى يقص على رسوله ﷺ ما فعل بهم.

(وأما)^(٢) في هذه السورة وهي «البقرة» فهي مدنية؛ فلهذا كان الخطاب (فيها)^(٣) متوجهاً إليهم، وأخبر هناك بقوله: ﴿فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: ١٦٠] وهو أول الانفجار. وأخبرها هنا بما آل إليه الحال آخرًا، وهو الانفجار؛ فناسب ذكر (هذا)^(٤) ها هنا وذاك هناك. والله أعلم.^(٥) [وبين السياقين تباين من عشرة أوجه لفظية ومعنوية، قد سأل عنها (الرازي)^(٦) في «تفسيره»^(٧)، وأجاب عنها بما عنده، والأمر في ذلك قريب. والله أعلم]^(٨).

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَكْفُرُونَ لَنْ تَصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاجِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقِيلِهَا وَقَتَائِبِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾.

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المن والسلوى طعاماً طيباً نافعاً، هنيئاً سهلاً؛ واذكروا دبركم^(٩) وضجركم مما (رزقناكم)^(١٠)، وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالأطعمة الدنيئة^(١١) من البقول ونحوها مما سألتهم.

وقال الحسن البصري: فبطروا ذلك (ولم)^(١٢) يصبروا عليه، وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه،

= عن أبي سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس. وسفيان الواقع في السند هو ابن عيينة وإبراهيم بن بشار الرمادي من قدماء أصحابه، فقول المصنف رحمه الله أن سفيان هو الثوري فيه نظر، فإن الرمادي لم يدرك الثوري وبين وفاتيهما سبع وستون عاماً أو أقل قليلاً. وقد صرح ابن جرير أن سفيان هو ابن عيينة في موضع آخر من «تفسيره» (٨٩٢) بذات السند هنا وأبو سعيد هو عبد الكريم بن مالك الجزري. وهذا سند جيد.

(١) أخرجه ابن جرير (١٠٤٦). [يسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد].

(٢) في (ج): «وما».

(٣) من (ز) و(ن).

(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(٥) في (ن): «الانفجار»!

(٦) انظر: «تفسير الرازي» (١٠٢/٢ - ١٠٤).

(٧) في (ن): «الرمخشري».

(٨) يعني: تألمكم وفجركم؛ من «دبر البعير وحفي».

(٩) كذا في (ك) و(ل) و(ن) و(ه)؛ وفي (ز) و(ض) و(ي): «رزقتكم»؛ وفي (ج): «رزقكم».

(١٠) كذا قال المصنف رحمه الله: والمعروف أن باء الاستبدال إنما تلتحق بالمتروك، فلا يقال: استبدلت الثوب القديم بثوب جديد، وإنما يقال: استبدلت الثوب الجديد بثوب قديم، ف«الباء» إنما تلتحق بما تركته، وأنت تركت القديم لا الجديد وفي هذه الآية ما يدل على ذلك فقال تعالى: «أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ» فهم تركوا الذي هو خير، فالتحقث الباء بما تركوه. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَيَاتِ بِالطَّيِّبِ﴾ [النساء: ٢] فقد نهوا أن يتركوا الطيب، فالتحقث الباء به. والله أعلم.

(١١) في (ن): «فلم».

وكانوا قوماً أهل أعداس وبصل (وبقول)^(١) وفوم؛ فقالوا: ﴿يَتَمَوَّسُونَ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا﴾^(٢) [وإنما قالوا على طعام واحد، وهم يأكلون المن والسلوى؛ لأنه لا (يتبدل)^(٤) ولا يتغير كل يوم؛ فهو مأكل واحد]^(٣).

فالبقول والقثاء والعدس والبصل كلها معروفة.

وأما الفوم فقد اختلف السلف في معناه؛ فوقع في قراءة^(٥) ابن مسعود؛ «وثومها» بالثاء.

وكذا فسرهم مجاهد^(٦) في رواية ليث بن أبي سليم عنه بالثوم. وكذا الربيع^(٧) بن أنس، وسعيد بن جبير.

وقال ابن أبي^(٨) حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن رافع، حدثنا أبو عمارة يعقوب بن إسحاق البصري، عن يونس، عن الحسن في قوله: ﴿وَفُومِهَا﴾؛ قال: قال ابن عباس: الثوم. قال: وفي اللغة القديمة: فوموا لنا بمعنى اختبزوا.

وقال ابن جرير^(٩): فإن كان ذلك صحيحاً فإنه من الحروف المبدلة؛ كقولهم: وقعوا في عاثور شر وعافور شر، وأثافي وأثائي، ومغافير ومغاثير، وأشباه ذلك مما تقلب الفاء ثاءً والفاء فاءً لقرب مخرجيهما. والله أعلم.

وقال آخرون: الفوم: الحنطة، وهو البر الذي يعمل منه الخبز.

قال ابن أبي^(١٠) حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءةً، أنبأنا ابن وهب قراءةً، حدثني

(١) في (ن): «بقل».

(٢) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق عباد بن منصور عن الحسن البصري].

(٣) ساقط من (ح) و(ز) و(هـ).

(٤) في (ج): «يبدل».

(٥) ذكرها ابن جرير (٢/١٣٠ - شاكراً) بصيغة التمرريض فقال: «وذكر أن ذلك قراءة عبد الله بن مسعود: «ثومها» بالثاء، فإن كان ذلك صحيحاً، فإنه من الحروف المبدلة، كقولهم: وقعوا في عاثور شر، وعافور شر، وكقولهم: للأثافي، أثائي؛ وللمغافير: «مغاثير»، وما أشبه ذلك مما تقلب الثاء فاءً، والفاء ثاءً، لتقارب مخرج الفاء مخرج الثاء...» اهـ. ولم تصح هذه القراءة عن ابن مسعود، وذكرها سعيد بن منصور في «تفسيره» (١٩١)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص ٥٦) بسندين معضلين إلى ابن مسعود وهذه القراءة التي نسبها ابن جرير إلى ابن مسعود لم يقرأ بها أحد من أصحاب القراءات المتواترة. والله أعلم.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٠٧٧). وليث بن أبي سليم ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٠٧٨) وشيخ ابن جرير: المثنى بن إبراهيم لم أجده له ترجمة. والله أعلم.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٦١٩) ورجاله موثقون؛ إلا أنه منقطع بين الحسن وابن عباس.

(٩) في «تفسيره» (٢/١٣٠ - شاكراً).

(١٠) في «تفسيره» (٦١٨).

وأخرجه ابن جرير (١٠٧٦) من طريق عبد العزيز بن منصور، عن نافع بن أبي نعيم عن ابن عباس وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ١٠/رقم ١٠٥٩٧) من طريق جوير، عن الضحاك بن مزاحم الهلالي قال: خرج نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر في نفر من رؤوس الخوارج لينقروا عن العلم ويطلبوه، حتى قدموا مكة فإذا هم بعبد الله بن عباس، فذكر صحيفة من أسألتهم له وفيها هذا القدر. والوجه الأول منقطع بين نافع بن أبي نعيم وابن عباس. والوجه الثاني ساقط، لأن جويراً هالك. والله أعلم. [وأخرجه نافع بن أبي نعيم متصلاً عن عبد الرحمن الأعرج عن ابن عباس. تفسير نافع بن أبي نعيم بتحقيق حكمت بشير ص ٤٥].

نافع بن أبي نعيم - أن ابن عباس سئل عن قول الله: ﴿وَقَوْمَهَا﴾ ما فومها؟ قال: الحنطة. قال ابن عباس: أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح، وهو يقول:

قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً ورد المدينة عن زراعة فوم
وقال ابن^(١) جرير: حدثنا علي بن الحسن،^(٢) [حدثنا مسلم (الجرمي)^(٣)]، حدثنا عيسى بن
يونس، عن (رشدين بن كريب)^(٤)، عن أبيه، عن ابن عباس، في قول الله تعالى: ﴿وَقَوْمَهَا﴾
(قال: الفوم)^(٥): الحنطة بلسان بني هاشم.

^(٦) [وكذا قال علي^(٧) بن أبي طلحة، (و)^(٨) الضحاك^(٩)، عن ابن عباس؛ وعكرمة^(١٠)، عن ابن
عباس إن الفوم: الحنطة]^(٦).

وقال سفيان^(١١) الثوري: عن ابن جريج، عن مجاهد، وعطاء: ﴿وَقَوْمَهَا﴾ قالوا: خبزها.
وقال هشيم^(١٢)، عن يونس، عن الحسن، وحصين، عن أبي مالك: ﴿وَقَوْمَهَا﴾ قال: الحنطة.
وهو قول عكرمة، والسدي^(١٣)؛ والحسن البصري^(١٤)، وقتادة^(١٤)، وعبد الرحمن^(١٥) بن
زيد بن أسلم، وغيرهم. فالحق أعلم.

^(١٦) [وقال الجوهري: الفوم: الحنطة. وقال ابن دريد: السنبلة. وحكى القرطبي^(١٧)، عن
عطاء وقتادة - أن الفوم كل حب يختبز. قال: وقال بعضهم: هو الحمص، لغة شامية، ومنه يقال
لبائعه: فاميٌّ مغير عن فومي]^(١٦).

(١) أخرجه ابن جرير (١٠٧٥) وسنده ضعيف، لضعف رشدين بن كريب. [ويتقوى بسابقيه].

(٢) ساقط من (ل).

(٣) وقع في (ن): «الجرمي الجهني»! وهو مسلم بن عبد الرحمن، أو مسلم بن أبي مسلم، ترجمه الخطيب في
«تاريخه» (١٠٠/١٣) وقال: «كان ثقة» وترجمه الحافظ في «اللسان» (٣٢/٦) ونقل توثيقه عن ابن حبان
وقال: «ربما أخطأ». وقال الأزدي: «حدث بأحاديث لا يتابع عليها، وكان إماماً بطرسوس».

(٤) في (ض): «زيد بن كريب»!! وفي (ن): «رشيد بن كريب»!

(٥) في (ج): «الفوم»؛ وفي (ل): «إن الفوم». (٦) ساقط من (ل).

(٧) أخرجه ابن جرير (١٠٧٣). [وسنده ثابت]. (٨) في (ج): «عن»! وهو خطأ.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٠٧٤) وسنده ضعيف.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٦١٧) وسنده واه، في سنده سعيد بن المرزبان متروك. [ويتقوى بما سبق].

(١١) أخرجه ابن جرير (١٠٦٣)؛ وأخرجه أيضاً (١٠٦٤) من طريق أبي عاصم، عن عيسى بن ميمون، عن ابن
أبي نجيج، عن مجاهد مثله. [وسنده صحيح].

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٠٦٩) قال: حدثني المثني، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: حدثنا هشيم به.
والمثني بن إبراهيم لم أقف له على ترجمة، ولكن أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (١٩٠) قال: نا
خالد بن عبد الله. وأخرجه ابن جرير (١٠٦٧) عن هشيم كلاهما عن حصين، عن أبي مالك فذكر مثله.
وسنده صحيح، وعزه السيوطي في «الدر المنثور» (١٧٧/١) لعبد بن حميد.

(١٣) أخرجه ابن جرير (١٠٦٨) وسنده حسن.

(١٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٧/١)، ومن طريقه ابن جرير (١٠٦٦) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة
والحسن. [وسنده صحيح].

(١٥) أخرجه ابن جرير (١٠٧٢) وسنده صحيح. (١٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ه).

(١٧) في «تفسيره» (٤٢٥/١، ٤٢٦).

قال البخاري: وقال بعضهم: الحبوب التي تأكل كلها فوم.
وقوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ ^(١) اَنْتَنِيْلُوْكَ الَّذِي هُوَ اَدْنٰى يَّالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴿﴾ (فيه) ^(٢) تقرير لهم، وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنيئة مع ما هم فيه من العيش الرغيد، والطعام الهنيء الطيب النافع.

وقوله (تعالى) ^(٣): ﴿اَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ هكذا هو منونٌ مصروف مكتوب بالألف في المصاحف الأئمة العثمانية، وهو قراءة الجمهور بالصرف.

قال ابن جرير ^(٤): ولا أستجيز القراءة بغير ذلك، لإجماع المصاحف على ذلك.
وقال ابن عباس: ﴿اَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ قال: مصرًا من الأمصار. رواه ابن ^(٥) أبي حاتم من حديث أبي (سعد) ^(٦) البقال سعيد بن المرزبان، عن عكرمة، عنه؛ قال ^(٧): وروي عن السدي ^(٨)، وقتادة ^(٩)، والربيع ^(١٠) بن أنس نحو ذلك.

وقال ابن جرير ^(١١): وقع في قراءة أبي بن كعب وابن مسعود «اهبطوا مصر» من غير إجراء؛ يعني: من غير صرف؛ ثم روي عن أبي العالية ^(١٢) والربيع بن أنس أنها فسرا ذلك بمصر فرعون. ^(١٣) [وكذا رواه ابن أبي حاتم ^(١٤) عن (أبي العالية) ^(١٥)، وعن الأعمش ^(١٦) أيضاً.

قال ابن جرير: ويحتمل أن يكون المراد مصر فرعون ^(١٣) على قراءة الإجراء أيضاً. ويكون ذلك من باب الاتباع لكتابة المصحف؛ كما في قوله (تعالى) ^(١٧): ﴿قَوَّارِبًا﴾ ^(١٥) قَوَّارِبًا [الإنسان: ١٥، ١٦] ثم توقف في المراد ما هو؟ أمصر فرعون، أم مصر من الأمصار؟

(١) ساقط من (ج) و(ك) و(ل).

(٢) ساقط من (ج).

(٣) من (ن).

(٤) في «تفسيره» (١٣٦/٢).

(٥) في «تفسيره» (٦٢٢) من طريق ابن عيينة وهذا في «تفسيره»؛ كما في «الدر المنثور» (٧١/١)، وعزاه السيوطي لابن جرير، ولم أجده فيه. قاله أعلم. وسنده واه وأبو سعد البقال متروك.

(٦) في (ز) و(ض): «أبو سعيد» وكذلك هو في «تفسير ابن أبي حاتم»؛ وفي (ن): «أبو معبد» وكلاهما تصحيف.

(٧) يعني: ابن أبي حاتم.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٠٨٢) وسنده حسن.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٠٨١) وسنده صحيح، ثم أخرجه (١٠٨٣) من وجه آخر عن قتادة فيه ضعف. وعزاه السيوطي (٧٣/١) لعبد بن حميد.

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٠٨٧) وسنده ضعيف.

(١١) في «تفسيره» (١٣٥/٢). [والقراءة شاذة].

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٠٨٦)، وكذلك أخرج أثر الربيع برقم (١٠٨٧). [وسنده جيد].

(١٣) ساقط من (ل).

(١٤) في «تفسيره» (٦٢٣). [وسنده جيد].

(١٥) في (ن): «... أبي العالية والربيع»، وذكر «الربيع» غلط ولم يرو ابن أبي حاتم أثر الربيع، إنما رواه ابن جرير.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٢٤). وعزاه السيوطي (٧٣/١) إلى ابن الأنباري؛ وابن أبي داود في «المصاحف» وسنده صالح، وفيه إسحاق بن الحجاج الطاحوني ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢١٧/١/١) وذكر أن أباه وأبا زرعة كانا عزمًا أن يخرجوا إليه، وظاهر من ترجمته أنه متماسك، ولو علم أبو حاتم وأبو زرعة فيه جرحاً لصرحا به. والله أعلم.

(١٧) من (ن).

وهذا الذي قاله فيه نظر. والحق أن المراد مصر من الأمصار، كما روي عن ابن عباس وغيره. والمعنى على ذلك؛ لأن موسى عليه السلام يقول لهم: هذا الذي سألتكم ليس بأمر عزيز؛ بل هو كثير في أي بلد دخلتموها وجدتموه، فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه. ولهذا قال: ﴿قَالَ أَتَشْتَبِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ أي: ما طلبتم؛ ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر، ولا ضرورة فيه، لم يجابوا إليه. والله أعلم.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

يقول تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أي: وضعت عليهم، وألزموا بها شرعاً وقدرًا؛ أي: لا يزالون (مستذلين)^(١)؛ من وجدهم استدللهم، وأهانهم، وضرب عليهم الصغار؛ وهم (مع)^(٢) ذلك في أنفسهم أذلاء (مستكينون)^(٣). قال الضحاك^(٤)، عن ابن عباس - (في قوله)^(٥): ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ قال: هم أصحاب القبالات؛ يعني: (أصحاب)^(٤) الجزية. وقال عبد الرزاق^(٦)، عن معمر، عن الحسن، وقاتدة - في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ قالوا: يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون. وقال الضحاك^(٧): وضربت عليهم الذلة - قال: الذل. وقال الحسن^(٨): أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم تحت أقدام المسلمين؛ ولقد أدركتهم هذه الأمة وإن المجوس لتجبيهم الجزية. وقال أبو العالية^(٩)، والربيع بن أنس، والسدي^(١٠): المسكنة: الفاقة.

(١) إلى هنا وانقطعت النسخة (ه) إلى آخر سورة البقرة.

(٢) ساقط من (ج).

(٣) كذا في (ن)؛ وفي (ج) و(ك) و(ي): «مستكينين»؛ وفي (ض): «متمسكين»؛ وفي (ز): «متمسكون»؛ وفي (ل): «مستذلين».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٢٦) من طريق محمد بن القاسم الأسدي، عن عبيد بن طفيل الطفاوي، أبي سيدان، عن الضحاك، عن ابن عباس. وسنده واه جداً. ومحمد بن القاسم ساقط والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٥) ساقط من (ن).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٠٨٨)؛ وابن أبي حاتم (٦٢٧) من طريق عبد الرزاق وهذا في «تفسيره» (٤٧/١). [وسنده صحيح].

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٢٨) وسنده ضعيف جداً. وفي سنده جوير وهو ساقط.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٢٩) وسنده جيد.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٠٨٩)؛ وابن أبي حاتم (٦٣١) وسنده حسن.

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٠٩٠) وسنده حسن.

وقال عطية^(١) العوفي: الخراج.

وقال الضحاك^(٢): الجزية.

وقوله (تعالى): ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ قال الضحاك^(٤): استحقوا الغضب من الله.

وقال الربيع^(٥) بن أنس: فحدث عليهم غضب من الله.

وقال سعيد بن^(٦) جبير: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ يقول: استوجبوا سخطاً.

وقال ابن^(٧) جرير: يعني بقوله: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ انصرفوا ورجعوا. ولا يقال: «باء»

إلا موصولاً إما بخير وإما بشر؛ يقال منه: باء فلان بذنبه يباء (به)^(٨) بواءً (وبواء)^(٩)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمَانِي وَإِيمَانِكَ﴾ [المائدة: ٢٩] يعني: تنصرف متحملهما، وترجع بهما قد صاراً عليك دوني.

فمعنى الكلام: إذا رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد صار عليهم من الله غضب، ووجب عليهم من الله سخط.

وقوله (تعالى)^(٩): ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ الَّتِي يَبْعَثُ اللَّهُ فِيهِمُ الْغَضَبَ (بهم)^(١٠) بسبب استكبارهم عن اتباع الحق، وكفرهم بآيات الله، وإهانتهم حملة الشرع، وهم الأنبياء وأتباعهم؛ فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلا (كبر)^(١١) أعظم من هذا؛ إنهم كفروا بآيات الله، وقتلوا أنبياء الله بغير الحق؛ ولهذا جاء في الحديث «المتفق على^(١٢) صحته» - أن رسول الله ﷺ قال: «الكبر بطر الحق وغمط الناس».

وقال الإمام أحمد^(١٣) رحمه الله: حدثنا إسماعيل، عن ابن عون، عن عمرو بن سعيد، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٣٢) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٣٣) وسنده ضعيف جداً، فيه جوير وهو متروك.

(٣) من (ز) و(ن). (٤) أخرجه جرير (١٠٩٣) وسنده ضعيف جداً.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٠٩٢)؛ وابن أبي حاتم (٦٣٥). [وسنده جيد].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٣٤) من طريق ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير. [وسنده حسن].

(٧) في «تفسيره» (١٣٨/٢).

(٨) ساقط من (ج).

(٩) من (ز) و(ن). (١٠) في (ن): «بهم من الذلة».

(١١) في (ن): «كفر» وهو خطأ يدل عليه الحديث الذي رواه المصنف عقبه.

(١٢) كذا قال المصنف رحمه الله! وهذا الحديث لم يخرج البخاري في «صحيحه» إنما أخرجه في «التاريخ الكبير» (٢/١/٣) وقد أخرجه مسلم (١٤٧/٩١).

(١٣) في «المسند» (٣٨٥/١) ومن طريقه الخطيب في «الأسماء المبهمة» (ص ٣٧٠)؛ وأخرجه أيضاً (٤٢٧/١)

قال: حدثنا ابن أبي عدي ويزيد، قالوا: أخبرنا ابن عون بسنده سواء؛ وأخرجه أبو يعلى (ج ٩/رقم

٥٢٩١)؛ وأبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة»، كما في «الإصابة» (٧٤٩/٥)؛ والحاكم (١٨٢/٤)؛

وابن بشكوال في «الغوامض» (ص ٢٧٩) من طرق عن ابن عون، عن عمرو بن سعيد البصري، عن حميد بن

عبد الرحمن، عن ابن مسعود.

قال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي.

حميد بن عبد الرحمن؛ قال: قال ابن مسعود: كنت لا أُحجب عن النجوى، ولا عن كذا ولا عن كذا، فأتيت رسول الله ﷺ وعنده مالك بن مرارة الرهاوي، (فأدركت)^(١) من آخر حديثه، وهو يقول: يا رسول الله؛ قد قُسم لي من الجمال ما ترى، فما أحب أن أحداً من الناس فضّلني بشراكين فما فوقهما؛ أليس ذلك هو البغي؟ فقال: لا، ليس ذلك من البغي، ولكن البغي من بطر، أو قال: «سفه الحق، وغمط الناس»؛ يعني: رد الحق، وانتقاص الناس، والازدراء بهم، والتعاضم عليهم.

ولهذا لما ارتكب بنو إسرائيل ما ارتكبه من الكفر بآيات الله، وقتلهم أنبياءه أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد، وكساهم ذلاً في الدنيا موصولاً بذل الآخرة جزاءً وفاقاً.

قال أبو داود^(٢) الطيالسي: حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود؛ قال: كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة نبي، ثم يقيمون سوق بقلهم (من)^(٣) آخر النهار.

وقد قال الإمام^(٤) أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبان، حدثنا عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله - يعني: ابن مسعود - أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبياً، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين».

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ وهذه علة أخرى في مجازاتهم بما جوزوا به؛ أنهم كانوا يعصون ويعتدون؛ فالعصيان: فعل المناهى. والاعتداء: المجاوزة في حد المأذون فيه والمأمور به. والله أعلم.

﴿۱۶﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالصَّابِقِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿۱۶﴾

لما بيّن تعالى حال من خالف أوامره، وارتكب زواجه، وتعدى في فعل ما (لا)^(٥) إذن فيه، وانتهك المحارم؛ وما أحل بهم من النكاح، نبّه تعالى على أن من أحسن من الأمم السالفة وأطاع فإن له جزاء الحُسنَى.

(١) كذا في (ج) و(ل) و(ن) و(ي) وهو الموافق لما في «المسند»؛ وفي (ز) و(ض): «فأدرسته».

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي، كما في «الدر المنثور» (١/٧٣)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٣٦) وسنده صحيح. وأبو معمر هو عبد الله بن سخرية.

(٣) كذا في (ك) و(ن) و(ي) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»، ووقع في (ج) و(ز) و(ض) و(ل): «في».

(٤) فی «مسندہ» (١/٤٠٧).

وأخرجه البزار في «مسنده» (ج ٢/ رقم ١٦٠٣) قال: حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، حدثني أبي بسنده سواء. وقال: «لا نعلم أسنده عن أبي وائل غير أبان». وهذا سند جيد كما قال المنذري في «الترغيب» (٣/ ١٠٤): وللحديث طرق أخرى عن ابن مسعود وشواهد عن جماعة من الصحابة ذكرتها في «تسليية الكظيم».

(۵) ساقط من (ج) و (ض) و (ل) و (ی).

وكذلك الأمر إلى قيام الساعة: كل من اتبع الرسول النبي الأمي فله السعادة الأبدية، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلِيَّاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس] وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت].

قال ابن أبي^(١) حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر (العديني)^(٢)، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ قال: قال سلمان (رضي الله عنه)^(٣): سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم؛ (فذكر)^(٤) من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ ءَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ إلى آخر الآية.

وقال السدي^(٥): ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ ءَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ الآية نزلت في أصحاب سلمان الفارسي؛ بينا هو يحدث النبي ﷺ إذ ذكر أصحابه، فأخبره خبرهم؛ فقال: كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبياً. فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله ﷺ: «يا سلمان؛ هم من أهل النار؛ فاشتد ذلك على سلمان؛ فأنزل الله هذه الآية؛ فكان إيمان اليهود أنه^(٦) [من تمسك بالتوراة وسنة موسى ﷺ حتى جاء عيسى؛ فلما جاء عيسى كان^(٦) من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكاً. وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه حتى جاء محمد ﷺ، فمن لم يتبع محمداً ﷺ منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل كان هالكاً.

وقال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد بن جبير نحو هذا. (قلت)^(٧): وهذا لا ينافي ما روى علي بن^(٨) أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) في «تفسيره» (٦٣٨).

وأخرجه ابن أبي عمر العديني في «مسنده»، كما في «الدر المنثور» (٧٣/١) وسنده ضعيف لانقطاعه بين مجاهد وسلمان (رضي الله عنه).

(٢) في (ز) و(ض): «العوفي»؛ وفي (ن): «العدوي» وكلاهما خطأ.

(٣) من (ن). (٤) في (ز) و(ل) و(ن): «فذكرت».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤٠) قال: حدثنا أبو زرعة. وأخرجه ابن جرير (١١١٢) قال: حدثني موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط بن نصر، عن السدي فذكره. وهذا سند ضعيف للانقطاع بين السدي وسلمان (رضي الله عنه)، وربما اختصر السدي السند، وسند نسخته في التفسير معروف. والله أعلم. ثم صدق ما توقعته من الاحتمال والحمد لله، فقد رأيته في «كتاب التوحيد» (٣١٥/١، ٣١٦) لابن منده فرواه من طريقين عن عمرو بن حماد، ثنا أسباط بن نصر، عن إسماعيل السدي، عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن عبد الله بن مسعود أن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) ... فذكره مثل سياق ابن أبي حاتم. وهذا سند حسن كما تقدم تحقيقه.

وسياق ابن جرير أطول وأوضح من هذا.

(٦) ساقط من (ض). (٧) في (ك): «قال».

(٨) أخرجه ابن جرير (١١١٤)؛ وابن أبي حاتم (٦٣٩) من طريقين عن أبي صالح كاتب الليث، حدثني =

وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... الآية: فأنزل الله (تعالى) (١) بعد ذلك: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]؛ فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد ﷺ بعد أن بعثه بما بعثه به؛ فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل نجاة؛ فاليهود أتباع موسى ﷺ الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم. واليهود: من اليهودية وهي المودة، أو اليهود وهي التوبة؛ كقول موسى ﷺ: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: تبنا؛ فكانهم سُموا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم (لبعض) (٢).

(٣) [وقيل: لنسبتهم إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يهودون؛ أي: يتحركون عند قراءة التوراة] (٣).

فلما بعث عيسى ﷺ وجب على بني إسرائيل اتباعه والانقياد له، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى، وسموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم. وقد يقال لهم أنصار أيضاً، كما قال عيسى ﷺ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُ فَمَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] وقيل: إنهم سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضاً يقال لها: «ناصرية». قاله قتادة (٤) وابن جريج (٥)، وروي عن ابن عباس (٦) أيضاً. والله أعلم.

والنصارى: جمع نصران؛ كنشأوى جمع نشوان، وسكارى جمع سكران؛ ويقال للمرأة: «نصرانة»؛ قال الشاعر (٧):

نصرانة لم تحنف

فلما بعث الله محمداً ﷺ خاتماً للنبيين، ورسولاً إلى بني آدم على الإطلاق، ووجب عليهم

= معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة به. [وسنده ثابت].

قال ابن جرير: «وهذا الخبر يدل على أن ابن عباس كان يرى أن الله جل ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحاً من اليهود والنصارى والصابئين على عمله في الآخرة الجنة، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فتأويل الآية إذن على ما ذكرنا عن مجاهد والسدي: إن الذين آمنوا من هذه الأمة، والذين هادوا، والنصارى والصابئين من آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخرة، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون». اهـ.

(١) من (ج) و(ل).

(٢) كذا في (ن)، وأشار ناسخ (ي) أنها وقعت كذلك في نسخة، ووقع في سائر «الأصول»: «بعض».

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) أخرجه ابن جرير (١٠٩٧، ١٠٩٨) من طريقين عن قتادة؛ وهو صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٠٩٥) بسند جيد.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٠٩٦) بإسناد ساقط وعزاه السيوطي في «الدر» (٧٥/١) إلى ابن سعد في «الطبقات».

قال ابن جرير: «طريق غير مرتضى».

(٧) هو أبو الأحرز الحماني وانظر «تفسير الطبري» (١٤٤/٢) و«تفسير القرطبي» (٤٤٣/١)، وتام البيت:

فكلتاها خرت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف

يصف ناقتين طأطأتا رؤوسهما من الإعياء، فشبّه رأس الناقية برأس النصرانية إذا طأطأت في صلاتها.

تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانكفاف عما عنه زجر؛ وهؤلاء هم المؤمنون حقاً. وسميت أمة محمد ﷺ مؤمنين، لكثرة إيمانهم وشدة إيقانهم، ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والغيوب الآتية.

وأما الصابئون فقد اختلف فيهم؛ فقال سفيان^(١) الثوري، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، قال: الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى، ليس لهم دين. وكذا رواه ابن أبي نجيع عنه. وروي عن عطاء^(٢)، وسعيد^(٣) بن جبيرة نحو ذلك.

وقال أبو العالية^(٤)، والربيع بن أنس، والسدي^(٥) وأبو الشعثاء جابر بن زيد، والضحاك،^(٦) [وإسحاق بن راهويه^(٦)]: الصابئون: فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور.

^(٦) [ولهذا قال أبو حنيفة، وإسحاق: لا بأس بذبائهم ومناكحتهم]^(٦).

وقال هشيم^(٧)، عن مطرف: كنا عند الحكم بن عتيبة، فحدثه رجل من (أهل)^(٨) البصرة عن الحسن أنه كان يقول في الصابئين: إنهم كالمجوس. فقال الحكم: ألم أخبركم بذلك!

وقال عبد الرحمن^(٩) بن مهدي، عن معاوية بن عبد الكريم، سمعت الحسن ذكر الصابئين فقال: هم قوم يعبدون الملائكة.

^(١٠) [وقال ابن جرير^(١١): حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحسن؛ قال: أخبر زياد أن الصابئين يصلُّون إلى القبلة، ويصلُّون الخمس، قال: فأراد أن يضع عنهم الجزية؛ قال: فخبر بعد أنهم يعبدون الملائكة]^(١٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤٢) واللفظ له وابن جرير (١٠٩٩، ١١٠٠) من طرق عن سفيان الثوري به وسنده ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم؛ وأخرجه ابن جرير (١١٠١، ١١٠٢) من طريقين آخرين عن مجاهد في سند الأول الحجاج بن أرطاة يضعف، وفي سند الثاني محمد بن حميد الرازي، وهو واه لكن أخرجه ابن جرير أيضاً (١١٠٥، ١١٠٦) من وجهين آخرين هما أحسن حالاً مما سبق يثبت به هذا القول عن مجاهد. والله أعلم وعزاه السيوطي في «الدر» (٧٥/١) إلى وكيع وعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٢) أخرجه ابن جرير (١١٠٦) من طريق ابن جريج قال: قلت لعطاء: «الصابئين» زعموا أنها قبيلة من نحو السواد؛ يعني: سواد العراق، ليسوا بمجوس ولا يهود ولا نصارى. قال: قد سمعنا ذلك، وقد قال المشركون للنبي ﷺ: قد صبا. وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤١) بسند صالح. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧٥/١) إلى عبد بن حميد.

(٤) أخرجه ابن جرير (١١١٠)؛ وابن أبي حاتم (٦٤٣). [وسنده جيد].

(٥) أخرجه ابن جرير (١١١١)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٧٥/١) إلى وكيع. [وأخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق أسباط عن السدي].

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤٤) قال: حدثنا أبي، ثنا محمد بن عبد الرحمن العزمي، ثنا هشيم به وسنده ضعيف جداً. والعزمي متروك كما قال الدارقطني، وشيخ الحكم بن عتيبة مجهول.

(٨) ساقط من (ج) و(ل) و(ي).

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤٧) قال: حدثنا أبو زرعة، ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، ثنا عبد الرحمن بن مهدي فذكره. وسنده جيد. ومعاوية بن عبد الكريم صدوق متمسك.

(١٠) ساقط من (ز) و(ض). (١١) في «تفسيره» (١١٠٨) وسنده صحيح.

وقال أبو جعفر الرازي^(١): بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة، ويقرءون الزبور، ويصلون للقبلة. وكذا قال سعيد بن أبي^(٢) عروبة عن قتادة.

وقال ابن^(٣) أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي الزناد، عن أبيه؛ قال: الصابئون قوم مما يلي العراق، وهم بـ«كوئي»^(٤)، وهم يؤمنون بالنبيين كلهم، ويصومون من كل سنة ثلاثين يوماً، ويصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات. وسئل وهب^(٥) بن منبه عن الصابئين؛ فقال: (الذي)^(٦) يعرف الله وحده، وليست له شريعة يعمل بها، ولم يحدث كفراً.

وقال عبد الله^(٧) بن وهب: قال عبد الرحمن بن زيد: الصابئون: أهل دين من الأديان، كانوا بجزيرة الموصل يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم عمل، ولا كتاب، ولا نبي إلا قول: لا إله إلا الله. قال: ولم يؤمنوا برسول؛ فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي ﷺ وأصحابه: هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم؛ يعني: في قول: لا إله إلا الله.^(٨) [وقال الخليل: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح ﷺ].

وحكى القرطبي^(٩)، عن مجاهد، والحسن، وابن أبي نجيح: أنهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس، ولا تؤكل ذبائحهم، (قال ابن عباس)^(١٠): ولا تنكح نساؤهم. قال القرطبي^(٩): والذي تحصّل من مذهبهم، فيما ذكره بعض العلماء، أنهم موحدون، ويعتقدون تأثير النجوم، وأنها (فعالة)^(١١)؛ ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري بكفرهم للقادر بالله حين سأله عنهم^(٨).

^(١٢) [واختار (فخر الدين)^(١٣) الرازي^(١٤) أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب؛ بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء؛ أو بمعنى أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها؛ قال: وهذا القول هو المنسوب إلى الكشدانيين^(١٥) الذين جاءهم إبراهيم (الخليل)^(١٣) ﷺ راداً عليهم، ومبطلاً لقولهم]^(١٢).

وأظهر الأقوال - والله أعلم - قول مجاهد ومتابعيه، ووهب بن منبه أنهم قوم ليسوا على دين

(١) أخرجه ابن جرير (١١١٠)؛ وابن أبي حاتم (٦٤٦).

(٢) أخرجه ابن جرير (١١٠٩) حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا يزيد، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وسنده قوي.

(٣) في «تفسيره» (٦٤٥) وسنده حسن.

(٤) كوئي، بالضم، ثم السكون والياء مثلثة، وألف مقصورة؛ ثلاثة مواضع بسواد العراق (ياقوت) (٤/٤٨٧).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤٨) وسنده جيد.

(٦) ساقط من (ج).

(٧) أخرجه ابن جرير (١١٠٧) بسند صحيح.

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(٩) في «تفسيره» (٤٣٤/١، ٤٣٥).

(١٠) كذا في سائر «الأصول»، وهو الموافق لما في «تفسير» القرطبي؛ وفي (ن): «فاعلة».

(١١) ساقط من (ز) و(ض).

(١٢) ساقط من (ن).

(١٣) ساقط من (ن).

(١٤) في «تفسيره» (١١٢/٢، ١١٣).

(١٥) هم طائفة من عبدة الكواكب.

اليهود، ولا النصارى، ولا المجوس، ولا المشركين؛ وإنما هم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه؛ ولهذا كان المشركون ينزون من أسلم بالصابي؛ أي: قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك.

وقال بعض العلماء: الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي. والله أعلم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾

يقول تعالى، مذكراً بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق، بالإيمان، به وحده لا شريك له، واتباع رسله؛ وأخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤوسهم، ليقروا بما عاهدوا عليه، (ويأخذوه)^(١) بقوة (وحزم)^(٢) (وهمة)^(٣) وامثال؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَقَعْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤) [الأعراف].

فالطور: هو الجبل (كما فسر بآية «الأعراف»^(٤)) ونص على ذلك ابن عباس^(٥)، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس، وغير واحد. وهذا (ظاهر)^(٦).

وفي رواية عن ابن عباس^(٧): الطور: ما أنبت من الجبال، وما لم ينبت فليس بطور. وفي «حديث الفتون»، عن ابن عباس أنهم لما امتنعوا عن الطاعة رفع عليهم الجبل ليسمعوا. وقال السدي^(٨): فلما أبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم، فنظروا إليه، وقد غشيهم، فسقطوا سجداً فسجدوا على شق، ونظروا بالشق الآخر؛ فرحمهم الله، فكشفه عنهم؛ فقالوا: والله ما سجدة أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم؛ فهم يسجدون كذلك. وذلك قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾.

وقال الحسن^(٩).....

(١) في (ج) و(ل): «فأخذوه».

(٢) في (ن): «جزم».

(٣) ساقط من (ن).

(٤) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ي)؛ وفي (ن): «فسر به في الأعراف»؛ وفي (ل): «فسرنا به الأعراف».

(٥) أخرجه ابن جرير (١١٢٤) من طريق ابن جريج قال: قال ابن عباس به. وسنده معضل. وأخرجه ابن أبي حاتم (٦٥٦) من طريق أبي عبد الصمد العمي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الطور جبل. ورجاله ثقات. وأما أثر مجاهد وعكرمة فأخرجهما ابن جرير (١١١٧، ١١٢١)؛ وأثر عطاء عند ابن أبي حاتم (٦٥٧). [وهذه الآثار يقوي بعضها الآخر].

(٦) في (ج): «الظاهر».

(٧) أخرجه ابن جرير (١١٢٥)؛ وابن أبي حاتم (٦٥٥) بسند ضعيف جداً.

(٨) أخرجه ابن جرير (١١٢٢) قال: حدثنا موسى؛ وابن أبي حاتم (٦٥٨) قال: حدثنا أبو زرعة قال: حدثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط بن نصر، عن السدي به. وسنده حسن.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٥٩) من طريق إبراهيم بن عبد الله بن بشار، حدثني سرور بن المغيرة، عن عباد بن منصور، عن الحسن به. وسنده ضعيف. وإبراهيم بن عبد الله، ترجمه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢٠/٦) =

في قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يعني: (التوراة)^(١).
وقال أبو العالية^(٢)، والربيع بن أنس: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: بطاعة.
وقال مجاهد^(٣): ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بعمل بما فيه.
وقال قتادة^(٤): ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ القوة: الجد وإلا قذفته عليكم؛ قال: فأقروا بذلك أنهم يأخذون ما أوتوا بقوة.

ومعنى قوله: وإلا قذفته عليكم؛ أي: أسقطته عليكم؛ يعني: الجبل.
وقال أبو العالية^(٥)، والربيع^(٦): ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ يقول: اقرءوا ما في التوراة، واعملوا به.
وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ يَقُولُ تَعَالَى: ثم بعد هذا الميثاق المؤكد العظيم توليتم عنه، وأنشيتم، ونقضتموه؛ ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: (بتوبته)^(٧) عليكم، وإرساله النبيين والمرسلين إليكم ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بنقضكم ذلك الميثاق في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾﴾ فَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ يا معشر اليهود ما حل من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله، وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت، (والقيام)^(٨)، بأمره؛ إذ كان مشروعاً لهم؛ فتحيلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت بما (وضعه)^(٩) لها من (الشصوص)^(١٠) والحبائل والبرك قبل يوم السبت؛ فلما جاءت يوم السبت على عاداتها في الكثرة (نشبت)^(١١) بتلك الحبائل والحيل، فلم تخلص منها يومها ذلك؛ فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت؛ فلما فعلوا ذلك مسخهم الله إلى صورة القردة، وهي أشبه شيء بالأناسي في الشكل الظاهر،

= ولم يحك فيه شيئاً. وسرور بن المغيرة. ترجمه ابن أبي حاتم (٣٢٥/١/٢) ونقل عن أبيه قال: «شيخ» وتكلم فيه الأزدي، ويبن الحافظ في «اللسان» (١٢/٣) أن الأزدي تكلم في روايته عن الشعبي. وقال ابن حبان: «روى عنه أبو سعيد الحداد الغرائب». وعباد بن منصور متكلم فيه، وهو متماسك.

- (١) في (ك): «التورية»؛ وفي (ج): «التوبة».
- (٢) أخرجه ابن جرير (١١٢٨)؛ وابن أبي حاتم (٦٦٠). [وسنده جيد].
- (٣) أخرجه ابن جرير (١١٢٦، ١١٢٧)؛ وابن أبي حاتم (٦٦١) من طرق عن ابن أبي نجيع عن مجاهد. [وسنده صحيح].
- (٤) أخرجه ابن جرير (١١٢٩)؛ وابن أبي حاتم (٦٦٢) من طريق عبد الرزاق وهو في «تفسيره» (٤٧/١) أنبأ معمر، عن قتادة. [وسنده صحيح].
- (٥) أخرجه ابن جرير (١١٣٣)؛ وابن أبي حاتم (٦٦٣). [وسنده جيد].
- (٦) أخرجه ابن جرير (١١٣٤) بسند ضعيف. (٧) في (ز) و(ض): «توبته».
- (٨) في (ك): «العباة»!! (٩) في (ن): «وضعوا».
- (١٠) في (ل): «الشقوص» وهو تصحيف، والشصوص، جمع «شص» قال ابن منظور في «لسان العرب» (ص ٢٢٥٩): «الشص والشص: شيء يصاد به السمك». اهـ. كأنه يعني الشباك. قال ابن دريد: «لا أحسبه عربياً».
- (١١) في (ل): «نشبه».

وليست بإنسان حقيقة؛ فكَذَلِكَ أَعْمَالُ هَؤُلَاءِ وَحِيلَتُهُمْ لَمَّا كَانَتْ مِثَابَةً لِلْحَقِّ فِي الظَّاهِرِ، وَمُخَالَفَةً لَهُ فِي الْبَاطِنِ، كَانَ جَزَاؤُهُمْ مِنْ جَنْسِ عَمَلِهِمْ.

وهذه القصة مبسطة في «سورة الأعراف» حيث يقول تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف] القصة بكمالها.

وقال السدي^(١): أهل هذه القرية هم أهل أيلة، وكذا قال قتادة.

وقوله [تعالى]: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ^(٢) كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

قال ابن^(٣) أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة؛ وإنما هو مثل ضربة الله ﴿كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَتَحَمَّلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

ورواه ابن جرير عن المثني، عن أبي حذيفة؛ وعن (محمد بن عمرو)^(٤) الباهلي؛ عن أبي عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، به.

وهذا سند جيد عن مجاهد، وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام، وفي غيره. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الآية [المائدة: ٦٠].

وقال العوفي في «تفسيره»^(٥)، عن ابن عباس: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ فجعل الله منهم القردة والخنازير؛ فزعم أن شباب القوم صاروا قردة، وأن المشيخة صاروا خنازير.

وقال شيبان النحوي^(٦)، عن قتادة: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ فصار القوم قردة تعاوى، لها أذنان بعد ما كانوا رجالاً ونساءً.

وقال عطاء الخراساني^(٧): نودوا: يا أهل القرية؛ ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ فجعل الذين نهوهم

(١) أخرجه ابن جرير (١١٤٢) مطولاً [يسند حسن من طريق أسباط عن السدي، لكنه من الإسرائيليات] ويأتي في «سورة الأعراف» إن شاء الله تعالى.

(٢) من (ن).

(٣) في «تفسيره» (٦٧٧ - البقرة). [وسنده صحيح].

وأخرجه ابن جرير (١١٤٤) حدثني المثني، قال: حدثنا أبو حذيفة بسنده سواء.

(٤) من (ن) ووقع في سائر «الأصول»: «عمر» بلا «واو»، وهو خطأ. وذكر الشيخ أبو الأشبال أحمد شاکر رَضِيَ اللَّهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَي «تَفْسِيرِ الطَّبْرِي» (١٦/٢) أَنَّهُ: «مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَبَّاسِ أَبُو بَكْرٍ الْبَاهِلِيُّ الْمُرْتَجِمُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادِ» (١٢٧/٣)».

(٥) ومن طريقه ابن أبي حاتم (٦٧٨)؛ وابن بطة في «إبطال الحيل» (٦١) مطولاً، وسنده ضعيف جداً، وقد تقدم تفصيل القول في ضعفه.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٧٦) من طريق يونس بن محمد المؤدب، ثنا شيبان النحوي به. وسنده صحيح وأخرجه ابن جرير (١١٤٠) من طريق يزيد بن زريع، ثنا سعيد، هو ابن أبي عروبة، عن قتادة بأطول مما هنا. وسنده صحيح أيضاً. وعزاه السيوطي في «الدر» (٧٥/١) إلى عبد بن حميد.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٧٣) بسند ضعيف جداً.

يدخلون عليهم، فيقولون: يا فلان، ألم ننهك؟ فيقولون برؤوسهم؛ أي: بلى.

وقال ابن^(١) أبي حاتم: حدثنا علي بن (الحسين)^(٢)، حدثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة، بالمصيصة، حدثنا محمد بن مسلم - يعني: الطائفي، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس؛ قال: إنما كان الذين اعتدوا في السبت، فجعلوا قردة فوقاً^(٣)، ثم هلكوا، ما كان للمسوخ نسل.

وقال الضحاك^(٤)، عن ابن عباس: فمسخهم الله قردةً بمعصيتهم؛ يقول: إذ لا يحيون في الأرض إلا ثلاثة أيام. قال: ولم يعيش (مسوخ)^(٥) قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب، ولم ينسل.

وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الأيام التي (ذكر)^(٦) الله في «كتابه»، فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة؛ وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء، ويحوله كما يشاء. وقال أبو جعفر (الرازي)^(٨)، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: يعني: أذلة صاغرين.

وروى عن مجاهد^(٩)، وقتادة^(١٠)، والربيع^(١١)، وأبي مالك، نحوه.

وقال محمد بن^(١٢) إسحاق، عن داود بن (الحسين)^(١٣)، عن عكرمة؛ قال: قال ابن عباس: إن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم: يوم الجمعة، فخالقوا إلى السبت فعظموه، وتركوا ما أمروا به؛ فلما أبو إلا لزوم السبت، ابتلاههم الله فيه، فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره؛ وكانوا في قرية بين «أيلة» و«الطور» يقال لها: «مدين»؛ فحرم الله عليهم في السبت الحيتان: صيدها وأكلها؛ وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعاً إلى ساحل بحرهم، حتى إذا ذهب السبت ذهب^(١٤) [فلم يروا حوتاً صغيراً ولا كبيراً، حتى إذا كان يوم السبت أتين شرعاً حتى إذا ذهب السبت ذهب^(١٤)؛ فكانوا كذلك، حتى طال عليهم الأمد،

(١) في «تفسيره» (٦٧٥) وسنده واه وعبد الله بن محمد أحد الضعفاء، له مناكير وهو شبه المتروك. والطائفي يضعف.

(٢) في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي): «الحسن» وهو خطأ.

(٣) الفواق: ما بين الحلبتين من الراحة، يريد: وقتاً قصيراً.

(٤) أخرجه ابن جرير (١١٣٨) مطولاً وسنده ضعيف. (٥) في (ك): «مسوخ».

(٦) في (ز) و(ن): «ذكرها». (٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٧٩). [وسنده جيد].

(٨) ساقط من (ن).

(٩) أخرجه ابن جرير (١١٤٥، ١١٤٧) بسندين جيدين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأخرجه أيضاً (١١٤٦) من طريق الثوري عن رجل عن مجاهد. وهذا «الرجل» عندي هو ابن أبي نجيح. والله أعلم.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٨/١) ومن طريقه ابن جرير (١١٤٨) أخبرنا معمر، عن قتادة. [وسنده صحيح].

(١١) أخرجه ابن جرير (١١٤٩).

(١٢) أخرجه ابن جرير (١١٣٩) قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا سلمة بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن إسحاق بسنده سواء. وسنده ضعيف، وقد قدمت الكلام عليه مراراً.

(١٣) في (ن): «أبي الحصين»!! (١٤) ساقط من (ك).

وقرموا^(١) إلى الحيتان - عمد رجل منهم فأخط حوتاً سراً يوم السبت (فخزمه)^(٢) (بخيط)^(٣) ثم أرسله في الماء، وأوتد له وتداً في الساحل فأوثقه؛ ثم تركه حتى إذا كان الغد جاء فأخذه؛ أي: إني لم أخذه في يوم السبت، فانطلق به فأكله، حتى إذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك. ووجد الناس ريح الحيتان، فقال أهل القرية: والله! لقد وجدنا ريح الحيتان؛ ثم عثروا على (صنع)^(٤) ذلك الرجل.

قال: ففعلوا كما فعل، (وأكلوا)^(٥) سراً زماناً طويلاً لم يعجل الله عليهم (بعقوبة)^(٦)، حتى صادوها علانية، وباعوها (بالأسواق)^(٧)؛ فقالت طائفة منهم من أهل البقية: ويحكم، اتقوا الله؛ ونهوههم عما (كانوا)^(٨) يصنعون؛ فقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان ولم تنه القوم عما صنعوا ﴿لَمْ يَتَّعِظُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَّا رِيكٌ﴾ [الأعراف: ١٦٤] (لسخطنا)^(٩) أعمالهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قال ابن عباس: فبينما هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم؛ (فقدوا)^(١٠) الناس فلم يروه؛ قال: فقال بعضهم لبعض: إن للناس (لشأناً)^(١١)، فانظروا ما هو؟ فذهبوا ينظرون في دورهم، فوجدوها مغلقة عليهم، قد دخلوها ليلاً فغلقتها على أنفسهم، كما يغلق الناس على أنفسهم؛ فأصبحوا فيها قردة؛ وإنهم ليعرفون الرجل بعينه، وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبي بعينه وإنه لقرد.

قال: (يقول)^(١٢) ابن عباس: فلولا ما ذكر الله أنه (أنجى)^(١٣) الذين نهوا عن السوء لقد أهلك الله الجميع منهم.

قال: وهي القرية التي قال جل ثناؤه لمحمد ﷺ: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ...﴾ [الأعراف: ١٦٣].

وروى الضحاك^(١٤)، عن ابن عباس نحواً من هذا. وقال السدي^(١٥) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (١٥) قال: هم أهل أيلة؛ وهي القرية التي كانت حاضرة البحر؛ فكانت الحيتان إذا كان يوم السبت، وقد حرم الله على اليهود أن يعملوا في السبت شيئاً، لم يبق في البحر حوت إلا خرج، حتى يخرج خراطيمهن من الماء؛ فإذا كان يوم الأحد لزم (مقل)^(١٦) البحر، فلم ير

(١) القرم: اشتداد الشهوة إلى أكل اللحم.

(٢) في (ض) و(ع) و(ل) و(ن): «فخزمه» بالحاء المهملة والزاي.

(٣) ساقط من (ك).

(٤) في (ن): «صنع».

(٥) في (ز) و(ن): «وصنعوا».

(٦) في (ل): «في الأسواق».

(٧) في (ن): «بسخطنا».

(٨) في (ن): «شأناً».

(٩) في (ن): «أنجى».

(١٠) أخرجه ابن جرير (١١٣٨) بسند ضعيف.

(١١) أخرجه ابن جرير (١١٤٢) وسنده حسن.

(١٢) كذا في سائر «الأصول». ومقل البحر: مغاصه كما في «النهاية» (٣٤٧/٤). وانظر أيضاً «لسان العرب» =

منهن شيء، حتى يكون يوم السبت؛ فذلك قوله (تعالى)^(١): ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَكَتِهِمْ شِرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ إِلَّا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣] فاشتهد بعضهم السمك، فجعل الرجل يحفر الحفيرة، ويجعل لها نهراً إلى البحر؛ فإذا كان يوم السبت فتح النهر، فأقبل الموج بالحيثان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة، فيريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر، فيمكث (فيها)^(٢)؛ فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه، فجعل الرجل يشوي السمك، فيجد جاره (روائح)^(٣)، فيسأله فيخبره فيصنع مثل ما صنع جاره، حتى فشا فيهم أكل السمك؛ فقال لهم علماؤهم: ويحكم! إنما تصطادون يوم السبت، وهو لا يحل لكم، فقالوا: إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه. فقال (الفقهاء)^(٤): لا، ولكنكم صدتموه يوم (فتحتم)^(٥) له الماء فدخل.

قال: (وغلّبوا)^(٥) أن ينتهوا؛ فقال بعض الذين نهوهم لبعض: ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] يقول: لم تعظونهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم؟ فقال بعضهم: ﴿مَعَذرةً إِلَيَّ رَبِّكَزْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

فلما أبوا قال المسلمون: والله لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسموا القرية بجدار، ففتح المسلمون باباً، والمعتدون في السبت باباً، ولعنهم داود عليه السلام؛ فجعل المسلمون يخرجون من بابهم، والكفار من بابهم؛ فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم؛ فلما أبطئوا عليهم تسور المسلمون عليهم الحائط فإذا هم قردة، يثب بعضهم على بعض، ففتحوا عنهم؛ فذهبوا في الأرض؛ فذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَآئِهِمْ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٤] وذلك حين يقول: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ...﴾ (الآية)^(٦) [المائدة: ٧٨] فهم القردة.

قلت: والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد رحمه الله من أن مسخهم إنما كان معنوياً لا صورياً؛ بل الصحيح أنه (معنوي صوري)^(٧) والله (تعالى)^(٢) أعلم. وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾^(٨) [نُكَلًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا]^(٨) قال بعضهم: الضمير في «فجعلناها» عائد على القردة. وقيل: على الحيتان. وقيل: على العقوبة. وقيل: على القرية. حكاه ابن جرير.

والصحيح أن الضمير عائد على القرية؛ أي: فجعل الله هذه القرية؛ والمراد أهلها بسبب اعتدائهم في سبتهم ﴿نُكَلًا﴾ أي: عاقبناهم عقوبةً، فجعلناها عبرةً؛ كما قال الله على فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات].

= (ص ٤٢٤٥). ووقع في (ن): «أسفل»؛ وفي «تفسير الطبري»: «سفل».

(١) من (ن).

(٢) في «تفسير الطبري»: «ريحه».

(٣) في (ز) و(ض): «العلماء».

(٤) في (ز) و(ض): «فتحكم».

(٥) من (ن).

(٥) في «تفسير الطبري»: «وعتوا».

(٧) في (ل): «صوري لا معنوي» وهو أوضح لمراد المصنف رحمه الله.

(٨) ساقط من (ن).

وقوله (تعالى)^(١): ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: من القرى.

قال ابن عباس: يعني جعلناها بما أحللتنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف] ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا...﴾ الآية [الرعد: ٤١] على أحد الأقوال.

فالمراد: ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ في المكان، كما قال محمد بن^(٢) إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ من القرى، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ من القرى.

وكذا قال سعيد^(٣) بن جبيرة: ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ (قال)^(٤): (من)^(٥) بحضرتها من الناس يومئذ.

وروي عن إسماعيل^(٦) بن أبي خالد، وقتادة، وعطية العوفي: ﴿جَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ قال: ما (كان)^(٧) قبلها من الماضين في شأن السبت.

وقال أبو العالية^(٨)، والربيع^(٩)، وعطية^(١٠): وما خلفها (لن)^(١١) بقي بعدهم من الناس من بني إسرائيل أن يعملوا مثل عملهم، وكان هؤلاء يقولون: المراد ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ في الزمان.

وهذا مستقيم بالنسبة إلى من يأتي بعدهم من الناس، أن يكون أهل تلك القرية عبرة لهم، وأما بالنسبة إلى من سلف قبلهم من الناس فكيف يصح هذا الكلام أن تفسر الآية به؛ وهو أن يكون عبرة لمن سبقهم^(١٢)؟

وهذا لعل أحداً من الناس لا يقوله بعد تصوره؛ فتعين أن المراد بما بين يديها وما خلفها في المكان؛ وهو ما حولها من القرى؛ كما قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة. والله أعلم.

وقال أبو جعفر^(١٣) الرازي، عن الربيع^(١٤) [بن أنس، عن أبي العالية]: ﴿جَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: عقوبة لما خلا (من ذنوبهم)^(١٥) [١٤].

(١) من (ن).

(٢) أخرجه ابن جرير (١١٥٦)؛ وابن أبي حاتم (٦٨١) وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٤) قال: ذكر لي عن سعيد بن أبي مريم، أخبرني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبيرة فذكره. وسنده ضعيف للانقطاع بين ابن أبي حاتم وسعيد بن أبي مريم. وأيضاً فقد تكلم النسائي في رواية عطاء بن دينار التفسير عن سعيد بن جبيرة، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأنها وجادة صحيحة. والله أعلم.

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٣) بسند صحيح.

(٧) ساقط من (ز) و(ن).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٦). [وسنده جيد].

(٩) أخرجه ابن جرير (١١٥٥). [ويشهد له سابقه].

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٨) وإسناده لا بأس به.

(١١) في (ز) و(ن): «لما».

(١٢) وقال ابن عطية في «تفسيره» (٣٣٩/١) نحواً من هذا الكلام.

(١٣) أخرجه ابن جرير (١١٥٥)؛ وابن أبي حاتم (٦٨٢) وسنده حسن كما تقدم ذكره.

(١٤) ساقط من (ج).

(١٥) في (ز) و(ض): «من دونهم».

(١) [وقال ابن] (١) أبي (حاتم) (٢): وروي عن عكرمة، ومجاهد (٣)، والسدي (٤)، (٥) [والحسن، وقتادة (٦)، والربيع (٧) بن] (٨) (٥) [أنس نحو ذلك.

(٩) [وحكى القرطبي (١٠) عن ابن عباس] (٨) والسدي، والفراء، وابن عطية (١١): ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ من ذنوب القوم، ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾ لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب. وحكى (فخر الدين) (١٢) (الرازي) (١٣) ثلاثة أقوال (١٤):

أحدها: أن المراد بما بين يديها وما خلفها من تقدمها من القرى بما عندهم من العلم بخبرها بالكتب المتقدمة، ومن بعدها.

والثاني: المراد بذلك من بحضرتها من القرى والأمم.

والثالث: أنه (تعالى جعلها) (١٥) عقوبة لجميع ما ارتكبه من قبل هذا الفعل وما بعده؛ وهو قول الحسن.

قلت: وأرجح الأقوال: المراد بما بين يديها وما خلفها من] (٩) (١٦) [بحضرتها من القرى (التي) (١٧) يبلغهم خبرها، وما حل بها؛ كما قال (تعالى) (١٨): ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آيَاتِنَا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾... [الأحقاف] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَعَوْا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ الآية [الرعد: ٣١]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٤] فجعلهم عبرة ونكالا لمن في زمانهم، وموعظة لمن يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١٦).

وقوله (تعالى) (١٩): ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال محمد بن (٢٠) إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الذين من بعدهم إلى يوم القيامة.

(١) ساقط من (ج). (٢) في (ك): «جرير»!

(٣) أخرجه ابن جرير (١١٥٩، ١١٦٠)؛ وابن أبي حاتم (٦٨٧) من طرق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وسنده جيد. وأخرجه ابن جرير (١١٦١) عن ابن جريج، عن مجاهد وابن جريج مدلس.

(٤) أخرجه ابن جرير (١١٦٢). (٥) ساقط من (ن).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٨/١) ومن طريقه ابن جرير (١١٥٨) نا معمر، عن قتادة، وأخرجه ابن جرير (١١٥٧) من طريق يزيد بن زريع، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة وسنده صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير (١١٥٥). (٨) ساقط من (ن).

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) في «تفسيره» (٤٤٤/١) وذكر ابن عطية (٣٣٨/١) قول ابن عباس وقال: «ما أراه يصح».

(١١) في «تفسيره» (٣٣٨/١) وقال: «وهذا قول جيد». (١٢) ساقط من (ن).

(١٣) ساقط من (ج) و(ع) و(ل) و(ك) و(ي). (١٤) انظر: «تفسير الرازي» (١٢١/٢).

(١٥) كذا في (ن) وهو الموافق لما في «تفسير الرازي»؛ وفي (ج) و(ع) و(ل) و(ي): «جعلها تعالى»؛ وفي (ك): «جعلها نكالا»!

(١٦) ساقط من (ز) و(ض).

(١٧) ساقط من (ن).

(١٨) من (ن).

(٢٠) أخرجه ابن جرير (١١٦٦)؛ وابن أبي حاتم (٦٨٩).

وقال الحسن^(١)، وقتادة^(٢): ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ بعدهم، فيتقون نقمة الله، ويحذرونها.
وقال السدي^(٣)، وعطية العوفي^(٤): ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال: أمة محمد ﷺ.

قلت: المراد بالموعظة ما هنا الزاجر؛ أي: جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من البأس والنكال في مقابلة ما ارتكبه من محارم الله، وما تحيلوا به من الحيل؛ فليحذر المتقون صنيعهم، لئلا يصيبهم ما أصابهم؛ كما قال الإمام^(٥) أبو عبد الله بن بطة: حدثنا أحمد بن محمد بن (سلم)^(٦)، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن (عمرو)^(٧) (عن أبي سلمة)^(٨)، عن أبي هريرة - أن رسول الله ﷺ قال: «لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل».
وهذا إسناد جيد^(٩). وأحمد بن محمد بن سلم هذا وثقه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح. والله أعلم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

يقول تعالى: واذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة، وبيان القتال من هو بسببها، وإحياء الله المقتول ونصه على من قتله منهم.
[مسألة^(١٠):

الإبل تنحر، والغنم تذبح،^(١١) [واختلفوا في البقر؛ فقيل: تذبح، وقيل: تنحر، والذبح^(١٢) أولى لنص القرآن، ولقرب منحرها من مذبحتها]^(١٣).

- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٩١) وسنده ضعيف تقدم تحقيقه عند الآية (٦٣).
- (٢) أخرجه عبد الرزاق (٤٨/١)؛ وعنه ابن جرير (١١٦٨) نا معمر، عن قتادة. وأخرجه ابن جرير (١١٦٧) من طريق آخر عن قتادة. وكلاهما صحيح.
- (٣) أخرجه ابن جرير (١١٦٩)؛ وابن أبي حاتم (٦٩٣). [وسنده حسن].
- (٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٩٢) بسند لا بأس به.
- (٥) في «كتاب إبطال الحيل» (ص ٢٤).
- وقال ابن تيمية رحمه الله في «الفتاوى» (٢٩/٢٩): «إسناده حسن» وكذلك قال ابن القيم في «تهذيب سنن أبي داود» (١٠٣/٥) وزاد: «وإسناده مما يصححه الترمذي». وحسنه أيضاً السخاوي في «الفتاوى الحديثية» (ص ٢٣٦) وقال ابن القيم أيضاً في «إغاثة اللهفان» (١/٥١٣): «وهذا إسناد جيد».
- (٦) كذا في (ج) و(ع) و(ي). ووقع في (ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(ن): «مسلم» وكذلك وقع في «الإبانة» (١/٢٨١) للمصنف ولكن الكتاب ملآن بالتصحيفات ولم أجد له ترجمة. والله أعلم.
- (٧) في (ن): «عمر» بدون «واو» وهو خطأ.
- (٨) ساقط من (ز) و(ض).
- (٩) كذا قال المصنف رحمه الله، وتبع فيه شيخه ابن تيمية رحمه الله لكنه زاد فيه ما يتعقب به. قال ابن تيمية في «إبطال الحيل» (ص ٣٥): «هذا إسناد جيد يصحح مثله الترمذي وغيره تارةً ويحسنه تارةً، ومحمد بن أحمد بن سلم المذكور مشهور ثقة ذكره الخطيب في «تاريخه» كذلك، وسائر الإسناد أشهر من أن يحتاج إلى وصفهم».
- (١٠) من (ج) و(ل) و(ع) و(ي).
- (١١) ساقط من (ج).

(١) [قال ابن المنذر: ولا أعلم خلافاً في حل ما ذبح مما ينحر، أو نحر ما يذبح، غير أن مالكا كره ذلك، وقد يكره الإنسان ما لا يحرمه.]

قال أبو عبد الله: وكان نزول قصة البقرة على موسى ﷺ في أمر القتل قبل نزول القسامة في التوراة^(١).

[ذكر بسط القصة]^(٢):

(قال)^(٣) ابن أبي حاتم^(٤): حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة السلماني، قال: كان رجل من بني إسرائيل عقيماً لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله؛ ثم احتمله ليلاً فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم (على)^(٥) بعض.

فقال ذوو الرأي (منهم)^(٦) (والنهي)^(٧): علام يقتل بعضكم بعضاً، وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى ﷺ، فذكروا ذلك له؛ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُوًّا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ قال: فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شددوا فشدد عليهم، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها، فوجودها عند رجل ليس له بقرة غيرها؛ فقال: والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهباً.

فأخذوها بملء جلدها ذهباً، فذبحوها، فضربوه ببعضها، فقام، فقالوا: من قتلك؟ فقال: هذا - لابن أخيه - ثم مال ميتاً؛ فلم يعط من ماله شيئاً، فلم يورث قاتل بعد.

ورواه ابن جرير من حديث أيوب، عن محمد بن سيرين، عن (عبيدة)^(٨) بنحو من ذلك. والله أعلم.

(٩) [ورواه عبد (بن حميد)^(١٠) في «تفسيره»: أنبأنا يزيد بن هارون، به]^(٩).

ورواه آدم بن أبي إياس في «تفسيره»، عن أبي جعفر - هو الرازي - عن هشام بن حسان، به. وقال آدم بن أبي إياس في «تفسيره»^(١١): أنبأنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية في قول (الله)^(١٢) تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ قال: وكان رجل من بني إسرائيل،

(١) من (ج) و(ل) و(ع) و(ي).

(٣) في (ز) و(ض): «كما قال».

(٤) في «تفسيره» رقم (٦٩٥)؛ وأخرجه البيهقي في «سننه» (٢٢٠/٦) من طريق يحيى بن أبي طالب ثنا يزيد بن هارون بسنده سواء. وسنده صحيح.

(٥) في «تفسير ابن أبي حاتم»: «إلى».

(٦) ساقط من (ض) و(ع) و(ك) و(ي) ومن «تفسير ابن أبي حاتم».

(٧) ساقط من (ج) و(ل).

(٨) في (ل): «عبد»! وهو تصحيف.

(٩) هذه الفقرة مقدمة في (ي) على قوله: «رواه ابن جرير... إلخ» وهو اللائق بعلم التخريج. [وسنده صحيح].

(١٠) ساقط من (ل) وعنده: «عبد»!!

(١١) ومن طريقه ابن جرير (١١٧٣، ١٣٠١) قال: حدثني المشي، قال: حدثنا آدم بن أبي إياس به. [وسنده جيد لكنه من الإسرائيليات].

(١٢) لفظ الجلالة من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ن) و(ي).

وكان غنياً، ولم يكن له ولد، وكان له قريب، وكان وارثه، فقتله ليرثه؛ ثم ألقاه على مجمع الطريق؛ وأتى موسى ﷺ، فقال له: إن قريبي قتل، وأتى إلي أمر عظيم؛ وإني لا أجد أحداً يبين لي من قتله غيرك يا نبي الله.

قال: فنادى موسى ﷺ^(١) في الناس؛ فقال: أنشد الله من كان عنده من هذا علم إلا (بينه)^(٢) لنا، فلم يكن عندهم (علم)^(٣) فأقبل القاتل على موسى ﷺ، فقال له: أنت نبي الله، فسل لنا ربك أن يبين لنا، فسأل ربه فأوحى الله إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فعجبوا من ذلك، فقالوا: ﴿الَّتِي خَذْنَا هُزُوءًا قَالُوا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبُّكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالُوا يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ [البقرة: ٦٨] يعني: لا هرمة، ﴿وَلَا يَكْرُ﴾ [البقرة: ٦٨] يعني: ولا صغيرة، ﴿عَوَانٌ بَيْنَكَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] أي: نصف بين البكر والهرمة.

﴿قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبُّكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالُوا إِنَّمَا يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩] أي: صاف لونها؛ ﴿تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩] أي: تعجب الناظرين.

﴿قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبُّكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ إِنْ أَلْبَرَّ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ [البقرة: ٧١] أي: لم يذلها العمل^(٤) ﴿ثِيَرُ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٧١] يعني: وليست بذلول تشير الأرض؛ ﴿وَلَا تَسْقَى الْمَرْوَةَ﴾ [البقرة: ٧١] يعني: ولا تعمل في الحرث؛ ﴿مُسْلَمَةٌ﴾ [البقرة: ٧١] يعني: مسلمة من العيوب؛ ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١] يقول: لا بياض فيها؛ ﴿قَالُوا أَكُنْ حَتَّى يَأْتِيَكَ بِهَا فَتَذْبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

قال: ولو أن القوم حين أمروا بذبح بقرة استعرضوا بقرة من البقرة فذبحوها لكانت إياها؛ ولكن شددوا على أنفسهم فشدد (الله)^(٥) عليهم؛ ولولا أن القوم استثنوا، فقالوا: ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠] لما هدوا إليها أبداً.

فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نعت لهم إلا عند عجوز، وعندها يتامى، وهي القيمة عليهم؛ فلما علمت أنه لا يزكو لهم غيرها أضعفت عليهم الثمن، فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة؛ وأنها سألت أضعاف ثمنها؛ فقال موسى: إن الله قد خفف (عنكم)^(٥) فشددتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها. ففعلوا.

(واشتروها)^(٦) فذبحوها؛ فأمرهم موسى ﷺ أن يأخذوا عظماً منها فيضربوا به القاتل؛ ففعلوا؛ فرجع إليه روحه، فسمى لهم قاتله؛ ثم عاد ميتاً كما كان. فأخذ قاتله، وهو الذي كان أتى موسى ﷺ^(٧)، فقتله إليه، فقتله الله على أسوأ عمله.

وقال محمد بن جرير^(٨):

(١) من (ك). (٢) من (ن): «بينه»؛ وفي (ل): «ليبينه».

(٣) ساقط من (ج). (٤) لفظ الجلالة من (ن).

(٥) كذا في (ج). وفي سائر «الأصول»: «عليكم»، وما اخترته أولى، والفعل: «خفف» ما عدي في القرآن إلا «عن» والله أعلم.

(٦) في (ج): «واشتروها». (٧) من (ن).

(٨) في «تفسيره» (١٢٩٩) وسنده ضعيف.

أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «من عاش بعد الموت» رقم (٥٥) قال: حدثنا أبو خيثمة، قال: حدثنا =

حدثني (محمد)^(١) بن سعد، حدثني أبي، حدثني عمي، حدثني أبي، (عن أبيه)^(٢)، عن ابن عباس، في قوله في شأن البقرة: وذلك أن شيخاً من بني إسرائيل على عهد موسى (عليه السلام)^(٣) كان مكثراً من المال، وكان بنو أخيه فقراء لا مال لهم، وكان الشيخ لا ولد له؛ وكان بنو أخيه ورثته؛ فقالوا: ليت عمنا قد مات فورثنا ماله، وإنه لما تطاول عليهم ألا يموت عمهم أتاهم الشيطان فقال لهم: هل لكم إلى أن تقتلوا عمكم فترثوا ماله، وتغرموا أهل المدينة التي لستم بها ديتة؛ وذلك أنهما كانتا مدينتين؛ كانوا في إحداهما، وكان القتيل إذا قُتل (فطرح)^(٤) بين المدينتين قيس ما بين القتيل والقريتين فأيتهما كانت أقرب إليه غرمت الدية، وأنهم لما سؤل لهم الشيطان ذلك، وتطاول عليهم أن لا يموت عمهم، عمدوا إليه فقتلوه؛ ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة التي ليسوا فيها.

فلما أصبح أهل المدينة جاء بنو أخي الشيخ، فقالوا: عمنا قتل على باب مدينتك؛ فوالله تغرم لنا دية عمنا.

قال أهل المدينة: نقسم بالله ما قتلنا، ولا علمنا قاتلاً، ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا، وإنهم عمدوا إلى موسى (عليه السلام).

فلما أتوه قال بنو أخي الشيخ: عمنا وجدناه مقتولاً على باب مدينتهم. وقال أهل المدينة: نقسم بالله (ما قتلنا)^(٥)، ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا؛ وإن جبرائيل جاء بأمر (ربه)^(٦) السميع العليم إلى موسى (عليه السلام)^(٧)، فقال: قل لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ فتضربوه ببعضها.

وقال السدي^(٨): ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ^(٩) أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾^(٩) قال: كان رجل من بني إسرائيل مكثراً من المال، (وكانت)^(١٠) له ابنة، وكان له ابن أخ محتاج؛ فخطب إليه ابن أخيه ابنته؛ فأبى أن يزوجه، فغضب الفتى، وقال: والله لأقتلن عمي، ولأخذن ماله، ولأنكحن ابنته، ولأكلن ديتة؛ فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل، فقال: يا عم، انطلق معي، فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم، لعلني أن أصيب منها؛ فإنهم إذا رأوك معي أعطوني.

- = يحيى بن سعيد، عن ربيعة بن كلثوم، قال: حدثني أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (عليه السلام) بنحوه.
- (١) من (ج)؛ ووقع في (ن): «محمد بن سعيد» وفي بقية «الأصول»: «ابن سعيد» وكلاهما خطأ. ووقع في (ز): «ابن سعد» وهو صواب أيضاً وهو الموافق لما في «الطبري».
- (٢) في سائر «الأصول»: «عن أبيه، عن جده»، ولا معنى لذكر «الجدة» في الإسناد.
- (٣) من (ز) و(ن).
- (٤) في (ن): «وطرح».
- (٥) في (ز) و(ل) و(ن): «قتلناه».
- (٦) ساقط من (ز) و(ن).
- (٧) من (ل) و(ن).
- (٨) أخرجه ابن جرير (١١٧٤) وسنده حسن. [لكنه من الإسرائيليةيات].
- (٩) ساقط من (ج) و(ع).
- (١٠) في (ن): «فكانت».

فخرج العم مع الفتى ليلاً، فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى، ثم رجع إلى أهله؛ فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه، كأنه لا يدري أين هو فلم يجده، فانطلق نحوه؛ فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه؛ فأخذهم وقال: قتلتم عمي؛ فأدوا إليّ ديتي، فجعل يبكي ويحشو التراب على رأسه، وينادي: واعماه! فرفعهم إلى موسى، ففضى عليهم بالدية، فقالوا له: يا رسول الله، ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه؛ فيؤخذ صاحب (الفرصة)^(١)، فوالله إن ديتي علينا لهينة (ولكننا)^(٢) نستحي أن نعير به، فذلك حين يقول (الله)^(٣) (تعالى)^(٤): ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَيْنَا ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ خَرَجَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۖ﴾ [البقرة] فقال لهم موسى (عليه السلام)^(٥): ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قالوا: نسأل عن القتل وعمن قتله، وتقول: اذبحوا بقرة! أتهزأ بنا! ﴿قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

قال ابن عباس^(٦): فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، (ولكنهم)^(٧) شددوا وتعنتوا (على)^(٨) موسى، فشدد الله عليهم؛ فقالوا: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]. والفارض: الهرمة التي لا تلد. والبكر: التي لم تلد إلا ولداً واحداً. والعوان: النصف التي بين ذلك التي قد ولدت وولد ولدها.

﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۖ﴾ ﴿قَالُوا آدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٨، ٦٩] قال: نقى لونها؛ ﴿سُورَ النَّظِيرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩] قال: تعجب الناظرين، ﴿قَالُوا آدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۖ﴾ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَ فِيهَا﴾ [البقرة] من بياض، ولا سواد ولا حمرة ﴿قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١]. فطلبوها فلم يقدروا عليها.

وكان رجل في بني إسرائيل من أبر الناس بأبيه، وإن رجلاً مر به معه لؤلؤ يبيعه، وكان أبوه نائماً تحت رأسه المفتاح؛ فقال له الرجل: تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين ألفاً؟ فقال له الفتى: كما أنت، حتى يستيقظ أبي، فأخذه منك بثمانين ألفاً^(٩).

(١) هكذا في سائر «الأصول»؛ وفي «تفسير الطبري»: «الجريمة»؛ وفي (ن): «القضية».

(٢) في (ن): «ولكن».

(٣) لفظ الجلالة من (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي).

(٤) من (ز) و(ن).

(٥) ساقط من (ن).

(٦) وأخرج قول ابن عباس هذا: ابن أبي حاتم (٦٩٨) لكن وقع عنده: «عن السدي قال: قال لي ابن عباس...» هكذا وقع «قال لي» ولفظة «لي» لا معنى لها أبداً في هذا الإسناد، والسدي روى عن ابن عباس حديثاً في «سنن أبي داود» (٣٠٤١) وقال المنذري في «مختصر سنن أبي داود» (٢٥١/٤): «في سماع السدي من عبد الله بن عباس نظر، وإنما قيل: إنه رآه، ورأى ابن عمر، وسمع من أنس بن مالك (عليه السلام)» ثم هذه صحيفة يرويها السدي بإسناده إلى ابن عباس، [وغيره] وقد تقدم تفصيل ذلك (٤٨٨/١ - ٤٩٠).

(٧) في (ن): «ولكن».

(٨) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ي).

(٩) في (ج) بعد هذا: «قال: لا، قال الآخر... إلخ» وليست في «الطبري» أيضاً.

قال الآخر: أيقظ أباك، وهو لك بستين ألفاً، فجعل التاجر يحط له حتى بلغ ثلاثين ألفاً، وزاد الآخر على أن ينتظر أباه حتى يستيقظ، حتى بلغ مائة ألف. فلما أكثر عليه قال: والله لا أشتريه منك بشيء أبداً، وأبى أن يوقظ أباه، فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ أن جعل له تلك البقرة، فمرت به بنو إسرائيل يطلبون البقرة، وأبصروا البقرة عنده، فسألوه أن يبيعهم إياها بقرّة ببقرة؛ فأبى؛ فأعطوه ثنتين فأبى، فزادوه حتى بلغوا عشراً^(١)؛ فقالوا: والله لا نتركك حتى نأخذها منك.

فانطلقوا به إلى موسى ﷺ، فقالوا: يا نبي الله، إنا وجدناها عند هذا، وأبى أن يعطيناها^(٢)، وقد أعطيناها ثمناً. فقال له موسى: أعطهم بقرتك. فقال: يا رسول الله؛ أنا أحق بمالي. فقال: صدقت. وقال للقوم: أرضوا صاحبكم، فأعطوه وزنها ذهباً، فأبى، فأضعفوه له حتى أعطوه وزنها عشر مرات ذهباً، فباعهم إياها، وأخذ ثمنها؛ فذبحوها.

قال: اضربوه ببعضها، فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين، فعاش، فسألوه من قتلك! فقال لهم: ابن أخي قال: أقتله، فأخذ ماله، وأنكح ابنته، فأخذوا الغلام فقتلوه.

وقال سنيد^(٣): حدثنا حجاج - هو ابن محمد، عن ابن جريج، عن مجاهد؛ وحجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالوا: إن سبطاً من بني إسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس بنوا مدينةً فاعتزلوا شرور الناس؛ فكانوا إذا أمسوا لم يتركوا أحداً منهم خارجاً إلا أدخلوه، وإذا أصبحوا قام رئيسهم فنظر (وأشرف)^(٤)، فإذا لم ير شيئاً فتح المدينة، فكانوا مع الناس حتى يمسوا.

قال: وكان رجل من بني إسرائيل له مال كثير، ولم يكن له وارث غير أخيه، فطال عليه حياته، فقتله ليرثه، ثم حمله فوضعه على باب المدينة، ثم كمن في مكان هو وأصحابه؛ قال: (فأشرف)^(٥) رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فلم ير شيئاً، ففتح الباب؛ فلما رأى القتل رد الباب، فناده أخو المقتول وأصحابه: هيهات؛ قتلتموه، ثم تردون الباب؟!!

وكان موسى لما رأى القتل كثيراً في (أصحابه)^(٦) بني إسرائيل كان إذا رأى القتل بين ظهري القوم أخذهم، فكاد يكون بين أخي المقتول وبين أهل المدينة قتال، حتى لبس الفريقان السلاح، ثم كف بعضهم عن بعض، فأتوا موسى، فذكروا له شأنهم، قالوا: (يا رسول الله!)^(٧) إن هؤلاء قتلوا قتيلاً ثم ردوا الباب. قال أهل المدينة: يا رسول الله! قد عرفت اعتزالنا الشرور، وبنينا مدينةً كما رأيت، نعتزل شرور الناس؛ والله ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً. فأوحى الله تعالى إليه أن يذبحوا بقرّة. فقال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾.

(١) في «تفسير الطبري»: «عشراً فأبى».

(٢) هكذا في سائر «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري». ووقع في (ج): «يعطينا إياها».

(٣) أخرجه ابن جرير (١٣٠٠). [وسنده ضعيف، وقد أشار الحافظ ابن كثير أن الرواية من الإسرائيليات].

(٤) في (ج) و(ل) و(ي): «تشرّف».

(٥) في (ج) و(ل) و(ع) و(ي): «فتشرف».

(٦) في (ن): «يا موسى».

(٦) ساقط من (ن).

وهذه السياقات عن عبيدة، وأبي العالية، والسدي، وغيرهم فيها اختلاف ما. والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا تصدق ولا تكذب؛ فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا. والله أعلم^(١).

^(٢) [فائدة: تقول العرب^(٣): أصفر فاقع، وأبيض يقق وناصع ولهق ولهاق، وأخضر ناظر، وأحمر قاني، وأسود حالك وحلكوك، وحلكوك، ودجوجي، وغريب، وأرزق ولم أسمع^(٢)].^(٤) [أنهم أكدوه بشيء كغيره من بقية الألوان المذكورة وهي ستة، ولا زائد عليها إلا ما يركب منها، وليس يكون أصلاً. والله أعلم^(٤)].

﴿قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَفَلَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

أخبر تعالى عن تعنت بني إسرائيل، وكثرة سؤالهم لرسولهم؛ ولهذا لما ضيقوا على أنفسهم ضيق (الله)^(٥) عليهم، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة كانت لوقعت الموقع عنهم، كما قال ابن عباس، وعبيدة وغير واحد؛ ولكنهم شددوا فشدد عليهم؛ فقالوا: ﴿آذِغْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ (أي)^(٦): ما هذه البقرة؟ وأي شيء صفتها؟

قال ابن^(٧) جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا (عثام)^(٨) بن علي، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جببر، عن ابن عباس؛ قال: لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها، ولكنهم شددوا فشدد (الله)^(٩) عليهم. إسناده صحيح.

وقد رواه غير واحد عن ابن عباس؛ وكذا قال عبيدة^(١٠)، والسدي^(١١)، ومجاهد^(١٢)، وعكرمة^(١٣)، وأبو العالية^(١٤)، وغير واحد.

(١) بعدها في (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضاً بأصله، فسح الله في مدته».

(٢) من (ج) و(ع) و(ي). (٣) وانظر «الأضداد» (ص ١٦١، ١٦٢) لابن الأنباري.

(٤) من (ج) و(ع) و(ي). (٥) لفظ الجلالة من (ن).

(٦) من (ن). (٧) في «تفسيره» (١٢٣٥). [وسنده حسن].

(٨) في (ز) و(ض): «عثمان»؛ وفي (ل) و(ن): «هشام» وكلاهما تصحيف.

(٩) لفظ الجلالة في سائر «الأصول» ما عدا (ن).

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨) من طريق أيوب السخيتاني وهشام بن حسان كلاهما عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني بسند صحيح.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٩٨). [وسنده حسن].

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢) وهو صحيح.

(١٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٠/١)، ومن طريقه ابن جرير (١٢٣٩) قال: أخبرنا.

(١٤) أخرجه ابن جرير (١٢٤٣). [يشهد له ما سبق].

وقال ابن جريج^(١): قال لي عطاء: لو أخذوا أدنى بقرة (كفتهم)^(٢)؛ قال ابن جريج: قال رسول الله ﷺ: «إنما أمروا بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا (على أنفسهم)^(٣) شدد الله عليهم، وإيم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد»؛ قال: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ أي: لا كبيرة هرمة ولا صغيرة (لم يلحقها)^(٤) الفحل، كما قاله أبو العالية^(٥)، والسدي، ومجاهد، وعكرمة، وعطية العوفي، وعطاء الخراساني، ووهب ابن منبه، والضحاك، والحسن، وقتادة؛ وقاله ابن عباس أيضاً.

وقال الضحاك^(٦)، عن ابن عباس ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ يقول: نصف بين الكبيرة والصغيرة؛ وهي أقوى ما يكون من الدواب والبقر، وأحسن ما يكون. وروى^(٧) عن عكرمة، ومجاهد، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وعطاء الخراساني والضحاك، نحو ذلك.

^(٨) [وفي «تفسير عبد بن حميد» عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: العوان؛ هي: العانس النصف.

وعن خفيف، عن مجاهد، قال: ولدت بطناً أو بطنين]^(٩).

وقال السدي^(٩): العوان: النصف التي بين ذلك التي (ولدت)^(١٠) وولد ولدها.

وقال هشيم^(١١)، عن جوير، عن كثير بن زياد، عن الحسن في البقرة: كانت بقرة وحشية.

وقال ابن جريج^(١٢)، عن عطاء، عن ابن عباس: من لبس نعلأ صفراء لم يزل في سرور ما

(١) أخرجه ابن جرير (١٢٤٢) وسنده صحيح إلى عطاء بن أبي رباح. والحديث المرفوع لا يصح لإعضاله.

(٢) في (ل) و(ن): «لكتهم».

(٣) ساقط من (ن).

(٤) في (ز) و(ض) و(ع) و(ي): «يلحقها»؛ وفي (ك): «ينكحها»!

(٥) أما أثر أبو العالية، فأخرجه ابن جرير (١١٩٠، ١١٩١، ١٢٠٢، ١٢٠٣) وأثر السدي فعنده أيضاً (١١٩٤، ١٤٠٢)، وعند ابن أبي حاتم (٧٠٣، ٧٠٥). [وسنده حسن]. وأثر مجاهد فأخرجه ابن جرير (١١٨٤، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٦، ١١٩٧)؛ وابن أبي حاتم (٧٠٠، ٧٠٦)، وأما أثر عكرمة؛ فأخرجه ابن جرير (١١٨٥، ١١٩٨) وسنده ضعيف، وأما أثر عطاء الخراساني، فأخرجه ابن جرير (١١٨٧، ١١٩٩) وأما أثر الحسن، فأخرجه ابن أبي حاتم (٧٠٧). وأما أثر قتادة، فأخرجه ابن جرير (١١٩٢، ١١٩٣)؛ وعبد الرزاق في «تفسيره» (٤٨/١). [وسنده صحيح]. وأما أثر ابن عباس، فأخرجه ابن جرير (١١٨٥، ١١٨٦، ١١٩٩، ١٢٠١)؛ وابن أبي حاتم (٦٩٩، ٧٠١، ٧٠٢) ولا يصح، وبقيّة الآثار تقدم الحكم عليها مراراً.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٢١٠)؛ وابن أبي حاتم (٧٠٤) وسنده ضعيف جداً.

(٧) وهذه الآثار عند ابن جرير (١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥)؛ وابن أبي حاتم (٧٠٥، ٧٠٦). [ويقوي بعضها بعضاً].

(٨) من (ل) وقيد في حاشية (ج) و(ع) و(ي). [وسنده صحيح].

(٩) أخرجه ابن جرير (١٢١٥)؛ وابن أبي حاتم (٧٠٥). [وسنده حسن].

* [في سندهما خفيف فيه مقال].

(١٠) في (ن): «وقد ولدت».

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٠٩)؛ وابن جرير (١٢٢١) وسنده ضعيف جداً.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١٠)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٠/رقم ١٠٦١٢)؛ وابن الأعرابي في «معجمه» (٩٦٨)؛ والخطيب في «تاريخه» (٢٥/٥) من طرق عن سهل بن عثمان، ثنا ابن العذراء، عن ابن جريج =

دام لابسها؛ وذلك [قول الله^(١) تعالى]: ﴿تَسْرُ الْأَنْظَرِينَ﴾.

وكذا قال مجاهد^(٢)، ووهب^(٣) بن منه: (إنها)^(٤) كانت صفراء.

وعن ابن عمر^(٥): كانت صفراء الظلف.

وعن سعيد^(٦) بن جبير: كانت صفراء القرن، والظلف.

وقال ابن أبي حاتم^(٧): حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، حدثنا نوح بن قيس، أنبأنا أبو رجاء، عن الحسن في قوله (تعالى)^(٨): ﴿بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ قال: سوداء شديدة السواد. وهذا غريب.

والصحيح الأول، ولهذا أكد صفرتها بأنه ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾.

وقال عطية^(٩) العوفي: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ تكاد تسود، من صفرتها.

وقال سعيد بن^(١٠) جبير: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ قال: صافية اللون.

= بسنده سواء وسئل عنه أبو حاتم الرازي، كما في «العلل» (٣١٩/٢)، فقال: «هذا حديث كذب موضوع». اهـ.

(*) قلت: وابن العذراء ذكره الذهبي في «الميزان» (٥٩٤/٤) وقال: «عن ابن جريج، له حديث في النعل الأصفر؛ لا شيء». وترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٢٥/٢/٤) قال: «سمعت أبي يقول: ابن العذراء الذي روى حديث: من لبس نعلًا صفراء، ليس بشيء، حديث النوكي، وهو حديث كذب موضوع». اهـ.

(١) في (ج): «قول الله»؛ وفي (ز) و(ن): «قوله تعالى».

(٢) أخرجه ابن جرير (١٢٢٤) عن عيسى؛ وابن أبي حاتم (٧١١) عن ورقاء كلاهما عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: لو أخذوا بقرة صفراء، لأجزأتهم. وسنده صحيح.

(٣) أشار إليه ابن أبي حاتم.

(٤) ساقط من (ن).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١٢) وسنده ضعيف وفي إسناده شريك النخعي، وفي حفظه ضعف، وعنينة الأعمش. ومغراء العبدى فيه توثيق لين. والله أعلم.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٢٢٢) من طريق مروان بن معاوية الفزاري، عن إبراهيم، عن أبي حفص، عن مغراء، أو عن رجل، عن سعيد بن جبير فذكره. قال الشيخ أحمد شاكر رحمته الله في تخريجه لـ «تفسير الطبري» (٢/٢٠٠): «لكن هذا الإسناد ضعيف لتردد الراوي: أنه عن مغراء أو عن رجل، فتردد بين ثقة ومبهم». اهـ. كذا قال الشيخ، وفي الإسناد: إبراهيم بن يزيد الخوزي، شيخ الفزاري، وهو متروك كما قال أحمد والنسائي، وطرحه ابن المبارك وعد التحديث عنه ذنباً. وقال ابن معين: «ليس بثقة وليس بشيء» وضعفه البخاري جداً فقال: «منكر الحديث».

وأخرجه ابن أبي حاتم (٧١٣) من طريق حفص بن غياث، عن ليث بن أبي سليم، عن مغراء عن سعيد بن جبير مثله، ولم يشك، ولكن ليث بن أبي سليم ضعيف الحديث.

(٧) في «تفسيره» (٧١٤) وسنده صحيح. وأبو رجاء هو محمد بن سيف الأزدي الحداني وثقوه؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٠) قال: حدثنا أبي، ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا نوح بن قيس، ثنا أبو رجاء محمد بن سيف الحداني، عن الحسن قال: الفاقع: سوداء شديدة السواد. وقول الحسن هذا استغربه المصنف، ورده ابن جرير (٢/٢٠٠، ٢٠١)؛ وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص ٥٣).

(٨) من (ن). (٩) أخرج ابن أبي حاتم (٧١٨) وسنده قوي.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١٦) وسنده ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم.

وروى عن أبي العالية^(١)، والربيع^(٢) بن أنس، والسدي^(٣)، والحسن، وقتادة^(٤)، نحوه.
وقال شريك^(٥)، عن (مغراء)^(٦)، عن [ابن عمر]: «فَاقِعٌ لَوْنُهَا» قال: (صافي)^(٨) وقال
العوفي في «تفسيره»^(٩)، عن [ابن عباس]: «فَاقِعٌ لَوْنُهَا» شديدة الصفرة، تكاد من صفرتها
تبيض.

وقال السدي^(١٠): «فَسُرُّ النَّظِيرِينَ» أي: تعجب الناظرين. وكذا قال أبو العالية، وقتادة،
والربيع بن أنس.

وقال وهب بن^(١١) منبه: إذا نظرت إلى جلدها تخيلت أن شعاع الشمس يخرج من جلدها.
[وفي التوراة أنها كانت حمراء؛ فلعل هذا خطأ في التعريب، أو كما قال الأول: إنها
كانت شديدة الصفرة تضرب إلى حمرة وسواد. والله أعلم]^(١٢).

وقوله تعالى: «إِنَّ أَلْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا» أي: لكثرتها؛ فميز لنا هذه البقرة وصفها وجلها لنا؛
«وَلَئِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا بَيَّنَّتْ لَنَا لَمْهُتَدُونَ» إليها.

وقال ابن أبي^(١٣) حاتم: حدثنا أحمد بن يحيى (الأودي)^(١٤) الصوفي، حدثنا أبو سعيد
أحمد بن داود الحداد، حدثنا سرور بن المغيرة الواسطي ابن أخي منصور بن زاذان، عن عباد بن
منصور، عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن بني
إسرائيل قالوا: «وَلَئِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْهُتَدُونَ» لما أعطوا، ولكن استثنوا».

ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في «تفسيره» من وجه آخر عن (سرور)^(١٥) بن المغيرة (بن)^(١٦)
زاذان، عن عباد بن منصور؛ عن الحسن، عن حديث أبي رافع، عن أبي هريرة؛ قال: قال
رسول الله ﷺ: «لولا أن بني إسرائيل قالوا: «وَلَئِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْهُتَدُونَ» ما أعطوا أبداً؛ ولو
أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم».

(١) أخرجه ابن جرير (١٢٢٦). [وسنده جيد].

(٢) أخرجه ابن جرير (١٢٢٨). [وسنده حسن].

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٤٩/١) وعنه ابن جرير (١٢٢٥). [وسنده صحيح].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١٧) وسنده ضعيف.

(٥) شطب عليها ناسخ (ن)، وكتب بدلها: «معمّر» وهو خطأ ظاهر، وسقط ذكره من (ك).

(٦) ساقط من (ك). (٨) في (ز): «صاف».

(٩) أخرجه ابن جرير (١٢٢٩)؛ وابن أبي حاتم (٧١٩) وسنده ضعيف.

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٢٣٣)؛ وابن أبي حاتم (٧٢١). [وسنده حسن].

(١١) أخرجه ابن جرير (١٢٣٢)؛ وابن أبي حاتم (٧٢٢) وسنده جيد.

(١٢) ساقط من (ز) و(ض).

(١٣) في «تفسيره» (٧٢٧) وسنده ضعيف.

وأخرجه تمام الرازي في «الفوائد» (٨٥) من طريق أبي إسماعيل الترمذي محمد بن إسماعيل، ثنا أحمد بن

داود بن سعيد الحداد، ثنا سرور بن المغيرة بسنده سواء.

(١٤) في (ح) و(ل): «الأزدي».

(١٥) في (ل): «مسرور».

(١٦) في (ز) و(ن): «عن» وهو خطأ.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة، كما تقدم (مثله) ^(١) عن السدي. والله أعلم.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ أي: إنها ليست مذللة بالحرثة، ولا معدة للسقي في السانية؛ بل هي مكرومة (حسنة) ^(٢) صبيحة مسلمة صحيحة لا عيب فيها. ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ أي: ليس فيها لون غير لونها.

قال عبد الرزاق ^(٣)، عن معمر، عن قتادة: مسلمة؛ يقول: لا عيب فيها. وكذا قال أبو العالية ^(٤)، والربيع.

وقال مجاهد ^(٥): مسلمة من الشية.

وقال عطاء ^(٦) الخراساني: مسلمة القوائم والخلق لا شية فيها؛ قال مجاهد ^(٧): لا بياض ولا سواد. وقال أبو العالية ^(٨)، والربيع، والحسن، وقاتدة: ليس فيها بياض.

وقال عطاء ^(٩) الخراساني: ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ قال: لونها واحد بهيم.

وروي ^(١٠) عن عطية العوفي ووهب بن منبه، وإسماعيل بن أبي خالد، نحو ذلك.

وقال السدي ^(١١): لا شية فيها من بياض، ولا سواد، ولا حمرة.

وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى.

^(١٢) [وقد زعم بعضهم أن المعنى في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾ ليست بمذللة بالعمل، ثم استأنف، فقال: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي: يعمل عليها ^(١٣) [بالحرثة لكنها] ^(١٣) لا تسقي الحرث. ^(١٣) وهذا ضعيف؛ لأنه فسر الذلول التي لم تذلل بالعمل بأنها لا تثير الأرض ولا تسقي الحرث] ^(١٣). كذا قرره القرطبي ^(١٤) وغيره ^(١٢).

(١) في (ج) و(ل): «نقله».

(٢) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ز) و(ك) و(ن): «حسنة».

(٣) أخرجه ابن جرير (١٢٥٩)؛ وابن أبي حاتم (٧٣٨) كلاهما من طريق عبد الرزاق مثله وأخرجه ابن جرير (١٢٥٨) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة وكلاهما صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٢٦٠) وكذا أثر الربيع عنده رقم (١٢٦١).

(٥) أخرجه ابن جرير (١٢٥٥)؛ وابن أبي حاتم (٧٣٧) من طريقين عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. [وسنده صحيح].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٣٩) وسنده حسن.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٦٦، ١٢٦٧)؛ وابن أبي حاتم (٧٤٠). [وسنده صحيح].

(٨) أخرجه ابن جرير (١٢٦٥). وأما أثر الربيع بن أنس؛ فأخرجه ابن جرير أيضاً (١٢٧١) وأثر الحسن: أخرجه ابن أبي حاتم (٧٤١) ورجاله ثقات. وأثر قتادة: أخرجه ابن جرير (١٢٦٣، ١٢٦٤) من وجهين عن قتادة. وكلاهما صحيح.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٤٢) وسنده ضعيف.

(١٠) هكذا نقلها المصنف عن ابن أبي حاتم.

(١١) أخرجه ابن جرير (١٢٦٩)؛ وابن أبي حاتم (٧٤٣) وسنده حسن.

(١٢) ساقط من (ز) و(ض). (١٣) ساقط من (ج).

(١٤) في «تفسيره» (٤٥٣/١).

﴿قَالُوا أَتَمَنَّا بِالْحَقِّ﴾ قال قتادة^(١): الآن بينت لنا.

وقال عبد الرحمن^(٢) بن زيد بن أسلم: وقبل ذلك - والله - قد جاءهم الحق؛ ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال الضحاك^(٣) عن ابن عباس: كادوا أن لا يفعلوا، ولم يكن ذلك الذي أرادوا؛ لأنهم أرادوا ألا يذبحوها.

يعني: أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد. وفي هذا ذم لهم؛ وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت؛ فلهذا ما كادوا يذبحونها.

وقال محمد بن^(٤) كعب، ومحمد بن قيس: فذبحوها وما كادوا يفعلون لكثرة ثمنها. وفي هذا نظر؛ لأن كثرة الثمن لم يثبت إلا من نقل بني إسرائيل، كما تقدم من حكاية أبي العالية، والسدي، ورواه العوفي عن ابن عباس.

وقال عبيدة^(٥)، ومجاهد^(٦)، وهب بن^(٧) منبه، وأبو العالية^(٨)، وعبد الرحمن^(٩) بن زيد بن أسلم: إنهم اشتروها (بمال كثير)^(١٠). وفيه اختلاف؛ ثم قد قيل في ثمنها غير ذلك.

قال عبد الرزاق^(١١): (أنبأنا)^(١٢) ابن عيينة، أخبرني محمد بن سوقة، عن عكرة؛ قال: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير؛ وهذا إسناد جيد عن عكرمة.

والظاهر أنه نقله عن أهل الكتاب أيضاً.

وقال ابن جرير^(١٣): وقال آخرون: لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة إن أطلع الله على

(١) أخرجه ابن جرير (١٢٧٢) عن سعيد بن أبي عروبة؛ وابن أبي حاتم (٧٤٤) عن شيبان النحوي كلاهما عن قتادة. وهو صحيح من الوجهين.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٢٧٣) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٢٧٧)؛ وابن أبي حاتم (٧٤٧) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٢٧٦)؛ وابن أبي حاتم (٧٤٨)؛ وعبد الرزاق (٤٩/١) وفي إسناده أبو معشر واسمه نجيع بن عبد الرحمن السندي وكان تغير في آخر عمره، فلذلك ضعفه العلماء.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٤٩/١)؛ وابن جرير (١٢٧٩، ١٢٨٥، ١٢٨٦) بسند صحيح عن عبيدة قال: «اشتروها بملء جلد لها دنانير».

(٦) أخرجه ابن جرير (١٢٨٠، ١٢٨١) من طريقين عن مجاهد أنه باعها بملء جلد لها ذهباً. [وسنده صحيح].

(٧) أخرجه ابن جرير (١٢٨٢) بسند جيد عن وهب بن منبه قال: «اشتروها منه على أن يملأوا له جلد لها دنانير، ثم ذبحوها، فعمدوا إلى جلد البقرة فملأوه دنانير ثم دفعوها إليه».

(٨) أخرجه ابن جرير (١٢٨٤) بسند حسن عن أبي العالية قال: «لم يجدوها إلا عند عجوز وأنها سألتهم أضعاف ثمنها، فقال لهم موسى: أعطوها رضاها وحكمها، ففعلوا، واشتروها فذبحوها».

(٩) أخرجه ابن جرير (١٢٨٧) بسند صحيح عن عبد الرحمن بن زيد قال: «جعلوا يزيدون صاحبها حتى ملأوا له مشكها، وهو جلد لها، ذهباً».

(١٠) كذا في (ز) و(ض) و(ك) و(ن) و(ي)؛ وفي (ع): «بثمن كثير» وأشار في الحاشية إلى تصويبها إلى «مال»؛ وفي (ج): «بما ذكر»؛ وفي (ل): «بما ذكروا».

(١١) في «تفسيره» (٥٠/١) ومن طريقه ابن جرير (١٢٨٨)؛ وابن أبي حاتم (٧٤٩). [وسنده جيد].

(١٢) في (ج): «أخبرنا».

(١٣) في «تفسيره» (٢/٢٢١ - شاعر).

قاتل القتل الذي اختصموا فيه. ولم يسنده عن أحد. ثم اختار أن الصواب في ذلك أنهم لم يكادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها، وللفضيحة.

وفي هذا نظر؛ بل الصواب، والله أعلم، ما تقدم من رواية الضحاك عن ابن عباس على ما وجهناه. وبالله التوفيق.

(١) [مسألة]:

استدل بهذه الآية في حصر صفات هذه البقرة حتى تعينت، أو تم تقييدها بعد الإطلاق، على صحة السلم في الحيوان، كما هو^(١) [مذهب مالك، والأوزاعي، والليث، والشافعي، وأحمد (بن حنبل)^(٣)، وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً؛ بدليل ما ثبت في «الصحيحين»^(٤) عن النبي ﷺ: «لا تنعت المرأة المرأة لزوجها كأنه ينظر إليها».

وكما وصف النبي ﷺ إبل الدية في (قتل)^(٥) الخطأ وشبهه^(٢) العمد^(٦) [بالصفات المذكورة بالحديث^(٧)].

وقال أبو حنيفة، والثوري، والكوفيون: لا يصح السلم الحيوان؛ لأنه لا تنضبط أحواله. وحكى مثله عن ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعبد الرحمن بن سمرة، وغيرهم^(٨).

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) ساقط من (ن).

(٤) كذا قال المصنف رحمه الله، والحديث لم يروه مسلم، ووهب القرطبي فعزاه في «تفسيره» (٤٥٣/١) لمسلم!! ثم هذا اللفظ الذي عزاه المصنف للبخاري وهو «لا تنعت المرأة...» لا وجود له فيه، وعزاه الحافظ في «التلخيص» (٦/٣) إلى البخاري بهذا اللفظ، وكل هذا خطأ، إنما هو عند البخاري (٣٣٨/٩) من طريق الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن ابن مسعود مرفوعاً بلفظ: «لا تباشر المرأة المرأة، فتنعتها لزوجها، كأنه ينظر إليها».

(٥) في (ج): «مثل»!

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) يشير المصنف إلى الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٥٤١)؛ والنسائي (٤٢/٨، ٤٣)؛ وابن ماجه (٢٦٣٠)؛ وأحمد (١٨٣/٢، ١٨٦، ٢٢٤)؛ والدارقطني (١٧٦/٣)، من طرق عن محمد بن راشد، ثنا سليمان بن موسى، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: «من قتل خطأ فديته مائة من الإبل ثلاثون بنت مخاض وثلاثون بنت لبون وثلاثون حقّة وعشرة بني لبون ذكور قال: وكان رسول الله ﷺ يقومها على أهل القرى أربعمئة دينار أو عدلها من الورق ويقومها على أهل الإبل إذا غلت رفع في قيمتها وإذا هانت نقص من قيمتها على نحو الزمان ما كان فبلغ قيمتها على عهد رسول الله ﷺ ما بين الأربعمئة دينار إلى ثمانمئة دينار أو عدلها من الورق قال وقضى رسول الله ﷺ أن من كان عقله في البقر على أهل البقر مائتي بقرة ومن كان عقله في الشاة ألفي شاة وقضى رسول الله ﷺ أن العقل ميراث بين ورثة القتل على فرائضهم فما فضل فللعصبة وقضى رسول الله ﷺ أن يعقل على المرأة عصبتها من كانوا ولا يرثون منه شيئاً إلا ما فضل عن ورثتها وإن قتلت فعقلها بين ورثتها وهم يقتلون قاتلها». اهـ. وهذا لفظ النسائي. ولفظ ابن ماجه قريب منه إلى قوله: «ألفي شاة» وهو عند الباقرين مختصر. [وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢١٢٨)].

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

قال البخاري: ﴿فَادَرَأْتُمُ فِيهَا﴾ اختلفتم. وهكذا قال مجاهد فيما رواه ابن أبي حاتم^(١) عن أبيه، عن حذيفة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُ فِيهَا﴾ اختلفتم.

وقال عطاء^(٢) الخراساني، والضحاك: اختلفتم فيها. وقال ابن جريج^(٣): ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُ فِيهَا﴾ قال: قال بعضهم: أنتم قتلتموه، وقال آخرون: بل أنتم قتلتموه. وكذا قال عبد الرحمن^(٤) بن زيد بن أسلم.

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال مجاهد^(٥): ما تغيبون. وقال ابن^(٦) أبي حاتم: حدثنا (عمرو بن^(٧) سلم) البصري، حدثنا محمد بن الطفيل العبدي، حدثنا صدقة بن رستم، سمعت المسيب بن رافع يقول: ما عمل رجل حسنة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله، وما عمل رجل سيئة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله. وتصديق ذلك في كلام الله: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ هذا البعض أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به، وخرق العادة به كائن؛ وقد كان معيناً في نفس الأمر؛ فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود لنا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا، ولكنه أبهمه، ولم يجئ من طريق صحيح عن معصوم بيانه؛ فنحن نبهمه كما أبهمه الله.

ولهذا قال ابن أبي حاتم^(٨): حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا (عفان)^(٩) بن مسلم، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: إن أصحاب بقرة بني إسرائيل طلبوها أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل في بقر له، وكانت بقرة تعجبه؛ قال: فجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه ملء مسكها دنانير، فذبحوها فضربوه - يعني: القتل - بعضو منها، فقام تشخب أوداجه دماً، فقالوا له: من قتلك؟ قال: قتلني فلان.

وكذا قال الحسن^(١٠)، وعبد الرحمن^(١١) بن زيد بن أسلم: إنه ضرب ببعضها.

- (١) في «تفسيره» (٧٥١) وسنده جيد.
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٥٢) وسنده حسن.
- (٣) أخرجه ابن جرير (١٢٩٤) وسنده صحيح.
- (٤) أخرجه ابن جرير (١٢٩٥) وسنده صحيح أيضاً.
- (٥) أخرجه ابن جرير (١٣٠٣)؛ وابن أبي حاتم (٧٥٣) من طريقين عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وسنده صحيح.
- (٦) في «تفسيره» (٧٥٤).
- (٧) وقع في (ز) و(ض) و(ك) و(ل): «عمرو بن مسلم»؛ وفي (ن): «عمرة بن أسلم» وكلاهما خطأ. وعمرو بن سلم أبو عثمان البصري ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٣٧/١/٣) وقال: «سمعت منه بالري، وهو صدوق».
- (٨) في «تفسيره» (٧٥٥) وسنده جيد.
- (٩) في (ز) و(ض): «عثمان»! وهو خطأ.
- (١٠) [أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد من طريق عباد بن منصور عن الحسن].
- (١١) أخرجه ابن جرير (١٣١٣) وسنده صحيح.

وفي رواية عن ابن عباس^(١): أنه ضُرب بالعظم الذي يلي الغضروف.
وقال عبد^(٢) الرزاق: (أنبأنا)^(٣) معمر؛ قال: قال أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة: ضربوا القتيل ببعض لحمها.

قال معمر: قال قتادة: ضربوه بلحم فخذها، فعاش، فقال: قتلني فلان.
وقال^(٤) [وكيع بن الجراح في «تفسيره»]:^(٤) حدثنا النضر بن عربي، عن عكرمة: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا﴾ فضرب بفخذها فقام، فقال: قتلني فلان.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد^(٥)، وقاتدة^(٦) وعكرمة، نحو ذلك.
وقال السدي^(٧): فضرِبوه بالبضعة التي بين الكتفين، فعاش؛ فسألوه فقال: قتلني ابن أخي.
وقال أبو العالية^(٨): أمرهم موسى ﷺ أن يأخذوا عظماً من عظامها فيضربوا (به)^(٩) القتيل، ففعلوا؛ فرجع إليه روحه؛ فسمى لهم قاتله، ثم عاد ميتاً كما كان.
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: فضرِبوه ببعض آرابها^(١٠).^(١١) [وقيل بلسانها. وقيل بعجب ذنبها]^(١١).

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: فضرِبوه فحَيَّيْ؛ ونَبَّه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل؛ جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة (والعناد)^(١٢).

والله تعالى (قد)^(١٣) ذكر في هذه السورة (ما)^(١٤) خلقه من إحياء الموتى في خمسة مواضع: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾ [البقرة: ٥٦] وهذه القصة، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها - وقصة إبراهيم (عليه السلام)^(١٥) والطيور الأربعة.

- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٥٦) وفي سننه قيس بن الربيع فيه مقال.
- وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧٩/١) إلى «وكيع، وابن المنذر وعبد بن حميد والفريابي».
- (٢) في «تفسيره» (٤٩/١) ومن طريقه ابن جرير (١٣٠٩) وسنده صحيح.
- (٣) في (ج): «أخبرنا».
- (٤) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ن) و(ي)؛ وفي (ج) و(ك) و(ل): «أبو أسامة». وقد عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧٩/١) إلى وكيع في «تفسيره» والنضر بن عربي من شيوخه [وسنده حسن]؛ وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٥٧) من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة عن النضر بن عربي. وأخرجه ابن جرير (١٣٠٧) من طريق جابر بن نوح عن النضر بن عربي.
- (٥) أخرجه ابن جرير (١٣٠٥، ١٣٠٦) من طريقين عن ابن أبي نجيع عن مجاهد. [وسنده صحيح].
- (٦) أخرجه ابن جرير (١٣١٠) بسند صحيح.
- (٧) أخرجه ابن جرير (١٣١١). [وسنده حسن].
- (٨) أخرجه ابن جرير (١٣١٢). [وسنده جيد].
- (٩) من (ز) و(ن).
- (١٠) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد].
- (١١) ساقط من (ز) و(ض).
- (١٢) في (ز) و(ض): «الفساد».
- (١٣) ساقط من (ج).
- (١٤) في (ن): «مما».
- (١٥) من (ن).

(وينبه)^(١) تعالى بإحياء الأرض بعد موتها على إعادة الأجسام بعد صيرورتها ريمماً؛ كما قال أبو داود الطيالسي^(٢): حدثنا شعبة، أخبرني يعلى بن عطاء؛ قال: سمعت وكيع بن عدس يحدث عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه؛ قال: قلت: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ قال: «أما مررت بواد ممحل، ثم مررت به خضراً؟ قال: بلى. قال: «كذلك النشور». أو قال: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾.

وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُمْ لَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٢٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس].

(٣) [مسألة]:

استدل لمذهب الإمام مالك في كون قول الجريح: فلان قتلني لوثاً^(٤) بهذه القصة؛ لأن القتل لما حيي سئل عن قتله، فقال: فلان قتلني؛ فكان ذلك مقبولاً منه؛ لأنه لا يخبر حينئذٍ إلا بالحق، ولا يتهم والحالة هذه. ورجحوا ذلك؛ لحديث^(٥) أنس أن يهودياً قتل جارية على أوضاع^(٦) لها، فرضخ رأسها بين حجرين؛ فقيل: من فعل بك هذا، أفلان؟ أفلان؟ حتى ذكروا اليهودي؛ فأومأت برأسها؛ فأخذ^(٣) [اليهودي، فلم يزل به حتى اعترف؛ فأمر رسول الله ﷺ أن يرض رأسه بين حجرين.

وعند مالك إذا كان لوثاً حلف أولياء القتل قسامةً، وخالف الجمهور في ذلك ولم يجعلوا قول القتل في ذلك لوثاً^(٧).

(١) في (ز) و(ن): «نبه»؛ وفي (ك): «وينبه».

(٢) في «مسند» (١٠٨٩) ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/٢٧٤)؛ وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنن» (٦٣٩)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٩/رقم ٤٧٠)؛ وأحمد في «المسند» (١١/٤، ١٢) من طريق محمد بن جعفر غندر، زاد أحمد: وعبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا شعبة بإسناده سواء؛ وأخرجه أحمد (١١/٤) من طريق حماد بن سلمة أنا يعلى بن عطاء به وزاد البيهقي: «وذلك آيته في خلقه». وهو حديث طويل عند أبي داود وابن ماجه بعضه. وسنده ضعيف، وويع بن حدس، بالحاء المهملة، ويقال: عدس، بالعين المهملة، وصوب الإمام أحمد في «المسند» (١١/٤) أنه بالحاء المهملة. وكذلك ترجمة الطبراني في «الكبير» (٢٠٤/١٩) قال: ويقال: عدس. وويع هذا قال الذهبي: «لا يعرف».

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) اللوث: أن يشهد شاهد واحد على إقرار المقتول قبل أن يموت أن فلاناً قتلني أو يشهد شاهدان على عداوة بينهما، أو تهديد منه له، أو نحوه.

(٥) أخرجه البخاري (٧١/٥، ٣٧١ و١٢/١٩٨، ٢١٣، ٢١٤)؛ ومسلم (١٧/١٦٧٢)؛ وأبو داود (٤٥٢٧)؛ والنسائي (٢٢/٨)؛ والترمذي (١٣٩٤)؛ وابن ماجه (٢٦٦٥)؛ والدارمي (١١٠/٢)؛ والطيالسي (١٩٨٦)؛ وأحمد (١٨٣/٣، ١٩٣، ٢٦٢، ٢٦٩)؛ وابن الجارود (٨٣٧، ٨٣٨)؛ وابن أبي عاصم في «الدييات» (ص ١٧٥)؛ والطحاوي في «شرح المعاني» (١٧٩/٣)؛ والبيهقي (٢٨/٨) من طرق عن قتادة، عن أنس. وقال الترمذي: «حسن صحيح» وله طريقان آخران عن أنس.

(٦) الأوضاح: حلي من قطع الفضة. (٧) ساقط من (ز) و(ض).

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٤).

يقول تعالى، توبيخاً لبني إسرائيل، وتقريعاً لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى وإحيائه الموتى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ كله؛ ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ التي لا تلين أبداً.

ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم؛ فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١٦١) [الحديد].

وقال العوفي في «تفسيره»^(١) عن ابن عباس: لما ضرب المقتول ببعض البقرة جلس أحيا ما كان قط، فقيل له: من قتلك؟ قال: بنو أخي قتلوني. ثم قبض؛ فقال بنو أخيه حين (قبض)^(٢): والله ما قتلناه، فكذبوا بالحق بعد (إذ)^(٣) رأوه. فقال الله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾^(٤) [يعني: (بني)^(٥) أخي الشيخ]^(٤)، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ فصارت قلوب بني إسرائيل مع طول الأمد قاسية بعيدة عن الموعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات؛ فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج للينها، أو أشد قسوة من الحجارة؛ فإن من الحجارة ما يتفجر منها العيون (الجارية بالأنهار)^(٦) ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء وإن لم يكن جارياً، ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية الله.

وفيه إدراك لذلك بحسبه؛ كما قال: ﴿تَسِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِيحُ بِحَيْدِهِ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء].

قال ابن أبي نجيح^(٧)، عن مجاهد: إنه كان يقول: كل حجر يتفجر منه الماء، أو (ينشق)^(٨) عن ماء، أو يتردى من رأس جبل لمن خشية الله، نزل بذلك القرآن.

وقال محمد بن^(٩) إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: وإن من الحجارة لألين من قلوبكم عما تدعون إليه من الحق، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

(١) أخرجه ابن جرير (١٣١٤)؛ وابن أبي حاتم (٧٦١) وسنده ضعيف.

(٢) كذا في سائر «الأصول»، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»؛ وفي (ن): «قبضه الله».

(٣) في (ن): «إن». (٤) ساقط من (ل).

(٥) كذا في (ز) و(ض)؛ وفي (ن): «أبناء»؛ وفي (ج) و(ع) و(ك) و(ي): «ابن».

(٦) في (ن): «بالأنهار الجارية».

(٧) أخرجه ابن جرير (١٣١٧)؛ وابن أبي حاتم (٧٦٩) من طريقين عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فذكره وسنده صحيح.

(٨) في (ز) و(ن) و(ي): «يتشقق». (٩) وأخرجه ابن أبي حاتم (٧٧٠). [وسنده حسن].

(^١) [وقال أبو علي (الجبائي) (^٢) في «تفسيره»: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ هو سقوط البرد من السحاب. قال القاضي الباقلاني: وهذا تأويل بعيد، وتبعه في استبعاده (فخر الدين) (^٣) الرازي؛ وهو كما قال: فإن هذا خروج عن (ظاهر) (^٤) اللفظ بلا دليل. والله أعلم] (^١).

وقال ابن أبي حاتم (^٥): حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الحكم بن هشام الثقفي، حدثني يحيى بن أبي طالب - (يعني: يحيى) (^٦) بن يعقوب - في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ الْجِبَارَةِ لَمَا يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ قال: كثرة البكاء. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ قال: قليل البكاء. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ قال: بكاء القلب من غير دموع العين.

(^٧) [وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ الْجِبَارَةِ لَمَا يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: كالعيون السارحة المشاهدة، تخرج من الأحجار عياناً، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ كحجر موسى الذي كان إذا ضربه نبع منه اثنا عشرة عيناً بإذن الله في ذلك، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: من رؤوس شواهد الجبال، وهذا كقوله: «أحد جبل يحبنا ونحبه»] (^٧).

(^٨) [وقد زعم بعضهم أن هذا من باب المجاز، وهو إسناد الخشوع إلى الحجارة، كما أسندت الإرادة إلى الجدار في قوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ [الكهف: ٧٧] قال (فخر الدين) (^٩) (الرازي) (^{١٠}) والقرطبي (^{١١}) وغيرهما من الأئمة: ولا حاجة إلى هذا؛ فإن الله تعالى يخلق فيها هذه الصفة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى﴾ (^٨) (^{١٢}) [الْأَسْمَانِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا] [الأحزاب: ٧٢] وقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ...﴾ الآية [الإسراء: ٤٤] وقال: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعُهُمْ يَنْفَعُهُمْ...﴾ الآية [النحل: ٤٨] ﴿فَالْتَأْتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] ﴿لَوْ أَرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ...﴾ الآية [الحشر: ٢١]، (^{١٣}) [﴿وَقَالُوا لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سَحَابٌ لَأَوَّلُ ذِي قُرْآنٍ لَطِيفٌ لَكُمْ فِيهِ خَبْرٌ﴾] الآية [الحجر: ٩٠] (^{١٤}) [﴿كُلُّ شَيْءٍ يَخْشَعُ لَهُ﴾] (^{١٥}) [فصلت: ٢١].

(^{١٥}) [وفي «الصحيح» (^{١٦}): «هذا جبل يحبنا ونحبه»] (^{١٥}) وكحنين الجذع (^{١٧}) المتواتر خبره] (^{١٢}).

- (١) ساقط من (ز) و(ض).
- (٢) في (ن): «الحياي»! وأشار في الحاشية أنه وقع في نسخة: «الجبائي».
- (٣) ساقط من (ن). وانظر «تفسير الرازي» (١٤١/٢). (٤) ساقط من (ج) و(ك) و(ن).
- (٥) في (تفسيره) (٧٦٥، ٧٧١) وهشام بن عمار تغير حفظه في آخر عمره. فكان إذا لقنوه قبل التلقين.
- (٦) في (ن): «يعني ويحيى» وذكر «الواو» خطأ. (٧) من (ج) و(ل).
- (٨) ساقط من (ز) و(ض).
- (٩) ساقط من (ن).
- (١٠) من (ن) وانظر «تفسير الرازي» (١٤٠/٢، ١٤١). (١١) في (تفسيره) (٤٦٥/١).
- (١٢) ساقط من (ز) و(ض).
- (١٣) هذه الآية ليست في (ي)، وكتب بدلها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْهُ أَتَى اللَّهُ يَسْجُدَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَالْقُرْآنِ وَالنَّجْمِ وَالْجِبَالِ﴾ الآية [الحج: ١٨].
- (١٤) لم يذكرها في (ن) وكتب بدلها: الآية.
- (١٥) ساقط من (ي).
- (١٦) أخرجه البخاري (٣/٣٤٣، ٣/٣٤٤؛ ٤/٨٨؛ ٦/٢٦٦؛ ٧/١١٥؛ ٨/١٢٥)؛ ومسلم (١١/١٣٩٢، ١٢).
- (١٧) ومن هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري (١/٥٤٣، ١/٥٤٤؛ ٤/٣١٩؛ ٦/٦٠١، ٦/٦٠٢).

(١١) [وفي «صحيح» مسلم]: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن».

وفي صفة الحجر (٣) الأسود أنه يشهد لمن استلمه بحق يوم القيامة (١).
(٤) [وغير ذلك مما في معناه.

(٥) [وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة «أبي عبد الله» (٦) الفيحي أو الفتحي] قال: سمعت أحمد بن عاصم الأنطاكي يقول: تكلمت بشيء من الحكمة بين يدي هذا العمود الحجر، فقطر العمود دماء! (٥).

قال: وخرجنا (مرة نريد دير مران) (٧)، ومعنا جماعة، منهم رجل معه في كفه محبرة، فتكلم رجل منا بشيء من الحكمة، فصاحت المحبرة صياحاً عالياً، وانفلقت! (٤).

تنبيه: اختلف علماء العربية في معنى قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ بعد الإجماع على استحالة كونها للشك؛ فقال بعضهم: «أو» ها هنا بمعنى الواو، تقديره: فهي كالحجارة وأشد قسوة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ عَائِماً أَوْ كَفُوراً﴾ [الإنسان: ٢٤]. (٨) ﴿عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾ [المرسلات] (٨) وكما قال النابغة (الذبياني) (٩):

(١٠) [قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد
تريد ونصفه؛ قاله ابن جرير.

وقال ابن جرير (١١) بن عطية:

نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر
قال ابن جرير: يعني: نال الخلافة، وكانت له قدراً (١٠).

(١٢) [وَحكى القرطبي (١٣) قولاً بالتخير؛ أي: شبهوها بهذا أو بهذا، مثل: جالس الحسن] (١٢)

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) يشير إلى ما رواه ابن عباس مرفوعاً: «ليبعثن الله الحجر يوم القيامة وله عيان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق».

أخرجه الترمذي (٩٦١)؛ وابن ماجه (٩٤٤)؛ والدارمي (٣٧٢/١)؛ وأحمد (٢٦٤٣)، ٢٧٩٦، ٢٧٩٧، ٣٥١١؛ وابن خزيمة (٢٧٣٤، ٢٧٣٥، ٢٧٣٦)؛ وأبو يعلى (٢٧١٩)؛ وابن حبان (٣٧١١، ٣٧١٢) وآخرون من طريق عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن» وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وعائشة ؓ.

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٦) من «تاريخ دمشق» (ج ١٩/ق ١٣٠) وأبو عبد الله الفيحي مجهول، والحكاية في غاية الغرابة.

(٧) كذا في (ع) و(ي) وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق» ولفظه: «خرجنا أيام البصري نريد دير مران»، و«دير مران»: موضع قرب دمشق كما في «معجم البلدان» (٢/٥٣٣) ووقع في (ج): «يزيد بن رومان»؛ وفي (ل): «يزيد ابن مروان».

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) ساقط من (ز) و(ض).

(١١) وانظر ديوانه (٢٧٥) وفيه: «نال الخلافة إذا كانت...».

(١٢) ساقط من (ز) و(ض) ووقعت هذه الفقرة في (ن) قبل: «تنبيه».

(١٣) في «تفسيره» (١/٤٦٣).

(١١) [أو] (٢) ابن سيرين، وكذا حكاه (فخر الدين) (٣) (الرازي) (٤) في «تفسيره» (٥)، وزاد قولاً آخر وهو أنها للإبهام بالنسبة إلى المخاطب؛ كقول القائل: أكلت خبزاً أو تمرأ؟ وهو يعلم أيهما أكل. وقولاً آخر: وهو أنها بمعنى قول القائل: (أكلي حلو أو حامض) (٦)؛ أي: لا يخرج عن واحد من هذين الشئين، والله أعلم (١).

وقال آخرون: «أو» ها هنا بمعنى «بل»؛ فتقديره: فهي كالحجارة؛ بل أشد قسوة. وكقوله: ﴿إِذَا فِرَقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧].

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ٤٧]، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ١٠].

وقال آخرون: معنى ذلك ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ عندكم؛ حكاه ابن جرير.

وقال آخرون: المراد بذلك الإبهام على المخاطب، كما قال أبو الأسود:

أحب محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصايا (٧)

فلإن يك حبهم رشداً أصبه (وليس) (٨) بمخطئ إن كان غيا

وقال ابن جرير: قالوا: ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكاً في أن حب من سمي رشد، ولكنه أبهم على (من) (٩) خاطبه؛ قال: وقد ذكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له: شككت؟ فقال: كلا والله، ثم انتزع بقول الله تعالى: ﴿وَلِنَّا أَوْ لِيَاكُم مَّا هَدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: ٢٤] فقال: أو كان شاكاً من أخبر بهذا (١٠) [في الهادي منهم من الضال] (١١).

وقال بعضهم: معنى ذلك: (فقلوبهم) (١١) لا تخرج عن أحد هذين المثلين؛ إما أن تكون مثل الحجارة في القسوة، وإما أن تكون أشد منها (قسوة) (١٢).

قال ابن جرير: ومعنى ذلك على هذا التأويل: فبعضها كالحجارة قسوة، وبعضها أشد قسوة من الحجارة.

وقد رجحه ابن جرير (١٣) مع توجيه غيره.

قلت: وهذا القول الأخير يبقى شبيهاً بقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] مع قوله: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩] وكقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَرَابٍ يَغِيغَةٍ﴾ [النور: ٣٩] مع قوله: ﴿أَوْ كَطُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ...﴾ الآية [النور: ٤٠] أي: إن منهم من هو هكذا؛ ومنهم من هو هكذا. والله أعلم.

(١) ساقط من (ز) و(ض) ووقعت هذه الفقرة في (ن) قبل: «تنبيه».

(٢) في (ج): «و»! (٣) ساقط من (ن).

(٤) ساقط من (ع). (٥) (١٣٨/٢).

(٦) في (ن): «كل حلو أو حامضاً». (٧) في «تفسير القرطبي»: «أو علياً».

(٨) هكذا في كل «الأصول»؛ وفي «الطبري» و«القرطبي»: «ولست» وهو الأنسب للسياق.

(٩) ساقط من (ج).

(١٠) في (ن): «من الهادي منهم ومن الضال»؛ وفي (ج): «فالهادي منهم...»؛ وفي (ز) و(ك): «من الضلال».

(١١) في (ز) و(ن): «فقلوبكم». (١٢) في (ن) و(ي): «في القسوة».

(١٣) في «تفسيره» (٢٣٧/٢).

وقال الحافظ أبو بكر^(١) بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي الثلج، حدثنا علي بن حفص، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن حاطب، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي». رواه الترمذي في «كتاب الزهد» من «جامعه» عن محمد بن عبد الله بن أبي الثلج صاحب الإمام أحمد، به.

ومن وجه آخر عن إبراهيم بن عبد الله بن الحارث بن حاطب، به. وقال: «غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم». ^(٢) [وروى البزار^(٣) عن أنس - مرفوعاً: «أربع من الشقاء: جمود العين، (وقساء)^(٤) القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا»]^(٥).

﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَلْعَنُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقِلُوا لَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أي: ينقاد لكم بالطاعة؟ هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود الذين شاهد آبائهم من الآيات البينات ما شاهدوه، ثم قست قلوبهم من بعد

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١١)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٩/رقم ٤٦٠٠، ٤٦٠١)؛ والواحدي في «الوسيط» (١/٢٧/٢)؛ وأبو جعفر الطوسي الفقيه الشيعي في «الأمالي» (ص ٢)، كما في «الضعيفة» (٩٢٠)، من طريق إبراهيم بن عبد الله بن حاطب عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر مرفوعاً... فذكره. قال الترمذي: «حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب». كذلك نقل المنذري (٥٣٨/٣) التحسين. ونقل المصنف هنا الغرابة دون التحسين، وكذلك هو في «أطراف المزي» (٤٤٥/٥)؛ و«تحفة الأحوذى» (٩٣/٧) وهو اللائق.

وصحح إسناده الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر في «عمدة التفسير» (١٦٨/١) والصواب أنه ضعيف الإسناد.

(٢) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) في «مسنده» (ج ٢/٢/٥٢) قال: حدثنا محمد بن أبي الحسن المصري، ثنا هاني بن المتوكل، ثنا عبد الله بن سليمان، عن إسحاق وأبان، عن أنس مرفوعاً فذكره وسقط ذكر «إسحاق» من «كشف الأستار» رقم (٣٢٣٠) وكذلك سقط لفظ «عن» بين «عبد الله بن سليمان» و«أبان».

وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/١٢٥) من طريق محمد بن سنان القزاز ثنا هاني بن المتوكل به، ولم يذكر «أبان بن أبي عياش». قال البزار بعد أن روى عدة أحاديث بهذا السند: «وعبد الله بن سليمان قد حدث بأحاديث لم يتابع عليها ولا نعلم روى هذه الأحاديث عن عبد الله إلا هاني بن المتوكل وإنما ذكرناها لأننا لا نحفظها من حديث غيره».

(*) قلت: وسنده ضعيف جداً.

(٤) كذا في (ج) و(ل) وهو الموافق لما في (البزار)؛ وفي (ع) و(ي): «قسوة؛ وفي (ن): «قساوة»؛ وفي (ك): «قساية»!

ذلك، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: فهموه على الجلية، ومع هذا يخالفونه على بصيرة، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله.

وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ ثَبَتَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

قال محمد بن إسحاق^(١): حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس - أنه قال: ثم قال الله تعالى لنبيه ﷺ ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ وليس قوله: (سمعوا التوراة)^(٢)، كلهم قد سمعها، (ولكنهم)^(٣) الذين سألو موسى رؤية ربهم، فأخذتهم الصاعقة فيها.

وقال محمد^(٤) بن إسحاق فيما حدثني بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى: يا موسى: قد حيل بيننا وبين رؤية (الله)^(٥) تعالى، فأسمعنا كلامه حين يكلمك، فطلب ذلك موسى إلى ربه تعالى؛ فقال: نعم، مرهم فليتطهروا، وليطهروا ثيابهم، ويصوموا. ففعلوا؛ ثم خرج بهم حتى أتوا الطور؛ فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى (أن يسجدوا)^(٦)، (فوقعوا سجوداً)^(٧)، وكلمه ربه (فلما سمعوا)^(٨) كلامه يأمرهم وينهاهم، حتى عقلوا (عنه)^(٩) ما سمعوا، ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل.

فلما جاءهم (حرّف)^(١٠) فريق منهم ما أمروا به، ^(١١) [وقالوا - حين قال موسى لبني إسرائيل: إن الله قد أمركم بكذا وكذا؛ قال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله -: إنما قال كذا وكذا، خلافاً لما قال الله ﷻ لهم]^(١١)؛ فهم الذين عنى الله لرسوله ﷺ.

وقال السدي^(١٢): ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: هي التوراة حرفوها.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٧٣). [وسنده حسن].

(٢) هكذا في كل «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم» (٧٧٥)؛ وفي (ز): «ليس قوله يسمعون كلام الله سمعوا التوراة» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (١٣٣٣) عن ابن إسحاق قوله. ومعنى الكلام: وليس قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥] أنهم يسمعون التوراة، فكلهم قد سمعها، ولكن المراد بهذه الآية الذين سألو موسى ﷺ رؤية ربهم.

(٣) في (ن): «ولكن هم».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٣٣٤)؛ وابن أبي حاتم (٧٧٧) من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق. [وسنده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق].

(٥) في (ن): «ربنا».

(٦) ليس في «تفسير الطبري» ولا في «ابن أبي حاتم».

(٧) من (ن) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (١٣٣٤)، و«ابن أبي حاتم» وسقط من باقي «الأصول».

(٨) في (ن): «فسموا».

(٩) في (ن): «منه».

(١٠) في (ك): «صرف»!

(١١) من (ن) وهو الموافق لما في «الطبري».

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٣٣٠)؛ وابن أبي حاتم (٧٧٩). [وسنده حسن].

وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن إسحاق؛ وإن كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق؛ فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله (أن) ^(١) يكون منه كما سمعه الكلبي موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] أي: مبلغاً إليه.

ولهذا قال قتادة ^(٢) في قوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه (ووعوه) ^(٣).

وقال مجاهد ^(٤): الذين يحرفونه والذين يكتُمونه (هم) ^(٥) العلماء منهم.

وقال أبو العالية ^(٦): عمدوا إلى ما أنزل الله في (نص) ^(٧) كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرفوه عن مواضعه.

وقال السدي ^(٨): ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: أنهم أذنوا.

وقال ابن وهب ^(٩): قال ابن زيد في قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها؛ يجعلون الحلال فيها حراماً، والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً، والباطل فيها حقاً، إذا جاءهم المحقق برسوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برسوة أخرجوا له ذلك الكتاب؛ فهو فيه محق. (وإن جاء) ^(١٠) أحد يسألهم (شيئاً) ^(١١) ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمره بالحق؛ فقال الله لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكُنْتُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ ^(١٢) [وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ] ^(١٣)... الآية.

قال محمد بن ^(١٤) إسحاق: حدثنا محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ أي: (بصاحبكم) ^(١٥) رسول الله ولكنه إليكم خاصة؛ وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا؛ فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم؛ فكان منهم؛ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُواهُمْ يَمَانًا فَمَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُخَاجِظَكُمْ بِهِ عَنِ رِبِّكُمْ﴾ أي: تقرون بأنه نبي؛ وقد علمتم أنه قد

(١) في (ج) و(ل): «لمن».

(٢) ساقط من (ج) و(ض) و(ل).

(٣) أخرجه ابن جرير (١٣٢٨، ١٣٢٩)؛ وابن أبي حاتم (٧٧٨) من طرق عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وسنده صحيح.

(٤) ساقط من (ج).

(٥) ساقط من (ز) و(ض) و(ك) و(ن) و(ي).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٣٣١) وسنده صحيح.

(٧) في (ز) و(ل): «وإن جاءهم»؛ وفي (ن): «وإذا جاءهم».

(٨) من (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(٩) من (ن).

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٣٣٧، ١٣٤٠). [وسنده حسن].

(١١) في (ن): «إن صاحبكم».

أخذ له الميثاق عليكم باتباعه، وهو يخبرهم أنه النبي الذي (كنا ننتظر)^(١)، ونجد في كتابنا، اجدوده ولا تقروا به؛ يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ﴿٧٥﴾. وقال الضحاك^(٢)، عن ابن عباس: يعني: المنافقين من اليهود؛ كانوا إذا لقوا أصحاب محمد ﷺ قالوا: آمنا.

وقال السدي^(٣): هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا؛ وكذا قال الربيع^(٤) بن أنس، وقتادة^(٥)، وغير واحد من السلف والخلف، حتى قال عبد الرحمن^(٦) بن زيد بن أسلم فيما رواه ابن وهب عنه: كان رسول الله ﷺ قد قال: «لا يدخلن علينا قسبة المدينة إلا مؤمن»؛ فقال رؤسائهم من أهل الكفر والنفاق: اذهبوا فقولوا: آمنا، واكفروا إذا رجعت إلينا؛ فكانوا يأتون المدينة بالبكر، ويرجعون إليهم بعد العصر. وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكَتِبِ آمِنُوا بِالَّذِي نَزَّلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ الْفَارِغِ وَآخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ [آل عمران] وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة: نحن مسلمون، ليعلموا خبر رسول الله ﷺ وأمره؛ فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر؛ فلما أخبر الله نبيه ﷺ قطع ذلك عنهم، فلم يكونوا يدخلون؛ وكان المؤمنون يظنون أنهم مؤمنون، فيقولون: أليس قد قال الله لكم كذا وكذا؟ فيقولون: بلى؛ فإذا رجعوا إلى قومهم (يعني: الرؤساء)^(٧)؛ فقالوا: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ...﴾ الآية.

وقال أبو العالية^(٨): ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: بما أنزل عليكم في كتابكم من نعت محمد ﷺ.

وقال عبد الرزاق^(٩)، عن معمر، عن قتادة: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ قال: كانوا يقولون: سيكون نبي. فخلا بعضهم ببعض، فقالوا: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

قول آخر في المراد بالفتح: قال ابن جريج^(١٠): حدثني القاسم بن أبي (بزة)^(١١)، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: قام النبي ﷺ يوم قريظة تحت حصونهم؛

(١) في (ج) و(ل): «كان ينتظر».

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣٣٨)؛ وابن أبي حاتم (٧٨٤) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٨٣). [وسنده جيد].

(٤) أخرجه عبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» (٨١/١).

(٥) أخرجه ابن جرير (١٣٤٩) وسنده ضعيف جداً، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم تالف، ثم هو معضل.

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) أخرجه ابن جرير (١٣٤١)؛ وابن أبي حاتم (٧٨٦). [وسنده جيد].

(٨) في «تفسيره» (٥٠/١) ومن طريقه ابن جرير (١٣٤٣) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة؛ وأخرجه ابن جرير

(١٣٤٢) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وكلاهما صحيح.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٣٤٧) وهو مرسل صحيح الإسناد.

وأخرجه مجاهد في «تفسيره» (ص ٢٠٧) ومن طريقه ابن جرير (١٣٤٥، ١٣٤٦)؛ وابن أبي حاتم (٧٨٧) من

طرق عن ابن أبي نجيع عن مجاهد مثله.

(١١) في (ن): «برزة»! وهو خطأ.

فقال: يا إخوان القردة والخنازير، ويا عبدة الطاغوت فقالوا: من أخبر بهذا الأمر محمداً؟ ما خرج هذا (الأمر)^(١) إلا منكم؛ ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بما حكم الله للفتح؛ ليكون لهم حجة عليكم.

قال ابن جريج، عن مجاهد: هذا حين أرسل إليهم علياً، فأذوا محمداً ﷺ^(٢).

وقال السدي^(٣): ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من العذاب ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ هؤلاء ناس من اليهود آمنوا، ثم نافقوا؛ فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به؛ فقال بعضهم لبعض: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من العذاب، ليقولوا: نحن أحب إلى الله منكم، وأكرم على الله منكم.

وقال عطاء الخراساني^(٤): ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: بما قضى لكم وعليكم.

وقال الحسن البصري^(٥): هؤلاء اليهود كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قال بعضهم: لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم، مما في كتابكم ليحاجوكم به عند ربكم فيخصموكم.

وقوله (تعالى)^(٦): ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ قال أبو العالية^(٧): يعني ما أسروا من كفرهم بمحمد ﷺ، وتكذيبهم به، وهم يجدونه مكتوباً عندهم؛ وكذا قال قتادة^(٨).

وقال الحسن^(٩): ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ قال: كان ما أسروا أنهم كانوا إذا تولوا عن أصحاب محمد ﷺ، وخلا بعضهم إلى بعض، (تناهوا)^(١٠) أن (يخبر أحد)^(١١) منهم أصحاب محمد ﷺ بما فتح الله عليهم مما في كتابهم خشية أن يحاجهم أصحاب محمد ﷺ بما في كتابهم عند ربهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يعني: حين قالوا لأصحاب محمد ﷺ: آمنا.

وكذا قال أبو العالية^(١٢)، والربيع^(١٣)، وقتادة^(١٤).

(١) في (ز) و(ن): «القول» ولا توجد هذه الكلمة في «تفسير الطبري».

(٢) [أخرجه الطبري وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من مجاهد].

(٣) أخرجه ابن جرير (١٣٤٨)؛ وابن أبي حاتم (٧٨٨) وسنده حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٨٩) وسنده ضعيف. (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٩٠) وسنده ضعيف.

(٦) من (ن).

(٧) أخرجه ابن جرير (١٣٥١)؛ وابن أبي حاتم (٧٩١). [وسنده جيد].

(٨) أخرجه ابن جرير (١٣٥٠). [وسنده جيد].

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٩٢). [وسنده مرسل ويتقوى بما يليه].

(١٠) ساقط من (ج).

(١١) كذا في (ز) و(ع) و(ن) و(ي) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»؛ وفي (ج) و(ض): «يخبر واحد»؛ وفي (ك) و(ل): «تخبروا أحداً».

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٣٥١)؛ وابن أبي حاتم (٧٩٣). [وسنده جيد].

(١٣) [وهو مرسل ويتقوى بسابقه ولاحقه].

وكتب في هامش (ع) عند هذا الموضع: «بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضاً بأصله، فسح الله في مدته».

(١٤) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة لكنه مرسل ويشهد له ما سبق].

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨) ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩).

يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ (أُمِّيُونَ) ^(١) أي: ومن أهل الكتاب؛ قاله مجاهد ^(٢).

والأميون: جمع أمي، وهو الرجل الذي لا يحسن الكتابة؛ قاله أبو العالية، والربيع، وقتادة، وإبراهيم ^(٣) النخعي، وغير واحد؛ وهو ظاهر في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ (إِلَّا أَمَانٍ) أي: لا يدرون ما فيه.

ولهذا في صفات النبي ﷺ: أنه الأمي؛ لأنه لم يكن يحسن الكتابة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُو بِمِصْرِكَ إِذَا لِأَرْتَابِ الْمُبْتُلُونَ﴾ [العنكبوت] وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب: الشهر هكذا وهكذا وهكذا...» الحديث ^(٤)؛ أي: لا نفتقر في عبادتنا ومواقيتنا إلى كتاب ولا حساب.

وقال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] وقال ابن جرير ^(٥): نسبت العرب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتاب دون أبيه.

قال: وقد روي عن ابن عباس ^(٦) قول خلاف هذا، وهو ما حدثنا به أبو كريب: حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس - في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ قال: الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم؛ ثم قالوا لقوم سفلة جهال: هذا من عند الله.

وقال ^(٧): قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله.

ثم قال ابن جرير ^(٧): وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم، وذلك أن الأمي عند العرب الذي لا يكتب.

قلت: ثم في صحة هذا عن ابن عباس بهذا الإسناد نظر، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمَانٍ﴾ قال ابن أبي طلحة ^(٨)، عن ابن عباس: ﴿إِلَّا أَمَانٍ﴾ إلا أحاديث.

(١) ساقط من (ج).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣٥٤) من طريق ابن جريج عن مجاهد قال: «أناس من اليهود». وسنده ضعيف لتدليس ابن جريج، وإنما يروي ابن جريج التفسير عن مجاهد بواسطة.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٣٥٦)؛ وابن أبي حاتم (٧٩٦) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (١٢٦/٤)؛ ومسلم (١٥/١٠٨٠)؛ وأبو عوانة (ص ١٠١ - القسم المتمم)؛ وأبو داود (٢٣١٩)؛ والنسائي (١٤٠/٤)؛ وأحمد (٤٣/٢)؛ وابن أبي شيبه (٨٥/٣)؛ والبيهقي (٤/٢٥٠)؛ (٤٢/٧) من طرق عن شعبة، ثنا الأسود بن قيس، قال: سمعت سعيد بن عمرو يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: فذكره مرفوعاً.

(٥) في «تفسيره» (٢٥٩/٢).

(٧) في «تفسيره» (٢٥٩/٢).

(٨) أخرجه ابن جرير (١٣٧٠)؛ وابن أبي حاتم (٧٩٧).

وقال الضحاك^(١)، عن ابن عباس - في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ يقول: إلا قولاً يقولون بأفواههم كذباً.

وقال مجاهد^(٢): إلا كذباً.

وقال سنيد^(٣)، عن حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ قال: أنا من (يهود)^(٤) لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله، ويقولون: هو من الكتاب، أمانى يتمنونها.
وعن الحسن البصري^(٥) نحوه.

وقال أبو العالية^(٦)، والربيع، وقتادة^(٧): ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ يتمنون على الله ما ليس لهم.

وقال عبد الرحمن^(٨) بن زيد بن أسلم: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ قال: تمنوا، فقالوا: نحن من أهل الكتاب وليسوا منهم.

قال ابن جرير^(٩): والأشبه بالصواب قول الضحاك عن ابن عباس؛ (وقول)^(١٠) مجاهد: إن الأميين الذين وصفهم الله (تعالى)^(١١) (أنهم)^(١٢) لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى شيئاً، ولكنهم يتخرصون الكذب، ويتخرصون الأباطيل كذباً وزوراً؛ والتمني في هذا الموضع: هو تخلق الكذب وتخرصه؛ ومنه الخبر المروي عن عثمان^(١٣) بن عفان رضي الله عنه: «ما تغنيت ولا تمنيت» يعني: ما تخرصت الباطل ولا اختلقت الكذب.

(١) أخرجه ابن جرير (١٣٦٥) وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣٦٦، ١٣٦٧)؛ وابن أبي حاتم (٧٩٩) وهو صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٣٧١) وسنده ضعيف. (٤) في (ن): «اليهود».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٠٢) بسند ضعيف عن الحسن قال: «هؤلاء ناس من اليهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً كما قال الله فكانوا يتكلمون بالظنون بغير ما في كتاب الله ويقولون: هو من الكتاب، أمانى يتمنونها».

(٦) أخرجه ابن جرير (١٣٧٢)؛ وابن أبي حاتم (٧٩٨) وسنده حسن.

(٧) أخرجه عبد الرزاق (٥٠/١) ومن طريقه ابن جرير (١٣٦٩) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة... فذكره؛ وأخرجه ابن جرير (١٣٦٨) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وكلاهما صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٣٧٣) وسنده صحيح. (٩) في «تفسيره»: (١/٢٦٢).

(١٠) في (ن): «وقال».

(١١) في (ج): «في أنهم».

(١٢) أخرجه ابن أبي عمر العدني في «مسنده»، كما في «زوائد البوصيري على ابن ماجه» (١/١٣٣)، ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٢٢٥/١٣)؛ وابن ماجه (٣١١) قال: حدثنا علي بن محمد قال: ثنا وكيع، ثنا الصلت بن دينار، عن عقبة بن صهبان سمعت عثمان رضي الله عنه يقول... فذكره وبقيته الخبر: «ولا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله ﷺ». وتوبع وكيع. تابعه المعتمر بن سليمان، قال: سمعت الصلت بن دينار يحدث عن عقبة بن صهبان قال: أتيت عثمان فلم أر عنده شرطياً ولا جلوازاً، فسمعتة يقول... وذكره. أخرجه ابن المنذر في «الأوسط» (٣٣٩/١، ٣٤٠) قال: حدثنا حاتم بن يونس الجرجاني، ثنا عبد الأعلى بن حماد، ثنا المعتمر بن سليمان به.

وهذا سند ضعيف جداً، والصلت بن دينار متروك الحديث.

(١) [وقيل: المراد بقوله: إلا أمانى بالتشديد والتخفيف أيضاً؛ أي: إلا تلاوة؛ فعلى هذا يكون استثناءً منقطعاً؛ واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ﴾ [الحج: ٥٢] أي: تلا ﴿أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...﴾ الآية [الحج: ٥٢] وقال كعب بن (٢) مالك الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليلة وأخره لاقى حمام المقادر (١)
(٣) [وقال آخر:

تمنى كتاب الله آخر ليلة تمنى داود (الكتاب) (٤) على رسل (٣)

وقال محمد بن إسحاق (٥): حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿لَا يَعْلَمُونَ أَلَكُتَبَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَطْنُونَ﴾ أي: (٦) [ولا يدرون ما فيه، (وهم يجدون نبوتك) (٧) بالظن.

وقال مجاهد (٨): ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَطْنُونَ﴾ (٦) يكذبون.

وقال قتادة (٩)، وأبو العالية (١٠)، والربيع (١١): يظنون بالله الظنون بغير الحق.

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ أَلَكُتَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية: هؤلاء صنف آخر من اليهود، وهم الدعاة إلى الضلال بالزور والكذب على الله، وأكل أموال الناس بالباطل.

والويل: الهلاك والدمار؛ وهي كلمة مشهورة في اللغة.

وقال سفيان الثوري (١٢)، عن زياد بن فياض: سمعت أبا عياض يقول: ويل: صديد في أصل جهنم.

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) كذا نسبه لكعب، والمشهور أن قائله حسان بن ثابت رضي الله عنه، وكذا نسبه إليه جماعة. وانظر «تفسير الفخر الرازي» (٥٢/١٢)؛ و«البحر المحيط» (٣٨٢/٦) لأبي حيان، و«اللسان» وغيرها.

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) كذا في «الأصول»، ووقع في «البحر المحيط» (٣٨٢/٦)؛ وفي «تفسير القرطبي» (٦/٢)؛ وفي «تفسير ابن عطية» (٣٠٤/١٠)؛ وفي «تفسير القاسمي» (ص ٤٣٦٦)؛ وفي «روح المعاني» (١٧٣/١٧)؛ وفي «أضواء البيان» (٧٢٧/٥): «الزبور» بدل «الكتاب» وهذا البيت نسبه الألوسي في «روح المعاني» لحسان بن ثابت!

(٥) أخرجه ابن جرير (١٣٧٧). [وسند ابن إسحاق حسن].

(٦) ساقط من (ض).

(٧) كذا في سائر النسخ؛ وفي «الطبري»: «يجحدون نبوتك». ووقع في (ل): «يحدثون فنونك»!!

(٨) في «تفسيره» (ص ٢٠٧، ٢٠٨) ومن طريقه ابن جرير (١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦)؛ وابن أبي حاتم (٧٩٩، ٨٠١). [وسنده صحيح].

(٩) أخرجه ابن جرير (١٣٧٨). [وسنده صحيح].

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٣٧٩)؛ وابن أبي حاتم (٨٠٠). [وسنده جيد].

(١١) أخرجه ابن جرير (١٣٨٠). [بسندين أحدهما جيد].

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٣٨٢) عن ابن مهدي، و(١٣٨٣) عن وكيع، و(١٣٨٤) عن زيد بن أبي الزرقاء؛ وابن أبي حاتم (٨٠٤) عن ابن مهدي، وابن المبارك في «الزهد» (٣٣٣ - رواية نعيم) قالوا: ثنا سفيان الثوري بسنده سواء. وما ذكره المصنف هو لفظ رواية ابن مهدي، عن الثوري. وهذا سند صحيح، وقد خولف =

وقال عطاء بن يسار^(١): الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت.

وقال ابن أبي حاتم^(٢): حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره». ورواه الترمذي^(٣) عن عبد بن حميد، عن الحسن بن موسى، عن ابن لهيعة، عن دراج، به. وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة».

قلت: لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترى، ولكن الآفة ممن بعده؛ وهذا الحديث بهذا الإسناد - مرفوعاً - منكر، والله أعلم.

وقال ابن جرير^(٤): حدثنا المثنى، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام (بن)^(٥) صالح (القشيري)^(٦)، حدثنا علي بن جرير، عن حماد بن سلمة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن كنانة العدوي، عن عثمان بن عفان (رضي الله تعالى عنه)^(٧)، عن رسول الله ﷺ: «قَوِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» قال: «الويل جبل في النار»؛ وهو الذي أنزل في اليهود؛ لأنهم حرفوا التوراة زادوا فيها ما أحبوا ومحووا منها ما يكرهون، ومحووا اسم محمد ﷺ من التوراة؛ ولذلك غضب الله عليهم، فرفع بعض التوراة، فقال تعالى: «قَوِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» وهذا غريب أيضاً جداً.

= الثوري خالفه الأعمش فرواه عن زياد بن فياض، عن أبي عياض، عن ابن عباس قال: «ويل واد في جهنم لا يعلمه إلا الله». فجعله من قول ابن عباس.

أخرجه أسد بن موسى في «الزهد» (١٦ - بتحقيقي) قال: ثنا قيس بن الربيع، عن الأعمش. وقيس ضعيف الحفظ.

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣٢ - رواية نعيم)؛ وابن جرير (١٣٩٦)؛ وابن أبي حاتم (٨٠٥)؛ وأبو محمد الفاكهي في «حديث يحيى بن أبي مسرة عن شيوخه» (رقم ٨ - بتحقيقي)، ومن طريقه البيهقي في «البعث» (٤٦٨) من طريق سعيد بن أبي أيوب، حدثني محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار فذكره. وسنده جيد.

(٢) في «تفسيره» (٨٠٣).

وأخرجه ابن المبارك في «المسند» (١٣٤)؛ وفي «الزهد» (٣٣٤ - رواية نعيم)؛ وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٢/١٤٢)؛ وابن جرير (٣٧٨/١؛ ٩٧/٢٩)؛ وابن حبان (٧٤٦٧)؛ والحاكم (٥٠٧/٢؛ ٤/٥٩٦)؛ والبيهقي في «البعث» (٤٦٥، ٤٦٦) من طريق عمرو بن الحارث، بسنده سواء.

(٣) في «سننه» (٢١٦٤) قال: حدثنا عبد بن حميد. وهذا في «المنتخب من المسند» (٩٢٤) عن الحسن بن موسى به؛ وأخرجه أحمد (٧٥/٣)؛ وأسد بن موسى في «الزهد» (١٥)؛ وأبو يعلى في «المسند» (١٣٨٣) من طريق حسن بن موسى الأشيب عن ابن لهيعة به وتابعه كامل بن طلحة الجحدري، ثنا ابن لهيعة، ثنا دراج بسنده سواء؛ أخرجه البيهقي في «البعث» (٤٨٧).

وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي! وليس كما قالا، لأن رواية دراج عن أبي الهيثم ضعيفة، كما نص على ذلك غير واحد من الحفاظ.

(٤) في «تفسيره» (١٣٨٦، ١٣٩٥). وهذا خبر منكر.

(٥) في (ن): «ثنا» وهو خطأ فاحش.

(٦) في «تفسير الطبري»: «التستري».

(٧) في (ل). ولم يذكر في (ن) قوله: «تعالى».

(١) [وعن ابن عباس: الويل: (المشقة)^(٢) من العذاب. وقال الخليل بن أحمد: الويل شدة الشر. وقال سيويه: «ويل»: لمن وقع في الهلكة، «وويح»: لمن أشرف عليها؛ وقال الأصمعي: الويل: تفجع. (والويح)^(٣): ترحم. وقال غيره: الويل الحزن.

وقال الخليل: وفي معنى «ويل» و«ويح» و«ويس» و«ويه» و«ويك» و«ويت». ومنهم من فرق بينها. وقال بعض النحاة: إنما جاز الابتداء بها وهي نكرة؛ لأن فيها معنى الدعاء. ومنهم من جوز نصبها لمعنى ألزمهم ويلاً.

قلت: لكن لم يقرأ بذلك أحداً^(١).

وعن عكرمة^(٤)، عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قال: هم أحبار اليهود. وكذا قال سعيد^(٥)، عن قتادة: هم اليهود.

وقال (وكيع في «تفسيره»: حدثنا)^(٦) سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن علقمة: سألت ابن عباس رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قال: نزلت في المشركين وأهل الكتاب.

وقال السدي^(٧): كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه من العرب، ويحدثونهم أنه من عند الله (فيأخذوا)^(٨) به ثمناً قليلاً.

وقال الزهري^(٩): أخبرني عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، أنه قال: يا معشر المسلمين؛ كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتاب الله الذي أنزله على نبيه أحدث أخبار الله تقرؤونه (غضباً)^(١٠) لم يشب، وقد حدثكم الله (تعالى)^(١١) أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب؛ وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؛ ولا والله ما رأينا منهم أحداً قط سألكم عن الذي أنزل عليكم. رواه البخاري من طرق عن الزهري.

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري^(١٢): الثمن القليل: الدنيا بحذافيرها.

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) في (ج) و(ل): «السعير».

(٣) في (ج) و(ل): «الويل» وهو سبق قلم.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٠٦) وسنده قوي.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٣٩٢) وسقط ذكر سعيد بن أبي عروبة من الإسناد عنده، فليستدرك من هنا.

(٦) من (ع) وعزاه السيوطي في «الدر» (٨٢/١) إلى وكيع في «تفسيره».

وأخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٤١٢)؛ والنسائي في «التفسير» (١١) من طريقين عن وكيع بسنده

سواء وليس عندهما ذكر للمشركين. وعزاه السيوطي في «الدر» إلى ابن المنذر.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٣٨٨)؛ وابن أبي حاتم (٨٠٧).

(٨) في (ز): «ليأخذوا».

(٩) أخرجه البخاري (٢٩١/٥) و(٣٣٣/١٣، ٣٣٤، ٤٩٦).

(١٠) أشار في (ع) أن في نسخة: «محضاً» وهي رواية البخاري وسائر المخرجين ما عدا ابن أبي حاتم فاختر

المصنف روايته وكتبها ابن المحب في (ج) بخط دقيق فوق «غضباً».

(١١) من (ز) و(ن).

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٥٦، ٨١٥)؛ وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٤٩٧) وفي سنده هارون بن يزيد، =

وقوله (تعالى)^(١): ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ أي: فويل لهم مما كتبوا بأيديهم من الكذب والبهتان والافتراء، وويل لهم مما أكلوا به من السحت، كما قال الضحاك^(٢)، عن ابن عباس (رضي الله عنه)^(٣) ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ يقول: فالعذاب عليهم من الذي كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ يقول: مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَنْيَامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠).

يقول تعالى، إخباراً عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لأنفسهم؛ من أنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة، ثم ينجون منها؛ فرد الله عليهم ذلك بقوله (تعالى)^(٤): ﴿قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ أي: بذلك؛ فإن كان قد وقع (عهد)^(٥) فهو لا يخلف (وعده)^(٦) ولكن هذا ما جرى ولا كان؛ ولهذا أتى بـ«أم» التي بمعنى: «بل»؛ أي: بل تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه. قال محمد بن إسحاق^(٧)، عن سيف بن سليمان، عن مجاهد، عن ابن عباس: إن اليهود كانوا يقولون (إن)^(٨) هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب بكل (ألف)^(٩) سنة يوماً في النار، وإنما هي سبعة أيام معدودة؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَنْيَامًا مَعْدُودَةً...﴾ إلى قوله: ﴿خُلِدُوا﴾ [البقرة: ٨٢].

ثم رواه^(١٠) عن محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس بنحوه. وقال العوفي^(١١)، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَنْيَامًا مَعْدُودَةً﴾ اليهود قالوا: لن تمسنا النار إلا أربعين ليلة.

^(١٢) [زاد غيره: وهي مدة عبادتهم العجل. وحكاها القرطبي^(١٣) عن ابن عباس، وفتادة^(١٢)].

= وعند ابن أبي الدنيا «زيد». وهارون بن يزيد هو عندي البصري الذي ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٢٠/٢/٤) وقال: «عن حدثه عن أبي هريرة» وذكره ابن حبان في «الثقات» (٥٧٩/٧) وقال: «يروى عن رجل عن أبي هريرة».

وظاهر من ترجمته أنه مجهول، والله أعلم.

(١) من (ز) و(ن). (٢) أخرجه ابن جرير (١٣٩٨) وسنده ضعيف.

(٣) من (ن). (٤) من (ن).

(٥) من (ز) و(ن).

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ل) و(ي)؛ وفي (ز) و(ض) و(ن): «عهده».

(٧) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ١١/رقم ١١٦٠) من طريق محمد بن حميد الرازي، ثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق بسنده سواء. وسنده ضعيف جداً وسكت عليه الهيثمي في «المجمع» (٣١٤/٦).

(٨) من (ن). (٩) ساقط من (ج) و(ل).

(١٠) يعني: محمد بن إسحاق وقد رواه عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس.

أخرجه ابن جرير (١٤١٠، ١٤١١)؛ وابن أبي حاتم (٨١٨). [وسنده حسن].

(١١) أخرجه ابن جرير (١٤٠٥) وسنده ضعيف. (١٢) ساقط من (ز) و(ض).

(١٣) في «تفسيره» (١٠/٢).

وقال الضحاك^(١): قال ابن عباس: زعمت اليهود أنهم وجدوا في التوراة مكتوباً أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم التي هي نابتة في أصل الجحيم، وقال أعداء الله: إنما نعذب حتى ننهي إلى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً﴾.

وقال عبد الرزاق^(٢)، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً﴾ يعني: الأيام التي عبدنا فيها العجل.

وقال عكرمة^(٣): خاصمت اليهود رسول الله ﷺ، فقالوا: لن ندخل النار إلا أربعين ليلة، وسيخلفنا (إليها)^(٤) قوم آخرون - يعنون محمداً ﷺ وأصحابه ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ بيده على (رؤوسهم)^(٥) بل أنتم خالدون مخلدون لا يخلفكم (إليها)^(٤) أحد؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً...﴾ الآية.

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه^(٦) رحمه الله: حدثنا (عبد الله)^(٧) بن جعفر، حدثنا محمد بن محمد بن صخر، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ، حدثنا ليث بن سعد، حدثني سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)^(٨)؛ قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم؛ فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا لي من كان من اليهود ها هنا». فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم!» قالوا: فلان. قال: «كذبتكم، بل أبوكم فلان». فقالوا: صدقت وبررت. ثم قال لهم: «هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبتك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أهل النار؟» فقالوا: نكون فيها يسيراً، ثم (تخلفونا)^(٩) فيها. فقال لهم رسول الله ﷺ: «اخسئوا، والله لا نخلفكم فيها أبداً».

ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟ فقالوا: نعم. قال: «فما حملكم على ذلك؟» فقالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرّك.

ورواه الإمام أحمد والبخاري، والنسائي، من حديث الليث بن سعد بنحوه.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٢٢) وسنده ضعيف. ثم أخرجه (٨١٩) من طريق آخر عن الضحاك عن ابن عباس نحوه. وسنده منقطع.

(٢) في «تفسيره» (٥١/١) ومن طريقه ابن جرير (١٤٠٠)؛ وابن أبي حاتم (٨٢١)؛ وأخرجه ابن جرير (٦٧٨٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة وكلاهما صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٤٠٦)؛ وابن أبي حاتم (٨٢٠) من طريق حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة. والعدني متروك، ولكن تابعه ابن جريج قال: أخبرني الحكم بن أبان، عن عكرمة فذكره؛ أخرجه ابن جرير أيضاً (١٤٠٧) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج. والحكم بن أبان متماسك، وفيه مقال.

(٤) في (ن): «فيها». (٥) في (ك): «رؤوسه».

(٦) أخرجه البخاري في «الطب» (٢٤٤/١٠، ٢٤٥). (٧) في (ن): «عبد الرحمن» وهو خطأ.

(٨) من (ج) و(ض) و(ع)؛ وفي (ل): «رضي الله تعالى عنه».

(٩) في (ل): «تخلفون».

﴿بَكَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾ (٨٢)

يقول تعالى: ليس الأمر كما تمنيتم، ولا كما تشتهون؛ بل الأمر أنه من عمل سيئة وأحاطت به خطيئته، وهو من وافى يوم القيامة وليست له حسنة؛ بل جميع أعماله سيئات؛ فهذا من أهل النار. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(١) بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، من العمل الموافق للشرعة، فهم من أهل الجنة.

وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝﴾ [النساء].

قال محمد بن إسحاق^(٢): حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس: ﴿بَكَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ أي: عمل (بمثل)^(٣) أعمالكم، وكفر بمثل ما كفرتم به، حتى يحيط به كفره، فما له من حسنة.

وفي رواية^(٤) عن ابن عباس: قال: الشرك.

قال ابن أبي حاتم^(٥): وروى عن أبي وائل^(٦)، وأبي العالية، ومجاهد^(٧)، وعكرمة، والحسن، وقتادة^(٨)، والربيع بن أنس^(٩)، نحوه.

وقال الحسن^(١٠) أيضاً، والسدي^(١١): السيئة الكبيرة من الكبائر.

وقال ابن جريج^(١٢)، عن مجاهد: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ قال: بقلبه.

- (١) في (ن): «والذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ أي: آمنوا بالله ورسوله... إلخ».
- (٢) أخرجه ابن إسحاق، كما في «الدر المنثور» (١/٨٥)، ومن طريقه ابن جرير (١٤٢٠)؛ وابن أبي حاتم (٨٢٧) من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق. [وسنده حسن].
- (٣) هكذا في سائر «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»؛ وفي (ز) و(ن): «مثل» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».
- (٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/٨٢٧) وسندها ضعيف جداً، والنضر بن عبد الرحمن الخزاز قال ابن معين: «لا يحل لأحد أن يروى عنه» وتركه النسائي وابن نمير وقال أبو نعيم الفضل ابن دكين: «لا يسوى هذا» ورفع شيئاً من الأرض، كان يجيء فيجلس عند الحمانى، وكل شيء يسئل عنه يقول: عكرمة، عن ابن عباس. وضعفه سائر النقاد.

(٥) في «تفسيره» (ص ٢٥١ - البقرة).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٤٢١) ووکیع في «كتاب الزهد» (٥٩) وسنده حسن.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٧) وهو صحيح.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/٥١)، ومن طريقه ابن جرير (١٤٢٥) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة؛ وأخرجه ابن جرير (١٤٢٤) عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٤٢٨).

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٤٢٦) ولفظه: «أما السيئة، فهي الذنوب التي وعد عليها النار».

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٢٩) وسنده ضعيف، لتدليس ابن جريج، وما أظنه سمعه مجاهداً، ولم أجد له رواية عنه وإنما سمع منه حرفاً واحداً، والله أعلم.

وقال أبو هريرة^(١) وأبو وائل، وعطاء، والحسن: ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ قالوا: أحاط به شره.

وقال الأعمش^(٢)، عن أبي رزين، عن الربيع بن خثيم: ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ قال: الذي يموت على خطايا من قبل أن يتوب.

وعن السدي^(٣)، وأبي رزين^(٤) نحوه.

وقال أبو العالية^(٥)، ومجاهد^(٦)، والحسن - في رواية عنهما -، وقتادة^(٧)، والربيع بن أنس^(٨): ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ (الكبيرة الموجبة)^(٩).

وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى، والله أعلم.

ونذكرها هنا الحديث الذي رواه الإمام^(١٠) أحمد حيث قال: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٣١) من طريق يحيى بن أبي بكير، عن أبي بكر بن عياش، عن يحيى بن أيوب، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة فذكره.

قال المحقق «تفسير ابن أبي حاتم»: «في إسناده مجاهيل» كذا قال وكلهم معروفون، بل من رجال «التهذيب» إلا شيخ ابن أبي حاتم، وهو عبد الله بن إسماعيل البغدادي، فلا أجزم فيه بشيء وأظنه المدائني البزاز المترجم في «الجرح والتعديل» (٤/٢/٢)؛ و«تاريخ بغداد» (٤١٠/٩) والله أعلم. وأما أثر عطاء فأخرجه ابن جرير (١٤٤٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٣٢) وابن جرير (١٤٣٠، ١٤٣٨) من طرق عن الأعمش وقد صرح الأعمش بالتحديث عند ابن جرير فإسناده صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٤٤١) وسنده حسن.

(٤) أخرجه وكيع في «الزهد» (٥٨)؛ وابن جرير (١٤٣٧) من طريق الثوري، عن الأعمش، عن أبي رزين؛ وأخرجه وكيع (٥٨)؛ وابن جرير (١٤٣٩) عن الأعمش قوله.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٣٣). [وسنده جيد].

(٦) أخرجه ابن جرير (١٤٣٦) وسنده صحيح.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥١/١)، ومن طريقه ابن جرير (١٤٣٤) قال: أخبرنا معمر بن راشد، عن قتادة؛ وأخرجه ابن جرير (١٤٣٣) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وكلاهما صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٤٤٠). [وسنده ضعيف ويتقوى بما سبق].

(٩) في (ن): «الموجبة الكبيرة».

(١٠) في «مسنده» (٣٨١٨)؛ وفي «الزهد» (ص ١٤، ١٥) قال: حدثنا سليمان بن داود الطيالسي، وهذا في «مسنده» (٤٠٠) وعنه أبو الشيخ في «الأمثال» (٣١٩)؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٢/رقم ٢٨١)؛ وفي «السنن الكبير» (١٠/١٨٧، ١٨٨) قال: حدثنا عمران بن داود القطان بسنده سواء.

وتابعه عمرو بن مرزوق قال: ثنا عمران القطان مثله. أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ١٠/رقم ١٠٥٠٠)؛ وفي «الأوسط» (٢٥٢٩) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن قتادة، إلا عمران» اهـ.

(*) قلت: وعمران القطان مختلف فيه، فضعفه ابن معين والنسائي وأبو داود والعقيلي وقال الدارقطني: «كان كثير المخالفة والوهم» وقال البخاري: «صدوق يهمل» ووثقه العجلي، وذكره ابن حبان في «الثقات». وقال أحمد: «أرجو أن يكون صالح الحديث» وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/٥٢٢): «إسناده جيد!» وقال المناوي في «فيض القدير» (٣/١٢٨): «قال العلائي: حديث على شرط الشيخين، وقال ابن حجر: سنده حسن» اهـ.

وقال المنذري في «الترغيب» (٣/١٨٥): «إسناده حسن».

(عمران، عن قتادة)^(١)، عن عبد ربه، عن (أبي عياض)^(٢)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه. وإن رسول الله ﷺ ضرب لهم مثلاً قوم نزلوا بأرض فلاة، فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، فأنضجوا ما قذفوا فيها».

وقال محمد بن إسحاق^(٣): حدثني محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس: «وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ أي: من آمن بما كفرتم، وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها؛ يخبرهم أن الثواب بالخير، والشر مقيم على أهله (أبدأ لا انقطاع له)^(٤)».

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

يذكر تبارك وتعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر وأخذه ميثاقهم على ذلك، وأنهم تولوا عن ذلك كله، وأعرضوا قصداً وعمداً، وهم يعرفونه ويذكرونه؛ فأمرهم (تعالى)^(٥) أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً؛ وبهذا أمر جميع خلقه؛ ولذلك خلقهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها، وهو حق الله (تبارك و)^(٥) تعالى أن يعبد وحده لا شريك له، ثم بعده حق المخلوقين؛ وأكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين؛ ولهذا يقرن (الله)^(٦) (تبارك و)^(٥) تعالى بين حقه وحق الوالدين، كما قال تعالى: ﴿إِن أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤] وقال (تبارك و)^(٥) تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى أن قال: ﴿وَأَنذِرْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦].

وفي «الصحيحين»^(٧) عن ابن مسعود: قلت: «يا رسول الله؛ أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله». ولهذا جاء في الحديث الصحيح^(٨) أن رجلاً قال: يا رسول الله، من أبر؟ قال: «أمك».

(١) وقع في (ج) و(ع) و(ل) و(ي): «عمر بن قتادة»؛ وفي (ز) و(ن): «عمرو بن قتادة»؛ وفي (ك): «عمر بن صادق» وكل هذا خطأ.

(٢) في (ن): «أبي عياض»!

(٣) أخرجه ابن جرير (١٤٤٥)؛ وابن أبي حاتم (٨٣٦). [وسنده حسن].

(٤) في (ز): «لا انقطاع له أبداً».

(٥) من (ن).

(٦) لفظ الجلالة من (ز) و(ض).

(٧) أخرجه البخاري (٩/٢)؛ و٤٠٠/١٠؛ و٥١٠/١٣؛ وفي «الأدب المفرد» (١)؛ ومسلم (١٣٩/٨٥).

(٨) أخرجه مسلم (٢/٢٥٤٨)؛ وأبو يعلى في «مسنده» (ج ١٠/رقم ٦٠٩٤) قالاً: حدثنا أبو كريب، ثنا محمد بن =

قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أباك؛ ثم أدناك، أدناك.

(١) [وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قال الزمخشري^(٢): خبر بمعنى الطلب، وهو أكد. وقيل: كان أصله ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا (إِلَّا اللَّهَ)﴾^(٣) كما قرأها من قرأها من السلف، فحذفت «أَنْ» (فارفع)^(٤).

وحكى عن أبيي، وابن مسعود أنهما قرآها «لا تعبدوا إلا الله»^(٥).

(٦) [وقيل: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ مرفوع على أنه قسم؛ أي: والله لا تعبدون إلا الله]^(٦)، ونقل هذا التوجيه القرطبي في «تفسيره»^(٧) عن سيويه. قال: واختاره (المبرد)^(٨)، والكسائي، والفراء^(٩).

قال: ﴿وَالْيَتَامَى﴾ وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء^(٩).

(١٠) [وقال أهل اللغة: اليتيم في بني آدم من الآباء، وفي البهائم من الأم، وحكى الماوردي أن اليتيم مطلق في بني آدم من الأم أيضاً]^(١٠) والمساكين الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم وأهلهم، وسيأتي الكلام على هذه الأصناف عند آية «النساء» التي أمرنا الله تعالى بها صريحاً في قوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ الآية [النساء: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أي: كلموهم طيباً، ولينوا لهم جانباً؛ ويدخل في ذلك

= فضيل، عن أبيه، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رجل: من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: «أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك أدناك». وذكر لفظ «الأم» عند أبي يعلى مرة واحدة، وكان أبا يعلى اختصره. وقد توبع فضيل بن غزوان. تابعه جرير بن عبد الحميد، عن عمارة بن القعقاع بسنده سواء ولم يذكر «ثم أدناك»؛ أخرجه البخاري (٤٠١/١٠)؛ ومسلم (١/٢٥٤٨)؛ وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٧٢)؛ وابن حبان (٤٣٤)؛ وأبو يعلى (ج ١٠/رقم ٦٠٨٢) من طرق عن جرير.

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٢) في «الكشاف» (١/٧٨، ٧٩).

(٣) من (ن).

(٤) ساقط من (ج).

(٥) [وهي قراءة شاذة].

(٦) ساقط من (ن).

(٧) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/١٣).

(٨) ساقط من (ن).

(٩) نقل ابن المحب ناسخ (ج) على حاشية الورقة (١/١١٢) كلاماً لابن كثير يتعلق بهذه الآية، لكنه كتبها عند الآية رقم (٥٧): «وظللنا عليكم الغمام...» ولأنه لا مناسبة بين الحاشية وهذه الآية، فنقلتها هنا لتعلقها بها.

قال ابن المحب: «الحمد لله. ذكر المؤلف الشيخ عماد الدين ابن كثير ختم الله له بالحسنى على حاشية الجزء السادس من «تفسيره» قال: تنبيه: ذكر القرطبي في «تفسيره» (٢/١٥) عنده قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] وذكر في إكرام اليتيم: «أنا وكافل اليتيم هكذا» وأشار بأصبعه السبابة والتي تليها ثم قال: كانت العرب تسميها السبابة لأنهم كانوا يسبون بها. قال: وسميت في الإسلام: المشيرة، لأنهم كانوا يشيرون بها إلى الله في التوحيد، وتسمى أيضاً: السباحة، كما جاء في حديث وائل بن حجر قلت: القائل ابن كثير: والمشهور تسميتها بـ«المسبحة»، وأما السباحة فغريب. ثم قال القرطبي: وروى عن أصابع رسول الله ﷺ أن المشيرة منها كانت أطول من الوسطى، واعتمد على حديث ميمونة بنت كردم أنها شهدت حجة الوداع مع أبيها قالت: فلقد رأيتني أتعجب من طول أصبعه التي تلي الإبهام على سائر أصابعه... الحديث.

قلت: القائل: ابن كثير: وإنما أرادت «الإبهام» من قدمه ﷺ، كما رواه أحمد في «المسند» (٦/٣٦٦) لا كما فهم القرطبي، فإن هذا الذي قاله القرطبي لم أر أحداً ممن صنف في الشمائل النبوية ذكر ولا أشار إليه.

(١٠) من (ج) و(ع) و(ل) و(ي).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف؛ كما قال الحسن البصري^(١) في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فالحسن من القول: تأمر بالمعروف، وتنهي عن المنكر، وتحلم وتعفو وتصفح، وتقول للناس حسناً؛ كما قال الله؛ وهو كل خلق حسن (رضي^(٢) الله عنه).^(٣) [وقرأ بعضهم «حَسَنًا»^(٤) أي: قولاً حسناً، وقرأ آخرون: «حُسْنِي»^(٥) مثل: «فعلى»، وأنكرها على الأخفش جماعة، وقالوا: لا يستعمل ذلك إلا بالألف واللام، مثل: الكبرى، والحسنى، والعظمى. وعزوه إلى سيبويه. نقله القرطبي^(٦) (٣).]

وقال الإمام أحمد^(٧): حدثنا روح، حدثنا أبو عامر الخزاز، عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر (رضي^(٨) الله عنه)، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، وإن لم تجد فالق أخاك بوجه (طلق)^(٩)».

وأخرجه مسلم في «صحيحه» والترمذي وصححه من حديث أبي عامر الخزاز، واسمه صالح بن رستم، به.

وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسناً بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل؛ (فجمع)^(١٠) بين طرفي الإحسان (الفعلية)^(١١) والقولي.

ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس (بالمعتين)^(١٢) من ذلك، وهو الصلاة والزكاة؛ فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] وأخبر أنهم تولوا عن ذلك كله؛ أي: تركوه وراء ظهورهم، وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به إلا القليل منهم.

وقد أمر (الله تعالى)^(١٣) هذه الأمة بنظير ذلك في «سورة النساء» بقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء] فقامت هذه الأمة من ذلك بما لم تقم به أمة من الأمم قبلها. والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٠) وسنده ضعيف. (٢) في (ل): «وصية»!!.

(٣) من (ج) و(ع) و(ل) و(ي)، وجاءت هذه الفقرة متقدمة في (ي) على قوله: «أي كلموهم طيباً... إلخ».

(٤) [وهي قراءة متواترة].

(٥) [وهي قراءة شاذة].

(٦) في «تفسيره» (١٦/٢).

(٧) في «المسند» (١٧٣/٥).

وأخرجه مسلم (١٤٤/٢٦٢٦)؛ وابن حبان (٥٢٣) عن عثمان بن عمر. والترمذي (١٨٣٣) عن إسرائيل بن يونس كلاهما عن أبي عامر الخزاز صالح بن رستم بسنده سواء. زاد الترمذي: «وإن اشتريت لحماً أو طبخت قدراً فأكثر مرقته وأغرف لجارك منه». ولاين حبان نحوه.

وأخرج هذه الزيادة مسلم (١٤١/٢٦٢٥ - ١٤٣)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٤)؛ وابن ماجه (٣٣٦٢)؛ وأحمد (١٤٩/٥، ١٥٦)؛ والحميدي (١٣٩)؛ وابن حبان (٥١٣، ٥١٤) وغيرهم من طريق أبي عمران الجوني به. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٨) من (ز) و(ل) و(ن).

(٩) كذا في (ج) وهو الموافق لما في (المسند) و«صحيح مسلم» وغيرهما. ووقع في سائر «الأصول»: «منطلق».

(١٠) في (ج): «جمع»؛ وفي (ل): «بعد أن جمع». (١١) في (ل): «العقلي»!!

(١٢) في (ز): «بالمعين».

(١٣) كذا في (ل). ووقع في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي): «تعالى»؛ وفي (ن): «الله».

ومن النقول الغريبة ها هنا ما ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره»^(١): حدثنا أبي، حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا عبد الله بن يوسف - يعني: (التنيسي)^(٢)، حدثنا خالد بن (صبيح)^(٣)، عن حميد بن عقبة، عن أسد بن وداعة - أنه كان يخرج من منزله فلا يلي يهودياً ولا نصرانياً إلا (سَلَّمَ)^(٤) عليه؛ ف قيل له: ما شأنك؟ تسلم على اليهودي والنصراني فقال: إن الله (تعالى)^(٥) يقول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وهو السلام.

قال^(٦): وروى عن عطاء الخراساني^(٧) نحوه.

قلت: وقد (ثبت في)^(٨) السنة أنهم لا يبدؤون بالسلام^(٩)، والله أعلم^(١٠).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهِيَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَسْفَى الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْفَظُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

يقول (الله)^(١١) (تبارك و)^(١٢) تعالى، منكراً على اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ بالمدينة، وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس والخزرج؛ وذلك أن الأوس والخزرج، وهم

- (١) رقم (٨٥٢) ورجاله ثقات إلا حميد بن عقبة، فترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٢٦/٢/١) وذكره ابن حبان في «الثقات» (١٥٠/٤).
- (٢) في (ل): «السبسي»!
- (٣) في (ل): «صبح» وهو خطأ. واسمه: خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح. من رجال «هذهيب الكمال» (٨/ ١٩٣ - ١٩٦) وثقه دحيم، والعجلي، وأبو حاتم وزاد: «صدوق»؛ وابن حبان. وقال النسائي: «ليس به بأس»، وقال الدارقطني: يعتبر به.
- (٤) في (ل): «يسلم».
- (٥) من (ن).
- (٦) القائل هو: ابن أبي حاتم.
- (٧) لم أقف عليه.
- وأخرج ابن جرير (١٤٥٦)؛ وابن أبي حاتم (٨٤٨)؛ وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٠٤) من طرق عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح وأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين في قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] قال: للناس كلهم.
- وأخرجه ابن أبي الدنيا (٣٠٨) من طريق خالد بن عبد الله، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء وحده فذكر مثله وزاد: «المشرك غيره» وسنده قوي.
- (٨) في (ك): «ثبت».
- (٩) يشير المصنف إلى ما رواه أبو هريرة مرفوعاً: «لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه».
- أخرجه مسلم (١٣/٢١٦٧).
- (١٠) في (ع) بعد قوله: الله أعلم: «بلغ قراءة على المصنف، فسح الله في مدته، معارضاً بأصله».
- (١١) لفظ الجلالة من (ض).
- (١٢) من (ز) و(ن).

الأنصار، كانوا في الجاهلية عباد أصنام، وكانت بينهم حروب كثيرة، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير حلفاء الخزرج، وبنو قريظة حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه، فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر، وذلك حرام عليهم في دينهم ونص (كتابه)^(١)، ويخرجونهم من بيوتهم، ويستهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكوا الأسارى من الفريق المغلوب عملاً بحكم التوراة، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يخرج من منزله، ولا يظاهر عليه؛ كما قال تعالى: ﴿فَتَوَبَّأْ إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] وذلك أن أهل (الملة)^(٢) الواحدة بمنزلة النفس الواحدة، كما قال^(٣) عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾ أي: ثم أقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحته، وأنتم تشهدون به.

^(٥) [﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ تقديره: ثم أنتم يا هؤلاء، ومنع (كثير)^(٦) من النحاة حذف حرف النداء مع اسم الإشارة، وسوغه بعضهم؛ وهو ظاهر السياق.

وقيل: هؤلاء بمعنى: «الذين»، ومعناه: ثم أنتم الذين تقتلون أنفسكم... إلى آخره. وقيل معناه: ثم أنتم اليوم هؤلاء؛ ^(٧) [مبتدأ وخبر؛ أي: ثم صرتم بعد العهود والمواثيق]^(٧) على ما أنتم عليه من^(٥) ^(٨) [الصفة المفسرة بما بعده.

قال الزمخشري^(٩): نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات؛ كما يقال: دخل بغير الوجه الذي خرج به^(٨).

﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ...﴾ الآية.

قال محمد بن^(١٠) إسحاق بن (يسار)^(١١): حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبیر، أو عكرمة؛ عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾

(١) في (ن): «كتابهم».

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٨/١٠)، ومسلم (٦٦/٢٥٨٦).

(٤) في (ل): «الشهير»!!

(٦) في (ل): «كثيرون».

(٨) من (ج) و(ع) و(ل) و(و).

(٩) في «الكشاف» (٧٩/١) وعبارته: «والمعنى: ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء الشاهدون، يعني: أنكم قوم آخرون غير أولئك المقربين تنزيلاً لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول: رجعت بغير الوجه الذي خرجت به».

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٤٧١) بطوله. وهو عند ابن أبي حاتم (٨٦١) مختصراً. [وسنده حسن].

(١١) في (ل): «بشار» وهو تصحيف.

الآية؛ قال: (أنبأهم)^(١) الله بذلك من فعلهم، وقد حرّم عليهم في التوراة سفك دمائهم، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم؛ فكانوا فريقين: طائفة منهم بنو قينقاع (وأنهم)^(٢) حلفاء الخزرج والنضير؛ وقريظة (وأنهم)^(٣) حلفاء الأوس؛ فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس؛ يظهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم. والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان، ولا يعرفون جنّة ولا ناراً، ولا بعثاً ولا قيامة، ولا كتاباً، ولا حلالاً، ولا حراماً؛ فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم، تصديقاً لما في التوراة، وأخذاً به؛ بعضهم من بعض، يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، ويفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، (ويطلون)^(٤) ما أصابوا من دمائهم، (وقتلوا)^(٥) من قتلوا منهم، فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم، يقول الله تعالى ذكره (حين)^(٥) (أنبأهم)^(٦) بذلك: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أي: تفادونهم بحكم التوراة. وتقتلونهم، وفي حكم التوراة أن لا (يفعل)^(٧) (ويخرجه من داره، ويظاھر)^(٨) عليه من يشرك بالله، ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا؟

ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج فيما بلغني نزلت هذه القصة. وقال أسباط، من السدي: كانت قريظة حلفاء الأوس، وكانت النضير حلفاء الخزرج، فكانوا يقتتلون في حرب (سمير)^(٩)، فتقاتل بنو قريظة مع حلفائها النضير وحلفاءهم، وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءها (ويغلبونهم)^(١٠)، فيخربون ديارهم ويخرجونهم منها؛ فإذا أسر رجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتى يفدوه، فتعيرهم العرب بذلك، ويقولون: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: إنا أمرنا أن نفديهم، وحرّم علينا قتالهم قالوا: فلم تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحي أن (تستذل حلفاؤنا)^(١١)؛ فذلك حين عيرهم الله (تبارك وتعالى)^(١٢)؛ فقال (تعالى)^(١٢): ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ...﴾ الآية.

(١) كذا في جميع «الأصول»؛ وفي «ن»: «ابتلاهم» وأشار في الحاشية إلى اللفظ الأول، وفي «تفسير الطبري»: «أنبأهم الله».

(٢) في (ن): «وهم».

(٣) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ي) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (١٤٧١) ووقع في (ج) و(ك) و(ل) و(ن): «ويطلون». ومعنى: «يطلون» يعني: يهدرون. يقال: طل دمه وأطله: إذا أهدره وأبطله.

(٤) في (ز): «قتلى».

(٥) في (ن): «حيث».

(٦) في (ز): «أنبهم».

(٧) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ز) و(ن): «ولا يخرج من داره، ولا يظهر عليه من يشرك بالله».

(٩) في (ن): «بينهم». قال الشيخ محمود شاكر حفظه الله: «حرب سمير كانت في الجاهلية بين الأوس والخزرج، و«سمير» رجل من بني عمرو بن عوف. وانظر خبر هذه الحرب في «الأغاني» (١٨/٣ - ٢٦). اهـ.

(١٠) في (ز): «يلعنونهم».

(١١) كذا في (ز) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (١٤٧٢)؛ وفي (ض) و(ع) و(ك) و(ي): «يستذل بحلفائنا»؛ وفي (ج): «ندل لحلفائنا» وفي (ك): «تذل حلفائنا»؛ وفي (ن): «تستذل حلفاءنا».

(١٢) من (ن) و(ل).

وقال (شعبة)^(١)، عن السدي: نزلت هذه الآية في قيس بن الخطيم: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِكْرِهِمْ...﴾ الآية.

وقال أسباط^(٢)، عن السدي، عن عبد خير؛ قال: غزونا مع سلمان بن ربيعة الباهلي (بلنجر)^(٣)، فحاصرنا أهلها ففتحنا المدينة وأصبنا سبايا، واشترى عبد الله بن سلام يهودية بسبعمائة؛ فلما مر برأس الجالوت نزل به؛ فقال له عبد الله: يا رأس الجالوت، هل لك في عجزها هنا من أهل دينك تشتريها مني؟ قال: نعم، قال: أخذتها بسبعمائة درهم. قال: فإني أربحك سبعمائة أخرى. قال: فإني قد حلفت أن لا أنقصها من أربعة آلاف. قال: لا حاجة لي فيها. قال: والله لتشتريها مني أو لتكفرن بدينك الذي أنت عليه. قال: ادن مني، فدنا منه، فقرأ في أذنه (التي)^(٤) في التوراة: إنك لا تجد مملوكاً من بني إسرائيل إلا اشتريته فأعتقته؛ ﴿وَإِنْ يَأْتُواكُمُ أُسْرَى تَغْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ قال: أنت عبد الله بن سلام؟ قال: نعم. قال: فجاء بأربعة آلاف، فأخذ عبد الله ألفين ورد عليه ألفين.

وقال آدم بن أبي إياس^(٥) في «تفسيره»: حدثنا أبو جعفر؛ يعني: الرازي، حدثنا الربيع بن أنس، أخبرنا أبو العالية: أن عبد الله بن سلام مر على رأس الجالوت بالكوفة وهو يفادي من النساء من لم يقع (عليها)^(٦) مكتوب عندك في كتابك أن تفاديهن كلهن.

والذي أرشدت إليه الآية الكريمة، وهذا السياق، ذم اليهود في قيامهم بأمر التوراة التي يعتقدون صحتها، ومخالفة شرعها، مع معرفتهم بذلك، وشهادتهم له بالصحة، فلماذا لا يؤمنون على ما فيها، ولا على نقلها، ولا يصدقون فيما كتموه من صفة رسول الله ﷺ ونعته، ومبعثه، ومخرجه، ومهاجره، وغير ذلك من شؤونها التي أخبر بها الأنبياء قبله (عليهم الصلاة والسلام).

واليهود عليهم لعائن الله يتكتمونه بينهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (أي)^(٧): بسبب مخالفتهم شرع الله وأمره؛ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْكَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ جزاء على (ما كتموه من)^(٨) كتاب الله الذي بأيديهم، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٩) أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة؛ أي: استحبوها على الآخرة واختاروها، ﴿فَلَا

(١) في (ن): «وقال أسباط عن السدي، عن الشعبي!! وأخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٦) من طريق حمدان بن الوليد البصري، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن السدي. وحمدان لم أجد له ترجمة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٠) بسند حسن.

(٣) في (ل): «بكنجر»! و«بلنجر» قال ياقوت في «معجم البلدان» (٤٨٩/١): «بفتحتين وسكون النون فجيم مفتوحة وراء: مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب».

(٤) في (ن): «مما».

(٥) ومن طريقه ابن جرير (١٤٨٠) قال: حدثني المثنى، قال: حدثنا آدم بن أبي إياس. والمثنى لم أجد له ترجمة، ولكنه لم يتفرد برواية تفسير آدم. [وسنده جيد].

(٦) في (ن): «عليه».

(٧) من (ز) و(ض) و(ك) و(ي).

(٨) في (ن): «مخالفتهم».

(٩) في (ز): «يعملون» وهي قراءة نافع، وابن كثير، وشعبة، ويعقوب الحضرمي.

يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ* أي: لا يفتر عنهم ساعة واحدة؛ ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: وليس لهم ناصر يتقدمهم مما هم فيه من العذاب الدائم السرمدي، ولا يجيرهم منه^(١).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَنْزْلًا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ...﴾ الآية [المائدة: ٤٤].

ينعت تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعتو والعناد، والمخالفة والاستكبار على الأنبياء، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم؛ فذكر تعالى أنه أتى موسى الكتاب، وهو التوراة، فحرفوها وبدلوها، وخالفوا أوامرها وأولوها، وأرسل الرسل والنبیین من بعده الذين يحكمون بشريعته؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ...﴾ الآية [المائدة: ٤٤].

ولهذا قال (تعالى)^(٢): ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ قال السدي، عن أبي مالك: أتبعنا. وقال غيره: أردفنا. والكل قريب؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [المؤمنون: ٤٤] حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام؛ ولهذا أعطاه الله من البينات. وهي المعجزات؛ قال ابن عباس^(٣): من إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، (وإبرائه)^(٤) الأسقام، وإخباره بالغيوب، (والتأييد)^(٥) بروح القدس - وهو جبريل عليه السلام - ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم به، فاشتد تكذيب بني إسرائيل له، وحسداهم وعنادهم، لمخالفة التوراة في البعض؛ كما قال تعالى، إخباراً عن عيسى: ﴿وَلَأُحِضِّلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ الآية [آل عمران: ٥٠] فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء (عليهم السلام)^(٦)؛ (فريقاً يكذبون وفريقاً يكذبونه ويقتلونهم)^(٧)، وما ذاك إلا لأنهم (كانوا)^(٨) يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم، (وبالإلزامهم)^(٩) بأحكام التوراة التي (قد)^(١٠) تصرفوا في مخالفتها؛ فلهذا كان ذلك يشق عليهم (فيكذبونهم)^(١١)؛ وربما قتلوا بعضهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾!

والدليل على أن روح القدس هو جبريل كما نص عليه ابن مسعود^(١٢) في تفسير هذه الآية،

(١) في (ع): «بلغ قراءة على المصنف، فسح الله في مدته، معارضاً بأصله».

(٢) من (ن).

(٣) أخرجه ابن جرير (١٤٨٣)؛ وابن أبي حاتم (٨٨٧) من طريق سلمة، عن محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة، عن ابن عباس. [وسنده حسن].

(٤) كذا في سائر الأصول؛ وفي (ن): «إبراء». (٥) في (ن): «وتأييده».

(٦) من (ز) و(ض) و(ك) و(ي).

(٧) هكذا العبارة في (ج) و(ض) و(ع) و(ل) و(ي)؛ وفي (ز) و(ن): «فريقاً يكذبونه، وفريقاً يقتلونهم».

(٨) ساقط من (ن). (٩) في (ن): «وبالإلزام».

(١٠) ساقط من (ج). (١١) في (ن): «فيكذبوهم».

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٩٠) من طريق ابن مهدي، ثنا الثوري، عن سلمة بن كهيل، ثنا أبو الزعراء، قال: قال عبد الله: روح القدس: جبريل. [وسنده حسن].

وتابعه على ذلك (ابن عباس و) ^(١) محمد بن كعب، وإسماعيل ^(٢) بن أبي خالد والسدي ^(٣)، والربيع ^(٤) بن أنس، وعطية العوفي، وقتادة ^(٥)، مع قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء] كما قال البخاري ^(٦): وقال ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن (عروة) ^(٧)، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ وضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد، فكان ينافح عن رسول الله ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيه» ^(٨). (وهذا) ^(٩) من البخاري تعليقاً.

وقد رواه أبو داود في «سننه» عن (لوين) ^(١٠)، والترمذي عن علي بن حجر، وإسماعيل بن موسى الفزاري؛ ثلاثتهم عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، وهشام بن عروة، كلاهما عن عروة؛ عن عائشة به. وقال الترمذي: «حسن صحيح، وهو حديث أبي الزناد».

وفي «الصحيحين» ^(١١)، من حديث سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن عمر (بن الخطاب) ^(١٢) مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه؛ فقال: قد كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة، فقال: أنشدك الله، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أجب عني، اللهم أيد بروح القدس»: فقال: اللهم نعم. وفي بعض الروايات ^(١٣) أن رسول الله ﷺ قال لحسان: «اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك». ^(١٤) وفي شعر حسان قوله:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس به خفاء ^(١٤)

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٩) بسند صحيح عن إسماعيل: «وَأَيَّدَتْهُ رُوحُ الْقُدُسِ» [البقرة: ٨٧] قال: أعانه جبريل.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٤٨٦) وسنده حسن. (٤) أخرجه ابن جرير (١٤٨٨) وسنده حسن.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥١/١) ومن طريقه ابن جرير (١٤٨٥) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة. [وسنده صحيح].

(٦) وعزه إلى البخاري معلقاً المزي في «تحفة الأشراف» (١٠/١٢) وعلق الحافظ في «النكت الظراف» قائلاً: «لم أر هذا الموضع في صحيح البخاري» وقد اجتهدت في البحث فما ظفرت به. فالله أعلم كيف كان ذلك. وأخرجه أبو دود (٥٠١٥)؛ والترمذي في «سننه» (٢٨٤٦)؛ وفي «الشمال» (٢٤٩)؛ وأحمد (٧٢/٦)؛ وأبو يعلى (ج ٨/رقم ٤٥٩١، ٤٧٤٦)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٤/رقم ٣٥٨٠)؛ والحاكم (٤٨٧/٤)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٣٧٧/٢)؛ وفي «تفسيره» (٤٠٤/٣) من طرق عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة، عن عائشة وسقط ذكر «أبي الزناد» في الموضع الأول عند أبي يعلى؛ وأخرجه الترمذي أيضاً والحاكم (٤٨٧/٤) من طريق ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة مثله. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، وحسبه أن يكون حسناً.

(٧) في (ن): «أبي هريرة!!» (٨) في (ز) و(ن): «نيك».

(٩) في (ن): «فهذا». (١٠) في (ن): «ابن سيرين!!»

(١١) أخرجه البخاري في «بدء الخلق» (٣٠٤/٦)؛ ومسلم في «فضائل الصحابة» (١٥١/٢٤٨٥).

(١٢) من (ن).

(١٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري (٣٠٤/٦)؛ و٤١٦/٧؛ و٥٤٦/١٠؛ ومسلم (١٥٣/٢٤٨٦).

(١٤) ساقط من (ز) و(ض)، ولكن في «صحيح مسلم» و«الديوان»: «ليس له كفاء».

وقال محمد بن^(١) إسحاق: حدثني (عبد الله بن)^(٢) عبد الرحمن بن أبي حسين المكي، عن شهر بن حوشب الأشعري أن نفرأ من اليهود سألوا رسول الله ﷺ قالوا: أخبرنا عن الروح؛ فقال: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه جبرائيل وهو الذي يأتيني؟» قالوا: نعم.

^(٣) [وفي «صحيح ابن حبان»^(٤)] ^(٥) ^(٦) [وأيضاً] عن ابن مسعود - أن رسول الله ﷺ قال: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»^(٥).

(أقوال آخر)^(٧):

قال ابن أبي حاتم^(٨): حدثنا أبو زرعة، حدثنا منجاب بن الحارث، حدثنا بشر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: «وَأَيَّدَنَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» قال: هو الاسم الأعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى.

وقال ابن جرير^(٩): حُذِّثَ عن المنجاب فذكره.

وقال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك.

^(١٠) [ونقله القرطبي^(١١)، عن عبيد بن عمير أيضاً؛ قال: وهو الاسم الأعظم]^(١٠).

وقال ابن أبي نجيع^(١٢): الروح هو حفظة على الملائكة.

وقال أبو جعفر الرازي^(١٣)، عن الربيع بن أنس: القدس: هو الرب تبارك وتعالى. وهو قول كعب^(١٤).

(١) أخرجه ابن جرير (١٤٨٩) من طريق محمد بن حميد، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق فذكره، والحديث مع إرساله فابن حميد واه، وسلمة وشهر بن حوشب متكلم فيهما. فالسند ضعيف.

(٢) ساقط من (ن). (٣) ساقط من (ز) و(ض) و(ك).

(٤) كذا قال المصنف ﷺ، ولم يروه ابن حبان عن ابن مسعود كما ظن، بل هو عند ابن حبان من حديث جابر بمعناه؛ فأخرجه في «صحيحه» (١٠٨٤، ١٠٨٥)؛ والحاكم (٤/٢)؛ والبيهقي (٢٦٤/٥) من طريق عبد الله بن وهب، ثنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعاً: «لا تستبطنوا الرزق، فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له، فأجملوا في الطلب: أخذ الحلال وترك الحرام». قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي وكنت وافقتهما في «غوث المكذوب» (١٤٨/٢) ثم تبين لي أنه على شرط مسلم وحده، فإن البخاري لم يخرج شيئاً لسعيد بن أبي هلال عن ابن المنكدر. والله أعلم.

وله طريق آخر عن جابر عند ابن ماجه (٢١٤٤). [وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٧٤٣)].

(٥) ساقط من (ز) و(ض) و(ك).

(٦) ساقط من (ن).

(٧) ساقط من (ك).

(٨) في (تفسيره) (١٤٩١) وهو موصول عند ابن أبي حاتم كما رأيت.

(٩) في (تفسيره) (١٤٩١) وهو موصول عند ابن أبي حاتم كما رأيت.

(١٠) ساقط من (ز) و(ض).

(١١) في «تفسيره» (٢٤/٢).

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٩١). [وسنده حسن].

(١٣) أخرجه ابن جرير (١٤٩٣) معلقاً ووصله ابن أبي حاتم (٨٩٣). [وسنده جيد].

(١٤) أخرجه ابن جرير (١٤٩٥).

(١) [وحكى القرطبي عن مجاهد والحسن البصري أنهما قالا: القدس: هو الله تعالى، وروحه جبريل.

فعلى هذا يكون القول الأول^(١).

وقال السدي^(٢): القدس: البركة.

وقال العوفي^(٣)، عن ابن عباس: القدس (الطهر)^(٤).

وقال ابن جرير^(٥): حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد - في قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ قال: أيد الله عيسى بالإنجيل روحاً كما جعل القرآن روحاً، كلاهما روح الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] ثم قال ابن جرير^(٦): وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: الروح في هذا الموضع جبرائيل؛ فإن الله تعالى أخبر أنه أيد عيسى به، كما أخبر في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ...﴾ الآية [المائدة: ١١٠] فذكر أنه أيده به؛ فلو كان الروح الذي أيده به هو الإنجيل لكان قوله: إذ أيدتك بروح القدس. وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل - تكرير قول لا معنى له، والله (ﷺ)^(٧) أعزُّ (وأجل)^(٨) أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم (به)^(٩).

قلت: ومن الدليل على أنه جبرائيل ما تقدم من أول السياق. والله الحمد (والمنة)^(٩).

(١٠) [وقال الزمخشري^(١١): (بروح القدس): بالروح المقدسة، كما تقول: حاتم الجود، ورجل صدق، ووصفها بالقدس؛ كما قال: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] فوصفه بالاختصاص والتقريب (للكرامة)^(١٢) وقيل: لأنه لم (تضمه)^(١٣) الأصلاب والأرحام الطوامث. وقيل: بجبريل. وقيل: بالإنجيل، كما قال في القرآن: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وقيل: باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره.

فتضمن كلامه قولاً آخر؛ وهو أن المراد روح عيسى نفسه المقدسة المطهرة^(١٠).

(١٤) [وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿فَفَرِّقَهَا كَذَبَتُمْ وَفَرِّقًا نَقْلُوكُمْ﴾ إنما لم يقل وفريقاً قتلتهم؛ لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً؛ لأنهم حاولوا قتل النبي (محمد ﷺ)^(١٥)]^(١٤)

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٤٩٢)؛ وابن أبي حاتم (٨٩٤). [وسنده حسن].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٩٥) وسنده ضعيف وقد تقدم ذكر علته.

(٤) في «تفسير ابن أبي حاتم»: «المطهر»، وما ذكرته وقع في سائر «الأصول».

(٥) أخرجه ابن جرير (١٤٩٠) وسنده صحيح. (٦) (٢/٣٢١) طبع شاكر.

(٧) من (ن). (٨) من (ز) و(ن).

(٩) من (ج) و(ل). (١٠) ساقط من (ز) و(ض).

(١١) في «الكشاف» (٨٠/١). (١٢) في (ن): «تكرمة».

(١٣) كذا في (ن) و(ي) وهو الموافق لما في «الكشاف» ووقع في (ج) و(ع) و(ل): «تضمنه».

(١٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(١٥) من (ج) و(ع) و(ل)؛ وفي (ج): «صلوات الله وسلامه عليه» بدل «ﷺ».

(١١) [بالسحر والسحر. وقد قال ﷺ في مرض موته: «ما زالت أكلة خيبر (تعادني)»^(٢)، فهذا أوان (انقطاع)^(٣) أبهري^(٤)»^(٥).

قلت: وهذا الحديث في «صحيح البخاري»^(٦) وغيره^(٦).

تم بحمد الله الجزء الثاني من تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، ويعقبه الجزء الثالث وأوله تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] والله المستعان على إتمامه على الوجه الذي يرضيه عني.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾

قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] أي: في أكنة.

وقال علي بن أبي طلحة^(٧)، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي: لا تفقه.

وقال العوفي^(٨)، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ هي القلوب المطبوع عليها.

وقال مجاهد^(٩): ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ عليها غشاوة.

وقال عكرمة^(١٠): عليها طابع. وقال أبو العالية^(١١): أي: لا تفقه.

وقال السدي^(١٢): يقولون عليها غلاف وهو الغطاء.

وقال عبد الرزاق^(١٣)، عن معمر، عن قتادة^(١٤): ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ هو كقوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا

فِي أَكْنَةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥] أي: فلا يخلص إلينا شيء مما نقول.

(١) ساقط في (ز) و(ض) و(ي).

(٢) في «الكشاف»: «تعادوني».

(٣) في «الكشاف»: «قطعت».

(٤) قال أهل اللغة: الأبهري عرق مستبطن بالظهر، متصل بالقلب؛ إذا انقطع مات صاحبه. وقال الخطابي: يقال: إن القلب متصل به. كذا في «الفتح» (١٣١/٨).

(٥) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٦) كذا قال المصنف وإنما رواه البخاري في «كتاب المغازي» (١٣١/٨) معلقاً فكان ينبغي تقييده.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٤٩٨). [وسنده حسن].

(٨) أخرجه ابن جرير (١٤٩٩)؛ وابن أبي حاتم (٩٠١) من طريق أبي صالح كاتب الليث، ثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة لكن اللفظ مختلف. فوقع عندهما: «أي في غطاء» بدل «أي: لا تفقه» فلعله سبق قلم من المصنف رَحِمَهُ اللهُ. [وسنده ثابت].

(٩) أخرجه ابن جرير (١٥٠٠). [وسنده ضعيف].

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٥٠١، ١٥٠٢). بسند صحيح.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٠٥). وسنده صحيح.

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٥٠٧)؛ وابن أبي حاتم (٩٠٣) من طريق آدم بن أبي إياس، حدثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية. وسنده حسن.

(١٣) أخرجه ابن جرير (١٥٠٨). [وسنده حسن].

(١٤) في «تفسيره» (٥١/١) ومن طريقه ابن جرير (١٥٠٥، ١٥٠٦). [وسنده صحيح].

وأدخل ناسخ (ن) قول قتادة في قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقال عبد الرحمن بن زيد^(١) بن أسلم في قوله: ﴿عُلِّفَ﴾ قال: تقول قلبي في غلاف، فلا يخلص إليه (ما تقول)^(٢). وقرأ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥].

وهذا (هو)^(٣) الذي رجحه ابن جرير^(٤)؛ واستشهد بما روى من حديث عمرو بن مرة الجملي، عن أبي البختری، عن حذيفة^(٥)؛ قال: «القلوب أربعة»؛ فذكر منها: «وقلب أغلف (معصوب)^(٦)» عليه، وذاك قلب الكافر.

وقال ابن أبي حاتم^(٧): حدثنا محمد بن عبد الرحمن العزمي، أنبأنا أبي، عن جدي، عن قتادة، عن الحسن في قوله: ﴿قُلُوبُنَا عُلِّفَ﴾ قال: لم تختن. وهذا القول يرجع معناه إلى ما تقدم من عدم طهارة قلوبهم، وأنها بعيدة من الخير.

قول آخر: قال الضحاك^(٨)، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا عُلِّفَ﴾ قال: (يقولون)^(٩): قلوبنا (غلف)^(١٠) مملوءة (علماً)^(١١) لا تحتاج إلى علم محمد ولا غيره.

وقال (عطية العوفي)^(١٢): ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا عُلِّفَ﴾ أي: أوعية للعلم. وعلى هذا المعنى جاءت قراءة بعض (الأمصار)^(١٣) فيها، حكاه ابن جرير^(١٤) «وقالوا قلوبنا غُلف»^(١٥) بضم اللام، (نقلها الزمخشري)^(١٦) (عن أبي عمرو وحكاها القرطبي عن ابن عباس والأعرج وابن محيصن)^(١٧)؛ أي: جمع غلاف؛ أي: أوعية؛ بمعنى أنهم ادعوا أن قلوبهم مملوءة بعلم لا يحتاجون معه إلى علم آخر كما كانوا (يؤمنون)^(١٨) بعلم التوراة.

^(١٩) [وقال القرطبي^(٢٠): معناه: وقالوا قلوبنا أوعية للعلم، فما بالها لا تفهم قول محمد؟ والأول أولى؛ لأنه منصوص عن ابن عباس، أنهم يقولون: نحن في غنية بما عندنا من العلم]^(٢١)

(١) أخرجه ابن جرير (١٥٠٩) وسنده صحيح.

(٢) في (ن): «مما تقول شيء».

(٣) ساقط من (ن).

(٤) تقدم تخريجه عند الآية رقم (٢٠) من السورة.

(٥) هكذا بالعين والصاد المهملتين. ووقع في (ن): «المغضوب» بالغين والضاد المعجمتين وهو تصحيف.

(٦) في «تفسيره» (٩٠٢) وسنده ضعيف جداً. ومحمد بن عبد الرحمن العزمي قال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٦٢٧): «قال الدارقطني: متروك الحديث هو وأبوه وجده».

(٨) أخرجه ابن جرير (١٥١٣)؛ وابن أبي حاتم (٨٩٩) وسنده ضعيف.

(٩) في (ز) و(ض): «قالوا».

(١٠) ساقط من (ز).

(١١) ساقط من (ن).

(١٢) في (ز) و(ن): «الأنصار»!

(١٣) أخرجه ابن جرير (١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢)؛ وابن أبي حاتم (٩٠٠) من طرق عن فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي. وسنده صحيح.

(١٤) [وهي قراءة شاذة].

(١٥) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).

(١٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).

(١٧) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).

(١٨) في «تفسيره» (٢٥/ ٢) وعبارته: «أي: قلوبنا أوعية للعلم فما بالها لا تفهم عنك وقد وعينا علماً كثيراً؟

وقيل: المعنى: فكيف يعزب عنها علم محمد ﷺ». اهـ.

(١) [عما جاء به محمد ﷺ؛ (٢)] وهذا شبيهه بقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَافَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣) [غافر] (١) (٢) ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: ليس الأمر كما ادعوا؛ بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها؛ كما قال في سورة النساء: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [١٥٥].

وقد اختلفوا في معنى قوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقال بعضهم: (قليل) (٤) من يؤمن منهم (٣) [اختاره فخر الدين الرازي، وحكاه عن قتادة، والأصم، وأبي مسلم الأصفهاني] (٣) وقيل: فقليل إيمانهم، بمعنى: أنهم يؤمنون بما (جاءهم) (٥) (به) (٦) موسى من أمر المعاد والثواب والعقاب، ولكنه (إيمان) (٧) لا ينفعهم؛ لأنه مغموه بما كفروا به من الذي جاءهم به محمد ﷺ.

(٨) [وقال بعضهم: إنما كانوا غير مؤمنين بشيء؛ وإنما قال فقليلًا ما يؤمنون، وهم بالجميع كافرون؛ كما تقول العرب: قلما رأيت مثل هذا قط؛ تريد: ما رأيت مثل هذا قط.

وقال الكسائي: تقول العرب (مررنا) (٩) بأرض قلما تنبت؛ أي: لا تنبت شيئاً] (٨).

حكاه ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ. والله أعلم.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْهِتُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨٩).

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وهو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني: من التوراة.

وقوله: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْهِتُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم؛ يقولون: إنه سيبيح نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم، كما قال محمد بن إسحاق (١٠)، عن عاصم بن (عمر) (١١) بن قتادة الأنصاري، عن أشياخ منهم؛ قال: (قالوا) (١٢): فينا والله وفيهم؛ يعني: في الأنصار، وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة؛ يعني: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْهِتُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا بِهِ﴾ قالوا: كنا قد علوناهم دهرًا في الجاهلية، ونحن أهل شرك، وهم أهل كتاب (فكانوا) (١٣).

(٢) ساقط من (ك).

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).

(٤) في (ز) و(ض) و(ن): «فقليل».

(٣) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).

(٦) ساقط من (ج).

(٥) في (ل): «جاء».

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) في (ج): «إنما».

(٩) في (ن): «من زنا»!!

(١٠) ومن طريقه ابن جرير (١٥١٩) قال: حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق به: وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨٧/١) لابن المنذر وأبي نعيم والبيهقي في «الدلائل». [وسنده ضعيف].

(١٢) من (ز) و(ض).

(١١) في (ن): «عمرو»!!

(١٣) في (ن): «وهم».

يقولون: إن نبياً سيعث الآن نتبعه قد أظل زمانه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

وقال الضحاك^(١)، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكَاْنُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: (يستظهرون)^(٢)؛ يقولون: نحن نعين محمداً عليهم، وليسوا كذلك؛ بل يكذبون.

وقال محمد بن إسحاق^(٣): أخبرني محمد بن أبي محمد، أخبرني عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس - أن يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور، ودأود بن سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ، ونحن أهل شرك، (وتخبرونا)^(٤) بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم؛ فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

^(٥) [وقال العوفي^(٦)، عن ابن عباس: ﴿وَكَاْنُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾]^(٥) يقول: يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشركي العرب؛ يعني: بذلك أهل الكتاب، فلما بعث محمد ﷺ، ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه.

وقال أبو العالية^(٧): كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب؛ يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم؛ فلما بعث الله محمداً ﷺ، ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ؛ فقال الله (تعالى)^(٨): ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

وقال قتادة^(٩): ﴿وَكَاْنُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: وكانوا يقولون: إنه سيأتي نبي؛ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٠٩) وسنده ضعيف.

(٢) في (ن): «يستظرون» وصوبها في الهامش: يستنصرون.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٥٢٠) قال: حدثنا ابن حميد، ثنا سلمة، حدثني ابن إسحاق به وابن حميد واو، وسلمة ضعيف، ولم يتفردا به. فأخرجه ابن أبي حاتم (٩١١) قال: حدثنا علي بن الحسين، ثنا محمد بن عبد الله بن نمير، ثنا يونس بن بكير الحازمي، ثنا ابن إسحاق به وخالفهما إبراهيم بن سعد فرواه عن محمد بن إسحاق قال: بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره. أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٤٣) والوجه الأول هو المشهور وقد تقدم ضعفه.

(٤) في (ز) و(ن): «تخبرونا».

(٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٥٢٢) وسنده ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٥٢٦)؛ وابن أبي حاتم (٩١٢) من طريقين عن آدم بن أبي إياس، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية. [وسنده جيد].

(٨) من (ن).

(٩) أخرجه عبد الرزاق (٥٢/١) ومن طريقه ابن أبي حاتم (٩١٠) قال: أنبا معمر، عن قتادة؛ وأخرجه =

وقال مجاهد^(١): ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قال: هم اليهود.
^(٢)[وقال الإمام أحمد^(٣): حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن^(٢) ^(٤)[ابن إسحاق، حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل، عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان من أهل بدر قال: كان لنا جار يهودي في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث رسول الله ﷺ ببسير، حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنأ على بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب، والميزان، والجنة، والنار، فقال: ذلك لأهل شرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثاً كائناً بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان! ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يجوزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم والذي يحلف به، يود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا، يحمونه ثم يدخلونه إياه، فيطبقونه عليه، وأن ينجو من تلك النار غداً. قالوا له: ويحك، وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن. قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إلي وأنا من أحدثهم سنأ: إن يستفد هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فوالله! ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وهو بين أظهرنا، فأمنأ به، وكفر به بغياً وحسداً، فقلنا: ويلك يا فلان! أأست بالذي قلت لنا؟ قال: بلى وليس به!

تفرد به أحمد^(٤).

^(٥)[وحدثني القرطبي^(٦) وغيره عن ابن عباس أن يهود خيبر اقتتلوا في زمان الجاهلية مع غطفان، فهزمتهم غطفان، فدعا اليهود عند ذلك، فقالوا: اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي^(٥)

= ابن جرير (١٥٢٥) من طريق يزيد بن زريع، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة بأطول من رواية معمر. وكلاهما صحيح.

(١) هو في «تفسير مجاهد» (ص ٢٠٩) من طريق آدم بن أبي إياس قال: نا ورقاء، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد. [وسنده صحيح].

(٢) من (ج) و(ل).

(٣) في «مسنده» (٤٦٧/٣).

وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦٨/٢/٢) عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى؛ وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٥٥)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٧/رقم ٦٣٢٧) عن جرير بن حازم؛ والطبراني أيضاً (٦٣٢٧)؛ والحاكم (٤١٧/٣، ٤١٨)؛ وأبو نعيم في «الدلائل» (٣٤) عن زياد بن عبد الله. والبيهقي في «الدلائل» (٧٨/٢، ٧٩) عن يونس بن بكير. وأبو نعيم أيضاً في «الدلائل» (٣٤) عن سلمة بن الفضل خمستهم عن محمد بن إسحاق بسنده سواء زاد أبو نعيم أن اسم هذا اليهودي: يوشع.

قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي! وليس كما قال؛ لأن ابن إسحاق ليس من رجال مسلم؛ إلا في المتابعات وقد صرح الذهبي بذلك! وابن إسحاق صدوق متمسك، وقد صرح بالتحديث فالسند حسن، واستقر نظر الحفاظ المتأخرين على تحسين حديثه إذا صرح بالتحديث.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٣٠/٨): «رجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع».

(٤) من (ج) و(ل).

(٥) من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي).

(٦) في «تفسيره» (٢٧/٢).

(١١) [وعدتنا بإخراجه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، قال: وكذلك كانوا يصنعون؛ يدعون الله به فينصرون على أعدائهم ومن ناوأهم. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ أي: من الحق وصفة محمد ﷺ ﴿كَفَرُوا بِهِ فَلَئِنَّ اللَّهَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١).]

﴿يَسْأَلُكُمْ اللَّهُ يَوْمَ تَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقِيٍّ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١٢).

قال مجاهد (٢): ﴿يَسْأَلُكُمْ اللَّهُ يَوْمَ تَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقِيٍّ﴾ يهود شروا الحق بالباطل وكتمان ما جاء به محمد ﷺ بأن يبينوه.

وقال السدي (٣): ﴿يَسْأَلُكُمْ اللَّهُ يَوْمَ تَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقِيٍّ﴾ يقول: باعوا به أنفسهم؛ (يعني) (٤) بئسما اعتاضوا لأنفسهم، (ورضوا) (٥) به. (٦) [وعدلوا إليه من الكفر بما أنزل الله على محمد ﷺ عن تصديقه ومؤازرته ونصرته] (٦)؛ وإنما حملهم على ذلك البغي والحسد والكراهية لـ ﴿أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ولا حسد أعظم من هذا.

قال ابن إسحاق (٧)، عن محمد، عن عكرمة أو سعيد، عن ابن عباس: ﴿يَسْأَلُكُمْ اللَّهُ يَوْمَ تَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقِيٍّ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي: إن الله جعله من غيرهم.

= ولكن هذا لا يصح عن ابن عباس فأخرجه الحاكم (٢/٢٦٣) من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره. قال الحاكم: «أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير، وهو غريب». فتعقبه الذهبي بقوله: «لا ضرورة في ذلك، فبعد الملك متروك هالك». اهـ.

تنبيه: جاء في حاشية النسخة (ج) بجانب أثر ابن عباس: «أسنده الحاكم في «مستدركه». وكتبه عبد الرحمن بن السيوطي». اهـ. وكاتب هذه الحاشية هو الحافظ جلال الدين السيوطي.

(١) من (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي). (٢) أخرجه ابن جرير (١٥٣٥)؛ وابن أبي حاتم (٩١٥) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج، عن مجاهد. وسنده ضعيف لانقطاعه. ونقل عباس الدوري في «تاريخه» (٢/٣٧٢) عن ابن معين قال: «لم يسمع ابن جريج من مجاهد إلا حرفاً واحداً». اهـ.

(*) قلت: وهذا الحرف ذكره ابن أبي حاتم في «مقدمة الجرح والتعديل» (ص ٢٤٥) في ترجمة يحيى بن سعيد القطان. قال ابن أبي حاتم: نا محمد بن إبراهيم، نا عمرو بن علي، قال: سمعت يحيى يقول: لم يسمع ابن جريج من مجاهد إلا حديثاً واحداً: «فطلقوهم في قبل عدتهن».

(٣) أخرجه ابن جرير (١٥٣٤)؛ وابن أبي حاتم (٩١٤). [وسنده حسن].

(٤) في (ن): «يقول». (٥) في (ن): «فرضوا».

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) في «تفسيره»، كما في «الدر المنثور» (١/٢١٨)، ومن طريقه ابن جرير (١٥٤٠) قال: حدثنا ابن حميد؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩١٨) عن أبي غسان قالاً: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق به. [وسند ابن إسحاق حسن].

﴿فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ قال ابن عباس^(١) - فالغضب على الغضب: فغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة، وهي معهم، وغضب بكفرهم بهذا النبي الذي بعث الله إليهم.

قلت: ومعنى «باءوا»: استوجبوا واستحقوا واستقوا بغضب على غضب.

وقال أبو العالية^(٢): غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى، ثم غضب الله عليهم بكفرهم بمحمد ﷺ وبالقرآن^(٣).

^(٤) [وعن عكرمة^(٥) وقتادة^(٦) مثله^(٧)].

قال السدي^(٧): أما الغضب الأول فهو حين غضب عليهم في العجل، وأما الغضب الثاني فغضب عليهم حين كفروا بمحمد ﷺ. (وعن ابن عباس مثله^(٨)).

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر، قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]^(٩) [أي: صاغرين حقيرين ذليلين راغمين]^(٩).

وقد قال الإمام أحمد^(١٠): حدثنا يحيى، حدثنا ابن عجلان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ؛ قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلمونهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجناً في جهنم يقال له: بولس تعلوهم نار الأنيار (يسقون)^(١١) من طينة الخبال عصارة أهل النار».

(١) أخرجه ابن جرير (١٥٤٦)؛ وابن أبي حاتم (٩٢١) بالسند المتقدم.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٥٥٣)؛ وابن أبي حاتم (٩٢٠) من طريق آدم بن أبي إياس، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية. وسنده حسن.

(٣) من (ج).

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) أخرجه ابن جرير (١٥٤٨) عن يحيى بن يمان وأيضاً (١٥٤٩) عن عبد الرزاق قال: ثنا الثوري، عن أبي بكير، عن عكرمة قال: كفرهم بعيسى ومحمد ﷺ وسنده صحيح. وأبو بكير الكوفي اسمه مرزوق، كان مؤذن التيم وثقه ابن معين وابن حبان. وقال الثوري: «لا بأس به».

(٦) أخرجه ابن جرير (١٥٥١) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٥٥٤)؛ وابن أبي حاتم (٩٢٣) وسنده حسن.

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) في «مسنده» (١٧٩/٢).

وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)؛ والترمذي (٢٤٩٢)؛ والبيهقي في «شرح السنة» (١٦٨/١٣) من طريق ابن المبارك، وهذا في «الزهد» (١٩١ - زوائد نعيم) قال: حدثنا محمد بن عجلان بسنده سواء. وتابعه أبو خالد الأحمر ثنا ابن عجلان به. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩٠/٩)؛ وأخرجه الحميدي في «مسنده» (٥٩٨) قال: حدثنا سفيان؛ يعني: ابن عيينة، ثنا داود بن شابر ومحمد بن عجلان وأنا لحديث ابن عجلان حفظ، عن عمرو بن شعيب مثله.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وحسنه البيهقي. وسنده جيد.

(١١) في (ل): سيقون!!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالَوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب: ﴿ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ﴾ (أي): ^(١) على محمد ﷺ، وصدقوه واتبعوه، ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي: يكفينا الإيمان بما أنزل علينا من التوراة والإنجيل، ولا نقر إلا بذلك، ﴿وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ يعني: بما بعده؛ ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ أي: وهم يعلمون أن ما أنزل على محمد ﷺ الحق. ﴿مُصَدِّقًا﴾ (منصوب) ^(٢) على الحال؛ أي: في حال تصديقه لما معهم من التوراة والإنجيل، فالحجة قائمة عليهم بذلك؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦، الأنعام: ٢٠] (ثم) ^(٣) قال تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم صادقين في دعوكم الإيمان بما أنزل إليكم، فلم تقتلوا الأنبياء الذين جاءوكم بتصديق التوراة التي بأيديكم، والحكم بها وعدم نسخها، وأنتم تعلمون صدقهم؟ قتلتموهم بغياً وعناداً واستكباراً على رسل الله، فلستم تتبعون إلا مجرد الأهواء والآراء والتشهي؛ كما قال (تعالى) ^(٤): ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وقال السدي ^(٥) في هذه الآية: يعيرهم الله (تبارك و) ^(٣) تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وقال أبو جعفر ^(٦) بن جرير: قل يا محمد لليهود بني إسرائيل - (الذين) ^(٧) إذا قلت لهم: آمنوا بما أنزل الله، قالوا: نؤمن بما أنزل علينا -: لم تقتلون - إن كنتم يا معشر اليهود مؤمنين بما أنزل الله عليكم - أنبياءه وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم، بل أمركم (فيه) ^(٨) باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم؛ وذلك من الله تكذيب لهم في قولهم: نؤمن بما أنزل علينا، وتعبير لهم.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالآيات الواضحات، والدلائل (القاطعة) ^(٩) على أنه رسول الله ﷺ ^(١٠)، وأنه لا إله إلا الله. (والبينات) ^(١١) هي: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، وخلق البحر، وتظليلهم بالغمام، والمن والسلوى، والحجر، وغير ذلك من الآيات التي شاهدها.

(١) من (ج). (٢) في (ن): «منصوباً».

(٣) من (ن). (٤) من (ز) و(ن).

(٥) أخرجه ابن جرير (١٥٦٠)؛ وابن أبي حاتم (٩٢٩). [وسنده حسن].

(٦) وردت عبارة ابن جرير في (ج) و(ل) هكذا: «لم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم يا معشر اليهود مؤمنين بما أنزل الله على أنبيائه، وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم... إلخ» وما أثبتته عن باقي الأصول وهو الموافق لما في «الطبري».

(٧) من (ع). (٨) ساقط من (ن).

(٩) في (ن) و(ل): «القاطعات».

(١٠) من (ج) و(ل). (١١) في (ن): «والآيات البيّنات».

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ أي: معبوداً من دون الله في زمان موسى وأيامه.
 وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد ما ذهب عنكم إلى الطور لمناجاة الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (١)، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيفَتِهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُمْ خُوارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨].
 ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: وأنتم ظالمون في هذا الصنيع الذي صنعتوه من عبادتكم العجل، وأنتم تعلمون أنه لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَكَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَتَسَكَّمُ يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٣).

(يعدد) (٢) (تبارك) (٣) وتعالى (عليهم) (٤) خطأهم، ومخالفتهم للميثاق، (وعتوهم) (٥)، (وإعراضهم) (٦) عنه، حتى رفع الطور عليهم حتى قبلوه؛ ثم خالفوه؛ ولهذا (قال): (٧) قالوا: سمعنا وعصينا. وقد تقدم تفسير ذلك.

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ قال عبد الرزاق (٨)، عن (معمر، عن) (٩) قتادة: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ (بِكُفْرِهِمْ)﴾ (١٠) (قال) (١١): أشربوا (في قلوبهم) (١٢) حبه، حتى خلص ذلك إلى قلوبهم.

وكذا قال (١٣) أبو العالية، والربيع بن أنس.

وقال الإمام (١٤) أحمد: حدثنا عصام بن خالد، حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم

(١) من (ن). (٢) في (ل): «يقدر»!

(٣) في (ن): «سبحانه». (٤) ساقط من (ل).

(٥) في (ل): «عثرهم». (٦) ساقط من (ض) و(ع) و(ل) و(ي).

(٧) ساقط من (ن).

(٨) في «تفسيره» (٥٢/١) ومن طريقه ابن جرير (١٥٦١)؛ وابن أبي حاتم (٩٣٩). [وسنده صحيح].

(٩) ساقط من (ن). (١٠) من (ع) و(ل) و(ن) و(ي).

(١١) في (ن): «قالوا».

(١٢) ساقط من (ز) وهو في باقي الأصول، ولم ترد هذه اللفظة عند عبد الرزاق ولا من رواه من طريقه.

(١٣) أخرجهما ابن جرير (١٥٦٢، ١٥٦٣). [وسنده جيد].

(١٤) في «مسنده» (١٩٤/٥).

وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١٠٧/٢/١)؛ والدولابي في «الكنى» (١٠١/١) قال: حدثنا القاسم بن يونس الحمصي الأزدي، قال: ثنا عصام بن خالد بسنده سواء.

وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٢٠٥)؛ ويعقوب بن سفيان في «المعرفة» (٣٢٨/٢) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (ج ٢/رقم ٤٠٧)؛ وفي «الآداب» (٢٢٩) من طريق ابن المبارك، عن أبي بكر بن أبي مريم بسنده سواء.

وأخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٥٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢١٩) من طريق يحيى بن عبد الله البالبلي، وهو متروك، عن أبي بكر بن أبي مريم بسنده سواء. وتابعه محمد بن مصعب القرقساني، =

الغساني، عن خالد بن محمد الثقفي، عن بلال بن أبي الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ: قال: «حبك (الشيء)»^(١) يعمي ويصم.

ورواه أبو داود عن (حيوة)^(٢) بن شريح، عن بقية، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، (به)^(٣).

وقال السدي^(٤): أخذ موسى ﷺ العجل (فذبحه بالمبرد)^(٥)، ثم (ذراه)^(٦) في البحر، ثم لم يبق بحر يجري (يومئذ إلا وقع)^(٧) فيه شيء؛ ثم قال لهم موسى: اشربوا منه، فشربوا، فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب؛ فذلك حين يقول (الله)^(٨) تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْوَجَلَ﴾.

وقال ابن أبي حاتم^(٩): حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا (إسرائيل)^(١٠)، عن أبي إسحاق، عن عمارة بن (عبد)^(١١)، وأبي عبد الرحمن السلمي، عن علي (رضي الله عنه)^(١٢)؛ قال: عمد موسى إلى العجل، فوضع عليه (المبارد)^(١٣) (فبرده بها)^(١٤)، وهو على شاطئ نهر، فما شرب أحد من ذلك (الماء)^(١٥) ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب.

وقال سعيد بن جبير^(١٦): ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْوَجَلَ﴾ (قال: لما أحرق العجل)^(١٧) بُرد ثم

= فرواه عن أبي بكر بن أبي مريم بسنده سواء.

أخرجه أحمد (٤٥٠/٦)؛ وابن عدي في «الكامل» (٤٧٢/٢)؛ والطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٥٤) ورواه أيضاً بقية بن الوليد فرواه عن أبي بكر مثله. أخرجه أبو داود (٥١٣٠) قال: حدثنا حيوة بن شريح، ثنا بقية. واختلف على بقية في سنده. فرواه إسحاق بن راهويه عنه، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن حبيب بن عبيد، عن بلال بن أبي الدرداء، عن أبيه مرفوعاً. فجعل شيخ أبي بكر: «حبيب بن عبيد» بدل «خالد بن محمد»؛ أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٦٨).

وبالجملة؛ فالحديث لا يصح مرفوعاً من كل وجوهه، والصواب وقفه. والله أعلم. وله شاهد من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه مرفوعاً مثله أخرجه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (ق ١/٧١).

(١) في (ك): «للشيء». (٢) في (ك): «حرة»!

(٣) ساقط من (ل).

(٤) أخرجه ابن جرير (١٥٦٤)؛ وابن أبي حاتم (٩٣٨). [وسنده حسن، والخبر من الإسرائيليات].

(٥) في «تفسير الطبري»: «فذبحه، ثم حرقه بالمبرد». (٦) في (ض) و(ع) و(ي): «ذر» وفي (ل): «ذره».

(٧) في (ن): «إلا ذر فيه» وأشار في هامش النسخة إلى ما وقع في بقية النسخ.

(٨) لفظ الجلالة من (ز) و(ل) و(ن). (٩) في «تفسيره» (٩٣٦) وسنده جيد.

(١٠) في (ك): «إسماعيل».

(١١) كذا في (ج) وهو الصواب، وكتب ابن المحب ناسخ (ج) في الحاشية: «لعلها: عمير»! كذا قال! وهو عمارة بن عبد الكوفي. ووقع في (ك) و(ل) و(ن): «عمير» وكذلك كتبها ناسخ (ع) في الحاشية. ووقع في (ز) و(ض): «عبد الله» وكلاهما خطأ.

(١٢) ساقط من (ل) و(ن). [وفي سنده عبد الله بن رجاء في حفظه مقال. (التقريب ص ٣٠٢) والخبر من الإسرائيليات].

(١٣) في (ض): «النار»! وفي (ل): «المباردة»! (١٤) في (ك): «فبردوه»؛ وفي (ض): «فبرد».

(١٥) ساقط من (ك). (١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٣٧) وسنده جيد.

(١٧) ساقط من (ض).

(نسف)^(١)، فحسوا الماء حتى عادت وجوههم كالزعران.

^(٢)[وَحَكَى الْقُرْطُبِيُّ ^(٣)عَنْ كِتَابِ الْقَشِيرِيِّ، أَنَّهُ مَا شَرِبَ (مِنْهُ) ^(٤)أَحَدٌ مِمَّنْ عَبْدُ الْعَجَلِ إِلَّا جَنَ.

(ثم قال القرطبي)^(٥): وهذا شيء غير ما هنا؛ لأن المقصود من ^(٢)[هذا السياق أنه ظهر (التغير) ^(٧)على شفاههم ووجوههم. والمذكور هنا أنهم أشربوا في قلوبهم (حب) ^(٧)العجل؛ يعني: في حال عبادتهم له؛ ثم أنشد قول النابغة في زوجته: «عثمة»:

تغلغل حب (عثمة) ^(٨)في فؤادي (فباديه) ^(٩) مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم (يبلغ) ^(١٠)شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكاد إذا ذكرت العهد (منها) ^(١١)أطير لو أن إنساناً يطير ^(٦)

^(١٢)[وقوله: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: بثما تعتمدونه في قديم الدهر وحديثه؛ من كفركم بآيات الله، ومخالفتكم الأنبياء، ثم اعتمادكم في كفركم بمحمد ﷺ؛ وهذا أكبر ذنوبكم، وأشد الأمور عليكم؛ إذ كفرتم بخاتم الرسل وسيد الأنبياء والمرسلين المبعوث إلى الناس أجمعين؛ فكيف تدعون لأنفسكم الإيمان وقد فعلتم هذه الأفاعيل القبيحة؛ من نقضكم المواثيق، وكفركم بآيات الله، وعبادتكم العجل (من دون الله) ^(١٣)[^(١٢).

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ^(١٤)وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ^(١٥) وَلَنَجْذِثُنَّ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَزَّجٍهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ^(١٦)﴾.

قال محمد بن إسحاق ^(١٤): (حدثني) ^(١٥)محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنه) ^(١٦): يقول الله (تعالى) ^(١٧)لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ^(١٤) أي: ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب، فأبوا ذلك على رسول الله ﷺ.

(٢) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) ساقط من (ن).

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) في (ك): «غمة»!

(١٠) في (ع) و(ي): «ينفع».

(١٢) ساقط من (ع).

(١) في (ض): «نشف».

(٣) في «تفسيره» (٣٢/٢).

(٥) ساقط من (ل).

(٧) ساقط من (ن).

(٩) في (ك) و(ل) و(ي): «فنادته».

(١١) في (ك): «منا».

(١٣) من (ن).

(١٤) أخرجه ابن جرير (١٥٧١)؛ وابن أبي حاتم (٩٤٢). وعزاه في «الدر» (٢٢٠/١) لابن إسحاق. [وسنده حسن].

(١٦) من (ل) و(ن).

(١٥) في (ن): «عن».

(١٧) من (ن).

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٩٥) أي: (لعلمهم)^(١) بما عندهم من العلم (بك)^(٢) والكفر بذلك، ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات. وقال الضحاك^(٣)، عن ابن عباس: فتمنوا الموت - (فسلوا)^(٤) الموت. وقال عبد الرزاق^(٥)، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن عكرمة، قوله: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قال: قال ابن عباس: لو تمنى (يهود)^(٦) الموت لماتوا. وقال ابن أبي حاتم^(٧): (حدثنا)^(٨) أبي: حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا عثام، سمعت الأعمش؛ قال: لا أظنه إلا عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنه)^(٩) قال: لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه. وهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس.

وقال ابن جرير^(١٠) في «تفسيره»: «وبلغنا أن (رسول الله) ﷺ قال: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً». حدثنا^(١٢) بذلك أبو كريب، حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا (عبيد الله)^(١٣) بن عمرو، عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس (رضي الله عنه)^(١٤)، عن رسول الله ﷺ.

- (١) كذا في (ج) و(ل) ووقع في (ض) و(ن): «يعلمهم» وكذلك وقع في «تفسير ابن أبي حاتم»؛ وفي (ز) و(ك) و(ي): «يعلمهم» بالباء الموحدة، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».
- (٢) في (ن): «بل» باللام.
- (٣) أخرجه ابن جرير (١٥٧٧) وسنده ضعيف.
- (٤) في (ل) و(ن): «فأسألوا».
- (٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٢/١)، ومن طريقه ابن جرير (١٥٦٨)؛ وابن أبي حاتم (٩٤٣) وسنده صحيح.
- (٦) في (ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(ي): «اليهود».
- (٧) في «تفسيره» (٩٤١). [وصححه الحافظ ابن كثير]. (٨) في (ك): «أنبأنا».
- (٩) من (ل).
- (١٠) في «تفسيره» (٣٦٢/٢ - شاكراً).
- (١١) في (ن): «النبى».
- (١٢) أخرجه ابن جرير (١٥٦٦)؛ وأخرجه أيضاً (١٦٥/٣٠) في تفسير سورة «العلق».

وأخرجه البزار (٢١٨٩ - كشف الأستار) قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، ثنا زكريا بن عدي بسنده سواء ولفظه: «قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً ﷺ لأطأن على عنقه، فيقول: هو ذاك هو، قال: ما أراه. فقال رسول الله ﷺ: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا»؛ وأخرجه ابن مردويه، كما في «الفتح» (٧٢٤/٨)، من طريق زكريا بن عدي به وأخرجه النسائي في «التفسير» (٨١) قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبيد الله؛ وأحمد في «المسند» (٢٢٢٦) قال: حدثنا أحمد بن عبد الملك؛ وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦٠٤) عن عبد الله بن جعفر قالوا: ثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم الجزري، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره بتمامه وتابعه معمر ابن راشد، عن عبد الكريم الجزري بسنده سواء ولكنه جعل قوله: «لو تمنى اليهود الموت... إلخ» من قول ابن عباس وليس من جملة الحديث المرفوع.

أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٢/١) عن معمر.

وأخرجه البخاري (٧٢٤/٨).

- (١٣) في (ك) و(ن): «عبد الله» مكبر وهو خطأ. (١٤) من (ل).

ورواه الإمام أحمد، عن إسماعيل بن يزيد الرقي (أبي يزيد)^(١): حدثنا فرات، عن عبد الكريم، به .
وقال ابن أبي حاتم^(٢): حدثنا الحسن بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار، حدثنا
سرور بن المغيرة، عن عباد بن منصور، عن الحسن؛ قال: قول الله ما كانوا ليتمنوه بما قدمت
أيديهم. قلت: أرأيتك لو أنهم أحبوا الموت حين قيل لهم تمنوا الموت، أتراهم كانوا ميتين؟
قال: لا، والله ما كانوا ليموتوا، (لو)^(٣) تمنوا الموت، وما كانوا ليتمنوه، وقد قال الله ما
سمعت: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٩٥).

وهذا غريب عن الحسن، (ثم)^(٤) هذا الذي فسر به ابن عباس الآية هو المتعين، وهو الدعاء
على أي الفريقين أكذب منهم، أو من المسلمين على وجه المباهلة.

ونقله ابن جرير عن «قتادة»^(٥)، وأبي العالية^(٦)، والربيع بن أنس رحمهم الله (تعالى).
ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُواْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ
لِلّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْاْ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١) وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّوْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عِلِّيِّهِ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) [الجمعة] فهم، عليهم لعائن الله لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه،
وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب
الطائفتين منهم، أو من المسلمين؛ فلما نكلوا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون؛ لأنهم لو
كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك؛ فلما تأخروا علم كذبهم؛ وهذا كما دعا
رسول الله ﷺ وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة، (وعتوهم)^(٧)
وعنادهم، إلى المباهلة، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتَكُمُ وَنِسَاءَنَا وَأَنْفُسَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (١١)
[آل عمران] فلما رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض: والله لئن باهلتهم هذا النبي لا يبقى منكم عين
تطرف؛ فعند ذلك جنحوا (للسلم)^(٨)، (وبذلوا)^(٩) الجزية عن يد وهم صاغرون، فضربها عليهم،
وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه)^(١٠) أميناً.

ومثل هذا المعنى، (أو)^(١١) قريب منه، (قوله)^(١٢) تعالى لنبيه (ﷺ)^(١٣) أن يقول للمشركين:

(١) ساقط من (ز) و(ض)، ووقع في (ل): «إسماعيل عن يزيد الرقي» وهو خطأ واضح وشطب ناسخ (ن) على قوله: «أبي يزيد».

(٢) في «تفسيره» (٩٤٦) وسنده ضعيف لضعف سرور بن المغيرة.

(٣) في (ن): «ولو».

(٤) بياض في (ك).

(٥) في (ك): «عبادة»!

(٦) وأثر قتادة عند ابن جرير (١٥٧٢) [بسنده صحيح] وكذلك أثر أبي العالية (١٥٧٣)، [وسنده جيد] وأثر الربيع (١٥٧٤). [وسنده جيد].

(٧) ساقط من (ك).

(٨) في (ج) و(ل) و(ك) و(ي): «بذل».

(٩) ساقط من (ن).

(١٠) في (ج): «و».

(١١) في (ن): «قول الله».

(١٢) ساقط من (ن) و(ي).

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] أي: من كان في الضلالة منا ومنكم فزاده الله مما هو فيه، ومد له واستدرجه، كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله (تعالى) ^(١)، (وبه الثقة) ^(٢).

(وأما) ^(٣) من فسر الآية على معنى ^(٤) ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ ^(٥) [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] أي: (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ^(٥) في دعواكم، فتمنوا (الآن الموت) ^(٦)، ولم يتعرض هؤلاء للمباهلة، كما (قرره) ^(٧) طائفة من المتكلمين وغيرهم.

ومال إليه ابن جرير بعدما قارب القول الأول؛ فإنه قال: القول في (تأويل) ^(٨) قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ^(٩)... الآية: فهذه الآية مما احتج الله (سبحانه) ^(١٠) (به) ^(١١) لنبيه ﷺ على اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجرة، (وفضح) ^(١٢) بها أبحارهم وعلماءهم؛ وذلك أن الله (تعالى) ^(١٣) أمر نبيه ﷺ إلى قضية عادلة (بينه وبينهم من الخلاف) ^(١٤)، كما أمره أن يدعو الفريق (الآخر) ^(١٥) من النصارى؛ إذ خالفوه في عيسى (ابن مريم) ^(١٦) عليه (الصلاة و) ^(١٧) السلام، وجادلوه فيه - إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة؛ فقال (للفريق اليهود) ^(١٨): إِنْ كُنْتُمْ مُحَقِّقِينَ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ؛ فَإِنْ ذَلِكَ غَيْرُ (ضَائِرِكُمْ) ^(١٩) إِنْ كُنْتُمْ مُحَقِّقِينَ فِيمَا تَدْعُونَ مِنَ الْإِيمَانِ وَقَرَبِ الْمَنْزِلَةِ (مِنْ اللَّهِ) ^(٢٠)، (بل أعطيكم) ^(٢١) أُمْنِيَّتَكُمْ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا تَمَنَيْتُمْ؛ فَإِنَّمَا تُصَيِّرُونَ إِلَى الرَّاحَةِ مِنْ (تَعَبِ) ^(٢٢) الدُّنْيَا، وَنَصَبِهَا، وَكُدْرِ عَيْشِهَا، وَالْفُوزِ بِجَوَارِ اللَّهِ فِي جَنَاتِهِ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَكُمْ خَاصَّةٌ دُونَنَا، (وإِنْ) ^(٢٣) لَمْ تَعْطَوْهَا عِلْمَ النَّاسِ أَنْكُمْ الْمُبْطَلُونَ، وَنَحْنُ الْمُحَقَّقُونَ فِي دَعْوَانَا، وَانْكَشَفَ أَمْرُنَا وَأَمْرُكُمْ.

فامتنعت اليهود من الإجابة إلى ذلك، (لعلمهم) ^(٢٤) أنها إِنْ تَمَنَّتِ الْمَوْتَ هَلَكْتَ، فذهبت

- (١) من (ك) و(ن).
- (٢) من (ل).
- (٣) بياض في (ك).
- (٤) ساقط من (ن).
- (٥) ساقط من (ن).
- (٦) في (ل): «الموت الآن»، وسقط لفظ «الآن» من (ك).
- (٧) في (ض): «قدره».
- (٨) في (ز) و(ض): «تفسير».
- (٩) لم يذكرها ناسخ (ن) وكتب عقبها: «الآية».
- (١٠) من (ن).
- (١١) في (ك) و(ل): «نصبح»!
- (١٢) ساقط من (ن).
- (١٣) من (ن).
- (١٤) في (ن): «فيما كان بينه وبينهم من الخلاف».
- (١٥) من (ن).
- (١٦) في (ل): «للفريق من اليهود».
- (١٧) من (ل).
- (١٨) في (ج) و(ك) و(ل) و(ي): وفي (ن): «ضاركم»؛ وفي (ز) و(ض): «ضار بكم».
- (١٩) في (ن): «من الله لكم».
- (٢٠) كذا في (ج) و(ز) و(ض): وفي (ك) و(ي): «لكي أعطيكم»؛ وفي (ن): «لكي يعصيكم»؛ وفي (ل): «بل أعطيتم»؛ وفي «تفسير ابن جرير»: «بل إِنْ أُعْطِيتُمْ».
- (٢١) في (ل): «نعت»!
- (٢٢) في (ل): «فإن».
- (٢٣) في (ز): «لعلمها».

دنياهها، وصارت إلى خزي الأبد في (آخرتها)^(١)، كما امتنع فريق النصارى.

فهذا الكلام منه أوله حسن، (وأما)^(٢) آخره فيه نظر، وذلك (أنه)^(٣) لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل؛ إذ يقال: (إنه)^(٤) لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم (أن يتمنوا)^(٥) الموت؛ فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمنى الموت؛ وكم من صالح لا يتمنى الموت؛ بل يود أن يعمر (ليزداد)^(٦) خيراً، (وترتفع درجته)^(٧) في الجنة؛ كما جاء (في الحديث)^(٨): «خيركم من طال عمره وحسن عمله»^(٩).

^(١٠) [وجاء في «الصحيح»^(١١) النهي عن تمنى الموت؛ وفي بعض ألفاظه^(١٢) «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، إما محسناً فلعله (أن)^(١٣) يزداد، وإما مسيئاً، فلعله أن يستعيب». ثم^(١٤)، ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا، فما أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة،^(١٥) [وأنتم (لا تتمنون)^(١٦) في حال الصحة الموت]^(١٧)، فكيف (تلتزموننا)^(١٨) بما (لا يلزمكم)^(١٩)؟!

^(١٨) [وقد تعرض فخر الدين الرازي في «تفسيره»^(١٩) لهذا السؤال؛ وأجاب عنه بأن الرسول مأمور بإبلاغ الرسالة إلى أمته بالتواتر عنه، وتمنى الموت يحجزه عن ذلك، قال: ولعلمهم كان يمنعهم من التمني كثرة ذنوبهم، وكانوا يقولون: إنهم يكونون في النار أياماً معدودات، ولكن كل يوم (كألف)^(٢٠) سنة، أو كان يمنعهم منه شدته وآلامه، وسأل غير ذلك من الأسئلة، وأجاب^(٢١)]

(١) في (ض): «أخراها».

(٣) في (ل): «إنهم».

(٥) في (ن): «إنهم يتمنون».

(٧) في (ك) و(ي): «ويرتفع درجة».

(٩) حديث صحيح.

أخرجه الترمذي (٢٣٢٩)؛ وأحمد (١٨٨/٤، ١٩٠)؛ وفي «الزهد» (٣٥)؛ والبيهقي في «سننه» (٣/٣٧١)؛ وفي «الأربعين الصغرى» (٤٤)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١١/٦، ١١٢)؛ والبغوي في «شرح السنة» (١٦/٥)؛ والطبراني في «الأوسط» (٢/٢٦١، ٢٦٢)؛ والشجري في «الأمالي» (١/٢٥٥) من طرق عن عمرو بن قيس، عن عبد الله بن بسر أن أعرابياً قال: يا رسول الله! من خير الناس؟ قال: «من طال عمره، وحسن عمله». قال الترمذي: «حسن غريب». وعند أحمد وغيره زيادة، ذكرتها في «التسليّة»، وفي الباب شواهد.

(١٠) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).

(١١) أخرجه البخاري (١٥٠/١١)؛ ومسلم (٢٦٨٠).

(١٢) عند البخاري (١٠/١٢٧)؛ و(١٣/٢٢٠) من طريق الزهري قال: أخبرني أبو عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف، عن أبي هريرة مرفوعاً.

(١٣) ساقط من (ي).

(١٤) وقعت العبارة في (ل): «وأنتم لا تتمنون الموت في حال الصحة».

(١٥) في (ض) و(ي): «لا تمنون».

(١٧) في (ز) و(ض) و(ك): «تلزمكم».

(١٩) انظر: «تفسير الرازي» (٢/٢٠٤، ٢٠٥).

(٢٠) في (ي): «ألف».

(١١) [عنها بأجوبة، ولم يذكر مع هذا كله (قول) (٢) المباهلة بالكلية، وأما القرطبي، فإنه حكاه، ولكن] (٣) إنما عول على الأول. والله أعلم] (١).

وهذا كله إنما نشأ من تفسير (هذه) (٤) الآية على هذا المعنى، فأما على تفسير ابن عباس فلا يلزم (عليه) (٥) شيء من ذلك؛ بل قيل لهم كلام نصف: إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء (الله) (٦) من دون الناس، وأنكم أبناء الله وأحباؤه، وأنكم (من) (٧) أهل الجنة ومن عداكم (من) (٨) أهل النار، فباهلوا على ذلك، وادعوا على الكاذبين منكم أو (من) (٩) غيركم، واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة، فلما تيقنوا ذلك، وعرفوا صدقه، نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم، وافترائهم، وكتمانهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونعته، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه، فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم، وضلالهم وعنادهم، عليهم لعائن الله (المتابعة) (١٠) إلى يوم القيامة.

(١١) [وسميت هذه المباهلة تمنياً؛ لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له (في) (١٢) بيان حقه وظهوره؛ وكانت المباهلة بالموت؛ لأن الحياة عندهم (عزيزة عظيمة) (١٣) لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت] (١١).

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٩٥) وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ: أي: (أحرص الخلق على حياة أي) (١٤) على طول (عمر) (١٥)، لما يعلمون من مآلهم السيئ، وعاقبتهم عند الله الخسارة؛ لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر؛ فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم، (وما يحذرون) (١٦) منه واقع بهم لا محالة، (حتى) (١٧) وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم.

وهذا من باب عطف الخاص على العام.

قال ابن أبي حاتم (١٨): حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنه) (١٩): ﴿وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ قال: الأعاجم.

(١) من (ج) و(ل) و(ي).

(٣) ساقط من (ي).

(٥) ساقط من (ز) و(ض) و(ك) و(ي).

(٧) من (ن).

(٩) ساقط من (ك).

(١١) ساقط من (ز) و(ض).

(١٣) في (ل): «عظيمة عزيزة».

(١٥) من (ن): «العمر».

(١٧) ساقط من (ل).

(١٨) في «تفسيره» (٩٥١). [وسنده حسن].

وأخرجه الحاكم (٢/٢٦٣) من طريق قبيصة بن عقبة، ثنا الثوري بسنده سواء.

(١٩) من (ك).

(٢) من (ج) و(ل)؛ وفي باقي الأصول: «ذكر».

(٤) من (ج) و(ل).

(٦) في (ن): «الله».

(٨) من (ك) و(ن).

(١٠) في (ك): «البالغة»؛ وفي (ل) و(ي): «التابعة».

(١٢) في (ل): «فيها».

(١٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ن).

(١٦) في (ن): «وما يحاذرون».

(وكذا)^(١) رواه الحاكم في «مستدركه» من حديث الثوري؛ وقال: «صحيح على شرطهما ولم يخرجاه».

قال: «وقد اتفقا على (سند تفسير)^(٢) الصحابي».

وقال الحسن البصري^(٣): ﴿وَلَجَدْتُهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِمْ﴾ قال: المنافق أحرص (الناس)^(٤) (على حياة، وهو)^(٥) أحرص (على الحياة من المشرك)^(٦).

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ أي: (يود)^(٧) أحد اليهود كما يدل عليه نظم السياق.

وقال أبو العالية^(٨): يود أحدهم؛ أي: أحد المجوس، وهو يرجع إلى الأول.

﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال الأعمش^(٩)، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هو كقول الفارسي: «(زه)^(١٠) هزار سال»: يقول (عشرة آلاف)^(١١) سنة.

وكذا روى عن سعيد بن جبیر^(١٢) نفسه أيضاً.

وقال ابن جریر^(١٣): حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، سمعت أبي يقول: حدثنا أبو حمزة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس - في قوله (تعالى)^(١٤): ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هو قول الأعاجم^(١٥): هزار سال نوروز مهرجان.

وقال مجاهد^(١٦): ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: حُببت إليهم الخطيئة طول العمر.

(١) من (ن).

(٢) في (ك): «تفسير سند».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٥٠) وسنده ضعيف.

(٤) ساقط من (ل).

(٥) ساقط من (ن).

(٦) في (ن): «من المشرك على الحياة».

(٧) من (ن).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٥٢). [وسنده جيد].

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٥٣) من طريق عبد الله بن نمير، عن الأعمش به. [وسنده حسن].

(١٠) في (ج) و(ل) و(ن): «ده».

(١١) في (ك) و(ي): «عشر ألف»!

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٥٩٢) وسنده معلق ضعيف.

(١٣) في «تفسيره» (١٥٩١).

قال الشيخ أحمد شاكر رحمته الله في تعليقه على «تفسير الطبري»: «وهذا الإسناد صحيح متصل».

(١٤) ساقط من (ن).

(١٥) قال الشيخ أبو الأشبال رحمته الله: وفي «تفسير ابن كثير»: «هزار سال نوروز مهرجان» وقد سألت أحد أصحابنا ممن يعرف الفارسية فقال: إن هذا النص لا ينطبق على قواعد الفارسية، وأنه يظن أن صوابها: «زه در مهرجان نوروز هزار سال»، ومعنى «زه»: «عش» و«در» ظرف بمعنى: «في»، و«مهرجان» هو عيد لهم، و«نوروز»، عيد آخر في أول السنة، و«هزار» ألف، و«سال»: «سنة»، فكان «حد» التي في آخر الكلام في نص الطبري هي «در» مصحفة، وبأقي النصوص الفارسية صحيح ومعناه: عش ألف سنة؛ وفي «المستدرک» للحاكم: «هزار سال سرور مهرجان بخور» وقال مصححه: «يعني: تمتع ألف سنة كمثل عيد مهرجان، وهو عيد لهم». وكان هذا هو الصواب. اهـ.

(١٦) أخرجه ابن جرير (١٥٩٣) قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد ويعقوب بن إبراهيم؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٩٥٤) قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح قالوا: ثنا إسماعيل بن عليه، عن ابن أبي نجیح عن مجاهد. وسنده صحيح.

وقال محمد بن إسحاق^(١)، عن محمد (بن أبي محمد)^(٢)، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس (رضي الله عنه)^(٣) ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجَةٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ أي: وما هو بمنجيه من العذاب؛ وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت؛ فهو يحب طول الحياة، وأن اليهودي قد عرف ما له في الآخرة من الخزي (بما ضيع)^(٤) ما عنده من العلم.

وقال العوفي^(٥)، عن ابن عباس: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجَةٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ قال: هم الذين عادوا جبريل.

وقال أبو العالية^(٦): (وإن عمر)^(٧): (فما ذاك بمغنيته)^(٨) من العذاب ولا منجيه (منه)^(٩).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(١٠) (في هذه الآية)^(١١): يهود أحرص على الحياة من هؤلاء؛ وقد ود هؤلاء (لو)^(١٢) يعمر أحدهم ألف سنة؛ وليس ذلك بمزحزحه من العذاب لو عمر^(١٣) [كما أن عمر إبليس لم ينفعه]^(١٤)، إذ كان كافراً.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: (خبير بصير)^(١٥) بما يعمل عباده من خير وشر، وسيجازي كل عامل بعمله^(١٥).

﴿ثُلٌ مِّنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٧) مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٧٨﴾

قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري^(١٦) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل؛ إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل (ولي)^(١٧) لهم؛ ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك؛ فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٥٥). [وسنده حسن]. وأخرجه ابن جرير (١٦٠٠).

(٢) من (ن).

(٣) من (ك).

(٤) كذا في (ن) و(ي) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم»؛ وفي باقي «الأصول»: «بما صنع بما عنده من العلم» واخترت الأولى لأنها أوضح في المعنى.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٦٠٣) وسنده ضعيف؛ مسلسل بالضعفاء.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٦٠١)؛ وابن أبي حاتم (٩٥٦). [وسنده جيد].

(٧) في (ن): «وابن عمر»!!

(٨) كذا في سائر «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري». ووقع في (ل): «ولا ذاك بمغنيته» وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم».

(٩) في (ك): «فيه».

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٥٩٥) وسنده صحيح.

(١١) ساقط من (ز) و(ض) و(ك).

(١٢) في (ز) و(ض): «أن».

(١٣) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ي). ووقعت العبارة في (ن): «كما عمر إبليس».

(١٤) في (ض): «بصير خبير».

(١٥) في (ع): «بلغ مقابلة على المصنف، فسح الله في مدته».

(١٦) في «تفسيره» (٣٧٧/٢).

(١٧) في (ن): «ولياً».

ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو كريب^(١)، حدثنا يونس بن بكير، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس - أنه قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلالٍ نسألك عنهن لا (يعلمهن)^(٢) إلا نبي. فقال رسول الله ﷺ: «(سلوا)^(٣) عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله، وما أخذ يعقوب على بنيه، لئن أنا حدثتكم عن شيء فعرفتموه (لتتابعني)^(٤) على الإسلام». فقالوا: ذلك لك. فقال رسول الله ﷺ: «سلوني^(٥) عما شئتم». قالوا: أخبرنا عن أربع خلالٍ نسألك عنهن: أخبرنا: أي: الطعام (حرم)^(٦) إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا: كيف ماء المرأة وماء الرجل؛ وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في (النوم)^(٧) (وليهِ)^(٨) من الملائكة؟ (فقال رسول الله ﷺ)^(٩): «عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم (لتتابعني؟)^(١٠) فأعطوه (ما شاء)^(١١) من عهد وميثاق؛ فقال: نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى؛ هل تعلمون أن إسرائيل - يعقوب -

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٦٠٥).

وأخرجه أحمد (٢٥١٤ - شاكراً)؛ وابن سعد في «الطبقات» (١٧٤/١، ١٧٥) قالوا: حدثنا هاشم بن القاسم؛ وأخرجه عبد بن حميد في «تفسيره» قال: حدثنا أحمد بن يونس؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٥١ - آل عمران)؛ والبيهقي في «الدلائل» (٢٦٦/٦، ٢٦٧) من طريق الطيالسي وهذا في «مسنده» (٢٧٣١)؛ وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٢٥١٥) من طريق محمد بن بكار بن الريان؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٢/رقم ١٣٠١٢) من طريق محمد بن يوسف الفريابي خمستهم عن عبد الحميد بن بهرام بسنده سواء؛ وأخرجه أحمد (٢٤٧١) من طريق الحسين بن محمد المروزي ثنا عبد الحميد ببعضه. (*) قلت: وعبد الحميد بن بهرام وثقه أحمد وابن معين وأبو داود وأثنى عليه شعبة وقال: «نعم الشيخ». وقال ابن معين في رواية والنسائي والعجلي وابن عدي: «لا بأس به». وقال أبو حاتم: «أحاديثه عن شهر صحاح، لا أعلم روى عن شهر بن حوشب أحاديث أحسن منها ولا أكثر منها». وقال ابن عدي: «هو في نفسه لا بأس به، وإنما عابوا عليه كثرة رواياته عن شهر، وشهر ضعيف». وقال الخطيب: «الحمل في الصحيفة التي ذكر أنها منكورة على شهر لا على عبد الحميد». وقد خولف عبد الحميد بن بهرام. خالفه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين فرواه عن شهر بن حوشب مراسلاً. أخرجه محمد بن إسحاق، كما في «سيرة ابن هشام» (١٩١/٢، ١٩٢) ومن طريقه الطبري في «تفسيره» قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين به.

وعبد الله هذا ثقة، وثقه أحمد وأبو زرعة والنسائي والعجلي وابن حبان وابن سعد وقال: «قليل الحديث» وقال ابن عبد البر: «ثقة عند الجميع فقيه عالم بالمناسك» وصرح ابن إسحاق بالتحديث كما رأيت. وهذا الوجه المرسل أرجح، نظرياً، من رواية عبد الحميد الموصولة. وهذا الاختلاف في سنده من شهر بن حوشب، فكان سيء الحفظ وللحديث طريق آخر عن ابن عباس، يأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

(٢) في (ج): «يعلمن».

(٣) في (ل): «سألوا».

(٥) في (ن): «سلوا».

(٦) كذا في «ز» و«ض» و«ع» و«ك» و«ن» و«ي» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (٣٧٧/٢) ووقع في (ج) و«ل»: «الذي حرم».

(٧) كذا في «تفسير الطبري» وسائر روايات الحديث عند المخرجين له. ووقع في سائر «الأصول»: «التوراة»، وما أثبتته أولى وأليق بلفظ الحديث، وجواب النبي ﷺ يدل عليه، والله أعلم.

(٨) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ن): «ومن وليه» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(٩) في (ن): «وقال النبي».

(١٠) في (ن): «لتتابعني».

(١١) في (ن): «ما شاء الله».

مرض مرضاً شديداً، فطال سقمه منه، فنذر الله نذراً، لئن عافاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه؛ وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟ فقالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد عليهم» وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أن ماء الرجل (أبيض غليظ)^(١) وأن ماء المرأة (أصفر رقيق)^(٢) فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله (ﷻ)^(٣)، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله (ﷻ)^(٤)؟ قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد^(٥) [وأنشدكم (بالذي)^(٦) أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: «اللهم اشهد»]^(٥).

قالوا: أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك، أو نفارقك. قال: «فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه». قالوا: فعندها نفارقك، ولو كان وليك سواء من الملائكة تابعناك وصدقناك.

قال: «فما منعكم أن تصدقوه؟» قالوا: إنه عدونا؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] فعندها باءوا بغضب على غضب.

وقد رواه الإمام أحمد في «مسنده»، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، وعبد بن حميد في «تفسيره»، عن أحمد بن يونس؛ كلاهما عن عبد الحميد بن بهرام، به.

ورواه (الإمام أحمد)^(٧) أيضاً عن الحسين بن محمد المروزي عن عبد الحميد (به)^(٨) بنحوه.

وقد رواه محمد بن إسحاق بن يسار، (حدثني)^(٩) عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب؛ فذكره مرسلًا.

وزاد فيه: قالوا: فأخبرنا عن الروح. قال: «فأنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل؛ هل تعلمون أنه جبريل، وهو الذي يأتيني؟» قالوا: اللهم نعم. ولكنه (لنا عدو)^(١٠)، وهو ملك؛ إنما يأتي بالشدّة وسفك الدماء؛ فلولا ذلك اتبعناك؛ فأنزل الله (تعالى)^(١١) فيهم: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

وقال الإمام أحمد^(١٢): حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي، عن

(١) في (ن): «غليظ أبيض».

(٢) في (ن): «رقيق أصفر».

(٣) من (ن).

(٤) من (ن).

(٥) ساقط من (ك).

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ل) و(ي): «بالذي» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (٣٧٨/٢). ووقع في (ز) و(ض) و(ن): «بالله الذي».

(٧) ساقط من (ي). وسقطت لفظة: «الإمام» من (ن).

(٨) ساقط من (ز) و(ن).

(٩) في (ن): «حدثنا».

(١٠) في (ن): «عدو لنا».

(١١) من (ن).

(١٢) في «مسنده» (٢٤٨٣) ومن طريقه الضياء في «المختارة» (١٠/٦٩، ٧٠).

(بكير)^(١) بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: أقبلت يهود (إلى)^(٢) رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك؛ فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه؛ إذ قال: (والله على ما نقول وكيل). قال: «هاتوا»: قالوا: فأخبرنا عن علامة النبي؟ قال: «تنام عيناه ولا ينام قلبه».

قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة، وكيف تذكر؟ قال: «يلتقي الماءان، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، وإذا علا ماء المرأة (ماء الرجل)»^(٣) آثت.

قالوا: أخبرنا (ما)^(٤) حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: «كان يشتكى عرق النساء، فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا» قال أحمد: قال بعضهم: يعني: الإبل، فحرم لحومها. قالوا: صدقت.

قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: ملك من ملائكة الله ﷻ، موكل بالسحاب بيديه أو في يديه مخراق من نار يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله ﷻ^(٥).

قالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: «صوته». قالوا: صدقت.

قالوا: إنما بقيت واحدة؛ وهي التي نتابعك إن أخبرتنا (بها)^(٦): إنه ليس من نبي إلا وله ملك يأتيه بالخبر؛ فأخبرنا من صاحبك؟ قال: جبريل عليه السلام. قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا؛ لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والقطر والنبات (لكان)^(٧)؛ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ...﴾ إلى آخر الآية.

ورواه الترمذي، والنسائي، من حديث عبد الله بن الوليد، به. وقال الترمذي: «حسن غريب». وقال سنيد في «تفسيره»^(٨)، عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج: أخبرني القاسم بن أبي بزة - أن يهود سألوا النبي ﷺ (من)^(٩) صاحبه الذي ينزل عليه بالوحي. قال: جبريل. قالوا: فإنه لنا

= وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٥٢)؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٧٦٥)؛ وابن منده في «التوحيد» (٤٨) من طريق أبي أحمد الزبيري محمد بن عبد الله مثله. وتابعه أبو نعيم الفضل بن دكين قال: نا عبد الله بن الوليد وكان يجالس الحسن بن حي بسنده سواء. أخرجه النسائي في «العشرة» (١٨٧)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (١١٤/٢/١)؛ وابن منده في «التوحيد» (٤٨)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٢/رقم ١٢٤٢٩)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣٠٤/٤، ٣٠٥)؛ والضياء في «المختارة» (٦٧/١٠، ٦٨)؛ وأخرج الترمذي (٣١١٧) منه قصة الرعد. وقال: «حسن غريب». وقال ابن منده: «هذا إسناد متصل، ورواته مشاهير ثقات».

- (١) في (ك): «بكر» مكبراً، وهو تصحيف. (٢) في (ن): «على».
- (٣) ساقط من (ج) و(ض) و(ع) و(ي). وهو ثابت في «المسند» (٢٤٨٣).
- (٤) في (ج) و(ل): «عما».
- (٥) في (ن): «تعالى».
- (٦) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل)، وهو ثابت في «المسند».
- (٧) في (ل): «لكننا تابعتك» وهو مخالف لسائر «الأصول» و«المسند».
- (٨) ومن طريقه ابن جرير (١٦٠٧) قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، حدثني حجاج. والحسين هو ابن داود، ولقبه: «سنيد»، وهو لقب غلب عليه. [وسنده مرسل ويشهد له سابقه].
- (٩) في (ز) و(ل) و(ن): «عن».

عدو، ولا يأتي إلا بالحرب والشدة، والقتال؛ فنزلت: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ...﴾ الآية. قال ابن جريج^(١): قال مجاهد: قالت يهود: يا محمد؛ ما نزل جبريل إلا بشدة وحرب وقتال، فإنه لنا عدو؛ فنزل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ...﴾ الآية. وقال البخاري^(٢): قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ﴾ قال عكرمة: جبر، وميك وإسراف: عبد، وإيل: الله.

حدثنا عبد الله بن (منير)^(٣)، سمع عبد الله بن (بكر)^(٤)، حدثنا حميد؛ عن أنس بن مالك؛ قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ؛ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه، أو إلى أمه؟ قال: أخبرني (بهن جبريل آنفاً)^(٥). قال: جبريل؟ قال: «نعم». قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾.

أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت. وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزع.

قال: أشهد أن لا إله إلا الله (وأشهد أنك رسول الله)^(٦). يا رسول الله؛ إن اليهود قوم بهت^(٧)، وإنهم إن تعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم (يبهتوني)^(٨)؛ فجاءت اليهود، فقال (لهم رسول الله ﷺ)^(٩): أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. قال: رأيتم إن أسلم؟ قالوا: أعاده الله من ذلك.

فخرج عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، (وأن)^(١٠) محمداً رسول الله. فقالوا: هو شرنا وابن شرنا، وانتقصوه؛ فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله - انفرد به البخاري من هذا الوجه.

- (١) وسنده مرسل أو معضل، وابن جريج لم يسمع من مجاهد إلا حرفاً واحداً.
- (٢) في «كتاب التفسير» (٨/١٦٥ - فتح).
- (٣) كذا في (ج) و(ز). ووقع في (ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي): «نمير» وهو خطأ واضح، فالبخاري لم يلحق ابن نمير، فإن البخاري ولد سنة (١٩٤) بينما توفي ابن نمير سنة (١٩٩)، ويظهر لي أن قلم المصنف سبقه في الكتابة، ويدل على ذلك أن ابن المحب ناسخ (ج) قال في الحاشية: «كانت في الأصل: ابن نمير».
- (٤) في (ك) و(ن): «بكير» وهو خطأ.
- (٥) كذا في (ز) و(ض) و(ك) و(ل) و(ن) وهو الموافق لما في «صحيح البخاري» (٨/١٦٥)، وفي (ج) و(ع) و(ي): «أخبرني جبريل بهن آنفاً».
- (٦) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي) وهو الموافق لما في «البخاري» (٨/١٦٥)، وفي (ن): «وأنت رسول الله»؛ وفي (ج) و(ل): «وأن محمداً رسول الله».
- (٧) بهت؛ جمع بهوت، من بناء المبالغة، والبهت: الكذب والافتراء.
- (٨) في (ل): «بهتوني».
- (٩) كذا في (ن) وهو الموافق لما في «البخاري». وسقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي).
- (١٠) في (ن): «وأشهد أن».

وقد أخرجه^(١) من وجه آخر، عن أنس، بنحوه.

وفي «صحيح مسلم»^(٢)، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قريب من هذا السياق، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

وحكاية البخاري كما تقدم عن عكرمة هو المشهور - أن «إيل» هو الله.

وقد رواه سفيان (الثوري)^(٣)، عن خصيف، عن عكرمة^(٤).^(٥) [ورواه عبد بن حميد، عن إبراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة]^(٥).

ورواه ابن جرير^(٦)، عن الحسين بن يزيد (الطحان)^(٧)، عن إسحاق بن منصور، عن قيس (عن)^(٨) عاصم، عن عكرمة أنه قال: إن جبريل اسمه: «عبد الله»، وميكائيل اسمه: (عبيد الله)^(٩). إيل: الله.

ورواه^(١٠) يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله سواء.

وكذا قال غير واحد من السلف، كما سيأتي قريباً.

^(١١) [وقال الإمام أحمد^(١٢) في أثناء حديث: «سمرة بن جندب»: حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن عمرو بن عطاء، قال لي علي بن الحسين: اسم جبريل: «عبد الله»؛ واسم ميكائيل: «عبيد الله»]^(١١).

ومن الناس من يقول: «إيل» عبارة عن «عبد»، والكلمة الأخرى هي اسم الله؛ لأن كلمة «إيل» لا تتغير في الجميع فوزانه: عبد الله، عبد الرحمن، عبد الملك، عبد القدوس، عبد السلام، عبد الكافي، عبد الجليل؛ «فعبد» موجودة في هذا كله؛ واختلفت الأسماء (المضاف)^(١٣) إليها، وكذلك جبرائيل، وميكائيل، وعزرائيل، وإسرافيل، ونحو ذلك.

وفي كلام غير العرب يقدمون المضاف إليه على المضاف. والله أعلم.

(١) كذا! فليحرر، فإني لم أظفر به في «صحيح مسلم» والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم في «كتاب الحيض» (٣٤/٣١٥). وقد مر تخريجه قريباً.

(٣) ساقط من (ل). (٤) أخرجه ابن جرير (١٦٢٨) وسنده لا بأس به.

(٥) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل)، وهو ثابت في (ع) و(ن) و(ي).

(٦) في «تفسيره» (١٦٢٤) وسنده ضعيف. وقيس هو ابن الربيع في حفظه مقال مشهور. وشيخ ابن جرير لينه أبو حاتم الرازي كما في «الجرح والتعديل» (٦٧/٢/١) وذكره ابن حبان في «الثقات» (١٨٨/٨).

(٧) كذا ورد في كل «الأصول» وهو الصواب كما في «الجرح والتعديل»، و«ثقات ابن حبان»، و«تهذيب الكمال» (٥٠١/٦) وفروعه. ووقع في «تفسير الطبري» (٣٩٠/٢): «الضحاك» وهو تصحيف.

(٨) في (ن): «بن» وهو خطأ. [وسنده حسن]. (٩) في (ن): «عبد الله» مكبراً.

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٦٢١) ورجاله ثقات إلا شيخ الطبري محمد بن حميد.

(١١) من (ج) و(ل).

(١٢) في «مسنده» (١٥/٥، ١٦) وعلقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٧٢) وقد رواه أيضاً (٩٧١) من طريق ابن إسحاق عن الزهري، عن علي بن الحسين. وسنده حسن.

(١٣) في (ض) و(ل): «المضافة».

ثم قال ابن جرير^(١): وقال آخرون: بل كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت^(٢) بين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)^(٣) وبينهم^(٢) في أمر النبي ﷺ.

ذكر من قال ذلك^(٤): حدثني محمد بن المثنى، حدثني ربعي بن علي، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: نزل عمر الروحاء، فرأى رجالاً يتدرون أحجاراً يصلون إليها؛ فقال: (ما هؤلاء)^(٥)؟ قالوا: يزعمون أن رسول الله ﷺ صلى ها هنا، قال: فكره ذلك، وقال: (إنما)^(٦) رسول الله ﷺ أدركته الصلاة بواد (فصلاها)^(٧)، ثم ارتحل فتركه. ثم أنشأ يحدثهم؛ فقال: كنت أشهد اليهود يوم (مدراسهم)^(٨)، فأعجب من التوراة كيف تصدق (الفرقان)^(٩)، ومن (الفرقان)^(٩) كيف يصدق التوراة، (فبيننا)^(١٠) أنا عندهم ذات يوم قالوا: يا ابن الخطاب، ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك.

قلت: ولم ذلك؟ قالوا: (إنك)^(١١) تغشانا وتأيتنا.

فقلت: إني آتيكم فأعجب من (الفرقان)^(٩) كيف يصدق التوراة، ومن التوراة كيف تصدق (الفرقان)^(٩).

قالوا: ومر رسول الله ﷺ؛ فقالوا: يا ابن الخطاب؛ ذاك صاحبكم فالحق به.

قال: فقلت لهم عند ذلك: نشدتكم بالله الذي لا إله إلا هو، وما استرعاكم من حقه، وما استودعكم من كتابه؛ هل تعلمون أنه رسول الله؟ قال: فسكتوا. فقال لهم عالمهم وكبيرهم: إنه قد غلظ عليكم فأجيبوه. فقالوا: فأنت عالمنا وكبيرنا، فأجبه أنت. قال: أما إذ نشدتنا بما نشدتنا (به)^(١٢)

(١) في «تفسيره» (٢/ ٣٨٠، ٣٨١ شاکر).

(٢) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل) وهو الموافق لما في «ابن جرير». ووقع في (ع) و(ن) و(ي): «بينهم وبين عمر بن الخطاب».

(٣) من (ل) وهو الموافق لما في «ابن جرير».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٦٠٨) وسنده ضعيف لانقطاعه، فإن الشعبي واسمه عامر بن شراحيل لم يدرك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقد صرح المصنف بذلك بعد.

وأخرجه ابن جرير أيضاً (١٦٠٩) قال: حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علي، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي قال: قال عمر: نحو الحديث الماضي.

وابن علي هذا هو إسماعيل، وهو أشهر من أخيه ربعي بن علي.

قال السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٩٠): «صحيح الإسناد ولكن الشعبي لم يدرك عمر».

(٥) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «ابن جرير». ووقع في (ن): «ما بال هؤلاء»؛ وفي (ل): «ما هو».

(٦) كذا في سائر «الأصول» واضحة؛ وفي (ن): «أيا» بالياء التحتانية، وكذلك ضبطها الشيخ محمود شاكر (رضي الله عنه) في «تفسير الطبري»، وما ورد في «الأصول» صحيح، على اعتبار أن قوله: «رسول الله» جملة توضيحية. والله أعلم.

(٧) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ن): «صلاها»؛ وفي «ابن جرير»: «فصلى».

(٨) في (ل): «مدراسهم».

(٩) كذا في سائر «الأصول»، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري». ووقع في (ن): «القرآن».

(١٠) في (ك) و(ن): «فبيننا».

(١١) في (ن): «لأنك».

(١٢) ساقط من (ع) و(ي).

فإنا نعلم أنه رسول الله. قلت: ويحكم، (فأني)^(١) هلكتم؟! قالوا: (إنا لم نهلك)^(٢). قلت: كيف ذلك وأنتم تعلمون أنه رسول الله (ثم لا تتبعونه)^(٣) ولا تصدقونه؟ قالوا: إن لنا عدواً من الملائكة وسلماً من الملائكة؛ وإنه قرن بنبوته عدونا من الملائكة. قلت: ومن عدوكم؛ ومن سلمكم؛ قالوا: عدونا جبريل، وسلمنا ميكائيل^(٤) قالوا: إن جبريل ملك الفضاظة والغلظة والإعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا. وإن ميكائيل ملك الرحمة والرفقة التخفيف ونحو هذا.

قال: قلت: وما منزلتهما من ربهما ﷺ؟ قالوا: أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره. قال: فقلت: فوالذي لا إله إلا هو إنهما والذي بينهما لعدو لمن عاداهما وسلم لمن سالمهما. وما ينبغي لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل، وما ينبغي لميكائيل أن يسالم عدو جبريل.

قال: ثم قمت. فاتبعت النبي ﷺ، فلحقته وهو خارج من خوخة لبني فلان، فقال: يا ابن الخطاب؛ ألا أقرئك آيات نزلن قبل. فقرأ علي: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾ حتى قرأ (هذه)^(٥) الآيات.

قال: قلت: (بأبي وأمي)^(٦) يا رسول الله! والذي بعثك بالحق، لقد جئت وأنا (أريد أن)^(٧) أخبرك، وأسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر.

وقال ابن أبي حاتم^(٨): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن مجالد؛ أنبأنا عامر؛ قال: انطلق عمر بن الخطاب إلى اليهود، فقال: أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تجدون محمداً في كتبكم؟ قالوا: نعم. قال: فما يمنعكم أن تتبوه؟ قالوا: إن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له من الملائكة كفلاً، وإن جبريل كفل محمداً، وهو الذي يأتيه، وهو عدونا من الملائكة، وميكائيل سلمنا؛ لو كان ميكائيل الذي يأتيه أسلمنا.

قال: فإني أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، ما منزلتهما عند الله تعالى؟ قالوا: جبريل عن يمينه، وميكائيل عن شماله.

قال عمر: وإني أشهد: ما ينزلان إلا بإذن الله، وما كان ميكائيل ليسالم عدو جبرائيل، وما كان جبرائيل ليسالم عدو ميكائيل.

(١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ن): «إذن» ولم يستطع تصويبها الشيخ محمود شاكر، فقرأها في «المطبوعة»: «أي: هلكتم»، ثم أثبتها: «إذن» عن «تفسير ابن كثير».

(٢) كذا في (ز) و(ع) و(ك) و(ن) و(ي) وهو الموافق لما في «الطبري»، وسقط لفظ «إنا» من (ض). ووقع في (ج) و(ل): «إياكم يهلك».

(٣) كذا في (ج) و(ض) و(ك) وهو الموافق لما في «الطبري». وسقطت لفظة «ثم» من (ز) و(ع) و(ل) و(ي). ووقع في (ن): «ولا تتبعونه».

(٤) وقع في «تفسير الطبري» (١٦٠٨) بعد هذه الجملة: «قال: قلت: وفيم عاديتم جبريل وفيم سالمتم ميكائيل».

(٥) ساقط من (ن).

(٦) كذا في «الأصول»، وعند ابن جرير، بأبي وأمي أنت.

(٧) من (ن) وهو عند ابن جرير.

(٨) في «تفسيره» (٩٦٦) وهو مع انقطاع سنده، فإن مجالد بن سعيد تغير حفظه في آخر عمره كما قال أحمد وغيره.

فبينما هو عندهم إذ مر النبي ﷺ؛ فقالوا: هذا صاحبك يا ابن الخطاب.
فقام إليه عمر، فأتاه، وقد أنزل الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٩٨).

وهذان الإسنادان يدلان على أن الشعبي حدث به عن عمر؛ ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر؛ فإنه لم يدرك (زمانه) (١). والله أعلم.

وقال ابن جرير (٢): حدثنا (بشر) (٣)، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة؛ قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم إلى اليهود، فلما (أبصروه) (٤) رحبوا به، فقال لهم عمر: أما والله (ما جئت) (٥) [الحبكم، ولا لرغبة فيكم، ولكن جئت] (٦) لأسمع منك. فسألهم وسألوه، فقالوا: من صاحب صاحبكم؟ فقال لهم: جبريل. فقالوا: ذاك عدونا من أهل السماء، يطلع محمداً على سرنا، وإذا جاء جاء بالحرب والسنة، ولكن صاحب صاحبنا ميكائيل، وكان إذا جاء جاء بالخصب والسلم.

فقال لهم عمر: (تعرفون) (٧) جبريل وتكرون محمداً ﷺ؟!

ففارقهم عمر عند ذلك، وتوجه نحو النبي ﷺ ليحدثه حديثهم، فوجده قد أنزلت عليه هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ (الآيات) (٨).

ثم (قال) (٩): حدثني المثنى، حدثنا آمد، حدثنا أبو جعفر، حدثنا قتادة؛ قال: بلغنا أن عمر أقبل إلى اليهود يوماً... فذكر نحوه. وهذا (١٠) [في تفسير آدم، وهو] (١١) أيضاً منقطع، وكذلك رواه أسباط (١٢) عن السدي، عن عمر مثل هذا، أو نحوه، وهو منقطع أيضاً.

وقال ابن أبي حاتم (١٣): حدثنا محمد بن عمار، حدثنا عبد الرحمن يعني: (الدشتكي) (١٤)، حدثنا أبو جعفر، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى - أن يهودياً (لقي) (١٥) عمر بن الخطاب، فقال: إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا. فقال عمر: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٦) قال: فنزلت على لسان عمر ﷺ.

(١) في (ز) و(ض): «وفاته» وهو تصحيف. (٢) في «تفسيره» (١٦١٠) وهو ضعيف لانقطاعه.

(٣) في (ن): «بشير» وهو خطأ، وهو بشر بن معاذ العقدي أحد شيوخ النسائي والترمذي وابن ماجه.

(٤) كذا في «تفسير الطبري». ووقع في جميع «الأصول»: «انصرف» ولا معنى لها إلا بتقدير محذوف.

(٥) في (ل) و(ن): «ما جئكم». (٦) ساقط من (ك).

(٧) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ي). ووقع في (ز) و(ن): «هل تعرفون» وفي «تفسير الطبري»: «أتعرفون».

(٨) من (ن). (٩) يعني: ابن جرير، وهو فيه (١٦١١).

(١٠) من (ع) و(ن) و(ي).

(١١) أخرجه ابن جرير (١٦١٣).

(١٢) في «تفسيره» (٩٦٧) وسنده ضعيف، وأبو جعفر هو الرازي، تكلم العلماء في حفظه ولكن تابعه هشيم بن بشير عند ابن جرير وتأتي روايته بعد هذه. وعبد الرحمن بن أبي ليلى مختلف في سماعه من عمر.

(١٣) في (ن): «الدستي»! (١٤) في (ز) و(ض): «أتى».

(١) [ورواه عبد بن حميد، عن (أبي النضر) (٢) هاشم بن القاسم، عن أبي جعفر - هو الرازي] (١).
وقال ابن جرير (٣): حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، أخبرنا حصين بن عبد الرحمن،
عن ابن أبي ليلى في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِّجَبْرِيلَ﴾ قال: قالت اليهود للمسلمين: لو أن
ميكائيل كان هو الذي ينزل عليكم (لتبغناكم) (٤)؛ فإنه ينزل بالرحمة والغيث، وإن جبريل ينزل
بالعذاب والنقمة. فإنه عدو لنا، قال: فنزلت هذه الآية.

حدثنا (٥) يعقوب، حدثنا هشيم، أخبرنا عبد الملك، عن عطاء، بنحوه.
(٦) [وقال عبد الرزاق (٧): أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِّجَبْرِيلَ﴾ قال:
قالت اليهود: إن جبريل (عدونا) (٨)؛ لأنه ينزل بالشدة والسنة، وإن ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية
والخصب، فجبريل (عدونا) (٨)؛ فقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِّجَبْرِيلَ...﴾ الآية (٦).

وأما تفسير الآية فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِّجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي:
من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله، بإذنه له
في ذلك؛ فهو رسول من رسل الله مَلَكِيٌّ - (٩) (عليه وعلى سائر إخوانه من الملائكة السلام) (٩)
ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل، (١٠) [كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان
بجميع الرسل] (١٠)، وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل؛ كما قال تعالى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ
وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء] فحكم عليهم بالكفر المحقق إذ آمنوا ببعض الرسل، وكفروا ببعضهم؛
وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله؛ لأن جبريل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه، وإنما ينزل
بأمر ربه؛ كما قال: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿١٥٢﴾﴾ [مریم] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَاتَّبِعْهُ وَذَكَرْ لِلْإِنسَانِ مَا كَانَتْ عَدُوًّا لِّجَبْرِيلَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الشعراء].

وقد روى البخاري في «صحيحه» (١١)، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) (١٢)؛ قال: قال رسول الله ﷺ:
«من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب».

- (١) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل) وثابتة في (ع) و(ن) وكتبها ناسخ (ي) في الحاشية.
- (٢) في (ن): «أبي النظر»!
- (٣) في «تفسيره» (١٦١٥). [وسنده مرسل يتقوى بالمراسيل التالية].
- (٤) في (ن): «اتبغناكم».
- (٥) أخرجه ابن جرير (١٦١٦) وسنده جيد عن عطاء.
- (٦) هذه الفقرة مقدمة في (ك) على التي قبلها.
- (٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/٥٢، ٥٣) ومن طريقه ابن جرير (١٦١٢) وسنده صحيح. [لكنه مرسل ويتقوى بالمراسيل السابقة].
- (٨) في (ن): «عدو لنا».
- (٩) من (ل).
- (١٠) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي).
- (١١) في «كتاب الرقاق» (١١/٣٤٠، ٣٤١).
- (١٢) من (ل).

ولهذا غضب الله لجبريل على من عاداه، فقال (تعالى)^(١): ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المتقدمة ﴿وَهَدَىٰ وَبَشَّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هدى لقلوبهم، وبشرى لهم بالجنة؛ وليس ذلك إلا للمؤمنين.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

ثم قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [٩٧] يقول تعالى: من عاداني وملائكتي ورسلي. ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

(وجبريل وميكال): وهذا من باب عطف الخاص على العام، فإنهما دخلا في الملائكة ثم في عموم الرسل، ثم خصصنا بالذكر؛ لأن السياق في الانتصار لجبريل، وهو السفير بين الله وأنبيائه، وقرن معه ميكائيل في اللفظ؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم، وميكائيل وليهم، فأعلمهم (الله تعالى)^(٢) أن من عادى واحداً منهما فقد عادى الآخر، وعادى الله أيضاً؛ لأنه أيضاً ينزل على (الأنبياء)^(٣) بعض الأحيان كما قرن برسول الله ﷺ في ابتداء الأمر، ولكن جبريل أكثر وهي وظيفته، وميكائيل موكل بالقطر والنبات وهذا بالهدى وهذا بالرزق، كما أن إسرافيل (موكل بالصور للنفخ)^(٤) للبعث (يوم)^(٥) القيامة.

ولهذا جاء في «الصحيح»^(٦) أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

وقد تقدم ما حكاه البخاري، ورواه ابن جرير، عن عكرمة (وغيره)^(٧) أنه قال: «جبر»، و«ميك»، و«إسراف»: عبد، و«إيل»: الله.

وقال ابن أبي حاتم^(٨): حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى ابن عباس، عن ابن عباس؛ قال: إنما

(١) من (ن).

(٢) من (ن) و(ل)؛ وفي (ج) و(ي): «فأعلمهم تعالى»؛ وفي (ز) و(ض) و(ك): «فأعلمهم».

(٣) في (ن): «أنبياء الله».

(٤) في (ن): «موكل للنفخ في الصور».

(٥) كذا في (ز) و(ك) و(ل) و(ن)؛ وفي (ج) و(ض) و(ي): «اليوم».

(٦) يعني: «صحيح مسلم»، وقد أخرجه هو (٧٧٠/٢٠٠).

(٧) من (ن).

(٨) في «تفسيره» (٩٧٠)؛ وأخرجه أيضاً (٩٦٩) قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش بإسناده مثله. وسنده قوي.

كان قوله جبرائيل كقوله عبد الله، وعبد الرحمن. وقيل: جبر: عبد، وإيل: الله.

وقال محمد بن إسحاق^(١)، عن الزهري، عن علي بن الحسين؛ قال: (تدرون)^(٢) ما اسم جبريل من أسمائكم؟ قلنا: لا؛ قال: اسمه عبد الله. قال: فتدرون ما اسم ميكائيل من أسمائكم؟ قلنا: لا؛ قال: اسمه (عبيد الله)^(٣)؛ وكل اسم مرجعه إلى إيل فهو إلى الله (ﷻ)^(٤).

قال ابن أبي حاتم: وروى عن عكرمة، ومجاهد، والضحاك، ويحيى بن يعمر نحو ذلك.

ثم قال^(٥): (حدثنا)^(٦) أبي، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثني عبد العزيز بن عمير؛ قال: اسم جبريل في الملائكة خادم الله، قال: فحدثت به أبا سليمان الداراني فانتفض؛ وقال: لهذا الحديث أحب إلي من كل شيء في دفتر كان بين يديه.

وفي جبريل وميكائيل لغات وقراءات تذكر في كتب اللغة والقراءات،^(٧) (ولم نطول كتابنا هذا بسرد ذلك)^(٨) إلا أن يدور فهم المعنى عليه، أو يرجع الحكم في ذلك إليه، وبالله الثقة وهو المستعان.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ فيه إيقاع المظهر مكان المضمّر، حيث لم يقل: فإنه عدو؛ بل قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ كما قال الشاعر^(٩):

لا أرى الموت يسبق الموت شيء سبق الموت ذا الغنى والفقيرا
وقال الآخر^(٩):

ليت الغراب غداة ينعب (دائماً)^(١٠) كان الغراب (مقطع)^(١١) الأوداج

وإنما أظهر الله هذا الاسم ها هنا لتقرير هذا المعنى وإظهاره، وإعلامهم أن من عادى (أولياء الله)^(١٢) فقد عادى الله، ومن عادى الله فإن الله عدو له، ومن كان الله عدوه فقد خسر الدنيا والآخرة، كما تقدم في الحديث: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة». وفي الحديث الآخر^(١٣): «إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب»، وفي الحديث الصحيح^(١٤): «من كنت

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٧١).

(٢) في (ز) و(ن): «أندرون».

(٣) في (ل): «عبد الله» وهو خطأ.

(٤) من (ن).

(٥) في «تفسيره» (٩٧٤) وعبد العزيز بن عمير هو الخراساني الزاهد. له ترجمة في «تاريخ دمشق» (٣٦/٣٣٢ - ٣٣٦) لابن عساكر.

(٦) في (ن): «حدثني».

(٧) كذا في سائر «الأصول». ووقع في (ج): «يطول كتابنا هذا بسرده».

(٨) هو أمية بن أبي الصلت، وينسب إلى سودة بن عدي.

(٩) هو جرير. والبيت في «ديوانه» (٨٩) ولكن وقع في «الديوان»: «ينعب بالنوى».

(١٠) في (ن): «دائماً».

(١١) في (ن): «منقطع»!

(١٢) في (ن): «ولياً لله».

(١٣) أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم من حديث أنس كما ذكره الزبيدي في «الإتحاف» (٩/٤٤٠) ولم أقف عليه عندهما، بهذا اللفظ، والحديث لا يثبت بهذا السياق أما حديث أنس فلا يثبت من جميع وجوهه، وقد خرجته في «تسليمة الكظيم».

(١٤) وهذا جزء من حديث يرويه أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «قال ربكم: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة؛ ومن كنت =

خصمه خصمته»^(١).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُتُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَآتَقَوْا لِمُتُوبَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

قال الإمام أبو جعفر ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ (الآية)^(٢): أي أنزلنا إليك يا محمد علامات واضحات دالات على نبوتك؛ وتلك الآيات هي ما حواه كتاب الله من خفايا علوم اليهود ومكنونات سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أخبارهم وعلماءهم، وما حرفة أوائلهم وأواخرهم، وبدلوه من أحكامهم التي كانت في التوراة؛ فأطلع الله في كتابه الذي أنزله (إلى)^(٣) نبيه محمد ﷺ؛ فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف (نفسه)^(٤)، ولم يدعه إلى هلاكها الحسد والبغي؛ إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد ﷺ من الآيات البينات التي وصف من غير تعلم تعلمه من بشر، (ولا أخذ شيء)^(٥) منه عن آدمي.

كما قال الضحاك^(٦)، عن ابن عباس: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يقول: فأنت تتلوه عليهم، وتخبرهم به غدوة وعشية، وبين ذلك؛ وأنت عندهم أمي لم تقرأ كتاباً؛ وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه؛ يقول الله (تعالى)^(٧): (في ذلك لهم عبرة)^(٨) وبيان، وعليهم حجة لو كانوا يعلمون.

وقال محمد بن إسحاق^(٩): حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبيرة عن

= خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره؛ أخرجه البخاري (٤/٤١٧، ٤٤٧).

(١) في (ع): «بلغ بقراءة الشيخ عماد الدين نفع الله به، وفسح في مدته».

(٢) من (ن).

(٣) في (ض) و(ن): «على».

(٤) في (ن): «من نفسه».

(٥) في (ز) و(ض) و(ن): «ولا أخذ شيئاً» وما أثبتته موافق لما عند «الطبري» (٢/٣٩٧ - شاکر).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٦٣٦) وسنده ضعيف.

(٧) من (ن).

(٨) في (ن): «لهم في ذلك عبرة».

(٩) أخرجه ابن جرير (١٦٣٧) قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا سلمة، حدثنا محمد بن إسحاق فذكره ولكن إسناده ضعيف جداً. وابن حميد واه، وسلمة فيه مقال. لكن أخرجه ابن جرير (١٦٣٨) قال: حدثنا =

ابن عباس؛ قال: قال ابن سوريا (القطيوني)^(١) لرسول الله ﷺ: يا محمد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك؛ فأنزل الله في ذلك من قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ (٩٩).

وقال مالك بن الضيف^(٢): حيث بعث رسول الله ﷺ وذكرهم ما أخذ عليهم من الميثاق، وما عهد إليهم في محمد ﷺ: والله ما عهد إلينا في محمد، وما أخذ علينا ميثاقاً؛ فأنزل الله تعالى: ﴿أَوْكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذُو فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾.

وقال الحسن البصري^(٣) في قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: نعم، ليس في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه ونبدوه؛ يعاهدون اليوم وينقضون غداً.

وقال السدي^(٤): لا يؤمنون بما جاء به محمد ﷺ.

وقال قتادة^(٥): ﴿نَبَذُوا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ أي: نقضه فريق منهم.

وقال ابن جرير^(٦): أصل النبذ الطرح والإلقاء؛ ومنه سمي اللقيط منبذاً، ومنه سمي النبيذ، وهو التمر والزبيب إذا طرحا في الماء؛ قال أبو الأسود الدؤلي:

نظرت إلى عنوانه فنبدته كنبيذك نعلأً أخلقت من نعالكا

قلت: فالقوم ذمهم الله بنبذهم العهود التي تقدم الله إليهم في التمسك بها والقيام بحقها؛ ولهذا أعقبهم ذلك التكذيب بالرسول المبعوث إليهم وإلى الناس كافة، الذي في كتبهم نعتة وصفته وأخباره؛ وقد أمروا فيها باتباعه ومؤازرته ونصرته؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ...﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧] وقال ها هنا: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٣) أي: طرح طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم مما فيه البشارة بمحمد ﷺ وراء ظهورهم؛ أي: تركوها، كأنهم لا يعلمون ما فيها، وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه؛ ولهذا أرادوا (كيد الرسول) ﷺ، وسحروه في مشط (ومشاقة)^(٨) وجف طلعة

= أبو كريب. وابن أبي حاتم (٩٧٦) من طريق محمد بن عبد الله بن نمير قالوا: ثنا يونس بن بكير، ثنا محمد بن إسحاق به. [وسنده حسن].

(١) كذا في (ج) و(ز) و(ع) و(ل) و(ي) وهو الموافق لما في «ابن جرير»، وقد ضبطها ناسخ (ي)؛ وفي (ض): «القطيوني»؛ وفي (ك): «القطيوني» بالقاف؛ وفي (ن): «القطيوني».

(٢) أخرجه ابن جرير (١٦٣٩)؛ وابن أبي حاتم (٩٧٩) من طريق يونس بن بكير ثنا ابن إسحاق بسنده المذكور آنفاً.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٨٠) وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٨٢) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٦٤١) قال: حدثنا بشر بن معاذ. وابن أبي حاتم (٩٨١) من طريق العباس بن الوليد قالوا: ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة. وسنده صحيح.

(٦) في «تفسيره» (٤٠١/٢).

(٧) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ل) و(ي)؛ وفي (ز) و(ن): «كيداً برسول الله»؛ وفي (ك): «كيد رسول الله».

(٨) أشار ناسخ (ع) أنه وقع في نسخة: «ومشاقة» وهو الأشهر. والمشاقة: هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط.

ذكر، تحت راعوفة ببئر (ذي أروان)^(١)؛ وكان الذي تولى ذلك منهم رجل يقال له: لبيد بن الأعصم، لعنه الله، (وقبحه)^(٢)؛ فأطلع الله على ذلك رسول الله ﷺ، وشفاه منه، وأنقذه، كما ثبت ذلك مبسوطاً في «الصححين»^(٣)، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كما سيأتي بيانه.

قال السدي^(٤): ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ قال: لما جاءهم محمد ﷺ عارضوه بالتوراة، فخاصموه بها، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة، وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت؛ فلم يوافق القرآن؛ فذلك قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقال قتادة^(٥) في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: إن القوم كانوا يعلمون؛ ولكنهم نبذوا علمهم، وكنموه، وجحدوا به.

وقال العوفي في «تفسيره»^(٦)، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ وكان حين ذهب ملك سليمان، ارتد فثام من الجن والإنس واتبعوا الشهوات؛ فلما (رَجَعَ)^(٧) الله إلى سليمان ملكه، وقام الناس على الدين كما كان، (وَأَن)^(٨) سليمان ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه، وتوفي سليمان ﷺ حدثان ذلك؛ فظهر الإنس والجن على الكتب بعد وفاة سليمان؛ وقالوا: هذا كتاب من الله نزل على سليمان؛ (أخفاه منا)^(٩)؛ فأخذوا به، فجعلوه ديناً؛ فأنزل الله (تعالى)^(١٠) ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١١) واتبعوا الشهوات التي كانت (تتلوا الشياطين)^(١١) وهي المعازف واللعب، وكل شيء يصد عن ذكر الله.

وقال ابن أبي حاتم^(١٢): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان، ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجه الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً؛ وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها.

(١) في (ن): «ذروان».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦/٦، ٣٣٤، ٢٢١/١٠، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٤٧٩؛ و١١/١٩٢، ١٩٣)؛ ومسلم (٤٤، ٤٣/٢١٨٩).

(٤) أخرجه ابن جرير (١٦٤٤)؛ وابن أبي حاتم (٩٨٢، ٩٨٥) من طريق عمرو بن حماد، ثنا أسباط عن السدي. وليس عند الطبري: «فلم يوافق القرآن». وسنده حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٦٤٥) وسنده صحيح.

(٦) ومن طريقه ابن أبي حاتم (٩٩٠) وهو سند مسلسل بالضعفاء.

(٧) في (ل) و(ن): «أرجع».

(٨) كذا سائر «الأصول»؛ وفي (ز): «أو أن».

(٩) في (ز) و(ن): «أخفاه عنا».

(١١) ساقط من (ز) و(ض).

(١٢) في «تفسيره» (٩٨٨).

وأخرجه النسائي في «تفسيره» (١٤) قال: أخبرنا محمد بن العلاء، عن أبي أسامة مثله. وسنده جيد.

[والخبر من الإسرائيليات].

قال: فأكفره جهال الناس، وسبوه، ووقف (علماؤهم)^(١)، فلم يزل (جهالهم)^(٢) يسبونهُ حتى أنزل الله على محمد ﷺ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَزَّلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾.

وقال ابن جرير^(٣): حدثني أبو السائب سلم بن جنادة السوائي، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان سليمان عليه السلام إذا أراد أن يدخل الخلاء، أو يأتي شيئاً من نسائه، أعطى الجرادة - وهي امرأة - خاتمه، فلما أراد الله أن يتلي سليمان عليه السلام بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه، فجاء الشيطان في صورة سليمان، فقال: هاتي خاتمي، فأخذه ولبسه؛ فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس.

قال: فجاءها سليمان، فقال لها: هاتي خاتمي؛ فقالت: كذبت، لست سليمان؛ قال: فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به. قال: فانطلقت الشياطين، فكتبت في تلك الأيام كتاباً فيها سحر وكفر، (ثم دفنوها)^(٤) تحت كرسي سليمان، ثم أخرجوها (فقراءوها)^(٥) على الناس، وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب، قال: فبرئ الناس من سليمان عليه السلام^(٦) (وأكفروه)^(٧) حتى بعث الله محمداً ﷺ؛ فأنزل عليه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾.

ثم قال ابن جرير^(٨): حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عمران - وهو ابن الحارث - قال: بينما نحن عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ جاء رجل، فقال له: من أين جئت؟ قال: من العراق. قال: من أيه؟ قال: من الكوفة. قال: فما الخبر؟ قال: تركتهم يتحدثون أن علياً خارج إليهم، ففرع؛ ثم قال: ما تقول؟ لا أبا لك! لو شعرنا ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه، أما إني (سأحدثكم)^(٩) عن ذلك، إنه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء، فيجئ أحدهم بكلمة حق قد سمعها، فإذا (جرب منه صدق)^(١٠) كذب معها سبعين كذبة؛ قال: فتشربها قلوب الناس، قال: فأطلع الله عليها سليمان عليه السلام، فدفنها تحت كرسيه.

فلما توفي سليمان عليه السلام قام شيطان الطريق؛ فقال: (ألا)^(١١) أدلكم على كنز الممنوع الذي لا كنز له مثله؟ تحت الكرسي.

(١) في (ن): «علماء الناس».

(٢) في «تفسيره» (١٦٥٤، ١٦٦٠)؛ وابن أبي حاتم (١٠٠٢) مختصراً وسنده جيد. [والخبر من الإسرائيليات].

(٣) في (ن): «دفنوها».

(٤) في (ن): «وقرؤها».

(٥) في (ن): «كفروه».

(٦) ساقط من (ن).

(٧) في (ن): «كفروه».

(٨) في «تفسيره» (١٦٦٢) وقد توبع محمد بن حميد شيخ الطبري. فتابعه إسحاق بن راهويه فقال: أنبأنا جرير بسنده سواء؛ أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢/٢٦٥) وسنده صحيح وأخرجه ابن أبي حاتم (٩٩٦) قال: حدثنا علي بن حرب الموصلي، ثنا القاسم بن يزيد، عن سفيان عن حصين بسنده سواء ببعضه.

(٩) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ن) و(ي) وكذلك هو في «الطبري»؛ وفي (ج) و(ل): «سأحدثكم».

(١٠) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ل) و(ي)، وضبطها ناسخ (ع). ووقع في (ك) و(ن): «فإذا جرت منه وصدق»؛ وفي «تفسير الطبري»: «فإذا حدث منه صدق» ولعل كليهما تصحيف، ولهما في التأويل وجه.

(١١) في (ز) و(ض): «أفلا»؛ وفي (ن): «هل».

فأخرجوه، فقال: هذا سحر، فتناسخها الأمم حتى (بقاياها)^(١) ما يتحدث به أهل العراق؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا...﴾.

(ورواه)^(٢) الحاكم في «مستدركه»، عن أبي زكريا العنبري، عن محمد بن عبد السلام، عن إسحاق بن إبراهيم، عن جرير، به.

وقال السدي^(٣): في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ أي: على عهد سليمان؛ قال: كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع، فيستمعون من كلام الملائكة ما يكون في الأرض؛ من موت، أو غيب، أو أمر؛ فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا؛ فلما أمنتهم الكهنة كذبوا لهم، وأدخلوا فيه غيره؛ فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة، فاكتب الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا ذلك في بني إسرائيل - أن العجن تعلم الغيب، فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب، فجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه؛ ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق، وقال: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه.

فلما مات سليمان، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، وخلف من بعد ذلك خلف تمثّل (شيطان)^(٤) في صورة إنسان، ثم أتى نفرًا من بني إسرائيل؛ فقال لهم: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً؟ قالوا: نعم. قال: فاحضروا تحت الكرسي، وذهب معهم (فأراهم)^(٥) المكان، وقام ناحيته؛ فقالوا له: فادن؛ فقال: لا، ولكني ها هنا في أيديكم، فإن لم تجدوا فاقتلوني.

فحفروا، فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر، ثم طار وذهب، وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً، واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب. فلما جاء محمد ﷺ خاصموه بها، فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾.

وقال الربيع بن أنس^(٦): إن اليهود سألو محمداً ﷺ زماناً عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله ﷻ ما سألوه عنه، فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا، وإنهم سألوه عن السحر، وخاصموه به؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ وإن الشياطين عمدوا إلى كتاب؛ فكتبوا فيه السحر والكهانة، وما شاء الله من ذلك، فدفنوه تحت (مجلس)^(٧) سليمان، وكان ﷻ لا يعلم الغيب، فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك

(١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «ابن جرير»: «بقاياهم».

(٢) في (ن): «وروى».

(٣) أخرجه ابن جرير (١٦٤٦) بطوله؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (٩٩٣) إلى قوله: «إلا احترق». [وسنده حسن].

(٤) في (ن): «الشيطان».

(٥) في (ز) و(ض) و(ن): «وأراهم».

(٦) أخرجه ابن جرير (١٦٤٧)؛ وابن أبي حاتم (٩٩١). [وسنده جيد لكنه مرسل].

(٧) في (ن): «كرسي».

السحر، وخدعوا الناس؛ وقالوا: هذا علم كان سليمان يكتمه، (ويحسد)^(١) الناس عليه؛ فأخبرهم النبي ﷺ بهذا الحديث؛ فرجعوا من عنده، وقد (خزيوا)^(٢) (وأدحض)^(٣) الله حجتهم. وقال مجاهد^(٤) في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ قال: كانت الشياطين تستمع الوحي، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها، فأرسل سليمان ﷺ إلى ما كتبوا من ذلك، فلما توفي سليمان وجدته الشياطين، وعلمته الناس وهو السحر.

وقال سعيد بن جبير^(٥): كان سليمان يتتبع ما في أيدي الشياطين من السحر، فيأخذه منهم فيدفنه تحت كرسیه في بيت خزانته، فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، (فَدَنَّتْ)^(٦) إلى الإنس؛ فقالوا لهم: (أتدرون العلم)^(٧) الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم. قالوا: فإنه في بيت خزانته، وتحت كرسیه؛ (فاستثارتها)^(٨) الإنس، (واستخرجوه)^(٩) (وعملوا)^(١٠) بها، فقال أهل (الحجا)^(١١): كان سليمان يعمل بهذا، وهذا سحر؛ فأنزل الله تعالى على (لسان)^(١٢) نبيه محمد ﷺ براءة سليمان ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا﴾.

وقال محمد بن^(١٣) إسحاق بن (يسار)^(١٤): عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود (عليه)^(١٥) السلام، فكتبوا أصناف السحر: من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، حتى إذا صنّفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب، ثم ختموه بخاتم على نقش (خاتم)^(١٦) سليمان، وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود (عليه)^(١٧) من ذخائر كنوز العلم. ثم دفنوه تحت كرسیه، واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل (حتى)^(١٨).

- (١) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ن) و(ي). ووقع في (ج): «يفسد»؛ وفي (ل): «يحشر».
- (٢) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي). ووقع في (ل): «حزنوا» بزاي ونون؛ وفي (ن): «وقد خرجوا».
- (٣) في (ج): «فأدحض»؛ وفي (ن): «وقد أدحض».
- (٤) أخرجه ابن جرير (١٦٦٥) وسنده ضعيف.
- (٥) أخرجه ابن جرير (١٦٥٩) قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير به. وسنده ضعيف جداً. ومحمد بن حميد تقدم ذكرنا له بالوهاء غير مرة. ويعقوب بن عبد الله القمي مختلف فيه وهو متماسك. وجعفر بن أبي المغيرة وثقه ابن حبان وابن شاهين وقال الذهبي: «كان صدوقاً» ولكن قال ابن منده: «ليس بالقوي في سعيد بن جبير». وروايته هنا عنه.
- (٦) في (ز) و(ض): «فدبت» بالباء الموحدة والتاء المثناة من فوق.
- (٧) في (ل): «أتدرون أن العلم».
- (٨) في (ز) و(ض): «فاستثار به».
- (٩) في (ض) و(ن): «وأخرجوه».
- (١٠) في (ل): «فعملوا».
- (١١) في (ك) و(ن): «الحجاز» وكذلك هي في «تفسير الطبري» ولا معنى لها عندي، وكتب ناسخ (ي) تحتها: «العقل»، فهو يفسرها.
- (١٢) ساقط من (ز) و(ن).
- (١٣) أخرجه ابن جرير (١٦٥٠، ١٦٦٧).
- (١٤) في (ك): «بشار»، وهو غلط يده.
- (١٥) في (ك): «عليهما».
- (١٦) ساقط من (ل).
- (١٧) من (ز) و(ض) و(ع) و(ي)؛ وفي (ج): «﴿سورة﴾» وسقط من (ك) و(ل).
- (١٨) في (ج): «حين».

أحدثوا ما أحدثوا، فما عثروا عليه قالوا: والله ما كان (سليمان) ^(١) إلا بهذا، فأفشوا السحر في الناس، (فتعلموه وعلموه) ^(٢)، فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله، فلما ذكر رسول الله ﷺ - فيما نزل عليه من الله - سليمان بن داود، وعده فيمن عد من المرسلين، قال من كان بالمدينة من (يهود) ^(٣): ألا تعجبون من محمد؟! يزعم أن ابن داود كان نبياً، والله ما كان إلا ساحراً؛ وأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلَكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَثُرُوا﴾ الآية.

وقال ابن جرير ^(٤): حدثنا القاسم، حدثنا حسين، حدثنا حجاج، عن أبي بكر، عن شهر بن حوشب؛ قال: لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان؛ فكتبت: من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس، وليقل كذا وكذا. ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس، وليقل كذا وكذا. فكتبته وجعلت عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود ﷺ من ذخائر كنوز العلم؛ ثم دفنته تحت كرسيه. فلما مات سليمان ﷺ قام إبليس - لعنه الله - خطيباً، فقال: يا أيها الناس؛ إن سليمان لم يكن نبياً، إنما كان ساحراً، فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته؛ ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه؛ فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحراً، هذا سحره، بهذا تعبدنا، وبهذا قهرنا. فقال المؤمنون: بل كان نبياً مؤمناً.

فلما بعث الله النبي (محمداً) ^(٥) ﷺ (جعل يذكر الأنبياء) ^(٦) (حتى) ^(٧) ذكر داود وسليمان؛ فقالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل، يذكر سليمان مع الأنبياء؛ إنما كان ساحراً يركب الريح؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلَكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ...﴾ الآية.

وقال ابن جرير ^(٨): حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، حدثنا المعتمر بن سليمان؛ قال: سمعت عمران بن (حدير) ^(٩)، عن أبي مجلز؛ قال: أخذ سليمان ﷺ من كل دابة عهداً، فإذا (أصيب رجل) ^(١٠) فسأل بذلك العهد خلي عنه، (فزاد) ^(١١) الناس السجع والسحر؛ فقالوا: هذا يعمل به سليمان (بن داود) ^(١٢) ﷺ؛ فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

(١) في حاشية (ن): «ملك سليمان».

(٣) في (ن): «اليهود».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٦٦٦) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن أبي بكر، عن شهر بن حوشب به. وسنده ضعيف جداً. وأبو بكر هو الهذلي كذبه ابن معين في رواية، وقال النسائي: «ليس بثقة» وتركه الدارقطني وغيره. وقال ابن حبان: «يروى عن الأثبات الأشياء الموضوعات».

(٥) من (ن) و«تفسير الطبري».

(٧) وقع في (ج) و(ل) و(ن) و(ي): «حين».

(٩) في (ن) و(ك): «جرير» وهو تصحيف.

(١٠) في (ج) و(ض) و(ع) و(ل) و(ي): «تصيب رجلاً».

(١١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «تفسير الطبري»: «فرأى» وصوبها الشيخ محمود شاكر.

(١٢) من (ن).

(٢) ساقط من (ز).

(٦) من (ك) و«تفسير الطبري».

(٨) في «تفسيره» (١٦٦١) وسنده صحيح.

وقال ابن أبي حاتم^(١): حدثنا عصام بن رواد، حدثنا آدم، حدثنا المسعودي، عن زياد مولى (مصعب)^(٢)، عن الحسن: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾ قال: ثلث الشعر، وثلث السحر، وثلث الكهانة.

وقال^(٣): حدثنا الحسن بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار الواسطي، حدثني سرور بن المغيرة، عن عباد بن منصور، عن الحسن: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنَ﴾ (وأتبعته)^(٤) اليهود على ملكه؛ وكان السحر قبل ذلك في الأرض لم يزل بها، ولكنه إنما اتبع على ملك سليمان.

فهذه نبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام. ولا يخفى ملخص القصة والجمع بين أطرافها، وأنه لا تعارض بين السياقات على اللبيب (الفهم)^(٥). والله الهادي.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنَ﴾ أي: واتبعت اليهود الذين أوتوا الكتاب من بعد إعراضهم عن كتاب الله الذي بأيديهم، ومخالفتهم (الرسول محمداً ﷺ)^(٦) ما تتلوه الشياطين؛ أي: ما ترويه وتخبر به، وتحدثه الشياطين، على ملك سليمان. وعداه بـ«على»؛ لأنه ضمن «تتلو» تكذب.

وقال ابن جرير^(٧): «على» ها هنا بمعنى «في»؛ أي: تتلو في ملك سليمان. ونقله عن ابن جريج وابن إسحاق.

قلت: والتضمن أحسن وأولى. والله أعلم.

وقول الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وقد كان السحر قبل (زمن)^(٨) سليمان بن داود - صحيح لا شك فيه؛ لأنه السحرة كانوا في زمان موسى ﷺ وسليمان بن داود بعده؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَدِدِ يُوسُفَ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْ نَبْعَثَ لَهُمْ أَتَمَكَّا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٤٦] ثم (ذكر)^(٩) القصة بعدها؛ وفيها ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَآتَاكَ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال قوم صالح، وهم قبل إبراهيم الخليل ﷺ لنبيهم صالح: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] أي: المسحورين على المشهور^(١٠).

(١) في «تفسيره» (٩٨٩) ورجاله ثقات، والمسعودي كان اختلط.

(٢) كذا في (ج) وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم». ووقع في سائر «الأصول»: «ابن مصعب»، والصواب ما أثبت وهو زياد المصفر أبو عثمان مولى مصعب بن الزبير يروى عن الحسن البصري وثابت البناني. ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٦٩/١/٢) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/٢/٥٥٣) ونقل عن أبيه قال: «كوفي لا بأس بحديثه». وذكره ابن حبان في «الثقات» (٣٢٨/٦).

(٣) يعني: ابن أبي حاتم. وهو في «تفسيره» (٩٩٢) وسنده ضعيف.

(٤) في (ن): «تبعته».

(٥) في (ك): «الفهم».

(٦) في (ع) و(ي): «الرسول ﷺ»؛ وفي (ن): «لرسول الله محمد».

(٧) في «تفسيره» (٤١١/٢ - شاكر).

(٨) في (ز) و(ن): «زمان».

(٩) من (ز) و(ن).

(١٠) في هامش (ع): «بلغ مقابلة على المصنف، فسح الله في مدته، معارضاً بأصله، والله الحمد».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ اختلف الناس في هذا المقام؛ فذهب بعضهم إلى أن «ما» نافية، أعني التي في قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾.

(١) [قال القرطبي^(٢): «ما» نافية، (ومعطوفة)^(٣) على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾]^(١).

(٤) [ثم قال: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ (أي: السحر)^(٥) وذلك أن اليهود كانوا يزعمون أنه نزل به جبريل وميكائيل، فأكذبهم الله. وجعل قوله: ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ بدلاً من «الشياطين»؛ قال: وصح ذلك إما لأن الجمع يطلق على الاثنين، كما في قوله (تعالى)^(٦): ﴿إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١] أو لكونهما لهما أتباع، أو ذكرا من بينهم لتمردهما؛ فتقدير الكلام عنده: يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت.

ثم قال: وهذا أولى ما حملت عليه الآية، وأصح. ولا يلتفت إلى ما سواه]^(٤).

وروى ابن جرير^(٧) بإسناده، من طريق العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ...﴾ الآية؛ يقول: لم ينزل الله السحر.

وبإسناده^(٨) عن الربيع بن أنس، في قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ قال: ما أنزل الله عليهما السحر.

قال ابن جرير^(٩): فتأويل الآية على هذا: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ من السحر، وما كفر سليمان، ولا أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت؛ فيكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه (المقدم)^(١٠).

قال: فإن قال لنا قائل: كيف وجه تقديم ذلك؟ قيل: وجه تقديمه أن يقال: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ من السحر، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ وما أنزل (الله السحر)^(١١) على الملكين، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ ببابل هاروت وماروت؛ فيكون معنياً بالملكين جبريل وميكائيل عليه السلام؛ لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبهم الله بذلك، وأخبر نبيه محمداً عليه السلام أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر، وبرأ سليمان عليه السلام مما نحلوه من السحر، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين، وأنها تعلم الناس ذلك ببابل، وأن الذين يعلمونهم ذلك رجالان: اسم أحدهما

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي).

(٢) في «تفسيره» (٥٠/٢).

(٣) في (ن): «معطوف».

(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي).

(٥) من (ج) و(ل). وسقطت من (ن).

(٦) من (ن).

(٧) رقم (١٦٧٠)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤) وسنده ضعيف.

(٨) رقم (١٦٧١)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٥). [وسنده جيد].

(٩) في «تفسيره» (٤١٩/٢، ٤٢٠).

(١٠) في «تفسير الطبري»: «التقديم».

(١١) في (ن) وهو في «تفسير الطبري»، ولكن المحقق وضعها بين معكوفين، فكأنها ليس في «الأصل» وزادها من «تفسير ابن كثير» والله أعلم.

هاروت، واسم الآخر ماروت؛ فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمةً عن الناس، ورداً عليهم.

هذا لفظه بحروفه.

وقد قال ابن أبي حاتم^(١): (حدثت)^(٢) عن عبيد الله بن موسى، أخبرنا فضيل بن مرزوق، عن عطية: «وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ» قال: ما أنزل (الله)^(٣) على جبريل وميكائيل السحر.

(قال ابن أبي حاتم)^(٤): وحدثنا الفضل بن شاذان، أخبرنا محمد بن عيسى، أخبرنا يعلى - يعني: ابن أسد، أخبرنا (بكر)^(٥) -؛ يعني: ابن مصعب، أخبرنا الحسن بن أبي جعفر: أن عبد الرحمن بن أبزي كان يقرأها: «وما أنزل على الملكين داود وسليمان».

وقال أبو العالية: لم ينزل عليهما السحر؛ يقول علما الإيمان والكفر؛ فالسحر من الكفر؛ فهما ينهيان عنه أشد النهي.

رواه ابن أبي حاتم^(٦).

ثم شرع ابن جرير^(٧) في رد هذا القول، وأن «ما» بمعنى الذي، وأطال القول في ذلك، وادعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض، وأذن لهما في تعليم السحر، اختباراً لعباده وامتحاناً، بعد (أن)^(٨) بين لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على السنة الرسل. وادعى أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك؛ لأنهما امتثلا ما أمرا به.

وهذا الذي سلكه غريب^(٩) جداً، وأغرب منه قول من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن، (كما زعمه ابن حزم)^(١٠).

وروى ابن أبي حاتم^(١١) بإسناده عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأها: «وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ» ويقول: هما علجان من أهل بابل. ووجه أصحاب هذا القول الإنزال بمعنى الخلق، لا بمعنى الإحياء في قوله (تعالى)^(١٢): «وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ» كما قال تعالى: «وَأُنْزِلَ لَكُمْ مِّنَ

(١) في «تفسيره» (١٠٠٦) وسنده ضعيف كما هو ظاهر.

(٢) في (ض): «حديث»!

(٣) لفظ الجلالة من «ز». (٤) من (ن) و(ع) و(ي) وهو في «تفسيره» (١٠٠٧) وسنده ضعيف جداً. وبكر بن مصعب لم أقف له على ترجمة. والحسن بن أبي جعفر رديء الحفظ. تركه النسائي. وقال البخاري: «منكر الحديث» وهو جرح شديد عنده.

(٥) في «ج» و(ك) و(ل): «بكير».

(٦) في «تفسيره» (١٠٠٥). [وسنده جيد].

(٧) في «تفسيره» (٤٢٢، ٤٢١/٢).

(٨) في (ج) و(ض) و(ع) و(ل): «أنه». (٩) وهذا الذي استغربه ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تعقبه فيه الشيخ محمود شاكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تعليقه على «تفسير الطبري» (٢/ ٤٢٢) فقال: «ولست أستنكر ما قاله أبو جعفر كما استنكره ابن كثير، ولو أنت أنصفت وتبعت كلام أبي جعفر لرأيت فيه حجةً ساطعةً على صواب مذهبه الذي ذهب إليه، ولرأيت دقةً ولطفاً في تناول المعاني وتدبير الألفاظ، لا تكاد تجدها في غير هذا التفسير الجليل القدر». اهـ.

(١٠) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي)، وكلام ابن حزم في «الفصل» (٣/ ٣٠٥).

(١١) في «تفسيره» (١٠٠٩) وسنده ضعيف.

(١٢) من (ن).

الْأَنْعَمِ ثَمِينَةً أَرْوَجَ ﴿الزمر: ٦﴾. ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣].

وفي الحديث^(١): «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً»؛ وكما يقال: «أنزل الله الخير والشر». ^(٢)[وَحَكَى الْقُرْطُبِيُّ (٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ أَبِيزَى (وَالضَّحَّاكُ)^(٤)، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُمْ قَرَأُوا: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ بِكسر اللام؛ قال ابن أبيزى: وهما داود، وسليمان. قال القرطبي: فعلى هذا تكون ما نافية أيضاً^(٥)]. ^(٦). وذهب آخرون إلى الوقف على قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْكِتَابَ﴾ (و«ما» نافية)^(٥).

^(٦)[قال ابن جرير^(٧): حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا الليث، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، وسأله رجل عن قول الله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْكِتَابَ﴾ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوْتَ^(٨)] ^(٩)فقال (الرجل)^(٨): يعلمان الناس ما أنزل عليهما أو يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما؛ فقال القاسم: ما أبالي أيتهما كانت.

ثم روى^(٩) عن يونس، عن أنس بن عياض، عن بعض أصحابه: أن القاسم قال في هذه القصة: لا أبالي أي ذلك كان. إني آمنت به.

وذهب (كثيرون)^(١٠) من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء، وأنهما أنزلا إلى الأرض، فكان من أمرهما ما كان.

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه الإمام أحمد في «مسنده» رَوَاهُ اللَّهُ، كما سنورده إن شاء الله تعالى.

^(١١)[وَحَكَاهُ الْقُرْطُبِيُّ^(١٢) عَنْ عَلِيٍّ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُمَرَ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَالسَّدي، وَالْكَلْبِيِّ^(١٣)].

^(١٣)[وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا وَرَدَ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى عَصْمَةِ الْمَلَائِكَةِ أَنَّ هَٰذِينَ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ لِهَٰمَا هَٰذَا، فَيَكُونُ تَخْصِيصاً لِهَٰمَا، فَلَا تَعَارُضُ حِينَئِذٍ كَمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ مِنْ أَمْرِ إِبْلِيسَ مَا سَبَقَ، وَفِي قَوْلٍ: إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [البقرة: ٣٤] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ، مَعَ أَنَّ شَأْنَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ عَلَى مَا ذَكَرَ أَخْفَ مَا وَقَعَ مِنْ إِبْلِيسَ لَعْنَهُ اللَّهُ (تَعَالَى)^(١٤)]^(١٣).

(١) وهو حديث صحيح. أخرجه البخاري (١٠/١٣٤). (٢) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ي).

(٣) في «تفسيره» (٥٢/٢). (٤) ساقط من (ن).

(٥) ساقط من (ز) و(ض). (٦) ساقط من (ك).

(٧) في «تفسيره» (١٦٧٨) وسنده صحيح. (٨) في (ن): «الرجلان»!

(٩) رقم (١٦٧٩) وسنده ضعيف لجهالة من حدث أنس بن عياض.

(١٠) في (ن): «كثير».

(١١) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي)، وتأخرت هذه الفقرة في (ن) عن الفقرة التي تليها.

(١٢) في «تفسيره» (٥١/٢). (١٣) ساقط من (ج) و(ل).

(١٤) من (ن).

ذكر الحديث الوارد في ذلك إن صح سنده ورفعہ وبيان الكلام عليه:

قال الإمام أحمد بن حنبل^(١) - رحمه الله (تعالى)^(٢) - في «مسنده»: حدثنا (يحيى بن أبي بكير)^(٣) حدثنا زهير بن محمد، عن موسى بن جبير، عن نافع، عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه)^(٤): أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: «إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض قالت الملائكة: أي رب؛ أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة: ٣٠] قالوا: ربنا؛ نحن أطوع لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض، فننظر كيف يعملان. قالوا: ربنا هاروت وماروت؛ فأهبطا إلى الأرض، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشرار. فقالا: والله لا نشرك بالله شيئاً أبداً، فذهبت عنهما، ثم رجعت بصبي تحمله، فسألاها نفسها؛ فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي. فقالا: لا والله، لا نقتله أبداً، فذهبت ثم رجعت بقدر خمر تحمله، فسألاها نفسها؛ فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا فوقعا عليها، وقتلا الصبي. فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً أبيتماه علي إلا قد فعلتماه حين سكرتما، فخيروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاخترتا عذاب الدنيا.

وهكذا رواه أبو حاتم ابن حبان في «صحيحه»، عن الحسن (بن)^(٥) سفيان عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن أبي بكير - به.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين، إلا موسى بن جبير هذا، وهو الأنصاري السلمي مولاهم المدني الحذاء. وروى عن ابن عباس، وأبي أمامة بن

(١) في «مسنده» (١٣٤/٢).

وأخرجه ابن حبان (٦١٨٦)؛ وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٧٨٧)؛ والبزار في «مسنده» (٢٩٣٨ - كشف الأستار)؛ وابن السني في «اليوم والليلة» (٦٥٧)؛ وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢٢)؛ والبيهقي في «السنن الكبير» (٤/١٠، ٥)؛ وفي «الشعب» (ج ١/رقم ١٦٠) من طريق يحيى بن أبي بكير بسنده سواء. وتابعه معاذ بن خالد العسقلاني، عن زهير بن محمد به.

ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (١٦٩٩) ومعاذ ضعيف، لكنه متابع كما رأيت. والحديث منكر وله علة أخرى. ونقل شيخنا الألباني حفظه الله في «الضعيفة» (١٧٠) أن الإمام أحمد أنكره. وقال البزار: «رواه بعضهم عن نافع، عن ابن عمر موقوفاً، وإنما أتى رفع هذا عندي من زهير لأنه لم يكن بالحافظ، على أنه قد روى عنه ابن مهدي وابن وهب، وأبو عامر وغيرهم». اهـ.

أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٨٦/١٣)؛ وعبد الرزاق (٥٣/١)؛ وابن جرير (١٦٨٤، ١٦٨٥)؛ وابن أبي حاتم (١٠١٣) ثلاثهم في «التفسير»؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ١/رقم ١٦٢)؛ وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢٤) من طرق عن الثوري به. وقد رواه عن الثوري: «وكيع، وعبد الرزاق، ومؤمل بن إسماعيل ومحمد بن يوسف الفريابي وعبد العزيز بن المختار». وسنده جيد قوي كما قال ابن كثير. فهذا هو الصواب في هذا الحديث، أعني: الوقف. والله أعلم.

(٢) من (ن).

(٣) من (ج)؛ وفي (ض) و(ك): «يحيى بن أبي كثير»؛ وفي بقية «الأصول»: «يحيى بن بكير» وكلاهما خطأ.

(٥) في (ن): «عن»!!

(٤) من (ن).

سهل بن حنيف، ونافع، وعبد الله بن كعب بن مالك. وروى عنه ابنه عبد السلام، ويكر بن مضر، وزهير بن محمد، وسعيد بن سلمة، وعبد الله بن لهيعة، وعمرو بن الحارث، ويحيى بن أيوب، وروى له أبو داود وابن ماجه. وذكره ابن أبي حاتم في كتاب «الجرح والتعديل»، ولم يحك فيه شيئاً من هذا ولا هذا، فهو مستور الحال. وقد تفرد به عن نافع مولى ابن عمر، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ.

وروى له متابع من وجه آخر، عن نافع؛ كما قال ابن مردويه: حدثنا دعلج بن أحمد؛ حدثنا هشام (بن علي بن هشام)^(١)، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا موسى بن سرجس، عن نافع، عن ابن عمر، سمع النبي ﷺ يقول... فذكره بطوله.

وقال أبو جعفر^(٢) ابن جرير رحمته الله^(٣): حدثنا القاسم، أخبرنا الحسين - وهو سنيد بن داود «صاحب التفسير»، أخبرنا الفرّج بن فضالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع؛ قال: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل قال: يا نافع، انظر: طلعت الحمراء؟ قلت: لا، مرتين أو ثلاثاً. ثم قلت: قد طلعت. قال: لا مرحباً بها ولا أهلاً. قلت: سبحان الله! نجم مسخر سامع مطيع! قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ. أو قال: قال لي رسول الله ﷺ: إن الملائكة قالت: يا رب! كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك. قال: فاختاروا ملكين منكم. قال: فلم يألوا جهداً أن يختاروا، فاختاروا هاروت وماروت.

وهذان أيضاً غريبان جداً. وأقرب (ما في)^(٤) هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر، عن كعب الأحبار، لا عن النبي ﷺ، كما قال عبد الرزاق في «تفسيره»^(٥)، عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار؛ قال: ذكرت الملائكة أعمال بني آدم، وما يأتون من الذنوب، فقليل لهم: اختاروا منكم اثنين، فاختاروا هاروت وماروت؛ فقال لهما: إني أرسل إلى بني آدم رسلاً، وليس بيني وبينكم رسول، انزلا لا تشركا بي شيئاً، ولا تزنيا، ولا تشربا الخمر، قال كعب: فوالله ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نهيا عنه.

رواه ابن جرير من طريقين؛ عن عبد الرزاق، به.

ورواه ابن أبي حاتم، عن أحمد بن عصام، عن مؤمل، عن سفيان الثوري، به.

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) في «تفسيره» رقم (١٦٨٨)؛ وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٤٢/٨، ٤٣) ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٨٦/١، ١٨٧) من طريق عبد الكريم بن الهيثم قال: حدثنا سنيد بن داود، قال: حدثنا فرج بن فضالة بسنده سواء. قال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح». وقال شيخنا الألباني في «الضعيفة» (٩١٢): «باطل مرفوعاً... ثم قال: وأفته الفرّج بن فضالة أو الراوي عنه: سنيد، فإنهما ضعيفان».

(*) قلت: سنيد أحسن حالاً، وهو صدوق متماسك.

(٣) من (ن).

(٤) في (ن): «ما يكون في».

(٥) (٥٣/١) وقد مضى تخريجه منذ قليل.

ورواه ابن جرير أيضاً: حدثني المثنى، حدثنا المعلّى - وهو ابن أسد -، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن موسى بن عقبة، حدثني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب الأحبار... فذكره. فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الإسنادين المتقدمين، وسالم أثبت^(١) في أبيه من مولاه نافع؛ فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل، والله أعلم.

ذكر الآثار الواردة في ذلك عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين:

قال ابن جرير^(٢): حدثني المثنى، حدثنا الحجاج، حدثنا حماد، عن خالد الحذاء، عن عمير بن سعيد؛ قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس، وإنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت، فراوداها عن نفسها، فأبت (عليهما)^(٣) إلا أن يعلماهما الكلام الذي إذا تكلم به (أحد)^(٤) يعرج به إلى السماء؛ فعلماهما فتكلمت به، فعرجت إلى السماء، فمسخت كوكباً.

وهذا الإسناد (رجالہ ثقات)^(٥)، وهو غريب جداً.

وقال ابن أبي حاتم^(٦) حدثنا الفضل بن شاذان، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا أبو معاوية، عن (ابن أبي خالد)^(٧)، عن عمير بن سعيد، عن علي عليه السلام^(٨). قال: هما ملكان من ملائكة السماء؛ يعني: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾.

(١) وهكذا قال أهل العلم. قال ابن معين: «يقولون: إن نافعاً لم يحدث حتى مات سالم» وقال ابن المديني، كما في «التمهيد» (٢٨٢/١٣) لابن عبد البر، عن الأحاديث التي اختلف فيها نافع وسالم: «القول فيها قول سالم». وقال النسائي: «سالم أجل من نافع». وقال الطحاوي في «شرح المعاني» (٣٧٨/١): «وسالم أثبت من نافع وأحفظ».

وذكر أبو داود في «سننه» (٣٤٣٤) أن سالمًا [وقع في «المطبوعة»: الزهري. وهو خطأ] اختلف مع نافع في أربعة أحاديث. وذكر النسائي أنها ثلاثة، رجع النسائي فيها قول نافع. ورجح ابن المديني قول سالم. وانظر «فتح الباري» (٥١/٥، ٥٢).

(٢) في «تفسيره» (١٦٨٣) والمثنى هو ابن إبراهيم، والحجاج هو ابن منهال، وحماد هو ابن سلمة، وخالد هو ابن مهران الحذاء، ورجالہ ثقات كما قال ابن كثير.

(٣) لم يقع في رواية الطبري.

(٤) كذا في (ع) و(ك) و(ن) و(ي). ووقع في (ج) و(ل): «المتكلم»، وأشار ناسخ (ن) في الحاشية إلى هذه الكلمة. ووقع في (ز) و(ض): «تكلم به».

(٥) في (ج): «جيد ورجالہ ثقات»، وكتب الناسخ لفظة: «جيد» بخط دقيق فوق السطر، وكأنها من تصرفه أو لعل ابن كثير كان كتبها ثم ضرب عليها. والله أعلم.

(٦) في «تفسيره» (١٠٠٨).

وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢٦٥/٢، ٢٦٦)؛ وأبو الشيخ في «كتاب العظمة» (١٩/٦٩٨) من طريق يعلى بن عبيد، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن عمير بن سعيد، عن علي به؛ وأخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢٣) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن إسماعيل به وسنده قوي.

(٧) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ي). ووقع في (ض): «ابن أبي حاتم»؛ وفي (ز): «عن خالد» و(ل) و(ن): «عن أبي خالد» وكل هذا خطأ. والصواب: ما أثبتته، وهو إسماعيل بن أبي خالد، أحد الثقات الأثبات.

(٨) من (ن).

ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في «تفسيره» بسنده عن (مغيث)^(١)، عن موله جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي مرفوعاً. وهذا لا يثبت من هذا الوجه.
ثم رواه من طريقين آخرين^(٢): عن جابر، عن أبي الطفيل: عن علي (عليه السلام)^(٣)؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الزهرة؛ فإنها هي التي فتنت الملكين هاروت وماروت». وهذا أيضاً لا يصح. وهو منكر جداً. والله أعلم.

وقال ابن جرير^(٤): حدثني المثنى بن إبراهيم؛ حدثنا الحجاج بن منهال، حدثنا حماد، عن علي بن زيد؛ عن أبي عثمان النهدي، عن ابن مسعود، وابن عباس - أنهما قالا جميعاً: لما كثر بنو آدم وعصوا دعت الملائكة عليهم (والأرض)^(٥) والجبال: ربنا (لا تمهلهم)^(٦)؛ فأوحى الله إلى الملائكة: إني (أزلت)^(٧) الشهوة والشيطان من قلوبكم،^(٨) [وأُنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم]^(٨)، ولو نزلتم لفعلتم أيضاً.

قال: فحدثوا أنفسهم أن لو ابتلوا اعتصموا؛ فأوحى الله إليهم أن اختاروا ملكين من أفضلكم؛ فاختاروا هاروت وماروت؛ فأهبطاً إلى الأرض، وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس يسمونها «بيذخت»؛ قال: فوقعا بالخطيئة، فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن في الأرض ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفْوُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥] فخيروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختاروا عذاب الدنيا.
وقال ابن أبي حاتم^(٩): حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي، حدثنا

(١) كذا في جميع «الأصول» وهو وجه في اسمه، وذكره الذهبي في «الميزان» (١٥٨/٤) كذلك وقال: «ضعفه الساجي» ثم قال: «إنما هو معتب، قيده الدارقطني وعبد الغني بالمهملة ثم المثناة المثقلة، ثم الموحدة» وذكره الذهبي قبل ذلك (١٤٢/٤) فقال: «معتب عن موله جعفر الصادق. قال أبو الفتح الأزدي: كذاب. وقيل اسمه: مغيث، وله حديث باطل». اهـ. وأظنه يشير إلى هذا.

(٢) أخرجه ابن السني في «اليوم والليلة» (٦٥٤) من طريق عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا عيسى بن يونس، عن أخيه إسرائيل، عن جابر، عن أبي الطفيل، عن علي بن أبي طالب قال: لعن رسول الله ﷺ الزهرة، فإنها فتنت الملكين. وهذا سند ضعيف جداً. وجابر الجعفي أحد الهلكي، وصاحب رأي مذموم.

(٣) من (ن).

(٤) في «تفسيره» (١٦٨٢).

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢١) من طريق أبي نصر التمار عبد الملك بن عبد العزيز قال: حدثنا حماد بن سلمة بسنده سواء. وفي إسناده ضعف. لأجل علي بن زيد بن جدعان، وأكاد أميل إلى تحسين رواية حماد بن سلمة خاصة عن علي بن زيد، فهي أمثل من رواية غيره عن ابن جدعان كما صرح بذلك أبو حاتم الرازي. والله أعلم.

(٥) في «ابن جرير»: «الأرض والسماء».

(٦) كذا في (ك) و(ل) و(ن) و(ي)؛ وفي (ج) و(ع): «تمهلهم» وكتب في الحاشية: «لعله: تمهلهم». ووقع في (ز) و(ض) و«الطبري»: «لا تهلكهم» وأشار ناسخ (ي) في الحاشية أنه وقع في نسخة: «لا تهلكهم».

(٧) كذا في (ز) و(ن)؛ ووقع في (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي): «أُنزلت».

(٨) من (ن).

(٩) في «تفسيره» رقم (١٠١٤). [قال الحافظ ابن كثير: إسناده جيد. اهـ. لكنه من الإسرائيليات التي نقلها =

(عبيد الله)^(١) - يعني: ابن عمرو - عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو ويونس بن خباب، عن مجاهد؛ قال: كنت نازلاً على عبد الله بن عمر في سفر، فلما كان ذات ليلة قال لغلّامه: (انظر)^(٢) (طلعت)^(٣) الحمراء؟ لا مرحباً بها ولا أهلاً، ولا حياها الله، هي صاحبة الملكين، قالت الملائكة: يا رب؛ كيف تدع عصاة بني آدم وهم يسفكون الدم الحرام، ويتهكون محارمك؛ ويفسدون في الأرض؟ قال: إني ابتليتهم؛ فلعن إن ابتليتكم بمثل الذي ابتليتهم به فعلتم كالذي يفعلون. قالوا: لا، قال: فاختاروا من خياركم اثنين، فاختاروا هاروت وماروت؛ فقال لهما: إني مهبطكما إلى الأرض، وعاهد إليكما أن لا تشركا ولا تزنيا ولا تخونا. فأهبطا إلى الأرض، وألقى عليهما الشبق، وأهبطت لهما الزهرة في أحسن صورة - امرأة - فتعرضت لهما، فراوداهما عن نفسها؛ فقالت: إني على دين لا يصح لأحد أن يأتيني إلا من كان على مثله، قالوا: وما دينك؟ قالت المجوسية. قالوا: الشرك! هذا شيء لا نقر به، فمكثت عنهما ما شاء الله (تعالى)^(٤) ثم تعرضت لهما (فأراداهما)^(٥) عن نفسها؛ فقالت: ما شئتما غير أن لي زوجاً، وأنا أكره أن يطلع على هذا مني فأفترض، فإن أقررتما لي بديني، وشرطتما لي أن تصعدا بي إلى السماء فعلت؛ فأقرا لها بدينها، وأتياها فيما يريان، ثم صعدا بها إلى السماء، فلما انتهيا بها إلى السماء اختطفتهما، وقطعت أجنحتهما فوقاً خائفين نادمين يبيكان؛ وفي الأرض نبي يدعو بين الجمعتين؛ فإذا كان يوم الجمعة أجيب. فقالا: لو أتينا فلاناً فسألناه فطلب لنا التوبة. فأتياه، فقال: (رحمكما)^(٦) الله، كيف (يطلب)^(٧) أهل الأرض لأهل السماء؟ قالوا: إنا قد ابتلينا. قال: اثنياني يوم الجمعة، فأتياه، فقال: ما جبت فيكما بشيء، اثنياني في الجمعة الثانية؛ فأتياه، فقال: اختارا، فقد خيرتما - إن (أحببتما)^(٨): (معانة)^(٩) الدنيا، وعذاب الآخرة، وإن أحببتما فعذاب الدنيا وأنتما يوم القيامة على حكم الله.

فقال أحدهما: إن الدنيا لم يمض منها إلا القليل. وقال الآخر: ويحك! إني قد أطعتك في الأمر الأول، فأطعني الآن، إن عذاباً يفنى ليس كعذاب يبقى (وإننا)^(١٠) يوم القيامة على حكم الله، فأخاف أن يعذبنا، قال: لا؛ إني أرجو إن علم الله أنا قد اخترنا عذاب الدنيا مخافة عذاب الآخرة ألا يجمعهما علينا، قال: فاختارا عذاب الدنيا، فجعلنا في بكرات من حديث في قلب مملوءة من نار عاليهما سافلها.

وهذا إسناد جيد إلى عبد الله بن عمر - وقد تقدم في رواية ابن جرير من حديث معاوية بن صالح، عن نافع، عنه - رفعه.

- = عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار، وهي من الإسرائيليات التي تخالف القرآن والسنة في عصمة الملائكة.
- (١) في (ن): «عبد الله» مكبراً. وهو خطأ. (٢) ساقط من (ض).
- (٣) في (ن): «هل طلعت»!
- (٤) من (ن).
- (٥) في (ن): «فراوداهما».
- (٦) في (ل): «رحمكم».
- (٧) في (ن): «يطلب التوبة».
- (٨) في (ن): «اخترتما».
- (٩) كذا في «الأصول»، وكتب ابن المحب ناسخ (ج) في الحاشية: «لعلها: معانة» وهو الصواب كما يدل عليه السياق. ووقع في «تفسير ابن أبي حاتم»: «معاينة» والمعنى قريب.
- (١٠) في حاشية (ن): «فقال: وإننا».

وهذا أثبت وأصح إسناداً؛ ثم هو - والله أعلم - من رواية ابن عمر، عن كعب كما تقدم بيانه من رواية سالم، عن أبيه.

وقوله: إن الزهرة نزلت في صورة امرأة حسناء - وكذا في المروي عن عليّ - فيه غرابة جداً. وأقرب ما ورد في ذلك ما قال ابن أبي حاتم^(١): حدثنا عصام بن رواد، حدثنا آدم، حدثنا أبو جعفر، حدثنا الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس رضي الله (عنهما)^(٢)؛ قال: لما وقع الناس من بعد آدم ﷺ فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله قالت الملائكة في السماء: يا رب؛ هذا العالم الذي إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك قد وقعوا فيما وقعوا فيه، وركبوا الكفر، وقتل النفس، وأكل المال الحرام، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر؛ فجعلوا يدعون عليهم، ولا يعذرونهم؛ فقل: إنهم في غيب، فلم يعذروهم؛ فقل لهم: اختاروا من أفضلكم ملكين آمرهما وأنهاهما. فاختاروا هاروت وماروت؛ فأهبطا إلى الأرض، وجعل لهما شهوات بني آدم، وأمرهما (الله)^(٣) أن يعبداه ولا يشركا به شيئاً، ونهيا عن قتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، وعن الزنا والسرقة وشرب الخمر؛ فلبثا في الأرض زماناً يحكمان بين الناس بالحق، وذلك في (زمان)^(٤) إدريس عليه السلام، وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب، وإنهما أتيا عليها؛ فخضعا لها في القول، وأراداها على نفسها؛ فأبت إلا أن يكونا على أمرها وعلى دينها؛ فسألاها عن دينها، فأخرجت لهما صنماً فقالت: هذا أعبد. فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا، فذهبا فغبرا ما شاء الله ثم أتيا عليها، فأراداها على نفسها، ففعلت مثل ذلك؛ فذهبا ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها؛ فلما رأتا أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم قالت لهما: اختارا أحد الخلال الثلاث؛ إما أن تعبدا هذا الصنم، وإما أن تقتلا هذه النفس، وإما أن تشربا هذا الخمر، فقالا: كل هذا لا ينبغي، وأهون هذا شرب الخمر، فشربا الخمر؛ فأخذت فيهما، فواقعا المرأة، فخشيا أن يخبر الإنسان عنهما فقتلاه، فلما ذهب عنهما السكر، وعلما ما وقعا فيه من الخطيئة، أرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا، وحيل بينهما وبين ذلك، وكشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه، فعجبوا كل العجب، وعرفوا أنه من كان في غيب فهو أقل خشيةً، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض؛ فنزل في ذلك: ﴿وَالْمَلَكُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥] فقل لهما: اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، فقالا: أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع ويذهب، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له؛ فاختارا عذاب الدنيا؛ فجعلوا ببابل، فهما يعذبان.

وقد رواه الحاكم في «مستدركه» مطولاً عن أبي زكريا العنبري، عن محمد بن عبد السلام،

(١) في «تفسيره» (١٠١٢)؛ والحاكم في «المستدرک» (٤٤٢/٢، ٤٤٣) وصححه وفي إسناده أبو جعفر الرازي، تكلم العلماء في حفظه. [والخبر من الإسرائيليات كما تقدم].

(٢) في (ج) و(ل): «عنه».

(٣) لفظ الجلالة من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي).

(٤) في (ن): «زمن».

عن إسحاق بن راهويه، عن حكام بن سلم الرازي، وكان ثقةً، عن أبي جعفر الرازي - به .
ثم قال: «صحيح الإسناد. لم يخرجاه»؛ فهذا أقرب ما روي في شأن الزهرة. والله أعلم.
وقال ابن أبي حاتم^(١): حدثنا أبي، حدثنا مسلم، حدثنا القاسم بن الفضل الحداني، حدثنا يزيد - يعني: الفارسي -، عن ابن عباس قال: إن أهل السماء الدنيا أشرفوا على أهل الأرض فرأوهم يعملون بالمعاصي؛ فقالوا: يا رب؛ أهل الأرض كانوا يعملون بالمعاصي، فقال الله: أنتم معي، وهم في غيب عني. فقليل لهم: اختاروا منكم ثلاثة. فاختاروا منهم ثلاثة على أن يهبطوا إلى الأرض على أن يحكموا بين أهل الأرض، وجعل فيهم شهوة الآدميين، فأمرؤا ألا يشربوا خمرًا، ولا يقتلوا نفسًا، ولا يزنوا، ولا يسجدوا لوثن. فاستقال منهم واحد فأقيل؛ فأهبط اثنان إلى الأرض، فأتتهما امرأة من أحسن الناس يقال لها: مناهية؛ فهويها جميعاً، ثم أتيا منزلها فاجتمعا عندها، فأراداها؛ فقالت لهما: لا، حتى تشربا خمرى، وتقتلا ابن جارى، وتسجدا لوثني. فقالا: لا نسجد، ثم شربا من الخمر، ثم قتلا، ثم سجدا، فأشرف أهل السماء عليهما. وقالت لهما: أخبراني بالكلمة التي إذا قلتماها طرتما، فأخبراها؛ فطارت فمسخت جمرةً، وهي هذه الزهرة، وأما هما فأرسل إليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا؛ فهما مناطان بين السماء والأرض.

وهذا السياق فيه (زيادات)^(٢) كثيرة، وإغراب ونكارة. والله أعلم بالصواب.

وقال عبد الرزاق^(٣): قال معمر: قال قتادة، والزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمَرُوتَ﴾ كانا ملكين من الملائكة، فأهبطا ليحكما بين الناس، وذلك أن الملائكة سخرؤا من حكام بني آدم، فحاكمت إليهما امرأة، فحافا لها، ثم ذهبا يصعدان، فحيل بينهما وبين ذلك، ثم خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا.
وقال معمر: قال قتادة: فكانا يعلمان الناس السحر، فأخذ عليهما ألا يعلما أحداً حتى يقولوا: إنما نحن فتنة فلا تكفر.

وقال أسباط^(٤)، عن السدي: إنه قال: كان من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الأرض في أحكامهم؛ فقليل لهما: إني أعطيت بني آدم عشرين شهوات فيها يعصوني، قال هاروت وماروت: ربنا، لو أعطيتنا تلك الشهوات، ثم نزلنا، لحكمنا بالعدل، فقال لهما: انزلا، فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر، فاحكما بين الناس؛ فنزلا ببابل دنياوند، فكانا يحكمان حتى إذا أمسيا عرجا؛ فإذا أصبحا هبطا؛ فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها، فأعجبهما حسنهما، واسمها بالعربية «الزهرة» وبالنبطية «بيذخت»، وبالفارسية «أناهيد»؛ فقال أحدهما لصاحبه: إنها لتعجبني، قال الآخر: قد أردت أن أذكر لك فاستحييت منك. فقال الآخر: هل

(١) في «تفسيره» (١٠١٥). ومسلم هو ابن إبراهيم الفراهيدي، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا يزيد الفارسي. ولكنه من الإسرائيليات المخالفة للقرآن والسنة كما تقدم.

(٢) في (ن): «زيادة». (٣) في «تفسيره» (٥٣/١) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٦٨٦). [وسنده حسن].

لك أن أذكرها لنفسها؟ قال: نعم. ولكن كيف لنا بعذاب الله؟ قال الآخر: إنا لنرجو رحمة الله. فلما جاءت تخاصم زوجها ذكرا إليها نفسها؛ فقالت: لا حتى تقضيا لي على زوجي. فقضيا لها على زوجها، ثم واعدتهما خربة من الخرب يأتيانها فيها، فأتياها لذلك. فلما أراد الذي يواقعها قالت: ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأي كلام تصعدان إلى السماء؟ وبأي كلام تنزلان منها؟ فأخبراهما؛ فتكلمت فصعدت فأنساها الله تعالى ما تنزل به، فثبتت مكانها، وجعلها كوكبا؛ فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها؛ وقال: هذه التي فتنت هاروت وماروت.

فلما كان الليل أرادا أن يصعدا فلم يطيقا، فعرفا الهلكة، فخيروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ فاختارا عذاب الدنيا، فعلقا ببابل وجعلا يكلمان الناس كلامهما، وهو السحر.

وقال (ابن أبي نجيع)^(١)، عن مجاهد^(٢): أما شأن هاروت وماروت فإن الملائكة عجبت من ظلم بني آدم، وقد جاءتهم الرسل والكتب والبيئات؛ فقال لهم ربهم تعالى: اختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكما في الأرض؛ فاختاروا؛ فلم يألوا هاروت وماروت؛ فقال لهما حين أنزلهما: أعجبتما من بني آدم من ظلمهم ومعصيتهم، وإنما تأتيتهم الرسل والكتب من وراء وراء؛ وأنتما ليس ببني وبينكما رسول، فافعلوا كذا وكذا، ودعا كذا كذا؛ فأمرهما بأمر ونهاهما؛ ثم نزلا على ذلك، ليس أحد أطوع لله منهما؛ فحكما فعلا؛ فكانا يحكما (النهار)^(٣) بين بني آدم، فإذا أمسيا عرجا فكانا مع الملائكة؛ وينزلان حين يصبحان فيحكما فيعدلان، حتى أنزلت عليهما الزهرة في أحسن صورة امرأة تخاصم، فقضيا عليها.

فلما قامت وجد كل واحد منهما في نفسه؛ فقال أحدهما لصاحبه: وجدت مثل الذي وجدت؟ قال: نعم. فبعثا إليها أن اثبانا نقض لك، فلما رجعت قالا وقضيا لها، فأتتهما فكشفا لها عن عورتيهما؛ وإنما كانت (سواتهما)^(٤) في أنفسهما، ولم يكونا كبني آدم في شهوة النساء ولذاتها، فلما بلغا ذلك واستحلا افتتنا، فطارت الزهرة، فرجعت حيث كانت.

فلما أمسيا عرجا فزجرا فلم يؤذن لهما، ولم تحملهما أجنحتهما؛ فاستغاثا برجل من بني آدم؛ فأتياه؛ فقالا: ادع لنا ربك. فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا: سمعنا ربك يذكرك بخير في السماء.

فوعدهما يوماً، وغدا يدعو لهما، فدعا لهما؛ فاستجيب له؛ فخيروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فنظر أحدهما إلى صاحبه، فقال: ألا تعلم أن أفواج عذاب الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد، وفي الدنيا تسع مرات مثلها؟ فأمر أن ينزلا ببابل فثم عذابهما.

(١) في (ج): «ابن جريج» وهو خطأ.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٦٨٩) قال: حدثني المثنى بن إبراهيم؛ وأبو الشيخ في «العظمة» (٢١/٧٠٠) قال: حدثنا محمد بن زكريا قالا: حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيع، عن مجاهد. وسياق ابن جرير أطول، وسنده صحيح.

(٣) في (ن): «في النهار».

(٤) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ل): «شهوتهما» وهو الموافق لما عند «الطبري».

وزعم أنهما معلقان في الحديد مطويان يصفقان بأجنحتهما.

وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين؛ كمجاهد، والسدي، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، والزهري، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان، وغيرهم؛ وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى.

وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط، ولا إطناب؛ فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى. والله أعلم بحقيقة الحال^(١).

(وقد ورد)^(٢) أثر غريب، وسياق عجيب في ذلك، أحببنا أن ننبه عليه: قال الإمام أبو جعفر ابن جرير^(٣) رحمه الله (تعالى)^(٤): حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي الزناد، حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: قدمت على امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبغني رسول الله ﷺ بعد موته حداثة ذلك تسأله عن (شيء)^(٥) دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به؛ قالت عائشة رضي الله عنها: يا ابن أخي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ فيشفوها، (كانت)^(٦) تبكي حتى إني لأرحمها، وتقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت؛ كان لي زوج فغاب عني، فدخلت عليّ عجوز فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما أمرك به فأجعله يأتيك؛ فلما كان الليل جاءني بكليين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر، فلم يكن (شيء)^(٧) حتى وقفنا ببابل، فإذا برجلين معلقين بأرجلهم؛ فقالا: ما جاء بك؟ (فقلنا: نتعلم)^(٨) السحر. فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري، فارجعي، فأبيت وقلت: لا. قال: فاذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت ففزعت ولم أفعل، فرجعت إليهما؛ فقالا: أفعلت؟ فقلت: نعم. فقالا: هل رأيت شيئاً؟ فقلت: لم أر شيئاً. فقالا: لم تفعلني؛ ارجعي إلى بلادك

(١) في حاشية (ع): «بلغ العرض على المصنف، فسح الله في مدته، معارضاً بأصله».

(٢) في (ن): «وقد ورد في ذلك».

(٣) في «تفسيره» (١٦٩٥).

وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٢٩)؛ والثعلبي في «تفسيره» (ج ١/٣٩ - ٢/٤٠)؛ والحاكم (١٥٥/٤) وعنه البيهقي (١٣٦/٨، ١٣٧) من طريق الربيع بن سليمان بسنده سواء. وسنده جيد كما قال المصنف رحمه الله.

(٤) من (ن).

(٥) كذا في «تفسير الطبري». ووقع في سائر «الأصول»: «أشياء»، وإنما أثبت ما عند «الطبري» لأن السياق يدل عليه، فقالت: «دخلت فيه... ولم تعمل به».

(٦) في (ن): «فكانت».

(٧) كذا في (ن). ووقع في بقية «الأصول»: «لشيء»؛ وفي «تفسير الطبري»: «كشيء» والمقصود: لم يمض وقت يذكر. وفي رواية البيهقي: «فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل» وفي رواية الحاكم: «فلم يكن مكثي» ولعله: فلم يطل مكثي.

(٨) في (ز) و«الطبري»: «فقلت: أتعلم».

ولا تكفري (فإنك على رأس أمرك) ^(١) (فأربت) ^(٢) وأبيت. فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه؛ فذهبت ^(٣) [فاقشعرت وخفت، ثم رجعت إليهما؛ وقلت: قد فعلت، فقالا: فما رأيت؟] ^(٣) [قلت: لم أر شيئاً. فقالا: كذبت، لم تفعلين؛ ارجعي إلى بلادك ولا تكفري؛ فإنك على رأس أمرك؛ فأربت وأبيت؛ فقالا: اذهبي إلى التنور فبولي فيه، فذهبت إليه فبلت فيه] ^(٤)، فرأيت فارساً مقنعاً بحديد خرج مني فذهب في السماء وغاب حتى ما أراه؛ فجتتهما، فقلت: قد فعلت. فقالا: فما رأيت؟ قلت: رأيت فارساً مقنعاً خرج مني فذهب في السماء وغاب حتى ما أراه. فقالا: صدقت؛ ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي.

فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئاً، وما قال لي شيئاً، فقلت: بلى، لم تريدي شيئاً إلا كان. خذي هذا القمح فابذري؛ فبذرت، وقلت: أطلعي فأطلعت، وقلت: (أحقلي) ^(٥) فأحقلت. ثم قلت: افركي فأفركت، ثم قلت: أييسي فأייست، ثم قلت: اطحني فأطحنت. ثم قلت: اخبزي فأخبزت.

فلما رأيت أنني لا أريد شيئاً إلا كان (سقط) ^(٦) في يدي، وندمت والله يا أم المؤمنين، ما فعلت شيئاً ولا أفعله أبداً.

ورواه ابن أبي حاتم، عن الربيع بن سليمان، به مطولاً كما تقدم؛ وزاد بعد قولها: ولا أفعله أبداً - فسألت أصحاب رسول الله ﷺ حادثة وفاة رسول الله ﷺ، وهم يومئذ متوافرون، فما ذروا ما يقولون لها، وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه إلا أنه قد قال لها ابن عباس، أو بعض من كان عنده: لو كان أبواك حين أو أحدهما.

قال هشام: فلو جاءتنا أفتيناها بالضمان.

قال ابن أبي الزناد: وكان هشام يقول: إنهم كانوا من أهل الورع (وخشية من الله) ^(٧).

ثم يقول هشام: لو جاءتنا مثلها اليوم لوجدت نوكي أهل حمق وتكلف بغير علم.

فهذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها.

وقد استدلل بهذا الأثر من ذهب إلى أن الساحر له تمكن في قلب الأعيان؛ لأن هذه المرأة بذرت واستغلت في الحال.

(١) من (ل) و(ي).

(٢) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ل): «فأبت وأبيت»؛ وفي «الطبري» ضبطها الشيخ محمود شاكر، رحمه الله تعالى: «فأربت»، بزيادة باء موحدة، وفسرها في الحاشية بقوله: «وأرب بالمكان: لزمه ولم يبرحه». وما ورد في «الأصول» جاء أيضاً في «تفسير ابن أبي حاتم» و«سنن البيهقي»؛ ومعنى: «أربت»؛ أي: احتجت من قولهم: أرب إليه، يارب أرباً؛ أي: احتاج، فكانها قالت: إنني محتاجة إلى هذا الأمر، وأبت أن تبرح مكانها قبل أن تتعلمه. والله أعلم.

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) أحقلي؛ يعني: ازري.

(٦) في (ج): «أسقط».

(٧) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي)؛ وفي (ز) و(ن): «الخشية من الله»؛ وفي (ل): «وأهل الخشية من الله».

وقال آخرون: بل ليس له قدرة إلا على التخيل؛ كما قال تعالى: ﴿سَكَّرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْهَبُوا أَبْصَارَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] وقال تعالى: ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى﴾ [طه: ٦٦] واستدل به على أن بابل المذكورة في القرآن هي بابل العراق لا بابل ديناوند؛ كما قاله السدي^(١) وغيره.

ثم الدليل على أنها بابل العراق ما قاله ابن أبي حاتم^(٢): حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن صالح، حدثني ابن وهب، حدثني ابن لهيعة، ويحيى بن أزهر، عن عمار بن سعد المرادي، عن أبي صالح الغفاري - أن علي بن أبي طالب - عليه السلام قال: إن حبيبي عليه السلام نهاني أن أصلي ببابل، فإنها ملعونة^(٣).

وقال أبو داود: حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا ابن وهب، (حدثني ابن لهيعة)^(٤) ويحيى بن أزهر، عن عمار بن سعد المرادي، عن أبي صالح الغفاري: أن علياً مر ببابل وهو يسير، فجاءه المؤذن يؤذنه بصلاة العصر، فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة؛ فلما فرغ قال: إن حبيب عليه السلام نهاني أن أصلي في المقبرة، ونهاني أن أصلي بأرض بابل؛ فإنها ملعونة.

حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، أخبرني يحيى بن أزهر وابن لهيعة، عن حجاج بن شداد، عن أبي صالح الغفاري، عن علي بمعنى حديث سليمان بن داود؛ قال: فلما خرج (مكان)^(٥): «برز».

وهذا الحديث حسن عند الإمام أبي داود؛ لأنه رواه وسكت^(٦) عليه، ففيه من الفقه كراهية

(١) أخرجه ابن جرير (١٦٩٠).

(٢) في «تفسيره» (١٠١٠).

وأخرجه أبو داود (٤٩٠)؛ ومن طريقه البيهقي (٤٥١/٢) قال: حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا ابن وهب بسنده سواء بأطول مما ذكره ابن أبي حاتم. وقد ذكر المصنف لفظ أبي داود. وهذا سند ضعيف.

(٣) هكذا وقع الحديث مختصراً في سائر «الأصول» وعند ابن أبي حاتم، أما ناسخ (ن) فنقل سياق أبي داود الآتي كله ونسبه إلى ابن أبي حاتم وأخطأ في ذلك وانتقل بصره، والله أعلم.

(٤) ساقط من (ن) فصار الإسناد عنده: «أخبرنا ابن وهب ويحيى بن أزهر» وهو خطأ فاحش.

(٥) في (ن): «منها».

(٦) يشير المصنف عليه السلام إلى ما ذكره أبو داود في «رسالته إلى أهل مكة» يشرح لهم فيها طريقته في تصنيف

«سننه» فقال (ص ٢٧، ٢٨): «وما كان في كتابي من حديث فيه وهن شديد، فقد بينته، ومنه ما لا يصح

سنده، وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وبعضها أصح من بعض». اهـ. ففهم جماعة من العلماء أن قول

أبي داود: «وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح» معناه: أن ما سكت عنه فهو من قبيل الحسن. منهم

المنذري، فقال في «الترغيب» (٨/١): «وكل حديث عزوته إلى أبي داود وسكت عنه فهو كما ذكر أبو

داود، ولا ينزل عن درجة الحسن وقد يكون على شرط الصحيحين أو أحدهما». ومنهم النووي فقد ذكر

حديثاً في «المجموع» (٢٤١/٤) ثم قال: «رواه أبو داود بإسناد جيد ولم يضعفه، ومذهبه أن ما لم يضعفه

فهو عنده حسن». وصرح آخرون بمثل ذلك منهم ابن تيمية والعلائي والزركشي والعراقي، وقد علمنا يقيناً

أن أبا داود سكت عن أحاديث منكورة وضعيفة جداً وضعيفة ساقطة عن حد الاعتبار بها، فلا يقال: هي

صالحة يعني حسنة. وللنوي تفصيل في هذا الأمر فقال: «في «سنن أبي داود» أحاديث ظاهرة الضعف لم

يبينها مع أنه متفق على ضعفها. والحق أن ما وجدناه في «سننه» مما لم يبينه، ولم ينص على صحته أو

حسنه أحد ممن يعتمد فهو حسن، وإن نص على ضعفه من يعتمد عليه، أو رأى العارف في سنده ما يقتضي =

الصلاة بأرض بابل، كما تكره بديار ثمود الذي نهى^(١) رسول الله ﷺ عن الدخول إلى منازلهم إلا أن يكونوا باكين.

قال أصحاب الهيئة: وبعد ما بين بابل وهي من إقليم العراق عن البحر المحيط الغربي، ويقال له أوقيانوس، سبعون درجة، ويسمون هذا طولاً، وأما عرضها وهو بعد ما بينهما وبين وسط الأرض من ناحية الجنوب، وهو المسامت لخط الاستواء، اثنتان وثلاثون درجة. والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقِّ يَقُولَا إِلَّا نَحْنُ فِتْنَةً فَلَا تَكْفُرُ﴾ قال أبو جعفر^(٢) الرازي، عن الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس؛ قال: فإذا أتاهما الآتي يريد السحر نهياه أشد النهي، وقالوا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر؛ وذلك أنهما علما الخير والشر، والكفر والإيمان؛ فعرفا أن السحر من الكفر؛ قال: فإذا أبى عليهما أمرهما أن يأتي مكان كذا وكذا، فإذا أتاه عاين الشيطان فعلمه، فإذا تعلمه خرج منه النور، فنظر إليه ساطعاً في السماء؛ فيقول: يا حسرتاه! يا ويله! ماذا أصنع؟

وعن الحسن^(٣) البصري أنه قال في تفسير هذه الآية: نعم، أنزل الملكان بالسحر، ليعلما الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلى به الناس؛ فأخذ عليهما الميثاق ألا يعلما أحداً حتى يقولوا: إنما نحن فتنة فلا تكفر. رواه ابن أبي حاتم.

وقال قتادة^(٤): كان أخذ عليهما ألا يعلما أحداً حتى يقولوا إنما نحن فتنة؛ أي: بلاء ابتلينا به؛ فلا تكفر.

وقال السدي^(٥): إذا أتاهما إنسان يريد السحر وعظاه، وقالوا له: لا تكفر؛ إنما نحن فتنة؛ فإذا أبى قالوا له: ائت هذا الرماد قبل عليه؛ فإذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء؛ وذلك الإيمان، وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء؛ وذلك غضب الله؛ فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر؛ فذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقِّ يَقُولَا إِلَّا نَحْنُ فِتْنَةً فَلَا تَكْفُرُ...﴾ الآية.

وقال سنيد^(٦)، عن حجاج، عن ابن جريج - في هذه الآية -: لا يجترئ على السحر إلا كافر، وأما الفتنة فهي المحنة والاختبار؛ ومنه قول الشاعر:

= الضعف ولا جابر له، حكم بضعفه ولا يلتفت إلى سكوت أبي داود. انتهى، وهو تفصيل حسن وإن خالفه النووي في كتبه.

(١) فأخرج البخاري (١/٥٣٠)؛ و٨/١٢٥، ٣٨١).

وأخرجه مسلم (٣٨/٢٩٨٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠١٧، ١٠٢٨) وقد فرق ابن أبي حاتم هذا المتن في موضعين، وجمعه المصنف في موضع واحد. [وسنده جيد].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠١٨) وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/٥٣) ومن طريقه ابن جرير (١٦٩٨) قال: أخبرنا معمر قال: قال قتادة؛ وأخرجه ابن جرير (١٦٩٧) من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة وكلاهما صحيح؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠١٩) من طريق أبي جعفر الرازي، عن قتادة.

(٥) أخرجه ابن جرير (١٦٩٦). [وسنده حسن]. (٦) أخرجه ابن جرير (١٧٠١).

وقد فتن الناس في دينهم وخلي ابن عفان شراً طويلاً وكذلك قوله تعالى، إخباراً عن موسى عليه السلام حيث قال: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي: ابتلاؤك واختبارك وامتحانك، ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾.

وقد استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر، واستشهد له بالحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر^(١) البزار: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن همام، عن عبد الله؛ قال: «من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

وهذا إسناد (صحيح)^(٢). وله شواهد آخر.

وقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ أي: فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون فيما يتصرفون من الأفاعيل المذمومة، ما إنهم يفرقون به بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف.

وهذا من صنيع الشياطين، كما رواه مسلم في «صحيحه»^(٣)، من حديث الأعمش، عن (أبي سفيان)^(٤) طلحة بن نافع، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال: «إن الشيطان (يضع)^(٥) عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه في الناس، فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، ينجئ أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا؛ فيقول إبليس: لا، والله ما صنعت شيئاً! ويجئ أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله؛ قال: فيقربه ويدنيه ويلتزمه، ويقول: نعم (أنت)»^(٦).

^(٧) [ورجح شيخنا أبو الحجاج المزي فتح النون، وراجعته فثبت على ذلك، والمشهور عند النحاة الكسر، واحتج به بعضهم على جواز كون فاعل «نعم» مضمرأ؛ وهو قليل]^(٧).

وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر ما يخيّل إلى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر، أو خلق أو نحو ذلك، أو عقد أو بغضة أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفرقة.

والمرء: عبارة عن الرجل وتأنثه امرأة، ويشئ كل منهما ولا يجمعان. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال سفيان^(٨) الثوري: إلا بقضاء الله.

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (١٩٣١ - البحر) عن أبي معاوية؛ وأبو القاسم البغوي في «مسند ابن الجعد» (٢٠٣٤) عن عبيدة بن حميد كلاهما عن الأعمش، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث، عن ابن مسعود موقوفاً عليه. وسنده صحيح كما قال المصنف.

(٢) في (ز) و(ض): «جيد».

(٣) في كتاب «صفات المنافقين» (٦٧/٢٨١٣) من طريق أبي معاوية، قال: حدثنا الأعمش به وفي آخره: «قال الأعمش»: «أراه قال: فيلتزمه».

(٤) في (ن): «عن أبي سفيان عن طلحة بن نافع»؛ وقوله: «عن» زيادة مقحمة؛ لأن أبا سفيان هو طلحة بن نافع.

(٥) في (ن): «ليضع».

(٦) ساقط من (ج).

(٧) ساقط من (ج) و(ع) و(ل).

(٨) أخرجه ابن جرير (١٧٠٤). [وسنده صحيح].

وقال محمد^(١) بن إسحاق: إلا بتخلية الله بينه وبين ما أراد.

وقال الحسن البصري^(٢): ﴿وَمَا هُمْ بِصَّارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال: نعم؛ من شاء الله سلطهم عليه، ومن لم يشأ الله لم يسلط؛ ولا يستطيعون ضر أحد إلا بإذن الله؛ كما قال الله تعالى.

وفي رواية^(٣) عن الحسن أنه قال: لا يضر هذا السحر إلا من دخل فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْمَلُونَ مَا يَصُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ أي: يضرهم في دينهم، وليس له نفع يوازي ضرره.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ أي: ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة (الرسول)^(٤) ﷺ لمن فعل فعلهم ذلك - أنه ما له في الآخرة من خلاق، قال ابن عباس، ومجاهد^(٥)، والسدي^(٦): من نصيب.

وقال عبد الرزاق^(٨)، عن معمر، عن قتادة: ما له في الآخرة من (حجة)^(٩) عند الله، (وقال)^(١٠): قال الحسن: ليس له دين وقال (سعيد)^(١١)، عن قتادة ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ قال: ولقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة^(١٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنَ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى: ﴿وَلَيْسَ﴾ البديل ما استبدلوا به من السحر عوضاً عن الإيمان ومتابعة (الرسول)^(١٣) لو كان لهم علم بما وعظوا به ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ أي: ولو أنهم آمنوا بالله ورسله واتقوا المحارم لكان مثوبة الله على ذلك خيراً لهم مما استخاروا لأنفسهم ورضوا به، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [الفصل].

وقد (يستدل)^(١٤) بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ من ذهب إلى تكفير الساحر، كما هو رواية

- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٦).
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٥) بسند ضعيف.
- (٣) وهي عند ابن أبي حاتم أيضاً (١٠٢٤) وسنده صحيح.
- (٤) كذا في (ز) و(ع) و(ن) و(ي)؛ ووقع في (ج) و(ض) و(ك) و(ل): «الرسول».
- (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٣).
- (٦) أخرجه ابن جرير (١٧٠٧، ١٧٠٩) وسنده قوي لولا أن شيخ الطبري لم أجد له ترجمة.
- (٧) أخرجه ابن جرير (١٧٠٦، ١٧١٠) وسنده حسن.
- (٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٤/١)، ومن طريقه ابن جرير (١٧١٢)؛ وابن أبي حاتم (١٠٣٤). [وسنده صحيح].
- (٩) وقع في سائر «الأصول»: «جهة» وما أثبتته من «تفسير الطبري»، ووقع في «تفسير عبد الرزاق»: «جنة».
- (١٠) في (ن): «وقال عبد الرزاق»، وإنما الذي قال: قال الحسن؛ هو معمر بن راشد كما في «تفسير عبد الرزاق» و«ابن أبي حاتم».
- (١١) في (ن): «سعد» وهو خطأ. وسعيد هو ابن أبي عروبة.
- (١٢) أخرجه ابن جرير (١٧٠٥) وسنده صحيح.
- (١٣) في (ن): «الرسول».
- (١٤) في (ن): «استدل».

عن الإمام أحمد بن حنبل وطائفة من السلف. وقيل: بل لا يكفر، ولكن حده ضرب عنقه؛ لما رواه الشافعي^(١)، وأحمد بن حنبل (رحمهم الله)^(٢)؛ قالوا: أخبرنا سفيان - (هو ابن عيينة)^(٣) -، عن عمرو بن دينار، أنه سمع بجالة بن عبدة يقول: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر.

وقد أخرجه البخاري^(٤) في «صحيحه» أيضاً.

وهكذا صح^(٥) أن حفصة أم المؤمنين سحرتها جارية لها، فأمرت بها فقتلت.

قال الإمام أحمد بن حنبل: (صح عن)^(٦) ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قتل الساحر.

وروى الترمذي^(٧) من حديث إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن جندب الأزدي أنه قال:

(١) أخرجه البخاري (٢٥٧/٦).

(٢) من (ز) و(ض) و(ك) و(ل)؛ وفي (ج): «رحمهم الله».

(٣) من (ن).

(٤) لم يخرج البخاري منه محل الشاهد كما مر بك، فعزو الحديث إلى البخاري فيه تساهل، لكن ابن كثير قصد أن البخاري خرج أصل الحديث كما صرح بذلك الحافظ في «الفتح» (٢٣٦/١٠) ويفعله البيهقي كثيراً. وقد ذكر الحميدي الحديث في مفاريد البخاري في كتابه «الجمع بين الصحيحين» (١٧٨/١) وقال بعد ذكر الحديث كاملاً: «اختصره البخاري فأخرج المسند منه: والتفريق بين كل ذي محرم من المجوس فقط، وأخرجه أبو بكر البرقاني بطوله وهو مشهور من حديث ابن عيينة». انتهى.

(٥) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٤/٨٧١/٢) عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارَةَ أنه بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت. ووصله البيهقي (١٣٦/٨) من طريق سعدان بن نصر، ثنا أبو معاوية عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أن حفصة بنت عمر رضي الله عنها سحرتها جارية لها، فأقرت بالسحر وأخرجته، فقتلتها، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه، فغضب، فأتاه ابن عمر رضي الله عنه، فقال: جاريتها سحرتها، وأقرت بالسحر وأخرجته قال: فكف عثمان رضي الله عنه، قال: وكأنه إنما كان غضبه لقتلها إياها بغير أمره. وأخرجه ابن أبي شيبَةَ في «المصنف» (٤١٦/٩؛ و١٣٥/١٠، ١٣٦) قال: حدثنا عبدة بن سليمان، عن عبيد الله بن عمر بسنده سواء. وسنده صحيح.

(٦) من (ز) و(ن). ووقع في بقية «الأصول»: «فثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم» وكأن في العبارة سقطاً، واستشكلها ناسخ (ي)، فقال: «كذا» وكتب بخط دقيق بعد قوله: «أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم» كلمة «شرعوا» حتى يستقيم له المعنى.

(٧) في «سننه» (١٤٦٠).

وأخرجه الحاكم (٣٦٠/٤) وابن عدي في (الكامل) (٢٨٢/١)؛ والدارقطني (١١٤/٣)؛ وابن قانع في «معجم الصحابة» (ق١/٢٥)؛ والطبراني في «الكبير» (ج٢/رقم ١٦٦٥)؛ والبيهقي (١٣٦/٨)؛ والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٥٩٠)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠٩/١١، ٣١٠) من طريق إسماعيل بن مسلم المكي، عن الحسن البصري عن جندب بن عبد الله مرفوعاً.

(*) قلت: وإسماعيل بن مسلم واه، فلذلك لم يصب الحاكم حين قال: «صحيح الإسناد، وإن كان الشيخان تركا إسماعيل بن مسلم، فإنه غريب صحيح» ولم يتفرد به المكي كما يشعر كلام الترمذي فتابعه خالد العبد عن الحسن، عن جندب مرفوعاً مثله؛ أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٢/رقم ١٦٦٦)؛ وأبو سهل بن القطان في «حديثه» (ق١/٣٠) من طريق محمد بن الحسن بن سيار، عن خالد العبد. قال شيخنا الألباني في «الضعيفة» (١٤٤٦): «ولكنها متابعة واهية، فإن خالداً هذا لم أجد له ترجمة، وكذلك الراوي عنه، فلا يعتضد بها، على أن مدار الطريقين على الحسن، وهو مدلس وقد عنعن، ولذلك فمن رام تحسين الحديث فما أحسن». اهـ.

قال رسول الله ﷺ: «حد الساحر ضربة بالسيف»، ثم قال: «لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث. والصحيح عن الحسن، عن جندب (موقوف)»^(١).

قلت: قد رواه الطبراني من وجه آخر عن الحسن، عن جندب مرفوعاً. والله أعلم.

وقد روي^(٢) من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه؛ فقال الناس: سبحان الله! يحيى الموتى! ورآه رجل من صالحى المهاجرين، فلما كان من الغد جاء مشتملاً على سيفه؛ وذهب يلعب لعبه ذلك، فاخترط الرجل سيفه، فضرب عنق الساحر؛ وقال: إن كان (ساحراً)^(٣) فليحي نفسه؛ وتلا قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَكَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك، فسجنه ثم أطلقه. والله أعلم.

وقال (الإمام)^(٤) أبو بكر الخلال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثني أبو إسحاق، عن حارثة؛ قال: كان عند بعض الأمراء رجل يلعب، فجاء جندب (مشتملاً)^(٥) على سيفه فقتله. قال: أراه كان ساحراً^(٦).

وحمل الشافعي رحمه الله قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركاً. والله أعلم.

فصل

حكى أبو عبد الله الرازي في «تفسيره»، عن المعتزلة، أنهم أنكروا وجود السحر، قال: وربما كفروا من اعتقد وجوده.

= (*) قلت: وخالد العبد ترجمه ابن حبان في «المجروحين» (١/٢٨٠، ٢٨١) وقال: «شيخ كان بالبصرة يروى عن ابن المنكدر والحسن، روى عنه إسرائيل، كان يسرق الحديث ويحدث من كتب الناس من غير سماع، قال سلم بن قتيبة: أتيت خالد العبد فإذا معه درج فيه: حدثنا الحسن، فأقبلت الدرج من يده، فإذا في أوله: حدثنا هشام بن حسان قد محاه، فقلت له: ما هذا؟ قال: كتبت أنا وهشام عن الحسن. قلت: تكون مع هشام وتكتب فيه: حدثنا هشام؟ قال: ما أعرفني بك، أليس خرجت مع إبراهيم؟! والحديث لا يصح مرفوعاً، وضعفه ابن المنذر كما في «المغني» (١٢/٣٠٢) لابن قدامة، والحافظ في «الفتح» (١٠/٢٣٦)، وقد صحح الترمذي وقفه كما مر بك.

(١) في (ز) و(ك) و(ن): «موقوفاً».

(٢) منها ما أخرجه البيهقي (٨/١٣٦) من طريق ابن وهب، أخبرني ابن لهيعة، عن أبي الأسود أن الوليد بن عقبة كان بالعراق، يلعب بين يديه ساحر وساق نحوه وفي آخره: وأمر به الوليد ديناراً صاحب السجن، وكان رجلاً صالحاً، فسجنه فأعجبه نحو الرجل، فقال: أتستطيع أن تهرب؟ قال: نعم، قال: فاخرج، لا يسألني الله عنك أبداً. وسنده جيد، وابن وهب كان ممن سمع من ابن لهيعة قبل اختلاطه. وانظر «مصنف عبد الرزاق» (١٠/١٨١، ١٨٢).

(٣) كذا في «الأصول»؛ وفي (ن): «صادقاً». وهي أوضح.

(٤) من (ع) و(ن) و(ي). (٥) في (ج): «مشتمل».

(٦) رجاله ثقات. ولكن في قوله: «يحيى بن سعيد حدثني أبو إسحاق» نظر عندي، ويحيى بن سعيد سواء كان القطان أو الأموي فلم يرويا شيئاً عن أبي إسحاق، ولا لقياه فيما أعلم، فلعل سقطاً وقع في الإسناد. والله أعلم. وحارثة هو ابن وهب الخزاعي. والله أعلم.

قال: وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر أن يطير في الهواء، ويقلب الإنسان حماراً، والحمار إنساناً، إلا أنهم قالوا: إن الله يخلق الأشياء عندما يقول الساحر تلك الرقى والكلمات المعينة؛ فأما أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك والنجوم فلا؛ خلافاً للفلاسفة والمنجمين والصابئة، ثم استدل على وقوع السحر، وأنه بخلق الله تعالى بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِصَاحِبِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ومن الأخبار أن رسول الله ﷺ سحر، وأن السحر عمل فيه، ويقصة تلك المرأة مع عائشة رضي الله عنها، وما ذكرت تلك المرأة من إتيانها بابل وتعلمها السحر؛ قال: وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة، ثم قال بعد هذا:

المسألة الخامسة: في أن العلم بالسحر ليس بقبیح ولا محذور: اتفق المحققون على ذلك؛ لأن العلم لذاته شريف؛ وأيضاً لعموم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ولأن السحر لو لم يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة، والعلم بكون المعجز معجزاً واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب؛ فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً، وما يكون واجباً فكيف يكون حراماً وقبيحاً؟

هذا لفظه بحروفه في هذه المسألة؛ وهذا الكلام فيه نظر من وجوه:

أحدها: قوله العلم بالسحر ليس بقبیح إن عني به ليس بقبیح عقلاً فمخالفوه من المعتزلة يمنعون هذا، وإن عني أنه ليس بقبیح شرعاً ففي هذه الآية الكريمة تبشيع لتعلم السحر. وفي «الصحيح»^(١): «من أتى عرافاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد». وفي «السنن»^(٢): «من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر».

وقوله: ولا محذور - اتفق المحققون على ذلك. كيف لا يكون محظوراً مع ما ذكرناه من الآية والحديث. واتفق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسألة أئمة العلماء أو أكثرهم وأين نصوصهم على ذلك؟ ثم إدخاله علم السحر في عموم قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه نظر؛ لأن هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين العلم الشرعي؛ ولم قلت إن هذا منه؟ ثم ترقيه إلى وجوب تعلمه بأنه لا يحصل العلم بالمعجز إلا به - ضعيف؛ بل فاسد؛ لأن (أعظم)^(٣) معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ثم إن العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلاً، ثم من المعلوم بالضرورة أن

(١) في «صحيح البخاري»، فأخرج في «صحيحه» (٤٣٦/٦؛ ٥٣٤/٨).

(٢) كذا! ولم يخرجهم منهم إلا النسائي في «كتاب تحريم الدم» (١١٢/٧) قال أخبرنا عمرو بن علي؛ وابن عدي في «الكامل» (١٦٤٨/٤) من طريق عبد الله بن الهيثم قال: ثنا أبو داود، هو الطيالسي، ثنا عباد بن ميسرة المنقري، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعاً: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً، وكل إليه». وقد رأيت المصنف رحمه الله عزاه إلى النسائي وحده في «تفسير سورة يوسف» (٣٤٣/٤ - طبع الشعب)؛ وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤١٩/٦) لابن مردويه فقصر! وسنده ضعيف.

(٣) في (ز): «معظم».

الصحابه والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون المعجز، ويفرقون بينه وبين غيره، ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه. والله أعلم.

ثم قد ذكر أبو عبد الله الرازي أن أنواع السحر ثمانية:

الأول: سحر الكلدانيين والكشديانيين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة، وهي السيارة؛ وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم، وأنها تأتي بالخير والشر؛ وهم الذين بعث الله إليهم إبراهيم الخليل (عليه السلام) ^(١) مبطلاً لمقاتلتهم وراداً لمذهبهم؛ وقد استقصى في (كتاب السر المكتوم، في مخاطبة الشمس والنجوم) المسنوب إليه كما ذكره القاضي ابن خلكان وغيره. ويقال: إنه تاب منه، وقيل: (بل) ^(٢) صنفه على وجه إظهار الفضيلة، لا على سبيل الاعتقاد، وهذا هو المظنون به؛ إلا أنه ذكر فيه (طرائقهم) ^(٣) في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة، وكيفية ما يفعلون، وما يلبسونه وما يتسكون به.

قال: والنوع الثاني: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية؛ ثم استدل على أن الوهم له تأثير بأن الإنسان يمكنه أن يمشي على الجسر الموضوع على وجه الأرض ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدوداً على نهر أو نحوه.

قال: وكما أجمعت الأطباء على نهي المعروف عن النظر إلى الأشياء الحمر، والمصروع إلى الأشياء القوية للمعان، أو الدوران؛ وما ذاك إلا لأن النفوس خلقت منطبعة للأوهام.

قال: وقد اتفق العقلاء على أن الإصابة بالعين حق ^(٤) [و(له) ^(٥) أن يستدل على ذلك] ^(٦) [بما ثبت في «الصحيح» ^(٧)]: أن رسول الله ﷺ قال: «العين حق» ^(٨) ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين».

قال: فإذا عرفت هذا فنقول: النفس التي تفعل هذه الأفاعيل قد تكون قوية جداً، فتستغني في هذه (الأفعال) ^(٩) عن الاستعانة (بالآلات) ^(١٠) والأدوات، وقد تكون ضعيفة فتحتاج إلى الاستعانة بهذه الآلات.

وتحقيقه أن النفس إذا كانت (مشتغلة عن) ^(١١) البدن، شديدة الانجذاب إلى عالم السموات، صارت كأنها روح من الأرواح السماوية؛ فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم، وإذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه الذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تأثير ألبتة إلا في هذا البدن.

ثم أرشد إلى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء، والانقطاع عن الناس (والرياضة) ^(١٢).

قلت: وهذا الذي يشير إليه هو التصرف بالحال؛ وهو على قسمين: تارة تكون حالاً صحيحة

(١) من (ز) و(ع) و(ن) و(ي)؛ وفي (ك): «ﷺ». (٢) في (ز): «إنه».

(٣) في (ن): «طريقتهم». (٤) ساقط من (ك).

(٥) من (ز) و(ض) و(ن) و(ي). (٦) ساقط من (ك).

(٧) يعني: «صحيح مسلم» وقد أخرجه في «كتاب السلام» (٤٢/٢١٨٨) من طريق ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس مرفوعاً. وعنده «سبقت» بدل «لسبقته» وفي آخره: «وإذا استغسلتم فاغسلوا».

(٨) في (ز) و(ض) و(ن): «الأفاعيل». (٩) في (ك): «بالآيات».

(١٠) في «تفسير الرازي» (٢/٢٢٦): «مستعلة على». (١١) في (ن): «الرياضة»!!

شرعيةً يتصرف بها فيما أمر الله ورسوله (ﷺ)^(١) ويترك ما نهى الله تعالى عنه ورسوله (ﷺ)؛ فهذه الأحوال مواهب من الله تعالى، وكرامات للصالحين من هذه الأمة، ولا يسمى هذا سحراً في الشرع.

وتارة تكون الحال فاسدة لا يمثل صاحبها ما أمر الله ورسوله (ﷺ)^(١)، ولا يتصرف بها في ذلك، فهذه حال الأشقياء المخالفين للشرعية، ولا يدل إعطاء الله إياهم هذه الأحوال على محبته لهم، كما أن الدجال (لعنه الله)^(٢) له من الخوارق للعادات ما دلت عليه الأحاديث الكثيرة، مع أنه مذموم شرعاً لعنه الله.

وكذلك من شابهه من مخالفي الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. ويسط هذا يطول جداً، وليس هذا موضعه.

قال: **والنوع الثالث من السحر:** الاستعانة بالأرواح الأرضية، وهم الجن خلافاً للفلاسفة والمعتزلة؛ وهم على قسمين: مؤمنون، وكفار وهم الشياطين.

قال: واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية، لما بينهما من المناسبة والقرب، ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى (والدخن)^(٣) والتجريد، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل (تسخير)^(٤).

النوع الرابع من السحر: التخيلات، والأخذ بالعيون والشعبذة؛ ومبناه على أن البصر قد (يخطئ)^(٥) ويشغل بالشيء المعين دون غيره، ألا ترى ذا الشعبذة الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق نحوه عمل شيئاً آخر عملاً بسرعة شديدة؛ وحينئذٍ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه؛ فيتعجبون منه جداً، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمل، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجها، لفطن الناظرون لكل ما يفعله.

قال: وكلما كانت الأحوال التي تفيد حسن البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد كان العلم أحسن؛ مثل أن يجلس المشعبد في موضع مضيء جداً، أو مظلم، فلا تقف القوة (الباصرة)^(٦) على أحوالها (بكلالها)^(٧) والحالة هذه.

قلت: وقد قال بعض المفسرين: إن سحر السحرة بين يدي فرعون إنما كان من باب الشعبذة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] وقال تعالى: ﴿يَجْعَلُ إِلَٰهَهُمْ سِحْرَهُمْ أَنَّهُمْ قَتَلُوا﴾ [طه: ٦٦] قالوا: ولم تكن تسعى في نفس الأمر. والله أعلم.

النوع الخامس من السحر: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة من النسب

(٢) ساقط من (ن).

(١) من (ز) و(ن).

(٤) في (ز): «التسخير».

(٣) في (ز) و(ن): «الدخل».

(٦) في (ز) و(ن): «الناظرة».

(٥) في (ج) و(ل): «غطى»!

(٧) ساقط من (ن)؛ وفي (ل): «لكلالها»؛ وفي (ك): «بكمالها».

الهندسية؛ كفارس على فرس في يده بوق، كلما مضت ساعة من النهار ضرب (مرة)^(١) بالبوق من غير أن يمسه أحد. ومنها الصور التي تصورها الروم والهند، حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان، حتى يصورونها ضاحكةً وباكيةً.

إلى أن قال: فهذه الوجوه من لطيف أمور (المخايل)^(٢) قال: وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل.

قلت: يعني ما قاله بعض المفسرين: إنهم عمدوا إلى تلك الحبال والعصي، فحشوها زئبقاً فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق، فيخيل إلى الرائي أنها تسعى باختيارها.

قال الرازي: ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات، ويندرج في هذا الباب علم جر الأثقال بالآلات الخفيفة.

قال: وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر؛ لأن لها (أسباباً)^(٣) معلومةً (متيقنةً)^(٤)، من اطلع عليه قدر عليها.

قلت: ومن هذا القبيل حيل النصارى على عامتهم، بما يرونهم إياه من الأنوار؛ كقضية قمامة الكنيسة التي لهم (بالبلد)^(٥) المقدس، وما يحتالون به من إدخال النار خفية إلى الكنيسة، وإشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على (الطعام)^(٦) (منهم)^(٧)، وأما الخواص فهم يعترفون بذلك، ولكن يتأولون أنهم يمعون شمل أصحابهم على دينهم، فيرون ذلك سائغاً لهم. (وفيهم شبه)^(٨) للجهلة الأغبياء من (متعبدى)^(٩) الكرامية، الذين يرون جواز وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب، فيدخلون في عداد (من قال رسول الله ﷺ فيهم)^(١٠): «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١١). وقوله: «حدثوا عني ولا تكذبوا علي فإنه من يكذب علي يلج النار»^(١٢).

(١) من (ج) و(ل).

(٢) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي)؛ وفي «تفسير الرازي» (٢/٢٢٩): «المخايل»؛ وفي (ج) و(ل) و(ن): «التخايل».

(٣) في (ك): «أنساباً».

(٤) كذا في (ج) و(ك) و(ل)؛ وفي (ز) و(ض) و(ع) و(ي): «يقينة»؛ وفي (ن): «نفسية»؛ وفي «تفسير الرازي» (٢/٢٢٩): «نفسية».

(٥) كذا في (ع) و(ن) و(ي)؛ وفي (ز) و(ض) و(ك): «ببلد المقدس»؛ وفي (ج) و(ل): «ببيت المقدس»، وكتب ابن المحب، ناسخ (ج)، فوق كلمة: «بيت»: «ببلد»، وأشار إلى أنها كذلك في نسخة.

(٦) في (ز) و(ض): «العوام».

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ن) و(ي)؛ وفي (ز) و(ل): «وفيه شبه»؛ وفي (ض): «وفيه شبهة».

(٩) في (ك) و(ل): «متعدي»؛ وفي (ض): «متعبد». (١٠) في (ك) و(ل): «من قال فيهم رسول الله».

(١١) حديث متواتر رواه أكثر من سبعين صحابياً، وللطبراني فيه جزء مفرد.

(١٢) كذا ذكر المصنف رحمه الله هذا الحديث بهذا التمام، وأرى أنه لفقه من حديثين، الأول: لأبي سعيد الخدري.

والآخر: لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، أما أقرب سياق لما ذكره المصنف فأخرجه أحمد (٤٦/٣) قال: حدثنا

عبد الصمد ثنا همام، حدثنا زيد، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «حدثوا عني ولا

تكذبوا علي، ومن كذب علي متعمداً فقد تبوأ مقعده من النار، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» وأخرجه

أبو يعلى في «مسنده» (ج ٢/رقم ١٢٠٩) قال: حدثنا أبو خيثمة، ثنا عبد الصمد بهذا الإسناد وعنده =

ثم ذكر ههنا حكايةً عن بعض الرهبان، وهو أنه سمع صوت طائر (حزين)^(١) الصوت ضعيف الحركة، فإذا سمعته الطيور ترق له فتذهب فتلقى في وكره من ثمر الزيتون، (ليتبع)^(٢) به، فعمد هذا الراهب إلى (صنعة)^(٣) طائر على شكله، وتوصل إلى أن جعله أجوف، فإذا دخلته الريح يسمع (منه)^(٤) صوت كصوت ذلك الطائر، وانقطع في صومعة ابتناها، وزعم أنها على قبر بعض صالحهم، وعلق ذلك الطائر في مكان منها، فإذا كان زمان الزيتون فتح باباً من ناحية، فتدخل (الريح)^(٥) إلى داخل هذه الصورة، فيسمع صوتها كذلك الطائر في شكله أيضاً، فتأتي الطيور فتحمل من الزيتون شيئاً كثيراً فلا ترى النصارى إلا ذلك الزيتون في هذه الصومعة، ولا يدرون ما سببه؟ ففتنهم بذلك، (وأوهم)^(٦) أن هذه من كرامات صاحب هذا القبر، عليهم لعائن الله (المتابعة)^(٧) إلى يوم القيامة.

قال الرازي: النوع السادس من السحر: الاستعانة بخواص الأدوية يعني في الأطعمة (والدهانات)^(٨). قال: واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الحواص، فإن أثر المغناطيس مشاهد. قلت: يدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعى الفقر، ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص مدعياً أنها أحوال له من مخالطة النيران ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحالات. قال:

النوع السابع من السحر: (تعلق القلب)^(٩)؛ وهو أن يدعى الساحر أنه عرف الاسم الأعظم، وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور؛ فإذا اتفق أن يكون السامع لذلك ضعيف العقل، قليل التمييز، اعتقد أنه حق، وتعلق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرهب والمخافة؛ فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة؛ فحيثئذ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء.

قلت: هذا النمط (يقال له: «التنبلة»)^(١٠)؛ وإنما يروج على الضعفاء العقول من بني آدم.

= «حدثوا عني ولا حرج...» والباقي مثله. وسنده صحيح. وأخرجه مسلم (١٢٩/١٨ نووي)؛ والطبراني في «جزئه» (٨٤) من طريق هبة بن خالد؛ وأحمد (٥٦/٣)؛ وابن الجوزي في «مقدمة الموضوعات» (٨٠/١) عن أبي عبيدة؛ وابن أبي شيبه (٦٢/٩)؛ والطبراني (٨٤) عن أبي الوليد، كلهم عن همام بن يحيى بهذا الإسناد نحوه مع زيادة فيه. أما حديث علي بن أبي طالب مرفوعاً: «لا تكذبوا علي، فإنه من يكذب علي يلج النار»؛ أخرجه البخاري (١٩٩/١)؛ ومسلم في «المقدمة» (٩/١).

(١) كذا في (ز) وفي بقية «الأصول»: «حنين»؛ وما في (ز) أوضح، وهو أقرب لسياق الكلام في «تفسير الرازي»؛ فإنه قال فيه (٢٢٩/٢): «هو طائر عطوف وكان يصفر صغيراً حزيناً».

(٢) في (ل): «ليتبع».

(٣) في (ل): «صفة»!

(٤) من (ل) و(ن). وأشار إليها ناسخ (ي).

(٥) في (ز) و(ض): «له».

(٦) في (ل): «وأوهم».

(٧) كذا في (ز) و(ض) و(ن)؛ وفي (ج) و(ع) و(ل) و(ي): «التابعة»؛ وفي (ك): «البالغة».

(٨) في (ل): «الدهان».

(٩) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي)؛ وفي (ج) و(ل): «تعلق القلب»؛ وفي (ن): «التعلق للقلب».

(١٠) في (ن): «أيقال له: السبله»!

وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه؛ فإذا كان (المتنبل)^(١) حاذقاً في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره.

قال: النوع الثامن من السحر: السعي بالنميمة (والتضريب)^(٢) من وجوه (خفية)^(٣) لطيفة؛ وذلك شائع في الناس.

قلت: النميمة على قسمين: تارة تكون على وجه التحريش (بين الناس)^(٤)، وتفريق قلوب المؤمنين؛ فهذا حرام متفق عليه، فأما (إن)^(٥) كانت على وجه الإصلاح (بين الناس)^(٤) واختلف كلمة المسلمين كما جاء في الحديث^(٦): «ليس بالكذاب من ينم خيراً». أو يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة؛ فهذا أمر مطلوب، كما جاء في الحديث^(٧): «الحرب خدعة»، وكما فعل نعيم^(٨) بن مسعود في تفريقه بين كلمة الأحزاب وبين قريظة: جاء إلى هؤلاء فنى إليهم عن هؤلاء كلاماً، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئاً آخر، ثم لأم بين ذلك؛ فتناكرت النفوس واقتربت، وإنما يحذو على مثل هذا: الذكاء والبصيرة النافذة. والله المستعان.

ثم قال الرازي: فهذه جملة الكلام في أقسام السحر، وشرح أنواعه وأصنافه. قلت: وإنما أدخل كثيراً من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر للطاقة مداركها؛ لأن السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه؛ ولهذا جاء في الحديث^(٩):

«إن من البيان (سحراً)»^(١٠). وسمى السحور، لكونه يقع خفياً آخر الليل.

والسحر: الرئة وهي محل الغذاء، وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن وغضونه؛ كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة: انتفخ سحره؛ أي: انتفخت رئته من الخوف. وقالت عائشة^(١١) رضي الله عنها: «توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري»، وقال تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] أي: أخفوا عنهم عملهم. والله (تبارك وتعالى)^(١٢) أعلم.

(١) في (ن): «النبيل».

(٢) في (ز) و(ن): «التقريب» والتضريب هو: الإغراء والإفساد.

(٣) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ل) و(ن) و(ي)؛ وفي (ز) و(ك): «خفية» وأشار إليها ناسخ (ن) في الحاشية.

(٤) ساقط من (ز) و(ض). (٥) في (ز) و(ض): «إذا».

(٦) هذا حديث صحيح.

أخرجه البخاري (٢٩٩/٥)؛ ومسلم (١٠١/٢٦٠٥).

(٧) وهو حديث صحيح.

أخرجه البخاري (١٥٨/٦)؛ ومسلم (٤٤/١٢، ٤٥).

(٨) أخرجه ابن جرير في «التهذيب» (٢٢٥ - مسند علي) قال:

حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب. وهذا سند رجاله ثقات، لكنه معضل.

وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٤٤٥/٣ - ٤٤٧) من طريق أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس وهو ابن بكير، عن ابن إسحاق، فساقه معضلاً أيضاً.

(٩) أخرجه البخاري (٢٣٧/١٠). (١٠) في (ز) و(ن): «لسحراً».

(١١) أخرجه البخاري (٢٥٥/٣)؛ ومسلم (٨٤/٢٤٤٣).

(١٢) من (ل).

فصل

وقد ذكر الوزير (أبو المظفر)^(١) يحيى بن محمد بن هبيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتابه (الإشراف على مذاهب الأشراف) باباً في السحر؛ فقال: أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده؛ واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله؛ فقال أبو حنيفة، ومالك، وأحمد: يكفر بذلك. ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إن تعلمه (ليتيقنه)^(٢) أو ليجتنبه فلا يكفر. ومن تعلمه معتقداً جوازه، أو أنه ينفعه، كفر.

وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر.

وقال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته فهو كافر.

قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك، وأحمد: نعم، وقال الشافعي، وأبو حنيفة: لا. فأما إن قتل بسحره إنساناً فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد.

وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك، أو يقر بذلك في حق شخص معين، وإذا قتل فإنه يقتل حداً عندهم إلا الشافعي فإنه قال: يقتل والحالة هذه قصاصاً.

قال: وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك، وأبو حنيفة، وأحمد - في المشهور عنهم -: لا تقبل.

وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى: تقبل.

وأما ساحر أهل الكتاب؛ فعند أبي حنيفة أنه يقتل كما يقتل الساحر المسلم. وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يقتل؛ يعني: (لقصة)^(٣) لبید بن (أعصم)^(٤).

واختلفوا في المسلمة الساحرة؛ فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل، ولكن تحبس. وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل. والله أعلم.

وقال أبو بكر^(٥) الخلال: أخبرنا أبو بكر المروزي؛ قال: قرأ على أبي عبد الله - يعني: أحمد بن حنبل - عمر بن هارون، حدثنا يونس، عن الزهري؛ قال: يقتل ساحر المسلمين، ولا يقتل ساحر المشركين؛ لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها^(٦).

^(٧) [وقد نقل القرطبي^(٨) عن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال في الذمي يقتل إن قتل سحره. وحكى ابن حويز منداد عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر^(٩)]:

(١) في (ج): «أبا المظفر»! وهو سبق قلم.

(٢) في (ك): «ليتيقنه».

(٣) في (ك): «لقضية».

(٤) في (ز) و(ك): «الأعصم».

(٥) وسنده ضعيف جداً، وعمر بن هارون تالف، كذبه ابن معين وطرحه آخرون.

(٦) في هامش (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف، معارضاً بأصله، فسح الله في مدته».

(٧) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي). (٨) في «تفسيره» (٤٩/٢).

(١) [إحدهما: أنه يستتاب، فإن أسلم وإلا قتل.

والثانية: أنه يقتل وإن أسلم.

وأما الساحر المسلم فإن تضمن سحره كفراً كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنَ أَحَدٍ حَقٌّ يَقُولَ إِلَّا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ لكن قال مالك: إذا ظهر عليه لم تقبل توبته؛ لأنه كالزنديق؛ فإن تاب قبل أن يظهر عليه، وجاءنا ثاباً قبلناه (ولم نقتله)^(٢)، فإن قتل سحره قتل.

وقال الشافعي: فإن قال: لم أتعمد القتل فهو مخطئ تجب عليه الدية.

مسألة:

وهل يسأل الساحر حلاً لسحره؟ فأجازه سعيد بن المسيب فيما نقله عنه البخاري^(٣).

وقال عامر الشعبي: لا بأس بالنشرة^(٤). وكره^(٥) ذلك الحسن البصري. وفي «الصحيح»^(٦) عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله، هلا تنشرت؟ فقال: «أما الله فقد شفاني، وخشيت أن أفتح على الناس شراً».

وحكى القرطبي^(٧) عن وهب: أنه قال: يؤخذ سبع ورقات من سدر فتدق بين حجرين، ثم تضرب بالماء، ويقرأ عليها آية الكرسي، ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات، ثم يغتسل بباقيه، فإنه يذهب ما به. وهو جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته.

قلت: أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله في إذهاب ذلك؛ وهما المعوذتان، وفي الحديث^(٨): «لم يتعوذ^(٩).....

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي). (٢) ساقط من (ن).

(٣) في «كتاب الطب» (٢٢٢/١٠) وقال: «قال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: رجل به طب، أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع، فلم ينه عنه». قال الحافظ في «الفتح»: وصله أبو بكر الأثرم في «كتاب السنن» من طريق أبان العطار، عن قتادة، ومثله من طريق هشام الدستوائي، عن قتادة بلفظ: «يلتمس من يداويه».

(٤) قال ابن الجوزي: النشرة: حل السحر عن المسحور.

(٥) ذكره قتادة عن الحسن وقال: لا يعلم ذلك إلا ساحر. ذكره الحافظ في «الفتح» وأخرج ابن أبي شيبة (٧/٣٨٧) قال: حدثنا ابن عيينة وأبو أسامة عن شعبة عن أبي رجاء قال: سألت الحسن عن النشرة؟ فذكر لي عن النبي ﷺ قال: «هي من عمل الشيطان»؛ وأخرجه أبو داود في «المراسيل» (٤٥٣) قال: حدثنا علي بن الجعد ثنا شعبة فذكره. قال الحافظ في «الفتح» (٢٢٣/١٠): «وصله أحمد (٢٩٤/٣)؛ وأبو داود (٣٨٦٨) عن جابر بسند حسن». اهـ. وهو عند البيهقي (٣٥١/٩) وأخرج ابن أبي شيبة أيضاً قال: حدثنا ابن مهدي، عن الحكم بن عطية، قال: سمعت الحسن وسئل عن النشرة، فقال: سحر. وسنده لا بأس به.

(٦) هو في «الصحيحين» كما تقدم تخريجه عند الآية (١٠١).

(٧) في «تفسيره» (٤٩/٢).

(٨) أخرجه النسائي (٨/٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣)؛ وأبو داود (١٤٦٣)؛ وأحمد (٤/١٤٩)؛ والحميدي (٨٥١)؛ والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣٥٣/١/٢)؛ واليزار (٣/٨٥، ٨٦)؛ والطحاوي في «المشكّل» (٣٥/١)؛ والدولابي في «الكنى» (١/١٧٨، ١٧٩)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ١٧/رقم ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، =

(١) [(المتعوذون) (٢) بمثلهما » وكذلك قراءة آية الكرسي (٣) فإنها مطردة للشيطان] (١).

(٤) [وقال أبو عبد الله (٥) القرطبي: وعندنا أن السحر حق، وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء، خلافاً للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفرايني من الشافعية حيث قالوا: إنه تمويه وتخيل؛ قال: ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة. والشعوذي: البريد لخفة سيره. قال ابن فارس: وليست هذه الكلمة من كلام أهل البادية] (٤).

(٦) [قال القرطبي: ومنه ما يكون كلاماً يحفظ، ورقى من أسماء الله تعالى، وقد يكون من جهود الشياطين ويكون أدويةً وأدخنةً وغير ذلك.

وقال: وقوله ﷺ: «إن من البيان لسحراً» يحتمل أن يكون مدحاً كما تقوله طائفة، ويحتمل أن يكون ذمّاً للبلاغة، قال: وهذا أصح؛ قال: لأنها تصوب الباطل حتى توهم السامع أنه حق، كما قال عليه الصلاة (٧) والسلام: «فعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له...» الحديث] (٦).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا نُنْظَرُ ۚ وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَزَقِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَصِرُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝﴾ (١٥٥)

نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم؛ وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من (التنقص) (٨)، عليهم لعائن الله؛ فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولون راعنا، (ويورون) (٩) بالرعونة؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَلْدَيْنِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ [النساء].

وكذلك جاءت الأحاديث (١٠) بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون: السام عليكم؛

= (٩٥٧)؛ وابن أبي شريح في «جزء بيبي بنت عبد الصمد» (٤٢) من طرق عن عقبة بن عامر. وهو في «صحيح مسلم». بسياق آخر وسيأتي تفصيل ألفاظه وطرقه عن تفسير «المعوذتين» إن شاء الله.

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي).

(٢) في (ن): «المتعوذ».

(٣) وسيأتي تخريج حديثها في موضعها من «التفسير» إن شاء الله تعالى.

(٤) من (ج) و(ل) و(ن). وقد وردت هذه الفقرة في (ن) قبل الفصل الماضي.

(٥) في «تفسيره» (٤٤/٢) ونقله المصنف بتصرف.

(٦) من (ج) و(ل) و(ن). وقد وردت هذه الفقرة في (ن) قبل الفصل الماضي.

(٧) أخرجه مالك (١/٧١٩/٢)؛ والبخاري (٣٣٩/١٢)؛ ومسلم (١٥٧/١٣)؛ ومسلم (١٧١٣).

(٨) في (ن): «التنقص».

(٩) في (ك): «ويرون»!

(١٠) منها حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن اليهود إذا سلم عليكم أحدهم، فإنما يقول: السام عليكم، فقل: عليك». هكذا رواه عن مالك بلفظ «عليك» بالافراد وبلا واو: يحيى بن يحيى الليثي في «الموطأ» (٢/

٣/٩٦٠ - عبد الباقي)؛ وأبو مصعب الزبيري في «الموطأ» رقم (٢٠٢١) ومن طريقه البغوي في «شرح =

و(السام)^(١): هو الموت؛ (ولهذا)^(٢) أمرنا أن نرد عليهم بـ«وعليكم». (وأنه)^(٣) يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا.

والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلًا؛ فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِكِنَّ عَذَابُ إِلَهٍ ۖ﴾.

وقال الإمام^(٤) أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت، حدثنا حسان بن عطية، عن أبي منيب الجرشي، عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، (وجعل)^(٥) الذلة والصغار على من خالف أمري. ومن تشبه بقوم فهو منهم».

^(٦)[وروى أبو داود^(٧) عن عثمان بن أبي شيبة، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، به: «من تشبه بقوم فهو منهم»]^(٦)؛ ففيه دلالة على النهي الشديد، والتهديد، والوعيد على التشبه بالكفار

= السنة (١٢/٢٦٩، ٢٧٠). ويحيى بن سعيد القطان عند البخاري (١٢/٢٨٠)؛ وأحمد (٤٦٩٩)؛ وخالد بن مخلد القطواني عند الدارمي (٢/١٨٨، ١٨٩)؛ وابن وهب عند البيهقي (٩/٢٠٣). ورواه آخرون عن مالك فقالوا: «وعليك» بزيادة الواو وبالإفراد، منهم عبد الله بن يوسف التنيسي عند البخاري (١١/٤٢).

(١) ساقط من (ج).

(٣) في (ن): «وإنما».

(٤) في «مسنده» (٥١١٥، ٥٦٦٧).

وأخرجه ابن أبي شيبة (٥/٣٩٣)؛ والبيهقي في «الشعب» (١١٩٩)؛ والخطيب في «الفيء والمفتحة» (٧٦٦)؛ والذهبي في «السير» (١٥/٥٠٩) من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم بسنده سواء.

وأخرجه أبو داود (٤٠٣١) قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أبو النضر به مقتصرًا على الفقرة الأخيرة منه. قال الذهبي: «إسناده صالح».

وأخرجه البخاري (٦/٩٨) معلقاً ببعضه ووصله أحمد (٥١١٤) قال: حدثنا محمد بن يزيد الواسطي. وصحح إسناده الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/٢٦٩)، وجوده شيخ الإسلام ابن تيمية في «اللاقتضاء» (ص ٨٢) وقال الزركشي في «التذكرة» (ص ١٠٢)؛ والسخاوي في «المقاصد» (ص ٤٠٧): «في سنده ضعف» ولم يحكم عليه الحافظ، فقال في «الفتح» (٦/٩٨): «في الإسناد: عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف في توثيقه». وسلك نفس طريقته قبله الهيثمي في «المجمع» (٥/٢٦٧) وقال المنذري في «مختصر السنن» (٦/٢٥)؛ والزيلعي في «نصب الراية» (٤/٣٤٧): «ابن ثوبان ضعيف»، ولم يتفرد به ابن ثوبان، فتابعه الأوزاعي، فرواه عن حسان بن عطية بسنده سواء.

أخرجه الطحاوي في «المشكّل» (١/٨٨) قال: حدثنا أبو أمية، ثنا محمد بن وهب بن عطية، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا الأوزاعي به والوليد بن مسلم كان يدلّس التسوية، فالمتابع لابن ثوبان في الحقيقة هو الذي أسقطه الوليد بن مسلم، فربما كان كذاباً أو متروكاً ومع وجود هذه العلة المؤثرة، فقد خولف الوليد بن مسلم في إسناده، خالفه عبد الله بن المبارك. فرواه في «كتاب الجهاد» (١٠٥)، ومن طريقه القضاعي في «الشهاب» (٣٩٠) عن الأوزاعي قال: حدثنا سعيد بن جبلة، قال: حدثنا طاوس اليماني أن رسول الله ﷺ قال: فذكره مرسلًا. وتابعه عيسى بن يونس عن الأوزاعي بسنده سواء مرسلًا. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/٣٢٢)؛ وعيسى وابن المبارك أثبت من الوليد بن مسلم، فالصواب في رواية الأوزاعي الإرسال، وحسن الحافظ في «الفتح» (٦/٩٨) إسناده هذا المرسل.

(٥) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي). ووقع في (ز) و(ن): «جعلت».

(٦) ساقط من (ج).

(٧) رقم (٤٠٣١).

في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم، وعباداتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا، ولم تقرر عليها.

وقال ابن^(١) أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مسعر، عن معن وعون، أو أحدهما: أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود، فقال: اعهدي إلي. فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فأرעה سمعك، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه. وقال الأعمش^(٢)، عن خيثمة؛ قال: ما تقرأون في القرآن ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فإنه في التوراة: يا أيها المساكين.

وقال محمد بن إسحاق^(٣): حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة، عن ابن عباس: ﴿رَاعِنَا﴾ أي: (أرعننا)^(٤) سمعك.

وقال الضحاك^(٥): عن ابن عباس: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ قال: كانوا يقولون للنبي ﷺ: أرعنا سمعك، وإنما: «راعنا» كقولك: «عاطنا».

وقال ابن أبي^(٦) حاتم: وروى عن أبي العالية، وأبي مالك، والربيع بن أنس، وعطية العوفي، وقتادة نحو ذلك.

وقال مجاهد^(٧): ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ لا تقولوا خلافاً. وفي رواية: لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك.

وقال عطاء^(٨): لا تقولوا: ﴿رَاعِنَا﴾ كانت لغة تقولها الأنصار، فنهاى الله عنها.

(١) في «تفسيره» (١٠٤٤)؛ وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٦) بسنده سواء.

وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٣١) قال: حدثنا الأشجعي، عن مسعر بن كدام مثله. وأخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١٥٨) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١٣٠/١) قال: حدثنا وكيع، عن مسعر، عن معن قال: قال عبد الله بن مسعود فذكره. والإسناد منقطع؛ لأن عون بن عبد الله بن عتبة ومعن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ما أدركا ابن مسعود. والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٣) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج. وأبو نعيم في «الحلية» (١١٦/٤) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة قال: ثنا عبدة بن سليمان، عن الأعمش به وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٧٢٥). [وسنده حسن]. (٤) في (ك): «راعنا».

(٥) أخرجه ابن جرير (١٧٣١)؛ وابن أبي حاتم (١٠٤٥) من طريق منجاب بن الحارث، ثنا بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك به. وقد تقدم تضعيف هذا الإسناد.

(٦) في «تفسيره» (٣١٧/١) وقد أسندها ابن جرير.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٧٢١، ١٧٢٢)؛ وابن أبي حاتم (١٠٤٧). من طرق عن ابن أبي نجيع عن مجاهد وسنده صحيح. وأخرجه ابن جرير (١٧٢٣) من طريق أبي أحمد الزبيري، حدثنا سفيان الثوري عن رجل عن مجاهد مثله. ثم أخرجه (٧٢٤) عن أبي نعيم ثنا الثوري عن مجاهد. وهذا منقطع.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٧٣٣، ١٧٣٤، ١٧٣٥)؛ وابن أبي حاتم (١٠٤٦)؛ وأبو جعفر النحاس فس «الناسخ والمنسوخ» (٧٠) من طرق عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح. ووقع عند ابن جرير في الموضع الأول: «هشيم»، أخبرنا عبد الرزاق، عن عطاء. وقوله: «عبد الرزاق» مصحف عن «عبد الملك» فيما يظهر لي. والله أعلم، إلا أن يكون من رواية الأقران، ولكن عبد الرزاق يروى عن عطاء بواسطة ابن جريج، فهذا مما يرجح وقوع التصحيف. والله أعلم.

وقال الحسن^(١): ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ قال: الراعن من القول: السخري منه؛ نهاهم الله أن يسخروا من قول محمد ﷺ، وما يدعوهم إليه من الإسلام.

وكذا روي عن ابن جريج أنه قال مثله.

وقال أبو صخر^(٢): ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَتَقُولُوا أَنْظَرْنَا﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أدبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين، فيقول: أرعنا سمعك، فأعظم الله رسوله ﷺ أن يقال ذلك له.

وقال السدي^(٣): كان رجل من اليهود من بني قينقاع يدعى رفاعة بن (زيد)^(٤) يأتي النبي ﷺ، فإذا لقيه فكلمه قال: أرعني سمعك، واسمع غير مسمع. وكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء كانت تفخم بهذا، فكان ناس منهم يقولون: اسم غير مسمع غير صاغر، (وهي)^(٥) كالتي في «سورة النساء». فتقدم الله إلى المؤمنين أن لا يقولوا: راعنا.

وكذا قال عبد الرحمن^(٦) بن زيد بن أسلم بنحو من هذا.

قال ابن جرير^(٧): والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله نهى المؤمنين أن يقولوا لنبيه ﷺ: راعنا؛ لأنها كلمة كرهها الله تعالى أن يقولوها لنبيه ﷺ نظير الذي ذكر عن النبي ﷺ أنه قال^(٨): «لا تقولوا للعنب: الكرم، ولكن قولوا: (الحبلة)»^(٩)، و«لا تقولوا: عبدي، ولكن قولوا: فتاي»^(١٠)؛ وما أشبه ذلك.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (يبين تعالى بذلك)^(١١) شدة (عداوة)^(١٢) الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من مشابھتهم للمؤمنين، ليقطع المودة بينهم وبينهم، (وينبه)^(١٣) تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذي شرعه لنبيه محمد ﷺ حيث يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٨) وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٩، ١٠٥٢) وسنده ضعيف لإعضاله، وأبو صخر هو حميد بن زياد الخراط، ثم هو متكلم فيه، فضعفه ابن معين في رواية والنسائي وقواه آخرون.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٧٣٨). [وسنده حسن إلى السدي لكنه مرسل].

(٤) في (ل): «يزيد». (٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٧٣٢) وسنده صحيح. (٧) في «تفسيره» (٤٦٣/٢ - شاعر).

(٨) أخرجه مسلم (٢٢٤٨/١١، ١٢)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٩٥)؛ والدارمي (٤٣/٢)؛ وابن حبان (٥٨٣١)؛ والطحاوي في «المشكّل» (١٤٨٣)؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٢٢/رقم ١٤)؛ والبيهقي في «الشعب» (٥٢١٦ - بيروت) من طرق عن شعبة، ثنا سماك بن حرب، عن علقمة بن وائل، عن أبيه مرفوعاً. وفي الباب عن أبي هريرة ؓ.

(٩) في (ن): «الحلية»!!

(١٠) أخرجه البخاري (١٧٧/٥)؛ ومسلم (١٥/٢٢٤٩).

(١١) في (ن): «يبين بذلك تعالى».

(١٢) في (ك): «عداوته».

(١٣) في (ن): «وينبه».

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾.

قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾: ما نبذل من آية.

وقال ابن جريج^(٢)، عن مجاهد: «ما ننسخ من آية»؛ ^(٣)[أي: ما نمحو من آية]. وقال ابن أبي نجيع، عن مجاهد: «ما ننسخ من آية»^(٤)؛ قال: ثبت خطها، وبديل حكمها. حدث به عن أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال ابن أبي حاتم^(٥) حاتم: وروي عن أبي العالية، ومحمد بن كعب القوطي نحو ذلك.

وقال الضحاك^(٦): ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾: ما ننسك.

وقال عطاء^(٧): أما ﴿مَا نَنْسَخْ﴾ فما (نترك)^(٨) من القرآن.

وقال ابن أبي حاتم^(٩): يعني ترك، (لم)^(١٠) ينزل على محمد ﷺ.

وقال السدي^(١١): ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ نسخها: قبضها.

(١) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤)؛ وابن جرير (١٧٤٧) قال: حدثني المثنى، وهو ابن إبراهيم؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٠٢) قال: حدثنا أبي؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٦٢/١) من طريق عثمان بن سعيد أربعتهم قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة به. [وسنده ثابت].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٩) من طريق عبد الوهاب بن عطاء؛ وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٥) قال: حدثنا حجاج الأعور كلاهما عن ابن جريج، عن مجاهد به؛ وابن جريج لم يسمع من مجاهد إلا حرفاً. وقد أخرجه ابن جرير (١٧٤٩) من طريق شبيل بن عباد المكي، وأبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (١١)؛ وابن أبي حاتم (١٠٦٢) من طريق ورقاء كلاهما عن عبد الله بن أبي نجيع، عن مجاهد مثله وسنده قوي.

(٣) ساقط من (ج).

(٤) أخرجه ابن جرير (١٧٥٠) من طريق بكر بن شاذب، وابن أبي حاتم (١٠٦٢) من طريق ورقاء كلاهما عن ابن أبي نجيع عن مجاهد عن أصحاب عبد الله بن مسعود فذكره.

وعزاه السيوطي في «الدر» (٢٥٥/١)؛ لآدم بن أبي إياس في «تفسيره»؛ وأبي داود في «الناسخ والمنسوخ»؛ وأخرجه البيهقي في «الأسماء» (٣٦٣/١) من طريق آدم بن أبي إياس في «تفسيره» قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيع به: وسنده قوي أيضاً، وأصحاب ابن مسعود لم أقف على أعيانهم في هذا الخبر، ولكن ينجر الأمر باجتماعهم في مثل هذا الأثر الموقوف، والله أعلم.

(٥) في «تفسيره» (٣٢٢/١).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦١) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو عبد الرحمن الحارثي، عن قره بن خالد، عن الضحاك. والحارثي لم أهد إليه؛ وأخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١٣) معلقاً قال: «يحدثون بذلك عن قره بن خالد، عن الضحاك، عن ابن مسعود. وهذا مع تعليقه فهو منقطع وهذا الأثر عزاه السيوطي في «الدر» (٢٥٥/١) لعبد بن حميد وابن المنذر في «تفسيرهما» عن الضحاك بن مزاحم.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٣) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج، عن عطاء؛ وأخرجه ابن جرير (١٧٦٣) من طريق هشيم بن بشير، أخبرنا عبد الملك، عن عطاء قال: نؤخرها. [وسنده حسن].

(٨) في (ك) و(ل): «ترك».

(٩) في «تفسيره» (٣٢٢/١).

(١٠) في (ن): «فلم».

(١١) أخرجه ابن جرير (١٧٤٦) قال: حدثني موسى بن هارون؛ وابن أبي حاتم (١٠٦٤) قال: حدثنا أبو زرعة =

وقال ابن أبي حاتم^(١): يعني: قبضها رفعها؛ مثل قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»^(٢). وقوله: «لو كان لابن آدم واديان من (مال)^(٣) لا بتغى لهما ثالثاً»^(٤).

وقال ابن جرير^(٥): ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾: ما ننقل من حكم آية إلى غيره، فنبدله ونغيره؛ وذلك أن نحول الحلال حراماً والحرام حلالاً، والمباح محظوراً، والمحظور مباحاً، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي، والحظر والإطلاق، والمنع والإباحة. فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ.

وأصل النسخ: من «نسخ الكتاب»، وهو: نقله (من)^(٦) نسخة (إلى)^(٧) أخرى غيرها فكذاك معنى نسخ الحكم إلى غيره إنما هو تحويله ونقل (عبادة إلى غيرها)^(٨)، وسواء نسخ حكمها أو خطها؛ إذ هي في (كلتا)^(٩) حالتها منسوخة.

وأما علماء الأصول فاختلفت عباراتهم في حد النسخ. والأمر في ذلك قريب؛ لأن معنى النسخ الشرعي معلوم عند العلماء. (ولخص)^(١٠) بعضهم: أنه رفع الحكم بدليل شرعي متأخر؛ فاندرج في ذلك نسخ الأخف بالأثقل، وعكسه، والنسخ لا إلى (بدل)^(١١).

وأما تفاصيل أحكام النسخ، وذكر أنواعه وشروطه (فمبسوط)^(١٢) في (فن)^(١٣) أصول الفقه. وقال الطبراني^(١٤): حدثنا أبو شبيل عبيد الله بن عبد الرحمن بن واقد، حدثنا أبي، حدثنا العباس بن الفضل، عن سليمان بن أرقم، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه؛ قال: قرأ رجلان

= قالوا: ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي به. وسنده حسن.

(١) في «تفسيره» (٣٢٣/١).

(٢) صحيح. وأخرجه البخاري (١٣٧/١٢)؛ ومسلم (١٥/١٦٩١).

(٣) في (ن): «ذهب».

(٤) صحيح. أخرجه مسلم (١١٩/١٠٥٠).

(٥) في «تفسيره» (٤٧١/٢، ٤٧٢ - شاكراً).

(٦) وقع في (ج): «من».

(٧) من (ن).

(٨) في «تفسير الطبري»: «ونقل عبارته عنه إلى غيرها» ونقل الشيخ أبو فهر محمود شاكراً رحمته الله عن «ابن كثير»:

«ونقل عبارة إلى غيرها»، وهذا تصحيف، والصواب: «عبادة» بالبدال المهملة، وثبت ذلك في كل

«الأصول»، والسياق يدل عليها. والله أعلم.

(٩) في (ج) و(ك) و(ل): «كلتي».

(١٠) كذا في (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي)؛ وفي (ج) و(ل): «ويخص»؛ وفي (ن): «لحظ».

(١١) في (ن): «بدله».

(١٢) في (ن): «مبسوطة».

(١٣) ساقط من (ن) و(ي).

(١٤) في «المعجم الكبير» (ج ١٢/رقم ١٣١٤١)؛ وفي «الأوسط» (٤٦٣٧) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن

الزهري، إلا سليمان بن أرقم، تفرد به العباس».

قلت: فأما العباس بن الفضل فهو أبو الفضل البصري نزيل الموصل، تركه العجلي والنسائي، وقال: «ليس

بثقة» وكذلك قال ابن معين، وقال البخاري: «منكر الحديث» وهذا جرح شديد عنده، وكذلك قال مسلم

وأبو حاتم وزاد: «ضعيف الحديث». وقال أبو زرعة: «لا يصدق»؛ وسليمان بن أرقم متروك الحديث وبه

أعل الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣١٥/٦) فالإسناد ضعيف جداً وقد خالفه معمر بن راشد فرواه

عن الزهري أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ... فذكره نحوه. أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج ٩ رقم ٥٩٨٢) هكذا معضلاً فهذا يدل على بطلان ما رواه سليمان بن أرقم عن الزهري. والله أعلم.

سورة أقرأهما رسول الله ﷺ، فكانا يقرآن بها، (فقاما)^(١) ذات ليلة يصليان، فلم يقدرها منها على حرف، فأصبحا (غادين)^(٢) على رسول الله ﷺ، فذكرا ذلك له؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنها مما نُسَخ وأنسى، فאלهوا عنها» فكان الزهري يقرأها: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ بضم النون (خفيفة)^(٣). سليمان بن أرقم ضعيف^(٤).

^(٥) [وقد روى (أبو بكر)^(٦) بن الأنباري^(٧)، عن أبيه، عن نصر بن داود]^(٨)، ^(٩) [عن (أبي عبيد)^(٩)، عن عبد الله بن صالح، عن الليث، عن (يونس)^(١٠)، وعقيل، عن ابن شهاب، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف مثله مرفوعاً: ذكره القرطبي^(١١)]^(٨).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ فقرأ على وجهين: «نساها» و«نسها» فأما من قرأها بفتح النون والهمزة بعد السين فمعناه: نوخّرها. قال علي بن أبي طلحة^(١٢)، عن ابن عباس: «ما ننسخ من آية أو ننسأها»: يقول: ما نبذل من آية أو نتركها لا نبذلها. وقال مجاهد عن أصحاب ابن مسعود: أو ننسأها ثبت خطها ونبدل حكمها. (وقال)^(١٣) عبيد بن عمير^(١٤)، ومجاهد^(١٥)،

(١) في (ج): «فباتا».

(٣) في (ن): «الخفيفة».

(٤) بل هو متروك، ومثل هذا التسامح له مضاره، لا سيما عند من يكثرون من الاحتجاج أو الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة. والله الموفق.

(٥) من (ج) و(ل) و(ن).

(٧) في كتاب «المصاحف» كما في «الدر المنثور» (٢٥٦/١) ورواه من طريق أبي عبيد القاسم بن سلام، وهذا في «كتاب الناسخ والمنسوخ» (١٧)؛ وعبد الله بن صالح في حفظه مقال معروف ولكن أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٥٧/٧) من طريق محمد بن علي بن عيسى؛ وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (ص ١٣٦) من طريق الإمام أحمد قالوا: ثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري قال: أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حنيف أن رهطاً من أصحاب النبي ﷺ أخبروه أنه قام رجل منهم من جوف الليل، يريد أن يفتح سورة كان قد وعأها، فلم يقدر منها على شيء إلا: ﴿يَسْأَلُ اللَّهُ الَّذِينَ يَزِيدُ﴾ [الفاتحة] فأتى باب رسول الله ﷺ حين أصبح، ليسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، ثم جاء آخر وآخر، حتى اجتمعوا فسأل بعضهم بعضاً: ما جمعهم؟! فأخبر بعضهم بعضاً بشأن تلك السورة، ثم أذن لهم رسول الله ﷺ فأخبروه خبرهم، وسألوه عن السورة، فسكت ساعة لا يرجع إليهم شيئاً، ثم قال: «نسخت البارحة»، فنسخت من صدورهم، ومن كل شيء كانت فيه.

وهذا إسناد صحيح.

(٨) من (ج) و(ل) و(ن).

(٩) في (ن): «أبي عبيد الله»!

(١٠) في (ل): «يونس وعبيد وعقيل»! وقوله: «عبيد» مقحم لا معنى له.

(١١) في «تفسيره» (٦٨/٢).

(١٢) مر تخريجه هو وأثر مجاهد الذي بعده آنفاً.

(١٣) في (ج): «وكما قال».

(١٤) أخرجه ابن جرير (١٧٦٨) من طريق القاسم بن سلام، وهذا في «الناسخ والمنسوخ» (١٠) قال: حدثنا حجاج، وهو ابن محمد الأعور، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن علي الأزدي، عن عبيد بن عمير. وهذا سند جيد وصرح ابن جريج بالتحديث عند ابن جرير (١٧٦٧). ووقع في الإسناد خطأ نبه عليه ابن جرير.

(١٥) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ» (٨) قال: حدثنا يزيد، عن جرير بن حازم عن حميد الأعرج، عن مجاهد. وسنده جيد. ويزيد هو ابن هارون وذكر محقق «كتاب الناسخ» أن يزيد هو ابن أبي حبيب!! وهو غلط ظاهر.

وعطاء^(١)، أو ننسأها: نؤخرها ونرجئها.

وقال عطية العوفي^(٢): أو ننسأها: نؤخرها فلا ننسخها.

وقال السدي^(٣) مثله أيضاً، وكذا (قال)^(٤) الربيع بن أنس^(٥). وقال الضحاك^(٦): «ما ننسخ من آية أو ننسأها»؛ يعني: الناسخ من المنسوخ.

وقال أبو العالية^(٧): «ما ننسخ من آية أو ننسأها»: نؤخرها عندنا.

وقال ابن أبي حاتم^(٨): حدثنا عبيد الله بن إسماعيل البغدادي، حدثنا خلف، حدثنا الخفاف، عن إسماعيل - يعني: (ابن مسلم)^(٩) -، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: خطبنا عمر رضي الله عنه، فقال: يقول الله تعالى: «ما ننسخ من آية أو ننسأها»؛ أي: نؤخرها.

وأما على قراءة (أو ننسأها): فقال عبد الرزاق^(١٠)، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ قال: كان الله تعالى ينسي نبيه ﷺ ما يشاء، وينسخ ما يشاء.

وقال ابن جرير^(١١): حدثنا سوار بن عبد الله، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا عوف، عن الحسن أنه قال - في قوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ -؛ قال: إن نبيكم ﷺ أقرأ قرآنًا ثم نسيه.

وقال ابن أبي حاتم^(١٢): حدثنا أبي، حدثنا ابن نفيل، حدثنا محمد بن الزبير الحراني، عن

(١) أخرجه ابن جرير (١٧٦٣) قال: حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم، قالوا: ثنا هشيم، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء؛ وأخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٢٠٩) قال: نا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الملك؛ وأخرجه أبو عبيد في «الناسخ» (٧) قال: حدثنا هشيم ومعاوية الفزاري كلاهما عن عبد الملك. وسنده قوي.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٧٦٦) قال: حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ثنا أبو أحمد الزبيري، ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي. وسنده جيد. والأهوازي قال النسائي فيه: «صالح».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٣) وسنده حسن.

(٤) من (ك).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٥). [وسنده جيد].

(٦) أخرجه ابن جرير (١٧٦١) قال: حدثنا أبو كريب؛ وابن أبي حاتم (١٠٦٨) من طريق ابن نفيل قالوا: ثنا هشيم قال: أخبرنا جوير، عن الضحاك. وسنده ساقط. وجوير تالف.

(٧) أشار إليه ابن أبي حاتم.

(٨) في «تفسيره» (١٠٧٠).

وأخرجه أبو طاهر المخلص في «الفوائد» (ج ٤/ق ١٧٠/١) من طريق عمر بن شبة، ثنا بشر بن عمر الزهراني، ثنا هارون المعلم، ثنا إسماعيل المكي بسنده سواء.

وسنده ضعيف جداً، وإسماعيل بن مسلم المكي تركه النسائي وغيره مثل يحيى القطان وابن مهدي وقال ابن معين: «ليس بشيء» وقال أحمد وغيره: «منكر الحديث» وضعفه الجوزجاني جداً.

(٩) في (ن): «ابن أسلم».

(١٠) في «تفسيره» (٥٥/١) ومن طريقه ابن جرير (١٧٥٢).

وأخرجه ابن جرير (١٧٥١) من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وكلاهما صحيح.

(١١) في «تفسيره» (١٧٥٤) وسنده صحيح.

(١٢) في «تفسيره» (١٠٦٥).

الحجاج - يعني: الجزري -، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: كان مما ينزل على النبي ﷺ الوحي بالليل، وينساه بالنهار؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾.

قال ابن أبي حاتم: قال (لي)^(١) أبو جعفر بن نفيل: ليس هو الحجاج بن أرتاة، هو شيخ لنا جَزَرِي.

وقال عبيد بن عمير^(٢): (أو ننسها): نرفعها من عندكم.
وقال ابن جرير^(٣): حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، عن يعلى بن عطاء، عن القاسم بن ربيعة؛ قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقرأ: «ما ننسخ من آية أو ننسها»؛ قال: قلت له فإن سعيد بن المسيب يقرأ «أو تنساها»؛ قال: فقال سعد: إن القرآن لم ينزل على المسيب، ولا على آل المسيب؛ قال: قال الله جل ثناؤه: ﴿سَفَرْتُكَ فَلَا تَسْأَلْ﴾ [الأعلى]، ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٢٤].

وكذا رواه عبد الرزاق، عن هشيم.
وأخرجه الحاكم في «مستدركه»^(٤) من حديث أبي حاتم الرازي، عن آدم، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، به، وقال: «على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

قال ابن أبي حاتم: وروى عن محمد بن كعب، وقتادة، وعكرمة نحو قول سعيد.

= وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٢٤٣/٦) من طريق محمد بن يحيى، وأبو علي الحراني في «تاريخ الرقة» (ص ١٢٨)؛ وأبو أحمد الحاكم في «كتاب الكنى» (ق ٣٦/١) من طريق هلال بن العلاء قالوا: ثنا ابن نفيل بسنده سواء.

قال أبو أحمد الحاكم: «لا أعلم لمحمد بن الزبير الرهاوي متابعاً في هذا الحديث عن حجاج، وهو حديث شاذ بهذا الإسناد».

قلت: وهذا الحديث منكر بهذا الإسناد، ومحمد بن الزبير منكر الحديث كما قال ابن عدي وقال أبو حاتم وأبو أحمد الحاكم: «ليس بالمتين» وقال أبو زرعة: «في حديثه شيء» وذكره ابن حبان في «الثقات».

(١) ساقط من (ج).

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس في «تفسيره». كما في «تفسير مجاهد» (ص ٨٥)، ومن طريقه ابن أبي حاتم (١٠٧١). [وسنده صحيح].

(٣) في «تفسيره» (١٧٥٥). ووقع عنده: «هشيم أخبرنا يعلى».

وأخرجه أبو عبيد في «الناسخ» (١٥)؛ وعبد الرزاق في «تفسيره» (٥٥/١) ومن طريقه ابن جرير (١٧٥٦)؛ وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٢٠٨)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص ١٠٧)؛ والحاكم (٥٢١/٢) من طريق هشيم بن بشير بهذا الإسناد، وقد وقع اختلاف في هذا الحرف بين هذه الروايات.

وتابع هشيم، تابعه شعبة، عن يعلى بن عطاء بسنده سواء.

أخرجه أبو داود في «الناسخ والمنسوخ»، كما في «أطراف المزي» (٣٠٩/٣)؛ والنسائي في «التفسير» (١٦)؛ وابن جرير (١٧٥٧)؛ وابن أبي حاتم (١٠٦٦)؛ وابن أبي داود (ص ١٠٧، ١٠٨)؛ والحاكم (٢/٢٤٢) من طرق عن شعبة به. قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» كذا قال! والقاسم بن ربيعة بن قانف مجهول ما روى عنه سوى يعلى بن عطاء كما قال الذهبي.

(٤) (٢/٢٤٢) وقد سقط ذكر «آدم بن أبي إياس» من إسناد «المستدرک» فليستدرک.

وقال الإمام^(١) أحمد: (حدثنا يحيى)^(٢)، حدثنا سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: قال عمر: عليّ أقضانا، وأبي أقرؤنا، وإنا لندع^(٣) [بعض ما يقول^(٤)] «أبي، وأبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول، فلن أدعه لشيء، والله يقول^(٥)» ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا فَأَتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾^(٦) [قال البخاري^(٧)]: (حدثنا عمرو بن علي)^(٨)، حدثنا يحيى، حدثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال عمر: أقرؤنا أبي، وأقضانا علي، وإنا لندع من قول أبي؛ (وذلك أن)^(٩) أبيا يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، وقد قال الله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾.

وقوله: ﴿فَأَتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ أي: في الحكم بالنسبة إلى مصلحة المكلفين، كما قال علي بن أبي طلحة^(١٠)، عن ابن عباس: ﴿فَأَتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ يقول: خير لكم في المنفعة وأرفق بكم.

وقال أبو العالية^(١١): ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ فلا نعمل بها، «أو ننسأها»؛ أي: نرجئها عندنا. نأت بها، أو نظيرها.

وقال السدي^(١٢): ﴿فَأَتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يقول: نأت بخير من الذي نسخناه، أو مثل الذي تركناه.

وقال قتادة^(١٣): ﴿فَأَتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يقول: آية فيها تخفيف، فيها رخصة، فيها أمر، فيها نهى.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٠٧﴾:

(١) في «مسنده» (١١٣/٥) وقد مر تخريجه (٢٤٤/١، ٢٤٥).

(٢) ساقط من (ض) و(ل).

(٣) وقعت هذه الفقرة في (ن) هكذا: «إنا لندع من بعض قول أبي ما يقول أبي وذلك أن أبيا يقول: ما أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، والله يقول: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ...﴾ [البقرة: ١٠٦] وكان الناسخ دخلت له رواية أحمد في رواية البخاري التي بعدها، ولفظ رواية أحمد يختلف قليلاً عما ذكره ابن كثير هنا.

(٤) ساقط من (ج). (٥) في «التفسير» (١٦٧/٨).

(٦) سقط من كل «الأصول» ولا بد منه، لأن البخاري لم يرو شيئاً عن يحيى القطان، وهو من شيوخ شيوخه، وقد روى البخاري هذا الحديث في «فضائل القرآن» (٤٧/٩) عن شيخه صدقة بن الفضل، عن يحيى القطان، ثم رواه في «التفسير» (١٦٧/٨) عن شيخه عمرو بن علي عن يحيى القطان، واللفظ الذي أورده المصنف هنا هو لفظ عمرو، لذلك أثبتته. والله أعلم.

(٧) ساقط من (ل)؛ وفي (ج): «ذاك».

(٨) أخرجه ابن جرير (١٧٧١) قال: حدثني المثنى؛ وابن أبي حاتم (١٠٧٢) قال: حدثنا أبي قال: ثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة. [وسنده ثابت].

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٥). [وسنده جيد].

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٧٧٣)؛ وابن أبي حاتم (١٠٧٦). [وسنده حسن].

(١١) أخرجه ابن جرير (١٧٧٢) قال: حدثني الحسن بن يحيى؛ وابن أبي حاتم (١٠٧٧) قال: حدثنا الحسن بن أبي الربيع قال: ثنا عبد الرزاق وهذا في «تفسيره» (٥٥/١)، أنبأنا معمر، عن قتادة. وسنده صحيح.

(يرشد تعالى)^(١) بهذا إلى أنه المتصرف في خلقه بما يشاء، فله الخلق والأمر، وهو المسترف؛ فكما (يخلقهم)^(٢) كما يشاء، ويسعد من يشاء، ويشقى من يشاء، ويصح من يشاء، ويمرض من يشاء، ويوفق من يشاء، ويخذل من يشاء - كذلك يحكم في عبادته بما يشاء؛ فيحل ما يشاء، ويحرم ما يشاء، ويبيح ما يشاء، ويحظر ما يشاء؛ وهو الذي يحكم ما يريد؛ لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون؛ ويختبر عبادته وطاعتهم لرسله بالنسخ؛ فيأمر بالشيء لما فيه من المصلحة التي يعلمها تعالى، ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى؛ فالطاعة كل الطاعة في امتثال أمره، واتباع رسله في تصديق ما أخبروا، وامتثال ما أمروا، وترك ما عنه زجروا.

وفي هذا المقام رد عظيم، وبيان بليغ لكفر اليهود، وتزييف شبهتهم، لعنهم الله، في دعوى استحالة النسخ؛ إما عقلاً كما زعمه بعضهم جهلاً وكفراً؛ وإما نقلاً كما تخرصه آخرون منهم افتراءً وإفكاً.

قال الإمام أبو جعفر^(٣) بن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فتأويل الآية: أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ لِي مَلِكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسُلْطَانَهُمَا دُونَ غَيْرِي، أَحْكَمُ فِيهِمَا وَفِيهَا بِمَا أَشَاءُ، (وَأَمْرُ فِيهِمَا وَفِيهَا بِمَا أَشَاءُ)^(٤)، وَأَنْهَى عَمَّا أَشَاءُ، وَأَنْسَخَ وَأَبْدَلَ وَأَغْيَرَ مِنْ أَحْكَامِي الَّتِي أَحْكَمُ بِهَا فِي عِبَادِي بِمَا أَشَاءُ، وَأَقْرَ فِيهِمَا مَا أَشَاءُ.

ثم قال^(٥): وهذا الخبر وإن كان خطاباً من الله تعالى لنبيه ﷺ على وجه الخبر عن عظمته فإنه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة، وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (لمجيئهما)^(٦) بما جاء به من عند الله بتغيير ما غيّر الله من حكم التوراة؛ فأخبرهم الله أن له ملك السموات والأرض وسلطانهما، وأن الخلق أهل مملكته وطاعته، وعليهم السمع والطاعة لأمره ونهيه، وأن له أمرهم بما يشاء، ونهيهم عما يشاء، ونسخ ما يشاء، وإقرار ما يشاء، وإنشاء ما يشاء من إقراره وأمره ونهيه.

قلت: الذي يحمل اليهود على البحث في مسألة النسخ إنما هو الكفر والعناد؛ فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى؛ لأنه يحكم ما يشاء؛ كما أنه يفعل ما يريد، مع أنه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية، كما أحل لآدم تزويج بناته من بنيه، ثم حرم ذلك، وكما أباح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات، ثم نسخ حل بعضها، وكان نكاح الأختين مباحاً لإسرائيل وبنيه، وقد حرم ذلك في شريعة التوراة وما بعدها.^(٧) [وأمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، ثم نسخه قبل الفعل، وأمر جمهور بني إسرائيل بقتل]^(٨) [من عبد العجل منهم، ثم رفع عنهم القتل كيلاً يستأصلهم القتل]^(٩)، وأشياء كثيرة يطول ذكرها، وهم يعترفون بذلك ويصدقون عنه.

وما يجاب به عن هذه الأدلة بأجوبة لفظية فلا تصرف الدلالة في المعنى؛ إذ هو المقصود،

(٢) في (ن): «خلقهم».

(٤) ساقط من (ج).

(٦) في (ج) و(ل): «بمجيئهما».

(٨) من (ج) و(ل).

(١) في (ن): «يرشد عبادته تعالى».

(٣) في «تفسيره» (٤٨٨/٢).

(٥) يعني: ابن جرير.

(٧) من (ج) و(ل).

وكما في كتبهم مشهوراً من البشارة بمحمد (ﷺ) ^(١) والأمر باتباعه، فإنه يفيد وجوب متابعتة عليه (الصلاة و) ^(٢) السلام، وأنه لا يقبل عمل إلا على شريعته، وسواء قيل إن الشرائع المتقدمة مغياة إلى بعثته ﷺ، فلا يسمى ذلك نسخاً؛ كقوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا آلَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقيل: إنها مطلقة، وإن شريعة محمد ﷺ نسختها، فعلى كل تقدير فوجوب (اتباعه) ^(٣) (متعين) ^(٤)؛ لأنه جاء بكتاب هو آخر الكتب عهداً بالله تبارك وتعالى ^(٥).

^(٦) [ففي هذا المقام (بين) ^(٧) تعالى جواز النسخ رداً على اليهود عليهم لعائن الله، حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾] ^(٨) [﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ ذُوِّ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾] ^(٩) الآية، فكما أن له الملك بلا منازع فكذلك له الحكم بما يشاء: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقرئ في «سورة آل عمران» التي نزل صدرها خطاباً مع أهل الكتاب وقوع النسخ (عند اليهود) ^(١٠) في قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلٰلًا لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ...﴾ [آل عمران: ٩٣] الآية كما سيأتي تفسيره.

والمسلمون كلهم متفقون على جواز النسخ في أحكام الله تعالى، لما له في ذلك من الحكمة البالغة؛ وكلهم قال بوقوعه.

وقال أبو مسلم الأصبهاني المفسر: لم يقع شيء من ذلك في القرآن. وقوله (هذا) ^(١١) ضعيف مردود مردول. وقد تعسف في الأجوبة عما وقع من النسخ، فمن ذلك قضية العدة بأربعة أشهر وعشر بعد الحول لم يجب عن ذلك بكلام مقبول، وقضية تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس لم يجب بشيء، ومن ذلك نسخ مصابرة المسلم لعشرة من الكفرة إلى مصابرة الاثنين، ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ﷺ وغير ذلك. والله أعلم ^(٩).

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ^(١٢).

نهى الله (تبارك) ^(١٢) وتعالى (المؤمنين) ^(١٣) في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها؛ كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَشْيَاءَ إِن يُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُمُ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَّلَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] أي: وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين

(٢) من (ض).

(١) ساقط من (ج) و(ل).

(٣) في (ن): «متابعته».

(٤) كذا في (ج) و(ع) و(ل) و(ن) و(ي). ووقع في (ز) و(ض) و(ك): «معين».

(٥) في هامش (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضاً بأصله، فسخ الله في مدته وحرسه».

(٦) من (ج) و(ل) و(ن).

(٧) في (ن): «بين».

(٨) من (ج) و(ل) و(ن).

(٩) من (ن).

(١٠) ساقط من (ن).

(١١) ساقط من (ن).

(١٢) من (ن).

(١٣) من (ي).

لكم؛ ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعله أن يحرم من أجل تلك المسألة؛ ولهذا جاء في «الصحيح»^(١): «(إن)^(٢) أعظم المسلمين (في المسلمين)^(٣) جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم (من أجل)^(٤) مسألته». ولهذا جاء في الصحيحين «إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته».

ولما سئل^(٥) رسول الله ﷺ عن الرجل يجد مع امرأته رجلاً فإن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت على مثل ذلك؛ ففكرة رسول الله ﷺ المسائل وعابها، ثم أنزل الله حكم الملاعة. ولهذا ثبت في «الصحيحين»^(٦) من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال.

وفي «صحيح مسلم»^(٧): «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه». وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم أن الله كتب عليهم الحج؛ فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ ثلاثاً. ثم قال ﷺ: «لا، ولو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم»؛ ثم قال: «ذروني ما تركتكم...» الحديث.

(ولهذا)^(٨) قال أنس بن مالك^(٩) (ﷺ)^(١٠): نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في «مسنده»^(١١): أخبرنا أبو كريب، أخبرنا إسحاق بن سليمان، عن أبي سنان، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب؛ قال: إن كان ليأتي علي السنة أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الشيء فأتهدب منه، وإن كنا لنتمنى الأعراب.

وقال البزار^(١٢): حدثنا محمد بن مثنى، حدثنا ابن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤/١٣)، ومسلم (١٣٢/٢٣٥٨ - ١٣٣).

(٢) من (ن). (٣) من (ج) و(ع).

(٤) في (ج): «لأجل».

(٥) هذا جزء من حديث يرويه الزهري: (صحيح البخاري ٤٤٦/٩).

(٦) أخرجه البخاري (٣٤١/٣)؛ و٦٨/٥؛ و٤٠٥/١٠؛ ومسلم (١٣١٤/٣).

(٧) بل هو في «صحيح البخاري» (٢٥١/١٣) من طريق الأعرج، عن أبي هريرة دون سبب الورد وقد أخرجه مسلم (١٣١/١٣٣٧).

(٨) كذا في (ن). وفي باقي «الأصول»: «وهكذا».

(٩) أخرجه البخاري (١٤٩/١) معلقاً، ووصله مسلم (١٠/١٢، ١١).

(١٠) من (ع).

(١١) يعني: في «المسند الكبير» ولم أجده في «المطبوع». وسنده جيد.

(١٢) أخرجه الدارمي (٤٨/١) قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، وهو أبو بكر، والطبراني في «الكبير»

(ج ١١/رقم ١٢٢٨٨)؛ والوزير ابن الجراح في «الثاني من الأمالي» (١١٩ - بتحقيقي) من طريق أبي جعفر

أحمد بن بديل؛ وأبو يعلى في «مسنده»، كما في «إتحاف الخيرة» (ق ٦٠/٢) للبوصيري، قال: حدثنا

زهير بن حرب. وابن بطّة في «الإبانة» (٣٩٨/١) من طريق علي بن حرب قالوا: ثنا ابن فضيل بسنده

سواء. وتابع جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب بسنده سواء.

ذكره ابن عبد البر في «جامع العلم» (١٧٣/٢) وهذا سند ضعيف ومحمد بن فضيل وجرير سمعا من =

جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنه) ^(١) قال: ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد ﷺ؛ ما سألوه إلا عن اثنتي عشرة مسألة كلها في القرآن. «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ» [البقرة: ٢١٩] و«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ» [البقرة: ٢١٧]، «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى» [البقرة: ٢٢٠] يعني: هذا وأشباهه.

وقوله تعالى: «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ» أي: بل تريدون. أو هي على بابها في الاستفهام؛ وهو إنكاري، وهو يعم المؤمنين والكافرين؛ فإنه ﷺ رسول الله إلى الجميع؛ كما قال تعالى: «يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ» [النساء: ١٥٣].

قال محمد بن إسحاق ^(٢): حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد، عن ابن عباس؛ قال: قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد: يا محمد، ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه. وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك. فأنزل الله من قولهم «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَبْدُلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» ﴿٣٨﴾.

وقال أبو جعفر الرازي ^(٣)، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية - في قوله تعالى: «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ» قال: قال رجل: يا رسول الله، لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل؟ فقال النبي ﷺ: اللهم لا نبغيها - ثلاثاً - ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل؛ كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابهِ وكفارتها؛ فإن كفر كانت له خزيًا في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الآخرة، فما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل. قال: «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا» ﴿١١﴾ [النساء].

وقال ^(٤): «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن».

وقال ^(٥): «من همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت سيئة واحدة، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وإن عملها كتبت له عشر أمثالها، ولا يهلك على الله إلا هالك»؛ فأنزل الله: «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ».

وقال مجاهد ^(٦): «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ» أن يريهم الله جهرة.

= عطاء بن السائب بعد الاختلاط. والحديث عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥٨٦/١) لابن المنذر. (١) من (ل).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٧٧٧)؛ وابن أبي حاتم (١٠٨١) من طريق سلمة بن الفضل، زاد ابن جرير: ويونس بن بكير، قالوا: ثنا ابن إسحاق بسنده سواء. [وسنده حسن].

(٣) أخرجه ابن جرير (١٧٨٣)؛ وابن أبي حاتم (١٠٨٣) من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه بهذا الإسناد. وهذا سند ضعيف لإرساله.

(٤) هذا استشهاد من أبي العالية، ولكن الحديث صحيح.

أخرجه مسلم (١٤/٢٣٣).

(٥) أخرجه البخاري في «كتاب الرقاق» (٣٢٣/١١)؛ وأخرجه مسلم (٢٠٨/١٣١).

(٦) أخرجه ابن جرير (١٧٨٠) من طريق عيسى؛ وابن أبي حاتم (١٠٨٢) من طريق ورقاء كلاهما عن ابن نجيح، عن مجاهد فذكره وهذا سند ضعيف لإرساله فمجاهد لم يدرك النبي ﷺ؛ وأخرجه ابن جرير =

قال: سألت قريش محمداً ﷺ أن يجعل لهم «الصفاء» ذهباً، قال: «نعم وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل»؛ فأبوا ورجعوا.

وعن السدي^(١) وقتادة^(٢) نحو هذا. والله أعلم.

والمراد أن الله ذم من سأل الرسول ﷺ عن شيء على وجه التعنت، والاقتراح، كما سألت بنو إسرائيل موسى ﷺ تعتاً وتكديباً وعناداً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: ومن (يشتر)^(٣) الكفر بالإيمان ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: فقد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال.

وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء واتباعهم والانقياد لهم إلى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها على وجه التعنت والكفر؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿٧٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنَسُّ الْفَرَارَ ﴿٧٩﴾ [إبراهيم].

وقال أبو العالية^(٤): يتبدل الشدة بالرخاء.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٤٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٥٠﴾

يحذر (تبارك و)^(٥) تعالى عباده المؤمنين عن سلوك (طرائق)^(٦) الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم؛ ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال، حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح؛ ويأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه؛ كما قال محمد بن إسحاق^(٧): حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن

= (١٧٨١) من طريق ابن جريج، عن مجاهد مثله. وقد قدمنا غير مرة أن ابن جريج لم يسمع من مجاهد إلا حرفاً. [ويتقوى بالمراسيل التالية].

(١) أخرجه ابن جرير (١٧٧٩) قال: حدثنا موسى بن هارون؛ وابن أبي حاتم (١٠٨٤) قال: حدثنا أبو زرعة قال: ثنا عمرو بن حماد بن طلحة، عن السدي فذكر الآية ثم قال: فسألت العرب رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالله فيروه جهرة. [وسنده حسن لكنه مرسل ويتقوى بسابقه ولا حقه].

(٢) أخرجه ابن جرير (١٧٧٨) من طريق يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مثل قول السدي. وأشار إليه ابن أبي حاتم (٣٣٠/١). [وسنده حسن لكنه مرسل ويتقوى بما سبق].

(٣) في (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي): «يشترى».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٧٨٤)؛ وابن أبي حاتم (١٠٨٥) من طريق عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه عن أبي العالية؛ وأخرجه ابن جرير (١٧٨٥) من طريق حجاج عن ابن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية. [وسنده جيد].

(٥) من (ل). (٦) في (ن): «طريق».

(٧) أخرجه ابن إسحاق، ومن طريقه ابن جرير (١٧٨٨)؛ وابن أبي حاتم (١٠٨٨). [وسنده حسن].

ابن عباس؛ قال: كان حيي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب، من أشد يهودٍ للعرب حسداً؛ إذ خصهم الله برسوله ﷺ؛ وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا؛ فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمُ...﴾ الآية.

^(١) [وقال عبد الرزاق^(٢)، عن معمر، عن الزهري في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾]^(١) قال: هو كعب بن الأشرف.

وقال ابن أبي حاتم^(٣): حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه: أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً، وكان يهجو النبي ﷺ؛ (وفيه)^(٤) أنزل الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمُ...﴾ إلى قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾.

وقال الضحاك^(٥)، عن ابن عباس: إن رسولاً أمياً يخبرهم بما في أيديهم من (الرسول والكتب)^(٦) والآيات، ثم يصدق بذلك كله مثل تصديقهم، ولكنهم جحدوا ذلك كفرًا وحسدًا وبغياً. وكذلك قال الله تعالى: ﴿كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يقول^(٧): من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئاً، ولكن الحسد حملهم على الجحود؛ فعيروهم ووبخهم ولاهمهم أشد الملامة؛ وشرع لنبيه ﷺ وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والإيمان والإقرار (بما أنزل الله^(٨) عليهم)، وما أنزل من قبلهم بكرامته وثوابه الجزيل ومعونته لهم.

وقال الربيع^(٩) بن أنس: ﴿مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾ من قبل أنفسهم. وقال أبو العالية^(١٠): ^(١١) [﴿مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾]^(١١) من بعد ما تبين (لهم)^(١٢) أن محمداً رسول الله، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، فكفروا به حسداً وبغياً؛ إذ كان من غيرهم.

وكذا قال قتادة^(١٣)، والربيع بن أنس^(١٤) والسدي.

(١) ساقط من (ج).

(٢) في «تفسيره» (٥٥/١) ومن طريقه ابن جرير (١٧٨٦)؛ وابن أبي حاتم (١٠٨٩). [وسنده صحيح].

(٣) في «تفسيره» (١٩٠٠). [وسنده صحيح].

وقد روى جابر بن عبد الله ﷺ قصة مقتل كعب بن الأشرف.

أخرجه البخاري في «كتاب الرهن» (١٤٢/٥)؛ وفي «كتاب المغازي» (٣٣٦/٧، ٣٣٧).

(٤) في (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي): «فيهم». (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٩١) وسنده ضعيف.

(٦) في (ز) و(ن): «الكتب والرسول».

(٧) يعني: ابن عباس بالإسناد المتقدم آنفاً. وقد أخرج هذه الرواية ابن أبي حاتم أيضاً (١٠٩٣)؛ وابن جرير (١٧٩٥).

(٨) في (ز) و(ض): «بما أنزل عليهم».

(٩) أخرجه ابن جرير (١٧٨٩)؛ وابن أبي حاتم (١٠٩٢). [وسنده جيد].

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٧٩١)؛ وابن أبي حاتم (١٠٩٤). [وسنده جيد].

(١١) ساقط من (ج). (١٢) من (ج) و(ع) و(ل).

(١٣) أخرجه ابن جرير (١٧٩٠) بسند صحيح. (١٤) أخرجه ابن جرير (١٧٩٢) [وسنده جيد].

وقوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً...﴾ الآية [آل عمران: ١٨٦].
قال علي بن أبي طلحة^(١)، عن ابن عباس- في قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ نسخ ذلك قوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وقوله: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَغِيرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] فنسخ هذا عفوهم عن المشركين.

وكذا قال أبو العالية^(٢)، والربيع بن أنس^(٣)، وقتادة^(٤)، والسدي^(٥): إنها منسوخة بآية السيف؛ ويرشد إلى ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾.
وقال ابن أبي حاتم^(٦): حدثنا أبي، حدثنا (أبو اليمان)^(٧)، حدثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره؛ قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى؛ قال الله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وكان رسول الله ﷺ يتأول من العفو ما أمره الله به حتى أذن الله (فيهم بقتل)^(٨) فقتل الله به من قتل من صناديد قريش. وهذا (إسناد)^(٩) صحيح ولم أره في شيء من الكتب الستة؛^(١٠) [ولكن له أصل في «الصحيحين»]^(١١)، عن أسامة بن زيد^(١٢) (ﷺ).

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يحثهم)^(١٣) تعالى على الاشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة؛ من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، حتى يمكن لهم الله النصر في الحياة الدنيا، ويو يقوم الأشهاد؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر] ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يعني: أنه تعالى لا يغفل عن عمل عامل، ولا يضيع لديه، سواء كان خيراً أو سراً؛ فإنه سيجازي كل عامل بعمله.

- (١) أخرجه ابن جرير (١٧٩٦) قال: حدثني المثنى؛ وابن أبي حاتم (١٠٩٦) قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة. [وسنده ثابت].
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٩٧). [وسنده جيد].
- (٣) أخرجه ابن جرير (١٧٩٨). [وسنده جيد].
- (٤) أخرجه ابن جرير (١٧٩٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة. وأيضاً (١٧٩٩) من طريق عبد الرزاق وهذا في «تفسير» (٥٥/١) قال: نا معمر بن راشد كلاهما عن قتادة. [وسنده صحيح].
- (٥) أخرجه ابن جرير (١٨٠٠)؛ وأبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٥١٤/١). [وسنده حسن].
- (٦) في «تفسير» (١٠٩٥). [وصححه سننه الحافظ ابن كثير].
- (٧) في (ك): «أبو الوليد» وهو خطأ؛ وفي (ن): «أبو اليماني»!
- (٨) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي)؛ وفي (ل): «فيهم بالقتال»؛ وفي (ن): «فيهم بالقتل».
- (٩) في (ز) و(ن): «إسناد».
- (١٠) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي).
- (١١) يشير المصنف إلى ما أخرجه البخاري في «كتاب التفسير» (٢٣٠/٨، ٢٣١)؛ وفي «كتاب الأدب» (١٠/٥٩١، ٥٩٢).
- (١٢) من (ج) و(ل).
- (١٣) في (ز) و(ض): «يحث».

وقال أبو جعفر بن جرير ^(١) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَمَلُّوْكَ بَصِيْرٌ﴾ هذا الخبر من الله للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين أنهم مهما فعلوا من خير أو شر، سرّاً وعلانية، فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء، فيجزئهم بالإحسان خيراً وبالإساءة مثلاً.

وهذا الكلام وإن كان (خرج) ^(٢) مخرج الخبر فإن فيه وعداً ووعداً، وأمراً وزجراً؛ وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليجدوا في طاعته؛ (إذا) ^(٣) كان ذلك (مذخوراً) ^(٤) لهم عنده حتى يثيبهم عليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَقْذِرُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وليحذروا معصيته.

قال: وأما قوله: ﴿بَصِيْرٌ﴾ فإنه مبصر، صرف إلى: «بصير»، كما صرف مبدع إلى: «بديع»، ومؤلم إلى: «أليم». والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم ^(٥): حدثنا أبو زرعة، حدثنا ابن بكير، حدثني ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو (يقترئ) ^(٦) هذه الآية: سميع بصير - يقول: «بكل شيء بصير».

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.

يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه، حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على (ملتها) ^(٧)، كما أخبر (الله) ^(٨) عنهم في سورة المائدة أنهم قالوا: ﴿حَسْبُ آبَتُنَا اللَّهُ وَاجِبَتُهُمْ﴾ [المائدة: ١٨] فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه (يعذبهم) ^(٩) بذنوبهم، ولو كانوا كما ادعوا لما كان الأمر كذلك، وكما تقدم (من) ^(١٠) دعواهم أنه لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة، ثم ينتقلون إلى الجنة، ورد عليهم تعالى في ذلك. وهكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة؛ فقال: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.

وقال أبو العالية ^(١١): أمانى تمنوها على الله بغير حق.

(١) في «تفسير» (٥٠٦/٢ - شاكر).

(٢) كذا في «الأصول»؛ وفي «تفسير الطبري»؛ وفي (ن): «قد خرج».

(٣) في (ج) و(ل): «إذا».

(٤) كذا في (ج).

(٥) في «تفسير» (١١٠٠) وسنده ضعيف.

(٦) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي)؛ وفي (ز) و(ض): «يفسر»؛ وفي (ن): «يقر».

(٧) في (ل): «مثلاً».

(٨) لفظ الجلالة من (ز) و(ن).

(٩) كذا في (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي)؛ وفي (ن): «معذبهم» وأشار إليها ناسخ (ي).

(١٠) في (ج) و(ل): «في».

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٢). [وسنده جيد].

وكذا قال قتادة^(١)، والربيع بن أنس^(٢).

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد: ﴿هَآئُوا بُرْهَٰنَكُمْ﴾ قال أبو العالية^(٣)، ومجاهد^(٤)، والسدي، والربيع بن أنس: حجتكم.

وقال قتادة^(٥): يبتتكم على ذلك.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (أي: فيما تدعونه)^(٦).

ثم قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: من أخلص العمل لله وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿إِنْ حَآجُّكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ...﴾ الآية [آل عمران: ٢٠].

وقال أبو العالية^(٧)، والربيع^(٨): ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ يقول: من أخلص لله.

وقال سعيد بن جبیر^(٩): ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أخلص. ﴿وَجْهَهُ﴾ قال: دينه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: (متبع)^(١٠) فيه الرسول ﷺ؛ فإن (للعمل)^(١١) المتقبل شرطين:

أحدهما: أن يكون خالصاً لله وحده. والآخر: أن يكون صواباً موافقاً للشريعة، فمتى كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبل؛ ولهذا قال (رسول الله) ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» رواه مسلم^(١٢) من حديث عائشة عنه عليه (الصلاة و)^(١٤) السلام، فعمل الرهبان ومن شابههم وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله فإنه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعا للرسول (محمد)^(١٥) ﷺ المبعوث إليهم وإلى الناس كافة. وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَرَآبٍ يَاقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّالِمُونَ مَاءً حَوْثًا إِذَا جَاءَهُمْ لَوَّ يَحْدُهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩].

(١) أخرجه ابن جرير (١٨٠٢). [وسنده صحيح]. (٢) أخرجه ابن جرير (١٨٠٣). [وسنده جيد].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٣). [وسنده جيد].

(٤) أثر مجاهد وما بعده، عند ابن جرير (١٨٠٥، ١٨٠٦، ١٨٠٧). [وسنده صحيح].

(٥) أخرجه ابن جرير (١٨٠٤) من طريق يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة. [وسنده صحيح].

وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٤) من طريق يونس بن محمد المؤدب، ثنا شيبان النحوي، عن قتادة وكلاهما صحيح.

(٦) في (ز) و(ض): «كما تدعونه».

(٨) أخرجه ابن جرير (١٨١٠). [وسنده جيد].

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٧) قال: ذكر عن يحيى بن آدم، ثنا ابن المبارك، عن حيوة بن شريح، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبیر. وسنده ضعيف.

(١٠) في (ن): «اتبع».

(١١) في (ك): «في العمل».

(١٢) من (ن).

(١٣) يرويه عبد الله بن جعفر المخرمي، قال: حدثني سعد بن إبراهيم قال: سألت القاسم بن محمد عن رجل له ثلاثة مساكن، فأوصى بثلاث كل مسكن منها، قال: يجمع ذلك كله في مسكن واحد، ثم قال: أخبرني عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «من عمل عملاً... الحديث» أخرجه البخاري (٣٠١/٥) معلقاً ووصله في «خلق الأفعال» (٢١٤)؛ وكذلك مسلم (١٨/١٧١٨) والسياق له.

(١٤) من (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي).

(١٥) من (ن).

(١) [وقال تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿١﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٢﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٣﴾ تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ مَآبِقَةٍ ﴿٤﴾﴾] (١) [الغاشية].

وروي عن أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه) (٢) أنه تأولها في الرهبان كما سيأتي.

وأما إن كان العمل موافقاً للشريعة في الصورة الظاهرة، ولكن لم يخلص عامله القصد لله تعالى (٣) فهو أيضاً مردود على فاعله. وهذا حال (المنافقين والمرائين) (٤)؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤٧﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٤٩﴾ وَيَتَمَنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الماعون] ولهذا قال تعالى: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

وقوله: ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيل الأجور، وأمنهم مما يخافونه من المحذور، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلونه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى مما يتركونه؛ كما قال سعيد بن جبير: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: في الآخرة؛ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يعني: لا يحزنون) (٥) للموت.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (يبين) (٦) به تعالى تناقضهم وتباغضهم، وتعاديهم وتعاندتهم؛ كما قال محمد بن إسحاق (٧): حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ: فقال رافع بن خريملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل، وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى، وكفر بالتوراة؛ فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ قال: إن كلاً يتلو في كتابه تصديق من كفر به؛ (أن) (٨) يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى، وما جاء من التوراة من عند الله؛ وكل يكفر بما في (يدي) (٩) صاحبه.

وقال مجاهد (١٠) في تفسير هذه الآية: قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء.

(٢) من (ك) و(ن) و(ي).

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) في (ن): «المرائين والمنافقين».

(٣) من (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ي).

(٦) في (ن): «بين».

(٥) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) أخرجه ابن جرير (١٨١١)؛ وابن أبي حاتم (١١١٠) من طريق محمد بن إسحاق به. [وسنده حسن].

(٨) كذا في (ج) و(ع) و(ك) و(ل). ووقع في (ز) و(ض) و(ن) و(ي): «أي».

(٩) في (ز) و(ن): «يد».

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٨١٤) من طريق ابن جريج عن مجاهد. وابن جريج لم يسمع من مجاهد إلا حرفاً.

وقال قتادة^(١): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ قال: (بلى)^(٢). قد كانت أوائل النصرارى على شيء، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا. ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ قال: بلى؛ قد كانت أوائل اليهود على شيء، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا.

وعنه رواية أخرى؛ كقول أبي العالية^(٣)، والربيع بن أنس^(٤)، في تفسير هذه الآية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

وهذا القول يقتضي أن كلاً من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الأخرى؛ ولكن ظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه مع علمهم بخلاف ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: وهم يعلمون أن شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقت، (ولكن)^(٥) تجاحدوا فيما بينهم (عناداً وكفراً)^(٦)، ومقابلةً للفساد بالفساد؛ كما تقدم عن ابن عباس، ومجاهد، وقاتادة في الرواية الأولى عنه في تفسيرها. والله أعلم.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بين بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوا به من القول؛ وهذا من باب الإيماء والإشارة.

وقد اختلف فيمن عني بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فقال الربيع بن أنس^(٧)، وقاتادة^(٨): ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قالوا: وقالت النصارى مثل قول اليهود وقيلهم.

وقال ابن جريج^(٩): قلت لعطاء: من هؤلاء الذين لا يعلمون؟ قال: أمم كانت قبل اليهود والنصارى، وقبل التوراة والإنجيل.

وقال السدي^(٩): ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فهم العرب؛ قالوا: ليس محمد على شيء. واختار أبو جعفر بن جرير^(١٠) أنها عامة تصلح للجميع، وليس ثم دليل قاطع يعين واحداً من هذه الأقوال، (فالحمل)^(١١) على الجميع أولى. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: إنه تعالى (يجمع)^(١٢) بينهم يوم المعاد، ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجور في، ولا يظلم مثقال الذرة.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١١٧) من طريق يونس بن محمد، ثنا شيبان النحوي عن قتادة، وأخرجه ابن جرير (١٨١٣) من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وكلاهما صحيح.

(٢) في (ج) ول (ل) بل.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١١١٧). [لوسنده جيد]

(٤) أخرجه ابن جرير (١٨١٧). [لأخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد]

(٥) في (ن) ولكنهم.

(٦) في (ل) كفراً وعناداً.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٨١٧، ١٨١٧). [لوسنده صحيح] وأخرج ابن أبي حاتم (١١١٦) أثر أبي

العالية. [لوسنده جيد]

(٨) أخرجه ابن جرير (١٨١٨). [لأخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن]

(٩) أخرجه ابن جرير (١٨١٩) قال: حدثني موسى بن هارون؛ وابن أبي حاتم (١١١٥).

قال: حدثنا أبو زرعة قال: ثنا عمرو بن حماد بن طلحة، ثنا أسباط، عن السدي. [لوسنده حسن]

(١٠) في تفسيره (٥١٧، ٥١٨).

(١١) في (ن) والحمل.

(١٢) في (ل) يحكم.

وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [الحج] وكما قال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا ((مَسْجِدَ اللَّهِ))^(١)، وسعوا في خرابها على قولين:

أحدهما: ما رواه العوفي في «تفسيره»^(٢) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ قال: هم النصارى.

وقال مجاهد^(٣): هم النصارى، كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه.

وقال عبد الرزاق^(٤): أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ قال: هو بختنصر وأصحابه، خرب بيت المقدس، وأعانه على ذلك النصارى.

وقال سعيد^(٥)، عن قتادة؛ قال: أولئك أعداء الله النصارى، حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس.

وقال السدي^(٦): كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس، حتى خربه، وأمر به^(٧) أن تطرح فيه الجيف؛ وإنما أعانه الروم على خرابه من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا.

وروى نحوه عن الحسن البصري^(٨).

القول الثاني: ما رواه ابن جرير^(٩): حدثني يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب؛ قال:

(١) في (ل): «ساجد الله أن يذكر فيها اسمه».

(٢) ومن طريقه ابن جرير (١٨٢٠) وابن أبي حاتم (١١١٨) وسنده ضعيف.

أخرجه ابن جرير (١٨٢٧) من طريق عيسى بن ميمون وأيضاً (١٨٢٣) من طريق شبل بن عباد؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١١١٩) من طريق ورقاء بن عمر الشكري ثلاثتهم عن عبد الله بن أبي نجيع عن مجاهد. وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٨٢٧، ١٨٢٢) وابن أبي حاتم (١١١٢) من طرق عن ابن أبي نجيع عن مجاهد. [وسنده صحيح]

(٤) في «تفسيره» (٥٦/٧) ومن طريقه ابن جرير (١٨٢٥) وابن أبي حاتم (١١٢٠). [وسنده صحيح]

(٥) أخرجه ابن جرير (١٨٢٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٨٢٥). [وسنده حسن] (٧) ساقط من (ن).

(٨) نبه عليه ابن أبي حاتم (٣٤٢/٧).

(٩) في «تفسيره» (١٨٢٦) وسنده صحيح إلى ابن زيد، ولا يصح مرفوعاً من هذا الوجه.

ابن زيد - في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ قال: هؤلاء المشركون حين حالوا بين رسول الله ﷺ يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة حتى نحر هديه بذي طوى، وهادنهم، (وقال) ^(١) لهم: ما كان أحد يصد عن هذا البيت، وقد كان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فلا يصد. فقالوا: لا يدخل علينا من قتل آبائنا يوم بدر وفينا باق.

وفي قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ قال: إذ قطعوا من يعمرها بذكره، ويأتيها للحج والعمرة.

وقال ابن أبي حاتم ^(٢)، ذكر عن سلمة؛ قال: محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس - أن قريشاً منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ ثم اختار ابن جرير ^(٣) القول الأول. واحتج بأن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة، وأما الروم فسعوا في تخريب بيت المقدس.

قلت: والذي يظهر - والله أعلم - القول الثاني، كما قاله ابن زيد، و(روي عن) ^(٤) ابن عباس؛ لأن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس كان دينهم أقوم من دين اليهود، وكانوا أقرب منهم، ولم يكن ذكر الله من اليهود مقبولاً إذ ذاك؛ لأنهم لعنوا من قبل على لسان داود وعيسى بن مريم؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

وأيضاً فإنه تعالى لما وجه الذم في حق اليهود والنصارى شرع في ذم المشركين الذين أخرجوا الرسول ﷺ وأصحابه من مكة، ومنعوه من الصلاة في المسجد الحرام.

وأما اعتماده على أن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة، فأبي خراب أعظم مما فعلوا؟ أخرجوا عنها رسول الله ﷺ وأصحابه، واستحذوا عليهم بأصنامهم وأندادهم وشركهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولَآئِئُهُ إِلَّا الْفٰئِقُونَ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال]. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شٰهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خٰلِدُونَ ﴿٧﴾﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّزَّ لَعَلُّوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَلَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح]؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [التوبة: ١٨] فإذا كان من هو كذلك مطروداً منها مصدوداً عنها؛ فأبي خراب لها أعظم من ذلك؟ وليس المراد من عمارتها زخرفتها، وإقامة صورتها فقط؛ إنما عمارتها بذكر الله فيها، وإقامة شرعه فيها، ورفعها من الدنس والشرك.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خٰفِفِينَ﴾ هذا خبر معناه الطلب؛ أي: لا

(٢) في «تفسيره» (١١١٧).

(٤) ساقط من (ج) و(ل).

(١) في (ج): «وكان»!

(٣) (١/ ٥٢٢ - ٥٢٤) في كلام طويل.

تمكّنوا هؤلاء، إذا قدرتم عليهم، من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية؛ ولهذا لما فتح رسول الله ﷺ مكة أمر من العام القابل في سنة تسع أن ينادى برحاب مني: «ألا لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان له أجل فأجله إلى مدته»^(١).

وهذا كان تصديقاً وعملاً بقوله (تعالى)^(٢): ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

وقال بعضهم: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال التهيّب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم، فضلاً عن أن يستولوا عليها، (و)^(٣) يمنعوا المؤمنين منها.

والمعنى: ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وغيرهم.

وقيل: إن هذا بشارة من الله للمسلمين أنه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد، وأنه يذل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم إلا خائفاً، يخاف أن يؤخذ فيعاقب أو يقتل إن لم يسلم.

وقد أنجز الله هذا الوعد كما تقدم من منع المشركين من دخول (الحرم)^(٤) وأوصى رسول الله ﷺ^(٥) أن لا يبقى بجزيرة العرب دينان، وأن يجلى اليهود والنصارى منها. والله الحمد والمنة.

وما ذاك إلا (لتشريف)^(٦) أكناف المسجد الحرام، وتطهير البقعة التي بعث الله فيها رسوله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، صلوات الله (وسلامه)^(٧) عليه. وهذا هو الخزي لهم في الدنيا؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فكما صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صدوا عنه، وكما أجلوهم من مكة أجّلوا عنها.

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ على ما انتهكوا من حرمة البيت وامتهنوه من نصب الأصنام حوله، (والدعاء إلى)^(٨) غير الله عنده، والطواف به عرباً، وغير ذلك من أفاعيلهم التي يكرهها الله ورسوله.

وأما من فسره (ببيت)^(٩) المقدس؛ فقال كعب الأحبار^(١٠): إن النصارى لما ظهرُوا على بيت

(١) أخرجه الترمذي (٨٧١، ٨٧٢، ٣٠٩٢).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»؛ وقال الدارقطني في «العلل» (٣/١٦٤): «وهو المحفوظ» وقد رواه عن أبي إسحاق السبيعي: «سفيان الثوري، ومعمر بن راشد، وزهير بن معاوية، وزكريا بن أبي زائدة، ويونس بن أبي إسحاق، وغيرهم». ورواه من الصحابة: أبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهما، وحديث أبي هريرة في «الصحيحين» مختصر عما أورده المصنف.

(٢) ساقط من (ج) و(ل).

(٣) في (ز) و(ض): «أو».

(٤) في (ز) و(ن): «المسجد الحرام».

(٥) أخرجه مسلم (١٧٦٧/١٦٣).

(٦) في (ز) و(ك): «تشریف».

(٧) ساقط من (ج) و(ز) و(ض).

(٨) في (ن): «ودعاء».

(٩) في (ز): «بيت».

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٢٢) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا موسى بن إبراهيم المعلم أبو علي =

المقدس (خبروه)^(١)، فلما بعث الله محمداً ﷺ أنزل عليه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ...﴾ الآية؛ فليس في الأرض نصراني يدخل بيت المقدس إلا خائفاً.

وقال السدي^(٢): فليس في الأرض رومي يدخله اليوم إلا وهو خائف أن تضرب عنقه، أو قد أخيف بأداء الجزية فهو يؤديها.

وقال قتادة^(٣): لا يدخلون المساجد إلا مسارقةً.

قلت: وهذا لا ينفي أن يكون داخلاً في معنى عموم الآية؛ فإن النصراني لما ظلموا بيت المقدس بامتهان الصخرة التي كانت تصلي إليها اليهود عوقبوا شرعاً وقدرأً بالذلة فيه، إلا في أحيان من الدهر (متحن)^(٤) بهم بيت المقدس. وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضاً أعظم من عصيان النصراني كانت عقوبتهم أعظم. والله أعلم.

وفسر هؤلاء الخزي في الدنيا بخروج المهدي عند السدي^(٥)، وعكرمة، ووائل بن داود.

وفسره قتادة بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون.

والصحيح أن الخزي في الدنيا أعم من ذلك كله.

وقد ورد الحديث بالاستعاذة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة؛ كما قال الإمام أحمد^(٦): حدثنا

= الجذامي، حدثني خازن بيت المقدس، عن ذي الكلاع، عن كعب الأحبار فذكره. وسنده ضعيف. وخازن بيت المقدس مجهول.

(١) في (ك): «لحرقوه».

(٢) أخرجه ابن جرير (١٨٢٩) قال: حدثنا موسى، وابن أبي حاتم (١١٢٣) قال: حدثنا أبو زرعة قال: ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي فذكره وعند ابن أبي حاتم: فإن الروم ظاهروا «بختنصر» على خراب بيت المقدس، فليس في الأرض رومي... إلخ وسنده حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٨٢٨) قال: حدثنا الحسن بن يحيى؛ وابن أبي حاتم (١١٢٥) قال حدثنا الحسن بن أبي الربيع قال: ثنا عبد الرزاق وهذا في «تفسيره» (٥٦/٧) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة. لو سنده صحيح [

(٤) كذا في (ج) (و) (ح) (و) (ل) (و) (ن) وفي (ز) (و) (ض): «أسخن» وفي (ك): «سخر»!!

(٥) أخرجه ابن جرير (١٨٣٢) وابن أبي حاتم (١١٢٥). لو سنده حسن [

(٦) في «سنده» (١٨١/٥).

وأخرجه عبد الله بن أحمد في «وائد المسند» (١٨١/٥) وعنه الطبراني في «الدعاء» (١٤٣٦) قال: حدثني الهيثم بن خارجة بسنده سواء؛ وأخرجه ابن حبان (٩٤٩) وابن عدي في «الكامل» (٤٣٨/٧) قال: حدثنا أحمد بن الحسن الصوفي؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٢/رقم ١١٩٦) قال: حدثنا موسى بن هارون؛ وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤١٤/٧) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤٥/١٣) من طريق أحمد بن يحيى الحلواني؛ والخطيب في «تاريخه» (٢٣٧/١٥) من طريق أحمد بن الحسن بن عبد الجبار - هو الصوفي - قالوا جميعاً: ثنا الهيثم بن خارجة بسنده سواء. وتابعه عبد الأعلى بن مسهر، ثنا محمد بن أيوب بسنده سواء.

أخرجه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (٣٧٥/٧، ٣٧٦) وابن عدي (٤٣٨/٧) وأبو نعيم في «المعرفة» (٤١٤/٧) وابن عساكر (١٣٣/١٥) و (٣٤٥/١٣).

وتابعه أيضاً هشام بن عمار، ثنا محمد بن أيوب بن ميسرة بهذا الإسناد.

الهيثم بن خارجة، حدثنا محمد بن أيوب بن ميسرة بن (حلبس) ^(١)، سمعت أبي يحدث عن (بسر) ^(٢) بن أرطاة؛ قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة».

وهذا حديث حسن؛ وليس (هو) ^(٣) في شيء من الكتب الستة، وليس لصحابيه وهو بسر بن أرطاة - ويقال: ابن أبي أرطاة - حديث سواء، وسوى حديث ^(٤): «لا تقطع الأيدي في الغزو» ^(٥).

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥)

وهذا - والله أعلم - فيه تسلية للرسول ﷺ وأصحابه الذين أخرجوا من مكة، وفارقوا مسجدهم ومصلاهم؛ وقد كان رسول الله ﷺ يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة ^(٦) ليعين يديه؛ فلما قدم المدينة وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم صرّفه الله إلى الكعبة ^(٧) بعد؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «الناسخ والمنسوخ» ^(٨): حدثنا حجاج بن محمد، أخبرنا ابن

= أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٠/١/١ و ١٢٣/٢/١) وفي «التاريخ الصغير» (٢٨١/١) وابن حبان (٩٤٩) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٨٥٩) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/١٣٢). ووقع عند ابن حبان: «أحسن عاقبتنا» بالفاء لا بالقاف وقد حسن المصنف الحديث، ونقل الزبيدي في «شرح الإحياء» (١٨٧/٦ و ١٤٧/٩) عن الحافظ العراقي أنه قال: «إسناده جيد».

(١) في ل: (حلبس).

(٣) ساقط من ل.

(٤) وهو حديث حسن.

أخرجه الترمذي في «سننه» (١٤٥٠) وفي «العلل الكبير» (ص ٦١٢، ٦١٣) قال: حدثنا قتيبة بن سعيد والدارمي (١٥٠/٧) قال: حدثنا بشر بن عمر الزهراني؛ وأحمد (١٨١/٥) قال: حدثنا حسن بن موسى؛ وابن عدي في «الكامل» (٤٣٩/٢) وأبو نعيم في «معرفه الصحابة» (٤١٣/٧) من طريق قتيبة بن سعيد، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٨٤/١) من طريق الوليد بن مسلم؛ والطبراني في «الكبير» (ج ٢/رقم ١١٩٥) من طريق أسد بن موسى قالوا جميعاً: ثنا ابن لهيعة، عن عياش بن عباس، عن شبيب بن بيتان، عن جنادة بن أبي أمية، عن بسر بن أرطاة مرفوعاً... فذكره. قال الترمذي: «هذا حديث غريب».

وقال ابن عدي في «الكامل» (٤٣٩/٢): «لا أرى بالإسناد بأساً» ونقله عنه ابن عساكر في «تاريخه» (١٠/١٤٨).

﴿قلت: وهذا سند جيد، ولم يتفرد به ابن لهيعة.﴾

(٥) في هامش ح: «بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضاً بأصله، فسح الله في مدته».

(٦) سيأتي تخريجه إن شاء الله عند تفسير الآية (١٤٢) من سورة البقرة.

(٧) ساقط من ح.

(٨) رقم (٢٧) وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٠) قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا حجاج بن محمد بسنده سواء.

وأخرجه الحاكم (٢٦٧/٢) وعنه البيهقي (١٢/٢) من طريق محمد بن الفرج الأزرق، ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس.

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي ووافقهما الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر رحمهما الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (٥٢٨/٢).

جريح، وعثمان بن عطاء؛ عن عطاء؛ عن ابن عباس؛ قال: أول ما نسخ لنا من القرآن فيما ذكر لنا، والله أعلم، شأن القبلة؛ قال (الله) ^(١) تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ فاستقبل رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس، وترك البيت العتيق ثم صرفه الله إلى (البيت) ^(٢) العتيق ونسخها، ^(٣) [وصرفه إلى البيت العتيق] ^(٣) فقال:

﴿وَمَنْ حَيْثُ رَجَعَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقال علي بن أبي طلحة ^(٤): عن ابن عباس؛ قال: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أهلها اليهود، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم، وكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...﴾ إلى قوله: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ^(٥) [يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] ^(٥)﴾ [البقرة: ١٤٢] وقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

وقال عكرمة ^(٦)، عن ابن عباس: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال: قبلة الله أينما توجهت شرقاً أو غرباً.

وقال مجاهد ^(٧): ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (حيثما) ^(٨) كنتم فلكم قبلة تستقبلونها (للكعبة) ^(٩).
وقال ابن أبي حاتم ^(١٠).

(١) لفظ الجلالة من (ن) و(ل) و(ع).

(٢) في (ز) و(ن): «بيته»؛ وفي (ج) و(ل): «بيت».

(٣) من (ج) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي).

(٤) وأخرجه ابن جرير (١٨٣٣) قال: حدثني المثنى، هو ابن إبراهيم؛ وأخرجه البيهقي (١٢/٢) من طريق عثمان بن سعيد الدارمي وأبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢٢) قال: حدثنا بكر بن سهل قالوا: ثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. وقال أبو جعفر النحاس في «الناسخ» (٤٦١/١): «وهو صحيح عن ابن عباس، والذي يطعن في إسناده يقول: ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة، وهذا القول لا يوجب طعناً؛ لأنه أخذه عن رجلين ثقتين، وهو في نفسه ثقة صدوق». انتهى.

(٥) من (ج) و(ل).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣١١) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبدة بن سليمان الكلابي، عن نصر بن العربي، عن عكرمة، عن ابن عباس. وهذا سند جيد، والنضر بن عربي حسن الحديث.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٨٤٦)؛ وابن أبي حاتم (١١٢٩) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جرير قال: أخبرني إبراهيم بن بكر، عن مجاهد فذكره.

وإبراهيم بن أبي بكر الأحنسي ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩٠/١/١) ولم يحك فيه شيئاً. وذكره ابن حبان في «الثقات» (١٤/٦) وقال الذهبي: «محلّه الصدق» ولم يتفرد به فتابعه النضر بن عربي، فرواه عن مجاهد نحوه. [وسنده حسن].

(٨) في (ل): «قبلة الله حيثما»، وليست في سائر «الأصول» ولا في «الطبري» (٥٣٤/٢).

(٩) في (ز) و(ل) و(ن): «الكعبة».

(١٠) في «تفسيره» (٣٤٦/١). وقد أخرج أكثر هذه الآثار.

- بعد رواية الأثر المتقدم -، عن ابن عباس (في)^(١) نسخ القبلة، عن عطاء، عنه: وروي عن أبي العالية، والحسن، وعطاء الخراساني، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وزيد بن أسلم نحو ذلك.

وقال ابن جرير^(٢): وقال آخرون: بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه إلى الكعبة؛ وإنما (أنزلها تعالى)^(٣) ليعلم نبيه ﷺ وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب؛ لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهاً من ذلك وناحية إلا كان جل ثناؤه في ذلك (الوجه)^(٤) وتلك الناحية؛ لأن له تعالى المشارق والمغارب، وأنه لا يخلو منه مكان؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا أَدْرِي مِنْ ذَلِكَ﴾^(٥) وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيَّنَا مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] قالوا: ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم التوجه إلى المسجد الحرام؛ هكذا قال.

وفي قوله^(٦): وإنه تعالى لا يخلو منه مكان إن أراد علمه تعالى فصحيح؛ فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال ابن جرير^(٧): وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ إذناً من الله أن يصلي التطوع حيث توجه من شرق أو غرب في مسيره في سفره، وفي حال المسابقة^(٨)، وشدة الخوف، حدثنا أبو كريب^(٩)، حدثنا ابن إدريس، حدثنا عبد الملك - هو ابن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر - أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته؛ ويذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك. ويتأول هذه الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

ورواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، من طرق عن عبد الملك بن

= فأما أثر قتادة فأخرجه الترمذي (٢٠٦/٥) قال: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب؛ وابن جرير (١٨٣٥) قال: حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة؛ وأخرجه ابن جرير (١٨٣٦، ١٨٣٧) من وجهين آخرين عن قتادة. [وسنده صحيح]. وأما أثر السدي فهو عند ابن جرير (١٨٣٤). [بسند حسن]. وكذلك أثر عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (١٨٣٨). [وسنده صحيح]. ووقع في مطبوعة «ابن جرير»: «... ابن وهب قال سمعته، يعني زيد، وصوابه: «ابن زيد» وهو عبد الرحمن».

(١) في (ج): «ثم»!

(٢) في «تفسيره» (٥٢٨/٢) وتصرف المصنف في لفظ الطبري قليلاً.

(٣) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك)؛ وفي (ن): «أنزلها»؛ وفي (ل): «أنزلها الله تعالى».

(٤) في (ك): «التوجيه»! (٥) من (ن) وهو في «تفسير الطبري».

(٦) تعقب الشيخ شاكر رحمه الله ابن كثير في هذا التنبيه فقال في تعليقه على «تفسير الطبري» (٥٢٨/٢): «الذي قاله ابن كثير هو عقيدة أبي جعفر رحمه الله وقد بين ذلك في تفسير سورة المجادلة من «تفسيره» (١٠/٢٨)، فلا معنى لتشكك ابن كثير في كلام إمام ضابط من أئمة أهل الحق، وعبارته صحيحة اللفظ، ولكن أهل الأهواء جعلوا الناس يفهمون من عربية الفصحاء معنى غير المعنى الذي تدل عليه». انتهى.

(٧) في «تفسيره» (٥٣٠/٢).

(٨) المسابقة: يعني: المجادلة بالسيف في حال الحرب.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٨٣٩) قال: حدثنا أبو كريب، هو محمد بن العلاء؛ وأخرجه أحمد (٥٠٠١) قال: ثنا عبد الله بن إدريس بهذا الإسناد سواء؛ وأخرجه مسلم (٣٣/٧٠٠).

أبي سليمان، به. وأصله في «الصحيحين» من حديث^(١) ابن عمر، وعامر بن ربيعة من غير ذكر الآية. وفي «صحيح» البخاري^(٢) من حديث نافع، عن ابن عمر - أنه كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها؛ ثم قال: فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالاً قياماً على أقدامهم، وركباً مستقبلي القبلة وغير مستقبلها.

قال نافع: ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي ﷺ.

[٣] مسألة: ولم يفرق الشافعي^(٤) في المشهور عنه بين سفر المسافة وسفر العدو^(٥)؛ فالجميع (عنده)^(٦) يجوز التطوع فيه على الراحلة، وهو قول أبي حنيفة، خلافاً لمالك وجماعته. واختار أبو يوسف وأبو سعيد الإصطخري التطوع على الدابة في المصر. وحكاه أبو يوسف، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، واختاره أبو جعفر الطبري حتى للماشي أيضاً^(٣).

قال ابن جرير^(٧): وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في قوم عميت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها، فصلوا على أنحاء مختلفة، فقال الله (تعالى)^(٨): لي المشارق والمغارب فأين وليتم وجوهكم (فهناك)^(٩) وجهي، وهو قبلتكم (فيعلمكم)^(١٠) بذلك أن صلاتكم ماضية.

حدثنا (أحمد)^(١١) بن إسحاق الأهوازي، أخبرنا أبو أحمد الزبيري، أخبرنا أبو الربيع السمان،

(١) أما حديث ابن عمر فيرويه سالم قال: كان عبد الله، يعني: ابن عمر، يصلي على دابته من الليل وهو مسافر، ما يبالي حيث ما كان وجهه. قال ابن عمر: وكان رسول الله ﷺ يسبح على الراحلة قبل أي وجه توجه، ويوتر عليها غير أنه لا يصلي المكتوبة؛ أخرجه البخاري (٥٧٨، ٥٧٥/٢) والسياق له؛ ومسلم (٥/٢١٠ نووي).

(٢) في «كتاب التفسير» (٨/١٩٩).

(٤) ونقل القرطبي في «تفسير» (٢/٨١) عن الشافعي قال: «يجوز التطوع على الراحلة خارج المصر في كل سفر، وسواء كان مما تقصر فيه الصلاة أو لا؛ لأن الآثار ليس فيها تخصيص سفر من سفر».

(٥) العدو: هو المكان البعيد. يعني: أنه لا يفرق بين السفر القريب والبعيد.

(٦) في (ن): «عنه».

(٨) من (ن)؛ وفي (ك): «فقال الله تعالى لهم».

(٩) في (ل): «يعلمكم».

(١١) في (ن): «محمد» وهو خطأ. وشيخ الطبري هو أحمد بن إسحاق بن عيسى الأهوازي وهو من شيوخ أبي داود ومترجم في «التهذيب». قال النسائي: «صالح».

وأخرجه ابن جرير (١٨٤١)؛ وأبو أحمد الزبيري هو محمد بن عبد الله بن الزبير؛ وأخرجه الترمذي

(٣٤٥)؛ وأبو علي الطوسي في «المستخرج على الترمذي» (٩٠)؛ وابن ماجه (١٠٢٠)؛ وعبد بن حميد

في «المنتخب» (٣١٦)؛ وابن جرير (١٨٤٣)؛ وابن أبي حاتم (١١٢٧) كلاهما في «التفسير»؛ والطبراني في

«الأوسط» (٤٦٠)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٣١/١)؛ والدارقطني (٢٧٢/١)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/

١٧٩)؛ والواحدي في «أسباب النزول» (ص ٣٥) من طرق عن أبي الربيع السمان: أشعث بن سعيد، عن

عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه.

قال الترمذي: «هذا حديث ليس إسناده بذلك، لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان، وأشعث بن سعيد

أبو الربيع السمان يضعف في الحديث».

وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن عاصم بن عبيد الله، إلا أبو الربيع السمان».

وقال العقيلي في ترجمة أبي الربيع: «لا يتابع عليه، وليس يروى من وجه يثبت متنه».

عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه؛ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة سوداء مظلمة، فنزلنا منزلاً، فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجداً يصلي فيه، فلما (أن) ^(١) أصبحنا إذا نحن قد صلينا (على) ^(٢) غير القبلة، فقلنا: يا رسول الله، لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة! فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ...﴾ الآية.

ثم رواه ^(٣) عن سفيان بن وكيع، عن أبيه، عن أبي الربيع السمان، بنحوه.

ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان، عن وكيع؛ وابن ماجه، عن يحيى بن حكيم، عن أبي داود، عن أبي الربيع السمان.

ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح، عن سعيد بن سليمان، عن أبي الربيع السمان - واسمه أشعث بن سعيد البصري. وهو ضعيف الحديث.

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن، وليس إسناده بذلك، ولا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان، وأشعث يضعف ^(٤) في الحديث».

قلت: وشيخه (عاصم) ^(٥) أيضاً ضعيف (الحديث) ^(٦).

قال البخاري: «منكر الحديث». وقال ابن معين: «ضعيف لا يحتج به» وقال ابن حبان: «متروك». والله أعلم.

وقد روى من طريق آخر عن جابر ^(٧)؛ فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذا الآية: حدثنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل، حدثنا الحسن بن علي بن شبيب، حدثني أحمد بن عبيد الله بن الحسن؛ قال: وجدت في كتاب أبي: حدثنا عبد الملك العزمي، عن عطاء، عن جابر؛ قال: بعث رسول الله ﷺ سريةً كنت فيها، فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منا: قد عرفنا القبلة هي ها هنا قبل الشمال، فصلوا وخطوا خطوطاً، فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة، فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي ﷺ، فسكت؛ وأنزل الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

ثم رواه من حديث محمد بن ^(٨) عبيد الله العزمي، عن عطاء، عن جابر، به.

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ك).

(٢) يعني: ابن جرير (١٨٤٣).

(٣) وقد تابعه عمرو بن قيس كما مر ذكره آنفاً. والله أعلم.

(٤) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل).

(٥) من (ك).

(٦) أخرجه الدارقطني (٢٧١/١) ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص ٣٤) قال: حدثنا إسماعيل بن

علي أبو محمد، ثنا الحسن بن علي بن شبيب بسنده سواء؛ وأخرجه البيهقي (١١/٢) من طريق محمد بن

الحارث العسكري، ثنا أحمد بن عبيد الله بن الحسن العنبري قال: وجدت في كتاب أبي وساق الحديث.

قال البيهقي: «لم نعلم لهذا الحديث إسناداً صحيحاً قوياً، وذلك لأن عاصم بن عبيد الله بن عمر العمري

ومحمد بن عبيد الله العزمي، ومحمد بن سالم الكوفي كلهم ضعفاء، والطريق إلى عبد الملك العزمي غير

واضح لما فيه من الوجادة وغيرها».

(٨) أخرجه البيهقي (١١/٢) من طريق ابن وهب، أخبرنا الحارث بن نهران، عن محمد بن عبيد الله عن عطاء بن

أبي رباح، عن جابر فذكره.

وقال الدارقطني^(١): قرئ على عبد الله بن عبد العزيز وأنا أسمع: حدثكم داود بن عمرو: حدثنا محمد بن (يزيد)^(٢) الواسطي، عن محمد بن سالم، عن عطاء، عن جابر؛ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير، فأصابنا غيم فتحيرنا؛ فاختلفنا في القبلة، فصلى كل (رجل)^(٣) منا على حدة، وجعل أحدنا يخط بين يديه؛ لنعلم أمكنتنا؛ فذكرنا ذلك للنبي ﷺ، فلم يأمرنا بالإعادة؛ وقال: «قد (أجزأت)^(٤) صلاتكم».

ثم قال الدارقطني: كذا قال: «عن محمد بن سالم، وقال غيره، عن محمد بن عبيد الله العزمي، عن عطاء - وهما ضعيفان -».

ورواه ابن مردويه^(٥) أيضاً من حديث الكلبي، عن أبي صالح؛ عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ بعث سرية؛ فأخذتهم ضبابة فلم يهتدوا إلى القبلة فصلوا لغير القبلة؛ ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلوا لغير القبلة؛ فلما جاءوا إلى رسول الله ﷺ حدثوه؛ فأنزل الله (ﷻ)^(٦) هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

وهذه الأسانيد فيها ضعف، ولعله^(٧) يشد بعضها بعضاً؛ وأما إعادة الصلاة لمن تبين (له)^(٨) خطؤه ففيها قولان للعلماء، وهذه (دلائل)^(٩) على عدم القضاء. والله أعلم.

قال ابن جرير^(١٠): وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي، كما حدثنا^(١١) محمد بن بشار، حدثنا (معاذ بن هشام)^(١٢)، حدثني أبي، عن قتادة - أن النبي ﷺ قال: إن أخاً لكم قد مات، فصلوا عليه. قالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم؟ قال: فنزلت: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ

= وسنده ضعيف جداً. والحاتر بن نبهان منكر الحديث كما قال أحمد والبخاري والفسوي وغيرهم وتركه أبو حاتم والنسائي. وقال ابن معين: «لا يكتب حديثه».

والعزمي مثله أو أضعف منه فقد تركه ابن المبارك ويحيى القطان والفلاس وعلي بن الجنيدي والأزدي. وكذلك تركه ابن مهدي وابن معين وضعفه أبو حاتم الرازي جداً وقال النسائي: «لا يكتب حديثه ليس بثقة».

(١) في «سننه» (٢٧١/١) ومن طريقه البيهقي (١٠/٢).

وأخرجه الحاكم (٢٠٦/١) من طريق أحمد بن علي الخراز؛ والبيهقي (١٠/٢) من طريق أحمد بن بشر والحاتر بن أبي أسامة في «مسنده» (ق١٦/٢ - زوائد) قالوا: ثنا داود بن عمرو بسنده سواء.

قال الحاكم: «هذا حديث محتج برواته كلهم غير محمد بن سالم فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح». فتعقبه الذهبي قائلاً: «هو أبو سهل، واه».

(٢) في (ل): «زيد»!

(٣) ساقط من (ز).

(٤) في (ن): «أجزأت». (٥) وسنده ساقط. والكلبي تالف البتة.

(٦) في (ن): «تعالى».

(٧) هذا بعيد، وإنما تتقوى الأسانيد الضعيفة إذا كان الضعف يسيراً، أما هذه الأسانيد فهي ساقطة عن حد الاحتجاج بها والله أعلم.

(٨) من (ن).

(٩) في «تفسيره» (٥٣٢/٢).

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٨٤٤) وسنده ضعيف لإرساله أو لإعضاله. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/١٠٩) لابن المنذر.

(١٢) في (ز): «هشام بن معاذ»!! وهو خطأ محقق. وهو معاذ بن هشام بن أبي عبد الله الدستوائي أحد الثقات، وجل روايته عن أبيه.

الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ ﴿١٩٩﴾ [آل عمران: ١٩٩] قال قتادة: فقالوا: إنه كان لا يصلي إلى القبلة، فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَسَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾. وهذا غريب. والله أعلم.

(فائدة^(١)):

^(٢) [وقد قيل: إنه كان يصلي إلى بيت المقدس قبل أن يبلغه الناسخ إلى الكعبة، كما حكاه القرطبي^(٣) عن قتادة.

وذكر القرطبي^(٣) ^(٤) [أنه ﷺ لما مات صلى عليه^(٤)]، فأخذ بذلك من ذهب إلى الصلاة على الغائب؛ قال: وهذا خاص عند أصحابنا من ثلاثة أوجه^(٥): أحدها: أنه ﷺ شاهده حين سوى عليه؛ طويت له الأرض.

الثاني: أنه لما لم يكن عنده من يصلي عليه صلى عليه. واختاره ابن العربي. قال القرطبي: ويبعد أن يكون ملك مسلم ليس عنده أحد من قومه على دينه. وقد أجاب ابن العربي عن هذا: لعلمهم لم يكن عندهم^(٢) ^(٦) [شرعية الصلاة على الميت. وهذا جواب جيد.

الثالث: أنه عليه الصلاة والسلام إنما صلى عليه ليكون ذلك كالتأليف لبقية الملوك. (والله أعلم^(٧))^(٦).

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث أبي معشر^(٨) عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين المشرق والمغرب قبلة لأهل المدينة وأهل الشام وأهل العراق» وله مناسبة ها هنا.

وقد أخرجه الترمذي^(٩)، وابن ماجه، من حديث أبي معشر^(٨)، واسمه نجيع بن عبد الرحمن السندي المدني، به: «ما بين المشرق والمغرب قبلة».

وقال الترمذي: «وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة، وتكلم بعض أهل العلم في أبي معشر من قبل حفظه؛ ثم قال الترمذي^(١٠): حدثني الحسن بن (بكر)^(١١) المروزي، حدثنا المعلى بن

(١) من (ن). (٢) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي).

(٣) في «تفسيره» (٨٢/٢).

(٤) كذا في (ج) و(ل)؛ وفي (ن): «إنه لما مات صلى عليه رسول الله ﷺ». وهو أوضح في المعنى.

(٥) وأقوى هذه الوجوه ما اختاره ابن العربي رحمه الله. (٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي).

(٧) من (ن). (٨) ساقط من (ج).

(٩) أخرجه الترمذي (٣٤٢، ٣٤٣)؛ وابن ماجه (١٠١١)؛ والعقيلي في «الضعفاء» (٣٠٩/٤)؛ والطبراني في «الأوسط» (٢٩٢٤) من طريق أبي معشر، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن محمد بن عمرو إلا أبو معشر».

(*) قلت: وهو ضعيف كما قال الترمذي.

(١٠) في «سننه» (٣٤٤) ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٣٢٧/٢) والحسن بن بكر شيخ الترمذي قال مسلمة بن قاسم: «مجهول» أما الحافظ فقال في «التقريب»: «صدوق».

(١١) في (ل): «أبي بكر» وكذلك وقع في «سنن الترمذي» وما ذكرته هو الصواب كما يعلم من «التهذيب».

منصور، حدثنا عبد الله بن جعفر (المخرمي)^(١)، عن عثمان بن محمد بن المغيرة الأخنسي، عن (سعيد)^(٢) المقبري، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)^(٣)، عن النبي ﷺ؛ قال: «ما بين المشرق والمغرب قبله»؛ ثم قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وحكى عن البخاري أنه قال: «هذا أقوى من حديث أبي معشر وأصح».

قال الترمذي: «وقد روى عن غير واحد من الصحابة: «ما بين المشرق والمغرب قبله»؛ منهم: عمر بن الخطاب^(٤)، وعلي^(٥)، وابن عباس^(٦) (رضي الله عنهم أجمعين)^(٧)».

وقال ابن عمر^(٨): «إذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبله إذا استقبلت القبلة».

ثم قال ابن مردويه: حدثنا علي بن أحمد بن عبد الرحمن، حدثنا يعقوب بن يوسف مولى بني

(١) في (ن): «المخزومي» وهو خطأ. قال الترمذي: «وإنما قيل: عبد الله بن جعفر «المخرمي»؛ لأنه من ولد المسور بن مخزومة».

(٢) في (ن): «أبي سعيد»؛ وفي (ك): «شعبة»! وكلاهما خطأ، وهو سعيد بن أبي سعيد المقبري.

(٣) من (ن).

(٤) أما أثر عمر بن الخطاب ﷺ فصحيح.

أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٢، ٣٦١/٢) قال: حدثنا أبو أسامة وعبد الرزاق (ج ٢/رقم ٣٦٣٣) عن الثوري؛ والبيهقي (٩/٢) من طريق يحيى بن سعيد القطان قالوا: ثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر. وهذا سند صحيح وعبيد الله بن عمر من نجوم أصحاب نافع. وتابعه نافع بن أبي نعيم فرواه عن نافع بسنده سواء وزاد: «إذا توجهت قبل البيت»؛ أخرجه البيهقي (٩/٢) من طريق خالد بن مخلد، ثنا نافع بن أبي نعيم. وهذا متابعة جيدة. وتابعه أيضاً عبد الله العمري، عن نافع بسنده سواء، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٢/٢) قال: حدثنا وكيع نا العمري. والعمري ضعيف لكنه متابع. وقد أشار البيهقي إلى أن آخرين روه عن نافع هكذا.

ولكن خالفهم مالك فرواه في «الموطأ» (٨/١٩٦/١) عن نافع أن عمر بن الخطاب وذكره مثل لفظ نافع بن أبي نعيم. وتابعه أيوب السخيتاني فرواه عن نافع قال: قال عمر بن الخطاب... أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٣٦٢) قال: حدثنا ابن عليه، عن أيوب. وهذا منقطع بين نافع وعمر بن الخطاب والرواية الموصولة صحيحة. والله أعلم.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٢/٢) قال: حدثنا وكيع قال: نا إسرائيل، عن عبد الأعلى عن عامر الشعبي، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب قال: ما بين المشرق والمغرب قبله.

(*) قلت: وكذا وقع في «المصنف»: «عبد الأعلى عن عامر الشعبي» وهو عندي خطأ محض، وصوابه: «عبد الأعلى بن عامر الثعلبي» وهو يروى عن أبي عبد الرحمن السلمي واسمه: عبد الله بن حبيب. وسند هذا الأثر ضعيف لضعف عبد الأعلى.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة أيضاً وفي سنده عبد الأعلى بن عامر الثعلبي.

(٧) من (ن).

(٨) أخرجه الترمذي (١٧٤/٢) معلقاً ووصله ابن أبي شيبة (٣٦٢/٢) قال: حدثنا وكيع، نا المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن عمر وهذا سند جيد والمسعودي اسمه: عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة كان اختلط. ولكن سماع وكيع منه قديم فإنه سمع منه بالكوفة كما قال أحمد وغيره. وقد خالفه حجاج بن أرطاة فرواه عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو. ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (٣٣٢) من طريق حماد بن سلمة عن حجاج. وسأل أباه عنه فرجح رواية المسعودي وأن الأثر عن «ابن عمر» لا عن «ابن عمرو».

هاشم، حدثنا شعيب بن أيوب، حدثنا ابن نمير، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ؛ قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة».

وقد رواه الدارقطني^(١) والبيهقي؛ وقال: «المشهور عن ابن عمر، عن عمر (رضي الله عنه)^(٢)، قوله».

قال ابن جرير^(٣): ويحتمل فأينما تولوا وجوهكم في دعائكم لي فهناك وجهي أستجيب لكم دعاءكم؛ كما حدثنا القاسم^(٤)، حدثنا الحسين، حدثني حجاج؛ قال: قال ابن جريج: قال مجاهد: لما نزلت: ﴿أَدْعُوهُمْ أَتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] قالوا: إلى أين؟ فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

قال ابن جرير^(٥): ومعنى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْكُمْ﴾ يسع خلقه كلهم بالكفاية والجود والإفضال. وأما قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ فإنه يعني عليم بأعمالهم، ما يغيب عنه منها شيء، ولا يعزب عن علمه؛ بل هو بجميعها عليم.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَمْ يَلَمَّْا مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَمْ قَلِنُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾.

اشتملت هذه الآية الكريمة والتي (تليها)^(٦) على الرد على النصارى، عليهم لعائن الله، وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب؛ (من)^(٧) جعل الملائكة بنات الله، فأكذب الله جميعهم في دعواهم، وقولهم: إن لله ولداً؛ فقال تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً.

﴿بَلْ لَمْ يَلَمَّْا مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ليس الأمر كما افتروا؛ وإنما له ملك السماوات والأرض (ومن فيهن)^(٨)؛ وهو المتصرف فيهم، وهو خالقهم ورازقهم، ومقدرهم ومسخرهم، ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء؛ والجميع عبيد له وملك له؛ فكيف يكون له ولد منهم؟ والولد إنما يكون متولداً من الشئين متناسبين، وهو تبارك وتعالى ليس له نظير، ولا مشارك في عظمته وكبريائه، ولا صاحبة له؛ فكيف يكون له ولد؟ كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴿٩٠﴾ أَنْ

(١) أخرجه الحاكم (٢٠٥/١) وعنه البيهقي (٩/٢) قال: حدثنا أبو علي محمد بن علي الإسفرائيني؛ وأخرجه الدارقطني (٢٧٠/١)، ومن طريقه الضياء في «المختارة» (ج ٧٣/ق ٥٦٥/٢) قالوا: يعني الدارقطني وشيخ الحاكم، ثنا أبو يوسف يعقوب بن يوسف الواسطي ثنا شعيب بن أيوب بهذا الإسناد سواء.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فإن شعيب بن أيوب ثقة وقد أسنده». وقال البيهقي: «تفرد به يعقوب بن يوسف الخلال والمشهور رواية الجماعة: حماد بن سلمة، وزائدة بن قدامة، ويحيى بن سعيد وغيرهم، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قوله». انتهى.

(٢) من (ن). (٣) في «تفسيره» (٥٣٤/٢ - شاکر).

(٤) هو في «تفسير ابن جرير» (١٨٤٧) وسنده ضعيف. (٥) في «تفسيره» (٥٣٧/).

(٦) في (ز) و(ض): «قبلها». (٧) في (ز) و(ض) و(ن): «ممن».

(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(ك).

دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَخَصَّنَّمْ وَعَدَّهَمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ [مريم] وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

(فقرر)^(١) تعالى في هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم الذي لا نظير له ولا شبهة له، وأن جميع الأشياء غيره مخلوقة له مربوبة، فكيف يكون له منها ولد؟

ولهذا قال البخاري^(٢) في تفسير هذه الآية من البقرة: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن عبد الله بن أبي الحسين، حدثنا نافع بن جبير - هو ابن مطعم - عن ابن عباس، عن النبي ﷺ؛ قال: «قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي فيزعم أنني لا أقدر أن أعيده كما كان. وأما شتمه إياي فقلوه: إن لي ولداً (فسبحاني)^(٣) أن اتخذ صاحبةً أو ولداً».

انفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقال ابن مردويه^(٤): حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي، حدثنا (إسحاق)^(٥) بن محمد الفروي، حدثنا مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم (ولم ينبغ)^(٦) له أن يكذبني، وشتمني (ولم ينبغ)^(٦) له أن يشتمني، (أما)^(٧) تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون عليّ (من إعادته)^(٨). وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً. وأنا الله الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد».

وفي «الصحيحين»^(٩) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله؛ إنهم يجعلون له ولداً، وهو يرزقهم ويعافيهم».

وقوله (تعالى)^(١٠): ﴿كُلُّ لَمْ قَلْبُنُونَ﴾ قال ابن أبي حاتم^(١١): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أسباط، عن مطرف، عن عطية، عن ابن عباس؛ قال: (قانتين) مصلين.

(١) في (ك): «يقرر».

(٢) في «كتاب التفسير» (١٦٨/٨ - فتح) وفي سياق المصنف هنا تغيير يسير. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ١٠/رقم ١٠٧٥١) قال: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة، ثنا أبو اليمان بسنده سواء.

(٣) كذا في (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «صحيح البخاري»؛ وفي (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ي): «سبحاني».

(٤) أخرجه البخاري في «كتاب التفسير» (٧٣٩/٨). (٥) في (ن): «محمد بن إسحاق»!

(٦) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ي)؛ وفي (ن): «ما ينبغي» في الموضعين؛ وفي (ز) و(ل): «ولم ينبغي» بإثبات الياء في الموضع الأول.

(٧) في (ن): «فأما».

(٩) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥١١/١٠). (١٠) من (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي).

(١١) في «تفسيره» (١١٣٨) وفي إسناده عطية العوفي وهو ضعيف.

وقال عكرمة^(١)، وأبو مالك^(٢): ﴿كُلُّ لَوْ قَلْبُنُونَ﴾^(٣) مقرون له بالعبودية.

وقال سعيد بن جبیر^(٤): كل له قانتون: يقول: الإخلاص.

وقال الربيع بن أنس^(٥): يقول: ﴿كُلُّ لَوْ قَلْبُنُونَ﴾^(٣) (يقول)^(٦): قائم يوم القيامة.

وقال السدي^(٧): ﴿كُلُّ لَوْ قَلْبُنُونَ﴾ (يقول)^(٨) مطيعون يوم القيامة.

وقال خصيف^(٩)، عن مجاهد: ﴿كُلُّ لَوْ قَلْبُنُونَ﴾ قال: مطيعون؛ كن إنساناً فكان، وقال: كن حماراً فكان.

وقال ابن أبي نجیح^(١٠)، عن مجاهد: ﴿كُلُّ لَوْ قَلْبُنُونَ﴾: مطيعون (يقول)^(١١): طاعة الكافر في سجود ظله وهو كاره. وهذا القول عن مجاهد، وهو اختيار ابن جرير يجمع الأقوال كلها؛ وهو أن القنوت والطاعة والاستكانة إلى الله، (وذلك)^(١٢) شرعي وقدري؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ [الرعد].

وقد ورد حديث فيه بيان القنوت في القرآن ما هو المراد به؛ كما قال ابن أبي حاتم^(١٣): حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث - أن دراجاً أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة».

وكذا رواه الإمام أحمد، عن (حسن)^(١٤) بن موسى، عن ابن لهيعة، عن دراج بإسناده، مثله. ^(١٥) [ولكن هذا الإسناد ضعيف]^(١٥) لا يعتمد عليه، ورفع هذا الحديث منكر؛ وقد يكون من (كلام)^(١٦) الصحابي، أو من دونه. والله أعلم.

(١) أخرجه ابن جرير (١٨٥٦) عن يحيى بن واضح؛ وابن أبي حاتم (١١٣٩) عن علي بن الحسين بن واقد قالاً: ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي، عن عكرمة وسنده جيد.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم (٣٥٠/١) ولم أقف عليه. وإسناده في الغالب هو إسناد السدي. فإن يكنه فهو حسن. والله أعلم.

(٣) من (ن).

(٤) أخرجه ابن جرير (٤٠٣/٦) من طريق الحماني؛ وابن أبي حاتم (١١٤١) من طريق يحيى بن إسحاق وحبان ثلاثتهم عن ابن المبارك، عن شريك، عن سالم الأفتس عن سعيد بن جبیر. ولفظ ابن جرير: ﴿يَنْمِرِيْكَ أَفْتَقِيْ لِرَبِّكَ﴾ [آل عمران: ٤٣] قال سعيد: قال: أخلصي لربك. [وسنده حسن].

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٤٠). [وسنده جيد]. (٦) في (ن): «أي».

(٧) أخرجه ابن جرير (١٨٥٣). [وسنده حسن]. (٨) في (ن): «قال».

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٧) بسند ضعيف.

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٨٥١)؛ وابن أبي حاتم (١١٣٦) من طريقين عن أبي نجیح، عن مجاهد. وهو في «تفسير [آدم بن أبي إياس المنسوب إلى] مجاهد» (ص ٢١٢). [وسنده صحيح].

(١١) في (ن): «قال».

(١٢) في «تفسيره» (١١٣٥) وهو حديث ضعيف.

وأخرجه ابن حبان (١٧٢٣ - موارد)؛ والحكيم الترمذي في «نواذر الأصول» (ج ٣/ق ٢٥٤/١)؛ والطبراني في «الأوسط» (٥١٨١)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣٢٥/٨) من طرق عن عبد الله بن وهب بهذا الإسناد سواء.

(١٤) في (ج): «حسين»! وهو حسن بن موسى الأشيب من ثقات شيوخ أحمد.

(١٥) في (ن): «ولكن في هذا الإسناد ضعف».

(١٦) في (ك): «حديث».

وكثيراً ما يأتي بهذا الإسناد تفاسير فيها نكارة، فلا يغتر بها؛ فإن السند ضعيف. والله أعلم.
وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما على غير مثال سبق؛ قاله مجاهد، والسدي^(١): وهو مقتضى اللغة؛ ومنه يقال للشيء المحدث: بدعة، كما جاء في «صحيح مسلم»^(٢): «فإن كل محدثة بدعة».

والبدعة على قسمين: تارة تكون بدعةً شرعيةً؛ كقوله: «فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»؛ وتارة تكون بدعةً لغويةً؛ كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم: «نعمت البدعة هذه»^(٣).

وقال ابن جرير^(٤): ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما، وإنما هو «مفعّل»، فصرف إلى «فعليل»، كما صرف «المؤلم» إلى «الأليم»، و«المسمع» إلى «السميع». ومعنى المبدع: المنشئ والمحدث ما لا يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد.

قال^(٥): ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعاً؛ [لإحداثه فيه ما لم (يسبق)^(٦) إليه غيره، وكذلك كل محدث قولاً أو فعلاً لم يتقدم فيه متقدم، فإن العرب تسميه مبتدعاً]^(٥) ومن ذلك قول أعشى بن ثعلبة في مدح هوزة بن علي الحنفي:

(١) أخرجه ابن جرير (١٨٥٩) قال: حدثني موسى، وابن أبي حاتم (١١٤٣) قال: حدثنا أبو زرعة قال: ثنا عمرو بن حماد بن طلحة، ثنا أسباط، عن السدي قال: ابتدعها، فخلقها، ولم يخلق قبلها شيء فيمثل به. لفظ ابن جرير.

وعند ابن أبي حاتم: «لم يخلق قبلها شيئاً». [وسنده حسن].

(٢) كذا قال المصنف رحمته الله، ولم يخرج مسلم هذا المقطع من الحديث.

وأخرجه الدارمي (٦١/١) من طريق يحيى بن سليم؛ وأحمد (٣/٣١٠، ٣١١) قال: حدثنا مصعب بن سلام؛ وأبو يعلى (٢١١٩) من طريق وهيب ثلاثتهم عن جعفر بن محمد هذا الإسناد مطولاً ومختصراً ولم يقع عند واحد منهم: «كل محدثة بدعة».

إنما وقع هذا اللفظ في رواية سفيان الثوري عن جعفر بن محمد بهذا الإسناد وفيه: «... وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» أخرجه مسلم (٤٣/٨٦٧) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع، عن سفيان به ولكنه لم يسق لفظه وقال: «بمثل حديث الثقي» ومعنى قوله: «بمثل» أن لفظ الثوري مثل لفظ عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وقد تقدم أن رواية الثقي ليس فيها هذا المقطع من الحديث. ولكن أخرجه أحمد (٣/٣٧١)؛ والبيهقي (٣/٢١٤) من طريق ابن أبي شيبة قال: ثنا وكيع، عن سفيان الثوري بهذا الإسناد وعندهم: «كل محدثة بدعة» ورواه أيضاً عبد الله بن المبارك، عن سفيان الثوري بهذا الإسناد مثل رواية وكيع لكنه زاد: «وكل ضلالة في النار»؛ أخرجه النسائي في «المجتبى» (٣/١٨٨، ١٨٩)؛ وفي «كتاب العلم» (٣/٤٤٩، ٤٥٠ - الكبرى)؛ وابن خزيمة (١٧٨٥)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٣/١٨٩) من طريق عتبة بن عبد الله، قال: أنبأنا ابن المبارك. وهذا في «مسنده» (٨٧) مختصراً، عن سفيان الثوري وتابعه حبان بن موسى ثنا ابن المبارك بسنده سواء.

أخرجه الآجزي في «الشريعة» (ص ٤٥)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٨٢) وقال أبو نعيم: «صحيح ثابت».

(٣) أخرجه البخاري في «كتاب صلاة التراويح» (٤/٢٥٠).

(٤) في «تفسيره» (٢/٥٤٠).

(٥) ساقط من (ج).

(٦) في (ك) و(ن): «يسبقه» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

يُرعى^(١) إلى قول سادات الرجال إذا أبدوا له الحزم أو ما شاءه ابتدعا أي: يحدث ما شاء.

قال ابن جرير^(٢): فمعنى الكلام: سبحان الله (أَنَّى) ^(٣) يكون (الله) ^(٤) ولد وهو مالك ما في السماوات والأرض، تشهد له جميعها بدلالتها عليه بالوحدانية، وتقر له بالطاعة، وهو بارئها وخالقها وموجدتها من غير أصل ولا مثال احتذاها عليه؛ وهذا إعلام من الله (عباده) ^(٥) أن ممن (يشهد له) ^(٦) بذلك المسيح الذي أضافوا إلى الله بنوته، وإخبار منه لهم أن الذي ابتدع السماوات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذي ابتدع المسيح عيسى من غير والد بقدرته؛ وهذا من ابن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلام جيد وعبرة صحيحة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يبين بذلك تعالى كمال قدرته، (وعظيم) ^(٧) سلطانه، وأنه إذا قَدَّرَ أمراً، وأراد كونه، فإنما يقول له: كن؛ أي: مرة واحدة، فيكون؛ أي: فيوجد على وفق ما أراد؛ كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحْدَةً كُلَّمَجَّ بِالْبَصْرِ﴾ [القمر].

وقال الشاعر:

إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له كن قوله فيكون
ونبه تعالى (بذلك) ^(٨) أيضاً على أنه خلق عيسى بكلمة «كن»، فكان كما أمره الله؛ قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْتُمُوهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

قال محمد بن إسحاق^(٩): حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: قال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ: يا محمد، إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه؛ فأنزل الله في ذلك من قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾.

(٢) في «تفسيره» (٥٤١/٢).

(١) يرعى: يصغى.

(٣) في (ن): «أن».

(٤) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ل) و(ي)؛ وفي (ن): «له» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(٥) في (ن): «عباده».

(٦) في (ج): «شهد له».

(٧) في (ج): «عظم».

(٨) في (ج): «ذلك».

(٩) أخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢٠٢/٢)، ومن طريقه ابن جرير (١٨٦٢)؛ وابن أبي حاتم

(١١٤٧) من طريق سلمة بن الفضل، زاد ابن جرير: ويونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق بسنده

سواء. [وسنده حسن].

(١) [وقال (ابن أبي نجيج، عن) (٢) مجاهد (في قوله) (٣): ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾] (١) قال: النصارى تقوله، وهو اختيار ابن جرير؛ قال: لأن السياق فيهم. وفي ذلك نظر.

(٤) [وحكى القرطبي (٥): ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أي: يخاطبنا بنبوتك يا محمد. قلت: وهو ظاهر السياق. والله أعلم] (٤).

وقال أبو العالية (٦)، والربيع بن أنس (٧)، وقتادة (٨)، والسدي (٩) في تفسير هذه الآية: هذا قول كفار العرب.

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ قالوا: هم اليهود والنصارى. ويؤيد هذا القول وأن القائلين ذلك هم مشركو العرب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (١٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (١١) أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (١٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب وعتوهم وعنادهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به؛ إنما هو الكفر والمعاندة، كما قال من قبلهم من الأمم الخالية من أهل الكتابين وغيرهم؛ كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في

(١) ساقط من (ض).

(٢) من (ك).

وهذا الأثر في «تفسير مجاهد» (ص ٢١٢) من طريق آدم بن أبي إياس نا ورقاء عن ابن أبي نجيج عن مجاهد؛ وأخرجه ابن أبي حاتم (١١٤٩) من طريق شاذان عن ورقاء به؛ وأخرجه ابن جرير (١٨٦٠) من طريق عيسى بن ميمون الجرشى. وأيضاً (١٨٦١) من طريق شبل بن عباد كلاهما عن ابن أبي نجيج به. [وسنده صحيح].

(٣) ساقط من (ن)؛ وفي (ك): «في قول الله ﷻ».

(٤) من (ج) و(ل) و(ن).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٤٨). [وسنده جيد].

(٥) في «تفسيره» (٩٢/٢).

(٧) أخرجه ابن جرير (١٨٦٤). [وسنده جيد].

(٨) أخرجه ابن جرير (١٨٦٣). [وسنده صحيح].

(٩) أخرجه ابن جرير (١٨٦٥). [وسنده حسن].

الكفر والعناد والعتو؛ كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ (٥٢) اتَّوَصَوْا بِهِ. بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣)﴾ [الذاريات].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ﴾ أي: قد أوضحنا الدلالات على صدق الرسل بما لا يحتاج معها إلى سؤال آخر، وزيادة أخرى لمن (أيقن)^(١) وصدق، واتبع الرسل، وفهم ما جاءوا به عن الله تبارك وتعالى. وأما من ختم الله على قلبه وسمعه، وجعل على بصره غشاوة، فأولئك قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)﴾ [يونس].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١٨٠)﴾

قال ابن أبي حاتم^(٣): حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن (عبيد الله)^(٤) الفزاري، عن شيبان النحوي، أخبرني قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ؛ قال: «أنزلت على ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ قال: بشيراً بالجنة، ونذيراً من النار».

وقوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ قراءة (أكثرهم)^(٥): ولا تسأل - بضم التاء على الخبر. وفي قراءة أبي بن كعب: «وما تسأل». وفي قراءة ابن مسعود: «ولن تسأل عن أصحاب الجحيم»^(٦)؛ نقلها ابن جرير؛ أي: لا نسألك عن كفر من كفر بك؛ كقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] وكقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٢٢)﴾ [الغاشية] وكقوله تعالى: ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)﴾ [ق] وأشباه ذلك من الآيات.

وقرأ آخرون: «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم» - بفتح التاء على النهي؛ أي: لا تسأل عن حالهم، كما قال عبد^(٧) الرزاق: أخبرنا الثوري، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب

(١) في (ك): «اتقى».

(٢) في هامش (ع): «بلغ مقابلة بقراءة المصنف معارضاً بأصله فسخ الله في مدته».

(٣) في «تفسيره» (١١٥٥، ١١٥٦) وسنده ضعيف وعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله قال أبو حاتم، كما في «الجرح والتعديل» (٢/٢٨٢): «ليس بقوي» وذكره ابن حبان في «الثقات» (٩١/٧) وقال: «يعتبر بحديثه من غير روايته عن أبيه». وقاتدة لم يصرح بتحديث. والله أعلم.

(٤) في (ع) و(ك) و(ن) و(ي): «عبد الله»!

(٥) كذا في (ج) و(ل) و(ن)؛ وفي (ز) و(ض) و(ع) و(ك) و(ي): «بعضهم» وما أثبتته هو الصواب. وقرأ نافع ويعقوب: «ولا تسأل».

(٦) [وهي قراءة شاذة].

(٧) في «تفسيره» (٥٩/١) ومن طريقه ابن جرير في «تفسيره» (١٨٧٦).

وتابع الثوري. تابعه سفيان بن عيينة، فرواه عن موسى بن عبيدة بسنده سواء.

أخرجه ابن أبي حاتم (١١٥٨) قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا سفيان. وتابعه أيضاً وكيع بن الجراح عن موسى بن عبيدة بسنده سواء؛ أخرجه ابن جرير (١٨٧٥) قال: حدثنا أبو كريب، قال: =

القرظي؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليت شعري ما فعل أبوي. ليت شعري ما فعل أبوي. ليت شعري ما فعل أبوي؟ فنزلت: «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم»؛ فما ذكرهما حتى توفاه الله ﷻ. ورواه ابن جرير، عن أبي كُريب، عن وكيع، عن موسى بن عبيدة (به مثله) ^(١) ^(٢) [وقد تكلموا ^(٣) فيه عن محمد بن كعب بمثله. وقد حكاه القرطبي ^(٤)، عن ابن عباس، ومحمد بن كعب؛ قال القرطبي ^(٤): وهذا كما يقال: لا تسأل عن فلان؛ أي: قد بلغ فوق ما تحسب، وقد ذكرنا في «التذكرة» ^(٥) أن الله أحيا له أبويه وأجنا عن قوله ^(٢): ^(٦) [«إن أبي وأباك في النار»]. قلت: والحديث المروي في حياة أبويه ﷺ ليس في شيء من الكتب الستة، ولا غيرها (من المعتمدة) ^(٧)، وإسناده ضعيف ^(٨) ^(٦). ^(٩) [والله أعلم].

ثم قال (ابن جرير) ^(١٠): وحدثني القاسم ^(١١)، أخبرنا الحسين، حدثني حجاج، عن ابن جريح، أخبرني داود بن أبي عاصم: أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «أين أبوي؟» فنزلت: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ ^(١٢). وهذا مرسل كالذي قبله.

وقد رد ابن جرير ^(١٢) هذا القول المروي عن محمد بن كعب (القرظي) ^(١٣) وغيره في ذلك، لاستحالة الشك من الرسول ﷺ في أمر أبويه؛ واختار القراءة الأولى ^(١٤)؛ وهذا الذي سلكه ها

= حدثنا وكيع. وسنده ضعيف جداً. وموسى بن عبيدة ضعيف جداً، ثم هو مرسل.

(١) من (ز) و(ض) و(ع) و(ي).
(٢) ساقط من (ز) و(ض) و(ع)، وقد وردت هذه الفقرة في (ج) و(ل) قبل الفقرة السابقة بعد قوله: «نقلها ابن جرير»، وترتيبها مشوش.

(٣) يعني أن النقاد تكلموا في موسى بن عبيدة. (٤) في «تفسيره» (٩٢/٢).

(٥) (٥٨/١، ٥٩) وذكر حديثاً أخرجه ابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ» (٦٥٦) من طريق أحمد بن يحيى الحضرمي، والمحب الطبري في «سيرته»، كما في «سبل الهدى والرشاد» (١٦٥/٢) للصالح، من طريق القاضي أبي بكر محمد بن عمر بن محمد بن الأخضر قالوا: ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل إلى الحجون كثيراً فقام به ما شاء الله ﷻ، ثم رجع مسروراً، فقلت: يا رسول الله نزلت إلى الحجون كثيراً، فأقامت به ما شاء الله، ثم رجعت مسروراً! قال: «سألت ربي ﷻ فأحيا لي أُمي، فأمنت بي ثم ردها».

وهذا حديث باطل. قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٢٨١): «حديث منكر جداً» وقال الذهبي في «الميزان» (٢/٦٨٤) في ترجمة «عبد الوهاب بن موسى»: «لا يدرى من ذا الحيوان الكذاب، فإن هذا الحديث، يعني حديث عائشة هذا، كذب مخالف لما صح أنه ﷺ استأذن ربه في الاستغفار لها فلم يأذن له». انتهى.

(٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ع). (٧) من (ج) و(ك) و(ل).

(٨) بل ضعيف جداً، وقد حكم عليه ابن كثير فقال: «منكر جداً» كما مر قبل قليل.

(٩) ساقط من (ز) و(ض) و(ع). (١٠) من (ج) و(ع) و(ل) و(ن) و(ي).

(١١) هو في «تفسير ابن جرير» (١٨٧٧) وسنده ضعيف لإعضاله أو إرساله.

(١٢) في «تفسيره» (٥٦٠/٢). (١٣) من (ج) و(ل).

(١٤) وهي قراءة العامة من القراءة ﴿تُسْأَلُ﴾ بضم التاء واللام.

هنا فيه^(١) نظر، لاحتمال أن هذا كان^(٢) [في حال استغفاره لأبويه]^(٣) قبل أن يعلم أمرهما؛ فلما علم ذلك تبرأ منهما، وأخبر عنهما أنهما من أهل النار، كما ثبت هذا في «الصحيح»^(٤)، ولهذا أشباه كثيرة ونظائر، ولا يلزم ما (ذكره)^(٥) ابن جرير. والله أعلم.

وقال الإمام أحمد^(٦): أخبرنا موسى بن داود، حدثنا فليح بن سليمان، عن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار؛ قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة: فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين، وأنت عبي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع (السيئة بالسيئة)، ولكن يعفو ويغفر، (ولن يقبضه حتى يقيم به) الملة العوجاء؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً.

انفرد بإخراجه البخاري؛ فرواه في «البيوع» عن محمد بن سنان، عن فليح، به. وقال: تابعه عبد العزيز بن أبي سلمة، عن هلال. وقال سعيد، عن هلال، عن عطاء، عن عبد الله بن سلام. ورواه في «التفسير»^(٧) عن عبد الله، عن عبد العزيز بن أبي سلمة، عن هلال، عن عطاء، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، به. فذكر نحوه؛ فعبد الله هذا هو ابن صالح، كما صرح به في «كتاب الأدب»^(٨).

(١) نظر في هذا النظر الشيخ محمود شاكر رحمه الله في تعليقه على «تفسير الطبري» (٥٦١/٢) وقال: «ينسى ابن كثير غفر الله له، ما أعاد الطبري وأبدأ من ذكر سياق الآيات المتتابعة، والسياق كما قال هو في ذكر اليهود والنصارى وقصصهم، وتشابه قلوبهم في الكفر بالله، وقلة معرفتهم بعظمة ربهم، وجرأتهم على رسل الله وأنبيائه، وكل ذلك موجب عذاب الجحيم، فما الذي أدخل كفار العرب في هذا السياق؟ نعم إنهم يدخلون في معنى أنهم من أصحاب الجحيم، كما يدخل فيه كل مشرك من العرب وغيرهم. وقد بينا أن هذه الآيات السالفة والتي تليها، دالة أوضح الدلالة على أن قصتها كلها في اليهود والنصارى، ولا شأن لمشركي العرب بها. وإن دخل هؤلاء المشركون في معنى أنهم من أصحاب الجحيم، وإذن فسياق الآيات يوجب أن تكون في اليهود والنصارى، فتخصيص شطر من آية بأنه نزل في أمر بعض مشركي الجاهلية. تحكم بلا خبر ولا بينة».

(٢) ساقط من (ج) و(ل).

(٣) يشير إلى ما أخرجه البخاري (٢٢٢/٣؛ ١٩٣/٧؛ ٣٤١/٨؛ ٥٠٦؛ ٥٦٦/١١)؛ ومسلم (٣٩/٢٤)،

(٤) وغيرهما من طرق عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه المسيب بن حزن.

(٥) في (ز) و(ض) و(ن): «ذكر».

(٦) في «مسنده» (١٧٤/٢)؛ وأخرجه البخاري في «البيوع» (٣٤٢/٤، ٣٤٣).

(٧) في «تفسير سورة الفتح» (٥٨٥/٨).

(٨) وسبق المصنف إلى ذلك الترجيح شيخه: أبو الحجاج المزي في «تحفة الأشراف» (٣٦٤/٦) فتعقبه الحافظ ابن حجر في «النكت الظراف» (٣٦٣/٦، ٣٦٤) قال: «وأما قول المزي: إن البخاري أخرجه في «الأدب المفرد» عن عبد الله بن صالح، فقد تلقفه عنه الذهبي وجزم بأنه المراد في «الصحيح». قلت: وهو محتمل لكن مع ذلك لا يحسن الجزم به لما وقع من رواية أبي زر، بل نقلها أولى أن يعتمد، فلا مانع أن يكون للبخاري شيخان كل منهما يسمى: عبد الله. انتهى وسبق المزي إلى هذا الترجيح أبو علي الجاني.

أودعه في «صحيحه». والله أعلم.

وزعم أبو مسعود الدمشقي^(١) أنه عبد الله بن رجاء.

وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من «البقرة»، عن أحمد بن الحسن بن أيوب، عن محمد بن أحمد بن البراء، عن المعافى بن سليمان، عن فليح، به. وزاد^(٢) قال عطاء: ثم لقيت كعب الأحبار، فسألته فما اختلفا في حرف إلا أن كعباً قال بلغته: أعيناً عمومي، وأذاناً صمومي، وقلوباً غلوفاً.

﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ بِدَلِيلٍ جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١٢٠) الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾.

قال ابن جرير^(٣): (يعني)^(٤) بقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ أي: قل يا محمد: إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى؛ يعني: هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل.

قال قتادة^(٥) في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ قال: خصومة علمها الله محمداً ﷺ وأصحابه، يخاصمون بها أهل الضلالة؛ قال قتادة: وبلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تزال طائفة من أمتي (يقتتلون)^(٦) على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

قلت: هذا الحديث مخرج في (الصحيح)^(٧) عن عبد الله بن عمرو^(٨).

﴿وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ بِدَلِيلٍ جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فيه تهديد ووعيد

(١) ووافقه على ذلك البيهقي في «الدلائل» (٣٧٥/١) فأخرج الحديث من طريق عبد الله بن رجاء ثنا عبد العزيز. ثم قال: «رواه البخاري في «الصحيح» عن عبد الله غير منسوب عن عبد العزيز بن أبي سلمة. قيل: هو ابن رجاء، وقيل: هو ابن صالح، والأشبه أن يكون ابن رجاء. والله أعلم». انتهى وكأن البدر العيني يذهب إلى ذلك فقال في «عمدة القارى» (٢٤٣/١١، ٢٤٤): «وقال أبو مسعود الدمشقي: هو عبد الله بن محمد بن رجاء. وقال الجياني: هو عبد الله بن صالح كاتب الليث، والحاكم قطع على أن البخاري لم يخرج في «صحيحه» عن عبد الله بن صالح كاتب الليث». انتهى.

(٢) هذا التخريج من المصنف ﷺ يوهم أن هذه الزيادة لم تقع إلا عند ابن مردويه من رواية المعافى بن سليمان عن فليح، وليس كذلك بل ذكرها من خرجوا الحديث ممن ذكرناهم وفيهم الإمام أحمد الذي ذكر المصنف روايته، ولكن البخاري لم يخرجها.

(٣) في «تفسيره» (٥٦٢/٢) وسياقه أطول. (٤) ساقط من (ج) و(ل) وعندهما: «في قوله».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٠) وسنده ضعيف معضل أو مرسل.

(٦) كذا في سائر «الأصول»، وكذلك هو في «تفسير ابن أبي حاتم». ووقع في (ن): «يقاتلون».

(٧) في (ج) و(ل): «الصحيحين» وهو خطأ فالحديث من مفاريد مسلم.

(٨) أخرجه مسلم (١٩٢٤/١٧٦).

شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة عياداً بالله من ذلك؛ فإن الخطاب مع الرسول (والأمة مرادة)^(١).

^(٢) [وقد استدل كثير من الفقهاء بقوله: ﴿تَبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ حيث أفرد الملة، على أن الكفر كله ملة واحدة؛ كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (١) [الكافرون] فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار، وكل منهم يرث قرينه سواء كان من أهل دينه أم لا؛ لأنهم كلهم ملة واحدة. وهذا مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد في رواية عنه.

وقال في الرواية الأخرى كقول مالك: إنه لا يتوارث أهل ملتين شتى؛ كما جاء في الحديث^(٣). والله أعلم^(٤).

وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى﴾ قال عبد الرزاق^(٥)، عن معمر، عن قتادة: هم اليهود والنصارى؛ وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(٦)، واختاره ابن جرير^(٧). وقال سعيد^(٨)، عن قتادة: هم أصحاب رسول الله ﷺ.

وقال ابن أبي حاتم^(٩): حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن موسى، وعبد الله بن عمران الأصبهاني؛ قالوا: حدثنا يحيى بن يمان، حدثنا أسامة بن زيد، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب ^{رضي الله عنه} ^{عليه السلام} ^{قال}: إذا مر بذكر الجنة سأل الله الجنة، وإذا مر بذكر النار تعوذ بالله من النار.

وقال أبو العالية^(١٠): قال ابن مسعود: «والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله».

وكذا رواه عبد الرزاق^(١١)، عن معمر، عن قتادة ومنصور بن المعتمر، عن ابن مسعود.

(١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ز) و(ن): «والأمر لأئمة».

(٢) ساقط من (ز) و(ض) و(ع) و(ي). وجاءت هذه الفقرة في (ك) متأخرة.

(٣) حديث صحيح.

أخرجه أبو داود (٢٩١١)؛ وابن ماجه (٢٧٣١)؛ وأحمد (١٧٨/٢، ١٩٥)؛ وسعيد بن منصور (١٣٧)؛ والدارقطني (٧٢/٤، ٧٣)؛ وابن الجارود في «المنتقى» (٩٦٧)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٣٦٤/٨، ٣٦٥) من طرق عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مرفوعاً.

(٤) ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٣).

(٥) أخرجه ابن جرير (١٨٧٩).

(٦) في «تفسيره» (٥٦٥/٢).

(٧) أخرجه ابن جرير (١٨٧٨)؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٨٨) وسنده صحيح.

(٨) في «تفسيره» (١١٦٧) وسنده ضعيف ويحيى بن يمان وأسماء بن زيد متكلم في حفظهما ثم هو منقطع وزيد بن أسلم لم يدرك عمر بن الخطاب ^{رضي الله عنه} ^{عليه السلام}.

(٩) أخرجه ابن جرير (١٨٨٦) قال: حدثت عن عمار، ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: قال ابن مسعود فذكره وسنده ضعيف.

(١٠) في «تفسيره» (٥٦/١، ٥٧) ومن طريقه ابن جرير (١٨٨٧) وسنده ضعيف لانقطاعه.

وقال السدي^(١)، عن أبي مالك، عن ابن عباس - في هذه الآية؛ قال: يحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه عن مواضعه.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن مسعود نحو ذلك.

وقال الحسن البصري^(٢): يعملون بمُحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أُشكل عليهم إلى عالمه.

وقال ابن أبي حاتم^(٣): حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة، أخبرنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال: يتبعونه حق اتباعه؛ ثم قرأ: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ [الشمس] يقول: اتبعها. قال^(٤): وروي عن عكرمة^(٥)، وعطاء^(٦)، ومجاهد^(٧)، وأبي رزين^(٨)، وإبراهيم النخعي^(٩) نحو ذلك.

وقال سفيان الثوري^(١٠): أخبرنا زبيد، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال: يتبعونه حق اتباعه.

^(١١) [قال القرطبي^(١٢): وروى نصر بن عيسى، عن مالك، عن^(١١) ^(١٣)] [نافع، عن ابن عمر^(١٣)،

(١) أخرجه ابن جرير (١٨٨٣) قال: حدثني الحسين بن عمرو العنقزي و(١٨٨٤) قال: حدثني موسى وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٨٦) قال: حدثنا إسحاق بن راهويه. وابن أبي حاتم (١١٦٤) قال: حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان قالوا: ثنا عمرو بن محمد ثنا أسباط بسنده سواء وإسناده جيد كما حققته فيما مضى (٤٨٩/١).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٠١) قال: حدثنا سفيان بن وكيع؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٨٩) قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم وابن أبي حاتم (١١٦٥) من طريق مقاتل بن محمد والفريابي في «فضائل القرآن» (١٦٧) قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم قالوا: ثنا وكيع، عن مبارك، عن الحسن. [وسنده حسن].

(٣) في «تفسيره» (١١٦٦). وهو صحيح. (٤) يعني: ابن أبي حاتم (٣٥٧/١).

(٥) أخرجه أبو عبيد في «الفضائل» (ص ٦١) قال: حدثنا هشيم؛ وأبو داود في «الزهد» (٤٧٠)؛ وابن جرير (١٨٨٢) من طريق يزيد بن زريع. ابن جرير (١٨٨١) من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي وأيضاً (١٩٠٤) من طريق هشيم بن بشير. كلهم عن داود بن أبي هند، عن عكرمة. وسنده صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير (١٩٠٠) من طريق يحيى القطان، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء. وتابعه ابن المبارك، عن عبد الملك بهذا الإسناد؛ أخرجه ابن جرير (١٨٩٤)؛ والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٥، ٣٥). وسنده قوي؛ وأخرجه ابن جرير (١٨٨٩) من وجه آخر عن عطاء.

(٧) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٢١١)؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٨٥) من طريق خصيف؛ وابن جرير (١٨٩٤، ١٨٩٧)؛ والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٥، ٣٥) من طريق عبد الملك بن أبي سليمان؛ وابن جرير (١٨٩٦، ١٨٩٧)؛ وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٨٧) من طريق ابن أبي نجيح. [وسنده صحيح].

(٨) أخرجه ابن جرير (١٨٩٠، ١٨٩١)؛ والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (١١٧) من طرق عن سفيان الثوري، عن منصور، عن أبي رزين به. وسنده صحيح.

(٩) أخرجه الفريابي في «فضائل القرآن» (١٦٦) قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا وكيع، عن الثوري، عن إبراهيم النخعي. وسنده صحيح.

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٨٨٥). [وسنده صحيح]. (١١) ساقط من (ز) و(ض).

(١٢) في «تفسيره» (٩٥/٢). (١٣) ساقط من (ز) و(ض).

(١) [عن النبي ﷺ في قوله: ﴿يَتْلُوْنَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال: «يتبعونه حق اتباعه»؛ ثم قال: في إسناده غير واحد من المجهولين فيما ذكره الخطيب إلا أن معناه صحيح.

وقال أبو موسى الأشعري (٣): من يتبع القرآن يهبط به على (رياض) (٤) الجنة].

[وعن (٥) عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها.

قال (٧): وقد روي هذا المعنى عن النبي ﷺ (٨) أنه كان إذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية عذاب تعوذ] (١).

وقوله: ﴿أَوَلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ خبر عن ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُوْنَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي: من أقام كتابه من أهل الكتب المنزلة على الأنبياء المتقدمين حق إقامته آمن بما أرسلتك به يا محمد، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ...﴾ الآية [المائدة: ٦٦] وقال: ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَقٍّ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨] أي: إذا أقمتموها حق الإقامة، وأمتم بها حق الإيمان، وصدقت ما فيها من الإخبار بمبعث محمد ﷺ ونعته وصفته، والأمر باتباعه ونصره ومؤازرته، فادكم ذلك إلى الحق، واتباع الخير في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) حديث باطل. أخرجه الخطيب في «اقتضاء العلم والعمل» (١١٨) من طريق العباس بن أحمد الخواتيمي، نا العباس بن الفضل الأسروفي، نا أحمد بن عبد العزيز، نا نصر بن عيسى بسنده سواء. وصرح الخطيب في «كتاب الرواة عن مالك» أن في إسناده غير واحد من المجاهيل وهم الخواتيمي وأحمد بن عبد العزيز ونصر بن عيسى. أما الأسروفي فقد اتهمه الذهبي في «الميزان» (٣٨٦/٢) بخبر باطل. ونقل الذهبي في «الميزان» (٢٥٣/٤) كلام الخطيب في ترجمة «نصر بن عيسى» وأعله السيوطي في «الدر المنثور» (١١١/١) فقال: «فيه مجاهيل».

(٣) أخرجه الدارمي (٣١٢/٢)؛ وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٣٤، ٣٥)؛ وفي «الغريب» (١٧٣/٤)؛ وابن الضريس (٦٧)؛ والفريابي (٢٢) كلاهما في «فضائل القرآن»؛ والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٣)؛ وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٨)؛ وابن أبي شيبه (٤٨٤/١٠)؛ و٣٨٦/١٣، ٣٨٧؛ والبيهقي في «الشعب» (ج ٤/رقم ١٨٦٦)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٢٥٧/١)؛ والشجري في «الأمالي» (٨٣/١) من طريق زياد بن مخراق، عن أبي إياس، عن أبي كنانة، عن أبي موسى قال: «إن هذا القرآن كائن لكم أجراً، وكائن لكم ذخراً، وكائن لكم وزراً، فاتبعوا القرآن، ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة، ومن يتبعه القرآن يزخ [يعني: يدفع] في قفاه حتى يقذفه في نار جهنم».

وسقط ذكر «أبي إياس» عند ابن الضريس، وتحرف عند الدارمي إلى «ابن عباس» وهذا سند ضعيف، وأبو كنانة القرشي مجهول كما قال الحافظ.

(٤) في (ج) و(ل): «رياض» وهي صحيحة أيضاً، وانظر «النهاية» (٢٨٩/٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٧) من طريق يحيى بن يمان، ثنا أسامة بن زيد، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب قال: «إذا مر بذكر الجنة سأل الله الجنة، وإذا مر بذكر النار تعوذ بالله من النار». وسنده ضعيف، ويحيى بن يمان سئ الحفظ وأسامة بن زيد فيه ضعف، وزيد بن أسلم لم يدرك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

(٦) من (ج) و(ل). (٧) يعني: القرطبي وهو في «تفسيره» (٩٥/٢).

(٨) أخرجه مسلم (٢٠٣/٧٧٢).

النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿١٥٧﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٥٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٥٨﴾﴾ [الإسراء: ١٥٨] أي: إن كان ما وعدنا به من شأن محمد ﷺ لواقعاً. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٩﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿١٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [الفصل: ١٦١] وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ ءَاسَلِمْتُمْ فَإِنْ ءَسَلَمُوا فَقَدْ اهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠] ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧].

وفي «الصحيح»^(١): «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار».

﴿يَبْنَوْا إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

قد تقدم نظير هذه (الآية)^(٢) في صدر السورة، وكررت ها هنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول ﷺ^(٣) النبي الأمي الذي يجدون صفته في كتبهم، ونعته واسمه، وأمره وأمرته؛ (فحذرهم)^(٤) من كتمان هذا، وكتمان ما أنعم به عليهم، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدنيوية والدينية، ولا يحسدوا بني عمهم من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم، ولا يحملهم ذلك الحسد على مخالفته وتكذيبه (والحيدة)^(٥) عن موافقته، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين^(٦).

(١) أخرجه مسلم (١٥٣/٢٤٠).

(٢) ساقط من (ج).

(٣) من (ج) و(ل).

(٤) في (ز) و(ض): «يحذرهم».

(٥) في (ن): «الحيدة».

(٦) في (ع): «تم المجلد الأول من «كتاب التفسير» تأليف الشيخ الإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي نفع الله به، ويتلوه في الثاني بإذن الله تعالى قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ أُنْتَلَىٰ إِلَهُكُمْ رَبُّكُمْ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

(*) قلت: وبهذا الجزء ينتهي ما عندي من هذه النسخة، والله نسأل أن نظفر بباقيها.

وفي النسخة (ي) ما يأتي: «قوبل على نسخة المصنف ﷺ. آخر المجلد الأول من «كتاب التفسير» تأليف الشيخ الإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي نفع الله به، ويتلوه في الثاني إن شاء الله قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ أُنْتَلَىٰ إِلَهُكُمْ رَبُّكُمْ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد، وآله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. كتبه العبد الحقير عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد التميمي... بيده في العشر الأول من محرم سنة أربع وثمانمائة هجرية، ووفق على أولاده المستفيدين إن شاء الله وله نفسه ثم إياهم حامداً مصلياً مسلماً».

﴿وَلِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٤).

يقول تعالى منهاً على شرف إبراهيم خليله، عليه (الصلاة و) (١) السلام، وأن الله تعالى جعله إماماً للناس يقتدى به في التوحيد، (حين) (٢) قام بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي؛ ولهذا قال: ﴿وَلِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ أي: (واذكر) (٣) - يا محمد - لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين ينتحلون ملة إبراهيم وليسوا عليها، وإنما الذي هو عليها مستقيم فأنت (والذين) (٤) معك من المؤمنين، اذكر لهؤلاء ابتلاء الله إبراهيم؛ أي: (اختباره) (٥) له بما كلفه به من الأوامر والنواهي ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: (قام) (٦) بهن كلهن، كما قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٧) [النجم] أي: وفَّى جميع ما شرع له، فعمل به صلوات الله (وسلامه) (٧) عليه، وقال تعالى: ﴿إِنِّي ابْتَلَيْتُكَ بِكَلِمَاتٍ خَفِيفًا وَثَقِيلًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨) شَاكِرًا لِأَنْعَمِيهِ أَجْتَبَلَهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ﴾ (٩) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَفِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠) [النحل] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَفَقَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَفِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١١) [الأنعام] وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ خَفِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢) إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣) [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ أي: بشرائع وأوامر ونواهي، فإن الكلمات تطلق؛ ويراد بها الكلمات القدريّة؛ كقوله تعالى عن مريم ؑ: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْ الْقَنِينِ﴾ [التحريم: ١٢] وتطلق ويراد بها الشرعية؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَل لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: كلماته الشرعية. وهي إما خبر صدق، وإما طلب عدل إن كان أمراً أو نهياً، ومن ذلك هذه الآية الكريمة: ﴿وَلِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: قام بهن. قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أي: جزاءً على ما فعل، كما قام بالأوامر وترك الزواجر، جعله الله للناس قدوة وإماماً يقتدى به، ويحتذى حذوه.

وقد اختلف (العلماء) (٨) في (تفسير) (٩) الكلمات التي اختبر الله بها إبراهيم الخليل ؑ. فروي عن ابن عباس في ذلك روايات:

فقال عبد الرزاق (١٠)، عن معمر، عن قتادة، قال ابن عباس: ابتلاه الله بالمناسك. وكذا

(١) من (ل).

(٢) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي). ووقع في (ز) و(ض): «حتى».

(٣) في (ج): «فاذكر»؛ وفي (ل): «اذكر».

(٤) في (ل): «والذي».

(٥) في (ج): «إخباره».

(٦) في (ل): «أقام».

(٧) من (ل).

(٨) من (ك).

(٩) في (ن) و(ي): «تعين».

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٩٢٦) قال: حدثنا الحسن بن يحيى؛ وابن أبي حاتم (١١٧٦) قال حدثنا الحسن بن أبي الربيع قال: ثنا عبد الرزاق بسنده سواء. وسنده ضعيف لانقطاعه بين قتادة، وابن عباس وقد صرح =

رواه^(١) أبو إسحاق السبيعي، عن (التميمي)^(٢)، عن ابن عباس.

وقال عبد الرزاق^(٣) - أيضاً - : أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس: «وَلَا يُؤْتَى إِيَّاهُمْ رَيْئُ بَكَلَيْتٍ» قال: ابتلاه الله بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد؛ في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس. وفي الجسد: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد بن المسيب، ومجاهد، والشعبي، والنخعي، وأبي صالح، وأبي الجلد، نحو ذلك.

قلت: وقريب من هذا ما ثبت في «صحيح مسلم»^(٤)، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء». (قال مصعب)^(٥): ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة.

قال وكيع: انتقاص الماء؛ يعني: الاستنجاء.

وفي «الصحيحين»^(٦)، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط». ولفظه لمسلم.

وقال ابن أبي حاتم^(٧): (أخبرنا)^(٨) يونس بن عبد الأعلى، قراءة، أخبرنا ابن وهب، أخبرني

= الحاكم بأن قتادة لم يسمع من صحابي غير أنس؛ وأخرجه ابن جرير (١٩٢٤) من طريق عمر بن نيهان وهو ضعيف جداً، وأيضاً (١٩٢٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة، عن ابن عباس.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٧) معلقاً ووصله ابن جرير (١٩٢٨) من طريق أبي أحمد الزبيري (١٩٢٩) من طريق الحمانى قالاً: ثنا شريك النخعي، عن أبي إسحاق عن التميمي، عن ابن عباس فذكره وسنده ضعيف. وشريك النخعي سبى الحفظ وسمع من أبي إسحاق بآخرة، والتميمي هو أربدة ولم يرو عنه إلا أبو إسحاق، وقد صرح ابن البرقي بجهالته، وذكره أبو العرب القيرواني في جملة الضعفاء، بينما وثقه العجلي وابن حبان، وقد ذكر المزي في «تهذيب الكمال» (٣١١/٢) راوياً آخر عن أربدة غير أبي إسحاق وهو المنهال بن عمرو ولكن السند إليه لا يثبت. والله أعلم.

(٢) في هامش (ج): «اسمه: أربدة».

(٣) في «تفسيره» (٥٧/١)، ومن طريقه ابن جرير في «التفسير» (١٩١٠)؛ وفي «التاريخ» (١٤٤/١)؛ وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٧٢)؛ والحاكم (٢٦٦/٢) وعنه البيهقي (١٤٩/١) قال: أخبرنا معمر بسنده سواء.

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي وهو كما قال. وقال الحافظ في «الفتح» (١٠/٣٣٧): «سنده صحيح عن طاوس». اهـ.

(٤) أخرجه مسلم (٥٦/٢٦١). (٥) ساقط من (ز).

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٤٩/١٠) و (٨٨/١١)، ومسلم (١٤٦/٣) نووي.

(٧) في «تفسيره» (١١٧٥).

وأخرجه ابن جرير (١٩١٤) قال: حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا محمد بن حرب، حدثنا ابن لهيعة بسنده سواء. وهذا سند جيد. وعبد الله بن وهب من قدماء أصحاب ابن لهيعة. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر رحمته الله في تخريجه لـ «تفسير الطبري» (١٠/٣).

(٨) في (ز) و(ض): «أنبأنا».

ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، عن (حنش)^(١) بن عبد الله الصنعاني، عن ابن عباس: أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿وَلِإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: عشر، ست في الإنسان، وأربع في المشاعر. فأما التي في الإنسان: حلق العانة، ونتف الإبط، والختان. وكان ابن هبيرة يقول: هؤلاء الثلاثة واحدة. وتقليم الأظفار، وقص الشارب، والسواك، وغسل يوم الجمعة. والأربعة التي في المشاعر: الطواف، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، والإفاضة.

وقال داود بن أبي هند^(٢): عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: ما ابتلي بهذا الدين أحد فقام به كله إلا إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿وَلِإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قلت له: وما الكلمات التي ابتلى الله إبراهيم بهن فأتَمهن؟ قال: الإسلام ثلاثون سهماً، منها عشر آيات في براءة: ﴿الْمُؤْمِنُونَ الْمُكَذِّبُونَ الْكَافِرُونَ...﴾ إلى آخر الآية [التوبة: ١١٢] وعشر آيات في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون] و﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج] وعشر آيات في الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾ الآية [٣٥] إلى آخر (الآية)^(٣)، فأتَمهن كلهن، فكتبت له براءة. قال الله: ﴿وَلِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم].

هكذا رواه الحاكم، وأبو جعفر بن جرير، وأبو محمد بن أبي حاتم، بأسانيدهم إلى داود بن أبي هند، به. وهذا لفظ ابن أبي حاتم.

وقال محمد بن إسحاق^(٤)، عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: الكلمات التي ابتلى الله بهن إبراهيم فأتَمهن، فراق قومه - في الله - حين أمر بمفارقتهم. ومحتاجته (نمرود)^(٥) - في الله - حين وقفه على ما وقفه عليه من خطر الأمر الذي فيه خلافة. وصبره على قذفه إياه في النار ليحرقوه - في الله - على هول ذلك من أمرهم. والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده - في الله - حين أمره بالخروج عنهم، وما أمره به من الضيافة والصبر عليها (وماله)، وما ابتلي به من ذبح ابنه حين أمره بذبحه،^(٦) [فلما مضى على ذلك من الله كله وأخلصه للبلاء]^(٦)، قال الله له: ﴿أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] على ما كان من خلاف الناس وفراقهم.

(١) في (ل): «خيش»! وفي (ك): «حسين»!

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٣) من طريق محمد بن حرب، ثنا الزبيدي، عن عدي، عن داود بن أبي هند بهذا الإسناد سواء. والزبيدي هو سعيد بن عبد الجبار الزبيدي كما نص عليه أبو حاتم الرازي، كما في ترجمة «عدي بن عبد الرحمن» من «الجرح والتعديل» (٣/٢/٣)؛ والزبيدي هذا منكر الحديث، ضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: «عامه حديثه مما لا يتابع عليه». وكان جرير بن عبد الحميد يكذبه. وقال النسائي: «ليس بشيء».

وعدي بن عبد الرحمن لم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحاً ولا تعديلاً وذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/٢٩٢) وقال: «روى الزبيدي عنه عن داود بن أبي هند نسخة مستقيمة».

(٣) في (ج) و(ل): «آية».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٤) من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق. [وسنده حسن].

(٥) في (ل): «بنمرود».

(٦) في (ل): «فلما مضى على ذلك من البلاء كله وأخلصه لله».

وقال ابن أبي حاتم^(١): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا إسماعيل بن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن - يعني: البصري -: ﴿وَإِذْ أَتَاكَ إِبرَهُمَ رُؤُؤُ بِكَلِمَةٍ فَاْتَمَّهَنَ﴾^(٢) قال: ابتلاه بالكوكب فرضي عنه، وابتلاه بالقمر فرضي عنه، وابتلاه بالشمس فرضي عنه، وابتلاه بالهجرة فرضي عنه، وابتلاه بالختان فرضي عنه، وابتلاه بابنه فرضي عنه.

وقال ابن جرير^(٣): حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: إي والله، ابتلاه بأمر فصبر عليه: ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر، فأحسن في ذلك، وعرف أن (ربه)^(٤) دائم لا يزول، فوجه وجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما كان من المشركين. ثم ابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله، ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك. وابتلاه الله بذبح (ابنه)^(٥) والختان فصبر على ذلك.

وقال عبد الرزاق^(٦): أخبرنا معمر، عمن سمع الحسن يقول في قوله: ﴿وَإِذْ أَتَاكَ إِبرَهُمَ رُؤُؤُ بِكَلِمَةٍ فَاْتَمَّهَنَ﴾^(٧) قال: ابتلاه الله بذبح ولده، وبالنار، (والكوكب)^(٨)، والشمس والقمر.

وقال أبو جعفر بن جرير^(٩): حدثنا ابن بشار، حدثنا سلم بن قتيبة، حدثنا أبو هلال، عن الحسن ﴿وَإِذْ أَتَاكَ إِبرَهُمَ رُؤُؤُ بِكَلِمَةٍ﴾ قال: ابتلاه بالكوكب، وبالشمس، والقمر، فوجده صابراً.

وقال العوفي في «تفسيره»^(١٠)، عن ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَتَاكَ إِبرَهُمَ رُؤُؤُ بِكَلِمَةٍ فَاْتَمَّهَنَ﴾ فمنهن: (قال)^(١١) ﴿إِنِّي جَاعِلٌكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ومنهن: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبرَهُمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] ومنهن: الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لإبراهيم، والرزق الذي رزق ساكنو البيت، ومحمد بعث في دينهما.

وقال ابن أبي حاتم^(١٢): حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا شيبابة، عن ورقاء، عن

(١) في «تفسيره» (١١٧٨) وسنده صحيح.

وأخرجه ابن جرير (١٩٣٣)؛ وابن عساكر (١٩٣/٦) من طريق المحاملي قالوا: ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن عليه بهذا الإسناد وأبو رجاء هذا، اسمه: محمد بن سيف الأزدي الحداني البصري وثقه ابن معين، والنسائي وابن سعد وابن حبان. وقال أبو حاتم: «صالح الحديث».

(٢) من (ك). (٣) في «تفسيره» (١٩٣٤) وسنده صحيح.

(٤) في (ل): «الله ربه».

(٥) في (ج): «ولده» وصححها في الحاشية كما في باقي «الأصول».

(٦) في «تفسيره» (٥٧/١) ومن طريقه ابن جرير (١٩٣٥)؛ وابن عساكر (١٩٣/٦). وضعفه ظاهر.

(٧) من (ل). (٨) في (ز): «والكواكب».

(٩) في «تفسير» (١٩٣٦)؛ وأخرجه ابن عساكر (١٩٣/٦) من طريق أحمد بن الفضل الصائغ ثنا آدم بن أبي إياس، نا أبو هلال الراسي. وسنده صالح. وأبو هلال هو الراسي محمد بن سليم وثقه أبو داود ومشاه أحمد وقال ابن معين: ليس به بأس ولينه أبو زرعة والنسائي وضعفه غيرهما.

(١٠) ومن طريقه ابن جرير (١٩٢٣) وسنده ضعيف. (١١) من (ج) و(ل).

(١٢) في «تفسيره» (١١٧٩).

وهو في «تفسير مجاهد» (ص ٢١٣) من طريق آدم بن أبي إياس قال: نا ورقاء بسنده سواء. وسنده صحيح.

ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال الله لإبراهيم: إني مبتليك بأمر فما هو؟ قال: تجعلني للناس إماماً. قال: نعم. قال: ومن ذريتي؟ ﴿قَالَ لَا يِتَأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: تجعل البيت مثابة للناس؟ قال: نعم. قال: وأمنأ. قال: نعم. قال: وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك؟ قال: نعم. قال: وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله؟ قال: نعم.

قال ابن أبي نجيح: سمعته عن عكرمة، فعرضته على مجاهد، فلم ينكره.

وهكذا رواه ابن جرير^(١) من غير وجه، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

وقال سفيان الثوري^(٢)، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: ابتلي بالآيات التي بعدها: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يِتَأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

وقال أبو جعفر الرازي^(٣)، عن الربيع بن أنس: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾^(٤) قال: الكلمات: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾ [البقرة: ١٢٥] وقوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقوله: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ الآية، قال: فذلك كله من الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم.

وقال السدي^(٥): الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم ربه: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٧] ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾^(٦) [البقرة: ١٢٩].

^(٧) [وقال القرطبي^(٨): وفي «الموطأ»^(٩) وغيره، عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إبراهيم عليه السلام، أول من اختتن وأول من ضاف الضيف، وأول من استحد، وأول من قلم أظفاره، وأول من قص الشارب، وأول من شاب فلما رأى الشيب، قال: ما هذا؟ قال: وقار، قال: يا رب، زدني وقاراً]^(٧).

(١) أخرجه ابن جرير (١٩١٧) من طريق عيسى بن ميمون الحرشي و(١٩١٨، ١٩١٩) من طريق شبل بن عباد المكي [وسنده صحيح] و(١٩٢٠) من طريق ابن جرير. كلهم عن مجاهد بن جبر بسنده سواء.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٢١) قال: حدثنا سفيان بن وكيع، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٢١/١١) قالوا: حدثنا وكيع بن الجراح، عن سفيان الثوري بهذا الإسناد. وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٩٢٢) قال: حدثت عن عمار، ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه فذكره وضعفه ظاهر. [ولكن معناه صحيح، ويشهد له سابقه].

(٤) من (ك). (٥) أخرجه ابن جرير (١٩٣٧). [وسنده حسن].

(٦) في (ك). (٧) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٨) في «تفسيره» (٩٨/٢).

(٩) في «كتاب صفة النبي ﷺ» (٤/٩٢٢/٢) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (١٩٩/٦)؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (٥٢٢/١١) قال: حدثنا ابن نمير وابن عساكر (١٩٩/٦) من طريق جعفر بن عون كلاهما، عن يحيى بن سعيد به.

وأخرجه ابن عساكر (٢٠٠/٦) من طريق عكرمة بن إبراهيم عن يحيى بن سعيد وسنده صحيح عن سعيد بن المسيب.

(١) [وذكر ابن أبي شيبه^(٢)، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، قال: أول من خطب على المنابر إبراهيم عليه السلام].

قال غيره: وأول من ثرد الشريد، وأول من ضرب بالسيف، وأول من استاك، وأول من استنجد بالماء، وأول من لبس السراويل.

وروى معاذ بن جبل^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أتخذ المنبر فقد اتخذه أبي إبراهيم، وإن أتخذ العصا فقد اتخذها أبي إبراهيم»^(١).

(٤) [قلت: هذا حديث لا يثبت. والله أعلم.

ثم شرع القرطبي يتكلم على ما يتعلق بهذه الأشياء من الأحكام الشرعية]^(٤).

قال أبو جعفر بن جرير^(٥) ما حاصله: أنه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر، وجائز أن يكون بعض ذلك، ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحديث أو إجماع. قال: ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له.

قال: غير أنه قد روي عن النبي ﷺ في نظير معنى ذلك خبران، أحدهما^(٦): ما حدثنا به أبو كريب، حدثنا رشدين بن سعد، حدثني زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يقول: «ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفي؟ لأنه كان

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٢) في «المصنف» (١١/٥٢٣)؛ والبخاري (٦٣٤) قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف الكوفي قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن ربيعة بن عثمان التيمي، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه فذكره. وسنده حسن. وربيعه بن عثمان وثقه ابن معين وابن سعد وابن حبان. وقال النسائي: «ليس به بأس» ولينه أبو زرعة وقال أبو حاتم: «منكر الحديث، يكتب حديثه». وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/١٨١): «منقطع الإسناد».

(٣) هذا حديث منكر باطل.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٢٠/رقم ٣٥٤) قال: حدثنا علي بن عبد العزيز. وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/١٧٥) من طريق إسماعيل بن عبد الله قال: ثنا محمد بن سعيد بن الأصبهاني، ثنا عقبة بن خالد، عن موسى بن محمد بن إبراهيم، ثنا أبي، عن السلولي، عن معاذ بن جبل مرفوعاً. وتابعه عبد الله بن سعيد الكندي، ثنا عقبة بن خالد بهذا الإسناد؛ أخرجه البخاري في «مسنده» (٦٣٣) عن الكندي وقال: «لا نعلمه عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد»؛ وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٦/٢٢٦) من طريق آخر عن عبد الله بن سعيد الكندي به.

(*) قلت: وسنده ضعيف جداً، وموسى بن محمد بن إبراهيم وهما أبو زرعة الرازي جداً، وتركه الدارقطني. وقال ابن معين في رواية: «ليس بشيء» وقال النسائي وأبو زرعة وأبو حاتم وأبو أحمد الحاكم: «منكر الحديث» زاد أبو حاتم: «ضعيف الحديث وأحاديث عقبة بن خالد التي رواها عنه من جنابة موسى، ليس لعقبة فيها جرم».

وضعه أحمد وابن سعد وغيرهما.

(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ي). (٥) في «تفسيره» (٣/١٥) واختصره المصنف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩٣٨) و(٢٧/٧٣)؛ وفي «التاريخ» (١/٢٨٦) قال: حدثنا أبو كريب؛ وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ٢٠/رقم ٤٢٨) من طريق محمد بن أبي السري؛ وابن عدي في «الكامل» (٣/١٠١١) من طريق زهير بن عباد وابن عساكر (٦/٢١٢، ٢١٣) من طريق محمد بن يوسف قالوا: ثنا رشدين بن سعد بهذا الإسناد سواء. ورشدين بن سعد ضعيف جداً.

يقول كلما أصبح وكلما أمسى: ﴿فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ حِينَ نُسُوتُ وَحِينَ تَضِيحُونَ﴾ [٧] [الروم] حتى يختم الآية.

قال: والآخر منهما^(١): حدثنا به أبو كريب، أخبرنا الحسن (ابن)^(٢) عطية، أخبرنا إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَابْتَهِمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم]: أتدرون ما وفَّى؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «وفَّى عمل يومه، أربع ركعات في النهار».

ورواه آدم في «تفسيره»، عن حماد بن سلمة. وعبد بن حميد، عن يونس بن محمد، عن حماد بن سلمة، عن جعفر بن الزبير، به.

ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين، وهو كما قال؛ فإنه لا تجوز روايتهما إلا ببيان ضعفهما، وضعفهما من وجوه عديدة، فإن كلاً من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء، مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه (والله أعلم)^(٣).

ثم قال ابن جرير^(٤): ولو قال قائل: إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم كان مذهباً، فإن قوله: «﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾» وقوله: «﴿وَعَهْدَنَا إِلَٰكَ بِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا يَتَّبِعُ لِلطَّائِفِينَ﴾» [البقرة: ١٢٥] وسائر الآيات التي هي نظير ذلك؛ كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بهن إبراهيم.

قلت: والذي قاله أولاً من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر، أقوى من هذا الذي جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله؛ لأن السياق يعطى غير ما قالوه، والله أعلم.

وقوله: «﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾» لما جعل الله إبراهيم إماماً، سأل الله أن تكون الأئمة من بعده من ذريته، فأجيب إلى ذلك، وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد الله، (فلا)^(٥) يكونون أئمةً فلا يقتدى بهم: والدليل على أنه أجيب إلى طلبته (قول الله)^(٦) تعالى في سورة العنكبوت: «﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾» [العنكبوت: ٢٧] فكل نبي أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم، ففي ذريته صلوات الله وسلامه عليه (وعليهم أجمعين)^(٧).

وأما قوله تعالى: «﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾» فقد اختلفوا في ذلك.

(١) أخرجه ابن جرير (١٩٣٩) و(٤٣/٢٧)؛ وفي «التاريخ» (٢٨٦/١)؛ وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره»، كما في (ابن كثير) (٤٣٩/٧، ٤٤٠)، من طريق حماد بن سلمة؛ وابن عساكر في «تاريخه» (٢١٣/٦)، من طريق يزيد بن هارون ومكي بن إبراهيم كلهم عن جعفر بن الزبير بسنده سواء. وسنده ساقط وجعفر بن الزبير تالف.

قال أبو حاتم: «روى جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة نسخة موضوعة أكثر من مائة حديث».

(٢) في (ز): «عن» وهو خطأ. (٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) في «تفسيره» (١٧/٣).

(٥) كذا في (ج) و(ض) و(ي). ووقع في (ز) و(ك) و(ل) و(ن): «ولا».

(٦) في (ل) و(ن): «قوله».

(٧) من (ل).

فقال خصيف^(١)، عن مجاهد في قوله: ﴿قَالَ لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: إنه سيكون في ذريته ظالمون.

وقال ابن أبي نجيح^(٢)، عن مجاهد: ﴿قَالَ لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: لا يكون لي إمام (ظالم)^(٣). وفي رواية: لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به.

وقال سفيان^(٤)، (عن)^(٥) منصور، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: لا يكون إمام ظالم يقتدى به.

وقال ابن أبي حاتم^(٦): حدثني أبي، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا شريك، عن منصور، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَمِن دُرَيْقٍ﴾ قال: أما من كان منهم صالحاً فسأجعله إماماً يقتدى به. وأما من كان ظالماً فلا ولا نعمة عين.

وقال سعيد بن جبير^(٧): ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ المراد به المشرك، لا يكون إمام ظالم. يقول: لا يكون إمام مشرك.

وقال ابن جريج^(٨)، عن عطاء، قال: ﴿إِنِّي جَاءُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن دُرَيْقٍ﴾ فأبى أن يجعل من ذريته إماماً ظالماً. قلت لعطاء: ما عهده؟ قال: أمره.

وقال ابن أبي حاتم^(٩): أخبرنا عمرو بن ثور (القيساري)^(١٠) فيما كتب إلي، حدثنا الفريابي، حدثنا إسرائيل، حدثنا سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال الله لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاءُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن دُرَيْقٍ﴾ فأبى أن يفعل، ثم قال: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

وقال محمد بن إسحاق^(١١)، عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس:

(١) أخرجه ابن جرير (١٩٥١) قال: مشرف بن أبان الحطاب، ثنا وكيع، عن سفيان الثوري عن خصيف، عن مجاهد. وهذا سند صحيح لو كان شيخ ابن جرير ثقة، فإن الخطيب ترجمه في «تاريخه» (٢٢٤/١٣) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٥٢) وسعيد بن منصور في «تفسيره» (٢١٣) من طريق مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن أبي نجيح به؛ أخرجه ابن جرير (١٩٤٦، ١٩٤٧) ورواه ابن جريج عن مجاهد؛ أخرجه ابن جرير (١٩٥٣) وسنده ضعيف.

(٣) في (ج): «ظلم يقتدى به» ثم شطب ابن المحب قوله: «يقتدى به».

(٤) أخرجه ابن جرير (١٩٤٩) قال: حدثنا ابن بشار، ثنا أبو عاصم، ثنا سفيان الثوري عن منصور، عن مجاهد. وتابعه أبو أحمد الزبيري، ثنا سفيان الثوري به أخرجه ابن جرير (١٩٥٠) قال: حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، ثنا أبو أحمد الزبيري وسنده صحيح.

(٥) في (ك): «ابن» وهو خطأ.

(٦) في «تفسيره» (١١٨٨) وشريك النخعي سئ الحفظ، لكن تابعه الثوري كما مر آنفاً.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٩٣) من طريق يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير. [وسنده حسن].

(٨) أخرجه ابن جرير (١٩٥٣). [وأخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن من طريق ابن جريج به].

(٩) في «تفسيره» (١١٨٥) وعمرو بن ثور لم أجد له ترجمة. وسماك بن حرب تغير.

(١٠) في (ك): «النيسابوري»!

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٨٤) من طريق سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق به. [وسنده حسن].

﴿قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يخبره أنه كائن في ذريته ظالم لا ينال عهده - ولا ينبغي (له) ^(١) أن يوليه شيئاً من أمره وإن كان من ذرية خليله - ومحسن ستنفذ فيه دعوته، وتبلغ له فيه ما أراد من مسأله.

وقال العوفي ^(٢)، عن ابن عباس: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: يعني لا عهد لظالم عليك في ظلمه، أن تطيعه فيه.

وقال ابن جرير: (حدثنا المثنى) ^(٣)، حدثنا إسحاق، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله، عن إسرائيل، عن مسلم الأعور، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته؛ (فانقضه) ^(٤).

وروي عن مجاهد، وعطاء، ومقاتل بن حيان، نحو ذلك ^(٥).

وقال الثوري ^(٦)، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، قال: ليس لظالم عهد.

وقال عبد الرزاق ^(٧): أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: لا ينال (عهد الله) ^(٨) في الآخرة الظالمين، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به، وأكل وعاش.

وكذا قال إبراهيم النخعي ^(٩)، وعطاء، والحسن، وعكرمة.

وقال الربيع بن أنس ^(١٠): عهد الله الذي عهد إلى عباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِيتٌ﴾ [الصافات] يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق.

وكذا روي عن أبي العالية ^(١١)، وعطاء، ومقاتل بن حيان.

وقال جوير ^(١٢)، عن الضحاك: لا ينال طاعتي عدو لي يعصيني، ولا أنحلها إلا ولياً لي يطيعني.

(١) ساقط من (ز) و(ن).

(٢) ساقط من كل «الأصول» واستدرجته من «تفسير الطبري» (١٩٥٥) وهو المثنى بن إبراهيم ولم أجد له ترجمة وقد نهت على ذلك أكثر من مرة فيما تقدم.

ومسلم الأعور هو: ابن كيسان. وهو ضعيف. [وأخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق عنترة عن ابن عباس بلفظ: ليس لظالم عليك عهد].

(٤) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «الطبري». ووقع في (ز) و(ض): «فانقضه».

(٥) [ذكرهم ابن أبي حاتم بحذف السند].

(٦) أخرجه ابن جرير (١٩٥٦) من طريق حجاج بن محمد؛ وابن أبي حاتم (١١٩٥) من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق كلاهما عن سفیان الثوري بسنده سواء. وسنده جيد.

(٧) أخرجه ابن جرير (١٩٥٨) قال: حدثنا الحسن بن يحيى؛ وابن أبي حاتم (١١٩٦) قال: حدثنا الحسن بن أبي الربيع قال: أخبرنا عبد الرزاق بسنده سواء. [وسنده صحيح].

(٨) في (ج): «عهد الله ظالم» وضرب ابن المحب على قوله: «ظالم».

(٩) أخرجه ابن جرير (١٩٥٩) وفي إسناده المثنى بن إبراهيم [ويقتوى بما سبق].

(١٠) أخرجه ابن جرير (١٩٦٠) بسند ضعيف. (١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٨٩) وسنده حسن.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٩٢) من طريق مروان بن معاوية الفزاري؛ وابن جرير (١٩٦١) من طريق يزيد بن زريع كلاهما عن جوير بن سعيد الأزدي، عن الضحاك. وسنده ضعيف جداً، وجوير متروك.

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه^(١): حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد، حدثنا أحمد بن (عبد الله)^(٢) بن^(٣) [سعيد (الأسدي)^(٤)، حدثنا (سليم)^(٥) بن^(٦) سعيد الدامغاني، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ، قال: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» قال: «لا طاعة إلا في المعروف».

وقال السدي^(٦): «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» يقول: عهدي: نبوتي.

فهذه أقوال مفسري السلف في هذه الآية على ما نقله ابن جرير، وابن أبي حاتم، رحمهما الله تعالى. واختار ابن جرير أن هذه الآية - وإن كانت ظاهرة في الخبر - أنه لا ينال عهد الله بالإمامة ظالماً. ففيها إعلام من الله لإبراهيم الخليل عليه السلام أنه سيوجد من ذريتك من هو ظالم لنفسه، كما تقدم عن مجاهد وغيره، والله أعلم.

^(٧) [قال (ابن خويز منداد)^(٨) المالكي: الظالم لا يصلح أن يكون خليفة، ولا حاكماً، ولا مفتياً، ولا إمام صلاة، ولا شاهداً، ولا راوياً]^(٧).

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتٍ مَّتَابَعَةً لِّلنَّاسِ وَآمَنَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾.

قال العوفي^(٩)، عن ابن عباس: قوله تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتٍ مَّتَابَعَةً لِّلنَّاسِ» يقول: لا يقضون منه وطراً، يأتونه، ثم يرجعون إلى أهلهم، ثم يعودون إليه.

وقال علي بن أبي طلحة^(١٠)، عن ابن عباس: «مَّتَابَعَةً لِّلنَّاسِ» يقول: يثوبون.

(رواهما)^(١١) ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم^(١٢): حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن رجاء، أخبرنا إسرائيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتٍ مَّتَابَعَةً لِّلنَّاسِ» قال: يثوبون إليه ثم يرجعون.

قال: وروى عن أبي العالية، وسعيد بن جبير^(١٣) - في رواية - وعطاء^(١٤)،

(١) كذا رواه الدامغاني بهذا السياق [بذكر الآية]. وهو منكر.

(٢) في (ج): «عينة».

(٣) ساقط من (ن).

(٤) في (ل): «الأزدي».

(٥) في (ك): «سليمان».

(٦) أخرجه ابن جرير (١٩٤٥) قال: حدثني موسى؛ وابن أبي حاتم (١١٩١) قال: حدثنا أبو زرعة قال: ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي. [وسنده حسن].

(٧) من (ج) و(ك) و(ل).

(٨) ومن طريقه ابن جرير (١٩٦٧). [وسنده ضعيف].

(٩) أخرجه ابن جرير (١٩٧٦). [وسنده ثابت].

(١٠) كذا في (ز) و(ن) و(ي)؛ وفي (ج) و(ض) و(ك): «رواه»؛ وفي (ل): «رواه إبراهيم بن جرير»!!

(١٢) في «تفسيره» (١٢٠٠) وسنده جيد.

(١٣) أخرجه ابن جرير (١٩٧٢، ١٩٧٣، ١٩٧٤) من طريق الثوري ومسعر بن كدام كلاهما عن أبي الهذيل غالب بن الهذيل، عن سعيد بن جبير. وسنده جيد.

(١٤) أخرجه ابن جرير (١٩٦٩، ١٩٧٠) من طريق هشيم بن بشير وجرير بن عبد الحميد كلاهما عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء. وسنده صحيح.

ومجاهد^(١)، والحسن، وعطية^(٢)، والربيع بن أنس^(٣)، والضحاك، نحو ذلك.

وقال ابن جرير^(٤): حدثني عبد الكريم بن أبي عمير، حدثني الوليد بن مسلم قال: قال أبو عمرو - يعني: الأوزاعي - حدثني عبده بن أبي لبابة، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيَّتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطراً.

وحدثني يونس^(٥)، عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيَّتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: يثوبون إليه من البلدان كلها ويأتونه.

^(٦) [وما أحسن ما قال الشاعر في هذا المعنى، أورده القرطبي^(٧):

جعل البيت مثاباً لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر]^(٨)

وقال سعيد بن جبير^(٩) - في الرواية الأخرى - وعكرمة، وقتادة، وعطاء الخراساني: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: مجمعاً.

﴿وَأَمَّا﴾ قال الضحاك^(٩)، عن ابن عباس: أي أمناً للناس.

وقال أبو جعفر الرازي^(١٠)، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيَّتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا﴾ يقول: أمناً من العدو، وأن يحمل فيه السلاح. وقد كانوا في الجاهلية يُتخطف الناس من حولهم، وهم آمنون لا يسبون.

وروي عن مجاهد^(١١)، وعطاء، والسدي^(١٢)، وقتادة، والربيع بن أنس، قالوا: من دخله كان آمناً.

(١) هو في «تفسير مجاهد» (ص ٢١٤) من طريق آدم بن أبي إياس، نا ورقاء بن عمر، عن أبي نجيع، عن مجاهد.

وأخرجه ابن جرير (١٩٦٣) من طريق عيسى بن ميمون (١٩٦٤) من طريق معمر بن راشد (١٩٦٥) من طريق شبل بن عباد كلهم عن ابن أبي نجيع، عن مجاهد. وهو صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٧١) قال: حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: حدثنا سهل بن عامر قال: حدثنا مالك بن مغول، عن عطية. وسنده ضعيف جداً.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٩٧٧) بسند ضعيف معلق.

(٤) في «تفسيره» (١٩٦٨) وشيخ الطبري لم أجد له ترجمة ووجدت له ذكراً في خبر رواه ابن جرير في «تهذيب الآثار» (٣٤٨ - مسند علي)؛ والوليد بن مسلم مدلس وقد استخدم ما يدل على التدليس. فالسند ضعيف. [ومعناه صحيح].

(٥) القائل هو ابن جرير (١٩٧٨) وسنده صحيح. (٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٧) في «تفسيره» (١١٠/٢).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠١) من طريق ابن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير. [وسنده حسن].

(٩) أخرجه ابن جرير (١٩٨٣) وابن أبي حاتم (١٢٠٢) وسنده ضعيف.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٣) [وسنده جيد]؛ وأخرجه ابن جرير (١٩٨٢) عن الربيع بن أنس والسند عنده معلق.

(١١) أخرجه ابن جرير (١٩٨١) من طريق عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيع، عن مجاهد. [وسنده صحيح].

(١٢) أخرجه ابن جرير (١٩٨٠). [وسنده حسن].

ومضمون ما فسر به هؤلاء الأئمة هذه الآية: أن الله تعالى يذكر شرف البيت، وما جعله موصوفاً به شرعاً وقدرأ، من كونه مثابة للناس؛ أي: جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه، ولا تقضى منه وطراً، ولو ترددت إليه كل عام، استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿فَجَعَلْ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ إلى أن قال: ﴿رَبَّنَا وَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾^(١) [إبراهيم: ٣٧ - ٤٠] ويصفه تعالى بأنه جعله آمناً، من دخله أمن، ولو كان قد فعل ما فعل ثم دخله كان آمناً.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(٢): كان الرجل يلقي قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يعرض له. كما وصفها في سورة المائدة بقوله: (تبارك و) ^(٣) تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] أي: (يدفع)^(٤) عنهم (بسبب)^(٥) تعظيمها السوء، كما قال ابن عباس: لو لم يحج الناس هذا البيت لأطبق الله السماء على الأرض؛ وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه أولاً وهو خليل الرحمن، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(٦) فيه آيئت يَبْنِيَنَّ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران].

وفي هذه الآية الكريمة نبه على مقام إبراهيم مع الأمر بالصلاة عنده، فقال: ﴿وَأَخْبَدُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ وقد اختلف المفسرون في المراد بالمقام ما هو؟

فقال ابن أبي حاتم^(٧): حدثنا عمر بن شبة النميري، حدثنا أبو خلف - يعني: عبد الله بن عيسى - حدثنا داود بن أبي هند، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَأَخْبَدُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ قال: مقام إبراهيم: الحرم كله. وروي عن مجاهد^(٨) وعطاء^(٩) مثل ذلك.

وقال^(٩) (أيضاً)^(١٠): حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا حجاج، عن ابن جريج،

(١) في (ج) و(ل): «دعائي». بإثبات الباء وهي قراءة حمزة الزيات وأبي عمرو بن العلاء وورش وأبي جعفر وصلأ، والبزي ويعقوب وصلأ ووقفأ.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩٧٩) بسند صحيح.

(٣) من (ل).

(٤) في (ز) و(ض): «يرفع».

(٥) في (ل): «السبب».

(٦) في «تفسيره» (١٢٠٧) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١١٩/١) لـ«عبد بن حميد» وسنده ضعيف جداً وعبد الله بن عيسى تالف. فقال النسائي: «ليس بثقة». وقال أبو زرعة: «منكر الحديث»، وقال ابن عدي: «يروي عن داود بن أبي هند ما لا يوافقه عليه الثقات، أحاديثه أفراد كلها». والكلام فيه طويل الذيل.

(٧) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٢١٤)؛ والفاكهي في «أخبار مكة» (٩٧٢) قال حدثنا محمد بن أبي عمر قال: ثنا سفيان، هو ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، زاد سعيد: وغيره، عن مجاهد فذكر الآية وقال: «الحج كله مصلى ومدعى» وسنده صحيح؛ وأخرجه ابن جرير (٢٠٠٤) من وجه آخر عن ابن عيينة.

(٨) أخرجه ابن جرير (١٩٩٢) بلفظ: «الحج كله مقام إبراهيم». [وسنده صحيح].

(٩) يعني ابن أبي حاتم. والخبر في «تفسيره» (١٢٠٦)؛ وأخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٩٧١) قال: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني بهذا الإسناد سواء بطوله. وسنده صحيح؛ وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٩/١) ومن طريق ابن جرير (١٩٩٠) قال: نا ابن جريج عن عطاء قال: الحج كله مقام إبراهيم.

(١٠) من (ن).

قال: سألت عطاء عن ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فقال: سمعت ابن عباس قال: أما مقام إبراهيم الذي ذكرها هنا، فمقام إبراهيم هذا (الذي)^(١) في المسجد. ثم قال: و﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يَعُدُّ كثير، ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾: الحج كله. ثم فسر لي عطاء فقال: التعريف، وصلاتان بعرفة، والمشعر، ومنى، ورمي الجمار، والطواف بين الصفا والمروة. فقلت: أفسره ابن عباس؟ قال: لا. ولكن قال: مقام إبراهيم: الحج كله. قلت: أسمعت ذلك لهذا أجمع؟ قال: نعم، سمعته منه.

وقال سفيان الثوري^(٢)، عن عبد الله بن مسلم، عن سعيد بن جبيرة: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قال: الحجر مقام إبراهيم (لينه الله)^(٣) قد جعله الله رحمةً، فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجارة. ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه.

^(٤) [وقال السدي^(٥): المقام: الحجر الذي وضعت زوجته إسماعيل تحت قدم إبراهيم حتى غسلت رأسه. حكاه القرطبي^(٦)، وضعفه ورجحه غيره، وحكاها الرازي في «تفسيره»^(٧) عن الحسن البصري وقتادة والربيع بن أنس^(٨)].

وقال ابن أبي حاتم^(٨): حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن ابن جريج، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، سمع جابراً يحدث عن حجة النبي ﷺ قال: لما طاف النبي ﷺ، قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذة مصلى؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

وقال عثمان بن أبي شيبة^(٩): أخبرنا أبو أسامة، عن زكريا، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة

(١) في (ل): «الذي هو».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠٨) قال: حدثنا أبي، ثنا قبيصة، ثنا سفيان الثوري به. وسنده صحيح. وعزاه السيوطي في «الدر» (١١٩/١) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٣) كذا في (ض) و(ك) و(ل) و(ي) وهو الموافق لما في «ابن أبي حاتم»؛ وفي (ج): «لين». ووقع في (ز) و(ن): «بنى الله».

(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٠٠٢) وسنده حسن وقد ساقه مطولاً.

(٦) في «تفسيره» (١١٣/٢).

(٧) انظر: «تفسير الرازي» (٥٣/٤).

(٨) رقم (١٢٠٥) وسنده ضعيف من أجل عنعنة ابن جريج وقد روى آخرون من الثقات حجة النبي ﷺ عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر بن عبد الله وفيه أن النبي ﷺ أتى مقام إبراهيم وصلى ركعتين ولم يذكرهما مراجعة عمر بن الخطاب وقد ثبتت هذه المراجعة كما يأتي تخريجه إن شاء الله تعالى.

(٩) أخرجه الدارقطني في «الأفراد» (ق ٣٠/٢ - الأطراف) وقال: «غريب من حديث أبي إسحاق عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل عن عمر، تفرد به: زكريا بن أبي زائدة عنه». وذكره الدارقطني في «العلل» (١٨٦/٢) فقال: «هو حديث رواه زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق واختلف عنه، فرواه علي بن مسهر عن زكريا، عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر وخالفه أبو أسامة فرواه عن زكريا، عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة واسمه: عمرو بن شرحبيل عن عمر والله أعلم بالصواب. ورواه زهير عن أبي إسحاق عن طلحة بن مصرف مرسلًا عن عمر ويشبهه أن يكون قول زهير هو المحفوظ، لأن زهيراً أثبت من زكريا في أبي إسحاق».

قال: قال عمر: قلت: يا رسول الله، هذا مقام خليل ربنا؟ قال: نعم. قال: أفلا نتخذة مصلى؟ فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

وقال ابن مردويه: حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا (غيلان)^(١) بن عبد الصمد، حدثنا مسروق بن المرزبان^(٢)، حدثنا زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)^(٣)، أنه مر بمقام إبراهيم، فقال: يا رسول الله، أليس نقوم مقام (خليل ربنا)^(٤)؟ قال: «بلى». قال: أفلا نتخذة مصلى؟ فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

وقال ابن مردويه^(٥): حدثنا (علي)^(٦) بن أحمد بن محمد القزويني، حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد، عن مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، قال: لما وقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة عند مقام إبراهيم، قال له عمر: يا رسول الله، هذا مقام إبراهيم الذي قال الله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قال: «نعم». قال الوليد: قلت لمالك: هكذا حدثك ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ قال: نعم. هكذا وقع في الرواية. وهو غريب. وقد روى النسائي من حديث الوليد بن مسلم، نحوه.

وقال البخاري^(٧): باب قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ مثابة: يثوبون يرجعون.

حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن (حميد)^(٨)، عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه)^(٩): وافقت ربي في ثلاث، (أو وافقني)^(١٠) ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله آية الحجاب. وقال: وبلغني معاتبه النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلت (عليهن)^(١١) فقلت: إن انتهين أو لبيدن الله رسوله خيراً منكن، حتى أتيت إحدى نسائه، فقالت: يا عمر، أما في رسول الله ما

(١) كذا في سائر الأصول؛ وفي (ج): «علان».

(٢) ومسروق بن المرزبان لينة أبو حاتم فقال: «ليس بقوى، يكتب حديثه» وذكره ابن حبان في «الثقات» (٩/٢٠٦)، وقال صالح بن محمد: «صدوق» ولم يتفرد به فتابعه علي بن مسهر عن زكريا بن أبي زائدة بسنده سواء. ذكره الدارقطني في «العلل» (١٨٦/٢).

(٣) من (ل). (٤) في (ل): «خليل الله».

(٥) وأخرجه ابن ماجه (١٠٠٨) قال: حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم بسنده سواء بلفظه. [وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه]. وأخرجه النسائي (٢٣٦/٥)؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص٩٧) قالوا: أخبرنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، عن الوليد بن مسلم بسنده سواء وليس عنده هذه المحاوره بين النبي ﷺ وبين عمر بن الخطاب، ولا قول الوليد بن مسلم لمالك.

(٦) في (ز) و(ض): «محمد».

(٧) في (ل): «عبد الحميد»! وكأنه صححها في الحاشية، لكنه مطموس بسبب التصوير والله أعلم.

(٨) من (ل).

(٩) كذا في «الأصول» وهو الموافق لما في «صحيح البخاري». ووقع في (ج): «ووافقني»!

(١٠) في (ل): «عليهن بالحجاب»!

يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟! فأنزل الله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ﴾ الآية [التحریم: ٥].

وقال ابن أبي مريم: أخبرنا يحيى بن أيوب، حدثني حميد، قال: سمعت أنساً عن عمر، رضي الله عنه، هكذا ساقه البخاري ها هنا، وعلق^(١) الطريق الثانية عن شيخه سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي مريم المصري. وقد تفرد بالرواية عنه البخاري من بين أصحاب الكتب الستة. وروى عنه الباقر بواسطه، وغرضه من تعليق هذا الطريق (ليبين)^(٢) فيه اتصال إسناد الحديث، وإنما لم^(٣) يسنده؛ لأن يحيى بن أيوب الغافقي^(٤) فيه شيء، كما قال الإمام أحمد فيه: «هو سيئ الحفظ»، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد^(٥): حدثنا هشيم، حدثنا حميد، عن أنس، قال: قال عمر، رضي الله عنه: وافقت ربي ﷺ، في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن؟ فنزلت آية الحجاب. واجتمع على رسول الله ﷺ نسائه في الغيرة. فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ﴾ [التحریم: ٥] فنزلت كذلك. ثم رواه أحمد، عن يحيى وابن أبي عدي^(٦)، كلاهما عن حميد، عن أنس، عن عمر أنه قال: وافقت ربي في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، فذكره.

وقد رواه البخاري عن عمرو بن عون، والترمذي، عن أحمد بن منيع، والنسائي، عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي، وابن ماجه، عن محمد بن الصباح، كلهم عن هشيم بن بشير، به. ورواه الترمذي^(٧) - أيضاً - عن عبد بن حميد، عن حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة. والنسائي^(٨)، عن هناد، عن يحيى بن أبي زائدة، كلاهما عن حميد، وهو ابن تيرويه الطويل،

(١) علقها البخاري في «كتاب التفسير» لكنه وصلها في «كتاب الصلاة» (٥٠٥/١) في رواية كريمة المروزية قال: حدثنا ابن أبي مريم وذكره.

قال الحافظ في «الفتح» (٥٠٥/١): «وفائدة إيراد هذا الإسناد ما فيه من التصريح بسماع حميد من أنس فأمن من تدليسه». انتهى.

(٢) في (ل): «ليبين». (٣) قد ذكرنا أنه أسنده في رواية كريمة.

(٤) لكن يحيى بن أيوب لم يتفرد بذكر التصريح بالتحديث فقد تابعه هشيم بن بشير قال: أخبرنا حميد حدثنا أنس؛ أخرجه الإسماعيلي في «المستخرج»، كما في «الفتح» (٥٠٦/١)، من رواية يوسف القاضي، عن أبي الربيع الزهراني عن هشيم.

(٥) في «مسنده» (١٥٧)؛ وأخرجه أحمد أيضاً في «فضائل الصحابة» (٤٣٥). وأخرجه البخاري (٥٠٤/١) و (٦٦٠/٨).

(٦) في «المسند» (١٦٠)؛ وفي «فضائل الصحابة» (٤٣٤) قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد الطويل، عن أنس. وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩٨٦)؛ وفي «تهذيب الآثار» (٤٠٤/١ - مسند عمر) قال: حدثنا محمد بن بشار، ثنا ابن أبي عدي به.

أما رواية يحيى القطان فقد مضى تخريجها آنفاً.

(٧) رقم (٢٩٥٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٨) في «كتاب التفسير» (٢٨٩/٦، ٢٩٠ - الكبرى)، قال: أخبرنا هناد بن السري به.

به. وقال الترمذي: «حسن صحيح» ورواه الإمام علي ابن المديني^(١)، عن يزيد بن زريع، عن حميد، به. وقال: «هذا من صحيح الحديث، وهو بصري». ورواه الإمام مسلم بن الحجاج في «صحيحه»^(٢) بسند آخر، ولفظ آخر، فقال: حدثنا عقبة بن مكرم، أخبرنا سعيد بن عامر، عن (جويرية)^(٣) بن أسماء، عن نافع، عن ابن عمر، قال: وافقت ربي في ثلاث: في الحجاب، وفي أسارى بدر، وفي مقام إبراهيم.

وقال (أبو حاتم)^(٤) الرازي: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب: وافقني ربي في ثلاث - أو وافقت ربي (قلت)^(٥): يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقلت: يا رسول الله، لو حجبت النساء؟ فنزلت آية الحجاب. والثالثة: لما مات عبد الله بن أبي جاء رسول الله ﷺ ليصلى عليه. قلت: يا رسول الله، تصلي على هذا الكافر المنافق! فقال: «إيها عنك يابن الخطاب»، فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَى أَبَدًا وَلَا تُقَمِّمَ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

وهذا إسناد صحيح أيضاً، ولا تعارض بين هذا ولا هذا، بل الكل صحيح، ومفهوم العدد إذا عارضه منطوق قدم عليه، والله أعلم.

وقال (ابن جريج)^(٦): أخبرني جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر^(٧): أن رسول الله ﷺ رمل ثلاثة أشواط، ومشى أربعاً، حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين، ثم قرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

وقال ابن جرير^(٨): حدثنا يوسف بن (سلمان)^(٩)، حدثنا حاتم بن إسماعيل، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: استلم رسول الله ﷺ الركن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم، فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت، فصلى ركعتين.

وهذا قطعة من الحديث الطويل الذي رواه مسلم في «صحيحه»، من حديث حاتم بن إسماعيل.

- (١) وتابعه عمرو بن علي ثنا يزيد بن زريع بهذا الإسناد سواء.
- أخرجه البزار (٢٢٠ - البحر)؛ وابن جرير في «تفسيره» (١٩٨٧)؛ وفي «تهذيب الآثار» (٤٠٦/١) مسند عمر؛ وابن أبي داود في «المصاحف» (ص ٩٨) قالوا جميعاً: حدثنا عمرو بن علي بن بحر به. قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن عمر بن الخطاب».
- (٢) في «كتاب فضائل الصحابة» (٢٤/٢٣٩٩).
- (٣) في «ك»: «جرير».
- (٤) في «ن»: «ابن أبي حاتم» وهو خطأ. [وصححه سننه الحافظ ابن كثير].
- (٥) في (ج) و(ل): «فقلت».
- (٦) في (ل): «ابن جرير!!»
- (٧) أخرجه مسلم (٢٣٦/١٢٦٣) من طريق ابن وهب، أخبرني مالك وابن جريج، عن جعفر بن محمد بهذا الإسناد ولم يذكر «ومشى أربعاً... إلخ».
- (٨) في «تفسيره» (٢٠٠٣)؛ وأخرجه مسلم (١٤٧/١٢١٨).
- (٩) في (ج) و(ل): «سليمان» وهو خطأ وهو يوسف بن سلمان الباهلي أبو عمر البصري من رجال «التهذيب» ومن شيوخ النسائي والترمذي. وثقه النسائي في رواية وابن حبان. وقال النسائي مرة: «مشهور، لا بأس به». وقال أبو حاتم: «شيخ».

وروى البخاري^(١) بسنده، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت ابن عمر يقول: قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعاً، وصلى خلف المقام ركعتين.

فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة، لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار، كلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى، يطوف حول الكعبة، وهو واقف عليه، كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها هكذا، حتى تم جدارات الكعبة، كما سيأتي بيانه في قصة إبراهيم وإسماعيل في بناء البيت، من رواية ابن عباس عند البخاري. وكانت آثار (قدميه)^(٢) ظاهرة فيه، ولم يزل هذا معروفاً تعرفه العرب في جاهليتها؛ ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية.

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل
وقد (أدرك)^(٣) المسلمون ذلك فيه أيضاً (كما قال)^(٤) عبد الله بن وهب^(٥): أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب: أن أنس بن مالك حدثهم، قال: رأيت المقام فيه أثر أصابعه عليه السلام، وإخمص قدميه، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم.

وقال ابن جرير^(٦): حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة: «وَأَخَذُوا مِنْ مَقَائِرِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه. ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً تكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابعه (فيه)^(٧)، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلوت وانمحي.

قلت: وقد كان المقام ملصقاً بجدار الكعبة قديماً، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر يمناً الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك، وكان الخليل عليه السلام، لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك؛ ولهذا - والله أعلم - أمر بالصلاة هناك عند فراغ الطواف، وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه، وإنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله (تعالى)^(٨) عنه، (وهو)^(٩) أحد الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين، الذين أمرنا باتباعهم، وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»^(٩). وهو الذي نزل القرآن بوفاقه

(١) أخرجه البخاري (٢/٤٩٩؛ ٣/٤٨٤، ٥٠٢، ٦١٥)؛ ومسلم (١٢٣٤/١٨٩).

(٢) في (ج): «قديمه».

(٣) في (ل): «استدرك».

(٤) كذا في «الأصول»؛ وفي (ز): «وقال».

(٥) أخرجه أبو عبد الله الفاكهي في «أخبار مكة» (٩٨٦) [من طريق ابن وهب به، وسنده صحيح].

(٦) في «تفسيره» (٢٠٠٠) وسنده صحيح؛ وأخرجه الأزرق في «أخبار مكة» (٢/٢٩، ٣٠) من طريق عمر بن سهل بن مروان، ثنا يزيد بن زريع بهذا الإسناد سواء.

(٧) كذا في (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري». ووقع في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ي): «فيها».

(٨) من (ل).

(٩) وهو حديث جيد يرويه عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً. هكذا رواه سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير؛ أخرجه الترمذي (٣٦٦٢).

في الصلاة عنده؛ ولهذا لم ينكر ذلك أحد من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين.
قال عبد الرزاق^(١)، عن ابن جريج، حدثني عطاء وغيره من أصحابنا، قالوا: أول من نقله
عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

^(٢) [وقال عبد الرزاق^(٣) أيضاً، عن معمر، عن حميد الأعرج، عن مجاهد قال: أول من أخر
المقام إلى موضعه الآن، عمر بن الخطاب رضي الله عنه]^(٤)^(٢).

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي^(٥): أخبرنا أبو (الحسين بن)^(٦) الفضل
القطان، أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل، حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل
السلمي، حدثنا أبو ثابت، حدثنا الدراوردي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أن
المقام كان في زمان رسول الله ﷺ، وزمان أبي بكر ملتصقاً بالبيت، ثم أخره عمر بن
الخطاب، رضي الله عنه. وهذا إسناد صحيح مع ما تقدم.

وقال ابن أبي حاتم^(٧): حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر العدني قال: قال سفيان - (يعني: ابن
عيينة)^(٨) - وهو إمام المكيين في زمانه - ^(٩) [كان المقام من (سقع)^(١٠) البيت على عهد
رسول الله ﷺ، فحوله عمر إلى مكانه]^(٩) بعد النبي ﷺ، وبعد قوله: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ رَبِّهِمْ
مُصَلًّى﴾ قال: ذهب السيل به بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا، فردّه عمر إليه.

وقال سفيان: لا أدري كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله. قال سفيان: لا أدري (أكان)^(١١)
لاصقاً بها أم لا؟

فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه، والله أعلم.

وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه^(١٢): حدثنا (أبو)^(١٣) عمرو - (وهو أحمد بن محمد بن
حكيم)^(١٤) -، حدثنا محمد بن عبد الوهاب (ابن أبي تمام)^(١٤)، حدثنا آدم - (هو ابن أبي إياس

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (ج ٥/رقم ٨٩٥٥) وسنده صحيح إلى عطاء.

(٢) ساقط من (ز) و(ض).

(٣) في «المصنف» أيضاً (ج ٥/رقم ٨٩٥٣) وسنده صحيح إلى مجاهد.

(٤) ساقط من (ج).

(٥) وأخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٩٩٨) قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، قال: ثنا عبد العزيز بن
محمد الدراوردي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال عبد العزيز: أراه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن المقام
كان في زمن النبي ﷺ إلى سقع البيت. [وصححه سننه الحافظ ابن كثير].

وقوى الحافظ إسناده في «الفتح» (١٦٩/٨).

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) في «تفسيره» (١٢٠٩) وسنده صحيح كما قال الحافظ في «الفتح» (١٦٩/٨).

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(٩) ساقط من (ك).

(١٠) في (ن): «سقف»! والسقع والصقع: الناحية.

(١١) في (ل): «إن كان» وعزاه السيوطي في «الدر» (٢٩٠/١) لابن أبي داود.

(١٢) عزاه الحافظ في «الفتح» (١٦٩/٨) إلى ابن مردويه وقال: «بسند ضعيف».

(١٣) في (ن): «ابن».

(١٤) من (ن).

في «تفسيره»^(١)، -، حدثنا شريك، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، قال: قال عمر: يا رسول الله، لو صلينا خلف المقام؟ فأنزل الله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فكان المقام عند البيت، فحول رسول الله ﷺ إلى موضعه هذا. قال مجاهد: قد كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن.

هذا مرسل عن مجاهد، وهو مخالف لما تقدم من رواية عبد الرزاق^(٢)، عن معمر، عن حميد الأعرج، عن مجاهد أن أول من آخر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا أصح من طريق ابن مردويه، مع اعتضاد هذا بما تقدم، والله أعلم.

﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيِّنًا لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ الشُّجُورِ ۖ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَنِشْءُ الْمَصِيرِ ۖ وَإِذْ يَقَعُ إِبْرَاهِيمُ الْفَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَآرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۖ﴾

قال الحسن البصري^(٣): قوله: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ قال: أمرهما الله أن يطهراه من الأذى والنجس ولا يصيبه من ذلك شيء.

وقال ابن جريج^(٤): قلت لعطاء: ما عهده؟ قال: أمره.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(٥): ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: أمرناه. كذا قال. والظاهر أن هذا الحرف إنما عدي بإلى؛ لأنه في معنى: تقدمنا وأوحينا.

وقال سعيد بن جبير^(٦)، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَنَّ طَهْرًا بَيِّنًا لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ قال: من الأوثان.

وقال مجاهد^(٧) وسعيد بن جبير: ﴿طَهْرًا بَيِّنًا لِلطَّائِفِينَ﴾ إن ذلك من الأوثان والرفث وقول الزور والرجس.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن عبيد بن عمير^(٨)، وأبي العالية، وسعيد بن جبير^(٩)،

(١) من (ن). (٢) وقد مر تخريجه قبل قليل.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٢) بسند ضعيف. (٤) أخرجه ابن جريج (٢٠٠٧).

(٥) أخرجه ابن جريج (٢٠٠٨) وسنده صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٤)، وفي إسناده عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف ضعفه أحمد وابن معين والنسائي وأبو داود وغيرهم. وقال ابن عدي: «أحاديثه ليست بالكثيرة، وأحاديثه مقدار ما يرويه لا يتابع عليه».

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٥) وسنده كسابقه. وأخرجه ابن جريج (٢٠١٤) وفي إسناده أبو إسرائيل الملائي واسمه: إسماعيل بن خليفة مختلف فيه، وهو إلى الضعف أقرب.

(٨) أخرجه ابن جريج (٢٠١١، ٢٠١٢؛ ١٧/١٠٦) من طريق ابن أبي نجيع وابن جريج كلاهما عن عطاء بن أبي رباح، عن عبيد بن عمير. وهو صحيح.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٦) من طريق عمرو بن أبجد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعمرو هذا لم أجد له ترجمة. وعطاء بن السائب كان اختلط.

ومجاهد^(١)، وعطاء، وقتادة^(٢) ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ أي: بلا إله إلا الله، من الشرك.
وأما قوله تعالى: ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ فالطواف بالبيت معروف، وعن سعيد بن جبير^(٣) أنه قال في قوله تعالى: ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ يعني: من أتاه من غربة، ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ المقيمين فيه. وهكذا روي عن قتادة^(٤)، والربيع بن أنس: أنهما فسرا العاكفين بأهله المقيمين فيه، كما قال سعيد بن جبير.
وقال يحيى (بن)^(٥) القطان، عن عبد الملك - هو ابن أبي سليمان -، عن عطاء^(٦) في قوله: ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ قال: من (انتابه)^(٧) من الأمصار فأقام (عنده)^(٨)، وقال لنا - ونحن مجاورون -: أنتم (من)^(٩) العاكفين.

وقال وكيع^(١٠)، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: إذا كان جالساً فهو من العاكفين.

وقال ابن أبي حاتم^(١١): حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت، قال: قلت لعبد الله بن عبيد بن عمير: ما أراني إلا مكلم الأمير أن أمنع الذين ينامون في المسجد الحرام، فإنهم (يجنبون)^(١٢) ويحدثون. قال: لا تفعل، فإن ابن عمر سئل عنهم، فقال: هم العاكفون.

^(١٣) [ورواه عبد بن حميد، عن سليمان بن حرب، عن حماد بن سلمة، به]^(١٣).

قلت: وقد ثبت في «الصحيح»^(١٤) أن ابن عمر كان ينام في مسجد الرسول ﷺ وهو عزب.
وأما قوله تعالى: ﴿وَالزُّكَّعَ الْجُورَ﴾ فقال وكيع^(١٥)، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء، عن

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠١٣؛ ١٧/١٠٦) وفي إسناده ليث بن أبي سليم. وهو ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٠١٥؛ ١٧/١٠٦) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١٣) من طريق عبد الرزاق وهذا في «تفسيره» (٥٨/١)، قال: نا معمر عن قتادة. وأخرجه ابن جرير (١٧/١٠٦) من طريق محمد بن ثور عن معمر مثله. وأخرجه ابن جرير (٢٠١٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مثله وزاد: «وقول الزور». [وسنده صحيح].

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٠١٧) قال: حدثنا أبو كريب. وابن أبي حاتم (١٢٢٠) من طريق علي بن إسحاق السمرقندي قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير. وأبو بكر بن عياش تغير في آخر عمره، وكتابه صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٢٢) وفي إسناده أبو جعفر الرازي؛ وأخرجه ابن جرير (٢٠٢٢) من وجه آخر صحيح عن قتادة.

(٥) من (ك).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٢٣) قال: حدثنا علي بن الحسن، ثنا مسدد، ثنا يحيى القطان به وسنده صحيح.

(٧) في (ل): «أتى».

(٨) في (ك): «عندنا»!

(٩) ساقط من (ج).

(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٠١٩) قال: حدثنا أبو كريب، ثنا وكيع به. ولكن أبا بكر الهذلي متروك الحديث.

(١١) في «تفسيره» (١٢٢٤) وسنده صحيح.

(١٢) في (ل): «يخبثون»!

(١٣) من (ن).

(١٤) هو في «الصحيحين»؛ أخرجه البخاري في «كتاب التهجد» (٦/٣).

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٢٥) قال: حدثنا أبو سعيد الأشج قال: حدثنا وكيع بسنده سواء. وسنده ضعيف جداً، وأبو بكر الهذلي متروك. والله أعلم.

ابن عباس: ﴿وَالرُّكْعَ الشُّجُودَ﴾ قال: إذا كان مصلياً فهو من الركع السجود. وكذا قال عطاء^(١) وقتادة^(٢).

وقال ابن جرير^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فمعنى الآية: وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيتي للطائفتين. والتطهير الذي أمرهما به في البيت هو تطهيره من الأصنام وعبادة الأوثان فيه ومن الشرك. ثم أورد سؤالاً فقال: فإن قيل: فهل كان قبل بناء إبراهيم عند البيت شيء من ذلك الذي أمر بتطهيره منه؟ وأجاب بوجهين:

أحدهما: أنه أمرهما بتطهيره مما (كان)^(٤) يعبد عنده زمان قوم نوح من الأصنام والأوثان، ليكون ذلك سنة لمن بعدهما، (إذ كان)^(٥) الله تعالى قد جعل إبراهيم إماماً يقتدى به، كما قال عبد الرحمن بن زيد: ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ قال: من الأصنام التي يعبدون، التي كان المشركون يعظمونها.

قلت: وهذا الجواب مفرع على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل إبراهيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويحتاج إثبات هذا إلى دليل عن المعصوم (محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)^(٦).

الجواب الثاني: أنه أمرهما أن يخلصا (في)^(٧) بنائه لله وحده لا شريك له، فينباه مطهراً من الشرك والريب، كما قال جل ثناؤه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شِقَاقٍ جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩] قال: فكذلك قوله: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾^(٨) [على طهر من الشرك بي والريب، كما قال السدي: ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ ابني بيتي للطائفتين]^(٨).

وملخص هذا الجواب: أن الله تعالى أمر إبراهيم وإسماعيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له، للطائفتين به والعاكفين عنده، والمصلين إليه من الركع السجود، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكْعَ الشُّجُودَ﴾ [الحج].

^(٩) [وقد اختلف الفقهاء: أيما أفضل، الصلاة عند البيت أو الطواف؟ فقال مالك: الطواف به لأهل الأمصار أفضل من الصلاة عنده، وقال الجمهور: الصلاة أفضل مطلقاً، وتوجيه كل منهما يذكر في «كتاب الأحكام»]^(٩).

والمراد من ذلك الرد على المشركين الذين كانوا يشركون بالله عند بيته، المؤسس على عبادته وحده لا شريك له، ثم مع ذلك يصدون أهله المؤمنين عنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠٢٤) قال: حدثنا أبو كريب، ثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي عن عطاء. وسنده كسابقه.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٠٢٥) وسنده صحيح.

(٣) في «تفسيره» (٣٨/٣، ٣٩).

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) كذا في (ز) و(ك) وهو الموافق لما عند «ابن جرير».

(٦) من (ز) و(ض) و(ن) و(ي) والصلاة والتسليم من (ز) و(ض).

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) ساقط من (ك).

(٩) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَمِ يُظْلَمِ نُزُفَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٢٥﴾ [الحج].

ثم ذكر أن البيت إنما أسس لمن يعبد الله وحده لا شريك له، إما بطواف أو صلاة، فذكر في سورة الحج أجزاءها الثلاثة: قيامها، وركوعها؛ وسجودها، ولم يذكر العاكفين لأنه تقدم ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ وفي هذه الآية الكريمة ذكر الطائفين والعاكفين، واجتزأ بذكر الركوع والسجود عن القيام؛ لأنه قد علم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام. وفي ذلك - أيضاً - رد على من لا يحجه من أهل الكتابين: اليهود والنصارى؛ لأنهم يعتقدون فضيلة إبراهيم الخليل وعظمته، ويعلمون أنه بنى هذا البيت للطواف في الحج والعمرة، وغير ذلك، وللاعتكاف والصلاة عنده، وهم لا يفعلون شيئاً من ذلك، فكيف (يكونون) ^(١) (مقتدين) ^(٢) بالخليل، وهم لا يفعلون ما شرع الله له! وقد حج البيت موسى بن عمران وغيره من الأنبياء ﷺ، كما أخبر بذلك المعصوم ^(٣)، الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم].

وتقدير الكلام إذن: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ ^(٤) [أي: تقدمنا بوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل] ^(٤) ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ أي: طهرا من الشرك والريب، وإبنيه خالصاً لله، معقلاً للطائفين والعاكفين والركع السجود. وتطهير المساجد مأخوذ من هذه الآية، ومن قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ﴾ ^(٥) [النور] ومن السنة من أحاديث كثيرة، من الأمر بتطهيرها وتطيبها ^(٥) وغير ذلك، من صيانتها من الأذى (والنجاسات) ^(٦) وما أشبه ذلك. ولهذا قال ﷺ ^(٧): «إنما بنيت المساجد لما بنيت له». وقد جمعت في ذلك جزءاً على حدة، والله الحمد والمنة.

^(٨) [وقد اختلف الناس في أول من بنى الكعبة، فقليل: الملائكة قبل آدم، وروى هذا عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين، ذكره القرطبي ^(٩) وحكى لفظه، وفيه غرابة، وقيل: ^(٨)

(١) في (ل): «يكون».

(٢) في (ج): «مقتدون».

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٢٦٨/١٦٥).

تنبيه: الجوار: هو رفع الصوت. ووادي الأزرق: هو واد في الحجاز قري من مكة. وهرشى: هي ثنية بين مكة والمدينة، ويقال: هي قرية من الجحفة.

(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٥) أما الأمر بتطهير المساجد ففيه نصوص شهيرة معروفة. وأما الأمر بتطيبها ففيه أحاديث منها ما أخرجه أبو داود (٤٧٩)؛ وابن خزيمة (٢٧٠/٢) بسند صحيح عن ابن عمر قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب يوماً إذ رأى نخامة في قبلة المسجد، فتغيظ على الناس، ثم حگها. قال: وأحسبه قال: فدعا بزعفران فلطخه به وقال: «إن الله قبل وجه أحدكم إذا صلى، فلا يبزق بين يديه».

(٦) في (ل): «النجاسة».

(٧) أخرجه مسلم (٨٠/٥٦٩).

(٨) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٩) في «تفسيره» (١٢٠/٢)، ولفظه: «وروى عن جعفر بن محمد قال: سئل أبي، وأنا حاضر، عن بدء خلق البيت، فقال: «إن الله ﷻ لما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فغضب عليهم، فعادوا بعرشه وطافوا حوله سبعة أشواط يسترضون ربهم حتى ﷻ، وقال لهم: ابنوا لي بيتاً في الأرض يتعوذ به من سخطت عليه من بني آدم، ويطوف حوله كما طفتم حول عرشي فأرضي عنه كما رضيت عنكم، فبنوا هذا =

(١) [آدم (ﷺ)]^(٢)، رواه عبد الرزاق^(٣)، عن ابن جريج، عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم: أن آدم بناه من خمسة أجبل: من حراء، وطور سيناء، وطور زيتا، وجبل لبنان، والجودي، وهذا غريب أيضاً. وروى نحوه عن ابن عباس وكعب الأحبار وقتادة، وعن وهب بن منبه: أن أول من بناه شيث (ﷺ)، وغالب من يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجردوها، وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين^(١).

(٤) [وقال فخر الدين الرازي^(٥): الأكثرون من أهل الأخبار على أن البيت كان موجوداً قبل إبراهيم على ما روينا فيه من الأحاديث، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ فدلّ على وجود القواعد قبل ذلك، وفيما قاله نظر، فإنه لم يرد شيء من الأحاديث المرفوعة تدل على ما ذكره، وفي الاستدلال على ما ذكره من الآية نظر، إذ لا يلزم وجود القواعد قبل ذلك. والله أعلم^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

قال الإمام أبو جعفر بن جرير^(٦): حدثنا ابن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه، وإنني حرمت المدينة ما بين لابتيها، فلا يصاد صيدها ولا يقطع عضاها». وهكذا رواه النسائي، عن محمد بن بشار، عن بندار، به.

وأخرجه مسلم، عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد، كلاهما عن أبي أحمد الزبيري، عن سفيان الثوري.

وقال ابن جرير^(٧) - أيضاً -: حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا: حدثنا ابن إدريس. وحدثنا أبو كريب، حدثنا عبد الرحيم الرازي، قالا جميعاً: سمعنا أشعث، عن نافع، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم كان عبد الله وخليله، وإنني عبد الله ورسوله. وإن إبراهيم حرم مكة، وإنني حرمت المدينة ما بين لابتيها، عضاها وصيدها، لا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا يقطع منها شجرة إلا لعلف بعير».

= البيت». وهذا سياق غريب جداً، وكثير مما ينسب إلى أبي جعفر الباقر لا يثبت عنه.

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(و). (٢) من (ن). وسقط من (ج) و(ل).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٠٣٧) وصحح ابن كثير إسناده واستغربه كما يأتي قريباً.

(٤) من (ج) و(ل).

(٥) في «تفسيره» (٦٢/٢).

(٦) في «تفسيره» (٢٠٢٩)؛ وأخرجه مسلم (١٣٦٢/٤٥٨).

(٧) في «تفسيره» (٢٠٣٠).

وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٦٥/١) قال: حدثنا ابن ذريح، هو محمد بن صالح، ثنا مسروق بن المزيان، ثنا ابن أبي زائدة، ثنا أشعث بن سوار بسنده سواء. قال ابن عدي: «وهذا الحديث يرويه ابن أبي الزناد، عن الأشعث». وهذا الحديث أورده ابن عدي فيما استنكر على أشعث بن سوار.

وهذا الطريق غريبة، ليست في شيء من الكتب الستة، وأصل الحديث في «صحيح مسلم»^(١) من وجه آخر، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر، جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا. اللهم إن إبراهيم عبدك وخليتك ونبيك، وإني عبدك ونبيك. وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة، ومثله معه». ثم يدعو أصغر وليد له، فيعطيه ذلك الثمر. وفي لفظ^(٢): «بركة مع بركة». ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان. لفظ مسلم.

ثم قال ابن جرير^(٣): حدثنا أبو كريب، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا بكر بن مضر، عن ابن الهاد، عن أبي بكر بن محمد، عن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن رافع بن خديج، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين لابتيها».

انفرد بإخراجه مسلم، فرواه عن قتيبة، عن بكر بن مضر، به. ولفظه كلفظه سواء. وفي «الصحيحين»^(٤) عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة: «التمس لي غلاماً من غلمانكم يخدمني». فخرج بي أبو طلحة يردفني وراءه، فكنت أخدم رسول الله ﷺ كلما نزل. وقال في الحديث: ثم أقبل حتى إذا بدا له أحد قال: «هذا جبل يحبنا ونحبه». فلما أشرف على المدينة قال: «اللهم إني أحرم ما بين جليلها، مثلما حرم به إبراهيم مكة، اللهم بارك لهم^(٥) [في] مدهم وصاعهم». وفي لفظ^(٦) لهما: «اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم^(٥) في صاعهم، وبارك لهم في مدهم». زاد البخاري^(٧): يعني: أهل المدينة.

«ولهما»^(٨) أيضاً عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «(اللهم)^(٩) اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة».

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم^(١٠)، عن النبي ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت^(١١) المدينة كما حرم إبراهيم مكة، (ودعوت)^(١٢) لها في (مدنها وصاعها)^(١٣)»

(١) رقم (٤٧٣/١٣٧٣). (٢) أخرجه مسلم (٤٧٤/١٣٧٣).

(٣) في «تفسيره» (٢٠٣١)؛ وأخرجه مسلم (٤٥٦/١٣٦١).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٣/٩، ٥٥٤؛ ١١٣/١١)؛ ومسلم (٤٦٢/١٣٦٥).

(٥) ساقط من (ج).

(٦) أخرجه البخاري في «كفارات الإيمان» (٥٩٧/١١) قال: حدثنا عبد الله بن يوسف؛ ومسلم في «كتاب الحج» (٤٦٥/١٣٦٨) قال: حدثنا قتيبة بن سعيد كلاهما عن مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس.

(٧) أخرجه البخاري في «كتاب البيوع» (٣٤٧/٤)؛ وفي «كتاب الاعتصام» (٣٠٤/١٣).

(٨) يعني: للشيخين. وأخرجه البخاري في «فضائل المدينة» (٩٧/٤ - فتح).

(٩) من (ن) و(ي) وهو ثابت عند الشيخين، وسقط من بقية النسخ.

(١٠) أخرجه البخاري (٣٤٦/٤).

(١١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «البخاري»؛ وفي (ل): «وإني حرمت».

(١٢) في (ل): «وإني دعوت». (١٣) في (ل): «صاعها ومدنها».

(ومثل)^(١) ما دعا إبراهيم لمكة.

رواه البخاري وهذا لفظه، ومسلم ولفظه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت لها في صاعها ومدنها (بمثلي)^(٢) ما دعا إبراهيم لأهل مكة».

وعن أبي سعيد^(٣)، عن النبي ﷺ قال: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً، وإني حرمت المدينة حراماً ما بين (مأزميها)^(٤)، (أن لا يهراق)^(٥) فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا يخبط فيها شجرة إلا لعلف. اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين» الحديث رواه مسلم.

والأحاديث في تحريم المدينة كثيرة، وإنما أوردنا منها ما هو متعلق. بتحريم إبراهيم ﷺ، لمكة، لما في ذلك في مطابقة الآية الكريمة.

^(٦) [وتمسك بها من ذهب إلى (أن)^(٧) تحريم مكة إنما كان على لسان إبراهيم الخليل، وقيل: إنها محرمة منذ خلقت مع الأرض وهذا أظهر وأقوى]^(٦).

وقد وردت أحاديث أخر تدل على أن الله تعالى حرم مكة قبل خلق السموات والأرض، كما جاء في «الصحيحين»^(٨)، عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. لا يعصده شوكه ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلي خلاها». فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر فإنه لقينهم وليوتهم. فقال: «إلا الإذخر» وهذا لفظ مسلم.

«ولهما»^(٩) عن أبي هريرة نحو من ذلك.

ثم قال البخاري^(١٠) بعد ذلك: (وقال)^(١١) أبان بن صالح، عن الحسن بن مسلم، عن صفية بنت شيبة: سمعت النبي ﷺ، مثله.

(١) أشار ناسخ (ج) إلى أنه وقع في نسخة: «مثلي» وقد تقدم البحث فيه.

(٢) وقع في «الأصول»: «بمثل» والصواب ما أثبتته، وإلا لماذا سجل ابن كثير لفظ مسلم وهو مثل لفظ البخاري؟ ما أعاد لفظ مسلم إلا لبيان التفاوت بينهما في هذا الحرف. والله أعلم.

(٣) أخرجه مسلم في «كتاب الحج» (٤٧٥/١٣٧٤).

(٤) في (ض): «لازمها!! والمأزم: كل طريق ضيق بين جبلين.

(٥) كذا في (ج) و(ل) و(ن) و(ي) وهو الموافق لما في «صحيح مسلم»، ووقع في (ز) و(ض) و(ك): «لا يهراق».

(٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ي). (٧) ساقط من (ج).

(٨) أخرجه البخاري (٤٤٩/٣) و (٢٨٣/٦).

وأخرجه البخاري (٣/٣٧)؛ وأبو داود (٢٤٨٠)؛ والترمذي (١٥٩٠)؛ وأحمد (٢٣٥٣)؛ وابن الجارود في «المنتقى» (٥٠٩)؛ وعبد الرزاق (٩٧١٣)؛ والبيهقي (١٦/٩) من طرق عن منصور. بهذا الإسناد مطولاً ومختصراً.

(٩) أخرجه البخاري (٢٠٥/١) و (٢٠٥/١٢)؛ ومسلم (٤٤٧/١٣٥٥).

(١٠) في «كتاب الجنائز» (٢١٣/٣). (١١) في (ز) و(ض): «قال».

وهذا الذي علقه البخاري^(١) رواه الإمام أبو عبد الله ابن ماجه، عن محمد بن عبد الله بن نمير، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن الحسن بن مسلم بن يناق، عن صفية بنت شيبة، قالت: سمعت النبي ﷺ يخطب عام الفتح، فقال: «يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام إلى يوم القيامة، لا يعصدها ولا ينفر صيدها، ولا يأخذ لفظتها إلا منشد». فقال العباس: إلا الإذخر؛ فإنه للبيوت والقبور. فقال رسول الله ﷺ: «إلا الإذخر».

وعن أبي شريح العدوي أنه قال لعمر بن سعيد - وهو يبعث البعوث إلى مكة -: ائذن لي - أيها الأمير - أن أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يضعدها بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ، فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم. وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب». فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيد عاصياً، ولا فاراً بدم، ولا فاراً بخربة.

رواه البخاري^(٢) ومسلم، وهذا لفظه.

فإذا علم هذا فلا منافاة بين هذه الأحاديث الدالة على أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، وبين الأحاديث الدالة على أن إبراهيم عليه السلام، حرمها؛ لأن إبراهيم بلغ عن الله حكمه فيها وتحريمه إياها، وأنها لم تزل بلداً حراماً عند الله قبل بناء إبراهيم عليه السلام، لها، كما أنه قد كان رسول الله ﷺ مكتوباً عند الله خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته^(٣)، ومع هذا قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] الآية. وقد أجاب الله دعاءه بما سبق في علمه وقدره. ولهذا جاء في الحديث^(٤) أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن بدء أمرك. فقال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى ابن مريم، ورأت أمي (كأنه)^(٥) خرج منها نور أضاءت له قصور الشام».

أي: أخبرنا عن بدء ظهور أمرك. كما سيأتي قريباً، إن شاء الله.

(١) وصله البخاري في «التاريخ الكبير» (١/١/٤٥١، ٤٥٢) قال: قال لي عبيد بن يعيش، حدثنا يونس بن بكير، أخبرنا محمد بن إسحاق قال: حدثني أبان بن صالح بسنده سواء؛ وأخرجه الطحاوي في «المشكّل» (٣١٤٣) قال: حدثنا محمد بن علي بن داود، ثنا عبيد بن يعيش بهذا الإسناد؛ وأخرجه ابن ماجه (٣١٠٩) قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، ثنا يونس بن بكير بسنده سواء. وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري في «جزاء الصيد» (٤١/٤ - صحيحه)؛ ومسلم (٤٤٦/١٣٥٤).

(٣) لا يثبت الحديث بهذا اللفظ.

[وله شاهد]. أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٩١٨)؛ وفي «السنة» (٤١١) قال: حدثنا هذبة. قال الحافظ في «الإصابة» (٦/٢٤٠): «إسناده صحيح» وكذلك قال شيخنا الألباني في «ظلال الجنة».

(٥) في (ل): «كأنها».

(٤) وهو حديث حسن.

وأما مسألة تفضيل مكة على المدينة، كما هو قول الجمهور، أو المدينة على مكة، كما هو مذهب مالك وأتباعه، فتذكر في موضع آخر بأدلتها، إن شاء الله، وبه الثقة.

وقوله تعالى إخباراً عن الخليل أنه قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ أي: من الخوف، لا يرعب أهله، وقد فعل الله ذلك شرعاً وقدرًا؛ (كقوله تعالى) ^(١): ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] (وقوله) ^(٢): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَنْحَضِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] إلى غير ذلك من الآيات. وقد تقدمت الأحاديث في تحريم القتال فيها. وفي «صحيح مسلم» ^(٣)، عن جابر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح». وقال في هذه السورة: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ أي: اجعل هذه البقعة بلدًا آمنًا، وناسب هذا؛ لأنه قبل بناء الكعبة. وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [٣٥] وناسب هذا هناك لأنه - والله أعلم - كأن وقع دعاء (مرة ثانية) بعد بناء البيت واستقرار أهله به، وبعد مولد إسحاق الذي هو أصغر سنًا من إسماعيل بثلاث عشرة سنة؛ ولهذا قال في آخر الدعاء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم].

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

قال أبو جعفر الرازي ^(٤)، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ قال: هو قول الله تعالى. وهذا قول مجاهد ^(٥) وعكرمة وهو الذي صوبه ابن جرير، رحمه الله تعالى: قال: وقرأ آخرون: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ فجعلوا ذلك من تمام دعاء إبراهيم، كما رواه أبو جعفر ^(٦)، عن الربيع، عن أبي العالية قال: كان ابن عباس يقول: ذلك قول إبراهيم، يسأل ربه أن من كفر فأمتعته قليلًا.

وقال ابن أبي جعفر ^(٧)، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ يقول: ومن كفر فأرزقه أيضاً ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

وقال محمد بن إسحاق ^(٨): لما عزل إبراهيم عليه السلام، الدعوة عمن أبى الله أن يجعل له الولاية

(١) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ن) و(ي)؛ وفي (ل): «كما قال الله تعالى»؛ وفي (ك): «لقوله تعالى».

(٢) من (ن) و(ي).

(٣) في «كتاب الحج» (١٣٥٦/٤٤٩).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٠٣٣)؛ وابن أبي حاتم (١٢٣٣) وسنده حسن.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٣٥) من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح قال: سمعت عكرمة فذكر مثله. قال ابن أبي نجيح: سمعت هذا من عكرمة ثم عرضته على مجاهد فلم ينكره. [وسنده صحيح].

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٠٣٥)؛ وابن أبي حاتم (١٢٣٤). [وسنده جيد].

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٠٣٥) قال: حدثنا المثنى، ثنا إسحاق، ثنا ابن أبي جعفر فذكره. وسنده ضعيف لجهالة شيخ ابن جرير، ولضعف ليث بن أبي سليم. ولكن أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٣٦) من طريق ابن أبي زائدة أنا إسرائيل عن خصيف عن سعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد فذكره، وهذا سند صالح يعتبر به وخصيف بن عبد الرحمن مختلف فيه.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٠٣٤) قال: حدثنا ابن حميد، ثنا سلمة، قال ابن إسحاق فذكره. وسنده ضعيف جداً =

- انقطاعاً إلى الله ومحبته، وفراقاً لمن خالف أمره، وإن كانوا من ذريته، حين عرف أنه كائن منهم أنه ظالم ألا يناله عهده، بخبر الله له بذلك - قال الله: ومن كفر فأني أرزق البر والفاجر وأمتعته قليلاً.

وقال حاتم بن إسماعيل^(١)، عن حميد الخراط، عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال ابن عباس: كان إبراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس، فأنزل الله ومن كفر أيضاً أرزقهم كما أرزق المؤمنين أخلق خلقاً لا أرزقهم؟! أمتعهم قليلاً، ثم أضطرهم إلى عذاب النار وبئس المصير. ثم قرأ ابن عباس: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهَنُوًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء]. رواه ابن مردويه. وروى عن عكرمة ومجاهد نحو ذلك أيضاً. وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَقْلِحُونَ﴾ (١٦) ﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (١٧) [يونس] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٨) ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (١٩) [لقمان] وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُثْبِتْهُمْ سُبُحًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٢٠) ﴿وَلِيُثْبِتْهُمْ أَنْبَاءً وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُنْكَرُونَ﴾ (٢١) ﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢٢) [الزخرف].

وقوله: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: ثم ألجئه بعد متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلها إلى عذاب النار وبئس المصير. ومعناه: أن الله تعالى ينظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، كقوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرِيْبَةٍ أُمَلِّتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ (٢٣) [الحج] وفي «الصحيحين»^(٢): «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله؛ إنهم يجعلون له ولداً، وهو يرزقهم ويعافهم»، وفي «الصحيح»^(٣) (أيضاً)^(٤): «إن الله (ليملي)^(٥) للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (٢٤) [هود].

^(٦) [وقرأ بعضهم «قال: ومن كفر فأمتعته قليلاً، ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير»]^(٦)

= لوهاء ابن حميد. وسلمة بن الفضل لين الحفظ.
(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٢٨) قال: حدثنا أبي، ثنا هشام بن عمار، ثنا حاتم بن إسماعيل به. وهشام بن عمار في حفظه مقال. وقد تابعه إبراهيم بن موسى الرازي، ثنا حاتم بن إسماعيل. أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٢٦) قال: حدثنا أبي، ثنا إبراهيم. وإبراهيم هذا هو الملقب بـ«الصغير» وهو ثقة؛ وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج ١٢/ رقم ١٢٤٠٢) من طريق سعيد بن عمرو الأشعري ثنا حاتم بن إسماعيل به وهذا إسناد جيد، لولا ما نقله العلائي في «جامع التحصيل» (٥٥٠) عن الإمام أحمد أنه قال: «عمار بن معاوية الدهني لم يسمع من سعيد بن جبير شيئاً».

(٢) مر تخريجه تحت الآية (١١٦).

(٣) وهو في «الصحيحين»؛ أخرجه البخاري في «كتاب التفسير» (٣٥٤/٨)، ومسلم (٦١/٢٥٨٣).

(٤) ساقط من (ك). (٥) في (ج) و(ل): «يملي».

(٦) ساقط من (ز) و(ض) و(ي). واستدرسته من (ج) و(ك) و(ل) و(ن).

(١) [جعله من تمام دعاء إبراهيم، وهي قراءة شاذة، مخالفة للقراء السبعة، وتركيب السياق يأبى (معناها) (٢)، والله أعلم، فإن الضمير في ﴿قَالَ﴾ راجع إلى الله تعالى في قراءة الجمهور، والسياق يقتضيه، وعلى هذه القراءة الشاذة، يكون الضمير عائداً على إبراهيم، وهو خلاف نظم الكلام، والله سبحانه هو العلام (١).]

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ فالقواعد: جمع قاعدة، وهي السارية والأساس، يقول تعالى: واذكر - يا محمد - لقومك بناء إبراهيم وإسماعيل ﷺ، البيت، ورفعهما القواعد منه، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣) [وحكى القرطبي (٤) وغيره عن أبي وابن مسعود أنهما كانا يقرآن: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ويقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

قلت: ويدل على هذا قولهما بعده: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ الآية (٣). فهما في عمل صالح، وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما، كما روى ابن أبي حاتم (٥) من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكي، عن وهيب بن الورد: أنه قرأ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ ثم يبكي ويقول: يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك؟. وهذا كما حكى الله تعالى عن حال المؤمنين (الخلص) (٦) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ أي: يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أي: خائفة ألا يتقبل منهم. كما جاء به الحديث الصحيح، عن عائشة، عن رسول الله ﷺ كما سيأتي في موضعه (٧).

وقال بعض المفسرين: الذي كان يرفع القواعد هو إبراهيم، والداعي إسماعيل: والصحيح أنهما كانا يرفعان ويقولان، كما سيأتي بيانه.

وقد روى البخاري ها هنا حديثاً سنورده ثم نتبعه بآثار متعلقة بذلك، قال البخاري (٨) ﷺ:

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أيوب السختياني، وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير، عن ابن

(١) ساقط من (ز) و(ض) و(ي). واستدرسته من (ج) و(ك) و(ل) و(ن).

(٢) ساقط من (ل)؛ وفي (ك): «معناه».

(٣) ساقط من (ز) و(ض) و(ي). (٤) في «تفسيره» (١٢٦/٢).

(٥) في «تفسيره» (١٢٥٠) ومن طريق أبي بكر بن محمد بن يزيد بن خنيس وابن أبي زياد قالوا: ثنا محمد بن يزيد بن خنيس به. والروايان عن محمد بن يزيد لم أقف لهما على ترجمة. ومحمد بن يزيد بن خنيس وثقه أبو حاتم الرازي كما في «الجرح والتعديل» (١٢٧/١/٤) وذكره ابن حبان في «الثقات» (٦١/٩) وقال: «ربما أخطأ، يعتبر بحديثه إذا بين السماع في خبره ولم يرو عنه إلا ثقة» ومع ذلك فقد قال الحافظ فيه «مقبول»!

(٦) في (ز) و(ض): «المخلصين». (٧) من تفسير سورة المؤمنون الآية [٦٠].

(٨) في «كتاب الأنبياء» (٣٩٦/٦ - ٣٩٨) من طريق عبد الرزاق وهذا في «المصنف» (ج ٥/رقم ٩١٠٧) بسنده سواء؛ وأخرجه البخاري أيضاً في «كتاب المساقاة» (٤٣/٥) بهذا الإسناد مختصراً.

عباس عليه السلام، قال: أول (ما) ^(١) اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، (عليهما) ^(٢) السلام. اتخذت منطقاً (لتعفي) ^(٣) أثرها على سارة. ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل، (عليهما) ^(٤) السلام، وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم عليه السلام منطلقاً. فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. (فقال له) ^(٥): «الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم عليه السلام، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه، قال: ﴿رَبَّنَا ^(٦) إِنِّي اسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيِّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [إبراهيم] وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل عليه السلام، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ (ما في السقاء) ^(٧) عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال: يتلبط ^(٨) - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض (يليه) ^(٩)، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً. فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي. ثم أتت المروة، فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً. ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فلذلك سعى الناس بينهما».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه، تريد: نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضاً. فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال: بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً».

(قال) ^(١٠): فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا يتخافى الضيعة؛ فإنها هنا

(١) في (ل): «من».

(٢) في (ل): «عليه» ولم يقع ذكر التسليم أصلاً في «الصحيح».

(٣) في (ل): «لتعفي»؛ وفي (ز) و(ض): «ليعفي» بالتحانية.

(٤) في (ج) و(ل): «عليه» وسقط من (ك) و(ن) و(ي).

(٥) في (ك): «وقالت»؛ وفي (ج): «قالت».

(٦) كذا وقع في كل «الأصول» ما عدا (ز) ففيها (ربنا) وكذلك وقع في رواية الكشميهني كما نبه عليه الحافظ في

«الفتح»، وأظن أن المحققين لطبعة «الشعب» من «التفسير» غيروا ما جاء في «الأصل» لأن النسخة (ض)،

وهي مأخوذة عن النسخة الأزهرية، وقع فيها «رب»، ونبه ناسخ (ن) و(ي) إلى أنها في المصحف: «ربنا».

(٧) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي) وهو الموافق لما في «الصحيح». ووقع في (ز) و(ض): «ماء السقاء».

(٨) يتلبط؛ يعني: يتمرغ. (٩) في (ل): «إليها».

(١٠) من (ن) و(ي). وهو في «الصحيح».

بيتاً لله ﷻ بينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله ﷻ لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم - أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من طريق كداء. فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر (ليدور)^(١) على (ماء)^(٢) لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء. فأرسلوا جرياً أو جريين، فإذا هم بالماء. فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا. قال: وأم إسماعيل عند الماء. فقالوا: أتأذنين لنا أن نزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم.

قال (عبد الله)^(٣) بن عباس: فقال النبي ﷺ: «فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس». فنزلوا، وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم. حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم. وماتت أم إسماعيل (عليها السلام)^(٤)، فجاء إبراهيم (عليه السلام)^(٥) بعد ما تزوج إسماعيل (يطالع)^(٦) تركته. فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه. فقالت: خرج يبتغي لنا. ثم سأله عن عيشهم وهيتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة. وشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك (اقرئي)^(٧) عليه السلام، وقولي له: يغير عتبة بابي. فلما جاء إسماعيل (عليه السلام)، كأنه أنس شيئاً. فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، (فسألنا)^(٨) عنك، فأخبرته، وسألني كيف عشنا؟ فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، (ويقول)^(٩): «غير عتبة بابك». قال: ذاك أبي. (وقد)^(١٠) أمرني أن أفارقك، فالحقي بأهلك، فطلقها وتزوج منهم بأخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده. فدخل على امرأته، فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيتهم. فقالت: نحن بخير وسعة. وأثنت على الله ﷻ. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: «اللهم بارك لهم في اللحم والماء». قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم، لدعاهم فيه. قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه». قال: «إذا جاء زوجك فأقرئي (عليها السلام)، ومريه يثبت عتبة بابي، فلما جاء إسماعيل (عليه السلام)، قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، (وأثنت عليه)^(١١)»، فسألني عنك،

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) كذا في (ن) و(ي) وأشار إليها ناسخ (ج) في الحاشية، وهو الموافق لما في «الصحيح». ووقع في (ز) و(ض) و(ك) و(ل): «الماء».

(٣) من (ج) و(ض) و(ل) و(ي).

(٤) من (ج) و(ك) و(ل).

(٥) كذا في (ج) و(ل) و(ن) وهو الموافق لما في «الصحيح»؛ وفي (ز) و(ض): «ليطالع»؛ وفي (ك): «وطالع بركته»!!

(٦) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ي)؛ وفي (ز) و(ض) فأقرئي وهو الموافق لما في «الصحيح».

(٨) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي) وهو الموافق لما في «الصحيح». ووقع في (ز) و(ض): «فسألني».

(٩) في (ك): «ويقول لك».

(١٠) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ل).

(١١) في (ل): «أثنت عليه خيراً».

فأخبرته، ^(١) [فسألني: كيف عيشنا؟ فأخبرته] ^(١) أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك. ثم لبث عنهم ما شاء الله ﷻ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل (يبري نبلاً له) ^(٢) تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الولد بالوالد، والوالد بالولد. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله (ﷻ) ^(٣) أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك ﷻ. قال: وتعيني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً - وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - قال: فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت (فجعل) ^(٤) إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ^(٥)، [قال: «فجعلاً بينان حتى (يدورا)» ^(٦) حول البيت، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾] ^(٥). ^(٧) [ورواه عبد بن حميد، عن عبد الرزاق به مطولاً] ^(٧).

ورواه ابن أبي حاتم، عن أبي عبد الله محمد بن حماد الظهراني، وابن جرير، عن أحمد بن ثابت الرازي، كلاهما عن عبد الرزاق (به) ^(٨) مختصراً. وقال أبو بكر بن مردويه ^(٩): حدثنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا أحمد بن محمد الأزرق، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي، عن عبد الملك بن جريج، عن كثير بن كثير، قال: كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين في ناس مع سعيد بن جبير، في أعلى المسجد ليلاً، فقال سعيد بن جبير: سلوني قبل أن لا تروني. فسألوه عن المقام. فأنشأ يحدثهم عن ابن عباس، فذكر الحديث بطوله: ثم قال البخاري ^(١٠): حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أبو عامر عبد الملك بن

(١) ساقط من (ج).

(٢) في (ل): «بني بيتاً له»! وسقطت لفظة «له» من (ج).

(٣) من (ج) و(ض) و(ك) و(ل).

(٤) في (ل): «قال: فجعل».

(٥) في (ل): «تدور».

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) من (ن) و(ي).

(٨) أخرجه أبو الوليد الأزرق في «أخبار مكة» (١/٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٨؛ ٥٨، ٥٩) قال: حدثني جدي، هو أحمد بن محمد الأزرق، ثنا مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن جريج، عن كثير بن كثير، عن سعيد بن جبير، حدثنا عبد الله بن عباس وذكر طرفاً من الحديث. والزنجي ضعيف ولكنه توبع. تابعه محمد بن عبد الله الأنصاري قال: حدثنا ابن جريج قال: أما كثير بن كثير فحدثني قال: إني وعثمان بن أبي سليمان جلوس مع سعيد بن جبير فقال: ما هكذا حدثني ابن عباس وذكره مختصراً جداً؛ أخرجه البخاري (٦/٣٩٦) معلقاً ووصله عمر بن شبة في «كتاب مكة»؛ وأبو نعيم في «المستخرج»، كما في «الفتح» (٦/٤٠٠)، وتابعه أيضاً محمد بن جشعم، عن ابن جريج بسنده سواء.

(٩) في «كتاب الأنبياء» (٦/٣٩٨، ٣٩٩).

وأخرجه النسائي في «كتاب المناقب» (٥/١٠١، ١٠٢ - الكبرى) قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن المبارك قال: أنا أبو عامر وعثمان بن عمر، عن إبراهيم بن نافع بهذا الإسناد بطوله. وأخرجه ابن أبي حاتم (١٢٤٣) قال: حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان، ثنا عثمان بن عمر ثنا إبراهيم بن نافع بهذا =

(عمرو)^(١)، حدثنا إبراهيم بن نافع، عن كثير بن كثير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان، خرج بإسماعيل وأم إسماعيل، ومعهم شنة فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة، فيدر لبنها على صبيها، حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل، حتى (لما)^(٢) بلغوا كداء (نادته)^(٣) من ورائه: يا إبراهيم، إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله ﷻ. قالت: رضيت بالله. قال: فرجعت، فجعلت تشرب من الشنة، ويدر لبنها على صبيها حتى لما فنى الماء قالت: لو ذهبت فنظرت لعلني أحس أحداً. قال: فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت هل تحس أحداً، فلم تحس أحداً. فلما بلغت الوادي (سعت)^(٤) حتى أتت المروة، ففعلت ذلك أشواطاً ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل، تعني: الصبي، فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت، فلم تقرها نفسها، فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلني أحس أحداً. قال: فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت فلم تحس أحداً، حتى أتممت سبعاً، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل، فإذا هي بصوت، فقالت: أغث إن كان عندك خير. فإذا جبريل ﷺ قال: فقال بعقبه هكذا، وغمز عقبه على الأرض. قال: فانبتق الماء، فدهشت أم إسماعيل، فجعلت تحفر. قال: فقال أبو القاسم ﷺ: «لو تركته لكان الماء (ظاهراً)^(٥)».

قال: فجعلت تشرب من الماء ويدر لبنها على صبيها.

قال: فمر ناس من جرهم ببطن الوادي، فإذا هم بطير، كأنهم أنكروا ذلك، وقالوا: ما يكون الطير إلا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر، فإذا هو بالماء. فأتاهم فأخبرهم. فأتوا إليها فقالوا: يا أم إسماعيل، أتأذنين لنا أن نكون معك - أو نسكن معك؟ - فبلغ ابنها ونكح (فيهم)^(٦) امرأة. قال: ثم إنه بدا لإبراهيم (ﷺ)^(٧)، فقال لأهله: إني مطلع تركتي. قال: فجاء فسلم، فقال: أين إسماعيل؟ قالت امرأته: ذهب يصيد. قال: قولي له إذا جاء: غير عتبة بيتك. فلما جاء أخبرته، قال: أنت ذاك، فاذهبي إلى أهلك.

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم، فقال لأهله: إني مطلع تركتي. قال: فجاء فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد. فقالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ فقال: ما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم، وشرابنا الماء. قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم.

= الإسناد مختصراً؛ وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩٩٩، ٢٠٥٦)؛ والحاكم (٥٥١/٢، ٥٥٢) قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، قالوا: ثنا محمد بن سنان القزاز، ثنا أبو علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي، عن إبراهيم بن نافع [وسقط ذكره من «المستدرک»] بسنده سواء. وقد صححه الحاكم على شرط الشيخين، فتعجب ابن كثير من استدراكه هذا على البخاري، ولم ينبه على أنه ليس على شرط مسلم أيضاً، لأنه لم يخرج هذه الترجمة في «صحيحه»: «إبراهيم بن نافع، عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير». ولم يخرج الشيخان لأبي علي الحنفي شيئاً عن إبراهيم بن نافع.

(١) في (ك): «عمير» وهو خطأ. (٢) ساقط من (ز)؛ وفي (ن): «إذا».

(٣) في (ل): «سألته»!

(٤) في (ل): «ظاهر».

(٥) في (ل): «ظاهر».

(٦) في (ك) و(ل): «ﷺ».

(٧) في (ل): «ﷺ».

قال: فقال أبو القاسم عليه السلام: «بركة بدعوة إبراهيم».

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم عليه السلام فقال لأهله: إني مطلع تركتي. فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح (نبلاً له)^(١). فقال: يا إسماعيل، إن ربك ﷻ، أمرني أن أبني له بيتاً. فقال: أطع ربك ﷻ. قال: إنه قد أمرني أن تعينني عليه؟ فقال: إذن أفعل - أو كما قال - قال: (فقاما)^(٢)، (فجعل)^(٣) إبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، ويقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤) [قال: حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة. فقام على حجر المقام، فجعل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾]^(٥).

هكذا رواه من هذين الوجهين في «كتاب الأنبياء».

والعجب أن الحافظ أبا عبد الله الحاكم رواه في كتابه «المستدرک»، عن أبي العباس الأصم، عن محمد بن سنان القزاز، عن أبي علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي، عن إبراهيم بن نافع، به. وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». كذا قال! وقد رواه البخاري كما ترى، من حديث إبراهيم بن نافع، كأن فيه اقتصاراً، فإنه لم يذكر فيه (شأن)^(٦) الذبح. وقد جاء في «الصحيح»^(٦)، أن قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة. وقد جاء^(٧) أن إبراهيم عليه السلام، كان يزور أهله بمكة (على البراق سريعاً)^(٨)، ثم يعود (إلى أهله بالبلاد)^(٩) المقدسة، والله أعلم. والحديث - والله أعلم - إنما فيه - مرفوع - أماكن صرح بها ابن عباس، عن النبي ﷺ.

(١) في (ل): «بيتاً له».

(٢) من (ز) و(ك). وهو الموافق لما في «الصحيح»؛ وفي سائر «الأصول»: فقام.

(٣) في (ج) و(ل): «قال: فجعل».

(٤) هذا القدر ليس في «الصحيح» وهو عند ابن جرير (٢٠٥٦) وقد ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٤٠٦/٦).

(٥) ساقط من (ز) و(ض).

(٦) لم أظفر به، فليُنظر. وقد أخرج أبو داود (٢٠٣٠) قال: حدثنا ابن السرح وسعيد بن منصور ومسدد وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٦١١) قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب؛ وأحمد (٦٨/٤)؛ و٥/٣٨٠؛ وابن أبي شيبه (٤٦/٢)؛ والحميدي (٥٦٥) ومن طريقه ابن قانع (٢٥٥/٢)؛ وعبد الرزاق في «المصنف» (٩٠٨٣) ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (ج ٩/رقم ٨٣٩٦)؛ والبيهقي (٤٣٨/٢)؛ وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢٥٥/٢) من طريق مسدد من طريق أحمد بن شيبان الرملي تسعتهم عن سفيان بن عيينة، عن منصور الحنفي، حدثني خالي: مسافع بن شيبه، عن صفية بنت شيبه أم منصور، قالت: أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة. وقالت مرة: إنها سألت عثمان بن طلحة: لم دعاك النبي ﷺ؟ قال: «إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت، فنسيت أن أمرك أن تخمرهما، فخرهما، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلى» قال سفيان: لم تزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت، فاحترقا. وسنده صحيح. وانظر «أخبار مكة» (١٥٩/١ - ١٦٢) للأزرقي؛ و«المصنف» (٨٦/٥، ٨٧) لعبد الرزاق.

(٧) قال الحافظ في «الفتح» (٤٠٤/٦): «في حديث أبي جهيم: كان إبراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق يغدو غدوة، فيأتي مكة، ثم يرجع فيقبل في منزله بالشام. وروى الفاكهي من حديث علي بإسناد حسن نحوه، وأن إبراهيم كان يزور إسماعيل وأمه على البراق». انتهى.

(٨) في (ل): «سريعاً على البراق».

(٩) في (ل): «لأهله إلى البلاد».

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ^(١) في هذا السياق ما يخالف بعض (هذا) ^(٢)، كما قال ابن جرير ^(٣):

حدثنا محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى قالا: حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن علي بن أبي طالب، قال: لما أمر إبراهيم ببناء البيت، خرج معه إسماعيل وهاجر. قال: فلما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة، فيه مثل الرأس. فكلّمه، قال: يا إبراهيم، ابن علي ظلي - أو قال: علي قدري - ولا تزد ولا تنقص، فلما بنى خرج، وخلف إسماعيل وهاجر، فقالت هاجر: يا إبراهيم، إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله. قالت: انطلق، فإنه لا يضيعنا. قال: فعطش إسماعيل عطشاً شديداً، قال: فصعدت هاجر إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئاً، حتى أتت المروة فلم تر شيئاً، ثم رجعت إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئاً، حتى أتت المروة فلم تر شيئاً، ثم رجعت إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئاً، حتى فعلت ذلك سبع مرات، فقالت: يا إسماعيل، (مُت) ^(٤) حيث لا أراك. فأتته وهو يفحص برجله من العطش. فناداه جبريل فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم. قال: ^(٥) [فإلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا إلى الله (ﷻ) ^(٦) قال] ^(٥): (وكلكما) ^(٧) (إلى) ^(٨) كافٍ. قال: ففحص الأرض بإصبعه، فنبعت زمزم. فجعلت تحبس الماء فقال: فإنها رواء.

ففي هذا السياق أنه بنى البيت قبل أن يفارقهما، وقد يحتمل - إن كان محفوظاً - أن يكون أولاً وضع له حوطاً وتحجيراً، لا أنه بناه إلى أعلاه، حتى كبر إسماعيل فبناها معاً، كما قال الله تعالى.

ثم قال ابن جرير ^(٩): حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عرعة، أن رجلاً قام إلى علي (عليه السلام)، فقال: ألا تخبرني عن البيت، أهو أول بيت وضع في الأرض؟ قال: لا، ولكنه أول بيت وضع (فيه) ^(١٠) البركة مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، وإن شئت أنبأتك كيف بُني: إن الله أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض، قال: فضاق إبراهيم بذلك ذرعاً فأرسل الله السكينة - وهي ريح خجوج ^(١١)، ولها رأسان - فأتبع أحدهما

(١) من (ل). (٢) في (ل): «هذا».

(٣) في «تفسيره» (٢٠٥٧)؛ وأخرجه في «التاريخ» (١٢٩/١) بهذا الإسناد سواء. وأخرج الأزرق في «أخبار مكة» (٦٠/١) طرفاً منه من طريق محمد بن أبان عن أبي إسحاق السبيعي بهذا الإسناد، ومؤمل بن إسماعيل صدوق لكنه كان كثير الخطأ، ولم يكن من الرفعاء من أصحاب الثوري.

(٤) كذا في (ز) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري»؛ وفي سائر «الأصول»: «من».

(٥) ساقط من (ل) وعنده: «فإنه وكلكما».

(٦) من (ك).

(٧) في (ج): «كلكما»!

(٨) ساقط من (ز) و(ض).

(٩) في «تفسيره» (٢٠٥٨)؛ وأخرجه في «تاريخه» (١٢٨/١، ١٢٩) بهذا الإسناد.

أخرجه الحاكم (٢٩٢/٢، ٢٩٣) وقال: «صحيح على شرط مسلم». كذا قال، وخالد بن عرعة فضلاً عن أنه ليس من رجال مسلم، بل لم يخرج له أحد من الستة.

(١٠) في سائر «الأصول»: «في». وانظر ما كتبه الشيخ محمود شاكر (٧٠/٣) رَحِمَهُ اللهُ.

(١١) الخجوج: هي الرياح الشديدة العاتية.

صاحبه، حتى انتهت إلى مكة، (فتطوت)^(١) على موضع البيت كطي الحجفة، وأمر إبراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة. فبنى إبراهيم وبقي حجر، فذهب الغلام يبغي شيئاً. فقال إبراهيم: أبغني حجراً كما أمرك. قال: فانطلق الغلام يلتمس له حجراً، فأتاه به، فوجده قد ركب الحجر الأسود في مكانه. فقال: يا أبة، من أتك بهذا الحجر؟ فقال: أتاني به من (لم)^(٢) يتكل على بنائك، جاء به جبريل عليه السلام، من السماء. فأتماه.

وقال ابن أبي حاتم^(٣): حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا سفيان، عن بشر بن عاصم، عن سعيد بن المسيب، عن كعب الأحبار، قال: كان البيت غشاة على الماء قبل أن يخلق الله الأرض بأربعين عاماً، ومنه دحيت الأرض.

قال سعيد^(٤): وحدثنا علي بن أبي طالب: أن إبراهيم أقبل من أرمينية، ومعه السكينة تدله على (تبوء)^(٥) البيت كما تتبوء العنكبوت بيتاً، قال: فكشفت عن أحجار (لا يطيق)^(٦) الحجر إلا ثلاثون رجلاً. (فقلت)^(٧): يا أبا محمد، فإن الله يقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ قال: كان ذلك بعد.

وقال السدي^(٨): إن الله ﷻ، أمر إبراهيم أن يبنى (البيت)^(٩) هو وإسماعيل: ابنيا بيتي للطائفتين والعاكفين والركع السجود، فانطلق إبراهيم عليه السلام، حتى أتى مكة، فقام هو وإسماعيل، وأخذوا المعاول لا يدريان أين البيت؟ فبعث الله ريحاً، يقال لها: ريح الخجوج، لها جناحان ورأس في صورة حية، فكشفت لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول، واتباعها بالمعاول يحفران حتى

(١) في (ك): «فنظرت»! وتطوت: يعني: استدارت. يقال: تطوت الحية؛ تحوت والتفت بعضها على بعض واستدارت كالطوق. والحجفة: الترس من الجلد. (شاكر).

(٢) في (ل): «لا».

(٣) في «تفسيره» (١٢٤٥).

وأخرجه ابن جرير (٢٠٥٠) من طريق عبد الرزاق. والأزرق في «أخبار مكة» (٣١/١) قال: حدثنا جدي أحمد بن محمد بن الوليد قال: ثنا سفيان بن عيينة بهذا الإسناد. وسنده صحيح إلى كعب.

(٤) هو ابن المسيب، وهذا من تنمة الخبر وقد وقع هكذا في «تفسير ابن أبي حاتم»: «سعيد بن المسيب قال: وحدثنا علي بن أبي طالب» وكذلك أخرجه الأزرق في «أخبار مكة» (٦٢/١) قال: حدثني جدي، ثنا ابن عيينة، عن بشر بن عاصم، عن سعيد بن المسيب قال: أخبرني علي بن أبي طالب؛ وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٣٢/١٠) من وجه آخر عن ابن عيينة؛ وأخرجه الحاكم (٢٦٧/٢) من طريق زكريا بن إسحاق، عن بشر بن عاصم بإسناده وفيه: «سعيد ثنا علي بن أبي طالب». ولكن وقع في «تفسير الطبري» (٢٠٥٠) من طريق عبد الرزاق نا ابن عيينة، بسنده قال: «سعيد: وحدثنا عن علي». وهذا يدل على الانقطاع. ورجح الشيخ أبو الأشبال رحمه الله أن الصواب ما وقع عند ابن أبي حاتم وغيره من ثبوت الاتصال. والله أعلم. وعزاه السيوطي في «الدر» (١٢٦/١) لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٥) في (ك): «بنوا».

(٦) في (ز) و(ض): «قلت».

(٨) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٠٠٩، ٢٠٥٣)؛ وفي «تاريخه» (١٢٩/١) قال: حدثني موسى بن هارون؛ وابن أبي حاتم (١٢٤٧) قال: قال: حدثنا أبو زرعة قال: ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي. [وسنده حسن].

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

وضعا الأساس. فذلك حين يقول (الله) ^(١) تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] فلما بنيا القواعد قبلغا مكان الركن. قال إبراهيم لإسماعيل: يا بني! اطلب لي حجراً حسناً أضعه ها هنا. قال: يا أبت، إني كسلان (لغب) ^(٢).

قال: علي بذلك فانطلق ^(٣) يطلب له حجراً، وجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند، وكان أبيض، ياقوتة (بيضاء) ^(٤) مثل الثغامة، وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس، فجاءه إسماعيل بحجر فوجده عند الركن، فقال: يا أبة، من جاءك بهذا؟ قال: جاء به من هو أنشط منك. فبنيا وهما يدعوان الكلمات التي ابتلي (بهن) ^(٥) إبراهيم ربُّه، (فقال) ^(٦): ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وفي هذا السياق ما يدل على أن قواعد البيت كانت مبنية قبل إبراهيم. وإنما هدي إبراهيم إليها وبوئ لها. وقد ذهب إلى (هذا) ^(٧) ذاهبون، كما قال الإمام (عبد الرزاق) ^(٨): أخبرنا معمر، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ (قال) ^(٩): القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك.

وقال عبد الرزاق ^(١٠) أيضاً: أخبرنا هشام بن حسان، عن سوار - ختن عطاء - عن عطاء بن أبي رباح، قال: لما أهبط الله آدم من الجنة، كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم، يأنس إليهم، (فهابت) ^(١١) الملائكة، حتى شكت إلى الله في دعائها

(١) لفظ الجلالة من (ل).

(٢) في (ك): «تعب». وهي كذلك في «تفسير الطبري»؛ وفي سائر «الأصول» ما أثبتته وهو الموافق لما في «تفسير ابن أبي حاتم».

(٣) في «تفسير الطبري» زيادة قبل هذه اللفظة وهي: «فانطلق فطلب حجراً فجاءه بحجر فلم يرضه، قال: اتنني بحجر أحسن من هذا، فانطلق يطلب له حجراً... إلخ».

(٤) ساقط من (ج).

(٥) من (ل).

(٦) في (ل): «بكلمات فقال».

(٨) في (ج): «عبد الرزاق أيضاً» وقوله: «أيضاً» لا وجه له لأنه لم يتقدم ذكر لعبد الرزاق إنما قالها ابن كثير بعد ذلك في رواية هشام بن حسان، فكانه سبق قلم ابن المخب ناسخ (ج) فكتبتها. والله أعلم. وقد أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٨/١، ٥٩) ومن طريقه ابن جرير (٢٠٣٨) قال: أخبرنا معمر. وتويع عبد الرزاق. تابعه محمد بن ثور عن معمر مثله أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٤٢) من طريق نعيم بن حماد ثنا محمد بن ثور. [وصححه سننه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٨/ ١٧٠)].

(٩) في (ج): «قالوا».

(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٠٤١)؛ وفي «تاريخه» (٦١/١) من طريق عبد الرزاق به. وسنده ضعيف وسوار ختن عطاء هو ابن أبي حكيم. ترجمه البخاري في «الكبير» (١٦٨/٢/٢)؛ وابن أبي حاتم (٢٧٣/١/٢) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. وذكره ابن حبان في «الثقات» (٤٢٢/٦) فهو مجهول الحال. وانتقل نظر الشيخ أحمد شاكر رحمته الله فنقل في تعليقه على «تفسير الطبري» (٦٠/٣) تصحيح ابن كثير لهذا الخبر وابن كثير إنما صحح الخبر الذي بعده. والله أعلم. ثم رأيت في «أخبار مكة» (٣٦/١) للأزرقي فرواه من طريق جده قال: ثنا سعيد بن سالم، عن طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس وسياقه مطول. وسنده ضعيف جداً. وطلحة بن عمرو متروك الحديث.

(١١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ز): «فهابته» وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

وفي صلاتها. فخفضه الله إلى الأرض، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله في دعائه وفي صلاته. فوجّه إلى مكة، فكانت موضع قدمه قرية، وخطوه مفازة، حتى انتهى إلى مكة، وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة، فكانت على موضع البيت الآن. فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان، فرفعت تلك الياقوتة، حتى بعث الله إبراهيم عليه السلام، فبناه. وذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦].

وقال عبد الرزاق^(١): أخبرنا ابن جريج، عن عطاء، قال: قال آدم: إني لا أسمع أصوات الملائكة؟! قال: بخطيتك، ولكن اهبط إلى الأرض، فابن لي بيتاً ثم احفف به، كما رأيت الملائكة تحف ببيتي الذي في السماء. فيزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل: من حراء، وطور زيتا، وطور سينا، وجبل لبنان، والجودي. وكان ربه من حراء. فكان هذا بناء آدم، حتى بناه إبراهيم عليه السلام، بعد. وهذا صحيح إلى عطاء، ولكن في بعضه نكارة، والله أعلم.

وقال عبد الرزاق^(٢) أيضاً: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: وضع الله البيت مع آدم (حين)^(٣) أهبط الله آدم إلى الأرض، وكان مهبطه بأرض الهند. وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فكانت الملائكة تهابه، فنقص إلى ستين ذراعاً؛ فحزن (آدم)^(٤) إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم. فشكا ذلك إلى الله ﷻ، فقال الله: يا آدم، إني قد أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي، وتصلي عنده كما يصلي عند عرشي، فانطلق إليه آدم، فخرج ومد له في خطوه، فكان بين كل خطوتين مفازة. فلم تزل تلك (المفاوز)^(٥) بعد ذلك. فأتى آدم البيت فطاف به، ومن بعده من الأنبياء.

وقال ابن جرير^(٦): حدثنا (ابن حميد)^(٧)، حدثنا يعقوب (القمي)^(٨)، عن حفص بن حميد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: وضع الله البيت على أركان الماء، على أربعة أركان، قبل أن تخلق الدنيا بألفى عام، ثم دحيت الأرض من تحت البيت.

وقال محمد بن إسحاق^(٩): حدثني (عبد الله)^(١٠) بن أبي نجيع، عن مجاهد وغيره من أهله العلم: أن الله لما بوأ إبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام، وخرج معه بإسماعيل وبأمه

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠٣٧). [وصححه سننه الحافظ ابن كثير، والخبر من الإسرائيليات].

(٢) في «تفسيره» (٣٤/٢) ومن طريقه ابن جرير (٢٠٤٢). [وسنده صحيح لكنه من الإسرائيليات].

(٣) ساقط من (ز) و(ض) و(ك) و(ن) و(و) وأشار ناسخ (ي) إلى أنها ثبتت في نسخة.

(٤) ساقط من (ز) و(ض).

(٥) في (ز) و(ض): «المفازة»؛ وفي (ك): «المفاوزة»!

(٦) في «تفسيره» (٢٠٤٦) وابن حميد هو محمد وتقدم ذكرنا لضعفه.

(٧) في (ج) و(ل): «أبو حميد»! (٨) في (ك): «التقسي»!

(٩) ومن طريقه ابن جرير (٢٠٤٨) وفي إسناده محمد بن حميد وسلمة بن الفضل. ولكن أخرجه الأزرق في «أخبار مكة» (٥٤/١) قال: حدثني جدي، قال: حدثني سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، أخبرني محمد بن إسحاق، حدثني ابن أبي نجيع، عن مجاهد. وعثمان هذا ترجمه البخاري (٢٢٧/٢/٣)؛ وابن

أبي حاتم (١٥٣/١/٣) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. ولم أره في «فهارس الثقات» لابن حبان.

(١٠) ساقط من (ز) و(ض).

هاجر، وإسماعيل طفل صغير يرضع، وحملوا - فيما حدثني - على البراق، ومعه جبريل يدلّه على موضع البيت ومعالم الحرم. وخرج معه جبريل، فكان لا يمر بقريّة إلا قال: أبهذه أمرت يا جبريل؟ فيقول جبريل: امضه. حتى قدم به مكة، وهي إذ ذاك (عضاه)^(١) سلم (وسمر و)^(٢) بها أناس يقال لهم: «العماليق» خارج مكة وما حولها. والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة^(٣)، فقال إبراهيم لجبريل: أها هنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم. فعمد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً، فقال: (رَبِّ^(٤) ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقال عبد الرزاق^(٥): أخبرنا هشام بن حسان، أخبرني حميد، عن مجاهد، قال: خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً بألفي سنة، وأركانه في الأرض السابعة. وكذا قال ليث بن أبي سليم^(٦)، عن مجاهد: القواعد في الأرض السابعة.

وقال ابن أبي حاتم^(٧): حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن رافع، حدثنا عبد الوهاب بن معاوية، عن عبد المؤمن بن خالد، عن علباء بن أحمر: أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم وإسماعيل بينان قواعد البيت من خمسة أجبل. فقال: ما لكما ولأرضي؟ (فقالا)^(٨): نحن عبدان مأموران، أمرنا ببناء هذه الكعبة. قال: فهاتا بالبينة على ما تدعيان. فقامت خمسة أكبش، فقلن: نحن نشهد أن إبراهيم وإسماعيل عبدان مأموران، أمرنا ببناء هذه الكعبة. فقال: قد رضيت وسلمت. ثم مضى. وذكر الأزرق في «تاريخ مكة»^(٩) أن ذا القرنين طاف مع إبراهيم عليه السلام، بالبيت، وهذا يدل على تقدم زمانه، والله أعلم.

(١) في (ن): «عظاه» ووقعت العبارة في (ج) و(ل) و(ن): عضاه وسلم وسمر. والعضاه: كل شجر يعظم وله شوك شديد. والسلم والسمر: ضربان من شجر العضاه.

(٢) في (ل): «وسكنوا».

(٣) المدرة: طين يابس لزج لا رمل فيه، وهو الطين الخالص.

(٤) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «تفسير الطبري». ووقع في (ز): «ربنا» على قراءة المصحف، وأظن أن المحققين غيروها. والله أعلم.

(٥) ومن طريقه ابن جرير (٢٠٤٩) وسنده صحيح؛ وأخرجه الأزرق في «أخبار مكة» (٣١/١، ٣٢) من طريق هشام بن حسان. وحميد هو ابن هلال.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٤٠) قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا عثمان، ثنا عبد الواحد، ثنا ليث عن مجاهد. وقوله: «عثمان» هو عندي خطأ وتصحيف صوابه فيما أرى: «عفان» وهو ابن مسلم. والله أعلم وليث بن أبي سليم ضعيف الحديث.

(٧) في «تفسيره» (١٢٤١). وأيضاً (١٢٤٨) مختصراً. وإسناده حسن إلى علباء بن أحمر. وعبد الوهاب بن معاوية. قال أبو حاتم، كما في «الجرح والتعديل» (٧٢/١، ٧٣): «صالح الحديث» وعبد المؤمن بن خالد. ذكره ابن حبان في «الثقات» (١٣٧/٧)؛ وقال أبو حاتم: «لا بأس به» كما في «الجرح» (١/٣/٦٦). [والخبر من الإسرائيليات].

(٨) في (ز): «فقال».

(٩) (٧٤/١) بإسناده عن عطاء بن السائب أن إبراهيم عليه السلام رأى رجلاً يطوف بالبيت فأكره فسأله: ممن أنت؟ فقال: من أصحاب ذي القرنين. قال: وأين هو؟ قال: هو ذا بالأبطح، فتلقاه إبراهيم فاعتنقه، فقيل لذي =

وقال البخاري^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ الآية: القواعد: أساسه واحدها: قاعدة. والقواعد من النساء: واحدها قاعد.

حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله: أن عبد الله بن محمد بن أبي بكر أخبر عبد الله بن عمر، عن عائشة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ألم (تري)^(٢) أن قومك حين بنوا (الكعبة)^(٣) اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟» فقلت: يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: «لولا حدثان قومك بالكفر». فقال عبد الله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت (هذا)^(٤) من رسول الله ﷺ ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم ﷺ.

وقد رواه في «الحج»^(٥) عن القعني، وفي «أحاديث (الأنبياء)^(٦)» عن عبد الله بن يوسف^(٧). ومسلم^(٨)، عن يحيى بن يحيى، ومن حديث ابن وهب^(٩). والنسائي^(١٠) من حديث عبد الرحمن بن القاسم، كلهم عن مالك^(١١)، به.

ورواه مسلم^(١٢) أيضاً من حديث نافع، قال: سمعت عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة يحدث عبد الله بن عمر، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية - أو قال: بكفر - لأنفقت كثر الكعبة في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض، ولأدخلت فيها الحجر».

وقال البخاري^(١٣): حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود،

= القرنين: لم لا تركب؟ قال: ما كنت لأركب وهذا يمشي. فحج ماشياً. ولا يصح إسناده إلى عطاء. [والخبر من الإسرائيليات].

(١) في «كتاب التفسير» (٨/ ١٧٠).

(٢) في (ج) و(ض) و(ل): «تر».

(٣) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) وهو الموافق لما في «البخاري». ووقع في (ز) و(ن) و(ي): «البيت».

(٤) في (ل): «ذلك».

(٥) (٤٣٩/٣). وأخرجه أبو نعيم في «المستخرج» (٣٠٩٦) من طريق محمد بن غالب تمتاز وأبي مسلم الكشي؛ والبيهقي (٨٨/٥، ٨٩) من طريق عثمان بن سعيد قالوا: ثنا القعني، وهو عبد الله بن مسلمة، ثنا مالك بسنده سواء.

(٦) ساقط من (ج). (٧) هو في «كتاب الأنبياء» (٦/ ٤٠٧).

(٨) رقم (٣٩٩/١٣٣٣)؛ وأخرجه البيهقي (٨٨/٥، ٨٩) من طريق محمد بن عبد السلام ثنا يحيى بن يحيى بهذا الإسناد سواء.

(٩) هذا وهم من المصنف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فلم يخرج مسلم من حديث ابن وهب عن مالك. ولكن أخرجه من طريق ابن وهب عن مخزومة بن بكير عن أبيه، عن نافع عن عبد الله بن أبي بكر، عن عائشة. وذكر مسلم هذا الطريق عقب طريق مالك، فسبق نظر المصنف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أما طريق ابن وهب عن مالك فأخرجه الطحاوي في «شرح المعاني» (١٨٥/٢) قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب، أن مالكا حدثه ثم ذكر مثله.

(١٠) في «كتاب الحج» من «المجتبى» (٥/ ٢١٤، ٢١٥) ومن «السنن الكبرى» (٢/ ٣٩١) وفي «كتاب العلم» (٣/ ٤٥٤، ٤٥٥ - الكبرى).

(١١) وهو في «الموطأ» (١/ ٣٦٣، ٣٦٤/١٠٤).

(١٢) في «صحيحه» (١٣٣٣/٤٠٠)؛ وأبو نعيم في «المستخرج» (٣٠٩٧) من طريقين عن ابن وهب قال: أخبرني مخزومة بن بكير، عن أبيه، عن نافع به.

(١٣) في «كتاب العلم» (١/ ٢٢٤).

قال: قال لي ابن الزبير: كانت عائشة تسر إليك حديثاً كثيراً، فما حدثتك في الكعبة؟ قال: قلت: قالت لي: قال النبي ﷺ: «يا عائشة، لولا قومك حديث عهدهم - فقال ابن الزبير: بكفر - لنقضت الكعبة، فجعلت لها باين: باباً يدخل منه الناس، وباباً يخرجون». ففعله ابن الزبير.

انفرد^(١) بإخراجه البخاري، فرواه هكذا في «كتاب العلم» من «صحيحه».

وقال مسلم في «صحيحه»^(٢): حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لولا حادثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشاً حين بنت (البيت)^(٣) استقصرت، ولجعلت لها خلفاً».

قال^(٤): وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب، قالوا: حدثنا ابن نمير، عن هشام بهذا الإسناد. انفرد^(٥) به مسلم.

قال^(٦): وحدثني محمد بن حاتم، حدثني ابن مهدي، حدثنا سليم بن حيان، عن سعيد - يعني: ابن ميناء - قال: سمعت عبد الله بن الزبير يقول: حدثتني خالتي - يعني: عائشة رضي الله عنها - قالت: قال النبي ﷺ: «يا عائشة، لولا قومك حديثو (عهد)^(٧) بشرك، لهدمت الكعبة، فألزقتها بالأرض، ولجعلت لها: باباً شرقياً، وباباً غربياً، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر؛ فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة». انفرد به أيضاً.

ذكر بناء قريش الكعبة بعد إبراهيم الخليل عليه السلام، بمدد طويلة وقبل مبعث رسول الله ﷺ بخمس سنين وقد نقل معهم في الحجارة، وله من العمر خمس وثلاثون سنة:

صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

قال محمد بن إسحاق بن يسار في «السيرة»^(٨):

ولما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة، (اجتمعت)^(٩) قريش لبنان الكعبة، وكانوا يهيمون (بذلك)^(١٠) ليسقفوها، ويهابون هدمها، وإنما كانت رضماً^(١١) فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك أن نفرأ سرقوا كنز الكعبة، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة، وكان الذي وجد عنده الكنز دويك، مولى بني مليح بن عمرو من خزاعة، فقطعت قريش يده. ويزعم الناس أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك. وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة، لرجل من تجار

(١) يقصد: أن مسلماً لم يروه.

(٢) في (ل): «الكعبة».

وقد أخرجه أحمد (٥٧/٦)؛ وأبو نعيم في «المستخرج» من طريق ابن أبي شيبة، قالوا: حدثنا عبد الله بن نمير بهذا الإسناد.

(٥) هذا وهم من المصنف رحمه الله. فقد أخرجه البخاري في «كتاب الحج» (٤٣٩/٣) قال: حدثنا عبيد بن إسماعيل، ثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة بهذا الإسناد سواء.

(٦) يعني: مسلماً، وهو عنده (٤٠١/١٣٣٣). (٧) في (ل): «عهدهم».

(٨) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص ٨٣ - ٨٩) و«التمهيد» (١٠/٣٥ - ٤٥).

(٩) في (ج) و(ض) و(ل): «أجمعت».

(١٠) في (ل): «لذلك».

(١١) الرضم: هي الصخور بعضها على بعض.

الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها. وكان بمكة رجل قبضي نجار، فهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت (تطرح)^(١) فيها ما يهدى لها كل يوم، (فتشرق)^(٢) على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون. وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا (احزألت)^(٣) وكشت^(٤) وفتحت فاهها، فكانوا يهابونها، فبينما هي يوماً (تشرق)^(٥) على جدار الكعبة، كما كانت تصنع، بعث الله إليها طائراً فاخطفها، فذهب بها. فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية.

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام (أبو وهب)^(٦) بن عمرو بن عائذ بن عبد عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه. فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً، لا يدخل فيها مهر بغى ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس.

قال ابن إسحاق: والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن (عبد الله بن عمر)^(٧) بن مخزوم. قال: ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جُمح وسهم، وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي، ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي، ولبني عدي بن كعب بن لؤي، وهو الحطيم.

ثم إن الناس هابوا هدمها (وفرقوا)^(٨) منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها: فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم ترع، اللهم إنا لا نريد إلا الخير. ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً، ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا. فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى (إذا)^(٩) انتهى الهدم (بهم)^(١٠) إلى الأساس، أساس إبراهيم عليه السلام، أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة أخذ بعضها بعضاً.

قال (محمد بن إسحاق)^(١١): فحدثني بعض من يروي الحديث: أن رجلاً من قريش، ممن كان يهدمها، أدخل عتلةً بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساس.

(١) في (ج): «يطرح». (٢) في (ل): «فتشرق». وتشرق؛ يعني: تتعرض للشمس.

(٣) في (ج) و(ل): «احزألت». واحزألت: اجتمعت واستوفزت للوثوب ومنه قول الطرماح:

ولو خرج الدجال ينشر دينه لزافت تميم حوله واحزألت

يعني: اجتمعت إليه كما في «لسان العرب» (ص ٨٥٩).

(٤) كشيئش الأفعى: صوت جلدها، وصوت فمها، هو: الفحيح. ومنه قول الراجز:

كشيئش أفعى أجمعت لعض فهي تحك بعضها ببعض

(٥) في (ج) و(ل): «تشرف».

(٦) كتب ابن المحب ناسخ (ج): «حاشية: أبو وهب كان خال والد النبي ﷺ، وكان شريفاً ممدحاً». انتهى.

(٧) في (ك): «عمر بن عبد الله». (٨) في (ل): «خافوا» وهو بمعنى.

(٩) ساقط من (ز) و(ض).

(١٠) ساقط من (ز) و(ض).

(١١) من (ج) و(ل).

قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها، حتى بلغ البنيان موضع الركن - يعني: الحجر الأسود - فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتخالفوا، وأعدوا للقتال. ففربت بنو الدار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا: لعقة الدم. فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً. ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا.

فزعم بعض أهل الرواية: أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وكان عامئذ أسن قريش كلهم - (قال)^(١): يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد، يقضى بينكم فيه. ففعلوا، فكان أول داخل رسول الله ﷺ. فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال (رسول الله)^(٢) ﷺ: «هلم إلي ثوباً»^(٣) فأتى به، فأخذ الركن - يعني: الحجر الأسود - فوضعه فيه بيده، ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب»، ثم (قال)^(٤): «ارفعوه جميعاً». ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ﷺ، ثم بنى عليه.

وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين. فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا، قال الزبير بن عبد المطلب، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها:

(عجبت لما) ^(٥) تصوبت العقاب	إلى الشعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيح	وأحياناً يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى (التأسيس) ^(٦) شدت	تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الزجر جاءت	عقاب (تتلئب) ^(٧) لها انصباب
فضمتها إليها ثم خلّت	لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين (إلى) ^(٨) بناء	لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه	وليس على مسوينا ^(٩) ثياب
أعز به المليك بني لؤي	فليس لأصله منهم ذهاب

(١) في (ج) و(ل): «فقال».

(٢) لا يصح هذا الحديث مع شهرته، وتداول الخطباء إياه، ولم أقف له على إسناد متصل يصح به. والله أعلم.

(٣) ساقط من (ز) و(ض) و(ك) و(ن) و(ي).

(٤) كذا في سائر «الأصول» وهو الموافق لما في «سيرة ابن إسحاق» و«التمهيد» لابن عبد البر. ووقع في (ج): «عجبت لها لما» وهو خطأ ينكسر به الوزن؛ وفي (ل): «عجبت لها».

(٥) كذا في «الأصول» و«التمهيد». وفي «سيرة ابن إسحاق»: «البنيان».

(٦) في «السيرة»: «قد يطل». وتتلئب: تتابع في انقضاضها.

(٧) في «السيرة»: «على».

(٨) مسوينا: أي مسوى البنيان، والمقصود: بيان الجد والتشهير في بنيانها.

وقد حشدت هناك بنو عدي ومرة قد تقدمها كلاب
فبزاما المليك بذاك عزا وعند الله يلتمس الثواب
قال ابن إسحاق: وكانت الكعبة على عهد النبي ﷺ ثمانية عشر ذراعاً، وكانت تكسى
القباطي، ثم كسيت بعد البرود، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف.
قلت: ولم تزل على بناء قريش حتى (احتقرت) ^(١) في أول إمارة عبد الله بن الزبير (بعد) ^(٢)
سنة ستين. وفي (آخر) ^(٣) ولاية يزيد بن معاوية، لما حاصروا ابن الزبير، فحينئذٍ نقضها ابن
الزبير إلى الأرض وبناها على قواعد إبراهيم، عليه (الصلاة و) ^(٤) السلام، وأدخل فيها الحجر
وجعل لها باباً شرقياً وباباً غربياً ملصقين بالأرض، كما سمع ذلك من خالته عائشة أم المؤمنين،
(ﷺ) ^(٥) عن رسول الله ﷺ. ولم تزل كذلك مدة إمارته حتى قتله الحجاج، فردّها إلى ما كانت
عليه بأمر عبد الملك بن مروان له بذلك، كما قال مسلم بن الحجاج في «صحيحه» ^(٦).

حدثنا هناد بن السري، حدثنا ابن أبي زائدة، (أخبرنا) ^(٧) ابن أبي سليمان، عن عطاء، قال:
لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام، وكان من أمره ما كان، تركه ابن
الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد أن (يجرئهم) ^(٨) - (أو يحربهم) ^(٩) - على أهل الشام، فلما
صدر الناس قال: يا أيها الناس، أشيروا علي في الكعبة، أنقضها ثم أبني بناءها أو أصلح ما وه
منها؟ قال ابن عباس: (فإني) ^(١٠) قد (فرق) ^(١١) لي رأي فيها، أرى أن تصلح ما وهى منها،
وتدع بيتاً أسلم الناس ^(١٢) [عليه، وأحجاراً أسلم الناس] ^(١٢) عليها، وبعث عليها النبي ﷺ. فقال
ابن الزبير: لو كان أحدهم احترق بيته ما رضى حتى يجده، فكيف بيت ربكم ﷺ؟ إني مستخير
ربي ثلاثاً ثم عازم على أمري. فلما مضت ثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها. فتحامها الناس أن
ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء، حتى صعد رجل، فألقى منه حجارة، فلما لم يره
الناس أصابه شيء تتابعوا، فنقضوه حتى بلغوا به الأرض. فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها
الستور، حتى ارتفع بناؤه. وقال ابن الزبير: إني سمعت عائشة ﷺ تقول: إن النبي ﷺ، قال:

(١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي (ز) و(ض): «أحقرت».

(٢) في (ج) و(ل): «في».

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) من (ض).

(٥) من (ز) و(ض).

(٦) في «كتاب الحج» (٤٠٢/١٣٣٣).

(٧) في (ل): «يخرجهم». وسقط من (ض).

(٨) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ي). ووقع في (ز): «يحبزهم» بزاي بعدها باء موحدة؛ وفي (ن):

«يجيرونهم»!! وفي «صحيح مسلم»: «يحبزهم» بالحاء المهملة بعدها راء مشددة مكسورة بعدها باء موحدة.

قال السيوطي في «الديباج» (٣/٣٨١): «أي يغيظهم بما يروونه فعل بالبيت، من قولهم: حرب الأسد؛ إذا

أغضبه، أو يحملهم على الحرب ويحضهم عليها. وروى بالحاء المهملة والزاي والباء الموحدة؛ أي:

يجعلهم حزباً له وناصرين له على مخالفته».

(١٠) في (ل): «فإنه».

(١١) في سائر «الأصول»: «خرق» بالحاء المعجمة، بعدها راء ثم قاف! وفرق، بضم الفاء؛ أي: كشف وبين. قال

السيوطي في «الديباج»: «وضبطه الحميدي بفتح الفاء، وفسره بمعنى: خاف». وغلطوه في ضبطه وتفسيره.

(١٢) ساقط من (ل).

«لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر، وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه، لكنت أدخلت فيه من الحجر (خمس)^(١) أذرع، ولجعلت له باباً يدخل الناس منه، وباباً (يخرجون منه)^(٢)». قال: فأنا أجد ما أنفق، ولست أخاف الناس. قال: فزاد فيه (خمس)^(٣) أذرع من الحجر، حتى أبدى له (أساً)^(٤) نظر الناس إليه فبنى عليه البناء. وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعاً، فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله (عشرة)^(٥) أذرع، وجعل له بابين: أحدهما يدخل منه، والآخر يخرج منه. فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره بذلك، ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أسٍ نظر إليه العدول من أهل مكة، فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء، أما ما زاده في طوله فأقره. وأما ما زاد فيه من الحجر فردّه إلى بنائه، وسد الباب الذي فتحه. فنقضه وأعادّه إلى بنائه.

وقد رواه النسائي في «سننه» عن هناد، عن يحيى بن أبي زائدة، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، عن ابن الزبير، عن عائشة بالمرفوع منه. ولم يذكر القصة، وقد كانت السنة إقرار ما فعله عبد الله بن الزبير رضي الله عنه؛ لأنه هو الذي ودّه رسول الله ﷺ. ولكن خشي أن تنكره قلوب بعض الناس لحدائث عهدهم بالإسلام وقرب عهدهم من الكفر. ولكن خفيت هذه السنة على عبد الملك؛ (ولهذا)^(٦) لما تحقق ذلك عن عائشة أنها روت ذلك عن رسول الله ﷺ، قال: وددنا أنا تركناه وما تولى. كما قال مسلم^(٧):

حدثني محمد بن (حاتم)^(٨)، حدثنا محمد بن (بكر)^(٩)، أخبرنا ابن جريج، سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير والوليد بن عطاء، يحدثنا عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، قال عبد الله بن عبيد: وفد الحارث بن عبد الله على عبد الملك بن مروان في خلافته، فقال عبد الملك: ما أظن أبا خبيب - يعني: ابن الزبير - سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها. قال الحارث: بلى، أنا سمعته منها. قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن قومك استقصروا من بنيان البيت، ولولا حدائث عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهل لي لأريك ما تركوا منه». فأراها قريباً من (سبعة)^(١٠) أذرع.

هذا حديث عبد الله بن عبيد (بن عمير)^(١١). وزاد عليه الوليد بن عطاء: قال النبي ﷺ: «ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقياً وغربياً، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟» قالت:

(١) كذا في سائر «الأصول»؛ وفي «مسلم»: «خمس» وكلاهما صحيح.

(٢) في (ل): «يخرج الناس منه».

(٣) كذا في (ج) و(ل) و(ي) وهو الموافق لما في «الصحيح». ووقع في (ز) و(ض) و(ك) و(ن): «خمس».

(٤) كذا في (ج) و(ز) و(ض) و(ن) و(ي) وهو الموافق لما في «الصحيح»؛ وفي (ل): «أساساً»؛ وفي (ك): «أشياء»!!

(٥) في (ل): «عشر».

(٦) في «كتاب الحج» (٤٠٣/١٣٣٣).

(٨) في (ل): «بكر حاتم»! وفي (ك): «محمد بن أبي حاتم»!

(٩) في (ك): «بكير»!

(١٠) كذا في (ز) و(ن) وهو الموافق لما في «الصحيح»؛ وفي (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ي): «سبع» وكلاهما صحيح. وفي الذراع لغتان فتذكر وتؤنث.

(١١) من (ن) و(ي).

قلت: لا. قال: «تعزراً ألا يدخلها إلا من أرادوا. فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها، يدعونه (حتى)»^(١) يرتقي، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط». قال عبد الملك: فقلت للحارث: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم. قال: فنكت ساعةً بعصاه، ثم قال: وددت أنى تركته وما تحمّل.

قال مسلم^(٢): وحدثناه محمد بن عمرو بن جبلة، حدثنا أبو عاصم (ح)، وحدثنا عبد بن حميد، أخبرنا عبد الرزاق، كلاهما عن ابن جريج بهذا الإسناد، مثل حديث (ابن بكر)^(٣).

قال^(٤): وحدثني محمد بن حاتم، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي، حدثنا حاتم بن أبي صغيرة، عن أبي قزعة أن عبد الملك بن مروان بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين، يقول: سمعتها تقول: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد (فيه)»^(٥) من الحجر، فإن قومك قصرُوا في البناء». فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين، فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا. قال: لو كنت سمعته قبل أن أهمله لتركته على ما بنى ابن الزبير.

فهذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة أم المؤمنين؛ لأنه قد روي عنها من طرق صحيحة متعددة عن الأسود بن يزيد، والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير^(٦). فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير. فلو ترك لكان جيداً.

ولكن بعدما رجع الأمر إلى هذا الحال، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله، كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد - (أو أبيه)^(٧) المهدي -: أنه سأل الإمام مالكا عن هدم الكعبة وردّها إلى ما فعله ابن الزبير. فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا تجعل كعبة الله مَلْعَبَةً للملوك، لا يشاء (أحد)^(٨) أن يهدمها إلا هدمها. فترك^(٩) ذلك الرشيد.

(١) في (ض) و(ي): «حين»، وكلا اللفظين ليسا في رواية «الصحيح».

(٢) (٤٠٣/١٣٣٣).

(٣) في (ك): «أبي بكر» وهو خطأ. و«ابن بكر» هو محمد.

(٤) يعني: مسلماً. وهو فيه (٤٠٤/١٣٣٣). (٥) في (ز) و(ن): «فيها»!

(٦) وقد رواه عن عائشة رضي الله عنها آخرون منهم مرجانة، وهي أم علقمة.

فأخرجه أبو داود (٢٠٢٨)؛ والنسائي (٢١٩/٥)؛ والترمذي (٨٧٦)؛ وأحمد (٩٢/٦، ٩٣)؛ وأبو يعلى (ج٨/رقم ٤٦١٥) من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن علقمة بن أبي علقمة، عن أمه مرجانة، عن عائشة مرفوعاً نحوه. قال الترمذي: «حسن صحيح» وقد تويع الدراوردي، تابعه عبد الرحمن بن أبي الزناد، فرواه عن علقمة بسنده سواء. أخرجه ابن خزيمة (٣٠١٨). ولكن رواه ابن خزيمة (٣٠١٩) من طريق ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن عائشة مرفوعاً. ولعل هذا من سوء حفظ ابن أبي الزناد والوجه الأول أقوى. وقد أشرت إلى بعض طرقه فيما مضى والحمد لله.

(٧) كذا في (ز) و(ن) و(ك). ووقع في (ج) و(ض) و(ي): «أو أبوه» وأشار ناسخ (ي) إلى أنه وقع في نسخة «أو أبيه» وسقط هذا اللفظ من (ل).

(٨) في (ك): «الله»!!

(٩) ولعل مالكا رضي الله عنه استأنس في ذلك بقول ابن عباس لما استشار ابن الزبير الناس في هدم الكعبة، قال ابن عباس: «أرى أن تصلح ما وهي منها، وتدع بيتاً أسلم الناس عليه، وأحجاراً أسلم الناس عليها، وبعث عليها النبي ﷺ». اهـ.

نقله عياض والنواوي، ولا تزال - والله أعلم - هكذا إلى آخر الزمان، إلى أن يخربها ذو السويقتين من الحبشة، كما ثبت ذلك في «الصحيحين»^(١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة». أخرجاه.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «كأنني به أسود أفحج، يقلعها حجراً حجراً». رواه البخاري^(٢).

وقال الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده»^(٣): حدثنا أحمد بن عبد الملك الحراني، حدثنا محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، عن ابن أبي نجيج، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما^(٤)، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، (ويسلبها)^(٥) حليتها ويجردها من كسوتها. ولكأنني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله». الفدع: زيغ بين القدم وعظم الساق.

وهذا - والله أعلم - إنما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج، لما جاء في «صحيح»^(٦) البخاري^(٧)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج».

وقوله تعالى حكايةً لدعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

= ومن الأصول المشهورة عند المالكية: قاعدة سد الذرائع، وهذا منها. والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في «الحج» (٤٥٤/٣).

(٢) في «كتاب الحج» (٤٦٠/٣) قال: حدثنا عمرو بن علي، ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن عبيد الله بن الأخنس، عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس مرفوعاً.

(٣) (٢٢٠/٢) ولا يصح مرفوعاً.

وأخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٧٤٣) قال: حدثنا عبد الله بن منصور، قال: ثنا محمد بن مهران الرازي، قال: ثنا محمد بن سلمة بهذا الإسناد سواء. وسنده ضعيف لتدليس ابن إسحاق ولكن تابعه سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيج بهذا الإسناد مرفوعاً وزاد فيه: «قال مجاهد: فلما هدم ابن الزبير رضي الله عنه الكعبة جئت أنظر إليه؛ هل أرى الصفة التي قال عبد الله بن عمرو، فلم أرها. أخرجه الفاكهي (٧٤٤) أيضاً قال: حدثنا محمد بن أبي عمر، قال: ثنا سفيان. وهذا إسناد ظاهره الجودة، ولكن خولف ابن أبي عمر فيه خالفه عبد الرزاق في «مصنفه» (ج ٥/رقم ٩١٨٠)؛ وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٧/١٥، ٤٨) كلاهما عن ابن عيينة بهذا الإسناد موقوفاً على عبد الله بن عمرو بآخره. وتابعهما أحمد بن محمد بن الوليد قال: حدثنا ابن عيينة بسنده سواء موقوفاً؛ أخرجه الأزرق في «أخبار مكة» (٢٧٦/١) فهو لاء ثلاثة من الثقات خالفوا ابن أبي عمر فيه. ويؤيد وقفه على عبد الله بن عمرو ما أخرجه عبد الرزاق (٩١٧٩) عن ابن جريج قال: سمعت سليمان الأحول يحدث عن مجاهد وغيره أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «كأنني أنظر إليه أصيلع أفيدع قد علاها بمسحاته. قال ابن جريج: وسمعت غيره من أشياخنا وأهل البلد أن الحبشة مخربوها. وسنده صحيح؛ وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٨/١٥) قال: حدثنا إسحاق الأزرق. والأزرق (٢٧٦/١)؛ ونعيم بن حماد في «الفتن» (ص ٤٠٦)؛ والفاكهي (٧٤٧) عن ابن عيينة كلاهما عن هشام بن حسان، عن حفصة بنت سيرين عن أبي العالية، عن علي بن أبي طالب نحوه موقوفاً. وسنده صحيح.

(٤) في (ل): «عنه».

(٥) في (ل): «قال: ويسلبها».

(٦) في (ل): «حديث».

(٧) في «كتاب الحج» (٤٥٤/٣).

قال ابن جرير^(١): يعنيان بذلك: واجعلنا (مستسلمين)^(٢) لأمرك، خاضعين لطاعتك، لا نشرك معك في الطاعة أحداً سواك، ولا في العبادة غيرك.

وقال ابن أبي حاتم^(٣): حدثنا أبي، حدثنا إسماعيل بن رجاء بن حيان الحصني القرشي، حدثنا معقل بن عبيد الله، عن عبد الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ قال: مخلصين لك، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ قال: مخلصه.

وقال أيضاً^(٤): حدثنا علي بن الحسين، حدثنا المقدمي، حدثنا سعيد بن عامر، عن سلام بن أبي مطيع في هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا مُسْلِمِينَ﴾ قال: كانا مسلمين، ولكنهما سألاه الثبات. وقال عكرمة^(٥): ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ قال الله: قد فعلت ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ قال الله: قد فعلت.

وقال السدي^(٦): ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ يعنيان العرب.

قال ابن جرير: والصواب أنه يعم العرب وغيرهم؛ لأن من ذرية إبراهيم بني إسرائيل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

قلت: وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي؛ فإن تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم، والسياق إنما هو في العرب؛ ولهذا قال بعده: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآية [البقرة: ١٢٩]، والمراد بذلك محمد ﷺ، وقد بُعث فيهم كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةَيْنِ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود، (لقوله)^(٧) تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِيَّيَ رَسُولًا اللَّهُ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغير ذلك من الأدلة القاطعة.

وهذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل ﷺ، كما أخبر الله تعالى عن عباده المتقين المؤمنين، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان] وهذا القدر مرغوب فيه شرعاً، فإن من تمام محبة عبادة الله تعالى أن يحب أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له؛ ولهذا لما قال الله تعالى لإبراهيم ﷺ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] (وقوله)^(٨): ﴿وَأَجْبَسْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقد ثبت في «صحيح مسلم»^(٩)، عن أبي هريرة رضى الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

(١) في «تفسيره» (٧٢/٣، ٧٣).

(٣) في «تفسيره» (١٢٥٥، ١٢٥٨) ولا بأس بإسناده. وإسماعيل بن رجاء وثقة العجلي والحاكم وقال أبو حاتم: «صدوق» وضعفه العقيلي والدارقطني والساجي.

(٤) رقم (١٢٥٣) وسنده قوي. أما محقق «تفسير ابن أبي حاتم» فقال: «ضعيف الإسناد ففيه سلام بن أبي مطيع. فيه مقال». وهذا نقد عجيب، وما دخل سلام في الإسناد وهو صاحب القول؟ إنما الشأن في الإسناد إليه. والله المستعان.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٥٤) وسنده جيد. وعنده «قال: نعم» بدل «قد فعلت».

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٠٦٢) بسند حسن. (٧) في (ج): «كقوله».

(٨) في (ز) و(ض): «وهو قوله». (٩) في «كتاب الوصية» (١٦٣١/١٤).

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». **﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾** قال ابن جريج^(١)، عن عطاء: **﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾** أخرجها لها (علمناها)^(٢). وقال مجاهد^(٣): **﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾** مذابحنا. وروي عن عطاء^(٤) أيضاً، وقتادة نحو ذلك.

وقال سعيد بن منصور^(٥): حدثنا عتاب بن بشير، عن خصيف، عن مجاهد، قال: قال إبراهيم: **﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾** فأتاه جبرائيل، فأتى به البيت، فقال: ارفع القواعد. فرفع القواعد وأتم البنيان، ثم أخذ بيده فأخرجه فانطلق به إلى الصفا، قال: هذا من شعائر الله. ثم انطلق به إلى المروة، فقال: وهذا من شعائر الله، ثم انطلق به (نحو)^(٦) منى، فلما كان من العقبة إذا إبليس قائم عند الشجرة، فقال: كبر وارمه. فكبر ورماه. (ثم انطلق)^(٧) إبليس فقام عند الجمرة الوسطى، فلما (حاذى به)^(٨) جبريل وإبراهيم قال له: كبر وارمه. فكبر ورماه. فذهب إبليس وكان الخبيث أراد أن يدخل في الحج شيئاً فلم يستطع، فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به المشعر الحرام، فقال: هذا المشعر الحرام. فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به عرفات. قال: قد عرفت ما أريتكم؟ قالها: ثلاث مرار. قال: نعم.

وروى عن أبي مجلز^(٩) وقتادة نحو ذلك. وقال أبو داود الطيالسي^(١٠): حدثنا حماد بن

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠٦٨)؛ وابن أبي حاتم (١٢٥٩) من طريقين عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج. [وسنده حسن].

(٢) في (ج) (ل) (و) (ي): «وعلمناها».

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٠٦٧)؛ وابن أبي حاتم (١٢٦١) من طرق عن ابن أبي نجيج، عن مجاهد وهو في «تفسير مجاهد» (ص ٢١٤) من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيج. [وسنده صحيح].

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٠٦٦، ٢٠٦٧).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٦٢) قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا سعيد بن منصور وهذا في «تفسيره» (٢٢٠) قال: حدثنا عتاب بن بشير بهذا الإسناد. وعتاب بن بشير يروي عن خصيف أحاديث مناكير، ولكن تابعه عثمان بن ساج، أخبرنا خصيف بن عبد الرحمن فذكر مثله؛ أخرجه الأزرق في «أخبار مكة» (١/٦٩؛ ٢/١٧٥، ١٧٦) قال: حدثني جدي، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج. وسعيد بن سالم ذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/٣٥٥) وذكر له حديثاً في إسناده إليه عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك بل كذبه جماعة. وعثمان بن ساج ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/٢٢٧)؛ وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/١٥٣) ولم يذكر فيه شيئاً. وخصيف بن عبد الرحمن ضعيف الحديث. قال ابن حبان: «تركه جماعة من أئمتنا» فهذا إسناده ضعيف أو واه.

(٦) في (ك): «إلى». (٧) في (ل): «فانطلق».

(٨) كذا في «الأصول» وهو الموافق لما في «تفسير سعيد بن منصور»؛ وفي (ز): «جاز له» وفي (ك): «حاذاه».

(٩) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» فقال: «روى عن أبي مجلز نحو ذلك غير أنه لم يذكر ذكر القواعد، وعن قتادة نحو ذلك، وزاد فيه: وأراه خلق الرأس».

(١٠) في «مسنده» (٢٦٩٧) بهذا الإسناد.

وأخرجه بطوله: أحمد في «المسند» (١/٢٩٧) قال: حدثنا سريج؛ يعني: ابن يونس، ويونس؛ يعني: ابن محمد، والطبراني في «الكبير» (ج ١٠/رقم ١٠٦٢٨) من طريق حجاج بن منهال والبيهقي في «الشعب» (ج ٣/رقم ٤٠٧٧) من طريق ابن عائشة، وهو عبيد الله، أربعتهم قالوا: ثنا حماد بن سلمة بهذا الإسناد وعندهم من الزيادة على رواية الطيالسي.

سلمة، عن أبي (عاصم)^(١) الغنوي، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس، قال: إن إبراهيم لما (أري)^(٢) أوامر المناسك، عرض له الشيطان عند المسعى، فسابقه إبراهيم، ثم انطلق به جبريل حتى (أتى به)^(٣) منى، فقال: مناخ الناس هذا. فلما انتهى إلى جمرة العقبة (فعرض)^(٤) له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب،^(٥) [ثم أتى به (إلى جمرة)^(٦) الوسطى، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب]^(٥)، ثم أتى به (إلى جمرة)^(٦) القصوى، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، فأتى به جمعاً. فقال: هذا المشعر. ثم أتى به عرفة. فقال: هذه عرفة. فقال له جبريل: أعرفت؟

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

يقول تعالى إخباراً عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم - أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم؛ أي: من ذرية إبراهيم. وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد - (صلوات الله وسلامه عليه)^(٧) - رسولاً في الأميين إليهم، إلى سائر الأعجميين، من الإنس والجن، كما قال الإمام أحمد^(٨): حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طيئته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأيت، وكذلك أمهات (النبيين)^(٩) يرين».

(وكذا)^(١٠) رواه ابن وهب، والليث، وكاتبه عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، وتابعه أبو بكر بن أبي مريم، عن سعيد بن سويد، به.

وقال الإمام أحمد^(١١) أيضاً: حدثنا أبو النضر، حدثنا الفرج، حدثنا لقمان بن عامر:

= قال الهيثمي في «المجمع» (٣/٣٥٩): «رجاله ثقات» وقال في موضع آخر (٨/٢٠٠، ٢٠١): «رجاله رجال الصحيح غير أبي عاصم الغنوي وهو ثقة».

(*) قلت: أبو عاصم هذا وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: «لا أعرفه» ولم يحدث عنه سوى حماد بن سلمة. فالإسناد ضعيف، ولكن له شواهد وطرق أخرى. وقد أخرج مسلم (١٢٦٤/٢٣٧) بعضه من وجه آخر عن أبي الطفيل به.

- (١) في (ز) و(ن): «العاصم».
- (٢) في (ج): «رأى».
- (٣) في (ج) و(ل): «أراه».
- (٤) في (ز): «تعرض».
- (٥) ساقط من (ز) و(ض).
- (٦) في (ن): «الجمرة».
- (٧) في (ل): «ﷺ».

(٨) في «المسند» (٤/١٢٧) ومن طريقه ابنه عبد الله في «السنة» (٨٦٥)؛ وأبو نعيم في «الدلائل» (٩). وتقدم تخريجه تحت الآية (١٢٦).

(٩) في (ك): «المؤمنين»!!

(١٠) كذا في (ج) و(ض) و(ك) و(ل) و(ي)؛ وفي (ز) و(ن): «وكذلك».

(١١) في «المسند» (٥/٢٦٢) وتقدم تخريجه عند الآية (١٢٦).

سمعت أبا أمامة قال: قلت: يا رسول الله، ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بي، ورأت أُمِّي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام».

والمراد أن أول من نوه بذكره وشهره في الناس، (إبراهيم) ^(١) . ولم يزل ذكره في الناس مذكوراً مشهوراً سائراً حتى أفصح باسمه خاتم أنبياء بني إسرائيل نسباً، وهو عيسى ابن مريم ^(٢) حيث قام في بني إسرائيل خطيباً، وقال: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ^(٣) [مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ] ^(٤) وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ^(٥) [الصف: ٦] ولهذا قال في هذا الحديث: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى ابن مريم».

وقوله: «ورأت أُمِّي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» قيل: كان مناماً رآته حين حملت به، وقصته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم، وكان ذلك توطئةً. وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم ^(٦) إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها. ولهذا جاء في «الصحيحين» ^(٧): «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». وفي «صحيح البخاري»: «وهم بالشام».

قال أبو جعفر الرازي ^(٨)، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يعني: أمة محمد ^(٩). فقيل له: قد استجيت لك، وهو كائن في آخر الزمان. وكذا قال السدي ^(١٠) وقتادة ^(١١).

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: السنة، قاله الحسن ^(١٢)، وقتادة ^(١٣)، ومقاتل بن حيان، وأبو مالك وغيرهم. وقيل ^(١٤): الفهم في الدين. ولا منافاة. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قال علي بن أبي طلحة ^(١٥)، عن ابن عباس: يعني: طاعة الله، والإخلاص. وقال محمد بن إسحاق ^(١٦) ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ قال: يعلمهم الخير فيفعلوه. والشر

(١) في (ل): «إبراهيم الخليل».

(٢) من (ن) و(ي).

(٣) يشير إلى حديث النواس بن سمعان ^(١) وهو حديث طويل فيه خبر الدجال. أخرجه مسلم (١١١/٢١٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٢/٦) و(٤٤٢/١٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٦٥) قال: حدثنا عصام بن رواد العسقلاني، ثنا آدم، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية. وسنده حسن؛ وأخرجه ابن جرير (٢٠٧٦) بسند ضعيف عن الربيع بن أنس.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٠٧٤) وسنده حسن. (٧) أخرجه ابن جرير (٢٠٧٥) وسنده صحيح.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٧٢) وفي إسناده أبو بكر الهذلي وهو ضعيف جداً.

(٩) أخرجه ابن جرير (٢٠٧٨) وسنده صحيح.

(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٠٨٠) قال: حدثني يونس بن عبد الأعلى، نا ابن وهب قال: قلت لمالك: ما الحكمة؟ قال: المعرفة بالدين، والفقه في الدين، والاتباع له. [وسنده صحيح].

(١١) أخرجه ابن جرير (٢٠٨١) قال: حدثني المثنى بن إبراهيم؛ وابن أبي حاتم (١٢٧٥) قال: حدثنا أبي قال: ثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة. [وسنده ثابت].

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٧١) ولا بأس بسنده.

فيتقوه، ويخبرهم برضاه عنهم إذا أطاعوه (وليستكثروا)^(١) من طاعته، (ويجتنبوا)^(٢) ما سخط من معصيته.

وقوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: العزيز الذي لا يعجزه شيء، وهو قادر على كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها؛ لعلمه وحكمته وعدله.

﴿وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣٥) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ يُبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٧﴾.

يقول تبارك وتعالى رداً على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله، المخالف لملة إبراهيم الخليل، إمام الحنفاء، فإنه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى، فلم يدع معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه، فقال: ﴿يَقُولُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ [الأنعام] ﴿٣٧﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف] ﴿٣٩﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة] وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٤﴾ شَاكِرًا لِنِعْمَةِ آجِبْنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٥﴾ وَمَا آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٦﴾ [النحل] ولهذا وأمثاله قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: عن طريقته ومنهجه. فيخالفها ويرغب عنها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي: ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، حيث خالف طريق من اصطفى في الدنيا للهداية والرشاد، من حادثة (سنه)^(٤) إلى أن اتخذه الله خليلاً، وهو في الآخرة من الصالحين السعداء - فترك طريقه هذا ومسلكه وملته واتبع طرق الضلالة والغي، فأى سفه أعظم من هذا؟ أم أي ظلم أكبر من هذا؟ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وقال أبو العالية^(٥) وقتادة^(٦): (نزلت هذه الآية)^(٧) في اليهود؛ أحدثوا طريقاً ليست من عند الله وخالفوا ملة إبراهيم فيما (أحدثوه)^(٨)، ويشهد لصحة هذا القول قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) أي: أمره (الله)^(٩)

(١) في (ز) و(ض): «استكثروا».

(٢) في (ز) و(ض): «تجنبوا».

(٣) ساقط من (ج) و(ز) و(ض) و(ك) و(ل). والآية ثابتة في (ن) و(و).

(٤) في (ك): «بنيته».

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٠٨٣). [وسنده صحيح].

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٠٨٣). [وسنده صحيح].

(٧) ساقط من (ج).

(٨) في (ز) و(ض): «أخذوه».

(٩) لفظ الجلالة من (ز) و(ن).

(تعالى) ^(١) بالإخلاص له والاستسلام والانقياد، فأجاب إلى ذلك شرعاً وقدرأً، وقوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ أي: (وصى) ^(٢) بهذه (الملة) ^(٣)، وهي الإسلام لله ^(٤) [أو يعود الضمير على الكلمة وهي قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْآلَمِينَ﴾] ^(٥). لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة ووصوا أبناءهم بها من بعدهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨] وقد قرأ بعض السلف «ويعقوب» بالنصب عطفأً، على بنيه، كأن إبراهيم وصى بنيه وابن ابنه يعقوب بن إسحاق وكان حاضراً ذلك، وقد ادعى القشيري فيما حكاه القرطبي ^(٦) عنه أن يعقوب إنما ولد بعد وفاة إبراهيم، ويحتاج مثل هذا إلى دليل صحيح؛ والظاهر، والله أعلم، أن إسحاق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة؛ لأن البشارة وقعت بهما في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١] وقد قرئ بنصب «يعقوب» ههنا على نزع الخافض، فلو لم يوجد يعقوب في حياتهما لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة، وأيضاً فقد قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ [٧٧] الآية [العنكبوت] وقال في الآية الأخرى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢] وهذا يقتضي أنه وجد في حياته، وأيضاً فإنه باني بيت المقدس، كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة، وثبت في «الصحيحين» ^(٧) من حديث أبي ذر قلت: يا رسول الله؛ أي: مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «بيت المقدس»، قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة» الحديث. فزعم ابن حبان أن بين سليمان الذي اعتقد أنه باني بيت المقدس - وإنما كان جدده بعد خرابه وزخرفه - وبين إبراهيم أربعين سنة، وهذا مما أنكر على ابن حبان، فإن المدة بينهما تزيد على ألف سنين ^(٨)، والله أعلم، وأيضاً فإن ذكر وصية يعقوب لبنيه سيأتي ذكرها قريباً، وهذا يدل على أنه ههنا من جملة الموصين.

وقوله: ﴿يَبْنِيَنَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا (ليرزقكم) ^(٩) الله الوفاة عليه. فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويبعث على ما (مات) ^(١٠) عليه. وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له ويُسر

(١) لم ترد في (ز).

(٢) في (ك): «رضى»!

(٣) في (ك): «المسألة»!

(٤) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٥) ساقط من (ز) و(ض) و(ي).

(٦) في «تفسيره» (١٣٦/٢) وقال: «وهو بعيد، لأن يعقوب لم يكن حينئذ بين أولاد إبراهيم لما وصاهم، ولم ينقل أن يعقوب أدرك جده إبراهيم، وإنما ولد بعد موت إبراهيم، وأن يعقوب أوصى بنيه أيضاً كما فعل إبراهيم». اهـ.

(٧) أخرجه البخاري في «كتاب الأنبياء» (٤٠٧/٦)؛ ومسلم في «كتاب المساجد» (١/٥٢٠).

(٨) قال ابن القيم في «زاد المعاد» (٤٩/١): «وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد به، فقال: معلوم أن سليمان بن داود هو الذي بنى المسجد الأقصى، وبينه وبين إبراهيم أكثر من ألف عام، وهذا جهل من هذا القائل، فإن سليمان إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه، والذي أسسه يعقوب بن إسحاق صلى الله عليهما وألهما وسلم بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار». اهـ.

(٩) في (ل): «يرزقكم».

(١٠) في (ج): «كان».

عليه. ومن نوى صالحاً ثبت عليه. وهذا لا يعارض ما جاء في الحديث (الصحيح)^(١): «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار (فيدخل النار)^(٢) وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة^(٣) [فيدخلها]^(٤)؛ لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث^(٥): «فيعمل بعمل أهل الجنة^(٦) فيما يبدو للناس، و(يعمل)^(٧) بعمل أهل النار فيما يبدو للناس. وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل] ٨».

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾.

يقول تعالى محتجاً على المشركين من العرب أبناء إسماعيل، وعلى الكفار من بني إسرائيل - وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم) السلام - (بأن يعقوب)^(٩) لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له، فقال لهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ وهذا من باب التغليب لأن إسماعيل عمه.

قال النحاس: والعرب تسمى العم أبا، نقله القرطبي^(١٠)؛ وقد استدل بهذه الآية من جعل الجد أبا وحجب به الإخوة، كما هو قول الصديق عليه السلام حكاه البخاري^(١١) عنه من طريق ابن عباس وابن الزبير، ثم قال البخاري^(١٢): ولم يختلف عليه، وإليه ذهب عائشة أم المؤمنين، وبه يقول الحسن البصري وطاوس وعطاء، وهو مذهب أبي حنيفة وغير واحد من علماء السلف والخلف؛ وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه أنه يقاسم الإخوة؛ وحكى مالك، عن

(١) ساقط من (ز) و(ض).

(٢) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ي)؛ وفي (ز) و(ض) و(ن): «فيدخلها».

(٣) ساقط من (ز) و(ض).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣/٦) و (٤٧٧/١١) و (٤٤٠/١٣)؛ ومسلم (١/٢٦٤٣).

(٥) أخرجه البخاري في «كتاب الجهاد» (٨٩/٦ - ٩٠)؛ ومسلم في «كتاب الإيمان» (١٧٩/١١٢).

(٦) ساقط من (ز) و(ض).

(٧) ساقط من (ز) و(ض).

(٨) في (ج) و(ض): «عليه».

(٩) في «تفسيره» (١٣٨/٢).

(١٠) في «كتاب الفرائض» (١٨/١٢) معلقاً. وقد ورد موصولاً بأسانيد صحيحة عن جماعة من الصحابة عن أبي بكر الصديق. منهم: ابن عباس؛ أخرجه الدارمي (٢٥٥/٢)؛ وأخرجه البيهقي (٢٤٦/٦)؛ وسنده صحيح كما قال الحافظ في «الفتح» (١٩/١٢).

(١٢) ولفظ البخاري: «ولم يذكر أن أحداً خالف أبا بكر في زمانه، وأصحاب النبي عليه السلام متوافرون». قال الحافظ: «كأنه يريد بذلك تقوية حجة القول المذكور، فإن الإجماع السكوتي حجة، وهو حاصل في هذا» اهـ.

عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وجماعة من السلف والخلف، واختاره صاحباً أبي حنيفة القاضي: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، ولتقريرها موضع آخر.

وقوله^(١): ﴿إِلَهًا وَحْدًا﴾ أي: نوحده بالألوهية، ولا نشرك به شيئاً غيره ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي: مطيعون خاضعون كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] والإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة، وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] والآيات في هذا كثيرة والأحاديث، فمنها قوله ﷺ^(٢): «نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي: إن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيراً يعود نفعه عليكم، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم: ﴿وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وقال أبو العالية^(٤)، والربيع، وقتادة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ يعني: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط^(٥) [وقد]^(٦) جاء في الأثر^(٧): «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»^(٨).

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

قال محمد بن إسحاق^(٩): حدثني محمد بن أبي محمد، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد (تهتد)^(٩). وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾.

(١) في هامش (ج): «قال القرطبي» (١٣٨/٢): قرأ الحسن، ويحيى بن يعمر والجحدري؛ وأبو رجاء العطاردي: ﴿وَاللَّهُ ءَابَايُكُمْ﴾ [البقرة: ١٣٣] فقليل: أريد: إبراهيم؛ أي: جمع سلامة على ما حكى سيبويه: «أب» و«أبون» كما قال الشاعر:

فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَصَوَاتُنَا بَكَيْنَ وَفَدِينَنَا بِالْأَبِينَا

(٢) في (ج) و(ل): ﴿وَاللَّهُ﴾.
(٣) كذا وقع لفظ الحديث. وكان المصنف رحمه الله كتبه من حفظه، وقد كرره بهذا اللفظ في مواضع شتى من «تفسيره»؛ في «سورة المائدة» (١٢١/٣)؛ وفي «الأنعام» (٣٧٣/٣)؛ وفي «يونس» (٢١٩/٤)؛ وفي «الأنبياء» (٣٦٦/٥)؛ وفي «الشورى» (١٨٣/٧). والغريب أنه قال في «تفسير المائدة»: «ثبت في «صحيح البخاري»... ثم ذكر الحديث باللفظ الذي أثبتته في هذه المواضع، ولا أصل له بهذا اللفظ في «صحيح البخاري».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٩٧). وأشار إلى الأثرين الآخرين، ولم أقف عليهما.

(٥) ساقط من (ز) و(ض). (٦) في (ن) و(ي): «ولهذا».

(٧) هذا جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٣٨/٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٠٩٠)؛ وابن أبي حاتم (١٣٠٠) من طريقين عن ابن إسحاق به. [وسنده حسن].

(٩) ساقط من (ك)؛ وفي (ج) و(ك) و(ي): «تهتدي» بإثبات الياء.

وقوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي: لا نريد ما دعوتكم إليه من اليهودية والنصرانية، بل نتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي: مستقيماً. قاله محمد بن كعب القرظي^(١)، وعيسى بن جارية^(٩).

وقال خصيف^(٢)، (عن مجاهد)^(٣): مخلصاً. وروى علي بن أبي طلحة^(٤)، عن ابن عباس: حاجاً. وكذا روى عن الحسن^(٥) والضحاك، وعطية، والسدي^(٦).

وقال أبو العالية^(٧): الحنيف: الذي يستقبل البيت بصلاته، ويرى أن حجه عليه إن استطاع إليه سبيلاً.

وقال مجاهد^(٨): والربيع بن أنس: حنيفاً؛ أي: متبعاً. وقال أبو قلابة^(٩): الحنيف: الذي يؤمن بالرسول كلهم من أولهم إلى آخرهم.

وقال قتادة^(١٠): الحنيفية: شهادة أن لا إله إلا الله. يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات والعمات وما حرم الله (ﷻ)^(١١)، والختان.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَلِاسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾.

أرشد الله (تعالى)^(١٢) عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد (ﷺ) مفصلاً، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملًا، ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)^(١٣)، (وأنهم)^(١٤) لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿١٦﴾ الآية [النساء: ١٥٠، ١٥١].

- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٠٣) من طريق عثمان بن صالح، ثنا ابن لهيعة، عن أبي صخر عن محمد بن كعب وعيسى بن جارية. وسنده لين.
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٠٥) بسند جيد عن خصيف قوله. ولم أجده من طريق خصيف عن مجاهد.
- (٣) من (ن).
- (٤) أخرجه ابن جرير (٢٠٩٧)؛ وابن أبي حاتم (١٣٠١). [وسنده ثابت].
- (٥) هذا الأثر وما بعده عند ابن جرير (٢٠٩١، ٢٠٩٢، ٢٠٩٣، ٢٠٩٥). [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق كثير أبي سهل عن الحسن].
- (٦) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سفيان عن السدي].
- (٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٠٦). [وسنده جيد].
- (٨) أخرجه ابن جرير (٢٠٩٩)؛ وابن أبي حاتم (١٣٠٢). [وسنده صحيح].
- (٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٠٤) وسنده ضعيف. (١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٠٧) بسند صحيح.
- (١١) في (ل): «تعالى».
- (١٢) ساقط من (ك).
- (١٣) من (ض).
- (١٤) كذا في (ج) و(ك) و(ل) و(ض) و(ي). ووقع في (ز) و(ن): «وأن».

وقال البخاري^(١): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عثمان بن عمر، أخبرنا علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا (وما أنزل إليكم)»^(٢).

وقد روى مسلم^(٣) وأبو داود والنسائي من حديث عثمان بن حكيم، عن سعيد بن يسار، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ أكثر ما يصلي الركعتين اللتين قبل الفجر بـ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية، والأخرى بـ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقال أبو العالية^(٤) والربيع^(٥) وقتادة^(٦): الأسباط: بنو يعقوب (اثنا)^(٧) عشر رجلاً؛ (ولد)^(٨) كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا الأسباط.

وقال الخليل بن أحمد وغيره: الأسباط في بني إسرائيل؛ كالقبائل في بني إسماعيل؛ وقال الزمخشري في «الكشاف»^(٩): الأسباط: حفدة يعقوب وذراي أبنائه الاثني عشر، وقد نقله الرازي^(١٠) عنه، وقرره ولم يعارضه. وقال البخاري: الأسباط: قبائل بني إسرائيل، وهذا يقتضي أن المراد بالأسباط ها هنا شعوب بني إسرائيل، وما أنزل الله تعالى من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم، كما قال موسى لهم: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠] وقال تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا﴾ [الأعراف: ١٦٠] وقال القرطبي^(١١): وسموا الأسباط من السبط، وهو التابع، فهم جماعة متتابعون. وقيل: أصله من السبط، بالتحريك، وهو الشجر؛ أي: هم في الكثرة بمنزلة الشجر الواحدة سبطة. قال الزجاج: ويبين لك هذا: ما حدثنا محمد بن جعفر الأنباري، حدثنا أبو نجيد الدقاق^(١٢)، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلى عشرة: نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام. قال القرطبي: والسبط: الجماعة والقبيلة، الراجعون إلى أصل واحد.

(١) أخرجه البخاري في «كتاب الشهادات» (٢٩١/٥) معلقاً، ووصله في «كتاب التفسير» (١٧٠/٨)؛ وفي «كتاب الاعتصام» (٣٣٣/١٣)؛ وفي «كتاب التوحيد» (٥١٦/١٣).

(٢) من (ج) و(ل) وهي موافقة لما في «الصحيح» في «كتاب الاعتصام» ولم يذكرها في الموضعين الآخرين. ووقع في (ض) و(ك) و(ن) و(ي): «وما أنزل الله!»

(٣) أخرجه مسلم (٩٩/٧٢٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣١٠) و(٩٠٥ - آل عمران). [وسنده جيد].

(٥) أخرجه ابن جرير (٢١٠٦). [وسنده جيد].

(٦) [أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة].

(٧) في (ض) و(ن): «اثني!» (٨) في (ل): «وكذا».

(٩) (٩٧/١). (١٠) في «التفسير الكبير» (٩١/٤).

(١١) في «تفسيره» (١٤١/٢).

(١٢) أما أبو نجيد فما عرفته، فليحرر. وبقيّة رجال السند معروفون، ورواية إسرائيل عن سماك، كانت بأخوه.

وقال قتادة^(١): أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به، ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله.

وقال سليمان بن حبيب^(٢): إنما أمرنا أن نؤمن بالتوراة والإنجيل، ولا نعمل بما فيهما.

وقال ابن أبي حاتم^(٣): حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري، حدثنا مؤمل، حدثنا عبيد الله بن أبي حميد، عن أبي المليح، عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل، وليسعكم القرآن».

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ سَبَيْكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَتَحْنُ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٣٨﴾.

يقول تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا﴾ (أي)^(٤): الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ﴾ أيها المؤمنون، من الإيمان بجميع كتب الله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ أي: فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: عن الحق إلى الباطل، بعد قيام الحجة عليهم ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ سَبَيْكُمُ اللَّهُ﴾ أي: فسينصرك عليهم ويظفرك بهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وقال ابن أبي حاتم^(٥): قرئ على يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، حدثنا زياد بن يونس، حدثنا نافع بن أبي نعيم، قال: أرسل إليّ بعض الخلفاء مصحف عثمان بن عفان ليصلحه. قال زياد: فقلت له: إن الناس يقولون: إن مصحفه كان في حجره حين قتل، فوقع الدم على ﴿سَبَيْكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فقال نافع: بصرت عيني بالدم على هذه الآية وقد قُدِّم.

وقوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ قال الضحاك^(٦)، عن ابن عباس: دين الله وكذا روي عن مجاهد^(٧)، وأبي العالية^(٨)، وعكرمة، وإبراهيم، والحسن، وقاتدة^(٩)، والضحاك، وعبد الله بن

- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣١٥) بسند صحيح.
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣١٣) وفي إسناده كلثوم بن زياد، ضعفه النسائي.
- (٣) في «تفسيره» (١٣١٢) وإسناده ضعيف جداً، وعبيد الله بن أبي حميد تركه النسائي وقال أحمد: «ترك الناس حديثه». وقال البخاري: «منكر الحديث، يروى عن أبي المليح العجائب».
- (٤) في (ن) و(ي): «يعني».
- (٥) في «تفسيره» (١٣٢١) وسنده صحيح.
- (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٢)؛ وابن جرير (٢١٢٣) من وجهين عن ابن عباس وكلاهما ضعيف.
- (٧) أخرجه ابن جرير (٢١١٨، ٢١١٩، ٢١٢٠). [وسنده صحيح].
- (٨) أخرجه ابن جرير (٢١١٦). [وسنده جيد].
- (٩) أخرجه ابن جرير (٢١١٥) من طريق عبد الرزاق وهذا في «تفسيره» (٦٠/١) قال: أخبرنا معمر، عن قتادة وسنده صحيح؛ وأخرجه ابن جرير (٢١١٤) من طريق يزيد بن زريع، والدينوري في «المجالسة» (١٤٦٤) من طريق يزيد بن هارون قالنا ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: إن اليهود تصبغ أبناءها يهود، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى وإن صبغة الله الإسلام فلا صبغة أحسن من الإسلام ولا أظهر، وهو دين الله ﷻ الذي بعث به نوحاً والأنبياء من بعده. وسنده صحيح.

كثير^(١)، وعطية العوفي^(٢)، والربيع بن أنس^(٣)، والسدي^(٤)، نحو ذلك. وانتصاب ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ إما على الإغراء؛ كقوله: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ﴾ [الروم: ٣٠] أي: الزموا ذلك عليكموه. وقال بعضهم: بدل من قوله: ﴿مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٣٠] وقال سيبويه: هو مصدر مؤكد انتصب عن قوله: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٨] كقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ٣٦].

وقد (ورد)^(٥) في حديث رواه ابن أبي حاتم^(٦) وابن مردويه، من رواية أشعث بن إسحاق، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن نبي الله ﷺ قال: «إن بني إسرائيل قالوا: يا موسى، هل يصبغ ربك؟ فقال: اتقوا الله. فناداه ربه: يا موسى، سألوكم هل يصبغ ربك؟ فقال: نعم، أنا أصبغ الألوان: الأحمر والأبيض والأسود، والألوان كلها من صبغي». وأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾.

كذا وقع في رواية ابن مردويه مرفوعاً، وهو في رواية ابن أبي حاتم موقوف، وهو أشبه، إن صح إسناده، ^(٨) [(تبارك وتعالى) أعلم]^(٤).

﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّهِ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

يقول الله تعالى مرشداً نبيه (صلوات الله وسلامه عليه)^(٩) إلى درء مجادلة المشركين: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ أي: أتناظروننا في توحيد الله والإخلاص له والانقياد، واتباع أوامره وترك

(١) أخرجه ابن جرير (٢١٢٨)؛ والدينوري في «المجالسة» (١٤٦٥) من طريق حجاج بن محمد الأعور، عن ابن جريج قال: قال لي عبد الله بن كثير: «صبغة الله» قال: دين الله ومن أحسن من الله ديناً، قال: هي فطرة الإسلام. وسنده صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢١٢١) وسنده جيد.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢١٢٢). [وسنده حسن]. (٤) في (ل): «روى».

(٦) أما الحديث المرفوع: فأخرجه ابن مردويه، ومن طريقه الضياء في «المختارة» (١١٠/١٠، ١١١) قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، ثنا محمد بن الفضل بن موسى، ثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكي، ثنا أبي، عن أبيه، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً. ومحمد بن الفضل بن موسى هو القسطنطي ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦٠/١/٤) وقال: «هو صدوق». وقد خالفه أحمد بن القاسم بن عطية، فرواه عن أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي بهذا الإسناد موقوفاً.

أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٣)، وعنه أبو الشيخ في «كتاب العظمة» (٤٥٢/٢، ١٣٨/٤٥٣) وسياق أبي الشيخ مطول؛ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٠٢/٤) من طريق عبد الله بن عمر بن أبان، ثنا زياد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قال: أيصبغ ربك؟ قال: «نعم صبغاً لا ينقض، أحمر، وأصفر، وأبيض». وهذا سند ضعيف ورفعه منكر. وزياد هو البكائي كان رديء الحفظ، وعطاء هو ابن السائب؛ كان اختلط.

(٧) من (ج) و(ك) و(ل) و(ن) و(ي). (٨) ساقط من (ك).

(٩) من (ل).

زواجه ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ المتصرف فينا وفيكم، المستحق لإخلاص الإلهية له وحده لا شريك له! ﴿وَلَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ أي: نحن برآء منك، وأنتم برآء منا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلِنْ كَذَّبُكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِّفُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس] وقال تعالى: ﴿إِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ مَا أَسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلْتُمُوهُ فَكِدْ أَهْتَكِدُوا وَلَنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران] وقال تعالى إخباراً عن إبراهيم (عليه السلام): ﴿وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالِ اتَّخِذُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَنْيَ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٨].

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ أي: (نحن)^(٢) برآء منكم كما أنتم برآء منا، ونحن له مخلصون؛ أي: في العبادة والتوجه. ثم أنكر تعالى عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم، إما اليهودية (وإما)^(٣) النصرانية، فقال: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ يعني: بل الله أعلم، وقد أخبر أنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارى، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الآية والتي بعدها: [آل عمران].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّهِ﴾ قال الحسن البصري^(٤): كانوا يقرؤون في كتاب الله آتاهم: إن الدين (الإسلام)^(٥)، وإن محمداً رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهد الله بذلك، وأقروا به على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (فيه)^(٦) تهديد ووعيد شديد؛ أي: (أن)^(٧) علمه محيط بعملكم، وسيجزيك عليه.

ثم قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَمٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: قد مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي: لهم أعمالهم ولكم أعمالكم ﴿وَلَا تُسْتَلَوْنَ عَنْهَا كَانُوا يَمْلُون﴾ وليس يغني عنكم انتسابكم إليهم، من غير متابعة منكم لهم، ولا تغتروا بمجرد النسبة إليهم حتى تكونوا مثلهم منقادين لأوامر الله واتباع رسله، الذين بعثوا مبشرين ومنذرين، فإنه من كفر بنبي واحد فقد كفر بسائر الرسل، ولا سيما من كفر بسيد الأنبياء، وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين إلى جميع الإنس والجن من سائر المكلفين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين^(٨) [أبداً دائماً إلى يوم الدين ورضي الله عن أصحابه وأصحابهم المتبعين إلى يوم الحشر واليقين]^(٩).

(١) في (ل): ﴿وَاللَّهُ﴾. (٢) في (ج) و(ل): «نحن».

(٣) في (ج) و(ل): «أو». وقع في (ن): (و).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٩) بسند ضعيف؛ وأخرجه ابن جرير (٢١٣٤) من وجه آخر لا بأس به بنحوه.

(٥) في (ج) و(ل): «عند الله الإسلام». (٦) من (ج) و(ل).

(٧) ساقط من (ز) و(ض). (٨) من (ك).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* مقدمة المحقق	٥
- أسباب تحقيق الكتاب	١٨
الفصل الأول: ترجمة مختصرة للحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى	٢١
الفصل الثاني: دراسة مختصرة للتفسير	٢٥
المبحث الأول: منهج ابن كثير في التفسير	٢٥
المبحث الثاني: منهج الحافظ في الترجيح	٣٢
المبحث الثالث: القيمة العلمية للتفسير	٣٥
المبحث الرابع: وصف النسخ الخطية	٤٥
نماذج مصورة من لوحات النسخ المستخدمة في التحقيق	٤٥
بداية التفسير	
* المقدمة	٣
- كتاب فضائل القرآن	١٩
- مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل الفاتحة	١٤٠
تفسير سورة الفاتحة	
تفسير الآية: ٢	١٩٢
تفسير الآيتان: ٣ - ٤	٢٠٢
تفسير الآية: ٥	٢٠٥
تفسير الآية: ٦	٢٠٨
تفسير الآية: ٧	٢١٤
تفسير سورة البقرة	
تفسير الآية: ١	٢٢٨
تفسير الآية: ٢	٢٤١
تفسير الآية: ٣	٢٥٠
تفسير الآية: ٤	٢٥٦
تفسير الآية: ٥	٢٦٤

٢٦٦	تفسير الآية: ٥
٢٦٧	تفسير الآية: ٦
٢٦٩	تفسير الآية: ٧
٢٧٣	تفسير الآيتان: ٨ - ٩
٢٧٥	تفسير الآية: ١٠
٢٧٩	تفسير الآيتان: ١١ - ١٢
٢٨٠	تفسير الآية: ١٣
٢٨١	تفسير الآيتان: ١٤ - ١٥
٢٨٥	تفسير الآية: ١٦
٢٨٦	تفسير الآيتان: ١٧ - ١٨
٢٩٠	تفسير الآيتان: ١٩ - ٢٠
٢٩٦	تفسير الآيتان: ٢١ - ٢٢
٣٠٢	تفسير الآيتان: ٢٣ - ٢٤
٣٠٩	تفسير الآية: ٢٥
٣١٣	تفسير الآيتان: ٢٦ - ٢٧
٣٢٠	تفسير الآية: ٢٨
٣٢٢	تفسير الآية: ٢٩
٣٢٥	تفسير الآية: ٣٠
٣٣٤	تفسير الآيات: ٣١ - ٣٣
٣٤٠	تفسير الآية: ٣٤
٣٥٠	تفسير الآيتان: ٣٥ - ٣٦
٣٥٩	تفسير الآية: ٣٧
٣٦٢	تفسير الآيتان: ٣٨ - ٣٩
٣٦٣	تفسير الآيتان: ٤٠ - ٤١
٣٧٠	تفسير الآيتان: ٤٢ - ٤٣
٣٧٢	تفسير الآية: ٤٤
٣٧٩	تفسير الآيتان: ٤٥ - ٤٦
٣٨٦	تفسير الآية: ٤٧
٣٨٧	تفسير الآية: ٤٨
٣٨٩	تفسير الآيتان: ٤٩ - ٥٠
٣٩٣	تفسير الآيات: ٥١ - ٥٣

الصفحة

الموضوع

٣٩٤	تفسير الآية: ٥٤
٣٩٧	تفسير الآيتان: ٥٥ - ٥٦
٤٠٠	تفسير الآية: ٥٧
٤١١	تفسير الآيتان: ٥٨ - ٥٩
٤١٨	تفسير الآية: ٦٠
٤٢٠	تفسير الآية: ٦١
٤٢٦	تفسير الآية: ٦٢
٤٣١	تفسير الآيتان: ٦٣ - ٦٤
٤٣٢	تفسير الآيتان: ٦٥ - ٦٦
٤٣٩	تفسير الآية: ٦٧
٤٤٥	تفسير الآيات: ٦٨ - ٧١
٤٥٢	تفسير الآيتان: ٧٢ - ٧٣
٤٥٥	تفسير الآية: ٧٤
٤٥٩	تفسير الآيات: ٧٥ - ٧٧
٤٦٤	تفسير الآيتان: ٧٨ - ٧٩
٤٦٩	تفسير الآية: ٨٠
٤٧١	تفسير الآيتان: ٨١ - ٨٢
٤٧٣	تفسير الآية: ٨٣
٤٧٦	تفسير الآيات: ٨٤ - ٨٦
٤٨٠	تفسير الآية: ٨٧
٤٨٤	تفسير الآية: ٨٨
٤٨٦	تفسير الآية: ٨٩
٤٨٩	تفسير الآية: ٩٠
٤٩١	تفسير الآيتان: ٩١ - ٩٢
٤٩٢	تفسير الآية: ٩٣
٤٩٤	تفسير الآيات: ٩٤ - ٩٦
٥٠١	تفسير الآيتان: ٩٧ - ٩٨
٥١٣	تفسير الآيات: ٩٩ - ١٠٣
٥٤٨	تفسير الآيتان: ١٠٤ - ١٠٥

الموضوع	الصفحة
تفسير الآيتان: ١٠٦ - ١٠٧	٥٥٢
تفسير الآية: ١٠٨	٥٥٩
تفسير الآيتان: ١٠٩ - ١١٠	٥٦٢
تفسير الآيات: ١١١ - ١١٣	٥٦٥
تفسير الآية: ١١٤	٥٦٩
تفسير الآية: ١١٥	٥٧٣
تفسير الآيتان: ١١٦ - ١١٧	٥٨١
تفسير الآية: ١١٨	٥٨٥
تفسير الآية: ١١٩	٥٨٧
تفسير الآيتان: ١٢٠ - ١٢١	٥٩٠
تفسير الآيتان: ١٢٢ - ١٢٣	٥٩٤
تفسير الآية: ١٢٤	٥٩٥
تفسير الآية: ١٢٥	٦٠٤
تفسير الآيات: ١٢٥ - ١٢٨	٦١٣
تفسير الآية: ١٢٩	٦٤٤
تفسير الآيات: ١٣٠ - ١٣٢	٦٤٦
تفسير الآيتان: ١٣٣ - ١٣٤	٦٤٨
تفسير الآية: ١٣٥	٦٤٩
تفسير الآية: ١٣٦	٦٥٠
تفسير الآيتان: ١٣٧ - ١٣٨	٦٥٢
تفسير الآيات: ١٣٩ - ١٤١	٦٥٣
* فهرس الموضوعات	٦٥٥

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِلْإِمَامِ ابْنِ كَثِيرٍ

فَقِيهُ الْمُفَسِّرِينَ وَمُفَسِّرُ الْمُحَدِّثِينَ

تَحْقِيقُ

أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين

أستاذ كرسي الدراسات القرآنية في جامعة الملك عبد العزيز

أَشْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ

سعد بن فواز الصميل

الْجُزْءُ السَّابِعُ

سورة و - حتى آخر سورة الناس

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الإمام الشوكاني رحمه الله عن تفسير ابن كثير رحمه الله
وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها
د البدر الطالع ١/ ١٥٣

تفسير القرآن العظيم

للإمام ابن كثير

فقيه المفسرين ومفسر الحديث

٧

جميع الحقوق محفوظة دار ابن الجوزي

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣١هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.



دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢ -
الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تليفاكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوال: ٥٠٣٨٥٧٩٨٨ -
الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ -
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تليفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ -
البريد الإلكتروني: aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

سُورَةُ قَافٍ

وهي مكية

هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات. وأما ما يقوله العوام إنه من (عم) فلا أصل له ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم. والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل ما رواه أبو داود في سننه «باب تحزيب القرآن» ثم قال: حدثنا مسدد، حدثنا قران بن تمام، حدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، سليمان بن حيّان، وهذا لفظه: عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن جده، قال عبد الله بن سعيد: حدثني أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل الرسول ﷺ بني مالك في قبة له، قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف، قال: كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا، قال أبو سعيد، قائماً على رجله حتى يراوح بين رجله من طول القيام، فأكثر ما يحدثنا به ﷺ ما لقي من قومه قريش ثم يقول ﷺ: «لا سواء وكنا مستضعفين مستذلين - قال مسدد بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجلاً بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا» فلما كانت ليلة أبطأ عنا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة، قال ﷺ: «إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه». قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاثة عشرة، وحزب المفصل وحده^(١)، ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي خالد الأحمر به، ورواه الإمام أحمد، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الله بن عبد الرحمن هو ابن يعلى الطائفي به^(٢).

إذا علم هذا فإذا عدت ثمانياً وأربعين سورة فالتى بعدهن سورة ق. بيانه ثلاث: البقرة وآل عمران والنساء. وخمس: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة. وسبع: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل. وتسع: سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان. وإحدى عشرة: الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، الصلاة، باب تحزيب القرآن ح ١٣٩٣) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٢٩٧).

(٢) سنن ابن ماجه، الإقامة، باب في كم يستحب يختم القرآن (ح ١٣٤٥)، وأخرجه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي به وفي آخره: وحزب المفصل: من قاف حتى يختم. (المسند ٨٩/٢٦ ح ١٦١٦٦) وضعف سنده محققوه.

و﴿الْعَمَّ﴾ السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس. وثلاث عشرة: الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات. ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم. فتعين أن أوله سورة ق. وهو الذي قلنا، والله الحمد والمنة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا مالك، عن ضمرة بن سعيد، عن عبيد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد؟ قال: بقاف واقتربت^(١)، ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به^(٢). وفي رواية لمسلم، عن فليح، عن ضمرة، عن عبيد الله، عن أبي واقد قال: سألتني عمر رضي الله عنه، فذكره^(٣).

حديث آخر:

وقال أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، عن أم هشام بنت حارثة قالت: لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿قَ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ [ق] إلا على رسول الله، وكان يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس^(٤). رواه مسلم من حديث ابن إسحاق به^(٥).

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن حبيب، عن عبد الله بن محمد بن معن، عن ابنة الحارث بن النعمان قالت: ما حفظت ﴿قَ﴾ إلا من في رسول الله ﷺ يخطب بها كل جمعة. قالت: وكان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً^(٦). وكذا رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة به^(٧).

والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار: كالعيد والجُمع لاشتمالها على ابتداء الخلق، والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب، والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢١٧/٥)، وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين (ح ٨٩١)، وسنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقرأ في الأضحى والفطر (ح ١١٥٤)، وسنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في القراءة في العيدين (ح ٥٣٤)، والسنن الكبرى للنسائي. التفسير، باب سورة القمر (ح ١١٥٥)، وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب القراءة في صلاة العيدين (ح ١٢٨٢).

(٣) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ٨٩١/١٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٣٥/٦) وسنده صحيح.

(٥) صحيح مسلم، الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (ح ٨٧٣).

(٦) سنن أبي داود، الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس (ح ١١٠٠) وسنده صحيح.

(٧) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ٨٧٣/٥١)، وسنن النسائي، الجمعة باب القراءة في الخطبة ٧/٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَوَدَا مِثْنًا وَكَأَنَّ زُبًّا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيطٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيعٍ ﴿٥﴾﴾.

﴿قَ﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور كقوله تعالى: ﴿صَ﴾ و﴿تَ﴾ و﴿الْعَ﴾ و﴿حَمَ﴾ و﴿طَسَ﴾ ونحو ذلك، قاله مجاهد وغيره.

وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ﴿قَ﴾ جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف^(١)، وكأن هذا، والله أعلم، من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندني أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افتروا في هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم وشربهم الخمر، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته؟ وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»^(٢) فيما قد يجوز به العقل، فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل، والله أعلم.

وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، والله الحمد والمنة، حتى أن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، رحمه الله عليه، أورد ههنا أثراً غريباً لا يصح سنده عن ابن عباس فقال: حدثنا أبي قال: حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي، حدثنا ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: خلق الله من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له قاف، سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه، حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات، قال: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾^(٣) [لقمان: ٢٧]. فإسناده هذا الأثر فيه انقطاع، والذي رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿قَ﴾ هو اسم من أسماء الله ﷻ^(٤).

(١) ذكره الطبري بنحوه دون نسبه لأحد.

(٢) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو ؓ (الصحيح، أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ح ٣٤٦١).

(٣) سنده ضعيف لابهام شيخ أبي حاتم الرازي. (٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

والذي ثبت عن مجاهد: أنه حرف من حروف الهجاء^(١) كقوله تعالى: ﴿صَّ﴾، ﴿تَّ﴾، ﴿حَمْ﴾، ﴿طَسَّ﴾، ﴿آلَمْ﴾ ونحو ذلك، فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس.
وقيل: المراد قضي الأمر والله، وأن قوله: ﴿قَّ﴾ قال: دلت على المحذوف من بقية الكلمة كقول الشاعر:

قلت لها قضي فقالت ق^(٢)

وفي هذا التفسير نظر لأن الحذف في الكلام يكون إنما يكون إذا دل دليل عليه، ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف؟

وقوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ أي: الكريم العظيم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت] واختلفوا في جواب القسم ما هو؟ فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيزٌ﴾، وفي هذا نظر^(٣) بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم، وهو إثبات النبوة وإثبات المعاد وتقديره وتحقيقه، وإن لم يكن القسم يلتقي لفظاً، وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله: ﴿صَّ﴾ و﴿الْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي﴾ [ص] وهكذا قال ههنا: ﴿قَّ﴾ و﴿الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ ﴿بَلِ عِمْيَؤُا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا مَثْقٌ عَجِيبٌ﴾ أي: تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر، كقوله تعالى: ﴿أَكَاكَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَن أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَن أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ [يونس: ٢] أي: وليس هذا بعجيب فإن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس.

ثم قال مخبراً عنهم في تعجبهم أيضاً من المعاد واستبعادهم لوقوعه: ﴿أَوَدَا مِتْنَا وَكُنَّا زُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أي: يقولون أئذا متنا وبلينا وتقطعت الأوصال منا وصرنا تراباً، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب؟ ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أي: بعيد الوقوع. والمعنى أنهم يعتقدون استحالة وعدم إمكانه. قال الله تعالى راداً عليهم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكل من أجسادهم في البلى نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان وأين ذهبت وإلى أين صارت ﴿وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيزٌ﴾ أي: حافظ لذلك فالعلم شامل والكتاب أيضاً فيه كل الأشياء مضبوطة.

قال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكل من لحومهم وأبشارهم، وعظامهم وأشعارهم^(٤)، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم^(٥).

(١) تقدم تخريجه في تفسير ﴿آلَمْ﴾ في سورة البقرة.

(٢) تقدم عزوه وبيان عجزه كسابقه.

(٣) قول الحافظ ابن كثير: وفي هذا نظر. فيه نظر أيضاً، فإن الإمام الطبري ذكر هذا القول عن أهل البصرة ثم أرفده بقول آخر عن أهل الكوفة بأن ﴿قَّ﴾ فيها المعنى الذي أقسم به. ثم رجح هذا القول، فما نقله الحافظ ابن كثير مبتور. وما رجحه الحافظ ابن كثير يتضمن ما رجحه الإمام الطبري رحمهم الله تعالى.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بالآثار التالية.

(٥) قول مجاهد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن =

ثم بين تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ أي: وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل، والمريج: المختلف المضطرب الملتبس المنكر خلاله كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَنِي قَوْلٍ تُخَلِّفُ ۝٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات].

﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧﴾ تَبَصَّرَ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَلْبَنَّا بِهِ حَبَّنَا وَحَبَّ الْحَبِيدِ ۝٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١﴾.

يقول تعالى منبهاً للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ أي: بالمصاييح.

﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ قال مجاهد: يعني من شقوق^(١)، وقال غيره: فتوق، وقال غيره: صدوع^(٢)، والمعنى متقارب كقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝٢﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٣﴾ [الملك] أي: كليل عن أن يرى عيياً أو نقصاً.

وقوله: ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا﴾ أي: وسعناها وفرشناها ﴿وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ وهي الجبال لثلاث تميد بأهلها وتضطرب، فإنها مقررة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها ﴿وَأَلْبَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي: من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ [الذاريات] وقوله: بهيج؛ أي: حسن المنظر ﴿تَبَصَّرَ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝٨﴾ أي: ومشاهدة خلق السموات والأرض وما جعل الله فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى لكل عبد منيب؛ أي: خاضع خائف وجل رجاع إلى الله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ أي: نافعا ﴿فَأَلْبَنَّا بِهِ حَبَّنَا﴾ أي: حدائق من بساتين ونحوها ﴿وَحَبَّ الْحَبِيدِ﴾ وهو الزرع الذي يراد لحبه وادخاره ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طوالاً شاهقات، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وغيرهم: الباسقات الطوال^(٣). ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ أي: منضود^(٤) ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ أي: للخلق ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾

= قتادة، وقول الضحاك أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عنه.

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) أخرج الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الشيء المتبرئ بعضه من بعض.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة بلفظ: «نُضِدٌ بعضه على بعض».

وهي الأرض التي كانت هامة، فلما نزل الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزهير وغير ذلك، مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعد ما كانت لا نبات بها فأصبحت تهتز خضراء، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يُحيي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث، كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَفْقَدِرَ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحزاب: ٣٣] وقال ﷺ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣٦] [فصلت].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّ وَشَمُودُ﴾ (١٢) وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُيُجُ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴿١٤﴾ أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

يقول تعالى متهدداً لكفار قريش، بما أحله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم، من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا كقوم نوح وما عذبهم الله تعالى به من الغرق العام لجميع أهل الأرض وأصحاب الرس، وقد تقدمت قصتهم في سورة الفرقان.

﴿وَشَمُودُ﴾ (١٢) وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور، وكيف خسف الله تعالى بهم الأرض، وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق.

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام ﴿وَقَوْمُ تُيُجُ﴾ وهو اليماني، وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان ما أغنى عن إعادته ههنا، والله الحمد والشكر.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ أي: كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسولهم، ومن كذب رسولاً فكأنما كذب جميع الرسل كقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء) وإنما جاءهم رسول واحد فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم ﴿فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ أي: فحق عليهم ما أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذبوا أولئك. وقوله تعالى: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: أفعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ والمعنى أن ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل منه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وقال الله تعالى: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس].

وقد تقدم في الصحيح: «يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته»^(١).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنِدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَفَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾.

يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع أموره، حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل»^(١).

وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ يعني: ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم فإنما قرّ لثلا يلزم حلول أو اتحاد وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ كما قال المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الواقعة] يعني: ملائكته وكما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر] فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن بإذن الله ﷻ، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه [بتقدير]^(٢) الله لهم على ذلك. فللملك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة، وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم^(٣)، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: مترصد ﴿مَا يَلْفِظُ﴾ أي: ابن آدم ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾ أي: ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنِدٌ﴾ أي: إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَيَكُمُ الْخَفِظِينَ ﴿١٦﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١٧﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الانفطار].

وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام. وهو قول الحسن وقتادة^(٤)، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس^(٥)، على قولين، وظاهر الآية الأول لعموم قوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنِدٌ﴾.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي، عن أبيه، عن جده علقمة، عن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عليه بها سخطه إلى

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٨٤. (٢) كذا في (مح)، وفي الأصل وحم: «باقتدار».

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٨٧.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «يحفظان عليه عمله ويكتبان أثره».

يوم يلقاه» فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث^(١). ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث محمد بن عمرو به، وقال الترمذي: حسن صحيح وله شاهد في الصحيح^(٢).

وقال الأحنف بن قيس: صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمير على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها، وإن أبى كتبها^(٣). رواه ابن أبي حاتم، وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قِيعًا﴾ يا ابن آدم بسطت لك صحيفة وוכל بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى يخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَتْهُ طَائِفَةٌ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا﴾ ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ [الإسراء] ثم يقول: عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك^(٤).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ﴿٨﴾ قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى أنه ليكتب قوله: أكلت شربت ذهبت جئت رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقي سائر، وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿٢٩﴾^(٥) [الرعد].

وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يثن في مرضه فبلغه عن طاوس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين فلم يثن أحمد حتى مات رحمته الله^(٦). وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدًا﴾ يقول تعالى: وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق؛ أي: كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدًا﴾ أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص.

وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدًا﴾^(٧) فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو، وقيل الكافر، وقيل غير ذلك.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٥/ ١٨٠ ح ١٥٨٥٢) وقال محققوه: صحيح لغيره.
(٢) سنن الترمذي، الزهد، باب قلة الكلام (ح ٢٣٢٠)، وسنن ابن ماجه الفتن، باب كفت اللسان في الفتنة (ح ٣٩٦٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ١٨٨٨).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا بسند ضعيف من طريق رجل مبهم عن ابن تيمية السلمي عن الأحنف. (الصمت ص ٨٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.
(٥) أخرجه الطبري في تفسير سورة الرعد آية ٣٩ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله بن رثاب الأنصاري وليس من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ورواية الكلبي عن أبي صالح ضعيفة جداً.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٧/ ٢١٠)، ورواية الإمام أحمد منقطعة لأن روايته بلاغاً.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا إبراهيم بن زياد سبلان، أخبرنا عباد بن عباد، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن جده علقمة بن وقاص قال: إن عائشة رضي الله عنها قالت: حضرت أبي رضي الله عنه وهو يموت، وأنا جالسة عند رأسه فأخذته غشية، فتمثلت ببيت من الشعر: من لا يزال دمه مقنعاً فإنه لا بد مرة مدفوق قالت: فرفع رأسه فقال: يا بُنية ليس كذلك ولكن كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (١).

وحدثنا خلف بن هشام، حدثنا أبو شهاب الخياط، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن البهي قال: لما أن ثقل أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت: لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر (٢) فكشف عن وجهه وقال رضي الله عنه: ليس كذلك، ولكن قل لي ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (٣).

وقد أوردت لهذا الأثر طرقاً كثيرة في سيرة الصديق رضي الله عنه عند ذكر وفاته، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق، عن وجهه ويقول: «سبحان الله إن للموت لسكران» (٤).

وفي قوله: ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ قولان:

(أحدهما): أن ما ههنا موصولة؛ أي: الذي كنت منه تحيد بمعنى تبتعد وتتناهى وتفر قد حلّ بك ونزل بساحتك.

(والقول الثاني): أن ما نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفرار منه ولا الحيد عنه.

وقد قال الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا مؤمل بن علي الصائغ المكي، حدثنا حفص، عن ابن عمر الحدي، حدثنا معاذ بن محمد الهذلي، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن سَمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الأرض بدين، فجاء يسعى حتى إذا أعيأ وأسهر دخل حجره. وقالت له الأرض: يا ثعلب ديني، فخرج وله حُصاص (٥) فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات» ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا محيد عن الأرض، كذلك الإنسان لا محيد له عن الموت (٦).

(١) في سنده عمرو بن علقمة بن وقاص: مقبول (التقريب ص ٤٣٥). ومتنه يخالف الذي يليه.

(٢) استشهد به الطبري وعزاه إلى حاتم الطائي في تفسير سورة يوسف آية ٧٧.

(٣) أخرجه البستي بسند حسن من طريق البهي، وهو عبد الله، به وأخرجه البستي بسند صحيح من طريق واصل، وهو ابن حيان الأحذب، عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أبي بكر رضي الله عنه، وأخرجه الطبري من طريق أبي وائل عن أبي بكر رضي الله عنه وطريق الطبري وابن أبي الدنيا يقوي أحدهما الآخر ويتقويان برواية البستي.

(٤) أخرجه البخاري (الصحيح، الرقاق، باب سكرات الموت ح ٦٥١٠).

(٥) أي: شدة العدو وحدته، وقيل الضراط (النهاية ٣٩٦/١).

(٦) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٢٦٨/٧ ح ٦٩٢٢) وأعله العقيلي والهيثمي بمعاذ بن محمد الهذلي =

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ قد تقدم الكلام على حديث النفخ في الصور والفرع والصعق والبعث، وذلك يوم القيامة. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له» قالوا: يا رسول الله كيف نقول؟ قال ﷺ: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل» فقال القوم: حسبنا الله ونعم الوكيل^(١).

﴿وَحَلَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي: ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله هذا هو الظاهر من الآية الكريمة، وهو اختيار ابن جرير ثم روي من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب فقرأ هذه الآية ﴿وَحَلَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ فقال: سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت^(٢)، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد^(٣).

وقال مطرّف، عن أبي جعفر مولى أشجع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: السائق الملك والشهيد^(٤) العمل، وكذلك قال الضحاك والسدي^(٥).

وقال العوفي، عن ابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه، يشهد على نفسه^(٦)، وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضاً^(٧).

وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

(أحدها): أن المراد بذلك الكافر، رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس^(٨)، وبه يقول الضحاك بن مزاحم وصالح بن كيسان.

(والثاني): أن المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة، والدنيا كالنمائم، وهذا اختيار ابن جرير، ونقله عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله، عن عبد الله بن عباس^(٩).

= (الضعفاء الكبير ٢٠٠/٤، ومجمع الزوائد ٣٢٣/٢).

- (١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنعام آية ٧٣ وفي سورة آل عمران آية ١٧٣.
- (٢) أخرجه الطبري من طريق إسماعيل بن أبي خالد، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق عن إسماعيل بن أبي خالد به، وفي سنده يحيى بن رافع ترجم له البخاري في التاريخ الكبير وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وسكتا عنه. وأخرجه البستي من طريق رجل مبهم عن عثمان.
- (٣) أخرجه الطبري من طريق خُصيف عن مجاهد، وخُصيف سيء الحفظ، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد: الملكان: كاتب وشهيد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.
- (٤) في سنده أبو جعفر سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير ونقل ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل عن أبيه أنه لا يدري من هو؟ ويشهد له ما يليه.
- (٥) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.
- (٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. ويشهد له سابقه ولاحقه.
- (٧) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.
- (٨) أخرجه الطبري بسند ثابت عن علي به.
- (٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الزهري عن الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس.

(والثالث): أن المخاطب بذلك النبي ﷺ وبه يقول زيد بن أسلم^(١) وابنه، والمعنى على قولهما: لقد كنت في غفلة من هذا القرآن قبل أن يوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بإنزاله إليك فبصرك اليوم حديد، والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو، والمراد بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ يعني: من هذا اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: قوي لأن كل أحد يوم القيامة يكون مستبصراً حتى الكفار في الدنيا، يكونون يوم القيامة على الاستقامة، لكن لا ينفعهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا﴾ [مريم: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة].

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَيْنٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّتَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَّهِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَفْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبْدِلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الملك الموكل بعمل ابن آدم إنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول: ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَيْنٌ﴾ أي: معتمد محضر بلا زيادة ولا نقصان.

وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق^(٢)، يقول ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته، وقد اختار ابن جرير أنه يعلم السائق والشهيد، وله اتجاه وقوة، فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليقة بالعدل فيقول: ﴿أَلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾.

وقد اختلف النحاة في قوله: ﴿أَلْقِيَ﴾ فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالثنائية كما روي عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسى اضربا عنقه، ومما أنشد ابن جرير على هذه قول الشاعر:

فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإن تتركاني أحمر عرضاً ممنعاً^(٣)

وقيل: بل هي نون التأكيد سهلت إلى الألف، وهذا بعيد لأن هذا إنما يكون في الوقف، والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد، فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب، فلما أدى الشهيد عليه أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم، وبئس المصير ﴿أَلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي: كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند للحق، معارض له بالباطل مع علمه بذلك ﴿مَّتَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: لا يؤدي ما عليه من الحقوق ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة ﴿مُعْتَدٍ﴾ أي: فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب، وهو عبد الله بن وهب، عن ابن زيد، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وليس عن أبيه.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) قال الطبري: وأنشدني أبو ثروان: فذكره.

وقال قتادة: معتد في منطقته وسيرته وأمره^(١).

﴿مُرِيبٌ﴾ أي: شاك في أمره مربب لمن نظر في أمره ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي: أشرك بالله فعبد معه غيره ﴿فَالْقِيَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ وقد تقدم في الحديث أن عنقاً من النار يبرز للخلائق فينادي بصوت يسمع الخلائق: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين، ثم تنطوي عليهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية هو: ابن هشام، حدثنا شيبان، عن فراس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس فتنتوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم»^(٢).

﴿قَالَ قَيْبُهُ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقاتة وغيرهم: هو الشيطان الذي وكل به^(٣). ﴿رَبَّنَا مَا أَفْقَيْتَهُ﴾ أي: يقول عن الإنسان الذي قد أوفى القيامة كافراً يتبرأ منه شيطانه فيقول: ﴿رَبَّنَا مَا أَفْقَيْتَهُ﴾ أي: ما أضللتته ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بل كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل معانداً للحق، كما أخبر تعالى في الآية الأخرى في قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم].

وقوله: ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾ يقول الرب ﷻ للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق تعالى، فيقول الإنسي؛ يا رب هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، ويقول الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَا أَفْقَيْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي: عن منهج الحق، فيقول الرب ﷻ لهما: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي: عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعْدِ﴾ أي: قد أعذرت إليكم على السنة الرسل، وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبيانات والبراهين.

﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ قال مجاهد: يعني قد قضيت ما أنا قاض ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي: لست أعذب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (٣٠) وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَفِينِ غَيْرَ مُبْعِدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَلِيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥).

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وذلك أنه تبارك وعدها أن سيملؤها من

(١) نسبه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ١٥.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما يليه، فقد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

الجنة والناس أجمعين، فهو ﷺ يأمر بمن يأمر به إليها ويلقى وهي تقول: هل من مزيد؟ أي: هل بقي شيء تزيدوني؟ هذا هو الظاهر في سياق الآية وعليه تدل الأحاديث.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثني حرمي بن عمار، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟» حتى يضع قدمه فتقول: «قط، قط»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع ربُّ العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة»^(٢). ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه، ورواه أبان العطار وسليمان التيمي عن قتادة بنحوه^(٣).

حديث آخر:

قال البخاري: حدثنا محمد بن موسى القطان، حدثنا أبو سفيان الحميري سعيد بن يحيى بن مهدي، حدثنا عوف، عن محمد، عن أبي هريرة، رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان: «يقال لجهنم: هل امتلأت، وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الربُّ تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قط قط»^(٤). ورواه أبو أيوب وهشام بن حسان، عن محمد بن سيرين به.

طريق أخرى:

قال البخاري: وحدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن [همام]^(٥) بن منبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تحتاج الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. قال الله ﷻ للجنة: أنتِ رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنتِ عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها فتقول: قط فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ﷻ ينشئ لها خلقاً آخر»^(٦).

حديث آخر:

قال مسلم في صحيحه: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّت الجنة والنار فقالت النار: فيَّ

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، سورة ق باب ﴿وَقُولُ هَلْ مِنْ زَيْدٍ﴾ [ق: ٣٠]؟ ح ٤٨٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣/٢٣٤) وسنده صحيح وأخرجه مسلم من طريق عبد الوهاب به. (صحيح مسلم، الجنة، باب النار يدخلها الجبارون ح ٢٨٤٨/٣٨).

(٣) المصدر السابق قبل الحديث السابق.

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثله صحيح البخاري، الباب السابق (ح ٤٨٤٩).

(٥) كذا في (حم) و(مح) وصحيح البخاري، وفي الأصل صحف إلى: «تمام».

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثله (المصدر السابق ح ٤٨٥٠).

الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى بينهما فقال للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها^(١) انفرد به مسلم دون البخاري من هذا الوجه والله ﷻ أعلم.

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أبي سعيد رضي الله عنه بأبسط من هذا السياق فقال: حدثنا حسن وروح قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن عبيد الله بن عتبة، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «افتخرت الجنة والنار فقالت النار: يا ربّ يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة: أي ربّ يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين فيقول الله ﷻ للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشياء، وقال للجنة: أنت رحمتي وسعت كل شيء ولكل واحدة منكما ملؤها، فيلقى في النار أهلها فتقول هل من مزيد؟ قال: ويلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ ويلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يأتيها ﷻ فيضع قدمه عليها فتنزوي وتقول قدني قدني، وأما الجنة فيبقى فيها ما شاء تعالى أن يبقى فينشئ الله ﷻ لها خلقاً ما يشاء^(٢)».

حديث آخر:

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثني عقبة بن مكرم، حدثنا يونس، حدثنا عبد الغفار بن القاسم، عن عدي بن ثابت، عن زرّ بن حبیش، عن أبي بن كعب قال: إن رسول الله ﷺ قال: «يعرفني الله تعالى نفسه يوم القيامة، فأسجد سجدة يرضى بها عني ثم أمدحه مدحة يرضى بها عني، ثم يؤذن لي في الكلام، ثم تمر أمتي على الصراط مضروب بين ظهراي جهنم، فيمرون أسرع من الطرف والسهم، وأسرع من أجود الخيل، حتى يخرج الرجل منها يحبو وهي الأعمال، وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وأنا على الحوض» قيل: وما الحوض يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن شربه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج. وأطيب ريحاً من المسك، وآتيته أكثر من عدد النجوم لا يشرب منه إنسان فيظماً أبداً ولا يصرف فيروى أبداً^(٣)». وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحيى الحماني، عن نصر الخراز، عن عكرمة، عن ابن عباس «يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾» قال: ما امتلأت. قال تقول: وهل من مكان يزداد في^(٤)؟ وكذا رواه [الحكم]^(٥) بن أبان، عن عكرمة «وَنَقُولُ هَلْ مِنْ

(١) أخرجه مسلم بسنده ومثله (الصحيح، الجنة، باب النار يدخلها الجبارون ح ٢٨٤٧) وما قبله.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٧/١٦٣، ١٦٤ ح ١١٠٩٩) وحسن سنده محققوه.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم من طريق عقبة بن مكرم به، وقال الألباني: إسناده موضوع آفته عبد الغفار بن القاسم.. كان يضع الحديث كما قال علي بن المديني وأبو داود (ظلال الجنة في تخريج أحاديث كتاب السنة ح ٧٩٠).

(٤) في سنده أبو يحيى الحماني وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني: صدوق يخطئ (التقريب ص ٣٣٤).

(٥) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل صحف إلى: «الحاكم».

مَزِيدٍ؟ وهل في مدخل واحد قد امتلأت^(١)؟

قال الوليد بن مسلم، عن يزيد بن أبي مریم أنه سمع مجاهداً يقول: لا يزال يقذف فيها حتى تقول: امتلأت، فتقول: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟﴾^(٢). وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو هذا^(٣). فعند هؤلاء أن قوله تعالى: ﴿هَلْ أَمْتَلَأْتُ﴾ إنما هو بعدما يضع عليها قدمه فتزوي وتقول حيثل هل بقي في مَزِيدٍ يسع شيئاً؟ قال العوفي عن ابن عباس: وذلك حين لا يبقى فيها موضع يسع إبرة^(٤)، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قال قتادة وأبو مالك والسدي ﴿وَأُزْلِفَتْ﴾ أدنيت^(٥) وقربت من المتقين. ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ وذلك يوم القيامة، وليس يبعد لأنه واقع لا محالة وكل ما هو آت قريب ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي: راجع تائب مقلع ﴿حَفِيطٍ﴾ أي: يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكته.

وقال عبيد بن عمرو: الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر الله ﷻ^(٦). ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبَ﴾ أي: من خاف الله في سره حيث لا يراه أحد إلا الله كقوله ﷻ: «ورجل ذكر الله تعالى خالياً، ففاضت عيناه»^(٧).

﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ أي: ولقي الله يوم القيامة بقلب منيب سليم إليه خاضع لديه ﴿أَدْخَلُوهَا﴾ أي: الجنة ﴿بِسَلَامٍ﴾.

قال قتادة: سلموا من عذاب الله، وسلم عليهم ملائكة الله.

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ أي: يخلدون في الجنة فلا يموتون أبداً، ولا يظعنون أبداً ولا ييغون عنها حولاً، وقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي: مهما اختاروا وجدوا من أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمر بن عثمان، حدثنا بقية، عن يحيى بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة قال: من المَزِيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون فأمره لكم؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم، قال كثير: لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولن أمطرنا جوارى مزينات^(٨).

وفي الحديث عن ابن مسعود قال: إن رسول الله ﷺ قال له: «إنك لتشتهي الطير في الجنة

(١) فيه غرابة ومخالفة لما ثبت في الروايات الصحيحة المرفوعة المتقدمة.

(٢) سنده حسن، وأخرج آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «وهل من مسلك؟».

(٣) أخرجه الطبري بسنده صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٢٥. (٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٧١.

(٨) في سنده عنقة بقية وهو من كبار المدلسين، وفي متنه غرابة فإن أهل الجنة بين ظهورهم الجوارى المزينات لا يحتاجون أن تمطر من الجوارى المزينات.

فيخر بين يدك مشوياً»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن عامر الأحول، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا انتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة»^(٢) ورواه الترمذي وابن ماجه، عن بNDAR، عن معاذ بن هشام به^(٣). وقال الترمذي حسن غريب وزاد: [كما]^(٤) انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَّعٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي أنها النظر إلى وجه الله الكريم^(٥). وقد روى البزار وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله ﷺ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال: يظهر لهم الرب ﷻ في كل جمعة^(٦). وقد رواه الإمام أبو عبد الله الشافعي مرفوعاً فقال في مسنده: أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثني موسى بن عبيدة، حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة، عن عبد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «ما هذه؟» فقال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك، فالتناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير، ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن، يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد.

قال النبي ﷺ: «يا جبريل وما يوم المزيد؟» قال ﷺ: إن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كذب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكتب، فيقول الله ﷻ: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم علي ما تمنيتم ولدي مزيد. فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة. هكذا أورده الإمام الشافعي رحمته الله في كتاب الجمعة من الأم^(٧)، وله طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد أورد ابن جرير هذا الحديث من رواية عثمان بن عمير، عن أنس رضي الله عنه بأبسط من هذا، وذكر ههنا أثراً

(١) أخرجه العقيلي (الضعفاء الكبير ١/٢٦٨)، وابن عدي (الكامل ٦/٦٨٩) وكلاهما ضعفه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٧/١١٦ ح ١١٠٦٣) وحسن سنده محققوه.

(٣) سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة (ح ٢٥٦٦)، وسنن ابن ماجه الزهد، باب صفة الجنة (ح ٤٣٣٨) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٥٠٠).

(٤) زيادة من (حم) و(مع)، وفي الأصل: «بياض». (٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ٢٦.

(٦) سنده ضعيف لأن عثمان بن عمير ضعيف واختلط وكان يدلس ويغلو في التشيع. (التقريب ص ٣٨٦).

(٧) أخرجه الإمام الشافعي بسنده ومثله (الأم ١/١٨٥). وسنده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الربذي كما في التقريب.

مطولاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه موقوفاً وفيه غرائب كثيرة^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة لا قبل أن يتحول»^(٢)، ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة، وأن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من أنت؟ فتقول أنا من المزيد وإنه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب»^(٣). وهكذا رواه عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج به.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحْيِصٍ﴾ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبَرْ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾.

يقول تعالى: وكم أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين ﴿مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أي: كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثأروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ولهذا قال ههنا: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحْيِصٍ﴾ قال ابن عباس: أثروا فيها^(٤).

وقال مجاهد: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ ضربوا في الأرض^(٥). وقال قتادة: فساروا في البلاد؛ أي: ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم بها^(٦). ويقال لمن طوَّف في البلاد نقب فيها، قال امرؤ القيس^(٧):

لقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب^(٨)

وقوله: ﴿هَلْ مِنْ مَحْيِصٍ﴾ أي: هل من مفرٍّ كان لهم من قضاء الله وقدره؟ وهل نفعهم ما جمعوه؟ وردَّ عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل فأنتم أيضاً لا مفرٍّ لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص. وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾ أي: لعلبة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: لب يعي به. وقال مجاهد: عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع الكلام فوعاه وتعلقه وتفهمه بلبه. وقال مجاهد: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ يعني: لا يحدث نفسه في هذا بقلب^(٩).

(١) أخرجه الطبري، وسنده ضعيف كسابقه. (٢) زيادة من (حم) و(مع) والمسند.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٧٥/٣) وسنده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ ولكن أخرج عبد الرزاق والطبري بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظ: «حاص أعداء الله، فوجدوا أمر الله لهم مدركا».

(٧) ديوان امرئ القيس ص ٩٩.

(٨) استشهد به الطبري.

(٩) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع بلفظ: «وهو لا يحدث نفسه» شاهد القلب.

وقال الضحاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه، وهو شاهد يقول: غير غائب^(١). وهكذا قال الثوري وغير واحد^(٢).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ فيه تقرير للمعاد لأن من قدر على خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأخرى.

وقال قتادة: قالت اليهود - عليهم لعائن الله -: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت - وهم يسمونه: يوم الراحة - فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه^(٣).

﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي: من إعياء ولا تعب ولا نصب، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُخَيِّئَ الْمَوْتَ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف] وكما قال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ أَمْتًا بَنَاهَا﴾ [النازعات].

وقوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجراً جميلاً ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء اثنتين قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وقبل الغروب في وقت العصر، وقيام الليل كان واجباً على النبي ﷺ وعلى أمته حولاً ثم نسخ في حق الأمة وجوبه، ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات، ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر [لا تضامون]^(٤) فيه، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾^(٥). ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة من حديث إسماعيل به^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي فصلِّ له كقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء] ﴿وَأَذِّنْ لِلْجُودِ﴾.

(١) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٢) أخرجه البستي بسند صحيح من طريق ابن أبي عمر العدني عن الثوري.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح لكنه مرسل، من طريق معمر عن قتادة بنحوه لكن بدون الجملتين المحصورتين بعلامات الاعتراض.

(٤) كذا في (حم) و(مع) والمسنَد، وفي الأصل ضُحفت إلى: «لا تضارون».

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسنَد ٣٦٥/٤) وسنده صحيح.

(٦) (صحيح البخاري، مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ح ٥٥٤، وصحيح مسلم، المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ح ٦٦٣).

قال ابن أبي نجیح، عن مجاهد، عن ابن عباس: هو التسييح بعد الصلاة^(١). ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء فقراء المهاجرين فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، فقال النبي ﷺ: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. قال ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» قال: فقالوا: يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. فقال ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»^(٢).

والقول الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَ السُّجُودَ﴾ هما الركعتان بعد المغرب، وروي ذلك عن عمر وعلي وابنه الحسن وابن عباس وأبي هريرة وأبي أمامة، وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبي والنخعي والحسن وقتادة وغيرهم^(٣).

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر، وقال عبد الرحمن: دبر كل صلاة. ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان الثوري به، زاد النسائي ومطرف، عن أبي إسحاق به^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، حدثنا ابن فضيل، عن رشدين بن كريب، عن أبيه، عن ابن عباس قال: بث ليلة عند رسول الله ﷺ، فصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر، ثم خرج إلى الصلاة فقال يا ابن عباس «ركعتين قبل صلاة الفجر إِدْبَارَ النجوم، وركعتين بعد المغرب إِدْبَارَ السجود» ورواه الترمذي، عن أبي هشام الرفاعي، عن محمد بن فضيل به. وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه^(٥). وحديث ابن عباس، وأنه بات في بيت

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح به، وأخرجه البخاري من طريق ابن أبي نجیح به بلفظ: «أن يُسبح في أدبار الصلوات كلها».

(٢) أخرجه الشيخان (صحيح البخاري، الأذان، باب الذكر بعد الصلاة ح ٨٤٣)، وصحيح مسلم، المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (ح ٥٩٥).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه الحاكم وصححه وتعبه الذهبي بقوله: «رشدين ضعفه أبو زرعة والدارقطني» (المستدرک ١/ ٣٢٠) وضعف الحافظ ابن حجر رواية الطبري عن ابن عباس (الفتح ٨/ ٥٩٨)، ويشهد له ما يليه فقد أخرجه ابن أبي شيبه (المصنف ٢/ ٥٢٣)، والطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً، وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه علي بن زيد بن جدعان عن أبي هريرة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه البستي بسند حسن من طريق إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم النخعي، وأخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢/ ٢٩٤ ح ١٠١٢) وقال محققوه: إسناده قوي. وأخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، الصلاة بعد العصر ح ١٢٧٥)، والنسائي (في السنن الكبرى، الصلاة، باب اختلاف الناقلين لخبر أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة، عن علي ح ٣٤١).

(٥) أخرجه الترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة الطور ح ٣٢٧٥) وسندهما ضعيف لضعف رشدين. (التقريب ص ٢٠٩).

حالته ميمونة، وصلى تلك الليلة مع النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة ثابت في الصحيحين وغيرهما^(١). فأما هذه الزيادة فغريبة لا تعرف إلا من هذا الوجه ورشدين بن كريب ضعيف، ولعله من كلام ابن عباس موقوفاً عليه، والله أعلم.

﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ﴿٤٥﴾﴾

يقول تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال قتادة: قال كعب الأحبار يأمر الله تعالى ملكاً أن ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة، إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ أي: من الأجداث ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ أي: هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإليه مصير الخلائق كلها، فيجازي كلا بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ وذلك أن الله تعالى ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها، كما ينبت الحب في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله ﷻ: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمه فترجع كل روح إلى جسدها، فتدب فيه كما يدب السَّم في اللديغ، [وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر الله ﷻ ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾^(٢) يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ﴿القمر: ٨﴾ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء] وفي صحيح مسلم، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض»^(٣).

وقوله: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: تلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجْدَةٌ كُلِّجٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٧﴾﴾ [القمر] وقال ﷻ: ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٥٨﴾﴾ [لقمان].

وقوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهولنك ذلك كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٥٩﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٦١﴾﴾ [الحجر].

(١) صحيح البخاري، الوضوء، باب التخفيف في الوضوء (ح ١٣٨) وليس فيه ذكر: ثلاث عشرة ركعة، وإنما ورد في صحيح مسلم عن ابن عباس بلفظ: «كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة» (صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل (ح ٧٦٤)).

(٢) زيادة من (حم) و(مح).

(٣) صحيح مسلم، الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (ح ٢٢٧٨).

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك مما كلفت به.

وقال مجاهد وقتادة والضحاك: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي: لا تتجبر عليهم^(١). والقول الأول، ولو أراد ما قالوه لقال: ولا تكن جباراً عليهم، وإنما قال: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ بمعنى وما أنت بمجبرهم على الإيمان إنما أنت مبلغ.

وقال الفراء: سمعت العرب تقول جبر فلان فلاناً على كذا أجبره^(٢).

ثم قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي: بلغ أنت رسالة ربك فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَلَيْكَ اللَّيْلُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۝٢١﴾ [الغاشية] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ﴾ [البقرة] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ﴾ [القصص: ٥٦] ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كان قتادة يقول: اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يا بار يا رحيم.

آخر تفسير سورة ق، والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) معاني القرآن ٨١/٣.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعُ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لِنَبِيٍّ قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُفَكُّ عَنْهُ مِنَ الْأُفْكِ ۝٩ قُلِ الْخَرَصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾

قال شعبة بن الحجاج، عن سماك، عن خالد بن عرعة أنه سمع علياً عليه السلام، وشعبة أيضاً عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل أنه سمع علياً عليه السلام، وثبت أيضاً من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه صعد منبر الكوفة فقال: لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى، ولا عن سنة عن رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك، فقام إليه ابن الكواء، فقال: يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّوًا ۝١﴾ قال علي: الريح، قال: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾؟ قال: السحاب، قال: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣﴾؟ قال: السفن، قال: ﴿فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾؟ قال: الملائكة^(١).

وقد روي في ذلك حديث مرفوع، فقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن هاني، حدثنا سعيد بن سلام العطار، حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: جاء صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، فأخبرني عن الذاريات ذرّوًا، فقال: هي الرياح، ولولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قلته. قال: فأخبرني عن المقسمات أمرًا، قال ﷺ عنه هي الملائكة، ولولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قلته، قال: فأخبرني عن الجاريات يسراً، قال: هي السفن، ولولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قلته. ثم أمر بضربه فضرب مائة وجعل في بيت، فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى أبي موسى الأشعري عليه السلام: امنع الناس من مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى عليه السلام، فحلف بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً، فكتب في ذلك إلى عمر عليه السلام، فكتب عمر: ما إخاله إلا [قد]^(٢) صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس.

(١) أخرجه الحاكم من طريق أبي الطفيل به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٦٦) وصححه الحافظ ابن حجر (تغليق التعليق ٤/١٤٩)، وأخرجه الضياء المقدسي من طريق أبي الأسود عن عبد الله بن الكواء به (المختارة ٢/١٢٢ ح ٤٩٤).

(٢) زيادة من (مح) و(حم) ومسند البزار.

قال أبو بكر البزار: فأبو بكر بن أبي سبرة: لين، وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث^(١). قلت: فهذا الحديث ضعيف رفعه، وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر رضي الله عنه، فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر، وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعتناً وعناداً، والله أعلم. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة^(٢)، وهكذا فسرهما ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد^(٣)، ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك، وقد قيل إن المراد بالذاريات الريح كما تقدم، وبالحاملات وقرأ السحاب كما تقدم؛ لأنها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسلمت نفسي لمن أسلمت له المزن تحمل عذاباً زلالاً^(٤)
فأما الجاريات يُسراً فالمشهور عن الجمهور ما تقدم أنها السفن، تجري ميسرة في الماء جرياً سهلاً، وقال بعضهم: هي النجوم تجري يسراً في أفلاكها ليكون ذلك ترقياً من الأدنى إلى الأعلى إلى ما هو أعلى منه، فالرياح فوقها السحاب، والنجوم فوق ذلك، والمقسمات أمراً الملائكة فوق ذلك تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية، وهذا قسم من الله ﷻ على وقوع المعاد، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾^(٥) أي: لخبر صدق ﴿وَإِنَّ الْآلِينَ﴾ وهو الحساب ﴿لَوْعٌ﴾ أي: لكائن لا محالة.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتُ الْحَبْكِ﴾^(٦) قال ابن عباس: ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء^(٥)، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو صالح والسدي وقتادة وعطية العوفي والربيع بن أنس وغيرهم^(٦).

وقال الضحاك والمنهال بن عمرو وغيرهما: مثل تجعد الماء والرمل والزرع، إذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضاً طرائق طرائق، فذلك الحبك^(٧).

قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَية، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن من ورائكم الكذاب المضلّ، وإن

(١) أخرجه البزار بسنده ومثنته (المسند ١/٤٢٣ ح ٢٩٩) وسنده ضعيف جداً لأن أبا بكر بن أبي سبرة متروك (مجمع الزوائد ٧/١٢٢) والقصة لها أصل، ولكن بدون ذكر التفسير النبوي.

(٢) تاريخ دمشق ٨/ل ٢٣٠.

(٣) قول ابن عباس أخرجه الطبري بسند منقطع من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عنه، وهو لم يدرك ابن عباس، وأخرجه أيضاً بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقويان بسابقه، وقول مجاهد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عنه، وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق قتادة عن علي رضي الله عنه، وقتادة لم يسمع من علي، ويتقوى بما سبق.

(٤) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/٢٣١).

(٥) أخرجه البستي والطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٦) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عمران بن حدير عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف الأعرابي عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، وأخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر عن سعيد بن جبير.

(٧) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

رأسه من ورائه [حُبُّكَ حُبُّكَ] ^(١)؛ يعني: بالحبك الجعودة ^(٢).

وعن أبي صالح: ذات الحبك: الشدة ^(٣).

وقال حُصيف: **ذَاتِ الْحُبِّكَ**: ذات الصفاقة ^(٤).

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: **ذَاتِ الْحُبِّكَ**: حبكت بالنجوم ^(٥).

وقال قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البكالي، عن عبد الله بن عمر: **وَالْمَاءُ ذَاتِ الْحُبِّكَ** ^(٦) يعني: السماء السابعة ^(٦)، وكأنه والله أعلم أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة، وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع، والله أعلم.

وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنه، فإنها من حسننها مرتفعة شفاقة صفيقة شديدة البناء متسعة الأرجاء أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزهرات وقوله تعالى: **إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ** ^(٨) أي: إنكم أيها المشركون المكذبون للرسول لفي قول مختلف مضطرب لا يلتزم ولا يجتمع. وقال قتادة: إنكم لفي قول مختلف: ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به ^(٧).

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ^(٩) أي: إنما يروج على من هو ضالٌّ في نفسه؛ لأنه قول باطل إنما ينقاد له ويضل بسببه، ويؤفك عنه من هو مأفوك ضالٌّ غمر لا فهم له كما قال تعالى: **فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى** ^(١٠) **مَا أَنتَ عَلَيْهِ بِقَاتِلٍ** ^(١١) **إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ** ^(١٢) [الصافات] قال ابن عباس والسدي: **يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ** ^(٩) يضل عنه من ضل ^(٨).

وقال مجاهد: **يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ** ^(٩) يؤفن عنه من أفن ^(٩)، وقال الحسن البصري: يصرف عن هذا القرآن من كذب به ^(١٠).

وقوله تعالى: **قُلْ الْفَرْصُونَ** ^(١١) قال مجاهد: الكذابون، قال: وهي مثل التي في عبس **قُلْ** ^(١٢) **إِنَّمَا أَنتَ كَذَّابٌ** ^(١٣) [عبس] والخراصون الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون ^(١٤). وقال علي بن أبي

(١) كذا في تفسير الطبري والمسنَد، وفي الأصل (حم) و(مح): «حبكاجكا».

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح، وأخرجه الإمام أحمد من طريق إسماعيل بن عُلَبة به بدون قوله: يعني بالحبك: الجعودة. (المسنَد ٤٧٢/٣٨ ح ٢٣٤٨٧) وصححه سندُه محققه.

(٣) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ عن أبي صالح، وهو في العظمة لأبي الشيخ رقم ٥٤٦، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٤) هذا القول يتضمن المعنى السابق.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف الأعرابي عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري من طريق قتادة به وسنده حسن.

(٧) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٩) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن بنحوه.

(١١) أخرجه آدم والطبري بالسند الصحيح المتقدم.

- (١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به. (٢) زيادة من (حم) و(مح)، وفي الأصل: «يباض».
- (٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «في ضالّتهم يتمادون».
- (٥) أخرجه الطبري بالسند الثابت المتقدم عن ابن عباس.
- (٦) أخرجه آدم والطبري بالسند الصحيح المتقدم عن مجاهد.
- (٧) أخرجه آدم بن أبي إياس بالسند المتقدم، وأخرجه سفيان الثوري والطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر من طريق حصين عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وأخرجه البُستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.
- (٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
- (٩) ذكره الطبري بنحوه.
- (١٠) أخرجه الطبري بسنده ومتمته، وقد ضعفه الحافظ ابن كثير، وهو كما قال لأن ابن حميد وهو محمد بن =

وقد رواه عثمان بن أبي شيبة، عن معاوية بن هشام، عن سفيان، عن أبي عمر البزار، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره، والذي فسر به ابن جرير فيه نظر؛ لأن قوله تبارك وتعالى آخذين حال من قوله في جنات وعيون، فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذين ما آتاهم ربهم؛ أي: من النعيم والسرور والغبطة، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي: في الدار الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ كقوله: ﴿كُونُوا وَآثِرُوا هَيِّئًا يَمَّا أَسْلَفْتُمْ فِي الْآيَاتِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة] ثم إنه تعالى بين إحسانهم في العمل فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَمُّونَ﴾.

اختلف المفسرون في ذلك على قولين:

(أحدهما): أن ﴿مَا﴾ نافية تقديره كانوا قليلاً من الليل لا يهجعونه، قال ابن عباس: لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئاً^(١).

وقال قتادة، عن مطرف بن عبد الله: قل ليلة لا تأتي عليهم إلا يصلون فيها لله ﷻ، إما من أولها وإما من أوسطها^(٢).

وقال مجاهد: قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون^(٣) وكذا قال قتادة.

وقال أنس بن مالك وأبو العالية: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء^(٤).

وقال أبو جعفر الباقر: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة^(٥).

(والقول الثاني) أن ﴿مَا﴾ مصدرية تقديره كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم، واختاره ابن

جرير.

وقال الحسن البصري: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَمُّونَ﴾ كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر^(٦).

وقال قتادة: قال الأحنف بن قيس: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَمُّونَ﴾ كانوا لا ينامون إلا قليلاً ثم يقول: لست من أهل هذه الآية^(٧). وقال الحسن البصري: كان الأحنف بن قيس يقول

= حميد الرازي: ضعيف، ومسلم البطين لم يدرك ابن عباس ﷺ، وأبو عمر البزار: هو دينار بن عمر الأسدي: صالح الحديث رمي بالرفض (التقريب ص ٢٠٢).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢/٢٣٩) والطبري والحاكم بسند حسن من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وصححه الحاكم وذكر له شاهداً مرفوعاً، ووافقه الذهبي على الموقوف عن ابن عباس وضعف الشاهد المرفوع (المستدرک ٢/٤٦٧).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة به.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

(٤) أخرجه أبو داود بسند صحيح عن أنس (السنن، الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل ح ١٣٢٣)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٦٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١١٧٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢/٢٣٨) والطبري بسند حسن من طريق عاصم عن أبي العالية.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢/٢٣٨)، والطبري بسند حسن من طريق بكر بن أبي السميطة عن قتادة عن أبي جعفر محمد بن علي.

(٦) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مقتصراً على الشق الأول، وأخرجه =

عرضت عملي على أهل الجنة، فإذا قوم قد باينونا بونا بعيداً، إذا قوم لا نبليهم أعمالهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وعرضت عملي على أهل النار، فإذا قوم لا خير فيهم مكذبون بكتاب الله وبرسل الله، مكذبون بالبعث بعد الموت، فقد وجدت من خيرنا منزلة قوماً خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً^(١).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال رجل من بني تميم لأبي: يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قوماً فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ (٧) ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم، فقال له أبي: طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ^(٢).

وقال عبد الله بن سلام: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنيت فيمن انجفل، فلما رأيت وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب، فكان أول ما سمعته ﷺ يقول: «يا أيها الناس أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حبي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمر قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها» فقال أبو موسى الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: «للمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وبات لله قائماً والناس نيام»^(٤).

وقال معمر في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ (٧): كان الزهري والحسن يقولان: كانوا كثيراً من الليل ما يصلون^(٥).

وقال ابن عباس وإبراهيم النخعي: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ (٧) ما ينامون^(٦). وقال الضحاك: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (١١) كانوا قليلاً ثم ابتدأ فقال: ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ (٧) ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٨) [وهذا القول فيه بُعد وتعسف]. وقوله ﷺ: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٨) [٨]^(٨).

قال مجاهد وغير واحد: يصلون^(٩) وقال آخرون: قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار

= كاملاً بسند فيه الحكم بن عطية عن قتادة، والحكم: صدوق له أوهام كما في التقريب ص ١٧٥.

(١) لم أجد من أخرجه بل لم يذكره فضيلة د. شير علي شاه في تفسير الحسن البصري.

(٢) وأخرجه الطبري من طريق عبد الرحمن بن زيد به وسنده ضعيف لإبهام شيخ عبد الرحمن، وعبد الرحمن هو ضعيف.

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن سلام ﷺ (المسند ٢٠١/٣٩ ح ٢٣٧٨٤) وصححه سننه محققوه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٨٦/١١ ح ٦٦١٥) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر به.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه سفيان الثوري وابن أبي شيبة (المصنف ٢/٢٣٩) بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم النخعي.

(٧) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٨) زيادة من (حم) و(مح).

(٩) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

كما قال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن. وقد ثبت في الصحيح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فيعطى سؤله؟ حتى يطلع الفجر»^(١). وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى: إخباراً عن يعقوب أنه قال لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨] قالوا: أخرهم إلى وقت السحر^(٢).

وقوله: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ أي: جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم. أما السائل فمعروف وهو الذي يبتدئ بالسؤال، وله حق كما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا: حدثنا سفيان، عن مصعب بن محمد، عن يعلى بن أبي يحيى، عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «للسائل حق وإن جاء على فرس»^(٣). ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به^(٤). ثم أسنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب^(٥)، وروي من حديث الهرماس بن زياد مرفوعاً^(٦).

وأما المحروم فقال ابن عباس ومجاهد: هو المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم^(٧)؛ يعني: لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها. وقالت أم المؤمنين عائشة: هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه^(٨). وقال الضحاك: هو الذي لا يكون له مال إلا ذهب، قضى الله تعالى له ذلك^(٩).

وقال أبو قلابة: جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل، فقال رجل من الصحابة: هذا المحروم^(١٠) وقال ابن عباس أيضاً وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي ونافع مولى ابن عمر

(١) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (صحيح البخاري، التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ح ١١٤٥)، وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء... (ح ٧٥٨).
(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بلاغاً.
(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٥٤/٣ ح ١٧٣٠) وضعف سنده محققوه لجهالة يعلى بن أبي يحيى.

(٤) السنن، الزكاة، باب حق السائل (ح ١٦٦٥)، وسنده كسابقه.
(٥) المصدر السابق (ح ١٦٦٦) وفي سنده رجل مجهول لم يسم.
(٦) أخرجه الطبراني بسند ضعيف من طريق عثمان بن فائد عن عكرمة بن عمار عن الهرماس به (المعجم الكبير ٢٠٣/٢٢ ح ٥٣٥) وأعله الهيثمي بعثمان بن فائد (مجمع الزوائد ١٠٤/٣)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (ح ١٣٧٨).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبه (المصنف ٦٦٩/٧) والطبري كلاهما من طريق قيس بن كركم عن ابن عباس، وقيس سكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ١٠٣/٧) ويتقوى بالشواهد التالية، وأخرجه عبد الرزاق وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد مختصراً.

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم.

(٩) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(١٠) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عاصم عن أبي قلابة.

وعطاء بن أبي رباح: ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ المحارف^(١). وقال قتادة والزهري: ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يسأل الناس شيئاً^(٢).

قال الزهري: وقد قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمر والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه» وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحيهما من وجه آخر^(٣).

وقال سعيد بن جبير: هو الذي يجيء وقد قسم المغنم فيرضخ له.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني بعض أصحابنا قال: كنا مع عمر بن عبد العزيز في طريق مكة، [فجاء كلب]^(٤) فانتزع عمر كتف شاة فرمى بها إليه وقال: يقولون إنه المحروم^(٥).

وقال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم^(٦).

واختار ابن جرير أن المحروم الذي لا مال له بأي سبب كان وقد ذهب ماله، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بأفة أو نحوها^(٧).

وقال الثوري: عن قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد قال: إن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا، فجاءه قوم لم يشهدوا الغنيمة، فنزلت هذه الآية ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٨) وهذا يقتضي أن هذه مدنية وليس كذلك بل هي مكية شاملة لما بعدها.

وقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٩) أي: فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنه الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الإيرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١٠).

قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة.

ثم قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ يعني: المطر^(٩) ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يعني: الجنة، قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد^(١٠).

وقال سفيان الثوري: قرأ واصل الأحذب هذه الآية: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فقال:

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مجاهد عن مجاهد، وأخرجه أيضاً بسند صحيح عن عطاء بن أبي رباح، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أيوب عن نافع مولى ابن عمر، وأخرجه بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم النخعي.

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٧٧. (٤) زيادة من (حم) و(مع).

(٥) سنده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن عون عن الشعبي.

(٧) ذكره الطبري بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات من طريق الثوري به لكنه مرسل.

(٩) أخرجه البستي بسند ضعيف من طريق رجل مجهول عن مجاهد.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

ألا إني أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض؟ فدخل خربة فمكث ثلاثاً لا يصيب شيئاً، فلما أن كان اليوم الثالث إذا هو بدوخلة^(١) من رطب، وكان له أخ أحسن نية منه، دخل معه فصارتا دوختين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرّق بينهما الموت^(٢).

وقوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَظْقُونَ﴾^(٣) يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون، وكان معاذ رضي الله عنه إذا حدث بالشيء يقول لصاحبه: إن هذا لحق كما أنك ههنا.

قال مسدد: عن ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن البصري قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا»^(٣). ورواه ابن جرير، عن بُندار، عن ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن فذكره مرسلًا^(٤).

﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾^(٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفُّ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أُمْرَاتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُمْ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

هذه القصة قد تقدمت في سورة هود والحجر أيضاً فقوله: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾^(٢٤) أي: الذين أرصد لهم الكرامة، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل. وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾^(٢٥) الرفع أقوى وأثبت من النصب، فرده أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] فالخليل اختار الأفضل.

وقوله تعالى: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ وقوله: ﴿فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ﴾ أي: انسلّ خفية في سرعة ﴿فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ أي: من خيار ماله، وفي الآية الأخرى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَزِينٍ﴾ [هود: ٦٩] أي: مشوي على الرضف ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أدناه منهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ تلطف في العبارة وعرض حسن.

وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل مما وجد من ماله، وهو عجل فتي سمين مشوي، فقربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ على سبيل العرض

(١) سلة تنسج من الخوص كالزنبيل يخزن فيها التمر.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٣) سنده ضعيف لأن الحسن رواه بلاغاً وهو من مراسيله.

(٤) أخرجه الطبري عن محمد بن بشار وهو بندار به، وسنده كسابقه.

والتلطف، كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ هذا محال على ما تقدم في القصة في السورة الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٥) وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ ﴿هود﴾ أي: استبشرت بهلاكهم لتمردهم وعتوهم على الله تعالى، فعند ذلك بشرتها الملائكة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قَالَتْ يَوْنَلَيْ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٦) قَالُوا أَنْعِجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿هود﴾ ولهذا قال ههنا: ﴿وَبَشِّرُوهُمْ بِعَلِيمٍ﴾ فالبشارة له هي بشارة لها. لأن الولد منهما فكل منهما بشر به.

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَخٍ﴾ أي: في صرخة عظيمة ورنة، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدي^(١). وهي قولها: ﴿يَوْنَلَيْ﴾. ﴿فَصَكَتَ وَجْهَهَا﴾ أي: ضربت بيدها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط^(٢)، وقال ابن عباس: لطمت^(٣)؛ أي: تعجبا كما تتعجب النساء من الأمر الغريب ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيماً لا أحبل؟ ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٠) أي: عليم بما تستحقون من الكرامة حكيم في أقواله وأفعاله.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٨١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ طِينٍ﴾ (٨٢) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿وَنَزَّلْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٨٧).

قال الله تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ ابْنِدَ لَنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوْهٌ مُّثَبِّتٌ ﴿٧٥﴾ يَتَّبِعُهُمْ أَغْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَهُ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ عَنِيتِهِمْ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴿هود﴾ وقال ههنا: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٨١) أي: ما شأنكم؟ وفيهم جئتم؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٨٢) يعنون قوم لوط ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ طِينٍ﴾ (٨٢) مُسَوِّمَةً أي: معلمة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: مكتتبه عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه، فقال في سورة العنكبوت: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٨٢) ﴿العنكبوت﴾ وقال تعالى ههنا: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة وأخرجه البستي بسند حسن من طريق إسباط عن السدي، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن زيد بن أسلم.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والبستي والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند فيه محمد بن حميد الرازي من قول ابن سابط، ومحمد بن حميد ضعيف، ويتقوى السند بسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ وَهُمْ لَوْطُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ إِلَّا امْرَأَتَهُ ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال، وقوله: ﴿وَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٣٧﴾ أي: جعلناها عبرة لما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعلنا محللتهم بحيرة منتنة خبيثة، ففي ذلك عبرة للمؤمنين ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبَيْهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّلِيفَةَ وَهُمْ يَقْنُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ فَيَارٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾ أي: بدليل باهر وحجة قاطعة ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبَيْهِ﴾ أي: فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً. وقال مجاهد: تعزز بأصحابه^(١).

وقال قتادة: غلب عدو الله على قومه^(٢).

وقال ابن زيد: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبَيْهِ﴾ أي: بجموعه التي معه ثم قرأ ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(٣) [هود: ٨٠] والمعنى الأول قوي كقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩] أي: معرض عن الحق مستكبر ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحراً أو مجنوناً قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ﴾ أي: ألقيناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ وهو البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند.

ثم قال: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿٤١﴾ أي: المفسدة التي لا تنتج شيئاً. قاله الضحاك وقتادة وغيرهما^(٤)، ولهذا قال تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: مما تفسده الريح ﴿إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ أي: كالشيء الهالك البالي.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، حدثنا عمي عبد الله بن وهب، حدثني عبد الله يعني ابن عياش الغساني، حدثني عبد الله بن سليمان، عن دراج، عن

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «بعضه وأصحابه».

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك بنحوه، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة بلفظ: «الريح التي لا تنبت».

عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الريح مسخرة من الثانية» - يعني: من الأرض الثانية -، فلما أراد الله تعالى أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً قال: أي رب أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور؟ قال له الجبار تبارك وتعالى لا إذا تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه: ﴿مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالْزَيْمِ﴾ (٤١) ﴿١﴾.

هذا الحديث رفعه منكر والأقرب أن يكون موقوفاً على عبد الله بن عمرو من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك، والله أعلم.

قال سعيد بن المسيب وغيره في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ قالوا: هي الجنوب (٢).

وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلك عاد بالديور» (٣).

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٤٢) قال ابن جرير: يعني إلى وقت فناء آجالكم (٤). والظاهر أن هذه كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَيعَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [فصلت: ١٧] وهكذا قال ههنا: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْعَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤) وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ فَيٍّ﴾ أي: من هرب ولا نهوض ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ أي: لا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه.

وقوله: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وكل هذه القصص قد تقدمت مبسطة في أماكن كثيرة من سور متعددة.

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَبْدُودُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فِقَرُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١).

يقول تعالى منبهاً على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ أي: جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً ﴿بِأَيْدٍ﴾ أي: بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد (٥). ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: قد وسعنا أرجاءها فرفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي:

(١) أخرجه الحاكم من طريق عبد الله بن وهب به وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: «منكر». (المستدرک ٤/ ٥٩٤). وكذلك قال الحافظ ابن كثير. وتقدم تخريجه في تفسير سورة الروم آية ٤٨.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق الحارث بن عبد الرحمن خال ابن أبي ذئب عن سعيد بن المسيب.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأحزاب آية ٩.

(٤) ذكره الطبري بلفظه.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

جعلناها فراشاً للمخلوقات ﴿فَنَعَمَ الْمَهْدُونَ﴾ أي: وجعلناها مهداً لأهلها ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض وليل ونهار، وشمس وقمر وبر وبحر وضيء وظلام، وإيمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: ألجأوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ٥٢﴾ ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٥٣﴾ ﴿فَنُؤَلِّهِمْ هُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ٥٤﴾ ﴿وَذَكَرْنَا لِلَّذِينَ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥﴾ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ٥٧﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٥٨﴾ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ٥٩﴾ ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠﴾.

يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون لرسولهم: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ٥٢﴾ قال الله: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً بهذه المقالة ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم، فقال متأخرهم كما قال متقدمهم. قال الله تعالى: ﴿فَنُؤَلِّهِمْ هُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: فأعرض عنهم يا محمد ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ يعني: فما نلومك على ذلك ﴿وَذَكَرْنَا لِلَّذِينَ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥﴾ أي: إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ أي: إنما خلقتهم لأمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً^(١). وهذا اختيار ابن جرير وقال ابن جريج: إلا ليعرفون^(٢).

وقال الربيع بن أنس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا للعبادة.

وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨] هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك.

وقال الضحاك: المراد بذلك: المؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود قال: أقراني رسول الله ﷺ «إني لأنا الرزاق ذو القوة المتين»^(٣). ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث إسرائيل، وقال

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٢) أخرجه البستي بسند صحيح من طريق حجاج عن ابن جريج، ولكن ابن جريج رواه عن مجاهد وهو لم يسمع من مجاهد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/ ٢٨٥، ٢٨٦ ح ٣٧٤١ و ٣١٣ ح ٣٧٧١) وصححه سندته محققوه. وأخرجه حفص بن عمر الدوري عن يحيى به (قراءات النبي ﷺ ص ١٥٣).

الترمذي: حسن صحيح^(١).

ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب. وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم. فهو خالقهم ورازقهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا عمران - يعني ابن زائدة بن نسيط، عن أبيه، عن أبي خالد - هو الوالبي - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى^(٢): يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك». ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة، وقال الترمذي: حسن غريب^(٣).

وقد روى الإمام أحمد، عن وكيع وأبي معاوية، عن الأعمش، عن سلام بن شرحبيل: سمعت حبة وسواء ابني خالد يقولان: أتينا رسول الله ﷺ وهو يعمل عملاً أو يبني بناء، قال أبو معاوية: يصلح شيئاً، فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال: «لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه»^(٤).

وقد ورد في بعض الكتب الإلهية: يقول الله تعالى: ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب فاطلبنى تجدني فإن وجدته وجدته كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ أي: نصيباً من العذاب ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: فلا يستعجلون ذلك فإنه واقع لا محالة ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة.

آخر تفسير سورة الذاريات، والحمد لله وحده، وصلواته وسلامه على خير خلقه.

(١) سنن أبي داود، الحروف والقراءات (ح ٣٩٩٣)، وسنن الترمذي، القراءات، باب ومن سورة الذاريات (ح ٢٩٤١) والسنن الكبرى للنسائي، التفسير (ح ١١٥٢٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٣٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٢١/١٤ ح ٨٦٩٦) وقال محققوه: إسناده محتمل للتحسين. وأخرجه الحاكم من طريق محمد بن عبد الله به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٤٣/٢).

(٣) سنن الترمذي، صفة القيامة، باب من كانت الآخرة همه جاءت الدنيا راغمة (ح ٢٤٦٨)، وسنن ابن ماجه، الزهد، باب الهم بالدنيا (ح ٤١٠٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٣١٥).

(٤) أخرجه الإمام بسنده ومثته (المسند ١٨٧/٢٥ ح ١٥٨٥٦) وضعف سنده محققوه.

سُورَةُ الطُّورِ

وهي مكية

قال مالك: عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه^(١). أخرجاه من طريق مالك^(٢).

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أنني أشتكى فقال: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة» فطفت ورسول الله يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩ وَسِيرُ الْجِبَالِ سِيرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا ۝١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ أَصَلَوْهَا فَأَصْبَرُوا ۝١٦ أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٧﴾.

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم، فالطور هو: الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً إنما يقال له جبل ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ۝٢﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً ولهذا قال: ﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣﴾ ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: «ثم رُفِعَ بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم» يعني: يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وجد إبراهيم الخليل

(١) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثته (الموطأ، الصلاة، باب القراءة في المغرب والعشاء ح ٢٣). وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الأذان، باب الجهر في المغرب (ح ٧٦٥) وصحيح مسلم الصلاة، باب القراءة في الصبح (ح ٤٦٣).

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، سورة الطور باب ١ ح ٤٨٥٣).

عليه الصلاة والسلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزء من جنس العمل، وهو بحيال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة^(١). والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد، حدثنا روح بن جناح، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة، وفي السماء الرابعة نهر يقال له: الحيوان يدخله جبريل كل يوم فيغمس فيه انغماسة، ثم يخرج فينتفض انتفاضة، يخرُّ عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور، فيصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً، ويولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفاً يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة»^(٢)، هذا حديث غريب جداً، تفرد به روح بن جناح هذا وهو القرشي الأموي مولا هم أبو سعد الدمشقي، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ، منهم الجوزجاني والعقيلي^(٣) والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم، قال الحاكم: لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري.

وقال ابن جرير: حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعة، أن رجلاً قال لعلي: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له: الضراح^(٤)، وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً^(٥). وكذا رواه شعبة وسفيان الثوري عن سماك، وعندهما أن ابن الكواء هو السائل عن ذلك، ثم رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن طلق بن غنام، عن زائدة، عن عاصم، عن علي بن ربيعة قال: سأل ابن الكواء علياً عن البيت المعمور قال: مسجد في السماء يقال له: الضراح، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً^(٦). ورواه من حديث أبي الطفيل عن علي بمثله^(٧).

وقال العوفي، عن ابن عباس: هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه^(٨). وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ١.

(٢) سنده ضعيف لضعف روح بن جناح الذي اتهمه ابن حبان بالوضع. (ينظر التقريب ص ٢١١).

(٣) ينظر الضعفاء الكبير ٥٩/٢.

(٤) الضراح: بيت في السماء حيال الكعبة (النهاية ٨١/٣).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده خالد بن عرعة سكت عنه البخاري (التاريخ الكبير ١٦٢/٣) وذكره ابن حبان في الثقات (٢٠٥/٤) ويتقوى بالروايات التالية وما فيها من متابعات كمتابعة علي بن ربيعة وأبي الطفيل. وأخرجه الضياء من طريق سماك به (المختارة ح ٤٣٨).

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته.

(٧) أخرجه عبد الرزاق (المصنف رقم ٨٨٧٥) والضياء المقدسي (رقم ٥٥٧)، والبستي والطبري كلهم من طريق أبي الطفيل به، وسنده صحيح.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوى بالحديث المرفوع الصحيح المتقدم في أول تفسير هذه الآية الكريمة.

من السلف^(١).

وقال قتادة والربيع بن أنس والسدي: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خَرَّ لخرَّ عليها، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم»^(٢).

وزعم الضحاك أنه يعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة إبليس^(٣)، فالله أعلم. وقوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ قال سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عرعة، عن علي ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ يعني: السماء^(٤). قال سفيان ثم تلا ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] وكذا قال مجاهد وقاتة والسدي وابن جريج وابن زيد^(٥) واختاره ابن جرير.

وقال الربيع بن أنس: هو العرش^(٦)؛ يعني: أنه سقف لجميع المخلوقات، وله اتجاه وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور.

وقوله: ﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾ قال الربيع بن أنس: هو الماء الذي تحت العرش^(٧). الذي ينزل الله منه المطر، الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها، وقال الجمهور: هو هذا البحر.

واختلف في معنى قوله المسجور فقال بعضهم: المراد أنه يوقد يوم القيامة ناراً كقوله: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أي: أضمرت فتصير ناراً تتأجج محيطه بأهل الموقف. ورواه سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب^(٨). وروي عن ابن عباس وبه يقول سعيد بن جبير ومجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهم^(٩).

وقال العلاء بن بدر: إنما سمي البحر المسجور لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة. كذا رواه عنه ابن أبي حاتم.

وعن سعيد بن جبير: ﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾ يعني: المرسل^(١٠).

- (١) قول عكرمة ومجاهد أخرجهما الطبري وهما مرسلان يتقويان كسابقه.
- (٢) أخرجه الطبري ورجاله ثقات لكنه مرسل ويتقوى كسابقه بدون قوله: «لو خَرَّ لخرَّ عليها».
- (٣) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.
- (٤) أخرجه الطبري والحاكم من طريق الثوري به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٦٨/٢).
- (٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
- (٦) أخرجه أبو الشيخ بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس العظمة رقم ٢٥٣.
- (٧) أخرجه أبو الشيخ في العظمة كسابقه، وهو تنمة له.
- (٨) أخرجه الطبري من طريق داود، وهو ابن أبي هند، عن سعيد بن المسيب به، وسنده حسن.
- (٩) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «المَوْقَد».
- (١٠) أخرجه البستي من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقال قتادة: المسجور: المملوء^(١)، اختاره ابن جرير ووجهه بأنه ليس موقداً اليوم فهو مملوء. وقيل: المراد به الفارغ.

قال الأصمعي: عن أبي عمرو بن العلاء، عن ذي الرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال: الفارغ خرجت أمة تستسقي فرجعت فقالت: إن الحوض مسجور يعني: فارغاً^(٢). رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء. وقيل: المراد بالمسجور الممنوع المكفوف عن الأرض لئلا يغمرها فيغرق أهلها قاله علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس^(٣) وبه يقول السدي وغيره، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد، رحمته الله، في مسنده فإنه قال: حدثنا يزيد، حدثنا العوام، حدثني شيخ كان مرابطاً بالساحل قال: لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال: حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات، يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم، فيكفّه الله ﷻ»^(٤).

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: حدثنا الحسن بن سفيان، عن إسحاق بن راهويه، عن يزيد، وهو ابن هارون، عن العوام بن حوشب، حدثني شيخ مرابط قال: خرجت ليلة لحربي لم يخرج أحد من الحرس غيري، فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل إلي أن البحر يشرف يحاذي رؤوس الجبال، فعل ذلك مراراً وأنا مستيقظ، فلقيت أبا صالح فقال: حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم، فيكفّه الله ﷻ»^(٥) فيه رجل مبهم لم يسم.

وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾^(٦) هذا هو المقسم عليه؛ أي: لواقع بالكافرين كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ﴾^(٧) أي: ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك.

قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن داود، عن صالح المري، عن جعفر بن زيد العبدي قال: خرج عمر يعس في المدينة ذات ليلة، فمرّ بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ ﴿وَالطُّورِ﴾^(٨) حتى إذا بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾^(٩) ما لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ^(١٠) قال: قسم ورب الكعبة حق، فنزل عن حمارة واستند إلى حائط فمكث ملياً ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعود الناس لا يدرون ما مرضه ﷺ^(١١).

وقال الإمام أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا محمد بن صالح، حدثنا هشام بن حسان، عن الحسن أن عمر قرأ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾^(١٢) ما لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ^(١٣) فربا لها ربوة عيد منها عشرين يوماً^(١٤).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى الشيرازي في «الألقاب» بسنده ولفظه.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «المجوس».

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٣/١) وسنده ضعيف لإبهام شيخ العوام.

(٥) ذكر الحافظ ابن كثير عن الإسماعيلي به (مسند الفاروق ٦٠٧/٢). وسنده كسابقه.

(٦) سنده ضعيف لضعف صالح المري.

(٧) أخرجه أبو عبيد بسنده ومثته (فضائل القرآن ص ٦٤) وسنده مرسل لأن الحسن لم يسمع عمر ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ ٩ قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكاً^(١). وعن ابن عباس: هو تشققها^(٢). وقال مجاهد: تدور دوراً^(٣). وقال الضحاك: استدارتها وتحركها لأمر الله^(٤). وموج بعضها في بعض. وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة. قال: وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى بيت الأعشى فقال: كأن مشيتها من بيت جاريتها مور السحابة لا ريث ولا عجل^(٥) ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾ ١٠ أي: تذهب فتصير هباء منبثاً وتنسف نفسها ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ١١ أي: ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم وعقابه لهم ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ ١٢ أي: هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزواً ولعباً ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ﴾ ١٣ أي: يدفعون ويساقون ﴿إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ ١٤ وقال مجاهد والشعبي ومحمد بن كعب والضحاك والسدي والثوري: يدفعون فيها دفعاً. ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ ١٥ أي: تقول لهم الزبانية ذلك تقريباً وتوبيخاً ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ١٦ أصلوها أي: ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ ١٧ أي: سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ١٨ أي: ولا يظلم الله أحداً، بل يجازي كلأ بعمله.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ ١٩ فَنَكِهِينَ بِمَا ءَانَّهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَتْهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٢٠ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢١ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٢٢.

يُخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ ١٩ وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال ﴿فَنَكِهِينَ بِمَا ءَانَّهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ٢٠ أي: يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك ﴿وَوَقَّهَتْهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ٢١ أي: وقد نجاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حداثتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة التي فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢١ كقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾ ٢٢ [الحاقة] أي: هذا بذاك تفضلاً منه وإحساناً.

وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ قال الثوري: عن حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس السرر في الحجال^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٥) مجاز القرآن ٢٣١/٢ واستشهد به الطبري ثم قال: فالمرور على روايته التكفؤ والتهيؤ في المشية.

(٦) سنده حسن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا صفوان بن عمرو، أنه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله، يأتيه ما اشتتهت نفسه ولذت عينه»^(١). وحدثنا أبي، أخبرنا هذبة بن خالد، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت قال: بلغنا أن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه، وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم، فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك، فيقلن قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيباً^(٢)، ومعنى ﴿مَصْفُوفَةً﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض كقوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

﴿وَرَزَجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: وجعلنا لهم قرينات صالحات وزوجات حسناً من الحور العين. وقال مجاهد: ﴿وَرَزَجْنَهُمْ﴾ أنكحناهم بحور عين^(٣)، وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (٢٨) ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٢٩) ﴿يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسٌ﴾ (٣٠) ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكُونٌ﴾ (٣١) ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٣٢) ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٣٣) ﴿فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السُّمُورِ﴾ (٣٤) ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (٣٥).

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزل، وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك، ولهذا قال: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

قال الثوري: عن عمر بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري به^(٤)، وكذا رواه ابن جرير من حديث شعبة، عن عمرو بن مرة به، ورواه البزار، عن سهل بن بحر، عن الحسن بن حماد الوراق، عن قيس بن الربيع، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس مرفوعاً، فذكره ثم قال: وقد رواه الثوري، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس موقوفاً^(٥).

(١) سنده ضعيف لإرسال الهيثم بن مالك وهو من صغار التابعين.

(٢) سنده ضعيف لأن ثابتاً رواه بلاغا. (٣) معناه صحيح.

(٤) أخرجه الثوري بسنده ومثته، وسنده صحيح، وأخرجه الطبري من طريق الثوري به.

(٥) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (رقم ٢٢٦٠) وقال الهيثمي: فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف (مجمع الزوائد ١١٤/٧) والوقف أرجح.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن الوليد بن يزيد البيروتي، أخبرني محمد بن شعيب، أخبرني شيبان، أخبرني ليث، عن حبيب بن أبي ثابت الأسدي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: هم ذرية المؤمن يموتون على الإيمان، فإن كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بأبائهم، ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوها شيئاً^(١).

وقال الحافظ الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، حدثنا شريك، عن سالم الأبطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أظنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك، فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحقاقهم به» وقرأ ابن عباس ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾^(٢) الآية.

وقال العوفي، عن ابن عباس في هذه الآية يقول: والذين أدرك ذريتهم الإيمان فعملوا بطاعتي ألحقهم بإيمانهم إلى الجنة، وأولادهم الصغار تلحق بهم^(٣)، وهذا راجع إلى التفسير الأول، فإن ذلك مفسر أصح من هذا، وهكذا يقول الشعبي وسعيد بن جبير وإبراهيم وقتادة وأبو صالح والربيع بن أنس والضحاك وابن زيد^(٤)، وهو اختيار ابن جرير.

وقد قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل، عن محمد بن عثمان، عن زاذان، عن علي قال: سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ: «هما في النار» فلما رأى الكراهية في وجهها قال: «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما» قالت: يا رسول الله فولدي منك؟ قال: «في الجنة» قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ الآية^(٥)، هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء فقد قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ؓ قال: قال

(١) في سنده ليث وهو ابن أبي سليم فيه مقال، وقد توبع في الرواية السابقة.

(٢) أخرجه الطبراني من طريق محمد بن عبد الرحمن بن غزوان به. (المعجم الكبير ١١/٤٤٠ ح ١٢٢٤٨) وسنده ضعيف لضعف محمد بن عبد الرحمن بن غزوان. (مجمع الزوائد ٧/١١٧).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوى بالموقوف السابق عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق داود عن عامر الشعبي، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق داود عن سعيد بن جبير، وأخرجه هناد (الزهد رقم ١٨٠) والطبري بسند صحيح من طريق قيس بن مسلم عن إبراهيم، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، وأخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٥) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد بسنده ومتمنه في زوائده على المسند (المسند ٢/٣٤٨ - ٣٤٩ ح ١١٣١) وضعف سنده محقق له لجهالة محمد بن عثمان قال الذهبي في الميزان (٣/٦٤٢) لا يُدرى من هو... وله خبر منكر.

رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»^(١). إسناده صحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل وهو أنه لا يؤخذ أحداً بذنب أحد فقال تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرتباً بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس؛ سواء كان أباً أو ابناً كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٢٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْإِينِ (٢٩) فِي جَنَّتِ يَسَاءَلُونَ (٣٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٣١) [المدثر].

وقوله: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ بِفِكْهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٣٢) أي: وألحقناهم بفواكة ولحوم من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهى.

وقوله: ﴿يَشْرَبُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطون فيها كأساً؛ أي: من الخمر، قاله الضحاك^(٣). ﴿لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ أي: لا يتكلمون فيها بكلام لاغٍ أي: هذيان ولا إثم أي: فحش كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا.

قال ابن عباس: اللغو الباطل والتأثير الكذب^(٤).

وقال مجاهد: لا يستبون ولا يؤثمون^(٥).

وقال قتادة: كان ذلك في الدنيا مع الشيطان^(٦)، فتره الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها، كما تقدم فنفي عنها صدام الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيء الفارغ عن الفائدة المتضمن هذياناً وفحشاً، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها فقال: ﴿يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ (٤١) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٢) [الصافات] وقال: ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ (٤٣) وقال ههنا: ﴿يَشْرَبُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ (٤٤).

وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ﴾ (٤٥) إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة، كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم، كما قال: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (٤٦) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ (٤٧)﴾ [الواقعة].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ﴾ (٤٨) أي: أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحدث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٥٠٩/٢). وسنده حسن، وصححه الحافظ ابن كثير.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفرقان آية ٧٤ في آخرها.

(٣) لم أجد من أخرجه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

من أمرهم ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيْ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٣١) أي: كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه ﴿فَمَنْكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السُّمُورِ﴾ (٣٢) أي: فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي: نتضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

وقد ورد في هذا المقام حديث رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده فقال: حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن دينار، حدثنا الربيع بن صبيح، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان، فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا فيتحدثان، فيتكى هذا ويتكى هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان تدري؟ أي: يوم غفر الله لنا؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله ﷻ فغفر لنا» (١). ثم قال البزار: لا نعرفه يروى إلا بهذا الإسناد. قلت: وسعيد بن دينار الدمشقي؟ قال أبو حاتم: هو مجهول وشيخه الربيع بن صبيح، وقد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه وهو رجل صالح ثقة في نفسه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة أنها قرأت هذه الآية ﴿فَمَنْكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السُّمُورِ﴾ (٣٢) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٣١) فقالت: اللهم من علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم. قيل للأعمش في الصلاة؟ قال: نعم (٢).

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٣١) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّذَرْنَاهُ بِرَبِّ الْمُنُونِ ﴿٣٢﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَصِبِينَ ﴿٣٣﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلُسُوا هَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾.

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى عباده، وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه، ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٣١) أي: لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش، والكاهن الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وهو الذي يتخطبه الشيطان من المس.

ثم قال تعالى منكرأ عليهم في قولهم في الرسول ﷺ ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّذَرْنَاهُ بِرَبِّ الْمُنُونِ﴾ (٣٢) أي: قوارع الدهر، والمنون الموت، يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَصِبِينَ﴾ (٣٣) أي: انتظروا فإنني منتظر معكم، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

قال محمد بن إسحاق: عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: أن قريشاً لما

(١) أخرجه البزار بسنده ومثته كما في مختصر زوائد مسند البزار ٤٨٦/٢ (ح ٢٢٧٠) وقال تفرد به أنس بهذا الإسناد الضعيف. وقد بين الهيثمي وجه الضعف بأن سعيد بن دينار والربيع بن صبيح ضعيفان. (مجمع الزوائد ١٠/٤٢٤).

(٢) رجاله ثقات وسنده صحيح.

اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم: احتبسوه في وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابعة إنما هو كأحدهم، فأنزل الله تعالى ذلك من قولهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ (٣٥).

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا﴾ أي: عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقاويل الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ أي: اختلقه وافتراه من عند نفسه يعنون القرآن، قال الله تعالى: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٦) أي: إن كانوا صادقين في قولهم تقوله وافتراه، فليأتوا بمثل ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاءوا بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصْطَبِرُونَ (٣٧) أَمْ هُمْ سَاءٌ يَسْتَعْمُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعْمُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣).

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أي: أوجدوا من غير موجود؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً.

قال البخاري: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان قال: حدثني عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصْطَبِرُونَ (٣٧) كاد قلبي أن يطير (٣٧). وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق عن الزهري به (٣). وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسارى، وكان إذ ذاك مشركاً، فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حملة على الدخول في الإسلام بعد ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٣٦) أي: أهما خلقوا السموات والأرض؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله، وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له، ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصْطَبِرُونَ﴾ (٣٧).

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق به، وفيه عن عنة ابن إسحاق ولكن قد صرح بالسماع في رواية البيهقي (دلائل النبوة ٤٦٨/٢) وسنده حسن.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، سورة الطور ح ٤٨٥٤).

(٣) المصدر السابق (ح ٧٦٥ و ٤٨٥٤) وصحيح مسلم، الصلاة، باب القراءة في الصبح (ح ٤٦٣).

أي: أهم يتصرفون في الملك ويدهم مفاتيح الخزائن ﴿أَمْ هُمُ الْمُصْطَرُونَ﴾ أي: المحاسبون للخلائق، ليس الأمر كذلك بل الله ﷻ هو المالك المتصرف الفعال لما يريد.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ هُمْ سُلَّامٌ يَسْتَعِينُونَ فِيهِ﴾ أي: مرقاة إلى الملأ الأعلى ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَعِينُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال؛ أي: وليس لهم سبيل إلى ذلك فليسوا على شيء وليس لهم دليل.

ثم قال منكرأ عليهم فيما نسبوه إليه من البنات وجعلهم الملائكة إناثاً، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، بحيث إذا بُشِرَ أحدهم بالأنثى ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ (٣٦) وهذا تهديد شديد ووعيد أكد ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾؟ أي: أجرة إبلاغك إياهم رسالة الله؛ أي: لست تسألهم على ذلك شيئاً ﴿فَهُمْ يَنْفَرُونَ مُتَقَلِّبُونَ﴾ أي: فهم من أدنى شيء يتبرمون منه ويثقلهم ويشق عليهم ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤١) أي: ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ (٤٢) يقول تعالى: أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه، فكيدهم إنما يرجع وباله على أنفسهم فالذين كفروا هم المكيدون ﴿أَمْ هُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤٣) وهذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله، ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ (٤٤) فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْفَجْرِ (٤٩).

يقول تعالى مخبراً عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ أي: عليهم يعذبون به لما صدقوا، ولما أيقنوا بل يقولون: هذا سحاب مركوم؛ أي: متراكم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (٥٦) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْخُورُونَ (٥٥) [الحجر] قال الله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أي: دعهم يا محمد ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أي: لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذي استعملوه في الدنيا، لا يجزي عنهم يوم القيامة شيئاً ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٦١) [السجدة] ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينبئون فلا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جلى عنهم مما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه كما جاء في بعض الأحاديث: «إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير، لا يدري فيما عقلوه

ولا فيما أرسلوه»^(١) وفي الأثر الإلهي: كم أعصيك ولا تعاقبني؟ قال الله تعالى: يا عبدي كم أعافيك وأنت لا تدري؟

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: اصبر على أذاهم ولا تبالهم فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا والله يعصمك من الناس.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ قُومَ﴾ قال الضحاك: أي إلى الصلاة. سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك^(٢).

وقد روي مثله عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما^(٣)، وروى مسلم في صحيحه عن عمر أنه كان يقول: هذا في ابتداء الصلاة^(٤)، ورواه أحمد وأهل السنن، عن أبي سعيد وغيره، عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك^(٥).

وقال أبو الجوزاء: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ قُومَ﴾ أي: من نومك من فراشك^(٦)، واختاره ابن جرير ويتأيد هذا القول بما رواه الإمام أحمد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثنا عُمير بن هانئ، حدثني جنادة بن أبي أمية، حدثنا عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله». ثم قال: «رب اغفر لي» - أو قال: «ثم دعا - استجيب له، فإن عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته»^(٧). وأخرجه البخاري في صحيحه وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به^(٨).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ قُومَ﴾ قال: من كل مجلس^(٩).

(١) أخرجه أبو داود بسند ضعيف فيه رجل مجهول (السنن، الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب ح ٣٠٨٩).
(٢) أخرجه البستي بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك بلفظ: «الصلاة المفروضة»، وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جوير عن الضحاك بلفظه: وأخرجه النحاس بسند ضعيف من طريق عمر بن هارون البلخي عن أبي مصلح عن الضحاك (الناسخ والمنسوخ ٣/٣٠)، وعمر بن هارون متروك كما في «التقريب».

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه بلفظ: «إذا قام لصلاة من ليل أو نهار...».

(٤) صحيح مسلم، الصلاة، باب حجة من قال: «لا يجهر بالبسملة» (ح ٣٩٩/٥٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (المسند ١٨/٥١ ح ١١٤٧٣) وأعله محققوه بجعفر بن سليمان الضبعي، ومن هذا الطريق أخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ح ٧٧٥)، والترمذي (السنن، الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ح ٢٤٢)، والنسائي (السنن، الإفتتاح، باب نوع آخر من الذكر ٢/١٣٢) وابن ماجه (السنن، الإقامة، باب افتتاح الصلاة ح ٨٠٤). ويشهد لبعضه رواية مسلم السابقة.

(٦) ذكره النحاس بدون سند (الناسخ والمنسوخ ٣/٣١)، وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٥/٣١٣) وسنده صحيح.

(٨) صحيح البخاري، التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصل في (ح ١١٥٤).

(٩) نسبه السيوطي إلى الفريابي وابن المنذر.

وقال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص «وَسَيِّحٌ يَحْمَدُ رَبَّكَ حِينَ تَقُومُ» قال: إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال: سبحانك اللهم وبحمدك^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الدمشقي، حدثنا محمد بن شعيب، أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء بن أبي رباح أنه حدثه عن قول الله تعالى: «وَسَيِّحٌ يَحْمَدُ رَبَّكَ حِينَ تَقُومُ» يقول حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازددت خيراً، وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة له^(٢).

وقد قال عبد الرزاق في جامعه: أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عثمان الفقير، أن جبريل علم النبي ﷺ إذا قام من مجلسه أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، قال معمر: وسمعت غيره يقول: هذا القول كفارة المجالس^(٣). وهذا مرسل، وقد وردت مسندة من طرق يقوي بعضها بعضاً بذلك، فمن ذلك حديث ابن جريج، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك» رواه الترمذي، وهذا لفظه والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج، وقال الترمذي: حسن صحيح^(٤)، وأخرجه الحاكم في مستدركه، وقال إسناده على شرط مسلم، إلا أن البخاري علله^(٥)، قلت: علله الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني وغيرهم، ونسبوا الوهم فيه إلى ابن جريج، على أن أبا داود قد رواه في سننه من طريق غير ابن جريج إلى أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه^(٦)، ورواه أبو داود، واللفظ له والنسائي والحاكم في المستدرک من طريق الحجاج بن دينار، عن هشام، عن أبي العالية، عن أبي برزة الأسلمي، قال: كان رسول الله ﷺ يقول بآخر عمره: إذا أراد أن يقوم من المجلس «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك». فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى، قال: «كفارة لما يكون في المجلس»^(٧). وقد روي مرسلًا

(١) أخرجه النحاس من طريق الثوري به (الناسخ والمنسوخ ٣/٣٢) وسنده حسن.

(٢) سنده ضعيف جداً لأن طلحة بن عمرو الحضرمي متروك (التقريب ص ٢٨٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (المصنف ١١/٢٤ رقم ١٩٧٩٦) وسنده مرسل كما قرر الحافظ ابن كثير، ويتقوى بالرواية التالية:

(٤) سنن الترمذي، الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه (ح ٣٤٢٩)، والسنن الكبرى للنسائي، عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه (ح ١٠٢٣٠).

(٥) أخرجه الحاكم من طريق ابن جريج به ثم ذكر له شواهد تقويه (المستدرک ١/٥٣٦ - ٥٣٧) وهي شواهد صحيحة كما يلي.

(٦) سنن أبي داود، الأدب، باب في كفارة المجلس (ح ٤٨٥٧، ٤٨٥٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٦٧).

(٧) المصدر السابق (ح ٤٨٥٩)، والسنن الكبرى، عمل اليوم والليلة (ح ١٠٢٥٩) والمستدرک ١/٥٣٧، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح ٤٠٦٨).

عن أبي العالية^(١)، فالله أعلم.

وهكذا رواه النسائي والحاكم من حديث الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن رافع بن خديج، عن النبي ﷺ مثله^(٢) سواء، وروي مرسلأ أيضاً فالله أعلم، وكذا رواه أبو داود، عن عبد الله بن عمرو أنه قال: «كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كفر بهن عنه، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر، إلا ختم له بهن كما يختم بالخاتم: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»^(٣). وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة وصححه، ومن رواية جبير بن مطعم^(٤)، ورواه أبو بكر الإسماعيلي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلهم عن النبي ﷺ، وقد أفردت لذلك جزءاً على حدة بذكر طرده وألفاظه وعلمه، وما يتعلق به والله الحمد والمنة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: اذكره واعبد به بالتلاوة والصلاة في الليل كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَهَجِّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾ [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَرَّ النَّجُومَ﴾ قد تقدم في حديث ابن عباس، أنهما الركعتان اللتان قبيل صلاة الفجر^(٥)، فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم؛ أي: عند جنوحها للغيبوبة.

وقد روى ابن سيلان، عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تدعوها وإن طردتك الخيل»؛ يعني: ركعتي الفجر، رواه أبو داود^(٦). ومن هذا الحديث حكى عن بعض أصحاب أحمد القول بوجوبهما، وهو ضعيف لحديث: «خمس صلوات في اليوم واللييلة» قال: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع»^(٧).

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر. وفي لفظ لمسلم: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»^(٨). آخر تفسير سورة الطور [والله أعلم]^(٩).

(١) السنن الكبرى، عمل اليوم واللييلة (ح ١٠٤٦١).

(٢) المصدر السابق (ح ١٠٢٦٣) والمستدرک ٥٣٧/١، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) سنن أبي داود، الأدب، باب في كفارة المجلس (ح ٤٨٥٧) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (ح ٤٠٦٦) دون قوله: ثلاث مرات.

(٤) (المستدرک ٥٣٧/١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة ق آية ٤٠.

(٦) السنن، الصلاة، باب في تخفيفهما (ح ١٢٥٨)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٢٧٢).

(٧) أخرجه الشيخان من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (صحيح البخاري، الإيمان، باب الزكاة من الإسلام ح ٤٦) وصحيح مسلم، الإيمان، باب الصلوات التي هي أحد أركان (ح ٢٣٣).

(٨) صحيح البخاري، التهجد، باب تعاهد ركعتي الفجر ومن سماهما تطوعاً (ح ١١٦٩) وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر (ح ٧٢٤).

(٩) زيادة من (حم).

سُورَةُ النَّجْمِ

وهي مكية

قال البخاري: حدثنا نصر بن علي، أخبرني أبو أحمد - يعني الزُّبيري - حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة «والنجم» قال: فسجد النبي ﷺ وسجد من خلفه، إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف^(١). وقد رواه البخاري أيضاً في مواضع ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن أبي إسحاق به، وقوله في الممتنع: إنه أمية بن خلف في هذه الرواية مُشكَل، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عُتْبَةُ بن ربيعة^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا صَلَ صَاحِبُهُ وَمَا عَوَى ۝٢ وَمَا يُنْقِ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾

قال الشعبي وغيره: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق^(٣)، رواه ابن أبي حاتم.

واختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ فقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد: يعني بالنجم: الثريا إذا سقطت مع الفجر^(٤)، وكذا روي عن ابن عباس وسفيان الثوري واختاره ابن جرير^(٥).

وزعم السدي: أنها الزهرة.

وقال الضحاك: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ إذا رمي به الشياطين وهذا القول له اتجاه.

وروى الأعمش عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ يعني: القرآن إذا نزل^(٦)، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۝٧ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٨﴾

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢] ح ٤٨٦٣).

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر أن المعتمد هو أمية بن خلف (فتح الباري ٨/٦١٥).

(٣) لم أجد من أخرجه وهو كلام نفيس.

(٤) أخرجه عبد الرزاق وآدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح به.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: «إذا انصب»، ويتقوى بساقبه.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مالك بن سَعِير عن الأعمش به.

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ [الواقعة].

وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ﴿٢﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال، وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي هو العالم بالحق، العادل عنه قصداً إلى غيره، فنزه الله رسوله وشرعه، عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود. وهي علم الشيء وكتمانه، والعمل بخلافه، بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَطْفِئُ عَنِ الْمَوْتِ﴾ ﴿٣﴾ أي: ما يقول قولاً عن هوى وغرض ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿٤﴾ أي: إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن ميسرة، عن أبي أمامة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليدخلن الجنة شفاعة رجل ليس بنبي مثل الحسين - أو مثل أحد الحسين - ربيعة ومضر» فقال رجل: يا رسول الله أو ما ربيعة من مضر؟ قال: «إنما أقول ما أقول»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبيد الله بن الأحنس، أخبرنا الوليد بن عبد الله، عن يوسف بن ماهك، عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قریش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب. فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق»^(٢). ورواه أبو داود، عن مسدد وأبي بكر بن أبي شيبة، كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان^(٣) به.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه» ثم قال: لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا ليث، عن محمد بن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا أقول إلا حقاً» قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله؟ قال: «إني لا أقول إلا حقاً»^(٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٦/٥٤٧ ح ٢٢٢١٥)، قال محققوه: صحيح بطرقه وشواهد دون قوله: «فقال رجل: يا رسول الله... إلخ».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١١/٥٧، ٥٨ ح ٦٥١٠)، وصححه سند محققوه، وقبلهم الأستاذ أحمد شاكر.

(٣) السنن، العلم، باب في كتابة العلم (ح ٣٦٤٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٠٩٩).

(٤) أخرجه البزار بسنده ومثته (مختصر زوائد مسند البزار وقال الهيثمي: فيه أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة، وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال الصحيح، وعبد الله بن صالح مختلف فيه مجمع الزوائد ١/١٧٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٤/١٨٥ ح ٨٤٨١) وقال محققوه: إسناده قوي.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ٥ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ ٦ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ٧ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ٨ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ٩ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ١٠ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ١١ ﴿أَفَتُمْنُونُ﴾ ١٢ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ١٣ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ١٤ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ ١٥ ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ ١٦ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ ١٧ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ ١٨.

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علمه الذي جاء به إلى الناس ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ١٧ ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ١٨ ﴿مُطَّلَعٌ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ١٩ [التكوير] وقال ههنا ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوة، قاله مجاهد والحسن وابن زيد^(١).

وقال ابن عباس: ذو منظر حسن^(٢).

وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن^(٣). ولا منافاة بين القولين فإنه ﷺ ذو منظر حسن وقوة شديدة.

وقد ورد في الحديث الصحيح من رواية ابن عمر وأبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تحلّ الصدقة لغني ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَى﴾ يعني: جبريل ﷺ قاله الحسن ومجاهد وقاتادة والربيع بن أنس^(٥). ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ٧ يعني: جبريل استوى في الأفق الأعلى، قاله عكرمة وغير واحد. قال عكرمة: والأفق الأعلى الذي يأتي منه الصبح. وقال مجاهد: هو مطلع الشمس.

وقال قتادة: هو الذي يأتي منه النهار^(٦)، وكذا قال ابن زيد وغيرهم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا مصرف بن عمرو الياامي أبو القاسم، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف، حدثني أبي، عن الوليد هو: ابن قيس، عن إسحاق بن أبي الكهتلة، أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلا مرتين: أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته ففسد الأفق. وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد فذلك قوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ٧. وقد قال ابن جرير ههنا قولاً لم أره لغيره،

(١) أخرجه البخاري تعليقاً وقال الحافظ ابن حجر: وصله الفريابي. (فتح الباري ٦٠٤/٨) ووصله آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٦٠.

(٥) أخرجه آدم والطبري بالسند الصحيح المتقدم عن مجاهد، وأخرجه أبو الشيخ بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (العظمة رقم ٣٦٨).

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) سنده ضعيف لأن مصرف بن عمرو الياامي: مجهول. (التقريب ص ٥٣٣).

ولا حكاة هو عن أحد وحاصله أنه ذهب إلى أن المعنى فاستوى؛ أي: هذا الشديد القوي ذو الميرة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى؛ أي: استويا جميعاً بالأفق الأعلى وذلك ليلة الإسراء، كذا قال، ولم يوافق أحد على ذلك، ثم شرع يوجه ما قاله من حيث العربية فقال وهو كقوله: ﴿أَيْدَا كُنَّا تَرْكًا وَءَابَاؤُنَا﴾ [النمل: ٦٧] فعطف بالآباء على المكنى في كنا من غير إظهار نحن فكذلك قوله فاستوى وهو، قال وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده:

ألم تر النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروج المتقصف^(١)

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه، ولكن لا يساعده المعنى على ذلك، فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها، ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل ﷺ وتدلّى إليه فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدره المنتهى يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعدما جاءه جبريل ﷺ أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مراراً ليرتدي من رؤوس الجبال. فكلما همّ بذلك ناداه جبريل من الهواء، يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل، فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه^(٢)، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح^(٣) قد سد عظم [خلقه]^(٤) الأفق، فاقترب منه وأوحى إليه عن الله ﷻ ما أمره به، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه.

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حيث قال: حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا الحارث بن عبيد، عن أبي عمران الجوني، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا قاعد إذ جاء جبريل ﷺ فوكز بين كتفي، فقممت إلى شجرة فيها كوكري الطير فقعده في أحدهما وقعدت في الآخر، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين، وأنا أقلب طرفي، ولو شئت أن أمس السماء لمسست، فالتفت إلي جبريل كأنه جلس لاطئي فعرفت فضل علمه بالله علي. وفتح لي باب من أبواب السماء ورأيت النور الأعظم، وإذا دون الحجاب رفرفة الدر والياقوت، وأوحى إلي ما شاء الله أن يوحى» ثم قال البزار: «لا يرويه إلا الحارث بن عبيد، وكان رجلاً مشهوراً من أهل البصرة»^(٥).

قلت: الحارث بن عبيد هذا هو أبو قدامة الأيادي أخرج له مسلم في صحيحه إلا أن ابن معين ضعفه، وقال: ليس هو بشيء، وقال الإمام أحمد: مضطرب الحديث. وقال أبو حاتم

(١) معاني القرآن ٩٥/٣، واستشهد به الطبري.

(٢) أخرجه البخاري (الصحيح، التعبير، باب أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ح ٦٩٨٢).

(٣) سيأتي تخريجه بعد الرواية التالية.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: حلقه.

(٥) أخرجه البزار بسنده ومتمنه وتعليقه (مختصر زوائد مسند البزار ٩٤/١، ٩٥ ح ٣٤) وقال ابن حجر في الحارث بن عبيد: أخرج له الشيخان وهو مع ذاك له مناكير هذا منها. ولهذا قرر الحافظ تضعيف سند هذا الحديث.

الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن حبان: كثر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، فهذا الحديث من غرائب رواياته، فإن فيه نكارة وغبابة ألفاظ وسياقاً عجيباً ولعله منام، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم^(١). انفرد به أحمد.

وقال أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن إدريس بن منبه، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال: ادع ربك، فدعا ربه ﷻ فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر، فلما رآه النبي ﷺ صعق، فأتاه فنعشه ومسح البزاق عن شدة^(٢). تفرد به أحمد.

وقد رواه ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب من طريق محمد بن إسحاق، عن عثمان بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن هبار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام فتجهزت معهما، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأذينه في ربه ﷻ، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد هو يكفر بالذي دني فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فقال النبي ﷺ: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه فقال: يا بُني ما قلت له، فذكر له ما قاله، فقال: فما قال لك؟ قال: قال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» قال: يا بُني والله ما آمن عليك دعاءه، فسرنا حتى نزلنا الشراة وهي مأسدة، ونزلنا إلى صومعة راهب فقال الراهب: يا معشر العرب، ما أنزلكم هذه البلاد فإنها يسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم. فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي، وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة، والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا فجاء الأسد فشتم وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبة فإذا هو فوق المتاع، فشتم وجهه ثم هزمه هزيمة ففسخ رأسه فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد^(٣).

وقوله تعالى: ﴿كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أي: فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين؛ أي: بقدرهما إذا مُدَّا، قاله مجاهد وقتادة^(٤). وقد قيل: إن المراد بذلك بُعد ما بين وتر القوس إلى كبدها.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/ ٢٩٤ ح ٣٧٤٨) وضعف سنده محققوه إذ أعلوه بشريك وهو ابن عبد الله النخعي. اهـ. ولكن الشق الأول له شواهد صحيحة ستأتي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٥/ ١١٨ ح ٢٩٦٥) وضعف سنده محققوه، وأعلوه بإدريس بن منبه. والشدق هو جانب الفم من باطن الخدين.

(٣) أخرجه الحاكم من حديث أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه مختصراً وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/ ٥٣٩) وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٤/ ٣٩).

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بنحوه، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «جبريل».

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَذْنَى﴾ قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] أي: ما هي بألين من الحجارة، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة وكذا قوله: ﴿يَحْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٧] أي: ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها. فهذا تحقيق للمخبر به لا شك ولا تردد فإن هذا ممتنع وهكذا ههنا هذه الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ وهذا الذي قلناه من أن هذا المقترّب الداني الذي صار بينه وبين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إنما هو جبريل عليه السلام، وهو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة، كما سنورد أحاديثهم قريباً إن شاء الله تعالى.

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فجعل هذه إحداهما، وجاء في حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس في حديث الإسراء: ثم دنا الجبار ربّ العزة فتدلى^(١)، ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة، فإن صحّ فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [١٣] عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ فهذه هي ليلة الإسراء والأولى كانت في الأرض.

وقد قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سليمان الشيباني، حدثنا زر بن حبیش قال: قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ﴿١٥﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل له ستمائة جناح»^(٢).

وقال ابن وهب: حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة قالت: كان أول شأن رسول الله ﷺ أنه رأى في منامه جبريل بأجباد، ثم إنه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل: يا محمد يا محمد! فنظر رسول الله ﷺ يميناً وشمالاً فلم يرَ أحداً ثلاثاً، ثم رفع بصره فإذا هو ثاني إحدى رجله مع الأخرى على أفق السماء فقال: يا محمد جبريل يسكنه، فهرب النبي ﷺ حتى دخل في الناس، فنظر فلم يرَ شيئاً، ثم خرج من الناس ثم نظر فرآه فدخل في الناس فلم يرَ شيئاً، ثم خرج فنظر فرآه، فذلك قول الله ﷻ ﴿وَالنَّجْوَىٰ إِذَا هُوَ﴾ ﴿١٦﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [١٨] يعني: جبريل إلى محمد عليهما الصلاة والسلام ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ﴿١٧﴾ ويقولون: القاب نصف أصبع، وقال بعضهم: ذراعين كان بينهما، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب به^(٣). وفي حديث الزهري، عن أبي سلمة، عن جابر شاهداً لهذا. [وروى

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ١، وعلة هذا الحديث في وهم شريك بن أبي نمر وقد أحصى الحافظ ابن حجر أوهامه في حديث الإسراء والمعراج (ينظر: فتح الباري ١٣/٤٨٥).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وله شاهد في الصحيحين من حديث جابر عليه السلام كما سيأتي بعد الروایتين التاليتين.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن وكيع عن ابن وهب به، وفي سنده ابن وكيع وهو سفيان، وابن لهيعة وكلاهما فيهما مقال.

البخاري، عن طلق بن غنام، عن زائدة، عن الشيباني قال: سألت زراً عن قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ❶ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ❷ قال: حدثنا عبد الله أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح ❸.

وقال ابن جرير: حدثني ابن بزيع البغدادي، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله ﷺ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ❸ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلنا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض ❹. فعلى ما ذكرناه يكون قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ❷ معناه فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل، وكلا المعنيين صحيح.

وقد ذكر عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ❷ قال: أوحى الله إليه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ [الضحى: ٦]، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح].

وقال غيره: أوحى الله إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ❹.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ❶ ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ ❷ قال مسلم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن زياد بن حصين، عن أبي العالقة، عن ابن عباس ﷺ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ❶ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ❷ قال: رآه بفؤاده مرتين ❺. وكذا رواه سماك عن عكرمة، عن ابن عباس مثله ❻، وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين ❼، وقد خالفه ابن مسعود وغيره. وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة ﷺ، وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر ❽، والله أعلم.

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن عمرو بن المنهال بن صفوان، حدثنا يحيى بن كثير العنبري، عن سلمة بن جعفر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ قال: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين. ثم قال: حسن غريب ❾.

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله الصحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله. ويشهد له سابقه.

(٣) زيادة من (حم) و(مح).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٢٤٦/٤).

(٥) أخرجه مسلم بسنده ومثله (الصحيح، الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ❷ [النجم] ح ٢٨٥).

(٦) أخرجه الطبري من طريق سماك بن حرب به، وفي رواية سماك عن عكرمة اضطراب، ولكنه توبع كما تقدم في رواية مسلم، وإن صحَّ عن ابن عباس فإنه قول مرجوح كما سيأتي.

(٧) أخرجه الطبري من طريق السدي عن أبي صالح، وحكمه كسابقه في أنه قول مرجوح.

(٨) ذكره البغوي ونسبه إليهم ثلاثتهم. (التفسير ٢٤٧/٤).

(٩) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، التفسير، باب ومن سورة النجم ح ٣٢٧٥) وضعف سند الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٦٤٧).

وقال أيضاً: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي قال: لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شيء، فكبر حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم، فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلّم موسى مرتين ورآه محمد مرتين.

وقال مسروق: دخلت على عائشة فقلت: هل رأى محمد ربه، فقالت: لقد تكلمت بشيء فُفّ له شعري فقلت: رويداً، ثم قرأت ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ﴿٨﴾ فقالت: أين يذهب بك إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كنتم شيئاً مما أمر به أو [يعلم الخمس التي] ^(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْفَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤] فقد أعظم على الله الفرية [ولكنه رأى] ^(٢) جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد وله ستمائة جناح قد سدّ الأفق ^(٣).

وقال النسائي: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخلّة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم الصلاة والسلام ^(٤).

وفي صحيح مسلم عن أبي ذرّ قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه» ^(٥)، وفي رواية: «رأيت نوراً» ^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب قال: قالوا: يا رسول الله رأيت ربك؟ قال: «رأيت بفؤادي مرتين» ثم قرأ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿١١﴾. ورواه ابن جرير عن ابن حميد، عن مهران، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: «لم أره بعيني ورأيت بفؤادي مرتين» ثم تلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ﴿٨﴾ ^(٧).

ثم قال ابن أبي حاتم: وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، أخبرني عباد بن منصور قال: سألت عكرمة عن قوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿١١﴾ فقال عكرمة: تريد أن أخبرك أنه قد رآه، قلت نعم، قال: قد رآه ثم قد رآه، قال: فسألت عنه الحسن فقال: قد رأى جلاله وعظمته ورداءه ^(٨).

وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن مجاهد، حدثنا أبو عامر العقدي، أخبرنا أبو خلدة، عن أبي العالية قال: سئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نهراً ورأيت وراء النهر حجاباً، ورأيت وراء الحجاب نوراً لم أر غيره» ^(٩). وذلك غريب جداً، فأما الحديث الذي رواه الإمام

(١) زيادة من (حم) و(مح).

(٣) المصدر السابق (ح ٣٢٧٤). وسنده ضعيف لضعف مجالد، وأما قول مسروق فقد أخرجه مسلم من طريق

الشعبي عن مسروق (الصحيح، الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ﴿١٣﴾ [النجم ح ١٧٧].

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومثته (السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿١١﴾ [النجم ح ١٥٣٩]، وأخرجه الحاكم من طريق إسحاق بن إبراهيم به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٦٩/٢).

(٥) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ١٧٨).

(٦) المصدر السابق (ح ٢٩٢/١٧٨).

(٧) سنده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الربذي. (٨) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٩) سنده ضعيف لأنه مرسل.

أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي ﷻ»^(١). فإنه حديث إسناده على شرط الصحيح، لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد أيضاً: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم» - فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملائكة الأعلى؟ قال: قلت: لا، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال نحري - فعلمت ما في السموات وما في الأرض. ثم قال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملائكة الأعلى؟ قال: قلت: نعم، يختصمون في الكفارات والدرجات، قال: وما الكفارات؟ قال: قلت المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإبلاغ الرضوء في المكاره، من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: قل يا محمد إذا صليت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون قال: «والدرجات بذل الطعام وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»^(٢). وقد تقدم في آخر سورة ص عن معاذ نحوه^(٣).

وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال: حدثني أحمد بن عيسى التميمي، حدثني سليمان بن عمر بن سيار، حدثني أبي، عن سعيد بن زربي، عن عمر بن سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملائكة الأعلى؟ فقلت: لا يا رب، فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السموات والأرض فقلت: يا رب في الدرجات والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فقلت: يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمت موسى تكليماً وفعلت وفعلت، فقال: ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أضع عنك وزرك؟ ألم أفعل بك ألم أفعل بك؟ قال: فأفضى إليّ بأشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها قال: فذاك قوله في كتابه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨) ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩) ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (١٠) ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (١١) فجعل نور بصري في فؤادي فنظرت إليه بفؤادي»^(٤) إسناده ضعيف.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/٣٥٠، ٣٥١ ح ٢٥٧٩) وقال محققوه: صحيح موقوفاً، وهذا إسناده رجاله رجال الصحيح، وحماد بن سلمة، وهو من رجال مسلم، قال ابن سعد في الطبقات ٧/٢٨٢، ثقة كثير الحديث وربما حدث بالحديث المنكر، وقال البيهقي في الخلافيات فيما نقله الحافظ الذهبي في السير ٧/٤٥٢، لما طعن في السن ساء حفظه... فالاحتياط أن لا يحتج به فيما يخالف الثقات.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/٤٣٨ ح ٣٤٨٤)، وضعف سنده محققوه لأن أبا قلامه، واسمه عبد الله بن زيد الجرمي، لم يسمع من ابن عباس. وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/٣٤ من طريق الإمام أحمد بن حنبل بهذا الإسناد.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة ص آية ٦٩.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لأن سعيد بن زربي منكر الحديث. (التقريب ص ٢٣٥).

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده إلى هبار بن الأسود رضي الله عنه أن عتبة بن أبي لهب لما خرج في تجارة إلى الشام قال لأهل مكة اعلموا أنني كافر بالذي دنا فتدلى، فبلغ قوله رسول الله ﷺ فقال: سلط الله عليه كلباً من كلابه. قال هبار: فكنت معهم فنزلنا بأرض كثيرة الأسد، قال: فلقد رأيت الأسد جاء فجعل يشم رؤوس القوم واحداً واحداً حتى تخطى إلى عتبة فاقتطع رأسه من بينهم^(١).

وذكر ابن إسحاق وغيره في السيرة أن ذلك كان بأرض الزرقاء وقيل: بالسرارة، وأنه خالف ليلتذ، وأنهم جعلوه بينهم وناموا من حوله فجاء الأسد فجعل يزأر ثم تخطاهم إليه فضغم رأسه لعنه الله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ﴾ هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء. وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الإسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة سبحان بما أغنى عن إعادته ههنا، وتقدم أن ابن عباس رضي الله عنه كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء ويستشهد بهذه الآية، وتابعه جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم، وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر منه ريش التهاويل من الدر والياقوت»^(٢). وهذا إسناد جيد قوي.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا شريك، عن جامع بن أبي راشد، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل من الدر والياقوت ما الله به أعلم^(٣). إسناده حسن أيضاً.

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين، حدثني عاصم بن بهدلة قال: سمعت شقيق بن سلمة يقول: سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل على سدره المنتهى وله ستمائة جناح» سألت عاصماً عن الأجنحة فأبى أن يخبرني، قال فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب^(٤). وهذا أيضاً إسناد جيد.

وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين، حدثنا عاصم بن بهدلة، حدثني شقيق بن سلمة قال: سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام في خضر معلق به الدر»^(٥). إسناده جيد أيضاً.

(١) تقدم تخريجه في بداية تفسير هذه الآية.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/ ٤٦٠) وسنده حسن.

(٣) حسن سنده الحافظ ابن كثير. ويشهد له سابقه. والشرط الأول في صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿مَّا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النجم] (ح ٤٨٥٧)، وباب ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم] (ح ٤٨٥٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/ ٤١٠ ح ٣٨٦٢) وحسنه محققوه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المصدر السابق ح ٣٨٦٣) وصححه سنده محققوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن إسماعيل، حدثنا عامر قال: أتى مسروق عائشة فقال يا أم المؤمنين هل رأى محمد ﷺ ربه ﷻ؟ قالت: سبحان الله لقد قُفَّ شعري لما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب؟ من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرَكَّبُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. ومن أخبرك أن محمداً قد كتم فقد كذب، ثم قرأت ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين^(١).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقلت: أليس الله يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال: «إنما ذاك جبريل»^(٢) لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين، رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض، أخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي به.

رواية أبي ذر:

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام: حدثنا قتادة، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته. قال: وما كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأى ربه ﷻ؟ فقال: إني قد سألته فقال: «قد رأيته نوراً أنى أراه»^(٣). هكذا وقع في رواية الإمام أحمد وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن يزيد بن إبراهيم، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه»^(٤).

وقال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته. فقال: عن أي شيء تسأله؟ قال: قلت: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألته فقال: «رأيت نوراً»^(٥). وقد حكى الخلال في علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث فقال: ما زلت منكراً له وما أدري ما وجهه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عون الواسطي، أخبرنا هشيم، عن منصور، عن الحكم، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي ذر قال: رآه بقلبه ولم يره بعينه^(٦).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٤١/٦) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التوحيد، باب قوله الله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ح ٧٣٨٠]، وصحيح مسلم، الإيمان باب معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ح ١٧٧/٢٩٠].

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٤٧/٥) وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ١٧٨/٢٩١). (٥) المصدر السابق (ح ١٧٨/٢٩٢).

(٦) مثته مخالف لما ثبت في الصحيح عن أبي ذر ﷺ كما في سابقه.

وحاول ابن خزيمة أن يدعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبي ذرٍّ، وأما ابن الجوزي فتأوله على أن أبا ذرٍّ لعله سأل رسول الله ﷺ قبل الإسراء فأجابه بما أجابه به، ولو سأل بعد الإسراء لأجابه بالإثبات، وهذا ضعيف جداً، فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ولم يثبت لها الرؤية، ومن قال إنه خاطبها على قدر عقلها أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد، فإنه هو المخطئ والله أعلم.

وقال النسائي: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشام، عن منصور، عن الحكم، عن يزيد بن شريك، عن أبي ذرٍّ قال: رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره^(١). وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن علي بن مسهر، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال رأى جبريل عليه السلام^(٢).

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين^(٣)، وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قد تقدم في أحاديث الإسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيتها نور الرب وغشيتها ألوان ما أدري ما هي^(٥)؟ وقال الإمام أحمد: حدثنا مالك بن مغول، حدثنا الزبير بن عدي، عن طلحة، عن مرة، عن عبد الله هو ابن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال فرأى من ذهب، قال: وأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقحّمات^(٦). انفرد به مسلم.

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى إلى السدرة، فقبل له إن هذه السدرة، فغشيتها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر، وقال فكلّمه عند ذلك فقال له سل^(٧).

وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال كان أغصان السدرة لؤلؤاً

(١) أخرجه النسائي بسنده ومثته (السنن الكبرى، التفسير ج ١١٥٣٦) وحكمه كسابقه.

(٢) صحيح مسلم، الباب السابق (ج ١٧٥/٢٨٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سلمة بن كهيل عن مجاهد وهو مرسل ويشهد له ما تقدم في الأحاديث السابقة وفي بداية تفسير سورة الإسراء.

(٤) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(٥) تقدم في تفسير سورة الإسراء آية ١.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٢٢/١) وسنده صحيح وأخرجه الإمام مسلم من طريق مالك بن مغول به (الصحيح، الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى ج ١٧٣).

(٧) تقدم تخريجه وتضعيفه في بداية تفسير سورة الإسراء، وفيه شك أبي جعفر وهو سيئ الحفظ.

وياقوتاً وزبرجداً، فرآها النبي ﷺ ورأى ربه بقلبه^(١).

وقال ابن زيد: قيل: يا رسول الله؛ أي شيء رأيت يغطي تلك الصدر؟ قال: «رأيت يغشاها فراش من ذهب، ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح الله ﷻ»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ ﴿٧﴾ قال ابن عباس: ما ذهب يميناً ولا شمالاً ﴿وَمَا طَغَى﴾ ما جاوز ما أمر به، وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة فإنه ما فعل إلا ما أمر به ولا سأل فوق ما أعطي، وما أحسن ما قال الناظم:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لتأها^(٣)

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَابِتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ﴿٨﴾ كقوله: ﴿لِرَبِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ [طه: ٢٣] أي: الدالة على قدرتنا وعظمتنا، وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلية لم تقع لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَابِتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ﴿٨﴾ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس، وقد تقدم تقرير ذلك في سورة سبحان.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحة، عن الوليد بن قيس، عن إسحاق بن أبي الكهتلة قال محمد أظنه عن ابن مسعود أنه قال: إن محمداً لم ير جبريل في صورته إلا مرتين: أما مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته فأراه صورته فسد الأفق، وأما الأخرى فإنه صعد معه حين صعد به، وقوله: ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ فلما أحس جبريل ربه ﷻ عاد في صورته وسجد، فقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ﴿١١﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٢﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٣﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٤﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٥﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَابِتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٦﴾ قال: خلق جبريل ﷻ^(٤)، وهكذا رواه أحمد وهو غريب.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿١٧﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿١٨﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿١٩﴾ تِلْكَ إِذَا قَسَمَةٌ ضَيْرَةٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢١﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٢﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٣﴾ وَكَرَّ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي سَفْعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَىٰ ﴿٢٤﴾.

يقول تعالى مقررًا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان، واتخاذهم البيوت لها مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ؟﴾ وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف، له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند رجاله ثقات من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد لكنه مرسل.

(٢) أخرجه الطبري وسنده معضل ويشهد لقوله: «رأيت يغشاها فراش من ذهب» أحاديث صحيحة تقدم ذكرها في بداية تفسير سورة الإسراء.

(٣) لم أقف على اسم قائله.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/ ٤١١ ح ٣٨٦٤) وضعف سنده محققوه لجهالة حال إسحاق بن أبي الكهتلة. ولكن شطره الأول في رواية جبريل مرتين له شواهد صحيحة تقدم ذكرها.

ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا: اللات، يعنون: مؤنثة منه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرأوا ﴿اللَّتْ﴾ بتشديد التاء، وفسروه بأنه كان رجلاً يَلْتُ للحجيج في الجاهلية السوق^(١)، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه^(٢).

وقال البخاري: «حدثنا مسلم هو ابن إبراهيم، حدثنا أبو الأشهب، حدثنا أبو الجوزاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿اللَّتْ وَالْعُزَّى﴾ قال: كان اللات رجلاً يَلْتُ السوق سوق الحجاج، قال ابن جرير: وكذا العزى من العزيز، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة^(٣)، وهي بين مكة والطائف، وكانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: [قولوا]^(٤) الله مولانا ولا مولى لكم^(٥).

وروى البخاري من حديث الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك^(٦) فليصدق^(٧)» فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية، كما قال النسائي: أخبرنا أحمد بن بكار، وعبد الحميد بن محمد قالا: حدثنا مخلد، حدثنا يونس، عن أبيه، حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: حلفت باللات والعزى، فقال لي أصحابي: بشئ ما قلت! قلت هجراً^(٨). فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وانفت عن شمالك ثلاثاً، وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم لا تعد^(٩)».

وأما مائة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخاري عن عائشة نحوه^(١٠)، وقد كان

(١) أخرجه البخاري بسنده عن ابن عباس ؓ (الصحيح، التفسير، باب ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم] ح ٤٨٥٩). والسويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، ولت السوق أي: خلطه بالسمن.

(٢) ذكره الطبري بنحوه، والقراءة متواترة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) زيادة من (ح) و(حم).

(٥) أخرجه البخاري (الصحيح، المغازي، باب غزوة أحد ح ٤٠٤٣).

(٦) قال الخطابي: أي: بالمال الذي كان يريد أن يقامر به، وقيل: بصدقة ما لتكفر عنه القول الذي جرى على لسانه. قال النووي: وهذا هو الصواب (ينظر: فتح الباري ٨/٦١٢).

(٧) أخرجه البخاري من طريق معمر عن الزهري به. (الصحيح، التفسير، باب ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّى﴾ ح ٤٨٦٠).

(٨) أي: القبيح من الكلام.

(٩) أخرجه النسائي بسنده ومثنه (السنن، الأيمان والنذور، باب الحلف باللات والعزى ٨/٧). وفي سنده يونس بن أبي إسحاق السبيعي وهو صدوق يهم قليلاً (التقريب ص ٦١٣).

(١٠) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَمَنْزُةٌ ثَلَاثَةَ الْأَنْحَرِ﴾ [النجم] ح ٤٨٦١).

بجزيرة العرب وغيرها طواغيت آخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة. غير هذه الثلاثة التي نصَّ عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها.

قال ابن إسحاق في السيرة: وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة. لها سدنة وحجاب وتهدى لها كما يهدى للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها، وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده: فكانت لقريش ولبنو كنانة العزى بنخلة، وكان سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم، حلفاء بني هاشم^(١). قلت: بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول:

يا عُزَى كُفْرانِكَ لا سَبْحانَكَ إِنِّي رأيتُ اللهَ قَدْ أَهانَكَ

وقال النسائي: أخبرنا علي بن المنذر، أخبرنا ابن فضيل، حدثنا الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد، فلما أبصرته السدنة وهم حجبته أمعنوا في الحيل وهم يقولون: يا عُزَى، يا عُزَى، فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «تلك العزى!»^(٢).

قال ابن إسحاق: وكانت اللات لثقيف بالطائف، وكان سدنتها وحجابها بني معتب.

قلت: وقد بعث إليها رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة، وأبا سفيان صخر بن حرب، فهدماها وجعلها مكانها مسجداً بالطائف. قال ابن إسحاق: كانت مائة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها، ويقال علي بن أبي طالب قال: وكانت ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بنبالة.

قلت: وكان يقال لها: الكعبة اليمانية، وللکعبة التي بمكة الكعبة الشامية، فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمه، قال: وكانت فُلَس لطيء ومن يليها بجبل طيء من سلمى وأجا.

قال ابن هشام: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليه علي بن أبي طالب فهدمه، واصطفى منه سيفين: الرسوف والمخدَم، فنقله إياهما رسول الله ﷺ فهما سيفا علي^(٣).

قال ابن إسحاق: وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: ريام، وذكر أنه كان به كلب

(١) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ٨٣/١).

(٢) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم] ح ١١٥٤٧)، وأخرجه أبو يعلى من طريق محمد بن فضيل به (المسند ١٩٦/٢ ح ٩٠٢) وصححه سندته محققه.

(٣) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ٨٧/١).

أسود وأن الحبرين اللذين ذهبا مع [تبع]^(١) استخرجاه وقتلاه وهما البيت.

قال ابن إسحاق: وكانت «رُضاء» بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام.

ولقد شددت على رضاء شدة فتركها قفراً بقاع أسحاح

قال ابن هشام: إنه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة وهو القائل:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة حدثها بعدها مائتان لي وعمرت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقي إلا كما قد فاتنا يوم يمرّ وليلة تحدونا

وقال ابن إسحاق: وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد، وله يقول أعشى بن

قيس بن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الكعبات من سَدَاد^(٢)

ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿٦٦﴾ وَمَوَآءَ الثَّلَاثَةِ الْآخِرَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ ثم قال تعالى: ﴿الْكُفُّ

الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ أي: أتجعلون له ولداً وتجعلون ولده أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكور،

فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿قِسْمَةُ ضِيزَىٰ﴾ أي: جوراً باطلة، فكيف

تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهاً.

وقال تعالى منكرأ عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر من عبادة الأصنام

وتسميتها آلهة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ﴾ أي: من تلقاء أنفسكم ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ

سُلْطَانٍ﴾ أي: من حجة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أي: ليس لهم مستند إلا حسن

ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم

آبائهم الأقدمين. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ أي: ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير

والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به ولا انقادوا له.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾﴾ أي: ليس كل من تمنى خيراً حصل له ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ

وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣] ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من ودَّ

شيئاً يحصل له.

قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق، حدثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن

أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدري ما يكتب له

من أمنيته»^(٣). تفرد به أحمد.

وقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ أي: إنما الأمر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف في

الدنيا والآخرة، فهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

(٢) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/ ٨٧، ٨٨).

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٤/ ٣١٦ ح ٨٦٨٩) وضعف سنده محققوه لضعف عمر بن أبي

سلمة عند التفرد.

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ ﴿٣١﴾ كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُمْ﴾ [سبأ: ٢٣] فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على السنة جميع رسله وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى﴾ ﴿٣٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٣٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٤٠﴾

يقول تعالى منكرًا على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، وجعلهم لها أنها بنات الله تعالى الله عن ذلك كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٧] ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس لهم علم صحيح يُصَدِّق ما قالوه، بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: لا يجدي شيئاً ولا يقوم أبداً مقام الحق، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره. وقوله: ﴿وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فذاك هو غاية ما لا خير فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه. وقد روى الإمام أحمد، عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له».

وفي الدعاء المأثور «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ عملنا»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ أي: هو الخالق لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته وهو العادل الذي لا يجوز أبداً لا في شرعه ولا في قدره.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّثَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَتُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ﴿٤٢﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأنه الغني عما سواه الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ أي: يجازي كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش؛ أي: لا

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجرات آية ١٢. (٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ١٨.

يتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستتر عليهم كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ [النساء] وقال ههنا: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ وهذا استثناء منقطع؛ لأن اللَّمَمَ من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللَّمَمَ مما قال أبو هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّانَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَزَنَا الْعَيْنَ النَّظَرَ، وَزَنَا اللِّسَانَ النَّطْقَ، وَالنَّفْسَ تَتَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجَ يَصْدُقُ ذَلِكَ أَوْ يَكْذِبُهُ»^(١) أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به^(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن ثور، حدثنا معمر، عن الأعمش، عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال: زنا العينين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانياً وإلا فهو اللَّمَمُ^(٣)، وكذا قال مسروق والشعبي^(٤).

وقال عبد الرحمن بن نافع - الذي يقال له: ابن لبابة الطائفي - قال: سألت أبا هريرة عن قول الله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة، فإذا مسَّ الختان الختان فقد وجب الغسل، وهو الزنا^(٥).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ إلا ما سلف^(٦). وكذا قال زيد بن أسلم^(٧).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: الذي يلم بالذنب ثم يدعه، قال الشاعر:

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلْمَأ؟^(٨)

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه. قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون:

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢/٢٧٦) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج (ح ٦٣٤٣) وصحيح مسلم، القدر، باب قدر الله على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (ح ٢٦٥٧).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق معمر به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٧٠).

(٤) أخرجهما الطبري مختصراً ويشهد لهما سابقهما.

(٥) أخرجه مسدد والطبري من طريق عبد الله بن عثمان بن خيثم عن عبد الرحمن بن نافع به. (ينظر: المطالب العالية، المسند، ٤/١٦٤ ح ٣٧٤٤) وعبد الرحمن بن نافع لم أجد له ترجمة ولمعظمه شواهد صحيحة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وليس عن زيد بن أسلم، بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح، والبيت لأمية بن الصلت كما في ديوانه ص ٥٨.

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا^(١)؟
وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعاً قال ابن جرير: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِ وَالْفَوْحِ إِلَّا أَلَمَّا﴾ قال: هو الرجل الذي يلمُّ بالفاحشة ثم يتوب. وقال: قال رسول الله ﷺ:

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا^(٢)؟
وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن عثمان أبي عثمان البصري، عن أبي عاصم النبيل ثم قال: هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق^(٣)، وكذا قال البزار: لا نعلمه يروى متصلاً إلا من هذا الوجه، وساقه ابن أبي حاتم والبخاري من حديث أبي عاصم النبيل، وإنما ذكره البخاري في تفسير سورة تنزيل، وفي صحته مرفوعاً نظر.

ثم قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيغ، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس، عن الحسن، عن أبي هريرة ؓ أراه رفعه في: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِ وَالْفَوْحِ إِلَّا أَلَمَّا﴾ قال: اللَّمَمُ من الزنا ثم يتوب ولا يعود. واللَّمَمُ من السرقة ثم يتوب ولا يعود، واللَّمَمُ من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود، قال: فذلك الإلمام^(٤).

وحدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِ وَالْفَوْحِ إِلَّا أَلَمَّا﴾ قال: اللَّمَمُ من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود إليه^(٥).
وحدثني يعقوب، حدثنا ابن عليه، عن أبي رجاء، عن الحسن في قول الله: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِ وَالْفَوْحِ إِلَّا أَلَمَّا﴾ قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: هو الرجل يصيب اللمة من الزنا، واللمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها^(٦).

وقال ابن جرير، عن عطاء، عن ابن عباس ﴿إِلَّا أَلَمَّا﴾ يلمُّ بها في الحين قلت: الزنا؟ قال: الزنا ثم يتوب^(٧).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس ؓ قال: اللَّمَمُ، الذي يلمُّ المرة^(٨).

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف لكنه توبع في الرواية السابقة.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه الحاكم من طريق زكريا بن إسحاق المكي به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٦٩/٢) وصححه الألباني كما سيأتي، ولكن الحافظ ابن كثير شكك في صحة رفعه.

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة النجم (ح ٣٢٨٠) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦١٨).

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده منقطع لأن الحسن لم يسمع من أبي هريرة.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح إلى الحسن.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده مرسل.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته ورجاله ثقات وسنده صحيح.

وقال السدي: قال أبو صالح سئلت عن اللمم فقلت: هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب، وأخبرت بذلك ابن عباس فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم^(١)، حكاه البغوي.

وروى ابن جرير من طريق المثني بن الصباح - وهو ضعيف - عن عمرو بن شعيب أن عبد الله بن عمرو قال: اللمم ما دون الشرك^(٢).

وقال سفيان الثوري: عن جابر الجعفي، عن عطاء، عن ابن الزبير **﴿إِلَّا اللَّهُ﴾** قال: ما بين الحدّين حدّ الدنيا وعذاب الآخرة^(٣). وكذا رواه شعبة عن الحكم، عن ابن عباس مثله سواء^(٤).

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: **﴿إِلَّا اللَّهُ﴾** كل شيء بين الحدّين حدّ الدنيا وحدّ الآخرة، تكفره الصلوات فهو اللمم، وهو دون كل موجب، فأما حدّ الدنيا فكل حدّ فرض الله عقوبته في الدنيا، وأما حدّ الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وآخر عقوبته إلى الآخرة^(٥). وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك^(٦).

وقوله تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾** أي: رحمته وسعت كل شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها كقوله تعالى: **﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** [الزمر].

وقوله تعالى: **﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾** أي: هو بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم، وتقع منكم حين أنشأ أباكم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر، ثم قسمهم فريقين: فريقاً للجنة وفريقاً للسعير. وكذا قوله: **﴿وَإِذْ أَنشَأَ أَجْنَةً فِي بَطْنٍ أُمّهَاتِكُمْ﴾** قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد؟

قال مكحول: كنّا أجنّة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط، وكنا فيمن بقي ثم كنا مرضع فهلّك منا من هلّك، وكنا فيمن بقي ثم صرنا يفعة فهلّك منا من هلّك، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شباباً فهلّك منا من هلّك، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخاً لا أبا لك فماذا بعد هذا ننتظر؟ رواه ابن أبي حاتم عنه.

وقوله: **﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾** أي: تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم **﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾** كما قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾** [النساء].

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا عمرو الناقد، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الليث، عن

(١) أخرجه البغوي عن السدي، وسنده ضعيف لضعف أبي صالح وهو باذام أو باذان مولى أم هاني **﴿عَلَّمَا﴾**.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفيه المثني بن الصباح وقد ضعفه الحافظ ابن كثير.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن حميد عن مهران عن سفيان به، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد المتقدم قبل ثلاث روايات، وفيه جابر الجعفي أيضاً.

(٤) أخرجه الطبري من طريق شعبة به، والحكم هو ابن عُتَيْبَةَ لم يسمع من ابن عباس، وسنده منقطع.

(٥) أخرجه الطبري من طريق العوفي به وسنده ضعيف.

(٦) أخرجه الطبري وفي سنده ابن حميد وهو ضعيف كما تقدم، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

يزيد بن أبي حبيب، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سميت ابنتي برة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم وسميت برة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا: بَمَ نسميها؟ قال: «سموها زينب»^(١).

وقد ثبت أيضاً في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ويلك قطعت عنق صاحبك - مراراً - إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك»^(٢). ثم رواه عن عُندر، عن شعبة، عن خالد الحذاء به^(٣)، وكذا رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذاء به^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا: أخبرنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث قال: جاء رجل إلى عثمان فأنى عليه في وجهه قال: فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب ويقول: أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب^(٥). ورواه مسلم وأبو داود من حديث الثوري [عن منصور]^(٦) به^(٧).

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدُمُ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَزَّرُ وَزْرًا وَزَرًا أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلُ ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذاماً لمن تولى عن طاعة الله: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣٦﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة] ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٨﴾﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلاً ثم قطعه^(٨)، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة وقتادة وغير واحد^(٩).

قال عكرمة وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئراً، فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل فيقولون أكدينا ويتركون العمل.

(١) أخرجه مسلم بسنده ومثته (الصحيح، الأدب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن ح ٢١٤٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٦/٥) وسنده صحيح.

(٣) المسند ٤١/٥ وسنده صحيح.

(٤) صحيح البخاري، الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلاً كفاه (ح ٢٦٦٢) وصحيح مسلم، الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط (ح ٣٠٠٠)، وسنن أبي داود، الأدب، باب في كراهية التمداح (ح ٤٨٠٥)، وسنن ابن ماجه، الأدب، باب المدح (ح ٣٧٤٤).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٥/٦) وسنده صحيح.

(٦) زيادة من (ح) و(حم).

(٧) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ٣٠٠٢)، وسنن أبي داود، الباب السابق (ح ٤٨٠٤).

(٨) أخرجه الطبري بسندين يقوي بعضهما بعضاً ويتقويان بالآثار التالية.

(٩) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن عكرمة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾ (٣٥) أي: أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق وقطع معروفة، أعنده علم الغيب أنه سينفذ ما في يده حتى قد أمسك عن معروفة فهو يرى ذلك عياناً؟ أي: ليس الأمر كذلك. وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلاً وشحاً وهلعاً، ولهذا جاء في الحديث: «أنفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقللاً»^(١). وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [سبا: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْبَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ﴾ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) قال سعيد بن جبير والثوري؛ أي: بلغ جميع ما أمر به^(٢).

وقال ابن عباس: ﴿وَفَّى﴾ الله بالبلاغ.

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَفَّى﴾ ما أمر به^(٣).

وقال قتادة: ﴿وَفَّى﴾ طاعة الله وأدى رسالته إلى خلقه^(٤). وهذا القول هو اختيار ابن جرير، وهو يشمل الذي قبله ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُؤًى بِكَلِمَةٍ فَاثْمَنَّا قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] فقام بجميع الأوامر وترك جميع النواهي وبلغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إماماً يقتدى به في جميع أحواله وأقواله وأفعاله. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧) قال: «أتدري ما وفى؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار» ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير^(٥)، وهو ضعيف.

وقال الترمذي في جامعه: حدثنا أبو جعفر السمناني، حدثنا أبو مسهر، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله ﷺ عن الله ﷻ أنه قال: «ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره»^(٦).

قال ابن أبي حاتم رحمه الله: وحدثنا أبي، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى،

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢١٢.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق أبي حصين عن سعيد بن جبير (المصنف ٧/٤٤٧).

(٣) تقدم كسابقه.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري من طريق إسرائيل عن جعفر بن الزبير به، وجعفر ضعيف كما قرر الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر في التقریب.

(٦) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحى ح ٤٧٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٣٩٥).

حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم لِمَ سَمِيَ اللهُ تعالى إبراهيم خليله الذي وفى؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُسَوِّتُ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (٧) [الروم] حتى ختم الآية^(١).

ورواه ابن جرير عن أبي كريب [عن رشدين بن سعد، عن زبان به]^(٢)^(٣)، ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال: ﴿أَلَا نَزِدُّ وَزْرًا وَزَرًا أَفَرَى﴾ (٣٨) أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها لا يحمله عنها أحد كما قال: ﴿وَلِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِلْهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (٣٩) أي: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه، أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وبات القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما.

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: ومن ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به»^(٤) فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله، كما جاء في الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه»^(٥) والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ الآية [يس: ١٢]. والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضاً من سعيه وعمله.

وثبت في الصحيح: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً»^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَكُمْ سَوْفَ يَرَىٰ﴾ (٤١) أي: يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالْشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥٥) [التوبة] أي: فيخبركم به ويجزيكم عليه أتم الجزاء إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهكذا قال ههنا: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَىٰ﴾ (٤١) أي: الأوفر.

(١) سنده ضعيف لضعف زبان بن فائد. (التقريب ص ٢١٣).

(٢) زيادة من (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض. (٣) سنده ضعيف كسابقه.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفرقان آية ٧٤.

(٥) أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها (السنن، البيهقي، باب في الرجل يأكل من مال ولده ح ٣٥٢٨).

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٠١٣).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة المائدة آية ٢.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ۖ وَأَنْتَ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۖ وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ۖ وَأَنْتَ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۖ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ۖ وَأَنْتَ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۖ وَأَنْتَ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ ۖ وَأَنْتَ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۖ وَنُوحًا فَآ أَبْقَىٰ ۖ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْلَمَ ۖ وَالْمُؤَنَّفَكَ أَهْوَىٰ ۖ فَشَنَنَهَا مَا عَشِنَىٰ ۖ فَبَآئِيَ مَا آلَىٰ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۖ﴾.

يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ۖ﴾ أي: المعاد يوم القيامة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا مسلم بن خالد، عن عبد الرحمن بن سابط، عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود إني رسول رسول الله ﷺ إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الله إلى الجنة أو النار^(١).

وذكر البغوي من رواية أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ۖ﴾ قال: لا فكرة في الرب^(٢).

قال البغوي: وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعاً: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة»^(٣) وكذا أورده وليس بمحفوظ بهذا اللفظ، وإنما الذي في الصحيح «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته».

وفي الحديث الآخر الذي في [السنن]^(٤): «تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله تعالى فإن الله خلق ملكاً ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة»^(٥) أو كما قال.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۖ﴾ أي: خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ۖ﴾ كقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] ﴿وَأَنْتَ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۖ﴾ كقوله: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۖ﴾ [الزكوة: ٣٦] ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُّطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَىٰ ۖ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۖ فَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ﴾ [الأنبياء: ٣٨] أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُجِئَ الْوَلَدَ ۖ﴾ [القيامة: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ۖ﴾ أي: كما خلق البداء هو قادر على الإعادة وهي النشأة الأخرى يوم القيامة ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۖ﴾ أي: ملك عباده المال وجعله لهم قنية مقيماً عندهم لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم، وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين، منهم أبو صالح وابن جرير وغيرهما^(٦).

(١) سنده حسن.

(٢) أخرجه البغوي من طريق العباس بن زفر عن أبي جعفر الرازي به (التفسير ٢٥٥/٤). وسنده ضعيف لأن أبا جعفر سيئ الحفظ، وهذا الحديث لا يدخل في حكم الصحيفة المشهورة عن أبي العالية عن أبي، ولكن يشهد له الأحاديث التالية.

(٣) المصدر السابق.

(٤) زيادة من (حم) و(مح)، وفي الأصل بياض.

(٥) صححه الألباني بلفظ: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ﷻ». (السلسلة الصحيحة ٣٩٥/٤ ح ١٧٨٨).

(٦) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق السدي عن أبي صالح.

وعن مجاهد ﴿أَغْنَى﴾ مؤل ﴿وَأَقْنَى﴾ أخدم^(١)، وكذا قال قتادة^(٢).

وقال ابن عباس ومجاهد أيضاً: ﴿أَغْنَى﴾ أعطى ﴿وَأَقْنَى﴾ رضى^(٣). وقيل: معناه أغنى نفسه وأفقر الخلائق إليه، قاله الحضرمي بن لاحق^(٤)، وقيل: أغنى من شاء من خلقه، وأقنى؛ أي: أفقر من شاء منهم.

قال ابن زيد: حكاهما ابن جرير وهما بعيدان من حيث اللفظ.

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقاتدة وابن زيد وغيرهم: هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له: مِرْزَمُ الجوزاء، كانت طائفة من العرب يعبدونه^(٥).

﴿وَأَنْتَهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وهم قوم هود ويقال لهم: عاد بن إرم بن سام بن نوح كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر] فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله فأهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَارَ صَرْصِرٍ عَاتِيَةٍ﴾ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا [الحاقة] أي: متتابعة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَمُودًا إِذْ أَتَى﴾ أي: دمرهم فلم يبق منهم أحداً ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَى﴾ أي: أشد تمرداً من الذين من بعدهم ﴿وَالنُّؤُفَكَ أَهْوَى﴾ يعني: مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود، ولهذا قال: ﴿فَنَشْنَهَا مَا غَشَى﴾ يعني: من الحجارة التي أرسلها عليهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء].

قال قتادة: كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف إنسان، فانضرم عليهم الوادي شيئاً فشيئاً من نار ونفط وقطران كضم الأتون. ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن محمد بن وهب بن عطية، عن الوليد بن مسلم، عن خلود عنه به^(٦)، وهو غريب جداً.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ أي: ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمترى؟ قاله قتادة^(٧).

(١) أخرجه الطبري من طريق ليث عن مجاهد، وليث هو ابن أبي سليم فيه مقال ويتقوى بما أخرجه الطبري بأسانيد صحاح عن الحسن البصري وقاتدة.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه أبو الشيخ (العظيمة ١٧٦)، والطبري بسند حسن من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «هو الكوكب الذي يدعى الشعري»، ويتقوى بالآثار التي أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «مِرْزَمُ الجوزاء» وبسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٦) سنده ضعيف لضعف خلود وهو ابن دعلج السدوسي البصري، وقد حدث عن قتادة أحاديث منكورة. (تهذيب التهذيب ١٥٨/٣).

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

وقال ابن جريج: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ نَتَارَآءً﴾ (٥٥) يا محمد والأول أولى، وهو اختيار ابن جرير^(١).

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾ (٥٦) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَئِنَّ هَذَا لِلْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾.

﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾ أي: من جنسهم أرسل كما أرسلوا كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ (٥٦) أي: اقتربت القربة وهي القيامة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (٥٨) أي: لا يدفعها إذاً من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه، ثم قال تعالى منكرًا على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم ﴿تَعَجُّبُونَ﴾ من أن يكون صحيحاً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ منه استهزاء وسخرية ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ أي: كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم ﴿وَيَحْزَنُونَ لِلْآذِقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (٦٢) [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ (٦١) قال سفيان الثوري: عن أبيه، عن ابن عباس قال: الغناء هي يمانية أسمد لنا غنّ لنا^(٢)، وكذا قال عكرمة^(٣)، وفي رواية عن ابن عباس ﴿سَمِيدُونَ﴾ معرضون^(٤)، وكذا قال مجاهد وعكرمة، وقال الحسن: غافلون، وهو رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفي رواية عن ابن عباس: تستكبرون^(٥)، وبه يقول السدي، ثم قال تعالى أمراً لعباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسوله ﷺ والتوحيد والإخلاص ﴿فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (٦٢) أي: فاحضعوا له وأخلصوا ووحده.

قال البخاري: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس^(٦). انفرد به دون مسلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا رباح، عن عمر، عن ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد، عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة، عن أبيه قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسي فأبيت أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه^(٧). وقد رواه النسائي في الصلاة عن عبد الملك بن عبد الحميد، عن أحمد بن حنبل به^(٨). [ذكر حديث له مناسبة بما تقدم من قوله

(١) اختاره ولم يذكر سواه.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الثوري عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن عكرمة.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الضحاك عن ابن عباس بلفظ: «شامخين». والضحاك لم يلق ابن عباس.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم] ح ٤٨٦٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده بنحوه (المسند ٢٢٠/٤٥ ح ٢٧٢٤٥) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٨) السنن، سجود القرآن، باب السجود في ﴿وَالنَّجْمِ﴾ [النجم: ١] ١٦٠/٢، وصحح الحافظ ابن حجر رواية النسائي (فتح الباري ٦١٥/٨) وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٩١٨).

تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ۖ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۖ﴾ فَإِنَّ النَّذِيرَ الْحَذَرَ لِمَا يَعَيْنُ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي يَخْشَى وَقَوْعُهُ فِيمَنْ أُنذِرَهُمْ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] وفي الحديث: «أنا النذير العريان»^(١)؛ أي: الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئاً، بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك فجاءهم عرياناً مسرعاً، وهو مناسب لقوله: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۖ﴾ ﴿٥٧﴾ أي: اقتربت القرية يعني يوم القيامة. كما قال في أول السورة التي بعدها: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ﴾ [القمر: ١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثني [أبو حازم] لا أعلم إلا عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، وإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بيطن وإد، فجاء ذا يعود وجاء ذا يعود حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه» وقال أبو حازم: قال رسول الله ﷺ: قال أبو نضرة: لا أعلم إلا عن سهل بن سعد قال: «مثلي ومثل الساعة كهاتين» وفرق بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان» ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة، فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم أتيتم» ثم يقول رسول الله ﷺ: «أنا ذلك»^(٢). وله شواهد من وجوه آخر من صحاح وحسان.

[آخر تفسير سورة النجم]^(٣)، والله الحمد والمنة، وبه الثقة والعصمة ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) أخرجه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. (صحيح البخاري، الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي ح ٦٤٨٢) وصحيح مسلم، الفضائل، باب شقيقته ﷺ على أمته... (ح ٢٢٨٣).
(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٧/٤٦٧ ح ٢٢٨٠٨ و ٢٢٨٠٩) وصححه سنده محققوه.
(٣) زيادة من (ح) و(حم).

سُورَةُ الْقَمَرِ

وهي مكية

قد تقدم في حديث أبي واقد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف، واقتربت الساعة^(١) في الأضحى والفطر^(٢)، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار، لاشتغالهما على ذكر الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد وإثبات النبوات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ ۚ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ۚ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ (٤) حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْتَذَرُ ۚ (٥)﴾

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ آلَهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] وقال: ﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء] وقد وردت الأحاديث بذلك.

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن المثنى وعمرو بن علي قالا: حدثنا خلف بن موسى، حدثني أبي، عن قتادة، عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم، وقد كادت الشمس أن تغرب، فلم يبقَ منها إلا شِفٌّ^(٣) يسير فقال: «والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس إلا يسيراً»^(٤). قلت: هذا حديث مداره على خلف بن موسى بن خلف العمي عن أبيه، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما أخطأ.

حديث آخر يعضد الذي قبله ويفسره.

قال الإمام أحمد: حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا شريك، حدثنا سلمة بن كهيل، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ والشمس على قعيقعان^(٥) بعد العصر فقال: «ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى»^(٦).

(١) تقدم تخريجه في بداية تفسير سورة ق.

(٢) أي: عيد الأضحى وعيد الفطر.

(٣) الشف هو: بقية النهار.

(٤) أعلمه الحافظ ابن كثير بخلف بن موسى، ويتقوى بالشواهد الآتية.

(٥) وهو أحد جبال مكة.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتمته (المسند ١٧٧/١٢ ح ٥٩٦٦) وقال محققوه: صحيح لغيره. اهـ. وحسنه =

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين، حدثنا محمد بن مطرد، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُعِثْتُ أنا والساعة هكذا» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى^(١). وأخرجاه من حديث أبي حازم سلمة بن دينار^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا [محمد بن عبيد]^(٣)، أخبرنا الأعمش، عن أبي خالد، عن وهب السوائي قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقها» وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، حدثني إسماعيل بن عبيد الله قال: قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فسأله: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنتم والساعة كهاتين»^(٥) تفرد به أحمد رحمه الله، وشاهد ذلك أيضاً في الصحيح في أسماء رسول الله ﷺ أنه الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه^(٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز بن أسد، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، عن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان، قال بهز، وقال قبل هذه المرة: خطبنا رسول الله ﷺ، قال: فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء يتصا بها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا منها بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفير جهنم فيهبوي فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعرأ، والله لتملؤنه أفعبجتم؟ والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام»^(٧). وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم^(٨).

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا يعقوب، حدثني ابن عُلَيَّة، أخبرنا عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة، فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال: ألا إن الله يقول: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿١﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضممار وغداً السباق، فقلت لأبي: أيستبق الناس غداً؟ فقال: يا بني إنك لجاهل، إنما هو

= الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١١/٣٥٠).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٥/٣٣٨) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الطلاق، باب اللعان وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ زَوَاجَهُمْ وَلَا يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ...﴾ [النور: ٦] (ح ٥٣٠١) وصحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (ح ٢٩٥٠).

(٣) كذا في المسند، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: «محمد بن عبد».

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣١/٦٠ ح ١٨٧٧٠) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢١/٥٠ ح ١٣٣٣٧) وصححه سند محققوه.

(٦) صحيح البخاري، المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (ح ٣٥٣٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/١٧٤) وسنده صحيح.

(٨) أخرجه مسلم من طريق سليمان بن المغيرة به. (الصحيح، الزهد ح ٢٦٩٧).

السباق بالأعمال، ثم جاءت الجمعة الأخرى، فحضرنا فخطب حذيفة فقال: ألا إن الله ﷻ يقول: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقُّ الْقَمَرُ﴾ ﴿١﴾ ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضممار وغداً السابق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَشَقُّ الْقَمَرُ﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: «خمس قد مضين الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر»^(٢)، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك:

رواية أنس بن مالك:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: سألت أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين فقال: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقُّ الْقَمَرُ﴾ ﴿٣﴾. ورواه مسلم، عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق^(٤).

وقال البخاري: حدثني عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما^(٥). وأخرجاه أيضاً من حديث يونس بن محمد المؤدب، عن شيبان، عن قتادة^(٦)، ورواه مسلم أيضاً من حديث أبي داود الطيالسي ويحيى القطان وغيرهما عن شعبة، عن قتادة به^(٧).

رواية جبير بن مطعم ﷺ:

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين: فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا^(٨) محمد. فقالوا: إن كان سحرنا^(٩) فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم^(١٠). تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه وأسنده البيهقي في

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وسنده حسن لأن ابن عُلَيَّةَ وهو إسماعيل سمع عطاء بن السائب قبل الاختلاط.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِرَأَاكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] (ح ٤٧٦٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنته (المسند ١٦٥/٣) وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر بعد (ح ٢٨٠٢).

(٥) أخرجه البخاري بسنده ومثنته (الصحيح، مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر ح ٣٨٦٨).

(٦) صحيح البخاري، المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية (ح ٣٦٣٧) وصحيح مسلم، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر (ح ٤٦/٢٨٠٢).

(٧) المصدر السابق (ح ٤٧/٢٨٠٢).

(٨) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: «سحره».

(٩) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: «سحره».

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنته (المسند ٣١٤/٢٧، ٣١٥ ح ١٦٧٥٠) وقال محققوه: إسناده ضعيف، =

الدلائل من طريق محمد بن كثير، عن أخيه سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن^(١). وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به^(٢)، ورواه البيهقي أيضاً من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم، كلاهما عن حصين، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده فذكره^(٣).

رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا بكر، عن جعفر، عن عراك بن مالك، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: انشق القمر في زمان النبي ﷺ^(٤). ورواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث بكر بن مضر، عن جعفر بن ربيعة، عن عراك به مثله^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن مثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود بن أبي عبيد، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَفَرَبَّ السَّاعَةِ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعِزٌّ﴾ قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه^(٦)، وروى العوفي، عن ابن عباس نحو هذا^(٧).

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو البزار، حدثنا محمد بن يحيى القطعي، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سحر القمر، فنزلت ﴿أَفَرَبَّ السَّاعَةِ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۖ﴾ إلى قوله: ﴿مُتَسَتِّرٌ﴾^(٨).

رواية عبد الله بن عمر:

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا وهب بن جرير، عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى: ﴿أَفَرَبَّ السَّاعَةِ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۖ﴾ قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، انشق فلقين، فلقه من دون الجبل

= حصين بن عبد الرحمن وهو السلمي لم يسمع هذا الحديث من محمد بن جبير بن مطعم، بينهما جبير بن محمد بن جبير... وهو مجهول.

- (١) دلائل النبوة (٢/٢٦٨) وسنده ضعيف كسابقه.
- (٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف كسابقه.
- (٣) أخرجه البيهقي من طريق حصين عن جبير بن محمد بن جبير به، وسنده ضعيف لجهالة جبير بن محمد كما تقدم قبل روايتين.
- (٤) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا﴾ [القمر] ح ٤٨٦٦).
- (٥) صحيح البخاري، المناقب، باب انشقاق القمر (ح ٣٨٧٠) وصحيح مسلم، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر (ح ٤٨/٢٨٠٣).
- (٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ثابت.
- (٧) أخرجه الطبري بسنده ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما سبق.
- (٨) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١/٢٥٠ ح ١١٦٤٢) ويشهد له قول ابن مسعود التالي عند البيهقي والطبري بعد أربع روايات.

وفلقة من خلف الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اشهد» وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد به، قال مسلم كرواية مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود، وقال الترمذي: حسن صحيح^(١).

رواية عبد الله بن مسعود:

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»^(٢). وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به^(٣)، وأخرجاه من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر عبد الله بن سخرية، عن ابن مسعود به^(٤).

وقال ابن جرير: حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي، حدثنا عمي يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن رجل، عن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمنى، فانشق القمر فأخذت فرقة خلف الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا اشهدوا»^(٥).

قال البخاري: وقال أبو الضحى عن مسروق، عن عبد الله: بمكة^(٦).

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة. قال: فقالوا انظروا ما يأتيك به السفار^(٧)، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال: فجاء السفار فقالوا ذلك^(٨).

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا هشيم، حدثنا مغيرة، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين، فقال كفار قريش أهل مكة: هذا سحر سحرهم به ابن أبي كبشة انظروا السفار، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحرهم به. قال: فسئل السفار، قال: وقدموا من كل جهة فقالوا: رأيناه^(٩)، ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به، وزاد فأنزل الله ﷻ:

(١) أخرجه البيهقي (دلائل النبوة ٢/٢٦٧) وهو حديث صحيح فقد أخرجه مسلم من طريق شعبة به (الصحيح، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر ح ٢٨٠٠/٤٥)، وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة القمر (ح ٣٢٨٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/٣٧٧) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، التفسير، باب «وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا﴾ [القمر] (ح ٤٨٦٥) وصحيح مسلم، الباب السابق (ح ٢٨٠٠/٤٣).

(٤) المصدر السابق صحيح البخاري (ح ٤٨٦٤) وصحيح مسلم (ح ٢٨٠٠/٤٤).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لإبهام الراوي عن عبد الله بن مسعود، ويشهد لآخره سابقه. وأخرجه البخاري من طريق أبي معمر عن ابن مسعود (الصحيح، المناقب، باب انشقاق القمر ح ٣٨٦٩).

(٦) المصدر السابق. (٧) أي: المسافرين.

(٨) أخرجه الطيالسي بسنده ومثله (المسند رقم ٢٩٥) وسنده صحيح.

(٩) أخرجه البيهقي بسنده ومثله (دلائل النبوة ٢/٢٦٦) وسنده صحيح.

﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(١).

ثم قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُليّة، أخبرنا أيوب، عن محمد هو: ابن سيرين قال: نيئت أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول: لقد انشق القمر^(٢).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني محمد بن عمار، حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط، عن سماك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله قال: لقد رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق، ورواه الإمام أحمد عن مؤمل، عن إسرائيل، عن سماك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر^(٣).

وقال ليث، عن مجاهد: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «اشهد يا أبا بكر» فقال المشركون: سحر القمر حتى انشق^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً﴾ أي: دليلاً وحجة وبرهاناً ﴿يَعْرِضُوا﴾ أي: لا ينقادوا له بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: ويقولون هذا الذي شاهدناه من الحجاج سحر سحرنا به ومعنى ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: ذاهب، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما^(٥): أي: باطل مضمحل لا دوام له ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: كذبوا بالحق إذ جاءهم، واتبعوا ما أمرتهم به آرائهم وأهوائهم من جهلهم وسخافة عقولهم.

وقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ قال قتادة: معناه أن الخير واقع بأهل الخير، والشر واقع بأهل الشر^(٦).

وقال ابن جريج: مستقر بأهله^(٧).

وقال مجاهد: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: يوم القيامة^(٨).

وقال السدي: مستقر؛ أي: واقع، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ أي: من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسول وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب مما يتلى عليهم في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب.

وقوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ أي: في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله ﴿فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ﴾ يعني: أي شيء تغني النذر عن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه فمن الذي يهديه

(١) أخرجه الطبري والطيالسي (المسند رقم ٢٩٣) من طريق المغيرة به، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وأخرجه الفاكهي من طريق ابن عُليّة به، وسنده منقطع بين ابن سيرين وابن مسعود، ويتقوى بما سبق من الروايات الكثيرة.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وأخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنته. (المسند ٤١٣/١) وسنده حسن. وصححه محققو المسند (٣٩٢٤ ح ٣٩/٧)، ولعل تصحيحهم بالمتابعات، فكان الأولى أن يقال: صحيح لغيره.

(٤) في سنده ليث وهو ابن أبي سليم وفيه مقال، ومجاهد لم يسمع من أبي بكر، فسنده ضعيف.

(٥) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيَّةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٤٩) [الأنعام] وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكِرٍ﴾ (٦) خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (٨).

يقول تعالى: فتول يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون ويقولون هذا سحر مستمر، أعرض عنهم وانتظرهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكِرٍ﴾ أي: إلى شيء منكر فظيع، وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء بل والزلازل والأهوال، ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ أي: ذليلة أبصارهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ أي: كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق، ولهذا قال: ﴿مُتَهِطِينَ﴾ أي: مسرعين ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ لا يخالفون ولا يتأخرون ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي: يوم شديد الهول عبوس قمطير ﴿فَذَلِكَ يَوْمًا يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ يَسِيرٌ (١٠) [المدثر].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ﴾ (١) فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿٢﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿٣﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فَرَّدَ ﴿٤﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ آلَ الْوُجِ وَدُوسٍ ﴿٥﴾ تَجَرَّى بِاعِينِنَا جَرَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٩).

يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ أي: صرحوا له بالكذب واتهموه بالجنون ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ﴾.

قال مجاهد: ﴿وَازْدَجَرَ﴾ أي: استطير جنونا^(١)، وقيل: وازدجر؛ أي: انتهره وزجره وتواعده ﴿لِّمَن تَنَزَّهَتْ يَنْتَوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] قاله ابن زيد^(٢)، وهذا متوجه حسن.

﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ (١٠) أي: إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فانتصر أنت لدينك^(٣).

قال الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾ (١١) قال السدي: وهو الكثير. ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: نبعت جميع أرجاء الأرض حتى التناير التي هي محال النيران نبعت عيوناً ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أي: من السماء والأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ فَرَّدَ﴾ أي: أمر مقدر. قال ابن جريج، عن ابن عباس ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾ (١٢) كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب، فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم،

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) معناه صحيح.

فالتقى الماءان على أمر قد قدر^(١)، وروى ابن أبي حاتم أن ابن الكواء سأل علياً عن المجرة فقال: هي شرج السماء، ومنها فتحت السماء بماء منهمر^(٢).

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَّدُسْرٍ ۖ﴾.

قال ابن عباس وسعيد بن جبير والقرظي وقتادة وابن زيد: هي المسامير^(٣)، واختاره ابن جرير، قال: وواحداه دسار.

ويقال: دسير كما يقال: حبيك وحباك، والجمع: حبك^(٤).

وقال مجاهد: الدسر أضلاع السفينة^(٥).

وقال عكرمة والحسن: هو صدرها الذي يضرب به الموج^(٦).

وقال الضحاك: طرفاها وأصلها^(٧).

وقال العوفي، عن ابن عباس: هو كلكلها؛ أي: صدرها^(٨).

وقوله: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا ﴿جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفْرًا﴾ أي: جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوح عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ قال قتادة: أبقي الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة^(٩)، والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن، كقوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُونِ﴾ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ [يس] وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَّا طَعَا أَلْمَاءَ حَمَلْنَاهُ فِي الْبَارِيَةِ﴾ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَرِيَّةٌ﴾ [الحاقة] ولهذا قال ههنا: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أي: فهل من يتذكر ويتعظ.

قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن ابن مسعود قال: أقراني رسول الله ﷺ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن مُدْكِرٌ أو مُدْكِرٌ؟ قال: أقراني رسول الله ﷺ: ﴿مُدْكِرٍ﴾]^(١٠)^(١١)، وهكذا رواه البخاري، حدثنا يحيى،

(١) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يلق ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري من طريق أبي الطفيل عن ابن الكواء به (الأدب المفرد ح ٧٦٦) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح ٥٨٩).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند فيه ابن لهيعة عن القرظي ويتقوى بسابقه ولاحقه، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) ذكره بنحوه ولم يذكر والجمع: «حبك».

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن بلفظ: «تدسر الماء بصدرها».

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به بلفظ: «كلكل السفينة». اهـ. أي: صدرها، ويشهد له ما سبق.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٩٥/١) وسنده صحيح.

(١١) ما بين معقوفين زيادة من المسند، ولم أجده في النسخ الخطية.

حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: قرأت على النبي ﷺ «فهل من مذكر»^(١)، وقال النبي ﷺ: «فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ»^(٢).

وروى البخاري أيضاً من حديث شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ «فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ»^(٣).

وقال: حدثنا أبو نعيم، حدثنا زهير، عن أبي إسحاق أنه سمع رجلاً سأل الأسود فهل من مذكر أو مذكر، قال: سمعت عبد الله يقرأ «فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ» وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأها «فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ» دالاً^(٤). وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث أبي إسحاق^(٥).

وقوله تعالى: «فَكَيفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي» ﴿١١﴾ أي: كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي؟ ولم يتعظ بما جاءت به نذري، وكيف انتصرت لهم وأخذت لهم بالثأر؟ «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ» أي: سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس، كما قال: «كُنْتُ أَنْزَلُهُ إِلَيْكَ مُبَرِّكًا لِيَذَّبُوا عَنْ بُيُوتِهِمْ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ» ﴿٢١﴾ [ص] وقال تعالى: «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا» ﴿٢٧﴾ [مريم].

قال مجاهد: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ» يعني: هونا قراءته^(٦).

وقال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: لولا أن الله يسره على لسان آدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله ﷻ^(٧).

قلت: ومن تيسيره تعالى على الناس تلاوة القرآن ما تقدم عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»^(٨) وأوردنا الحديث بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة.

وقوله: «فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ» أي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه؟ وقال محمد بن كعب القرظي: فهل من منزجر عن المعاصي^(٩)؟

(١) كذا في (ح) وصحيح البخاري، وفي الأصل صحفت إلى: «فهل من مذكر».

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب «وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ» ﴿٢٨﴾...) [القمر] ح (٤٨٧٤).

(٣) المصدر السابق (ح ٤٨٧٣).

(٤) المصدر السابق باب «أَنجَاؤُ نَحْلِ مُنْفَعِرٍ...» [القمر: ٢٠] (ح ٤٨٧١).

(٥) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب ما يتعلق بالقراءات (ح ٨٢٣) وسنن أبي داود، الحروف والقراءات (ح ٣٩٩٤)، وسنن الترمذي، القراءات، باب ومن سورة القمر (ح ٢٩٣٧)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ» ﴿٢٧﴾ [القمر] (ح ١١٥٥٥).

(٦) أخرجه آدم والفريابي (تغليق التعليق ٣٧٨/٥)، والطبري كلهم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

(٧) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس ؓ.

(٨) أخرجه البخاري (الصحيح، فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ح ٤٩٩١).

(٩) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن رافع، حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن مطر هو الوراق في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ هل من طالب علم فيعان^(١) عليه؟ وكذا علقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق^(٢)، ورواه ابن جرير، وروى عن قتادة مثله^(٣).

﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذِرٍ﴾ (١٨) ﴿إِنَّا أَوْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (١٩) ﴿تَرْجُ النَّاسَ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ تَخَلٍ مُتَفَعِّرٍ﴾ (٢٠) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذِرٍ﴾ (٢١) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٢٢).

يقول تعالى مخبراً عن عاد قوم هود، إنهم كذبوا رسولهم أيضاً، كما صنع قوم نوح وأنه تعالى أرسل عليهم ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ وهي الباردة الشديدة البرد ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ أي: عليهم، قاله الضحاك وقاتلة والسدي^(٤) ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ عليهم نحسه ودماره لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي. وقوله: ﴿تَرْجُ النَّاسَ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ تَخَلٍ مُتَفَعِّرٍ﴾ (٢٠) وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط على الأرض، فتتلعغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس، ولهذا قال: ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ تَخَلٍ مُتَفَعِّرٍ﴾ (٢٠) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذِرٍ﴾ (٢١) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٢٢).

﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (٢٣) ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَبَعُهُمْ﴾ (٢٤) ﴿إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَشَعْرٍ﴾ (٢٥) ﴿أَمْلَقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ (٢٦) ﴿سَيَعْلَمُونَ عَدَا مَنِ الْكَذَّابُ الْآثِرُ﴾ (٢٧) ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنَّةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ (٢٨) ﴿وَيَنْبِئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ فِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلٌّ شِرْبٌ مُخْضَرٌّ﴾ (٢٩) ﴿فَادَا صَالِحٌ فَطَاعُوا فَفَعَّرَ﴾ (٣٠) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنُذِرٍ﴾ (٣١) ﴿إِنَّا أَوْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْحَنَظِيرِ﴾ (٣٢) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٣٣).

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَبَعُهُمْ﴾ (٢٤) ﴿إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَشَعْرٍ﴾ (٢٥) يقولون: لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كلنا قيادنا لواحد منا. ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم ثم رموه بالكذب فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ (٢٦) أي: متجاوز في حد الكذب، قال الله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَدَا مَنِ الْكَذَّابُ الْآثِرُ﴾ (٢٧) وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنَّةً لَهُمْ﴾ (٢٨) أي: اختباراً لهم، أخرج الله لهم ناقه عظيمة عشراء، من صخرة صماء طبق ما سألوا، لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح ﷺ فيما جاءهم به، ثم قال تعالى آمراً لعبده ورسوله صالح: ﴿فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ (٢٨) أي: انتظر ما يؤول إليه أمرهم، واصبر عليهم فإن العاقبة لك، والنصر في الدنيا والآخرة ﴿وَيَنْبِئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ فِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ (٢٩) أي: يوم لهم ويوم للناقَة كقوله: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ (٣٠) [الشعراء].

(١) أخرجه الفريابي في تفسيره عن ضمرة به (ينظر: تغليق التعليق ٣٧٩/٥) وسنده حسن.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه. وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ مُّخْتَصَرٌ﴾ قال مجاهد: إذا غابت حضروا الماء. وإذا جاءت حضروا اللبن^(١)، ثم قال تعالى: ﴿فَأَدَا صَاحِبُهُمْ فَغَطَّى فَقَرَّ﴾ قال المفسرون: هو عاقر الناقة، واسمه قُدار بن سالف^(٢)، وكان أشقى قومه. لقوله: ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس] ﴿فَغَطَّى﴾ أي: فجسر ﴿فَقَرَّ﴾ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: فعاقبتهم فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْحُمْطِرِ﴾ أي: فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية، وخمدوا وهمدوا كما يهمد ويبس الزرع والنبات، قاله غير واحد من المفسرين، والمحتظر قال السدي هو المرعى بالصحراء حين يبس ويحترق وتسفيه الريح.

وقال ابن زيد: كانت العرب يجعلون حظاراً على الإبل والمواشي من يبس الشوك^(٣)، فهو المراد من قوله: ﴿فَكَانُوا كَهَشِيرِ﴾.

وقال سعيد بن جبير: «هشيم المحتظر» هو التراب المتناثر من الحائط^(٤)، وهذا قول غريب، والأول أقوى، والله أعلم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِرِ﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ﴾ ﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذِرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بِكْرَةٌ عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿وَلَقَدْ يَمْرَأًا﴾ ﴿الَّذِينَ لِلَّذِكْرِ هَلَلٌ مِّنْ مُّذَكِّرٍ﴾.

يقول تعالى مخبراً عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين، ولهذا أهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل ﷺ بحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها وأتبع بحجارة من سجيل منضود، ولهذا قال ههنا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ وهي الحجارة ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ﴾ أي: خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد، حتى ولا امرأته أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالماً لم يمسه سوء، ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه فما التفتوا إلى ذلك ولا أصغوا إليه بل شكوا فيه وتماروا به.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ وذلك ليلة ورد عليه الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل في صور شباب مُرد حسان محنة من الله بهم، فأضافهم لوط ﷺ^(٥)، وبعثت امرأته العجوز السوء إلى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط، فأقبلوا يهرعون إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب،

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) ذكره الطبري.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب، وهو عبد الله، عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٥) ذكر الحافظ ابن كثير قصتهم مفصلة في (قصص الأنبياء ١/ ١٧٥ - ١٧٧).

فجعلوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية ولوط عليه السلام يدافعهم ويمنعهم دون أضيافه ويقول لهم: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ [هود: ٧٨] يعني: نساءهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِيلِينَ﴾ [الحجر: ٧١] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩] أي: ليس لنا فيهن أرب ﴿وَإِنَّكَ لَنَافِعُهُمْ بَنَاتٌ﴾ [هود: ٧٩] فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم، يقال إنها غارت من وجوههم، وقيل: إنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطاً عليه السلام إلى الصباح.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ (٢٨) ﴿أَي: لا محيد لهم عنه ولا انفكاك لهم منه﴾ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ (٣٩) ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْفُرَّانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٤١).

﴿وَلَقَدْ جَاءَ مَالِ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ (٤١) ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقَدِيرٍ﴾ (٤٢) ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ (٤٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ (٤٤) ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ (٤٦).

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وقومه: إنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا، والنذارة إن كفروا، وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة فكذبوا بها كلها، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر؛ أي: فأبادهم الله ولم يبق منهم مخبر ولا عين ولا أثر، ثم قال تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ أي: أيها المشركون من كفار قريش ﴿خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ يعني: من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل وكفرهم بالكتب، أنتم خير من أولئكم؟ ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: أم معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال؟

ثم قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ (٤٤) أي: يعتقدون أنهم يتناصرون بعضهم بعضاً، وأن جميعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء. قال الله تعالى: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) أي: سيتفرق شملهم ويغلبون.

قال البخاري: حدثنا إسحاق، حدثنا خالد، عن خالد، وقال أيضاً: حدثنا محمد، حدثنا عفان بن مسلم، عن وهيب، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر: «أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبداً» فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ (٤٦) (١). وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خالد، وهو ابن مهران الحذاء به (٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا حماد، عن أيوب، عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) قال عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ (٤٦) [القمر] ٤٨٧٧).

(٢) المصدر السابق باب قوله: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) [القمر] (٤٨٧٥)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) (ح) (١١٥٥٧).

يغلب، قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يشب في الدرع وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فعرفت تأويلها يومئذ^(١).

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم، أخبرني يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين فقالت: نزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية اللعب^(٢) ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ۝٤٦﴾ هكذا رواه ههنا مختصراً، ورواه في فضائل القرآن مطولاً، ولم يخرج [مسلم]^(٣).

﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ۝٥١ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الظُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٍّ ۝٥٣ إِنَّ اللَّائِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ۝٥٥﴾.

يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال وسُعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق، ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: كما كانوا في سعر وشك وتردد أورثهم ذلك النار، وكما كانوا ضللاً يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون؟ ويقال لهم تقريباً وتوبيخاً: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بَقَدَرٍ ۝١﴾ [الفرقان] وكقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝٣﴾ [الأعلى] أي: قدر قادراً وهدى الخلائق إليه، ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابتها لها قبل برئها، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدريّة، الذين [نبغوا]^(٤) في أواخر عصر الصحابة، وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلاً وما ورد فيه من الأحاديث في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري رحمه الله، ولنذكر ههنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة.

قال أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان الثوري، عن زياد بن إسماعيل السهمي، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونهم في القدر فنزلت ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾^(٥). وهكذا رواه

(١) يشهد له ما سبق في صحيح البخاري.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ۝٤٦﴾ [القمر] ح ٤٨٧٦).

(٣) كذا في (حم) و(مح)، وفي الأصل لم يذكر لفظ: «مسلم».

(٤) كذا في (ح)، وفي الأصل و(حم): «سعوا».

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢/ ٤٤٤) وسنده صحيح.

مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث وكيع عن سفيان الثوري به^(١).

وقال البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا يونس بن الحارث، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: ما نزلت هذه الآيات ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٤٧) ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ (٤٨) ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) إلا في أهل القدر^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سهل بن صالح الأنطاكي، حدثني قرة بن حبيب، عن كنانة، حدثني جرير بن حازم، عن [سعيد]^(٣) بن عمرو بن جعدة، عن ابن زرارة، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية ﴿ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ (٤٨) ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) قال: «نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله»^(٤).

وحدثنا الحسن بن عرفة: حدثنا مروان بن شجاع الجزري، عن عبد الملك بن جريج، عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو يتزع من زمزم، وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في القدر، فقال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم ﴿ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ (٤٨) ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم، إن رأيت أحداً منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين^(٥).

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر وفيه مرفوع فقال: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن بعض إخوته، عن محمد بن عبيد المكي، عن عبد الله بن عباس قال: قيل له إن رجلاً قدم علينا يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه وهو أعمى، قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبتة في يدي لأدقنها فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأنني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق إلياتهن»^(٦) مشركات، هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده ليستهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيراً، كما أخرجوه من أن يكون قدر شراً»^(٧). ثم رواه أحمد، عن أبي المغيرة، عن الأوزاعي، عن العلاء بن الحجاج، عن محمد بن عبيد فذكر مثله^(٨). لم يخرجوه. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني أبو صخر،

(١) صحيح مسلم، القدر، باب كل شيء بقدر (ح ٢٦٥٦)، وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الطور (ح ٣٢٩٠)، وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب في القدر (ح ٨٣).

(٢) أخرجه البزار (المسند ١١٠/٢ ح ١٥١٢) وسنده ضعيف لضعف يونس بن الحارث (التقريب ص ٦١٣، مجمع الزوائد ١٢٠/٧).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «سعد».

(٤) أخرجه الطبراني من طريق جرير بن حازم به (المعجم الكبير ٢٧٦/٥ ح ٥٣١٦) قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه (مجمع الزوائد ١٢٠/٧).

(٥) في سنده مروان بن شجاع الجزري صدوق له أوهام (التقريب ص ٥٢٦).

(٦) كذا في (ح) و(حم) وفي الأصل غير منقوطة.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١/٣٣٠) وسنده ضعيف لإبهام شيخ الأوزاعي.

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١/٣٣٠) وسنده ضعيف لضعف العلاء بن الحجاج، وقد ضعفه الأزدي كما نقل الحافظ ابن حجر (تعجيل المنفعة ص ٣٢٣).

عن نافع قال: كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكتبه. فكتب إليه عبد الله بن عمر: أنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فأياك أن تكتب إليّ، فأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر». ورواه أبو داود، عن أحمد بن حنبل به^(١).

وقال أحمد: حدثنا أنس بن عياض: حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»^(٢). لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه.

وقال أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا رشدين عن أبي صخر حميد بن زياد، عن نافع، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة مسخ ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزندقية»^(٣)^(٤). ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي صخر حميد بن زياد به، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن الطباع، أخبرني مالك، عن زياد بن سعد، عن عمرو بن مسلم، عن طاوس اليماني قال: سمعت ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»^(٦). ورواه مسلم منفرداً به من حديث مالك^(٧).

وفي الحديث الصحيح: «استعن بالله ولا تعجز فإن أصابك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(٨).

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك جفت الأقلام وطويت الصحف»^(٩).

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا الليث، عن معاوية، عن أيوب بن زياد،

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٩٠/٢) وأخرجه أبو داود عن الإمام أحمد به (السنن، السنة، باب في القدر ح ٤٧١٠) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٨٦/٢) وسنده ضعيف لأن عمر بن عبد الله مولى غفرة لم يسمع من صحابي كما في جامع التحصيل ص ٢٩٦.

(٣) الزندقية: نسبة إلى الزندقة وهي اسم المذهب الزنديق قيل: وهو المبطن للكفر المظهر للإسلام أو من لا دين له أو الذي يعبد الأصنام قاله السندي في حاشية (المسند ١٠٩/١٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٠٨/١٠ ح ٥٨٦٧) وقال محققوه: إسناده ضعيف لضعف رشدين بن سعد، وهذا الحديث مما أنكر على أبي صخر حميد بن زياد.

(٥) سنن الترمذي، القدر (ح ٢١٥٤)، وسنن ابن ماجه، الفتن، باب الخسوف (ح ٤٠٦١) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٢٨٢).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٠٢/٢) وسنده صحيح.

(٧) صحيح مسلم، القدر، باب كل شيء بقدر (ح ٢٦٥٥).

(٨) صحيح مسلم، القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز (ح ٢٦٦٤).

(٩) تقدم تخريجه وتحسينه.

حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني إنك لم تطعم الإيمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» يا بني إن متَّ ولست على ذلك دخلت النار^(١).

ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى البلخي، عن أبي داود الطيالسي، عن عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه به وقال: حسن صحيح غريب^(٢).

وقال سفيان الثوري، عن منصور، عن ربعي بن خراش، عن رجل، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره» وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شميل، عن شعبة، عن منصور به، ورواه من حديث أبي داود الطيالسي، عن شعبة، عن منصور، عن ربعي، عن علي فذكره وقال: هذا عندي أصح^(٣)، وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك، عن منصور، عن ربعي، عن علي به^(٤).

وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» زاد ابن وهب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٥) [هود: ٧]، ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(٥٠) وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه، كما أخبرنا بنفوذ قدره فيهم فقال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ أي: إنما نأمر بالشيء مرة واحدة لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلاً موجوداً كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له: كُنْ قولةً فيكون

- (١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٧٨/٣٧ ح ٢٢٧٠٥) وصححه سننه محققوه.
- (٢) سنن الترمذي، القدر، (ح ٢١٥٦)، وأخرجه أبو داود (السنن ح ٤٧٠٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٩٣٣).
- (٣) أخرجه الترمذي من طريق أبي داود الطيالسي به (السنن، القدر، باب رقم ١٠ ح ٢١٤٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ١٧٤٤).
- (٤) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في القدر (ح ٨١). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٦٦).
- (٥) صحيح مسلم، القدر، باب حجاج آدم وموسى ﷺ (ح ٢٦٥٣).
- (٦) سنن الترمذي، القدر، باب ١٨ (ح ٢١٥٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني: أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسول ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أي: فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب، كما قال تعالى: ﴿وَجِلَّ يَنْتَهَمُ وَيَنْ مَا يَشْتَهَوْنَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٢﴾ أي: مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة ﷺ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أي: من أعمالهم ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ أي: مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن مسلم بن [بانك] ^(١) سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير، حدثني عوف بن الحارث وهو ابن أخي عائشة لأُمها، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً» ^(٢). ورواه النسائي وابن ماجه من طريق سعيد بن مسلم بن بانك المدني ^(٣)، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وغيرهم. وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر. ثم قال سعيد: فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي: ويحك يا سعيد بن مسلم! لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنباً فاستصغره فأثاه آت في منامه فقال له: يا سليمان.

لا تحقرن من الذنوب صغيراً	إن الصغير غداً يعود كبيراً
إن الصغير ولو تقادم عهده	عند الإله مُسْطَراً تسطيراً
فازجر هواك على البطالة	لا تكن صعب القياد وشمراً تشميراً
إن المحب إذا أحب إليه	طار الفؤاد وألهم التفكير
فاسأل هدايتك الإله بنية	فكفى بربك هادياً ونصيراً ^(٤)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّائِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ٥٣﴾ أي: بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر والسحب في النار على وجوههم، مع التويخ والتقريع والتهديد.

وقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: في دار كرامة الله ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ﴾ أي: عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها. وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» ^(٥). انفرد بإخراجه مسلم والنسائي من حديث

(١) كذا في (ح) و(حم) والتقريب، وفي الأصل صحف إلى: «ماهك».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٩٦/٤٢ ح ٢٥١٧٧) وحسن سنده محققوه.

(٣) سنن ابن ماجه، الزهد، باب ذكر الذنوب (ح ٤٢٤٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٤٢١).

(٤) أخرجه ابن عساكر من طريق سعيد بن مسلم به. (تاريخ دمشق ٧/ ٣٥٣).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٦٠/٢) وسنده صحيح.

سفيان بن عيينة بإسناده مثله^(١).

آخر تفسير سورة اقتربت، والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم.

(١) صحيح مسلم، الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل (ح ١٨٢٧)، والسنن الكبرى للنسائي، القضاء، باب فضل الحاكم العادل (ح ٥٩١٦).

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن عاصم، عن زرّ أن رجلاً قال [لابن مسعود]^(١) كيف تعرف هذا الحرف من ماء غير آسن أو أسن؟ فقال: كل القرآن قد قرأت. قال: إني لأقرأ المفصل في ركعة واحدة، فقال: أهذا كهذا الشعر لا أبالك؟ قد علمت. قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن قرينتين من أول المفصل، وكان أول مفصل ابن مسعود ﴿الرَّحْمَنُ﴾^(٢).

وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد الرحمن بن واقد وأبو مسلم السعدي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَيَأْتِيْءُ آءَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٣) قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد». ثم قال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، ثم حكى عن الإمام أحمد أنه كان لا يعرفه، ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا^(٤)، ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن مالك، عن الوليد بن مسلم، وعن عبد الله بن أحمد بن شويه، عن هشام بن عمار، كلاهما عن الوليد بن مسلم به ثم قال: لا نعرفه يروى إلا من هذا الوجه. وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري قالوا: حدثنا يحيى بن سليم، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال: «ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «ما أتيت على قول الله تعالى: ﴿فَيَأْتِيْءُ آءَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٥) إلا قالت الجن: لا بشيء من نعم ربنا نكذب» ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به، ثم قال: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد^(٦).

(١) زيادة من المسند لم أجدها في النسخ الخطية.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤١٢/١) وسنده حسن.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومثله وتعليقه (السنن، التفسير، باب ومن سورة الرحمن ح ٢٢٩١) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٢٤)، وأخرجه الحاكم من طريق الوليد بن مسلم به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٧٣/٢).

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله في تفسير الآية ١٣ من هذه السورة الكريمة وأخرجه البزار كما في كشف الأستار رقم ٢٢٦٩ ويشهد له سابقه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ﴾ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ⑤ بِحُسْبَانٍ ⑥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ⑦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩ فِيهَا فَنَكْهَةٌ وَالْأَنْحُلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ⑪ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ⑫ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ⑬ .

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن، ويسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ . قال الحسن: يعني النطق.

وقال الضحاك وقتادة وغيرهما: يعني الخير والشر^(١)، وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها.

وقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ⑤ أي: يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ⑥ [يس] وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ آتِلُ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ⑦ [الأنعام].

وعن عكرمة أنه قال: لو جعل الله نور جميع أبصار الإنس والجن والدواب والطيور في عيني عبد، ثم كشف حجاباً واحداً من سبعين حجاباً دون الشمس، لما استطاع أن ينظر إليها. ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، ونور العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الستر. فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر إلى وجه ربه الكريم عياناً، رواه ابن أبي حاتم^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ⑦ قال ابن جرير: اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق^(٣)، فروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: النجم ما انبسط على وجه الأرض^(٤)؛ يعني: من النبات، وكذا قال سعيد بن جبيرة والسدي وسفيان الثوري^(٥)، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله تعالى.

وقال مجاهد: النجم الذي في السماء^(٦). وكذا قال الحسن وقتادة^(٧)، وهذا القول هو الأظهر

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي العوام عن قتادة.

(٢) سنده ضعيف لإرساله وغبائه. (٣) ذكره الطبري بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق شريك عن السدي.

(٦) أخرجه الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن =

والله أعلم لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية [الحج: ١٨].

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (٧) يعني: العدل كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] وهكذا قال ههنا: ﴿أَلَّا تَقِفُوا فِي الْمِيزَانِ﴾ (٨) أي: خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل. ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الزُّنْزُقَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (٩) أي: لا تبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط كما قال تعالى: ﴿وَرِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْبَاءِ﴾ (١٠) أي: كما رفع السماء وضع الأرض ومهدا وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات، لتستقر لما على وجهها من الأنعام وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألستهم في سائر أقطارها وأرجائها. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: الأنعام الخلق^(١).

﴿فِيهَا فَكْهَةٌ﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم والروائح ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أفردته بالذكر لشرفه ونفعه رطباً ويابساً، والأكام.

قال ابن جريج، عن ابن عباس: هي أوعية الطلع^(٢). وهكذا قال غير واحد من المفسرين^(٣)، وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود، فيكون بساً ثم رطباً ثم ينضج ويتناهى نفعه واستواؤه.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن عمرو بن علي الصيرفي، حدثنا أبو قتيبة، حدثنا يونس بن الحارث، عن الشعبي قال: كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب: أخبرك أن رسلي أتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير، تخرج مثل أذان الحمير ثم تشقق مثل اللؤلؤ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر، ثم تينع فتتضج فتكون كأطيب فالودج أكل، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر، فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة، فكتب إليه عمر بن الخطاب: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم، إن رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا، وهي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُفْتَرِينَ (٦) ﴿[آل عمران: ٤٤].

= معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٢) سنده ضعيف لابن جريج لم يلق ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٤) سنده ضعيف لعدم ذكر شيخ ابن أبي حاتم، وضعف يونس بن الحارث الطائفي. (التقريب ص ٦١٣).

وقيل: الأكمام: رفاتها وهو اللِّيف الذي على عتق النخلة، وهو قول الحسن وقتادة^(١).
﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ يعني: التبن^(٢).

وقال العوفي، عن ابن عباس: العصف ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه، فهو يسمى العصف إذا ييس^(٣)، وكذا قال قتادة والضحاك وأبو مالك: عصفه: تبته^(٤).
وقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: والريحان يعني الورق^(٥).
وقال الحسن: هو ريحانكم هذا^(٦).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: والريحان خَصَرَ الزرع^(٧)، ومعنى هذا - والله أعلم - أن الحب كالقمع والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف، وهو ما على السنبلة، وريحان وهو الورق الملفف على ساقها.

وقيل: العصف الورق أول ما ينبت الزرع بقلأً، والريحان الورق يعني إذا أدجن وانعقد فيه الحب، كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة:

[وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رابيا]^(٨)
ويخرج منه حبه في رؤوسه ففي ذاك آيات لمن كان واعيا^(٩)؟
وقوله: ﴿فَيَأْتِي ٱلْآلَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي الآلاء يا معشر الثقلين من الإنس والجن تكذبان؟ قاله مجاهد وغير واحد^(١٠)، ويدل عليه السياق بعده؛ أي: النعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به: اللّهُمَّ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد^(١١). وكان ابن عباس يقول لا بأياها يا رب؛ أي: لا نكذب بشيء منها^(١٢).

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يستمعون^(١٣): ﴿فَيَأْتِي ٱلْآلَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي، ويتقوى بسابقه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به. (٨) زيادة من (ح) و(حم).

(٩) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/٢٢٨).

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(١١) تقدم تخريجه وتحسينه في بداية تفسير السورة.

(١٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(١٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٤/٥١٧ ح ٢٦٩٥٥) وضعف سنده محققوه.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۖ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ۖ﴾ ١٥ ﴿فَإِنِّي ۖ آءَاءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ۚ رَبُّ الشَّرْقَيْنِ وَرَبُّ الْغَرْبَيْنِ ۚ﴾ ١٦ ﴿فَإِنِّي ۖ آءَاءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ۚ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۚ﴾ ١٧ ﴿يَنْتَهَمَا بَرْزُخٌ لَا يُفِيكِيَانِ ۚ﴾ ٢٠ ﴿فَإِنِّي ۖ آءَاءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ۚ﴾ ٢١ ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۚ﴾ ٢٢ ﴿فَإِنِّي ۖ آءَاءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ۚ﴾ ٢٣ ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۚ﴾ ٢٤ ﴿فَإِنِّي ۖ آءَاءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ۚ﴾ ٢٥

يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار، وهو طرف لهما، قاله الضحاك عن ابن عباس^(١)، وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد^(٢).

وقال العوفي، عن ابن عباس: من مارج من نار من لهب النار من أحسنها^(٣).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: من مارج من نار من خالص النار^(٤)، وكذلك قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»^(٦). ورواه مسلم، عن محمد بن رافع وعبد بن حميد، كلاهما عن عبد الرزاق به^(٧).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي ۖ آءَاءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ۚ﴾؟ تقدم تفسيره.

﴿رَبُّ الشَّرْقَيْنِ وَرَبُّ الْغَرْبَيْنِ ۚ﴾ يعني: مشرقى الصيف والشتاء ومغربى الصيف والشتاء، وقال في الآية الأخرى: ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ﴾ [المعارج: ٤٠] وذلك باختلاف مطالع الشمس وتقلها في كل يوم وبروزها منه إلى الناس.

وقال في الآية الأخرى: ﴿رَبُّ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۚ﴾ [المزمل] وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب، ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والإنس قال: ﴿فَإِنِّي ۖ آءَاءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ۚ﴾؟

وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۚ﴾ قال ابن عباس: أي: أرسلهما^(٨).

وقوله: ﴿يَلْتَقِيَانِ ۚ﴾ قال ابن زيد: أي: منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما^(٩)، والمراد بقوله البحرين: الملح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس، وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾

(١) أخرجه الطبري من طريق الضحاك به، وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة، وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. (٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك، فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٥٣/٦) وسنده صحيح.

(٧) صحيح مسلم، الزهد، باب في أحاديث متفرقة (ح ٢٩٩٦).

(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مَلَحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ [الفرقان] وقد اختار ابن جرير ههنا أن المراد بالبحرين: بحر السماء وبحر الأرض، وهو مروي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن أبيزى^(١)، قال ابن جرير: لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض^(٢)، وهذا وإن كان هكذا لكن ليس المراد بذلك ما ذهب إليه، فإنه لا يساعده اللفظ فإنه تعالى قد قال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ ﴿٥٤﴾ أي: وجعل بينهما برزخاً، وهو الحاجز من الأرض لئلا يبغى هذا على هذا، وهذا على هذا، فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه، وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخاً وحجراً محجوراً.

وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ﴿٥٥﴾ أي: من مجموعهما، فإذا وجد ذلك من أحدهما كفى كما قال تعالى: ﴿يَمَعَشَرُ الْيَمِينُ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] والرسول إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن وقد صَحَّ هذا الإطلاق. واللؤلؤ معروف، وأما المرجان فقيل هو صغار اللؤلؤ، قاله مجاهد وقتادة وأبو رزين والضحاك وروى عن علي^(٣).

وقيل: كباره وجيده^(٤)، حكاه ابن جرير، عن بعض السلف ورواه ابن أبي حاتم، عن الربيع بن أنس، وحكاه السدي عَمَّنْ حدثه عن ابن عباس^(٥)، وروى مثله عن علي ومجاهد أيضاً [ومرة]^(٦) الهمداني^(٧).

وقيل: هو نوع من الجواهر أحمر اللون.

قال السدي، عن أبي مالك، عن مسروق، عن عبد الله قال: المرجان الخرز الأحمر.

قال السدي: وهو الكسد بالفارسية، وأما قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَلَكُّوْنٍ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢] فاللحم من كل من الأجاج والعذب والحلية إنما هي من المالح دون العذب.

قال ابن عباس: ما سقطت قط قطرة من السماء في البحر فوقعت في صدفة إلا صار منها اللؤلؤ^(٨)، وكذا قال عكرمة، وزاد: فإذا لم تقع في صدفة نبتت بها عنبرة^(٩)، وروى من غير وجه عن ابن عباس نحوه^(١٠).

(١) أخرجه الطبري عن مجاهد وابن أبيزى وفي سندهما ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

(٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق موسى بن أبي عائشة عن مرة بلفظ: «المرجان جيد اللؤلؤ».

(٥) سنده ضعيف لجهالة شيخ السدي.

(٦) زيادة من (حم) و(ح)، وفي الأصل: «بياض».

(٧) تقدم قبل الرواية السابقة.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٩) أخرجه الطبري بسند فيه محمد بن سليمان الكوفي صدوق يخطئ (التقريب ص ٤٨٠).

(١٠) أخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً بنحو رواية ابن عباس المتقدمة.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهاها فما وقع فيها؛ يعني: من قطر فهو اللؤلؤ^(١). إسناده صحيح.

ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض، امتنَّ بها عليهم فقال: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ يعني: السفن التي تجري ﴿فِي الْبَحْرِ﴾. قال مجاهد: ما رفع قلعه من السفن فهي منشآت وما لم يرفع قلعه فليس بمنشآت^(٢). وقال قتادة: ﴿الْمُنشَآتُ﴾ يعني: المخلوقات^(٣). وقال غيره، المنشآت - بكسر الشين^(٤) - يعني: البادئات^(٥).

﴿كَأَلَّكُمُ﴾ أي: كالجبال في كبرها وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم، مما فيه صلاح الناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع، ولهذا قال: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا [العيزار بن سويد، عن عميرة بن سعد]^(٦) قال: كنت مع علي بن أبي طالب عليه السلام على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط علي يديه ثم قال: يقول الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ والذي أنشأها تجري في بحوره ما قتلت عثمان ولا ملأت على قتله^(٧).

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الربَّ تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحي الذي لا يموت أبداً.

قال قتادة: أنبأ بما خلق ثم أنبأ أن ذلك كله فانٍ.

وفي الدعاء المأثور: يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، لا إله

(١) تقدم تخريجه عن الطبري في الروايتين السابقتين، وصححه سننه الحافظ ابن كثير هنا.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) وهي قراءة متواترة.

(٥) أي: الظاهرات السير اللاتي يُقبلن ويدبرن. كذا ذكره الطبري.

(٦) كذا في (ج) وفي الأصل صحف إلى: «العرار بن سويد عن عمرة بن سويد» والتصويب من ترجمة عميرة بن سعد.

(٧) في سننه عميرة بن سعد وهو الهمداني: مقبول. (التقريب ص ٤٣٢).

إلا أنت برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك.

وقال الشعبي: إذا قرأت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ فلا تسكت حتى تقرأ ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١) وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية بأنه ذو الجلال والإكرام؛ أي: هو أهل أن يُجلَّ فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْفُتْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] وكقوله إخباراً عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

قال ابن عباس: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو العظمة والكبرياء^(٢).

ولما أخبر تعالى عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة، وأنهم سيصيرون إلى دار الآخرة فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال: ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٣) وهذا إخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق إليه في جميع الآتات وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم وأنه كل يوم هو في شأن.

قال الأعمش، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال من شأنه أن يجيب داعياً أو يعطي سائلاً، أو يفك عانياً أو يشفي سقيماً^(٤).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كل يوم هو يجيب داعياً ويكشف كرباً ويجيب مضطراً ويغفر ذنباً^(٥). وقال قتادة: لا يستغني عنه أهل السموات والأرض يحيى حياً ويميت ميتاً، ويربي صغيراً ويفك أسيراً وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان الحمصي، حدثنا جرير بن عثمان، عن سويد بن جبلة هو: الفزاري قال: إن ربكم كل يوم هو في شأن فيعتق رقاباً، ويعطي رغاباً، ويقحم عقاباً^(٦).

وقال ابن جرير: حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي، حدثني إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي، حدثني عمرو بن بكر السكسكي، حدثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني، عن أبيه، عن مُنيب بن عبد الله بن مُنيب الأزدي، عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقلنا: يا رسول الله وما ذاك الشأن؟ قال: «أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً،

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري في آخر سورة الرحمن بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد به، وأخرجه أيضاً من طريق الأعمش به ويتقوى بسابقه.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٦) يشهد له ما سبق عن مجاهد وقاتدة.

ويرفع قوماً ويضع آخرين»^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار وسليمان بن أحمد الواسطي قالا: حدثنا الوزير بن صبيح الثقفي أبو روح الدمشقي والسياق لهشام قال: سمعت يونس بن ميسرة بن حليس، يحدث عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قال: من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين»^(٢).

وقد رواه ابن عساكر من طرق متعددة، عن هشام بن عمار به، ثم ساقه من حديث أبي همام الوليد بن شجاع، عن الوزير بن صبيح قال: «ودلنا عليه الوليد بن مسلم، عن مطرف، عن الشعبي، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ فذكره قال: والصحيح الأول^(٣)؛ يعني: إسناده الأول».

قلت: وقد روي موقوفاً كما علقه البخاري بصيغة الجزم فجعله من كلام أبي الدرداء^(٤)، فالله أعلم. وقال البزار: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن الحارث، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: كل يوم هو في شأن قال: «يغفر ذنباً، ويكشف كرباً»^(٥).

ثم قال ابن جرير: وحدثنا أبو كريب، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفناه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت، ويعزّز ويذلّ ويفعل ما يشاء^(٦).

﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ (٣١) فَإِنِّي ءِلَآءُ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمَعَشَرُ الْيَمِينَ وَالْأَيْسَى إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَإِنِّي ءِلَآءُ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئُ مِّن نَّارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْصَرِحْنَ ﴿٣٥﴾ فَإِنِّي ءِلَآءُ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٦﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ (٣١) قال:

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثنه، وسنده ضعيف جداً لأن عمرو بن بكر السكسكي متروك (التقريب ص ٤١٩) ولعله يتقوى بالرواية التالية.

(٢) أخرجه ابن ماجه من طريق هشام بن عمار به (السنن، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ح ٢٠٢) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٦٧).

(٣) ينظر: تاريخ دمشق ١٧/ ٧٧١، وأخرجه ابن مردويه في تفسيره من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء، وضعفه الحافظ ابن حجر. (تغليق التعليق ٣٣٢/٤) قال الحافظ ابن حجر: وللمرفوع شاهد آخر عن ابن عمر أخرجه البزار (فتح الباري ٨/ ٦٢٣).

(٤) ذكره البخاري تعليقاً ووصله البخاري في تأريخه والبيهقي في شعب الإيمان. (تغليق التعليق ٣٣٢/٤).

(٥) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح ٢٢٦٨)، وسنده ضعيف لضعف البيلماني، وقد جعله الحافظ ابن حجر شاهداً للمرفوع كما تقدم، ويتقوى بما سبق.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثنه، وسنده ضعيف لأن أبا حمزة الثمالي هو ثابت بن أبي صفية وهو ضعيف رافضي (التقريب ص ١٣٢).

وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ^(١)، وكذا قال الضحاك: هذا وعيد^(٢).
وقال قتادة: قد دنا من الله فراغ لخلقه^(٣).

وقال ابن جريج: ﴿سَفَرُكُمْ لَكُمْ﴾ أي: سنقضي لكم.

وقال البخاري: سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء، وهو معروف في كلام العرب، يقال: لأتفرغن لك وما به شغل، يقول: لأخذنك على غرتك^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ الثَّقَلَانِ﴾ الثقلان: الإنس والجن كما جاء في الصحيح: «ويسمعها كل شيء إلا الثقلين»^(٥) وفي رواية «إلا الإنس والجن».

وفي حديث [الصور «الثقلان: الإنس والجن»]^(٦) [٧] ﴿قِيَّامُ آيَاتِكُمْ تَكْذِبَانِ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿يَنْفَعُ الْبَشَرَ الْغَيْنُ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَظَعْتُمْ أَنْ تَفْعُلُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَعُوا لَا تَفْعُلُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي: لا تستطيعون هرباً من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم، لا تقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام الحشر، الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي: إلا بأمر الله ﴿يَقُولُ الْإِنْسُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْآلَافَ﴾ ١١ ﴿لَا وَرَّ ١٢﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ التَّنَفُّرُ ١٣ [القيامة]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْتَغِيهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قُطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ١٧ [يونس: ٢٧] ولهذا قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ ٢٥ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس الشواظ: هو لهب النار^(٨).

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: الشواظ: الدخان.

وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع^(٩).

وقال أبو صالح: الشواظ: هو اللهب الذي فوق النار ودون الدخان.

وقال الضحاك: ﴿شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ سيل من نار.

وقوله تعالى: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ دخان النار^(١٠).

وروي مثله عن أبي صالح وسعيد بن جبير وأبي سنان^(١١).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جوير عن الضحاك ويتقوى بسابقه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٤) ذكره البخاري وقال الحافظ ابن حجر: وهو كلام أبي عبيدة أخرجه ابن المنذر من طريقه (فتح الباري ٨/٦٢٣).

(٥) أخرجه البخاري (الصحيح، الجناز، باب الميت يسمع قرع النعال ح ١٣٣٨).

(٦) تقدم تخريج حديث الصور في تفسير سورة الأنعام آية ٧٣.

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٩) أخرجه الحافظ ابن حجر بسند حسن من طريق منصور عن مجاهد. (تغليق التعليق ٣/٥١٠).

(١٠) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(١١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر، وهو ابن المغيرة، عن سعيد بن جبير.

وقال ابن جرير: والعرب تسمي الدخان: نحاساً، بضم النون وكسرهما، والقراء مجمعة على الضم، ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابغة جعدة:

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاساً^(١)
يعني: دخاناً^(٢) هكذا قال:

وقد روى الطبراني من طريق جوير، عن الضحاك أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال: هو اللهب الذي لا دخان معه، فسأله شاهداً على ذلك من اللغة، فأنشده قول أمية بن أبي الصلت في حسان:

ألا من مبلغ حسان عني مغلغلة تدب إلى عكاظ
أليس أبوك فينا كان قيناً إلى القينات فسلاً في الحفاظ
يمانياً يظل يشب كيراً وينفخ دائباً لهب الشواظ
قال: صدقت، فما النحاس؟ قال: هو الدخان الذي لا لهب له، قال: فهل تعرفه العرب؟
قال: نعم، أما سمعت نابغة بني ذبيان يقول:

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاساً^(٣)
وقال مجاهد: النحاس الصُّفْر يذاب فيصب على رؤوسهم^(٤)، وكذا قال قتادة^(٥).

وقال الضحاك: ونحاس سيل من نحاس، والمعنى على كل قول: لو ذهبت هارين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار، والنحاس المذاب عليكم لترجعوا، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَنْصَرِفْ أَيَّيَّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبُ﴾^(٦).

﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾^(٣٧) فَإَيَّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبُ^(٣٨) ﴿فَيَوْمَذٍ لَا يَنْشَأُ عَنْ ذُلِّهِمْ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾^(٣٩) فَإَيَّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبُ^(٤٠) ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَفْئَامِ﴾^(٤١) فَإَيَّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبُ^(٤٢) ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾^(٤٣) ﴿يَطُوفُونَ فِيهَا بَيْنَ حَمِيمٍ مَآءٍ﴾^(٤٤) فَإَيَّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبُ^(٤٥).

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ يوم القيامة كما دلَّت عليه هذه الآيات مع ما شاكلها من الآيات الواردة في معناها كقوله تعالى: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَذٍ وَاهِيَةٌ﴾^(٤٦) [الحاقة].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالنِّعَمِ وَزُلَّ الْمَلَكُوتُ تَنْزِيلًا﴾^(٤٧) [الفرقان] وقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِربِّهَا وَحُفَّتْ﴾^(٤٨) [الانشقاق] وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ أي: تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء

(١) ديوان النابغة الجعدي ص ٨١.

(٢) ذكره الطبري.

(٣) أخرجه الطبراني من طريق جوير به (المعجم الكبير ٣٠٥/١٠) وسنده ضعيف لضعف جوير.

(٤) أخرجه هناد بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد (الزهد ٢٧١)، وأخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

وصفراء، وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم.
وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الصهباء،
حدثنا نافع أبو غالب الباهلي، حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس يوم
القيامة والسماء تطشُّ عليهم»^(١).

قال الجوهري: الطشُّ: المطر الضعيف.

وقال الضحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَرَدَّةٌ كَالْدِهَانِ﴾ قال: هو الأديم الأحمر^(٢).
وقال أبو كدينة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالْدِهَانِ﴾ كالفرس
الورد^(٣)، وقال العوفي عن ابن عباس: تغير لونها^(٤).
وقال أبو صالح: كالبرذون الورد، ثم كانت بعد كالدهان^(٥).

وحكى البغوي وغيره أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء، وفي الشتاء حمراء، فإذا اشتد
البرد تغير لونها^(٦).

وقال الحسن البصري: تكون ألواناً.

وقال السدي: تكون كلون البغلة الوردية^(٧)، وتكون كالمهل كدردي الزيت.

وقال مجاهد: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ كألوان الدهان^(٨).

وقال عطاء الخراساني: كلون دهن الورد في الصفرة.

وقال قتادة: هي اليوم خضراء ويومئذٍ لونها إلى الحمرة يوم ذي ألوان^(٩).

وقال أبو الجوزاء: في صفاء الدهن.

وقال ابن جريج: تصير السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يصيبها حرُّ جهنم^(١٠).

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ وهذه كقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا
يَظْقُونُ﴾^(٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ^(٣٦) [المرسلات] فهذا في حال وثم في حال يسأل الخلاق عن
جميع أعمالهم، وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٩٧) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٩٨) [الحجر]
ولهذا قال قتادة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ قال: قد كانت مسألة ثم ختم على
أفواه القوم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون^(١١).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢١/٣٢٠ ح ١٣٨١٤) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، ويتقوى بما يليه.

(٣) أخرجه الطبري من طريق أبي كدينة به وسنده ضعيف ويتقوى بسابقه ولاحقه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوى بما سبق.

(٥) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.

(٦) ذكره البغوي دون إسناده إلى أحد (معالم التنزيل ٤/٢٧٢).

(٧) وهو قريب من قول أبي صالح. (٨) ذكره البغوي (المصدر السابق).

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(١٠) ذكره البغوي (المصدر السابق).

(١١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي العوام عن قتادة بنحوه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؛ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا^(١)؟ فهذا قول ثانٍ.

وقال مجاهد في هذه الآية: لا تسأل الملائكة؛ عن المجرمين بل يعرفون بسيماهم^(٢)، وهذا قول ثالث، وكأن هذا بعدما يؤمر بهم إلى النار فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم بل يقادون إليها ويلقون فيها كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سِيمَهُمْ﴾ أي: بعلامات تظهر عليهم.

وقال الحسن وقتادة: يعرفونهم بأسوداد الوجوه وزرقة العيون^(٣).

قلت: وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء.

وقوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أي: يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه في النار كذلك.

وقال الأعمش، عن ابن عباس: يؤخذ بناصرته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب في الثنور^(٤).

وقال الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره^(٥).

وقال السدي: يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه ويفتل ظهره.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يعني: جده، أخبرني عبد الرحمن، حدثني رجل من كندة قال: أتيت عائشة فدخلت عليها وبينها حجاب فقلت: حدثك رسول الله ﷺ أنه يأتي عليه ساعة لا يملك فيها لأحد شفاعة؟ قالت: نعم لقد سألته عن هذا وأنا وهو في شعار واحد قال: "نعم حين يوضع الصراط لا أملك لأحد فيها شفاعة حتى أعلم أين يسلك بي، ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بي - أو قال يوحى - وعند الجسر حين يستحد ويستحضر" فقالت: وما يستحد وما يستحضر؟ قال: "يستحد حتى يكون مثل شفرة السيف، ويستحضر حتى يكون مثل الجمرة، فأما المؤمن فيجوز له لا يضره، وأما المنافق فيتعلق حتى إذا بلغ أوسطه خر من قدميه فيهوي بيديه إلى قدميه"، قالت: فهل رأيت من يسعى حافياً فتأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ قدميه؟ فإنه كذلك يهوي بيده ورأسه إلى قدميه فتضربه الزبانية بخطاف في ناصيته وقدمه، فتقذفه في جهنم فيهوي فيها مقدار خمسين عاماً، قلت: ما ثقل الرجل؟ قالت: «ثقل عشر خلفات سيمان، فيومئذ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام»^(٦). هذا حديث غريب جداً، وفيه ألفاظ منكر رفعها، وفي الإسناد من لم يسم ومثله لا يحتج به، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾^(٧) أي: هذه النار التي كنتم تكذبون

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وهو سند ثابت يتكرر.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم والبيهقي، والأعمش لم يسمع من ابن عباس.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٦) أخرجه عبد الرزاق من طريق رجل من كنده عن عائشة مطولاً (المصنف رقم ١١٣١) وسنده ضعيف لإبهام

الراوي عن عائشة رضي الله عنها، وضعفه الحافظ ابن كثير.

بوجودها، ها هي حاضرة تشاهدونها عياناً، يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً.
 وقوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ (٤٤) أي: تارة يعذبون في الجحيم وتارة يسقون من الحميم، وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء، وهذه كقوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٦١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٦٢﴾ [غافر].
 وقوله: ﴿ءَانٍ﴾ أي: حار قد بلغ الغاية في الحرارة لا يستطيع من شدة ذلك، قال ابن عباس في قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ (٤٤) أي: قد انتهى عليه واشتد حره، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن والثوري والسدي^(١).

وقال قتادة: قد آن طبخه منذ خلق الله السموات والأرض^(٢).

وقال محمد بن كعب القرظي: يؤخذ العبد فيحرك بناصيته في ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس وهي كالتي يقول الله تعالى: ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (٧٢) والحميم الآن يعني: الحار.

وعن القرظي رواية أخرى ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: حاضر وهو قول ابن زيد أيضاً^(٣)، والحاضر لا ينافي ما روي عن القرظي أولاً أنه الحار كقوله تعالى: ﴿شَقَقْنِي مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ (٥) [الغاشية] أي: حارة شديدة الحر لا تستطيع، وكقوله: ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يعني: استواءه ونضجه فقلوه: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: حميم حار جداً.

ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه، وكان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك قال ممتناً بذلك على بريته: ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٥)؟

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦) ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٧) ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٤٨) ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٩) ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٥٠) ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥١) ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (٥٢) ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥٣).

قال [ابن شوذب]^(٤) وعطاء الخراساني: نزلت هذه الآية ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦) في أبي بكر الصديق^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا محمد بن مصفي، حدثنا بقية، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن عطية بن قيس في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦) نزلت في الذي قال:

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «انتهى حره»، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري ويتقوى بما سبق.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٤) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: ابن شوذبة.

(٥) نسبه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن شوذب وعطاء وكلاهما ضعيف لأن كل واحد منهما معضل.

أحرقوني بالنار لعلّي [أضلّ الله]^(١) قال: تاب يوماً وليلة، بعد أن تكلم بهذا، فقبل الله منه وأدخله الجنة^(٢)، والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره^(٣) يقول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ بين يدي الله ﷻ يوم القيامة ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] ولم يطغ ولا أثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدّى فرائض الله واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان، كما قال البخاري رحمه الله: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ﷻ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»^(٤). وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث عبد العزيز به^(٥)، وقال حماد بن سلمة: عن ثابت، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه قال حماد: لا أعلمه إلا قد رفعه في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾.

وفي قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن] جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين^(٦).

وقال ابن جرير: حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان [المقري]^(٧)، حدثنا ابن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة، عن عطاء بن يسار، أخبرني أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ قرأ يوماً هذه الآية ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ فقالت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ فقالت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ فقالت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «وإن رغم أنف أبي الدرداء»^(٨). ورواه النسائي من حديث محمد بن أبي حرملة به^(٩)، ورواه النسائي أيضاً عن مؤمل بن هشام، عن إسماعيل، عن الجريري، عن موسى، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبي الدرداء به^(١٠)، وقد روي موقوفاً على أبي الدرداء، وروي عنه أنه قال: إن من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق^(١١). وهذه الآية عامة في

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: «أصل إلى الله».

(٢) وسنده ضعيف لإرساله وعنينة بقية، وهو من المدلسين الذين لا تقبل روايتهم إلا إذا صرحوا بالسماع.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه فأدوا فرائضه، الجنة».

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن] ح ٤٨٧٨).

(٥) صحيح مسلم، الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم (ح ٢٩٦).

(٦) أخرجه الطبري والبيهقي (البعث والنشور رقم ٢٤٢).

(٧) كذا في (حم) و(وح)، وفي الأصل بياض، وفي تفسير الطبري: المصري.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه الإمام أحمد من طريق إسماعيل عن محمد بن أبي حرملة به (المسند ٣١١/١٤، ٣١٢ ح ٨٦٨٣) وصح سنده محققه.

(٩) السنن الكبرى، التفسير، باب سورة الرحمن (ح ١١٥٦٠) وسنده كسابقه.

(١٠) المصدر السابق (ح ١١٥٦١).

(١١) أخرجه ابن المبارك (الزهد رقم ٩٢٤)، والطبري كلاهما من طريق معتمر عن أبيه عن سيار عن أبي الدرداء. ويشهد له سابقه المرفوع.

الإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا، ولهذا امتنَّ الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال: ﴿وَلَمَن حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فَإِنَّهُ أَلَاءَ رَبِّكَ يُكْرِمُكَ ۖ﴾ ثم نعت هاتين الجنةين فقال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أي: أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة ﴿فَإِنَّهُ أَلَاءَ رَبِّكَ يُكْرِمُكَ ۖ﴾؟ هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة أن الأفنان أغصان الشجر يمس بعضها بعضاً^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا مسلم بن قتيبة، حدثنا عبد الله بن النعمان، سمعت عكرمة يقول: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ يقول: ظل الأغصان على الحيطان، ألم تسمع قول الشاعر^(٢):

ما هاج شوقك من هديل حمامة تدعو على فنن الغصون حماما
تدعو أبا فرخين صادف طاوياً ذا مخلبين من الصقور قطاما^(٣)
وحكى البغوي عن مجاهد وعكرمة والضحاك والكلبي، أنه [الغصن المستقيم طوالاً]^{(٤)(٥)}.

قال: وحدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبد السلام بن حرب، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ ذواتا ألوان^(٦). قال: وروي عن سعيد بن جبير والحسن والسدي [وخصيف]^(٧) والنضر بن عربي وابن سنان مثل ذلك^(٨)، ومعنى هذا القول أن فيهما فنوناً من الملاذ، واختاره ابن جرير.

وقال عطاء: كل غصن يجمع فنوناً من الفاكهة^(٩).

وقال الربيع بن أنس: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [واسعتا الفنان وكل هذه الأقوال صحيحة ولا منافاة بينها، والله أعلم.

وقال قتادة: ذواتا أفنان^(١٠) يعني بسعتها وفضلها ومزيتها على ما سواها^(١١).

وقال محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدره المنتهى، فقال: «يسير في ظل الفن منها الراكب مائة سنة - أو قال: يستظل في ظل الفن منها مائة راكب - فيها فراش الذهب كأن ثمرها

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق رجل من أهل البصرة عن مجاهد.

(٢) هو ثابت بن كعب، وقد استشهد به الطبري والأصبهاني (الأغاني ٢٦٢/١٤).

(٣) أخرجه الطبري من طريق عبد الله بن النعمان به، وعبد الله بن النعمان مقبول. (التقريب ص ٣٢٦).

(٤) كذا في (حم) وفي (ح): الغصن المنيف طوالاً، وفي الأصل بياض.

(٥) ذكرهم البغوي دون إسناد (معالم التنزيل ٢٧٤/٤).

(٦) أخرجه الطبري من طريق عبد السلام بن حرب به. وسنده حسن.

(٧) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.

(٨) أخرجه الطبري من قول مجاهد وأبي سنان وفي سندهما ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وأخرجه الطبري عن الضحاك بسند فيه إبهام شيخ الطبري.

(٩) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٢٧٤/٤).

(١٠) زيادة من (حم) و(ح).

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

[القلال] ^(١). ورواه الترمذي من حديث يونس بن بكير به ^(٢).

﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَحْرَبَانِ﴾ ^(٥٠) أي: تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتشمر من جميع الألوان ﴿فَيَأْيِ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ^(٥١).

قال الحسن البصري: إحداهما يقال لها: تسنيم، والأخرى: السلسيل.

وقال عطية: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين ^(٤)، ولهذا قال بعد هذا: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَنَكْهَةٍ زَوَّجَانِ﴾ ^(٥٢) أي: من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَيَأْيِ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ^(٥٣).

قال إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل.

وقال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء؛ يعني: أن بين ذلك بوناً عظيماً، وفرقاً بيناً في التفاضل ^(٥).

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ﴾ ^(٥٤) ﴿فَيَأْيِ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ^(٥٥) فِيهَا قَصِيرَتُ الظَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِسْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿فَيَأْيِ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ^(٥٦) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿فَيَأْيِ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ^(٥٧) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿فَيَأْيِ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ^(٥٨).

يقول تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ يعني: أهل الجنة، والمراد بالاتكاء ههنا الاضطجاع ويقال: الجلوس على صفة التربع ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو ما غلظ من الديباج، قاله عكرمة والضحاك وقتادة ^(٦).

وقال أبو عمران الجوني: هو الديباج المزين بالذهب، فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة، فهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى.

قال أبو إسحاق: عن هبيرة بن يريم، عن عبد الله بن مسعود قال: هذه البطائن، فكيف لو رأيتهم الظواهر ^(٧)؟

(١) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل بياض.

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي كريب عن يونس بن بكير به (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة ح ٢٥٤١) وسنده ضعيف لعننة ابن إسحاق، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٤٥٨).

(٣) ورد قبل هذا سطران مكرران مقحمان تقدما قبل صفحتين وهو قول حماد بن سلمة: لا أعلمه إلا قد رفعه في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن] إلى قوله: وجنتان من ورق لأصحاب اليمين. اهـ. ولا يستقيم ذكره هنا.

(٤) ذكر قول الحسن وعطية الإمام البغوي دون سند (معالم التنزيل ٢٧٤/٤).

(٥) سنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الحكم (التقريب ص ٨٨) وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة عن أبي عباس.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عكرمة.

(٧) أخرجه الطبري من طريق سفيان عن أبي إسحاق به وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق سفيان به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٧٥/٢).

وقال مالك بن دينار: بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور^(١).

وقال سفيان الثوري أو شريك: بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد^(٢).

وقال القاسم بن [مخيمرة]^(٣): بطائنها من إستبرق وظواهرها من الرحمة^(٤).

وقال ابن شاذب، عن أبي عبد الله الشامي: ذكر الله الباطن ولم يذكر الظاهر، وعلى الظواهر المحابس ولا يعلم ما تحت المحابس إلا الله تعالى، ذكر ذلك كله الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله.

﴿وَحَيَّ الْحَيَّيْنِ دَانٍ﴾ أي: ثمرهما قريب إليهم متى شاءوا تناولوه على أي صفة كانوا، كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة] وقال: ﴿وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ [٤] ﴿[الإنسان] أي: لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط إليه من أغصانها﴾ ﴿فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٥]؟ ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك ﴿فِيهِ﴾ أي: في الفرش ﴿قَصِيرَتِ الظَّرْفِ﴾ أي: غصبيضات عن غير أزواجهن فلا يرين شيئاً في الجنة أحسن من أزواجهن، قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخراساني وابن زيد^(٥).

وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلهما: والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك. ولا في الجنة شيئاً أحب إلي منك، فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك.

﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ أي: بل هن أبكار عُرب أتراب لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن، وهذه أيضاً من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة.

وقال أرتاة بن المنذر: سئل ضمرة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة؟ قال: نعم وينكحون، للجن جنيات وللإنس إنسيات، وذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ [٥١] ﴿فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [٦]. ثم قال ينعتن للخطاب: ﴿كَأَنَّهنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [٥٨].

قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم: في صفاء الياقوت وبياض المرجان^(٧)، فجعلوا المرجان ههنا اللؤلؤ.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا عبيدة بن حميد، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون الأودي، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير [حتى يرى مَخْهَا]»^(٨)، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿كَأَنَّهنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [٥٨] فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه

(١) في آخره غرابة وهو مرسل.

(٢) كسابقه.

(٣) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل بياض. (٤) كسابقه وهو مرسل أيضاً.

(٥) أخرجه محمد بن يوسف الفريابي بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد (ينظر تغليق التعليق ٤/ ٣٣٤)، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد.

(٦) أخرجه الطبري من طريق شريح بن يزياد الحضرمي عن أرتاة بن المنذر به، وسنده ضعيف لإرساله.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن، وبسند صحيح من طريق معمر عن قتادة وبسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) كذا في سنن الترمذي والمسند، وفي الأصل بياض، وفي (حم) و(مع): «ومخها».

سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه^(١)، وهكذا رواه الترمذي من حديث عبدة بن حميد وأبي الأحوص عن عطاء بن السائب به، ورواه موقوفاً ثم قال: وهو أصح^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا يونس، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الثياب»^(٣). تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه.

وقد روى مسلم حديث إسماعيل بن عُلَيَّة، عن أيوب، عن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا، الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أولم يقل أبو القاسم ﷺ: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»^(٤). وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث همام بن منبه وأبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحة، عن حميد، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده - يعني: سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لمألت ما بينهما ريحاً ولطاب ما بينهما، ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»^(٦). ورواه البخاري من حديث أبي إسحاق، عن حميد، عن أنس بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ أي: لا لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَثَوْنٌ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقال البغوي: حدثنا أبو سعيد الشريحي، حدثنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن شيبه، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام، حدثنا الحجاج بن يوسف المكتب، حدثنا بشر بن الحسين، عن الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ وقال: «هل تدرون ما قال ربكم؟»^(٧) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة»^(٨).

(١) في سنده عبدة بن حميد وهو صدوق ربما أخطأ (التقريب ص ٣٧٩) ولعله هو الذي رفعه لأن الترمذي أخرجه من طريق آخر موقوفاً وقال هذا أصح كما يلي.

(٢) أخرجه الترمذي من طريق عبدة بن حميد به مرفوعاً وأخرجه من طريق قتيبة عن جرير عن عطاء بن السائب به موقوفاً وقال: وهذا أصح. (السنن، صفة الجنة، باب صفة نساء أهل الجنة ح ٢٥٣٣ و ٢٥٣٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٤/ ٢٢٠ ح ٨٥٤٢) وصححه سنده محققوه.

(٤) صحيح مسلم، صفة الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة قمر ليلة البدر (ح ٢٨٣٤/ ١٤).

(٥) المصدر السابق (ح ٢٨٣٤/ ١٥) وصحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (ح ٣٣٢٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣/ ١٤١) وسنده صحيح.

(٧) صحيح البخاري، الجهاد، باب الحور العين وصفتهن (ح ٢٧٩٦).

(٨) أخرجه البغوي بسنده ومثله (معالم التنزيل ٤/ ٢٧٦) وسنده ضعيف جداً لأن بشر بن الحسين وهو الأصبهاني صاحب الزبير بن عدي، وكان يكذب على الزبير. (لسان الميزان ٢/ ٢١).

ولما كان في الذي ذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله: ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١١)؟ ومما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤١) [الرحمن] ما رواه الترمذي والبخاري من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم، عن أبي عقيل الثقفي، عن أبي فروة يزيد بن سنان الرهاوي، عن بكير بن فيروز، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» ثم قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر (١).

وروى البخاري من حديث علي بن حجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة مولى حبيب بن عبد العزيز، عن عطاء بن يسار، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقصُّ على المنبر وهو يقول: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤١) فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤١) فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤١) فقلت الثالثة: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «وإن رغم أنف أبي الدرداء» (٢).

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٢٧) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢٨) ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ (٢٩) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٠) ﴿فِيهِمَا عَيْنَتَانِ نُضَاجَتَانِ﴾ (٣١) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٢) ﴿فِيهِمَا فُكْكُهُمْ وَفُجْرُكُمْ﴾ (٣٣) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٤) ﴿فِيهِمَا خَيْرٌ حَسَنٌ﴾ (٣٥) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٦) ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْبُيُوتِ﴾ (٣٧) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٨) ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ قُلُوبُهُنَّ﴾ (٣٩) ﴿إِنَّ قُلُوبَهُنَّ لَآ جَأَّ﴾ (٤٠) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤١) ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرٍ حَسَنٍ﴾ (٤٢) ﴿فَإَيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٣) ﴿بَرَزَكَ أَنْتُمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٤٤).

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن، قال الله تعالى ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٢٧) وقد تقدم في الحديث: جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب اليمين (٣).

وقال أبو موسى: جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من فضة لأصحاب اليمين (٤).

وقال ابن عباس: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٢٧) من دونهما في [الدرج] (٥).

وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل (٦). والدليل على شرف الأوليين على الآخرين وجوه:

(١) أخرجه الترمذي (السنن، صفة القيامة، باب من خاف أدلج ح ٢٤٥٢) وصححه الألباني بطرقه في السلسلة الصحيحة (ح ٢٣٣٥).

(٢) تقدم تخريجه في الآية ٤٦ من هذه السورة الكريمة.

(٣) تقدم تخريجه في الآية ٤٦ من هذه السورة الكريمة.

(٤) تقدم تخريجه من صحيح البخاري في الآية ٤٦ من هذه السورة الكريمة.

(٥) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري وفي الأصل ضُحِفَ إلى: «المدرج». وهذا لفظ الطبري ثم ساقه بسنده إلى ابن عباس بمعناه، وقد أخرجه الطبري والحاكم من طريق عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٦) هذا لفظ الطبري، وقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بلفظ: «هما أدنى من هاتين لأصحاب اليمين».

(أحدها): أنه نعت الأوليين قبل هاتين والتقدم يدل على الاعتناء ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ وهذا ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني وقال هناك ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٤٨) وهي الأغصان أو الفنون في الملاذ، وقال ههنا ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ (٤٩) أبو سوداوان من شدة الري من الماء.

قال ابن عباس في قوله: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ (٤٩): قد اسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء^(١). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن فضيل، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ (٤٩) قال: خضراوان^(٢). وروى عن أبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبي أوفى وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في إحدى الروايات وعطاء وعطية العوفي والحسن البصري، ويحيى بن رافع وسفيان الثوري نحو ذلك^(٣). وقال محمد بن كعب: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ (٤٩) ممثلتان من الخضرة.

وقال قتادة: خضراوان من الري ناعمتان^(٤)، ولا شك في نضارة الأغصان على الأشجار المشتبكة بعضها في بعض.

وقال هناك: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٥٠) وقال ههنا: ﴿فَضَّاحَتَانِ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي فياضتان^(٥)، والجري أقوى من النضخ، وقال الضحاك ﴿فَضَّاحَتَانِ﴾ أي: ممثلتان ولا تنقطعان^(٦). وقال هناك: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (٥١)، وقال ههنا: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾ (٥٢) ولا شك أن الأولى أعم وأكثر في الأفراد والتنوع على فاكهة، وهي نكرة في سياق الإثبات لا تعم، ولهذا فسر قوله: ﴿وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾ من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وغيره^(٧)، وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما.

قال عبد بن حميد: حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا حصين بن عمر، حدثنا مخارق، عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب قال: جاء أناس من [اليهود]^(٨) إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أفي الجنة فاكهة؟ قال: «نعم فيها فاكهة ونخل ورمان» قالوا: أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا؟ قال: «نعم وأضعاف» قالوا: فيقصون الحوائج؟ قال: «لا ولكنهم يعرقون ويرشحون فيذهب الله ما في بطونهم من أذى»^(٩).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا سفيان، عن حماد، عن

- (١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (٢) أخرجه الطبري من طريق ابن فضيل به وسنده حسن ويتقوى بسابقه.
- (٣) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن عبد الله بن الزبير، وأخرجه الطبري بسند حسن عن عطية العوفي، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن بلفظ: «ناعمتان».
- (٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق سعيد بن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه، ويشهد له سابقه.
- (٧) ينظر فتح الباري ٨/٦٢٣.
- (٨) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.
- (٩) أخرجه عبد بن حميد بسنده ومتمنه. (المنتخب رقم ٣٥) وسنده ضعيف جداً لأن حصين بن عمر وهو الأحمسي: متروك. (التقريب ص ١٧٠).

سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: نخل الجنة سعتها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم، ومنها حللهم وكربها ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر، وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد، وليس له عجم^(١).

وحدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد هو: ابن سلمة، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «نظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها كالبعير المقتب»^(٢). ثم قال: «فِيهِ خَيْرٌ حَسَنٌ ﴿٧﴾» قيل: المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة^(٣)، وقيل: خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه، قاله الجمهور، وروي مرفوعاً عن أم سلمة، وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة إن شاء الله تعالى أن الحور العين يغنين: نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام^(٤)، ولهذا قرأ بعضهم «فِيهِ خَيْرٌ» بالتشديد^(٥) «حَسَنٌ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧﴾» ثم قال: «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ ﴿٧﴾» وهناك قال: «فِيهِ قَصِيرَاتُ الظَّرْفِ» [الرحمن: ٥٦] ولا شك أن التي قد قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وإن كان الجميع مخدرات.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا وكيع بن سفيان، عن جابر، عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: إن لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية، لم تكن قبل ذلك لا مرحات ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات، حورٌ عِين كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ^(٦).

وقوله تعالى: «فِي الْخِيَارِ» قال البخاري: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين يطوف عليهم المؤمنون»^(٧) ورواه أيضاً من حديث أبي عمران به وقال: ثلاثون ميلاً^(٨)، وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون^(٩) ميلاً، للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»^(١٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن أبي الربيع، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة،

(١) رجاله ثقات وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق سفيان به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/ ٤٧٦، ٤٧٥).

(٢) سنده ضعيف جداً لأن أبا هارون هو عمارة بن جوين وهو متروك كما في التقريب.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظ: «خيرات في الأخلاق، حسان في الوجوه».

(٤) سياطي تخريجه في تفسير سورة الواقعة آية ٣٧.

(٥) وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٦) سنده ضعيف لضعف جابر وهو ابن يزيد الجعفي.

(٧) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ» [الرحمن] ح ٤٨٧٩).

(٨) أخرجه البخاري (الصحيح، بدء الخلق، صفة الجنة ح ٣٢٤٣).

(٩) الميل ثلاثة آلاف ذراع أو أربعة آلاف ذراع (القاموس المحيط ٥٣/٤).

(١٠) صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة خيام الجنة (ح ٢٨٣٨).

أخبرني خلود العصري، عن أبي الدرداء قال: الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون باباً من در^(١).
وحدثنا أبي: حدثنا عيسى بن أبي فاطمة، حدثنا جرير، عن هشام، عن محمد بن المثنى، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ قال: خيام اللؤلؤ، وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة واحدة أربعة فراسخ في أربعة فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب^(٢).
وقال عبد الله بن وهب: أخبرنا عمرو أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء» ورواه الترمذي من حديث عمرو بن الحارث به^(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئْنَنْ إِشْقَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَاءَ﴾ قد تقدم مثله سواء إلا أنه زاد في وصف الأوائل بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٨﴾ [الرحمن].
وقوله: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَقَرٍ خُضِرَ وَعَبْقَرِيَّ حَسَانٍ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الرفرف: المحابس^(٤)، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم: هي المحابس^(٥).

وقال العلاء بن بدر: الرفرف على السرير كهيئة المحابس المتدلي.
وقال عاصم الجحدري: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَقَرٍ خُضِرَ﴾ يعني: الوسائد^(٦)، وهو قول الحسن البصري في رواية عنه^(٧).
وقال أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَقَرٍ خُضِرَ﴾ قال: الرفرف رياض الجنة^(٨).
وقوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَانٍ﴾ قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي: العبقرى: الزرابي^(٩).
وقال سعيد بن جبير: هي: عتاق الزرابي^(١٠)؛ يعني: جياها.

(١) سنده حسن.

(٢) أخرجه الطبري من طريق فضيل بن عياش عن هشام به، ومحمد بن المثنى لم أقف على ترجمة له. وفي تفسير الطبري ورد باسم محمد دون ذكر والده، وقد يكون هو محمد بن سيرين.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء ما لأهل الجنة من الكرامة ح ٢٥٦٥) وسنده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به، والمحابس: المقاعد.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن بلفظ: «الْبُسْط».

(٨) سنده صحيح وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق هشيم عن أبي بشر به (المصنف ٤٨/٨). وسنده صحيح.

(٩) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير.

وقال مجاهد: العبقرى: الديباج^(١).

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَانٍ﴾ فقال: هي بسط أهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها.

وعن الحسن رواية أنها: المرافق.

وقال زيد بن أسلم: العبقرى أحمر وأصفر وأخضر.

وسئل العلاء بن زيد، عن العبقرى فقال: البسط أسفل من ذلك.

وقال أبو حذرة يعقوب بن مجاهد: العبقرى من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد.

وقال أبو العالية: العبقرى: الطنافس المخملة إلى الرقة ما هي.

وقال [القتبي]^(٢): كل ثوب موشى عند العرب عبقرى.

وقال أبو عبيدة: هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي.

وقال الخليل بن أحمد: كل شيء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب: عبقرى^(٣)،

ومنه قول النبي ﷺ في عمر: «فلم أرَ عبقرىً يفري فريه»^(٤).

وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل الجنتين الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة فإنه قد قال هناك: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظواهرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأخرى وتمايم الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٥)؟ فوصف أهلها بالإحسان، وهو أعلى المراتب والنهايات كما في حديث جبريل لما سأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان، فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأوليين على هاتين الأخريين، ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأوليين.

ثم قال: ﴿بَرَكَاتُكُمْ مِنْ رَبِّكَ ذِي الْمَلَأِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٦) أي: هو أهل أن يُجَلَّ فلا يعصى، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى، وقال ابن عباس: ﴿ذِي الْمَلَأِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذي العظمة والكبرياء^(٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن عمير بن هانى، عن أبي العذراء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أَجَلُّوا اللَّهَ يَغْفِرَ لَكُمْ»^(٨).

وفي الحديث الآخر: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وذو السلطان، وحامل القرآن غير المغالي فيه ولا الجافي عنه»^(٩).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق رباح بن أبي معروف عن مجاهد. (المصنف ٨/٨٥).

(٢) كذا في (ح) و(حم) وتفسير البغوي ولكنه غير منقوط، وفي الأصل صُحِفَ إلى: «القمي».

(٣) ذكر البغوي قول القتبي وأبي عبيدة والخليل. (معالم التنزيل ٤/٢٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (الصحيح)، المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ح ٣٦٣٣ ومسلم (الصحيح)، فضائل الصحابة، باب فضائل عمر ﷺ ح ٢٦٧٦.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله وفي آخره: قال ابن ثوبان يعني أسلموا (المسند ٣٦/٦٣ ح ٢١٧٣٤) وضعف سنده محققوه لجهالة أبي العذراء.

(٧) أخرجه أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ. (السنن، الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم ح ٤٨٤٣) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٥٣).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو يوسف الحربي، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد، حدثنا حميد الطويل، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «الْطُّوَا بيا ذا الجلال والإكرام»^(١). وكذا رواه الترمذي، عن محمود بن غيلان، عن مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة به، ثم قال: غلط المؤمل فيه، وهو غريب وليس بمحفوظ، وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن النبي ﷺ^(٢).

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن يحيى بن حسان المقدسي، عن ربيعة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْطُّوَا بذِي الجلال والإكرام»^(٣). ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك به^(٤).

وقال الجوهري: أَلْظَ فلان بفلان: إذا لزمه، وقول ابن مسعود: أَلْطُّوَا بياذا الجلال والإكرام؛ أي: الزموا، يقال: الإلظاظ: هو الإلحاح.

(قلت): وكلاهما قريب من الآخر، والله أعلم، وهو المداومة واللزوم والإلحاح.

وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة من حديث عبد الله بن الحارث، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم لا يقعد يعني بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول: «اللَّهُم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام»^(٥).

آخر تفسير سورة الرحمن، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٦/٤٤٥ ح ٣٧٣٣) وله شاهد يأتي يتقوى به.

(٢) السنن، الدعوات، باب ٩٩ (ح ٣٥٢٣) ويشهد له ما يلي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٢٩/١٣٨ ح ١٧٥٩٦) وصححه سننه محققوه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ١٥٣٦).

(٤) السنن الكبرى، النعوت، باب ذو الجلال والإكرام (ح ٧٧١٦) وسنده صحيح.

(٥) صحيح مسلم، المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (ح ٥٩١).

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

وهي مكية

قال أبو إسحاق: عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شئت، قال: «شيتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَسَاءَ لُون﴾ [النبأ]، و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير]». رواه الترمذي وقال: حسن غريب^(١). قال الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلى عمرو بن الربيع بن طارق المصري، حدثنا السري بن يحيى الشيباني، عن أبي شجاع، عن أبي ظبية قال: مرض عبد الله مرضه الذي توفي فيه، فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: ألا أمر لك بعتاء؟ قال: لا حاجة لي فيه؟ قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» ثم قال ابن عساكر: كذا قال، والصواب عن شجاع كما رواه عبد الله بن وهب، عن السري. وقال عبد الله بن وهب: أخبرني السري بن يحيى أن شجاعاً حدثه عن أبي ظبية، عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» فكان أبو ظبية لا يدعها، وكذا رواه أبو يعلى عن إسحاق بن إبراهيم، عن محمد بن منيب، عن السري بن يحيى، عن شجاع، عن أبي ظبية، عن ابن مسعود به^(٢).

ثم رواه أبو يعلى عن إسحاق بن أبي إسرائيل، عن محمد بن منيب العدني، عن السري بن يحيى، عن أبي ظبية، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً»^(٣) لم يذكر في مسنده شجاعاً قال: وقد أمرت بناتي أن يقرأنها كل ليلة. وقد رواه ابن عساكر أيضاً من حديث حجاج بن نصير وعثمان بن اليمان، عن السري بن يحيى، عن شجاع، عن أبي فاطمة قال: مرض عبد الله فأتاه عثمان بن عفان يعوده، فذكر الحديث بطوله، قال عثمان بن اليمان: كان أبو فاطمة هذا مولى لعلي بن أبي طالب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا إسرائيل ويحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن سماك بن حرب أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من

(١) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة هود.

(٢) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٣٦/٤٤٤)، الحديث ضعفه ابن الجوزي (العلل المتناهية ١١٢/١ - ١١٣) وابن عراق (تنزيه الشريعة ٣٠١/١) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (ح ٢٨٩).

(٣) أخرجه أبو بكر بن السني عن أبي يعلى به (عمل اليوم والليلة ح ٦٧٤) وسنده ضعيف كسابقه.

صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، وكانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَسَسَتْ الْجِبَالُ سَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبِنًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٩﴾ وَالسَّيْفُونَ السَّيْفُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقيق كونها ووجودها كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الحاقة].

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ أي: ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها كما قال: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٧] وقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿١٢﴾﴾ [المعارج] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُلُّ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْكَ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

ومعنى ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كما قال محمد بن كعب: لا بد أن تكون.

وقال قتادة: ليس فيها مثنوية ولا ارتداد ولا رجعة^(٢).

قال ابن جرير: والكاذبة مصدر كالعاقبة والعافية^(٣).

وقوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ أي: تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعزاء، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء، هكذا قال الحسن وقاتدة وغيرهما^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعني، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، عن أبيه، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ تخفض أقواماً وترفع آخرين^(٥).

وقال عبيد الله العتكي: عن عثمان بن سراقه ابن خالة عمر بن الخطاب ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ قال: الساعة خفضت أعداء الله إلى النار ورفعت أولياء الله إلى الجنة^(٦).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٤/ ٥٠٤ ح ٢٠٩٩٥) وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل سماك بن حرب.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) ذكره الطبري بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) سنده حسن.

(٦) أخرجه الطبري من طريق عبيد الله العتكي به، ويشهد له سابقه ولاحقه.

وقال محمد بن كعب: تخفض رجلاً كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجلاً كانوا في الدنيا مخفوضين.

وقال السدي: خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ ﴿٢﴾ أسمعت القريب والبعيد^(١).

وقال عكرمة: خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى^(٢)، وكذا قال الضحاك وقتادة^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ ﴿١﴾ أي: حركت تحريكاً فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها، ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد في قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ ﴿١﴾ أي: زلزلت زلزلاً^(٤).

وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه^(٥)، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا﴾ ﴿١﴾ [الزلزلة] وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١﴾ [الحج].

وقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ ﴿٥﴾ أي: فتتفتت فتاً، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم^(٦).

وقال ابن زيد: صارت الجبال كما قال الله تعالى^(٧): ﴿كَيْبًا مَهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ ﴿١﴾ قال أبو إسحاق: عن الحارث، عن علي عليه السلام: هباء منبثاً كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء^(٨).

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ ﴿١﴾ الهباء الذي يطير من النار إذا اضطربت يطير منه الشرر فإذا وقع لم يكن شيئاً^(٩).
وقال عكرمة: المنبث الذي قد ذرته الريح وبثته^(١٠).

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما رواه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظه.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف ويتقوى بسابقه ولاحقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخ الطبري، وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) لم أجد من أخرجه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري عن عكرمة بسند ضعيف فيه حفص بن عمر وهو ضعيف، ويتقوى بما سبق.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) أخرجه الثوري والطبري من طريق الحارث، وهو الأعور وهو ضعيف عن علي عليه السلام، ومعناه صحيح.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(١٠) يشهد له ما سبق.

وقال قتادة: ﴿هَبَاءٌ مُّنبْتَأٌ﴾ كيبيس الشجر الذي تذروه الرياح^(١). وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسييرها ونسفها وصيرورتها كالعهن المنفوش. وقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) أي: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شقِّ آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين.

وقال السدي: وهم جمهور أهل الجنة، وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شقِّ آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار - عياداً بالله من صنعهم - وطائفة سابقون بين يديه، وهم أخصُّ وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقلُّ عدداً من أصحاب اليمين، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّيِّئُونَ (١٠) وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية [فاطر: ٣٢]. وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه.

قال سفيان الثوري، عن جابر الجعفي، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) قال: هي التي في سورة الملائكة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ (٢).

وقال ابن جريج، عن ابن عباس: هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة وفي سورة الملائكة^(٣).

وقال يزيد الرقاشي: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) قال: أصنافاً ثلاثة^(٤).

وقال مجاهد: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) يعني: فرقاً ثلاثة.

وقال ميمون بن مهران: أفواجاً ثلاثة.

وقال عبيد الله العتكي، عن عثمان بن سراقه ابن خالة عمر بن الخطاب ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) اثنان في الجنة وواحد في النار^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧) [التكوير] قال:

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) سنده ضعيف لضعف جابر الجعفي ويتقوى بما يليه.

(٣) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يلق ابن عباس ويتقوى بما يليه.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

الضُّرْبَاءُ^(١)، كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ فَأَصْحَبُ الِّيمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الِّيمَنَةِ ۖ وَأَصْحَبُ الشِّعَةِ مَا أَصْحَبُ الشِّعَةِ ۖ وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ۖ﴾ قال: هم الضُّرْبَاءُ^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى، حدثنا البراء الغنوي، حدثنا الحسن، عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿وَأَصْحَبُ الِّيمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الِّيمَنَةِ ۖ﴾ [الواقعة: ٢٧]. ﴿وَأَصْحَبُ الشِّعَةِ مَا أَصْحَبُ الشِّعَةِ ۖ﴾ [الواقعة] فقبض بيده قبضتين فقال: «هذه للجنة ولا أبالي، وهذه للنار ولا أبالي»^(٣).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا حسن: حدثنا ابن لهيعة، حدثنا خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم»^(٤).

وقال محمد بن كعب وأبو حرزة ويعقوب بن مجاهد: ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ۖ﴾ هم الأنبياء ﷺ. وقال السدي: هم أهل عليين.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ۖ﴾ قال: يوشع بن نون، سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله ﷺ. رواه ابن أبي حاتم، عن محمد بن هارون الفلاس، عن عبد الله بن إسماعيل المدائني البزار، عن شعيب بن الضحاك المدائني، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح به^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: وذكر عن محمد بن أبي حماد، حدثنا مهران، عن خارجة، عن قُرَّة، عن ابن سيرين ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ۖ﴾ الذين صلوا إلى القبلتين^(٦). ورواه ابن جرير من حديث خارجة به^(٧).

وقال الحسن وقتادة: ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ۖ﴾ أي: من كل أمة^(٨). وقال الأوزاعي، عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ۖ﴾ أُولَئِكَ

(١) أي: الأمثال والنظراء (لسان العرب ١/٥٤٨).

(٢) سنده ضعيف لضعف الوليد بن أبي ثور. (التقريب ص ٥٨٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه (المسند ٣٥/٣٩٥ ح ٢٢٠٧٧) وضعف سنده محققوه لضعف البراء وعدم سماع الحسن من معاذ ﷺ.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه (المسند ٤٠/٤٤٠ ح ٢٤٣٧٩) وضعف سنده محققوه وأعلوه بآبٍ لهيعة وإنه تفرد به.

(٥) في سنده شعيب بن الضحاك المدائني سكت عنه ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٤/٣٤٨) وكذا الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد ٩/٢٤٢).

(٦) سنده ضعيف لعدم التصريح باسم شيخ ابن أبي حاتم. ومعناه صحيح كما قرر الحافظ.

(٧) أخرجه الطبري عن ابن حميد عن مهران عن خارجة به، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ومعناه صحيح كما قرر الحافظ ابن كثير.

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد عن قتادة، ومعناه صحيح كما قرر الحافظ ابن كثير.

الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ثم قال: أولهم رواحاً إلى المسجد وأولهم خروجاً في سبيل الله^(١)، وهذه الأقوال كلها صحيحة فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢٢] وقال: فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزء من جنس العمل، وكما تدين تدان، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن زكريا الفزاري الرازي، حدثنا خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو قال: قالت الملائكة: يا رب جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون فاجعل لنا الآخرة، فقال: لا أفعل، فراجعوا ثلاثاً فقال: لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له كن فيكون. ثم قرأ عبد الله ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٣﴾﴾^(٢). وقد روى هذا الأثر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الرد على الجهمية ولفظه: فقال الله ﷻ: لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كُنْ، فكان^(٣).

ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مَُّخْلَدُونَ ﴿١٧﴾ يَأْكُلُونَ وَأَبْرَأُونَ ﴿١٨﴾ وَكَأْسٌ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿١٩﴾ لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿٢٠﴾ وَفَكَهْفُهُمْ مِّمَّا يَخْمَرُونَ ﴿٢١﴾ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٢٢﴾ وَخُورٌ عَيْنٍ ﴿٢٣﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ﴿٢٤﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٧﴾.

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلثة؛ أي: جماعة من الأولين وقليل من الآخرين، وقد اختلفوا في المراد بقوله الأولين والآخرين فقل: المراد بالأولين الأمم الماضية وبالآخرين هذه الأمة، وهذا رواية عن مجاهد والحسن البصري^(٤)، رواها عنهما ابن أبي حاتم: وهو اختيار ابن جرير واستأنس بقوله ﷻ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»^(٥) ولم يحك غيره ولا عزاه إلى أحد، ومما يستأنس به لهذا القول ما رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع، حدثنا شريك، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ شق ذلك على

(١) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) سنده ضعيف جداً لأن خارجة بن مصعب متروك. وكذبه ابن معين (التقريب ص ١٨٦).

(٣) عزاه ابن كثير إلى عثمان بن سعيد الدارمي مرفوعاً (البداية والنهاية ٥٥/١) وأخرجه ابن الجوزي من حديث عبد الله بن عمر. وقال: لا يصح (العلل المتناهية ٤٨/١).

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وذلك في تفسير الآية ٣٩ من هذه السورة الكريمة، وكذا أخرجه الطبري عن الحسن وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٢٤.

أصحاب النبي ﷺ فنزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) [الواقعة] فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثاني»^(١). ورواه الإمام أحمد، عن أسود بن عامر، عن شريك، عن محمد بياع الملاء، عن أبيه، عن أبي هريرة... فذكره^(٢).

وقد روي من حديث جابر نحو هذا، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمار، حدثنا عبد ربه بن صالح، عن عروة بن رويم، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ: لما نزلت ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١٨) [الواقعة] ذكر فيها ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) قال عمر: يا رسول الله ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) [القيامة] فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) [القيامة] ألا وإن من آدم إلي ثلة وأمتي ثلة، ولن نستكمل ثلثنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل ممن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»^(٤) هكذا أورده في ترجمة عروة بن رويم إسناداً ومتناً، ولكن في إسناده نظر، وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»^(٥) الحديث بتمامه وهو مفرد في صفة الجنة، والله الحمد والمنة.

وهذا الذي اختاره ابن جرير ههنا فيه نظر بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فبيد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة، والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم والله أعلم.

فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) أي: من صدر هذه الأمة ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) أي: من هذه الأمة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عفان، حدثنا عبد الله بن بكر المزني، سمعت الحسن أتى على هذه الآية ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فقال: أما السابقون فقد مَضَوْا ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين^(٦).

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد، حدثنا السري بن يحيى قال: قرأ الحسن ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ قال ثلة ممن مضى من هذه الأمة^(٧). وحدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقري، حدثنا أبو هلال، عن محمد بن سيرين أنه قال في هذه الآية ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٢) و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٣) قال: كانوا يقولون أو

(١) سنده ضعيف لجهالة والد محمد بن عبد الرحمن وهو عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة. وشريك هو ابن عبد الله النخعي صدوق سيء الحفظ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٨/١٥ ح ٩٠٨٠) وقال محققوه: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف.

(٣) زيادة من (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.

(٤) تاريخ دمشق ١١/١ ل ٢٧٩، وسنده ضعيف لانقطاعه بين عروة بن رويم وجابر لأنه لم يسمع منه.

(٥) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج (ح ٣٣٤٨).

(٦) سنده حسن.

(٧) سنده حسن.

يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة^(١)، فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة، ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم كل أمة بحسبها، ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» الحديث بتمامه^(٢).

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا زياد أبو عمر، عن الحسن، عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره»^(٣) فهذا الحديث، بعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم وكذلك الزرع هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول واحتياج الزرع إليه أكد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض ولا تعلق أساسه فيها ولهذا قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة» وفي لفظ «حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك»^(٤) والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها، ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ، أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وفي لفظ «مع كل ألف سبعون ألفاً» وفي آخر: «مع كل واحد سبعون ألفاً»^(٥).

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا هشام بن يزيد الطبراني، حدثنا محمد هو ابن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضمضم يعني ابن زرة، عن شريح هو ابن عبيد، عن أبي مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض، تقول الملائكة لما جاء مع محمد ﷺ أكثر مما جاء مع الأنبياء ﷺ»^(٦).

وحسن أن يذكر ههنا عند قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة حيث قال: أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي، حدثني أبو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبيد الله بن مسرح الحراني، حدثنا سليمان بن عطاء القرشي الحراني، عن مسلمة بن عبد الله الجهني، عن عمه أبي مشجعة بن ربعي، عن أبي زمل الجهني ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح يقول وهو ثان رجله: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله إن الله كان

(١) سنده حسن، وأبو هلال هو محمد بن سليم الراسي البصري.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفرقان آية ٣٨.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٧٤/٣١ ح ١٨٨٨١) وقال محققوه: حديث قوي بطرقه وشواهده وحسنه الحافظ ابن حجر بطرقه (فتح الباري ٦/٧).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٢٩.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران آية ١١٠.

(٦) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٢٩٧/٣) وسنده ضعيف لانقطاعه فإن محمد بن إسماعيل بن عياش لم يسمع من أبيه كما في التقريب.

توباً» سبعين مرة ثم يقول: «سبعين بسبعمائة لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة» ثم يقول ذلك مرتين ثم يستقبل الناس بوجهه.

وكان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا ثم يقول: «هل رأى أحد منكم شيئاً؟» قال أبو زمل: فقلت: أنا يا رسول الله، فقال: «خير تلقاه، وشر توقاه، وخير لنا، وشر على أعدائنا الحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك» فقلت: رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لاحب^(١) والناس على الجادة منطلقين، فبينما هم كذلك إذ أشفى^(٢) ذلك الطريق على مرج لم تر عيني مثله، يرف رفيفاً يقطر ماؤه فيه من أنواع الكلاء، قال: وكأني بالرعدة^(٣) الأولى حين أشفوا على المرج كبّروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق، فلم يظلموه^(٤) يميناً ولا شمالاً، قال فكأني أنظر إليهم منطلقين، ثم جاءت الرعدة الثانية، وهم أكثر منهم أضعافاً فلما أشفوا على المرج كبّروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق، فمنهم المرتع^(٥)، ومنهم الآخذ الضغث^(٦)، ومضوا على ذلك، قال: ثم قدم عظم الناس، فلما أشفوا على المرج كبّروا وقالوا: هذا خير المنزل، كأني أنظر إليهم يميلون يميناً وشمالاً، فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتى أتى أقصى المرج، فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت في أعلاها درجة، وإذا عن يمينك رجل آدم شتل^(٧) أقنى^(٨) إذا هو تكلم يسمو، فيقرع^(٩) الرجال طولاً، وإذا عن يسارك رجل ربعة باد كثير خيلان^(١٠) الوجه، كأنما حمم^(١١) شعره بالماء، إذا هو تكلم أصغيتم إكراماً له، وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقاً ووجهاً كلکم تأمونه تريدونه، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف^(١٢)، وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعها.

قال: فامتقع لون رسول الله ﷺ ساعة ثم سُري عنه، وقال رسول الله ﷺ: «أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب، فذاك ما حملتكم عليه من الهدى وأنتم عليه، وأما المرج الذي رأيت فالدنيا وغضارة عيشها، مضيت أنا وأصحابي لم نتعلق منها بشيء ولم تتعلق منا ولم نردها ولم تردنا، ثم جاءت الرعدة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافاً، فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ونجوا على ذلك، ثم جاء عَظُمُ الناس فمالوا في المرج يميناً وشمالاً فإنا لله وإنا إليه راجعون. وأما أنت فمضيت على طريقة صالحة، فلن تزال عليها حتى تلقاني، وأما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة، أنا في آخرها ألفاً، وأما الرجل الذي رأيت على يميني الآدم الشتل فذلك موسى ﷺ، إذا تكلم يعلو الرجال بفضل كلام الله إياه، والذي رأيت عن يساري الباز الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما حمم شعره بالماء، فذلك عيسى ابن مريم نكرمه لإكرام الله إياه، وأما الشيخ الذي رأيت أشبه الناس بي خلقاً ووجهاً

(١) أي: الطريق الواسع الذي لا ينقطع.

(٢) أي: أشرف عليه.

(٣) أي: القطعة من الفرسان.

(٤) أي: فلم يعدلوا منه.

(٥) أي الذي يدع ركابه ترتع من العشب.

(٦) أي الذي ينال حزمة من الحشيش، والمراد: نال من الدنيا شيئاً.

(٧) أي: غليظ الأصابع.

(٨) أي: الرجل ذو ارتفاع في أعلى أنفه.

(٩) أي: يعلوهم.

(١٠) أي: كثير الشامات في الوجه.

(١١) أي: سود.

(١٢) أي: ناقة مُسنة.

فذاك أبونا إبراهيم كلنا نؤمه ونقتدي به، وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أبعثها فهي الساعة علينا تقوم لا نبي بعدي ولا أمة بعد أمتي» قال: فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيء الرجل فيحدثه بها متبرعاً^(١).

وقوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ قال ابن عباس: أي مرمولة بالذهب^(٢)؛ يعني: منسوجة به، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقتادة والضحاك وغيره^(٣). وقال السدي: مرمولة بالذهب واللؤلؤ.

وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت^(٤).

وقال ابن جرير: ومنه يسمى وضين الناقة الذي تحت بطنها^(٥)، وهو فعيل بمعنى مفعول لأنه مضفور، وكذلك السر في الجنة مضفورة بالذهب واللالئ.

وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَنِّلِينَ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: مخلدون على صفة واحدة لا يتكبرون عنها ولا يشيرون ولا يتغيرون ﴿يَأْكُوبُ وَأُيَاقُ وَيُكَلِّسُ مِنْ مَعِينِ﴾ أما الأكواب فهي: الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان، والأباريق التي جمعت الوصفين والكؤوس الهنابات، والجميع من خمر من عين جارية معين، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ أي: لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة.

وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول^(٦)، فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهاها عن هذه الخصال. وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطية وقتادة والسدي ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا﴾ يقول ليس لهم فيها صداع رأس^(٧)، وقالوا في قوله: ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ أي: لا تذهب بعقولهم^(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَفَكَهَةٍ مِمَّا يَتَخَبَّرُونَ﴾ وَلَحِيٍّ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ﴾ أي: ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار، وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها، ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذي رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله في مسنده، حدثنا

(١) أخرجه البيهقي (الدلائل ٣٦/٧، ٣٧) وسنده ضعيف جداً لأن سليمان بن عطاء القرشي يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربيعي أحاديث موضوعة وقد ذكر ابن حبان هذا الحديث مثلاً لها. (ينظر المجروحين ١/٣٢٥).

(٢) أخرجه هناد (الزهد رقم ٧٧) والطبري بسند صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٥) ذكره الطبري بنحوه. (٦) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبه بسند صحيح من طريق حصين عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

العباس بن الوليد الترسي، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي [سوية]^(١)، حدثنا عبيد الله بن عكراش، عن أبيه عكراش بن ذؤيب قال: بعثني بنو مرة في صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ، فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين المهاجرين والأنصار، وقدمت عليه بلبل كأنها عروق الأرطى^(٢) قال: «من الرجل؟» قلت: عكراش بن ذؤيب، قال: «ارفع في النسب» فانتسبت له إلى مُرَّة بن عُبَيد، وهذه صدقة مُرَّة بن عبيد، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «هذه إبل قومي هذه صدقات قومي» ثم أمر بها أن توسم بميسم إبل الصدقة وتضم: إليها، ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أم سلمة فقال: «هل من طعام؟» فأتينا بجفنة كالقصعة كثيرة الثريد والودر^(٣)، فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدي اليمنى فقال: يا عكراش، كل من موضع واحد فإنه طعام واحد. ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب شك عبيد الله رطباً كان أو تمرأ، فجعلت أكل من بين يدي وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق وقال: يا عكراش، كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد. ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح بلبل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثاً ثم قال: «يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار»^(٤).

وهكذا رواه الترمذي مطولاً وابن ماجه جميعاً عن محمد بن بشار، عن أبي الهذيل العلاء بن الفضل به، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديثه^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز بن أسد وعفان، وقال الحافظ أبو يعلى، حدثنا شيبان، قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت قال: قال أنس كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه، فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله رأيت كأنني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة انتحبت لها الجنة، فنظرت فإذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسمت اثني عشر رجلاً، كان النبي ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك فجاء بهم عليهم ثياب طلس تشخب^(٦) أوداجهم^(٧)، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البیدخ أو البیدخ^(٨)، قال: فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصفحة من ذهب فيها بسر، فأكلوا من بسرهم ما شاءوا فما يقبلونها من وجهه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم فأتى البشير من تلك السرية، فقال ما كان من رؤيا كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلاً، فدعا رسول الله ﷺ المرأة، فقال قصي رؤياك،

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «معاوية».

(٢) شجر عروقه حمر طوال ذاهبة في ثرى الرمال الممطرة في الشتاء، شبه بها الإبل في اكتنازها وحمرة ألوانها.

(٣) أي: قطع من اللحم.

(٤) أخرجه ابن حبان من طريق العلاء بن الفضل بن عبد الملك به، وأعله بالعلاء. (المجروحين ١٨٣/٢).

(٥) سنن الترمذي، الأطعمة، باب ما جاء في التسمية في الطعام (ح ١٨٤٩)، وسنن ابن ماجه، الأطعمة، باب الأكل ما يليك (ح ٣٢٧٤). وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

(٦) أي: تسيل.

(٧) أي: عروق الأخادع التي يقطعها الذابح.

(٨) أي: الممتلىء.

فقصبتها، وجعلت تقول: فجيء بفلان وفلان كما قال^(١). هذا لفظ أبي يعلى، قال الحافظ الضياء: وهذا على شرط مسلم^(٢).

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا علي بن المديني، حدثنا ريحان بن سعيد، عن عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل إذا نزع ثمرة في الجنة عادت مكانها أخرى»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَحْرِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾^(٤) قال الإمام أحمد: حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، حدثنا ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طير الجنة كأمثال البُخت يرعى في شجر الجنة» فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هذه لطير ناعمة، فقال: «أكلها أنعم منها - قالها ثلاثاً - وإنني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها»^(٥). انفرد به أحمد من هذا الوجه.

وروى الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه «صفة الجنة» من حديث إسماعيل بن علي الخطمي، عن أحمد بن علي الخيوطي، عن عبد الجبار بن عاصم، عن عبد الله بن زياد، عن زرعة، عن نافع، عن ابن عمر قال: ذكرت عند النبي ﷺ طوبى فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «طوبى شجرة في الجنة ما يعلم طولها إلا الله يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفاً ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال البخت» فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هناك لطيراً ناعماً؟ قال: «أنعم منه من يأكله وأنت منهم إن شاء الله تعالى»^(٥).

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَحْرِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾^(٦): وذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله إني أرى طيرها ناعمة كأهلها ناعمون، قال: «من يأكلها والله يا أبا بكر أنعم منها وإنها لأمثال البخت، وإنني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر»^(٦).

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني مجاهد بن موسى، حدثنا معن بن عيسى، حدثني ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سئل عن الكوثر فقال: «نهر أعطانيه ربي ﷻ في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها يعني كأعناق

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٤٤/٦، ٤٥ ح ٣٢٨٩) وصححه محققه، وأخرجه ابن حبان من طريق أبي يعلى به (موارد الزمآن ح ١٨٠٣)؛ وأخرجه الإمام أحمد بسنده المذكور بنحوه. (المسند ٣٧٨/١٩ - ٣٨٠ ح ١٢٣٨٥) وصححه سند محققه.

(٢) المختارة (ح ١٧١٦).

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ١٠٢/٢ ح ١٤٤٩) وسنده حسن، وذكره الهيثمي وقال: رواه الطبراني والبخاري، ورجال الطبراني وأحد إسناده البزار ثقات. (مجمع الزوائد ٤١٧/١٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٤/٢١ ح ١٣٣١١) وقال محققه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف سيار بن حاتم، وجوّد إسناد هذا الحديث المنذري في «الترغيب والترهيب ٥٢٦/٤» وصححه العراقي في تخريجه على الإحياء ٤/٥٤٠هـ.

وأخرجه الضياء المقدسي من طريق سيار به (المختارة ١٣/٥ ح ١٦١٤).

(٥) يشهد له سابقه.

(٦) سنده منقطع لأن قتادة لم يسمع من أبي بكر ﷺ، ويتقوى بالشواهد السابقة الثلاثة.

الجزر» فقال عمر: إنها لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «أَكْلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا»^(١) وكذا رواه الترمذي، عن عبد بن حميد، عن القعني، عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أبيه، عن أنس، وقال حسن^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو معاوية، عن عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ فِي الْجَنَّةِ طَيْرًا فِيهِ سَبْعُونَ أَلْفَ رِيْشَةٍ فَيَقَعُ عَلَى صَفْحَةِ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَنْتَفِضُ، فَيُخْرِجُ مِنْ كُلِّ رِيْشَةٍ يَعْنِي لَوْنًا أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزَّبَدِ وَأَعَذَبُ مِنَ الشَّهْدِ، لَيْسَ مِنْهَا لَوْنٌ يَشْبَهُ صَاحِبَهُ ثُمَّ يَطِيرُ»^(٣) هذا حديث غريب جداً، والوصافي وشيخه ضعيفان.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني الليث، حدثنا خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي حازم، عن عطاء، عن كعب قال: إن طائر الجنة أمثال البخت [يأكلن]^(٤) من ثمرات الجنة ويشرب من أنهار الجنة، فيصطففن له، فإذا انتهى منها شيئاً أتى حتى يقع بين يديه، فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء، صحيح إلى كعب^(٥).

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلَى الطَّيْرِ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْتَهِيهِ فَيُخْرِجُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشُوبًا»^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ۖ﴾ قرأ بعضهم بالرفع، وتقديره: ولهم فيها حور عين! وقراءة الجر^(٧) تحتل معنيين: أحدهما: أن يكون الإعراب على الإتيان بما قبله كقوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۖ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۖ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزِفُونَ ۖ وَفِيكُمْ مِمَّا يَتَذَكَّرُونَ ۖ وَلَحِيرَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ ۖ﴾ وحوْرٌ عِينٌ ۖ ﴿كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وكما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١].

والاحتمال الثاني أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين، ولكن يكون ذلك في القصور لا بين بعضهم بعضاً، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين، والله أعلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريق عبد الله بن مسلم ابن أخي ابن شهاب عن ابن شهاب به بلفظ: «أَكْلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا يا عمر». (المسند ٣٠/٢١ ح ١٣٣٠٦) وصححه سننه محققوه.

(٢) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة طير أهل الجنة ح ٢٥٤٢) وقال الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن الترمذي ح ٢٠٦٣).

(٣) سننه ضعيف لضعف عطية والوصافي.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض مقدار كلمة ثم لفظ: «ما خلق».

(٥) صححه الحافظ ابن كثير، وكعب مشهور برواية الإسرائيليات.

(٦) في سننه خلف بن خليفة صدوق اختلط في الآخر. (التقريب ص ١٩٤) وحميد الأعرج يقع في حديثه من الإنكار من جهة من يروي عنه. (تهذيب التهذيب ٤٧/٢) ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

(٧) القراءة بالرفع والجر متواترتان.

وقوله تعالى: ﴿كَأَمْثَلِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (٢٣) أي: كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه كما تقدم في سورة الصافات ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (٤٩) [الصفات] وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضاً، ولهذا قال: ﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧٤) أي: هذا الذي أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل.

ثم قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾ (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا (٢٦) أي: لا يسمعون في الجنة كلاماً لاغياً؛ أي: عبثاً خالياً من المعنى أو مشتملاً على معنى حقير أو ضعيف كما قال: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (١١) [الغاشية] أي: كلمة لاغية.

﴿وَلَا تَأْتِيًا﴾ (٢٦) أي: ولا كلاماً فيه قبح ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ (٢٦) أي: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تعالى: ﴿يَحْيِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣] وكلامهم أيضاً سالم من اللغو والإثم.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿١٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿١١﴾ وَفُكْحَةٍ كَثِيرٍ ﴿١٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿١٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿١٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿١٥﴾ فَعَلَّاهُنَّ أَتْكَارًا ﴿١٦﴾ عُرًى أَتْرَابًا ﴿١٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْكَ الْآوَلِينَ ﴿١٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٢٠﴾.

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون، عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الأبرار، كما قال ميمون بن مهران أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٧) أي: أي شيء أصحاب اليمين وما حالهم وكيف مالهم. ثم فسر ذلك فقال تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ (٨) قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابن الأحوص وقسامة بن زهير [السفر بن نسير]^(١)، والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وأبو حذرة وغيرهم: هو الذي لا شوك فيه^(٢).

وعن ابن عباس: هو الموقر بالثمر، وهو رواية عن عكرمة ومجاهد^(٣)، وكذا قال قتادة أيضاً: كنا نحدث أنه الموقر الذي لا شوك به^(٤)، والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله، كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجّاد، حدثنا محمد بن محمد بن محمد هو البغوي، حدثني حمزة بن العباس، حدثنا عبد الله بن عثمان، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها،

(١) السفر بن نسير كذا في الطبري وترجمته في التقريب ص ٢٤٣ وفي الأصل: «السفر بن قيس».

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه هناد (الزهد رقم ١٠٩) والطبري بسند صحيح من طريق حبيب بن أبي ثابت عن عكرمة وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن قتادة.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

فقال رسول الله: «وما هي؟» قال: السدر فإن له شوكاً مؤذياً. فقال رسول الله ﷺ: «أليس الله تعالى يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾؟» خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمراً تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعام، ما فيها من لون يشبه الآخر^(١).
طريق آخر:

قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمد بن المصنف، حدثنا محمد بن المبارك، حدثني يحيى بن حمزة، حدثني ثور بن يزيد، حدثني حبيب بن عبيد، عن عتبة بن عبد السلمي قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ: فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجراً أكثر شوكاً منها؛ يعني: الطلح، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود^(٢)، فيها سبعون لوناً من الطعام لا يشبه لون الآخر^(٣)».

وقوله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ (١٩) الطلح شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر العضاء واحدة طلحة، وهو شجر كثير الشوك، وأنشد ابن جرير لبعض الحداة:

بشرها دليلاً وقالا غداً ترين الطلح والجبالاً^(٤)
وقال مجاهد: ﴿مَنْضُودٌ﴾ أي: متراكم الثمر يذكر بذلك قريشاً لأنهم كانوا يعجبون من وجّ^(٥) وظلاله من طلح وسدر^(٦).
وقال السدي: ﴿مَنْضُودٌ﴾ مصفود.

قال ابن عباس: يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل، قال الجوهري: والطلح لغة في الطلع. قلت: وقد روى ابن أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد، عن شيخ من همدان قال: سمعت علياً يقول هذا الحرف في طلح منضود، قال: طلع منضود، فعلى هذا يكون من صفة السدر، فكأنه وصفه بأنه مخضود، وهو الذي لا شوك له، وأن طلعه منضود وهو كثرة ثمره^(٧)، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو معاوية، عن إدريس، عن جعفر بن إياس، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ (١٩) قال: الموز^(٨)، قال وروي عن ابن

(١) أخرجه الحاكم من طريق بشر بن بكر عن صفوان بن عمرو به عن أبي أمامة وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٧٦/٢).

(٢) أي: الخصوة الضخمة التي عند التيس المكتنز باللحم.

(٣) أخرجه الطبراني من طريق يحيى بن حمزة به (مسند الشاميين رقم ٢٩٢) وكذا أبو نعيم (الحلية ١٠٣/٦) قال الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ٤١٤/١).

(٤) استشهد به الطبري نقلاً مصرحاً عن معمر بن المثنى (مجاز القرآن ٢٥٠/٢).

(٥) هو من أودية الطائف المشهورة.

(٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، والسدر هو شجر النبق.

(٧) سنده ضعيف لجهالة الشيخ الهمداني، ويتقوى بشواهد السابقة.

(٨) سنده صحيح.

عباس وأبي هريرة والحسن وعكرمة وقسامة بن زهير وقتادة وأبي حذرة مثل ذلك^(١)، وبه قال مجاهد وابن زيد: وزاد فقال: أهل اليمن يسمون الموز: الطلح^(٢)، ولم يحك ابن جرير غير هذا القول.

وقوله تعالى: ﴿وَوَلَّى مَمْدُورٌ﴾ قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»، اقرأوا إن شئتم ﴿وَوَلَّى مَمْدُورٌ﴾^(٣). ورواه مسلم من حديث الأعرج به^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سريج، حدثنا فليح، عن هلال بن علي، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، اقرءوا إن شئتم ﴿وَوَلَّى مَمْدُورٌ﴾»^(٥). وكذا رواه البخاري عن محمد بن سنان، عن فليح به^(٦)، وكذا رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة^(٧)، وكذا رواه حماد بن سلمة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة^(٨). والليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة: وعوف، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالوا: حدثنا شعبة، سمعت أبا الضحاك يحدث أبا هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو مائة - سنة هي شجرة الخلد»^(٩).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا يزيد بن هارون، عن محمد بن عمرو بن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها»، وقرءوا إن شئتم ﴿وَوَلَّى مَمْدُورٌ﴾^(١٠). إسناد جيد ولم يخرجوه، وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن عبدة وعبد الرحيم عن محمد بن عمرو به، وقد رواه الترمذي من

(١) أخرجه الطبري وعبد الرزاق من خمسة طرق كلها عن أبي سعيد الرقاشي عن ابن عباس، وأبو سعيد سكت عنه ابن أبي حاتم والبخاري، ويشهد له سابقه ولاحقه، وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري بالسند المتقدم الصحيح عن ابن زيد.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَوَلَّى مَمْدُورٌ﴾ [الواقعة] ح (٤٨٨)).

(٤) صحيح مسلم، صفة الجنة، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها.. (ح (٢٨٢٦)).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٤٨٢/٢) وسنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (ح (٣٢٥٢)).

(٧) مصنف عبد الرزاق ٤١٧/١١ رقم ٢٠٨٧٧.

(٨) (المسند ٤٦٩/٢).

(٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٥٣٧/١٥ ح (٩٨٧٠)) وقال محققوه: صحيح دون قوله: شجرة الخلد. اهـ. أي: أنه له شواهد يتقوى بها دون قوله: شجرة الخلد.

(١٠) جَوَّدَ سنده الحافظ ابن كثير.

حديث عبد الرحيم بن سليمان به^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى بني مخزوم، عن أبي هريرة قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرءوا إن شئتم: ﴿وَلَيْلٌ مَّدْوَرَةٌ﴾ فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد، لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط [هرماً]^(٢)، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة^(٣).

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا محمد بن منهال الضرير: حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَلَيْلٌ مَّدْوَرَةٌ﴾ قال: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»^(٤). وكذا رواه البخاري، عن روح بن عبد المؤمن، عن يزيد بن زريع^(٥)، وكذا رواه أبو داود الطيالسي، عن عمران بن دوار القطان، عن قتادة به، وكذا رواه معمر وأبو هلال، عن قتادة به^(٦).

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد، عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها»^(٧). فهذا حديث ثابت، عن رسول الله ﷺ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد، لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقة رجاله.

وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو حصين قال: كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق يعني: الضبي، فحدث أبو صالح قال: حدثني أبو هريرة قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً، قال أبو صالح: أتكذب أبا هريرة؟ قال: ما أكذب أبا هريرة ولكني أكذبك أنت، فشق ذلك على القراء يومئذ^(٨). قلت: فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث مع ثبوته وصحته ورفعته إلى رسول الله ﷺ.

وقال الترمذي: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا زياد بن الحسن بن الفرات القزاز، عن أبيه،

(١) أخرجه الطبري والترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة الواقعة ح ٣٢٨٨ وقال: حسن صحيح) وصححه الألباني من حديث أنس (صحيح سنن الترمذي ح ٢٦٢٦).

(٢) كذا في (حم) و(ج)، وفي الأصل بياض.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتمته، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق إسماعيل بن أبي خالد به (المصنف ١٣/ ١٠٥) وفي سنه زياد لم يسمع من أبي هريرة وسنده ضعيف وقول كعب فيه غرابة.

(٤) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتمته (٣٤٨/٥ ح ٢٩٩١) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (ح ٣٢٥١).

(٦) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الواقعة (ح ٣٢٨٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٢٦).

(٧) صحيح البخاري، الرقاق، باب صفة الجنة والنار (ح ٦٥٥٣) وصحيح مسلم، الجنة وصفه نعيمها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام (ح ٢٨٢٨).

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومتمته، واستشهد به الحافظ ابن كثير.

عن جده، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب» ثم قال: حسن غريب^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن أبي الربيع، حدثنا أبو عامر العقدي، عن زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها، مائة عام، قال: فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها، قال: فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا^(٢). هذا أثر غريب إسناده جيد قوي حسن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن يمان، حدثنا سفيان، حدثنا أبو إسحاق، عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَمْدُودٌ﴾^(٣) قال سبعة ألف سنة^(٤)، وكذا رواه ابن جرير، عن بNDAR، عن ابن مهدي، عن سفيان مثله^(٥)، ثم قال: ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون ﴿وَلَبِئْسَ مَمْدُودٌ﴾^(٦) قال: خمسمائة ألف سنة^(٧).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا حصين بن نافع، عن الحسن في قول الله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَمْدُودٌ﴾^(٨) قال: في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها.

وقال عوف، عن الحسن: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»^(٩) رواه ابن جرير^(١٠).

وقال شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس: في الجنة شجر لا يحمل يستظل به^(١١)، رواه ابن أبي حاتم.

وقال الضحاك والسدي وأبو حزة في قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَمْدُودٌ﴾^(١٢) لا ينقطع، ليس فيها شمس ولا حرٌّ مثل قبل طلوع الفجر.

وقال ابن مسعود: الجنة سحسج^(١٣) كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقد تقدمت الآيات كقوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] وقوله: ﴿أَكُلُوا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] وقوله: ﴿فِي ظِلِّلٍ وَغُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١] إلى غير ذلك من الآيات.

(١) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة شجر الجنة ح ٢٥٢٧) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٠٤٩).

(٢) سنده ضعيف لضعف زمعة بن صالح (التقريب ص ٢١٧).

(٣) سنده مرسل لأن عمرو بن ميمون تابعي.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده مرسل لأن عمرو بن ميمون تابعي.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده مرسل كسابقه.

(٦) سنده مرسل ويتقوى بالأحاديث المرفوعة المتقدمة.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثله مرسلًا، وحكمه كسابقه.

(٨) سنده حسن. (٩) أي: ظلها معتدل لا ولا برد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ﴾ (٢٧) قال الثوري: يجري في غير أخذود، وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ الآية [محمد: ١٥]. بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله تعالى: ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ (٢٨) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٢٩) أي: وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] أي: يشبه الشكل الشكل ولكن الطعم غير الطعم، وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى: «إذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلال هجر»^(١). وفيهما أيضاً من حديث مالك، عن زيد، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: خسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فذكر الصلاة، وفيه قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكت^(٢)، قال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلت منه ما بقيت الدنيا»^(٣).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، حدثنا ابن عقيل، عن جابر قال: بينا نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فنقدمنا معه، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال أبي بن كعب: يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما كنت تصنعه، قال: «إنه عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقص منه». وروى مسلم من حديث أبي الزبير، عن جابر نحوه^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن بحر، حدثنا هشام بن يوسف، أخبرنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: «نعم وفيها شجرة تدعى طوبى». قال: فذكر شيئاً لا أدري ما هو، قال: أي شجر أرضنا تشبه؟ قال: «ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك؟» فقال النبي ﷺ «أتيت الشام؟» قال: لا. قال: «تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحدة وينفرش أعلاها». قال: ما عظم العنقود؟ قال: «مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يفتري». قال: ما عظم أصلها؟ قال: «لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماء» قال: فيها عنب؟ قال: «نعم» قال: فما عظم الحبة؟ قال: «هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً؟» قال: نعم، قال: «فسلخ إهابه فأعطاه أمك فقال اتخذي لنا منه دلوأ؟» قال: نعم. قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي؟ قال: «نعم وعامة عشيرتك»^(٥).

وقوله تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (٣٠) أي: لا تنقطع شتاء ولا صيفاً بل أكلها دائم مستمر أبداً، مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء.

(١) تقدم تخريجه في بداية تفسير سورة الإسراء. (٢) أي: احجمت.

(٣) صحيح البخاري، الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة (ح٧٤٨) وصحيح مسلم، الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (ح٩٠٧).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الرعد آية ٣٥.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٩/١٩١، ١٩٢ ح١٧٦٤٢) وقال محققوه: إسناده قابل للتحسين.

وقال قتادة: لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد، وقد تقدم في الحديث إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَفُرشِ مَرْفُوعَةٍ﴾ ٢٤ أي: عالية وطيئة ناعمة قال النسائي وأبو عيسى الترمذي: حدثنا أبو كريب، حدثنا رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَفُرشِ مَرْفُوعَةٍ﴾ ٢٤ قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام». ثم قال الترمذي: هذا الحديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد، قال: وقال بعض أهل العلم: معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، هكذا قال إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد^(٢)، وهو المصري وهو: ضعيف، هكذا رواه أبو جعفر بن جرير، عن أبي كريب، عن رشدين به^(٣).

ثم رواه هو وابن أبي حاتم كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث فذكره، وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضاً عن نعيم بن حماد، عن ابن وهب، وأخرجه الضياء في «صفة الجنة» من حديث حرمله، عن ابن وهب به مثله، ورواه الإمام أحمد، عن حسن بن موسى، عن ابن لهيعة، حدثنا دراج فذكره^(٤).

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو معاوية [عن جوير]، عن أبي سهل يعني: كثير بن زياد، عن الحسن ﴿وَفُرشِ مَرْفُوعَةٍ﴾ ٢٤ قال: ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة^(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ ٢٥ ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ ٢٦ ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ ٢٧ ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ٢٨ جرى الضمير على غير مذكور. ولكن لما دلّ السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن، وعاد الضمير عليهن كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِجَادُ﴾ ٢٩ ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ٣٠ [ص] يعني: الشمس على المشهور من قول المفسرين.

وقال الأخفش في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ﴾: أضمرهن ولم يذكرن قبل ذلك.

وقال أبو عبيدة: ذكرن في قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ ٣١ ﴿كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ ٣٢ [الواقعة] فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ﴾ أي: أعدناهن في النشأة الأخرى بعدما كن عجائز رمصاً، صرن أبكاراً عرباً؛ أي: بعد الثوبة عدن أبكاراً ﴿عُرُبًا﴾ متحبات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة.

(١) تقدم تخريجه في تفسير آية ٢٠ من هذه السورة الكريمة.

(٢) أخرجه الترمذي بسنده ومثله وتعليقه (السنن، التفسير، باب ومن سورة الواقعة ح ٣٢٩٤) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

(٣) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وسنده كسابقه.

(٤) كل هذه المصادر فيها ضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: «جوهر».

(٦) سنده ضعيف لإرساله.

وقال بعضهم ﴿عُرْبًا﴾ أي: غَنَجَات^(١)، قال موسى بن عبيدة الربذي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ» قال: نساء عجائز كن في الدنيا عمشاً رُمُصاً^(٢)». رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال الترمذي: غريب، وموسى ويزيد ضعيفان.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا آدم - يعني: ابن أبي إياس -، حدثنا شيبان، عن جابر، عن يزيد بن مُرَّة، عن سلمة بن يزيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾^(٣) «يعني: الثيب والأبكار اللاتي كنَّ في الدنيا»^(٤).

وقال عبد بن حميد: حدثنا مصعب بن مقدم، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: أتت عجوز فقالت: يا رسول الله ادْعُ الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز» قال: فولّت تبكي. قال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾^(٥) فَعَلَّهِنَّ أَتْكَارًا»^(٦).

وهكذا رواه الترمذي في «الشماثل» عن عبد بن حميد^(٦).

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا بكر بن سهل الدمياني، حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي، أخبرنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾^(٧) [الواقعة] قال: «حور بيض عِين ضخام العيون شفر^(٧) الحوراء بمنزلة جناح النسر» قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَمْثَلِ الزُّلْفَى أَلَمْ تَكُنْ فِي مَرْجَى مِمَّا كَانَتْ تُؤْمِنُ أَنَّهَا تُنْفَكُ﴾^(٨) [الواقعة] قال: «صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداغ الذي لم تمسه الأيدي» قلت: أخبرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾^(٩) [الرحمن] قال: «خيرات الأخلاق حسان الوجوه» قلت: أخبرني عن قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾^(١٠) [الصافات] قال: «رقتهن كرقعة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقى» قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾^(١١) قال: «هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصاً شمساً، خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عرباً متعشقات محبيات أتراباً على ميلاد واحد» قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة» قلت: يا رسول الله وبم ذاك؟ قال: «بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله ﷻ، ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير، بيض الألوان خضر الشياح صُفر الحلي مجامرهن الدر

(١) غنجات جمع غَنَجَة وهي الجارية التي تدلل وتتكرس في حركاتها (ينظر: النهاية ٣/٣٨٩).

(٢) رُمُص: جمع رمضاء، والرمض هو الغشاء الأبيض الذي يتجمع في العين ويسمى: الدمص. بالدال.

(٣) أخرجه الترمذي من طريق موسى بن عبيدة، (السنن، التفسير، باب ومن سورة الواقعة ح ٣٢٩٢). وسنده ضعيف لضعف موسى والرقاشي.

(٤) أخرجه الطبراني من طريق جابر به (المعجم الكبير ٧/٤٠) وسنده ضعيف لضعف جابر وهو ابن يزيد الجعفي.

(٥) سنده مرسل ويشهد له سابقه ولاحقه.

(٦) أخرجه الترمذي عن عبد بن حميد به (الشماثل المحمدية رقم ٢٣٠). وسنده مرسل، ويتقوى بالشواهد كسابقه.

(٧) أي: حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر.

وأمشاطهن الذهب، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبداً ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا قلت: يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها؟ قال: «يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً، فتقول: يا رب إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»^(١).

وفي حديث الصور الطويل المشهور أن رسول الله ﷺ، يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة، فيقول الله تعالى: قد شفعتك وأذنت لهم بدخولها، فكان رسول الله ﷺ يقول: «والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثنيتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوته على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس وإستبرق، وإنه ليضع يده بين كتفها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها امرأة، يعني وكبدها له امرأة، فبينما هو عندها لا يملأها ولا تملأه ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء، ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها إلا أنه لا مني ولا منية، فبينما هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تَمَلّ ولا تُمَلّ، إلا أن لك أزواجاً غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة، كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إلي منك»^(٢).

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن درّاج، عن ابن حجريرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال له: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده دحماً دحماً»^(٣)، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرة»^(٤).

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي، حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطي، حدثنا شريك، عن عاصم الأحول، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عُدن أبكاراً»^(٥).

وقال أبو داود الطيالسي: أخبرنا عمران، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء، قلت: يا رسول الله ويطلق ذلك؟ قال: يعطى

(١) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ٣٦٧/٢٣ ح ٨٧٠) وسنده ضعيف لضعف سليمان بن أبي كريمة (مجمع الزوائد ١٢٢/٧).

(٢) تقدم تخريج حديث الصور في تفسير سورة الأنعام آية ٧٣.

(٣) الدحّم: النكاح والوطء بدفع وإزعاج.

(٤) أخرجه ابن حبان من طريق عبد الله بن وهب به (موارد الزمّان ح ٢٦٣٣) وسنده ضعيف لضعف درّاج.

(٥) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الصغير ٩١/١) وسنده ضعيف جداً لأن معلى بن عبد الرحمن الواسطي متهم بالوضع. (التقريب ص ٥٤١).

قوة مائة». ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال: صحيح غريب^(١).

وروى أبو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله هل نصل إلى نساءنا في الجنة؟ قال: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء»^(٢) قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: هذا الحديث عندي على شرط الصحيح، والله أعلم.

وقوله: ﴿عُرْبًا﴾ قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يعني متحبيات إلى أزواجهن^(٣)، ألم تر إلى الناقة الضبعة هي كذلك.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: العُرب: العواشق^(٤) لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون، وكذا قال عبد الله بن سرجس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية ويحيى بن أبي كثير وعطية والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم^(٥).

وقال ثور بن يزيد، عن عكرمة قال: سئل ابن عباس، عن قوله: ﴿عُرْبًا﴾ قال: هي المِلقة لزوجها^(٦).

وقال شعبة، عن سماك، عن عكرمة: هي الغنجة^(٧).

وقال الأجلح بن عبد الله، عن عكرمة: هي الشكلة، وقال صالح بن حيّان، عن عبد الله بن بريدة في قوله: ﴿عُرْبًا﴾ قال: الشكلة بلغة أهل مكة، والغنجة بلغة أهل المدينة^(٨).

وقال تميم بن حذلم: هي حسن التبعّل^(٩).

وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن: العُرب: حسنة الكلام^(١٠).

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن سهل بن عثمان العسكري، حدثنا أبو علي، عن جعفر بن

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده ومثله (المسند ص ٢٦٩ وسنده حسن، وأخرجه الترمذي من طريق عمران به وقال: صحيح غريب (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة ح ٢٥٣٦) وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح سنن الترمذي (ح ٢٠٥٩).

(٢) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الصغير ١٢/٢) وصححه الضياء المقدسي كما نقل الحافظ ابن كثير عنه.

(٣) هذا التفسير للطبري ذكره بعد رواية لابن عباس ليس فيها هذا اللفظ.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «متحبيات إلى أزواجهن» وكذا أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن سعيد بن جبير.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي أويس عن ثور بن يزيد به.

(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق يحيى بن يمان عن شعبة به.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق صالح بن حيّان به، وعزاه السيوطي إلى هناد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو سند ضعيف جداً.

(٩) أخرجه الطبري من طريق عثمان بن بشار عن تميم بن حذلم، ولم أقف على ترجمه لعثمان.

(١٠) أخرجه الطبري من طريق أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه، وأسامة ضعيف (التقريب ص ٩٨).

محمد، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرْبًا»، قال: كلامهنَّ عربي»^(١).

وقوله: «أَتْرَابًا» قال الضحاك، عن ابن عباس: يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة^(٢).

وقال مجاهد: الأتراب المستويات^(٣)، وفي رواية عنه الأمثال^(٤).

وقال عطية: الأقران^(٥).

وقال السدي: «أَتْرَابًا» أي: في الأخلاق المتواخيات بينهم، ليس بينهم تباغض ولا تحاسد؛ يعني: لا كما كن ضرائر متعاديات.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن عبد الله بن الكهف، عن الحسن ومحمد «عُرْبًا أَتْرَابًا»^(٦) قالوا: المستويات الأسنان يأتلفن جميعاً ويلعبن جميعاً^(٦).

وقد روى أبو عيسى الترمذي، عن أحمد بن منيع، عن أبي معاوية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعاً للهور العين يرفعن أصواتاً لم تسمع الخلائق بمثلهما، قال: يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له». ثم قال: هذا حديث غريب^(٧).

وقال الحافظ أبو يعلى: أخبرنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا ابن أبي ذئب، عن فلان عبد الله بن رافع، عن بعض ولد أنس بن مالك، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن: نحن خيرات حسان خبتنا لأزواج كرام»^(٨).

قلت: إسماعيل بن عمر هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الأثبات.

وقد روى هذا الحديث الإمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدُحيم، عن ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع، عن ابن أنس، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحور العين يغنين في الجنة: نحن الحور الحسان، خلقنا لأزواج كرام»^(٩).

وقوله تعالى: «لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ»^(١٠) أي: خلقن لأصحاب اليمين [أو ادخرن لأصحاب اليمين]^(١٠) أو زوجن لأصحاب اليمين، والأظهر أنه متعلق بقوله: «إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً»^(١١) فَعَمَلْنَهُنَّ أَجْرًا «عُرْبًا أَتْرَابًا»^(١٢) لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ^(١٣) فتقديره أنشأناهن لأصحاب اليمين، وهذا توجيه ابن جرير.

(١) سنده ضعيف لعدم ذكر شيخ ابن أبي حاتم. (٢) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٣) عزاه السيوطي إلى هناد وعبد بن حميد.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) يشهد له ما سبق.

(٦) في سنده عبد الله بن الكهف لم أجده له ترجمة، ويشهد له ما سبق.

(٧) أخرجه الترمذي بسنده ومثته وحكمه (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في كلام حور العين ح ٢٥٧) وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن إسحاق وهو الواسطي (التقريب ص ٣٣٦).

(٨) عزاه الحافظ ابن حجر إلى أبي يعلى (المطالب العالية ٤٠٢/٤ ح ٤٦٨٤) وسنده ضعيف لجهالة الراوي عن أنس.

(٩) سنده ضعيف كسابقه. (١٠) زيادة من (حم) و(ح).

وروي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى قال: صليت ليلة ثم جلست أدعو وكان البرد شديداً فجعلت أدعو بيد واحدة، فأخذتني عيني فنمت فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول: يا أبا سليمان أتدعو بيد واحدة وأنا أغذى لك في النعيم منذ خمسمائة سنة.

قلت: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لَا ضَحْبَ الْيَمِينِ﴾ متعلقاً بما قبله وهو قوله: ﴿أَتَرَابًا﴾ (٢٧) ﴿لَا ضَحْبَ الْيَمِينِ﴾ أي: في أسنانهم، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث جرير، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب وورشهم المسك ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا: حدثنا حماد بن سلمة، وروى الطبراني واللفظ له من حديث حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جُرداً مُرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع»^(٢). وروى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن عمران القطان، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين بني ثلاث وثلاثين سنة» ثم قال: حسن غريب^(٣).

وقال ابن وهب: أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار» ورواه الترمذي، عن سويد بن نصر، عن ابن المبارك، عن رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث به^(٤).

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رثاب، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك! على حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد جُردٌ مُردٌ مكحلون»^(٥).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة مريم آية ٦٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه (المسند ٢/٢٩٥). وسنده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان. وأخرجه الطبراني من طريقه أيضاً (المعجم الأوسط ٥/٣١٨ ح ٥٤٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة محمد بن فراس عن أبي داود به، وقال الترمذي وبعض أصحاب قتادة روى هذا عن قتادة مرسلاً ولم يسندوه. (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء في سنن أهل الجنة ح ٢٥٤٥). وسنده ضعيف لضعف شهر بن حوشب.

(٤) أخرجه الترمذي عن سويد بن نصر به. (السنن، صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة ح ٢٥٦٢). وسنده ضعيف لضعف رشدين وضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٥) سند ضعيف لعدم سماع هارون من أنس، كما في تهذيب التهذيب، ولبعضه شواهد صحيحة.

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قالا: حدثنا عمر، عن الأوزاعي، عن هارون بن رثاب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين جرداً مرداً مكحلين. ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»^(١).

وقوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۖ﴾ أي: جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا محمد بن بكار، حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، عن عبد الله بن مسعود، قال: وكان بعضهم يأخذ عن بعض قال: أكرينا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه فقال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأنبياء وأتباعها بأممها فيمر علي النبي والنبي في العصابة! والنبي في الثلاثة والنبي وليس معه أحد - وتلا قتادة هذه الآية ﴿الَّذِينَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨] قال: حتى مر علي موسى بن عمران في كبكبة^(٢) من بني إسرائيل! قال: قلت: رب من هذا؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني إسرائيل! قال: قلت: رب من هذا؟ قال: أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني إسرائيل! قال: قلت: رب فأين أمتي؟ قال: انظر عن يمينك في الضراب قال: فإذا وجوه الرجال قال: قال أرضيت؟ قال: قلت: قد رضيت رب. قال: انظر إلى الأفق عن يسارك فإذا وجوه الرجال قال: أرضيت؟ قلت: قد رضيت رب. قال: فإن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب». قال: وأنشأ عكاشة بن محصن من بني أسد قال سعيد: وكان بدرياً قال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: فقال: «اللهم اجعله منهم» [قال أنشأ رجل آخر^(٣)] قال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «سبقك بها عكاشة» قال: فقال رسول الله ﷺ: «فإن استطعتم فداكم أبي وأمي أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا، وإلا فكونوا من أصحاب الضراب، وإلا فكونوا من أصحاب الأفق، فإني قد رأيت أناساً كثيراً قد تأشّبوا حوله - ثم قال: - إني لأرجو أن تكونوا ريع أهل الجنة» فكبرنا ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قال: فكبرنا قال: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» قال فكبرنا، قال: ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۖ﴾ قال: فقلنا بيننا: من هؤلاء السبعون ألفاً؟ فقلنا: هم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا. قال: [فبلغه]^(٤) ذلك فقال: «بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»^(٥). وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه^(٦)، وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها.

(١) سنده ضعيف لعدم سماع هارون من أنس. (٢) أي: جماعة متضامة من الناس.

(٣) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل بياض. (٤) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل بياض.

(٥) سنده ضعيف لضعف سعيد بن بشير كما في التقريب، وكذلك الحسن البصري لم يسمع من عمران بن الحصين (جامع التحصيل ص ١٩٥).

(٦) أخرجه الطبري من طريقين كلاهما عن الحسن البصري عن عمران بن الحصين به. وسنده ضعيف كسابقه.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، حدثنا سفيان، عن أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «هما جميعاً من أمتي»^(١).

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أُنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَآ الْفَآئِلُونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَّا يَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن زُفُورٍ ﴿٥٢﴾ فَآلِثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا مِن لِّحْمِهِ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَآ الْفَآئِلُونَ شَرِبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٥٦﴾.

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١) أي: أي شيء هم فيه أصحاب الشمال؟ ثم فسر ذلك فقال: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ وهو الهواء الحار ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وهو الماء الحار ﴿وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ﴾ (٤٣) قال ابن عباس: ظل الدخان^(٢)، وكذا قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وقتادة والسدي وغيرهم^(٣)، وهذه كقوله تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٤٦) أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٤٧﴾ لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٤٨﴾ إِنَّهَا تَرَىٰ بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٥٠﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥١﴾ [المرسلات] ولهذا قال ههنا: ﴿وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ﴾ (٤٣) وهو الدخان الأسود ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ﴾ (٤٤) أي: ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر كما قال الحسن وقتادة: ﴿لَا كَرِيمٍ﴾ أي: ولا كريم المنظر^(٤). قال الضحاك: كل شراب ليس بعذب فليس بكريم^(٥).

وقال ابن جرير: العرب تتبع هذه اللفظة في النفي فيقولون: هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم. وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة^(٦). وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه^(٧).

ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ (٤٥) أي: كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون ما جاءتهم به الرسل ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ (٤٦) أي: يقيمون ولا ينوون توبة ﴿عَلَىٰ الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ وهو الكفر بالله وجعل الأوثان والأنداد أرباباً من دون الله.

- (١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف جداً لأن أبان بن أبي عياش متروك. (التقريب ص ٨٦).
- (٢) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر، وأخرجه أيضاً الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «من دخان جهنم».
- (٣) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
- (٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جوير عن الضحاك.
- (٦) ذكره الطبري بلفظ: «والعرب تتبع كل منفي عنه صفة حمد»، نفى الكرم عنه.
- (٧) أي: الرواية السابقة بلفظ: «ظل الدخان».

قال ابن عباس: ﴿لَيْتَ الْعَظِيمِ﴾: الشرك^(١). وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم^(٢).

وقال الشعبي: هو اليمين الغموس^(٣) ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاكًا وَعِظْمًا إِذَا لَمَجُوعُونَ﴾ (٤٧) أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) يعني: أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبشرين لوقوعه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠)﴾ أي: أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخريين من بني آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يغادر منهم أحداً، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ نَجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (٥١) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ (٥٢) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (٥٣)﴾ [هود] ولهذا قال ههنا: ﴿لَمَجُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠)﴾ أي: هو موقت بوقت محدود، لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْأَصْلَافُ الْمَكِيدُونَ (٥٤) لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفَرٍ (٥٥) فَالْتَوْنَ مِنْهَا الْبَطُونَ (٥٦)﴾ وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم، ﴿فَنَشْرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٧) فَشَرِبُوا شَرِبَ الْحَمِيمِ (٥٨)﴾ وهي الإبل العطاش، واحداها أهيم والأنثى هيما، ويقال: هائم وهائمة.

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة: الهيم، الإبل العطاش الظماء^(٤). وعن عكرمة أنه قال: الهيم الإبل المراض تمص الماء مصاً ولا تروى^(٥). وقال السدي: ﴿الْهِيمِ﴾: داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذاك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً.

وعن خالد بن معدان أنه كان يكره أن يشرب شرب الهيم غبة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثاً. ثم قال تعالى: ﴿هَذَا نُزْلُهُ يَوْمَ الدِّينِ (٥٩)﴾ أي: هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم، كما قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (٦٧)﴾ [الكهف]، أي: ضيافة وكرامة.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٦٨) ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٦٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٧٠) عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْنَالُكُمْ وَنُتَشَبَّحَ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٧١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٧٢)﴾.

يقول تعالى مقررًا للمعاد، وراذلاً على المكذبين به من أهل الزيف، والإلحاد من الذين قالوا:

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك. وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «الذنب» وكذا أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بلفظ: «الذنب العظيم».

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد عن الشعبي بلفظ: «الكبائر».

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة. وأخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن عكرمة، وأخرجه آدم وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «الإبل الهيم».

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عمران بن حدير عن عكرمة.

﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَمُبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢]؟ وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد. فقال تعالى: ﴿تَحْنُ خَلْقَنَكُم﴾ أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذي قدر على البداء بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى؟ ولهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلا تصدقون بالبعث! ثم قال مستدلاً عليهم بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ ﴿بِأَنَّهُ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٥٩﴾؟ أي: أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك؟ ثم قال تعالى: ﴿تَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ أي: صرفناه بينكم.

وقال الضحاك: ساوى فيه بين أهل السماء والأرض^(١). ﴿وَمَا تَحْنُ بِمَسْبُوحِينَ﴾ أي: وما نحن بعاجزين ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْنَلَكُمْ﴾ أي: نغير خلقكم يوم القيامة. ﴿وَنُنَشِّئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من الصفات والأحوال.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ أي: قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة وهي البداء، قادر على النشأة الأخرى وهي الإعادة بطريق الأولى والأخرى، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾ ﴿٦١﴾ [مریم] ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٦٢﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسَىٰ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٦٣﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ [يسر] وقال تعالى: ﴿يَتَحَسَّبُ الْإِنْسَانُ أَن يترك سَتَىٰ﴾ ﴿٦٥﴾ أَلَمْ يَكْ نُطْفَةٍ مِنْ مَّيِّ يَتَّىٰ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ كَانَ عَظْمٌ فَطَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٦٧﴾ فَعَمَلَ مِنْهُ الْوَجْنَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٦٨﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٦٩﴾ [القيامة].

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَمْتُمْ فَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَعْرُومُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجْلًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾.

يقول تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ﴿٦٣﴾؟ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ أي: تنبتونه في الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ أي: بل نحن الذين نفره قراره وننبتة في الأرض.

قال ابن جرير: وقد حدثني أحمد بن الوليد القرشي، حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي، حدثنا مغلد بن الحسين، عن هشام، عن محمد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولن: زرعت. ولكن قل: حرثت» قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾^(٢). ورواه البزار، عن محمد بن عبد الرحيم، عن مسلم

(١) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، في سننه مسلم بن أبي مسلم الجرمي نقل الحافظ ابن حجر في ترجمته عن البيهقي هذا الإسناد ثم قال: غير قوي. (لسان الميزان ٦/٣٢).

الجرمي به^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن: لا تقولوا زرعنا ولكن قولوا: حرثنا^(٢). وروي عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^(٣) وأمثالها يقول: بل أنت يا رب^(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ أي: نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمة بكم بل ولو نشاء لجعلناه حطاماً؛ أي: لأيسنناه قبل استوائه واستحصاده ﴿فَطَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ﴾ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾^(٤) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ^(٥) أي: لو جعلناه حطاماً لظللتم تفكهون في المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة إنا لمغرمون؛ أي: لملقون.

وقال مجاهد وعكرمة: إنا لمولع بنا^(٤).

وقال قتادة: معذبون^(٥) وتارة يقولون: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾^(٥).

وقال مجاهد أيضاً: ﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾^(٦) ملقون للبشر^(٦)؛ أي: بل نحن محارفون، قاله قتادة^(٧)؛ أي: لا يثبت لنا مال، ولا ينتج لنا ربح.

وقال مجاهد: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾^(٧)؛ أي: محدودون^(٨) يعني: لا حظ لنا.

وقال ابن عباس ومجاهد: ﴿فَطَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ﴾ تعجبون^(٩).

وقال مجاهد أيضاً: ﴿فَطَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ﴾ تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم^(١٠)، وهذا يرجع إلى الأول، وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم، وهذا اختيار ابن جرير. وقال عكرمة: ﴿فَطَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ﴾ تلاومون^(١١).

وقال الحسن وقاتة والسدي: ﴿فَطَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ﴾ تندمون^(١٢)، ومعناه: إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب.

(١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح ١٢٨٩) وسنده كسابقه.

(٢) سنده حسن.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (المصنف رقم ٤٠٥٣)، والحاكم كلاهما من طريق معمر عن شداد بن جابان عن حجر بن قيس المدري، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٧٧/٢).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن مجاهد، وأخرجه أيضاً بسند حسن من طريق يزيد النحوي عن عكرمة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(١٠) هذا قول الطبري ثم أخرجه بنحوه بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١١) أخرجه الطبري بسندين قد يقوي أحدهما الآخر.

(١٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

قال [الكسائي]^(١): تفكه من الأضداد، تقول العرب تفككت بمعنى تنعمت، وتفككت بمعنى حزن^(٢).

ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ يعني: السحاب، قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد^(٣).

﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ يقول: بل نحن المنزلون ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ أي: زعافاً مرّاً لا يصلح لشرب ولا زرع ﴿فَلَوْلَا نَشْكُرُوتَ﴾ أي: فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٦٤﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النحل].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن جابر، عن أبي جعفر، عن النبي ﷺ أنه كان إذا شرب الماء قال: «الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا»^(٤).

ثم قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٦٦﴾﴾ أي: تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أي: بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها. وللعرب شجرتان (إحدهما) المرخ، (والأخرى) العفار، إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار.

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ قال مجاهد وقتادة: أي تذكر النار الكبرى^(٥)، قال قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: «يا قوم ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية. قال: «إنها قد ضربت بالماء ضربتين - أو مرتين - حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها»^(٦). وهذا الذي أرسله قتادة قد رواه الإمام أحمد في مسنده فقال: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد»^(٧).

وقال الإمام مالك: عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، فقال: «إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً»^(٨). رواه البخاري من حديث مالك ومسلم من حديث أبي الزناد ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة

(١) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض. (٢) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٢٨٨/٤).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ويتقوى بما أخرجه آدم والطبري بسند صحيح.

(٤) سنده ضعيف لإرساله.

(٥) أخرجه آدم بن أبي آياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) الحديث تنمة للأثر السابق لكنه مرسل ويشهد لشقه الأول الحديث التالي.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٤٤/٢) وسنده صحيح.

(٨) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثله (الموطأ)، كتاب جهنم، باب ما جاء في صفة جهنم، ٧٥٩/٢ ح (١). وسنده صحيح.

به^(١). وفي لفظ «والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»^(٢).

وقد قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو الخلال، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا معن بن عيسى القزار، عن مالك، عن عمه أبي السهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم؟ لهي أشد سواداً من ناركم هذه بسبعين ضعفاً»^(٣).

قال الضياء المقدسي: وقد رواه ابن مصعب، عن مالك، ولم يرفعه وهو عندي على شرط الصحيح. وقوله تعالى: ﴿وَمَتَّعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والنضر بن عربي: يعني بالمقوين: المسافرين^(٤)، واختاره ابن جرير وقال: ومنه قولهم أقوت الدار إذا رحل أهلها. وقال غيره: القي والقواء: القفر الخالي البعيد من العمران.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: المقوي ههنا الجائع^(٥).

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: ﴿وَمَتَّعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾، للحاضر والمسافر لكل طعام لا يصلحه إلا النار^(٦)، وكذا روى سفيان، عن جابر الجعفي، عن مجاهد^(٧).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: قوله: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ يعني: المستمتعين من الناس أجمعين^(٨)، وكذا ذكر عن عكرمة، وهذا التفسير أعم من غيره، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير الجميع محتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع، ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فأطبخ بها واصطلى بها واشتوى، واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات، لهذا أفرد المسافرين وإن كان ذلك عاماً في حق الناس كلهم! وقد يستدل به بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خدّاش حبان بن زيد الشرعي الشامي، عن رجل من المهاجرين من قرن أن رسول الله ﷺ قال: «المسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكأ والماء»^(٩). وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة قال: قال

(١) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (ح ٣٢٦٥) وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في شدة حر جهنم بعد (ح ٢٨٤٣).

(٢) المصدر السابق (٢٨٤٣).

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الأوسط ٣٠٠/١ ح ٤٨٩) ويشهد له ما سبق في رواية مالك والشيخين، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٣٨٧/١٠).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٦) في سنده ليث فيه مقال ويخالف ما صح عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري من طريق سفيان به، وسنده ضعيف لضعف جابر وهو ابن يزيد الجعفي.

(٨) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٩) (المسند ٣٦٤/٥) وسنن أبي داود، البيوع، باب في منع الماء (ح ٣٤٧٧) وصححه الألباني في صحيح سنن

أبي داود (ح ٢٩٦٨).

رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يمنعن: الماء والكلاء والنار»^(١) وله من حديث ابن عباس مرفوعاً مثل هذا وزيادة: وثمنه حرام، ولكن في إسناده عبد الله بن خراش بن حوشب وهو ضعيف، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٧٤) أي: الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة: الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً كالبهار المغرقة، وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزاجراً لهم في المعاد^(٢).

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾^(٧٥) وَإِنَّكُمْ لَفَسَدْتُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمُ﴾^(٧٦) إِنَّكُمْ لَقَرَأْتُمْ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

قال جوير، عن الضحاك: إن الله تعالى لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتح يستفتح به كلامه^(٣)، وهذا القول ضعيف، والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته، ثم قال بعض المفسرين: لا ههنا زائدة وتقديره أقسم بمواقع النجوم، ورواه ابن جرير عن سعيد بن جبير^(٤). ويكون جوابه ﴿إِنَّكُمْ لَقَرَأْتُمْ كَرِيمٌ﴾^(٧٦).

وقال آخرون: ليست لا زائدة لا معنى لها بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسماً به على منفي كقول عائشة رضي الله عنها: لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط^(٥)، وهكذا ههنا تقدير الكلام: لا أقسم بمواقع النجوم، ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم.

وقال ابن جرير: وقال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ فليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد ذلك فقليل: أقسم^(٦). واختلفوا في معنى قوله: ﴿بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ فقال حكيم بن جبير: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يعني: نجوم القرآن فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً في السنين بعد. ثم قرأ ابن عباس هذه الآية^(٧).

وقال الضحاك، عن ابن عباس: نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفارة

(١) سنن ابن ماجه، الرهون باب المسلمون شركاء في ثلاث (ح ٢٤٧٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٠٠٥).

(٢) المصدر السابق (ح ٢٤٧٢) وصححه الألباني دون قوله: وثمنه حرام صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٠٠٤).

(٣) سنده ضعيف جداً لأن جوير متروك كما في التقريب.

(٤) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو حميد الرازي وهو ضعيف، ولفظه: أقسم.

(٥) أخرجه البخاري (الصحيح، الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام ح ٢٧١٣).

(٦) ذكره الطبري بلفظه.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري كلاهما من طريق حكيم بن جبير به وسنده ضعيف لضعف حكيم

(التقريب ص ١٧٦) ويتقوى برواية عكرمة عن ابن عباس المتقدمة في تفسير سورة الإسراء آية ١٠٦.

الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة فهو قوله: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ ﴿٧٥﴾ نجوم القرآن^(١)، وكذا قال عكرمة ومجاهد والسدي وأبو حزره^(٢).

وقال مجاهد أيضاً: مواقع النجوم في السماء ويقال: مطالعها ومشارقها^(٣).

وكذا قال الحسن وقتادة^(٤) وهو اختيار ابن جرير.

وعن قتادة: مواقعها منازلها^(٥).

وعن الحسن أيضاً: أن المراد بذلك انتشارها يوم القيامة^(٦).

وقال الضحاك: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ ﴿٧٥﴾ يعني: بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا أمطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَقَسَمُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمُ﴾ ﴿٧٦﴾ أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمتهم لعظمتهم المقسم به عليه ﴿إِنَّهُمْ لَقَرَنَ كَرِيمٍ﴾ ﴿٧٧﴾ أي: إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ ﴿٧٨﴾ أي: معظم، في كتاب معظم محفوظ موقر.

وقال ابن جرير: حدثني إسماعيل بن موسى: أخبرنا شريك، عن حكيم هو: ابن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ قال: الكتاب الذي في السماء^(٧).

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ يعني: الملائكة^(٨)، وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد، وأبو نهيك والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم^(٩).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، حدثنا معمر، عن قتادة ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ قال: لا يمسّه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فإنه يمسّه المجوس النجس، والمنافق الرجس، وقال: وهي في قراءة ابن مسعود: «ما يمسّه إلا المطهرون»^(١٠).

(١) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس، ويشهد لبعضه ما تقدم في تخريج الرواية السابقة.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عكرمة.

(٣) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لضعف حكيم بن جبير (التقريب ص ١٧٦).

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوى بالآثار التالية. وأخرجه الطبري من قول جابر بن

زيد وأبي نهيك وعكرمة، وفي أسانيدهم ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ويتقوى بما

سبق.

(٩) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بأسانيد من طريق

الربيع بن أبي راشد عن سعيد بن جبير، والربيع لم أجده له ترجمة.

(١٠) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده إلى قتادة صحيح، ولكنه منقطع عن ابن مسعود لأن قتادة لم يسمع منه.

وقال أبو العالية: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٦) ليس أنتم، أنتم أصحاب الذنوب^(١).

وقال ابن زيد: زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون^(٢) كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (٧٦) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعُزُونَ﴾ [الشعراء] وهذا القول قول جيد، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله.

وقال الفراء: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به^(٣).

وقال آخرون: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٦) أي: من الجنابة والحدث قالوا: ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن ههنا المصحف، كما روى مسلم، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو^(٤). واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم: أن لا يمس القرآن إلا طاهر^(٥).

وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال: «ولا يمس القرآن إلا طاهر»^(٦). وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره، ومثل هذا ينبغي الأخذ به، وقد أسنده الدارقطني، عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبي العاص وفي إسناد كل منهما نظر^(٧)، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠) أي: هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر، بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع.

وقوله تعالى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ﴾ (٨١) قال العوفي، عن ابن عباس: أي مكذبون غير مصدقين^(٨)، وكذا قال الضحاك وأبو حذرة والسدي.

وقال مجاهد: ﴿مُذْهَبُونَ﴾ أي: تريدون أن تمالئوهم فيه وتركوا إليهم^(٩). ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٨٢) قال بعضهم: معنى ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ بمعنى شكركم أنكم تكذبون [أي تكذبون بدل

(١) أخرجه ابن أبي شيبه (المصنف ٥٤٨/١٣) والطبري بسند حسن من طريق عاصم الأحول عن أبي العالية.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) ذكره الفراء (معاني القرآن ١٣٠/٣).

(٤) أخرجه مسلم (الصحيح، الإمامة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم ح ١٨٦٩).

(٥) الموطأ، القرآن، باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن ١٧٧/١ ح ١. وسنده مرسل.

(٦) أخرجه أبو داود وقال: روي هذا الحديث مسنداً ولا يصح. (المراسل ح ٩٤).

(٧) سنن الدارقطني، الطهارة، باب في نهى المحدث عن مس القرآن ٢٢/١ (ح ٥) وألمح الحافظ ابن كثير إلى تضعيفه، وضعفه الألباني (إرواء الغليل ١٥٨/١).

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

الشكر، وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرآها «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»^(١) [٢] كما سيأتي وقال ابن جرير: وقد ذكر عن الهيثم بن عدي أن من لغة أزدشنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكر فلان^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل، عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «وتجعلون رزقكم يقول: شكركم أنكم تكذبون، وتقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا»^(٤). وهكذا رواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن مخول بن إبراهيم النهدي، وابن جرير، عن محمد بن المثنى، عن عبيد الله بن موسى، وعن يعقوب بن إبراهيم، عن يحيى بن أبي بكير، ثلاثتهم عن إسرائيل به مرفوعاً، وكذا رواه الترمذي، عن أحمد بن منيع، عن حسين بن محمد وهو: المروزي به، وقال: حسن غريب، وقد رواه سفيان الثوري، عن عبد الأعلى ولم يرفعه^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا. وقرأ ابن عباس (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون)^(٦). وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس. وقال مالك في الموطأ: عن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت في الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب»^(٧). أخرجاه في الصحيحين وأبو داود والنسائي، كلهم من حديث مالك به^(٨).

وقال مسلم: حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعمرو بن سواد، حدثنا عبد الله بن وهب، عن

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسرائيل عن عبد الأعلى التغلبي عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي، وهي قراءة شاذة تفسيرية، وأخرجه الثوري عن عبد الأعلى به (ينظر: سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الواقعة بعد ح ٣٢٩٥). وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وصححه الحافظ ابن كثير كما سيأتي.

(٣) ذكره الطبري بلفظه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢/ ٢١٠ ح ٨٤٩) وقال محققوه: حسن لغيره.

(٥) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الواقعة (ح ٣٢٩٥). وأخرجه الضياء المقدسي من طريق حسين بن محمد به (المختارة ٢/ ١٩١ ح ٥٧١) وحسن سنده محققه، والراجح وقفه على علي عليه السلام.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح.

(٧) الموطأ، الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم ١/ ١٧٠ (ح ٤).

(٨) صحيح البخاري، الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (ح ٨٤٦)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب كفر من قال: مطرنا بالنوء (ح ١٢٥).

عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا»^(١). انفرد به مسلم من هذا الوجه.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا سفيان، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسهم بها فيصبح بها قوم كافرين، يقولون: مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا»، قال محمد: هو ابن إبراهيم، فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال: ونحن قد سمعنا من أبي هريرة، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي، فلما استسقى التفت إلى العباس فقال: يا عباس يا عم رسول الله: كم أبقى من نوء الثريا؟ فقال: العلماء يزعمون أنها تعرض في الأفق بعد سقوطها سبعا، قال: فما مضت سابعة حتى مُطَرُوا^(٢).

وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر، لا أن ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزول المطر، فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده، وقد تقدم شيء من هذه الأحاديث عند قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية فيما أحسبه أو غيره أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً ومُطَرُوا يقول: مُطَرْنَا ببعض عثانين الأسد، فقال: «كذبت بل هو رزق الله»^(٣).

ثم قال ابن جرير: حدثني أبو صالح الصراري، حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدي، حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «ما مُطَر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين، ثم قال: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٤) يقول قائل: مطرنا بنجم كذا وكذا»^(٥). وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعاً: «لو قحط الناس سبع سنين ثم أمطروا لقالوا: مُطَرْنَا بنوء المجدح»^{(٥)(٦)}.

وقال مجاهد: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٦) قال: قولهم في الأنواء مُطَرْنَا بنوء كذا، وبنوء كذا، يقول: قولوا هو من عند الله وهو رزقه^(٧)، وهكذا قال الضحاك وغير واحد^(٨).

وقال قتادة: أما الحسن فكان يقول: بئس ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا

(١) أخرجه مسلم بسنده ومثله. (المصدر السابق، الحديث الذي بعده مباشرة).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وأخرجه الحميدي من طريق سفيان به (المسند ٤٣٢/٢ ح ٩٧٩) وسنده ضعيف لنعنة ابن إسحاق.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لإرساله وترده.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف جداً لأن جعفر بن الزبير متروك. (التقريب ص ١٤٠)

(٥) هو اسم نجم من النجوم.

(٦) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد مرفوعاً. (المسند ٩٥/١٧ ح ١١٠٤٢). وحسنه محققوه.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه، ويتقوى بسابقه.

التكذيب^(١)، فمعنى قول الحسن هذا وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ولهذا قال قبله: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُعْثُورُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي: الروح ﴿الْحُلُقُومَ﴾ أي: الحلق وذلك حين الاحتضار، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْاُتْرَاقَ ﴿٢١﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٢﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقَ ﴿٢٣﴾ وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٤﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة] ولهذا قال ههنا: ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي: بملائكتنا ﴿وَلَكِنْ لَا بُعْثُورُونَ﴾ أي: ولكن لا ترونهم، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَمَرُ الْحُسَيْنِ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا﴾ معناه فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من الجسد إن كنتم غير مدنيين.

قال ابن عباس: يعني محاسبين^(٢)، وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي حنيفة مثله^(٣).

وقال سعيد بن جبيرة والحسن البصري: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ غير مصدقين^(٤) أنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس.

وعن مجاهد: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير موقنين^(٥).

وقال ميمون بن مهران: غير معذبين مقهورين.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَتَرْجُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم، إما أن يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أي: المحتضر ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم الذين فعلوا

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف، وهو الأعرابي، عن الحسن.

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَحَنَّتْ يَعِيرٌ﴾ (٨٩) أي: فلهم روح ﴿وَرِيحَانٌ﴾ وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء أن ملائكة الرحمة تقول: أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان^(١).

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿فَرُوحٌ﴾ يقول: راحة، وريحان يقول: مستراحة^(٢)، وكذا قال مجاهد: إن الروح الاستراحة^(٣).

وقال أبو حنزة: الراحة من الدنيا.

وقال سعيد بن جبير والسدي: الروح الفرح^(٤).

وعن مجاهد: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ جنة ورحاء.

وقال قتادة: فروح فرحة^(٥).

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: وريحان: ورزق^(٦)، وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق الحسن، ﴿وَحَنَّتْ يَعِيرٌ﴾.

وقال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه^(٧) فيه.

وقال محمد بن كعب: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار، وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [٢٧] ولو كتبت ههنا لكان حسناً، من جملتها حديث تميم الداري، عن النبي ﷺ يقول: «يقول الله تعالى لملك الموت انطلق إلى [فلان فائتني به فإنه قد جربته بالسراء والضراء]^(٨) فوجدته حيث أحب، ائتني فلأريحه، قال: فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة، ومعهم ضبائر الريحان - أصل الريحانة واحد - وفي رأسها عشرون لوناً لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك^(٩). وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية.

قال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا هارون، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) تقدم تخريجه بالأسانيد المتقدمة في الروايات الأربع السابقة.

(٧) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية.

(٨) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل بياض.

(٩) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.

شقيق، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ ﴿فَرُوحٌ وَرَزَّحَانٌ﴾ برفع الراء^(١)، وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث هارون، وهو ابن موسى الأعمش به، وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديثه^(٢). وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده وخالفه الباقر فقرأوا ﴿فَرُوحٌ وَرَزَّحَانٌ﴾ بفتح الراء.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أنه سمع [دُرَّةَ]^(٣) بنت معاذ تحدث عن أم هانئ، أنها سألت رسول الله ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «يكون النسم طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها»^(٤). هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن، ومعنى يعلق يأكل، ويشهد له بالصحة أيضاً ما رواه الإمام أحمد، عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، عن الإمام مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبي، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»^(٥). وهذا إسناد عظيم ومتن قوي.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش» الحديث^(٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا عطاء بن السائب قال: كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيخاً أبيض الرأس واللحية على حمار، وهو يتبع جنازة فسمعتة يقول: حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول: «من أحب لقاء الله أحب لقاء الله، ومن كره لقاء الله كره لقاء الله» قال: فأكَّب القوم يبكون، فقال: «ما يبكيكم؟» فقالوا: إنا نكره الموت، قال: «ليس ذاك ولكنه إذا احتضر ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿فَرُوحٌ وَرَزَّحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ ﴿فَإِذَا بُشِّرَ بِذَلِكَ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ﴾، والله ﷻ للقاءه أحب ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الْأَفْالِينَ﴾ ﴿فَرُلٌ مِّنْ حِمِيرٍ﴾ ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾»، فإذا بُشِّرَ بذلك كره لقاء الله والله تعالى للقاءه أكره»^(٧)، هكذا رواه الإمام أحمد، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها شاهد لمعناه^(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: وأما إذا كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَحَبِّ إِلَيْمِينَ﴾ أي: تبشرهم الملائكة بذلك تقول

- (١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٠/٤١٠ ح ٢٤٣٥٢) وصححه سندته محققوه. والقراءة متواترة.
- (٢) سنن أبي داود، الحروف والقراءات (ح ٣٩٩١)، وسنن الترمذي، أبواب القراءات (ح ٣١١٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي بعد (ح ٢٣٤٠).
- (٣) كذا بالذال كما في المسند وترجمتها في الإكمال وتعجيل المنفعة، وفي الأصول الخطبة بالذال: «دره».
- (٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٥/٣٨٣ ح ٢٧٣٨٧) وقال محققوه: صحيح لغيره. ولو قالوا: حسن لغيره لكان أضعف، ويشهد له ما يليه.
- (٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٥/٥٨ ح ١٥٧٧٨) وصححه سندته محققوه، ومن قبلهم الحافظ ابن كثير.
- (٦) صحيح مسلم، الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (ح ١٨٨٧).
- (٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٠/٢١٦ ح ١٨٢٨٣) وحسن سندته محققوه.
- (٨) صحيح مسلم، الذكر والدعاء، باب من أحب الله أحب لقاءه (ح ٢٦٨٤).

لأحدهم: سلام لك؛ أي: لا بأس عليك أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين.

وقال قتادة وابن زيد: سلم من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله^(١)، كما قال عكرمة: تسلّم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين، وهذا معنى حسن، ويكون ذلك كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ تَحْنُ أُولِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت].

وقال البخاري: ﴿سَلَّمَ لَكَ﴾ أي: مسلم لك أنك ﴿مِنْ أَحْبَابِ الْيَمِينِ﴾ وألغيت إن وبقي معناها كما تقول أنت مصدق مسافر عن قليل إذا كان قد قال إني مسافر عن قليل، وقد يكون كالدعاء له كقولك: سقياً لك من الرجال إن رفعت السلام، فهو من الدعاء^(٢)، وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال إليه والله أعلم^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ حِمِيرٍ ﴿٩٢﴾ وَنَصْلِيَّةً حَمِيرٍ ﴿٩٣﴾﴾ أي: وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ﴿نَزَّلْنَا﴾ أي: فضيافة ﴿مِنْ حِمِيرٍ﴾ وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿وَنَصْلِيَّةً حَمِيرٍ﴾ أي: وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ أي: إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا موسى بن أيوب الغافقي، حدثني عمي إياس بن عامر، عن عقبه بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ قال: «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿٩٧﴾﴾ [الأعلى] قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»^(٤). وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أيوب^(٥) به.

وقال روح بن عبادة: حدثنا حجاج الصواف، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة». هكذا رواه الترمذي من حديث روح، ورواه هو والنسائي أيضاً من حديث حماد بن سلمة، من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ به، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) ذكره البخاري بلفظه (ينظر فتح الباري ٦٢٥/٨) وهو منقول عن الفراء في (معاني القرآن ١٣١/٣).

(٣) أي: نقله عن الفراء أيضاً.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومته (المسند ١٥٥/٤). وفي سنده موسى بن أيوب: مقبول (التقريب ص ٥٤٩).

(٥) سنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه (ح ٨٦٩) وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب التسبيح في الركوع والسجود (ح ٨٨٧) وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٦) سنن الترمذي، الدعوات، باب فضل سبحان الله (ح ٣٤٦٠) والسنن الكبرى، عمل اليوم والليلة (ح ١٠٦٦٣) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٧٥٧).

وقال البخاري في آخر كتابه: حدثنا أحمد بن أشكاب، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عمار بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(١). ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل بإسناده مثله^(٢). آخر تفسير سورة الواقعة، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه البخاري بسنده وامتنه (الصحيح، التوحيد، قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ح ٧٥٦٣).

(٢) صحيح مسلم، الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (ح ٢٦٩٤).

سُورَةُ الْحَٰدِّثِ

وهي مدنية

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا بَقِيَّةُ بن الوليد، حدثني بَحِير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن ابن أبي بلال، عن عرياض بن سارية أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال: «إِنْ فِيْهِنَّ آيَةٌ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ»^(١). وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن بَقِيَّةِ به.

وقال الترمذي: حسن غريب^(٢). ورواه النسائي، عن ابن أبي السرح، عن ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن بَحِير بن سعد، عن خالد بن معدان قال: كان رسول الله ﷺ يذكره مرسلًا^(٣)، ولم يذكر عبد الله بن أبي بلال ولا العرياض بن سارية، والآية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤) كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى، وبه الثقة [وعليه التكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل]^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٣).

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض؛ أي: من الحيوانات والنباتات، كما قال في الآية الأخرى: ﴿سُبِّحْ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيْهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٤) [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: الذي قد خضع له كل شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه وأمره وشرعه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/١٢٨) وسنده ضعيف.

(٢) سنن أبي داود، الأدب، باب ما يقال عند النوم (ح ٥٠٥٧، وسنن الترمذي، ثواب القرآن، باب رقم ٢١ ح ٢٩٢١)، والسنن الكبرى للنسائي، باب عمل اليوم والليلة (ح ١٠٥٤٩) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ١٠٧٣).

(٣) السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة (ح ١٠٥٥١).

(٤) زيادة من (ح).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرياض بن سارية أنها أفضل من ألف آية.

وقال أبو داود: حدثنا عباس بن عبد العظيم، حدثنا النضر بن محمد، حدثنا عكرمة؛ - يعني: ابن عمار - حدثنا أبو زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله تعالى: ﴿إِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية [يونس: ٩٤]، قال: وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١) وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولاً.

وقال البخاري: قال يحيى: الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً (٢).

وقال شيخنا الحافظ المزي: يحيى هذا هو ابن زياد الفراء، له كتاب سماه «معاني القرآن» (٣)، وقد ورد في ذلك أحاديث، فمن ذلك ما قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا ابن عياش، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر» (٤).

ورواه مسلم في صحيحه: حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، واغننا من الفقر، وكان يروي ذلك عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ (٥).

وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا فقال: حدثنا عقبه، حدثنا يونس، حدثنا السري بن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة أنها

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، الأدب، باب في رد الوسوسة ح ٥١١٠) وحسن سنده الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٢٦٢).

(٢) ذكره البخاري بلفظ (الصحيح، التفسير سورة الحديد بعد ح ٤٨٨١). وهو منقول عن الفراء كما يلي:

(٣) معاني القرآن ٣/ ١٣٢.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٥/ ١٤٠ ح ٩٢٤٧). وصححه محققوه.

(٥) أخرجه مسلم بسنده ومثله وتعليقه. (الصحيح، الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ح ٢٧١٣).

قالت: كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة، فإذا أوى إليه توسد كفه اليمنى ثم همس ما يدرى ما يقول، فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، إِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ وَمَنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى. أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، أَقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»^(١). السري بن إسماعيل هذا هو ابن عمِّ الشعبي، وهو: ضعيف جداً، والله أعلم.

وقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدثنا عبد بن حميد وغير واحد المعنى واحد قالوا: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة قال: حدث الحسن، عن أبي هريرة قال: بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم صاحب فقال نبي الله ﷺ: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا العنان هذه روايا الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه. ثم قال: هل تدرون ما فوقكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها الرفيع سقف محفوظ وموج مكفوف. ثم قال: هل تدرون كم بينكم وبينها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بينكم وبينها خمسمائة سنة. ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن فوق ذلك سماء بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة، حتى عدَّ سبع سماوات ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل بعد ما بين السماءين، ثم قال: هل تدرون ما الذي تحت ذلك. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة، حتى عدَّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلاً إلى الأرض السفلى لهبط على الله ثم قرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ويروى عن أيوب ويونس؛ يعني: ابن عبيد وعلي بن زيد وقالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه^(٢)، انتهى كلامه.

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن سريج، عن الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فذكره وعنده وبعد ما بين الأرضين مسيرة سبعمائة عام وقال: لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لهبط على الله ثم قرأ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٢١٠/٨ ح ٤٧٤٤) وسنده ضعيف لكن يشهد له سابقه.

(٢) أخرجه الترمذي بسنده ومثله وتعليقه وحكمه. (السنن، التفسير، باب ومن سورة الحديد ح ٣٢٩٨). وسنده ضعيف، لانقطاعه بين الحسن وأبي هريرة.

وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿٤﴾^(١). ورواه ابن أبي حاتم والبزار من حديث أبي جعفر الرازي، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة فذكر الحديث^(٢) ولم يذكر ابن أبي حاتم آخره، وهو قوله: لو دلّيتم بحبل وإنما قال: حتى عدّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام، ثم تلا ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿٤﴾﴾. وقال البزار: لم يروه عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة.

ورواه ابن جرير، عن بشر، عن يزيد، عن سعيد، عن قتادة ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾. وذكر لنا أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس في أصحابه إذ مرّ عليهم سحاب فقال: هل تدرون ما هذا^(٣)؟ وذكر الحديث مثل سياق الترمذي سواء، إلا أنه مرسل من هذا الوجه، ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم. وقد روي من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه، رواه البزار في مسنده والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات»^(٤)، ولكن في إسناده نظر وفي متنه غرابة ونكارة، والله ﷻ أعلم.

وقال ابن جرير عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قال: التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض فقال بعضهم لبعض: من أين جئت؟ قال أحدهم: أرسلني ربي ﷻ من السماء السابعة وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من الأرض السابعة وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من المشرق وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من المغرب وتركته ثم^(٥). وهذا حديث غريب جداً، وقد يكون الحديث الأول موقوفاً على قتادة كما روي ههنا من قوله، والله أعلم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ لَمْ يَلَمْكَ الْأَسْمَاءُ وَالْأَرْضِ وَلِلَّهِ تُرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾.

يخبر تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم أخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن، وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهاها في سورة الأعراف^(٦) بما أغنى عن إعادته ههنا.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢/ ٣٧٠) وسنده ضعيف كسابقه، وقال ابن الجوزي حديث منكر العلل (٢٧/١).

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار ٢/ ٢٨٩ وسنده ضعيف كسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإرساله.

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥٠٦ وقال الجوزقاني: حديث منكر (الأباطيل ١/ ٦٨) وضعفه الحافظ ابن كثير سنداً ومثلاً.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لأنه مرسل ومثله لا يؤخذ إلا من الوحي لأنه من الغيبات.

(٦) في الآية ٥٤.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يعلم عدد ما يدخل فيها من حبّ وقطر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وزرع وثمار كما قال تعالى: ﴿وَعِنْدُ مَفَاتِحِ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَالْبَحْرِ وَمَا قَسْفُتْ مِنْ رَوْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من الأمطار، والثلوج والبرد والأقذار، والأحكام مع الملائكة الكرام. وقد تقدم في سورة البقرة أنه ما ينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا﴾ أي: من الملائكة والأعمال كما جاء في الصحيح: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم براً أو بحراً، في ليل أو نهار في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سرّكم ونجواكم كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِیَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَدَاتُ الْأَعْدُوِّ﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالنُّيُوتِ وَسَارٍ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد] فلا إله غيره ولا رب سواه؛ وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: لما سأله عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٢).

وروى الحافظ أبو بكر الإسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة: حدثني أبي، عن نصر بن علقمة، عن أخيه، عن عبد الرحمن بن عائذ قال: قال عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: زودني حكمة أعيش بها فقال: «استح الله كما تستحي رجلاً من صالح عشيرتك لا يفارقك»^(٣). هذا حديث غريب.

وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري مرفوعاً: «ثلاث من فعلهنّ فقد طعم الإيمان إن عبّد الله وحده، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام، ولم يعط الهمة ولا الدرة»^(٤) ولا الشرط اللئيمة^(٥) ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم وزكى نفسه» وقال رجل: يا رسول الله ما تزكية المرء نفسه؟ فقال: «يعلم أن الله معه حيث كان»^(٦).

(١) صحيح مسلم، الإيمان، باب في قوله ﷺ: «إن الله لا ينام» (ح ١٧٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) عزاه الحافظ ابن كثير إلى الإسماعيلي من حديث ابن خزيمة بن جنادة به، وقال: إسناده غريب. (مسند الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ٦٠٩/٢). وخرجه الألباني من مصادر أخرى وحكم بجودة السند. (السلسلة الصحيحة ٣٧٦/٢ ح ٧).

(٤) أي: الجرباء. (٥) أي: رذال المال.

(٦) أخرجه أبو داود (السنن، الزكاة، باب في زكاة السائمة ح ١٥٨٢) والبيهقي من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري (السنن الكبرى ٩٦/٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٤٠٠).

وقال نعيم بن حماد رحمته الله: حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، عن محمد بن مهاجر، عن عروة بن رويم، عن عبد الرحمن بن غنم، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت»^(١) غريب. وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوتُ ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما تخفي عليه يغيب

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْأُمُورَ ۖ﴾ أي: هو المالك للعالمين والآخر كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [الليل] وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠] وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبا]، فجميع ما في السموات والأرض ملك له، وأهلها عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّاهُمْ عَدًّا ۚ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ أَفْقَيْنَةٌ ۚ قَرَدًا ۚ﴾ [مریم] ولهذا قال: ﴿وَلِئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْأُمُورَ ۖ﴾ أي: إليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة بل إن يكن عمل أحدهم حسنة واحدة يضاعفها إلى عشرة أمثالها ﴿وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وكما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: هو المتصرف في الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء، فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس، وتارة يتركهما معتدلين، وتارة يكون الفصل شتاءً ثم ربيعاً ثم قيطاً ثم خريفاً، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد به خلقه ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: يعلم السرائر وإن دقت وخفيت.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۚ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۚ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ﴾ ﴿٧﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَنْ عَبْدِهِ ءَابَتَ يَنْتَبِ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۚ﴾ ﴿٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ۚ مَنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَا ۚ وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۚ﴾ ﴿٩﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَمْ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۚ﴾ ﴿١٠﴾

أمر تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار، وحثَّ على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه؛ أي: مما هو معكم على سبيل

(١) أخرجه الطبراني (المعجم الأوسط ٣٣٦/٨ ح ٨٧٩٦)، وأبو نعيم (الحلية ١٢٤/٦) كلاهما من طريق نعيم بن حماد به، ونعيم بن حماد صدوق يخطئ كثيراً (التقريب ص ٥٦٤).

العارية، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد الله تعالى إلى استعمال ما استخلفتم فيه من المال في طاعته، فإن فعلوا وإلا حاسبكم عليه وعاقبكم لترككم الواجبات فيه. وقوله تعالى: ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾ فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك، ففعل وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك، أو يعصي الله فيه فتكون قد سعت في معاونته على الإثم والعدوان.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «ألهاكم التكاثر، يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟»^(١). ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد: «وما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ﴾ ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة ثم قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرِيسَالِهِ﴾ أي: وأي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به.

وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح كتاب الإيمان من «صحيح البخاري» أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ قالوا: فالأنبياء. قال: وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟ قالوا: فنحن. قال: وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها»^(٣). وقد ذكرنا طرفاً من هذه الرواية في أول سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧] ويعني: بذلك بيعة الرسول ﷺ.

وزعم ابن جرير أن المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم وهو مذهب مجاهد^(٤)، فالله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: حججاً واضحة ودلائل باهرات وبراهين قاطعات ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس وإزاحة العلل وإزالة الشبه.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٤/٤) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق (ج ٢٩٥٨). (٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٣.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

ولما أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق ثم حثهم على الإيمان وبين أنه قد أزال عنهم موانعه حثهم أيضاً على الإنفاق فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْثُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟﴾ أي: أنفقوا ولا تخشوا فقراً وإقلالاً فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض وبيده مقاليدهما وعنده خزائنها، وهو مالك العرش بما حوى، وهو القائل ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذي العرش إقلالاً، وعلم أن الله سيخلفه عليه. وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ﴾ أي: لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس في دين الله أفواجا. ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة.

وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية^(١)، وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا زهير، حدثنا حميد الطويل، عن أنس قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها، فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ فقال: «دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغت أعمالهم»^(٢).

ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة، وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جذيمة الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح، فجعلوا يقولون: صباناً صباناً، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم، فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر وغيرهما، فاختم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك^(٣). والذي في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٤).

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب، أخبرنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» فقلنا: من هم يا رسول الله أقريش؟ قال: «لا ولكن أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً» فقلنا: أهم خير منا يا رسول الله؟ قال: «لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ألا إن هذا فصل ما بيننا وبين الناس ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق داود عن عامر الشعبي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣١٩/٢١ ح ١٣٨١٢) وصححه سننه محققوه.

(٣) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر ﷺ (الصحيح، الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو ردّ ح ٧١٨٩).

(٤) صحيح البخاري، فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (ح ٣٦٧٣) وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب تحريم الصحابة ﷺ (ح ٢٥٤١).

وَقَتْلُ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»^(١) وهذا الحديث غريب بهذا السياق [والذي في الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد ذكر الخوارج: «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(٢). الحديث، ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال: حدثني ابن البرقي، حدثني ابن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرني زيد بن أسلم، عن أبي سعيد التمار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» قلنا: من هم يا رسول الله؟ قریش؟ قال: «لا ولكن أهل اليمن لأنهم أرق أفئدة وألين قلوباً» وأشار بيده إلى اليمن فقال: «هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية» فقلنا: يا رسول الله هم خير منا؟ قال: «والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مد أحدكم ولا نصيفه» ثم جمع أصابعه ومدّ خنصره وقال: «ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس» لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلُ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»^(٣). فهذا السياق^(٤) ليس فيه ذكر الحديبية، فإن كان ذلك محفوظاً كما تقدم فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخباراً عما بعده كما في قوله تعالى في سورة المزمل وهي مكية من أوائل ما نزل ﴿وَالْآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية [٢٠]. فهي بشارة بما يستقبل وهكذا هذه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ يعني: المنفقين قبل الفتح وبعده، كلهم لهم ثواب على ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاتِلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاتِلِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاتِلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء] وهكذا الحديث الذي في الصحيح: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»^(٥). وإنما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر، فيتوهم متوهم ذمه، فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعد ذلك وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق، وفي الحديث: «سبق درهم مائة ألف»^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده هشام بن سعد وهو صدوق له أوهام ورمي بالتشيع. (التقريب ص ٥٧٢).

(٢) صحيح البخاري، استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدین بعد إقامة الحجة عليهم (ح ٦٩٣١) وصحيح مسلم، الزكاة، باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام (ح ١٠٦٤).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده أبو سعيد التمار ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وسكت عنه.

(٤) زيادة من (ح) و(حم).

(٥) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كاملاً. (الصحيح، القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ح ٢٦٦٤).

(٦) أخرجه النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وتتمته: قالوا: وكيف؟ قال: كان لرجل درهمان تصدق =

ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضي الله عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيد من عمل بها من سائر أُمم الأنبياء، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله تعالى، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها.

وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، حدثنا سفيان بن سعيد، عن آدم بن علي، عن ابن عمرو قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال، فنزل جبريل فقال: ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال؟ فقال: «أنفق ماله علي قبل الفتح» قال: فإن الله يقول: اقرأ عليه السلام وقل له: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟» فقال أبو بكر رضي الله عنه: أسخط على ربي صلى الله عليه وسلم؟ إني عن ربي راضٍ ^(١). هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال عمر بن الخطاب: هو الإنفاق في سبيل الله، وقيل: هو النفقة على العيال، والصحيح أنه أعم من ذلك، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة، وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَكُمْ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] وله أجر كريم أي: جزاء جميل ورزق باهر، وهو الجنة يوم القيامة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَكُمْ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح» قال: أرني يدك يا رسول الله. قال: فناوله يده. قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، وله حائط فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها. قال: فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح. قالت: لبيك، قال: اخرجي فقد أقرضته ربي صلى الله عليه وسلم، وفي رواية أنها قالت له: ربح بيعك يا أبا الدحداح. ونقلت منه متاعها وصبيانها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح» ^(٢). وفي لفظ «رُبَّ نخلة مدلاة عروقتها درّ وياقوت لأبي الدحداح في الجنة».

= بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها. (السنن، الزكاة، باب جهد المقل ٥٩/٥) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٢٣٦٧). وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤١٦/١).

(١) أخرجه البغوي بسنده ومثله (معالم التنزيل ٢٩٥/٤) وسنده ضعيف جداً، وفيه العلاء بن عمر الفزاري وهو متروك، واتهم بهذا الحديث بأنه كذب. (ينظر: لسان الميزان ١٨٥/٤) وضعف سنده الحافظ ابن كثير.

(٢) سنده ضعيف لضعف حميد الأعرج، وأخرجه أبو يعلى من طريق خلف بن خليفة به (المسند ٤٠٤/٨ ح ٤٩٨٦) وضعفه محققه. وأعله الحافظ ابن حجر بحميد الأعرج (المطالب العالية المسند ٢٩٤/٤ ح ٢٩٤).

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَتُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ تُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمُ اللَّهُ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَاَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَفِيهَا الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة، بحسب أعمالهم كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: على قدر أعمالهم يمشون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة^(١)، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك حتى أن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه»^(٢).

وقال سفيان الثوري: عن حصين، عن مجاهد، عن جنادة بن أبي أمية قال: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم وحلالكم ونجواكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة، قيل: يا فلان هذه نورك، يا فلان لا نور لك، وقرأ ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

وقال الضحاك: ليس أحد إلا يعطي نوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفق نور المنافقين^(٣)، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفق نور المنافقين فقالوا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا﴾ [التحریم: ٨]، وقال الحسن: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: على الصراط.

وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، أخبرنا عمي. عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعيد بن مسعود أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث، أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذرَّ يخبران عن النبي ﷺ قال: «أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم» فقال له رجل: يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ فقال: «أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم

= (ح ٤٠٤٤). ولبعضه شاهد من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه ابن حبان (الإحسان ١٦/١١٣ ح ٧١٥٩).

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن إدريس عن أبيه، عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن ابن مسعود. (المصنف ١٣/٢٩٩) وأخرجه الحاكم من طريق ابن أبي شيبة به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٧٨).

(٢) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات إلى قتادة لكنه مرسل.

(٣) رجاله ثقات لكن جنادة مختلف في صحبته (ينظر التقريب ص ١٤٢) وذكر السيوطي في الدر المنثور بنحوه ونسبه إلى ابن المنذر.

بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم»^(١).
وقوله: ﴿وَبِأَيِّمَانِهِمْ﴾ قال الضحاك: أي وبأيمانهم كتبهم كما قال: ﴿فَمَنْ أَوْقَى كَتَبَهُ يَمِينِهِ﴾ [الإسراء: ٧١]^(٢).

وقوله: ﴿بُشْرِكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: قال لهم: بشراكم اليوم جنات؛ أي: لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين فيها أبداً ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِمَ مِنْ ثَوْرِكُمْ﴾ وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة، وأنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبدة بن سليمان، حدثنا ابن المبارك، حدثنا صفوان بن عمرو، حدثني سليم بن عامر قال: خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها. قال أبو أمامة: أيها الناس إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله، فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نوراً، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذي ضربه الله تعالى في كتابه فقال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكَدُونَ لَمْ يَكَدْ يَرَوْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: ٤٥] فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴿انظُرُونَا نَقْتَسِمَ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ وهي خدعة الله التي يخدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم ﴿سُورٌ لَّهُمْ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ الآية^(٣).

يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغترّاً حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن^(٤).

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عثمان، حدثنا ابن حيوة، حدثنا أرطاة بن المنذر، حدثنا

(١) أخرجه الحاكم من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٧٨/٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه بلفظ: «كتبهم قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْقَى كَتَبَهُ يَمِينِهِ﴾ [الانشقاق: ٧]».

(٣) أخرجه الحاكم من طريق صفوان بن عمرو به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٠٠/٢ - ٤٠١).

(٤) هذا القول تنمى لرواية ابن أبي حاتم لم يرد في رواية الحاكم.

يوسف بن الحجاج، عن أبي أمامة قال: يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ﴾^(١).

وقال العوفي والضحاك وغيرهما، عن ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا: حينئذٍ ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ فإننا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون: ﴿أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور^(٢).

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا الحسن بن عرفة بن علوية القطان، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار، حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة، حدثنا ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترأ منه على عباده، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً، فإذا استوتوا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ وقال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا﴾ [التحریم: ٨] فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ يَتَنَّهُمْ سُورٌ لَمْ يَبَأْ بِأَطْنُفٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهَرُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ قال الحسن وقتادة: هو حائط بين الجنة والنار^(٤).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو الذي قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾^(٥) [الأعراف: ٤٦] وهكذا روي عن مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٦) وغير واحد وهو الصحيح ﴿بِأَطْنُفٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: الجنة وما فيها ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي: النار، قاله قتادة وابن زيد وغيرهما^(٧).

قال ابن جرير: وقد قيل: إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم. ثم قال: حدثنا ابن البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد، عن عطية بن قيس، عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: إن السور الذي ذكره الله في القرآن ﴿فَضْرِبَ يَتَنَّهُمْ سُورٌ لَمْ يَبَأْ بِأَطْنُفٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهَرُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ وهو السور الشرقي باطنه المسجد وما يليه وظاهره وادي جهنم^(٨). ثم روي عن عبادة بن الصامت وكعب الأحبار وعلي بن الحسين زين

(١) يوسف بن حجاج لم أعرف من هو؟ ويتقوى بسابقه، فإنه طرف من سابقه.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، وطريق الضحاك عن ابن عباس منقطع لأنه لم يلقاه، ولكن يشهد له ما سبق.

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ١١/ ١٢٢ ح ١١٢٤٢) وسنده ضعيف جداً لأن إسحاق بن بشر متروك (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٥).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) أخرجهما الطبري بالسندين المتقدمين الصحيحين عن قتادة وابن زيد.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وأخرجه الحاكم من طريق سعيد بن عبد العزيز عن عطية بن قيس به وصححه =

العابدين نحو ذلك^(١)، وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالاً لذلك، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين نفسه ونفس المسجد، وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم، فإن الجنة في السموات في أعلى عليين والنار في الدركات أسفل سافلين.

وقول كعب الأحبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلياته وترهاته، وإنما المراد بذلك السور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة.

﴿يَأْدُوهُمْ أَلَمَ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين أما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى قد كنتم معنا ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا فَتَنَّا أَنْفُسَكُمْ وَزَيَّغْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ قال بعض السلف: أي: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي^(٢). والشهوات وتربصتم؛ أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت.

وقال قتادة: ﴿وَزَيَّغْتُمْ﴾ بالحق وأهله ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي: بالبعث بعد الموت ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ أي: قلت: سيغفر لنا وقيل: غرتكم الدنيا ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: ما زلت في هذا حتى جاءكم الموت ﴿وَغَرَّتْكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ أي: الشيطان قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار^(٣). ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين أنكم كنتم معنا؛ أي: بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراوون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلاً.

قال مجاهد: كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرهم، وكانوا معهم أموالاً ويعطون النور جميعاً يوم القيامة، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ويماز بينهم حينئذ^(٤).

= ووافقه الذهبي (المستدرک ٦٠١/٤) وأخشى أن هذا الخبر من الزاملتين اللتين جاء بها عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وفيها ما فيها من الإسرائيليات، وسيأتي ما يؤكد ذلك.

(١) أخرجه الحاكم من طريق محمد بن ميمون عن بلال بن عبد الله مؤذن بيت المقدس عن عبادة بن الصامت. بنحوه وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: بل منكر، وآخره باطل لأنه ما اجتمع عبادة برسول الله ﷺ هناك، ثم من هو ابن ميمون وشيخه؟ وفي نسخة أبي مسهر عن سعيد عن زياد بن أبي سودة قال: رأي عبادة على سور بيت المقدس يبكي وقال: من ها هنا أخبرنا رسول الله ﷺ رأى جهنم. فهذا المرسل أجود. (المستدرک ٤٧٩/٢). وأخرجه الطبري من قول كعب الأحبار وهو معروف برواية الإسرائيليات، وقد أكد الحافظ ابن كثير إنه من إسرائيلياته.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بالسند الصحيح السابق.

(٤) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول، وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا أَرْحَبَ آلَئِينَ ۖ﴾ (٢٨) ﴿فِي جَنَّتٍ يَسْأَلُونَ ۖ﴾ (٢٩) ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ﴾ (٣٠) ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ﴾ (٣١) ﴿قَالُوا لَوْ نَكَّ مِنْ الْمَصْلِينَ ۖ﴾ (٣٢) ﴿وَلَوْ نَكَّ نَطَعُمُ الْيَسْكِينِ ۖ﴾ (٣٣) ﴿وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَٰصِصِينَ ۖ﴾ (٣٤) ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ۖ﴾ (٣٥) ﴿حَتَّىٰ أَتَيْنَا آلَئِينَ ۖ﴾ (٣٦) [المدرثر] فهذا إنما خرج منهم على وجه التقرير لهم والتوبيخ.

ثم قال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ۖ﴾ (٣٧) [المدرثر] كما قال ههنا: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ﴾ أي: لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه. وقوله: ﴿مَأْوَانَكُمْ أَنْتَ ۖ﴾ أي: هي مصيركم وإليها منقلبكم. وقوله: ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ ۖ﴾ أي: هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتياحكم وبئس المصير.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۖ﴾ (٣٨) ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۖ﴾ (٣٩).

يقول تعالى: أما أن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله؛ أي: تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه. قال عبد الله بن المبارك: حدثنا [صالح المري]^(١)، عن قتادة، عن ابن عباس أنه قال: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾ الآية، رواه ابن أبي حاتم، عن الحسن بن محمد بن الصباح، عن حسين المروزي، عن ابن المبارك به^(٢). ثم قال هو ومسلم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال؛ يعني: الليثي، عن عون بن عبد الله، عن أبيه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾ الآية، إلا أربع سنين^(٣)، كذا رواه مسلم في آخر الكتاب، وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية عن هارون بن سعيد الأيلي، عن ابن وهب به^(٤). وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعي، عن أبي حازم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه مثله^(٥)، فجعله من مسند ابن الزبير، لكن رواه البزار في مسنده من طريق موسى بن يعقوب، عن أبي حازم، عن

(١) كذا في (حم) و(مع)، وفي الأصل صحف إلى: صالح المدني.

(٢) سنده ضعيف لضعف صالح المري، وقاتة لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنه، ومثته مخالف لما في الصحيح كما يلي.

(٣) أخرجه الإمام مسلم بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾ [الحديد: ١٦] ح ٣٠٢٧).

(٤) السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ (ح ١٥٦٨).

(٥) سنن ابن ماجه، الزهد، باب الحزن والبكاء (ح ٤١٩٢). وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٣٨٠).

عامر، عن ابن الزبير، عن ابن مسعود... فذكره^(١).

وقال سفيان الثوري: عن المسعودي، عن القاسم قال: ملَّ أصحاب رسول الله ﷺ مَلَّةً فقالوا: حدثنا يا رسول الله، [فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] قال: ثم ملُّوا مَلَّةً فقالوا: حدثنا يا رسول الله^(٢) فنزلت ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] ثم ملُّوا مَلَّةً فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣).

وقال قتادة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروي عن رسول الله ﷺ قال: «إن أول ما يرفع من الناس الخشوع»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتلفة، وقلدوا الرجال في دين الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعده ولا وعيد.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُونَ﴾ أي: في الأعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة كما قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ يَتَّبِقُهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسَةً يُخْرِفُونَ كَلِمَةً عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣] أي: فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نهوا عنه، ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا شهاب بن خراش، حدثنا حجاج بن دينار، عن منصور بن المعتمر، عن الربيع بن عميلة الفزاري قال: حدثنا عبد الله بن مسعود حديثاً ما سمعت أعجب إليّ منه إلا شيئاً من كتاب الله أو شيئاً قاله النبي ﷺ قال: «إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم استهوتهم قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا: تعالوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فمن تابعتنا عليه تركناه ومن كره أن يتابعنا قتلناه، ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه، فلما رأى ما يصنعون عمد إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف ثم

(١) مسند البزار ٢٧٥/٤ ح ١٤٤٣، وأخرجه الحاكم من طريق موسى بن يعقوب به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٧٩/٢).

(٢) زيادة من (حم) و(ح).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة يوسف آية ٣ من طريق محمد بن أبي عمر العدني عن سفيان عن المسعودي به. والمسعودي هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي: صدوق اختلط قبل موته، وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط. (التقريب ص ٣٤٤).

(٤) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل، وأخرجه أبو الشيخ من طريق قتادة عن الحسن عن شداد (طبقات أصبهان ١٦٤/٣) وسنده منقطع لأن الحسن لم يسمع من شداد.

أدرجه، فجعله في قرن ثم علّق ذلك القرن في عنقه، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء إنكم أفشيتم القتل في بني إسرائيل فادعوا فلاناً فاعرضوا عليه كتابكم، فإنه إن تبعكم فسيتابكم بقية الناس وإن أبى فاقتلوه، فدعوا فلاناً ذلك الفقيه قالوا: أتؤمن بما في كتابنا هذا، قال: وما فيه؟ اعرضوه عليّ؟ فعرضوه عليه إلى آخره، ثم قالوا: أتؤمن بما في كتابنا هذا؟ قال: نعم آمنت بما في هذا، وأشار بيده إلى القرن فتركوه فلما مات فتشوه فوجدوه مُتعلّقاً ذلك القرن، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض: يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة، فافتقرت بنو إسرائيل على اثنين وسبعين ملة، وخير مللهم ملة أصحاب ذي القرن قال ابن مسعود: وإنكم أوشك بكم إن بقيتم أو بقي من بقي منكم أن تروا أموراً تنكرونها لا تستطيعون لها غيراً، فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره^(١).

وروى أبو جعفر الطبري، حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي معشر، عن إبراهيم قال: جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود فقال: يا أبا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، فقال عبد الله. هلك من لم يعرف قلبه معروفاً ولم ينكر قلبه منكراً. إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من بين أيديهم وأرجلهم استهوت قلوبهم واستحلته ألسنتهم، وقالوا: نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب، فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه، قال فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن ثم جعل القرن بين ثنودتيه^(٢)، فلما قيل له: أتؤمن بهذا؟ قال: آمنت به ويومئ إلى القرن بين ثنودتيه، وما لي لا أؤمن بهذا الكتاب؟ فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن^(٣).

وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكرب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعّال، وهو الحكيم العدل في جميع الفعّال، اللطيف الخبير الكبير المتعال.

﴿إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ١٨ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ١٩﴾.

يخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة

(١) في سنده هشام بن عمار صدوق كبير فصار يتلقن. (التقريب ص ٥٧٣) وشهاب بن خراش: صدوق يخطئ. (التقريب ص ٢٦٩).

(٢) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل وردت من غير نقط، والثنودتان للرجل كالثدين للمرأة.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي، وضعف أبي معشر وهو نجيب.

﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكوراً، ولهذا قال: ﴿يُضَعَّفُ لَهُمْ﴾ أي: يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها، ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف، وفوق ذلك ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب كريم.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾ هذا تمام لجملة وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون.

قال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾ هذه مفصلة ﴿وَالشَّٰهَدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾^(١).

وقال أبو الضحى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَالشَّٰهَدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٢). وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم^(٣).

وقال الأعمش: عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ وَالشَّٰهَدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: هم ثلاثة أصناف^(٤): يعني المصدقين والصديقين والشهداء، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالشَّٰهَدَةِ وَالصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على أنهما صنفان ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد، كما رواه الإمام مالك بن أنس رحمهما الله في كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قال: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(٥). اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث مالك به^(٦).

وقال آخرون: بل المراد من قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ وَالشَّٰهَدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء، حكاه ابن جرير، عن مجاهد^(٧)، ثم قال ابن جرير: حدثني صالح بن حرب أبو معمر، حدثنا إسماعيل بن يحيى، حدثنا ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مؤمنو أمتي شهداء» قال: ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ وَالشَّٰهَدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٨). هذا حديث غريب.

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما يليه

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد المتقدم ذكره قبل الرواية السابقة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي الضحى عن مسروق، وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه.

(٤) سنده صحيح.

(٥) سنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (ح ٣٢٥٦) وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف... (ح ٢٨٣١).

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «بالإيمان على أنفسهم بالله».

(٨) سنده ضعيف لضعف إسماعيل بن يحيى. (التقريب ص ١١٠).

وقال أبو إسحاق: عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّابِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ قال: يجيئون يوم القيامة معاً كالأصبعين.

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين: «إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال: ماذا تريدون؟! فقالوا: نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة، فقال: إني قد قضيت أنهم إليها لا يرجعون»^(١).

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي: لهم عند الله أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال كما قال الإمام أحمد، حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن أبي يزيد الخولاني قال: سمعت فضالة بن عبيد يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله فقتل فذاك الذي ينظر الناس إليه هكذا ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله ﷺ أو قلنسوة عمر، «والثاني: مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية، والثالث: رجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة، والرابع: رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة»^(٢). وهكذا رواه علي بن المديني، عن أبي داود الطيالسي، عن ابن المبارك، عن ابن لهيعة، وقال هذا إسناد مصري صالح^(٣)، ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال: حسن غريب^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ لما ذكر السعداء ومآلهم عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَلًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَٰعِبٌ غَرُورٌ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى موهناً أمر الحياة الدنيا ومحقرأ لها: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال تعالى: ﴿يُنِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الواقعة آية ٨٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه (المسند ١/ ٢٩٣ ح ١٥٠) وضعف سنده محققوه، لجهاله أبي يزيد الخولاني.

(٣) أخرجه عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة به (الجهاد رقم ١٢٦).

(٤) سنن الترمذي، فضائل الجهاد، باب ما جاء في الشهداء عند الله (ح ١٦٤٤).

وَالْحَرِّ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٨﴾ [آل عمران] ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَآئِهِ﴾ أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها ﴿ثُمَّ يَسْجُ فَرَّتْهُ مَصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ أي: يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعد ما كان خضراً نضراً، ثم يكون بعد ذلك كله حطاماً؛ أي: يصير يبساً متحطماً، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى، قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم] ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ أي: هي متاع فانٍ غارٍ لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة.

قال ابن جرير: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا المحاربي، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾»^(١). وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير ووکیع كلاهما عن الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «للجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك»^(٢). انفرد بإخراجه البخاري في الرقاق من حديث الثوري، عن الأعمش به^(٣).

ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان، وإذا كان الأمر كذلك فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات من فعل الطاعات وترك المحرمات التي تكفر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثله دون الزيادة في قوله: اقرؤوا ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ وهو حديث صحيح تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران آية ١٨٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/٤٤٢). وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله.. (ح ٦٤٨٨).

عَرَضَهَا كَعَرَضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ* والمراد جنس السماء والأرض كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران] وقال ههنا: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي: هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم، كما قدمناه في الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. قال: «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتهم من بعدهم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» قال: فرجعوا فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»^(١).

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٣٣] لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ [٣٤] الَّذِينَ يَبْطُلُونَ بِأَمْوَالِهِمُ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [٣٥].

يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: في الآفاق وفي أنفسكم ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي: من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة.

وقال بعضهم: من قبل أن نبرأها عائد على النفوس.

وقيل: عائد على المصيبة، والأحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثني ابن عليه، عن منصور بن عبد الرحمن قال: كنت جالساً مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ فسألته عنها فقال: سبحان الله ومن يشك في هذا؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة^(٢).

وقال قتادة: ما أصاب من مصيبة في الأرض قال: هي السنون يعني الجذب ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يقول: الأوجاع والأمراض^(٣)، قال: وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر^(٤).

وهذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق - قبهم الله.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة وابن لهيعة قالوا: حدثنا أبو هانئ

(١) صحيح البخاري، الأذان، باب الذكر بعد الصلاة (ح ٨٤٣) وصحيح مسلم، المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة (ح ٥٩٥).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٤) الأثر تمة لسابقه لكن هذه التمة فيها ضعف لأن قتادة. رواه بلاغاً.

الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»^(١). ورواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن زيد، ثلاثتهم عن أبي هانئ به، وزاد ابن وهب: «وكان عرشه على الماء»^(٢). ورواه الترمذي وقال حسن صحيح^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابتها لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله ﷻ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، ولو كان كيف كان يكون.

وقوله تعالى: ﴿لَيْكِلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي: أعلمناكم بتقديم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطاكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي: جاءكم، وتفسير آتاكم؛ أي: أعطاكم وكلاهما متلازم؛ أي: لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً تفخرون بها على الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: مختال في نفسه متكبر فخور؛ أي: على غيره.

وقال عكرمة: ليس أحد إلا هو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً^(٤).

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْلُوتُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ أي: يفعلون المنكر ويحضنون الناس عليه ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي: عن أمر الله وطاعته ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ كما قال موسى ﷺ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَضُرُّهُ وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٥).

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهو النقل الصدق ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وهو العدل، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما^(٥)، وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَتَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ [هود: ١٧] وقال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلْفِي فَطَرَتِ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧].

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٦٩/٢). وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، القدر، باب حجاج آدم وموسى ﷺ (ح ٢٦٥٣).

(٣) أخرجه الترمذي من طريق حيوة به (السنن، القدر، باب رقم ١٨ ح ٢١٥٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبه عن وكيع عن سفيان عن سماك البكري عن عكرمة عن ابن عباس (المصنف ١٣/٣٧٣).

وأخرجه الحاكم من طريق ابن أبي شيبه به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٧٩/٢).

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

ولهذا قال في هذه الآية: ﴿لَيَقُومَنَّ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به، فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي، ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوأوا غرف الجنات، والمنازل العاليات، والسرر المصفوفات: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبينات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف، شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهوام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن حسان بن عطية، عن أبي المنيب الجرشي الشامي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَمْحِي، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصُّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١). ولهذا قال تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني: السلاح كالسيوف والحرايب والسنان والنصال والدروع ونحوها ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: في معاشهم كالسكة والفأس والقندوم والمنشار والإزميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز، وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك.

قال علباء بن أحمد: عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم: السندان والكلبتان والميقعة يعني: المطرقة، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يُضِرُّهُ وَيُؤْمَلُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسوله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس، وإنما شرع الجهاد ليلبوا بعضهم ببعض.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ رِسَالَنَا وَفَقَيْنَا يَحْيَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنَاهُ أَتَدْعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحاً ﷺ لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته وكذلك إبراهيم ﷺ خليل الرحمن، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٠٤.

(٢) أخرجه الطبري من طريق علباء بن أحمر به، وسنده ضعيف لأن فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

بعده إلا وهو من سلالة، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ عِبَادِهِمُ الرَّسُولَ وَفَتَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم الحواريون ﴿رَأْفَةً﴾ أي: رقة وهي الخشية ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلق.

وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: ابتدعها أمة النصارى ﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: ما شرعناها لهم وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ فيه قولان:

(أحدهما): أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد بن جبير وقتادة^(١).

(والآخر): ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: فما قاموا بما التزموا حق القيام، وهذا ذمٌ لهم من وجهين:

(أحدهما): في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله.

(والثاني): في عدم قيامهم بما التزموا مما زعموا أنه قرينة يقربهم إلى الله ﷻ.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي، حدثنا السري بن عبد ربه، حدثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن جده ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا ابن مسعود» قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، فدعت إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم، فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال، فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط، فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾»^(٢).

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال: حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا الصعق بن حزن، حدثنا عقيل الجعدي، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سويد بن غفلة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم» وذكر نحو ما تقدم وفيه ﴿فَقَاتِلْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ هم الذين آمنوا بي وصدقوني ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهم الذين كذبوني

(١) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٢) في سنده بكير بن معروف وهو: صدوق فيه لين. (التقريب ص ١٢٨) ويتقوى بالروايات التالية على رأي الحافظ ابن كثير كما يلي.

وخالفوني^(١). ولا يقدح في هذه المتابعة لحال داود بن المحبر فإنه أحد الوضاعين للحديث، ولكن قد أسنده أبو يعلى عن شيبان بن فروخ، عن الصعق بن حزن به مثل ذلك^(٢)، فقوي الحديث من هذا الوجه.

وقال ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائي واللفظ له: أخبرنا الحسين بن حريث، حدثنا الفضل بن موسى، عن سفيان بن سعيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلت التوراة والإنجيل فكان منهم مؤمنون يقرأون التوراة والإنجيل، فقبل لملوكهم ما نجد شيئاً أشد من شتم يشتمونه هؤلاء إنهم يقرأون: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] هذه الآيات مع ما يعيبونها به من أعمالنا في قراءتهم فادعهم فليقرأوا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمننا، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نردّ عليكم، وقالت طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنوا لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نردّ عليكم ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم، ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

والآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق إلا القليل انحطّ منهم رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديرته فأمّنوا به وصدقوه فقال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] أجرين بإيمانهم بعيسى ابن مريم وتصديقهم بالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم به قال: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الذين يتشبهون بكم ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣). هذا السياق فيه غرابة، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين على غير هذا، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء أن سهل بن أبي أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف داود بن المحبر، وضعف عقيل الجعدي، ولكن داود بن المحبر توبع كما سيأتي وببقى ضعف عقيل، فقد أخرجه الحاكم من طريق عبد الرحمن بن المبارك عن الصعق بن حزن عن عقيل به وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بأن عقيل الجعدي منكر الحديث. (المستدرک ٤٨٠/٢).

(٢) وفي سنده أيضاً شيخ الصعق وهو عقيل.

(٣) أخرجه النسائي والطبري بسنده ومثته (السنن الكبرى، التفسير، سورة الحديد، ح ١١٥٠٣). وفي سندهما عطاء بن السائب وهو صدوق اختلط. (التقريب ص ٣٩١).

مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير، وهو يصلي صلاة خفيفة كأنها صلاة المسافر أو قريباً منها، فلما سلم قال: يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تنفلته؟ قال: إنها المكتوبة وإنها صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه، إن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» ثم غدوا من الغد فقالوا: نركب فننظر ونعتبر، قال: نعم. فركبوا جميعاً فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها، فقالوا: أتعرف هذه الديار؟ قال: ما أعرفني بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغي والحسد، إن الحسد يطفئ نور الحسنات والبغي يصدق ذلك أو يكذبه، والعين تزني، والكف تزني، والقدم والجسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعمر، حدثنا عبد الله، أخبرنا سفيان، عن زيد العمي، عن أبي إياس، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله ﷻ»^(٢). ورواه الحافظ أبو يعلى، عن عبد الله بن محمد بن أسماء، عن عبد الله بن المبارك به ولفظه: «لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين - هو ابن محمد - حدثنا ابن عياش يعني: إسماعيل، عن الحجاج بن مروان الكلاعي وعقيل بن مُدرك السلمي، عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رجلاً جاء فقال: أوصني، فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض^(٤). تفرد به أحمد، والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَعْزَّزُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَفْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٩﴾﴾

قد تقدم في رواية النسائي، عن ابن عباس أنه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص^(٥)، وكما في حديث الشعبي، عن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٦/٣٦٥ ح ٣٦٩٤) وحسنه محققه، وأخرجه أبو داود من طريق عبد الله بن وهب به. (السنن، الأدب، باب في الحسد ح ٤٩٠٤) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٤٦٨ ح).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢١/٣١٧ ح ١٣٨٠٧) وضعفه سند محققه لضعف زيد العمي.

(٣) أخرجه أبو يعلى من طريق زيد العمي أيضاً (المسند ٧/٢١٠ ح ٤٢٠٤)، فسند ضعيف، وضعفه محققه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (٢٩٨/١٨ ح ١١٧٧٤) وضعفه سند محققه لأن عقيل بن مدرك لم يدرك أباً سعيد.

(٥) آية ٥٤.

من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران» أخرجاه في الصحيحين^(١)، ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما^(٢) وهو اختيار ابن جرير.

وقال سعيد بن جبیر: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية في حق هذه الأمة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ أَي: ضعفين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وزادهم ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني: هدى يتبصر به من العمى والجهالة ويغفر لكم، ففضلهم بالنور والمغفرة. رواه ابن جرير عنه^(٣).

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال] وقال سعيد بن عبد العزيز: سأل عمر بن الخطاب حبراً من أحبار اليهود كم أفضل ما ضُغِفَتْ لكم حسنة؟ قال كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة، قال فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين، ثم ذكر سعيد قول الله ﷻ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال سعيد: والكفلان في الجمعة مثل ذلك^(٤)، رواه ابن جرير. ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ ألا فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم، فغضب النصارى واليهود وقالوا: نحن أكثر عمالاً وأقل عطاءً قال: هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإنما هو فضلي أوتيته من أشياء»^(٥).

قال أحمد: وحدثناه مؤمل، عن سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر نحو حديث نافع عنه^(٦) انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب، عن حماد، عن نافع به، وعن قتيبة، عن الليث، عن نافع بمثله^(٧).

وقال البخاري: حدثني محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن [بُريد]^(٨)، عن أبي بردة، عن

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه عن الضحاك.

(٣) أخرجه الطبري مطولاً بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لأن سعيد بن عبد العزيز لم يدرك عمر ﷺ، وهو من الطبقة السابعة وقد اختلط (التقريب ص ٢٣٨).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٦/٢) وسنده صحيح.

(٦) (المسند ١١١/٢).

(٧) صحيح البخاري، الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار (ح ٢٢٦٨).

(٨) كذا في (ح) و(حم) وصحيح البخاري، وفي الأصل صحف إلى: «يزيد».

أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «مثلُ المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قومًا يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم، فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر قالوا: ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه. فقال: أكملوا بقية عملكم فإنما بقي من النهار شيء يسير فأبوا. فاستأجر قومًا أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا له بقية يومهم حتى غابت الشمس، فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور»^(١). انفرد به البخاري ولهذا قال تعالى: ﴿ثَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: ليتحققوا أنهم لا يقدرُونَ على ردِّ ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

قال ابن جرير: ﴿ثَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي: ليعلم، وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها (لكي يعلم)^(٢) وكذا خطاب بن عبد الله، وسعيد بن جبير^(٣). قال ابن جرير: لأن العرب تجعل «لا» صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] بالله ﴿وَحَكْرُمُ عَلَى قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٤) [الأنبياء]. آخر تفسير سورة الحديد.

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، الإجازة، باب الإجازة من العصر إلى الليل ح ٢٢٧١).

(٢) ذكره الطبري بنحوه، وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي هارون الغنوي عن خطاب بن عبد الله، وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق أبي المعلى عن سعيد بن جبير.

(٤) ذكره الطبري بنحوه.

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى آخر الآية^(١)، وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقاً فقال: وقال الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة فذكره^(٢). وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن الأعمش به^(٣). وفي رواية لابن أبي حاتم، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ قالت: وزوجها أوس بن الصامت.

وقال ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة هو أوس بن الصامت: وكان أوس امرأً به لمم، فكان إذا أخذه لممه واشتد به يظاھر من امرأته، وإذا ذهب لم يقل شيئاً فأتت رسول الله ﷺ تستفتيه في ذلك وتشتكي إلى الله، فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ الآية. وهكذا روى هشام بن عروة، عن أبيه أن رجلاً كان به لمم فذكر مثله^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي: حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة، حدثنا جرير يعني ابن

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٦/٦) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً ووصله الحافظ ابن حجر برواية الإمام أحمد السابقة، وأخرجه الحافظ ابن حجر بسنده من طريق الأعمش به. (تغليق التعليق ٣٣٨/٥، ٣٣٩).

(٣) سنن النسائي، الطلاق، باب الظهار (ح ١٦٨/٨) وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ح ١٨٨) وتفسير الطبري من عدة طرق.

(٤) أخرجه الطبري من طريق أبان العطار عن هشام بن عروة به، ويشهد له سابقه.

حازم قال: سمعت أبا يزيد يحدث قال: لقيت امرأة عمر يقال لها: خولة بنت ثعلبة، وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه، ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالاً قريش على هذه العجوز، قال: ويحك وتندري من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها^(١). هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روي من غير هذا الوجه.

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا المنذر بن شاذان، حدثنا يعلى، حدثنا زكريا، عن عامر قال: المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت، وأمها: معاذة^(٢) التي أنزل الله فيها ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتِكُمْ عَلَى الْإِغْيَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]^(٣) صوابه: خولة امرأة أوس بن الصامت.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَا هُمْ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ نُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قالوا: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن خويلة بنت ثعلبة قالت: فيّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، قالت: فدخل علي يوماً فراجعته بشيء، فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل علي فإذا هو يريدني عن نفسي قالت: قلت: كلاً، والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلي، وقد قلت ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني، فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه».

قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيّ قرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سري عنه فقال لي: «يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً»، ثم قرأ عليّ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة] إلى قول

(١) سنده ضعيف لأن أبا يزيد لم يسمع من عمر ﷺ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: وتسمية أمها غريب. (فتح الباري ١٣/ ٣٧٤).

(٣) سنده مرسل.

تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «مريه فليعتق رقبة» قالت: فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: «فليصم شهرين متتابعين» قالت: فقلت والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام قال: «فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر» قالت: فقلت والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإننا سنعيّنه بعرقٍ من تمر» قالت: فقلت يا رسول الله وأنا سأعيّنه بعرقٍ آخر قال: «قد أصبت وأحسنيت فاذهبي فتصدقني به عنه ثم استوصي بآبن عمك خيراً» قالت: ففعلت^(١).

ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين عن محمد بن إسحاق بن يسار به^(٢)، وعنده خولة بنت ثعلبة ويقال فيها: خولة بنت مالك بن ثعلبة، وقد تُصَغَّرُ فيقال: خويلة، ولا منافاة بين هذه الأقوال فالأمر فيها قريب والله أعلم. هذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كانت سبب النزول ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة، من العتق أو الصيام أو الإطعام، كما قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سليمان بن يسار، عن سلمة بن صخر الأنصاري قال: كنت امرأً قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري، فلما دخل رمضان ظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقاً من أن أصيب في ليلتي شيئاً فأتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع، فبينما هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها، فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت: انطلقوا معي إلى النبي ﷺ فأخبره بأمرى، فقالوا: لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا، أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة علينا عارها، ولكن اذهب أنت، فاصنع ما بدا لك.

قال: فخرجت حتى أتيت النبي ﷺ فأخبرته خبري فقال لي: «أنت بذاك» فقلت: أنا بذاك فقال: «أنت بذاك» فقلت: أنا بذاك قال: «أنت بذاك» قلت: نعم، ها أنا ذا فأمض في حكم الله ﷻ فإنني صابر له قال: «أعتق رقبة» قال: فضربت صفحة رقبتى بيدي وقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها، قال: «فصم شهرين متتابعين» قلت: يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام؟ قال: «فتصدق» فقلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشى ما لنا عشاء، قال: «اذهب إلى صاحب صدقة بني رزيق فقل له فليدفعها إليك فأطعم عنك منها وسقاً من تمر ستين مسكيناً ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك» قال: فرجعت إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة قد أمر لي بصدقتكم فادفعوها إليّ فدفعوها إليّ^(٣)، وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه واختصره الترمذي وحسنه، وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٠٢/٤٥ ح ٢٧٣١٩) وضعف سنده محققوه لجهالة معمر بن عبد الله بن حنظلة فلم يرو عنه سوى محمد بن إسحاق.

(٢) سنن أبي داود، الطلاق، باب في الظهار (ح ٢٢١٤)، وسنده كسابقه، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٩٣٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٤٧/٢٦ - ٣٤٩ ح ١٦٤٢١) وصححه محققوه بطرقه وشواهده.

الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة، كما دلَّ عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل.

قال خُصيف: عن مجاهد، عن ابن عباس: أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك، فلما ظاهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقاً، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أوساً ظاهر مني، وإنّا إن افترقنا هلكنّا وقد نثرت بطني منه وقدمت صحبتته، وهي تشكو ذلك وتبكي ولم يكن جاء في ذلك شيء، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١] إلى قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «أتقدر على رقبة تعتقها»^(١) قال: لا والله يا رسول الله ما أقدر عليها. قال: فجمع له رسول الله ﷺ حتى أعتق عنه ثم راجع أهله^(٢). رواه ابن جرير ولهذا ذهب ابن عباس والأكثر إلى ما قلناه والله أعلم.

فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أصل الظهار مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها: أنت عليّ كظهر أمي ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم، هكذا قال غير واحد من السلف.

قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي حمزة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية أنت عليّ كظهر أمي حرمت عليه فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس، وكان تحته ابنة عم له يقال لها: خويلة بنت ثعلبة، فظاهر منها فأسقط في يديه، وقال ما أراك إلا قد حرمت عليّ وقالت له مثل ذلك، قال: فانطلقني إلى رسول الله ﷺ فأتت رسول الله ﷺ فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه فقال: «يا خويلة» ما أمرنا في أمرك بشيء، فأنزل الله على رسوله فقال: «يا خويلة أبشري» قالت: خيراً، فقرأ عليها ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١] إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ قالت: وأي رقبة لنا والله ما يجد رقبة غيري قال: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ قالت: والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره قال: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ قالت: من أين؟ ما هي إلا أكلة إليّ مثلها، قال: فدعا بشطر وشق ثلاثين صاعاً والوسق ستون صاعاً فقال: ليطعم ستين مسكيناً وليراجعك^(٣). وهذا إسناد قوي وسياق غريب، وقد روي عن أبي العالية نحو هذا.

(١) سنن أبي داود، الطلاق، باب في الظهار (ح ٢٢١٣) وسنن ابن ماجه، الطلاق، باب في الظهار (ح ٢٠٦٢) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٩٣٣)، وسنن الترمذي، التفسير باب ومن سورة المجادلة (ح ٣٢٩٥).

(٢) أخرجه الطبري من طريق عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموي عن خصيف به، وفي سننه عبد العزيز الأموي وهو متهم (ينظر الجرح والتعديل ٣٨٨/٥) لكنه يتقوى بما سبق من الشواهد.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومتمته، وسنده ضعيف لضعف أبي حمزة وهو ثابت بن أبي صفية وهو رافضي أيضاً. (التقريب ص ١٣٢). وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح ١٥١٣) وقال البزار: وأبو حمزة لين الحديث، وقد خالف في روايته ومتن حديثه الثقات في أمر الظهار.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الرحمن [الهروي]^(١)، حدثنا علي بن العاصم، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية قال: كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الأنصار، وكان ضرير البصر فقيراً سيء الخلق، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد رجل أن يطلق امرأته قال: أنت عليّ كظهر أمي، وكان لها منه عَيْلٌ أو عَيْلان فنازعته يوماً في شيء فقال: أنت عليّ كظهر أمي، فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبي ﷺ وهو في بيت عائشة، وعائشة تغسل شقَّ رأسه فقدمت عليه ومعها عَيْلُها، فقالت: يا رسول الله إن زوجي ضرير البصر فقير لا شيء له سيء الخلق، وإنني نازعته في شيء، فغضب فقال: أنت عليّ كظهر أمي ولم يرد به الطلاق، ولي منه عَيْلٌ أو عَيْلان فقال: «ما أعلمك إلا قد حرمت عليه».

فقالت: أشكو إلى الله ما نزل بي أنا وصبيتي، قالت: ودارت عائشة فغسلت شقَّ رأسه الآخر، فدارت معها فقالت: يا رسول الله زوجي ضرير البصر فقير سيء الخلق وإن لي منه عيل أو عيلان وإنني نازعته في شيء فغضب وقال: أنت عليّ كظهر أمي ولم يرد به الطلاق، قالت: فرفع إلي رأسه وقال: «ما أعلمك إلا قد حرمت عليه» فقالت: أشكو إلى الله ما نزل بي أنا وصبيتي قال: ورأت عائشة وجه النبي ﷺ تغير، فقالت لها: وراءك فتنت، فمكث رسول الله ﷺ في غشيان ذلك ما شاء الله، فلما انقطع الوحي قال: يا عائشة أين المرأة فدعتها، فقال لها رسول الله ﷺ: «اذهبي فأتني بزواجك» فانطلقت تسعى، فجاءت به فإذا هو كما قالت ضرير البصر فقير سيء الخلق.

فقال النبي ﷺ: «أستعِذ بالله السميع العليم ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ قال النبي ﷺ: «أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها» قال: لا، قال: «أفلا تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: والذي بعثك بالحق إني إذا لم آكل المرتين والثلاث يكاد يعشو بصري. قال: «أفتستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟» قال: لا، إلا أن تعينني. قال: فأعانه رسول الله ﷺ فقال: «أطعم ستين مسكيناً» قال: وحول الله الطلاق فجعله ظهاراً^(٢)، ورواه ابن جرير، عن ابن المثنى، عن عبد الأعلى، عن داود سمعت أبا العالية فذكر نحوه بأخصر من هذا السياق^(٣)، وقال سعيد بن جبیر: كان الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية، فوقت الله الإيلاء أربعة أشهر وجعل في الظهار الكفارة، رواه ابن أبي حاتم بنحوه، وقد استدلل الإمام مالك على أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله منكم فالخطاب للمؤمنين، وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، واستدل الجمهور عليه بقوله: ﴿مِنْ﴾ على أن الأمة لا ظهار منها ولا تدخل في هذا الخطاب.

وقوله تعالى: ﴿مَا مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ أي: لا تصير المرأة بقول الرجل أنت عليّ كأمي أو مثل أمي أو كظهر أمي وما أشبه ذلك، لا تصير أمه بذلك إنما أمه التي

(٢) سنده مرسل ويشهد له ما سبق من الصحيح.

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٣) أخرجه الطبري عن ابن المثنى به، وحكمه كسابقه.

ولدته، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَهُنَّ يَتْمَمَاتٌ مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورٌ﴾ أي: كلاماً فاحشاً باطلاً ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ أي: عما كان منكم في حال الجاهلية، وهكذا أيضاً عما خرج من سبق اللسان، ولم يقصد إليه المتكلم، كما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول لامرأته يا أختي، فقال: «أختك هي؟» فهذا إنكار، ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده، ولو قصده لحرمت عليه لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ فقال بعض الناس: العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره، وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم وقول داود، وحكاه أبو عمر بن عبد البر، عن [بكير]^(١) بن الأشج والفراء وفرقة من أهل الكلام.

وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد المظاهرة زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق. وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة.

وقد حُكي عن مالك أنه العزم على الجماع والإمساك، وعنه أنه الجماع. وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريره ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرّمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة، وإليه ذهب أصحابه والليث بن سعد.

وقال ابن لهيعة: حدثني عطاء، عن سعيد بن جبير ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يعني يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرموه على أنفسهم^(٢).

وقال الحسن البصري: يعني الغشيان في الفرج، وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر^(٣).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَمَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ والمس: النكاح^(٤)، وكذا قال عطاء والزهري وقتادة ومقاتل بن حيان. وقال الزهري: ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر.

وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة، عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر. فقال: «ما حملك على ذلك يرحمك الله» قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر. قال: «فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله ﷻ»، وقال

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «بكر».

(٢) سنده حسن لأن ابن لهيعة يرويه من نسخة عطاء بن دينار لتفسير سعيد بن جبير.

(٣) أخرجه الطبري من طريق أشعث عن الحسن، وأخرجه عبد الرزاق من طريق هشام عن الحسن بنحوه، وهذان الطريقان يقوي أحدهما الآخر.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به مطولاً.

(٥) سنن أبي داود، الطلاق، باب في الظهار (ح ٢٢٢٣)، وسنن الترمذي، الطلاق، باب في المظاهر =

الترمذي: حسن غريب صحيح، ورواه أبو داود والنسائي من حديث عكرمة مرسلاً، قال النسائي: وهو أولى بالصواب.

وقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا، فلهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان، فحمل الشافعي رحمته الله ما أطلق ههنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» وقد رواه أحمد في مسنده في صحيحه^(١).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عبد الله بن نمير، عن إسماعيل بن يسار، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس: قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال إني ظاهرت من امرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم يقل الله تعالى: ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسَا﴾» قال: أعجبني، قال: «أمسك حتى تكفر»^(٢). ثم قال البزار: لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا، وإسماعيل بن مسلم تكلم فيه وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم، وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ ثَوَعُظُونَ بِهِ﴾ أي: تزجرون به ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خبير بما يصلحكم عليم بأحوالكم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ قد تقدمت الأحاديث الآمرة بهذا على الترتيب كما ثبت في الصحيحين في قصة الذي جامع امرأته في رمضان^(٣).

﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: شرعنا هذا لهذا. وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: محارمه فلا تنتهكوها.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء كلا ليس الأمر كما زعموا بل لهم عذاب أليم؛ أي: في الدنيا والآخرة.

= (ح ١١٩٩) وسنن النسائي، الطلاق، باب الظهار ١٦٧/٦، وسنن ابن ماجه، الطلاق، باب المجامع يظهر قبل أن يكفر (ح ٢٠٦٥)، وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٤٣٣/٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٩٤٣).

(١) الموطأ، العتق والولاء، باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة (٢/ ٥٩٥ ح ٨) والمسند ٤٤٧/٥، وصحيح مسلم، المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (ح ٥٣٧).

(٢) أخرجه الحاكم من طريق إسماعيل بن مسلم به، وقال الحاكم: لم يحتج الشيخان بإسماعيل. وقال الذهبي: إسماعيل: وإ. (المستدرک ٢/ ٢٠٤).

(٣) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (صحيح البخاري، الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء وتصدق عليه فليکفر ح ١٩٣٦) وصحيح مسلم، الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم (ح ١١١١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَفَدَّ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ۞

يخبر تعالى عمَّن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه ﴿كُنُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: أهيئوا ولعنوا وأخزوا كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم ﴿وَفَدَّ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: واضحات لا يعاندها ولا يخالفها إلا كافر فاجر مكابر ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه.

ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: فيخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر. ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾ أي: ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء ولا يخفى ولا ينسى شيئاً، ثم قال تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه وإطلاعه عليهم وسماعه كلامهم، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ أي: من سرِّ ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا﴾ أي: مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبُ﴾ ﴿٧٨﴾ [التوبة] وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [الزخرف] ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم محيط بهم وبصره نافذ فيهم فهو ﷻ مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء، ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَا عَنْهُ وَيَنْجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيَّوْكَ بِمَا لَوْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَوَّأْنَاهَا فِئَسَ الْمُعْصِرُ ﴿٨١﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٨٢﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٨٣﴾ ۞

قال ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَا عَنْهُ﴾ قال اليهود^(١)، وكذا قال مقاتل بن حيان وزاد: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودة، وكانوا إذا مرَّ

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به.

بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيه فترك طريقه عليهم، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَ عَنَّهُ﴾^(١). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزامي، حدثني سفيان بن حمزة، عن كثير بن زيد، عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن جده قال: كنا نتناوب رسول الله ﷺ نبيت عنده يطرقه من الليل أمر وتبدو له حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه النجوى؟ ألم تنهوا عن النجوى؟» قلنا: تبنا إلى الله يا رسول الله، إنا كنا في ذكر المسيح فرقا منه. فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل»^(٢). هذا إسناد غريب وفيه بعض الضعفاء.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنَجُونَ بِالْأَثَرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ أي: يتحدثون فيما بينهم ﴿بِالْأَثَرِ﴾ وهو ما يختص بهم ﴿وَالْعُدُونِ﴾ وهو ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن مسروق، عن عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة: وعليكم السام قالت: فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش» قلت: ألا تسمعهم يقولون السام عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أو ما سمعت أقول وعليكم؟» فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾^(٣). وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم: عليكم السام والذام واللعنة^(٤)، وأن رسول الله ﷺ قال: «إنه يُستجاب لنا فيهم، ولا يُستجاب لهم فينا».

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه إذ أتى عليهم يهودي، فسلم عليهم فردُّوا عليه فقال نبي الله ﷺ: «هل تدرون ما قال؟» قالوا: سلَّم يا رسول الله. قال: «بل قال: سام عليكم» أي: تسامون دينكم. قال رسول الله ﷺ: «ردُّوه» فردُّوه عليه فقال نبي الله ﷺ: «أقلت: سام عليكم؟» قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «إذا سلَّم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: عليك»^(٥). أي: عليك

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وهو معضل.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من طريق كثير بن زيد به (المسند ٣٥٤/١٧، ٣٥٥ ح ١١٢٥٢) وضعف سنده محققوه لضعف كثير بن زيد وربيعة بن عبد الرحمن.

(٣) سنده صحيح وأخرجه مسلم من طريق مسلم أبي الضحى عن مسروق عن عائشة بنحوه (الصحيح، السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ح ٢١٦٥).

(٤) أخرجه الشيخان بدون لفظ: والذام. (صحيح البخاري، الدعوات، باب الدعاء على المشركين ح ٦٣٩٥، وصحيح مسلم، السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ح ٢١٦٤).

(٥) سنده صحيح.

ما قلت، وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح^(١). وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة بنحوه^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي: يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسرّه، فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا^(٣)، فقال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: جهنم كفايتهم في الدار الآخرة ﴿يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسُ الْغَصِيرُ﴾.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سامٌ عليكم، ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول؟ فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسُ الْغَصِيرُ﴾. إسناده حسن ولم يخرجوه.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه: سامٌ عليك.

قال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسُ الْغَصِيرُ﴾^(٤).

ثم قال الله تعالى مؤدباً عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْآثِرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ أي: كما يتناجى به الجهلة من كفر أهل الكتاب ومن مآلهم على ضلالهم من المنافقين ﴿وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالْقَوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم وسيجزيك بها.

قال الإمام أحمد: حدثنا بهز وعفان قالا: أخبرنا همام، عن قتادة، عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستتره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]^(٥). أخرجه في الصحيحين من حديث قتادة^(٦).

(١) صحيح البخاري، استتابة المرتدين، باب إذا عرّض الذمي... (ح ٦٩٢٦).

(٢) تقدم تخريجه عن عائشة في الروايات قبل السابقة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٧٠/٢)، وحسن سنده الحافظ ابن كثير. وقال الهيثمي إسناده جيد (مجمع الزوائد ١٥٧/٧).

(٤) أخرجه الطبري بسنده ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بسابقه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٧٤/٢) وسنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا...﴾ [هود: ١٨] (ح ٤٦٨٥)، وصحيح مسلم، التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (ح ٢٧٦٨).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ أي: إنما النجوى وهي: المُسَارَّة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيئاً إلا بإذن الله، ومن أحسن من ذلك شيئاً فليستعذ بالله ولتوكل على الله، فإنه لا يضره شيء بإذن الله.

وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن، كما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا: حدثنا الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه»^(١). أخرجاه من حديث الأعمش^(٢). وقال عبد الرزاق: حدثنا معمر، عن أيوب، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه»^(٣). انفرد بإخراجه مسلم، عن أبي الربيع وأبي كامل، كلاهما عن حماد بن زيد، عن أيوب به^(٤).

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

يقول تعالى مؤدباً عباده المؤمنين وأمرأ لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ وقرئ (في المجلس)^(٥). ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وذلك أن الجزء من جنس العمل كما جاء في الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة»^(٦) وفي الحديث الآخر: «ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(٧) ولهذا أشباه كثيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض^(٨). وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يومئذ في الصُفَّة

- (١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٣١/١) وسنده صحيح.
- (٢) صحيح البخاري، الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارّة والمناجاة (ح ٦٢٩٠) وصحيح مسلم، السلام، باب تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث بغير رضا (ح ٢١٨٤).
- (٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثله (المصنف ٢٦/١١ رقم ١٩٨٠٦) وسنده صحيح.
- (٤) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ٢١٨٣). (٥) وهي قراءة متواترة.
- (٦) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عثمان ؓ (صحيح البخاري، الصلاة، باب من بنى لله مسجداً ح ٤٥٠) وصحيح مسلم، المساجد، باب فضل بناء المساجد والحث عليها ح ٥٣٣.
- (٧) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ؓ (الصحيح، الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ح ٢١٩٩).
- (٨) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وسنده مرسل.

وفي المكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوه إلى المجالس، فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فردَّ النبي ﷺ عليهم، ثم سلَّموا على القوم بعد ذلك فردُّوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم، فشقَّ ذلك على النبي ﷺ فقال: لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: «قُمْ يا فلان وأنت يا فلان» فلم يزل يقيمهم بعدة نفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر، فشقَّ ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهة في وجوههم، فقال المنافقون: أَلَسْتُمْ تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأيناه قد عدل على هؤلاء، إن قوماً أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه، فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلاً يفسح لأخيه» فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعاً فيفسح القوم لإخوانهم، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة^(١). رواه ابن أبي حاتم.

وقد قال الإمام أحمد والشافعي: حدثنا سفيان، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسَّعوا». وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع به^(٢).

وقال الشافعي: أخبرنا عبد المجيد، عن ابن جريج قال: قال سليمان بن موسى، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل: افسحوا»^(٣). على شرط السنن ولم يخرجه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا فليح، عن أيوب، عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، عن يعقوب بن أبي يعقوب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم»^(٤). ورواه أيضاً عن [سُريج]^(٥) بن يونس ويونس بن محمد المؤدب، عن فليح به ولفظه: «لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم»^(٦). تفرد به أحمد.

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال: فمنهم من رخص في ذلك

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وسنده ضعيف لأنه معضل.

(٢) صحيح البخاري، الاستئذان، باب ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا...﴾ [المجادلة: ١١] (ح ٦٢٧٠) وصحيح مسلم، السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه (ح ٢١٧٧).

(٣) أخرجه الإمام الشافعي (المسند رقم ٦٦٥) وفي سنده سليمان بن موسى صدوق في حديثه بعض لين، وخولط قبل موته. (التقريب ص ٢٥٥) وخالف ما في الصحيحين بتقييده بيوم الجمعة.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتنه (المسند ٤٥٣/١٦ ح ١٠٧٧٦) وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

(٥) سُريج: كذا في المسند وفي النسخ الخطية صحف إلى: «شريح».

(٦) أخرجه الإمام أحمد عن سُريج عن فليح به (المسند ١٨٦/١٦ ح ١٠٢٦٦) وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، وأخرجه أيضاً عن يونس عن فليح به (المسند ١٧٢/١٤ ح ٨٤٦٢) وقال محققوه: إسناد حسن.

محتجاً بحديث: «قوموا إلى سيدكم»^(١)، ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢)، ومنهم من فصل فقال: يجوز عند القدوم من سفر وللحاكم في محل ولايته، كما دلَّ عليه قصة سعد بن معاذ، فإنه لما استقدمه النبي حاكماً في بني قريظة فرآه مقبلاً قال للمسلمين: «قوموا إلى سيدكم» وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم. فأما اتخاذه ديدناً فإنه من شعار العجم، وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك^(٣).

وفي الحديث المروي في السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس، فكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم، فالصديق يجلسه عن يمينه وعمر عن يساره، وبين يديه غالباً عثمان وعلي لأنهما كانا ممن يكتب الوحي، وكان يأمرهما بذلك كما رواه مسلم من حديث الأعمش، عن عمارة بن عُمر، عن أبي معمر، عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقول: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم، ثم الذي يلونهم»^(٤). وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا أمر أولئك نفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر، إما لتقصير أولئك في حق البدرين أو ليأخذ البدريون من العلم نصيبهم، كما أخذ أولئك قبلهم أو تعليمًا بتقديم الأفاضل إلى الإمام.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير التيمي، عن أبي معمر، عن أبي مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يسمح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال أبو مسعود: فأنتم اليوم أشد اختلافًا^(٥)، وكذا رواه مسلم وأهل السنن إلا الترمذي من طرق عن الأعمش به^(٦)، وإذا كان هذا أمره لهم في الصلاة أن يليه العقلاء منهم والعلماء فبطريق الأولى أن يكون ذلك في غير الصلاة.

وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن كثير بن مرة، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تذروا فرجات للشياطين ومن وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله»^(٧). ولهذا كان أبي بن كعب سيد القراء إذا انتهى إلى الصف الأول انتزع منه رجلاً

(١) أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. (صحيح البخاري، الجهاد، باب إذا نزل العدو على

حكم رجل ح ٣٠٤٣، وصحيح مسلم، الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد ح ١٧٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث معاوية رضي الله عنه. (السنن، الأدب، باب في قيام الرجل للرجل ح ٥٢٢٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٣٥٧).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه. (السنن، الاستئذان، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ح ٢٧٥٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٢١١).

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. (الصحيح، الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها.. ح ٤٣٢/١٢٣).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٤/١٢٢) وسنده صحيح.

(٦) صحيح مسلم، الصلاة، باب تسوية الصفوف (ح ٤٣٢).

(٧) سنن أبي داود، الصلاة، باب تسوية الصفوف (ح ٦٦٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٦٢٠).

يكون من أفناد الناس^(١)، ويدخل هو في الصف المتقدم ويحتج بهذا الحديث: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهي»^(٢) وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه عملاً بمقتضى ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه، ولنقتصر على هذا المقدار من الأنموذج المتعلق بهذه الآية، وإلا فبسطه يحتاج إلى غير هذا الموضع.

وفي الحديث الصحيح: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ أقبل ثلاثة نفر، فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها، وأما الآخر فجلس وراء الناس، وأدبر الثالث ذاهباً فقال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخبر الثلاثة، أما الأول فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عتاب بن زياد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا أسامة بن زيد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحلُّ لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما»^(٤). ورواه أبو داود والترمذي من حديث أسامة بن زيد الليثي به، وحسنه الترمذي^(٥).

وقد روي عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ لَكُم بَلَاءٌ مِمَّا كُنْتُمْ تُخَافُونَ مِنَ اللَّهِ﴾: «إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ لَكُم بَلَاءٌ مِمَّا كُنْتُمْ تُخَافُونَ مِنَ اللَّهِ» أي: انهضوا للقتال.

وقال قتادة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَبَّحُوا فَاسْبَحُوا﴾ أي: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا^(٦).

وقال مقاتل: إذا دعيتم إلى الصلاة فارتفعوا إليها.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كانوا إذا كانوا عند النبي ﷺ في بيته فأرادوا الانصراف، أحبَّ كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجاً من عنده، فربما يشقُّ ذلك عليه، ﷺ وقد تكون له الحاجة فأمرهم أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا^(٨) كقوله تعالى: ﴿وَأِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ [النور: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: لا

(١) إفناد الناس: أي فرقاً من الناس فرادى بلا إمام. (النهاية ٣/٤٧٥).

(٢) تقدم تخريجه قبل روايتين.

(٣) أخرجه الشيخان من حديث أبي واقد الليثي ﷺ. (صحيح البخاري، العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ح ٦٦، وصحيح مسلم، السلام، باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها ح ٢١٧٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١١/٥٧٦، ٥٧٧ ح ٦٩٩٩) وحسن سنده محققوه.

(٥) سنن أبي داود، الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (ح ٤٨٤٥)، وسنن الترمذي، الأدب، باب ما جاء في كراهية الجلوس بين رجلين بغير إذنهما (ح ٥٧٥٣) وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح ٤٠٥٤).

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه، وسنده ضعيف لأنه معضل.

تعتقدوا أنه إذا أفسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو إذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصاً في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله، والله تعالى لا يضيع ذلك له، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة، فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره، ولهذا قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن شهاب، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسفان، وكان عمر استعمله على مكة، فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبنى رجل من مواليها، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاض، فقال عمر رضي الله عنه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به آخرين»^(١). وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به^(٢)، وروي من غير وجه عن عمر بنحوه، وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد في ذلك من الأحاديث مستقصاة في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري، والله الحمد والمنة.

﴿يَتْلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَتَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَقْدِمُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧) ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨).

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ؛ أي: يسأله فيما بينه وبينه، أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهَرُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَقْدِمُوا﴾ أي: إلا من عجز عن ذلك لفقره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فما أمر بها إلا من قدر عليها. ثم قال تعالى: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ﴾ أي: أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فنسخ وجوب ذلك عنهم، وقد قيل: إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال ابن أبي نجيج، عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا فلم يناجيه إلا علي بن أبي طالب قدم ديناراً صدقة تصدق به، ثم ناجى النبي ﷺ، فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة^(٣)، وقال ليث بن أبي سليم: عن مجاهد قال علي رضي الله عنه: آية في كتاب الله ﷻ لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ١/٣٥) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (ح ٨١٧).

(٣) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجيج به بدون: فسأله عشر خصال، وسنده ضعيف لأن مجاهداً لم يسمع من علي رضي الله عنه ولكنه يتقوى بالرواية الموصولة التي أخرجه الحاكم من طريق مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي رضي الله عنه بنحوه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٤٨١، ٤٨٢).

ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم، فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً﴾^(١) الآية.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن عثمان بن المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي بن أبي طالب قال: قال النبي ﷺ: «ما ترى، دينار؟» قال: لا يطيقون. قال: «نصف دينار» قال: لا يطيقون. قال: «ما ترى؟» قال: شعيرة. فقال له النبي ﷺ: «إنك لزهد» قال: فنزلت ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً﴾ قال علي: في خفف الله عن هذه الأمة^(٢).

ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع، عن يحيى بن آدم، عن عبيد الله الأشجعي، عن سفيان الثوري، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً﴾ إلى آخرها قال لي النبي ﷺ: «ما ترى، دينار» قلت: لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله، ثم قال: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، ثم قال: ومعنى قوله: شعيرة، يعني: وزن شعيرة من ذهب^(٣). ورواه أبو يعلى، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن آدم به^(٤).

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً﴾ إلى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا^(٥).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً﴾ وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه ﷺ، فلما قال ذلك جئن كثير من المسلمين وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً﴾ فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقموا الصلوة وآثروا الزكوة فوسع الله عليهم ولم يضيق^(٦).

وقال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى: ﴿فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً﴾ نسختها الآية التي بعدها ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً﴾... إلى آخرها^(٧).

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة ومقاتل بن حيان: سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه

(١) أخرجه الطبري من طريق ليث به، وفيه العلة السابقة وليث فيه مقال، ويتقوى برواية الحاكم السابقة.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده علي بن علقمة: مقبول (التقريب ص ٤٠٤)، وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومثته (السنن، التفسير، باب ومن سورة المجادلة ح ٣٣٠) وسنده كسابقه، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٦٥٢).

(٤) مسند أبي يعلى ٣٢٢/١ (ح ٤٠٠) وفي سنده أيضاً علي بن علقمة.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما تقدم في رواية الحاكم، وما يليه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٧) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف ولكنه يتقوى إذ توبع في رواية ابن الجوزي فقد أخرجه بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس. (نواسخ القرآن ص ٤٧٩).

بالمسألة فقطعهم الله بهذه الآية، فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة، فاشتد ذلك عليهم، فأنزل الله الرخصة بعد ذلك ﴿فَإِنْ لَّمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وقال معمر، عن قتادة ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَكُمُ صَدَقَةٌ﴾ إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار^(٢). وهكذا روى عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن مجاهد قال علي: ما عمل بها أحد غيري حتى نُسخت، وأحسبه قال: وما كانت إلا ساعة^(٣).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾

يقول الله تعالى منكرًا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن. وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿مُذَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾^(١٤) [النساء] وقال ههنا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود الذين كان المنافقون يمالؤونهم ويوالونهم في الباطن.

ثم قال تعالى: ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ أي: هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون، ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود، ثم قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: المنافقين يحلفون على الكذب، وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا وهي اليمين الغموس، ولا سيما في مثل حالهم اللعين عيادًا بالله منه، فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا جاؤوا الرسول حلفوا له بالله إنهم مؤمنون، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به؛ لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وإن كان في نفس الأمر مطابقاً، ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك.

ثم قال تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٥) أي: أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهي موالات الكافرين ونصحهم ومعاداة المؤمنين، وغشهم، ولهذا قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالإيمان الكاذبة، فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم، فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: في مقابلة ما امتنوا من الحلف باسم الله العظيم في الإيمان الكاذبة الحائثة.

(١) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ورجاله ثقات لكنه مرسل وذكر الرخصة يتقوى بسابقتها، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن مقاتل، وسنده معضل.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثته، وسنده صحيح.

ثم قال تعالى: ﴿لَنْ تَقِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحداً ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: يحلفون بالله ﷻ أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا؛ لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ولهذا قال: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: حلفهم بذلك لربهم ﷻ.

ثم قال تعالى منكرأ عليهم حسابانهم: ﴿آلَا إِنَّمَا هُمْ الْكَذِبُونَ﴾ فأكد الخبر عنهم بالكذب.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن نفيل، حدثنا زهير، عن سماك بن حرب، حدثني سعيد بن جبير، أن ابن عباس حدثه أن النبي ﷺ كان في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال: «إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان فإذا أتاكم فلا تكلموه» فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله فكلمه فقال: «علام تشمتني أنت وفلان وفلان» نفر دعاهم بأسمائهم، قال: فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا له واعتذروا إليه، قال فأنزل الله ﷻ: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآية (١).

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين عن سماك به، ورواه ابن جرير، عن محمد بن المثنى، عن غندر، عن شعبة، عن سماك به نحوه، وأخرجه أيضاً من حديث سفيان الثوري، عن سماك بنحوه (٢). إسناده جيد ولم يخرجوه، وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (٣) أنظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴿[الأنعام].

ثم قال تعالى: ﴿اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ﴾ أي: استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله ﷻ، وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه، ولهذا قال أبو داود: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زائدة، حدثنا [السائب بن حبيش] (٣)، عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية» قال زائدة: قال السائب: يعني الصلاة في الجماعة (٤).

ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ يعني: الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ثم قال تعالى: ﴿آلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاقِقُونَ﴾.

(١) سنده حسن وأخرجه الإمام أحمد من طريق شعبة عن سماك به (المسند ٤٨/٤ ح ٢١٤٧) وحسن سنده محققه، وأخرجه الحاكم من طريق سماك به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٤٨٢).

(٢) أخرجه الطبري من هذه الطرق، وحكمه كسابقه.

(٣) كذا في (ح) و(حم) وسنن أبي داود، وفي الأصل ضحف إلى: «السائب بن حنيس».

(٤) أخرجه أبو داود بسنده ومثته. (السنن، الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة ح ٥٤٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٥١١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَکَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المعاندين المحادّين لله ورسوله؛ يعني: الذين هم في حدّ والشرع في حدّ؛ أي: مجانبون للحقّ مشاقون له هم في ناحية والهدى في ناحية ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والآخرة. ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَکَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ أي: قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل، بأن النصر له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة وأن العاقبة للمتقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ [غافر] وقال ههنا: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَکَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢١) أي: كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه، وهذا قدر محكم وأمر مبرم أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أي: لا يوادون المحادّين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيَعِذِّكُمُ اللَّهُ نَفْسُكَ﴾ الآية [آل عمران: ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) [التوبة] وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: أنزلت هذه الآية ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر^(١)، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم: ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾: نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ في مصعب بن عمير، قتل

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن شاذب، وسنده معضل وكذلك رواية سعيد بن عبد العزيز، وأخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١/١٥٤ ح ٣٦٠) والحاكم في (المستدرک ٣/٢٦٤) كلاهما من طريق عبد الله بن شاذب. وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبراني بسند جيد عن عبد الله بن شاذب. (الإصابة ٩٣/٧) ولكنه منقطع في عدم ذكر شيخ ابن شاذب ومن يليه.

أخاه عُبيد بن عُمير يومئذٍ ﴿أَوْ عَشِيرَتُهُمْ﴾ في عمر قتل قريباً له يومئذٍ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعُبيدة بن الحارث قتلوا عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ والوليد بن عُتْبَةَ يومئذٍ، فالله أعلم.

قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعلَّ الله تعالى أن يهديهم. وقال عمر: لا أرى ما رأى، يا رسول الله هل تمكّني من فلان قريب لعمر فأقتله، وتمكّن علياً من عقيل وتمكّن فلاناً من فلان ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا مادة للمشركين القصة بكمالها^(١).

وقوله تعالى: ﴿أَوَّلِيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: من اتّصف بأنه لا يوادّ من حادّ الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه، فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان؛ أي: كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته.

قال السدي: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ جعل في قلوبهم الإيمان.

وقال ابن عباس: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: قواهم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَذُلُّهُمْ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ كل هذا تقدم تفسيره غير مرة، وفي قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سرٌّ بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم.

وقوله تعالى: ﴿أَوَّلِيكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: هؤلاء حزب الله؛ أي: عباد الله وأهل كرامته. وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا هارون بن حميد الواسطي، حدثنا الفضل بن عنبسة، عن رجل قد سماه فقال: هو عبد الحميد بن سليمان - انقطع من كتابي - عن الديال بن عباد قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: اعلم أن الجاه جاهان: جاء يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه، وأنهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة»^(٢). فهوؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله: ﴿أَوَّلِيكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقال نعيم بن حماد: حدثنا محمد بن ثور، عن يونس، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة، فإني وجدت فيما أوحيته إليّ ﴿لَا تَجِدُ

(١) تقدم تخريجها في تفسير سورة الأنفال آية ٦٧.

(٢) سنده ضعيف لإرساله، ولبعضه شاهد في صحيح مسلم بلفظ: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي». (صحيح مسلم، الزهد والرقائق ج ٢٩٦٥).

قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^(١). قال سفيان: يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان^(٢). رواه أبو أحمد العسكري.

آخر تفسير سورة المجادلة، والله الحمد والمنة.

وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه وحزبه آمين.

(١) سنده ضعيف لإرساله أيضاً.

(٢) سنده ضعيف لأنه معضل.

سورة الحشر

وهي مدنية

[وكان ابن عباس يقول: سورة بني النضير]^(١).

قال سعيد بن المنصور: حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال: أنزلت في بني النضير^(٢)، ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر عن هشيم به^(٣)، ورواه البخاري من حديث أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير: قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: سورة بني النضير^(٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْتَمَسُ اللَّهُ مِنْ جَيْتٍ لَمْ يَحْشَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَكْفُورُوا ٢ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ٣ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٤ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ٥ ﴿٥﴾

يخبر تعالى أن جميع ما في السموات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجده ويقدره ويصلي له ويوحده كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: منيع الجنب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في قدره وشرعه.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: يهود بني النضير. قاله ابن عباس ومجاهد والزهري وغير واحد^(٥)، كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهداً وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحلَّ الله بهم بأسه الذي لا مردَّ له، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يصد، فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من

(١) زيادة من (حم).

(٢) سنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، المغازي، باب حديث بني النضير (ح ٤٠٢٩). وصحيح مسلم، التفسير (ح ٣٠٣١).

(٤) المصدر السابق من صحيح البخاري (ح ٤٨٨٣).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري أيضاً بسند صحيح من طريق معمر عن الزهري.

حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله، فما أغنى عنهم من الله شيئاً وجاءهم من الله ما لم يكن ببالهم، [وسيرهم]^(١) رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي لا يمكن أن تحمل معهم، ولهذا قال تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَأْأُولِ الْأَبْصَارِ﴾ أي: تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحلّ به من بأسه المخزي له في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم.

قال أبو داود: حدثنا محمد بن داود وسفيان، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى [ابن أبي ومن]^(٢) كان معه يعبد الأوثان من الأوس، والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر: إنكم آويتم صاحبنا وإنا نقسم بالله لنقاتلنه أو لنخرجنه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسبي نساءكم، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان أجمعوا لقتال النبي ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم يريدون أن يقاتلوا أبناءكم وإخوانكم» فلما سمعوا ذلك من النبي تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش فكتب كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نساءكم شيء وهو الخلاخل، فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ أيقنت بنو النضير بالغدر، فأرسلوا إلى النبي ﷺ: أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منا ثلاثون [حبراً حتى نلتقي بمكان النصف، وليسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنّا بك]^(٣).

فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم فقال لهم: «إنكم والله لا تؤمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا أن يعطوه عهداً فقاتلهم يومهم ذلك»، ثم غدا من الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه، فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها، وكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاه الله إياها وخصّه بها فقال تعالى: ﴿وَمَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] يقول بغير قتال، فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانا ذوي حاجة ولم يقسم من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة^(٤).

(١) كذا في (ح) وفي الأصل صحف إلى: «وسرهم».

(٢) كذا في (حم) وسنن أبي داود، وفي الأصل حُرِفَ إلى: «ابن أم رب».

(٣) كذا في (حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه أبو داود بسنده ومثته. (السنن، الخراج والإمارة، باب في خبر النضير ح ٣٠٠٤) وصححه سننه =

ولنذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله المستعان.

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسير أنه لما قُتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا سبعين، وأُفلت منهم عمرو بن أمية الضمري، فلما كان في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر، وكان معهما عهد من رسول الله ﷺ وأمان لم يعلم به عمرو، فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «لقد قتلت رجلين لأديئهما»^(١) وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد، فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير ليستعينهم في دية ذينك الرجلين، وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقها.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر الذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما فيما حدثني يزيد بن رومان، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا: نعم يا أبا القاسم نُعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم - فَمَنْ رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحش بن كعب أحدهم فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة.

فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقال رأيته داخلًا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم، ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، ووديعه، ومالك بن أبي قوقل، وسويد، وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا، فإننا لن نسلمكم إن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا فقفذ الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكفَّ عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعل، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بعيه فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دُجانة

= الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٢٥٩٥).

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١٩٠/٢.

- سماك بن خرشة - ذكرا فقراً فأعطاها رسول الله ﷺ، قال: ولم يسلم من بني النضير إلا رجلاً: يامين بن عمرو بن كعب عم عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله ﷺ قال ليامين: «ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني» فجعل يامين بن عمرو لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون.

قال ابن إسحاق: ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها^(١)، وهكذا روى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق بنحو ما تقدم.

فقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: بني النضير ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن أبي سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: من شك في أن أرض المحشر ههنا؛ يعني: الشام فليقرأ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ قال لهم رسول الله ﷺ: «اخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»^(٢).

وحدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن عوف، عن الحسن قال: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير قال: «هذا أول الحشر وأنا على الأثر»^(٣). ورواه ابن جرير، عن بNDAR، عن ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن به^(٤).

وقوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ أي: في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها، ولهذا قال تعالى: ﴿وظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أي: جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل].

وقوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي: الخوف والهلع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصروهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه؟

وقوله: ﴿يُخْرِجُونَ يُؤْتِيهِمْ بِأَيْدِيهِمُ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك، وهو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم وتحمّلها على الإبل، وكذلك قال عروة بن الزبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد^(٥).

(١) ينظر: السيرة النبوية ٢/ ١٩٠، ١٩١. وسنده معضل، وله شواهد تأتي في الروايات التالية.

(٢) سنده ضعيف لضعف أبي سعد وهو البقال، (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٦).

(٣) رجال ثقات لكنه مرسل. (٤) أخرجه الطبري عن بNDAR به، وسنده كسابقه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الزهري بنحوه، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً.

وقال مقاتل بن حيان: كان رسول الله ﷺ يقاتلهم فإذا ظهر على درب أو دار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال، وكان اليهود إذا علّوا مكاناً أو غلبوا على درب أو دار نقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودبروها، يقول الله تعالى: ﴿فَاعْتَرِضُوا يَأْكُلُوا آلَبْصَرِ﴾^(١).

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: لولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفي من ديارهم وأموالهم لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي ونحو ذلك، قاله الزهري، عن عروة والسدي وابن زيد^(٢)؛ لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الدار الآخرة من العذاب في نار جهنم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير قال: ثم كانت وقعة بني النضير، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وأن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهي السلاح، فأجلاهم رسول الله ﷺ قبل الشام، قال: والجلاء كُتب عليهم في أي من التوراة، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ما سلط عليهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله فيهم ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِيُخْرِىَ الْفَلْسِقِينَ﴾^(٣).

وقال عكرمة: ﴿الْجَلَاءُ﴾ القتل، وفي رواية عنه الفناء.

وقال قتادة: ﴿الْجَلَاءُ﴾ خروج الناس من البلد إلى البلد^(٤).

وقال الضحاك: أجلاهم إلى الشام، وأعطى كل ثلاثة بعيراً وسقاء، فهذا الجلاء.

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضي، حدثنا محمد بن سعيد العوفي، حدثني أبي، عن عمي، حدثنا أبي، عن جدي، عن ابن عباس، قال: كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم، وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء، والجلاء إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى^(٥).

وروي أيضاً من حديث يعقوب بن محمد الزهري، عن إبراهيم بن جعفر، عن محمود بن محمد بن [مسلمة]^(٦)، عن أبيه، عن جده، عن محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير، وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام^(٧).

(١) أخرجه البيهقي عن مقاتل بن حيان. (دلائل النبوة ٣/٣٥٨) وسنده معضل.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الزهري.

(٣) سنده حسن لكنه مرسل ويتقوى بالسابق واللاحق.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه البيهقي (دلائل النبوة ٣/٣٥٩) وسنده ضعيف.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «مسلم».

(٧) أخرجه البيهقي (دلائل النبوة ٣/٣٦٠) في سنده محمود بن محمد بن مسلمة سكت عنه ابن أبي حاتم. =

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ أي: حتم لازم لا بدّ لهم منه.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين؛ لأنهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد ﷺ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم. ثم قال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥)
اللين نوع من التمر وهو جيد.

قال أبو عبيدة: وهو ما خالف العجوة والبرني من التمر^(١).

وقال كثيرون من المفسرين: اللينة ألوان التمر سوى العجوة^(٢).

قال ابن جرير: هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو^(٣) البويرة أيضاً، وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم، فروى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان، وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا: [فبعث بنو النضير]^(٤) يقولون لرسول الله ﷺ: إنك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة؛ أي: ما قطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذنه ومشئته وقدره ورضاه، وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم، وإرغام لأنوفهم^(٥).

وقال مجاهد: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغنم المسلمين، فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذنه^(٦)، وقد روي نحو هذا مرفوعاً، فقال النسائي: أخبرنا الحسن بن محمد، عن عفان، حدثنا حفص بن غياث، حدثنا حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥) قال: يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل، فحاك في صدورهم، فقال المسلمون: قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً فلنسألن رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾^(٧).

= (الجرح والتعديل ٨/ ٢٩٠).

(١) ذكره أبو عبيدة. (مجاز القرآن ٢/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه الطبري وابن أبي شيبة بسند حسن من طريق داود عن عكرمة (المصنف ١٢/ ٣٩٣).

(٣) ذكره الطبري وأخرجه هو وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: نخلة، قال: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) ذكره ابن هشام (السيرة ٢/ ١٩١)، وأخرجه البيهقي من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم (دلائل النبوة ٣/ ٣٥٥)، وأخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة لكنه مرسل وهذان المرسلان يقوي أحدهما الآخر.

(٦) تقدم تخريجه قبل الرواية السابقة.

(٧) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن الكبرى، التفسير، باب ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥] ح ١١٥٧٤) وسنده صحيح.

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا حفص، عن ابن جريج، عن سليمان بن موسى، عن جابر، وعن أبي الزبير، عن جابر، قال: رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله علينا إثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير وحرَّق^(٢)، وأخرجه صاحبنا الصحيح من رواية موسى بن عقبة بنحوه^(٣)، ولفظ البخاري من طريق عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حارب قريظة، فقتل من رجالهم وسبى وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فأمتهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود بالمدينة^(٤)، ولهما أيضاً عن قتيبة، عن الليث بن سعد، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرَّق نخل بني النضير وقطع، وهي: [البويرة]^(٥)، [فأنزل الله ﷻ فيه ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ﴾]^(٦).

وللبخاري رحمه الله من رواية جويرية ابن أسماء، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع البويرة^(٧) ولها يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وهان على سراة بني لؤي تحريق بالبويرة مستطير
فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول:

أدام الله ذلك من صنيع وحرَّق في نواحيها السعير
ستعلم أينما منها بنزه وتعلم أي أرضينا نضير^(٨)
كذا رواه البخاري ولم يذكره ابن إسحاق.

وقال محمد بن إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف:

(١) أخرجه أبو يعلى (المسند ٤/١٣٥ ح ٢١٨٩) وسنده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع (مجمع الزوائد ٧/١٢٥) وفيه مخالفة لرواية الصحيح في قوله: ثم شدد عليهم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٧/٢) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، الجهاد، باب حرق الدور والنخيل (ح ٣٠٢١)، وصحيح مسلم، الجهاد، باب جواز قطع أشجار الكفار (ح ١٧٤٦/٣٠).

(٤) صحيح البخاري، المغازي، باب حديث بني النضير (ح ٤٠٢٨).

(٥) كذا في (ح) و(حم) وصحيح البخاري، وفي الأصل صحفت إلى: «البريدة».

(٦) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر: ٥] (ح ٤٨٨٤)، وصحيح مسلم، الجهاد والسير، باب جواز قطع أشجار الكفار (ح ١٧٤٦/٢٩).

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

(٨) أخرجه البخاري من طريق حبان عن جويرية بن أسماء به. (الصحيح، المغازي، باب حديث بني النضير ح ٤٠٣٢).

لقد خزيت بغدرتها الحَبَور^(١) وذلك أنهم كفروا برب وقد أوتوا معاً فهماً وعِلْماً نذير صادق أدى كتاباً فقالوا ما أتيت بأمر صدق فقال بللى لقد أديت حقاً فمن يتبعه يُهدَ لكل رشد فلما أشربوا غدراً وكفراً أرى الله النبي برأى صدق فأيده وسلطه عليهم فغودر منهم وكعب صريعاً على الكفين ثم وقد علتة بأمر محمد إذ دس ليلاً فما كره فأنزله بمكر فتلك بنو النضير بدار سوء غداة أتاهم وفي الزحف وغسان الحماة موازروه فقال السلم ويحكمُ فصدوا فذاقوا غببَ أمرهم وأجلوا عامدين لقينقاع

كذلك الدهر ذو صرف يدور عظيم أمره أمر كبير وجاءهم من الله النذير وآيات مبينة تنير وأنت بمنكر منا جدير يصدقني به الفهم الخبير ومن يكفر به يجز الكفور وجد بهم عن الحق النفور وكان الله يحكم لا يجور وكان نصيره نعم النصير فذلت بعد مصرعه النضير بأيدينا مشهورة ذكور^(٢) إلى كعب أخا كعب يسير ومحمود أخو ثقة جصور أبارهم بما اجترموا المبير رهواً رسول الله وهو بهم بصير على الأعداء وهو لهم وزير [وحالف]^(٣) أمرهم كذب وزور وبالأل لكل ثلاثة منهم بعير وغودر منهمو نخل ودور^(٤)

قال: وكان مما قيل من الأشعار في بني النضير قول ابن القيم العبسي، ويقال: قالها قيس بن بحر بن طريف، قال ابن هشام الأشجعي:

أهلي فداء لامرئ غير هالك
يقللون في جمر العضاة
فإن يك ظني صادقاً بمحمد
يؤم بها عمرو بن بهثة إنهم
عليهنَّ أبطال مساعير في الوغر
وكل رقيق الشفرتين مهندي
فمن مبلغ عني قريشاً رسالة

أجلى اليهود بالحسي المزئم
وبدلوا أهيبض عوداً بالودي^(٥) المكمم
يروا خيله بين الصلا ويرمرم^(٦)
عدوا ما حيي صديق كمجرم
يهزّون أطراف الوشيح^(٧) المقوم
تورثن من أزمان عاد وجرهم
فهل بعدهم في المجد من متكرم

(٢) أي: سيوف مسلولة من أغمادها.

(١) أي: علماء اليهود.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «وحالة».

(٤) ينظر السيرة النبوية لابن هشام ١٩٩/٢.

(٥) أي: صغار النخل.

(٧) أي: الرماح.

(٦) الصلا ويرمرم: موضعان.

بأن أخاكم فاعلمنّ محمداً
فدينوا له بالحق تجسم أموركم
نبي تلاقته من الله رحمة
فقد كان في بدر لعمرى عبرة
غداة أتى في الخزرجية عامداً
مُعاناً بروح القدس ينكي عدوه
رسولاً من الرحمن يتلو كتابه
أرى أمره يزداد في كل موطن

تليد الندى بين الحجون وزمزم
وتسموا من الدنيا إلى كل معظم
ولا تسألوه أمر غيب مرجم
لكم يا قريش والقلب الملمم
إليكم مطيعاً للعظيم المكرم
رسولاً من الرحمن حقاً بمعلم
فلما أنار الحق لم يتلعثم
علواً لأمر حمّه الله محكم^(١)

وقد أورد ابن إسحاق رحمته الله ههنا أشعاراً كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفصيل للقصة،
تركنا باقيها اختصاراً واكتفاء بما ذكرناه، والله الحمد والمنة.

﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦﴾ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَانِ لَكُمُ الرِّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأْتِيهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ .

ثم قال تعالى: ﴿مَا آفَأَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ أي: جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير ولهذا قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ إلى آخرها والتي بعدها فهذه مصارف أموال الفیء ووجوهه.

(١) المصدر السابق ١٩٥/٢.

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو ومعمرو، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان، عن عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لو يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خالصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته، وقال مرة: قوت سنته وما بقي جعله في الكراع والسلاح في سبيل الله ﷻ ^(١)، هكذا أخرجه أحمد ههنا مختصراً، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم إلا ابن ماجه من حديث سفيان، عن عمرو بن دينار، عن الزهري به ^(٢)، وقد رويناه مطولاً.

وقال أبو داود رحمه الله: حدثنا الحسن بن علي ومحمد بن يحيى بن فارس المعنى واحد قالوا: حدثنا بشر بن عمر الزهراني، حدثني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن مالك بن أوس قال: أرسل إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تعالى النهار فجئته فوجدته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله ^(٣)، فقال حين دخلت عليه: يا مالك إنه قد دفن ^(٤) أهل أبيات من قومك، وقد أمرت فيهم بشيء فاقسم فيهم، قلت: لو أمرت غيري بذلك. فقال: خذه، فجاءه يرفاً ^(٥) فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزيبر بن العوام وسعد بن أبي وقاص؟ قال: نعم.

فأذن لهم فدخلوا، ثم جاءه يرفاً فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في العباس وعلي؟ قال: نعم، فأذن لهما فدخلا فقال العباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا يعني: علياً، فقال بعضهم: أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرحهما، قال مالك بن أوس: حُيل إليّ أنهما قدما أولئك النفر لذلك، فقال عمر رضي الله عنه اتنذا ثم أقبل على أولئك الرهط فقال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة؟» قالوا: نعم. ثم أقبل على علي والعباس فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة؟» فقالا: نعم. فقال: إن الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها أحداً من الناس فقال تعالى: ﴿وَمَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(٦) فكان الله تعالى أفاء على رسوله أموال بني النضير، فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم، فكان رسول الله ﷺ يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة، ويجعل ما بقي أسوة ^(٦) المال.

ثم أقبل على أولئك الرهط فقال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم. ثم أقبل على علي والعباس فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومته (المسند ٢٥/١) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الجهاد، باب المجن ومن يترس بترس صاحبه (ح ٢٩٠٤) وصحيح مسلم، الجهاد، باب حكم الفبي (ح ١٧٥٧)، وسنن أبي داود، الخراج، باب في صفايا رسول الله ﷺ (ح ٢٩٦٥)، وسنن الترمذي، الجهاد، باب ما جاء في الفبي (ح ١٧١٩)، وسنن النسائي، قسم الفبي ١٣٢/٧.

(٣) أي: موصلاً جسده إلى رماله، ورمال السرير: ما ينسج في وجهه بالسعف.

(٤) أي: جاءوا مسرعين.

(٥) هو اسم غلام لعمر رضي الله عنه.

(٦) أي: يجعله لا ينفرد به أحد.

والأرض هل تعلمان ذلك؟ قالوا: نعم. فلما توفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، فجئت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «لا نورث، ما تركنا صدقة» والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق فوليها أبو بكر، فلما توفي قلت أنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر فوليتها ما شاء الله أن أليها، فجئت أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد فسألتما فيها، فقلت إن شئتما فأنا أؤدفعها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تليها بالذي كان رسول الله ﷺ يليها، فأخذتماها مني على ذلك ثم جئتماني لأقضي بينكما بغير ذلك، والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فردّاها إليّ^(١). أخرجه من حديث [الزّهري]^(٢) به^(٣).

قال الإمام أحمد: حدثنا عارم وعفان قالا: أخبرنا معتمر سمعت أبي يقول: حدثنا أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: إن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير. قال: فجعل يرد بعد ذلك، قال: وإن أهلي أمروني أن آتي النبي ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه، وكان نبي الله ﷺ قد أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله قال: فسألت النبي ﷺ فأعطانيهن، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول: كلا والله الذي لا إله إلا هو لا يعطينكن وقد أعطانيهن، أو كما قالت، فقال نبي الله: «لك كذا وكذا». قال: وتقول: كلاً والله. قال: ويقول: «لك كذا وكذا» قال: وتقول: كلاً والله، قال: «ويقول لك كذا وكذا» قال: حتى أعطاه حسبته أنه قال: عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله، أو كما قال^(٤). رواه البخاري ومسلم من طرق عن معتمر^(٥) به.

وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خمس الغنيمة، وقد قدمنا الكلام عليها في سورة الأنفال بما أغنى عن إعادته ههنا، والله الحمد.

وقوله تعالى: ﴿كَفَى لَكُمْ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي: جعلنا هذه المصارف لمال الفئ كلاً يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ أَرْسُولًا فَعْدُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ﴾ أي: مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر.

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثته (السنن، الخراج والإمارة، باب في صفايا رسول الله ﷺ ح ٢٩٦٣) وسنده صحيح.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: «الترمذي».

(٣) صحيح البخاري، فرض الخمس، باب فرض الخمس (ح ٣٠٩٤) وصحيح مسلم، الجهاد، باب حكم الفئ (ح ١٧٥٧)، وسنن الترمذي، السير، باب ما جاء في تركة رسول الله ﷺ (ح ١٦١٠) والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب (ما أفاء على الله مع رسوله) (ح ١١٥٧٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢١٩/٣) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (ح ٤١٢٠) وصحيح مسلم، الجهاد، باب ردّ المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والتمر... (ح ١٧٧١).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن العرنى، عن يحيى بن الجزار، عن مسروق قال: جاءت امرأة إلى ابن مسعود قالت: بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة، أشيء وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ؟ قال: بلى شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ. قالت: والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول. قال: فما وجدت فيه: ﴿وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولُ فَاُخَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟ قالت: بلى. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة، قالت: فلعله في بعض أهلك، قال: فادخلي فانظري، فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت: ما رأيت بأساً، فقال لها: أما حفظت وصية العبد الصالح ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَئَكُمْ عَنْهُ﴾^(١) [هود: ٨٨].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن منصور، عن علقمة، عن عبد الله هو: ابن مسعود قال: لعن الله الواشحات والمستوشحات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله ﷻ، قال فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها: أم يعقوب، فجاءت إليه فقالت بلغني أنك قلت كيت وكيت، قال: ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله تعالى، فقالت: إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته، فقال: إن كنت قرأته فقد وجدته أما قرأت ﴿وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولُ فَاُخَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟ قالت: بلى. قال: فإن رسول الله ﷺ نهى عنه. قالت: إني لأظن أهلك يفعلونه، قال: اذهبي فانظري فذهبت فلم تر من حاجتها شيئاً، فجاءت فقالت: ما رأيت شيئاً، قال: لو كان كذا لما تجمعا^(٢). أخرجه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري^(٣).

وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»^(٤).

وقال النسائي: أخبرنا أحمد بن سعيد، حدثنا يزيد، حدثنا منصور بن حيان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر وابن عباس أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه نهى عن الدباء والحتمم والنقير والمزفت، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولُ فَاُخَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه زجره ونهاه.

(١) السند فيه اضطراب من قتادة إلى مسروق، ويشهد له ما يليه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٣٣/١) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولُ فَاُخَذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] (ح ٤٨٨٦) وصحيح مسلم، اللباس، تحريم فعل الواصلة والمستوصلة (ح ٢١٢٥).

(٤) صحيح البخاري، الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (ح ٧٢٨٨)، وصحيح مسلم، الفضائل، باب توقير رسول الله ﷺ (ح ١٣٣٧).

(٥) أخرجه النسائي بسنده ومثله. (السنن الكبرى، التفسير، باب ﴿وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولُ فَاُخَذُوهُ﴾ ح ١١٥٧٨)، وسنده صحيح.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩) ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠).

يقول تعالى مُبَيَّنًا حال الفقراء المستحقين لمال الفتيء أنهم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي: خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين. ثم قال تعالى مادحاً للأنصار ومبيِّناً فضلهم وشرفهم وكرمهم، وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم.

قال عمر: وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم^(١). رواه البخاري ههنا أيضاً.

وقوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم. قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حميد، عن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: «لا ما أثبتتم عليهم ودعوتهم الله لهم»^(٢). لم أره في الكتب من هذا الوجه.

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين. قالوا: لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال: «إما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم بعدي أثر»^(٣). تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقال البخاري: حدثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا. فقالوا: أتكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة. قالوا: سمعنا وأطعنا^(٤). تفرد به دون مسلم. ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

(١) أخرجه البخاري بسنده عن عمر رضي الله عنه. (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩] ح ٤٨٨٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٠/٣٦٠، ٣٦١ ح ١٣٠٧٥) وصححه سندته محققوه.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض» ح ٣٧٩٤).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، الحرث والمزراعة، باب إذا قال: اكفني مؤونة النخل وغيره.. ح ٢٣٢٥).

حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي: ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة.

قال الحسن البصري: ﴿وَلَا يَحْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ يعني: الحسد^(١) ﴿مِّمَّا أُوتُوا﴾.

قال قتادة: يعني: فيما أُعطى إخوانهم. وكذا قال ابن زيد^(٢).

ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال:

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن أنس قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ: مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ: مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحت^(٣) أبي، فأقسمت أنني لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي [فعلت]^(٤) قال: «نعم».

قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله: غير أنني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحتقر عمله، قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث المرات، فأردت أن أوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فهذه التي بلغت بك، وهي التي لا تطاق^(٥)، ورواه النسائي في اليوم واللييلة عن سويد بن نصر، عن ابن المبارك، عن معمر به^(٦)، وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس^(٧)، فالله أعلم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ يعني: مما أوتوا المهاجرين، قال: وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أي: نازعت. (٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) سنده صحيح وصححه الحافظ ابن كثير.

(٦) السنن الكبرى، عمل اليوم واللييلة، باب ما يقول إذا انتبه من منامه (ح ١٠٦٩٩).

(٧) قال الحافظ ابن حجر: وذكر البيهقي في «الشعب»: أن شعبياً رواه عن الزهري، حدثني من لا اتهم، عن أنس.. ورويناه في «مكارم الأخلاق» وفي عدة أمكنة عن عبد الرزاق. وقد ظهر أنه معلول. (النكت الظراف ٣٩٥/١).

الأنصار فعاتبهم الله في ذلك فقال تعالى: ﴿وَمَا آفَأَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسْطِرُّ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ❶ قال: وقال رسول الله ﷺ: «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم» فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر» فقالوا: نعم يا رسول الله ❶.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني: حاجة؛ أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة جهد المقل» ❷ وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله تعالى: ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨].

وقوله: ﴿وَأَتَى أَمْوَالَهُ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه، ومن هذا المقام تصدق الصديق ﷺ بجميع ماله، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال ﷺ: أبقيت لهم الله ورسوله ❸، وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فردّه الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم، ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير، حدثنا أبو أسامة، حدثنا فضيل بن غزوان، حدثنا أبو حازم الأشجعي، عن أبي هريرة قال: أتى رجل لرسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال النبي ﷺ: «ألا رجل يضيف هذه الليلة ﷺ» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: هذا ضيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئاً، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهن، وتعالى فأطفئ السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: «لقد عجب الله ﷺ - أو ضحك - من فلان وفلانة» فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ❹. وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان ❺، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري

(١) أخرجه الطبري بسنده عن عبد الرحمن بن زيد، وسنده ضعيف لأنه معضل، وعبد الرحمن بن زيد: ضعيف.
(٢) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن حبشي الخثعمي (السنن، الصلاة ح ١٤٤٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٢٨٦).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث عمر بن الخطاب ﷺ. (السنن، المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق ح ٣٩٣٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٩٠٢).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] ح ٤٨٨٩).

(٥) صحيح البخاري، مناقب الأنصار، باب قول الله ﷺ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ (ح ٣٧٩٨) وصحيح مسلم، الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (ح ١٧٢/٢٠٥٤). وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الحشر (ح ٣٣٠١)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ (ح ١١٥٨٢).

بأبي طلحة رضي الله عنه ^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ﴾ أي: من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح. قال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا داود بن قيس الفراء، عن عبيد الله بن مقسم، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» ^(٢). انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن القعني، عن داود بن قيس به ^(٣).

وقال الأعمش وشعبة: عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن زهير بن الأقرم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش، وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا» ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعمش، كلاهما عن عمرو بن مرة به ^(٤).

وقال الليث: عن يزيد بن الهاد، عن سهيل بن أبي صالح، عن صفوان بن أبي يزيد، عن القعقاع بن اللجلاج، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً» ^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، أخبرنا ابن المبارك، حدثنا المسعودي، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلك، فقال له عبد الله: وما ذاك؟ قال: سمعت الله يقول: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئاً، فقال عبد الله: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله في القرآن، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً، ولكن ذاك البخل وبش الشيء البخل ^(٦).

وقال سفيان الثوري: عن طارق بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبير، عن أبي الهيثج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول: اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل، وإذا الرجل عبد الرحمن بن

(١) صحيح مسلم، الباب السابق (ح/٢٠٥٤/١٧٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣/٣٢٣) وسنده صحيح.

(٣) صحيح مسلم، البر والصلة، باب تحريم الظلم (ح/٢٥٧٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد عن ابن أبي عدي عن شعبة به كاملاً. (المسند ١١/٢٦ ح/٦٤٨٧) وصححه سننه محققوه، وأخرجه أبو داود السنن، الزكاة، باب في الشح (ح/١٦٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح/١٤٨٩) وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، التفسير، باب ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ [الحشر: ٩ ح/١١٥٨٣].

(٥) أخرجه النسائي من طريق الليث به (السنن، الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ٧/١٣) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح/٢٩١٠)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٧٢/٢).

(٦) سننه حسن، وأخرجه الطبري من طريق المسعودي به.

عوف رضي الله عنه. رواه ابن جرير ^(١).

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن إسحاق، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا مجمع بن جارية الأنصاري، عن عمه: يزيد بن جارية، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «برئ من الشح من أدى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى في [النائبة]» ^{(٢)(٣)}.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٤) هؤلاء هم: القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم: المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقُدُّوسِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ أي: بغضاً وحسداً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمته الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب، لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت: أمروا أن يستغفروا لهم فسبواهم ثم قرأت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ^(٥) الآية.

وقال إسماعيل بن علي، عن عبد الملك بن عمير، عن مسروق، عن عائشة قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسببتموهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها» رواه البغوي ^(٥).

وقال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أيوب، عن الزهري قال: قال عمر رضي الله عنه: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] قال

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن.

(٢) كذا في (ح) والطبري وفي الأصل بلفظ: «النائية».

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لأن إسماعيل بن عياش الحمصي صدوق في روايته عن أهل بلده، مُخلط في غيرهم. (التقريب ص ١٠٩) ويروي هنا عن غير أهل بلده وهو مجمع بن جارية وهو من المدينة وليس من حمص.

(٤) سنده ضعيف لضعف إسماعيل بن إبراهيم، وأبوه فيه لين. (التقريب ص ٩٤ وص ١٠٥).

(٥) أخرجه البغوي من طريق إسماعيل بن علية به. (معالم التنزيل ٣٢١/٤) ولشطره الأول الموقوف شاهد في صحيح مسلم (الصحيح، التفسير ح ٣٠٢٢).

الزهري: قال عمر رضي الله عنه: هذه لرسول الله ﷺ خاصة وقرى عربية فذك، وكذا مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وللفقراء المهاجرين الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق. قال أيوب: - أو قال: حظ - إلا بعض من تملكون من أرقائكم^(١). كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن أبو ثور، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة بن خالد، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قرأ عمر بن الخطاب: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ حتى بلغ ﴿عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠] ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُمُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الآية [الأنفال: ٤١]. ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الحشر: ٧] حتى بلغ ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ثم قال: استوعبت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلا له فيها حق ثم قال: لئن عشت لياتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه^(٢).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُصَرِّفُونَ﴾ ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿لَا يَتْلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُخْتَصَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿كَذَلِكَ أَلَّفْنَا مِنَ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا أَيْمَانٍ وَهَمَّ مِنْهُمْ وَهَمَّ عَذَابُ الْآلِمِ﴾ ﴿كَذَلِكَ أَلَّفْنَا الْإِنْسَانَ الْأَكْثَرَ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧﴾.

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: لكاذبون فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا لهم قولاً، ومن نيتهم أن لا يفوا لهم به، وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ﴾ أي: لا يقاتلون معهم ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ أي: قاتلوا معهم ﴿لَيُولِيَنَّ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُصَرِّفُونَ﴾ وهذه بشارة مستقلة بنفسها، كقوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: يخافون

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، الخراج والإمارة، باب في تدوين العطاء ح ٢٩٦٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٢٥٧٠)، وفي سننه الزهري لم يسمع من عمر رضي الله عنه كما قرر الإمام أحمد بن حنبل (ينظر المراسيل لابن أبي حاتم ص ١٩٠) وهذا التصحيح لعله بالشواهد والطرق.

(٢) سنده ضعيف لضعف عكرمة بن خالد وهو ابن سلمة بن العاص المخزومي. (التقريب ص ٣٩٦).

منكم أكثر من خوفهم من الله ﴿إِذَا فُرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿لَا يُقِيلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ يعني: أنهم من جنهم وھلعهم لا يقدرّون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة.

ثم قال تعالى: ﴿بِأَسْهُمٍ يَّيْتَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: عداوتهم فيما بينهم شديدة، كما قال تعالى: ﴿وَيَذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] ولهذا قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف.

قال إبراهيم النخعي: يعني أهل الكتاب والمنافقين ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا وِبَالٍ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٥).

قال مجاهد والسدي ومقاتل بن حيان: يعني كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر^(١).

وقال ابن عباس: كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع^(٢)، وكذا قال قتادة ومحمد بن إسحاق، وهذا القول أشبه بالصواب فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ﴾ يعني: مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصرنكم، ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال، تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للإنسان - والعياذ بالله - الكفر، فإذا دخل فيما سول له تبرأ منه وتنصل وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقد ذكر بعضهم ههنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل، لا أنها المرادة وحدها بالمثل، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها، فقال ابن جرير: حدثنا خلاد بن أسلم، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمعت عبد الله بن نهيك قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول إن راهباً تعبّد ستين سنة، وإن الشيطان أراد أن يأخذه فعمد إلى امرأة فأجنّها، ولها إخوة فقال لإخوتها: عليكم بهذا القسّ فيداويها، قال: فجاءوا بها إليه فداواها وكانت عنده، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها، فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك إنك أعبيتني أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك، فاسجد لي سجدة، فسجد له، فلما سجد له قال: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين، فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦) (٣).

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه عن عتبة ابن إسحاق، وفيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وأخرجه عبد الرزاق من طريق أبي إسحاق به، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق عبد الرزاق به وفيه ورد اسم حميد بن عبد الله بدلاً من عبد الله بن نهيك وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٤٨٤، ٤٨٥).

وقال ابن جرير: حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية ﴿كَتَلَّ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها فحملت، فأتاه الشيطان فقال له: اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدق يسمع قولك، فقتلها ثم دفنها قال: فأتى الشيطان إختوها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا بل قصها علينا. قال فقصها فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، قالوا: فوالله ما هذا إلا لشيء قال: فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقية الشيطان، فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه، قال: فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل^(١). وكذا روي عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا. فالله أعلم.

وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد فإن جريجاً اتهمته امرأة بغي بنفسها، وادعت أن حملها منه ورفعت أمرها إلى ولي الأمر فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول: ما لكم ما لكم؟ قالوا: يا عدو الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا، فقال جريج: اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً، ثم قال: يا غلام من أبوك؟ قال: أبي الراعي، وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيماً بليغاً، وقالوا: نعيد صومعتك من ذهب، قال: لا بل أعيدوها من طين كما كانت^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾ أي: فكان عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: جزاء كل ظالم.

﴿بَنَاتِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَنْ نَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٨﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٩﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عون بن أبي جحيفة، عن المنذر بن جرير، عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاء قوم حفاة عراة محتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مُضَر بل كلهم من مُضَر، فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، قال: فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام الصلاة

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ويشهد له سابقة.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ؓ. (الصحيح، أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْمٍ إِذْ أَنْبَأَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] ح ٣٤٣٦) وهذه القصة غير القصة السابقة.

فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [النساء: ١] إلى آخر الآية، وقرأ الآية التي في الحشر ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال: «ولو بشق تمر» قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول الله ﷺ يتהלّل وجهه كأنه مُدْهَبَةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١). انفرد بإخراجه مسلم من حديث شعبة بإسناده مثله^(٢)، فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما به أمر وترك ما عنه زجر.

وقوله تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تأكيد ثانٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم، لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب من أموركم جليل ولا حقير.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: لا تنسوا ذكر الله تعالى: فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافون].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن [نجدة]^(٣) الحوطي، حدثنا المغيرة، حدثنا جرير بن عثمان، عن نعيم بن نمحة قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق ﷺ: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله ﷻ فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله ﷻ، إن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أين: من تعرفون من إخوانكم؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة، وأين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار، هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، واستضيئوا بسنائه وبيانه، إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَ رَبَّاً وَرَبَّاً وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] لا خير في قول لا يُراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم^(٤). هذا

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٥٨/٤) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر (ح ١٠١٧).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «محمد».

(٤) أخرجه الطبراني بسنده ومثته (المعجم الكبير ٦٠/١ ح ٣٩) وقد حكم الحافظ ابن كثير بجودة سنده.

إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات، وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لا أعرفه بنفي ولا إثبات، غير أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ جرير كلهم ثقات، وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أي: لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْلُوعُهُمْ وَمَمَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجنابية] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر] وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص] في آيات أخر دالات على أن الله تعالى يكرم الأبرار ويهين الفجار، ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي: الناجون المسلمون من عذاب الله ﷻ.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤).

يقول تعالى معظماً لأمر القرآن ومبيناً علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه، لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتتصدع من خوف الله ﷻ، فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

قال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ إلى آخرها يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع، ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١) وكذا قال قتادة وابن جرير (٢).

وقد ثبت في الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبي ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر، فعند ذلك حنَّ الجذع وجعل يئنُّ كما يئنُّ الصبي الذي يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحي عنده (٣)، ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بمعناه.

(٣) أخرجه البخاري (الصحيح، المناقب، باب علامات النبوة ح ٣٥٨٣، ٣٥٨٥).

إيراده: فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ نَفْسٍ بِهِ الْمَوْتُ﴾ الآية [الرعد: ٣١]. وقد تقدم أن معنى ذلك؛ أي: لكان هذا القرآن، وقد قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ مِنَ الْجِبَارِ لَمَّا يَنْفَجَرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْفَجَرُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْفَجَرُ مِنْ حَشِيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ❶ أخبر تعالى أنه الذي لا إله إلا هو فلا ربَّ غيره ولا إله للوجود سواه، وكل ما يعبد من دونه فباطل، وأنه عالم الغيب والشهادة؛ أي: يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقيق وصغير وكبير حتى الذر في الظلمات.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قد تقدم الكلام على ذلك في أول التفسير بما أغنى عن إعادته ههنا، والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وقد قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ❷ [يونس].

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة.

وقوله تعالى: ﴿الْقُدُّوسُ﴾ قال وهب بن منبه: أي الطاهر.

وقال مجاهد وقتادة: أي: المبارك^(١).

وقال ابن جريج: تقدسه الملائكة الكرام ﴿السَّلَامُ﴾ أي: من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله.

وقوله تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس: أي: [أمن خلقه من]^(٢) أن يظلمهم^(٣). وقال قتادة: أمن بقوله أنه حق^(٤).

وقال ابن زيد: صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به^(٥).

وقوله تعالى: ﴿الْمُهَيَّمُنُ﴾.

قال ابن عباس وغير واحد: أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم^(٦)، بمعنى هو رقيب عليهم

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل بياض. (٣) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «الشهيد».

كقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]. وقوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦] وقوله: ﴿أَفَنَنْتَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الآية [الرعد: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ﴾ أي: الذي قد عزَّ كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنبه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه، ولهذا قال تعالى: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ أي: الذي لا تليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته، كما تقدم في الصحيح: «العظمة إزارى والكبرياء رادئى فمن نازعني واحداً منهما عذبت»^(١).

وقال قتادة: ﴿الْجَبَّارُ﴾ الذي جبر خلقه على ما يشاء^(٢).

وقال ابن جرير: ﴿الْجَبَّارُ﴾ المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم^(٣). وقال قتادة: ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ يعني: عن كل شر^(٤)، ثم قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ الخلق التقدير والبرء هو [الفري]^(٥)، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله ﷻ. قال الشاعر^(٦) يمدح آخر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
أي: أنت تنفذ ما خلقت؛ أي: قدرت، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد، فالخلق التقدير والفري التنفيذ، ومنه يقال: قدر الجَلَاد ثم فرى؛ أي: قطع على ما قدره بحسب ما يريد.

وقوله تعالى: ﴿الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار كقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الإنفطار: ٨] ولهذا قال: ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قد تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف^(٧). ونذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر». وتقدم سياق الترمذي وابن ماجه له عن أبي هريرة أيضاً وزاد بعد قوله: «وهو وتر يحب الوتر». واللفظ للترمذي: «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت،

(١) أخرجه مسلم (الصحيح، البر والصلة، باب تحريم الكبر ح ٢٦٢٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) ذكره الطبري.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «الذي».

(٦) هو زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان، والبيت في ديوانه ص ٩٤.

(٧) آية ١٨٠.

الحسب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواحد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المعطي، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور». وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وقد قدمنا ذلك مبسوطاً مطولاً بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا^(١).

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: فلا يُرام جنباه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في شرعه وقدره.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا خالد يعني: ابن طهمان [أبو العلاء]^(٢) الخفاف، حدثنا نافع بن أبي نافع، عن معقل بن يسار، عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكُلَّ الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يُمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يُمسي كان بتلك المنزلة»^(٣). ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان، عن أبي أحمد الزبيري به. وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه^(٤).

آخر تفسير سورة الحشر.

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ١٨٠.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «أبو المعلاء».

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٢١/٣٣ ح ٢٠٣٠٦) وضعفه محققوه لضعف خالد بن طهمان.

(٤) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، ثواب القرآن، باب فضل آخر سورة الحشر ح ٢٩٢٣) وسنده ضعيف. كسابقه.

سُورَةُ الْمُتَحَنِّنَةِ

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْنَعَلَةَ مَرْضَايَ تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

كان سبب نزول هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفاً لعثمان، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، فأمر النبي ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال: «اللَّهُمَّ عَمَّ عَلَيْهِمْ خَبْرنا»^(١) فعبد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم، ليتخذ بذلك عندهم يداً، فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه، فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها، وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته.

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن عمه، أخبرني حسن بن محمد بن علي، أخبرني عبد الله بن أبي رافع وقال مرة: إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ»^(٢) فإن بها طعينة^(٣) معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالطعينة قلنا: أخرجني الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها^(٤)، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟»

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٢٣/٤٣٥) بسند ضعيف فيه يحيى بن سليمان بن نضلة وهو ضعيف (مجمع الزوائد ٦/١٦٧) والقصة سردها ابن هشام (السيرة النبوية ٤/٨٥٢).

(٢) روضة خاخ: موضع على اثني عشر ميلاً من المدينة. والميل ثلاثة آلاف ذراع أو أربعة آلاف ذراع. (المقادير في الفقه الإسلامي ص ٧٠).

(٣) أي: امرأة.

(٤) أي: من ذوائها المصفورة.

قال: لا تعجل عليّ إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنه صدقكم».

فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد شهد بداراً وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(١). وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به^(٢)، وزاد البخاري في كتاب المغازي: فأُنزل الله السورة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٣) وقال في كتاب التفسير: قال عمرو: ونزلت فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ وقال: لا أدري الآية في الحديث أو قال عمرو^(٤). قال البخاري: قال علي يعني: ابن المديني: قيل لسفيان في هذا نزلت ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ فقال سفيان: هذا في حديث الناس حفظته من عمرو، ما تركت منه حرفاً ولا أدري أحداً حفظه غيري^(٥).

وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير بن العوام وكلنا فارس، وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأدركنها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا: الكتاب؟ فقالت: ما معي كتاب، فأخذناها فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه فقال النبي ﷺ: «ما حملك على ما صنعت؟» قال حاطب: والله ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله ﷺ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال: «صدق لا تقولوا له إلا خيراً».

فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فلاضرب عنقه، فقال: «أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة - أو قد غفرت لكم - فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله، أعلم»^(٦). هذا لفظ البخاري في المغازي في غزوة بدر.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/٧٩) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، الجهاد، باب الجاسوس (ح ٣٠٠٧) وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر ﷺ (ح ٢٤٩٤).

(٣) صحيح البخاري، المغازي، باب غزوة الفتح (ح ٤٢٧٤).

(٤) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١] (ح ٤٨٩٠).

(٥) المصدر السابق بعد الحديث رقم ٤٨٩٠ مباشرة.

(٦) أخرجه البخاري من طريق عبد الله بن إدريس عن حصين بن عبد الرحمن به (الصحيح، المغازي، باب فضل من شهد بداراً ح ٣٩٨٣).

وقد روي من وجه آخر، عن علي قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن [الهسنجاني] ^(١)، حدثنا عبيد بن يعيش، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي سنان هو: سعيد بن سنان، عن عمرو بن مرة الجملي، عن أبي البحتري الطائي، عن الحارث، عن علي قال: لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة أسراً إلى أناس من أصحابه أنه يريد مكة منهم حاطب بن أبي بلتعة، وأفشى في الناس أنه يريد خيبر، قال: فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم، فأخبر رسول الله ﷺ، قال: فبعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس فقال: «اتتوا روضة خاخ، فإنكم ستلقون بها امرأة معها كتاب فخذوه منها».

فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر رسول الله ﷺ فقلنا لها: هات الكتاب. فقالت: ما معي كتاب، فوضعنا متاعها وفتشناها فلم نجده في متاعها، فقال أبو مرثد: لعله أن لا يكون معها، فقلت: ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، فقلنا لها: لتخرجنه أو لنعرينك. فقالت: أما تتقون الله! ألستم مسلمين! فقلنا: لتخرجنه أو لنعرينك. قال عمرو بن مرة: فأخرجته من حجزتها. وقال حبيب بن أبي ثابت: أخرجته من قبلها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة، فقام عمر فقال: يا رسول الله خان الله ورسوله، فاذن لي فلاضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «أليس قد شهد بدرًا؟» قالوا: بلى، وقال عمر: بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك، فقال رسول الله ﷺ: «فلعل الله أطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم إنني بما تعملون بصير» ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم فأرسل، رسول الله ﷺ إلى حاطب فقال: «يا حاطب ما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله إنني كنت امرأً ملصقاً في قريش، وكان لي بها مال وأهل ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله، فكتبت بذلك إليهم والله يا رسول الله إنني لمؤمن بالله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب إلا خيراً» قال حبيب بن أبي ثابت: فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ ^(٢). الآية وهكذا رواه ابن جرير، عن ابن حميد، عن مهران، عن أبي سنان سعيد بن سنان بإسناده مثله ^(٣).

وقد ذكر ذلك أصحاب المغازي والسير فقال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ثم أعطاه امرأة، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم غيره أنها سارة مولاة لبني عبد المطلب وجعل لها جعلاً على أن تبلغه لقريش، فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال: «أدركا امرأة قد كتب معها حاطب كتاباً إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم».

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: صحف إلى: «الهجاني».

(٢) سنده ضعيف لضعف الحارث وهو الأعور الكوفي كما في التقريب، ولبعضه شواهد تقدمت في الصحيح.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن حميد به، وسنده كسابقه.

فخرجوا حتى أدركاها بالحليفة، حليفة بني أبي أحمد، فاستنزلاها بالحليفة فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أبي طالب: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك. فلما رأت الجدّ منه قالت: أعرض، فأعرض فحلّت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال: «يا حاطب ما حملك على هذا؟» فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر؟ لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فأنزل الله ﷻ في حاطب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾^(١) إلى آخر القصة، وروى معمر، عن الزهري، عن عروة نحو ذلك^(٢)، وهكذا ذكر مقاتل بن حيان أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة أنه بعث سارة مولاة بني هاشم، وأنه أعطاه عشرة دراهم، وأن رسول الله ﷺ بعث في أثرها عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ﷺ فأدركاها بالجحفة وذكر تمام القصة كنحو ما تقدم^(٣).

وعن السدي قريباً منه، وهكذا قال العوفي، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة^(٤).

فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني: المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ أَثَرُهُمْ أَن تَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤١] وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٨] ولهذا قبل رسول الله ﷺ عذر حاطب، لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد.

ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا مصعب بن سلام، حدثنا الأجلح، عن

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق به وذكره ابن هشام. (السيرة النبوية ٨٥٨/٤) وسنده مرسل.

(٢) أخرجه الطبري من طريق معمر به، وهو مرسل أيضاً.

(٣) سنده معضل.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما سبق، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بنحوه، وسنده مرسل ويتقوى بما سبق.

قيس بن أبي مسلم، عن ربعي بن خراش سمعت حذيفة يقول: ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالا واحداً وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر، قال: فضرب لنا منها مثلاً وترك سائرهما قال: «إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم، فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه»^(١).

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ هذا مع ما قبله من التهيج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي: لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج] وكقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ بغيرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم، فلا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حقاً عليكم وسخطاً لدينكم.

وقوله تعالى: ﴿تُشْرُونَ إِلَهُكُمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ أي: تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [١] إن يتفقوكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء. أي: لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: ويحرصون على أن لا تنالوا خيراً فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء؟ وهذا تهيج على عداوتهم أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ يَقُولُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهِ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: قرباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءاً، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتهم بما يسخط الله، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله، ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد، ولو كان قريباً إلى نبي من الأنبياء.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار»^(٢). ورواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به^(٣).

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [١] رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْرِضْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٢] لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفِيُّ الْكَرِيمُ [٣].

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٤٨/٣٨ ح ٢٣٤٦٣) وضعف سنده محققوه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٦٨/٣) وسنده صحيح.

(٣) صحيح مسلم، الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار (ح ٣٤٧).

منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: وأتباعه الذين آمنوا معه ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ﴾ أي: تبرأنا منكم ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرًا بِكُمْ﴾ أي: بدينكم وطريقكم ﴿وَبَدَا يَنسُبْنَا بِكُمْ الْغَدَاةَ وَالْبَعْضَاءُ أَبَدًا﴾ يعني: وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمت على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّى تَوَمَّنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ أي: إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١٣٦﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٣٧﴾ [التوبة].

وقال تعالى في هذه الآية: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ليس لكم في ذلك أسوة؛ أي: في الاستغفار للمشركين، هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد^(١).

ثم قال تعالى مخبراً عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم، فلجأوا إلى الله وتضرعوا إليه فقالوا: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي: توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك وإليك المصير؛ أي: المعاد في الدار الآخرة ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قال مجاهد: معناه: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم^(٢) هذا، وكذا قال الضحاك.

وقال قتادة: لا تظهرهم علينا فيفتنونا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه^(٣)، واختاره ابن جرير.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا تسلطهم علينا فيفتنونا^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَعِزَّنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ أي: الذي لا يضام من لاذ بجنابك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقوالك

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه آدم والطبري كسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وأفعالك وشرعك وقدرك ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ﴾ وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضاً لأن هذه الأسوة المثبتة ههنا هي الأول
بعينها.

وقوله تعالى: ﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ تهيج إلى ذلك لكل مُقر بالله والمعاد، وقوله
تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: عما أمر الله به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ
وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الغني الذي قد كمل في غناه وهو الله، هذه صفته
لا تنبغي إلا له ليس له كفاء وليس كمثل شيء سبحانه الله الواحد القهار الحميد المستحمد إلى
خلقه؛ أي: هو الم محمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا ربَّ سواه.

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ لِكُفْرِكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧) لَا
يَهْتَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوهُمْ مِّن دِينِكُمْ أَن يَرْوَاهُمْ وَيُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَهْتَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوهُمْ مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن قَوْلُهُمْ
وَمَن يَتَوَلَّ فَاُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ لِكُفْرِكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ
عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ أي: محبة بعد البغضة، ومودة بعد النفرة، وألفة بعد الفرقة ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ أي:
على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة، فيؤلف بين القلوب بعد
العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة، كما قال تعالى ممتناً على الأنصار: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾
الآية [آل عمران: ١٠٣] وكذا قال لهم النبي ﷺ: «ألم أجدكم ضللاً فهداكم الله بي، وكنتم
متفرقين فآلفكم الله بي؟»^(١) وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِضُرٍّ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾
[الأنفال] وفي الحديث: «أحب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض
بغيضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما»^(٢).

وقال الشاعر^(٣):

وقد يجمع الله الشيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا
وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأتابوا إلى ربهم

(١) تقدم تخريجه في سورة التوبة آية ٧٤.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ثم قال: حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا
الوجه، وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا، رواه الحسن بن أبي جعفر بإسناده عن علي عن
النبي ﷺ، والصحيح عن علي موقوف قوله. (السنن، البر، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض
ح ١٩٩٨).

(٣) هو قيس بن الملوّح كما في ديوانه ص ٣١٥.

وأسلموا له، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه من أي ذنب كان.

وقد قال مقاتل بن حيان: إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب، فإن رسول الله ﷺ تزوج ابنته، فكانت هذه مودة ما بينه وبينه، وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر، فإن رسول الله ﷺ تزوج بأُم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف^(١)، وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم حيث قال: قرى على محمد بن عزيز، حدثني سلامة، حدثني عقيل، حدثني ابن شهاب أن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان صخر بن حرب على بعض اليمن، فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل فلقي ذا الخمار مرتداً فقاتله، فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين، قال ابن شهاب: وهو ممن أنزل الله فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً﴾^(٢) الآية.

وفي صحيح مسلم، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال: يا رسول الله ثلاث أعطينهن قال: «نعم» قال: تأمرني أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نعم» قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: «نعم» قال: وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكما^(٣) الحديث، وقد تقدم الكلام عليه.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَنَكَّرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنِّلُوْكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يَخْرُجُوْكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أي: يعاونوا على إخراجكم؛ أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ﴾ أي: تحسنوا إليهم ﴿وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: تعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قدمت أُمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أُمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «نعم صلي أمك»^(٤). أخرجه^(٥). وقال الإمام أحمد: حدثنا عارم، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مصعب بن ثابت، حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ^(٦) وسمن وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها. فسألت عائشة النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يَتَنَكَّرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنِّلُوْكُمْ فِي الدِّينِ﴾ إلى آخر الآية. فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها^(٧).

وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به^(٨)، وفي رواية لأحمد

(١) سنده معضل. (٢) سنده مرسل.

(٣) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي سفيان بن حرب (ح ٢٥٠١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد عن سفيان عن هشام به (المسند ٤٨٢/٤٤ ح ٢٦٩١٣) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الشيخان من طريق أبي أسامة عن هشام به. (صحيح البخاري، الهبة، باب الهدية للمشركين ح ٢٦٢٠) وصحيح مسلم، الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين (ح ٥٠/١٠٠٣).

(٦) هو ورق يدبغ به.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومنتنه وزيادة في بيان نسب قتيلة. (المسند ٣٧/٢٦ ح ١٦١١١) وضعف سنده محققوه لضعف مصعب بن ثابت.

(٨) أخرجه الطبري من طريق مصعب، وحكمه كسابقه.

ولابن جرير قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد من بني مالك بن حسل^(١)، وزاد ابن أبي حاتم في المدة التي كانت بين قريش ورسول الله ﷺ.

وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: حدثنا عبد الله بن شبيب، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو قتادة العدوي، عن ابن أخي الزهري، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة وأسماء أنهما قالتا: قدمت علينا أمنا المدينة وهي مشركة في الهدنة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فقلنا: يا رسول الله إن أمنا قدمت علينا المدينة وهي راغبة أفنصلها؟ قال: «نعم فصلها؟» ثم قال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن الزهري، عن عروة، عن عائشة إلا من هذا الوجه^(٢).

قلت: وهو منكر بهذا السياق لأن أم عائشة هي: أم رومان وكانت مسلمة مهاجرة وأم أسماء غيرها كما هو مصرح باسمها في هذه الأحاديث المتقدمة، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ قد تقدم تفسير ذلك في سورة الحجرات وأورد الحديث الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَخَرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ أي: إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ينهاكم الله ﷻ عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم، ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ هُنَا فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لَمَنْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُهُمْ مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايَنْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَتَسَلُّوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلَا مَّا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنَ زُرُوعِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَايَنْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَّا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾.

تقدم في سورة الفتح في ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش فكان فيه: على أن لا يأتيك منك رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وفي رواية: على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهري ومقاتل بن حيان والسدي^(٤)، فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة،

(١) المصدر قبل السابق.

(٢) أخرجه البزار بسنده ومثته، وضعفه الحافظ ابن حجر ونقل عن الهيثمي قوله: حديث أسماء في الصحيح، وأم عائشة غير أم أسماء. (مختصر زوائد مسند البزار ٢/٢٤١ ح ١٧٨٤).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجرات آية ٩.

(٤) أخرجه الطبري والبيهقي (السنن الكبرى ٩/٢٢٨) من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن عروة بن الزبير، =

وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف ناسخة، فإن الله ﷻ أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن، فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهن ولا هم يحلون لهن، وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن أبي أحمد بن جحش من المسند الكبير من طريق أبي بكر بن أبي عاصم، عن محمد بن يحيى الذهلي، عن يعقوب بن محمد، عن عبد العزيز بن عمران، عن مجمع بن يعقوب، عن حنين بن أبي لبانة، عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط في الهجرة فخرج أخوها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله ﷺ، فكلماه فيها أن يردها إليهما فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة، فمنعهم أن يرُدُّوهن إلى المشركين وأنزل الله آيات الامتحان^(١).

قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا يونس بن بكير، عن قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر الأسدي قال: سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله، ثم رواه من وجه آخر عن الأغر بن الصباح به^(٢)، وكذا رواه البزار من طريقه وذكر فيه أن الذي كان يحلفهن عن أمر رسول الله ﷺ له عمر بن الخطاب.

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ وكان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله^(٣).

وقال مجاهد: ﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ فاسألوهن عما جاء بهن، فإذا كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطه أو غيره ولم يؤمن فارجعوهن إلى أزواجهن^(٤).

وقال عكرمة: يقال لها: ما جاء بك إلا حب الله ورسوله، وما جاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله: ﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾^(٥).

وقال قتادة: كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن^(٦).

= وهو مرسل وأخرجه ابن سعد من قول الزهري. (الطبقات الكبرى ٢٣١/٨)، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بنحوه، وهذه الروايات يقوي بعضها بعضاً.

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في جامع المسانيد ٢٤٣/٧، وأخرجه ابن الأثير من طريق أبي بكر بن أبي عاصم به (أسد الغابة ٦٧/٣) وسنده ضعيف لضعف عبد العزيز بن عمران. (التقريب ص ٣٥٨).

(٢) أخرجه الطبري بسنديهما ومثته، وسنده ضعيف لأن أبا نصر الأسدي: مجهول (التقريب ص ٦٧٨). وهو لم يسمع من ابن عباس، فقد أخرجه البزار من الطريق نفسه، وصرح الحافظ ابن حجر بالانقطاع. (مختصر زوائد مسند البزار ١١٢/٢ ح ١٥١٧).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً.

وقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة، ولهذا كان أبو العاص بن الربيع زوج ابنة النبي ﷺ زينب رضي الله عنها، قد كانت مسلمة وهو على دين قومه، فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فداءه بقلادة لها كانت لأُمها خديجة فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقة شديدة وقال للمسلمين: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا» ففعلوا فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته إليه، فوقى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها إلى رسول الله ﷺ مع زيد بن حارثة رضي الله عنه^(١)، فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر. وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان فردّها عليه بالنكاح الأول، ولم يحدث لها صداقاً.

كما قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، حدثنا ابن إسحاق، حدثني داود بن الحصين، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردَّ ابنته زينب على أبي العاص، وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول ولم يحدث شهادة ولا صداقاً^(٢). ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. ومنهم من يقول بعد سنتين، وهو صحيح؛ لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بستتين وقال الترمذي: ليس بإسناده بأس ولا نعرف وجه هذا الحديث ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين، وسمعت عبد بن حميد يقول: سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث وحديث ابن الحجاج يعني ابن أرقطة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ ردَّ ابنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد، فقال يزيد: حديث ابن عباس أجود إسناداً والعمل على حديث عمرو بن شعيب^(٣)، ثم قلت: وقد روى حديث الحجاج بن أرقطة، عن عمرو بن شعيب الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وضعفه الإمام أحمد وغير واحد^(٤)، والله أعلم.

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين، يحتمل أنه لم تنقض عدتها منه لأن الذي عليه الأكثر أنها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه. وقال آخرون: بل إذا انقضت العدة هي بالخيار، إن شئت أقامت على النكاح واستمرت، وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت وحملوا عليه حديث ابن عباس، والله أعلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٢٧٦/٦) وأبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها (السنن، الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال ح ٢٦٩٢). وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٢٣٤١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٩٥/٤ ح ٢٣٦٦) وحسن سنده محققوه.

(٣) سنن أبي داود، الطلاق، باب إلى متى ترد عليه امرأته إذا أسلم بعدها (ح ٢٢٤٠) وسنن الترمذي، النكاح، باب ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما (ح ١١٤٣، ١١٤٤) وسنن ابن ماجه، النكاح، باب الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر (ح ٢٠٠٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٦٣٥).

(٤) (المسند ٢٠٧/٢)، وسنن الترمذي (ح ١١٤٤)، وسنن ابن ماجه (ح ٢٠١٠).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَوْهُم مَّا أَنْفَقُوا﴾ يعني: أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا إليهم الذي غرموه عليهن من الأصدقة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهري وغير واحد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾ يعني: إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن؛ أي: تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ تحريم من الله ﷻ على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن.

وفي الصحيح عن الزهري، عن عروة، عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية، جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية^(١).

وقال ابن ثور: عن معمر، عن الزهري: أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو بأسفل الحديبية حين صالحهم، على أنه من أتاه منهم ردّه إليهم، فلما جاء النساء نزلت هذه الآية وأمره أن يردّ الصداق إلى أزواجهن، وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى أزواجهن وقال: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾^(٢).

وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال: وإنما حكم الله بينهم بذلك لأجل ما كان بينهم وبينهم من العهد^(٣).

وقال محمد بن إسحاق، عن الزهري: طلق عمر يومئذ قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة. فتزوجها معاوية وأم كلثوم بنت عمرو بن جرويل الخزاعية، وهي أم عبيد الله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما، وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَسَلُّوا مِمَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ لَهَا أَنْفَقُوا﴾ أي: وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار إن ذهبن وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي: في الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما يصلح عباده حكيم في ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ ثَغْوٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ قال مجاهد وقتادة: هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد إذا فرّت إليهم امرأة، ولم يدفعوا إلى زوجها شيئاً، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء حتى يدفع إلى زوج الذاهبة

(١) أخرجه البخاري من طريق معمر عن الزهري مطولاً. (الصحيح، الشروط، باب الشروط في الجهاد ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) أخرجه الطبري عن ابن عبد الأعلى عن ابن ثور به، ورجاله ثقات لكنه مرسل. ويتقوى بما سبق.

(٣) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات، لكنه معضل ويتقوى بما سبق.

(٤) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ٣/ ٧٩٠) وسنده مرسل.

إليهم مثل نفقته عليها^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن الزهري قال: أقرّ المؤمنون بحكم الله فأدوا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين^(٢)، فقال الله تعالى للمؤمنين به ﴿وَلَا فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين، ردّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم الذي أمروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم، التي أنفقوا على أزواجهم اللاتي آمنّ وهاجرن، ثم ردّوا إلى المشركين فضلاً إن كان بقي لهم، والعقب ما كان بقي من صداق نساء الكفار حين آمن وهاجرن.

وقال العوفي، عن ابن عباس في هذه الآية؛ يعني: إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ أنه يعطي مثل ما أنفق من الغنيمة^(٣)، وهكذا قال مجاهد^(٤): ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم ﴿فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ يعني: مهر مثلها. وهكذا قال مسروق وإبراهيم وقتادة ومقاتل والضحاك وسفيان بن حسين والزهري أيضاً^(٥). وهذا لا ينافي الأول لأنه إن أمكن الأول فهو الأولى وإلا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من أيدي الكفار، وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير، والله الحمد والمنة.

﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَنٍ يَفَرِّيهِ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْبِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

قال البخاري: حدثنا إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمه قال: أخبرني عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال عروة: قالت عائشة فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله: «قد بايعتك» كلاماً ولا والله ما مسّت يده يد امرأة في المبايعة قط، وما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك»^(٦). هذا لفظ البخاري.

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما يليه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق مسلم بن صبيح عن مسروق. (المصنف ٤٣٢/٣) وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ [المتحنة: ١٠] ح (٤٨٩١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئاً، الآية وقال: «فيما استطعتن وأطقتن» قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله ألا تصافحنا؟ قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قلتي لامرأة واحدة كقولتي لمائة امرأة»^(١). هذا إسناد صحيح. وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة^(٢)، والنسائي أيضاً من حديث الثوري ومالك بن أنس، كلهم عن محمد بن المنكدر عن أميمة به، وقال الترمذي: حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر، وقد رواه أحمد أيضاً من حديث محمد بن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن أميمة به وزاد: ولم يصافح منا امرأة^(٣)، وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر به^(٤).

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر الرازي، عن محمد بن المنكدر، حدثني أميمة بنت رقيقة وكانت أخت خديجة خالة فاطمة من فيها إلى في فذكره^{(٥)(٦)}.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني سليل بن أيوب بن الحكم بن سليم، عن أمه سلمى بنت قيس، وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه القبلتين، وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجار قالت: جئت رسول الله ﷺ نبايعه في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزن ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال: «ولا تغششن أزواجكن» قالت: فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعي فسلي رسول الله ﷺ ما غش أزواجنا؟ قالت: فسألته فقال: «تأخذ ماله فتحابي به غيره»^(٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد بن حاطب، حدثني أبي، عن أمه عائشة بنت قدامة يعني: ابن مظعون قالت: أنا مع أمي رائطة ابنة سفيان الخزاعية والنبي ﷺ يبايع النسوة ويقول: «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، ولا تعصينني في معروف - قلن: نعم - فيما استطعتن» فكن يقرن وأقول معهن وأمي تقول لي: أي بنية: نعم، فكن أقول كما يقلن^(٨).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/٣٥٧) وصححه سننه الحافظ ابن كثير.

(٢) سنن الترمذي، السير، باب ما جاء في بيعه النساء (ح ١٥٩٧) وسنن النسائي، البيعة، باب بيعة النساء ٧/١٤٩ وسنن ابن ماجه، الجهاد، باب بيعة النساء (ح ٢٨٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ١٣٠٠) وصححه سنن ابن ماجه (ح ٢٣٢٣).

(٣) (المسند ٦/٣٥٧). (٤) أخرجه الطبري من طريق موسى بن عقبة به.

(٥) قوله: من فيها إلى في، اصطلاح يدل على ضبط السماع ثم ضبط الأداء.

(٦) سننه ضعيف لأن أبا جعفر الرازي صدوق سيء الحفظ.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٤٥/١٠٣ - ١٠٤ ح ٢٧١٣٣)، وضعف سننه محققوه.

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٦/٦١٨ ح ٢٧٠٦٢) وقال محققوه: صحيح لغيره. اهـ. والأضبط أن يقال: حسن لغيره. لأن سننه ضعيف كما ذكره، وبالشواهد والطرق يرقى إلى الحسن لغيره.

وقال البخاري: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا ﴿لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت: أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها، فما قال لها رسول الله ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت فبايعها^(١)، ورواه مسلم^(٢).

وفي رواية: فما وقى منهن امرأة غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان، وللبخاري عن أم عطية قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا ننوح، فما وقى منا امرأة غير خمسة نسوة. أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة معاذ وامرأتان أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى، وقد كان رسول الله ﷺ يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد، كما قال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا هارون بن معروف، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني ابن جريج أن الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس، عن ابن عباس قال: شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصلونها قبل الخطبة ثم يخطب بعد، فنزل نبي الله ﷺ فكأنني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده، ثم أقبل يشقههم حتى أتى النساء مع بلال فقال: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ حتى فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: «أنتنَّ على ذلك؟»^(٣) فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله، لا يدري الحسن من هي، قال: فتصدقن، قال: وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتح والخواتيم في ثوب بلال^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا ابن عياش، عن سليمان بن سليم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تباعه على الإسلام فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقِي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفتريه بين يديك ورجليك، ولا تنوحِي، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى»^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن الزهري، عن أبي إدريس الخولاني، عن عبادة بن الصامت قال: كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس فقال: تباعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم - قرأ الآية التي أخذت على النساء: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه^(٦). أخرجاه في الصحيحين^(٧).

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ﴾ [الممتحنة: ١٢] ح ٤٨٩٢).

(٢) صحيح مسلم، الجنائز، باب التشديد في النياحة (ح ٩٣٦).

(٣) صحيح البخاري، الجنائز، باب ما ينهى من النوح والبكاء (ح ١٣٠٦).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ﴾ ح ٤٨٩٥).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١١/ ٤٣٧ ح ٦٨٥٠) وحسن سنده محققوه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١/ ٣٥١، ٣٥٢ ح ٢٢٦٧٨) وصححه سنده محققوه.

(٧) أخرجه الشيخان من طريق الزهري به (صحيح البخاري، الإيمان باب رقم ١١ ح ١٨) وصحيح مسلم، الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها (ح ١٧٠٩).

وقال محمد بن إسحاق: عن يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد بن عبد الله اليزني، عن أبي عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي، عن عبادة بن الصامت قال: كنتُ فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا ننزي، ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، وقال: «فإن وفيتم فلكم الجنة»^(١) رواه ابن أبي حاتم.

وقد روى ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب فقال: «قل لهم إن رسول الله ﷺ يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً» وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة متنكرة في النساء فقالت: إني إن أتكلم يعرفني وإن عرفني قتلني، وإنما تنكرت فرقاً^(٢) من رسول الله ﷺ، فسكت النسوة اللاتي مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهي متنكرة: كيف تقبل من النساء شيئاً لم تقبله من الرجال؟

ففطن إليها رسول الله ﷺ وقال لعمر: «قل لهم ولا يسرقن» قالت هند: والله إني لأصيب من أبي سفيان الهنات ما أدري أيحلهم لي أم لا؟ قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضى أو قد بقي فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فدعاها، فأخذت بيده فعازت به فقال: «أنت هندی؟» قالت: عفا الله عما سلف، فصرف عنها رسول الله ﷺ فقال: «ولا يزينن» فقالت: يا رسول الله، وهل تزني امرأة حرة؟ قال: «لا والله ما تزني الحرة، قال: ولا يقتلن أولادهن» قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر، قال: «وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ» قال: «وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ» قال: منعهن أن ينحن، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور، ويدعون بالويل والثبور^(٣). وهذا أثر غريب وفي بعضه نكارة والله أعلم، فإن أبا سفيان وامراته لما أسلما لم يكن رسول الله ﷺ يخيفهما بل أظهرهما الصفاء والودَّ له، وكذلك كان الأمر من جانبه ﷺ لهما.

وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية يوم الفتح، بايع رسول الله ﷺ الرجال على الصفا، وعمر بايع النساء تحتها عن رسول الله ﷺ فذكر بقيته كما تقدم وزاد: فلما قال: ولا تقتلن أولادكن. قالت هند: ربيناهم صغاراً فقتلتهم كباراً، فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى. رواه ابن أبي حاتم^(٤). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، حدثني غبطة بنت سليمان، حدثني عمتي، عن جدتها، عن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله ﷺ لتبايعه فنظر إلى يدها فقال: «أذهبى فغيري يدك» فذهبت فغيرتها بحناء ثم جاءت فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً فبايعته وفي يدها سواران من ذهب، فقالت: ما تقول في هذين السوارين؟ فقال: «جمرتان من نار جهنم»^(٥).

(١) ذكره ابن هشام (السيرة ٢/٢٩٥) ويتقوى بما سبق.

(٢) أي: خوفاً.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي به.

(٤) سنده ضعيف لإعضاله.

(٥) أخرجه أبو يعلى من طريق نصر بن علي به (المسند ٨/١٩٤ ح ٤٧٥٤) قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهن. =

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن فضيل، عن حصين، عن عامر هو: الشعبي قال: بايع رسول الله ﷺ النساء وفي يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال: «ولا تقتلن أولادكن» فقالت امرأة: تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم؟ قال، وكان بعد ذلك إذا جاء النساء يبايعنه جمعهنّ فعرض عليهنّ، فإذا أقررنّ رجعن^(١)، فقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ﴾ أي: من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها ﴿عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ﴾ أموال الناس الأجانب، فأما إذا كان الزوج مقصراً في نفقتها فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة أمثالها، وإن كان من غير علمه عملاً بحديث هند بنت عتبة أنها قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، فهل عليّ جناح إن أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك» أخرجاه في الصحيحين^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء] وفي حديث سُمرة: ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الأليم في نار الجحيم^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة تباع رسول الله ﷺ فأخذ عليها ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِينَ﴾ الآية، قال: فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجبه ما رأى منها، فقالت عائشة: أقري أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا، قالت: فنعم إذاً، فبايعها بالآية^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا بن فضيل، عن حصين، عن عامر هو: الشعبي قال: بايع رسول الله ﷺ النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال: «ولا تقتلن أولادكن» فقالت امرأة: تقتل آباءهم وتوصي بأولادهم؟ قال: وكان بعد ذلك إذا جاءت النساء يبايعنه جمعهنّ فعرض عليهنّ، فإذا أقررنّ رجعن^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق ويعمّ قتله وهو جنين، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء تطرح نفسها لثلاث تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِيْهُتَيْنِ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم^(٦). وكذا قال مقاتل. ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو داود: حدثنا

= (مجمع الزوائد ٤٠/٦) وأخرجه أبو داود من طريق غبطه به مختصراً (السنن، كتاب الترجل، ح ٤١٦٥) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٨٩٤).

(١) سنده ضعيف لإرساله.

(٢) صحيح البخاري، البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم (ح ٢٢١١) وصحيح مسلم، الأقضية، باب قضية هند (ح ١٧١٤).

(٣) أخرجه البخاري مطولاً. (الصحيح، التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ح ٧٠٤٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٥١/٦). وسنده صحيح.

(٥) سنده ضعيف لإرساله.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب. حدثنا عمرو يعني: ابن الحارث، عن ابن الهاد، عن عبد الله بن يونس، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعة: «أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله الجنة، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يعني فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر. قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي قال: سمعت الزبير، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: إنما هو شرط شرطه الله للنساء^(٢).

وقال ميمون بن مهران: لم يجعل الله طاعة لنبه إلا في المعروف والمعروف طاعة.

وقال ابن زيد: أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه في المعروف^(٣).

وقد قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبي الجعد وأبي صالح وغير واحد: نهاهن يومئذ عن النوح^(٤)، وقد تقدم حديث أم عطية في ذلك أيضاً.

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة في هذه الآية ذكر لنا أن النبي ﷺ أخذ عليهن النياحة ولا تحدثن الرجال إلا رجلاً منكم محرماً، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله إن لنا أضيافاً وإننا نغيب عن نسائنا فقال رسول الله ﷺ: «ليس أولئك عنيت، ليس أولئك عنيت»^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء، أخبرنا ابن أبي زائدة، حدثني مبارك، عن الحسن قال: كان فيما أخذ النبي ﷺ ألا تحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم، فإن الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يمضي بين فخذه^(٦).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا هارون، عن عمرو، عن عاصم، عن ابن سيرين، عن أم عطية الأنصارية قالت: كان فيما اشترط علينا رسول الله ﷺ من المعروف حين بايعناه أن لا نوح، فقالت امرأة من بني فلان: إن بني فلان أسعدوني فلا حتى أجزيهم، فانطلقت فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت، قالت: فما وفي منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك^(٧).

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله. (السنن، الطلاق، باب التغليظ في الانتفاء ح ٢٢٦٣) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢] ح ٤٨٩٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن سالم بن أبي الجعد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، ورجاله ثقات لكنه مرسل، لأن قتادة لم يسمع من عبد الرحمن بن عوف.

(٦) سنده حسن.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وأخرجه الإمام أحمد من طريق هشام وحبيب عن ابن سيرين به (المسند ٤٥/

٢٨٧ ح ٢٧٣٠٨) وصححه سنده محققوه.

وقد روى البخاري هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين، عن أم عطية نسيبة الأنصارية رضي الله عنها ^(١). وقد روي نحوه من وجه آخر أيضاً قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمر بن فروخ القتاب، حدثني مصعب بن نوح الأنصاري قال: أدركت عجوزاً لنا كانت فيمن بايع رسول الله ﷺ، قالت: فأتيته لأبايه فأخذ علينا فيما أخذ أن لا تنحن، فقالت عجوز: يا رسول الله إن أناساً قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابتني، وإنهم قد أصابتهم مصيبة فأنا أريد أسعدهم قال: «فانطلقى فكافئهم» فانطلقت فكافأتهم ثم إنها أتته فبايعته، وقال: هو المعروف الذي قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ ^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا القعني، حدثنا الحجاج بن صفوان، عن أسيد بن أبي أسيد البراد، عن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ: أن لا نعصيه في معروف أن لا نخمش وجهاً، ولا ننشر شعراً، ولا نشق جيباً، ولا ندعوا ولاءاً ^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن يزيد مولى الصهباء، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، عن رسول الله ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: النوح ^(٤)، ورواه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد، عن أبي نعيم، وابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع كلاهما، عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولى الصهباء به وقال الترمذي: حسن غريب ^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن سنان القزاز، حدثنا إسحاق بن إدريس، حدثنا إسحاق بن عثمان أبو يعقوب، حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية، عن جدته أم عطية قالت: لما قدم رسول الله ﷺ جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقام على الباب وسلم علينا فرددنا أو فرددنا ﷺ، ثم قال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكن قالت فقلنا: مرحباً برسول الله وبرسول رسول الله، فقال: تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزني، قالت: فقلنا نعم، قالت فمدَّ يده من خارج الباب أو البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال: اللهم اشهد، قالت: وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحُيَّض والعواتق ولا جمعة علينا، ونهانا عن اتباع الجنائز قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قالت: النياحة ^(٦).

(١) تقدم في تفسير هذه الآية من رواية الشيخين.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لجهالة مصعب بن نوح الأنصاري. (الجرح والتعديل ٣٠٧/٨).

(٣) سنده ضعيف لأن أسيد بن أبي أسيد لم يسمع من الصحابة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف شهر.

(٥) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الممتحنة (ح ٣٣٠٤) وسنن ابن ماجه، الجنائز، باب النهي عن النياحة (ح ١٥٧٩). وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٢٨٣).

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لأن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية: مقبول (التقريب ص ١٠٨) ومحمد بن سنان القزاز: ضعيف. (التقريب ص ٤٨٢).

وفي الصحيحين من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من ضرب الخدود وشقَّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»^(١).

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة^{(٢)(٣)}.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا هذبة بن خالد، حدثنا أبان بن يزيد، حدثنا يحيى بن أبي كثير أن زيدا حدثه أن أبا سلام حدثه أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»^(٤). ورواه مسلم في صحيحه منفرداً به من حديث أبان بن يزيد العطار به^(٥).

وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة، رواه أبو داود^(٦).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُوءُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْصَى الْقُبُورِ﴾^(٧).

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يسوءوا من الآخرة؛ أي: من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله ﷻ؟ وقوله تعالى: ﴿كَمَا يَبِيسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْصَى الْقُبُورِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: كما يبس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بعثاً ولا نشوراً، فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه.

قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر السورة يعني من مات من الذين كفروا فقد يبس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله ﷻ^(٧).

(١) صحيح البخاري، الجنائز، باب ليس منا من ضرب الخدود (ح ١٢٩٧) وصحيح مسلم، الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود (ح ١٦٥).

(٢) الصالقة هي: التي ترفع صوتها، والحالقة: التي تحلق شعرها، والشاقة: التي تشق الجيوب.

(٣) صحيح البخاري، الجنائز، باب ما ينهى عن الحلق عند المصيبة (ح ١٢٩٦) وصحيح مسلم، الباب السابق (ح ١٦٧).

(٤) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ٣/ ١٤٨ ح ١٥٧٧) وسنده صحيح.

(٥) صحيح مسلم، الجنائز، باب التشديد في النياحة (ح ٩٣٤).

(٦) أخرجه أبو داود من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد (السنن، الجنائز، باب في النوح ح ٣١٢٨)، وسنده ضعيف لضعف عطية.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

وقال الحسن البصري: ﴿كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال: الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات^(١).

وقال قتادة: كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا^(٢). وكذا قال الضحاك^(٣)، رواه ابن جرير.

والقول الثاني: معناه: كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير، قال الأعمش: عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود ﴿كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال: كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاین ثوابه واطلع عليه^(٤)، وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والكلبي ومنصور^(٥)، وهو اختيار ابن جرير رَحِمَهُمُ اللَّهُ. آخر تفسير سورة الممتحنة، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور بن زاذان عن الحسن.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه، ويتقوى بما سبق.

(٤) سنده صحيح.

(٥) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الحكم عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق سماك عن عكرمة (المصنف ٥٧١/١٣) وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

سُورَةُ الصَّفِّ

وهي مدنية

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، وعن عطاء بن يسار، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ، فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يقم أحد منا، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً، فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة يعني: سورة الصف كلها^(١). هكذا رواه الإمام أحمد. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة، قال أخبرني أبي، سمعت الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، حدثني عبد الله بن سلام أن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلى الله ﷻ، فلم يذهب إليه أحد منا وهبنا أن نسأله عن ذلك، قال: فدعا رسول الله ﷺ أولئك النفر رجلاً رجلاً حتى جمعهم، ونزلت فيهم هذه السورة ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ﴾ الصف. قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ كلها.

قال أبو سلمة: وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها.

قال يحيى بن أبي كثير: وقرأها علينا أبو سلمة كلها. قال الأوزاعي: وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كلها، قال أبي وقرأها علينا الأوزاعي كلها، وقد رواه الترمذي، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله ﷻ لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ. قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سلام، قال يحيى: فقرأها علينا أبو سلمة، قال ابن كثير: فقرأها علينا الأوزاعي، قال عبد الله: فقرأها علينا ابن كثير^(٢). ثم قال الترمذي، وقد خولف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي، فروى ابن المبارك عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن سلام أو عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام^(٣).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٩/٢٠٥ ح ٢٣٧٨٨) وصححه سنداه محققوه.

(٢) سنداه صحيح وأخرجه الإمام أحمد عن يعمر عن عبد الله بن المبارك عن الأوزاعي به. (المسند ٣٩/٢٠٦ ح ٢٣٧٨٩) وصححه سنداه محققوه.

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الصف (ح ٣٣٠٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٣٦).

قلت: وهكذا رواه الإمام أحمد، عن يَعْمَر، عن ابن المبارك به^(١)، قال الترمذي وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي نحو رواية محمد بن كثير.

قلت: وكذا رواه الوليد بن يزيد، عن الأوزاعي كما رواه ابن كثير.

قلت: وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه، وأنا أسمع، أخبرنا أبو المُنْجَا عبد الله بن عمر بن اللّتي، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي قال: أخبرنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا عيسى بن عمران السمرقندي. أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بجميع مسنده، أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي فذكر بإسناده مثله^(٢)، وتسلسل لنا قراءتها إلى شيخنا أبي العباس الحجار ولم يقرأها لأنه كان أُمياً، وضاق الوقت عن تلقينها إياه ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمته الله، أخبرنا القاضي تقي الدين بن سليمان بن الشيخ أبي عمر، أخبرنا أبو المُنْجَا بن اللّتي، فذكره بإسناده وتسلسل لي من طريقه وقرأها عليّ بكمالها، والله الحمد والمنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُورٌ﴾.

قد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ غير مرة بما أغنى عن إعادته. وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُورٌ﴾. ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً، سواء ترتب عليه عزم الموعود أم لا، واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا أُوْتِمَن خان»^(٣).

وفي الحديث الآخر في الصحيح: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها» فذكر منهن إخلاف الوعد^(٤)، وقد استقصينا الكلام

(١) تقدم تخريجه في الرواية قبل السابقة.

(٢) أخرجه الدارمي عن محمد بن كثير عن الأوزاعي به. (السنن، الجهاد، باب الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال ٢/٢٠٠)، وأخرجه الحاكم من طريق الأوزاعي به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٦٩) قال الحافظ ابن حجر: وقد وقع لنا سماع هذه السورة مسلسلاً في حديث ذكر في أوله سبب نزولها، وإسناده صحيح. (فتح الباري ٨/٦٤١).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٧٧.

(٤) أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، (صحيح البخاري، الإيمان، باب علامة =

على هذين الحديثين في أول شرح البخاري والله الحمد والمنة، ولهذا أكد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (١).

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: أتانا رسول الله ﷺ وأنا صبي فذهبت لأخرج لألعب فقالت أُمِّي: يا عبد الله تعال أعطك. فقال لها رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: تمرأ. فقال: «أما إنك لو لم تفعلني كتبت عليك كذبة» (١).

وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أنه إذا تعلق بالوعد غرم على الموعود وجب الوفاء به كما لو قال لغيره تزوج ولك علي كل يوم كذا فتزوج وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك؛ لأنه تعلق به حق آدمي وهو مبني على المضايقة، وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقاً، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكل عنه بعضهم كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٢) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِقِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ الآية [محمد: ٢٠]. وهكذا هذه الآية معناها كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٣) قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله ﷻ: دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) وهذا اختيار ابن جرير.

وقال مقاتل بن حيان: قال المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، فدلهم الله على أحب الأعمال إليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾ فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك، فولوا عن النبي ﷺ مدبرين، فأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، وقال: أحبكم إلي من قاتل في سبيلي (٣).

ومنهم من يقول: أنزلت في شأن القتال، يقول الرجل: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، وصبرت ولم يصبر (٤).

وقال قتادة والضحاك: نزلت توبيخاً لقوم كانوا يقولون قتلنا وضربنا وطعنا وفعلنا، ولم يكونوا

= المنافق ح ٣٤، وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان خصال المنافق ح ١٠٦.

(١) أخرجه أبو داود (السنن، الأدب، باب في التشديد في الكذب ح ٤٩٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤١٧٦)، وأخرجه الإمام أحمد (المسند ٢٤/ ٤٧٠ ح ١٥٧٠٢) وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وسنده ضعيف لإعضاله.

(٤) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

فعلوا ذلك^(١).

وقال ابن زيد: نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك^(٢).

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال: في الجهاد^(٣).
وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُورٌ﴾ فما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن راحة قالوا في مجلس لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا بها حتى نموت فأنزل الله تعالى هذا فيهم، فقال عبد الله بن راحة: لا أبرح حبساً في سبيل الله حتى أموت، فقتل شهيداً^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا فروة بن أبي المغراء، حدثنا علي بن مسهر، عن داود بن أبي هند، عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، عن أبيه قال: بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه منهم ثلاثمائة رجل كلهم قد قرأ القرآن، فقال: أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم. وقال: كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيناها غير أني قد حفظت منها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة^(٥)، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُورٌ﴾ فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان.

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال»^(٦). ورواه ابن ماجه من حديث مجالد، عن أبي الوداك جبر بن نوف به^(٧).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا الأسود يعني: ابن شيان، حدثني يزيد بن عبد الله بن الشخير قال: قال مطرف: كان يبلغني عن أبي ذرٍّ حديث كنت أشتهي لقاءه فلقيته، فقلت: يا أبا ذرٍّ كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتهي لقاءك، فقال: الله أبوك فقد لقيت فهات، فقلت: كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله ﷺ حدثكم أن الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة، قال: أجل فلا إخالني أكذب على خليلي ﷺ قلت: فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله ﷻ؟ فقال: رجل غزا في سبيل الله خرج محتسباً مجاهداً فلقي العدو فقتل وأنتم

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه، وأخرجه أيضاً بسند ضعيف عن الضحاك فيه إيهام شيخ الطبري.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٣) سنده صحيح.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد لكنه مرسل.

(٥) سنده صحيح.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٨٤/١٨ ح ١١٧٦١) وضعف سنده محققوه لضعف مجالد.

(٧) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ح ٢٠٠) وسنده كسابقه.

تجدونه في كتاب الله المنزل ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٌ﴾^(١). وذكر الحديث هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق، وهذا اللفظ واختصره، وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث شعبة، عن منصور بن المعتمر، عن رباعي بن حراش، عن زيد بن ظبيان، عن أبي ذرٍّ بأبسط من هذا السياق وأتم^(٢)، وقد أوردناه في موضع آخر والله الحمد.

وعن كعب الأحبار أنه قال: يقول الله تعالى لمحمد ﷺ: «عبدى المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطابة، وملكه الشام، وأمته الحمادون يحمدون الله على كل حال، وفي كل منزلة لهم دوي كدوي النحل في جو السماء بالسحر، يوضون أطرافهم ويأتزون على أنصافهم صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة» ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٌ﴾^(٣) «رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث أدركتهم لو على ظهر دابة»^(٤). رواه ابن أبي حاتم.

وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ قال: كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم^(٥)، وهذا تعليم من الله للمؤمنين. قال: وقوله تعالى: ﴿كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٌ﴾ أي: ملتصق بعضهم في بعض من الصف في القتال. وقال مقاتل بن حيان: ملتصق بعضهم إلى بعض^(٦).

وقال ابن عباس: ﴿كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٌ﴾ مثبت لا يزول ملتصق بعضهم ببعض^(٦).

وقال قتادة: ﴿كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٌ﴾ ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه؟ فكذلك الله ﷻ لا يحب أن يختلف أمره وإن الله صف المؤمنين في قتالهم، وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به^(٧)، أورد ذلك كله ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثني سعيد بن عمرو السكوني، حدثنا بقية بن الوليد، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن يحيى بن جابر الطائي، عن أبي بحرية قال: كانوا يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الأرض لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٌ﴾^(٨) قال: وكان أبو بحرية يقول: إذا رأيتموني ألتفت في الصف فجئوا^(٩) في لحيي.

(١) سنده صحيح.

(٢) سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ثلاثة يحبهم الله (ح ٥٧٠)، وقال الترمذي: والصحيح ما روي عن شعبة وغيره عن منصور عن رباعي بن خراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر عن النبي ﷺ. وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٤٧١).

(٣) سنده ضعيف لإرساله ولأوله شواهد تقويه.

(٤) سنده ضعيف لإرساله.

(٥) معناه صحيح.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أي: ادفعوا.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم. (التقريب ص ٦٢٣).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكنيسته موسى بن عمران ﷺ أنه قال لقومه: ﴿لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ أي: لم توصلون الأذى إلي وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة. وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر ولهذا قال: «رحمة الله على موسى: لقد أودى بأكثر من هذا فصبر»^(١) وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يوصلوا إليه أذى كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاع الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى: ﴿وَنَقَلْبُ أَفْئِدَتِهِمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ ءَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدَرْتُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء] ولهذا قال تعالى في هذه الآية ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعني: التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد. فعيسى ﷺ هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملا بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، وما أحسن ما أورد البخاري الحديث الذي قال فيه: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب». ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه^(٢).

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى قال: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال: «أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والمقفي ونبي الرحمة والتوبة والملحمة»^(٣). ورواه مسلم من حديث الأعمش، عن عمرو بن مرة به^(٤)، وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أُتِيَ الْوَحْيَ لِيُحَدِّثَهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأحزاب آية ٦٩. (٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأحزاب آية ٤٠.

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده ومثله بدون نبي الرحمة (المسند ص ٦٧ رقم ٤٩٢)، وسنده حسن.

(٤) أخرجه مسلم من طريق الأعمش به وفيه «نبي الرحمة» بدلاً من «نبي الملحمة». (الصحيح، الفضائل، باب في أسمائه ﷺ ح ٢٣٥٥).

وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران] قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام»^(١). وهذا إسناد جيد وروى له شواهد من وجوه آخر، فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين»^(٢).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا أبو النضر، حدثنا الفرج بن فضالة، حدثنا لقمان بن عامر قال: سمعت أبا أُمّامة قال: قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام»^(٣).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا حسن بن موسى، سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن [عرفطة]^(٤) وعثمان بن مظعون وأبو موسى، فأتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجداً له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالوا له: إن نفرأ من بني عمننا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال: فأين هم؟ قالوا: هم في أرضك فابعث إليهم فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك. قال: إنا لا نسجد إلا لله ﷻ قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله ﷻ وأمرنا بالصلاة والزكاة.

قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفوك في عيسى ابن مريم، قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله ﷻ: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يسمها بشر ولم يعترضها ولد، قال: فرفع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقيسيين

(١) ذكره ابن هشام (السيرة النبوية ١/١٠٧) وجود سنده الحافظ ابن كثير وساق له بعض الشواهد، وأخرجه الحاكم من طريق ابن إسحاق به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٦٠٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/١٢٧) وفي سنده سعيد بن سويد ونقل الحافظ ابن حجر عن البخاري إنه لم يصح حديثه، أي هذا الحديث، وعن ابن حبان والحاكم أنهما صححا. (تجليل المنفعة ص ١٥٢). ويشهد ما يليه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٦/٥٩٥ ح ٢٢٢٦١) وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف. اهـ. ولو قالوا: حسن لغيره لكان أحسن. وحسنه الهيثمي بالشواهد (مجمع الزوائد ٨/٢٢٥).

(٤) كذا في المسند، وفي الأصل (ح) و(حم): بياض.

والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه، وأمر بهدية الآخرين فُرِدَّتْ إليهما، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرأ، وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته^(١).

قد رويت هذه القصة عن جعفر وأُم سلمة رضي الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة والمقصد أن الأنبياء ﷺ لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها وتأميرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث، وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، وكذا على لسان عيسى ابن مريم، ولهذا قالوا: أخبرنا عن بدء أمرك يعني في الأرض قال: «دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ابن مريم ورؤيا أمي التي رأْتُ؛ أي: ظهر في أهل مكة أثر ذلك، [والإرهاص]^(٢) فذكره صلوات الله وسلامه عليه. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ قال ابن جريج وابن جرير: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أحمد؛ أي: المبشر به في الأعصار المتقدمة المنوه بذكره في القرون السالفة. لما ظهر أمره وجاء بالبينات، قال الكفرة والمخالفون: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له أنداداً وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثّل من يريد أن يطفى شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذاك ذلك مستحيل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة بما فيه كفاية، والله الحمد والمنة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمِ نُسُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١٠) تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُؤْمِنُونَ بِسَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَقُولُ لَكُمْ دُونُكُمْ وَيَدْخُلَكُمْ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّتِ عَذْبُ ذَلِكَ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾.

تقدم في حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه (المسند ٤٠٨/٧، ٤٠٩ ح ٤٤٠٠) وضعف سند محققوه، وحسن سنده الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١٧٩/٧) وجود سنده الحافظ ابن كثير (البداية ٦٩/٣).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

الأعمال إلى الله ﷻ ليفعلوه، فأنزل الله تعالى هذه السورة^(١) ومن جملتها هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَجٍ يُخْرِجُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور، التي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتُحِبُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُرُكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: من تجارة الدنيا والكّد لها والتصدي لها وحدها، ثم قال تعالى: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ أي: وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهي ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي: إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد] وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي: عاجل، فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَنَبِّشِرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (٤).

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من معيني في الدعوة إلى الله ﷻ؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ وهم أتباع عيسى ﷺ ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك، ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج: «من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي»^(٢) حتى قبض الله ﷻ له الأوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازره، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه، وقوا له بما عاهدوا الله عليه، ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار، وصار ذلك علماً عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ أي: لما بلغ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه وآزره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة، فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى

(١) تقدم في بداية تفسير هذه السورة الكريمة.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث جابر بن عبد الله ﷺ (السنن، السنة، باب في القرآن ح ٤٧٣٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٩٦٠) وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/ ٦٢٤) وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٧/ ٦٣).

رفعه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقاً وشيعاً فمن قائل منهم: إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، ومن قائل: إنه الله، وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء. وقوله تعالى: ﴿فَأَيُّدُنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ﴾ أي: نصرناهم على من عاداهم من فرق النصراري.

﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي: عليهم، وذلك ببعثة محمد ﷺ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمته الله: حدثني أبو السائب، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال يعني ابن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أراد الله ﷻ أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، قال: ثم قال أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدثهم سنّاً فقال: أنا. فقال له: اجلس. ثم عاد عليهم فقام الشاب فقال: أنا، فقال له: اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا، فقال: نعم أنت ذاك.

قال: فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روزنة في البيت إلى السماء قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبيهه فقتلوه وصلبوه وكفروا به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمنوا به، فافترقوا فيه ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوهما فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ ﴿فَنَامَتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ﴾ يعني: الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى ﴿فَأَيُّدُنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ بإظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار^(١). ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة، وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الآية من سننه عن أبي كريب محمد بن العلاء، عن أبي معاوية بمثله سواء^(٢)، فأمّة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

[آخر تفسير سورة الصف]^(٣).

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، أخرجه ابن أبي شيبه عن أبي معاوية به (المصنف ٥٤٦/١١) وأخرجه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن أبي معاوية به، وصححه سننه الحافظ ابن كثير (البداية والنهاية ١٠٨/٢).

(٢) السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَنَامَتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتَ طَائِفَةٌ...﴾ [الصف: ١٤] (ح ١١٥٩١) وسنده صحيح كسابقه.

(٣) زيادة من (حم).

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

وهي [مدنية]^(١)

عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين، رواه مسلم في صحيحه^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْكَافِرُ الْقُدُوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض؛ أي: من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] ثم قال تعالى: ﴿الَّذِي الْقُدُوسُ﴾ أي: هو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه، وهو ﴿الْقُدُوسُ﴾؛ أي: المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم تفسيرهما غير مرة.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ الأميون هم العرب، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةِ ءَاسَلُمْتُ فَإِنْ أَسَلُمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِأَلْبَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٠] وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر، كما قال تعالى في قوله: ﴿وَإِنَّمَا لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به، وكذا قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكُنْ أَتَى النَّاسِ إِيَّيْ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقوله: ﴿لَا تُنذِرُكُمْ بِهِمْ وَمَنْ يَلْعَنُ﴾ [الأنعام: ١٩] وقوله تعالى إخباراً عن القرآن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته، صلوات الله وسلامه عليه، إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم، وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام بالآيات والأحاديث الصحيحة، والله الحمد والمنة.

وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم

(١) زيادة من (حم) و(ح).

(٢) صحيح مسلم، الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة (ح ٨٧٩، ٨٨٠).

رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فبعثه الله ﷺ وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل، وقد اشتدت الحاجة إليه، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب؛ أي: نزرأ يسيراً [ممن تمسك]^(١) بما بعث الله به عيسى ابن مريم ﷺ، ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ② وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل ﷺ، فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها، فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق، فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع، وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين ولا يعطيه أحداً من الآخرين، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ③ قال الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا سليمان بن بلال، عن ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة ؓ، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قالوا: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان الفارسي ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال - أو رجل - من هؤلاء»^(٢). ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق، عن ثور بن زيد الديلي، عن سالم أبي الغيث، عن أبي هريرة به^(٣)، ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس؛ لأنه فسر قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ﴾ بفارس، ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم، يدعوهم إلى الله ﷻ وإلى اتباع ما جاء به، ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: هم الأعاجم وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال

(١) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، سورة الجمعة ح ٤٨٩٧).

(٣) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل فارس (ح ٢٥٤٦) وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الجمعة (ح ٣٣٠٧) وتفسير الطبري.

(٤) أخرجه الطبري من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد بلفظ: «الأعاجم»، وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح بلفظ: «من ردف الإسلام من الناس كلهم». وليث فيه مقال والرواية الأخرى تقويه.

رسول الله ﷺ: «إِنْ فِي أَصْلَابِ أَصْلَابِ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» ثم قرأ: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ يعني بقية من بقي من أمة محمد ﷺ. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: ما أعطاه الله محمداً ﷺ من النبوة العظيمة، وما خصَّ به أُمته من بعثته ﷺ إليهم^(١).

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قُلْ يَتَائِبُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَالشَّهَادَةُ فَيَنْشُرْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها: مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً؛ أي: كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسيماً ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَافِقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقال تعالى ههنا: ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. وقال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا ابن نمير، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له: أنصت ليس له جمعة»^(٢). ثم قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَائِبُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: إن كنتم تزعمون أنكم على هدى، وأن محمداً وأصحابه على ضلالة، فادعوا بالموت على الضال من الفتنين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي: فيما تزعمونه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما يعملون لهم من الكفر والظلم والفجور ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنَجْذِثُنَّ عَنْهُمْ مِنَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوتِهِمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَخَذَهُمْ لَوِ يَمْسَرُّ أَلْفُ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَمَسَّ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ [البقرة]، وقد أسلفنا الكلام هناك، وبيننا أن المراد أن يدعوا على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ

(١) أخرجه الطبراني من طريق الوليد بن مسلم به (المعجم الكبير ٢٠١/٦) قال الهيثمي: إسناده جيد (مجمع الزوائد ٤٠٨/١٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٨٤/٢) وسنده ضعيف.

بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْأَمْرِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١١﴾ [آل عمران] ومباهلة المشركين في سورة مريم ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدَدْ لَهُ الرِّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي، أبو زيد، حدثنا فرات عن عبد الكريم بن مالك الجزري، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال أبو جهل لعنه الله: إن رأيت محمداً عند الكعبة لا يتينه حتى أطأ على عنقه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً»^(١). رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم، قال البخاري وتبعه عمرو بن خالد، عن عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم، ورواه النسائي أيضاً عن عبد الرحمن بن عبيد الله الحلبي، عن عبيد الله بن عمرو الرقي به أتم^(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ كقوله تعالى في سورة النساء: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَدِيرِينَ﴾ [النساء: ٧٨] وفي معجم الطبراني من حديث معاذ بن محمد الهذلي، عن يونس، عن الحسن، عن سمر مرفوعاً: «مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين، فجاء يسعى حتى إذا أعيان وانبهر دخل جحره فقالت له الأرض: يا ثعلب ديني، فخرج له حصاص، فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات»^(٣).

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾.

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار، وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض، وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عبيدة بن حميد، عن منصور، عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن علقمة، عن قرثع الضبي، حدثنا سلمان قال: قال أبو القاسم ﷺ: «يا سلمان ما يوم الجمعة؟» قلت: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «يوم الجمعة يوم جمع الله

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٤٨/١) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾... (ح ٤٩٥٨) وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَفَرَأَى بِأَسْمَارِهِ رِيًّا﴾ (ح ٣٣٤٥) السنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب سورة العلق (ح ١١٦٨٥).

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومثته (المعجم الكبير ٢٦٨/٧ ح ٦٩٢٢) وضعفه العجلي (الضعفاء الكبير ٢٠٠/٤)، وابن الجوزي (العلل المتناهية ٤٠٥/٢)، والهيتمي (مجمع الزوائد ٣٢٣/٢).

فيه أبواكم - أو أبوكم -^(١) وقد روي عن أبي هريرة من كلامه نحو هذا فالله أعلم.

وقد كان يقال له في اللغة القديمة: يوم العروبة، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالتاس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد»^(٢). لفظ البخاري وفي لفظ لمسلم «أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق»^(٣).

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩] وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما يقرآنها فامضوا إلى ذكر الله^(٤) فأما المشي السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه لما أخرجه في الصحيحين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا»^(٥) لفظ البخاري.

وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى قال: «ما شأنكم؟» قالوا: استعجلنا إلى الصلاة قال: «فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا»^(٦) أخرجه.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون، وعليكم

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريق مغير عن أبي معشر به بنحوه. (المسند ١٣٣/٣٩ ح ٢٣٧٢٩) وصححه محققوه، وأخرجه الحاكم من طريق منصور به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/٢٧٧).

(٢) أخرجه البخاري مختصراً على مطلعته (الصحيح، التعبير، باب النفخ في المنام ح ٧٠٣٦) وأخرجه مسلم كاملاً (الصحيح، الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ح ٨٥٥).

(٣) المصدر السابق (ح ٨٥٦).

(٤) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن عمر رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي شيبة (الصمنف ٢/١٥٧)، والطبري بسند رجاله ثقات عن إبراهيم النخعي عن ابن مسعود لكنه منقطع فإن إبراهيم لم يسمع من ابن مسعود. والقراءة شاذة تفسيرية. وللمزيد ينظر (فتح الباري ٨/٦٤٢).

(٥) صحيح البخاري، الأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار (ح ٦٣٦) وصحيح مسلم، المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة (ح ٦٠٢).

(٦) صحيح البخاري، الأذان، باب قول الرجل فاتتنا الصلاة (ح ٦٣٥) وصحيح مسلم، الباب السابق (ح ٦٠٣).

السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»^(١). رواه الترمذي من حديث عبد الرزاق كذلك، وأخرجه من طريق يزيد بن زريع، عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة بمثله^(٢).

قال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع^(٣).

وقال قتادة في قوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾: يعني أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها^(٤)، وكان يتأول قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [الصفات: ١٠٢] أي: المشي معه، وروي عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك^(٥).

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها، لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»^(٦).

ولهما عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»^(٧). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «حق الله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده» رواه مسلم^(٨).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة» رواه أحمد والنسائي وابن حبان^(٩).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غَسَلَ واغتسل يوم الجمعة وبُكَّرَ وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها»^(١٠). وهذا الحديث له طرق وألفاظ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي^(١١).

(١) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثله (المصنف ٢/ ٢٨٨ رقم ٣٤٠٤) وسنده صحيح.

(٢) سنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى المسجد. (ح ٣٢٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٧٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق عباد بن راشد عن الحسن (المصنف ٢/ ٦٤).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بن أسلم.

(٦) صحيح البخاري، الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة (ح ٨٧٧) وصحيح مسلم، الجمعة (ح ٨٤٤).

(٧) صحيح البخاري، الباب السابق (ح ٨٧٩)، وصحيح مسلم، الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال (ح ٨٤٦).

(٨) صحيح مسلم، الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة (ح ٨٤٩).

(٩) (المسند ٣/ ٣٠٤)، وسنن النسائي، الجمعة، باب إيجاب الغسل يوم الجمعة ٣/ ٩٣ والإحسان ٤/ ٢١ ح ١٢١٩ ويشهد له سابقه.

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٦/ ٩٤ ح ١٦١٧٣) وصححه سننه محققوه.

(١١) سنن أبي داود، الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة (ح ١٨) وسنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» أخرجاه^(١).

ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتنظف ويتسوك ويتنظف ويتطهر. وفي حديث أبي سعيد المتقدم «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس من طيب أهله».

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، عن عمران بن أبي يحيى، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبي أيوب الأنصاري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحداً، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى»^(٢).

وفي سنن أبي داود وابن ماجه، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته»^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة، فرأى عليهم ثياب النمار فقال: «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعه سوى ثوبي مهنته» رواه ابن ماجه^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر، فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد، فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخاري رحمته الله حيث قال: حدثنا آدم - هو: ابن أبي إياس -، حدثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس، زاد النداء الثاني على الزوراء^(٥). يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء، وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد.

= فضل الغسل يوم الجمعة (ح ٤٩٦) وسنن النسائي، الجمعة، باب فضل غسل يوم الجمعة ٩٥/٣، وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة (ح ١٠٨٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٨٩١).

(١) صحيح البخاري، الجمعة، باب فضل الجمعة (ح ٨٨١) وصحيح مسلم، الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة (ح ٨٥٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٨/٥٤٧ ح ٢٣٥٧١) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) سنن أبي داود، الصلاة، باب اللبس للجمعة (ح ١٠٧٨) وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة (ح ١٠٩٥) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٨٩٨).

(٤) المصدر السابق (ح ١٠٩٦) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٨٩٩).

(٥) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة ح ٩١٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا محمد بن راشد المكحولي، عن مكحول أن النداء كان في الجمعة مؤذن واحد، حين يخرج الإمام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودي به، فأمر عثمان رضي الله عنه أن ينادي قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس^(١). وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان، ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار، كما هو مقرر في كتب الفروع.

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي: اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة، ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا؟ على قولين: وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم؛ أي: في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي: فرغ منها ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله، كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين، رواه ابن أبي حاتم.

وروي عن بعض السلف أن قال: من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكراً كثيراً، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة، ولهذا جاء في الحديث: «من دخل سوقاً من الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ومُحي عنه ألف سيئة»^(٢).

وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً، ومضطجعاً.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ أي: على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين، منهم أبو العالية والحسن وزيد بن

(١) سنده حسن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عمر رضي الله عنه. (المسند ٤١١/١ ح ٣٢٧) وقال محققوه: إسناده ضعيف جداً، عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير منكر الحديث. اهـ. ومن هذا الطريق أخرجه الترمذي (السنن، الدعوات، باب ما يقول إذا دخل السوق ح ٣٤٢٤) وابن ماجه (السنن، التجارات، باب الأسواق ودخولها ح ٢٢٣٥)، وأخرجه الحاكم وصححه وتعبه الذهبي باب مسروق بن المرزبان ليس بحجة. (المستدرک ٥٣٩/١).

أسلم وقتادة^(١).

وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم، وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر إلا القليل منهم^(٢)، وقد صحَّ بذلك الخبر^(٣) فقال الإمام أحمد: حدثنا ابن إدريس، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر قال: قدمت غير مرة المدينة، ورسول الله ﷺ يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً فنزلت ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾^(٤). أخرجاه في الصحيحين من حديث سالم به^(٥).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا هشيم، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان، عن جابر بن عبد الله قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت غير إلى المدينة فابتدروا أصحاب رسول الله ﷺ، حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً» ونزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾ وقال: كان في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما^(٦).

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾ دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائماً. وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس^(٧)، ولكن ههنا شيء ينبغي أن يعلم وهو: أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة، كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل، حدثنا محمود بن خالد، عن الوليد، أخبرني أبو معاذ بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين، حتى إذا كان يوم والنبي ﷺ يخطب، وقد صلى الجمعة، فدخل رجل فقال: إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة؛ يعني: فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير^(٨).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الرِّزْقِ﴾ أي: الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْوَى وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنَ الرِّزْقِ﴾ أي: لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته.

آخر تفسير سورة الجمعة، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن، وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بن أسلم وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً.

(٢) أخرجه البيهقي بسند ضعيف معضل عن مقاتل بن حيان. (الجامع لشعب الإيمان رقم ٦٤٩٥)، وهو مخالف لما سيأتي في الصحيحين إذ ليس فيهما ذكر الطبل.

(٣) أي: الخبر الذي ورد عن الصحابي جابر رضي الله عنه التابعين وليس عن مقاتل بن حيان وهو من اتباع التابعين.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣/٣١٣) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، البيوع، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً﴾ [الجمعة: ١١] (ح ٤٨٩٩) وصحيح مسلم، الجمعة، باب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً﴾ (ح ٨٦٣).

(٦) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٣/٤٦٨ ح ١٩٧٩) وصححه سند محققه.

(٧) صحيح مسلم، الجمعة، باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة (ح ٨٦٣).

(٨) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (المراسيل ص ١٠٤ رقم ٦٢) وسنده ضعيف لأنه معضل.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا لَرَسُولُ اللَّهِ إِنَّكَ لَمَعْلَمٌ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبَٰعِبَكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ يُؤَفَّكَونَ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين أنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي ﷺ، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا شَهِدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: إذا حضروا عندك واجهوك بذلك، وأظهروا لك ذلك، وليس كما يقولون، ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للخارج؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم.

وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الآثمة ليصدقوا فيما يقولون، فاعترَّب بهم من لا يعرف جليلة أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبلاً، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرؤها اتخذوا إيمانهم جنة^(١)؛ أي: تصديقهم الظاهر جنة؛ أي: تقية يتقوى به القتل^(٢)، والجمهور يقرؤها ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ جمع يمين، [وقوله]^(٣): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى، فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون؛ أي: فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير، فلا تعي ولا تهتدي.

(١) قراءة «إيمانهم» شاذة تفسيرية.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه إبهام شيخه، عن الضحاك بنحوه.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ أي: وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة، وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن، ولهذا قال تعالى: ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم كما قال تعالى: ﴿أَشْحَثَ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيَةِ حِدَادٍ أَشْحَثَ عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب] فهم جهامات وصور بلا معاني، ولهذا قال تعالى: ﴿هُرُّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرُهُمْ فَتَلَاهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال؟ وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحي، عن إسحاق بن بكر بن أبي الفرات، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة وطعامهم نهبه وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون، خُشِبَ بالليل، صُخِبَ بالنهار» وقال يزيد بن مرة: سخب بالنهار^(١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسُهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾.

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسُهُمْ﴾ أي: صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً لما قيل لهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَأَنْفِقُونَ﴾ ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ كما قال في سورة براءة، وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الأحاديث المروية هنالك^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا ابن أبي عمر العدني قال: قال سفيان: ﴿لَوَّأَ رُءُوسُهُمْ﴾ قال ابن أبي عمر: وحول سفيان وجهه على يمينه ونظر شراً ثم قال: هو هذا^(٣). وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبي بن سلول كما سنورده قريباً إن شاء الله تعالى، وبه الثقة وعليه التكلان. وقد قال محمد بن إسحاق في السيرة: ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ يعني: مرجعه من أحد، وكان عبد الله بن أبي بن سلول كما حدثني ابن شهاب الزهري له مقام يقومه كل جمعة، لا ينكر شرفاً له من نفسه ومن قومه، وكان فيهم شريفاً،

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٣/٣٠٢، ٣٠٣ ح ٧٩٢٦) وضعف سنده محققوه لضعف عبد الملك بن قدامة، وجهالة إسحاق بن بكر بن أبي الفرات.

(٢) تقدم في تفسير سورة التوبة آية ١١٣، ١١٤. (٣) سنده صحيح.

إذا جلس النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع؛ يعني: مرجعه بثلاث الجيش ورجع الناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعل، فأخذ المسلمون بشيابه من نواحيه وقالوا: اجلس، أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بجرأ أن قمت أشدد أمره، فلقية رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك ما لك؟ قال: قمت أشدد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني، لكأنما قلت بجرأ أن قمت أشدد أمره. قالوا: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ، فقال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي^(١).

وقال قتادة والسدي: أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي، وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ، فحدثه بحديث عنه وأمر شديد، فدعاه رسول الله ﷺ فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه، وأنزل الله فيه ما تسمعون، وقيل لعدو الله: لو أتيت رسول الله ﷺ فجعل يلوي رأسه؛ أي: لست فاعلاً^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب، عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصلي فيه، فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أبي بن سلول قال: ليخرجن الأعز منها الأذل، فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار، وقيل لعبد الله بن أبي: ائت النبي ﷺ حتى يستغفر لك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنتَفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ﴾^(٣) وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير. وقوله: إن ذلك كان في غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد، فإن عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة في قصة بني المصطلق، فبينما رسول الله ﷺ مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري، وكان أجيراً لعمر بن الخطاب وسان بن وبر.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن يحيى بن حبان قال: ازدحما على الماء فاقتتلا، فقال سنان: يا معشر الأنصار، وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين، وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي، فلما سمعها قال: قد ثاورونا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال القائل: سَمَنَ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من عنده من قومه وقال: ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل، وذكره ابن هشام (السيرة النبوية ٢/١٠٥)، ويتقوى بالمراسيل التالية.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند رجاله ثقات عن معمر بن قتادة لكنه مرسل، وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند رجاله ثقات من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد لكنه مرسل، وهذان المرسلان يقوي أحدهما الآخر، ويتقوى أيضاً بالروايات المرسلة والموصولة التالية.

(٣) رجاله ثقات لكنه مرسل، ويتقوى بسابقه ولاحقه.

أموالكم، أما والله لو كففتهم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها، فسمعها زيد بن أرقم رضي الله عنه فذهب بها إلى رسول الله ﷺ وهو غليم عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخبره الخبر، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله مَرَّ عباد بن بشر فليضرب عنقه، قال رسول الله ﷺ: «فكيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمداً يقتل أصحابه، لا، ولكن ناد يا عمر الرحيل» فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال، ما قال عليه زيد بن أرقم، وكان عند قومه بمكان فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل.

وراح رسول الله ﷺ مهجراً في ساعة كان لا يروح فيها، فلقيه أسيد بن الحضير رضي الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال: والله لقد رحت في ساعة منكراً ما كنت تروح فيها، فقال رسول الله ﷺ: «أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل» قال: فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل. ثم قال: ارفق به يا رسول الله، فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لتوجه، فإنه ليرى أن قد سلبته ملكاً، فسار رسول الله ﷺ بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا، وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشتغلهم عما كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مسَّ الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين^(١).

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا بشر بن موسى، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمر بن دينار، سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار: فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة».

وقال عبد الله بن أبي بن سلول: وقد فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال جابر: وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ، ثم كثر المهاجرون بعد ذلك، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»^(٢). ورواه الإمام أحمد، عن حسين بن محمد المروزي، عن سفيان بن عيينة، ورواه البخاري، عن الحميدي ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن سفيان به نحوه^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن محمد بن كعب القرظي، عن زيد بن أرقم قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: فحلف

(١) أخرجه البيهقي من طريق ابن إسحاق عن محمد بن يحيى. (دلائل النبوة ٥٢/٤، ٥٣) وذكره ابن هشام في السيرة ٢٩٠/٢ - ٢٩٢. وسنده مرسل لكنه ورد عن عدة رواة ويتقوى بالروايات الموصولة التالية.

(٢) أخرجه البيهقي (دلائل النبوة ٥٣/٤) وسنده صحيح.

(٣) مسند الإمام أحمد ٣/٣٩٢، وصحيح البخاري، التفسير باب «يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ» [المنافقون: ٨] (ج ٤٩٠٧) وصحيح مسلم، البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (ج ٢٥٨٤).

عبد الله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك، قال: فلامني قومي وقالوا: ما أردت إلى هذا؟ قال: فانطلقت فنمت كئيهاً حزياً، قال: فأرسل إلي نبي الله ﷺ فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ عَذْرَكَ وَصَدَقَكَ» قال: فنزلت هذه الآية ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ حتى بلغ ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾^(١) ورواه البخاري عند هذه الآية، عن آدم بن أبي إياس، عن شعبة، ثم قال: وقال ابن أبي زائدة، عن الأعمش، عن عمرو، عن ابن أبي ليلي، عن زيد، عن النبي ﷺ^(٢)، ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضاً من حديث شعبة به^(٣).

طريق أخرى عن زيد:

قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبي بكير قالوا: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال: سمعت زيد بن أرقم، وقال ابن أبي بكير، عن زيد بن أرقم قال: خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل إلي رسول الله ﷺ فحدثته، فأرسل إلى عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط، وجلست في البيت فقال عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك! قال حتى أنزل الله ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ قال: فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله ﷺ ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَقَكَ»^(٤).

ثم قال أحمد أيضاً: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق أنه سمع زيد بن أرقم يقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله، وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا: كذب زيد يا رسول الله، فوقع في نفسي مما قالوا فأنزل الله تصديقي ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ قال: ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم. وقوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ حُسْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] قال: كانوا رجالاً أجمل شيء^(٥)، وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث زهير ورواه البخاري أيضاً والترمذي من حديث إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي، عن زيد به^(٦).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٦٨/٤) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا...﴾ [المنافقون: ٣] (ح ٤٩٠٢).

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة المنافقون (ح ٣٣١٤)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، سورة المنافقون (ح ١١٥٩٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٧٣/٤) وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٧٣/٤) وسنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبَٰعِبَكَ أَجْسَامُهُمْ...﴾ [المنافقون: ٤] (ح ٤٩٠٣) وصحيح مسلم، صفات المنافقين (ح ٢٧٧٢)، والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] (ح ١١٥٩٨).

طريق أخرى عن زيد:

قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي، قال: حدثنا زيد بن أرقم قال: غزونا مع رسول الله ﷺ، وكان معنا أناس من الأعراب، فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقونا إليه فسبق أعرابي أصحابه ليملا الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، قال: فأتى رجل من الأنصار الأعرابي فأرخی زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه فانتزع حجراً فغاض الماء، فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجه، فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره، وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله؛ يعني: الأعراب، وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام، فقال عبد الله لأصحابه: إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمداً بالطعام فليأكل هو ومن معه، ثم قال لأصحابه: لئن رجعتن إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل.

قال زيد: وأنا ردف عمي، قال فسمعت عبد الله بن أبي يقول ما قال: فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف وجحد، قال فصدقه رسول الله ﷺ وكذبني، قال: فجاء إلي عمي فقال: ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون، قال: فوقع علي من الغم ما لم يقع على أحد قط، قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر، وقد خفقت برأسي من الهم، إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا، ثم إن أبا بكر لحقني وقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت: ما قال شيئاً إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي، فقال: أبشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قلبي لأبي بكر، فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين^(١). انفرد بإخراجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. وهكذا رواه الحافظ البيهقي، عن الحاكم [عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي، عن سعيد بن مسعود عن^(٢) عبيد الله بن موسى به، وزاد بعد قوله سورة المنافقين ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] حتى بلغ ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ حتى بلغ ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾.

وقد روى عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود عروة بن الزبير في المغازي، وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أيضاً هذه القصة بهذا السياق، ولكن جعلاً الذي بلغ رسول الله ﷺ كلام عبد الله بن أبي بن سلول إنما هو أوس بن أرقم من بني الحارث بن الخزرج، فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم.

وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله: حدثنا محمد بن عزيز الأيلي، حدثني سلامة، حدثني عقيل،

(١) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، التفسير، باب ومن سورة المنافقون ح ٣٣١٣) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٤٠)، وأخرجه الحاكم من طريق عبيد الله بن موسى به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٨٨/٢ - ٤٨٩) وأخرجه البيهقي عن الحاكم به (دلائل النبوة ٥٤/٤).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

أخبرني محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري^(١) أخبراه أن رسول الله ﷺ غزا غزوة المريسيع، وهي التي هدم رسول الله ﷺ فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل وبين البحر، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فكسر مناة، فاقتتل رجالان في غزوة رسول الله ﷺ تلك أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز، وهم حلفاء الأنصار، فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزي فقال البهزي: يا معشر الأنصار، فنصره رجال من الأنصار، وقال المهاجري: يا معشر المهاجرين، فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال، ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل في قلبه مرض إلى عبد الله بن أبي بن سلول فقال: قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لا تضر ولا تنفع، قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب، فقال عبد الله بن أبي عدو الله: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين: ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه، يريد عمر عبد الله بن أبي، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟» قال عمر: نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «اجلس» فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الأنصار ثم أحد بني عبد الأشهل حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟» قال: نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه، فقال رسول الله ﷺ: «اجلس» ثم قال رسول الله ﷺ: «آذنوا بالرحيل» فهجّر بالناس فسار يومه وليته والغد حتى متع النهار، ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله ﷺ: «أي عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله؟» قال عمر: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله امتثلوه، فيتحدث الناس أني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبراً» وأنزل الله ﷻ: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ الآية^(٢). وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا

(١) كذا في الأصول. قال الحافظ ابن حجر: صوابه عمر بن ثابت الأنصاري (التقريب ص ٤١٩).

(٢) سنده ضعيف لإرساله ولبعضه شواهد تقدم ذكرها.

تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل نترقب به ونحسن صحبته ما بقي معنا»^(١).

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة، واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه: وراعا! فقال: ما لك ويليكَ؟ فقال: والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الدليل، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقية فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه، فقال ابنه عبد الله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ فقال: أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن^(٢).

وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا أبو هارون المدني قال: قال عبد الله بن أبي بن سلول لأبيه: والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول: رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل، قال وجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فوالذي بعثك بالحق، ما تأملت وجهه قط هيبة له، ولئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فإني أكره أن أرى قاتل أبي^(٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبراً لهم بأنه من التَّهَى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، ثم حثهم على الإنفاق في طاعته فقال: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾ فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئاً سيراً ليستعتب ويستدرك ما فاتته وهيهات، كان ما كان وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه، أما الكفار فكما قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَّلَمَ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم] وقال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٣﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون].

(١) ذكره ابن هشام وسنده مرسل ويتقوى بالمراسيل التالية (السيرة النبوية ٢/٢٩٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وهذه المراسيل تقوى ببعضها وبما سبق.

(٣) أخرجه الحميدي بسنده ومثله (المسند ٢/٥٢٠ ح ١٢٤٠) وسنده مرسل، ويشهد له ما تقدم.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١) أي: لا ينظر أحداً بعد حلول أجله. وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لورد لعاد إلى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو جناب الكلبي، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس اتق الله فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سأتلو عليك بذلك قرأناً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠) إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتين فصاعداً، قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعر^(١).

ثم قال: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبد الرزاق، عن الثوري، عن يحيى بن أبي حية وهو: أبو جناب الكلبي، عن الضحاك، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ بنحوه ثم قال: وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبي جناب، عن الضحاك، عن ابن عباس من قوله وهو أصح، وضعف أبا جناب الكلبي^(٢).

قلت: ورواية الضحاك، عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن نفيل، حدثنا سليمان بن عطاء، عن مسلمة الجهني، عن عمه يعني: أبا مشجعة بن ربيعي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال: «إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره»^(٣).

آخر تفسير سورة المنافقين.

والله الحمد والمنة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، آمين.

(١) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، التفسير، باب ومن سورة المنافقون ح ٣٣١٦) وسنده ضعيف لضعف أبي جناب الكلبي، والضحاك لم يلق ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) الحديث تنممه لسابقه.

(٣) سنده ضعيف جداً فيه سليمان بن عطاء وهو منكر الحديث كما في التقريب، ومثله مخالف لما في الصحيح أن الزيادة في العمر غير ما ذكر في هذه الرواية.

سُورَةُ النَّجَّاتِ

وهي مدنية [وقيل: مكية]^(١)

قال الطبراني: حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقي، حدثنا العباس بن الوليد الخلال، حدثنا الوليد بن الوليد، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشييك رأسه خمس آيات من سورة النجاة»^(٢) أورده ابن عساكر في ترجمة الوليد بن صالح^(٣) وهو غريب جداً بل منكر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكُمْ كَافِرٌ وَنَكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَحْلُمُونَ ۝ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝﴾

هذه السورة هي آخر المسبحات، وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها، ولهذا قال: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي: هو المتصرف في جميع الكائنات المحمود على جميع ما يخلق ويقدره.

وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع وما لم يشأ لم يكن.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكُمْ كَافِرٌ وَنَكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ أي: هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده، وسيجزئهم بها أتم الجزاء، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ثم قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل والحكمة، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أي: أحسن أشكالكم كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الْإِنْسَانَ مَا عَرَّفَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝﴾^(١) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَلَكَ

(١) زيادة من (ح).

(٢) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الأوسط ح ٣٢٩٠) وسنده ضعيف جداً لأن الوليد بن الوليد يروي عن ابن ثوبان الغرائب والعجائب. (ينظر المجروحين لابن حبان ٨١/٣) وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٣) أخرجه ابن عساكر من طريق الطبراني به (تاريخ دمشق ١٧/٨٣١) وسنده كسابقه.

﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار] وكفوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الآية [غافر: ٦٤] وقوله: ﴿وَلِيَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب.

ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السماوية والأرضية والنفسية فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْجُوْنَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٩﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿١١﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الأمم الماضين وما حلَّ بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ أي: خبرهم وما كان من أمرهم ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ﴾ أي: وخيم تكذيبهم، وردى أفعالهم، وهو ما حلَّ بهم في الدنيا من العقوبة، والخزي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي ثم علَّل ذلك فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالحجج والدلائل والبراهين ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أي: استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ أي: كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ أي: عنهم ﴿وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْطُوا قُلٌ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُ ثُمَّ لَنَحْبِثَنَّهُ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَالَّذِي أُنزِلَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّفَاقِ وَمَن يُوْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾.

يقول تعالى مخبراً عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُ ثُمَّ لَنَحْبِثَنَّهُ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ أي: لشخبرن بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: بعثكم ومجازاتكم.

وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه ﷻ على وقوع المعاد ووجوده فالأولى في سورة يونس: ﴿وَيَسْأَلُكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ﴾ ﴿٥٢﴾ والثانية في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ والآية الثالثة هي هذه ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْطُوا قُلٌ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُ ثُمَّ لَنَحْبِثَنَّهُ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٧﴾.

ثم قال تعالى: ﴿فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَالَّذِي أُنزِلَ﴾ يعني: القرآن ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ أي: فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيامة سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ لَهٗ الْنَّاسَ وَذَلِكَ يَوْمُ مَسْهُودٍ﴾ [هود: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ ﴿٨﴾ لَمَجْبُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ [الواقعة].

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَّازِ﴾ قال ابن عباس: هو اسم من أسماء يوم القيامة^(١)، وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار، وكذا قال قتادة ومجاهد^(٢).

وقال مقاتل بن حيان: لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ويذهب بأولئك إلى النار. قلت: وقد فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ. وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠) وقد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣).

يقول تعالى مخبراً بما أخبر به في سورة الحديد: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] وهكذا قال ههنا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: بأمر الله يعني: عن قدره ومشيئته^(٣).

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه يقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ يعني: يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه^(٤).

وقال الأعمش: عن أبي ظبيان قال: كنا عند علقمة فقريء عنده هذه الآية ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ فسئل عن ذلك فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم^(٥). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما.

وقال سعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ يعني: يسترجع يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

وفي الحديث المتفق عليه: «عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بمعناه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق الأعمش به.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ٩٥.

وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح أنه سمع جنادة بن أبي أمية يقول: سمعت عبادة بن الصامت يقول: إن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيل الله». قال: أريد أهون من هذا يا رسول الله. قال: «لا تنهم الله في شيء قضى لك به»^(١). لم يخرجوه.

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر وترك ما عنه نهى وزجر، ثم قال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ أي: إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة.

قال الزهري: من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم^(٢). ثم قال تعالى مخبراً أنه الأحد الصمد الذي لا إله غيره فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣) فالأول خبر عن التوحيد، ومعناه معنى الطلب؛ أي: وحدوا الإلهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه كما قال تعالى: ﴿رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾^(٤) [المزمل].

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِتٍ مِّنَ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَنَصَفَحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ^(٦) فَأَنْفِقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٧) إِنْ تَرَضُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا يُضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ^(٨) عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٩).

يقول تعالى مخبراً عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والولد بمعنى أنه يلتهي به عن العمل الصالح كقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلَهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١٠) [المنافقون] ولهذا قال ههنا: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

قال ابن زيد: يعني على دينكم^(٣).

وقال مجاهد: ﴿إِتٍ مِّنَ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ قال: يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا الفريابي، حدثنا إسرائيل، حدثنا سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية ﴿يَتَأْتِيَ

(١) أخرجه الإمام بسنده ومثته (المسند ٣٧/٣٩٠ ح ٢٢٧١٧) قال محققوه: حديث محتمل للتحسين، وهذا إسناد ضعيف من أجل ابن لهيعة.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، وقال الحافظ ابن حجر: هذا وقع في قصة أخرجها الحميدي في «النوادر»، ومن طريقه الخطيب، قال الحميدي: حدثنا سفيان قال: قال رجل للزهري: يا أبا بكر قول النبي ﷺ: «ليس منا من شقَّ الجيوب» ما معناه؟ فقال الزهري: من الله العلم، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم. (فتح الباري ١٣/٥٠٤).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد وفي آخره بلفظ: «إلا أن يقطعه».

الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» قال: فهؤلاء رجال أسلموا من مكة، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) وكذا رواه الترمذي، عن محمد بن يحيى، عن الفريابي وهو محمد بن يوسف به. وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير والطبراني من حديث إسرائيل به^(٢)، وروي من طريق العوفي، عن ابن عباس نحوه^(٣) وهكذا قال عكرمة مولاة سواء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٤) يقول تعالى: إنما الأموال والأولاد فتنة؛ أي: اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. وقوله: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ﴾ أي: يوم القيامة أجر عظيم كما قال: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَكُعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ﴾^(٥) [آل عمران] والتي بعدها.

قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين بن واقد، حدثني عبد الله بن بريدة، سمعت أبا بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله ورسوله، ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ﴾»، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»^(٦) ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به، وقال الترمذي: حسن غريب إنما نعرفه من حديثه^(٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا شريح بن النعمان، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن الشعبي، حدثنا الأشعث بن قيس قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة فقال لي: «هل لك ولد؟» قلت: غلام ولد لي في مخرجي إليك من ابنة جمد، ولوددت أن بمكانه سبع القوم. فقال: «لا تقولن ذلك، فإن فيهم قرة عين وأجراً إذا قبضوا»، ثم قال: «ولئن قلت ذاك إنهم لمجينة محزنة»^(٨)، إنهم لمجينة محزنة»^(٩). تفرد به أحمد.

(١) سننه حسن.

(٢) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة التغابن (ح ٣٣١٤) والمعجم الكبير للطبراني ٢٧٥/١١ (ح ١١٧٢٠). وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٤٢).

(٣) سننه ضعيف ويتقوى بسابقه فقد تبع العوفي في الرواية السابقة.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٩٩/٣٧، ١٠٠ ح ٢٢٩٩٥) وقال محققوه: إسناده قوي.

(٥) سنن أبي داود، الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة (ح ١١٠٩) وسنن الترمذي، المناقب، باب مناقب الحسن والحسين (ح ٣٧٧٦) وسنن النسائي، الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة ١٩٢/٣ وسنن ابن ماجه، اللباس، باب لبس الأحمر للرجال (ح ٣٦٠٠). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٩٠٠).

(٦) قال البيهقي: أراد أن الرجل إذا كثر ولده بخل بماله إبقاء عليهم، وجبن عن الحروب استبقاء لنفسه. (شرح السنة ٢٦/١٣).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٦١/٣٦ ح ٢١٨٤٠) وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد =

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمود بن بكر، حدثنا أبي، عن عيسى، عن ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الولد ثمرة القلوب، وإنهم مجبنة محزنة». ثم قال: لا نعرفه إلا بهذا الإسناد^(١).

وقال الطبراني: حدثنا هاشم بن مرثد، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزاً لك وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن الذي لعله عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينك»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»^(٣). وقد قال بعض المفسرين كما رواه مالك، عن زيد بن أسلم إن هذه الآية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]^(٤).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير، حدثني ابن لهيعة، حدثني عطاء هو ابن دينار، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قال: لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيتهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفاً على المسلمين: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فنسخت الآية الأولى^(٥).

وروى عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك^(٦).

وقوله: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ أي: كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله، ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة، ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا تتخلفوا عما به أمرتم، ولا تركبوا ما عنه زجرتم.

وقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء

= ضعيف، مجالد وهو ابن سعيد الهمداني ضعيف. اهـ. ولو قالوا: حسن لغيره لكان أحسن.

(١) أخرجه البزار بسنده ومثله وتعليقه (المسند ٢/ ٢٤٧ ح ١٧٩٧) وسنده ضعيف لضعف عطية وهو العوفي. (مجمع الزوائد ٨/ ١٥٨).

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٣/ ٢٩٤ ح ٣٤٤٥) وسنده ضعيف لضعف رواية إسماعيل بن عياش عن أبيه كما في التقريب.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحشر آية ٧.

(٤) سنده صحيح لكنه مرسل ويتقوى بما يليه من المراسيل.

(٥) سنده حسن لكنه مرسل ويتقوى بالمراسيل السابقة واللاحقة.

(٦) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر بن قتادة لكنه مرسل، وبقيّة الآثار عن أبي العالية والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي تقدم ذكرها في تفسير سورة آل عمران آية ١٠٢.

والمساكين وذوي الحاجات، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم، يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة، وإن لا تفعلوا يكن شراً لكم في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تقدم تفسيره في سورة الحشر^(١)، وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول: «من يقرض غير ظلوم ولا عديم»^(٢) ولهذا قال تعالى: ﴿يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ كما تقدم في سورة البقرة ﴿يُّضَاعِفْهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ويغفر لكم أي: ويكفر عنكم السيئات ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ أي: يجزي على القليل بالكثير ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: يصفح ويغفر ويستتر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم تفسيره غير مرة.

آخر تفسير سورة التغابن، والله الحمد والمنة.

(١) في الآية رقم ٩.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (الصحيح، صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل ح ٧٥٨/١٧١).

سُورَةُ الطَّلَاقِ

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾

خوَّطب النبي ﷺ أولاً تشريعاً وتكريماً، ثم خاطب الأمة تبعاً فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهباري، حدثنا أسباط بن محمد، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: طَلَّقَ رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ فقبل له: راجعها فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة^(١). ورواه ابن جرير، عن ابن بشار، عن عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة فذكره مرسل^(٢). وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طَلَّقَ حفصة ثم راجعها.

وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طَلَّقَ امرأة له وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيَّظ رسول الله ﷺ منه ثم قال له: «ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر بها الله ﷻ»^(٣). هكذا رواه البخاري ههنا وقد رواه في مواضع من كتابه ومسلم ولفظه: «فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء»^(٤). ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طريق متعددة وألفاظ كثيرة ومواضع استقصائها كتب الأحكام.

(١) في سنده أسباط بن محمد ثقة لكن فيه ضعف يسير (تهذيب التهذيب ٢١١/١) وقد أخرجه من هو أوثق منه مرسل^(١) كما في رواية الطبري التالية، فقد أخرجه عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة مرسل^(٢)، وهو أرجح.

(٢) أخرجه الطبري عن ابن بشار به، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، سورة الطلاق باب رقم ١ ح ٤٩٠٨).

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضيهما الله عنهما (الصحيح، الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ح ١٤٧١).

وأُسُّ لفظ يورد ههنا ما رواه مسلم في صحيحه من طريق ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع ذلك، كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضاً؟ فقال: طلق ابن عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ليراجعها». فردّها. وقال: إذا طهرت فليطلق أو يمسك. قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(١).

وقال الأعمش: عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله في قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قال: الطهر من غير جماع^(٢). وروي عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك وهو رواية عن عكرمة والضحاك^(٣).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قال: لا يطلقها وهي حائض، ولا في طهر قد جامعها فيه، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت يطلقها تطليقة^(٤).

وقال عكرمة: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ العدة: الطهر، والقرء: الحيضة أن يطلقها حبلى مستبيناً حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدري حبلى هي أم لا.

ومن ههنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق، وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة، فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملاً قد استبان حملها، والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدري أحملت أم لا؟ وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها، وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع والله ﷻ أعلم.

وقوله: ﴿وَأَحْضُوا أَلْعِدَّةَ﴾ أي: احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها، لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: في ذلك.

وقوله: ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ أي: في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه، فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضاً الخروج لأنها معتقلة لحق الزوج أيضاً.

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ أي: لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة

(١) أخرجه مسلم من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج به بلفظ: «أو ليمسك». (الصحيح، الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ح ١٤٧/١٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق الثوري عن الأعمش به.

(٣) قول ابن عمر تقدم مرفوعاً، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود (المصنف ٣/٥) وأخرجه ابن أبي شيبة أيضاً بسند حسن من طريق هشام عن ابن سيرين والحسن. (المصدر السابق ٢/٥)، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير أبو قلابة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والسدي وسعيد بن أبي هلال وغيرهم^(١).

وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وأذتهم في الكلام والفعال كما قاله أبي بن كعب وابن عباس^(٢) وعكرمة وغيرهم. وقوله: ﴿وَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: شرائعه ومحارمه ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يَأتمر بها فقد ظلم نفسه؛ أي: بفعل ذلك.

وقوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ أي: إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل.

قال الزهري: عن عبيد الله بن عبد الله، عن فاطمة بنت قيس في قوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ قالت: هي الرجعة^(٣). وكذا قال الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والثوري^(٤).

ومن ههنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى إلى أنه لا تجب السكنى للمبتوتة؛ أي: المقطوعة وكذا المتوفى عنها زوجها، واعتمدوا أيضاً على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائباً عنها باليمن، فأرسل إليها بذلك فأرسل إليها وكيله بشعير يعني نفقة فتسخطته فقال: والله ليس لكى علينا نفقة، فأتت رسول الله ﷺ فقال: «ليس لك عليه نفقة»^(٥). ولمسلم ولا «سكنى»، وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك» الحديث^(٦).

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد،

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويشهد له ما أخرجه الحاكم من قول ابن عمر وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٩١)، وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي وهب عن ابن زيد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند ضعيف من طريق صالح بن مسلم عن عامر الشعبي وصالح بن مسلم هو ابن رومان وهو ضعيف (التقريب ص ٥٤٥) ويشهد له ما تقدم.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٤/١٧٤) والطبري بسند حسن من طريق محمد بن إبراهيم عن ابن عباس.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الزهري به (مصنف عبد الرزاق رقم ١٢٠٢٤).

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق ابن عليه عن أيوب عن عكرمة، (المصنف ٥/٢٦٢) وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أيوب عن الحسن.

(٥) أخرجه مسلم بنحوه (الصحيح، باب المطلقة ثلاثاً ح ٤١/١٤٨٠).

(٦) المصدر السابق (٤٢/١٤٨٠).

حدثنا عامر قال: قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس فحدثتني أن زوجها طلقها على عهد النبي ﷺ، فبعثه رسول الله ﷺ في سرية قالت: فقال لي أخوه: اخرجي من الدار. فقلت: إن لي نفقة وسكنى حتى يحلّ الأجل. قال: لا. قالت: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن فلاناً طلقني وإن أخاه أخرجني ومنعني السكنى والنفقة فقال له: «ما لك ولاينة آل قيس». قال: يا رسول الله إن أخي طلقها ثلاثاً جميعاً. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «انظري يا بنت آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة، فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجي فانزلي على فلانة»، ثم قال: «إنه يتحدث إليها انزلي على ابن أم مكتوم فإنه أعمى لا يراك»^(١). وذكر تمام الحديث.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الله البزار التستري، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف، حدثنا بكر بن بكار، حدثنا سعيد بن يزيد البجلي، حدثنا عامر الشعبي أنه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي وزوجها أبو عمرو بن حفص بن حفص بن المغيرة المخزومي فقالت: إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلي وهو منطلق في جيش إلى اليمن بطلاقي، فسألت أوليائه النفقة علي والسكنى فقالوا: ما أرسل إلينا في ذلك شيئاً ولا أوصانا به، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلي بطلاقي فسألت أوليائه السكنى والنفقة علي فقال أوليائه: لم يرسل إلينا في ذلك بشيء. فقال رسول الله ﷺ: «إنما السكنى والنفقة للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة فإذا كانت لا تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره فلا نفقة لها ولا سكنى»^(٢). وكذا رواه النسائي عن أحمد بن يحيى الصوفي، عن أبي نعيم الفضل بن دكين، عن سعيد بن يزيد^(٣) وهو الأحمسي البجلي الكوفي قال أبو حاتم الرازي: وهو شيخ يروى عنه.

﴿إِذَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُم يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾

يقول تعالى: إذا بلغت المعتدات أجلهن أي: شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة الكلية، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده بمعروف؛ أي: محسناً إليها في صحبتها، وإما أن يعزم

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده بنحوه (المسند ٦/٣٧٣) وسنده ضعيف لضعف مجالد، ويتقوى بالشاهد الصحيح السابق في صحيح مسلم.

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٣٨٢/٢٤ ح ٩٤٨)، وأخرجه النسائي من طريق الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد به. (السنن، الطلاق، باب الرخصة في ذلك ١٤٤/٦ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ح ٣١٨٨).

(٣) الجرح والتعديل ٧٤/٤.

على مفارقتها بمعروف؛ أي: من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن.

وقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: على الرجعة إذا عزمتم عليها كما رواه أبو داود وابن ماجه، عن عمران بن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها، فقال: طلقت لغير سنة، وراجعت لغير سنة، وأشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد^(١).

وقال ابن جريج: كان عطاء يقول: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال: لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهدا عدل كما قال الله ﷻ إلا أن يكون من عذر.

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة إنما يأتى به من يؤمن بالله واليوم الآخر، وأنه شرع هذا ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة.

ومن ههنا ذهب الشافعي في أحد قوليهِ إلى وجوب الإشهاد في الرجعة كما يجب عنده في ابتداء النكاح، وقد قال بهذا طائفة من العلماء، ومن قال بهذا يقول: إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الإشهاد عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب؛ أي: من جهة لا تخطر بباله.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا كهمس بن الحسن، حدثنا أبو السليل، عن أبي ذرٍّ قال: جعل رسول الله ﷺ يتلو عليّ هذه الآية ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ حتى فرغ من الآية ثم قال: «يا أبا ذرٍّ لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم». قال: فجعل يتلوها ويردها عليّ حتى نعست، ثم قال: «يا أبا ذرٍّ كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة؟» قلت: إلى السعة والدعة أنطلق فأكون حمامة من حمام مكة. قال: «كيف تصنع إذا خرجت من مكة؟». قال: قلت: إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة قال: «وكيف تصنع إذا خرجت من الشام؟» قلت: إذا والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي. قال: «أو خير من ذلك؟» قلت: أو خير من ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً»^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا علي بن عبيد، حدثنا زكريا، عن عامر، عن [شُتير]^(٣) بن شَكل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: إن أجمع آية في القرآن

(١) سنن أبي داود، الطلاق، باب الرجل يراجع ولا يشهد (ح ٢١٨٦) وسنن ابن ماجه، الطلاق، باب الرجعة (ح ٢٠٢٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٩١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنته (المسند ٤٣٦/٣٥ ح ٢١٥٥١) وضعف سنده محققوه لأن أبا السليل لم يدرك أبا ذرٍّ.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «شتل».

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] وَإِنْ أَكْبَرُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَرَجاً ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾^(١).

وفي المسند: حدثني مهدي بن جعفر، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الحكم بن مصعب، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، وورقه من حيث لا يحتسب»^(٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ يقول: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٣).

وقال الربيع بن خثيم: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ أي: من كل شيء ضاق على الناس^(٤).
وقال عكرمة: من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجاً^(٥). وكذا روي عن ابن عباس والضحاك^(٦).

وقال ابن مسعود ومسروق: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ يعلم أن الله إن شاء أعطى وإن شاء منع ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من حيث لا يدرى^(٧).

وقال قتادة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من شبهات الأمور والكرب عند الموت، ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو ولا يأمل.

وقال السدي: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ يطلق للسنّة ويراجع للسنّة وزعم أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عوف بن مالك الأشجعي كان له ابن، وأن المشركين أسروه فكان فيهم، وكان أبوه يأتي رسول الله ﷺ فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته، فكان رسول الله ﷺ يأمره بالصبر ويقول له: إن الله سيجعل لك فرجاً، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً أن انفلت ابنه من أيدي العدو، فمر بغنم من أغنام العدو فاستقاها فجاء بها إلى أبيه وجاء معه [بغنم]^(٨) قد أصابه من المغنم، فنزلت فيه هذه الآية ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٩) رواه ابن جرير.

(١) سنده جيد.

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد وجادة عن أبيه عن مهدي بن جعفر الرملي به. (المسند ١٠٤/٤ ح ٢٢٣٤) وضعف سنده محققوه لجهالة الحكم بن مصعب.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٣٧١/١٤) والطبري من طريق الربيع بن المنذر عن أبيه عن الربيع بن خثيم. والربيع بن المنذر سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ويشهد له ما يليه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مسروق عن ابن مسعود مختصراً. وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي الضحى عن مسروق.

(٨) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أسباط عن السدي وسنده مرسل.

وروي أيضاً من طريق سالم بن أبي الجعد مرسلًا نحوه^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»^(٢) رواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان وهو الثوري به^(٣).

وقال محمد بن إسحاق: جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال له: أسر ابني عوف. فقال له رسول الله ﷺ: «أرسل إليه أن رسول الله يأمر أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله»، وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القدر عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل، فإذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب فقال أبوه: عوف ورب الكعبة! فقالت أمه: واسوأناه وعوف [كيف يقدم]^(٤) بما هو فيه من القدر؟ فاستبقا الباب والخادم فإذا هو عوف قد ملأ الفناء إبلًا، فقصر على أبيه أمره وأمر الإبل فقال أبوه: قفا حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله عنها، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله ﷺ: اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بمالك ونزل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٥) رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض، عن هشام بن حسان، عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها»^(٦).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا ليث، حدثنا قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن عبد الله بن عباس أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ: «يا غلام إني معلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده

(١) أخرجه الطبري من طريق عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد، وسنده مرسل. وأخرجه الحاكم من طريق سالم بن أبي الجعد عن جابر وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر فيه عباد بن يعقوب رافضي وعبيد بن كثير العامري متروك (المستدرک ٢/ ٤٩٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٧/ ٦٨ ح ٢٢٣٨٦) وقال محققوه: حسن لغيره دون قوله: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».

(٣) سنن ابن ماجه، الفتن، باب العقوبات (ح ٤٠٢٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٢٤٨) وعزاه المزني إلى النسائي في السنن الكبرى، كتاب الرقاق. (تحفة الأشراف ٢/ ١٣٣) وأخرجه الحاكم من طريق الثوري به كما في رواية الإمام أحمد السابقة، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/ ٤٩٣).

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) سنده ضعيف لانقطاعه بين ابن إسحاق ومالك الأشجعي.

(٦) سنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الأشعث. (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠٦) وأخرجه الطبراني من طريق إبراهيم بن الأشعث به. (المعجم الصغير ١/ ١١٦).

تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف».

وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد وابن لهيعة به وقال: حسن صحيح^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا بشير بن سلمان، عن سيار أبي الحكم، عن طارق بن شهاب، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قَمِيناً^(٢)» أن لا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله تعالى أتاه الله برزق عاجل أو بموت آجل^(٣). ثم رواه عن عبد الرزاق، عن سفيان، عن بشير، عن سيار أبي حمزة ثم قال: وهو الصواب، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ أي: منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريد ويشاؤه ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ كقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

﴿وَالَّتِي يَلْسَنَ مِنَ الْمَجِيزِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿١﴾﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٢﴾﴾.

يقول تعالى مبيناً لعدة الآيسة وهي التي قد انقطع عنها المحيض لكبرها إنها ثلاثة أشهر عوضاً عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كما دلَّت على ذلك آية البقرة^(٤) كذا الصغار اللاتي لم يبلغن سن الحيض؛ أي: عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾. وقوله: ﴿إِنْ أَرْبَبْتُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: وهو قول طائفة من السلف كمجاهد والزهري وابن زيد؛ أي: إن رأين دماً وشككتن في كونه حيضاً أو استحاضة وارتبتم فيه^(٥).

والقول الثاني: ﴿إِنْ أَرْبَبْتُمْ﴾ في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر وهذا مروي عن سعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر في المعنى واحتج عليه بما رواه عن أبي كريب وابن السائب قالاً: حدثنا ابن إدريس، أخبرنا مُطَرِّف، عن عمرو بن سالم قال: قال أبي بن كعب: يا رسول الله إن عِدَّةً من عِدَّةِ النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار وأولات الأحمال قال فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالَّتِي يَلْسَنَ مِنَ الْمَجِيزِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الزمر آية ٣٨. (٢) أي: جديراً. (ينظر: النهاية ٤/١١١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٦/ ٢٢٤ ح ٣٦٩٦) قال محققوه: إسناده حسن على خطأ في اسم أحد رواة، سبار هذا هو أبو حمزة. ١٠هـ. وقد نبه الحافظ ابن كثير على ذلك بعد الحديث مباشرة.

(٤) آية رقم ٢٢٨.

(٥) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الزهري، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

وَأَلَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ»^(١) ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا السياق فقال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن المغيرة، أخبرنا جرير، عن مُطَرِّف، عن عمر بن سالم^(٢)، عن أبي ابن كعب قال: قلت لرسول الله ﷺ: إن ناساً من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية التي في البقرة في عدة النساء قالوا: لقد بقي من عدة النساء عدد لم يذكر في القرآن الصغار والكبار اللاتي قد انقطع منهن الحيض وذوات الحمل. قال: فأنزلت التي في النساء القصرى: «وَأَلَّتِي يَبْسَنَ مِنَ الْمَجِضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ»^(٣).

وقوله: «وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» يقول تعالى ومن كانت حاملاً فعدتها بوضعه، ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفراق [ناقة]^(٤) في قول جمهور العلماء من السلف والخلف: كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنة النبوية، وقد روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما ذهبا في المتوفى عنها زوجها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع أو الأشهر عملاً بهذه الآية والتي في سورة البقرة^(٥).

وقال البخاري: حدثنا [سعد]^(٦) بن حفص، حدثنا شيبان، عن يحيى، قال أخبرني أبو سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة. فقال ابن عباس: آخر الأجلين. قلت أنا: «وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي يعني أبا سلمة فأرسل ابن عباس غلامه كريماً إلى أم سلمة يسألها فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فولدت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت فأنكحها رسول الله ﷺ وكان أبو السنابل فيمن خطبها^(٧). هكذا أورد البخاري هذا الحديث ههنا مختصراً، وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولاً من وجوه آخر^(٨).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حماد بن أسامة، أخبرنا هشام، عن أبيه، عن المسور بن مخرمة أن سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها وهي حامل فلم يمكث إلا ليالي حتى وضعت، فلما تعلت من نفاسها خطبت، فاستأذنت رسول الله ﷺ في النكاح، فأذن لها أن تنكح فنكحت^(٩). ورواه البخاري في صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عنها، كما قال مسلم بن الحجاج: حدثني أبو الطاهر، أخبرنا ابن وهب، حدثني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية، فيسألها عن حديثها وعمّا قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته، فكتب عمر بن

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وفي سنده عمرو بن سالم وهو أبو عثمان الأنصاري: مقبول (التقريب ص ٦٥٧) ولم يتابع، وسنده ضعيف.

(٢) قيل عمر بن سالم وقيل عمرو بن سالم (التقريب ص ٦٥٧).

(٣) سنده ضعيف كسابقه. (٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) آية ٢٢٨.

(٦) كذا في صحيح البخاري، وفي الأصل و(ح) صحف بلفظ: «سعيد».

(٧) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب «وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» [الطلاق: ٤] ح ٤٩٠٩).

(٨) سيأتي أحد الوجوه بعد الرواية التالية.

(٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣١/٢٣٥ ح ١٨٩١٨) وصححه سندته محققوه.

عبد الله يخبره أن سُبَيْعَةَ أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة وكان ممن شهد بدراناً، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تелت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها: ما لي أراك متجملة لعلك ترجين النكاح! إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سُبَيْعَةُ: فلما قال لي ذلك جمعت عليّ ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي^(١). هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصراً ثم قال البخاري بعد روايته الحديث الأول عند هذه الآية: وقال سليمان بن حرب وأبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد هو ابن سيرين قال: كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الأجلين فحدثت بحديث سُبَيْعَةَ بنت الحارث، عن عبد الله بن عتبة قال فضمر^(٢) لي بعض أصحابه، قال محمد: ففطنت له فقلت: إني لجريء أن أكذب على عبد الله وهو في ناحية الكوفة. قال: فاستحيا وقال: لكن عمه لم يقل ذلك، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته فذهب يحدثني بحديث سُبَيْعَةَ فقلت: هل سمعت عن عبد الله فيها شيئاً؟ فقال: كنا عند عبد الله فقال: أتجعلون عليها التعليل ولا تجعلون عليها الرخصة؟ فنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾^(٣) ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل ابن علية، عن أيوب به مختصراً ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الأعلى، عن خالد بن الحارث، عن ابن عون، عن محمد بن سيرين... فذكره^(٤).

وقال ابن جرير: حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر، حدثني ابن شبرمة الكوفي، عن إبراهيم، عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود قال: من شاء لاعته ما نزلت ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها قال: وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلّت. يريد بآية المتوفى عنها زوجها ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مريم^(٥) به.

ثم قال ابن جرير: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا إسماعيل بن خالد، عن الشعبي قال: ذكر عند ابن مسعود آخر الأجلين، فقال: من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التي في النساء القصرى نزلت بعد الأربعة الأشهر والعشر، ثم قال: أجل الحامل أن تضع ما في بطنها^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن

(١) أخرجه مسلم بسنده ومثته (الصحيح، الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها ح ١٤٨٤).

(٢) أي: أشار إليه أن أسكت. (فتح الباري ٨/ ٦٥٥).

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] ح ٤٩١٠).

(٤) تفسير الطبري والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] ح ١١٠٤٣).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه النسائي من طريق سعيد بن أبي مريم به (السنن الكبرى ح ٥٧١٦) وسنده صحيح.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ويشهد له سابقه ولاحقه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق عبد الكريم به (المصنف رقم ١١٧١٧) وسنده منقطع لعدم سماع عبد الكريم من أبي عليه السلام.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي: عندكم من وجدكم قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني: سعتكم^(١). حتى قال قتادة: إن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه^(٢).

وقوله: ﴿وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قال مقاتل بن حيان: يعني يضاجرها لتفتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه.

وقال الثوري، عن منصور، عن أبي الضحى ﴿وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قال: يطلقها فإذا بقي يومان راجعها^(٣).

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال كثير من العلماء منهم: ابن عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف هذه في البائن إن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع حملها^(٤)، قالوا: بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملاً أو حائلاً.

وقال آخرون: بل السياق كله في الرجعيات^(٥)، وإنما نصّ على الإنفاق على الحامل وإن كانت رجعية؛ لأن الحمل تطول مدته غالباً فاحتيج إلى النصّ على وجوب الإنفاق إلى الوضع لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة.

ثم اختلف العلماء هل النفقة لها بواسطة الحمل أم للحمل وحده؟ على قولين منصوصين عن الشافعي وغيره ويتفرع عليها مسائل كثيرة مذكورة في علم الفروع.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي: إذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد برّ بانقضاء عدتهن، ولها حينئذ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه، ولكن بعد أن تغذيه باللبأ، وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للمولود غالباً إلا به، فإن أرضعت استحقّت أجر مثلها، ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجر، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾.

وقوله: ﴿وَأَتِمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير إضرار ولا مضارة كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿لَا تَصْكَارَ وَالِدَةٌ وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُ﴾ [٢٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾ أي: وإن اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في أجره الرضاع كثيراً ولم يجبها الرجل إلى ذلك أو بذل الرجل قليلاً ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها، فلو رضيت الأم بما استؤجرت به الأجنبية فهي أحق بولدها.

وقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ أي: لينفق على المولود والده ووليه بحسب قدرته ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ كقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

روى ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حكام، عن أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب،

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بخبر مجاهد الذي أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عنه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) سنده صحيح.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن إبراهيم النخعي بنحوه.

عن أبي عبيدة ف قيل إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أخشن الطعام فبعث إليه بألف دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها فما لبث أن لبس اللين من الثياب، وأكل أطيب الطعام فجاءه الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى تأول هذه الآية ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ﴾^(١).

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا هاشم بن مرثد الطبراني، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، أخبرني أبي، أخبرني ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد بن أبي مالك الأشعري واسمه: الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنائير، فتصدق منها بدينار، وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها بأوقية، وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشر أواق»، فقال رسول الله ﷺ: «هم في الأجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله»، قال الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾^(٢). هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وقوله: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، وعد منه تعالى ووعدته حق لا يخلفه وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح].

وقد روى الإمام أحمد حديثاً يحسن أن نذكره ههنا فقال: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عبد الحميد بن بهرام، حدثنا شهر بن حوشب قال: قال أبو هريرة: بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائعاً قد أصابته مسغبة شديدة، فقال لامرأته: عندك شيء؟ قالت: نعم أبشر أتاناً رزق الله، فاستحثها فقال: ويحك ابتغي إن كان عندك شيء، قالت: نعم هنيئة ترجو رحمة الله حتى إذا طال عليه الطوى قال: ويحك قومي فابتغي إن كان عندك شيء فائتيني به فإني قد بلغت وجهت فقالت: نعم الآن نفتح التنور فلا تعجل فلما أن سكت عنها ساعة وتحينت أن يقول لها قالت من عند نفسها: لو قمت فنظرت إلى تنوري فقامت فنظرت إلى تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحيها تطحنان فقامت إلى الرحي فنفضتها واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم. قال أبو هريرة: فوالذي نفس أبي القاسم بيده هو قول محمد ﷺ: لو أخذت ما في رحيها ولم تنفضها لطحنتها إلى يوم القيامة^(٣).

وقال في موضع آخر: حدثنا أبو عامر، حدثنا أبو بكر، عن هشام، عن محمد وهو: ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية، فلما رآته امرأته قامت إلى الرحي فوضعتها وإلى التنور فسجرتها، ثم قالت: اللهم ارزقنا، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت، قال: وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً، قال: فرجع الزوج فقال: أصبتم بعدي شيئاً قالت امرأته: نعم من ربنا فأم إلى الرحي فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: أما إنه

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لعدم سماع أبي سنان من عمر رضي الله عنه، وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ٣/٣٣١ ح ٣٤٣٩) وسنده ضعيف لضعف رواية محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه كما في التقريب (وينظر مجمع الزوائد ٣/١١٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٥/٢٧٦ ح ٩٤٦٤). وضعف سنده محققوه لضعف شهر بن حوشب.

لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة^(١).

﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْبَيْنِ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَهَا عَذَابًا تُكْرًا﴾ (٨) ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا خُسْرًا﴾ (٩) ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الْآلِيبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ (١٠) ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ رِزْقًا﴾ (١١).

يقول تعالى متوعداً لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه ومخبراً عما حلّ بالأمم السالفة بسبب ذلك فقال: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْبَيْنِ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ أي: تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله ﴿فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَهَا عَذَابًا تُكْرًا﴾ أي: منكرأً فظيعاً. ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم ﴿وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا خُسْرًا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: في الدار الآخرة مع ما عجل لهم من العذاب في الدنيا.

ثم قال بعد ما قصّ من خبر هؤلاء: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الْآلِيبِ﴾ أي: الأفهام المستقيمة، لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الألباب ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: صدقوا بالله ورسوله ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ يعني: القرآن كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ حَافِظُونَ﴾ (٩٦) [الحجر].

وقوله: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ قال بعضهم رسولاً منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر.

وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر^(٢)؛ يعني: تفسيراً له ولهذا قال: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ أي: في حال كونها بينة واضحة جلية ﴿لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ كقوله: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] [أي: من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله نوراً لما يحصل به من الهدى كما سماه روحاً لما يحصل به من حياة القلوب، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٦) [الشورى] وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ رِزْقًا﴾ قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن إعادته.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢).

يقول تعالى مخبراً عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢/٤٢١). وفي سنده أبو بكر وهو ابن عياش فيه مقال: (ينظر ميزان الاعتدال ٤/٥٠٠).

(٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) ما بين معقوفين لا يوجد في النسخ الخطية لدي، وقد أضيفت من طبعة الحلبي التي اعتمدت مخطوطة دار الكتب التي لم أظفر بها.

الدين القويم ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ كقوله تعالى إخباراً عن نوح أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح] وقوله تعالى: ﴿سُبْحٌ لَّهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: سبعة أيضاً كما ثبت في الصحيحين: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين»^(١) وفي صحيح البخاري «خسف به إلى سبع أرضين»^(٢) وقد ذكرت طرقه وألفاظه وعزوه في أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الأرض والله الحمد والمنة.

ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزاع، وخالف القرآن والحديث بلا مستند، وقد تقدم في سورة الحديد عند قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [٣] ذكر الأرضين السبع وبُعد ما بينهما، وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام، وهكذا قال ابن مسعود وغيره، وكذا في الحديث الآخر: «ما السماوات السبع وما فيهن وما بينهما والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة»^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتكم، وكفركم تكذيبكم بها^(٤).

وحدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي والأشعري، عن جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي، عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ الآية فقال ابن عباس: ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن المثنى قالوا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال عمرو: قال في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق.

وقال ابن المثنى في حديثه: في كل سماء إبراهيم^(٦).

وروى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أحمد بن يعقوب، حدثنا عبيد بن غنام النخعي، أخبرنا علي بن حكيم، حدثنا شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس أنه قال: ﴿اللَّهُ

(١) أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها. (صحيح البخاري، المظالم، باب إثم من ظلم شيئاً في الأرض ح ٢٤٥٣) وصحيح مسلم، البيوع، باب تحريم الظلم وغصب الأرض (ح ١٦١٢).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (الصحيح، الباب السابق ح ٢٤٥٤).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الرعد آية ٢.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وفي سنده إبراهيم بن مهاجر فيه مقال (التقريب ص ٩٤).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وأخرجه الحاكم من طريق آدم بن أبي إياس عن شعبة به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٤٩٣). وصححه البيهقي كما سيأتي بعد الرواية الآتية.

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴿١﴾ قال: سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى^(١).

ثم رواه البيهقي من حديث شعبة، عن عمر بن مرة، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام^(٢). ثم قال البيهقي: إسناد هذا عن ابن عباس صحيح. وهو شاذ بمرة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا، والله أعلم.

قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه «التفكير والاعتبار»: حدثني إسحاق بن حاتم المدائني، حدثنا يحيى بن سليمان، عن عثمان بن أبي دهرش قال: بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال: «ما لكم لا تتكلمون؟» فقالوا: نتفكر في خلق الله ﷻ قال: «فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا فيه، فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها - أو قال: بياضها نورها - مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط». قالوا: فأين الشيطان عنهم؟ قال: «ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق»، قالوا: أمن ولد آدم؟ قال: «لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق»^(٣). وهذا حديث مرسل وهو منكر جداً وعثمان بن أبي دهرش ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال: روي عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص، وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك^(٤).

آخر [تفسير سورة]^(٥) الطلاق.

(١) أخرجه البيهقي بسنده ومثته. (الأسماء والصفات رقم ٨٣١) وسنده ضعيف فيه شريك وعطاء بن السائب وكلاهما فيهما مقال.

(٢) أخرجه البيهقي (المصدر السابق رقم ٨٥١) وتقدم تخريجه وتصحيح الحاكم والذهبي قبل الرواية السابقة.

(٣) ضعفه الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً، وقوله: «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا فيه» له شاهد صحيح تقدم.

(٤) الجرح والتعديل ١٤٩/٦.

(٥) زيادة من (ح).

سُورَةُ التَّحْوِيْمِ

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَّى مَرْصَاتَ زَوْجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَوَّضَ اللَّهُ لَكَ نَحْلَةَ أَتَمِنَ لَكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ زَوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُنَوِّبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ زَوْجًا خَيْرًا مِمَّنْكَ مُسَلِّمَتٍ مُؤْمِنَةٍ قَلْبَتْ تَبَيَّنَتْ عَيْدَاتٍ سَيَحْتِ تَبَيَّنَتْ وَأَنْكَارًا ﴿٥﴾﴾.

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة فقيل: نزلت في شأن مارية، وكان رسول الله ﷺ قد حرما فتزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَّى مَرْصَاتَ زَوْجِكَ﴾ الآية.

قال أبو عبد الرحمن النسائي: أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد، حدثنا أبي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عاتشة وحفصة حتى حرما، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ إلى آخر الآية^(١).

وقال ابن جرير: حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا أبو غسان، حدثني زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟ فجعلها عليه حراماً، قالت: أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ قال زيد بن أسلم: فقلوه: أنت علي حرام لغو^(٢)، وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه^(٣).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، عن مالك، عن زيد بن أسلم قال: قال لها: أنت علي حرام، والله لا أطوك^(٤).

(١) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (السنن الكبرى، التفسير باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١] ح ١١٦٠٧) وأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس. وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٤٩٣).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإرسال زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإرسال زيد.

وقال سفيان والثوري وابن علية، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق قال: ألى رسول الله ﷺ وحرّم، فعوتب في التحريم، وأمر بالكفارة في اليمين^(١). رواه ابن جرير وكذا روي عن قتادة وغيره عن الشعبي نفسه^(٢) وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان، وروى العوفي عن ابن عباس القصة مطولة^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا سعيد بن يحيى، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: قلت لعمر بن الخطاب: من المراتان؟ قال: عائشة وحفصة، وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم مارية أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة، فقالت: يا نبي الله لقد جئت إلي شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي، قال: ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها؟ قالت: بلى فحرمها، وقال لها: لا تذكرى ذلك لأحد فذكرته لعائشة، فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَ حُرْمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتٍ أَزْوَاجِكَ﴾ الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله ﷺ كفر عن يمينه وأصاب جاريته^(٤).

وقال الهيثم بن كليب في مسنده: حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن الرقاشي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قال: قال النبي ﷺ لحفصة: «لا تخبري أحداً، وإن أم إبراهيم عليّ حرام». فقالت: أتحرّم ما أحلّ لك؟ قال: فوالله لا أقربها. قال: فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، قال: فأنزل الله: ﴿قَدْ فُضَّ اللَّهُ لَكُمْ حِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾^(٥). وهذا إسناد صحيح ولم يخرج من أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره الضياء المقدسي في كتابه المستخرج^(٦).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، حدثنا هشام الدستوائي، قال: كتب إليّ يحيى يحدث، عن يعلى بن حكيم، عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول: في الحرام يمين تكفرها. وقال ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]^(٧)، يعني: أن رسول الله ﷺ حرّم جاريته فقال الله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَ حُرْمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ فُضَّ اللَّهُ لَكُمْ حِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ فكفر يمينه فصير الحرام يميناً. ورواه البخاري عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائي عن يحيى هو ابن أبي كثير، عن ابن حكيم وهو: يعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: في الحرام يمين تكفر.

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لإرسال مسروق.

(٢) أخرجه الطبري وهو مرسل أيضاً.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لعنّة ابن إسحاق.

(٥) في سنده عبد الملك بن محمد الرقاشي صدوق يخطئ تغير حفظه لما سكن بغداد (التقريب ص ٣٦٥).

(٦) أخرجه الضياء المقدسي من طريق الهيثم بن كليب به. (المختارة ٦٩/٥، ٧٠ ح ١٦٩٤، ١٦٩٥).

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح، وأخرجه مسلم من طريق ابن علية به (الصحيح، الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرّم امرأته ولم ينو الطلاق ح ١٤٧٣).

وقال ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١) [الأحزاب: ٢١]. ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به^(٢).

وقال النسائي: أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي، حدثنا مخلد هو: ابن يزيد، حدثنا سفیان، عن سالم، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: أتاه رجل فقال: إني جعلت امرأتي عليّ حراماً. قال: كذبت ليست عليك بحرام ثم تلى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة^(٣). تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن زكريا، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ قال: حرم رسول الله ﷺ سريره^(٤). ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال: بوجوب الكفارة على من حرّم جاريته أو زوجته أو طعاماً أو شرباً أو ملبساً أو شيئاً من المباحات، وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة.

وذهب الشافعي إلا أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم عنيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول، فأما إذا نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما.

وقال ابن أبي حاتم: حدثني أبو عبد الله الظهري، أخبرنا حفص بن عمر العدني، أخبرنا الحكم بن أبان، أخبرنا عكرمة، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ^(٥). وهذا قول غريب.

والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري عند هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغاير إني أجد منك ريح مغاير، قال: «لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً»^(٦) ﴿تَبَيَّنِي مَرَضَاتُ أَزْوَاجِكُ﴾ هكذا أورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ.

وقال في كتاب الأيمان والنذور: حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا الحجاج، عن ابن جريج قال: زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول: سمعت عائشة تزعم أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ [التحریم: ١] ح ٤٩١١).

(٢) تقدم عزوه قبل الرواية السابقة.

(٣) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن، الطلاق، باب تأويل قوله ﷺ ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ ١٥١/٦) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ٨٦/١١ ح ١١٨٣٠) وسنده ضعيف لضعف مسلم وهو ابن كيسان الضبي روى عن مجاهد، وروى عنه إسرائيل. (تهذيب التهذيب ١٠/١٣٥).

(٥) سنده ضعيف لضعف حفص بن عمر العدني كما في التقريب.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثله. (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ ح ٤٩١٢).

فلتقل: إني أجد منك ريح مغاير أكلت مغاير؟ فدخل على إحداهما النبي ﷺ فقالت ذلك، فقال: «لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له»، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى ﴿إِنْ نُبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ لعائشة وحفصة: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لقوله: بل شربت عسلاً.

وقال إبراهيم بن موسى، عن هشام: ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً^(١).

وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الإسناد ولفظه قريب منه^(٢). ثم قال: المغاير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة. أغفر الرمث إذا ظهر فيه، واحدها مغفور ويقال: مغاير^(٣)، وهكذا قال الجوهري قال: وقد يكون المغفور أيضاً للعشر والثمام والسلم والطلح قال: والرمث بالكسر مرعى من مراعي الإبل، وهو من الحمض قال: العرافط: شجر من العضاء ينضج المغفور منه.

وقد روى مسلم هذا الحديث في كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم، عن حجاج، عن ابن جريج، أخبرني عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة به ولفظه كما أورده البخاري في الأيمان والنذور^(٤)، ثم قال البخاري في كتاب الطلاق: حدثنا فروة بن أبي المغراء، حدثنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرث، فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة^(٥) عسل فسقت النبي ﷺ منه شربة فقلت: أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقلولي: أكلت مغاير فإنه سيقول لك: لا. فقلولي له ما هذه الريح التي أجده؟ فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقلولي: جرست نحله العرفط، وسأقول ذلك، وقلولي له أنت يا صفية ذلك. قالت: تقول سودة: فوالله ما هو إلا أن قام على الباب، فأردت أن أنادي به بما أمرتني فرقاً منك فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغاير؟ قال: «لا» قالت: فما هذه الريح التي أجده منك؟ قال: «سقتني حفصة شربة عسل». قالت: جرست نحله العرفط، فلما دار إليّ قلت: نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجة لي فيه». قلت: تقول سودة والله لقد حرمناه. قلت لها: اسكتي^(٦). وهذا لفظ البخاري وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد، عن علي بن مسهر به، وعن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر ثلاثهم عن أبي أسامة حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة به. وعنده قالت: وكان رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، الأيمان والنذور، باب إذا حرم طعاماً ح ٦٦٩).

(٢) صحيح البخاري، الطلاق، باب ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]؟ (ح ٥٢٦٧).

(٣) هذا النص لم أجده في صحيح البخاري.

(٤) أخرجه مسلم بسنده ومثله. (الصحيح، الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرّم امرأته ولم ينو الطلاق ح ١٤٧٤).

(٥) أي: الإناء.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، الطلاق، باب ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾؟ ح ٥٢٦٨).

يشد عليه أن يوجد منه الريح يعني الريح الخبيثة، ولهذا قلن له: أكلت مغاير لأن ريحها فيه شيء، فلما قال: «بل شربت عسلاً» قلن: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العرْفُط^(١). أي: رعت نحلته شجر العرْفُط الذي صمغه المغاير، فلهذا ظهر ريحه في العسل الذي شربته.

قال الجوهري: جرس النحل العرْفُط تجرس إذا أكلته، ومنه قيل: للنحل جوارس.

قال الشاعر:

تَظَلُّ عَلَى الثَّمَرَاءِ مِنْهَا جَوَارِسُ

وقال: الْجَرَسُ وَالْجَرَسُ: الصوت الخفي، ويقال: سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله، وفي الحديث فيسمعون جرس طير الجنة. قال الأصمعي كنت في مجلس شعبة قال: فيسمعون جرس طير الجنة بالشين، فقلت: جرس. فنظر إليّ فقال: خذوها عنه فإنه أعلم بهذا منا^(٢).

والغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن خالته، عن عائشة وفي طريق ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة أن زينب بنت جحش هي التي سقته العسل، وأن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه فالله أعلم. وقد يقال: إنهما واقعتان ولا بُد في ذلك إلا أن كونها سبباً لنزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم.

ومما يدل على أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن ابن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِنْ نُوَبَّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتى حج عمر وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة فتبرَّز ثم أتاني فسكبت على يديه، فتوضاً فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إِنْ نُوَبَّأَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال عمر: وأعجباً لك يا ابن عباس. قال الزهري: كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال: هي عائشة وحفصة.

قال: ثم أخذ يسوق الحديث قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم ففطق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال: وكان منزلي في دار بني أمية بن زيد بالعوالي، قال: فغضبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. قال: فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم. قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكَن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله؟ فإذا هي قد هلكت، لا تراجعني رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً وسليني من مالي ما بدا لكي ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم؟ أي: أجمل

(١) صحيح مسلم، الباب السابق (ح/١٤٧٤). (٢) ينظر: الصحاح للجوهري ٩٠٨/٢.

وأحب إلى رسول الله ﷺ منك يريد عائشة. قال: وكان لي جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك قال: وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوماً ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت إليه فقال: حدث أمر عظيم فقلت: وما ذاك أجاءت غسان؟ قال: لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقلت: قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائناً حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت، فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة، فأتيته غلاماً له أسود فقلت: استأذن لعمر، فدخل الغلام ثم خرج إليّ فقال: ذكرت لك له فصمت، فانطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم، فجلست عنده قليلاً ثم غلبنى ما أجد، فأتيته الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم خرج إليّ فقال: قد ذكرت لك له فصمت فخرجت فجلست إلى المنبر ثم غلبنى ما أجد، فأتيته الغلام فقلت: استأذن لعمر فدخل ثم خرج إليّ فقال: قد ذكرت لك له فصمت، فوليت مدبراً فإذا الغلام يدعوني فقال: ادخل قد أذن لك، فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكئ على رمل حصير.

قال الإمام أحمد: وحدثناه يعقوب في حديث صالح قال: رمال حصير قد أثر في جنبه، فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك؟ فرفع إليّ رأسه فقال: «لا». فقلت: الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نساءهم، فغضبت على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فقلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت؟ فتبسم رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم أو أحب إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم أخرى فقلت: أستأنس يا رسول الله؟ قال: نعم. فجلست فرفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهبة ثلاثة فقلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله فاستوى جالساً وقال: أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا. فقلت: استغفر لي يا رسول الله، وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله ﷻ^(١).

وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به^(٢).

وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عبيد بن حنين، عن ابن عباس قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له قال:

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله وطوله (المسند ١/٣٤٦، ٣٥٠ ح ٢٢٢) وصححه سندَه محققوه.

(٢) صحيح البخاري، المظالم، باب الغرفة والعُلَّة المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها (ح ٢٤٦٨) وصحيح مسلم، الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخيريهن (ح ١٤٧٩/٣٤).

فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ؟ هذا لفظ البخاري ولمسلم من المرأتان اللتان؟ قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ قال: عائشة وحفصة. ثم ساق الحديث^(١) بطوله ومنهم من اختصره.

وقال مسلم أيضاً: حدثني زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، عن سماك بن الوليد أبي زميل، حدثني عبد الله بن عباس، حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس يكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب، فقلت: لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال: فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ على أسكفة المشربة فنادت فقلت: يا رباح استأذن لي على رسول الله ﷺ فذكر نحو ما تقدم إلى أن قال: فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قلبي فنزلت هذه الآية آية التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾ ﴿وَأَن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ فقلت: أطلقتهن؟ قال: «لا». فقممت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي: لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ﴾ [النساء: ٨٣] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر^(٢).

وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك وغيرهم ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أبو بكر وعمر: زاد الحسن البصري: وعثمان.

وقال [ليث بن أبي] سليم^(٣)، عن مجاهد ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: علي بن أبي طالب^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن أبي عمر، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، قال: أخبرني رجل ثقة يرفعه إلى علي قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: هو علي بن أبي طالب^(٥). إسناده ضعيف وهو منكر جداً.

وقال البخاري: حدثنا عمرو بن عون، حدثنا هشيم، عن حميد، عن أنس قال: قال عمر اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾ فنزلت هذه الآية^(٦).

وقد تقدم أنه وافق القرآن في أماكن منها في نزول الحجاب، ومنها في أسارى بدر، ومنها

(١) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿تَبَتُّنَىٰ مَرْصَاتٍ أَزْوَاجًا...﴾ [التحريم: ١] (ح ٤٩١٣) وصحيح مسلم، الباب السابق (ح ١٤٧٩/٣٣).

(٢) المصدر السابق ح ١٤٧٩/٣٠.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) في سنده ليث فيه مقال.

(٥) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن علي ﷺ، وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ...﴾ [التحريم: ١] ح ٤٩١٦).

قوله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الأنصاري، حدثنا حميد، عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي ﷺ، فاستقريتهن أقول: لتكفرن عن رسول الله ﷺ أو ليلدنه الله أزواجاً خيراً منكن، حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت: يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن، فأمسكت، فأنزل الله ﷻ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يَبْدُلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَةٍ مَوْتَةٍ قَتَلَتْ تَبَيَّنَ عِدَاتٍ سَيَحَتِ تَبَيَّنَ وَأَبْكَارًا﴾ (١).

وهذه المرأة التي ردتها عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري.

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني، حدثنا إسماعيل البجلي، حدثنا أبو عوانة، عن أبي سنان، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ قال: دخلت حفصة على النبي ﷺ في بيتها وهو يطأ مارية فقال لها رسول الله ﷺ: «لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة إن أباك يلي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنا مت»، فذهبت حفصة فأخبرت عائشة، فقالت عائشة لرسول الله ﷺ: من أنباك هذا؟ قال: «نَبَأَنِي الْعَلِيُّ الْخَيْرُ» فقالت عائشة: لا أنظر إليك حتى تحرم مارية فحرمها فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ (٢) إسناده فيه نظر، وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات ومعنى قوله: ﴿مُسْلِمَةٍ مَوْتَةٍ قَتَلَتْ تَبَيَّنَ عِدَاتٍ﴾ ظاهر.

وقوله: ﴿سَيَحَتِ﴾ أي: صائمات، قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب القرظي وأبو عبد الرحمن السلمي وأبي مالك وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وغيرهم (٣).
وتقدم في حديث مرفوع عند قوله: ﴿السَّكِينُونَ﴾ في سورة براءة ولفظه سياحة هذه الأمة الصيام (٤).

وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن: ﴿سَيَحَتِ﴾ أي: مهاجرات وتلا عبد الرحمن: ﴿السَّكِينُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] (٥). أي: المهاجرون. والقول الأول أولى، والله أعلم.

(١) هذا السند فيه اضطراب أرى فيه انقطاعاً بين الأنصاري وحميد، وابن أبي حاتم ليس كعادته أن يذكر الرجل بنسبة مبهمة كذكر الأنصاري دون ذكر اسم.

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١٧/١٢ ح ١٢٦٤٠) وسنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، وإسماعيل البجلي ضعيف (مجمع الزوائد ١٨١/٥).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظه. وتقدم تخريجه عن جمع من السلف المفسرين في تفسير سورة التوبة آية ١١٢.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ١١٢.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَتْ وَابْتَكَّرَا﴾ أي: منهن ثيبات ومنهن أبكاراً ليكون ذلك أشهى إلى النفس فإن التنوع يبسط النفس ولهذا قال: ﴿تَبَيَّنَتْ وَابْتَكَّرَا﴾.

وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا أبو بكر بن صدقة، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق، حدثنا عبد الله بن أبي أمية، حدثنا عبد القدوس، عن صالح بن حيّان، عن ابن بُريدة عن أبيه ﴿تَبَيَّنَتْ وَابْتَكَّرَا﴾ قال: وعد الله نبيه ﷺ في هذه الآية أن يزوجه بالثيب آسية امرأة فرعون، وبالبكر مريم بنت عمران^(١).

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة مريم ؑ من طريق سويد بن سعيد، حدثنا محمد بن صالح بن عمر، عن الضحاك ومجاهد، عن ابن عمر قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فمرت خديجة فقال: إن الله يقرئها السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد عن اللهب لا نصب فيه ولا صخب، من لؤلؤة [جوفاء بين]^(٢) بيت مريم عمران وبيت آسية بنت مزاحم^(٣).

ومن حديث أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال: يا خديجة إذا لقيت ضرائك فأقرئيهن مني السلام. فقالت: يا رسول الله وهل تزوجت قبلي؟ قال: «لا»، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلثم أخت موسى^(٤). ضعيف أيضاً.

وقال أبو يعلى: حدثنا إبراهيم ابن عرعة، حدثنا عبد النور بن عبد الله، حدثنا يوسف بن شعيب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون»، فقلت: هنيئاً لك يا رسول الله. وهذا أيضاً ضعيف وروي مرسلًا عن ابن أبي داود^(٥).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤْبَوْنَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارَ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

قال سفيان الثوري، عن منصور، عن رجل، عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿فَوْاْ أَنفُسَكُمْ﴾

- (١) سنده ضعيف لضعف صالح بن حيّان وهو القرشي الكوفي روى عن ابن بريدة. (تهذيب التهذيب ٤/٣٨٦).
- (٢) زيادة من طبعة البابي الحلبي التي اعتمد فيها نسخة دار الكتب. وفي الأصل (حم) بياض.
- (٣) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق، تراجم النساء ص ٣٨٣) وسنده ضعيف لضعف سويد بن سعيد (تهذيب التهذيب ٤/٢٢٥ - ٢٧٢).
- (٤) أخرجه ابن عساكر (المصدر السابق ص ٣٨٤) وسنده ضعيف جداً لأن أبا بكر الهذلي متروك كما في التقريب. وضعفه الحافظ ابن كثير.
- (٥) سنده ضعيف جداً لأن عبد النور كذاب (الضعفاء الكبير للعقيلي ٤/٤٥٩).

وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾ يقول: أدبواهم وعلموهم^(١).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾ يقول: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمروا أهلكم بالذكر ينجيكم الله من النار^(٢).

وقال مجاهد: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾ قال: اتقوا الله وأوصوا أهلكم بتقوى الله^(٣).

وقال قتادة: تأمرهم بطاعة الله، وتنههم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها وزجرتهم عنها. وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نههم الله عنه^(٤).

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، فَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا» هذا لفظ أبي داود.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن^(٥).

وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله ﷺ مثل ذلك^(٦).

قال الفقهاء: وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعاصي وترك المنكر، والله الموفق.

وقوله: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ﴾ وقودها: أي حطبها الذي يلقي فيه جثث بني آدم ﴿وَالْجِبَارَةُ﴾ قيل: المراد بها: الأصنام التي كانت تعبد لقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء] وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقر والسدي: هي ججارة من كبريت^(٧)، زاد مجاهد: أنتن من الجيفة.

[وروى ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله قال: حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحمن بن سنان المنقري]^(٨)، حدثنا عبد العزيز يعني: ابن أبي رواد قال: بلغني أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ﴾ وعنده بعض أصحابه وفيهم شيخ فقال الشيخ: يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لصخرة من صخر

(١) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف لإيهام الراوي عن علي رضي الله عنه، وقد أخرجه الحاكم موصولاً من طريق ربعي عن علي وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٩٤).

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد عن زيد بن الحباب عن عبد الملك بن الربيع به وحسنه محققوه. (المسند ٢٤/٥٦ ح ١٥٣٣٩) وأخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ح ٤٩٤) والترمذي (السنن، الصلاة، باب متى يؤمر الصبي بالصلاة ح ٤٠٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٦٥).

(٦) المصدر السابق (ح ٤٩٥). (٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٤.

(٨) زيادة من (ح) و(حم).

جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها». قال: فوق الشيخ مغشياً عليه، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو حي فناداه قال: يا شيخ قل: لا إله إلا الله، فقالها فبشره بالجنة قال: فقال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟ قال: «نعم يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾»^(١) [إبراهيم: ١٤] هذا حديث مرسل غريب. وقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتُكَ غَلَاظُ شِدَادٍ﴾ أي: طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله، ﴿شِدَادٌ﴾ أي: تركيبتهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، حدثنا أبي، عن عكرمة أنه قال: إذا وصل أول أهل النار إلى النار وجدوا على الباب أربع مئة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم كالحة أنيابهم قد نزع الله من قلوبهم الرحمة، ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر، ثم يجدون على الباب التسعة عشر، عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً ثم يهونون من باب إلى باب خمس مئة سنة، ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الأول حتى ينتهوا إلى آخرها^(٢).

وقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي: مهما أمرهم به تعالى يبادرون إليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه، وهؤلاء هم الزبانية عياداً بالله منهم.

وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣) أي: يقال للكفرة يوم القيامة لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون وإنما تجزون اليوم بأعمالكم.

ثم قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي: توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات.

قال ابن جرير: حدثنا ابن مثنى، حدثنا محمد، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، سمعت النعمان بن بشير يخطب، سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال: يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه^(٤).

وقال الثوري: عن سماك، عن النعمان، عن عمر قال: التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه^(٥).

وقال أبو الأحوص وغيره، عن سماك، عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال: أن يتوب الرجل من العمل السيئ ثم لا يعود إليه أبداً^(٥).

(١) سنده ضعيف لأنه معضل.

(٢) سنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الحكم بن أبان. (التقريب ص ٨٩).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن ويشهد له ما ثبت عن ابن مسعود ﷺ.

(٤) أخرجه الطبري والحاكم من طريق الثوري به، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٤٩٥).

(٥) أخرجه الطبري من طريق أبي الأحوص به وسنده حسن.

وقال الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال: يتوب ثم لا يعود^(١).

وقد روي هذا مرفوعاً فقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «التوبة من الذنب يتوب منه ثم لا يعود فيه»^(٢). تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والموقوف أصح، والله أعلم.

ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بطريقه. قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن عبد الكريم أخبرني زياد بن أبي مريم عن [عبد الله بن معقل]^(٣) قال: دخلت مع أبي علي عبد الله بن مسعود فقال: أنت سمعت النبي ﷺ يقول: «الندم توبة؟» قال: نعم. وقال مرة: نعم سمعته يقول: «الندمة توبة»^(٤). ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار، عن سفيان بن عيينة، عن عبد الكريم وهو ابن مالك الجزري به^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثني الوليد بن بكير أبو خباب، عن عبد الله بن محمد العدوي، عن أبي سنان البصري، عن أبي قلابة، عن زر بن حبیش، عن أبي بن كعب قال: قيل: لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة منها: نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً. قال زر: فقلت: لأبي بن كعب: فما التوبة النصوح؟ فقال: سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «هو الندم على الذنب حين يفطر منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبداً»^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا عباد بن عمرو، حدثنا أبو عمرو بن العلاء، سمعت الحسن يقول: التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته^(٧)، فأما إذا حزم بالتوبة وصمم عليها فإنها تجب ما قبلها من الخطيئات كما ثبت في

(١) أخرجه الطبري من طريق الأعمش به، وسنده صحيح. وأخرجه الحاكم من طريق عباية الأسدي عن ابن مسعود وصححه، قال الذهبي: عباية لا ذكر له في الكتب الستة (المستدرک ٢/٤٩٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٧/٢٩٩ ح ٤٢٦٤) وقال محققوه: إسناده ضعيف وقد روي مرفوعاً وموقوفاً، والصحيح وقفه.

(٣) كذا في المسند و(ح)، وفي الأصل صحف إلى: «عبد الله بن مغفل».

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٦/٣٧ ح ٣٥٦٨) وحسن سنده محققوه.

(٥) سنن ابن ماجه (الزهد، باب ذكر التوبة ح ٤٢٥٢) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٤٢٩)، وصححه سنده البوصيري (مصباح الزجاجة ٣/٣٠٨).

(٦) ذكره الحافظ ابن حجر وقال: سنده ضعيف جداً.

(٧) يشهد له ما ثبت من الروايات الصحيحة قبل السابقة.

الصحيح: «الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها»^(١).

وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك إلى الممات كما تقدم في الحديث وفي الأثر: «ثم لا يعود فيه أبداً» أو يكفي العزم على أن لا يعود في تكفير الماضي بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضاراً في تكفير ما تقدم لعموم قوله ﷺ: «التوبة تجب ما قبلها؟» ولأول أن يحتج بما ثبت في الصحيح أيضاً: «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر»^(٢) فإذا كان هذا في الإسلام الذي هو أقوى من التوبة فالتوبة بطريق الأولى والله أعلم.

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وعسى من الله موجبة ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ أي: ولا يخزيهم معه يعني يوم القيامة ﴿تُورِيهِمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ كما تقدم في سورة الحديد: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم: [هذا يقوله]^(٣) المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفى^(٤).

وقال محمد بن نصر المروزي: حدثنا محمد بن مقاتل المروزي، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا ابن لهيعة، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أنه سمع أبا ذرّ وأبا الدرداء قالا: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر بين يدي، فأعرف أمي من بين الأمم، وأنظر عن يميني فأعرف أمي من بين الأمم، وأنظر عن شمالي فأعرف أمي من بين الأمم. فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف أمك من بين الأمم؟ قال: «غرّ محجلون من آثار الطهور، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم»^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، حدثنا ابن المبارك، عن يحيى بن حسان، عن رجل من بني كنانة قال: صليت خلف رسول الله ﷺ عام الفتح فسمعتة يقول: «اللهم لا تخزني يوم القيامة»^(٦).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنفال آية ٣٨. (٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنفال آية ٣٨.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الحاكم والطبري من طريق مجاهد عن يزيد بن شجرة الرهاوي، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٣/٤٩٤).

(٥) أخرجه المروزي بسنده ومثته (تعظيم قدر الصلاة رقم ٢٦١) وسنده حسن لأن الراوي عن ابن لهيعة هو أحد العبادلة الذين رواوا عن ابن لهيعة قبل احتراق كتبه. وأخرجه الإمام أحمد من طريق ابن لهيعة به دون ذكر أبي ذر. (المسند ٣٦/٦٥ ح ٢١٧٣٧) قال محققوه: حسن لغيره دون قوله: «وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم...» اهـ.

وأخرجه الحاكم من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٤٧٨).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٩/٥٩٦ ح ١٨٠٥٦) وصححه سند محققوه.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ۝٩﴾
 ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۝١٠﴾

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم: ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ أي: في الآخرة. ثم قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدي عنهم شيئاً ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم، ثم ذكر المثل فقال: ﴿امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ أي: نبين رسولين عندهما في صحبتها ليلًا ونهاراً يؤاكلانهما ويصاحبانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً، ولهذا قال: ﴿فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لكفرهما ﴿وَقِيلَ﴾ أي: للمرأتين: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ وليس المراد بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة بل في الدين فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء كما قدمنا في سورة النور.

قال سفيان الثوري: عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن قتة سمعت ابن عباس يقول في هذه الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدلُّ قومها على أضيافه^(١).

وقال العوفي، عن ابن عباس قال: كانت خيانتها أنهما كانتا على عورتيهما فكانت امرأة نوح تطلع على سرِّ نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء^(٢).

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط إنما كانت خيانتها في الدين^(٣)، وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك^(٤) وغيرهم.

وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذي يأثره كثير من الناس: «من أكل مع مغفور له غفر له» وهذا الحديث لا أصل له، وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله أنت قلت: «من أكل مع مغفور له غفر له؟» قال: لا ولكني الآن أقوله^(٥).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة هود آية ٤٦.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الضحاك به، والضحاك لم يلق ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسندين عن عكرمة يقوي أحدهما الآخر، وأخرجه أيضاً الطبري بسند جيد من طريق أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير.

(٥) ذكره ابن القيم وقال: موضوع (المنار المنيف ص ١٤٠) وأيده الألباني في السلسلة الضعيفة ٣٢٦/١ (ح ٣١٥).

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَذِكْرُ الْيَاقُوتِ الْكَافُرِ ﴿١٢﴾﴾

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُتَّقُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّا﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال قتادة: كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعده، فوالله ما ضرَّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه^(١).

وقال جرير: حدثنا إسماعيل بن حفص الأبلِّي، حدثنا محمد بن جعفر، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان قال: كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة^(٢). ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربي، عن أسباط بن محمد، عن سليمان التيمي به^(٣). ثم قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عليه، عن هشام الدستوائي، حدثنا القاسم بن أبي بزة قال: كانت امرأة فرعون تسأل من غلب فيقال: غلب موسى وهارون فتقول: آمنت بربِّ موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فإنها امرأتي، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح^(٤) فقولها: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ قالت العلماء: اختارت الجار قبل الدار، وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع: «ونجني من فرعون وعمله» أي: خلصني منه، فإني أبرأ إليك من عمله ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها.

وقال أبو جعفر الرازي: عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوق المشط من يدها فقالت: تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون: ولك ربٌّ غير أبي؟ قالت: نعم ربي ورب أبيك ورب كل شيء الله. فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها، فأرسل إليها فرعون فقال: تعبدين رباً غيري؟ قالت: نعم ربي وربك ورب كل شيء الله وإياه أعبد، فعذبها فرعون وأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات، فكانت كذلك، فأتى عليها يوماً فقال: ما أنت منتهية؟ فقالت له: ربي وربك ورب كل شيء الله. فقال لها: إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلني. فقالت له: اقض ما أنت قاضٍ، فذبح ابنها في فيها وإن روح ابنها بشرها

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه الحاكم من طريق يزيد بن هارون عن سليمان التيمي به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٤٩٦).

(٣) أخرجه الطبري عن عبيد به.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإرساله.

فقال لها: أبشري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا، فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك، فقالت له مثل ذلك، فذبح ابنها الآخر في فيها فبشرها روحه أيضاً، وقال لها: اصبري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا، قال: وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فأمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون، وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيماناً و يقيناً وتصديقاً، فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال للملأ: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها. فقال لهم: إنها تعبد غيري! فقالوا له: اقتلها فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت: ﴿رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأيت بيتها في الجنة، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك، فقبض الله روحها في الجنة ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: حفظته وصانته والإحصان هو العفاف والحرية فنفعنا فيه من روحنا أي: بواسطة الملك وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسى ﷺ^(١). ولهذا قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾ أي: بقدره وشرعه ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْآفَتَيْنِ﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا داود بن أبي الفرات، عن علباء، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، وقال: «أتدرون ما هذا؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»^(٢).

وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة بن عمرو بن مرة، عن مرة الهمداني، عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «كُمُلُ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٣).

وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى ابن مريم ﷺ في كتابنا البداية والنهاية^(٤)، والله الحمد والمنة وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه ﷺ في الجنة عند قوله تعالى: ﴿ثِيَابُكَ وَأَتَّكَارًا﴾^(٥).

آخر تفسير سورة التحريم، والله الحمد.

(١) سنده ضعيف لإرساله.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/٤٠٩ ح ٢٦٦٨) وصححه سنده محققوه، وأخرجه الحاكم من طريق داود بن أبي الفرات به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٩٧).

(٣) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١١] (ح ٣٤١١) وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﷺ (ح ٢٤٣١).

(٥) آية ٥ من هذه السورة الكريمة.

(٤) ٥٥/٢ - ٥٨.

سُورَةُ الْمُلْكِ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر؛ قالا: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن عياش الجشمي، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى غُفر له: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدْرِؤُ الْمُلْكَ﴾»^(١). ورواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن^(٢).

وقد روى الطبراني والحافظ الضياء المقدسي من طريق سلام بن مسكين، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدْرِؤُ الْمُلْكَ﴾»^(٣).

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكري، عن أبيه، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك ﴿تَبَارَكَ﴾ حتى ختمها، فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر»، ثم قال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي هريرة^(٤).

ثم روى الترمذي أيضاً من طريق ليث بن أبي سليم، عن أبي الزبير، عن جابر أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الْمَ تَنْزِيلُ﴾ [السجدة: ١، ٢] و﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدْرِؤُ الْمُلْكَ﴾^(٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٨/١٤ ح ٨٢٧٦) وقال محققوه: حسن لغيره. اهـ. وصححه أحمد شاكر (المسند ح ٨٢٥٩).

(٢) سنن أبي داود، الصلاة، باب في عد الآي (ح ١٤٠٠)؛ وسنن الترمذي، ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك (ح ٢٨٩٣)؛ والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، باب سورة الملك (ح ١٦١١٢)؛ وسنن ابن ماجه، الأدب، باب ثواب القرآن (ح ٣٧٨٦)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٠٥٣)؛ وأخرجه الحاكم من طريق قتادة به؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٩٧/٢).

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الصغير ١/١٧٦)؛ والمقدسي من طريق سلام به (المختارة ٥/١١٤ ح ١٧٣٨) وحسنه محققه. وقال الهيثمي بعد عزوه للطبراني: رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٧/١٢٧).

(٤) أخرجه الترمذي بسنده ومثته وتعليقه (السنن، فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك ح ٢٨٩٠).

(٥) أخرجه الترمذي ثم ضعفه بقوله: وروى زهير قال: قلت لأبي الزبير: سمعت من جابر، فذكر هذا الحديث. فقال أبو الزبير: إنما أخبرني صفوان أو ابن صفوان، وكأن زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر. (المصدر السابق ح ٢٨٩٢).

وقال ليث: عن طاوس يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة^(١).

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن الحسين بن عجلان الأصبهاني، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي» يعني: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ﴾^(٢)، هذا حديث غريب وإبراهيم ضعيف، وقد تقدم مثله في سورة يس.

وقد روى هذا الحديث عَبْدُ بن حميد في مسنده بأبسط من هذا فقال: حدثنا إبراهيم ابن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال لرجل: ألا أتخفك بحديث تفرح به؟ قال: بلى. قال: اقرأ ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ﴾ وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك، فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له [أن تُنجيه]^(٣) من عذاب النار، وينجي بها صاحبها من عذاب القبر. قال رسول الله ﷺ: «لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي».

وقد روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد أبي عبد الله القرشي النيسابوري المقرئ الزاهد الفقيه أحد الثقات الذين روى عنهم البخاري ومسلم لكن في غير الصحيحين، وروى عنه الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وعليه تفقه في مذهب أبي عبيد بن حريويه وخلق سواهم، ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب، عن الزهري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله إلا «تبارك»، فلما وضع في حفرة أتاه الملك فثارت السورة في وجهه، فقال لها: إنك من كتاب الله، وأنا أكره مساءتك، وإني لا أملك لك ولا له ولا لنفسي ضرراً ولا نفعاً، فإن أردت هذا به فانطلقني إلى الربِّ تبارك وتعالى فاشفعني له، فتنطلق إلى الربِّ فتقول: يا ربِّ إن فلاناً عمداً إليّ ما بين كتابك، فتعلمني وتلاني أفتحرقه أنت بالنار وتعذبه وأنا في جوفه، فإن كنت فاعلاً ذاك به فامحني من كتابك، فيقول: ألا أراك غضبت فتقول: وحقُّ لي أن أغضب. فيقول: اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه، قال: فتجيء الملك فيخرج خاسف البال لم يحلّ منه شيء قال: فتجيء فتضع فاها على فيه، فتقول مرحباً بهذا الفم فربما تلاني، ومرحباً بهذا الصدر فربما وعاني، ومرحباً بهاتين القدمين فربما قامتا بي وتؤنسني في قبره مخافة الوحشة عليه». قال: فلما حدث بهذا رسول الله ﷺ لم يبق صغير ولا كبير ولا حرّ ولا عبد إلا تعلمها وسماها رسول الله ﷺ: المنجية^(٤).

قلت: وهذا حديث منكر جداً وفرات بن السائب هذا ضعفه الإمام أحمد ويحيى بن معين والبخاري وأبو حاتم والدارقطني وغير واحد. وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري من

(١) أخرجه الترمذي، وسنده مرسل. (المصدر السابق بعد ح ٢٨٩٢).

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٢٤١/١١ ح ١١٦١٦) وسنده ضعيف لضعف إبراهيم بن الحكم بن أبان كما في التقريب وانظر: (مجمع الزوائد ١٣٠/٧).

(٣) كذا في (ح)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٢/٢٥٦) وسنده ضعيف لضعف فرات بن السائب كما قرر ونقل الحافظ ابن كثير.

قوله مختصراً وروى البيهقي في كتاب «إثبات عذاب القبر»^(١) عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً ما يشهد لهذا، وقد كتبناه في كتاب الجنائز من الأحكام الكبرى والله الحمد والمنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَنجِبِ الْبَصَرَ ۚ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۚ ثُمَّ أُنْجِبِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝﴾

يمجد تعالى نفسه الكريمة، ويخبر أنه بيده الملك؛ أي: هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء؛ لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ واستدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي؛ لأنه مخلوق، ومعنى الآية أنه أوجد الخلاق من العدم ليبلوهم؛ أي: يختبرهم أيهم أحسن عملاً كما قال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فسمى الحال الأول وهو العدم موتاً، وسمى هذه النشأة حياة، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا خُليد، عن قتادة في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أذلّ بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء»^(٢). ورواه معمر، عن قتادة^(٣).

وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خير عملاً؛ كما قال محمد بن عجلان: ولم يقل أكثر عملاً.

ثم قال: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ أي: هو العزيز العظيم المنيع الجنب، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأتاب، بعدما عصاه وخالف أمره وإن كان تعالى عزيزاً هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز.

ثم قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: طبقة بعد طبقة، وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض أو متفاصلات بينهما خلاء؟

فيه قولان: أحدهما الثاني كما دلّ على ذلك حديث الإسراء وغيره.

وقوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ أي: بل هو مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا

(١) أخرجه الحاكم من طريق زر بن حبیش عن ابن مسعود موقوفاً مختصراً؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٩٨/٢)؛ وأخرجه البيهقي من طريق مسروق عن ابن مسعود مختصراً (إثبات عذاب القبر رقم ٩٩).

(٢) سنده ضعيف لإرساله.

(٣) أخرجه الطبري من طريق معمر به، وسنده كسابقه.

تتأخر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل؛ ولهذا قال: ﴿فَأَرْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً؟

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى: ﴿فَأَرْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾: أي شقوق^(١).

وعن السدي: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: من خروق.

وقال ابن عباس في رواية: ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: من وهاء^(٢).

وقال قتادة: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: هل ترى خللاً يا ابن آدم^(٣)؟

وقوله: ﴿ثُمَّ أَوَّجَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ قال قتادة: مرتين.

﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ قال ابن عباس: ذليلاً^(٤).

وقال مجاهد وقاتة: صاغراً^(٥).

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ قال ابن عباس يعني: وهو كليل.

وقال مجاهد وقاتة والسدي: الحسير: المنقطع من الإعياء^(٦).

ومعنى الآية: أنك لو كررت البصر مهما كررت لانقلب إليك؛ أي: لرجع إليك البصر خاسئاً عن أن يرى عيباً أو خللاً، وهو حسير أي: كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار، ولا يرى نقصاً.

ولما نفى عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثواب.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ على جنس المصابيح لا على عينها؛ لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أي: جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا وأعدنا لهم عذاب السعير في الآخرة كما قال تعالى في أول الصافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوكَبِ ۖ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَلْأَلَىٰ أَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ ۞ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۖ ۞ إِلَّا مَنْ خَلَفَ الْخَظْفَةَ فَاتَّبَعُهُمْ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۖ ۞﴾ [الصافات] قال قتادة: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها الله زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها، فمن تأول

(١) عزاه السيوطي إلى الطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس، ولكن لم أجده في الطبري.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

بلفظ: الوهي. والوهي هو: الشق.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق سعيد بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «مُعْيٍ».

فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به.
رواه ابن جرير^(١) وابن أبي حاتم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ①﴾ إِذَا أَلْقَا فِيهَا سَمْعُوا لَهَا شَيْقًا وَهِيَ تَفُورُ ②
تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ③ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا
مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ④ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑤
فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑥﴾.

يقول تعالى ﴿و﴾ اعتدنا للذين ﴿كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: بشس المال والمنقلب. ﴿إِذَا أَلْقَا فِيهَا سَمْعُوا لَهَا شَيْقًا﴾ قال ابن جرير: يعني الصياح.
﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ قال الثوري: تغلي بهم كما يغلي الحَبُّ القليل في الماء الكثير.

وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ③﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ④﴾ يذكر تعالى عدله في خلقه؛ وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: لو كانت لنا عقول نتفجع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما نحن عليه من الكفر بالله والاعتزاز به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم؛ قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑥﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري الطائي قال: أخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال: «لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم»^(٢).

وفي حديث آخر: «لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة»^(٣).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٢٢/٣٠ ح ١٨٢٨٩) وصححه سننه محققوه؛ وأخرجه أبو داود من طريق شعبة به (السنن، الملاحم، باب الأمر والنهي ح ٤٣٤٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٨٢٠/٣؛ وحسنه البغوي (مشكاة المصابيح ١٤٢٤/٣ ح ٥١٤٦)؛ وحسنه السيوطي (الجامع الصغير ٣٠٤/٥ ح ٧٣٩٧).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ؓ مرفوعاً بلفظ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء» (الصحيح، الرقاق، باب صفة الجنة والنار ح ٦٥٦٩).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢) ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥).

يقول تعالى مخبراً عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأن له مغفرة وأجر كبير أن تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحين «سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فذكر منهم رجلاً دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»^(١).

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا طالوت بن عباد، حدثنا الحارث بن عبيد، عن ثابت، عن أنس قال: قالوا: يا رسول الله إنا نكون عندك على حال فإذا فارقتك كنا على غيره! قال: «كيف أنتم وربكم؟» قالوا: الله ربنا في السر والعلانية. قال: «ليس ذلكم النفاق». قال البزار: لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعلمه^(٢).

ثم قال تعالى منبهاً على أنه مطلع على الضمائر والسرائر: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) أي: بما يخطر في القلوب ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي: ألا يعلم الخالق وقيل: معناه ألا يعلم الله مخلوقه. والأول أولى لقوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك من السبل، وهياً فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار فقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أي: فاسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ فالسعي في السبب لا ينافي التوكل كما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيو، أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول أنه سمع أبا تميم الجشاني يقول أنه سمع عمر بن الخطاب يقول أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»^(٣). رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة. وقال الترمذي: حسن صحيح^(٤).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢٧١.

(٢) أخرجه البزار بسنده ومثته وتعليقه وقال الحافظ ابن حجر: والحارث له منكر وإن أخرج له في الصحيح (مختصر زوائد مسند البزار ١/٦٦، ٦٧ ح ١٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١/٣٣٢ ح ٢٠٥) قال محققوه: إسناده قوي.

(٤) سنن الترمذي، الزهد، باب في التوكل على الله (ح ٢٣٤٥)؛ وسنن ابن ماجه، الزهد، باب التوكل واليقين (ح ٤١٦٤)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٣٥٩).

فَأُثْبِتَ لَهَا رَوْحاً وَغَدَوْاً لَطْلُبَ الرِّزْقِ مَعَ تَوَكُّلِهَا عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَهُوَ الْمَسْحَرُ الْمَسِيرُ الْمُسَبَّبُ ﴿وَالْيَوْمَ الشُّورُ﴾ أَي: الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة: ﴿مَنَّاكِهَا﴾: أَطْرَافُهَا وَفَجَاجِهَا وَنَوَاحِيهَا^(١).

وقال ابن عباس وقتادة أيضاً: ﴿مَنَّاكِهَا﴾: الْجِبَالُ^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَكَّامٍ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ جَبْرِ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَّاكِهَا﴾ فَقَالَ: لَأُمُّ وَلَدٍ لَّهُ: إِنْ عَلِمْتَ مَا مَنَّاكِهَا؟ فَأَنْتَ عَتِيقَةٌ. فَقَالَتْ: هِيَ الْجِبَالُ، فَسَأَلَ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ: هِيَ الْجِبَالُ^(٣).

﴿أَمِنْتُمْ مَنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْفَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩).

وهذا أيضاً من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم، بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل كما قال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (٢٥) [فاطر].

وقال ههنا: ﴿أَمِنْتُمْ مَنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) أَي: تَذْهَبُ وَتَجِيءُ وَتَنْضَطِرِبُ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أَي: رِيحاً فِيهَا حَصَبَاءُ تَدْمِغُكُمْ كَمَا قَالَ: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ (١٨) [الإسراء] وهكذا توعدهم ههنا بقوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ أَي: كَيْفَ يَكُونُ إِنْذَارِي وَعَاقِبَةُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ وَكَذَّبَ بِهِ.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أَي: مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أَي: فَكَيْفَ كَانَ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ وَمَعَاقِبَتِي لَهُمْ؛ أَي: عَظِيماً شَدِيداً أَلِيماً. ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْفَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ أَي: تَارَةً يَصْفِقْنَ أَجْنَحَتَهُنَّ فِي الْهَوَاءِ وَتَارَةً تَجْمَعُ جَنَاحاً وَتَنْشُرُ جَنَاحاً ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ أَي: فِي الْجَوِّ ﴿إِلَّا الرِّحْمَنُ﴾ أَي: بِمَا سَخَّرَ لَهُنَّ مِنَ الْهَوَاءِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ أَي: بِمَا يَصْلُحُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٩) [النحل].

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس؛ ويتقوى بما أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) سنده ضعيف لضعف عمرو بن حكام (لسان الميزان ٣٦٠/٤). والتفسير يتقوى بسابقه.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصُرُّكَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (٢٠) ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (٢١) ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢) ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣) ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥) ﴿قُلْ إِنَّمَا الْغَلْطُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢٦) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وَجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ (٢٧).

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصراً ورزقاً منكراً عليهم فيما اعتقدوه ومخبراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه فقال: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصُرُّكَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: ليس من دونه من ولي ولا وافي ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾.

ثم قال: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ أي: من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده؟ أي: لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله ﷻ وحده لا شريك له؛ أي: وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال: ﴿بَلْ لَجُوا﴾ أي: استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم ﴿فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ أي: في معاندة واستكبار ونفور على أدبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه.

ثم قال: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢) وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكباً على وجهه؛ أي: يمشي منحنيلاً لا مستوياً على وجهه؛ أي: لا يدري أين يسلك؟ ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضالّ أهذا أهدى ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ أي: منتصب القامة ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سويّاً على صراط مستقيم مفض به إلى الجنة الفياض، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٣) ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (٢٤) ﴿وَقَفُّوا لَهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٥) ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ﴾ (٢٦) ﴿بَلْ هُمْ آتِيَمٌ مُتَسَلِّمُونَ﴾ (٢٧) [الصفات].

قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا ابن نمير، حدثنا إسماعيل، عن نفيح قال: سمعت أنس ابن مالك يقول: قيل: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟ فقال: «أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»^(١)؟ وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق [يونس بن محمد، عن شيان، عن قتادة، عن أنس به نحوه]^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٠/١٣١ ح ١٢٧٠٨) وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف جداً! ولو قالوا: مثله صحيح، أو له شواهد لكان أحسن.

(٢) في الأصول الخطية بياض واستدرك من الصحيحين فقد أخرجه الشيخان من طريق يونس بن محمد به. (صحيح البخاري، التفسير، سورة الفرقان باب ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ...﴾ [الفرقان: ٢٤ ح ٤٧٦٠])؛ وصحيح مسلم، صفات المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه ح ٢٨٠٦.

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ أي: ابتداء خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أي: العقول والإدراك ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتنال أوامره وترك زواجه.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بثكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم وحلاكم وأشكالكم وصوركم ﴿وَالْيَايُوهُ يُخْشَرُونَ﴾ أي: تجمعون بعد هذا التفرق والشتات، يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم.

ثم قال مخبراً عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٥) أي: متى يقع هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله ﷻ، لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه ﴿وَلِنَمَّا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أي: وإنما علي البلاغ وقد أدبته إليكم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا أن الأمر كان قريباً لأن كل ما هو آت آت وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك لما يعلمون ما لهم هناك من الشر أي: فأحاط بهم ذلك وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (١٦) وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٧﴾ [الزمر] ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ أي: تستعجلون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوَا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَلَأٍ مَّعِينٍ ﴿٢٠﴾.

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: خلصوا أنفسكم، فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، فسواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم.

ثم قال: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم، وعليه توكلنا في جميع أمورنا كما قال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] ولهذا قال: ﴿فَسْتَعْلَمُونَ مَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: منا ومنكم ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة؟

ثم قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوَا﴾ أي: ذاهباً في الأرض إلى أسفل فلا يُنال بالفؤوس الجِداد ولا السواعد الشداد. والغائر: عكس النابع ولهذا قال: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَلَأٍ مَّعِينٍ﴾ أي: نابع سائح جار على وجه الأرض؛ أي: لا يقدر على ذلك إلا الله ﷻ، فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة. فله الحمد والمنة. آخر تفسير سورة الملك.

سُورَةُ الْقَلَمِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِغَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة وأن قوله تعالى: ﴿ت﴾ كقوله: ﴿ص﴾ ﴿ق﴾ ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور، وتحريير القول في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقيل: المراد بقوله: ﴿ت﴾ حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا يحيى، حدثنا سفيان هو: الثوري، حدثنا سليمان هو: الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم قال: اكتب. قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب القدر، فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة، ثم خلق النون ورفع بخار الماء، ففتقت منه السماء، وبسطت الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإنها لتفخر على الأرض^(١). وكذا رواه ابن أبي حاتم، عن أحمد بن سنان، عن أبي معاوية، عن الأعمش به^(٢). وهكذا رواه شعبة ومحمد بن فضيل ووکیع، عن الأعمش به. وزاد شعبة في روايته ثم قرأ: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٣) وقد رواه شريك، عن الأعمش، عن أبي ظبيان أو مجاهد، عن ابن عباس فذكر نحوه^(٤). ورواه معمر، عن الأعمش أن ابن عباس قال: فذكره ثم قرأ: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٥) ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن عطاء، عن أبي الضحى، عن ابن عباس قال: إن أول شيء خلق ربي ﷻ القلم، ثم قال له: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى أن

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثله؛ وأخرجه الحاكم من طريق جرير عن الأعمش به؛ وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٩٨/٢). وفيه غرائب وخصوصاً في آخره، ولعله من أخبار أهل الكتاب المسكوت عنها.

(٢) سنده ومثله كسابقه.

(٣) أخرجه الطبري من هذه الطرق وبهذه الزيادة عن شعبة.

(٤) أخرجه الطبري وسنده ومثله كسابقه.

(٥) أخرجه الطبري من طريق ابن ثور عن معمر به، وسنده ضعيف لأن الأعمش لم يسمع من ابن عباس.

تقوم الساعة، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الأرض عليه^(١).

وقد روى الطبراني ذلك مرفوعاً فقال: حدثنا أبو حبيب [زيد بن]^(٢) المهدي المروزي، حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى مسلم بن ضبيح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم والحوث. قال للقلم: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة ثم قرأ ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾» فالنون الحوث، والقلم القلم^(٣).

حديث آخر في ذلك رواه ابن عساكر، عن أبي عبد الله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون وهي: الدواة ثم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون أو ما هو كائن من عمل أو رزق أو أثر أو أجل، فكتب ذلك إلى يوم القيامة فذلك قوله: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾» ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل، وقال: وعزتي لأكملنك [فيمن أحبت، ولأنقصنك ممن أبغضت]^(٤).

وقال ابن أبي نجيج: إن إبراهيم بن أبي بكر أخبره عن مجاهد قال: كان يقال: النون الحوث العظيم الذي تحت الأرض السابعة^(٥).

وقد ذكر البغوي رحمه الله وجماعة من المفسرين أن على ظهر هذا الحوث صخرة سمكها كغلظ السماوات والأرض وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن، وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن^(٦). والله أعلم.

ومن العجيب أن بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا حميد، عن أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه فسأله عن أشياء قال: إني سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، قال: ما أول أسرار الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه؟ وما بال الولد ينزع إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفاً، قال ابن سلام: فذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: أما أول أسرار الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوث، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع^(٧).

(١) أخرجه الطبري بسند ومنتنه؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس من طريق ورقاء عن عطاء بن السائب به؛ وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد من طريق جرير به (السنة رقم ٨٧١). وسنده حسن، ويتقوى بسابقه.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٤٣٣/١١ ح ١٢٢٢٧) في سنده مؤمل وعطاء وكلاهما فيهما مقال. قال الهيثمي: ومؤمل كثير الخطأ. (مجمع الزوائد ١٣١/٧).

(٤) في الأصل بياض والزيادة من رواية ابن عساكر (تاريخ دمشق ١٧/٤٩٢) وهو حديث ضعيف قال ابن القيم: أحاديث العقل كلها كذب. (المنار المنيف ٩٦).

(٥) أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجيج به، وسنده ضعيف لإرساله، وهو من الإسرائيليات.

(٦) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٣٧٤/٤) والخبر من الإسرائيليات الغريبة.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومنتنه (المسند ١٨٩/٣) وسنده صحيح.

ورواه البخاري من طرق عن حميد^(١). ورواه مسلم أيضاً وله من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ نحو هذا، وفي صحيح مسلم من حديث أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان أن حبراً سأل رسول الله ﷺ عن مسائل، فكان منها أن قال: فما تحفتهم؟ - يعني أهل الجنة حين يدخلون الجنة - قال: زيادة كبد الحوت. قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها. قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها تسمى سلسيلاً^(٢). وقيل: المراد بقوله: ﴿ت﴾ لوح من نور.

قال ابن جرير: حدثنا الحسن بن شبيب المكتب، حدثنا محمد بن زياد الجزري، عن فرات بن أبي الفرات، عن معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ت﴾ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة^(٣). وهذا مرسل غريب. وقال ابن جريج: أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مئة عام^(٤).

وقيل: المراد بقوله: ﴿ت﴾ دواة ﴿وَالْقَلَمِ﴾ القلم.

قال ابن جرير: حدثنا عبد الأعلى، حدثنا أبو ثور، عن معمر، عن الحسن وقتادة في قوله: ﴿ت﴾ قالوا: هي الدواة^(٥).

وقد روي في هذا حديث مرفوع غريب جداً فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الحسن بن يحيى، حدثنا أبو عبد الله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله النون وهي: الدواة»^(٦).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب، حدثنا أخي عيسى بن عبد الله، حدثنا ثابت الثمالي، عن ابن عباس قال: إن الله خلق النون، وهي الدواة، وخلق القلم فقال: اكتب. قال: وما اكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول به بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام، ثم الزم كل شيء من ذلك من شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم؟ وخروجه منها كيف؟ ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزاناً، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل أتت الحفظة الخزانة يطلبون عمل ذلك اليوم، فتقول لهم الخزانة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيء. فترجع الحفظة فيجدونها قد ماتوا^(٧) قال: فقال ابن عباس أستم قوماً عرباً تسمعون الحفظة يقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]؟ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل؟

(١) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (ح ٣٣٢٩).

(٢) أخرجه مسلم من طريق أبي سلام عن أبي أسماء الرحبي به مطولاً. (الصحيح، الحيض، باب بيان صفة مني الرجل. ح ٣١٥).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وضعف الحافظ ابن كثير لإرساله.

(٤) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يصرح بسنده.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٦) استغربه الحافظ ابن كثير جداً، وذكره بصيغة التمريض لضعفه.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف ثابت الثمالي. (التقريب ص ١٣٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالْقَلَمِ﴾ الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) [العلق] فهو قسم منه تعالى، وتنبيهه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ولهذا قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني: وما يكتبون^(١).

وقال أبو الضحى، عن ابن عباس ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: وما يعملون.

وقال السدي: ﴿يَسْطُرُونَ﴾ يعني: الملائكة وما تكتب من أعمال العباد^(٢).

وقال آخرون: بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف عام.

وأوردوا في ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن يحيى بن سعيد القطان ويونس بن حبيب قالا: حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا عبد الواحد بن سليم السلمي، عن عطاء هو: ابن أبي رباح، حدثني الوليد بن عباد بن الصامت قال: دعاني أبي حين حضره الموت فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب القدر وما هو كائن إلى الأبد»^(٣). وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد من طرق عن الوليد بن عباد، عن أبيه به^(٤). وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به وقال: حسن صحيح غريب، ورواه أبو داود في كتاب السنة من سننه عن جعفر بن مسافر، عن يحيى بن حسان، عن أبي رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة واسمه حُنيش بن شريح الحبشي الشامي، عن عبادة فذكره^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي، حدثنا علي بن الحسين بن شقيق، أنبأنا عبد الله بن المبارك، حدثنا رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بزة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: إن أول شيء خلقه الله القلم، فأمره فكتب كل شيء^(٦). غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَالْقَلَمِ﴾ يعني: الذي كتب به الذكر^(٧).

(١) أخرجه الحاكم من طريق أبي ظبيان عن ابن عباس؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٤٩٩)؛ وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطيالسي عن عبد الواحد بن سليم به (المسند ص ٧٩ رقم ٥٧٧)؛ وأخرجه الإمام أحمد والترمذي من طرق أخرى ترقى إلى تحسين الإسناد كما سيأتي.

(٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق أيوب بن زياد عن عبادة بن الوليد بن عباد به (المسند ٣٧/٣٨٠، ٣٨١ ح ٢٢٧٠٦) وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٥) سنن الترمذي، القدر، باب رقم (١٧) (ح ١٥٥)؛ وسنن أبي داود، السنة، باب في القدر (ح ٤٧٠٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٩٣٣)؛ وصححه الحافظ ابن حجر (ينظر كشف الخفاء ١/٢٦٣).

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وشيخ الطبري لم أجد له ترجمة لكن يشهد له سابقه.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: يكتبون كما تقدم.

وقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: ولست والله الحمد بمجنون كما يقوله الجهالة من قومك المكذبون بما جنتهم به من الهدى والحق المبين فنسبك فيه إلى الجنون ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: بل إن لك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على أذاهم.

ومعنى ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع كقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾ [هود: ١٠٨] ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦] أي: غير مقطوع عنهم.

وقال مجاهد: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير محسوب^(١)، وهو يرجع إلى ما قلناه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال العوفي عن ابن عباس: «وإنك لعلی دين عظيم» وهو الإسلام وكذلك قال مجاهد وأبو مالك السدي والربيع بن أنس وكذا قال الضحاك وابن زيد^(٢):

وقال عطية: لعلی أدب عظيم^(٣).

وقال معمر، عن قتادة: سُئِلَتْ عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن، يقول سعيد: تقول كما هو: في القرآن^(٤).

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ذكر لنا أن سعد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قال: بلى. قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن^(٥).

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة فقلت: أخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله ﷺ. فقالت: أتقرأ القرآن؟ فقلت: نعم. فقالت: كان خلقه القرآن^(٦). هذا مختصر من حديث طويل وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتي في سورة المزمل^(٧) إن شاء الله تعالى، وبه الثقة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا يونس، عن الحسن قال: سُئِلَتْ عائشة عن خلق

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «دين عظيم»، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن ابن عباس بلفظ: «الدين».

(٣) أخرجه ابن المبارك (الزهد رقم ٦٧٨)؛ والطبري بسند حسن من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية.

(٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق معمر به، وسنده منقطع لأن قتادة لم يسمع من عائشة؛ وأخرجه الحاكم متصلاً من طريق قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام بن عامر عن عائشة؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٤٩٩/٢).

(٥) أخرجه الطبري من طريق سعيد به، وفيه انقطاع وقد تقدم موصولاً.

(٦) تقدم تخريجه في رواية الحاكم قبل الرواية السابقة.

(٧) سيأتي في تفسير سورة المزمل آية ١ - ٩.

رسول الله ﷺ. فقالت: كان خلقه القرآن^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود، حدثنا شريك، عن قيس بن وهب، عن رجل من بني سواد قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ. فقالت: أما تقرأ القرآن ﴿وَلَنْكَ لَعَلِّي خُلِّي عَظِيمٌ﴾؟ قال: قلت: حدثني عن ذلك. قالت: صنعت له طعاماً، وصنعت له حفصة طعاماً، فقلت لجاريتي: اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعتة قبل فاطمحي الطعام، قالت: فجاءت بالطعام قالت: فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت، وكان نطعُ قالت: فجمعه رسول الله ﷺ وقال: اقتصوا أو اقتصي - شك أسود - ظرفاً مكان ظرفك، قالت: فما قال شيئاً^(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا عبيد بن آدم بن أبي أياس، حدثنا أبي، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن سعد بن هشام قال: أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت لها: أخبريني بخلق النبي ﷺ. فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ ﴿وَلَنْكَ لَعَلِّي خُلِّي عَظِيمٌ﴾؟ وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه^(٣).

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، أخبرني معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفير قال: حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها، فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ. فقالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن^(٤). وهكذا رواه أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي، ورواه النسائي في التفسير عن إسحاق بن منصور، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح به^(٥).

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعّله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف. قط، ولا قال: لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته^(٦)؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شمتت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ.

وقال البخاري: حدثنا [أحمد بن سعيد أبو عبد الله]^(٧) حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٣/١٥ ح ٢٥٨١٣). وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد فيه انقطاع، الحسن وهو البصري إنما سمعه من سعد بن هشام عن عائشة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤١/٣٠٨ ح ٢٤٨٠٠) وضعف سنده محققوه لإبهام الراوي عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وتقدم تخريج الحاكم وتصحيحه قبل خمس روايات.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح.

(٥) (المسند ٤٢/٣٥٣ ح ٢٥٥٤٧) وصححه محققوه؛ وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، التفسير، (ح ١١١٣٨).

(٦) أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه بنحوه (الصحيح، الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ح ٢٣٠٩).

(٧) زيادة من صحيح البخاري.

إبراهيم بن يونس، عن أبيه، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خلقاً، ليس بالطويل ولا بالقصير^(١).

والأحاديث في هذا كثيرة ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب «الشماثل» وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط، ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا خَيْرَ بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا إذا انتهكت حرمت الله فيكون هو ينتقم لله ﷻ^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»^(٣). تفرد به.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْهُ وَبُحِّرْهُ وَيُبْرِئْهُ﴾ ^(٤) بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ^(٥) أي: فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم وهذه كقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْآيِثُرُ﴾ ^(٦) [القمر] وكقوله: ﴿وَلِئَآءَ أَوْ لِيَأْكُمَ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] قال ابن جريج: قال ابن عباس في هذه الآية: ستعلم ويعلمون يوم القيامة^(٧).

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ ^(٨) أي: الجنون^(٩). وكذا قال مجاهد وغيره^(١٠).

وقال قتادة وغيره: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ ^(١١) أي: أولى بالشیطان^(١٢).

ومعنى المفتون ظاهر؛ أي: الذين قد أفتتن عن الحق وضلَّ عنه، وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿بِأَيِّكُمْ﴾ لتدل على تضمين الفعل في قوله: ﴿فَسَبِّحْهُ وَبُحِّرْهُ وَيُبْرِئْهُ﴾ ^(١٣) وتقديره: فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ^(١٤) أي: هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ويعلم الحزب الضال عن الحق.

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، المناقب، باب صفة النبي ﷺ ح ٣٥٤٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٣/ ١٠٩ ح ٢٥٩٥٦) وصححه سنده محققوه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٤/ ٥١٢ ح ٨٩٥٢) وصححه محققوه وقالوا: وهذا إسناد قوي.

(٤) سنده منقطع لأن ابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ليث عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند ضعيف من طريق خُصيف عن مجاهد، وفي السند ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٧) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «الشیطان».

﴿فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٨) وَدُّوْا لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّسْلَمٍ يَنْبَسِرُ ﴿١١﴾ مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْبٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنْبٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَى الْغُرُطِورِ ﴿١٦﴾ .

يقول تعالى: كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم ﴿فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٨) وَدُّوْا لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ ﴿٩﴾ قال ابن عباس: لو ترخص لهم فيرخصون^(١).

وقال مجاهد: ﴿وَدُّوْا لَوْ تَذَهْنُ﴾ تركز إلى آلهتهم، وترك ما أنت عليه من الحق^(٢).

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ (١٠) وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجتريء بها على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت في غير محلها.

قال ابن عباس: المهين: الكاذب^(٣).

وقال مجاهد: هو الضعيف القلب^(٤).

وقال الحسن: ﴿كُلَّ حَلَّافٍ﴾ مكابر مهين ضعيف^(٥).

وقوله: ﴿هَمَّازٍ﴾ قال ابن عباس وقتادة: يعني: الاغتيال^(٦).

﴿مَّسْلَمٍ يَنْبَسِرُ﴾ يعني: الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي: الحالقة.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث مجاهد، عن طاوس، عن ابن عباس قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة». الحديث. وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم من طرق عن مجاهد به^(٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن همام، أن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات»^(٨). رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن إبراهيم به^(٩).

وحدثنا عبد الرزاق، حدثنا الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام، عن حذيفة قال:

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «المهين»: الكذاب.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن بلفظ: «كل مكثار في الحلف، مهين ضعيف».

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بمعناه.

(٧) صحيح البخاري، الوضوء، باب ما جاء في غسل البول (ح ٢١٨)؛ وصحيح مسلم، الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول (ح ٢٩٢).

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٨٢/٥) وسنده صحيح.

(٩) صحيح البخاري، الأدب، باب ما يكره من النميمة (ح ٦٠٦٥)؛ وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان غلط تحريم النميمة (ح ١٦٨).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات»؛ يعني: نَمَاماً^(١).

وحدثنا يحيى بن سعيد القطان - أبو سعيد الأحوال -، عن الأعمش، حدثني إبراهيم منذ نحو ستين سنة، عن همام بن الحارث قال: مرَّ رجل على حذيفة فقيل: إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول أو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات»^(٢).

وقال أحمد: حدثنا هشام، حدثنا مهدي، عن واصل الأحذب، عن أبي وائل قال: بلغ حذيفة رجل أنه ينم الحديث فقال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة نَمَامٌ»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن ابن خُثَيْم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد بن السكن، أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الذين إذا رؤوا ذُكر الله ﷻ، ثم قال: ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العَنَت»^(٤).

ورواه ابن ماجه، عن سويد بن سعيد، عن يحيى بن سليم، عن ابن خُثَيْم به^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي ﷺ: «خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذُكر الله، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العَنَت»^(٦).

وقوله: ﴿مَنْعَ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ﴾^(٧) أي: يمنع ما عليه وما لديه من الخير، ﴿مُعْتَدٍ﴾ في تناول ما أحلَّ الله له؛ يتجاوز فيها الحد المشروع ﴿أَثِيمٌ﴾ أي: يتناول المحرمات.

وقوله: ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾^(٨) أما العتل فهو: اللفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمن، عن سفيان، عن معبد بن خالد، عن حارثة بن وهب قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره. ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل عتل جواز متكبر».

وقال وكيع: كل جواز جعظري مستكبر^(٩). أخرجاه في الصحيحين وبقيّة الجماعة إلا أبا داود من حديث سفيان الثوري وشعبة كلاهما عن معبد بن خالد به^(٨).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا موسى بن علي، قال: سمعت أبي

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٨٩/٥) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٨٩/٥) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٩١/٥) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٥٧٧/٤٥ ح ٢٧٦٠١) وقال محققوه: حسن بشواهد.

(٥) سنن ابن ماجه، الزهد، باب من لا يؤبه له (ح ٤١١٩)؛ وحسنه البوصيري (مصباح الزجاجة ٢٧٣/٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٥٢١/٢٩ ح ١٧٩٩٨) وقال محققوه: حسن بشواهد.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣٠٦/٤) وسنده صحيح.

(٨) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾^(٩) [القلم] (ح ٤٩١٨)؛ وصحيح مسلم، الجنة، باب النار يدخلها الجبارون (ح ٢٨٥٣).

يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ قال: عند ذكر أهل النار: «كل جعظري جواظ مستكبر، جماع مناع»^(١). تفرد به أحمد. قال أهل اللغة: الجعظري: الفظ الغليظ، والجواظ: الجموع المنوع.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا عبد الحميد، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم قال: سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم. فقال: «هو الشديد الخلق المصحح، الأكل الشروب، الواجد الطعام والشراب، الظلوم للناس، رحيب الجوف»^(٢).

وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري والعتل الزنيم»^(٣). وقد أرسله أيضاً غير واحد من التابعين.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «تبكي السماء على عبد أصبح الله جسمه، وأرحب جوفه، وأعطاه من الدنيا مقصماً، فكان للناس ظلوماً قال: فذلك العتل الزنيم»^(٤). وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين. ونص عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم أن العتل هو: المصحح الخلق، الشديد القوي في المأكل والمشرب، والمنكح وغير ذلك^(٥).

وأما الزنيم فقال البخاري: حدثنا محمود، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن أبي حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس: «عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴿١٢﴾» قال: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة^(٦) الشاة^(٧)؛ ومعنى هذا: أنه كان مشهوراً بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها، وإنما الزنيم في لغة العرب هو الدّعي في القوم قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة قال: ومنه قول حسان بن ثابت؛ يعني: يذم بعض كفار قريش:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القَدَح الفرد^(٨)

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١١/١٤٥ ح ٦٥٨٠)؛ وصححه سنداه محققوه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٩/٥١٦ ح ١٧٩٩١)؛ وضعف سنداه محققوه لضعف شهر بن حوشب.

(٣) المصدر السابق، وحكمه كسابقه. ويشهد له ما رواه أبو داود من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه (السنن، الأدب، باب في حسن الخلق، ح ٤٨٠١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠١٦).

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإرساله.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن بلفظ: «هو الفاحش اللئيم الضريبة»؛ أي: السجية. وهكذا أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق منصور عن أبي رزين بلفظ: «الشديد»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: شديد الأشر، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند جيد من طريق أبي الزبير عن عبيد بن عمير بلفظ: «الأكل الشروب القوي الشديد».

(٦) الزنمة: شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً. (لسان العرب ٢٠/١١٨).

(٧) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التفسير، باب «عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴿١٢﴾» [القلم] ح ٤٩١٧).

(٨) استشهد به الطبري، وهو في ديوان حسان رضي الله عنه ص ١١٨.

وقال آخر:

زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنَ أَبُوهُ بَغْيِي الْأُمُّ ذُو حَسْبٍ لَزِيمٌ^(١)
 وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمار بن خالد الواسطي، حدثنا أسباط، عن هشام، عن عكرمة،
 عن ابن عباس في قوله: ﴿زَنِيمٌ﴾ قال: الدعي الفاحش اللئيم^(٢). ثم قال ابن عباس:
 زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كما زيد في عَرْضِ الْأَدِيمِ^(٣) الْأَكَارِعِ^(٤)^(٥)
 وقال العوفي، عن ابن عباس: الزنيم: الدعي ويقال: الزنيم: رجل كانت به زمة يعرف بها،
 ويقال هو: الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة، وزعم أناس من بني زهرة أن الزنيم:
 الأسود بن عبد يغوث الزهري وليس به^(٦).

وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه زعم أن الزنيم الملحق النسب^(٧).
 وقال ابن أبي حاتم: حدثني يونس، حدثنا ابن وهب، حدثني سليمان بن بلال، عن
 عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في هذه الآية ﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾
 قال سعيد: هو الملقق بالقوم ليس منهم^(٨).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عقبة بن خالد، عن عامر بن قدامة قال:
 سئل عكرمة، عن الزنيم قال: هو ولد الزنا^(٩).

وقال الحكم بن أبان، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ قال: يعرف
 المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء والزنماء من الشياه التي في عنقها هتان معلقتان في حلقها.

وقال الثوري، عن جابر، عن الحسن، عن سعيد بن جبير قال: الزنيم الذي يعرف بالشر كما
 تعرف الشاة بزمنمتها^(١٠)، والزنيم الملقق. رواه ابن جرير^(١١).

وروي أيضاً من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال في الزنيم: نعت
 فلم يعرف حتى قيل: زنيم قال: وكانت له زمة في عنقه يعرف بها^(١٢).

(١) استشهد به الطبري دون أن ينسبه إلى أحد.

(٢) سنده حسن، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق هشام عن عكرمة بلفظ: «الدعي».

(٣) أي: الجلد.

(٤) الأكارع: جمع كراع وهو في الدواب ما دون الكعب (لسان العرب ك ر ع)، والبيت عزاه ابن منظور إلى
 الخطيم التميمي وهو شاعر جاهلي.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق أبي عبد الرحمن عن ابن عباس. (المصنف ٦/١٨٢)، وأبو عبد الرحمن لم
 أعرف من هو؛ وورد في المصنف عن شيخ يكنى أبا عبد الرحمن.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح به.

(٨) أخرجه الطبري عن يونس به، وسنده حسن. (٩) سنده حسن.

(١٠) أخرجه الحاكم من طريق أبي إسحاق، وهو السبيعي، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ وصححه ووافقه
 الذهبي (المستدرک ٢/٤٩٩).

(١١) تقدم عن سعيد بن المسيب.

(١٢) أخرجه الطبري من طريق داود بن أبي هند به، وسنده حسن.

وقال آخرون: كان دعيًّا^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن أصحاب التفسير قالوا: هو الذي تكون له زنمة الشاة^(٢).

وقال الضحاك: كانت له زنمة في أصل أذنه^(٣).

ويقال: هو اللثيم الملتصق في النسب^(٤).

وقال أبو إسحاق: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: هو المريب الذي يعرف بالشر^(٥).

وقال مجاهد: الزنيم يُعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة^(٦).

وقال أبو رزين: الزنيم علامة الكفر^(٧).

وقال عكرمة: الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها^(٨). والأقوال في هذا كثيرة

وترجع إلى ما قلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر الذي يعرف به من بين الناس، وغالباً ما يكون دعيًّا ولد زنا فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره كما جاء في الحديث: «لا يدخل الجنة ولد زنا»^(٩). وفي الحديث الآخر: «ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه»^(١٠).

وقوله: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ (٥) إِذَا تَوَلَّى عَلَيْهِ مَا بَيْنَنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله ﷻ وأعرض عنها، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين كقوله: ﴿ذَرَى وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِداً﴾ (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُوداً ﴿١٣﴾ وَمَهْدَتْ لَهُ تَهِيْدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَأَرَفْتُمُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ [المدثر] قال الله تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَرًّا﴾ ﴿٢٦﴾ [المدثر] وقال تعالى ههنا: ﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْقَرْطُومِ﴾ ﴿٢٧﴾.

قال ابن جرير: سنبيين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمة على الخراطيم^(١١)، وهكذا قال قتادة: ﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْقَرْطُومِ﴾ ﴿٢٨﴾ شين لا يفارقه

(١) تقدم تخريجه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي إسحاق به.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق منصور عن أبي رزين.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق خُصيف عن عكرمة.

(٧) أخرجه الإمام أحمد من طريق سالم بن أبي الجعد عن جابان عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً (المسند ٢/ ٢٠٣)؛ وسنده ضعيف لجهالة جابان قال الذهبي: لا يُدرى من هو (ميزان الاعتدال ١/ ٣٧٧)؛ وذكره ابن

الجوزي في الموضوعات (١١١/٣).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة ؓ (المسند ٤١/ ٢٩٧ ح ٢٤٧٨٤) وقال محققوه: إسناده ضعيف جداً.

(١١) ذكره الطبري بنحوه.

آخر ما عليه^(١).

وفي رواية عنه: ﴿سَنَسِمُهُ﴾ سيما على أنفه^(٢)، وكذا قال السدي.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾^(٣) يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال.

وقال آخرون: سنسمه سمة أهل النار؛ يعني: نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم وحكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير^(٣)، ومال إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة^(٤)، وهو متجه.

وقد قال ابن أبي حاتم في سورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبا]: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثني الليث، حدثني خالد بن سعيد، عن عبد الملك بن عبد الله، عن عيسى بن هلال الصديقي، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن العبد يكتب مؤمناً أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عليه ساخط، وإن العبد يكتب كافراً أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عليه راضٍ، ومن مات همّازاً لمّازاً ملقباً للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين»^(٥).

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا لِيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿٩﴾ فَأَصْبَحَتِ كَالْعَصِيرِ ﴿١٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿١١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾ فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿١٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلْنَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مَّسْكِينٌ ﴿١٤﴾ وَعَدُوا عَلَى حَرِّ قَدِيرٍ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا يَبْرَأْنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٢١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَن يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٢٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدي إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو: بعثة محمد ﷺ إليهم، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ أي: اختبارناهم ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ وهي: البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ﴿إِذْ أَقْبَمُوا لِيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي: حلفوا فيما بينهم ليجذّن ثمرها ليلاً لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾ أي: فيما حلفوا به، ولهذا حشّهم الله في أيماهم فقال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ﴾ أي: أصابتها آفة سماوية فأصبحت كالصريم قال ابن عباس أي: كالليل الأسود^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) هذا لفظ الطبري؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح بلفظ: «سنسم على أنفه».

(٣) ذكره الطبري بنحوه ونسبه بقوله: وقال بعضهم. (٤) لم أجد هذا عن الطبري.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط من طريق الليث به، ثم قال: لا يروى عن عبد الله بن عمرو إلا بهذا الإسناد، تفرد به الليث. (ينظر مجمع البحرين ج ٣٢٣٤).

(٦) أخرجه الطبري بسند فيه رجل مجهول.

وقال الثوري والسدي: مثل الزرع إذا حصد؛ أي: هشيماً ييساً.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن أحمد بن الصباح، أنبأنا بشر بن زاذان، عن عمر بن صبيح، عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والمعاصي إن العبد ليزنّب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هُيء له ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿٢٠﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢١﴾﴾ قد حُرِّمُوا خير جنتهم بذنوبهم»^(١).

﴿فَنَادَوْا مُصِيبِينَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجذاذ؛ أي: القطع ﴿أَنِ اعْبُدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: تريدون الصرام.

قال مجاهد: كان حرثهم^(٢) عنباً ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحداً كلامهم ثم فسر الله ﷻ عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى: ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٥﴾﴾ أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكينٌ ﴿٢٦﴾﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: لا تمكنا اليوم فقيراً يدخلها عليكم.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْثٍ﴾ أي: قوة وشدة.

وقال مجاهد: ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْثٍ﴾ أي: جد^(٣).

وقال عكرمة: على غيظ^(٤).

وقال الشعبي: ﴿عَلَىٰ حَرْثٍ﴾ على المساكين^(٥).

وقال السدي: ﴿عَلَىٰ حَرْثٍ﴾ أي: كان اسم قريتهم حرد، فأبعد السدي في قوله هذا. ﴿قَدِيرِينَ﴾ أي: عليها فيما يزعمون ويرومون فلما رأوها قالوا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ أي: فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهي على الحالة التي قال الله ﷻ قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مُدْلَهَمَةً لا ينتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ أي: قد سلكنا إليها غير الطريق فتحنا عنها. قاله ابن عباس وغيره^(٦)، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هي فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ خَرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: بل هي هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة: أي أعدلهم وخيرهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ﴾^(٧).

(١) سنده ضعيف جداً لأن ابن أبي حاتم لم يذكر اسم شيخه، وكذلك في سنده عمر بن صبيح متروك كذبه إسحاق بن راهويه. (التقريب ص ٤١٤).

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه جهالة الراوي عن مجاهد، ومعناه صحيح؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن البصري.

(٤) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر. (٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق سعيد بن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

قال مجاهد والسدي وابن جريج: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: لولا تستثنون^(١).

قال السدي: وكان استثناءهم في ذلك الزمان: تسبيحاً.

وقال ابن جرير: هو قول القائل: إن شاء الله^(٢)، وقيل: معناه ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: فهلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ أي: يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من نفع المساكين من حق الجذاذ، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب. ﴿قَالُوا يَوْرَثَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٤١﴾ أي: اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ قيل: رغبوا في بذلها لهم في الدنيا وقيل: احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة، والله أعلم.

ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن؛ قال سعيد بن جبیر: كانوا من قرية يقال لها: «ضروان» على ستة أميال من صنعاء، وقيل: كانوا من أهل الحبشة، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة، وكانوا من أهل الكتاب وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة، فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا: لقد كان أبونا أحق إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا، فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَلْقَيْنَا﴾ أي: هكذا عذاب من خالف أمر الله، وبخل بما أناء الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفراً ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا آخِرَهُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق.

وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل^(٣).

﴿إِنَّ الْمُنْفِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ ﴿٢٥﴾ أَفَجَعَلَ الْمَسْكِينِ كَالْمُسْرِفِينَ ﴿٢٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بَلِغَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٢٩﴾ سَلَّمْتُمْ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ رَعِيمٌ ﴿٣٠﴾ أَمْ لَمْ شُرَكَّاؤُا فَيَآتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣١﴾

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله ﷻ وخالفوا أمره بيّن أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها.

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو حميد الرازي وهو ضعيف.

(٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) أخرجه البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن محمد به (السنن الكبرى ١٣٣/٤)، وسنده ضعيف لإرساله.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَنَجْجِلُ الْمُتْلِينَ كُلِّمَتَيْنِ﴾ (٣٥) أي: أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ورب الأرض والسماء ولهذا قال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٦) أي: كيف [تظنون] (١) ذلك؟ ثم قال: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَّا تَحْيَوْنَ (٣٨) يقول: أفتأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكماً مؤكداً كما تدعونه ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَّا تَحْيَوْنَ﴾ (٣٨) أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا بِلِقَاءِ إِلَيْنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَّا تَحْكُمُونَ (٣٩) أي: أمةكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ﴿إِنَّ لَكُمْ لَّا تَحْكُمُونَ﴾ أي: أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ (٤٠) أي: قل لهم من هو المتضمن المتكفل بهذا؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ أي: من الأصنام والأنداد ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤١) خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ رَمَقَهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٢) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٣) وَأُولَئِكَ لَهُمْ إِنْ كَذَّبُوا مَتْنٌ (٤٤) أَمْ تَسْتَلْهُمُ لَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَفْرَمٍ مَثْقُولُونَ (٤٥) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٦).

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم بين متى ذلك كائن وواقع فقال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤١) يعني: يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام.

وقد قال البخاري ههنا: حدثنا آدم، حدثنا الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً» (٢). وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق، وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور.

وقد قال عبد الله بن المبارك، عن أسامة بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة. رواه ابن جرير (٣).

ثم قال: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم، عن ابن مسعود أو ابن عباس - الشك من ابن جرير - ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: عن أمر عظيم كقول الشاعر:

وقامت الحرب عن ساق (٤)

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: شدة الأمر (٥).

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] ح ٤٩١٩).

(٣) أخرجه عبد الله بن المبارك (الزهد رقم ٣٦١ من زوائد نعيم)؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٩٩/٢، ٥٠٠).

(٤) أخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس من غير شك وبمته، وسنده ضعيف لضعف شيخ الطبري، وإبراهيم لم يسمع من ابن عباس. ويتقوى بساقه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به.

وقوله: ﴿أَمْ تَسْتَأْذِنُ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (٤٨) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤٧) تقدم تفسيرهما في سورة الطور^(١)، والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله ﷻ بلا أجر تأخذهم منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جئتهم به بمجرد الجهل والكفر والعناد.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُتُوٓى إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٤٨) ﴿وَلَا أَنْ تَدْرِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِهٖ لَنُبْذِلَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (٤٩) ﴿فَاجْتَنِبْ رَبُّهُمُ فَجَعَلَهُمُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٥٠) ﴿وَأَنْ يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَبْزُقَنَّكَ بِأَصْرِهِ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْذُومٌ﴾ (٥١) ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٥٢).

يقول تعالى: فاصبر يا محمد على قومك وتكذيبهم لك، فإن الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُتُوٓى﴾ يعني: ذا النون وهو: يونس بن متى ﷺ حين ذهب مغاضباً على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشروء الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير، فحينئذ نادى في الظلمات ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (٤٢) ﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ٤٣]. وقال ههنا: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والسدي: وهو مغموم^(٢).

وقال عطاء الخراساني وأبو مالك: مكروب.

وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ خرجت الكلمة تحف حول العرش فقالت الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة. فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا يونس. قالوا: يا رب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة. قال: نعم. قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمل في الرخاء، فتنجيه من البلاء؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء^(٣) ولهذا قال تعالى فاجتبه ربه فجعله من الصالحين.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»^(٤). ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري^(٥). وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة^(٦).

(١) الآية ٤٠ و ٤١.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنبياء آية ٨٧.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومته (المسند ١/ ٣٩٠) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري. أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤْمَلَ كَيْنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٤١٢].

(٦) المصدر السابق (ح ٣٤١٦)؛ وصحيح مسلم، الفضائل، باب ذكر يونس ﷺ (ح ٢٣٧٦).

وقوله: ﴿وَأَنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزْلُقُونَكَ بِأَبْصَرِهِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: ﴿لَيَزْلُقُونَكَ﴾ لينفذونك بأبصارهم^(١)؛ أي: يعينونك بأبصارهم بمعنى: يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم.

وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة.

حديث أنس بن مالك ﷺ:

قال أبو داود: حدثنا سليمان بن داود العتكي، حدثنا شريح، ح وحدثنا العباس العنبري، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شريك، عن العباس بن ذريح، عن الشعبي قال العباس: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ» لم يذكر: العباس العين. وهذا لفظ سليمان^(٢).

حديث بُريدة بن الحصيب ﷺ:

قال أبو عبد الله ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي جعفر الرازي، عن حُصين، عن الشعبي، عن بُريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة»^(٣) هكذا رواه ابن ماجه.

وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد بن منصور، عن هشيم، عن حُصين بن عبد الرحمن، عن عامر الشعبي، عن بُريدة موقوفاً. وفيه قصة^(٤)، وقد رواه شعبة، عن حُصين، عن الشعبي، عن بُريدة قاله الترمذي^(٥).

وروى هذا الحديث الإمام البخاري من حديث محمد بن فضيل، وأبو داود من حديث مالك بن مغول، والترمذي من حديث سفيان بن عيينة، ثلاثتهم عن حُصين، عن عامر الشعبي، عن عمران بن حُصين موقوفاً^(٦).

حديث أبي ذر - جندب بن جنادة - ﷺ:

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة، عن ابن البرند السامي،

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق علي بن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، الطب، باب ما رخص في الرقي ح ٣٨٨٩)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٨٣٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه بسنده ومثله (السنن، الطب، باب ما رخص فيه من الرقي ح ٣٥١٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٣٢).

(٤) أخرجه مسلم عن سعيد بن منصور به مطولاً. (الصحيح، الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ح ٢٢٠).

(٥) سنن الترمذي، الطب، باب ما جاء في الرخصة في ذلك (ح ٢٠٥٧).

(٦) صحيح البخاري، الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره (ح ٥٧٠٥)؛ وسنن أبي داود، الطب، باب ما جاء في الرقي (ح ٣٨٨٤)؛ وسنن الترمذي، الباب والحديث السابق.

حدثنا ديلم بن غزوان، حدثنا وهب بن أبي دبي، عن أبي حرب، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العين لتولع الرجل بإذن الله، فيتصاعد حالقا^(١)، ثم يتردى منه». إسناده غريب ولم يخرجوه.

حديث حابس التميمي:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حرب، حدثنا يحيى بن أبي كثير، حدثني حبة بن حابس التميمي، أن أباه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا شيء في الهام والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل»^(٢).

وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي، عن أبي غسان يحيى بن كثير، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير به ثم قال: غريب. قال وروى شيان، عن يحيى بن أبي كثير، عن حبة بن حابس، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ^(٣).

قلت: كذلك رواه الإمام أحمد، عن حسن بن موسى وحسين بن محمد، عن شيان، عن حبة حدثه، عن أبيه أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا بأس في الهام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل»^(٤).

حديث ابن عباس ؓ:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن الوليد، عن سفيان، عن دويد، حدثني إسماعيل بن ثوبان، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق العين حق حتى تستنزل الحالق»^(٥) غريب.

طريق أخرى: قال مسلم في صحيحه: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، أخبرنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا وهيب، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبق العین، وإذا اغتسلتم فاغسلوا»^(٦) انفرد به دون البخاري.

وقال عبد الرزاق: عن سفيان الثوري، عن منصور، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»،

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله وزيادة: ثم يتردى منه، (المسند ٢٢٨/٣٥ ح ٢١٣٠٢) وضعف سنده محققوه؛ وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة بأن رجاله ثقات. (ح ٨٨٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٨٠/٣٤ ح ٢٠٦٨٠) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومثله وتعليقه (السنن، الطب، باب ما جاء أن العين حق والغسل لها ح ٢٠٦١ - ٢٠٦٢) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٣٥٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٨١/٣٤ ح ٢٠٦٨١) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤١٨/٤ ح ٢٦٨١) وقال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناده ضعيف.

(٦) صحيح مسلم، السلام، باب الطب والمرض والرقى (ح ٢١٨٨).

ويقول: «هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل ﷺ»^(١). أخرجه البخاري [وأهل السنن]^(٢) من حديث المنهال به^(٣).

حديث أبي أُمّامة أسعد بن سهل بن حنيف ؓ:

قال ابن ماجه: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن أبي أُمّامة أسعد بن سهل بن حنيف قال: مرّ عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال: لم أرَ كالْيَوْم ولا جلد مخبأة، فما لبث أن لُبَطَ^(٤) به، فأُتي به رسول الله ﷺ فقيل له: أدرك [سهلاً صريعاً]^(٥). قال: من تتهمون به؟ قالوا: عامر بن ربيعة. قال علام يقتل أحدكم أخاه إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه؟ فليدع له بالبركة ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخله إزاره، وأمره أن يصبّ عليه، قال سفيان: قال معمر عن الزهري: وأمر أن يكفأ الإناء من خلفه^(٦).

وقد رواه النسائي من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما عن الزهري به. ومن حديث سفيان بن عيينة به أيضاً عن معمر، عن الزهري، عن أبي أُمّامة: ويكفأ الإناء من خلفه. ومن حديث ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن أبي أُمّامة أسعد بن سهل بن حنيف، عن أبيه به، ومن حديث مالك أيضاً عن محمد بن أبي أُمّامة بن سهل، عن أبيه به^(٧).

حديث أبي سعيد الخدري:

قال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك»^(٨). ورواه الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن إياس أبي مسعود الجريري به. وقال الترمذي حسن^(٩).

حديث آخر عنه:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثني عبد العزيز بن صهيب، حدثني أبو نضرة، عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «اشتكت يا محمد». قال: «نعم». قال: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس وعين يشفيك،

(١) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثله (المصنف ٣٣٧/٤ رقم ٧٩٨٨) وسنده صحيح.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٣) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، باب رقم ١٠ (ح ٣٢٧١).

(٤) أي: ضُرع وسقط إلى الأرض. (النهاية ٢٢٦/٤).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٦) أخرجه ابن ماجه بسنده ومثله (السنن، الطب، باب العين ح ٣٥٠٩) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٢٨).

(٧) السنن الكبرى للنسائي، الطب، باب وضوء العائن (ح ٧٦١٧، ٧٦١٩).

(٨) أخرجه ابن ماجه بسنده ومثله (السنن، الطب، باب من استرقى من العين ح ٣٥١١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٣٠).

(٩) سنن الترمذي، الطب، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين (ح ٢٠٥٩) وسنن النسائي، الاستعاذة، باب الاستعاذة من عين الجان ٢٧١/٨.

بسم الله أرقبك^(١). ورواه عن عفان، عن عبد الوارث مثله^(٢). ورواه مسلم وأهل السنن إلا أبا داود من حديث عبد الوارث^(٣) به.

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ اشتكى، فأتاه جبريل فقال: «بسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك، من كل حاسد وعين الله يشفيك»^(٤) ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوي، عن داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد به^(٥).

قال أبو زرعة الرازي: روى عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه، عن عبد العزيز، عن أنس في معناه. وكلاهما صحيح.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن العين حق»^(٦) أخرجه من حديث عبد الرزاق^(٧). وقال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا إسماعيل بن عليه، عن الجريري، عن مضارب بن حزن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق»^(٨) تفرد به، ورواه أحمد، عن إسماعيل بن عليه، عن سعيد الجريري^(٩) به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا ثور يعني: ابن يزيد، عن مكحول، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم»^(١٠).

وقال أحمد: حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: الطيرة في ثلاث في المسكن والفرس والمرأة؟ قال: قلت إذا أقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أصدق الطيرة الفأل، والعين حق»^(١١).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٨/٣) وسند صحيح.

(٢) المسند ٥٦/٣.

(٣) صحيح مسلم، السلاب، باب الطب والمرض والرقى (ح ٢١٨٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (٢٣٩/١٨ ح ١١٧١٠) وصححه سندته محققوه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (١٨/١١١ - ١١٢ ح ١١٥٥٧) وصححه سندته محققوه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣١٩/٢) وسنده صحيح.

(٧) صحيح البخاري، الطب، باب العين حق (ح ٥٧٤٠)؛ وصححه مسلم، السلام، باب الطب والمرض والرقى (ح ٢١٨٧).

(٨) أخرجه ابن ماجه بسنده ومثته، الطب، باب العين (ح ٣٥٠٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٢٦).

(٩) (المسند ٤٨٧/٢).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤١٧/١٥ ح ٩٦٦٨) وضعفه سندته محققوه للانقطاع بين مكحول وأبي هريرة، وأن قوله: «العين حق» فقط صحيح.

(١١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢٦٥/١٣ ح ٧٨٨٣) وضعفه سندته محققوه لضعف أبي معشر وهو نجيب بن عبد الرحمن السندي.

حديث أسماء بنت عميس:

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عُبَيْد بن رفاعَةَ الزُرْقِي قال: قالت أسماء: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقى لهم؟ قال: «نعم». فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين^(١). وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به^(٢)، ورواه الترمذي أيضاً والنسائي من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن عروة بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عبيد بن رفاعَةَ، عن أسماء بنت عميس به. وقال الترمذي: حسن صحيح^(٣).

حديث عائشة ؓ:

قال ابن ماجه: حدثنا علي بن أبي الحبيب، حدثنا وكيع، عن سفيان ومسرر، عن معبد بن خالد، عن عبد الله بن شداد، عن عائشة ؓ أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقى من العين^(٤). ورواه البخاري، عن محمد بن كثير، عن سفيان، عن معبد بن خالد به^(٥). وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسرر كلاهما عن معبد به^(٦).

ثم قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو هشام المخزومي، حدثنا وهيب، عن أبي واقد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «استعينوا بالله، فإن العين حق»^(٧). تفرد به.

وقال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: «كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المعين»^(٨).

قلت: كذلك رواه أحمد، عن حسن بن موسى وحسين بن محمد، عن سنان، أن ابن حبة حدثه، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا [بأس في]»^(٩) الهام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٥/٤٦٢ ح ٢٧٤٧٠) وحسن سنده محققوه.

(٢) سنن الترمذي، الطب، باب ما جاء في الرقية من العين (ح ٢٠٥٩)؛ وسنن ابن ماجه، الطب، باب من استرقى من العين (ح ٣٥١٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٢٩).

(٣) المصدر السابق؛ والسنن الكبرى، الطب، باب رقية العين (ح ٧٥٣٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه بسنده ومثله (السنن، الباب السابق ح ٣٥١٢)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٣١).

(٥) صحيح البخاري، الطب، باب رقية العين (ح ٥٧٣٨).

(٦) صحيح البخاري، السلام، استحباب الرقية من العين (ح ٢١٩٥).

(٧) أخرجه ابن ماجه بسنده ومثله (السنن، الطب، باب العين ح ٣٥٠٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٢٧.

(٨) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، الطب، باب ما جاء في الطب ح ٣٨٨٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٢٨٦).

(٩) كذا في المسند كما تقدم بعد حديث حابس التميمي فقد جاء بالإسناد والمتن نفسه فحكمه وتخريجه سواء، وفي الأصل بياض.

حديث سهل بن حنيف:

قال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا أبو أويس، حدثنا الزهري، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف، وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال: ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأة فلبط سهل، فأتني رسول الله ﷺ فقبل له: يا رسول الله هل لك في سهل؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق. قال: هل تتهمون فيه من أحد؟ قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيظ عليه، وقال علام يقتل أحدكم أخاه هلاً إذا رأيت ما يعجبك بركت؟ ثم قال: اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجله وداخله إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه، ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس^(١).

حديث عامر بن ربيعة:

قال الإمام أحمد في مسند عامر: حدثنا وكيع، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن عيسى، عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف، عن عبد الله بن عامر قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل قال: فانطلقا يلتزمان الخمر قال: فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرْتُ إليه فأصبته بعيني، فنزل الماء ليغتسل قال: فسمعت له في الماء فرقة فناديته ثلاثاً، فلم يجبني، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته قال: فجاء يمشي فخاض الماء، فكأنني أنظر إلى بياض ساقه قال: فضرب صدره بيده ثم قال: اللهم اصرف عنه حرَّها وبردها ووصبها، قال: فقام فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليبرك، فإن العين حق»^(٢).

حديث جابر:

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا أبو داود، حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصاري - ويقال له: ابن الضجيع ضجيع حمزة رضي الله عنه -، حدثني عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس» قال البزار يعني: العين. قال: ولا نعلم يروي هذا الحديث عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد^(٣).

قلت: بل قد روي من وجه آخر عن جابر قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي المعروف «بشكر» في كتاب «العجائب» وهو مشتمل على فوائد جلييلة وغريبة: حدثنا الرهاوي، حدثنا يعقوب بن محمد، حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي، حدثنا محمد بن المنكدر،

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٥٦/٢٥ ح ١٥٩٨٠) وصححه محققوه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده بلفظ: «فليبركه، فإن العين حق» (المسند ٤٦٥/٢٤ ح ٤٦٦، ١٥٧٠٠)، وقال محققوه: العين حق صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

(٣) أخرجه البزار بسنده ومثله وتعليقه (مختصر زوائد مسند البزار ١/٦٤٣، ٦٤٤ ح ١١٦٤) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح خلا طالب بن حبيب بن عمرو، وهو: ثقة (مجمع الزوائد ١٠٦/٥).

عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «العين حق لثُورِد الرجل القبر والجَمَل القِدر، وإن أكثر هلاك أمتي في العين»^(١). ثم رواه عن شعيب بن أيوب، عن معاوية بن هشام، عن سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «قد تدخل الرجل العين في القبر، وتدخل الجَمَل القِدر»^(٢) وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه.

حديث عبد الله بن عمرو:

قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا رشدين بن سعد، عن الحسن بن ثوبان، عن هشام بن أبي رقية، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد، والعين حق»^(٣). تفرد به أحمد.

حديث عن علي:

روى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ، حدثنا عبيد بن محمد الكشوري، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري، عن أبي رجاء، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن الحارث، [عن علي]^(٤) أن جبريل أتى النبي ﷺ فوافقه مغتماً فقال: يا محمد ما هذا الغم الذي أراه في وجهك؟ قال الحسن والحسين أصابتهما عين. قال: صدق بالعين، فإن العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات قال: وما هن يا جبريل؟ قال: قل اللهم ذا السلطان العظيم [والمن]^(٥) القديم ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من أنفس الجن وأعين الإنس، فقالها النبي ﷺ فقاما يلعبان بين يديه، فقال النبي ﷺ: «عوذوا أنفسكم ونسائكم وأولادكم بهذا التعويذ فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله»^(٦).

قال الخطيب البغدادي: تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبد الله الحيطي من أهل تُسْتَر، ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه.

وقوله: ﴿وَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ويقولون: ﴿إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: لمجنئي بالقرآن. قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٧).

آخر تفسير سورة نون، والله الحمد والمنة، وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه.

(١) أخرجه ابن عدي من طريق علي بن أبي علي به، وأعله بعلي لأنه يروي أحاديث مناكير عن جابر. (الكامل ١٨٥/٥).

(٢) أخرجه ابن عدي من طريق شعيب بن أيوب، وقال: غريب من حديث الثوري، تفرد به معاوية. (الكامل ٤٠٦/٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٦٤١/١١ ح ٧٠٧٠) قال محققوه: صحيح دون قوله: «ولا حسد» وهذا إسناد ضعيف لضعف رشدين بن سعد.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «بن علي».

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٦) أخرجه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٥٠٣ ل ٨) وسنده ضعيف لضعف الحارث وهو ابن عبد الله الأعور الكوفي الهمداني (التقريب ص ١٤٦).

سُورَةُ الْحَقِّ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ﴾ (١) مَا الْهَاقَّةُ (٢) وَمَا أَذْرَكَ مَا الْهَاقَّةُ (٣) كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَينَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْغَابِطَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُو فِي اللَّيْلِ (١١) لَنَجْعَلَنَّ لَكَ نَذِيرَةً وَنَعِيهَا أَذُنٌ وَعِيَةٌ (١٢).

﴿الْحَاقَّةُ﴾ من أسماء يوم القيامة^(١)؛ لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد، ولهذا عظم الله أمرها فقال: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الْهَاقَّةُ﴾ (٣) ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ (٥) وهي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة التي أسكنتهم، هكذا قال قتادة الطاغية: الصيحة^(٢)، وهو اختيار ابن جرير.

وقال مجاهد: الطاغية: الذنوب^(٣)، وكذا قال الربيع بن أنس وابن زيد إنها الطغيان، وقرأ ابن زيد ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ يَطْفُونَهَا﴾ (١١) ﴿[الشمس].﴾^(٤)

وقال السدي: ﴿فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ قال: يعني عاقر الناقة.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أي: باردة. قال قتادة والسدي والربيع بن أنس والثوري: ﴿عَاتِيَةٍ﴾ أي: شديدة الهبوب^(٥).

قال قتادة: عنت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم.

وقال الضحاك: ﴿صَرْصَرٍ﴾ باردة ﴿عَاتِيَةٍ﴾ عنت عليهم بغير رحمة ولا بركة^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه أيضاً الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

وقال علي وغيره: عتت على الخَزَنَةِ^(١) فخرجت بغير حساب^(٢).
 ﴿سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: سلطها عليهم ﴿سَبَعَ لَيَالٍ وَثَمْنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي: كوامل متتابعات مشائيم.

قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم: ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات^(٣).
 وعن عكرمة والربيع بن خثيم: مشائيم عليهم كقوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦].
 قال الربيع: وكان أولها الجمعة^(٤). وقال غيره: الأربعاء، ويقال: إنها التي تسميها الناس الأعجاز، وكان الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَّحْلٍ خَاوِيَةٌ﴾ وقيل: لأنها تكون في عجز الشتاء، ويقال: أيام العجوز لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرباً فقتلها الريح في اليوم الثامن، حكاها البغوي^(٥)، والله أعلم.
 قال ابن عباس: ﴿خَاوِيَةٌ﴾ خربة^(٦)، وقال غيره: بالية؛ أي: جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتاً على أم رأسه، فيتشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان.

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»^(٧).
 وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس العبدى، حدثنا ابن فضيل، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا: هذا عارض ممطرنا، فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة»^(٨).
 وقال الثوري: عن ليث، عن مجاهد: الريح لها جناحان وذنب^(٩).

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ أي: هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفاً.
 ثم قال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ قُرًى﴾^(١٠) بكسر القاف؛ أي: ومن عنده ممن في زمانه من

(١) أي: من الملائكة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام الراوي عن علي عليه السلام.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق أبي معمر عن ابن مسعود؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/ ٥٠٠)؛ وأخرجه أبو الشيخ (العظمة رقم ٨١٣) والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك بن حرب عن عكرمة.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. (٥) ذكره البغوي بنحوه. (معالم التنزيل ٣٨٦/٤).

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر. (٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأحزاب آية ٩.

(٨) أخرجه الطبراني من طريق محمد بن فضيل به (المعجم الكبير ١٢/ ٤٢١) وسنده ضعيف لضعف مسلم الملائني. (ينظر: مجمع الزوائد ١١٣/٧).

(٩) سنده ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سليم، ومثته فيه غرابة.

(١٠) القراءتان متواترتان.

أتباعه من كفار القبط، وقرأ آخرون بفتحها^(١)؛ أي: ومن قبله من الأمم المشبهين له. وقوله: ﴿وَالْمُتَفَكِّكُ﴾ وهم الأمم المكذبون بالرسول ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ بالفعل الخاطئة وهي التكذيب بما أنزل الله.

قال الربيع: ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالمعصية.

وقال مجاهد: بالخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ وهذا جنس؛ أي: كل كذب رسول الله إليهم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ كَذَبٍ أُرْسِلَ حَقٌّ وَعِدٌ﴾ [ق: ١٤] ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع كما قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبِيَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٠] ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦١] ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٢] وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد ولهذا قال ههنا: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ [١٦٣] أي: عظمة شديدة الأيمة. قال مجاهد: ﴿رَابِيَةً﴾: شديدة^(٢).

وقال السدي: مهلكة.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أي: زاد على الحد بإذن الله وارتفع على الوجود. وقال ابن عباس وغيره: ﴿طَغَا الْمَاءُ﴾: كثر^(٣)، وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه، فعبدوا غير الله فاستجاب الله له، وعمَّ أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن أبي سنان سعيد بن سنان، عن غير واحد، عن علي بن أبي طالب قال: لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخُزَّانِ^(٤)، فطغى الماء على الخُزَّانِ، فخرج فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أي: زاد على الحد بإذن الله ﴿حَمَلْنَاكَ فِي الْبَارِيَةِ﴾ ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخُزَّانِ فخرجت، فذلك قوله تعالى: ﴿بَرِيحٌ صَرْصَرٌ عَلَيْهِ﴾ أي: عنت على الخُزَّانِ^(٥)، ولهذا قال تعالى ممتناً على الناس: ﴿إِنَّا لَنَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكَ فِي الْبَارِيَةِ﴾ [١٦٦] وهي السفينة الجارية على وجه الماء ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه؛ أي: وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار كما قال: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَفْئَالِكُمْ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [١٦٧] لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ لَمَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَالِكِ الْمَشْحُونِ﴾ [١٦٨] وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ [١٦٩] [يس] وقال قتادة: أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة^(٦)، والأول أظهر ولهذا قال تعالى: ﴿وَنَبِّهَا أذنٌ وَرِيعَةٌ﴾ أي: وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن وراعية.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أي: الملائكة.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإبهام الراوي عن علي عليه السلام.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

قال ابن عباس: حافظة^(١)، سامعة^(٢).

وقال قتادة: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله^(٣).

وقال الضحاك: ﴿وَعَبِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ سمعتها أذن ووعت^(٤)؛ أي: من له سمع صحيح وعقل رجيح، وهذا عام في كل من فهم ووعى^(٥).

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة الدمشقي، حدثنا العباس بن الوليد بن صبيح الدمشقي، حدثنا زيد بن يحيى، حدثنا علي بن حوشب: سمعت مكحولاً يقول: لما نزل على رسول الله ﷺ ﴿وَعَبِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي أن يجعلها أذن علي»^(٦).

قال مكحول: فكان علي يقول: ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً قط فنسيته، وهكذا رواه ابن جرير، عن علي بن سهل، عن الوليد بن مسلم، عن علي بن حوشب، عن مكحول به، وهو حديث مرسل.

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا جعفر بن محمد بن عامر، حدثنا بشر بن آدم، حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد يعني: والد أبي أحمد الزبيري، حدثني صالح بن الهيثم: سمعت بريدة الأسلمي يقول: قال رسول الله ﷺ لعلي: «إني أمرت أن أدنك ولا أقصيك، وأن أعلمك، وأن تعي، وحُقَّ لك أن تعي» قال: فنزلت هذه الآية ﴿وَعَبِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾^(٧). ورواه ابن جرير، عن محمد بن خلف، عن بشر بن آدم به. ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن أبي داود الأعمى، عن بريدة به، ولا يصح أيضاً.

﴿إِذَا تُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۚ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۚ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۚ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةٌ ۚ يَوْمَئِذٍ تُقَرَّبُونَ لَا تَخَفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۚ﴾

يقول تعالى مخبراً عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة، وقد أكدها ههنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد^(٨).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٥) سنده ضعيف لإرساله، ومثته فيه نكارة.

(٦) أخرجه الطبري عن علي بن سهل به، وحكمه كسابقه.

(٧) سنده ضعيف لضعف أبي محمد عبد الله بن الزبير والد أبي أحمد الزبيري؛ (الجرح والتعديل ٥٦/٥؛

وميزان الاعتدال ٤٢٢/٢)، وأكد الحافظ ابن كثير على ذلك بقوله: لا يصح.

(٨) أخرجه الطبري عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به، وسنده كسابقه.

وقال الربيع: هي النفخة الأخيرة. والظاهر ما قلناه، ولهذا قال ههنا: ﴿وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكَّا ذَكَّةً وَجَدَةً﴾ (١٤) أي: فمدت مد الأديم العكاظي، وتبدلت الأرض غير الأرض ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١٥) أي: قامت القيامة ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (١٦) قال سماك: عن شيخ من بني أسد، عن علي قال: تنشق السماء من المجرة^(١)، رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جريج: هي كقوله: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (١٧) [النبا].

وقال ابن عباس: متخرقة والعرش بحذائها^(٢) ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ الملك اسم جنس؛ أي: الملائكة على أرجاء السماء.

قال ابن عباس: على ما لم يه منها؛ أي: حافاتهما^(٣)، وكذا قال سعيد بن جبير والأوزاعي^(٤).

وقال الضحاك: أطرافها.

وقال الحسن البصري: أبوابها.

وقال الربيع بن أنس في قوله: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾: يقول: على ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَنُجِّلَ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً مِنْ الْمَلَائِكَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهَذَا الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَوِ الْعَرْشِ الَّذِي يَوْضَعُ فِي الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

وفي حديث عبد الله بن [عميرة]^(٦)، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب في ذكر حملة العرش أنهم ثمانية أوعال^(٧).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني أبو السمح البصري، حدثنا أبو قبيل حيي بن هانئ أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: حملة العرش ثمانية ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام^(٨).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي قال: كتب إلي أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري، حدثني أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه بخفق الطير سبعمائة عام»^(٩) وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات، وقد رواه أبو داود في

(١) سنده ضعيف لإبهام الشيخ من بني أسد. (٢) وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٥) ينظر سابقه. (٦) نسبه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٧) كذا في ترجمته وسنن أبي داود، وفي الأصل: «عمرة»؛ وفي (ح) و(حم): «عمر» وكلاهما تصحيف.

(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة غافر آية ٧.

(٩) الخبر ظاهره من الإسرائيليات المسكوت عنها.

(١٠) صححه الألباني بدون قوله: «بخفق الطير» كما سيأتي في الحديث التالي.

كتاب السنة من سننه، حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله، حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» هذا لفظ أبي داود^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيى بن المغيرة، حدثنا جرير، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قال: ثمانية صفوف من الملائكة^(٢). قال: وروي عن الشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك، وكذا روى السدي، عن [أبي]^(٣) مالك، عن ابن عباس: ثمانية صفوف^(٤)، وكذا روى العوفي عنه^(٥).

وقال الضحاك، عن ابن عباس: الكروبيون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشیاطین والملائكة^(٦).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أي: تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ وقد قال ابن أبي الدنيا: أخبرنا إسحاق بن إسماعيل، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^(٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا علي بن رفاع، عن الحسن، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجداً ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله»^(٨). ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع به^(٩). وقد رواه الترمذي، عن أبي كريب، عن علي بن

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله (السنن، السنة، باب في الجهمية ح ٤٧٢٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٩٥٣).

(٢) سنده ضعيف لإرساله، ويشهد له ما سيأتي من قول ابن عباس.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه الطبري من طريق السدي به، وأخرجه من طريق العوفي وعكرمة عن ابن عباس، وهذه الطرق يقوي بعضها بعضاً.

(٥) تقدم في سابقه.

(٦) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا (محاسبة النفس رقم ٢) وسنده ضعيف لأن ثابت بن الحجاج لم يسمع من عمر رضي الله عنه. وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى انقطاعه في مسند الفاروق ٦١٨/٢.

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٤٨٦/٣٢ ح ١٩٧١٥) وضعف سنده محققوه لأن الحسن لم يسمع من أبي موسى.

(٩) سنن ابن ماجه، الزهد، باب ذكر البعث (ح ٤٢٧٧)، وسنده كسابقه.

علي، عن الحسن، عن أبي هريرة به^(١).

وقد روى ابن جرير، عن مجاهد بن موسى، عن يزيد، عن سليمان بن حيّان، عن مروان الأصغر، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: عرضتان معاذير وخصومات، والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله^(٢)، ورواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلًا مثله.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَتَبَهُ بِيَمِينِهِ فَقَوْلُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾ ٢١ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبَاءَ﴾ ٢٢ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ٢٣ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ٢٤ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِئَةِ﴾ ٢٥.

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾ أي: خذوا اقرؤوا كتابه لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضه، لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات^(٣).

قال عبد الرحمن بن زيد: معنى ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾ أي: هاقرؤوا كتابه و«أم» زائدة كذا قال^(٤)، والظاهر أنها بمعنى: هاكم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا بشر بن مطر الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا عاصم الأحول، عن أبي عثمان قال: المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرأها فيرجع إليه لونه. ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، قال: فعند ذلك يقول: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾^(٥).

وحدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا موسى بن عبيدة، أخبرني عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال: إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبيدي؛ أي: يظهر سيئاته في ظهر صحيفته، فيقول له: أنت عملت هذا؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول له: إني لم أفضحك به، وإني قد غفرت لك. فيقول عند ذلك: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾ ٢١ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبَاءَ﴾ ٢٢ ﴿حِينَ نَجَا مِنْ فَضِيحَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٦).

وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى إذا رأى أنه قد هلك، قال الله تعالى أني

(١) سنن الترمذي، صفة القيامة، باب ما جاء في العرض (ح ٢٤٢٧)؛ وضعف سننه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله. وذكره الدارقطني من حديث أبي موسى مرفوعاً وموقوفاً ثم قال: الموقوف هو الصحيح. (العلل ٧/ ٢٥١) فيكون هذا الموقوف الصحيح شاهداً لرواية الطبري.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند رجاله ثقات عن معمر عن قتادة لكنه مرسل ويتقوى بساقه.

(٤) لم يقل به عبد الرحمن بن زيد، وقد أخرج الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بلفظ: «تعالوا».

(٥) سننه ضعيف لإرساله.

(٦) سننه ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الربذي، وإرساله.

سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»^(١).

وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ أي: قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة كما قال: ﴿الَّذِينَ يَطْلُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] قال الله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي: مرضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم [حبورها]^(٢).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكوني، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن سعيد بن يوسف، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة قال: سأل رجل رسول الله ﷺ: هل يتزاور أهل الجنة؟ قال: «نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلى تقصر بهم أعمالهم»^(٣).

وقد ثبت في الصحيح: «إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»^(٤). وقوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ قال البراء بن عازب: أي: قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره^(٥)، وكذا قال غير واحد.

قال الطبراني، عن عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن عطاء بن يسار، عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»^(٦). وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، عن رسول الله ﷺ قال: «يعطى المؤمن جوازاً على الصراط: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»^(٧).

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ اللَّائِيَةِ﴾ أي: يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً وإنعاماً وإحساناً، وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

(١) تقدم تخريجه في الصحيحين في تفسير سورة هود آية ١٨.

(٢) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل صحفت إلى: «حورها».

(٣) سنده ضعيف لضعف سعيد بن يوسف (التقريب ص ٢٤٣).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء آية ٩٦.

(٥) أخرجه عبد بن حميد بسند صحيح من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء؛ وأخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق الثوري عن أبي إسحاق به (ينظر فتح الباري ٦/٣٢١).

(٦) أخرجه الطبراني من طريق عبد الرزاق به. (المعجم الكبير ٦/٢٧٢ ح ٧٤٢٣) وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زياد بن أنعم.

(٧) أخرجه ابن الجوزي من طريق سعدان بن سعيد وأعله به لأن سعدان بن سعيد مجهول. (العلل المتناهية ٢/٤٤٦).

قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»^(١).

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كَيْدَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِي لَرَأُوتَ كَيْدِي ۖ وَلَرَأُوتَ مَا حِسَابِي ۖ يَلْتَنِيهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۖ﴾ (٧٧) ﴿مَا أَغْفَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ﴾ (٧٨) ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۖ﴾ (٧٩) ﴿خَذُوهُ فَعْلُوهُ ۖ﴾ (٨٠) ﴿ثُمَّ لَلْجِجِمْ صَلْوُهُ ۖ﴾ (٨١) ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ﴾ (٨٢) ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ لَا يَوْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ﴾ (٨٣) ﴿وَلَا يَخْصُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ﴾ (٨٤) ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنًا حَمِيمٌ ۖ﴾ (٨٥) ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۖ﴾ (٨٦) ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِلُونَ ۖ﴾ (٨٧).

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله، فحينئذ يندم غاية الندم ﴿فَيَقُولُ يَلْتَنِي لَرَأُوتَ كَيْدِي ۖ وَلَرَأُوتَ مَا حِسَابِي ۖ﴾ (٧٧) يَلْتَنِيهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةُ يعني موته لا حياة بعدها^(٢)، وكذا قال محمد بن كعب والربيع والسدي.

وقال قتادة: تمنى الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه^(٣) ﴿مَا أَغْفَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ﴾ (٧٨) هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ (٧٩) أي: لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خلص الأمر إلي وحدي فلا معين لي ولا معجير، فعندها يقول الله ﷻ: ﴿خَذُوهُ فَعْلُوهُ ۖ﴾ (٨٠) ﴿ثُمَّ لَلْجِجِمْ صَلْوُهُ ۖ﴾ (٨١) أي: يأمر الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر فتغله؛ أي: تضع الأغلال في عنقه ثم تورده إلى جهنم فنصليه إياها؛ أي: تغمره فيها.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن عمرو بن قيس، عن المنهال بن عمرو قال: إذا قال الله تعالى خذوه ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك منهم ليقول هكذا فيلقي سبعين ألفاً في النار^(٤).

وروى ابن أبي الدنيا في الأحوال أنه يبتدره أربعمئة ألف ولا يبقى شيء إلا دقه، فيقول: ما لي ولك؟ فيقول: إن الربّ عليك غضبان، فكل شيء غضبان عليك.

وقال الفضيل بن عياض: إذا قال الربّ ﷻ: ﴿خَذُوهُ فَعْلُوهُ ۖ﴾ (٨٠) ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه ﴿ثُمَّ لَلْجِجِمْ صَلْوُهُ ۖ﴾ (٨١) أي: اغمروه فيها^(٥).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ﴾ (٨٢) قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا^(٦).

وقال العوفي، عن ابن عباس وابن جريج: بذراع الملك^(٧).

وقال ابن جريج: قال ابن عباس: ﴿فَاسْلُكُوهُ ۖ﴾ تدخل في أسسته ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يُشوى^(٨).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الدخان آية ٥١ - ٥٦.

(٢) أخرجه هناد بسند ضعيف من طريق جوير عن الضحاك (الزهد رقم ٢٢٤).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) سنده ضعيف لإعضاله. (٥) سنده ضعيف كسابقه.

(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وغيرهما، والخبر من الإسرائيليات.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي به.

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يدرك ابن عباس ﷺ.

وقال العوفي، عن ابن عباس: يسلك في دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجله^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق، أخبرنا عبد الله، أخبرنا سعيد بن يزيد، عن أبي السمح، عن عيسى بن هلال الصديقي، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رصاصة مثل هذه - وأشار إلى جمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها»^(٢). وأخرجه الترمذي، عن سويد بن نصر، عن عبد الله بن المبارك به، وقال: هذا حديث حسن^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَوْمَنُ بِاللَّهِ الْغَيْبِ﴾ (٣٣) وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿٣٤﴾ أي: لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم، فإن الله على العباد أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى، ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقبض النبي ﷺ وهو يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ (٢٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلَيْنِ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ أي: ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب، ولا شفيع يطاع، ولا طعام له ههنا إلا من غسلين.

قال قتادة: هو شر طعام أهل النار^(٥).

وقال الربيع والضحاك: هو شجرة في جهنم^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا أبو سعيد المؤدب، عن خُصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: ما أدري ما الغسلين؟ ولكني أظنه الزقوم^(٧).

وقال شبيب بن بشر: عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم^(٨).

وقال علي بن أبي طلحة عنه: الغسلين: صديد أهل النار.

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله مع تقديم: أصلها على قعرها. (المسند ١١/٤٤٣، ٤٤٤ ح ٦٨٥٦) وحسنه محققوه.

(٣) سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ذكر السلسلة بالنار (ح ٢٥٩١).

(٤) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك ﷺ (السنن، الوصايا، باب هل أوصى رسول الله ﷺ ح ٢٦٩٧)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٣/٥٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢١٨٣).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٦) قول غريب والصحيح أن الزقوم هي شجرة في جهنم.

(٧) سنده ضعيف لأن خُصيف سيء الحفظ، وهو يخالف الروايتين التاليتين الثابتين.

(٨) سنده حسن، ويتقوى بما يليه.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ .

يقول تعالى مقسماً لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم^(١): إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة فقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ يعني: محمداً ﷺ، أضافه إليه على معنى التبليغ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا أضافه في سورة التكويد إلى الرسول الملكي ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٤٠) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٤١﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٤٢﴾ وهذا جبريل عليه السلام، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (٤٣) يعني: محمداً ﷺ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (٤٤) يعني: أن محمداً رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٤٥) أي: بمتهم، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ﴾ (٤٦) [التكويد] وهكذا قال ههنا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ (٤٧) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٨﴾ فأضافه الله تارة إلى قول الرسول الملكي وتارة إلى الرسول البشري؛ لأن كلا منهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه، ولهذا قال تعالى: ﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٩) .

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثنا شريح بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقامت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال، فقرأ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ قال: فقلت كاهن، قال: فقرأ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ (٤٢) نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ ﴿٤٧﴾ إلى آخر السورة قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع^(٢).

فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة، والله الحمد.

﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّمَا لِلذِّكْرِ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّمَا لِحَسْرَةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّمَا لِحَقِّ الْبَقِيَّةِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ .

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا﴾ أي: محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلنا بالعقوبة، ولهذا قال تعالى:

(١) أخرجه الطبري بسنده ثابت من طريق علي به.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/ ٢٦٢، ٢٦٣ ح ١٠٧) وضعف سنده محققوه؛ لأن شريح بن عبيد لم يدرك عمر رضي الله عنه.

﴿لَا خِزْيًا مِنَّا لِلْإِيمَانِ﴾ ٤٥ قيل: معناه: لا نتقننا منه باليمين لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا منه يمينه ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنَّا الْوَثِينَ﴾ ٤٦ قال ابن عباس: وهو نياط القلب^(١). وهو العرق الذي القلب معلق فيه، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحكم وقتادة والضحاك، ومسلم البطين وأبو صخر حميد بن زياد^(٢).

وقال محمد بن كعب: هو: القلب ومراقه وما يليه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزٌ﴾ ٤٧ أي: فما يقدر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك. والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لأن الله ﷻ مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٤٨ يعني: القرآن كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤] ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مَّكَذِبِينَ﴾ ٤٩ أي: مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ٥٠.

قال ابن جرير: وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة^(٣). وحكاها عن قتادة بمثله^(٤). وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي، عن أبي مالك ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ٥٠ يقول: لندامة^(٥)، ويحتمل عود الضمير على القرآن؛ أي: وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٥١ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الشعراء] وقال تعالى: ﴿وَجِبِلٌ يَبِينُهُمْ وَيَبِينُ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] ولهذا قال ههنا: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْبَقِيَّةِ﴾ ٥٢ أي: الخبر الصادق الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب، ثم قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ٥٣ أي: الذي أنزل هذا القرآن العظيم. آخر تفسير سورة الحاقة، والله الحمد.

(١) أخرجه الطبري بأسانيد حسان وأسانيد يقوى بعضها بعضاً، وأخرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ: «حبل القلب»، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٥٠١/٢).

(٢) أخرجه الطبري بسندين عن سعيد بن جبير يقوى أحدهما الآخر؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد وقول عكرمة عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣) ذكره الطبري بلفظه.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «ذاكم يوم القيامة».

(٥) سنده حسن، ومعناه صحيح.

سُورَةُ سَأَلَ سَائِلٌ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَأَيْنَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ .

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ فيه تضمين دلّ عليه حرف الباء كأنه مقدر: استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى: ﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧] أي: وعذابه واقع لا محالة.

قال النسائي: حدثنا بشر بن خالد، حدثنا أبو أسامة، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ قال: النضر بن الحارث بن كلدة^(١). وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ قال: «ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله» وهو واقع بهم^(٢)، قال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة، قال: وهو قولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣﴾ [الأنفال: ٣٢] وقال ابن زيد وغيره: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ أي: واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب^(٤). وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد، والصحيح الأول لدلالة السياق عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: مرصد معد للكافرين.

وقال ابن عباس: ﴿وَاقِعٍ﴾: جاء. ﴿لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ﴾ أي: لا دافع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ﴿٣﴾ .

قال الثوري، عن الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى:

(١) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن الكبرى، التفسير، سورة المعارج ح ١١٦٢٠)؛ وأخرجه الحاكم من طريق سفيان الثوري به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٠٢/٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن وهب عن ابن زيد قال بعض أهل العلم: هو واد في جهنم يقال له: سائل.

﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ قال: ذو الدرجات^(١)، وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يعني: العلو والفواضل^(٢).

وقال مجاهد: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ معارج السماء^(٣).

وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم^(٤).

وقوله تعالى: ﴿تَنْجِي الْمَلَكُوتَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ﴾ قال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة: ﴿تَنْجِي﴾ تصعد.

وأما الروح فقال أبو صالح: هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناساً.

قلت: ويحتمل أن يكون المراد به: جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم، فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء^(٥)، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال، عن زاذان، عن البراء مرفوعاً الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة قال فيه: «فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله»^(٦) والله أعلم بصحته، فقد تكلم في بعض رواته ولكنه مشهور، وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار عنه، وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ النَّبِيْنَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم].

وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، وهو قرار الأرض السابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الأرض السابعة، وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة، وإنه من ياقوته حمراء^(٧) كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب «صفة العرش».

وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية: حدثنا أحمد بن سلمة، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا حكام، عن عمر بن معروف، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسين ألف سنة.

(١) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف لجهالة شيخ الأعمش.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧. (٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ٣.

﴿وَلَيْكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] يعني: بذلك حين ينزل الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض مقدار مسيرة خمسمائة عام^(١).

وقد رواه ابن جرير، عن ابن حميد، عن حكام بن سالم، عن عمر بن معروف، عن ليث، عن مجاهد قوله، لم يذكر ابن عباس^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا نوح المؤدب، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس قال: غلظ كل أرض خمسمائة عام، وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام، فذلك سبعة آلاف عام، وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام، فذلك أربعة آلاف عام، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام، فذلك قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٣).

القول الثاني: أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، أخبرنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: الدنيا عمرها خمسون ألف سنة، وذلك عمرها يوم سماها الله ﷻ: يوماً ﴿تَرْجُ الْمَلَكُتُكُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ قال: اليوم الدنيا^(٤).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وعن الحكم بن أبان، عن عكرمة: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحد كم مضى؟ ولا كم بقي؟ إلا الله ﷻ^(٥).

القول الثالث: أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جداً. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا بهلول بن المورق، حدثنا موسى بن عبيدة، أخبرني محمد بن كعب: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة^(٦).

القول الرابع: أن المراد بذلك يوم القيامة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: يوم القيامة^(٧). وإسناده صحيح، ورواه الثوري عن

(١) في سننه ليث وهو ابن أبي سليم فيه مقال، وقد وصله هنا إلى ابن عباس، وفي رواية الطبري التالية بدون ذكر ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله. وسنده كسابقه.

(٣) سننه ضعيف لضعف عبد الوهاب بن مجاهد وهو ابن جبير.

(٤) سننه ضعيف لانقطاعه فإن ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

(٥) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبسند حسن من طريق معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة.

(٦) سننه ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الربذي. (٧) صحح سننه الحافظ ابن كثير.

سماك بن حرب، عن عكرمة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يوم القيامة^(١)، وكذا قال الضحاك وابن زيد^(٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: [هو]^(٣) يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة^(٤). وقد وردت أحاديث في معنى ذلك. قال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قيل لرسول الله ﷺ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ما أطول هذا اليوم! فقال رسول الله: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا»^(٥). ورواه ابن جرير، عن يونس، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج به^(٦)، إلا أن دراجاً وشيخه أبا الهيثم ضعيفان، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي عمر الغداني قال: كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له: هذا أكثر عامري مالاً، فقال أبو هريرة، ردوه إليّ فردوه فقال: بُنْتُ أَنْكَ ذُو مَالٍ كَثِيرٍ. فقال العامري: إي والله إن لي لمائة حمراً، ومائة أدماً حتى عدّ من ألوان الإبل وأفنان الرقيق ورباط الخيل، فقال أبو هريرة: إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم، يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال: ما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدها»^(٧) ورسولها»^(٨) قلنا: يا رسول الله ما نجدها ورسولها؟ قال: «في عسرها ويسرها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ»^(٩) ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره، ثم يبطح لها بقاع قرقر^(١٠) فتطؤه بأخفافها، فإذا جاوزته أخرجها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله، وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدها ورسولها، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره، ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات بقرنها، ليس فيها عقصاء ولا عضباء، إذا جاوزته أخرجها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله، وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدها ورسولها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات بقرنها، ليس فيها عقصاء^(١١) ولا

(١) سنده صحيح لكنه مرسل ويتقوى بسابقه.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣/ ٧٥)؛ وسنده ضعيف كما قرر الحافظ ابن كثير وغيره.

(٦) أخرجه الطبري عن يونس به، وسنده كسابقه.

(٧) أي: الشدة.

(٨) كأغذ: من الأغذاذ: أي: أسرع وأنشط.

(٩) أي: الثاني.

(١٠) أي: الملتوية القرن.

(١١) أي: المكان المستوي.

عضباء^(١) إذا جاوزته أخرها أعيدت عليه أولها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله» فقال العامري: وما حق الإبل يا أبا هريرة؟ قال: أن تعطي الكريمة، وتمنح الغزيرة^(٢) وتفقر الظهر^(٣)، وتسقي الإبل وتطرق الفحل^(٤). وقد رواه أبو داود من حديث شعبة، والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به^(٥).

طريق أخرى لهذا الحديث: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار». وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم، وفيه: «الخیل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر» إلى آخره^(٦)، ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفرداً به دون البخاري من حديث سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة^(٧). وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الأحكام، والغرض من إيراده ههنا قوله: «حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة».

وقد روى ابن جرير، عن يعقوب، عن ابن عليّ وعبد الوهاب، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة قال: سأل رجل ابن عباس، عن قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: فاتهمه، فقال: إنما سألتك لتحدثني، قال: هما يومان ذكرهما الله، والله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم^(٨).

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا ۝٥﴾ أي: اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه كقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۝١٨﴾ [الشورى: ١٨] ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦﴾ أي: وقوع العذاب. وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى استحيل الوقوع ﴿وَرَنَّهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ أي: المؤمنون يعتقدون كونه قريباً، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله ﷻ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة.

(١) أي: المكسورة القرن.

(٢) أي: الكثيرة اللبن.

(٣) أي: تعيره للحمل والركوب.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٣٠/١٦، ٢٣١ ح ١٠٣٥)، وقال محققوه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي عمر الغداني. اهـ. ولو قالوا: حسن لغيره لكان أحسن.

(٥) سنن أبي داود، الزكاة، باب في حقوق المال (ح ١٤٦٢)؛ وسنن النسائي، الزكاة، باب التغليظ في حبس الزكاة ١٢/٥؛ وحسنه الألباني بما بعده. صحيح سنن أبي داود (ح ١٤٦٢).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٧/١٣ - ٩ ح ٧٥٦٣) وصححه سنداه محققوه.

(٧) صحيح مسلم، الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (ح ٩٨٧).

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِجْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا يَنْتَلِ حِمِيمٌ حِمِيمًا ۝ يَصْرُوهُمْ ۝ يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ بَيْنِهِ ۝ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوِّبُ ۝ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حِمِيمًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْفَى ۝ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ۝ تَتَعَوَّضُ عَنْ آذِيرٍ تَنْوَلُ ۝ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۝﴾

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِجْلِ ۝﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وغير واحد: أي: كدردي الزيت^(١) ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝﴾ أي: كالصوف المنفوش، قاله مجاهد وقتادة والسدي^(٢)، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝﴾ [القارعة].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْتَلِ حِمِيمٌ حِمِيمًا ۝﴾ أي: لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره.

قال العوفي، عن ابن عباس: يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝﴾ [عبس].^(٣)

وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿يَكَايَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۝﴾ [لقمان: ٣٣] وكقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَدْعُ مُمْغِلَةً إِلَىٰ جَهَنَّمَ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۝﴾ [فاطر: ١٨] وكقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۝﴾ [المؤمنون] وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۝ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝﴾ [عبس].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ بَيْنِهِ ۝ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوِّبُ ۝ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حِمِيمًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝ كَلَّا ۝﴾ أي: لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو بملء الأرض ذهباً، أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه.

قال مجاهد والسدي: ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قبيلته وعشيرته^(٤).

وقال عكرمة: فخذ الذي هو منهم.

وقال أشهب، عن مالك: فصيلته: أمه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَأَطْفَى ۝ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ۝﴾ النار وشدة حرها ﴿نَزَاعَةً لِلشَّوَى ۝﴾ قال ابن عباس ومجاهد: جلدة الرأس^(٥).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الكهف آية ٢٩، وسورة الدخان آية ٤٥؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: كعكر الزيت.

(٢) أخرجه الطبري بالسند المتقدم عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «قبيلته»؛ وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «عشيرته».

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: لجلود الرأس.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ (١١) ﴿الجلود والهَام﴾ (١).

وقال مجاهد: ما دون العظم من اللحم (٢).

وقال سعيد بن جبير: للعصب والعقب.

وقال أبو صالح: ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ (١١) يعني: أطراف اليدين والرجلين، وقال أيضاً ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾

﴿لحم الساقين﴾ (٣).

وقال الحسن البصري وثابت البناني: ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ (١١) أي: مكارم وجهه.

وقال الحسن أيضاً: تحرق كل شيء فيه ويبقى فؤاده يصيح (٤).

وقال قتادة ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ (١١) أي: نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه (٥).

وقال الضحاك: تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً (٦).

وقال ابن زيد: «الشوى»: الأراب العظام (٧)، فقلوه: «نزاعة» قال: تقطع عظامهم ثم تبدل

جلودهم وخلقهم.

وقوله تعالى: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ (٧) ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (٨) أي: تدعو النار إليها أبناءها الذين

خلقهم الله لها، وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق

ذَلِكْ ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب، وذلك أنهم كما قال الله ﷻ:

كانوا ممن ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ أي: كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (٨) أي: جمع المال

بعضه على بعض فأوعاه؛ أي: أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج

الزكاة، وقد ورد في الحديث: «لا توعي فيوعي الله عليك» (٨).

وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيساً ويقول: سمعت الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (٨).

وقال الحسن البصري: يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا (٩).

وقال قتادة في قوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (٨) قال: كان جموعاً [قموماً] (١٠) [للخيث] (١١).

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما يليه.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي: ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.

(٤) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق قرة عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٢٩.

(٩) أخرجه ابن سعد (الطبقات الكبرى ١١٤/٦)؛ والطبري كلاهما من طريق أبي قطن عن المسعودي عن

الحكم عن عبد الله بن عكيم.

(١٠) كذا في (ح) و(حم) وفي الأصل بياض.

(١١) كذا في تفسير الطبري فقد أخرجه بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. وفي الأصول

الخطية صُحِفَ إلى: «الحديث».

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٨) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُتَّفِقُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْوَاحِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٢٩﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٣﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٨) ثم فسر به بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (٢٠) أي: إذا مسه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (٢١) أي: إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا موسى بن علي بن رباح، سمعت أبي يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «شر ما في رجل: شح هالع وجبن خالع»^(١). ورواه أبو داود، عن عبد الله بن الجراح، عن أبي عبد الرحمن المقرئ به^(٢). وليس لعبد العزيز عنده [سواه]^(٣).

ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (٢٢) أي: الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم، إلا من عصمه الله ووقفه وهده إلى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (٢٣) قيل: معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها، قال ابن مسعود ومسروق وإبراهيم النخعي^(٤).

وقيل: المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ [المؤمنون] قاله عقبه بن عامر^(٥): ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته؛ لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته.

وقيل: المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»^(٦) وفي لفظ:

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٤/ ١٥ ح ٨٢٦٣) وصححه سننه محققوه.

(٢) سنن أبي داود، الجهاد باب في الجرأة والجبن (ح ٢٥١١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٢١٩٢).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن عن ابن مسعود (المصنف ١/ ٣٥٠)؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم النخعي.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي الخير، وهو مرثد، عن عقبه بن نافع الجهني.

(٦) صحيح البخاري، اللباس، باب الجلوس على الحصر ونحوه (ح ٥٨٦١).

«ما دام عليه صاحبه»^(١) قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً داوم عليه^(٢)، وفي لفظ أثبتته^(٣).

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^(٢٣): ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة، فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن^(٤).

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾^(٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَرْجُومِ^(٢٥) أي: في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الذاريات.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ﴾^(٢٦) أي: يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب. ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾^(٢٧) أي: خائفون وجلون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾^(٢٨) أي: لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ﴾^(٢٩) أي: يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾^(٣٠) أي: من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾^(٣١) فَنِ ابْتِغَىٰ رِزْقَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفَادُونَ^(٣٢) وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣٣) [المؤمنون] بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾^(٣٤) أي: إذا أؤتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد في الحديث الصحيح: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(٥) وفي رواية: «إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾^(٣٥) أي: محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْنَهَا فَإِنَّهُ فِي أُنْفُسِهِمْ قَلْبٌ مَّوَدُنٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾^(٣٦) أي: على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣٧) سواء ولهذا قال هناك: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^(٣٨) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٣٩) [المؤمنون] وقال ههنا: ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾^(٤٠) أي: مكرمون بأنواع الملاذ والمسار.

(١) صحيح البخاري، الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه (ح ٤٣).

(٢) صحيح البخاري، الصوم، باب صوم شعبان (ح ١٩٧٠).

(٣) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل (ح ١٤١/٧٤٦).

(٤) صحيح الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل. (٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الصف آية ٢.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة المؤمنون آية ٨.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَتَطَّعُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْتُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا كَانَتْهُمْ إِلَى نَصَبٍ يُفْضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلِكَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾.

يقول تعالى منكرًا على الكفار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيداه الله به من المعجزات الباهرات، ثم هم مع هذا كله فأروا منه متفرقون عنه، شاردون يمينًا وشمالًا فرقًا فرقًا، وشيعًا شيعًا، كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٨) كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَفِرَّةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَيَّنَ مِنْ قُورَقٍ ﴿٥١﴾ الآية [المدرثر] وهذه مثلها فإنه قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ (٣٦) أي: فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين؟ أي: مسرعين نافرين منك، كما قال الحسن البصري: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: منطلقين^(١).

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (٣٧) واحدها عزة؛ أي: متفرقين، وهو حال من مهطعين؛ أي: في حال تفرقهم واختلافهم كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء: فهم مخالفون للكتاب مختلفون في الكتاب متفقون على مخالفة الكتاب.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ (٣٦)، قال: قبلك ينظرون ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (٣٧) قال: العزير: العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به^(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا أبو عامر، حدثنا قُرَّة، عن الحسن في قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (٣٧) أي: متفرقين يأخذون يمينًا وشمالًا يقولون: ما قال هذا الرجل^(٣)؟

وقال قتادة: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ عامدين ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (٣٧) أي: فرقًا حول النبي ﷺ لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبه ﷺ^(٤).

وقال الثوري وشعبة وعبر بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووکیع ويحيى القطان وأبو معاوية، كلهم عن الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن تميم بن طرفة، عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم جُلِقَ فقال: «ما لي أراكم عزين؟» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي، وابن جرير من حديث الأعمش به^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم جُلِقَ فقال: «ما لي أراكم عزين؟»^(٦). وهذا إسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه.

(١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي عامر عن قرة عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. (٣) أخرجه الطبري عن ابن بشار به، وسنده جيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) المسند ٩٣/٥؛ وصحيح مسلم، الصلاة.

(٦) في سنده مؤمل وفي روايته عن سفيان مقال ولكنه توبع في الرواية السابقة من طرق أخرى، فيتقوى ولهذا حكم عليه الحافظ ابن كثير بأن إسناده جيد.

وقوله تعالى: ﴿أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمٍ﴾ (٣٨) ﴿كَلَّا﴾ أي: أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن رسول الله ﷺ ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم؟ كلاً بل مأواهم جهنم.

ثم قال تعالى مقررًا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلًا عليهم بالبداة التي الإعادة أهون منها، وهم معترفون بها، فقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من المني الضعيف، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (٢٥) [المرسلات] وقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥) ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ (٦) ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٧) ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (٨) ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (٩) ﴿فَأَلَمْ يَنْفَعِهِمْ قُوَّةُ وَلَا نَاصِرٍ﴾ (١٠) [الطارق].

ثم قال تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الشَّرِّ وَالْقَرِيبِ﴾ أي: الذي خلق السموات والأرض وجعل مشرقاً ومغرباً وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها. وتقدير الكلام: ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور، بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة، ولهذا أتى بلا في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي، وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة. وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة، وهو خلق السموات والأرض وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات، ولهذا قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) [غافر] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْنَمْ يَخْلُقْهُمْ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتُ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٣) [الأحقاف] وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨١) [يس] وقال ههنا: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الشَّرِّ وَالْقَرِيبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ (٤٠) ﴿عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فإن قدرته صالحة لذلك ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: بعاجزين كما قال تعالى: ﴿أَجَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (٢) ﴿بَلَى قَدِيرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ (٣) [القيامة] وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَهُمُ الْوَتْنَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (١٥) ﴿عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦) [الواقعة] واختار ابن جرير ﴿عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخرى عليه، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿قَدَرَهُمْ﴾ أي: يا محمد ﴿يُحْضَوْنَ وَيَلْعَبُونَ﴾ أي: دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ أي: فسيعلمون غيب ذلك ويدوقون وباله ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نَصْبِ يَوْضُونَ﴾ (١٢) أي: يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون.

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: إلى علم يسعون^(١).

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بالآثار التالية: فقد أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقال أبو العالية ويحيى بن أبي كثير: إلى غاية يسعون إليها^(١).

وقد قرأ الجمهور «إلى نُصَب» بفتح النون وإسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنسوب.

وقرأ الحسن البصري «نُصَب» بضم النون والصاد^(٢) وهو الصنم؛ أي: كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه، يوفضون يبتدرون أيهم يستلمه أول، وهذا مروي عن مجاهد ويحيى بن أبي كثير ومسلم البطين وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وأبي صالح وعاصم بن بهدلة وابن زيد وغيرهم^(٣).

وقوله تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَهْنُرُهُمْ﴾ أي: خاضعة ﴿زَهْفُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ أي: في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

آخر تفسير سورة سأل سائل [ولله الحمد والمنة]^(٤).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف، وهو الأعرابي، عن أبي العالية؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند حسن من طريق أبي عمرو عن يحيى بن أبي كثير.

(٢) القراءتان متواترتان.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب، وهو عبد الله، عن ابن زيد، وهو عبد الرحمن، وأخرجه أيضاً بسند جيد من طريق قرّة عن الحسن، وهو البصري.

(٤) زيادة من (ح).

سُورَةُ نُوحٍ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّضْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه آمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنبأوا رفع عنهم. ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ أي: بين النذارة ظاهر الأمر واضح، ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ﴾ أي: اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمهم ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به وأنهاكم عنه ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: إذا فعلتم ما أمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم، ومن - ههنا - قيل إنها زائدة، ولكن القول بزيادتها في الإثبات قليل، ومنه قول بعض العرب: قد كان من مطر، وقيل: إنها بمعنى عن تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم، واختاره ابن جرير.

وقيل: إنها للتبعض؛ أي: يغفر لكم الذنوب العظيمة التي وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام ﴿وَيُخَوِّضْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يمد في أعماركم ويدراً عنكم العذاب الذي إن لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم.

وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزداد بها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر»^(١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة فإنه إذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذي قد قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات.

(١) أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة وأطول (المعجم الكبير ٣١٢/٨ ح ٨٠١٤)؛ وحسنه المنذري (الترغيب والترهيب ٦٧٩/١)؛ وحسنه الهيثمي (مجمع الزوائد ١١٨/٣) وله شاهد في الصحيحين بلفظ: «من أحب أن يُيسر له في رزقه، ويُسأل في أجله فليصل رحمه» تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٢٦.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِي عَادَاتِهِمْ ﴿٧﴾ وَأَسْتَغْفِرُوا شَيْبَهُمْ وَأَصْرَهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَنْ قَارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَجَنَّتْ لَكُمْ جَنَّتٌ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾.

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه ﷻ ما لقي من قومه، وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشd والسبيل الأقوم، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار امتثالاً لأمرك وابتغاءً لطاعتك ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فرّوا منه وحادوا عنه ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِي عَادَاتِهِمْ وَأَسْتَغْفِرُوا شَيْبَهُمْ﴾ أي: سُدُّوا آذانهم لئلا يسمعون ما أدعوهم إليه كما أخبر تعالى عن كفار قريش: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت].

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا شَيْبَهُمْ﴾ قال ابن جريج عن ابن عباس: تنكروا له لئلا يعرفهم^(١).

وقال سعيد بن جبير والسدي: غطوا رؤوسهم لئلا يسمعون ما يقول^(٢). ﴿وَأَصْرَهُمْ﴾ أي: استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع^(٣).

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ أي: واستكفوا عن اتباع الحق والانقياد له ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ أي: جهره بين الناس ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ أي: كلاماً ظاهراً بصوت عالٍ ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ أي: فيما بيني وبينهم، فنوّع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَنْ قَارًا﴾ أي: ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب فإنه من تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك، ولهذا قال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَنْ قَارًا﴾ ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ أي: متواصلة الأمطار، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية، وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه السلام أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَنْ قَارًا﴾ ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ثم قال: لقد طلبت الغيث [بمجادح]^(٤) السماء التي يستنزل بها المطر^(٥).

(١) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بالسند المتقدم عن ابن زيد.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحفت إلى: «بمجارح»، ومعناها النجوم.

(٥) أخرجه عبد الرزاق من طريق عامر الشعبي عن عمر (المصنف ٨٧/٣ رقم ٤٩٠٢) وسنده منقطع؛ لأن الشعبي لم يسمع من عمر.

وقال ابن عباس وغيره: يتبع بعضه بعضاً^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَيُذَكِّرُ بِأَمْوَالِ وَيَنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا﴾^(١٧) أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم أسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين؛ أي: أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تُرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾^(١٨)؟ أي: عظمة، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك^(٢).

وقال ابن عباس: لا تعظمون الله حق عظمتة^(٣)؛ أي: لا تخافون من بأسه ونقمتة ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾^(١٩) قيل: معناه: من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدي وابن زيد^(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَنَوَاتٍ طَبَاقًا﴾^(٢٠)؟ أي: واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط؟ أو هو من الأمور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات؟ فإن الكواكب السبعة السيارة يكشف بعضها بعضاً فأدناها القمر في السماء الدنيا، وهو يكشف ما فوقه، وعطارد في الثانية، والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة، والمريخ في الخامسة، والمشتري في السادسة، وزحل في السابعة، وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ففي فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت، والمتشرعون منهم يقولون هو: الكرسي، والفلك التاسع وهو الأطلس، والأثير عندهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك، وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهي من المغرب إلى المشرق، وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعاً، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فإنها تسير من المغرب إلى المشرق، وكل يقطع فلكه بحسبه، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة، والشمس في كل سنة مرة، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة، وذلك بحسب اتساع أفلاكها وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة.

هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لسننا بصدد بيانها وإنما المقصود أن الله ﷻ: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَنَوَاتٍ طَبَاقًا﴾^(٢٠) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا^(٢١) أي: فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلا منهما أنموذجاً على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر للقمر منازل وبروجاً وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى، ثم يشرع في النقص حتى يستتر ليدل على مضي الشهور والأعوام، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢٢) [يونس].

(١) معناه صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه، ويتقوى بسابقه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ١٩٨/٨)؛ والطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝٧﴾ هذا اسم مصدر والإتيان به ههنا أحسن ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي: إذا متم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ أي: يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝٨﴾ أي: بسطها ومهدّها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشّم الشامخات ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٩﴾ أي: خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأراجائها وأقطارها، وكل هذا مما ينبههم به نوح ﷺ على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والأرض مهاداً وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يُعبد ويُوحَد ولا يُشرك به أحد؛ لأنه لا نظير له ولا عدیل ولا ندّ ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلي الكبير.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّزَّ بَزْدَهُ مَالَهُمْ وَلَوْلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝١٠﴾ وَمَكْرُؤًا مَّكَرًا كَبِيرًا ﴿١١﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿١٢﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَبِيرًا وَلَا نُرِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝١٣﴾

يقول تعالى مخبراً عن نوح ﷺ إنه أنهى إليه، وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء، أنه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى أنهم عصوه وخالفوه وكذبوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بمال وأولاد وهي نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام ولهذا قال: ﴿وَأَتَّبِعُوا مَن لَّزَّ بَزْدَهُ مَالَهُمْ وَلَوْلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ قرئ ﴿وَلَوْلَدُهُ﴾ بالضم وبالفتح^(١) وكلاهما متقارب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكَرًا كَبِيرًا ۝١١﴾ قال مجاهد: كباراً؛ أي: عظيماً^(٢).

وقال ابن زيد: ﴿كَبِيرًا﴾؛ أي: كبيراً^(٣)، والعرب تقول: أمر عجيب وعُجَاب وعُجَاب، ورجل حسان وحسان، وجُمَال وجُمَال بالتخفيف والتشديد^(٤) بمعنى واحد، والمعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكَرًا كَبِيرًا ۝١١﴾ أي: باتباعهم في تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة ﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ [سبا: ٣٣] ولهذا قال ههنا: ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكَرًا كَبِيرًا ۝١١﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿١٢﴾ وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله.

قال البخاري: حدثنا إبراهيم، حدثنا هشام، عن ابن جريج، وقال عطاء: عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل،

(١) أي: بضم وفتح الواو الثانية، والقراءتان متواترتان.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) ذكره الطبري بلفظه.

وأما سُواع فكانت لهذيل، وأما يَغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجُرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نَسْر فكانت لحمير لآل ذي كلاع، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عبادت^(١)، وكذا روي عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو هذا^(٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هذه أصنام كانت تعبد في زمن نوح^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس: ﴿وَيَعُوقُ وَنَسْرًا﴾ قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال: أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسقون المطر فعبدوهم^(٤).

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة شيث عليه السلام من طريق إسحاق بن بشر قال: أخبرني جوير ومقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: ولد لآدم عليه السلام أربعون ولداً، عشرون غلاماً وعشرون جارية، فكان ممن عاش منهم هابيل وقابيل وصالح وعبد الرحمن الذي سماه: عبد الحارث^(٥)، ووَدَّ، وكان وَدَّ يقال له: شيث ويقال له: هبة الله، وكان إخوته قد سوّدوه، وولد له سواع ويغوث ويعوق ونسر^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عمرو الدوري، حدثني أبو إسماعيل المؤدب، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز، عن أبي حنيفة، عن عروة بن الزبير قال: اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود ويغوث وسواع ونسر قال: وكان وَدَّ أكبرهم وأبرهم به^(٧).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا يعقوب، عن أبي المطهر قال: ذكروا عند أبي جعفر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب، قال: فلما انفتل من

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله ولفظ: ونسخ وهي رواية لجمهور رواة البخاري أما ما أثبتته الحافظ ابن كثير فهو رواية أبي ذر الهروي والكشميهني (فتح الباري ٦٦٩/٨ مع صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَدَّ وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح: ٢٣] ح ٤٩٢٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد مختصراً؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه ويتقوى برواية البخاري السابقة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لإرساله ويتقوى برواية البخاري السابقة.

(٥) لم يسم آدم هذا الاسم، وهذه الروايات وغيرها كلها ضعيفة، وهي من الإسرائيليات المخالفة للقرآن والسنة؛ لأن هذه التسمية فيها شرك، وآدم عليه الصلاة والسلام موحد ونبي مكلم.

(٦) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع ابن عباس عليه السلام.

(٧) سنده ضعيف لإرساله.

صلاته قال: ذكرتم يزيد بن المهلب أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله، قال: ثم ذكروا رجلاً مسلماً وكان محبباً في قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه، فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبّه في صورة إنسان، ثم قال: إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه؟ قالوا: نعم، فصوّر لهم مثله، قال: ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه، فلما رأى ما بهم من ذكره قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالاً مثله فيكون له في بيته فتذكرونه؟ قالوا: نعم، قال: فمثّل لكل أهل بيت تمثالاً مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به، قال: وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذها إلهاً يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد من دون الله: الصنم الذي سموه ودّاً^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ يعني: الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم، وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه: ﴿وَأَجِثْنِي وَيَسِّرْ لِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (١٥) رَبِّ إِنِّي أَضَلُّوا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿إِبْرَاهِيمَ: ٣٥، ٣٦﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] وقد استجاب الله لكل من النيبين في قومه، وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به.



﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذِلُّوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (١٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿١٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَفْضُلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿١٧﴾ رَبِّ آغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿١٨﴾.

يقول تعالى: «مما خطاياهم» وقرئ ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾^(٢) ﴿أُغْرِقُوا﴾ أي: من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم ﴿أُغْرِقُوا فَأَذِلُّوا نَارًا﴾ أي: نُقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ أي: لم يكن لهم مُعين ولا مُغيث ولا مُجير ينقذهم من عذاب الله كقوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (١٦) أي: لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً ولا دياراً وهذه من صيغ تأكيد النفي.

قال الضحاك: ﴿دَيَّارًا﴾ واحداً^(٣).

وقال السدي: الديار: الذي يسكن الدار، فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه، وقال: ﴿سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾

(١) سنده ضعيف لإعضاله، ويشهد لبعضه ما تقدم في رواية البخاري السابقة.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣) القراءتان متواترتان.

قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعٌ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ [هود: ٤٣].

وقال ابن أبي حاتم: قُرئ على يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني شبيب بن سعيد، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل، فلما بلغها الماء صعدت به منكبها، فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها، فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم هذه المرأة». هذا حديث غريب ورجاله ثقات^(١)، ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح ﷺ وهم الذين أمره الله بحملهم معه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ أي: إنك إن أبقيت منهم أحداً أضلوا عبادك؛ أي: الذين تخلقهم بعدهم ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ أي: فاجراً في الأعمال كافر القلب وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتُؤُنَا﴾ قال الضحاك: يعني مسجدي^(٢)، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن، وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، أنبأنا سالم بن غيلان، أن الوليد بن قيس التجيبي، أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(٣). ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك، عن حيوة بن شريح به، ثم قال الترمذي: إنما نعرفه من هذا الوجه^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات، ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح ﷺ وبما جاء في الآثار والأدعية المشهورة المشروعة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَارًا﴾ قال السدي: إلا هلاكاً.

وقال مجاهد: إلا خساراً^(٥)؛ أي: في الدنيا والآخرة.

آخر تفسير سورة نوح ﷺ، [ولله الحمد والمنة]^(٦).

(١) لكن رواية ابن وهب عن شبيب بن سعيد فيها مقال (التقريب ص ٢٦٣)؛ فقد حدث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير (تهذيب التهذيب ٣٠٧/٤)؛ وأخرجه الحاكم من طريق موسى بن يعقوب الزمعي عن فائد مولى عبيد الله بن علي بن أبي رافع أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة أخبره أن عائشة. فذكره وصححه، وتعبه الذهبي بأن إسناده مظلم وموسى ليس بذاك. (المستدرک ٣٤٢/٢).

(٢) أخرجه الطبري بسندين عن الضحاك، يقوي أحدهما الآخر.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (٤٣٧/١٧ ح ١١٣٣٧) وحسن سنده محققوه.

(٤) سنن أبي داود، الأدب، باب من يؤمر أن يجالس (ح ٤٨٣٢)؛ وسنن الترمذي، الزهد، ما جاء في صحبة المؤمن (ح ٢٣٩٧)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٤٥).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) زيادة من (حم).

سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَنِيعَهُ وَلَا لَدَا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝﴾

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يخبر قومه: أن الجن استمعوا القرآن، فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له، فقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أي: إلى السداد والنجاح ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: فعله وأمره وقدرته^(١).

وقال الضحاك، عن ابن عباس: جد الله: آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه^(٢). وروي عن مجاهد وعكرمة: جلال ربنا^(٣).

وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره^(٤).

وقال السدي: تعالى أمر ربنا. وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضاً وابن جريج: تعالى ذكره^(٥).

وقال سعيد بن جبیر: ﴿تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: تعالى ربنا، فأما ما رواه ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: الجد أب، ولو علمت الجن أن في الإنس جَدًّا ما قالوا: ﴿تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾. فهذا إسناد جيد، ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام، ولعله قد سقط^(٦) شيء، والله أعلم.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٢) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، ويتقوى بسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أرى أنه لم يسقط شيء من التفسير، وأن هذا التفسير من ابن عباس رضي الله عنهما غني بذلك: الجد الذي هو =

وقوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ صَاحِبُهُ وَلَا وَلَدًا﴾ أي: تعالى عن اتخاذ صاحبة والأولاد؛ أي: قالت الجن: تنزه الربُّ جلَّ جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ صاحبة والولد ثم قالوا: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُمْ يَقُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾.

قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي: ﴿سَفِينًا﴾ يعنون: إبليس^(١).

﴿شَطَطًا﴾ قال السدي عن أبي مالك: ﴿شَطَطًا﴾ أي: جوراً.

وقال ابن زيد: أي ظلماً كبيراً^(٢).

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم سفينها اسم جنس لكل من زعم أن الله صاحبة أو ولداً، ولهذا قالوا: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُمْ يَقُولُ سَفِينًا﴾ أي: قبل إسلامه ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ أي: باطلاً وزوراً، ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: ما حسبنا أن الإنس والجنَّ يتملؤون على الكذب على الله تعالى في نسبة صاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُمْ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُودُونَ رِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس؛ لأنهم كانوا يعودون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها، كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعودون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعودون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً؛ أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوداً بهم، كما قال قتادة: ﴿فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثماً وازدادت الجن عليهم جراءة^(٣).

وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزله فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضرب أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي، قال قتادة: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، حدثنا الزبير بن الخريت عن عكرمة قال: كان الجنُّ يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، فكان الإنس إذا نزلوا وادياً هرب الجنُّ، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي، فقال الجنُّ: نراهم يفرقون^(٤) منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُمْ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُودُونَ رِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

= أبو الأب وهو من جهلة الجن كما ذكر الطبري عن بعض المفسرين. ولكن هذا التفسير الوارد عن ابن عباس خلاف ما ثبت عنه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: فعله وأمره وقدرته، وهو المناسب للسياق، وبه قال بعض التابعين كما تقدم، وهو الذي رجحه الإمام الطبري.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري أيضاً بسند ضعيف فيه إيهام الراوي عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أي: يخافون.

أي: إثماً^(١). وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم: ﴿رَهَقًا﴾ أي: خوفاً^(٢).
وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: إثماً، وكذا قال قتادة^(٣).
وقال مجاهد: زاد الكفار طغياناً^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي، حدثنا القاسم بن مالك - يعني: المزني - عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن أبيه، عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فأوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي جارك، فنادى مناد لا نراه يقول: يا سرحان^(٥) أرسله. فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة. وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٦). ثم قال: وروي عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبيرة وإبراهيم النخعي نحوه^(٧). وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل، وهو ولد الشاة، كان جنياً حتى يهرب الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهيئه ويخرجه عن دينه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾^(٧) أي: لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولاً، قاله الكلبي وابن جرير^(٨).

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مُلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾^(٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلشَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَّمْ شُهَابًا رَّصَدًا^(٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمْنُ فِي الْآرِضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا^(١٠).

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً، وحُفَّتْ من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترخوا شيئاً من القرآن، فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يُدرى من الصادق، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه

(١) سنده مرسل.

(٢) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) أي: الذئب.

(٦) أخرجه أبو الشيخ (العظمة ١٦٦٤/٥ رقم ١١٠٥) والطبراني (المعجم الكبير ١٩/١٩١ ح ٤٣٠)، والعقيلي (الضعفاء الكبير ١/١٠١) كلهم من طريق القاسم بن مالك المدني به، وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن إسحاق كما في التقريب، ولضعف أبيه (المجروحين لابن حبان ١/١٣٣ وميزان الاعتدال ١/١٨٩).

(٧) القائل هو ابن أبي حاتم فإن من منهجه أن يذكر الموافقين من التابعين بحذف السند.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن الكلبي.

العزیز، ولهذا قال الجنُّ: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِثْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِلْسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا﴾ (٩) أي: من يروم أن يسترق السمع يجد له شهاباً مرصداً له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يحقه اليوم ويهلكه. ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (١٠) أي: ما ندري هذا الأمر الذي قد حدث في السماء، لا ندري أَشَرُّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً؟ وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشرُّ إلى غير فاعل والخير أضافوه إلى الله ﷻ.

وقد ورد في الصحيح: «والشرُّ ليس إليك»^(١) وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك، ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان، كما في حديث [ابن عباس]^(٢): «بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رُمي بنجم فاستنار فقال: «ما كنتم تقولون في هذا؟» فقلنا: كنا نقول يولد عظيم، يموت عظيم فقال: «ليس كذلك، ولكن الله إذا قضى الأمر في السماء»^(٣) وذكر تمام الحديث وقد أوردناه في سورة سبأ بتمامه، وهذا هو السبب الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أن هذا هو الذي حُفِظَتْ من أجله السماء، فأمن من آمن منهم وتَمَرَّدَ في طغيانه من بقي كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الآية [٢٩].

ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر، وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك، وظنوا أن ذلك لخراب العالم، كما قال السدي: لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر، فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا، يستمعون ما يحدث في السماء من أمر، فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً رسولاً رجموا ليلة من الليالي ففرغ لذلك أهل الطائف فقالوا: هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسبون مواشيهم، فقال لهم عبد ياليل بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني: محمداً ﷺ، وإن نظرتم فلم تروها فقد هلك أهل السماء، فنظروا فأروها فكفوا عن أقوالهم وفزعت الشياطين في تلك الليلة، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها، فأتوه فشَمَّ فقال: صاحبكم بمكة، فبعث سبعة نفر من جن نصيبين^(٤) فقدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله تعالى أمرهم على رسوله ﷺ^(٥).

(١) أخرجه مسلم من حديث أمير المؤمنين علي ﷺ مطولاً. (الصحيح، صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح ٧٧).

(٢) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «العباس».

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة سبأ آية ٢٣.

(٤) تقع جنوب تركيا وشمال مدينة الموصل في العراق. (٥) رواية السدي ضعيفه لأنها مرسلة.

وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من «كتاب السيرة» المطول، والله أعلم، والله الحمد والمنة.

﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ۖ﴾ (١١) ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نُّعْجِزُهُ هَرَبًا ۖ﴾ (١٢) ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَحْصًا وَلَا رَهَقًا ۖ﴾ (١٣) ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۖ﴾ (١٤) ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۖ﴾ (١٥) ﴿وَالْوُاسِقُونَ إِلَىٰ الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً عَذَقًا ۖ﴾ (١٦) ﴿لِنَقْنِئَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۖ﴾ (١٧).

يقول تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: غير ذلك ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ أي: طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ أي: منا المؤمن ومن الكافر^(١).

وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه: حدثنا أسلم بن سهل بحشل، حدثنا علي بن الحسن بن سليمان وهو: أبو الشعثاء الحضرمي شيخ مسلم، حدثنا أبو معاوية قال: سمعت الأعمش يقول: تروّج إلينا جني فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟ فقال الأرز، قال: فأتيناهم به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً، فقلت فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم. فقلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرنا^(٢).

عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي فقال: هذا إسناد صحيح إلى الأعمش.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال: سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد:

قلوبٌ بَراها الحبُّ حتى تعلقت مذهبها في كل غرب وشارق
تهيم بحب الله والله ربها معلقة بالله دون الخلائق^(٣)

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نُّعْجِزُهُ هَرَبًا ۖ﴾ (١٢) أي: نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لا نعجزه في الأرض، ولو أمعنا في الهرب فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ ۖ﴾ (١٣) يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة.

وقولهم: ﴿فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَحْصًا وَلَا رَهَقًا ۖ﴾ (١٣) قال ابن عباس وقتادة وغيرهما: فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته^(٤) كما قال تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ومعناه صحيح وله شواهد تقويه كالأثار التالية: فقد أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) سنده صحيح كما قرر الإمام المزي. (٣) تاريخ دمشق (٨/ ٨٨٧).

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي: منا المسلم ومننا القاسط، وهو الجائر عن الحق الناكب عنه، بخلاف المقسط فإنه العادل ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي: طلبوا لأنفسهم النجاة ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (١٥) أي: وقوداً تسعر بهم. وقوله تعالى: ﴿وَالْوَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذَقًا﴾ (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴿اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين:

أحدهما: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذَقًا﴾ أي: كثيراً، والمراد بذلك سعة الرزق، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنختبرهم، كما قال مالك، عن زيد بن أسلم: لنفتنهم لنبليهم من يستمر على الهداية ممن يترد إلى الغواية^(١).

ذكر من قال بهذا القول:

قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَالْوَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ يعني: بالاستقامة الطاعة^(٢). وقال مجاهد: ﴿وَالْوَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ قال: الإسلام^(٣). وكذا قال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وعطاء والسدي ومحمد بن كعب القرظي^(٤). وقال قتادة: ﴿وَالْوَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ يقول: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا^(٥). وقال مجاهد: ﴿وَالْوَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الحق^(٦)، وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما^(٧)، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنبليهم به^(٨).

وقال مقاتل: نزلت في كفار قريش حين مُنعوا المطر سبع سنين^(٩). والقول الثاني: ﴿وَالْوَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ الضلال ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذَقًا﴾ أي: لأوسعنا عليهم الرزق استدراجاً، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] وكقوله: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ

(١) سنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ومعناه صحيح، ويشهد له ما يليه.

(٣) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه رجل مبهم عن سعيد بن جبير.

(٥) أخرجه عبد الرزاق الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبيد الله بن أبي زياد عن مجاهد، وعبيد الله ليس بالقوي (التقريب ص ٣٧١) وفيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ومعناه صحيح.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه عن الضحاك بلفظ: «هذا مثل ضربه الله» كقوله: ثم ذكر الآيتين السابقتين اللتين استشهد بهما الحافظ ابن كثير.

(٨) هو تنمة للأثر السابق.

(٩) سنده ضعيف لأنه معضل.

وَبَيْنَ ﴿٥٥﴾ سُارِعُ لَمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون] وهذا قول أبي مجلز لاحق بن حميد، فإنه قال في قوله تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الضلالة^(١)، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وحكاه البغوي، عن الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان وله اتجاه^(٢)، ويتأيد بقوله: ﴿لَنُفْنِنَهُمْ فِيهِ﴾.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: عذاباً مشقاً شديداً موجعاً مؤلماً، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد. ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: مشقة لا راحة معها^(٣). وعن ابن عباس: جبل في جهنم^(٤)، وعن سعيد بن جبیر: [بئر]^(٥) فيها.

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٧﴾ وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٩﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١١﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿١٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْجَعُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا ﴿١٣﴾.

يقول تعالى أمراً بعباده أن يوحدوه في محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به، كما قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٧﴾ قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: ذكر علي بن الحسين، حدثنا إسماعيل بن بنت السدي، أخبرنا رجل سماه عن السدي، عن أبي مالك أو أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٧﴾ قال: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس^(٧).

وقال الأعمش: قالت الجن: يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٧﴾ يقول: صلوا لا تتخالطوا الناس^(٨).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهرا، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن [محمود]^(٩)، عن سعيد بن جبیر ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٧﴾ قال: قالت الجن لنبي الله ﷺ كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون؟ أي: بعيدون عنك، وكيف نشهد

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عمران بن حدير عن أبي مجلز.

(٢) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٤/٤٠٤).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه هناد (الزهدي رقم ٢٨٠) والطبري والحاكم بسند حسن من طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٥٠٤).

(٥) زيادة من (ج) و(حم).

(٦) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل.

(٧) سنده ضعيف لإيهام شيخ إسماعيل.

(٨) سنده ضعيف لأنه معضل.

(٩) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «محمول».

الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١).

وقال سفيان: عن خُصيف، عن عكرمة: نزلت في المساجد كلها^(٢).

وقال سعيد بن جبير: نزلت في أعضاء السجود^(٣)؛ أي: هي لله فلا تسجدوا بها لغيره. وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد الله بن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة - أشار بيده إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾^(٥) قال العوفي عن ابن عباس يقول: لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه، فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾^(٥) [الجن: ١] يستمعون القرآن. هذا قول، وهو مروي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن معمر، حدثنا أبو مسلم، عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال الجن لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، قال: عجبوا من طواعية أصحابه له قال: فقالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾^(٦). وهذا قول ثانٍ، وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضاً^(٧).

وقال الحسن: لما قام رسول الله ﷺ يقول: لا إله إلا الله، ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعاً^(٨).

وقال قتادة في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾^(٩) قال: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه^(٩). وهذا قول ثالث وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد^(١٠)، وهو اختيار ابن

(١) أخرجه الطبري من طريق سفيان به، وسنده ضعيف لأنه مرسل.

(٢) أخرجه الطبري عن ابن حميد عن مهران عن سفيان به، وفي سنده خُصيف سيء الحفظ، وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ومعناه صحيح.

(٣) فيه غرابة، والاستشهاد بالحديث الذي يليه لا يتناسب معه.

(٤) أخرجه الشيخان من طريق عبد الله بن طاوس به (صحيح البخاري، الأذان، باب السجود على الأنف ح ٨١٢، وصحيح مسلم، الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب ح ٤٩٠).

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وأخرجه الترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة الجن ح ٣٣٢٣) والضياء المقدسي (المختارة ٧٤/١٠) كلاهما من طريق أبي عوانة به. وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٤٧).

(٧) أخرجه الطبري من طريق زياد عن سعيد بن جبير وسنده مرسل ويتقوى بسابقه.

(٨) سنده مرسل ويشهد له ما سبق.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة لكنه مرسل ويتقوى بما سبق.

(١٠) تقدمت رواية ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

جرير، وهو الأظهر لقوله بعده: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٥﴾ أي: قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبتلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته.

﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ أي: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وعبد من عباد الله ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله ﷻ، ثم أخبر عن نفسه أيضاً أنه لا يجيره من الله أحد؛ أي: لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذه من عذابه ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ قال: مجاهد وقتادة والسدي: لا ملجأ^(١).

وقال قتادة أيضاً: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ﴿٢٧﴾ أي: لا نصير ولا ملجأ^(٢). وفي رواية: لا ولي ولا موئل.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ﴾ قال بعضهم: هو مستثنى من قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ إلا بَلَاغًا ويحتمل أن يكون استثناء من قوله: ﴿لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداؤها علي، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم، خالدين فيها أبداً؛ أي: لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ أضعف ناصرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ ﴿٢٨﴾ أي: حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة، فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرًا وأقل عدداً، هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى؟ أي: بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية وهم أقل عدداً من جنود الله ﷻ.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبَ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَكُمْ رَبِّي أَمَدًا﴾ ﴿٢٩﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٣٠﴾ إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٣١﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٣٢﴾.

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس إنه لا علم له بوقت الساعة ولا يدري أقرب وقتها أم بعيد؟ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبَ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَكُمْ رَبِّي أَمَدًا﴾ ﴿٢٩﴾ أي: مدة طويلة، وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض^(٣)، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب، وقد كان ﷺ يسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها، ولما تبدى له جبريل في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: يا

(١) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) لا أصل له: انظر المقاصد الحسنة ص ٤٤٣ والأسرار المرفوعة ص ٣٥٣ وأجوبة الحافظ لتلاميذه ص ٧٣.

محمد فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»^(١)، ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد متى الساعة؟ قال: «ويحك إنها كائنة فما أعددت لها؟» قال: أما إنني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام ولكنني أحب الله ورسوله قال: «فأنت مع من أحببت» قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مضاء، حدثنا محمد بن حمير، حدثني أبو بكر بن أبي مريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت»^(٣).

وقد قال أبو داود في آخر كتاب الملاحم: حدثنا موسى بن سهل، حدثنا حجاج بن إبراهيم، حدثنا ابن وهب، حدثني معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يُعجز الله هذه الأمة من نصف يوم»^(٤). انفرد به أبو داود ثم قال أبو داود: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبو المغيرة، حدثني صفوان، عن شريح بن عبيد، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ أنه قال: «إنني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم» قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة عام^(٥). انفرد به أبو داود.

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَن أَرَضَىٰ مِنَ رَّسُولٍ﴾ هذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة وأنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه، ولهذا قال: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَن أَرَضَىٰ مِنَ رَّسُولٍ﴾ وهذا يعلم الرسول الملكي والبشري. ثم قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ أي: يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساقونهم على ما معه من وحي الله، ولهذا قال: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ۝.

وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله: ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾ إلى من يعود؟

ف قيل: إنه عائد على النبي ﷺ، وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَن أَرَضَىٰ مِنَ رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ١٨٧.

(٢) أخرجه الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه (صحيح البخاري، الآداب، باب علامة الحب في الله ح ٦١٧١، وصحيح مسلم، البر والصلة، باب المرء مع من أحب ح ٢٦٣٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم من طريق أبي بكر بن أبي مريم به (حلية الأولياء ٩١/٦) وسنده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم. (التقريب ص ٦٢٣).

(٤) أخرجه أبو داود بسنده ومثته (السنن، الملاحم، باب قيام الساعة ح ٤٣٤٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٦٥٥).

(٥) المصدر السابق (ح ٤٣٥٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٦٥٦).

﴿لِيَعْلَمَ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنْ قَدْ أُنْزِلُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١) ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به. وهكذا رواه الضحاك والسدي ويزيد بن أبي حبيب.

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أُنْزِلُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ﴾ قال: ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها^(٢)، وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة^(٣) واختاره ابن جرير.

وقيل غير ذلك كما رواه العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَرْضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ قال: هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبين الذي أرسل به إليهم، وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم^(٤). وكذا قال ابن أبي نجيع عن مجاهد: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أُنْزِلُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ﴾ قال: ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم^(٥)، وفي هذا نظر.

وقال البغوي: قرأ يعقوب «ليعلم» بالضم؛ أي: ليعلم الناس أن الرسل قد أبلغوا^(٦).

ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله ﷻ، وهو قول حكاه ابن الجوزي في زاد المسير^(٧)، ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات بهم، ويكون ذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وكقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت] إلى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعاً لا محالة، ولهذا قال بعد هذا: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

آخر تفسير سورة الجن، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته وزيادة: وما نزل جبريل بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة حفظة من الملائكة. وسنده ضعيف لإرساله.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة به.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما يليه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع به.

(٦) ذكره البغوي (معالم التنزيل ٤/٤٠٦).

(٧) ذكر ابن الجوزي (زاد المسير ٨/٣٨٦) وذكره أيضاً البغوي كما في المصدر السابق.

سُورَةُ الزَّمَلِ

وهي مكية

قال الحافظ أبو بكر بن عمرو بن عبد الخالق البزار: حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطي، حدثنا معلى بن عبد الرحمن، حدثنا شريك، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا: سموا هذا الرجل اسماً يصد الناس عنه، فقالوا: كاهن. قالوا: ليس بكاهن. قالوا: مجنون. قالوا: ليس بمجنون. قالوا: ساحر. قالوا: ليس بساحر، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه وتدثر فيها. فأتاه جبريل عليه السلام فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ ①﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَذْمُورُ ②﴾ [المذثر] ثم قال البزار: معلى بن عبد الرحمن قد حدّث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ ①﴾ قُرْ أَيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا ② نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ زَيْلًا ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا ⑦ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَنَزَّلْ إِلَيْهِ تَبْيِيلًا ⑧ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑨﴾.

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه ﷻ كما قال تعالى: ﴿تَنَجَّافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ⑩﴾ [السجدة] وكذلك كان ﷺ ممثلاً ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجباً عليه وحده كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ⑪﴾ [الإسراء] وههنا بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ ①﴾ قُرْ أَيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا ② قال ابن عباس والضحاك والسدي: ﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ ①﴾ يعني: يا أيها النائم. وقال قتادة: المزمل في ثيابه^(٢).

وقال إبراهيم النخعي: نزلت وهو متزمل بقטיפه^(٣).

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ ①﴾ قال: يا محمد زملت القرآن^(٤).

(١) أخرجه البزار بسنده ومثنه (مختصر زوائد مسند البزار ١١٣/٢ ح ١٥٢١) وسنده ضعيف جداً لأن معلى بن عبد الرحمن متهم بالوضع (التقريب ص ٥٤١) وينظر المصدر السابق فقد قال الحافظ ابن حجر: كذبوه. وينظر: (مجمع الزوائد ٧/١٣٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. (٤) سنده حسن.

وقوله تعالى: ﴿يَصْفُوهُ﴾ بدل من الليل ﴿أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أي: أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ أي: اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة رضي الله عنها: كان يقرأ السورة فيرتها حتى تكون أطول من أطول منها.

وفي صحيح البخاري، عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدّاً ثم قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمدُّ بسم الله، ويمدُّ الرحمن، ويمدُّ الرحيم^(١).

وقال ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كانت يقطع قراءته آية آية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ [الفتحة]. رواه أحمد وأبو داود والترمذي^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»^(٣). ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سفيان الثوري به، وقال الترمذي: حسن صحيح^(٤).

وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء في الحديث: «زينوا القرآن بأصواتكم»^(٥) و«ليس منّا من لم يتغن بالقرآن»^(٦) و«لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود» يعني: أبا موسى، فقال أبو موسى: لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيراً^(٧).

وعن ابن مسعود أنه قال: لا تنثروه نثر الرمل، ولا تهذّوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة. رواه البغوي^(٨).

وقال البخاري: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا عمرو بن مرة: سمعت أبا وائل قال: جاء

(١) تقدم تخريجه في تفسير البسمة. (٢) تقدم تخريجه في تفسير البسمة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٠٤/١١ ح ٦٧٩٩) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٤) سنن أبي داود، الصلاة، باب استحباب الترتيل في الصلاة (ح ١٤٦٤)؛ وسنن الترمذي، ثواب القرآن، باب الذي ليس في بيته قرآن كالبيت الخرب (ح ٢٩١٥)؛ والسنن الكبرى، فضائل القرآن، باب الترتيل (ح ٨٠٥٦)؛ وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ح ١٣٠٠).

(٥) أخرجه البخاري تعليقاً ووصله في كتاب «خلق أفعال العباد ص ٣٤» من حديث البزار رضي الله عنه؛ وكذا وصله أبو داود (السنن، الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ح ١٤٦٨)؛ وكذا وصله الحاكم من طرق كثيرة عن البراء؛ وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٥٧٢/١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٣٠٣)؛ وأخرجه الدارقطني في الأفراد بسند حسن من حديث ابن عباس. (ينظر فتح الباري ٥١٩/١٣).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجر آية ٨٧. (٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة سبأ آية ١٠.

(٨) أخرجه البغوي من طريق إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود. (معالم التنزيل ٤٠٧/٤) ويشهد له حديث البخاري التالي.

رجل إلى ابن مسعود فقال: قرأت المفصل الليلة في ركعة. فقال هذا كهذا^(١) الشعر لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهما، فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في ركعة^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ قال الحسن وقتادة: أي العمل به^(٣).

وقيل: ثقیل وقت نزوله من عظمته^(٤)، كما قال زيد بن ثابت ؓ: أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فكادت ترض فخذي^(٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمرو بن الوليد، عن عبد الله بن عمرو قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تقبض»^(٦). تفرد به أحمد.

وفي أول صحيح البخاري، عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة ؓ: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول» قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً^(٧)، هذا لفظه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرحمن، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ؓ قالت: إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرائنها^{(٨)(٩)}.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرائنها، فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه^(١٠). وهذا مرسل، الجران هو باطن العنق، واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معاً، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين^(١١).

(١) الهذ: سرعة القراءة.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثنه وزيادة (الصحيح، الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ح ٧٧٥) ولقد ذكر الحافظ ابن حجر عدة روايات تفصح عن السور النظائر (فتح الباري ٢/٢٥٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٤) ورد بذلك عدة أحاديث ثابتة (ينظر: المسند ٤١/٣٦٢ ح ٢٤٨٦٨) مع الحاشية.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء آية ٩٥.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه، وضعف سنده محققوه. (المسند ١١/٦٤٢ ح ٧٠٧١).

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة الشورى آية (٥). (٨) بكسر الجيم أي: باطن العنق.

(٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه (المسند ٤١/٣٦٢ ح ٢٤٨٦٨) وحسن سنده محققوه؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/٥٠٥).

(١٠) أخرجه الطبري بسنده ومثنه، وسنده مرسل ويشهد له سابقه.

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (١) قال أبو إسحاق: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: نشأ، قام بالحشية^(١).

وقال عمر وابن عباس وابن الزبير: الليل كله ناشئة^(٢)، وكذا قال مجاهد^(٣) وغير واحد، يقال نشأ إذا قام من الليل وفي رواية عن مجاهد: بعد العشاء، وكذا قال أبو مجلز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر^(٤).

والغرض أن ناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهي الآنات، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة، ولهذا قال تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس ولغظ الأصوات وأوقات المعاش.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش، أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ فقال له رجل: إنما نقرؤها ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾، فقال له: إن أصوب وأقوم وأهياً وأشباه هذا واحد^(٥).

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ (٧) قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي مسلم: الفراغ والنوم^(٦).

وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وسفيان الثوري: فراغاً طويلاً^(٧).

وقال قتادة: فراغاً وبغية ومتقلباً^(٨).

وقال السدي: ﴿سَبْعًا طَوِيلًا﴾ تطوعاً كثيراً.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ (٧) قال: لحوائجك فأفرغ لدينك الليل، قال: وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم إن الله تبارك وتعالى منّ على عباده فخففها ووضعها وقرأ: ﴿فَرِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢) إلى آخر الآية، ثم قرأ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ

(١) أخرجه الطبري بعدة أسانيد صحيحة من طريق أبي إسحاق به، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من عمرو بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود (المصنف ١٥٩/٧).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري والبيهقي (السنن الكبرى ٢٠/٣) بسند حسن من طريق سليمان التيمي عن أبي مجلز، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن الحسن البصري.

(٥) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ٨٨/٧ ح ٤٠٢٢)؛ وسنده ضعيف لأن الأعمش لم يسمع من أنس؛ (جامع التحصيل ص ٢٢٨) وضعفه محقق مسند أبي يعلى، والقراءة بلفظ «وأصوب» شاذة تفسيرية.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

أَنَّكَ تَقُومُ أَذَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُمْ ﴿١﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَشَرُّ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ أَلَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ١] وهذا الذي قاله كما قاله.

والدليل عليه ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال: حدثنا يحيى، حدثنا سعيد وهو: ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة لبيع عقاراً له بها، ويجعله في الكراع والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت، فلقي رهطاً من قومه فحدثوه أن رهطاً من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فقال: «أليس لكم في أسوة حسنة؟» فنهاهم عن ذلك فأشهدهم على رجعتها، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال: ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: أنت عائشة فسألها ثم ارجع إلي فأخبرني بردها عليك. قال: فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها فقال: ما أنا بقاربها إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً فأبت فيها إلا مضياً، فأقسمت عليه، فجاء معي فدخلنا عليها فقالت: حكيم؟ وعرفته. قال: نعم. قالت: من هذا الذي معك؟ قال: سعيد بن هشام. قالت: من هشام؟ قال: ابن عامر: قالت: فترحمت عليه وقالت: نعم المرء كان عامراً. قلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: أأست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن، فهممت أن أقوم ثم بدا لي قيام رسول الله ﷺ، قلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ. قالت: أأست تقرأ هذه السورة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة.

فهممت أن أقوم ثم بدا لي وتر رسول الله ﷺ فقلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ قالت: كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلي ثمان ركعات ولا يجلس فيهن إلا عند الثامنة، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم ينهض وما يسلم، ثم يقول ليصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ثم يدعوه ثم يسلم تسليماً يسمعنا، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم، فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني، فلما أسن رسول الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك تسع يا بني، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان. فأتيت ابن عباس فحدثته بحدِيثها، فقال: صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيها حتى تشافهني مشافهة^(٢)، هكذا رواه الإمام أحمد بتمامه، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بنحوه^(٣).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤٠/٣١٤ - ٣١٦ ح ٢٤٢٦٩) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل (ح ٧٤٦).

طريق أخرى عن عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى:

قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا زيد بن الحباب، وحدثنا ابن حميد، حدثنا مهران قالاً جميعاً، واللفظ لابن وكيع، عن موسى بن عبيدة، حدثني محمد بن طحلاء، عن أبي سلمة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرج كالمغضب، وكان بهم رحيماً، فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل فقال: «أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملّ من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه» ونزل القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الْقُرْآنَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكَثِيرًا ۚ وَمِنْ أَجْلِ الْكُفِّ وَالْجَلْبِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۚ﴾ حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردّهم إلى الفريضة وترك قيام الليل^(١).

ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف، والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة، وهذا السياق قد يوهم أن نزول هذا السورة بالمدينة وليس كذلك، وإنما هي مكية وقوله في هذا السياق إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر. غريب، فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن مسعر، عن سماك الحنفي، سمعت ابن عباس يقول: أول ما نزل أول المزمّل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة^(٢)، وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن أبي أسامة به^(٣).

وقال الثوري ومحمد بن بشر العبدي، كلاهما عن مسعر، عن سماك، عن ابن عباس: كان بينهما سنة^(٤)، وروى ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن قيس بن وهب، عن أبي عبد الرحمن قال: لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الْقُرْآنَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ وَكَثِيرًا ۚ وَمِنْ أَجْلِ الْكُفِّ وَالْجَلْبِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۚ﴾ قاموا حولاً حتى ورمّت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت ﴿فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾ [المزمّل: ٢٠] قال: فاستراح الناس^(٦). وكذا قال الحسن البصري والسدي.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن سعيد بن هشام قال: فقلت - يعني

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة، كما قرر الحافظ ابن كثير في رواية ابن أبي حاتم التالية، ويتقوى برواية الشيخين فقد أخرجاه مختصراً دون ذكر الآية. (صحيح البخاري، الأذان، باب صلاة الليل ح ٧٣٠)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم... ح ٧٨٢.

(٢) سنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وسنده صحيح. (٤) سنده صحيح.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده مرسل ويشهد له ما سبق.

لعائشة - أخبرينا عن قيام رسول الله ﷺ. قالت: أَلَسْتُ تَقْرَأُ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإنها كانت قيام رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهراً ثم نزل^(١).

وقال معمر، عن قتادة: ﴿فَرُّ أَيْلٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قاموا حولاً أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم، فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة^(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد - هو: ابن جبير - قال: لما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ قال: مكث النبي ﷺ على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي أَيْلٍ وَنُصْفَهُ وَلَكِنَّهُ طَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ﴾ [المزمل: ٢٠] فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين^(٣)، ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن عمرو بن رافع، عن يعقوب القمي به^(٤).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَرُّ أَيْلٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ نُصْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ خَفَّفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَرَحِمَهُمْ فَأَنْزَلَ بَعْدَ هَذَا ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ رَضِيٌّ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِسُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيق^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: أكثر من ذكره وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنيائك كما قال تعالى: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: أي: إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته وعبادته لتكون فارغ البال، قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه.

قال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: أخلص له العبادة^(٦).

وقال الحسن: اجتهد وأبتل إليه نفسك^(٧).

(١) أخرجه مسلم من طريق قتادة به بلفظ: «حولاً. بدلاً من ستة عشر شهراً» (الصحيح، صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ح ٧٤٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل ويشهد لقوله: حولاً رواية مسلم السابقة.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لإرساله وضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي، وقد توبع كما سيأتي في رواية ابن أبي حاتم لكن تبقى علة الإرسال.

(٤) سنده ضعيف لإرساله.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٦) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر ويتقوى بما يليه، فقد أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه عبد بن حميد (كما في تعليق التعليق ٣٤٩/٤) وابن أبي شيبه (المصنف ١٣/٥٦٩) بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أشعث عن الحسن، وأشعث هو ابن سوار الكندي وهو ضعيف (التقريب ص ١١٣ وتهذيب التهذيب ٣٥٢/١، ٣٥٣).

وقال ابن جرير: يقال للعابد: متبتل، ومنه الحديث المروي: نهى عن التبتل^(١) يعني: الانقطاع إلى العبادة وترك الزوج.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي: هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة فأفردته بالتوكل فاتخذته وكيلاً كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وكقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة] وآيات كثيرة في هذا المعنى فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْرِجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا (١٦) فَكَيْفَ تَنْقُوتُ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨) .

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجراً جميلاً، وهو الذي لا عتاب معه، ثم قال له متهدداً لكفار قومه ومتوعداً، وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ﴾ أي: دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ أي: رويداً كما قال: ﴿تَمْنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ١٤] ولهذا قال ههنا: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ وهي القيود. قاله ابن عباس وعكرمة وطاوس ومحمد بن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو عمران الجوني وأبو مجلز والضحاك وحمام بن أبي سليمان وقتادة والسدي وابن المبارك والثوري وغير واحد^(٢).

﴿وَجَحِيمًا﴾ وهي السعير المضطربة ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال ابن عباس: ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج^(٣).

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ أي: تزلزل ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا﴾ أي: تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ثم إنها تنسف نفساً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير

(١) ذكره الطبري بنحوه والحديث أخرجه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (الصحيح، النكاح، باب ما يكره من التبتل ح ٥٠٧٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه (المصنف ٢٨٨/٨)؛ والطبري بسند جيد من طريق أبي عمرو الملائي عن عكرمة؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند حسن من طريق مبارك، وهو ابن فضالة، عن الحسن البصري؛ وأخرجه أبو نعيم بسند حسن من طريق منصور عن مجاهد (حلية الأولياء ٢٩٨/٣)؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الثوري عن حمام؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري والحاكم بسند حسن من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس؛ وصححه الحاكم وتعبه الذهبي بقوله: شبيب ضعفه. (المستدرک ٥٠٤/٢).

الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً؛ أي: وادياً ولا أمتاً، أي: رابية، ومعناه: لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع.

ثم قال تعالى مخاطباً لكفار قريش والمراد سائر الناس: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: بأعمالكم ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ ﴿فَصَيَّرَ فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَيْلًا﴾ ﴿١١﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والثوري: ﴿أَخْذًا وَيْلًا﴾ أي: شديداً^(١)؛ أي: فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ ﴿١٥﴾ [النازعات] وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتكم رسولكم؛ لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران، ويروى عن ابن عباس ومجاهد.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿٧﴾ يحتمل أن يكون يوماً معمولاً لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود «فكيف تخافون أيها الناس يوماً يجعل الولدان شيباً» إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به^(٢)؟ ويحتمل أن يكون معمولاً لكفرتم فعلى الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم؟ وعلى الثاني كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه؟ وكلاهما معنى حسن، ولكن الأول أولى، والله أعلم.

ومعنى قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ أي: من شدة أهواله وزلازله وبلابله، وذلك حين يقول الله تعالى لآدم: ابعث بعث النار. فيقول: من كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة.

قال الطبراني: حدثنا يحيى بن أيوب العلاف، حدثنا سعيد بن [أبي مريم]^(٣)، حدثنا نافع بن يزيد، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ قال: «ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم: قم فابعث من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: من كم يا رب؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد». فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال: حين أبصر ذلك في وجوههم «إن بني آدم كثير، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وإنه لا يموت منهم رجل [حتى يُرى]^(٤) لصلبه ألف رجل ففيهم وفي أشباههم جنة لكم»^(٥). هذا حديث غريب وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه [الأحاديث]^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) ذكره الطبري تعليقاً وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٣) كذا في (حم) و(ح)، وفي الأصل ضحف إلى: «هزيم».

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١/٣٦٦ ح ١٢٠٣٤)، وسنده ضعيف لضعف عثمان بن عطاء الخراساني، (ينظر مجمع الزوائد ٧/١٣٠)، والتقريب ص ٣٨٥ وعطاء الخراساني اختلط.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

وقوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ قال الحسن وقتادة: أي بسببه من شدته وهوله^(١).
ومنه من يعيد الضمير على الله تعالى: [ويروى عن ابن عباس ومجاهد]^{(٢)(٣)} وليس بقوي؛
لأنه لم يجر له ذكر ههنا.
وقوله تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ أي: كان وعد هذا اليوم مفعولاً؛ أي: واقعاً لا محالة
وكائناً لا محيد عنه.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ
ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَتُلْئِي اللَّيْلَ وَنُصْفَهُ وَأَلَّيْنِ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ مَا
يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُؤٌ وَمَأْخُذٌ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ مِنْ خَلْقٍ
خَيْرٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ مَا يَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا وَمَا تَقْلِبُوهَا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ
تُحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٠﴾.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: السورة ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾ أي: يتذكر بها أولو الألباب، ولهذا قال
تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي: ممن شاء الله تعالى هدايته كما قيده في السورة
الأخرى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿٢١﴾ [الإنسان].
ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَتُلْئِي اللَّيْلَ وَنُصْفَهُ وَأَلَّيْنِ مَعَكَ﴾ أي: تارة هكذا
وتارة هكذا، وذلك كله من غير قصد منكم ولكن لا تقدرُونَ على المواظبة على ما أمركم به من
قيام الليل؛ لأنه يشق عليكم؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: تارة يعتدلان وتارة يأخذ
هذا من هذا وهذا من هذا.

﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ أي: الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿فَاقْرَأْ مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: من
غير تحديد بوقت؛ أي: ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما قال
في سورة سبحان ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: بقراءتك ﴿وَلَا تَخَافَتْ بِهَا﴾
[الإسراء: ١١٠].

وقد استدل أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمهم الله بهذه الآية وهي قوله: ﴿فَاقْرَأْ مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾
على أنه لا يجب تعيين قراءة الفاتحة في الصلاة بل لو قرأ بها أو غيرها من القرآن ولو بأية،
أجزأه واعتضدوا بحديث المسيء صلاته الذي في الصحيحين: «ثم اقرأ ما تيسر معك من
القرآن»^(٤) وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو في الصحيحين أيضاً أن

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن بلفظ: «موقرة مثقلة»؛ وأخرجه الطبري بسند
صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «مثقلة يوم القيامة».

(٢) زيادة من (حم).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «تشقق السماء حين ينزل الرحمٰن جلَّ
وعزَّ»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «مثقلة به».

(٤) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (صحيح البخاري، باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه
بالإعادة ح ٧٩٣؛ وصحيح مسلم، الأذان، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح ٣٩٧).

رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(١)، وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج غير تمام»^(٢) وفي صحيح ابن خزيمة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأم القرآن»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْحُومٌ وَيَاخِرُونَ يَصْرِيحُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعداء في ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله، وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد، فهي من أكبر دلائل النبوة لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلية، ولهذا قال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنْهُ﴾ أي: قوموا بما تيسر عليكم منه.

قال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء محمد، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به إنما يصلي المكتوبة؟ قال: يتوسد القرآن لعن الله ذاك، قال الله تعالى للعبد الصالح: ﴿وَأَنَّهُ لَذُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] قلت: يا أبا سعيد، قال الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ قال: نعم ولو خمس آيات^(٤).

وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري أنه كان يرى حقاً واجباً على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل، ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح، فقال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنه»^(٥) فقليل معناه نام عن المكتوبة، وقيل: عن قيام الليل، وفي السنن «أوتروا يا أهل القرآن»^(٦)، وفي الحديث الآخر: «من لم يوتر فليس منا»^(٧) وأغرب من هذا ما حكى عن أبي بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من إيجابه قيام شهر رمضان، فالله أعلم.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن سعيد فرق [الجدي]، حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدي، حدثنا عبد الرحمن، عن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس، عن أبيه، عن

(١) تقدم تخريجه في فضل سورة الفاتحة. (٢) تقدم تخريجه في فضل سورة الفاتحة.

(٣) تقدم تخريجه في فضل سورة الفاتحة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده بلفظ: «ولو خمسين آية». وسنده صحيح.

(٥) أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(صحيح البخاري، التهجد، باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه ح ١١٤٤)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ح ٧٧٤.

(٦) أخرجه أبو داود من حديث علي رضي الله عنه، السنن، الصلاة، باب استحباب الوتر (ح ١٤١٦)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٢٥٦).

(٧) أخرجه أبو داود من حديث بُريدة رضي الله عنه (السنن، الصلاة، باب فيمن لم يوتر ح ١٤١٩)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود؛ وأخرجه الحاكم وصححه وتعبه الذهبي بأن أبا المنيب العتكي عنده مناكير. (المستدرک ١/ ٣٠٥).

طاوس، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ﴾ قال: «مائة آية»^(١). وهذا حديث غريب جداً لم أره إلا في معجم الطبراني رحمه الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة، وهذا يدل لمن قال إن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم.

وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف: إن هذه الآية نُسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل^(٢)، واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدم، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل: «خمس صلوات في اليوم والليلة» قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني: من الصدقات، فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نُحْدِثْهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ أي: جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟» قالوا: يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال: «اعلموا ما تقولون» قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله؟ قال: «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر»^(٤). ورواه البخاري من حديث حفص بن غياث والنسائي من طريق أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به^(٥).

ثم قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها فإنه غفور رحيم لمن استغفره.

آخر تفسير سورة المزمّل، والله الحمد والمنة، وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه.

(١) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٢٩/١١ ح ١٠٩٤٠) وقال الهيثمي فيه عبد الرحمن بن طاوس، ولم أعرفه (مجمع الزوائد ١٣٣/٧).

(٢) أخرجه ابن الجوزي بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً بسند حسن من طريق مبارك، وهو ابن فضالة، عن الحسن، وهو مرسل ويتقوى بسابقه (نواسخ القرآن ص ٤٩٦ - ٤٩٨).

(٣) صحيح البخاري، الإيمان، باب الزكاة من الإسلام (ح ٤٦)؛ وصحيح مسلم، الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام (ح ١١).

(٤) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٩٧/٩ ح ٥١٦٣) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له (ح ٦٤٤٢)؛ وسنن النسائي، الوصايا، باب الكراهية في تأخير الوصية ٢٣٧/٦.

سُورَةُ الْمَدَّثَرِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّثَرُ﴾ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ③ وَتَبَّكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ⑧ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ⑩ .

ثبت في صحيح البخاري من حديث يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن جابر أنه كان يقول: أول شيء نزل من القرآن ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّثَرُ﴾ ① . وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ⑧ [العلق] كما سيأتي ذلك هنالك إن شاء الله تعالى.

قال البخاري: حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّثَرُ﴾ ① قلت: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ⑧ ؟ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لي فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاوزت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا عليّ ماء بارداً، قال: فدثروني وصبوا عليّ ماء بارداً، قال: فنزلت: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّثَرُ﴾ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ③» ① . هكذا ساقه من هذا الوجه. وقد رواه مسلم ② من طريق عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلي فقلت: زملوني زملوني فزملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّثَرُ﴾ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② إلى ﴿فَاهْجُرْ﴾ ⑤ قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان. ثم حمي الوحي وتتابع هذا لفظ البخاري ③ ، وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، سورة المدثر، باب رقم ١ (ح ٤٩٢٢).

(٢) صحيح مسلم، الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (ح ٢٥٦).

(٣) أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن الليث عن عقيل به. (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾

⑤ [المدثر] ح ٤٩٢٦).

لقوله: «فإذا الملك الذي جاءني بحراء» وهو جبريل حين أتاه بقوله: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَلَمْ يَرَوْكَ الْكَرِيمَ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ [العلق]، ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا.

ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة، كما قال الإمام أحمد^(١): حدثنا حجاج، حدثنا ليث، حدثنا عقيل، عن ابن شهاب قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثم فتر الوحي عني فترة فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجثيت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض، فجثت أهلي فقلت لهم زملوني زملوني فزملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ﴾ (١) ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢) وَرَبِّكَ فَكَذِّرْ (٣) وَيُنَادِيكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) ثم حمي الوحي وتتابع» أخرجاه من حديث الزهري به^(٢).

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار، حدثنا الحسن بن بشر البجلي، حدثنا المعافى بن عمران، عن إبراهيم بن يزيد: سمعت ابن أبي مليكة يقول: سمعت ابن عباس يقول: إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً، فلما أكلوا منه قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: بل سحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثر، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ﴾ (١) ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢) وَرَبِّكَ فَكَذِّرْ (٣) وَيُنَادِيكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَنْتَكِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) ﴿٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢) أي: شمر عن ساق العزم وأنذر الناس، وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة.

﴿وَرَبِّكَ فَكَذِّرْ﴾ (٣) أي: عظم.

وقوله تعالى: ﴿وَيُنَادِيكَ فَطَهِّرْ﴾ (٤) قال الأجلح الكندي، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية ﴿وَيُنَادِيكَ فَطَهِّرْ﴾ (٤) قال: لا تلبسها على معصية ولا على غدره. ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

فإنني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره أتقنع^(٤)

وقال [ابن جريج]^(٥): عن عطاء، عن ابن عباس في الآية ﴿وَيُنَادِيكَ فَطَهِّرْ﴾ (٤) قال: في كلام العرب نقي الثياب وفي رواية بهذا الإسناد فطهر من الذنوب^(٦)، وكذا قال إبراهيم

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٣/٣٢٥)، وسنده صحيح.

(٢) انظر المصدرين السابقين من الصحيحين.

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١١/١٢٥ ح ١١٢٥٠)، وسنده ضعيف جداً لأن إبراهيم بن يزيد الخوزي متروك. (مجمع الزوائد ٧/١٣٤).

(٤) أخرجه الطبري بعدة أسانيد من طريق الأجلح به، وسنده حسن، وله شواهد تقويه كما يلي.

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: ابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري من طريق عن ابن جريج به، وسنده حسن.

والشعبي وعطاء^(١).

وقال الثوري، عن رجل، عن عطاء، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: من الإثم^(٢)، وكذا قال إبراهيم النخعي. وقال مجاهد: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: نفسك ليس ثيابك، وفي رواية عنه ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: عملك فأصلح^(٣)، وكذا قال أبو رزين^(٤)، وقال في رواية أخرى: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا^(٥).

وقال قتادة: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهرها من المعاصي، وكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث ولم يف بعهد الله: إنه لدنس الثياب، وإذا وقى وأصلح إنه لمطهّر الثياب^(٦). وقال عكرمة والضحاك: لا تلبسها على معصية^(٧). وقال الشاعر^(٨):

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ يعني: لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب، ويقال: لا تلبس ثيابك على معصية^(٩).

وقال محمد بن سيرين: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: اغسلها بالماء^(١٠). وقال ابن زيد: وكان المشركون لا يتطهرون فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه^(١١)، وهذا القول اختاره ابن جرير، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت هجري فأجملي
إن تك قد ساءت منك خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل^(١٢)
وقال سعيد بن جبیر: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ وقلبك ونيتك فطهره^(١٣).

(١) أخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً من طريق مغيرة عن إبراهيم.
(٢) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن عطاء، ويتقوى بما سبق وأخرجه الحاكم من طريق سفيان عن ابن جريج عن عطاء به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٥٠٦/٢).

(٣) أخرجه الطبري بسند فيه شيخ الطبري وهو: يحيى بن طلحة اليربوعي: لين الحديث. (التقريب ص ٥٩٢) ولكنه قد توبع بواسطة سعيد بن منصور وعبد بن حميد إذا عزاه السيوطي إليهما، وهما من طبقة شيوخ الطبري.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق منصور عن أبي رزين. (المصنف ٢١٧/٨).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري وابن عبد البر. (التمهيد ٢٣٦/٢٢) بسند حسن من طريق الأجلح الكندي عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٨) هو: دكين بن رجاء، واستشهد به ابن قتيبة. (الشعر والشعراء ٦١٢/٢).

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. ويشهد له ما سبق.

(١٠) أخرجه الطبري من طريق ابن عون عن محمد بن سيرين، وبعض رجاله لم أقف على ترجمة لهم.

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١٢) ديوان امرئ القيس ص ٣٧.

(١٣) ذكره البغوي تعليقا. (معالم التنزيل ٤١٣/٤).

وقال محمد بن كعب القرظي والحسن البصري: وخلقك فحسن^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ ۝﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: والرجز وهو الأصنام فاهجر^(٢)، وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد: إنها الأوثان^(٣).

وقال إبراهيم والضحاك: ﴿وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ ۝﴾ أي: اترك المعصية^(٤)، وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ أَنَّ اللَّهَ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ شَتَاكُ ۝﴾ قال ابن عباس: لا تعط العطية تلتبس أكثر منها^(٥)، وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الأحوص وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم^(٦).

وروي عن ابن مسعود أنه قرأ: «ولا تمن أن تستكثر»^(٧).

وقال الحسن البصري: لا تمن بعملك على ربك تستكثره^(٨)، وكذا قال الربيع بن أنس^(٩)، واختاره ابن جرير.

وقال خصيف، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّ شَتَاكُ ۝﴾ قال: لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمن في كلام العرب: تضعف^(١٠).

وقال ابن زيد: لا تمن بالنبوة على الناس تستكثروهم بها تأخذ عليه عوضاً من الدنيا^(١١). فهذه أربعة أقوال، والأظهر القول الأول، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ قَاصِرٌ ۝﴾ أي: اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك وَكَلِّ. قاله مجاهد^(١٢).

(١) ذكره البغوي تعليقا. (معالم التنزيل ٤/٤١٣).

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري عن إبراهيم بسند فيه ابن حميد شيخ الطبري، وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف وقد تابعه عبد بن حميد وسعيد بن منصور كما عزاه السيوطي إليهما، وهما من طبقة شيوخ الطبري، وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما يليه.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة، وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم. (المصنف ٥/٣١٩). وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سلمة - وهو ابن نبيط - عن الضحاك، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) ذكره الطبري تعليقا، وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق سفيان بن حسين عن الحسن البصري. (المصنف ٥/٣١٩).

(٩) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق خصيف عن مجاهد، وخصيف: سيئ الحفظ.

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

وقال إبراهيم النخعي: اصبر عطيتك لله ﷺ^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (٨) ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (٩) ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ يُسِيرٌ﴾ (١٠) قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وابن زيد: ﴿النَّاقُورُ﴾ الصور^(٢).

قال مجاهد: وهو كهية القرن^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أسباط بن محمد، عن مطرف، عن عطية العوفي، عن ابن عباس ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (٨) فقال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟» فقال: قال أصحاب رسول الله ﷺ: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا». وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط به، ورواه ابن جرير عن أبي كريب، عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به، ورواه من طريق أخرى عن العوفي عن ابن عباس به^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (٩) أي: شديد ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ يُسِيرٌ﴾ (١٠) أي: غير سهل عليهم كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [القمر: ٨]، وقد روينا عن زُرارة بن أوفى قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح، فقرأ هذه السورة فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (٨) ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (٩) ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ يُسِيرٌ﴾ (١٠) شهِقَ شَهْقَةً ثُمَّ خَرَّ مِتًّا ﷺ^(٥).

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (١١) ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ (١٢) ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ (١٣) ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَہْجَةً﴾ (١٤) ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ (١٥) ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِيدًا﴾ (١٦) ﴿سَاءَ لِقَاءُ صَعُدُوا﴾ (١٧) ﴿إِذْهُمْ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ (١٨) ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١٩) ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (٢٠) ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ (٢١) ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ (٢٢) ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (٢٣) ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سَحَرٌ يُؤْتَرُ﴾ (٢٤) ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (٢٥) ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ (٢٦) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ (٢٧) ﴿لَا بُقِيَ وَلَا نَذَرٌ﴾ (٢٨) ﴿لَوْلَا لِلْبَشَرِ﴾ (٢٩) ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠).

يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرًا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر، وقد عدّد الله عليه نعمه حيث قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (١١) أي: خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى: ﴿مَالًا مَمْدُودًا﴾ (١٢) أي: واسعاً كثيراً قيل: ألف دينار^(٦)، وقيل: مائة ألف دينار،

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مغيرة عن إبراهيم.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(٣) أخرجه الطبري بالسند الصحيح المتقدم عن مجاهد.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران آية ١٧٣.

(٥) أخرجه أبو نعيم (الحلية ٢/٢٥٨) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٥٠٦).

(٦) أخرجه الطبري بسندين مرسلين عن مجاهد وسعيد بن جبیر، وهذان المرسلان يقوي أحدهما الآخر.

وقيل: أرضاً يستغلها^(١)، وقيل غير ذلك وجعل له ﴿وَيَنْبَغُ شُهُودًا﴾.

قال مجاهد: لا يغيبون؛ أي: حضوراً عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليتهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم، وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم، وكانوا فيما ذكره السدي وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة: ثلاثة عشر.

وقال ابن عباس ومجاهد: كانوا عشرة^(٢). وهذا أبلغ في النعمة وهو إقامتهم عنده ﴿وَمَهَّدَتْ لَهُمْ مَهْيَدًا﴾ أي: مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ كَانُوا لِآيَاتِنَا عِندًا ﴿١١﴾ أي: معانداً وهو الكفر على نعمه بعد العلم قال الله تعالى: ﴿سَأَرْهَقُهُمْ ضَعُودًا﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «ويل: وإد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً، قبل أن يبلغ قعره، والصعود: جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً، ثم يهوي به كذلك فيه أبداً»^(٣). وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن الحسن بن موسى الأشيب به، ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج، كذا قال، وقد رواه ابن جرير عن يونس، عن عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج^(٤). وفيه غرابة ونكارة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن المعروف بعلان المقرئ قال: حدثنا منجاب، أخبرنا شريك، عن عمار الدهني، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ﴿سَأَرْهَقُهُمْ ضَعُودًا﴾ قال: «هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت»^(٥). ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به^(٦).

وقال قتادة، عن ابن عباس: ﴿ضَعُودًا﴾ صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه^(٧).

وقال السدي: صعوداً صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها.

وقال مجاهد: ﴿سَأَرْهَقُهُمْ ضَعُودًا﴾ أي: مشقة من العذاب^(٨).

وقال قتادة: عذاباً لا راحة فيه^(٩)، واختاره ابن جرير.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق شعبة عن النعمان بن سالم بلفظ: «الأرض».

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق إسماعيل بن إبراهيم عن أبيه عن مجاهد، وإسماعيل بن إبراهيم هو ابن مهاجر وهو ضعيف. (التقريب ص ١٠٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٧٥/٣)، وسنده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٤) سنن الترمذي، صفة جهنم، باب ما جاء في صفة قعر جهنم (ج ٢٥٧٩) وتفسير الطبري، وسنده ضعيف كسابقه.

(٥) سنده ضعيف لاختلاف شريك وضعف عطية العوفي.

(٦) أخرجه الطبري، وأعله الهيثمي بعطية. (مجمع الزوائد ١٣٤/٧).

(٧) سنده ضعيف لأن قتادة لم يسمع من ابن عباس، وعزاه البغوي إلى الكلبي بنحوه. (معالم التنزيل ٤١٥/٤).

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ﴾ أي: إنما أرهقناه صعوداً؛ أي: قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر؛ أي: تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يخلق من المقال ﴿وَقَدَّرَ﴾ أي: تروى ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿۝١٥﴾ دعاء عليه ﴿ثُمَّ نَظَرَ ۖ﴾ أي: أعاد النظرة والتروي ﴿ثُمَّ عَسَّ﴾ أي: قبض بين عينيه وقطب ﴿وَبَسَّرَ﴾ أي: كلح وكره، ومنه قول توبة بن الحُمَيْر:

وقد رابني منها صدود رأيتَه وإعراضها عن حاجتي ويُسُوْرُها^(١)

وقوله: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ﴾ أي: صرف عن الحق ورجع القهقهري مستكبراً عن الانقياد للقرآن ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ﴾ أي: هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم، ولهذا قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ﴾ أي: ليس بكلام الله، وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله، وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي عن ابن عباس قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبا^(٢) الوليد لتصبو قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم ترَ إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألسنت أكثرهم مالاً وولداً؟ فقال أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، فقال الوليد: أقد تحدث به عشيرتي؟ فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾ إلى قوله: ﴿لَا بَقِيَّ وَلَا نَذَرَ ۖ﴾^(٣).

وقال قتادة: زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر وإن له لحلاوة، وإنه عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وما أشك أنه سحر فأنزل الله: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ﴾ الآية^(٤).

﴿ثُمَّ عَسَّ وَبَسَّرَ ۖ﴾ قبض ما بين عينيه وكلح.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عباد بن منصور، عن عكرمة، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكانه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام فأتاه فقال: أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال:

(١) استشهد به معمر بن المثنى. (مجاز القرآن ٢/ ٢٧٥) والطبري.

(٢) أي: خرج من الملة، وكانوا على الشرك.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وله شواهد ومتابعات تقويه كما يليه، فقد أخرجه الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٢/ ٥٠٦ - ٥٠٧)، وأخرج الطبري بسند رجاله ثقات عن مجاهد أنه الوليد بن المغيرة يوم دار الندوة وهو مرسل ويتقوى بالمراسيل التالية.

(٤) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة ولكنه مرسل ويتقوى بالمراسيل الأخرى ويقويه.

لَمْ؟ قَالَ: يعطونكه فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قریش أني أكثرهم مالا، قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال: وأنت كاره له، قال: فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلى. قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أتفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾ حتى بلغ ﴿تَسَعًا عَشَرَ﴾^(١).

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحواً من هذا، وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه، فقال قائلون: شاعر وقال آخرون: ساحر، وقال آخرون: كاهن، وقال آخرون: مجنون كما قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝﴾ [الإسراء] كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه، ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر، فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر^(٢)، قال الله تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَفَرًا ۝﴾ أي: سأغمره فيها من جميع جهاته.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا أَزِدْكَ مَا سَفَرًا ۝﴾ وهذا تهويل لأمرها وتفخيم، ثم فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا بُقَى وَلَا نَذْرٌ ۝﴾ أي: تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك، وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون، قاله [مزيدة]^(٣) وأبو سنان وغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿لَوَأْمَةٌ لِلْبَشَرِ ۝﴾ قال مجاهد: أي للجلد^(٤).

وقال أبو رزين: تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل^(٥).

وقال زيد بن أسلم: تلوح أجسادهم عليها^(٦).

وقال قتادة: ﴿لَوَأْمَةٌ لِلْبَشَرِ ۝﴾ أي: حراقة للجلد^(٧).

وقال ابن عباس: تحرق بشرة الإنسان^(٨).

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝﴾ أي: من مقدمي الزبانية عظيم خلقهم، غليظ خلقهم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا ابن أبي زائدة، أخبرني حارث، عن عامر، عن البراء في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝﴾ قال: إن رهطاً من

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده مرسل يتقوى بما سبق.

(٢) سنده ضعيف ويتقوى بما سبق.

(٣) كذا في تفسير الطبري، وفي الأصل صحف إلى ابن بريدة، فقد أخرجه الطبري من طريق ابن أبي ليلى عن مزينة بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل عن أبي رزين.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بن أسلم بنحوه.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ويتقوى بما سبق.

اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم فقال: الله ورسوله أعلم، فجاء الرجل فأخبر النبي ﷺ فأنزل الله تعالى عليه ساعته: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣١) فأخبر أصحابه وقال: «ادعهم أما إني سائلهم عن تربة الجنة إن أتوني، أما إنها درمكة بيضاء» فجأؤوه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية ثم قال: «أخبروني عن تربة الجنة» فقالوا: أخبرهم يا ابن سلام، فقال: كأنها خبزة بيضاء: فقال رسول الله ﷺ: «أما إن الخبز إنما يكون من الدرمل» (١) (٢).

هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء والمشهور، عن جابر بن عبد الله كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا أحمد بن عبدة، أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد غلب أصحابك اليوم. فقال: «بأي شيء؟» قال: سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ قال رسول الله ﷺ: «أفغلب قوم يسألون عما لا يعلمون فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ؟ عليّ بأعداء الله لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة» فأرسل إليهم فدعاهم قالوا: يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار؟ قال: «هكذا» وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة، وقال لأصحابه: «إن سئلتهم عن تربة الجنة فهي الدرمل» فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله ﷺ: «ما تربة الجنة؟» فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: خبزة يا أبا القاسم. فقال: «الخبز من الدرمل» (٣). وهكذا رواه الترمذي عند هذه الآية عن ابن أبي عمر، عن سفيان به (٤)، وقال هو والبزار: لا يعرف إلا من حديث مجالد، وقد رواه الإمام أحمد عن علي بن المديني عن سفيان بنقصه: الدرمل فقط (٥).

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَيْكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِينَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرَوْنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ (٣١) ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ (٣٢) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ (٣٣) ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَتَفَرَ﴾ (٣٤) ﴿إِنَّمَا لَآخِذُ الْكَبِيرِ﴾ (٣٥) ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ (٣٦) ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٣٧).

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ﴾ أي: خزانها ﴿إِلَّا مَلَيْكَةً﴾ زبانية غلاظاً شداداً، وذلك ردُّ

- (١) أي: الطحين الأبيض.
- (٢) سنده ضعيف لضعف حريث وهو ابن أبي مطر الفزازي كما في تهذيب الكمال (٥/٥٦٢). وأخرجه البيهقي من طريق حريث به وقال البيهقي: حريث بن أبي مطر ليس بالقوي، (البعث والنشور، باب ما جاء في خزنة جهنم رقم ٥٠٩).
- (٣) سنده ضعيف لضعف مجالد.
- (٤) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة المدثر (ح/٣٣٢٤)، وسنده كسابقه؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي.
- (٥) المسند (٣/٣٦١) وسنده ضعيف كسابقه.

على مشركي قريش حين ذكروا عدد الخزنة فقال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي: شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغالبون، وقد قيل: إن أبا الأشدين واسمه: كلدة بن أسيد^(١) بن خلف قال: يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه.

قال السهيلي: وهو الذي دعا رسول الله ﷺ إلى مصارعته، وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه النبي ﷺ مراراً فلم يؤمن، قال: وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب^(٢).

(قلت): ولا منافاة بين ما ذكره والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختباراً منا للناس ﴿لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: يعلمون أن هذا الرسول حق فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله ﴿وَيُزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ أي: إلى إيمانهم؛ أي: بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد ﷺ ﴿وَلَا يَرَابُطُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَلَقَوْلُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزٌ﴾ أي: من المنافقين ﴿وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي: يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا؟ قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبْذِلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

وقوله: ﴿وَمَا يَغْلُزْ جُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى؛ لثلاث يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط، كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة ومن الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها، فأفهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها وهو قوله: ﴿وَمَا يَغْلُزْ جُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «إِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخَرٌ مَا عَلَيْهِمْ»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود، حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورك، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتْ^(٤) السماء، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَ مَا فِيهَا مَوْضِعَ أَصْبَعٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلِكٌ سَاجِدٌ، لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ

(١) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن مجاهد بنحوه ولكنه مرسل.

(٢) الروض الأنف ٢٠٠/١.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء.

(٤) أي: إن كثرة ما فيها من الملائكة أثقلتها حتى أطت.

لضحكتكم قليلاً ولبيكتكم كثيراً ولا تلذذتم بالنساء على الفُرُشَات ولخرجتم إلى الصُّعُدَات تجأرون إلى الله تعالى» فقال أبو ذرٍّ: والله لوددت أنني شجرة تعضد^(١). ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث إسرائيل، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ويروى عن أبي ذرٍّ موقوفاً^(٢).

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا حسين بن عرفة المصري، حدثنا عروة بن مروان الرقي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم بن مالك، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راکع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئاً»^(٣).

وقال محمد بن نصر المروزي في «كتاب الصلاة»: حدثنا عمرو بن زرارة، أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، عن سعيد، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حزام قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم: «هل تسمعون ما أسمع؟» قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله ﷺ: «أسمع أطيط السماء ولا تلام أن تئط. وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راکع أو ساجد»^(٤).

وقال أيضاً: حدثنا محمد بن عبد الله بن [قهزاذ]^(٥)، حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي، حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي، سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث، عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا وعليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧﴾». وهذا مرفوع غريب جداً، ثم رواه عن محمود بن آدم، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود أنه قال: إن من السموات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماء قائم ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الصافات]^(٧).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٤٠٦/٣٥ ح ٢١٥١٦) قال المحققون: حسن لغيره، وهذا إسناد منقطع، مروق - وهو العجلي - لم يسمع من أبي ذرٍّ، وأخرجه الحاكم من طريق إسرائيل به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١٠/٢).

(٢) سنن الترمذي، الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً...» (ح ٢٣١٢)؛ وسنن ابن ماجه، الزهد، باب الحزن والبكاء (ح ٤١٩٠) وحسنه الألباني دون قوله: والله لوددت... فإنه مدرج؛ (صحيح سنن ابن ماجه ح ٣٣٧٨).

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٨٤/٢ ح ١٧٥١)، وسنده ضعيف لأن عروة بن مروان ليس بالقوي في الحديث. (لسان الميزان ١٦٤/٤).

(٤) أخرجه المروزي بسنده ومثله. (تعظيم قدر الصلاة ٢٥٨/١ ح ٢٥٠) وصححه سننه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ١٠٦٠).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: مهران.

(٦) أخرجه المروزي بسنده ومثله. (المصدر السابق ح ٢٥٣). وحسنه الألباني بشواهده. (السلسلة الصحيحة ح ١٠٥٩).

(٧) أخرجه المروزي بسنده ومثله (المصدر السابق ح ٢٥٤) وصححه سننه الألباني كما في المصدر السابق.

ثم قال: حدثنا أحمد بن سيار، حدثنا أبو جعفر بن محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه، حدثنا المغيرة بن عمر بن عطية من بني عمرو بن عوف، حدثني سليمان بن أيوب، عن سالم بن عوف، حدثني عطاء بن زيد بن مسعود من بني الحبلى، حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع من بني سالم، حدثني عبد الرحمن بن العلاء من بني ساعدة، عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده، أن النبي ﷺ قال: يوماً لجلسائه: «هل تسمعون ما أسمع؟» قالوا: وما تسمع يا رسول الله؟ قال: «أظلت السماء وحُقَّ لها أن تتط، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راکع أو ساجد وقالت الملائكة: ﴿وَلَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٥) ﴿وَلَا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (١٦)» [الصفات] (١). وهذا إسناد غريب جداً.

ثم قال: حدثنا إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفروي، حدثنا عبد الملك بن قدامة، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم: أبو جحش الليثي، فقال: قوموا فصلوا مع رسول الله ﷺ، فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقوم وقال: لا أقوم حتى يأتي رجل أقوى مني ذراعين وأشد مني بطشاً، فيصرعني ثم يدس وجهي في التراب، قال عمر: فصرعته ودست وجهه في التراب، فأتى عثمان بن عفان فحجزني عنه، فخرج عمر مغضباً حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما رأيك يا أبا حفص؟» فذكر له ما كان منه، فقال رسول الله ﷺ: «إن [رضي عمر رحمة، والله على ذلك] (٢) لوددت أنك جئتني برأس الخبيث» فقام عمر فوجه نحوه، فلما أبعد ناداه فقال: «اجلس حتى أخبرك بغناء الربِّ تبارك وتعالى عن صلاة أبي جحش وإن الله تعالى في السماء الدنيا ملائكة خشوعاً لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت رفعوا رؤوسهم ثم قالوا: ربنا ما عبدناك حق عبادتك وإن الله في السماء الثانية ملائكة سجوداً لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة رفعوا رؤوسهم وقالوا: سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك».

فقال له عمر: وما يقولون يا رسول الله؟ فقال: «أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأما أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون: سبحان الحي الذي لا يموت، فقلها يا عمر في صلاتك»، فقال عمر: يا رسول الله فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي؟ فقال: «قل هذا مرة وهذا مرة» وكان الذي أمره به أن يقوله: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك جلَّ وجهك» (٣). هذا حديث غريب جداً بل منكر نكارة شديدة، وإسحاق الفروي روى عنه البخاري، وذكره ابن حبان في الثقات وضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي والدارقطني، وقال أبو

(١) أخرجه المروزي بسنده ومثته. (المصدر السابق ح ٢٥٥)، ويشهد له ما سبق.

(٢) زيادة من (ح) و(حم) وكتاب تعظيم قدر الصلاة.

(٣) أخرجه المروزي عن محمد بن يحيى عن إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفروي به. (تعظيم قدر الصلاة ١/ ٢٦٣ ح ٢٥٦) وسنده ضعيف جداً، وقد أشار محققه أن عبد الله بن قدامة روى عن عبد الله بن دينار موضوعات. (ميزان الاعتدال ٤٧٢/ ٢). وضعفه أيضاً الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً.

حاتم الرازي: كان صدوقاً إلا أنه ذهب بصره فربما [لقن]^(١) وكتبه صحيحة، وقال - مرة -: هو مضطرب وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحي تكلم فيه أيضاً، والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه، ولا عرف بحاله، ولا تعرض لضعف بعض رجاله، غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلًا بنحوه، ومن طريق أخرى عن الحسن البصري مرسلًا قريباً منه^(٢).

ثم قال محمد بن نصر: حدثنا محمد بن عبد الله بن [قهزاذ]^(٣)، أخبرنا النضر، أخبرنا عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطاة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال: سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله ﷻ قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك^(٤). وهذا إسناد لا بأس به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ قال مجاهد وغير واحد: «وما هي» أي: النار^(٥) التي وصفت ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ ^(٦) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ ^(٧) ﴿أَي: وَلِي﴾ ^(٨) ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْرَقَ﴾ ^(٩) أي: أشرق ﴿إِنَّمَا لَأَخَذِ الْكُفْرَ﴾ ^(١٠) أي: العظائم يعني: النار، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف^(٦) ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ ^(١١) لِمَنْ شَاءَ يَنْكَرُ أَنْ يَفْعَمَ أَوْ يَنْتَحِرَ ^(١٢) أي: لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي للحق أو يتأخر عنها ويولّي ويردّها.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ ^(١٣) ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ ^(١٤) فِي جَنَّتِ يَسَاءَلُونَ ^(١٥) عَنِ الْمُجْرِمِينَ ^(١٦) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ^(١٧) قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمَصْلِينَ ^(١٨) وَلَوْ نَكُنَّ نَظْمُ السَّكِينِ ^(١٩) وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَاطِئِينَ ^(٢٠) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الْآلِينَ ^(٢١) حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ ^(٢٢) فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ^(٢٣) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ^(٢٤) كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ^(٢٥) فَزَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ^(٢٦) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوفَّى صُحُفًا مُنْشَرَةً ^(٢٧) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ^(٢٨) كَلَّا إِنَّهُمْ تَذْكِرَةٌ ^(٢٩) فَمَنْ شَاءَ ذَكُرْ ^(٣٠) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقَوْلَى وَاهْلُ الْغَفَرَةِ ^(٣١).

يقول تعالى مخبراً أن ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ ^(٣٨) أي: معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن

- (١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.
- (٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٦٤ - ٢٦٦، رقم ٢٥٧ - ٢٥٨) وفي كليهما ضعف.
- (٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: مهران.
- (٤) أخرجه المروزي بسنده ومثته. (المصدر السابق رقم ٢٦٠) وحكم الحافظ ابن كثير أن سنده لا بأس به.
- (٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
- (٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: «جهنم». ويتقوى بالآثار التالية، فقد أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظ: «النار»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح بلفظ: «جهنم»؛ وأخرجه الطبري وابن أبي شيبة بسند حسن من طريق إسماعيل بن شُميع عن أبي رزين. (المصنف ٨/ ٢١٨)؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري.

عباس وغيره ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (٣٩) فإنهم ﴿فِي جَنَّتٍ يَسْأَلُونَ﴾ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿أَي: يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤١) قَالُوا لَرَكْنَا مِنَ الْمَصْلِينَ﴾ (٤٢) وَلَرَكْنَا نَقْمُ الْمُسْكِينِ﴾ (٤٣) أَي: ما عبدنا الله ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاضِينَ﴾ (٤٤) أَي: نتكلم فيما لا نعلم.

وقال قتادة: كلما غوى غاي غوينا معه^(١). ﴿وَكَا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ (٤٥) حَتَّى أَتَنَّا الْيَقِينَ﴾ (٤٦) يعني: الموت كقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) [الحجر] وقال رسول الله ﷺ: «أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه»^(٢).

قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) أَي: ما كان متصفاً بمثل هذه الصفات فإنه لا ينفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه؛ لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلاً، فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإنه له النار لا محالة خالداً فيها، ثم قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكُرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) أَي: فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك مما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَفِرَّةٌ﴾ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (٥١) أَي: كأنهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرّت ممن يريد صيدها من أسد، قاله أبو هريرة وابن عباس في رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن^(٣): أو رام، وهو رواية عن ابن عباس^(٤)، وهو قول الجمهور.

وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس: الأسد بالعربية، ويقال له بالحشية: قسورة، وبالفارسية: شير، وبالنبطية: أوبا^(٥).

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً﴾ (٥٢) أَي: بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي ﷺ، قاله مجاهد وغيره^(٦)، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وفي رواية عن قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل^(٧).

(١) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحجر آية ٩٩.

(٣) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق ابن سيلان - وهو جابر - عن أبي هريرة؛ وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٤) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن عروة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الحاكم عن أبي موسى وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٠٨/٢).

(٥) أخرجه الطبري من طريق سلم بن قتيبة عن حماد بن سلمة به، وسنده ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروة عن قتادة.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ ﴿٥٦﴾ أَي: إِنَّمَا أَفْسَدَهُمْ عَدَمُ إِيمَانِهِمْ بِهَا وَتَكْذِيبُهُمْ بِوُقُوعِهَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ ﴿٥٧﴾ أَي: حَقًّا إِنَّ الْقُرْآنَ تَذَكُّرَةٌ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ ﴿٥٨﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الْإِنْسَان: ٣٠]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ أَي: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يَخَافَ مِنْهُ وَهُوَ أَهْلٌ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ. قَالَه قَتَادَةُ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَبَابِ، أَخْبَرَنِي سَهِيلُ أَخُو حَزْمٍ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبَنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ وَقَالَ: «قَالَ رَبِّكُمْ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أَتَقَى فَلَا يَجْعَلُ مَعِيَ إِلَهَ، فَمَنْ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِيَ إِلَهًا كَانَ أَهْلًا أَنْ أَغْفِرَ لَهُ»^(٢). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ الْحَبَابِ، وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْمَعَاذِيِّ بْنِ عِمْرَانَ، كِلَاهُمَا عَنْ سَهِيلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُطَيْعِيِّ بِهِ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ وَسَهِيلٌ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ^(٣)، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هُدْبَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ سَهِيلِ بِهِ، وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ سَهِيلِ الْقُطَيْعِيِّ بِهِ^(٤).

[آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَدَّثَرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ]^(٥).

(١) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ.
(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدِهِ وَمُتَنَّهُ. (الْمُسْنَدُ ٤٣٠/١٩ ح ١٢٤٤٢) وَضَعَفَ سَنَدَهُ مُحَقِّقُوهُ لضعف سَهِيلِ أَخِي حَزْمٍ.
(٣) سَنَّ التِّرْمِذِيُّ، التَّفْسِيرَ، بَابَ وَمِنْ سُورَةِ الْمَدَّثَرِ (ح ٣٣٢٥)؛ وَسَنَّ ابْنَ مَاجَةَ الزَّهْدَ، بَابَ مَا يَرْجَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ح ٤٢٩٩)؛ وَالسَّنَنُ الْكُبْرَى لِلنَّسَائِيِّ، التَّفْسِيرِ (ح ١١٦٣٠). وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ كَسَابِقِهِ.
(٤) مُسْنَدُ أَبِي يَعْلَى ٦٦/٦ (ح ٣٢١٧)؛ وَمَعَالِمُ التَّنْزِيلِ لِلْبَغَوِيِّ ٤/٤٢٠) وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ كَسَابِقِهِ.
(٥) زِيَادَةٌ مِنْ (ح)، وَفِي (حَم): آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَدَّثَرِ.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلْ قَدِرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ ۝٥ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝٦ فَإِذَا رَاقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَيْنَا رَيْكَ يَوْمَئِذٍ ۝١٢ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ ۝١٥﴾ .

قد تقدم غير مرة أن المُقَسَّم عليه إذا كان منتفياً جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي. والمُقَسَّم عليه ههنا هو إثبات المعاد والردُّ على ما يزعمه الجهلة من العباد ومن عدم بعث الأجساد، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ قال الحسن: أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة^(١).

وقال قتادة: بل أقسم بهما جميعاً، هكذا حكاه ابن أبي حاتم^(٢).

وقد حكى ابن جرير، عن الحسن والأعرج أنهما قرءا: «لأُقسم بيوم القيامة»^(٣) وهذا يوجِّه قول الحسن؛ لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة، والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً كما قاله قتادة رحمهما الله، وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة^(٤)، واختاره ابن جرير.

فأما يوم القيامة فمعروف وأما النفس اللوامة فقال قرة بن خالد، عن الحسن البصري في هذه الآية: إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه. ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، وإن الفاجر يمضي قُدماً ما يعاتب نفسه^(٥)، وقال جوير: بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ قال: ليس أحد من أهل السموات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم، عن إسرائيل، عن سماك

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري تعليقاً، والقراءة متواترة.

(٤) أخرجه الحاكم من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٠٨/٢).

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس.

(٦) سنده ضعيف لضعف جوير وروايته بلاغاً.

أنه سأل عكرمة عن قوله: ﴿وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَلَاةِ﴾ (١) قال: يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا^(١)، ورواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن إسرائيل به^(٢)، وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَلَاةِ﴾ (١) قال: تلوم على الخير والشر^(٣)، ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك فقال: هي النفس اللؤوم^(٤).

وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد: تندم على ما فات وتلوم عليه^(٥).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿الْوَلَاةُ﴾: المذمومة^(٦).

وقال قتادة: ﴿الْوَلَاةُ﴾ الفاجرة^(٧).

وقال ابن جرير: وكل هذه الأقوال متقاربة بالمعنى والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات^(٨).

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (٢) أي: يوم القيامة أيعظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة؟ ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ سُوَّىٰ بَنَانَهُ﴾ (٣) وقال سعيد بن جبير والعوفي، عن ابن عباس: أن نجعله خفأً أو حافراً^(٩)، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقاتة والضحاك وابن جرير^(١٠)، ووجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا، والظاهر من الآية أن قوله تعالى: ﴿قَدِيرِينَ﴾ حال من قوله تعالى: ﴿نَجْمَعَ﴾ أي: أيعظن الإنسان أنا لا نجتمع عظامه؟ بل سنجمعها قادرين على أن نسوي بنانه؟ أي: قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا بعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية، وهذا معنى قول ابن قتبية والزجاج^(١١).

وقوله: ﴿بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ﴾ (٤) قال سعيد عن ابن عباس: يعني يمضي قدماً^(١٢).

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ﴾ يعني: الأمل، يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب

(١) سنده حسن. (٢) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وسنده حسن.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري والحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٠٩/٢).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح به.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) ذكره الطبري بلفظه.

(٩) أخرجه الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو تنمة لرواية الحاكم السابقة.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق النضر، وهو ابن عربي، عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(١١) نسبه البغوي إلى ابن قتبية والزجاج. (معالم التنزيل ٤٢١/٤).

(١٢) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن جبير به؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق أبي إسحاق الهمداني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: يقول: سوف أتوب، سوف أعمل.

قبل يوم القيامة، ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة^(١).

وقال مجاهد: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ ليمضي أمامه راكباً رأسه^(٢).

وقال الحسن: لا يُلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدماً قدماً إلا من عصمه الله تعالى^(٣)، وروي عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف: هو الذي يعجل الذنوب ويسوف التوبة.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو الكافر يكذب بيوم الحساب^(٤)، وكذا قال ابن زيد^(٥) وهذا هو الأظهر من المراد، ولهذا قال بعده ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؟ أي: يقول متى يكون يوم القيامة وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٦﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَفْهِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ ﴿٧﴾ [سبأ].

وقال تعالى ههنا: ﴿إِذَا رَفَءَ الْبَصَرُ﴾ ﴿٧﴾ قرأ أبو عمرو بن العلاء «برق» بكسر الراء؛ أي: حار، وهذا الذي قاله شبيهه بقوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أي: بل ينظرون من الفرع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب.

وقرأ آخرون «برق» بالفتح^(٦) وهو قريب في المعنى من الأول، والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخضع وتحار وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور. وقوله تعالى: ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ﴿٨﴾ أي: ذهب ضوؤه ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ ﴿٩﴾ قال مجاهد: كُوراً^(٧).

وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ﴿٨﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٩﴾ [التكوير].

وروي عن ابن مسعود أنه قرأ «وجمع بين الشمس والقمر»^(٨).

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَتَى الْقَمَرُ﴾ ﴿١٠﴾ أي: إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر، ويقول أين المفر؟ أي: هل من ملجأ أو موئل؟ قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّكَ رِجْءٌ يَوْمَئِذٍ مُنْفَرِّقٌ ﴿١٢﴾ قال ابن مسعود، وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف: أي: لا نجاة^(٩)، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بسابقه إذ فيه متابعات.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٦) وهي قراءة متواترة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٨) ذكره الطبري تعليقا، وهي قراءة شاذة تفسيرية.

(٩) أخرجه البخاري تعليقا عن ابن عباس بلفظ: «لا حصن». وقد ذكر الحافظ ابن حجر ما أخرجه الطبري

بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «لا حرز»، وذكر أيضاً ما أخرجه الطبري

بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: «لا حصن ولا ملجأ». (تغليق التعليق ٤/٣٥٤، =

نَكِيرٍ [الشورى: ٤٧] أي: ليس لكم مكان تتكبرون فيه، وكذا قال ههنا: ﴿لَا وَزَرَ﴾ أي: ليس لكم مكان تعتصمون فيه، ولهذا قال: ﴿إِلَّا رَّبُّكَ يُؤْمِرُ لَنْتَقَرَّ﴾ أي: المرجع والمصير.

ثم قال تعالى: ﴿يَبْقَا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي: يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها، كما قال تعالى: ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رُوكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وهكذا قال ههنا: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [٤] ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ [٥] أي: هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر، وكما قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ٤].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [٤] يقول: سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه^(١).

وقال قتادة: شاهد على نفسه^(٢). وفي رواية قال: إذا شئت والله رأيته بصيراً بعيوب الناس وذنوبهم غافلاً عن ذنوبه. وكان يقال: إن في الإنجيل مكتوباً: يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك وتترك الجذل في عينك لا تبصره!^(٣).

وقال مجاهد: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ [٥] ولو جادل عنها فهو بصير عليها^(٤).

وقال قتادة: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ [٥] ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه^(٥).

وقال السدي: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ [٥] حجته^(٦). وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير^(٧).

وقال قتادة، عن زرارة، عن ابن عباس: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ [٥] يقول: لو ألقى ثيابه^(٨).

وقال الضحاك: ولو ألقى ستوره وأهل اليمن^(٩)، يسمون الستر: العذار. والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله: ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام] وكقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [١٣] [المجادلة].

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ [٥] هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال: ﴿لَا يَنْفَعُ

= (٣٥٥). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في كتاب الأحوال عن ابن مسعود بلفظ: «لا حصن»، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد عن سعيد بن جبير وعطية وأبي قلابة.

- (١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
- (٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
- (٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
- (٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن الضحاك. (٧) الذي اختاره الطبري هو قول قتادة: «لو اعتذر».
- (٨) أخرجه الطبري من طريق خالد بن قيس عن قتادة به بلفظ: «لو تجرد». وفي سنده خالد بن قيس: صدوق يغرب (التقريب ص ١٩٠).
- (٩) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن الضحاك.

الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ ﴿٥٢﴾ [غافر: ٥٢] وقال: ﴿وَأَلْفُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ [النحل: ٨٧] ﴿فَأَلْفُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٢٨] وقولهم: ﴿وَاللَّهُ رِثَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ^(١) [الأنعام: ٢٣].

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١١ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ١٢ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ قُرْآنَهُ﴾ ١٣ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٤ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ١٥ ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ ١٦ ﴿وَجُودُ يَوْمِئِذٍ نَاضِرٌ﴾ ١٧ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ ١٨ ﴿وَوُجُودُ يَوْمِئِذٍ بَاسِرٌ﴾ ١٩ ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ٢٠ ﴿

هذا تعليم من الله ﷻ لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله ﷻ إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه عليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه. فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه. ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١١ ﴿أَي: بالقرآن كما قال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ أي: في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي: أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ أي: إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى: ﴿فَانصِتْ لَهُ قُرْآنَهُ﴾ أي: فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٤ أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن أبي عوانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفثيه قال: فقال لي ابن عباس: أنا أحرك شفثي كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفثيه، وقال لي سعيد: وأنا أحرك شفثي كما رأيت ابن عباس يحرك شفثيه، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١١ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ١٢ ﴿قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ قُرْآنَهُ﴾ ١٣ ﴿أَي: فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٤ ﴿فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه﴾ ^(٢). وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن أبي عائشة به. ولفظ البخاري: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله ﷻ ^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحيى التيمي، حدثنا موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يلقي منه شدة، وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفثيه يتلقى أوله ويحرك به شفثيه، خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١١ ﴿وهكذا قال

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما تقدم عن قتادة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣٤٣/١) وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة] (ح ٤٩٢٩)؛ وصحيح مسلم، الصلاة، باب الاستماع للقراءة (ح ٤٤٨).

(٤) أصله في الصحيحين كما في سابقه.

الشعبي والحسن البصري وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد: إن هذه الآية نزلت في ذلك^(١). وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١١) قال: كان لا يفتر من القراءة مخافة أن ينساه فقال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١٢) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ أَنْ نجعله لك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ نقرئك فلا تنسى^(٢)، [وقال ابن عباس وعطية العوفي: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(١٣) تبين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة^(٣)]^(٤) وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾^(١٥) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ^(١٦) أي: إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم، أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة وهم لا هون متشاغلون عن الآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾^(١٧) من النصارة؛ أي: حسنة بهية مشرقة مسرورة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(١٨) أي: تراه عياناً كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: «إنكم سترون ربكم عياناً»^(٥). وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترون ربكم كذلك»^(٦).

وفي الصحيحين عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر! فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا»^(٧).

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله ﷻ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»^(٨).

وفي أفراد مسلم، عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة». ثم تلا

- (١) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن الشعبي لكنه مرسل؛ وأخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن مجاهد لكنه مرسل؛ وأخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن الحسن لكنه مرسل؛ وأخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة لكنه مرسل؛ وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً، وتقوى برواية الصحيحين السابقة.
- (٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، وتقوى بما سبق.
- (٣) زيادة من (ح) و(حم).
- (٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ومعناه صحيح وتقوى برواية الطبري التي أخرجه بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
- (٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ١٣٠.
- (٦) أخرجه البخاري (الصحيح، التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾^(١٧) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ^(١٨) [القيامة (ح) ٧٤٣٧]؛ وصحيح مسلم، الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (ح) ١٨٢.
- (٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ١٣٠.
- (٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٧٢.

هذا الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَشْئُورٍ زِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] (١).

وفي أفراد مسلم، عن جابر في حديثه: «إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك» يعني: في عرصات القيامة ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم ﷺ في العرصات وفي روضات الجنات (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا [عبد الملك بن أبجر] (٣)، حدثنا [ثوير] (٤) بن أبي فاخته، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين» (٥) ورواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن شعبة، عن إسرائيل، عن ثوير قال: سمعت ابن عمر فذكره، قال: ورواه عبد الملك بن أبجر، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر، وكذلك رواه الثوري، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر ولم يرفعه (٦)، ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقاً في مواضع من هذا التفسير، وبالله التوفيق.

وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهذه الأنام، ومن تأول ذلك بأن المراد بإلى مفرد الآلاء وهي: النعم كما قال الثوري، عن منصور، عن مجاهد ﴿إِلَّا رَيْهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٧) قال: تنتظر الثواب من ربها (٧)، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد، وكذا قال أبو صالح أيضاً فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب إليه (٨)، وأين هو من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (٩) [المطففين]؟.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: ما حجب الكفار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه ﷺ ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دلّ عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا رَيْهَا نَاطِرَةٌ﴾ (١٠).

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا آدم، حدثنا المبارك، عن الحسن ﴿وَيَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (١١) قال: حسنة ﴿إِلَّا رَيْهَا نَاطِرَةٌ﴾ (١٢) قال: تنظر إلى الخالق، وحُقَّ لها أن تنصّر وهي تنظر إلى الخالق (٩).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ١٣٠.

(٢) أخرجه مسلم (الصحيح، الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ١٩١).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «عبد الملك بن الحر».

(٤) كذا في مسند أحمد وترجمته ثوير، وفي الأصل صحف إلى: «يزيد».

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: إسناده ضعيف. ثوير بن أبي فاخته ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي وابن عدي وغيرهم (المسند ٨/ ٢٤٠ ح ٤٦٢٣).

(٦) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة القيامة (ح ٣٣٣٠).

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد، وقد جانب مجاهد الصواب في هذه المسألة وخالف جمهور المفسرين.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح، (المصنف ٨/ ٢٧٥)، وهذا القول كسابقه.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن، وأخرجه آدم بن أبي إياس عن المبارك بن فضالة به.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۖ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۖ﴾ (٢٦) هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة، قال قتادة: كالحلة^(١).

وقال السدي: تغير ألوانها.

وقال ابن زيد: ﴿بَاسِرَةٌ﴾ أي: عابسة^(٢).

﴿تَظُنُّ﴾ أي: تستيقن ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ قال مجاهد: داهية^(٣).

وقال قتادة: شر^(٤).

وقال السدي: تستيقن أنها هالكة.

وقال ابن زيد: تظن أن ستدخل النار. وهذا المقام^(٥)، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] وكقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۖ﴾ (٢٦) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۖ تَرْفَعُهَا قَرَّةٌ ۖ﴾ (٤١) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْعَجُوزُ﴾ [عبس] وكقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ۖ﴾ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۖ تَفَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۖ﴾ (٤١) إلى قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۖ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۖ﴾ (٨) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ﴾ [الغاشية] في أشباه ذلك من الآيات والسياقات.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۖ﴾ (٦١) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۖ ﴿وَلَنْ أَنَّهُ الْفَرَاقُ ۖ﴾ (٦٨) وَاللَّفَتِ اللَّسَاقُ بِالسَّاقِ ۖ ﴿إِلَىٰ رَيْكِ يَوْمَئِذٍ اللَّسَاقُ ۖ﴾ (٦٠) فَلَا صَلَفَ وَلَا صَلَٰ ۖ ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتْلَ ۖ﴾ (٦٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمُتَقَىٰ ۖ ﴿أُولَٰئِكَ فَآوَىٰ ۖ﴾ (٦٥) ثُمَّ أُولَٰئِكَ فَآوَىٰ ۖ ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۖ﴾ (٦٦) أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِتْنَةٌ ۖ ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً ۖ﴾ (٦٧) فَمَلَأَ فَسْوَىٰ ۖ ﴿فَعَمَلٌ مِنْهُ الرِّجَاجُ ۖ﴾ (٦٨) وَالْأُنْثَىٰ ۖ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقْدِرٍ عَلَيَّ ۖ﴾ (٦٩) ثُمَّ كَانَتْ عِلْقَةً ۖ ﴿ثُمَّ كَانَتْ عِلْقَةً ۖ﴾ (٦٩).

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۖ﴾ (٦١) إن جعلنا «كلا» رادعة فمعناها: لست يا ابن آدم هناك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عياناً، وإن جعلناها بمعنى حقاً فظاهر؛ أي: حقاً إذا بلغت التراقي؛ أي: انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك، والتراقي جمع ترقوة وهي: العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ۖ﴾ (٨٧) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَّظُرُونَ ۖ ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ۖ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ۖ﴾ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۖ ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ﴾ (٨٧) وهكذا قال ههنا: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۖ﴾ (٦١) ويذكر ههنا حديث بشر بن حجاج الذي تقدم في سورة يس [٧٧]. والتراقي جمع ترقوة وهي قريبة من الحلقوم ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۖ﴾ (٦٢)؟.

قال عكرمة، عن ابن عباس: أي من راقٍ يرقى^(٦)، وكذا قال أبو قلابة: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۖ﴾ (٦٢).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة، وليس فيه ذكر ابن عباس.

أي: من طيب شاف^(١)، وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نصر بن علي، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي، حدثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾^(٣) قيل: من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة^(٤).

وبهذا الإسناد عن ابن عباس في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاقُ بِالسَّاقِ﴾^(٥) قال: التفت عليه الدنيا والآخرة^(٦)، وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاقُ بِالسَّاقِ﴾^(٧) يقول آخر يوم من أيام الدنيا أول يوم من أيام الآخرة فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رَحِمَ الله^(٨).

وقال عكرمة: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاقُ بِالسَّاقِ﴾^(٩) الأمر العظيم بالأمر العظيم^(١٠).

وقال مجاهد: بلاء بلاء^(١١).

وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاقُ بِالسَّاقِ﴾^(١٢): هما ساقاك إذا التفتا^(١٣)، وفي رواية عنه ماتت رجلاه فلم تحمله وقد كان عليهما جوالاً، وكذا قال السدي، عن أبي مالك، وفي رواية عن الحسن: هو لفهما في الكفن^(١٤).

وقال الضحاك: ﴿وَاللَّيْلِ أَلْسَاقُ بِالسَّاقِ﴾^(١٥) اجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه^(١٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ أَلْسَاقُ﴾^(١٧) أي: المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع إلى السموات، فيقول الله ﷻ: رُدُّوا عبيدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، كما ورد في حديث البراء الطويل. وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلْقَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾^(١٨) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾^(١٩) [الأنعام].

وقوله: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا سَلَٰى﴾^(٢٠) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾^(٢١) هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه متولياً عن العمل بقلبه، فلا خير فيه باطناً ولا ظاهراً، ولهذا قال تعالى:

(١) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق شبيب عن أبي قلابة. (المصنف ٤٢٢/٥)؛ وأخرجه الطبري من طريق شبيب به.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي بسطام عن الضحاك؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن عمرو بن مالك به، وسنده حسن.

(٤) الأثر تمة لسابقه كما في تفسير الطبري.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي عيسى بلفظ: «الأمر بالأمر».

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيى، وهو القتات وهو ضعيف عن مجاهد. وقد أخرجه الطبري بسند صحيح عن مجاهد بلفظ ابن عباس المتقدم.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق بشير بن المهاجر عن الحسن.

(٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق بشير بن المهاجر عن الحسن.

(١٠) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن الضحاك.

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (٢٦) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَوْلَ ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِعُ﴾ (٢٧) أي: جذلاً أشرأ بطراً كسلان لا همّة له ولا عمل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (٢٨) [المطففين] وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٢٩) إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ لَنْ يَحُورَ ﴿٣٠﴾ أي: يرجع ﴿يَلْعَنُ إِنْ رَبُّهُ كَانَ بِهِ بِصِيرًا﴾ (٣١) [الانشقاق].

وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِعُ﴾ (٢٧) أي: يختال^(١).
وقال قتادة وزيد بن أسلم: يتبختر^(٢).

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ فَأُولَٰئِكَ﴾ (٣٢) ثُمَّ أَوَلَيْكَ فَأُولَٰئِكَ ﴿٣٣﴾ وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيه؛ أي: يحق لك أن تمشي هكذا، وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٣٤) [الدخان] وكقوله: ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا فَلْيَلَا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ (٣٥) [المرسلات] وكقوله: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي﴾ [الزمر: ١٥] وكقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] إلى غير ذلك.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا عبد الرحمن؛ يعني: ابن مهدي، عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة قال: سألت سعيد بن جبيرة قلت: ﴿أَوَلَيْكَ فَأُولَٰئِكَ﴾ (٣٢) ثُمَّ أَوَلَيْكَ فَأُولَٰئِكَ ﴿٣٣﴾ قال: قاله النبي ﷺ لأبي جهل، ثم نزل به القرآن^(٣).

وقال أبو عبد الرحمن النسائي: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبو النعمان، حدثنا أبو عوانة (ح) وحدثنا أبو داود، حدثنا محمد بن سليمان، حدثنا أبو عوانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبيرة قال: قلت لابن عباس: ﴿أَوَلَيْكَ فَأُولَٰئِكَ﴾ (٣٢) ثُمَّ أَوَلَيْكَ فَأُولَٰئِكَ ﴿٣٣﴾؟ قال: قاله رسول الله ﷺ لأبي جهل ثم أنزله الله ﷻ^(٤).

قال ابن أبي حاتم: وحدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا شعيب، عن إسحاق، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿أَوَلَيْكَ فَأُولَٰئِكَ﴾ (٣٢) ثُمَّ أَوَلَيْكَ فَأُولَٰئِكَ ﴿٣٣﴾ وعيد على أثر وعيد كما تسمعون، وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله ﷺ بمجامع ثيابه ثم قال: ﴿أَوَلَيْكَ فَأُولَٰئِكَ﴾ (٣٢) ثُمَّ أَوَلَيْكَ فَأُولَٰئِكَ ﴿٣٣﴾ فقال عدو الله أبو جهل: أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئاً وإني لأعز من مشى بين جبليها^(٥).

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) قال السدي: يعني: لا يبعث^(٦).

(١) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس ويتقوى بالآثار التالية.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) سنده ضعيف لأنه مرسل لكنه يتقوى بالموصول عن ابن عباس كما يلي.

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن الكبرى، التفسير، ح ١١٦٣٨) وأخرجه الحاكم من طريق أبي عوانة به. وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١٠/٢).

(٥) سنده ضعيف لإرسال قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن السدي بلفظ: «الذي لا يفترض عليه عمل، ولا يعمل». وعبد الرحمن ضعيف.

وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني: لا يؤمر ولا ينهى^(١).

والظاهر أن الآية تعم الحالين؛ أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهماً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منه في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد، ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ نَفْثَةٌ مِنْ مَمِّ يَمَتَّى ۖ﴾ (٢٧) أي: أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين. يمني: يراق من الأصلاب في الأرحام ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۖ﴾ (٢٨) أي: فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقاً سوياً سليم الأعضاء ذكراً أو أنثى بإذن الله وتقديره. ولهذا قال تعالى: ﴿جَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۖ﴾ (٢٩).

ثم قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْلَوْثَ ۖ﴾ (٣٠) أي: أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه وتناول القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداوة وإما مساوية على القولين في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] والأول أشهر كما تقدم في سورة الروم^(٢) بيانه وتقديره، والله أعلم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد [بن] (٣) الصباح، حدثنا شعبة، عن شعبة، عن موسى بن أبي عائشة، عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن، فإذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْلَوْثَ ۖ﴾ (٣٠) قال: سبحانك اللهم فبلى، فستل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك^(٤).

وقال أبو داود رحمه الله: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْلَوْثَ ۖ﴾ (٣٠) قال: سبحانك فبلى، فسأله عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ. تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك.

وقال أبو داود أيضاً: حدثنا عبد الله بن محمد الزهري، حدثنا سفيان، حدثني إسماعيل بن أمية، سمعت أعرابياً يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتبهى إلى آخرها» ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨) [التين] فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ (١) فانتبهى إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْلَوْثَ ۖ﴾ (٣٠) فليقل بلى، ومن قرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ [المرسلات: ١] فبلغ ﴿فَيَأْتِي حَدِيثُ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فليقل: آمنا بالله^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) آية ٢٧.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض. (٤) سنده حسن، ويتقوى بما يليه.

(٥) أخرجه أبو داود بسنده ومثته (السنن، الصلاة، باب الدعاء في الصلاة ح ٨٨٤)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٧٨٦).

(٦) المصدر السابق، باب مقدار الركوع والسجود (ح ٨٨٧)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ١٨٨).

ورواه أحمد، عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي، عن ابن أبي عمر، عن سفيان بن عيينة به، وقد رواه شعبة، عن إسماعيل بن أمية قال: قلت له من حدثك؟ قال: رجل صدق عن أبي هريرة^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُمْحِيَ الْكُوفَ﴾^(٢) ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك وبلى»^(٣).

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه مرَّ بهذه الآية: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُمْحِيَ الْكُوفَ﴾^(٤)؟ قال: سبحانك فبلى^(٣).
آخر تفسير سورة القيامة، والله الحمد والمنة.

(١) المسند (٣٥٢/١٢ ح ٧٣٩٠) وضعفه محققوه لجهالة الراوي عن أبي هريرة؛ وأخرجه الترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة والتين ح ٣٣٤٧)؛ وأخرجه الحاكم من طريق يزيد بن عياض عن إسماعيل بن أمية عن أبي اليسع عن أبي هريرة وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٥١٠/٢)، ولكن يزيد بن عياض كذبه مالك وغيره. (التقريب ص ٦٠٤).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده رجاله ثقات لكنه مرسل ويتقوى بسابقه ولاحقه.

(٣) رجاله ثقات وسنده صحيح.

سُورَةُ الْإِنشَاءِ

وهي مكية

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الْأَمْرَ﴾ ﴿تَنْزِيلَ﴾ السجدة و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾^(١).

وقال عبد الله بن وهب: أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما، بلغ صفة الجنان زفر فخرجت نفسه فقال رسول الله ﷺ: «أخرج نفس صاحبكم أو قال: أخيكم الشوق إلى الجنة»^(٢). مرسل غريب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٣).

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(١) ثم بين ذلك فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي: أخلاط. والمشج والمشيح: الشيء المختلط ببعضه في بعض.

قال ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ يعني: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون^(٣)، وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس الأمشاج هو: اختلاط ماء الرجل بماء المرأة^(٤).

وقوله: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبره كقوله: ﴿لِيَبْلُوكُمُ أَيُّكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ أي: جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية.

(١) تقدم في تفسير سورة السجدة.

(٢) سنده ضعيف لأنه مرسل، وسيأتي وصله والمزيد من التخريج في تفسير آية ٢٠ من هذه السورة الكريمة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «مختلفة الألوان».

(٤) وأخرجه آدم بن أبي إياس بسند حسن من طريق سعيد بن مسروق عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري وآدم بسند حسن من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ السَّبِيلَ﴾ أي: بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] وكقوله: ﴿وَهَدَيْنَهُ النُّجْدَيْنِ﴾ [البلاء: ١٠] أي: بينا له طريق الخير وطريق الشر، وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور^(١).

وروي عن مجاهد وأبي صالح والضحاك والسدي أنهم قالوا في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ السَّبِيلَ﴾ يعني: خروجه من الرحم. وهذا قول غريب والصحيح المشهور الأول.

وقوله: ﴿إِنَّمَا شَاكَرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ منصوب على الحال من الهاء في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ السَّبِيلَ﴾ تقديره فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها»^(٢).

وقد تقدم في سورة الروم عند قوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [٣٠] من رواية جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا عبد الله بن جعفر، عن عثمان بن محمد، عن المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال «ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان راية بيد ملك وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته»^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن خثيم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله من إمارة السفهاء. قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون علي حوضي ومن لم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم وسيردون علي حوضي، يا كعب بن عجرة الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان، أو قال: برهان، يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به، يا كعب الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها»^(٥). ورواه عن عفان، عن وهيب، عن عبد الله بن خثيم به^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «الشقاوة والسعادة». ونسبه السيوطي إلى ابن المنذر عن عطية العوفي.

(٢) أخرجه مسلم بلفظه وأطول (الصحيح، الطهارة، باب فضل الوضوء ح ٢٢٣).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الروم آية ٣٠.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وحسن سنده محققوه (المسند ٤٢/١٤ ح ٨٢٨٦).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: إسناده قوي. (المسند ٣٣٢/٢٢ ح ١٤٤٤١).

(٦) (المسند ح ١٥٢٨٤) وحكمه كسابقه.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حَيْثُ وَسْكِنَتَا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَاجِهِهِ اللَّهُ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ .

يخبر تعالى عما أُرصد له للكافرين من خلقه من السلاسل والأغلال والسعير؛ وهو: اللهب والحريق في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (١١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿١٢﴾ [غافر]. ولما ذكر ما أعدّه لهؤلاء الأَشقياء من السعير قال بعده: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (٥) وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذابة في الجنة .

قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل . ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٦) أي: هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفاً بلا مزج ويروون بها، ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عداه بالباء ونصب عيناً على التمييز . قال بعضهم: هذا الشراب في طيبه كالكافور .

وقال بعضهم: هو من عين كافور . وقال بعضهم: يجوز أن يكون منصوباً بـ (يشرب) حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير (١) . وقوله تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٦) أي: يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم والتفجير هو الإنباع كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠) [الإسراء] وقال: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ [الكهف: ٣٣] قال مجاهد: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يقودونها حيث شاءوا (٢) ، وكذا قال عكرمة وقتادة (٣) .

وقال الثوري: يصرفونها حيث شاءوا (٤) . وقوله: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧) أي: يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر .

قال الإمام مالك: عن طلحة بن عبد الملك الأيلي، عن القاسم بن مالك، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» (٥) . رواه البخاري من حديث مالك (٦) . ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير؛ أي: منتشر عام على الناس إلا من رحم الله .

(١) ذكره الطبري بنحوه .

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد .

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة .

(٤) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان .

(٥) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثله (الموطأ، النذر والأيمان، باب ما لا يجوز من النذور في معصية الله ح ٨) .

(٦) صحيح البخاري، الأيمان والنذر، باب النذر في الطاعة (ح ٦٦٩٦) .

قال ابن عباس: فاشياً.

وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض^(١).

قال ابن جرير: ومنه قولهم: استطار الصدع في الزجاجة واستطال، ومنه قول الأعشى:

فبانَتْ وقد أسارت في الفؤاد صدعاً على نأيها مستطيراً^(٢)
يعني: ممتداً فاشياً.

وقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ﴾ قيل: على حب الله تعالى وجعلوا الضمير عائداً إلى الله ﷻ لدلالة السياق عليه، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام؛ أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له. قاله مجاهد ومقاتل^(٣) واختاره ابن جرير، كقوله تعالى ﴿وَعَائِيَ أَلْمَالُ عَلَى حَيْثُ﴾ [البقرة: ١٧٧] وكقوله تعالى: ﴿كُنْ تَنَالُوا الْيَتَامَى حَتَّى تَتَفَقَّهُوا وَمِمَّا يُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وروى البيهقي من طريق الأعمش، عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتبهى عبداً أول ما جاء العنب، فأرسلت صفية؛ يعني: امرأته فاشتريت عنقوداً بدرهم فاتبع الرسول سائل، فلما دخل به قال: السائل السائل فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه إياه، فأرسلت بدرهم آخر فاشتريت عنقوداً، فاتبع الرسول السائل فلما دخل قال: السائل السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه إياه، فأرسلت صفية إلى السائل فقالت: والله إن عدت لا تصيب منه خيراً أبداً، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت به^(٤).

وفي الصحيح: أفضل الصدقة أن تصدَّق وأنت صحيح صحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر^(٥)؛ أي: في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَشِيئَةً وَبِئَمَّا وَأَسِيرًا﴾.

أما المسكين واليتيم، فقد تقدم بيانهما وصفتهما وأما الأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك: الأسير من أهل القبلة^(٦).

وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذٍ مشركين^(٧)، ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء.

وقال عكرمة: هم العبيد^(٨). واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقاتدة.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) ذكره الطبري بلفظه وأطول.

(٣) أخرجه هناد وبسند صحيح من طريق ليث عن مجاهد (الزهد رقم ٦٣٣) وليث هو ابن أبي سليم فيه مقال ولكنه توبع فقد أخرجه الطبري من طريق منصور عن مجاهد، فيكون سنده حسناً لغيره.

(٤) أخرجه البيهقي من طريق الأعمش به (السنن الكبرى ١٨٥/٤) وسنده صحيح.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٧٧.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبه بسند حسن من طريق عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير. (المصنف ٦٨/٣) ولكن ما ورد عن الحسن أنه من أهل الشرك فقد أخرجه ابن أبي شيبه بسند حسن من طريق عثمان البتي عن الحسن. (المصنف ٦٨/٣) ونحوه في تفسير الطبري.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند ضعيف جداً من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث حتى أنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم^(١).

قال مجاهد: هو المحبوس^(٢)؛ أي: يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرَبِّهِمُ اللَّهُ﴾ أي: رجاء ثواب الله ورضاه ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا أن تشكرونا عند الناس.

قال مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب^(٣).

﴿إِنَّا نَحْنُ مِنْ رَبِّكَ يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾^(٤) أي: إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطير.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿عَبُوسًا﴾ ضيقاً ﴿قَتَطِيرًا﴾ طويلاً^(٥).

وقال عكرمة وغيره عنه في قوله: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ قال: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران^(٥).

وقال مجاهد: ﴿عَبُوسًا﴾ العابس الشفتين ﴿قَتَطِيرًا﴾ قال: يقبض الوجه بالبسور^(٦).

وقال سعيد بن جبير وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿قَتَطِيرًا﴾ تقليص الجبين وما بين العينين من الهول^(٧).

وقال ابن زيد العبوس: الشر، والقمطير: الشديد^(٨)، وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها وأعلاها وأولاها قول ابن عباس ﷺ.

قال ابن جرير: والقمطير هو: الشديد يقال: هو يوم قمطير، ويوم قماطر، ويوم عصيب وعصيب وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطاراً، وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم:

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قماطر^(٩)

قال الله تعالى: ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾^(١٠) وهذا من باب التجانس البليغ

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث علي رضي الله عنه، وحسن سنده محققوه. (المسند ٢٤/٢ ح ٥٨٥).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سالم، وهو الأفتس، عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سالم، وهو الأفتس، عن سعيد بن جبير.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه الطبري من طريق مصعب بن سلام التميمي عن سعد عن عكرمة عن ابن عباس، ومصعب له أوهام وهو يروي أبي سعد البقال وكان كثير الغلط (تهذيب التهذيب ١٠/١٦١) واخشى أنه وهم باسم شيخه فإن كان أبا سعد البقال فالسند ضعيف.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٩) ذكره الطبري بلفظه.

﴿وَلَهُمْ اَللّٰهُ سَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ﴾ أي: آمنهم مما خافوا منه ﴿وَلَقَنَّهُمْ نَصْرَهُ﴾ أي: في وجوههم ﴿وَسُرُّرًا﴾ أي: في قلوبهم. قاله الحسن البصري وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس^(١). وهذه كقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٢٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٢٩﴾ [عبس]، وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه قال كعب بن مالك في حديثه الطويل: وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر^(٢).

وقالت عائشة: «دخل عليّ رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه» الحديث^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمَا صَبْرًا﴾ أي: بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: منزلاً رحباً وعيشاً رغداً ولباساً حسناً. وروى الحافظ بن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال: قرئ علي أبي سليمان الداراني سورة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ فلما بلغ القارئ إلى قوله تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمَا صَبْرًا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ﴿٧﴾ قال: بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا، ثم أنشد يقول: كم قتيل لشهوة وأسير أف من مشتهي خلاف الجميل شهوات الإنسان تورثه الذل وتلقيه في البلاء الطويل^(٤)

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّلُهَا وَذُلَّتْ أَطْوَافُهَا نَزَلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَنَاتٍ مِّنْ فَضْوٍ وَكُؤُوبٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مِّنْ سُندُسٍ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ وَهَلُوهَا أَسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُرْجَاءً وَكَانَ سَعْيُكَ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾.

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العميم فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات، وذكر الخلاف في الاتكاء هل هو الاضطجاع أو التمرق أو التربع أو التمكن في الجلوس؟ وأن الأرائك هي السرر تحت الحبال.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هي مزاج واحد دائم سرمدي ﴿لَا يَبْغُوْنَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّلُهَا﴾ أي: قريبة إليهم أغصانها ﴿وَذُلَّتْ أَطْوَافُهَا نَزَلِيلًا﴾ أي: متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وقال تعالى: ﴿أَطْوَافُهَا دَانِيَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾ [الحاقة].

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس بسند حسن من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ١١٨.

(٣) أخرجه الشيخان (صحيح البخاري، المناقب، باب صفة النبي ﷺ ح ٣٥٥٦)؛ وصحيح مسلم، الرضاع، باب العمل بالاحاف القائف الولد (ح ١٤٥٩).

(٤) ينظر: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٨٦/٢٧.

قال مجاهد: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ إن قام ارتفعت معه بقدر، وإن قعد تذللت له حتى ينالها، وإن اضطجع تذللت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى: ﴿تَذْلِيلًا﴾^(١).
وقال قتادة: لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد^(٢).

وقال مجاهد: أرض الجنة من ورق وترابها المسك وأصول شجرها من ذهب وفضة وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والورق والشر بين ذلك، فمن أكل منها قائماً لم تؤذه، ومن أكل منها قاعداً لم تؤذه، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه^(٣).

وقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِتَائِيَةٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي: يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب، وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم.

وقوله: ﴿قَوَارِيرًا﴾ ^(٤) قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ ﴿فَالْأُولَ: منصوب بخبر «كان» أي: كانت قوارير.

والثاني: منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه بيّنه بقوله: ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغير واحد: يياض الفضة في صفاء الزجاج^(٤).
والقوارير لا تكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا.

قال ابن المبارك: عن إسماعيل، عن رجل، عن ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيت في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة^(٥). رواه ابن أبي حاتم.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: على قدر ربه لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي مُعَدَّة لذلك، مقدرة بحسب رأي صاحبها هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح وقاتدة وابن أبزى وعبد الله بن عمير والشعبي وابن زيد^(٦)، وقاله ابن جرير وغير واحد، وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿فَذَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قدرت للكف^(٧)، وهكذا قال الربيع بن أنس.

وقال الضحاك: على قدر كف الخادم. وهذا لا ينافي القول الأول فإنها مقدرة في القدر والري.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ أي: ويسقون يعني الأبرار أيضاً في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي: خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو: بارد، وتارة

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد. (المصنف ٦٧/٨) وله شواهد في الصحيح وغيره.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٥) سنده ضعيف لأبهم الراوي عن ابن عباس.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد. (المصنف ٢٨٧/٨)، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

بالزنجبيل وهو: حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد^(١)، وقد تقدم قوله جلّ وعلا: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ وقال ههنا ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلاً﴾^(٢) أي: الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسيلاً. قال عكرمة: اسم عين في الجنة^(٣).

وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها^(٤).

وقال قتادة: عيناً فيها تسمى سلسيلاً عين سلسلة مستقيد ماؤها^(٥).

وحكى ابن جرير، عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلق^(٦)، واختار هو أنها تعم ذلك كله، وهو كما قال.

وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾^(٧) أي: يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ أي: على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، ومن فسرهم بأنهم مخرصون في آذانهم الأقربة فإنما عبر عن المعنى بذلك لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير. وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن.

قال قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه^(٨).

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ أي: وإذا رأيت يا محمد ﴿نَمًّا﴾ أي: هناك يعني في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور ﴿رَأَيْتَ نَعِيماً وَمَلَكًا كَبِيراً﴾ أي: مملكة الله هناك عظيمة وسلطاناً باهراً، وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً إليها: إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها^(٩)، وقد قدمنا في الحديث المروي من طريق ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه»^(١٠) فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى.

وقد روى الطبراني ههنا حديثاً غريباً جداً فقال: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عمار

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بلفظ: «تمزج بالزنجبيل». وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة».

(٢) معناه صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) ذكره الطبري ونسبه إلى بعض نحوي الكوفة، ومنهم الفراء فقد ذكره في معاني القرآن ٣/٢١٧.

(٦) أخرجه هناد من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به. (الزهد رقم ١٧٤) وسنده صحيح.

(٧) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود ؓ (الصحيح، الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً ح ١٨٦).

(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة القيامة آية ٢٣.

الموصللي، حدثنا عقبه بن سالم، عن أيوب بن عتبة، عن عطاء، عن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «سل واستفهم» فقال: يا رسول الله فضلتكم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنتُ بما آمنتَ به وعملتُ بما عملتَ به إني لكائن معك في الجنة؟ قال: نعم والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله، ومن قال: سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة، فقال رجل: كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟» فقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة أو نعم الله، فتكاد تستنفد ذلك كله إلا أن يتغمده الله برحمته، ونزلت هذه السورة ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ فقال الحبشي: وإن عيني لترى ما ترى عينك في الجنة؟ قال: نعم فاستبكي حتى فاضت نفسه». قال ابن عمر: ولقد رأيت رسول الله ﷺ يدلّيه في حفرة بيده^(١).

وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ أي: لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو: رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس.

﴿وَحُلُواْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وهذه صفة الأبرار وأما المقربون فكما قال تعالى: ﴿يُكَلِّبُونَ فِيهَا مِّنْ أَسَاوِرَ مِّنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هناك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من إحداهما فأذهب الله ما في بطونهم من أذى، ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم، فأخبر ﷺ بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي: يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم كما قال تعالى: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الدَّالِيَةِ﴾ [الحاقة] وكقوله تعالى: ﴿وَتُؤَدُّونَ أَن تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي: جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ ٢٣ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ٢٤ ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ٢٥ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ٢٦ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَّيْلًا﴾ ٢٧ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ ٢٨ ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ٢٩ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ٣٠ ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ٣١.

يقول تعالى ممتناً على رسوله ﷺ بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلاً: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

(١) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٢/٤٣٦ ح ١٣٥٩٥) وسنده ضعيف لضعف أيوب بن عتبة. (مجمع الزوائد

أي: كما أكرمك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره ﴿وَلَا تُطْعَمُنَّ مِنْهُمْ إِيَّائًا أَوْ كُفُورًا﴾ أي: لا تطعم الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله، فإن الله يعصمك من الناس، فالآثم هو الفاجر في أفعاله، والكفور هو الكافر قلبه ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٢٥) ﴿أَي: أول النهار وآخره﴾ ﴿وَمَنْ أَلَّيْلٌ فَاسْتَجِدْ لَهُمْ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (٢٦) كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّيْلٌ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٢٧) [الإسراء] وكقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الزَّيْلُ﴾ (٢٨) ﴿قُرْ أَلَّيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢٩) ﴿نُصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ (٣٠) ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (٣١) [المزمل].

ثم قال تعالى منكرًا على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَالَمَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَفِيلًا﴾ (٣٧) يعني: يوم القيامة ثم قال تعالى: ﴿تَخَنُّ خَلْقَتَهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني: خلقهم^(١). ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقًا جديدًا، وهذا استدلال بالبداة على الرجعة.

وقال ابن زيد وابن جرير: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم^(٢). كقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ (٣٣) [النساء] وكقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٣٤) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٣٥﴾ [إبراهيم]. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ يعني هذه السورة تذكرة ﴿فَمَنْ شَاءَ اخْتِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي: طريقًا ومسلكًا؛ أي: من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية [النساء: ٣٩].

ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعًا ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية فيسيرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ثم قال تعالى: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣٦) أي: يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن يهده فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له.

آخر تفسير سورة الإنسان، [والله أعلم]^(٣).

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ويتقوى بما يليه: فقد أخرجه الطبري

بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) ذكره الطبري بنحوه، وأخرجه بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٣) زيادة من (حم).

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

وهي مكية

قال البخاري: حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثني إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزل عليه ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ فإنه ليتولها وإنني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبي ﷺ: «اقتلوها» فابتدرناها فذهبت فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيت شرها»^(١). وأخرجه مسلم أيضاً من طريق الأعمش^(٢).

وقال الإمام أحمد: ثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس، عن أمه أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً^(٣). وفي رواية مالك، عن الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فقالت: يا بني أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب^(٤). أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك به^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ١ ﴿فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا﴾ ٢ ﴿وَالنَّشِيرَاتِ شَرْا﴾ ٣ ﴿فَالْفَرْقَاتِ فَرَفًا﴾ ٤ ﴿فَالْمَلْفَيْتِ ذِكْرًا﴾ ٥ ﴿عُدْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ ٦ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٌ﴾ ٧ ﴿فَإِذَا الشُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ ٨ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ ٩ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ﴾ ١٠ ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُنْفِثَتْ﴾ ١١ ﴿لَا إِلَهَ يَوْمَ يُحْمَلُ﴾ ١٢ ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ ١٣ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ ١٤ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ١٥ ﴿

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا زكريا بن سهل المروزي، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، أنا الحسين بن واقد، ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الملائكة^(٦). وروي عن مسروق وأبي الضحى ومجاهد في إحدى الروايات والسدي والربيع بن

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب ح ١٨٣٠).

(٢) صحيح مسلم، السلام، باب قتل الحيات (ح ٢٢٣٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٦/٣٣٨) وسنده صحيح.

(٤) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثته (الموطأ، الصلاة، باب القراءة في المغرب والعشاء ح ٢٤). وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، الأذان، باب القراءة في المغرب (ح ٧٦٣)؛ وصحيح مسلم، الصلاة، باب القراءة في الصبح (ح ٤٦٢).

(٦) أخرجه الحاكم من طريق علي بن الحسن بن شقيق به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٥١١).

أنس مثل ذلك^(١)، وروي عن أبي صالح أنه قال: هي الرسل^(٢)، وفي رواية عنه: إنها الملائكة، وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات: إنها الملائكة.

وقال الثوري: عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين قال: سألت ابن مسعود عن ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الريح^(٣)، وكذا قال في ﴿فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا﴾ ﴿وَالنَّشِيرَاتِ تَشْرًا﴾ ﴿إِنهَا الرِّيحُ﴾، وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح في رواية عنه^(٤).

وتوقف ابن جرير في ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضاً أو هي الرياح إذا هبت شيئاً فشيئاً؟ وقطع بأن العاصفات عصفاً: الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه، ومن قال ذلك في ﴿فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا﴾ أيضاً علي بن أبي طالب والسدي^(٥)، وتوقف في ﴿وَالنَّشِيرَاتِ تَشْرًا﴾ هل هي الملائكة أو الريح كما تقدم.

وعن أبي صالح أن ﴿وَالنَّشِيرَاتِ تَشْرًا﴾ هي: المطر^(٦)، والأظهر أن ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ هي الرياح كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيِّنَ يَدَي رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧] وهكذا العاصفات هي الرياح يقال: عصفت الرياح إذا هبت بتصويت، وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿فَالْفَرْقَتِ فَزًّا﴾ ﴿فَالْمُلْقَتِ ذِكْرًا﴾ ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ يعني: الملائكة. قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والسدي والثوري^(٧)، ولا خلاف ههنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل، والهدي والغبي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل حياً فيه إعدار إلى الخلق وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره.

وقوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعَ﴾ هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام؛ أي: ما وعدتم به من قيام الساعة، والنفخ في الصور، وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر إن هذا كله لواقع؛ أي: لكائن لا محالة.

ثم قال: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: ذهب ضوؤها كقوله: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير] وكقوله: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ [الانفطار].

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّتَتْ﴾ أي: انفطرت وانشقت وتدلَّت أرجاؤها ووهت أطرافها ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مسلم، وهو ابن ضييح، عن مسروق.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل، وهو السدي الكبير، عن أبي صالح.

(٣) سنده صحيح وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري من طريق المسعودي عن سلمة بن كهيل به.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ويتقوى بما يليه: فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل، وهو السدي الكبير، عن أبي صالح.

(٥) أخرجه الطبري والحاكم من طريق خالد بن عرعة عن علي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١١/٢)، وقول السدي تقدم ضمن الرواية السابقة.

(٦) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر من طريق إسماعيل عن أبي صالح.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل، وهو السدي الكبير، عن أبي صالح.

نُسِفَتْ ﴿١٦﴾ أَي: ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله: ﴿وَسَتُّونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ﴿١٧﴾ الآية [طه] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَسِيزُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٤٧﴾ [الكهف].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ﴾ ﴿١١﴾ قال العوفي عن ابن عباس: جمعت^(١).
وقال ابن زيد: وهذه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩]^(٢).
وقال مجاهد: ﴿أَقْنَتْ﴾ أجلت^(٣).

وقال الثوري: عن منصور، عن إبراهيم: ﴿أَقْنَتْ﴾ أوعدت^(٤)، وكأنه يجعلها كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ [الزمر].

ثم قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمَ أُخِّلَتْ﴾ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجى أمرها؟ حتى تقوم الساعة. كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدَهُ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَذْرًا الْأَرْضِ وَالسَّيِّئَاتُ يَبَرِّزُونَ لِلَّهِ الْوَجْدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ [إبراهيم] وهو يوم الفصل كما قال تعالى: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ ﴿١٣﴾.

ثم قال تعالى معظماً لشأنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أي: ويل لهم من عذاب الله غداً، وقد قدمنا في الحديث أن ويل وادٍ في جهنم، ولا يصح.

﴿أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِنَّ قَدْرَ مَقْلُوبٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ شَلِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٦﴾؟ يعني: من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءوهم به ﴿ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٧﴾ أي: ممن أشبههم ولهذا قال: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ قاله ابن جرير^(٥).

ثم قال تعالى ممتناً على خلقه ومحتجاً على الإعادة بالبداة: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾ أي: ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة الباري ﷻ كما تقدم في سورة يس في حديث بشر بن جحاش بن آدم: أني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه^(٦)؟ ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ ﴿٢١﴾ يعني:

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) سنده صحيح، وأخرجه الطبري من طريق سفيان به.

(٥) ذكره الطبري بنحوه.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة يس آية ٧٧.

جمعناه في الرحم، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم مُعدّ لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء.

وقوله: ﴿إِن كَانَ قَدَرٌ مِّمَّا مَلَغَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ لَمَلَأَ بَعْضٌ مِنْكُمْ مِنْهَا مِنْ الْمَاءِ فَغُلِبُوا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (٣٢) ﴿وَبَلَّغْنَا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٤).

ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ (٣٥) ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ (٣٦) قال ابن عباس: ﴿كِفَاتًا﴾ كَنَّا^(١). وقال مجاهد: يكفت الميت فلا يرى منه شيء^(٢).

وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم^(٣)، وكذا قال مجاهد وقتادة^(٤).

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَ شَجَرَيْنِ﴾ يعني: الجبال أرسى بها الأرض لثلاث تميد وتضطرب ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ أي: عذباً زلالاً من السحاب أو مما أنبعه من عيون الأرض.

﴿وَبَلَّغْنَا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٨) أي: ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها. ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره.

﴿أَطْلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٣٩) ﴿أَطْلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ﴾ (٤٠) ﴿لَا ظِلِّيلٌ وَلَا يَقْنِي مِنَ الْلَّهَبِ﴾ (٤١) ﴿إِنَّمَا تَرَى بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ﴾ (٤٢) ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾ (٤٣) ﴿وَبَلَّغْنَا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٤) ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٤٥) ﴿وَلَا يُؤَدُّ لَهُمْ فِعْلَهُدُونَ﴾ (٤٦) ﴿وَبَلَّغْنَا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٧) ﴿هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ﴾ (٤٨) ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ (٤٩) ﴿وَبَلَّغْنَا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٥٠).

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار، أنهم يقال لهم يوم القيامة: ﴿أَطْلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٣٩) ﴿أَطْلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ﴾ (٤٠) يعني: لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب ﴿لَا ظِلِّيلٌ وَلَا يَقْنِي مِنَ الْلَّهَبِ﴾ (٤١) أي: ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه ولا يغني من اللهب، يعني: ولا يقيهم حر اللهب.

وقوله: ﴿إِنَّمَا تَرَى بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ﴾ (٤٢) أي: يتطاير الشرر من لهبها كالقصر، قال ابن مسعود: كالحصون^(٥).

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك، عن زيد بن أسلم وغيرهم يعني: أصول الشجر^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق بيان عن الشعبي.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبراني بسند ضعيف عن ابن مسعود في سنده خديج بن معاوية وهو ضعيف (ينظر: مجمع الزوائد ١٣٢/٧).

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الرحمن بن عباس عن ابن عباس بنحوه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

﴿كَأَنَّهُمْ جُمِلَتِ صُفَرٌ﴾ (٣٣) أي: كالإبل السود. قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير^(١).

وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ﴿جُمِلَتِ صُفَرٌ﴾ يعني: حبال السفن^(٢)، وعنه أعني ابن عباس ﴿جُمِلَتِ صُفَرٌ﴾ قطع نحاس^(٣).

وقال البخاري: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى، أخبرنا سفيان، عن عبد الرحمن بن عابس، قال سمعت ابن عباس: ﴿إِنَّمَا تَرَى بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ﴾ (٣٣) قال: كنا نعمل إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك، فنرفعه للبناء فنسميه القصر ﴿كَأَنَّهُمْ جُمِلَتِ صُفَرٌ﴾ (٣٣) حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال^(٤). ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٤).

ثم قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) أي: لا يتكلمون ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (٣٦) أي: لا يقدرُونَ على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا، فهم لا ينطقون وعرصات القيامة حالات، والربُّ تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذٍ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٧).

وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِذَّبُوا (٣٩) وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ (٣٨) يعني: أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر.

وقوله: ﴿إِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِذَّبُوا﴾ (٣٩) تهديد شديد ووعيد أكيد؛ أي: إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا فإنكم لا تقدرُونَ على ذلك كما قال تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْيَمِينَ وَالْإِشْقَ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٣٣) [الرحمن] وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَصْرُوهُمْ شَيْئاً﴾ [هود: ٥٧].

وفي الحديث: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا نقعي فتتفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني»^(٥).

وقد قال ابن أبي حاتم: ثنا علي بن المنذر الطريقي الأودي، ثنا محمد بن فضيل، ثنا حصين بن عبد الرحمن، عن حسان بن أبي المخارق، عن أبي عبد الله الجدلي قال: أتيت بيت المقدس فإذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس، فقال عبادة: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعي ويقول الله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِذَّبُوا (٣٩) اليوم لا

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق داود بن أبي هند عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري من طريق خفيف عن مجاهد، وخفيف سيء الحفظ.

(٢) أخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر، وهو جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبير؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب «كأنه جمالات صفر» ح ٤٩٣٣).

(٥) أخرجه مسلم من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه مطولاً (الصحيح، البر والصلة، باب تحريم الظلم ح ٢٥٧٧).

ينجو مني جبار عنيد ولا شيطان مريد. فقال عبد الله بن عمرو: فإننا نحدث يومئذ أنها تخرج عنق من النار فتنتطلق حتى إذا كانت بين ظهرائي الناس نادى: أيها الناس إني بعثت إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده، ومن الأخ بأخيه، لا يغيهم عني وزر، ولا تخفيهم عني خافية الذي جعل مع الله إلهاً آخر، وكل جبار عنيد، وكل شيطان مريد، فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة^(١).

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَقَوَّكَةً مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَسَبْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوا وَتَمَنَعُوا فَلَيلاً ﴿٤٦﴾ إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٩﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٠﴾ فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدُهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات وترك المحرمات: إنهم يوم القيامة يكونون في جنان وعيون؛ أي: بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليعحوم، وهو الدخان الأسود الممتن.

وقوله تعالى: ﴿وَقَوَّكَةً مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا ﴿كُلُوا﴾ و﴿اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَسَبْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ﴿وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا فَلَيلاً ﴿٤٦﴾﴾ خطاب للمكذبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا فَلَيلاً﴾ أي: مدة قليلة قريبة قصيرة ﴿إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ﴾ أي: ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها ﴿وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ كما قال تعالى: ﴿نُتِمُّهُمْ فَلَيلاً ثُمَّ نَضَطُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٤٨﴾﴾ [لقمان] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس].

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدُهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي: إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به كقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيُنِيهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الجن: ٦].

قال ابن أبي حاتم: ثنا ابن أبي عمر، ثنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية سمعت رجلاً أعرابياً بدوياً يقول سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ والمرسلات عرفاً فقراً: ﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ فليقل آمنت بالله وبما أنزل. وقد تقدم هذا الحديث في سورة القيامة^(٢).

آخر سورة المرسلات، [ولله الحمد والمِنَّة]^(٣).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة عن محمد بن فضيل به. (المصنف ٨/ ١٠٠) وفي سننه حسان بن أبي المخارق سكت عنه البخاري (التاريخ الكبير ٣/ ٣٣) وابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٣/ ٢٣٥) وذكره ابن حبان في الثقات (٢٢٣/ ٦). ويتقوى بالشواهد فقد وردت له شواهد في الصحاح والسنن.

(٢) تقدم تخريجه في سورة القيامة آية ٤٠. (٣) زيادة من (ح).

سُورَةُ النَّبَا

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْتَلَفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ تُوذَىٰ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقَنَّاكَ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكَ سُبًّا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى منكراً على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكاراً لوقوعها: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ أي: عن أي شيء يتساءلون؟ عن أمر القيامة وهو: النبأ العظيم، يعني: الخبر الهائل المفظع الباهر. قال قتادة وابن زيد: ﴿النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ البعث بعد الموت ^(١). وقال مجاهد: هو القرآن ^(٢). والأظهر الأول لقوله: ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْتَلَفُونَ ﴿٣﴾﴾ يعني: الناس فيه على قولين: مؤمن به وكافر.

ثم قال تعالى متوعداً لمنكري القيامة: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ تُوذَىٰ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكد، ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾﴾ أي: ممهدة للخلائق ذلولاً لهم قارة ساكنة ثابتة ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ أي: جعلها لها أوتاداً أرساها بها، وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها.

ثم قال: ﴿وَخَلَقَنَّاكَ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾﴾ يعني: ذكراً وأنثى يستمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِنَا أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكَ سُبًّا ﴿٩﴾﴾ أي: قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة التردد والسعي في المعاش في عرض النهار، وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة الفرقان ^(٣). ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ أي: يغشي الناس ظلامه وسواده كما قال: ﴿وَالْأَلِيلَ إِذَا يَفْسُهَا ﴿١١﴾﴾ [الشمس].

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) آية ٤٧.

وقال الشاعر^(١):

فلما لَبِسْنَ الليل أو حين نَصَّبَتْ له من خذا^(٢) أذَانَهَا وهو جانح^(٣)
وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلَ لِيَّاسًا ۝١٠﴾: أي سكنًا.
وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ أي: جعلناه مشرقاً نيراً مضيئاً ليتمكن الناس من
التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك.
وقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ۝١٢﴾ يعني: السماوات السبع في اتساعها. وارتفاعها
وإحكامها وإتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾
يعني: الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم.
وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾
الرياح^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: ثنا أبو سعيد، ثنا أبو داود الحفري، عن سفيان، عن الأعمش، عن
المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال: الرياح^(٥). وكذا قال
عكرمة ومجاهد وقاتدة ومقاتل والكلبي وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن أنها الرياح^(٦). ومعنى
هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ أي: من السحاب^(٧). وكذا قال
عكرمة أيضاً وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري واختاره ابن جرير^(٨).
وقال الفراء: هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد كما يقال: امرأة معصر إذا دنا
حيضها ولم تحض^(٩).

وعن الحسن وقاتدة: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ يعني: السماوات^(١٠).
وهذا قول غريب والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ

(١) هو ذو الرمة صرح به الطبري في تفسير سورة البقرة آية ١٧.

(٢) خذيت الأذن: استرخت من أصلها وانكسرت مقبلة على الوجه. (لسان العرب: خ ذ ي).

(٣) استشهد به الطبري.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، وله متابعات كما يليه في رواية ابن أبي حاتم، ويتقوى
أيضاً بالشواهد فقد أخرجه آدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه
الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب
عن ابن زيد.

(٥) سنده حسن.

(٦) تقدم تخريجه عن بعضهم كما في الحاشية قبل السابقة.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٨) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(٩) لم أجده في كتابه «معاني القرآن».

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن؛ وأخرجه أيضاً بسند صحيح من طريق ابن أبي
عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

الرِّيحَ فَنُفِثَ سَحَابًا فَيَسْطُرُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُمْ كِسْفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴿٤٨﴾ [الروم: ٤٨] أي: من بينه.

وقوله: ﴿مَاءٌ مُجَابًا﴾ قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس: ﴿مُجَابًا﴾ منصَّبًا^(١).

وقال الثوري: متتابعاً^(٢).

وقال ابن زيد: كثيراً^(٣).

قال ابن جرير: ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثَّجُّ، وإنما الثَّجُّ الصَّبُّ المتتابع ومنه قول النبي ﷺ: «أفضل الحج العَجَّ والثَّجَّ»^(٤) يعني: صَبَّ دماء البدن^(٥)، هكذا قال.

قلت: وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ: «أنعت لك الكرسف» يعني: أن تحتشي بالقطن فقالت: يا رسول الله هو أكثر من ذلك، إنما أُنِج ثَجًّا^(٦). وهذا فيه دلالة على استعمال الثَّجِّ في الصَّبِّ المتتابع الكثير والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿٦﴾﴾ أي: لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك ﴿حَبًّا﴾ يدخر للأناسي والأنعام ﴿وَنَبَاتًا﴾ أي: خضراً يؤكل رطباً ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ أي: بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعاً ولهذا قال: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿٦﴾﴾.

قال ابن عباس وغيره: ﴿أَلْفَافًا﴾ مجتمعة^(٧). وهذه كقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَحِيلٌ صِنَوَاتٌ وَعَيْرٌ صِنَوَاتٌ يَسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ الآية [الرعد: ٤].

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر عن الربيع.

(٢) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الترمذي من حديث أبي بكر ﷺ. (السنن، الحج، باب فضل التلبية والنحر ح ٨٢٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٦٦١)؛ وأخرجه ابن خزيمة. (الصحيح ١٧٥/٤ ح ٢٦٣١)؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٥٠/١).

(٥) ذكره الطبري بنحوه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد من حديث حمنة بنت جحش وضعف سنده محققوه. المسند ٤٥/٤٦٨ ح ٢٧٤٧٤؛ وأخرجه أبو داود. السنن، الطهارة، باب من قال: إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة (ح ٢٨٧) والترمذي (السنن، الطهارة، باب ما جاء في المستحاضة ح ١٢٨)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ١١٠)؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ١٧٢/١). وقد ذكر له الحاكم له شواهد، ولهذا حسنه الشيخ الألباني وهو كما قال. ولهذا استشهد به الحافظ ابن كثير واستدل به.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿٧﴾ يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿١٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿١٢﴾ لَيْتِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿١٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿١٤﴾ إِلَّا حِيمًا وَغَسَاقًا ﴿١٥﴾ جَزَاءً وَفَاءً ﴿١٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿١٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿١٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿١٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزداد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٣].

﴿يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ قال مجاهد: زمراً زمراً^(١).

قال ابن جرير: يعني تأتي كل أمة مع رسولها^(٢). كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْعَانِهِمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

وقال البخاري: ﴿يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ حدثنا محمد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: أربعون يوماً؟ قال: «أبيت»^(٣). قالوا: أربعون شهراً؟ قال: «أبيت». قالوا: أربعون سنة؟ قال: «أبيت»، قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة^(٤).

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي: طرقاتاً ومسالك لنزول الملائكة ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارة: ٥] وقال ههنا: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال: ﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أي: مرصدة معدة ﴿لِلطَّغْيِينِ﴾ وهم: المردة العصاة المخالفون للرسول ﴿مَتَابًا﴾ أي: مرجعاً ومقلباً ومصيراً ونزلاً.

وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: يعني: أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس^(٥).

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) ذكره الطبري بلفظ: «فتجيئون زمراً زمراً، وجماعة جماعة».

(٣) أي: أن أقول ما لم أسمع. (فتح الباري ٨/ ٦٩٠).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبا: ح ٤٩٣٥]).

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن مقتصرًا على الشطر الأول؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني عن الحسن بنحوه بشرطه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحو الشطر الأول.

وقال سفيان الثوري: عليها ثلاث قناطر^(١).

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أي: ماكثين فيها أحقاباً، وهي جمع حقب، وهو: المدة من الزمان، وقد اختلفوا في مقداره.

فقال ابن جرير، عن ابن حميد، عن مهران، عن سفيان الثوري، عن عمار الدهني، عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري: ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة^(٢). وهكذا روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبيرة وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك^(٣). وعن الحسن والسدي أيضاً: سبعون سنة كذلك^(٤).

وعن عبد الله بن عمرو: الحقب أربعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون. رواهما ابن أبي حاتم.

وقال بُشير بن كعب: ذكر لي أن الحقب الواحد ثلاثمائة سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم منها كألف سنة^(٥). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. ثم قال ابن أبي حاتم: ذكر عن عمرو بن علي بن أبي بكر [الأسفيدي]^(٦)، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال: فالحقب شهر، الشهر ثلاثون يوماً، والسنة اثنا عشر شهراً، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم منها ألف سنة مما تعدون، فالحقب ثلاثون ألف سنة^(٧). وهذا حديث منكر جداً والقاسم هو الراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك.

وقال البزار: حدثنا محمد بن مرداس، حدثنا سليمان بن مسلم أبو العلاء قال: سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد؟ فقال: حدثني نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً»، قال: والحقب بضع وثمانون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً مما تعدون^(٨) ثم قال: سليمان بن مسلم بصري مشهور.

(١) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه عبد الرزاق وهناد. (الزهد رقم ٢٢٠) كلاهما من طريق عمار الدهني به، وفي سنده سالم بن أبي الجعد لم يسمع من علي ﷺ. (جامع التحصيل ص ٢١٧).

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس بسند حسن من طريق عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس؛ وأخرجه أيضاً بسند ضعيف عن سعيد بن جبيرة، في سنده جابر بن نوح وهو ضعيف كما في التقريب.

(٤) أخرجه الطبري عن الحسن بلاغاً بلفظ: «سبعون ألف سنة».

(٥) أخرجه الطبري من طريق إسحاق بن سويد عن بُشير به، وسنده ضعيف لضعف إسحاق بن سويد. (ينظر: التقريب ص ٩٩ - ١٠١).

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: الأسدي.

(٧) سنده ضعيف لم يذكر فيه اسم شيخه، وجعفر بن الزبير ضعيف.

(٨) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح ٢٢٤٩) وسنده ضعيف جداً لأن سليمان بن مسلم ضعيف جداً. (مجمع الزوائد ٣٩٥/١٠).

وقال السدي: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣) سبعمائة حقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم كآلف سنة مما تعدون.

وقد قال مقاتل بن حيان: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (٣٠) ^(١). وقال خالد بن معدان: هذه الآية وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] في أهل التوحيد ^(٢). رواهما ابن جرير ثم قال: ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣) متعلقاً بقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٢) ^(٣) ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذاباً من شكل آخر ونوع آخر، ثم قال: والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس.

وقد قال قبل ذلك: حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن زهير، عن سالم، سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣) قال: أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار، ولكن ذكروا أن الحقب: سبعون سنة، كل يوم منها كآلف سنة مما تعدون ^(٤).

وقال سعيد، عن قتادة قال الله تعالى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣) وهو ما لا انقطاع له، وكلما مضى حقب جاء حقب بعده، وذكر لنا أن الحقب: ثمانون سنة ^(٥).

وقال الربيع بن أنس: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣) لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله ﷻ، وذكر لنا أن الحقب الواحد: ثمانون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم كآلف سنة مما تعدون ^(٦). رواهما أيضاً ابن جرير.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٢) أي: لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم ولا شراباً طيباً يتغذون به ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ (٢٥).

قال أبو العالية: استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق ^(٧)، وكذا قال الربيع بن أنس، فأما الحميم: فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه، والغساق: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطيع من برده، ولا يواجهه من نتنه.

وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة ص ^(٨) بما أغنى عن إعادته أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه.

(١) أخرجه الطبري من طريق أبي معاذ الخراساني به، وسنده ضعيف لأنه معضل.

(٢) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق عامر بن جشيب عن خالد.

(٣) ذكره الطبري بنحوه ولم يذكر ما بعد الآية مما نسبته الحافظ ابن كثير إليه ولعله لديه نسخة غير التي بين أيدينا.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ولم يصرح الحسن البصري باسم شيخه.

(٥) أخرجه الطبري من طريق سعيد به، ولم يصرح قتادة باسم شيخه.

(٦) أخرجه الطبري من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع، ولم يصرح الربيع باسم شيخه.

(٧) أخرجه هناد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية. (الزهد رقم ٢٩٢) وسنده جيد.

(٨) في الآية رقم ٥٧.

قال ابن جرير: وقيل: المراد بقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ يعني: النوم كما قال الكندي:

بردت مراشفها عليّ فصَدَّني عنها وعن قُبُلَاتِهَا البرد يعني بالبرد: النعاس^(١) والنوم، هكذا ذكره ولم يعزه إلى أحد، وقد رواه ابن أبي حاتم من طريق السدي، عن مُرة الطيب^(٢)، ونقله عن مجاهد أيضاً، وحكاه البغوي عن أبي عبيدة والكسائي أيضاً^(٣).

وقوله تعالى: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ أي: هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا قاله مجاهد وقتادة وغير واحد^(٤).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي: لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابًا﴾ أي: وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله ﷺ، فيقبلونها بالكذب والمعاندة.

وقوله: ﴿كَذَّابًا﴾ أي: تكذيباً، وهو مصدر من غير الفعل قالوا: وقد سمع أعرابي يستفتي الفراء على المروءة: الحلق أحب إليك أو القصار؟ وأنشد بعضهم:

لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي وعن حوج [قضاؤها]^(٥) من شفائيا^(٦)
وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَخَصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ أي: وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم، وسنجزئهم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي: يقال لأهل النار: ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ [ص].

قال قتادة، عن أبي أيوب الأزدي، عن عبد الله بن عمرو قال: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبداً^(٧).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري، حدثنا خالد بن عبد الرحمن، حدثنا جسر بن فرقد، عن الحسن قال: سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار. قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: هلك القوم بمعاصيهم الله ﷻ^(٨). جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية.

(١) ذكر الطبري بنحوه، والكندي هو امرؤ القيس وقد ورد هذا البيت في ديوانه ص ٢١٣١.

(٢) طريق السدي عن مُرة الطيب حسن. (٣) ذكره البغوي عنهما. (معالم التنزيل ٤/ ٤٣٨).

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٥) كذا في تفسير الطبري ومعاني القرآن للفراء ولسان العرب (ق ض ي)، وفي الأصول الخطية بلفظ: «قصارها».

(٦) ذكره الفراء (معاني القرآن ٣/ ٢٢٩) والطبري بنحوه.

(٧) أخرجه الطبري من طريق قتادة به، ولم أقف على ترجمة لأبي أيوب الأزدي، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) سنده ضعيف لضعف جسر بن فرقد. (لسان الميزان ٢/ ١٠٤).

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى مخبراً عن السعداء، وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ قال ابن عباس والضحاك: مترهاً^(١). وقال مجاهد وقتادة: فازوا فنجوا من النار^(٢).

والأظهر ههنا قول ابن عباس؛ لأنه قال بعده: ﴿حَدَائِقَ﴾ والحدائق البساتين من النخيل وغيرها ﴿وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾﴾ و﴿كَوَاعِبَ أَزْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ أي: وحوراً كواعب.

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: ﴿وَكُوَاعِبَ﴾ أي: نواهد^(٣). يعنون: أن ثديهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار عرب أتراب أي: في سن واحد كما تقدم بيانه في سورة الواقعة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدشقي، حدثني أبي، عن أبي سفيان عبد الرحمن بن [عبد الله]^(٤) بن تيم، حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث، عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي، عن أبي أمامة أنه سمعه يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن قمص أهل الجنة لتبدوا من رضوان الله، وإن السحابة لتمر بهم فتناديهم: يا أهل الجنة ماذا تريدون أن أمطرهم؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب»^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ قال ابن عباس: مملوءة متتابعة^(٦). وقال عكرمة: صافية^(٧).

وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد: ﴿دِهَاقًا﴾ الملقى المترعة^(٨). وقال مجاهد وسعيد بن جبیر: هي المتتابعة^(٩).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾﴾ كقوله: ﴿لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِي﴾ [الطور: ٢٣] أي: ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة، ولا إثم كذب بل هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص وقوله: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ أي: هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به

- (١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
- (٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (٤) كذا في نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي، وكذا في النسخة الأزهرية حسب طبعة الشعب، وفي الأصل و(ح) و(حم) بياض. وورد في تاريخ أصبهان ١٩٥/١ لأبي نعيم باسم: عبد رب.
- (٥) سنده ضعيف لجهالة عطية بن سليمان أبي الغيث. (التقريب ص ٣٩٣).
- (٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (٧) أخرجه الطبري من طريق عمر بن عطاء عن عكرمة، وعمر: ضعيف. (التقريب ص ٤١٦).
- (٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٩) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن سعيد بن جبیر.

وأعطاهموه بفضلله ومنه وإحسانه ورحمته عطاء حساباً أي: كافياً وافياً سالماً كثيراً. تقول العرب: أعطاني فأحسبني أي: كفاني، ومنه: حسبي الله، أي: الله كافي.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قَدْ بَيَّنَّا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾.

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله، وأنه ربُّ السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي: لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾.

اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا ما هو؟ على أقوال:

أحدها: ما رواه العوفي عن ابن عباس: أنهم أرواح بني آدم.

الثاني: هم: بنو آدم^(١). قاله الحسن وقتادة^(٢).

وقال قتادة: هذا مما كان ابن عباس يكتمه^(٣).

الثالث: أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا بشر، وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش^(٤).

الرابع: هو: جبريل، قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك^(٥). ويستشهد لهذا القول بقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٢﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء].

وقال مقاتل بن حيان: الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إلى الرب ﷻ وصاحب الوحي^(٦).

الخامس: أنه القرآن قاله ابن زيد^(٧).

كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الآية [الشورى: ٥٢].

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما يليه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، ولكن قتادة لم يسمع من ابن عباس.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل عن أبي صالح.

(٥) عزاه البغوي إلى الشعبي والضحاك.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وإلى أبي الشيخ، وقد أخرجه أبو الشيخ في (العظمة رقم ٤١٨)، وسنده معضل.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

والسادس: أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقاً^(١).

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا رواد بن الجراح، عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن علقمة، عن ابن مسعود قال: الروح في السماء الرابعة، هو أعظم من السماوات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسيحة، يخلق الله تعالى من كل تسيحة ملكاً من الملائكة يجيء يوم القيامة صفاً وحده^(٢). وهذا قول غريب جداً.

وقد قال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري، حدثنا وهب [الله بن روق بن هبيرة، حدثنا بشر بن بكر]^(٣)، حدثنا الأوزاعي، حدثني عطاء، عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ملكاً لو قيل له: التقم السماوات السبع والأرضين بلقمة واحدة، لفعل، تسيحه: سبحانك حيث كنت»^(٤). وهذا حديث غريب جداً وفي رفعه نظر، وقد يكون موقوفاً على ابن عباس، ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات، والله أعلم.

وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها. والأشبه عندي والله أعلم: أنهم بنو آدم. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ كقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥]، وكما ثبت في الصحيح: «لا يتكلم يومئذ إلا الرسل»^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: حقاً، ومن الحق «لا إله إلا الله» كما قاله أبو صالح وعكرمة^(٦).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾ أي: الكائن لا محالة ﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَتَابًا﴾ أي: مرجعاً وطريقاً يهتدي إليه ومنهجاً يمر به عليه.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَرْنَكُمْ عَبْدًا قَرِيبًا﴾ يعني: يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريباً لأن كل ما هو قريب آت.

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: يعرض عليه جميع أعماله خيراً وشرها قديمها وحديثها كقوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] وكقوله: ﴿يَبْيُخُّ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [٣٣] [القيامة].

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة به.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده رواد بن الجراح: صدوق اختلط بآخره فترك. (التقريب ص ٢١١).

(٣) كذا في نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي، وفي الأصل بياض. وفي المعجم الكبير للطبراني بلفظ: «وهب الله بن رزق أبو هريرة» (١١/١٩٥ ح ١١٤٧٦).

(٤) أخرجه الطبراني بسنده مع الاختلاف المتقدم وبمثته. (المصدر السابق) قال الهيثمي: وتفرده به وهب بن رزق. (مجمع الزوائد ٨٠/١) وقد استغربه الحافظ ابن كثير.

(٥) تقدم تخريجه في سورة هود آية ١٠٥.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل - وهو السدي الكبير - عن أبي صالح؛ وأخرجه الطبري والبيهقي (الأسماء والصفات ٢٠٥) كلاهما بسند ضعيف من طريق حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة؛ ويتقوى بسابقه وبما أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظه.

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبِغُنِي كُتُّ رَبِّا﴾ أي: يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا تراباً، ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود، وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة.

وقيل: إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور حتى إنه ليقْتَصَّ للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها: كوني تراباً فتصير تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلْبِغُنِي كُتُّ رَبِّا﴾ أي: كنت حيواناً فأرجع إلى التراب، وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور^(١)، وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما.

آخر تفسير سورة عمّ، والله الحمد والمنة.

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنعام آية ٧٣.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢) وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا﴾ (٣) فَالسَّيِّغَاتِ سَبْعًا﴾ (٤) فَالْمُدْرِكَاتِ﴾ (٥) أَمْرًا﴾ (٦) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ﴾ (٧) تَتَّبِعُهَا الرَّاكِبَةُ﴾ (٨) تَبْعُهَا الرَّاكِبَةُ﴾ (٩) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (١٠) أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ (١١) يَقُولُونَ﴾ (١٢) أَوَّاهًا لَمَرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ (١٣) أَوَّاهًا لَمَرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ (١٤) كُنَّا عِظَمًا مَخْرَجَةً﴾ (١٥) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ (١٦) فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٧) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٨).

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدي: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) الملائكة^(١). يعنون: حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط، وهو قوله: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢) قاله ابن عباس^(٢).

وعن ابن عباس ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ هي: أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار. رواه ابن أبي حاتم.

وقال مجاهد: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) الموت^(٣).

وقال الحسن وقتادة: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢) هي النجوم^(٤).

وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾، ﴿وَالنَّشِيطَاتِ﴾: هي: القسي في القتال^(٥). والصحيح الأول وعليه الأكثرون.

وأما قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا﴾ (٣) فقال ابن مسعود: هي الملائكة^(٦)، وروي عن علي

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مسروق عن ابن مسعود؛ وأخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير؛ وأما قول مسروق وأبي صالح وأبي الضحى والسدي فهم ضمن أسانيد ابن مسعود وابن عباس المتقدمة.

(٢) أخرجه الحاكم من طريق مجاهد عن ابن عباس بلفظ: «الموت»، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٥١٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) عزاه البغوي إلى عطاء. (معالم التنزيل ٤/ ٤٤١).

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح مثل ذلك^(١).
وعن مجاهد: ﴿وَالسَّيِّئَاتِ سَبْعًا﴾ ^(٢) الموت^(٢).
وقال قتادة: هي النجوم^(٣).
وقال عطاء بن أبي رباح: هي السفن^(٤).
وقوله تعالى: ﴿فَالسَّيِّئَاتِ سَبْعًا﴾ ^(٥) روي عن علي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصري يعني: الملائكة^(٥).
قال الحسن: سبقت إلى الإيمان والتصديق به.
وعن مجاهد: الموت^(٦).
وقال قتادة: هي النجوم.
وقال عطاء: هي الخيل في سبيل الله^(٧).
وقوله تعالى: ﴿فَالْمَدِيرَاتِ أَمْرًا﴾ ^(٨) قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وفتادة والربيع بن أنس والسدي: هي الملائكة^(٨)، زاد الحسن: تدبر الأمر من السماء إلى الأرض؛ يعني: بأمر ربها ﷻ، ولم يختلفوا في هذا.
ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك إلا أنه حكى في ﴿فَالْمَدِيرَاتِ أَمْرًا﴾ ^(٩) أنها الملائكة، ولا أثبت ولا نفى^(٩). وقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ^(١٠) تَبَعُهَا الرَّادِفَةُ ^(١١) قال ابن عباس: هما النفختان الأولى والثانية^(١١)، وهكذا قال مجاهد والحسن وفتادة والضحاك وغير واحد^(١١).
وعن مجاهد: أما الأولى وهي قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ^(١٢) فكقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤] والثانية وهي الرادفة فهي كقوله: ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ^(١٣) [الحاقة: ١٢].

- (١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وهو يخالف ما صح عن مجاهد كما يلي.
- (٢) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات وسنده صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
- (٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
- (٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق واصل بن السائب عن عطاء. وواصل ضعيف. (التقريب ص ٥٧٩).
- (٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد.. عن مجاهد. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن أبي صالح.
- (٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
- (٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف تقدم قبل روايتين عن عطاء.
- (٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن علي.
- (٩) قد استدلل الطبري بقول قتادة المتقدم، قائلاً وكذلك قال أهل التأويل. وكأنه أثبت ذلك ولم ينفعه.
- (١٠) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
- (١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ أخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري.
- (١٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد وفيه زيادة إذ استشهد بقوله تعالى: ﴿إِذَا أَسْمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ ^(١٤) [الانشقاق].

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن أبي الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه» فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: إذا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك^(١). وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري بإسناده مثله، ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قال ابن عباس: يعني: خائفة^(٣)، وكذا قال مجاهد وقتادة^(٤).

﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ أي: أبصار أصحابها وإنما أضيف إليها للملابسة أي ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَوْنَا لَنَرُدُّوْنَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ يعني: مشركي قريش.

ومن قال بقولهم في إنكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الحافرة وهي القبور، قاله مجاهد^(٥)، وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا: ﴿أَوْدَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾ وقرئ «ناخرة»^(٦).

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: أي بالية^(٧). قال ابن عباس: وهو العظم إذا بلي ودخلت الريح فيه.

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ وعن ابن عباس ومحمد بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك والسدي وقتادة: ﴿لِالْخَافِرَةِ﴾ الحياة بعد الموت^(٨).

وقال ابن زيد: ﴿لِالْخَافِرَةِ﴾ النار^(٩). وما أكثر أسماءها هي النار والجحيم وسقر وجهنم والهواية والحافرة ولظى والحطمة.

وأما قولهم: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ فقال محمد بن كعب: قالت قريش: لئن أحيانا الله بعد أن

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٣٦/٥) وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق سفيان به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ٥١٣/٢)؛ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٨/٢ ح ٩٥٤).

(٢) سنن الترمذي، صفة القيامة، باب رقم ٢٣ (ح ٢٤٥٧) وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «انبعث خلقاً جديداً؟!».

(٦) وهي قراءة متواترة.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ويتقوى بما أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بإسنادين ضعيفين عن السدي ومحمد القرظي ويتقويان بما سبق.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

نموت لنخسر^(١). قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ أي: فإنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الربّ ﷻ ينظرون كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ لِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِن لَّبِثْنَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

قال مجاهد: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ صيحة واحدة^(٢).

وقال إبراهيم التيمي: أشد ما يكون الربّ غضباً على خلقه يوم يبعثهم.

وقال الحسن البصري: زجرة من الغضب.

وقال أبو مالك والربيع بن أنس: زجرة واحدة هي: النفخة الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ قال ابن عباس: الساهرة: الأرض كلها^(٣)، وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبو صالح.

وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد: الساهرة وجه الأرض^(٤).

وقال مجاهد: كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها.

قال: والساهرة: المكان المستوي^(٥).

وقال الثوري: الساهرة أرض الشام^(٦).

وقال عثمان بن أبي العاتكة: الساهرة: أرض بيت المقدس^(٧).

وقال وهب بن منبه: الساهرة: جبل إلى جانب بيت المقدس^(٨).

وقال قتادة أيضاً: الساهرة: جهنم^(٩).

وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا خزر بن المبارك الشيخ الصالح، حدثنا بشر بن [السري]^(١٠)، حدثنا مصعب بن ثابت، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي ﴿فَإِذَا

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري من طريق مهرا عن سفيان.

(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي سنان عن وهب بن منبه.

(٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(١٠) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: «السدي».

هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ قال: أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقي^(١).

وقال الربيع بن أنس: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ يقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم] ويقول: ﴿وَسَتَلَوْنَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾ طه. وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] وبرزت الأرض التي عليها الجبال، وهي لا تعد من هذه الأرض، وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة، ولم يهرق عليها دم.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾﴾.

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ عن عبده ورسوله موسى ﷺ أنه ابتعثه إلى فرعون، وأيده الله بالمعجزات، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به، ولهذا قال في آخر القصة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾﴾ فقله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾﴾ أي: هل سمعت بخبره؟ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ ﴿١٦﴾﴾ أي: كلمه نداء ﴿بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ هو: اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له: ﴿أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾﴾ أي: تجبر وتمرد وعتا ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّى ﴿١٨﴾﴾ أي: قل له: هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به وتسلم وتطيع؟ ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ ﴿١٩﴾﴾ أي: أدلك إلى عبادة ربك ﴿فَتَخْشَى ﴿٢٠﴾﴾ أي: فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً خاشعاً بعد ما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾﴾ يعني: فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلاً واضحاً على صدق ما جاءه به من عند الله.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾﴾ أي: فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة، وحاصله أنه كفر قلبه فلم يفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره، وعلمه بأن ما جاء به حق لا يلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾﴾ أي: في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى ﷺ من المعجزات الباهرات ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾﴾ أي: في قومه ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾.

قال ابن عباس ومجاهد: وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] بأربعين سنة^(٢).

(١) سنده ضعيف لضعف مصعب بن ثابت (التقريب ص ٥٣٣) وله شواهد صحيحة يتقوى بها.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، بدون ذكر بأربعين سنة ويتقوى بما أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبد الكريم الجزري عن مجاهد.

قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ (٢٥) أي: انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُنْسِ السَّيِّئَاتِ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩] كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٨١) [القصص] وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: الدنيا والآخرة.

وقيل: المراد بذلك: كلمته: الأولى والثانية. وقيل: كفره وعصيانه.

والصحيح الذي لا شك فيه: الأول.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ (٣١) أي: لمن يتعظ وينزجر.

﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ بِنْهَا﴾ (٣٧) رَفَعَ سَتَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا (٣٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٣٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٤٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٤١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٤٢) مَتَاعًا لَّكُمُ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٤٣).

يقول تعالى محتجاً على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه: ﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ أَشَدُّ خَلْقًا مِنْكُم كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) [يس].

وقوله: ﴿بِنْهَا﴾ فسر به بقوله: ﴿رَفَعَ سَتَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا﴾ (٣٨) أي: جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (٣٩) أي: جعل ليلها مظلماً أسود حالكاً، ونهارها مضيئاً مشرقاً نيراً واضحاً.

وقال ابن عباس: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه^(١)، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وجماعة كثيرون^(٢).

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي: أثار نهارها.

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٤٠) فسر به بقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (٤١) وقد تقدم في سورة حم السجدة^(٣) أن الأرض خلقت قبل خلق السماء، ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء بمعنى: أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل، وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي، حدثنا عبيد الله يعني: ابن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿دَحَاهَا﴾ ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى، وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسندين ضعيفين عن الضحاك وعن عكرمة، ويتقويان بما سبق.

(٣) عند تفسير الآية ٤.

والسبل والآكام^(١)، فذلك قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٣٠) وقد تقدم تقرير ذلك هنالك^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا﴾ (٣١) أي: قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها، وهو الحكيم العليم الرؤوف بخلقه الرحيم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال» فقالت: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم: الحديد. قالت: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم النار. قالت: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم الماء. قالت: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح. قالت: يا ربّ فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله^(٣).

وقال أبو جعفر ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي قال: لما خلق الله الأرض [قمصت]^(٤) وقالت: تخلق عليّ آدم وذريته، يلقون عليّ نتنهم ويعملون عليّ بالخطايا، فأرساها الله بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لا ترون، وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا نحر يختلج لحمه^(٥). غريب.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا لَكُمْ وَلَاتَمْلِكُو﴾ (٣٢) أي: دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها، كل ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذا الدار إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى﴾ (٣٣) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٤) وَيُزَيَّرُ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى (٣٥) قَامًا مِّن طَعْنٍ (٣٦) وَآثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٣٧) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٨) وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٣٩) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤٠) يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤١) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرهَا (٤٢) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَهَا (٤٣) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا (٤٤) كَانَتْ يَوْمَ يَرْوُهَا رَبُّ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٥).

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى﴾ (٣٣) وهو: يوم القيامة، قاله ابن عباس^(٦). سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفضع كما قال تعالى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٦].

(١) سنده حسن.

(٢) تقدم في تفسير سورة السجدة آية ٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وضعف سنده محققوه. (المسند ٢٧٦/١٩ ح ١٢٢٥٢).

(٤) كذا في (حم) وتفسير الطبري، وفي (ح): نقصت، وفي الأصل بياض.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي. وقد استغربه الحافظ ابن كثير.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «من أسماء يوم القيامة».

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ (٣٥) أي: حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣].

﴿وَوُزِّرَتْ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ (٣٦) أي: أظهرت للناظرين فرآها الناس عياناً ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (٣٧) أي: تمرد وعتا ﴿وَوَآثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٨) أي: قدمها على أمر دينه وأخراه ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٣٩) أي: فإن مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ (٤٠) أي: خاف القيام بين يدي الله ﷻ، وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها وردّها إلى طاعة مولاهَا ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٤١) أي: منقلبه ومصيره ورجعه إلى الجنة الفيحاء.

ثم قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤٢) ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ (٤٣) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ (٤٤) أي: ليس علمها إليك ولا إلى أحد من الخلق بل مردّها ومرجعها إلى الله ﷻ، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين ﴿تَنفَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيفٌ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال هاهنا: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ (٤٤) ولهذا لما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾ (٤٥) أي: إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذّره من بأس الله وعذابه، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده أتبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار على من كذّبك وخالفك.

وقوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّنَا لَوْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (٤٦) أي: إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم. قال جوبير، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّنَا لَوْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (٤٦) أما عشية فما بين الظهر إلى غروب الشمس ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾ ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار^(٢). وقال قتادة: وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة^(٣). آخر تفسير سورة النازعات، [ولله الحمد والمنة]^(٤).

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمر ﷺ، مطولاً. (الصحيح، الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ح ٨).

(٢) سنده ضعيف لضعف جوبير، وكذلك الضحاك لم يلق ابن عباس ﷺ.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) زيادة من (ح).

سُورَةُ عَبَسَ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَرْكَبُ ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرُ ۚ (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى ۖ (٥) فَأَنْتَ لَمْ تَصَدِّقْ ۖ (٦) وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكَبُ ۚ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۖ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۖ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۖ (١٠) كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَذِكْرٌ ۖ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۖ (١٢) فِي مُصْحَفٍ مُّكْرَمٍ ۖ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۖ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۖ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۖ (١٦) .

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديماً، فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلج عليه، وودّ النبي ﷺ أن لو كفّ ساعته تلك ليمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعاً ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَرْكَبُ ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرُ ۚ (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى ۖ (٥) فَأَنْتَ لَمْ تَصَدِّقْ ۖ (٦) وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكَبُ ۚ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۖ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۖ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۖ (١٠) كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَذِكْرٌ ۖ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۖ (١٢) فِي مُصْحَفٍ مُّكْرَمٍ ۖ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۖ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۖ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۖ (١٦) .

يحصل له زكاة وطهارة في نفسه ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرُ ۚ (٤)﴾ أي: يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى ۖ (٥) فَأَنْتَ لَمْ تَصَدِّقْ ۖ (٦)﴾ أي: أما الغني فأنت تتعرض له لعله يهتدي ﴿وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكَبُ ۚ (٧)﴾ أي: ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۖ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۖ (٩)﴾ أي: يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۖ (١٠)﴾ أي: تتشاغل، ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن لا يخص بالإنذار أحداً بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

قال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا محمد بن مهدي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١)﴾ جاء ابن أم مكتوم إلى النبي ﷺ وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه، فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢)﴾ فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه.

قال قتادة: وأخبرني أنس بن مالك قال: رأيته يوم القادسية وعليه درع، ومعه راية سوداء يعني: ابن أم مكتوم^(١).

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ٥/ ٤٣١ ح ٣١٢٣)، وسنده صحيح؛ وأخرجه عبد الرزاق عن معمر به.

وقال أبو يعلى وابن جرير: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، حدثني أبي، عن هشام بن عروة [مما عرضه عليه عن عروة]^(١) عن عائشة قالت: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى أتى إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول: أرشدني قالت: وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين. قالت: فجعل النبي ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾.

وقد روى الترمذي هذا الحديث عن سعيد بن يحيى الأموي بإسناده مثله، ثم قال: وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم، ولم يذكر فيه عن عائشة^(٢). قلت: كذلك هو في الموطأ^(٣).

ثم روى ابن جرير وابن أبي حاتم أيضاً من طريق العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ قال: بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيراً ويحرص عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى يقال: له عبد الله بن أم مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقريء النبي ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه، وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه، ثم أنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَرَى﴾ ﴿أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾ فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه، وقال له رسول الله ﷺ: «ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟» وإذا ذهب من عنده قال: هل لك حاجة في شيء؟ وذلك لما أنزل الله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ ﴿فَأَن تَلَمْ تَصَدَّى﴾ ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْى﴾^(٤). فيه غرابة ونكارة، وقد تكلم في إسناده.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، حدثني يونس، عن ابن شهاب قال: قال سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم» وهو: الأعمى الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ وكان يؤذن مع بلال قال سالم: وكان رجلاً ضرير البصر، فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون إلى بزوغ الفجر: أذن^(٥). وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن

(١) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل سقط وورد بلفظ: «عليه».

(٢) أخرجه الطبري والترمذي بالإسناد نفسه ومثته. (السنن، التفسير، باب ومن سورة عبس ح ٣٣٢٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي؛ وأخرجه ابن حبان. (الإحسان ٢/ ٢٩٣ ح ٥٣٥)، والحاكم كلاهما من طريق سعيد بن يحيى وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٥١٤)؛ وصححه الأرنؤوط محقق الإحسان.

(٣) الموطأ، القرآن، باب ما جاء في القرآن ٢٠٣/ ١ رقم ٨، لكن سنده إلى عروة وهو مرسل ويتقوى بسابقه.

(٤) أخرجه الطبري من طريق العوفي به، وسنده ضعيف.

(٥) أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها ولكن دون ذكر أنه هو الذي أنزل الله تعالى فيه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ... =

زيد وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت في ابن أم مكتوم^(١) والمشهور أن اسمه: عبد الله ويقال: عمرو، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١٦﴾ أي: هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم.

وقال قتادة والسدي: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١٦﴾ يعني: القرآن ﴿فَن شَاءَ ذَكْرُهُ ۝١٧﴾ أي: فمن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره، ويحتمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه.

وقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٧ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٨﴾ أي: هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة؛ أي: معظمة موقرة ﴿مَرْفُوعَةٍ ۝١٨﴾ أي: عالية القدر ﴿مُطَهَّرَةٍ ۝١٩﴾ أي: من الدنس والزيادة والنقص.

وقوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرٍ ۝٢٠﴾.

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد: هي الملائكة^(٢).

وقال وهب بن منبه: هم أصحاب محمد ﷺ^(٣).

وقال قتادة: هم القراء^(٤).

وقال ابن جريج، عن ابن عباس: السفرة بالنبطية: القراء^(٥).

وقال ابن جرير: والصحيح أن السفرة الملائكة، والسفرة يعني: بين الله تعالى وبين خلقه، ومنه يقال: السفير الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير كما قال الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي وما أمشي بغش إن مشيت^(٦)

وقال البخاري: سفرة الملائكة سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم^(٧).

وقوله تعالى: ﴿كَرَامَ بَرَزُوا ۝٢١﴾ أي: خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، ومن ها هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد.

[عبس] وهذه الزيادة يشهد لها ما تقدم. (صحيح البخاري، الأذان، باب أذان الأعمى إذا كان له من يخبره ح ٦١٧؛ وصحيح مسلم، الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ح ١٠٩٢).

(١) قول عروة تقدم قبل الرواية السابقة، وقول مجاهد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عنه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عنه، وقول الضحاك، أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه عنه، وقول ابن زيد، أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وكل هذه الأقوال مراسيل يقوي بعضها بعضاً وتتقوى جميعها بما سبق.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ومعناه صحيح، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد. وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر، وسنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

(٦) ذكره الطبري بنحوه واستشهد بالشعر.

(٧) ذكره البخاري (الصحيح، التفسير، سورة عبس قبل ح ٤٩٣٧).

قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا هشام، عن قتادة، عن زُرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران»^(١). أخرجه الجماعة من طريق قتادة به^(٢).

﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ (٧) ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ﴾ (٨) ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقْتُمْ فَقَدَرْتُمْ﴾ (٩) ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرْتُمْ﴾ (١٥) ﴿ثُمَّ أَمَلْتُمْ فَاقْدَرْتُمْ﴾ (١٦) ﴿ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَنْشَرْتُمْ﴾ (٢٢) ﴿كَلَّا لَنَا بَقِيضٌ مَّا أَمَرْتُمْ﴾ (٢٣) ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) ﴿أَنَا صَبِيئًا أَلْمَلْتُ صَبًا﴾ (٢٥) ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَاقًا﴾ (٢٦) ﴿فَأَلْبَنَّا فِيهَا حَبًّا﴾ (٢٧) ﴿وَعَبْنَا وَقَضَبًا﴾ (٢٨) ﴿وَرَزَقْنَاهَا نَخْلًا﴾ (٢٩) ﴿وَحَدَائِقَ غُلَبًا﴾ (٣٠) ﴿وَفَيْكِهِمْ وَأَبًا﴾ (٣١) ﴿مَتَلَعَا لَكُورًا وَلِأَنْعَمَكُمُ﴾ (٣٢).

يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ (٧) قال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ﴾ لعن الإنسان^(٣)، وكذا قال أبو مالك، وهذا لجنس الإنسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم. قال [ابن جريج]^(٤): ﴿مَا أَكْفَرُ﴾ أي: ما أشد كفره^(٥).

وقال ابن جرير: ويحتمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافراً؛ أي: ما حمّله على التكذيب بالمعاد^(٦)، وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي^(٧). وقال قتادة ﴿مَا أَكْفَرُ﴾ ما ألعنه^(٨).

ثم بيّن تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير؟ وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى: ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ﴾ (٨) ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقْتُمْ فَقَدَرْتُمْ﴾ (٩) أي: قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرْتُمْ﴾ (١٥) قال العوفي، عن ابن عباس: ثم يسّر عليه خروجه من بطن أمه^(٩)، وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقاتادة والسدي^(١٠)، واختاره ابن جرير^(١١).

- (١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٨/٦)، وسنده صحيح.
- (٢) صحيح البخاري، التفسير، سورة عبس (ح ٤٩٣٧)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتعتع فيه (ح ٧٩٨).
- (٣) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس.
- (٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: ابن جريج.
- (٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن ابن جريج.
- (٦) لم أجده في تفسير الطبري ولعله في النسخة التي اعتمدها الحافظ ابن كثير.
- (٧) نسبه البغوي إليهما. (معالم التنزيل ٤٤٨/٤).
- (٨) لم أجد من أخرجه.
- (٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. ويتقوى بما يليه.
- (١٠) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسندين ضعيفين عن أبي صالح والسدي، ويتقويان بما سبق.
- (١١) روجه الطبري حسب ظاهر الآية.

وقال مجاهد: هذه كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: (١)] أي: يبينه له وأوضحناه وسهلنا عليه عمله، وكذا قال الحسن وابن زيد^(٢)، وهذا هو الأرجح، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْبَرُ﴾ [٣١] أي: أنه بعد خلقه له أماته فأقبره؛ أي: جعله ذا قبر والعرب تقول: قبرت الرجل إذا ولى ذلك منه، وأقبره الله، وعضبت قرن الثور، وأعضبه الله، وبترت ذنب البعير، وأبتره الله، وطردت عني فلاناً، وأطرده الله؛ أي: جعله طريداً قال الأعشى: لو أسندت ميتاً إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر^(٣)

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرُهُ﴾ [٣٢] أي: بعثه بعد موته؛ ومنه يقال: البعث والنشور ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يَخْلُقُكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: (١٩)] ﴿وَأَنْظُرَ إِلَى الْإِطَارِ كَيْفَ تُنْشَرُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أصبغ بن الفرّج، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن دراجاً أبا السّمح أخبره، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه» قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «مثل حبة خردل منه ينشأون»^(٤). وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة بدون هذه الزيادة، ولفظه: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب»^(٥).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُو﴾ [٣٣] قال ابن جرير: يقول: كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدّى حق الله عليه في نفسه وماله ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُو﴾ يقول: لم يؤد ما فرض عليه ﷻ من الفرائض لربه ﷻ^(٦).

ثم روى هو وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُو﴾ [٣٣] قال: لا يقضي أحداً أبداً كل ما افترض عليه^(٧)، وحكاه البغوي عن الحسن البصري بنحو من هذا^(٨)، ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا، والذي يقع لي في معنى ذلك، والله أعلم أن المعنى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرُهُ﴾ [٣٢] أي: بعثه ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُو﴾ [٣٣] أي: لا يفعل الآن حتى تنقضي المدة ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب الله أن يسجد منهم ويخرج إلى الدنيا، وقد أمر به تعالى كوناً وقدرًا، فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم.

وقد روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال: قال عزيز ﷺ: قال الملك الذي جائي: فإن

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

(٣) ديوان الأعشى ص ١٣٩ واستشهد به الطبري، وذكر ما قيل عن العرب.

(٤) سنده ضعيف لضعف روايه دراج عن أبي الهيثم ويتقوى بالشواهد الصحيحة التالية دون آخره.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة النبا آية ١٨. (٦) ذكره الطبري بلفظه.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به.

(٨) ذكره البغوي بنحوه عن الحسن. (معالم التنزيل ٤/٤٤٨).

القبور هي بطن الأرض وإن الأرض هي أم الخلق، فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق، وتمت هذه القبور التي مدَّ الله لها انقطعت الدنيا، ومات من عليها ولفظت الأرض ما في جوفها وأخرجت القبور ما فيها. وهذا شبيه بما قلناه من معنى الآية، والله سبحانه أعلم بالصواب.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٧٦) فيه امتنان، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاماً بالية وتراباً متمزقاً ﴿أَنَا صَبَّأُ الْمَاءَ صَبًّا﴾ (٧٥) أي: أنزلناه من السماء على الأرض ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَا﴾ (٧٣) أي: أسكنناه فيها فیدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض ﴿فَأَبْنَأْنَا فِيهَا جَنًّا﴾ (٧٤) وَعَبًّا وَقَفًّا ﴿فَالْحَبُّ كُلُّ مَا يَذْكُرُ مِنَ الْحَبُوبِ، والعنب معروف، والقضب هو: الفصصة التي تأكلها الدواب رطبة، ويقال لها: القتب أيضاً، قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي^(١)، وقال الحسن البصري: القضب: العلف^(٢).

﴿وَزَيْتُونًا﴾ وهو معروف وهو آدم، وعصيره آدم ويستصبح به ويدهن به ﴿وَنَخْلًا﴾ يؤكل بلحاً بساً ورطباً وتمرّاً ونيثاً ومطبوخاً ويعتصر منه رُب وخل ﴿وَحَدَائِقَ غُلَبًا﴾ (٢٠) أي: بساتين، قال الحسن وقتادة: ﴿غُلَبًا﴾ نخل غلاظ كرام^(٣).

وقال ابن عباس ومجاهد: الحدائق: كل ما التف واجتمع.

وقال ابن عباس أيضاً: ﴿غُلَبًا﴾^(٤) الشجر الذي يستظل^(٥) به.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَحَدَائِقَ غُلَبًا﴾ (٢٠) أي: طوال^(٦).

وقال عكرمة: ﴿غُلَبًا﴾ أي: غلاظ الأوساط^(٧)، وفي رواية: غلاظ الرقاب، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل: والله إنه لأغلب؟ رواه ابن أبي حاتم^(٨).

وأنشد ابن جرير للفرزدق:

عوى فائأر أغلب [ضيغمياً]^(٩) فويل ابن المراغة ما استشار^(١٠)

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «الغصصة»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة مثله.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق يونس - وهو ابن عبيد البصري - عن الحسن البصري.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة بلفظ: «النخل الكرام». وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة.

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة.

(٩) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل ضحف إلى: ضيغما.

(١٠) استشهد به الطبري، والبيت في ديوان الفرزدق ص ٤٤٣.

وقوله تعالى: ﴿وَفِكَهَةٌ وَأَبًا﴾ (٣١) أما الفاكهة: فكل ما يتفكه به من الثمار، قال ابن عباس: الفاكهة: كل ما أكل رطباً، والأب: ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس^(١)، وفي رواية عنه: هو الحشيش للبهائم^(٢).

وقال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك: الأب: الكلاء^(٣).

وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد: الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم.

وعن عطاء: كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب.

وقال الضحاك: كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب.

وقال ابن إدريس: عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن ابن عباس: الأب نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس^(٤).

ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن إدريس، ثم قال: حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالوا: حدثنا ابن إدريس، حدثنا عبد الملك، عن سعيد بن جبير قال: عد^(٥) ابن عباس وقال: الأب: ما أنبت الأرض للأنعام. وهذا لفظ حديث أبي كريب وقال أبو السائب في حديثه: ما أنبت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام.

وقال العوفي، عن ابن عباس: الأب: الكلاء والمرعى^(٦)، وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد^(٧).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا العوام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي قال: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَفِكَهَةٌ وَأَبًا﴾ (٣١) فقال: أي سماء تظلني؟ وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟^(٨) وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه.

فأما ما رواه ابن جرير حيث قال: حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، حدثنا حميد، عن

(١) تفسير الأب أخرجه ابن خزيمة والطبري بسند حسن من طريق عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس (الصحيح ٣/ ٣٣٢ ح ٢١٧٢) وصححه محققه، وأخرجه الحاكم من طريق عاصم به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/ ٤٣٧) وصححه سنده الحافظ ابن حجر، (فتح الباري ١٣/ ٢٧١).

(٢) عزاه الحافظ ابن حجر إلى ابن أبي حاتم. (تغليق التعليق ٣/ ٤٩٠) وكذا السيوطي.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.

(٤) تقدم تخريجه قبل ثلاث روايات.

(٥) أي: عدّ سبعا جعل رزقه في سبعة.. ثم ذكر الأب هكذا ورد في رواية الطبري بسند حسن من الطرق الثلاثة التي أوردها الطبري.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ويتقوى بسابقه ولاحقه.

(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مبارك عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) تقدم تخريجه في مقدمة التفسير.

أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١﴾ فلما أتى على هذه الآية ﴿وَفَكَهَأَ وَأَبَّا﴾ ﴿٢﴾ قال: قد عرفنا الفاكهة فما الأب؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف^(١). فهو إسناد صحيح وقد رواه غير واحد عن أنس به، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله: ﴿فَأَلْبَنَّا فِيهَا حَبًّا﴾ ﴿٧﴾ وَغَبًّا وَفَضًّا ﴿٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٩﴾ وَمَدَائِقَ غَلًّا ﴿١٠﴾ وَفَكَهَأَ وَأَبَّا ﴿١١﴾ وقوله تعالى: ﴿مَتَمًّا لَكُمْ وَلَا تَعْمِلْكُمْ﴾ ﴿١٢﴾ أي: عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ﴾ ﴿١٣﴾ يَوْمَ يَرَى الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿١٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿١٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَيْنِهِ ﴿١٦﴾ لِكُلِّ أُمْرِي مَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿١٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿١٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿١٩﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٢٠﴾ زَهَقَهَا قَرَّةٌ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرُ ﴿٢٢﴾.

قال ابن عباس: ﴿الصَّلَاةُ﴾ اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذره عباده^(٢).
قال ابن جرير: لعله اسم للنفخة في الصور^(٣).

وقال البغوي: ﴿الصَّلَاةُ﴾ يعني: صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخُّ الأسماع؛ أي: تبلغ في إسماعها حتى تكاد تصمها ﴿يَوْمَ يَرَى الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿١٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿١٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَيْنِهِ ﴿١٦﴾﴾ أي: يراهم ويفر منهم ويتعد منهم؛ لأن الهول عظيم والخطب جليل^(٤).

قال عكرمة: يلقي الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه أي بعل كنت لك؟ فتقول: نعم البعل كنت، وتثني بخير ما استطاعت فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهيبها لي لعلني أنجو مما ترين، فتقول له: ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً أخوف مثل الذي تخاف قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول: يا بني أي والد كنت لك، فيثني بخير فيقول له: يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلني أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَى الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿١٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿١٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَيْنِهِ ﴿١٦﴾﴾ وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدني^(٥). ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَى الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿١٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿١٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَيْنِهِ ﴿١٦﴾﴾.

قال قتادة: الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم.
وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمْرِي مَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ﴿١٧﴾ أي: هو في شغل شاغل عن غيره.
قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار بن الحارث، حدثنا الوليد بن صالح، حدثنا ثابت

(١) تقدم تخريجه في مقدمة التفسير، وهو صحيح بطرقه. (ينظر: مرويات ابن أبي شيبة في التفسير ص ٥٩١).
(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
(٣) ذكره الطبري بنحوه وأوضح.
(٤) معالم التنزيل (٤/٤٤٩).
(٥) سنده ضعيف لأنه مرسل.
(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء: آية ٧٩.

أبو زيد العباداني، عن هلال بن خباب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم: «تحشرون حفاة عراة مشاة غرلاً» قال: فقالت زوجته: يا رسول الله ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»، أو قال: «ما أشغله عن النظر»^(١).

وقد رواه النسائي منفرداً به عن أبي داود، عن عارم، عن ثابت بن يزيد وهو: أبو زيد الأحول البصري أحد الثقات، عن هلال بن خباب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس^(٢) به، وقد رواه الترمذي، عن عبد بن حميد، عن محمد بن الفضل، عن ثابت بن يزيد، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «تحشرون حفاة عراة غرلاً» فقالت امرأة: أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: «يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه». ثم قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن ابن عباس^(٣).

وقال النسائي: أخبرني عمرو بن عثمان، حدثنا بَقِيَّةُ، حدثنا الزبيدي، أخبرني الزهري، عن عروة، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً»^(٤) فقالت عائشة: يا رسول الله فكيف بالعورات؟ فقال: «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»^(٥). انفرد به النسائي من هذا الوجه.

ثم قال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا أبي، حدثنا أزهر بن حاتم، حدثنا الفضل بن موسى، عن عائذ بن شريح، عن أنس بن مالك قال: سألت عائشة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني سائلتك عن حديث فتخبرني أنت به، قال: «إن كان عندي منه علم». قالت: يا نبي الله كيف يحشر الرجال؟ قال: «حفاة عراة». ثم انتظرت ساعة فقالت: يا رسول الله كيف يحشر النساء؟ قال: «كذلك حفاة عراة». قالت: واسوأته من يوم القيامة. قال: «وعن أي ذلك تسألين؟ إنه قد نزل علي آية لا يضررك كان عليك ثياب أو لا يكون». قالت: آية آية هي يا نبي الله؟ قال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(٦).

وقال البغوي في تفسيره: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا ابن أبي أويس، حدثنا أبي، عن محمد بن أبي عياش، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً، قد أجمعهم

(١) حديث صحيح كما يلي.

(٢) السنن الكبرى، التفسير، سورة عبس (ح ١١٥٨٣).

(٣) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة عبس (ح ٣٣٣٢)؛ وقال الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن الترمذي ح ٢٦٥٢).

(٤) أي: غير مختومين.

(٥) السنن الكبرى، التفسير، سورة عبس (ح ١١٥٨٤). ويشهد له سابقه، وأخرجه الحاكم من طريق بَقِيَّةَ به، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/ ٥٦٤).

(٦) سنده ضعيف لضعف عائذ بن شريح. (الجرح والتعديل ١٦/٧) ويشهد له ما سبق.

العرق وبلغ شحوم الآذان» فقلت: يا رسول الله واسوأاته ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»^(١). هذا حديث غريب من هذا الوجه جداً، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي، عن الفضل بن موسى به^(٢).

[ولكن]^(٣) قال أبو حاتم الرازي: عائذ بن شريح ضعيف، وفي حديثه ضعف^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَآئِكَةٌ مُّنتَبِرَةٌ﴾^(٥) أي: يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة؛ أي: مستنيرة ﴿ضَآئِكَةٌ مُّنتَبِرَةٌ﴾^(٦) أي: مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم، وهؤلاء هم أهل الجنة.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَآئِرَةٌ ۖ زَهَقَهَا فَتْرَةٌ﴾^(٧) أي: يعلوها وتغشاها قتر؛ أي: سواد.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا أبو علي محمد مولى جعفر بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم»، قال: فهو قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَآئِرَةٌ﴾^(٨).

وقال ابن عباس: ﴿زَهَقَهَا فَتْرَةٌ﴾^(٩) أي: يغشاها سواد الوجوه^(١٠).

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجْرَةُ﴾^(١١) أي: الكفرة قلوبهم الفجرة في أعمالهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]. آخر تفسير سورة عبس، والله والحمد والمنة.

(١) أخرجه البغوي بسنده ومثته. (معالم التنزيل ٤/٤٤٩ - ٤٥٠) وحكم عليه الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه الطبري عن أبي عمار الحسين المروزي به، وحكمه كسابقه.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: ومكر.

(٤) الجرح والتعديل ١٦/٧.

(٥) في سنده سهل بن عثمان العسكري له غرائب كثيرة. (تهذيب التهذيب ٤/٢٥٥ - ٢٥٦).

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «تغشاها ذلة».

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا عبد الله بن بحير القاص، أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾» و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار] و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَشَقَّتْ﴾ [الانشقاق]»^(١). وهكذا رواه الترمذي عن العباس بن عبد العظيم العنبري، عن عبد الرزاق به^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْبِلَآءُ سِيرَتْ ٣ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ٨ أَيَّاءُ نُنْفِئُ ٩ وَإِذَا الْصُفُوفُ ثُسِرَتْ ١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا الْجَبَابِغُ سُفِرَتْ ١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلَفَتْ ١٣ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَصْحَرَتْ ١٤

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يعني: أظلمت^(٣). وقال العوفي، عنه: ذهب^(٤). وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت^(٥)، وكذا قال الضحاك^(٦). قال قتادة: ذهب ضوءها^(٧). وقال سعيد بن جبیر: ﴿كُوِّرَتْ﴾: غورت^(٨). وقال الربيع بن خثیم: ﴿كُوِّرَتْ﴾ يعني: رمي بها^(٩).

- (١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه، وحسن سنده محققوه. (المسند ٨/٤٢٤ ح ٤٨٠٦). وأخرجه الحاكم من طريق عبد الرزاق به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤/٥٧٦).
- (٢) أخرجه الترمذي عن العباس بن عبد العظيم به. (السنن، التفسير، باب ومن سورة عبس ح ٣٣٣٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٥٣).
- (٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
- (٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بسابقه ولاحقه.
- (٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيى - وهو القتات - عن مجاهد.
- (٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف لإيهام شيخه.
- (٧) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.
- (٨) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبیر.
- (٩) أخرجه عبد الرزاق وهناد. (الزهد رقم ٣٦٦) بسند صحيح من طريق أبي يعلى عن الربيع بن خثیم.

وقال أبو صالح: ﴿كُوِّرَتْ﴾: أُلْقِيَتْ^(١)، وعنه أيضاً: نُكِسَتْ^(٢).

وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض.

قال ابن جرير: والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ﴾ جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا أبو أسامة، عن مجالد، عن شيخ من بجيلة، عن ابن عباس: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: يُكْوِرُ الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر، ويبعث الله ريحاً دبوراً فتضرمها ناراً^(٤). وكذا قال عامر الشعبي.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن ابن يزيد بن أبي مريم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: في قول الله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: «كُورَتْ في جهنم»^(٥).

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا موسى بن محمد بن حبان، حدثنا درست بن زياد، حدثنا يزيد الرقاشي، حدثنا أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الشمس والقمر نوران عقيران في النار»^(٦). هذا حديث ضعيف؛ لأن يزيد الرقاشي ضعيف، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة.

ثم قال البخاري: حدثنا مسدد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، حدثنا عبد الله الدانا، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «الشمس والقمر يكوران يوم القيامة»^(٧) انفرد به البخاري، وهذا لفظه وإنما أخرجه في كتاب بدء الخلق وكان جديراً أن يذكره ههنا أو يكرره كما هي عادته في أمثاله، وقد رواه البزار فجوّد إirاده فقال: حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن عبد الله الدانا قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة، وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال: حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشمس والقمر نوران في النار عقيران يوم القيامة»، فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: - أحسبه قال - وما ذنبهما^(٨). ثم قال: لا يروى عن أبي هريرة إلا من

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه بدل بن المحبر. (٢) أخرجه الطبري بسندين يقوي أحدهما الآخر.

(٣) أخرجه الطبري بنحوه. (٤) سنده ضعيف لمجالد وإيهام شيخه.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم والديلمي عن أبي مريم، وأظنه مراسلاً، وكتاب الديلمي وهو الفردوس مشحون بالأحاديث الضعيفة.

(٦) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته، وضعفه محققه لضعف الرقاشي وضعف درست بن زياد. (المسند ١٤٨/٧ ح ٤١١٦).

(٧) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر ح ٣٢٠٠).

(٨) سنده ضعيف لانقطاعه فإن الحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة. (جامع التحصيل ص ١٩٦ - ١٩٧).

هذا الوجه، ولم يرو عبد الله الداناج، عن أبي سلمة سوى هذا الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (١) أي: انتشرت كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ (٢) [الانفطار] وأصل الانكدار الانصباب.

قال الربيع بن أنس: عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: ست آيات قبل يوم القيامة، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت، ففرغت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطيور والوحوش فماجوا بعضهم في بعض.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (٣) قال: اختلطت ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٤) قال: أهملها أهلها ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (٥) قال: قالت الجن نحن نأتيكم بالخبر، قال: فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تتأجج، قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فأماتتهم^(١). رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم ببعضه، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم والحسن البصري وأبو صالح وحماد بن أبي سليمان والضحاك في قوله جلا وعلا: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (١) أي: تناثرت^(٢).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (١) أي: تغيرت^(٣).

وقال يزيد بن أبي مريم، عن النبي ﷺ: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (١) قال: «انكدرت في جهنم وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه، ولو رضيا أن يعبدوا لدخلاها»^(٤). رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المتقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (٢) أي: زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعاً صاففاً.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٤) قال عكرمة ومجاهد: عشار الإبل^(٥).

قال مجاهد: ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُرِكَت وسُيِّت^(٦). وقال أبي بن كعب والضحاك: أهملها أهلها^(٧).

(١) أخرجه الطبري وابن أبي الدنيا (الأهوال ص ٨٥) كلاهما بسند جيد من طريق الحسين بن واقد عن الربيع بن أنس به.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي يعلى - وهو منذر بن يعلى - عن الربيع بن خثيم؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيى - وهو القتات - عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) تقدم الكلام عن سنده قبل ست روايات.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيى - وهو القتات - عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري وابن أبي الدنيا (الأهوال ص ٨٥) بسند جيد من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب.

وقال الربيع بن خثيم: لم تحلب ولم تصر تخلي منها أربابها^(١).
وقال الضحاك: تركت لا راعي لها^(٢). والمعنى في هذا كله متقارب، والمقصود أن العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر - واحدتها عشاء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع - قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعدما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المفزع الهائل، وهو أمر يوم القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها، وقيل: بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لا سبيل لهم إليها، وقد قيل في العشار: إنها السحاب تعطل عن المسير بين السماء والأرض لخراب الدنيا وقيل: إنها الأرض التي تعشر، وقيل: إنها الديار التي كانت تسكن تعطلت لذهاب أهلها. حكى هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبي في كتابه التذكرة، ورجح أنها الإبل، وعزاه إلى أكثر الناس^(٣).

(قلت): لا يعرف عن السلف والأئمة سواه، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ﴿٥﴾ أي: جمعت كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ [الأنعام] قال ابن عباس: يحشر كل شيء حتى الذباب^(٤). رواه ابن أبي حاتم، وكذا قال الربيع بن خثيم والسدي وغير واحد^(٥)، وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية: إن هذه الخلائق موافية فيقضي الله فيها ما يشاء^(٦).

وقال عكرمة: حشرها: موتها.

وقال ابن جرير: حدثني علي بن مسلم الطوسي، حدثنا عباد بن العوام، حدثنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ﴿٥﴾ قال: حشر البهائم موتها، وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة^(٧).

حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خثيم: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ﴿٥﴾ قال: أتى عليها أمر الله، قال سفيان: قال أبي: فذكرته لعكرمة فقال: قال ابن عباس: حشرها: موتها^(٨).

وقد تقدم عن أبي بن كعب أنه قال: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ﴿٥﴾ اختلطت.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق منذر الثوري عن الربيع بن خثيم. (المصنف ٨/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣١٢.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي يعلى عن الربيع بن خثيم. بلفظ: «أتى عليها أمر الله».

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق عباد بن العوام به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٥١٥).

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

قال ابن جرير: والأولى قول من قال: ﴿حُشِرَتْ﴾ جمعت. قال الله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: ١٩] أي: مجموعة^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (٦) قال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، عن داود، عن سعيد بن المسيب قال: قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم؟ قال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقاً والبحر المسجور ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (٦)^(٢).

وقال ابن عباس وغير واحد: يرسل الله عليها الرياح الدبور، فتسعرها وتصير ناراً تأجج^(٣)، وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ (٦) [الطور].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد، حدثنا أبو طاهر، حدثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخ صالح يشبه مالك بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال: إن هذا البحر بركة؛ يعني: بحر الروم، وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس، فإذا كان يوم القيامة أسجر^(٤). وهذا أثر غريب عجيب.

وفي سنن أبي داود: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غازٍ فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً» الحديث^(٥). وقد تقدم الكلام عليه في سورة فاطر.

وقال مجاهد والحسن بن مسلم: ﴿سُجِّرَتْ﴾ أوقدت^(٦).

وقال الحسن: ييس^(٧).

وقال الضحاك وقتادة: غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة^(٨).

وقال الضحاك أيضاً: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فجرت^(٩).

وقال السدي: فتحت وصيرت.

وقال الربيع بن خثيم: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فاضت^(١٠).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧) أي: جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى: ﴿أَخْشَرُوا﴾ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ [الصافات: ٢٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الصباح البزار، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧)»

(١) ذكره الطبري بنحوه. (٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه مجالد ضعيف وشيخه مبهم.

(٤) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن معاوية بن سعيد.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٤٨ في آخرها.

(٦) معناه صحيح.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٨) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بنحوه، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظه.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي يعلى - وهو منذر الثوري - عن الربيع بن خثيم.

- قال: - الضرباء؛ كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله؛ وذلك بأن الله ﷻ يقول: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) فَأَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَبُ الْمَشْأَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْأَةِ (٩) وَالسَّيْفُونَ السَّيْفُونَ (١٠) [الواقعة] قال: هم الضرباء^(١). ثم رواه ابن أبي حاتم من طرق أخر عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧) فقال: تزوجها: أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم^(٢)، وفي رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار^(٣)، وفي رواية عن النعمان قال: سئل عمر عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧) قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار^(٤)، فذلك تزويج الأنفس. وفي رواية عن النعمان أن عمر قال للناس: ما تقولون في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧)؟ فسكتوا. قال: ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ (٥) [الصافات: ٢٢].

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧) قال: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة^(٦).

وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧) قال: والأمثال من الناس جمع بينهم^(٧)، وكذا قال الربيع بن خثيم والحسن وقتادة^(٨) واختاره ابن جرير، وهو الصحيح.

قول آخر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧):

قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثني أبي، عن أبيه، عن أشعث بن سوار، عن جعفر، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: يسيل وادٍ من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين، ومقدار ما بينهما أربعون عاماً، فینبت منه كل خلق بلي من الإنسان أو طير أو دابة، ولو مرّ عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الأرض قد نبتوا، ثم ترسل الأرواح فتزوج الأجساد فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧)^(٩)، وكذا قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبیر والشعبي والحسن البصري أيضاً في قوله

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الواقعة: آية ٧ - ١٠.

(٢) أخرجه الطبري من طريق سماك بن حرب عن النعمان به، وسنده حسن.

(٣) أخرجه الطبري من طريق سماك بن حرب عن النعمان به، وسنده حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق سماك بن حرب به. (المصنف ٨/ ١٥٤) وسنده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق سماك به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/ ٥١٦).

(٥) يشهد له ما سبق.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له قول عمر قبل ثلاث روايات.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي يعلى - وهو منذر الثوري - عن الربيع، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف - وهو الأعرابي - عن الحسن، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٩) سنده ضعيف لضعف أشعث بن سوار كما في التقريب.

تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ أي: زوجت بالأبدان^(١).

وقيل: زوج المؤمنون بالحدود العيون وزوج الكافرون بالشياطين. حكاه القرطبي في التذكرة^(٢).
وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ هكذا قراءة الجمهور ﴿سُئِلَتْ﴾. والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا؟. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ أي: سألت. وكذا قال أبو الضحى: سألت؛ أي: طالبت بدمها^(٣). وعن السدي وقادة مثله.

وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة:

فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني أبو الأسود وهو: محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة، عن عائشة، عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله ﷺ في ناس وهو يقول: «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم ولا يضر أولادهم ذلك شيئاً» ثم سأله عن العزل فقال رسول الله ﷺ: «ذلك الواد الخفي وهو الموءودة سئلت»^(٤). ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ وهو: عبد الله بن يزيد، عن سعيد بن أبي أيوب^(٥).

ورواه أيضاً ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن إسحاق السيلحيني، عن يحيى بن أيوب، ورواه مسلم أيضاً وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك بن أنس ثلاثهم عن أبي الأسود به^(٦).

وقال الإمام أحمد^(٧): حدثنا ابن أبي عدي، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن علقمة، عن سلمة بن يزيد الجعفي قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل، هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: «لا» قلنا: فإنها كانت وأدت أختاً لنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: «الوائدة والموءودة في النار، إلا أن يدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها»^(٨). ورواه النسائي من حديث

(١) أخرجه الطبري بعدة أسانيد يقوي بعضها بعضاً عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق داود عن عامر الشعبي.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٢١٣.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الأعمش عن مسلم، وهو أبو الضحى.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٤٣٤/٦)، وسنده صحيح.

(٥) صحيح مسلم، النكاح، باب جواز الغيلة (ح ١٤٤٢).

(٦) سنن ابن ماجه، النكاح، باب الغيل (ح ٢٠١١).

(٧) المصدر قبل السابق وسنن أبي داود، الطب، باب في الغيل (ح ٣٨٨٢)؛ وسنن الترمذي، الطب، باب ما جاء في الغيلة (ح ٢٠٧٨)؛ والسنن الكبرى، النكاح، باب الغيلة (ح ٥٤٨٥).

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٢٦٨/٢٥ ح ١٥٩٢٣) وقال محققوه: رجاله ثقات.. لكن في مثته نكارة.

داود بن أبي هند به^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن علقمة وأبي الأحوص، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «الواحدة والموءودة في النار»^(٢).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا إسحاق الأزرق، أخبرنا عوف، حدثني حسناء ابنة معاوية الصريمية، عن عمها قال: قلت يا رسول الله من في الجنة؟ قال: «النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والموءودة في الجنة»^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا قرة قال: سمعت الحسن يقول: قيل: يا رسول الله من في الجنة؟ قال: «الموءودة في الجنة»^(٤). هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن، ومنهم من قبله. وقال ابن أبي حاتم: حدثني أبو عبد الله الظهراني، حدثنا حفص بن عمر العدني، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال: قال ابن عباس: أطفال المشركين في الجنة فمن زعم أنهم في النار فقد كذب يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٥) قال ابن عباس: هي المدفونة.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾^(٦) قال: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وأدت بنات لي في الجاهلية قال: «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال: يا رسول الله إني صاحب إبل، قال: «فانحر عن كل واحدة منهن بدنة». قال الحافظ أبو بكر البزار: خولف فيه عبد الرزاق^(٦)، ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي عنه.

وقد رواه ابن أبي حاتم فقال: أخبرنا أبو عبد الله الظهراني - فيما كتب إلي - قال: حدثنا عبد الرزاق فذكره بإسناده مثله، إلا أنه قال: وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية، وقال في آخره: «فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة»^(٧).

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين قال: قدم قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وأدت

(١) أخرجه النسائي من طريق معتمر بن سليمان عن داود به. السنن الكبرى، التفسير، باب سورة التكوين (ح ١١٥٨٥).

(٢) سنده حسن ولكن متنه كمتن رواية المسند السابقة. (٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء: آية ١٥.

(٤) سنده ضعيف لأنه مرسل ويشهد له ما تقدم في قصة الإسراء والمعراج وما رآه في السماء السابعة من الأطفال المسلمين وأطفال غير المسلمين وأن مصيرهم في الجنة.

(٥) سنده ضعيف لضعف حفص بن عمر العدني، ويشهد له الحديث المشار إليه في قصة الإسراء والمعراج.

(٦) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثله، وأخرجه البزار عن الحسين بن مهدي عن عبد الرزاق به. (مختصر زوائد مسند البزار ١١٥/٢ ح ١٥٢٥) قال الهيثمي: ورجال البزار رجال الصحيح غير حسين بن مهدي الأيلي وهو ثقة. (مجمع الزوائد ١٣٤/٧) ولكن سماك بن حرب لم يسمع من النعمان.

(٧) سنده منقطع كسابقه.

اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية أو ثلاث عشرة قال: «أعتق عددهن نسماً» قال: فأعتق عددهن نسماً، فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال: يا رسول الله هذه صدقة قومي على أثر ما صنعت بالمسلمين. قال علي بن أبي طالب: فكنا نريها ونسميها القيسية^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۖ﴾ قال الضحاك: أعطي كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله.

وقال قتادة: صحيفتك يا ابن آدم تملي فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة، فلينظر الرجل ماذا يملي في صحيفته^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ﴾ قال مجاهد: اجتذبت^(٣). وقال السدي: كشفت.

وقال الضحاك: تنكشط فتذهب. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ۖ﴾ قال السدي: أحميت.

وقال قتادة: أوقدت قال: وإنما يسعها غضب الله وخطايا بني آدم^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْزِلَتْ ۖ﴾ قال الضحاك وأبو مالك وقاتادة والربيع بن خثيم: أي قربت إلى أهلها^(٥).

وقوله تعالى: ﴿عِلْمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۖ﴾ هذا هو الجواب؛ أي: إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۖ﴾ [آل عمران: ٣٠] وقال تعالى: ﴿يَبْنُوا لِلْإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۖ﴾ [القيامة].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة، حدثنا ابن المبارك، حدثنا محمد بن مطرف، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ﴾ قال عمر: لما بلغ ﴿عِلْمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۖ﴾ قال: لهذا أجرى الحديث^(٦).

﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْحَنَسِ ۖ﴾ الْجَوَارِ الْكُنَسِ ۖ ﴿١١﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَسَ ۖ ﴿١٢﴾ وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ ۖ ﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٤﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٥﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿١٦﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْيَمِينِ ﴿١٨﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿١٩﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ ﴿٢٠﴾ فَأَنَّى تَذَهَبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيزَ ﴿٢٣﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾.

روى مسلم في صحيحه والنسائي في تفسيره عند هذه الآية من حديث مسعر بن كدام، عن

(١) في سنده قيس بن الربيع وهو صدوق تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به. (التقريب ص ٤٥٧). وفيه مقال غير هذا. (ينظر: تهذيب التهذيب ٨/٣٩٣ - ٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) لم أجد من أخرجه ومعناه صحيح.

(٦) سنده مرسل لأن أسلم العدو لم يدرك نزول الآية، ولكن إذا سمع خبر النزول من عمر يكون السند صحيحاً.

الوليد بن سريع، عن عمرو بن حريث قال: صليت خلف النبي ﷺ الصبح فسمعتة يقرأ: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ۖ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۖ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ (١). ورواه النسائي، عن بNDAR، عن غندر، عن شعبة، عن الحجاج بن عاصم، عن أبي الأسود، عن عمرو بن حريث به نحوه (٢).

قال ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق الثوري، عن أبي إسحاق، عن رجل من مراد، عن علي ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ (٣) قال: هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل (٣).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، سمعت خالد بن عرعة، سمعت علياً وسئل عن: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ (٤) فقال: هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل (٤).

وحدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن خالد، عن علي قال: هي النجوم (٥). وهذا إسناد جيد صحيح إلى خالد بن عرعة وهو: السهمي الكوفي. قال أبو حاتم الرازي: روى عن علي وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً فالله أعلم، وروى يونس، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي: أنها النجوم (٦)، رواه ابن أبي حاتم. وكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي وغيرهم أنها النجوم (٧).

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا هوزة بن خليفة، حدثنا عوف، عن بكر بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ (٨) قال: هي النجوم الدراري التي تجري تستقبل المشرق (٨). وقال بعض الأئمة، إنما قيل للنجوم: الخنس؛ أي: في حال طلوعها، ثم هي جوار في فلکها وفي حال غيوبتها يقال لها: كنس، من قول العرب: أوى الظبي إلى كناسه، إذا تغيب فيه.

وقال الأعمش، عن إبراهيم قال: قال عبد الله: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ (٩) قال: بقر الوحش (٩).

(١) أخرجه مسلم من طريق خلف بن خليفة الأشجعي عن الوليد بن سريع به. (الصحيح، الصلاة، باب متابعة الإمام والعمل بعده (ح ٤٧٥)).

(٢) السنن الكبرى، التفسير، سورة التكوير (ح ١١٥٨٧).

(٣) أخرجه الطبري من طريق الثوري به. وسنده ضعيف لإبهام الراوي عن علي ويتقوى بما يليه إذا صُرَّح باسمه.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن، وقد أخرجه سعيد بن منصور، وحسن سنده الحافظ ابن حجر. (فتح الباري ٦٩٤/٨) وانظر ما يليه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه الحاكم من طريق سماك به. وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٥١٦) وكذا صححه الحافظ ابن كثير.

(٦) في سنده الحارث وهو الأعور الهمداني وهو ضعيف وقد تابعه خالد بن عرعة في الرواية السابقة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق الأعمش عن مجاهد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن البصري، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٩) أخرجه الطبري من طريق الأعمش به، بدون ذكر عبد الله وهو ابن مسعود، وسنده صحيح، وسيأتي موصولاً إلى ابن مسعود.

وكذا قال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، عن عبد الله ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْحَنَسِ﴾ (١٥) الْجَوَارِ الْكَنَسِ ﴿١٦﴾ ما هي يا عمرو؟ قلت: البقر. قال: وأنا أرى ذلك^(١)، وكذا روى يونس، عن أبي إسحاق، عن أبيه.

وقال أبو داود الطيالسي، عن عمرو، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿الْجَوَارِ الْكَنَسِ﴾ (١٦) قال: البقر تكنس إلى الظل^(٢)، وكذا قال سعيد بن جبير. وقال العوفي، عن ابن عباس هي الظباء^(٣)، وكذا قال سعيد أيضاً ومجاهد والضحاك^(٤). وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد: هي الظباء والبقر^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا هشيم، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْحَنَسِ﴾ (١٥) الْجَوَارِ الْكَنَسِ ﴿١٦﴾ فقال إبراهيم لمجاهد: قل فيها بما سمعت، قال: فقال مجاهد كنا نسمع فيها شيئاً وناس يقولون إنها النجوم، قال: فقال إبراهيم: قل فيها بما سمعت، قال: فقال مجاهد كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس في حجرتها، فقال إبراهيم إنهم يكذبون على علي^(٦)، هذا كما رووا عن علي أنه ضمن الأسفل الأعلى والأعلى الأسفل، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله: ﴿بِالْحَنَسِ﴾ (١٥) الْجَوَارِ الْكَنَسِ ﴿١٦﴾ هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش؟ قال: ويحتمل أن يكون الجميع مراداً^(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَأَلَيْلٍ إِذَا عَسَّسَ﴾ (٧) فيه قولان:

أحدهما: إقباله بظلامه، وقال: مجاهد أظلم^(٨).

وقال سعيد بن جبير: إذا نشأ^(٩).

وقال الحسن البصري: إذا غشي الناس^(١٠)، وكذا قال عطية العوفي^(١١).

وقال علي بن أبي طلحة والعوفي، عن ابن عباس: ﴿إِذَا عَسَّسَ﴾ إذا أدبر^(١٢)، وكذا قال

(١) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من طريق أبي إسحاق عن أبي ميسرة به، وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١٦/٢).

(٢) يشهد لقوله: البقر، الخبر السابق.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه.

(٥) أخرجه الطبري من طريق حجاج بن المنذر عن جابر بن زيد مقتصراً على ذكر البقر دون الظباء.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٧) ذكره الطبري بنحوه مطولاً.

(٨) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر ابن أبي المغيرة عن سعيد.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.

(١١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق الفضيل عن عطية.

(١٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن عطية به ويتقوى بسابقه.

مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ﴿إِذَا عَسَسَ﴾ أي: إذا ذهب فتولى^(١). وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البحتري سمع أبا عبد الرحمن السلمي قال: خرج علينا علي عليه السلام حين ثوب المَثُوبُ بصلاة الصبح فقال: أين السائلون عن الوتر؟ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ (٧) وَالضُّحَى إِذَا نَفَسَ (٨) هذا حين أدبر^(٢). حسن.

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾ إذا أدبر، قال: لقوله: ﴿وَالضُّحَى إِذَا نَفَسَ﴾ (٨) أي: أضاء، واستشهد بقول الشاعر أيضاً^(٣):

حتى إذا الصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسسا

أي: أدبر، وعندي أن المراد بقوله: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾ إذا أقبل وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضاً لكن الإقبال ههنا أنسب، كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل وبالفجر وضياؤه إذا أشرق كما قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١٠) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (١١) [الليل] وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١٢) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (١٣) [الضحى] وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦] وغير ذلك من الآيات.

وقال كثير من علماء الأصول: إن لفظة ﴿عَسَسَ﴾ تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما، والله أعلم.

وقال ابن جرير: وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسس دنا من أوله وأظلم، وقال الفراء: كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتاً.

عسس حتى لو يشأ أدنا كان له من ضوئه مقبس يريد لو يشاء إذ دنا أدغم الدال في الدال، قال الفراء: وكانوا يزعمون أن هذا البيت مصنوع^(٤). وقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى إِذَا نَفَسَ﴾ (٨) قال الضحاك: إذا طلع.

وقال قتادة: إذ أضاء وأقبل.

وقال سعيد بن جبیر: إذا نشأ، وهو المروي عن علي عليه السلام^(٥).

وقال ابن جرير: يعني ضوء النهار إذا أقبل وتبين^(٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٩) يعني: إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم؛ أي: ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر وهو: جبريل عليه الصلاة والسلام، قاله ابن عباس والشعبي وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم^(٧). ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كقوله

(١) أخرجه الطبري بالأسانيد الصحيحة المتقدمة عن مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بلفظ: «أدبر».

(٢) أخرجه الطبري والحاكم من طريق أبي حصين عن أبي عبد الرحمن به، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١٦/٢).

(٣) هو علقمة بن قُرط كما صرح معمر بن المثنى. (مجاز القرآن ٢/٢٨٨) والطبري.

(٤) ذكره الفراء واستشهد به. (معاني القرآن ٣/٢٤٢) والطبري.

(٥) تقدم تخريجه عنهم وبيان ألفاظهم. (٦) ذكره الطبري بلفظه.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن ابن عباس، وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم] أي: شديد الخلق شديد البطش والفعل ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي: له مكانة عند الله ﷻ ومنزلة رفيعة.

قال أبو صالح في قوله تعالى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ قال: جبريل يدخل في سبعين حجاباً من نور بغير إذن^(١) ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي: له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى.

قال قتادة: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي: في السموات^(٢)؛ يعني: ليس هو من أفناد الملائكة بل هو من السادة والأشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة.

وقوله تعالى: ﴿أَمِينٍ﴾ صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً أن الرب ﷻ يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل، كما زكى عبده ورسوله البشري محمداً ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝﴾ قال الشعبي وميمون بن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم: المراد بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝﴾ يعني: محمداً ﷺ^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَيْمَنِ ۝﴾ يعني: ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله ﷻ على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ﴿بِالْأَفْقِ الْأَيْمَنِ﴾ أي: البين، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ۝﴾ ثَمَّ دَنَا فَذَلَّكَ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۝﴾ [النجم] كما تقدم تفسير ذلك وتقديره، والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل ﷺ، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤيا وهي الأولى، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۝ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۝ إِذْ يَقْنُتُ السِّدْرَةَ مَا يَقْنُتُ ۝﴾ [النجم] فتلك إنما ذكرت في سورة النجم، وقد نزلت بعد سورة الإسراء.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝﴾ أي: وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين؛ أي: بمتهم ومنهم من قرأ ذلك بالضاد؛ أي: ببخيل بل يبذله لكل أحد^(٤).

قال سفيان بن عيينة: ظنين وضنين سواء؛ أي: ما هو بكاذب وما هو بفاجر، والظنين المتهم، والضمنين البخيل^(٥).

وقال قتادة: كان القرآن غيباً فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه^(٦) وبذله لكل من أَرَادَهُ، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد^(٧) واختار ابن جرير قراءة الضاد.

(١) أخرجه الطبري بسند فيه عمر بن شبيب المسلي وهو ضعيف. (التقريب ص ٤١٤).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: مطاع عند الله ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١].

(٣) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق معقل بن عبيد الله الجزري عن ميمون بن مهران.

(٤) القراءتان متواترتان.

(٥) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفيان.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(قلت): وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (١٥) أي: وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم؛ أي: لا يقدر على حمله ولا ينبغي له كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (١٦) ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (١٧) إِنْهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ [الشعراء]، وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (١٨)؟ أي: فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقاً من عند الله ﷻ؟ كما قال الصديق رضي الله عنه لو فد بني حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمة الكذاب الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال: ويحكم أين تذهب عقولكم؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل؛ أي: من إله^(١).

وقال قتادة: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (١٨) أي: عن كتاب الله وعن طاعته^(٢).

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٧) أي: هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (١٨) أي: من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه منجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩) أي: ليست المشيئة موكولة إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضلَّ، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين.

قال سفيان الثوري، عن سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى: لما نزلت هذه الآية ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (١٨) قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩)^(٣).

آخر تفسير سورة التكويد، والله الحمد والمنة.

(١) تقدم عزوه في تفسير سورة يونس آية ١٧.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف؛ لأنه مرسل.

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

وهي مكية

قال النسائي: أخبرنا محمد بن قدامة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن محارب بن دثار، عن جابر قال: قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ؟ أين كنت عن ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿وَالضُّحَى﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾»^(١) وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ في إفراد النسائي^(٢).

وقد تقدم من رواية عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة رأي عين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت﴾»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ ١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشََّتْ ٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ٤ عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ٥ بَيَّأَتْهَا الْإِنْسَانُ مَّا غَرَّكَ رَبُّكَ الْكَبِيرُ ٦ أَلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ١٠ كِرَامًا كَنِينِينَ ١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ١٢

يقول تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ أي: انشقت كما قال تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشََّتْ﴾ أي: تساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: فجر الله بعضها في بعض^(٤).

وقال الحسن: فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها^(٥).

وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها^(٦). وقال الكلبي: ملئت.

(١) أخرجه النسائي بسنده ومثته (السنن الكبرى، التفسير، سورة الانفطار ح ١١٥٨٨) وهو في الصحيحين كما يلي.

(٢) أخرجه الشيخان من حديث جابر رضي الله عنه بلفظ: اقرأ ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ و﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ونحوهما، (صحيح البخاري، الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متاولاً أو جاهلاً ح ٦١٠٦؛ وصحيح مسلم، الصلاة، باب القراءة في العشاء ح ٤٦٥) وقول الحافظ ابن كثير: ولكن ذكر ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ في أفراد النسائي، يشهد له قوله: ونحوهما.

(٣) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة التكويد. (٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ قال ابن عباس: بحث^(١).

وقال السدي: تبعر تحرك فيخرج من فيها^(٢) ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ أي: إذا كان هذا حصل هذا.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟ هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب؛ حيث قال: «الكريم» حتى يقول قائلهم: غرّه كرمه، بل المعنى في هذه الآية: ما غرّك يا ابن آدم بربك الكريم؛ أي: العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق. كما جاء في الحديث: «يقول الله تعالى يوم القيامة: يا ابن آدم ما غرّك بي؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟».

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، أن عمر سمع رجلاً يقرأ: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟ فقال عمر: الجهل^(٣).

وقال أيضاً: حدثنا عمر بن شيبة، حدثنا أبو خلف، حدثنا يحيى البكاء، سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ قال ابن عمر: غرّه - والله - جهله^(٤)، قال: وروي عن ابن عباس والربيع بن خثيم والحسن مثل ذلك^(٥).

وقال قتادة: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ شيء ما غرّ ابن آدم غير هذا العدو الشيطان^(٦).

وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي: ما غرّك بي؟ لقلت: ستورك المرخاة^(٧).

وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غرّك بربك الكريم؟ لقلت: غرني كرم الكريم^(٨).

قال البغوي: وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال: ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقته الإجابة^(٩)، وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل؛ لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور، وقد حكى البغوي عن الكلبي ومقاتل أنهما قالوا: نزلت هذه الآية في الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يعاقب في الحالة [الراهنه]^(١٠) فأنزل الله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(١١)؟

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ﴾ أي: ما غرّك بالرب الكريم ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ﴾ أي: جعلك سوياً مستقيماً معتدلاً القائمة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن السدي بلفظ: «انشت».

(٣) سنده ضعيف للانقطاع بين سفيان وعمر.

(٤) سنده ضعيف لضعف يحيى البكاء (التقريب ص ٥٩٧).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبه بسند ضعيف من طريق رجل مبهم عن الربيع بن خثيم. (المصنف ٨/ ٢١٠).

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) ذكره البغوي عن الفضيل بن عياض بدون سند. (معالم التنزيل ٤/ ٤٥٥).

(٨) ذكره البغوي عن أبي بكر الوراق بدون سند (معالم التنزيل ٤/ ٤٥٦).

(٩) المصدر السابق. (١٠) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(١١) ذكره البغوي (المصدر السابق) وسنده ضعيف لأنه معضل.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا جرير، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة، عن جبير بن نفير، عن بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال: «قال الله ﷻ: يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق وأنى أوان الصدقة؟» وكذا رواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون، عن جرير بن عثمان به^(١). قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: وتابعه يحيى بن حمزة، عن ثور بن يزيد، عن عبد الرحمن بن ميسرة^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قال مجاهد: في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم^(٣).

وقال ابن جرير: [حدثني محمد بن سنان القزاز، حدثنا مطهر بن الهيثم، حدثنا موسى بن علي بن رباح]^(٤)، حدثني أبي، عن جدي، أن النبي ﷺ قال له: «ما ولد لك؟» قال: يا رسول الله ما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية. قال: «فمن يشبه؟» قال: يا رسول الله من عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه. فقال النبي ﷺ عندها: «مه لا تقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم؟ أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾» قال: شكلك^(٥).

وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث مطهر بن الهيثم به^(٦)، وهذا الحديث لو صح لكان فيصلاً في هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت؛ لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن موسى بن علي وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات.

ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، قال: «هل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «فما ألوانها؟» قال: حُمْر، قال: «فهل فيها من أورك؟» قال: نعم، قال: «فأنى أتاها ذلك؟» قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: «وهذا عسى أن يكون نزعه عرق»^(٧).

وقد قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾: إن شاء في صورة قرد وإن شاء في صورة خنزير^(٨)، وكذا قال أبو صالح: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ إن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة خنزير^(٩).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النحل آية ٤. (٢) تحفة الأشراف ٩٧/٢.

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٤) زيادة من (ح) و(حم) وتفسير الطبري.

(٥) وسنده ضعيف جداً لأن مطهر بن الهيثم: متروك كما قرر الحافظ ابن كثير.

(٦) (المعجم الكبير ٧٤/٥ ح ٤٦٢٤) وسنده كسابقه.

(٧) صحيح البخاري، الطلاق، باب إذا عَرَضَ بنفي الولد (ح ٥٣٠٥)؛ وصحيح مسلم، اللعان (ح ١٥٠٠).

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة.

(٩) أخرجه الرامهرمزي بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح. (الأمثال ص ٩٤).

وقال قتادة: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قال: قادر والله ربنا على ذلك، ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله ﷻ قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّابُونَ بِالَّذِينَ﴾ أي: إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كَرَامًا كَنِينًا ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعني: وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان ومسعر، عن علقمة بن مرثد، عن مجاهد، عن ابن عباس: قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه»^(١).

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال: حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن حفص بن سليمان، عن علقمة بن مرثد، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند ثلاث حالات: الغائط والجنابة والغسل، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببعيره» ثم قال حفص بن سليمان: لين الحديث وقد روي عنه واحتمل حديثه^(٢).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا ميثر بن إسماعيل الحلبي، حدثنا تمام بن نجيع، عن الحسن يعني: البصري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من حافظين يرفعان إلى الله ﷻ ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله تعالى: قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة» ثم قال: تفرد به تمام بن نجيع وهو صالح الحديث^(٣).

(قلت): وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبو زرعة وابن أبي حاتم والنسائي وابن عدي ورماه ابن حبان بالوضع وقال الإمام أحمد: لا أعرف حقيقة أمره.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقلوسي، حدثنا بيان بن حمران، حدثنا سلام، عن منصور بن زاذان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يعرفون بني آدم - وأحسبه قال: ويعرفون أعمالهم - فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا: أفلح الليلة فلان، نجا الليلة فلان، وإذا

(١) رجاله ثقات وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البزار بسنده ومثله وتعليقه (مختصر زوائد مسند البزار ١/ ١٨١ ح ٢٠٥).

(٣) أخرجه البزار بسنده ومثله وتعليقه (المصدر السابق ٢/ ٤٦٢ ح ٢٢١٧).

نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا: هلك الليلة فلان»، ثم قال البزار: سلام هذا أحسبه سلام المدائني، وهو: لين الحديث^(١).

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم، وهم الذين أطاعوا الله ﷻ ولم يقابلوه بالمعاصي، وقد روى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد، عن هشام بن عمار، عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق، عن عبيد الله، عن محارب، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إنما سمّاهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء»^(٢).

ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾﴾ أي: يوم الحساب والجزاء والقيامة ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي: لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكده بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾﴾ ثم فسره بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴿١٩﴾﴾ أي: لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، ونذكر ههنا حديث: «يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئاً» وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء^(٣). ولهذا قال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ كقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٦] وكقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٦] وكقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٩﴾﴾ [الفاتحة].

[قال]^(٤) قتادة: ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ والأمر والله اليوم لله، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد^(٥).

آخر تفسير سورة الانفطار، والله الحمد.

(١) أخرجه البزار بسنده ومثله وتعليقه، وأضاف الحافظ ابن حجر قوله في سلام: بل متروك. فالسند ضعيف جداً. (المصدر السابق ٢/٤٥١ ح ٢١٩٥).

(٢) تاريخ دمشق ١٧/٤٠٠ وسنده فيه موسى بن محمد وهو مقبول. (التقريب ص ٥٥٣) وهشام بن عمار: صدوق كبير فصار يتلقن. (التقريب ص ٥٧٣).

(٣) تقدم تخريجه في الآية ٢١٤.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَبِئْسَ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾.

قال النسائي وابن ماجه: أخبرنا محمد بن عجيل، زاد ابن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قالوا: حدثنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي، عن يزيد وهو: ابن أبي سعيد النحوي مولى قريش، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِلْمُطَفِّفِينَ (١)﴾ فحسبوا الكيل بعد ذلك^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا جعفر بن النضر بن حماد، حدثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن هلال بن طلق قال: بينما أنا أسير مع ابن عمر فقلت: من أحسن الناس هيئة وأوفاهم كيلاً أهل مكة أو أهل المدينة قال: حق لهم، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَبِئْسَ لِلْمُطَفِّفِينَ (١)﴾^(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو السائب، حدثنا ابن فضيل، عن ضرار، عن عبد الله المكتب، عن رجل، عن عبد الله قال: قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل، قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِلْمُطَفِّفِينَ (١)﴾ حتى بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾^(٣).

والمراد بالتطفيف ههنا: البخس في المكيال والميزان إما بالزيادة إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم، ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله

(١) السنن الكبرى للنسائي، التفسير، سورة المطففين (ح ١١٥٩٠)؛ وسنن ابن ماجه، التجارات، باب التوقي في الكيل والوزن (ح ٢٢٢٣)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٨٠٨)؛ وأخرجه ابن حبان (الإحسان ٢٠٨/٧ ح ٤٨٩٨)؛ والحاكم كلاهما من طريق علي بن الحسين بن واقد به؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرک ٣٣/٢) وصححه سننه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٦٩٥/٨) والسيوطي (لباب النقول ص ٢٢٨).

(٢) في سننه عبد الله بن الحارث وهو الكندي مقبول (التقريب ص ٢٩٩)، ومحمد بن عبيد وهو الكندي الكوفي مقبول أيضاً (التقريب ص ٤٩٥).

(٣) أخرجه الطبري من طريق عبيد المكتب عن عبد الله، وسنده منقطع لأن عبيد المكتب لم يسمع من عبد الله وهو ابن مسعود.

تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي: من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: يأخذون حقهم بالوافي والزائد ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أي: ينقصون، والأحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعدياً ويكون هم في محل نصب، ومنهم من يجعلها ضميراً مؤكداً للمستتر في قوله: كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه، وكلاهما متقارب.

وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ السِّتَمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥] وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩] وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال.

ثم قال تعالى متوعداً لهم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [٤] ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٥]؟ أي: ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب، من خسر فيه أدخل ناراً حامية؟

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦] أي: يقومون حفاة عراة غرلاً في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه.

قال الإمام مالك، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»^(١). رواه البخاري من حديث مالك وعبد الله بن عون كلاهما عن نافع به، ورواه مسلم من الطريقتين أيضاً، وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبيد الله ابنا عمر ومحمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر به^(٢).

ولفظ الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا ابن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن ﷻ يوم القيامة، حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف أذانهم»^(٣).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا ابن المبارك، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني سليم بن عامر، حدثني المقداد؛ يعني: ابن الأسود الكندي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين - قال: - فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عقبه ومنهم من يأخذه إلى ركبته، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يُلجمه إلجاماً»^(٤). رواه مسلم عن الحكم بن موسى، عن يحيى بن حمزة والترمذي عن سويد، عن ابن

(١) سنده صحيح من أعلى الأسانيد العالية لأنه ثنائي.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين] (ح ٤٩٣٨)؛ وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة يوم القيامة (ح ٢٨٦٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣١/٢) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وصححه سنده محققوه. (المسند ٣٩/٢٣٥ ح ٢٣٨١٣).

المبارك، كلاهما عن ابن جابر به^(١).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، أن أبا عبد الرحمن حدثه، عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا كذا، تغلي منها الهوام كما تغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق»^(٢). انفرد به أحمد.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو عشانة حيي بن يؤمن أنه سمع عقبه بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقيقه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ العجز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه، رأيت رسول الله ﷺ يشير بيده هكذا - ومنهم من يغطيه عرقه» وضرب بيده إشارة^(٣)، انفرد به أحمد، وفي حديث: «أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون»، وقيل: يقومون ثلاثمائة سنة، وقيل: يقومون أربعين ألف سنة، ويقضي بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»^(٤).

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عون الزياتي، أخبرنا عبد السلام بن عجلان، سمعت أبا يزيد المدني، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري: «كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر؟» قال بشير: المستعان الله، قال: «فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب» ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به^(٥).

وفي سنن أبي داود: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة^(٦).

وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعي رؤوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وفاجرهم^(٧).

(١) صحيح مسلم، صفة الجنة ونعيمها، باب صفة يوم القيامة (ح ٢٨٦٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وحسن سنده محققوه (المسند ٥٢٣/٣٦ ح ٢٢١٨٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، (المسند ١٥٧/٤) وفي سنده ابن لهيعة فيه مقال ويتقوى بالشواهد السابقة فيكون سنده حسناً لغيره.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة المعارج: آية ٤.

(٥) أخرجه الطبري من طريق عبد السلام بن عجلان به، وسنده ضعيف لضعف عبد السلام. (لسان الميزان ١٦/٤).

(٦) أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها. (السنن، الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ح ٧٦٦)؛ وقال الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن أبي داود ح ٦٩٣).

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه شريك.

وعن ابن عمر: يقومون مائة سنة رواهما ابن جرير^(١).

وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب، عن معاوية بن صالح، عن أزهر بن سعيد الحواري، عن عاصم بن حميد، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يفتح قيام الليل: يكبر عشراً ويحمد عشراً، ويسبح عشراً ويستغفر عشراً ويقول: «اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني» ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة^(٢).

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلَ يَوْمَئِذٍ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا ثُلَّى عَلَيْهِ ءَانُنَا قَالَ أَسْطِيفُ ﴿١٣﴾ الْآوَلِينَ ﴿١٤﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى: حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ أي: أن مصيرهم ومأواهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق، كما يقال: فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك، ولهذا عظم أمره فقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾؟ أي: هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم، ثم قد قال قائلون: هي تحت الأرض السابعة، وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه الطويل: يقول الله ﷻ في روح الكافر: اكتبوا كتابه في سجين. وسجين هي تحت الأرض السابعة^(٣)، وقيل: صخرة تحت الأرض السابعة خضراء، وقيل: بئر في جهنم.

وقد روى ابن جرير في ذلك حديثاً غريباً منكراً لا يصح فقال: حدثنا إسحاق بن وهب الواسطي، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي، حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي، عن شعيب بن صفوان، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «الفلق جبٌّ في جهنم مغطى، وأما سجين فمفتوح»^(٤). والصحيح أن سجيناً مأخوذ من السجن وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيّق إلى المركز في وسط الأرض السابعة، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين] وقال ههنا: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان].

وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾﴾ ليس تفسيراً لقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ وإنما هو تفسير

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه أبو بكر وهو ابن عياش.

(٢) سنن أبي داود، الحديث السابق نفسه، وسنن النسائي، قيام الليل، باب ذكر ما يستفتح به القيام ٢٠٨/٣؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل (ح ١٣٥٦)؛ وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ح ١١١٥).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ٢٧.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وضعفه الحافظ ابن كثير.

لما كتب لهم من المصير إلى سجين؛ أي: مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزداد فيه أحد ولا ينقص منه أحد. قاله محمد بن كعب القرظي.

ثم قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٦) أي: إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السجن والعذاب المهين، وقد تقدم الكلام على قوله: ﴿وَيْلٌ﴾ بما أغنى عن إعادته، وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال: ويل لفلان، وكما جاء في المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس، ويل له، ويل له»^(١).

ثم قال تعالى مفسراً للمكذبين الفجار الكفرة: ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ (١٦) أي: لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (١٧) أي: معتد في أفعاله؛ من تعاطي الحرام والمجازاة في تناول المباح والأثيم في أقواله إن حدث كذب، وإن وعد أخلف، وإن خاصم فجر.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا ثُلُثَ عَلَيْهِ مَائِنًا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) أي: إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رِيكُكُمْ قَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) [النحل] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٥) [الفرقان].

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٦) أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا أن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٦).

والرين يعتري قلوب الكافرين، والغيم للأبرار، والغين للمقربين.

وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان، عن الققعاق بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٦)». وقال الترمذي: حسن صحيح، ولفظ النسائي «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٦)»^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٥/٥)؛ وأبو داود، السنن، الأدب، باب التشديد في الكذب (ح ٤٩٩٠)؛ والترمذي (السنن، الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس ح ٢٣١٦)؛ والنسائي (السنن الكبرى التفسير ح ١١١٢٦)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤١٧٥).

(٢) أخرجه الطبري والترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة المطففين ح ٣٣٣٤)، والنسائي (السنن الكبرى، التفسير، باب قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ح ١١٦٥٨)؛ وابن ماجه (السنن، الزهد، باب ذكر الذنوب ح ٤٢٤٤)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٤١٧/٢؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥/١).

وقال أحمد: حدثنا صفوان بن عيسى، أخبرنا ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، وذاك الران الذي ذكر الله في القرآن ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(١).

وقال الحسن البصري: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت^(٢)، وكذا قال مجاهد بن جبير وقتادة وابن زيد وغيرهم^(٣).

وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوُونَ﴾^(٤) أي: لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم.

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه ﷻ يومئذ^(٥)، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٧﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٨﴾﴾ [القيامة]، وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم ﷻ في الدار الآخرة رؤية بالآبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنات الفاخرة.

وقد قال ابن جرير: [حدثني محمد بن عمار الرازي]^(٦)، حدثنا أبو معمر المقري، حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوُونَ﴾^(٧) قال: يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية. أو كلاماً هذا معناه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾^(٨) أي: ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران ﴿ثُمَّ هَآؤَ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْدِبُونَ﴾^(٩) أي: يقال لهم ذلك على وجه التقرير والتوبيخ والتصغير والتحقير^(١٠).

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْشُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُ مِسْكِ ﴿٢٦﴾ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٧﴾ وَمِرَاجُهُمْ مِنْ تَتْنِيمٍ ﴿٢٨﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى: حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ وهم بخلاف الفجار ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ أي: مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: إسناده قوي. (المسند ٣٣٤/١٣ ح ٧٩٥٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٣) أخرجه آدم والطبري بعدة أسانيد صحيحة عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه البيهقي عن الشافعي. (مناقب الشافعي ٤١٩/١).

(٥) زيادة من تفسير الطبري.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه آدم بن أبي إياس عن أبي معمر المقري به. وسنده مرسل، وفي عمرو بن عبيد مقال. (التقريب ص ٤٢٤).

قال الأعمش: عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر عن ﴿سَيِّئِينَ﴾ [المطففين: ٧] قال: هي الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار، وسأله عن ﴿عَلِيِّينَ﴾ فقال: هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين^(١). وهكذا قال غير واحد: إنها السماء السابعة^(٢). وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (١٨) يعني: الجنة^(٣).

وفي رواية العوفي عنه: أعمالهم في السماء عند الله^(٤). وكذا قال الضحاك: وقال قتادة: عليون: ساق العرش اليمنى^(٥).

وقال غيره: عليون: عند سدرة المنتهى^(٦)، والظاهر: أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، ولهذا قال تعالى معظماً أمره ومفخماً شأنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ (١٨) ثم قال تعالى مؤكداً لما كتب لهم: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ (٢٠) يَشْهَدُ الْمَقْرُونُ (٢١) وهم الملائكة. قاله قتادة^(٧).

وقال العوفي، عن ابن عباس: يشهده من كل سماء مقربوها^(٨).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢٢) أي: يوم القيامة هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عظيم ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ وهي السرر تحت الحجال ينظرون قيل: معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبداً.

وقيل: معناه ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٢٣) إلى الله ﷻ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (٢٥) فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله ﷻ وهم على سررهم وفرشهم، كما تقدم في حديث ابن عمر: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أعلاه لمن ينظر إلى الله في اليوم مرتين»^(٩).

وقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٢٤) أي: تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم؛ أي: صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم.

وقوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ (٢٥) أي: يسقون من خمر من الجنة، والرحيق من أسماء الخمر، قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقاتدة وابن زيد^(١٠).

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بسابقه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الأجلح عن الضحاك، وسبب ضعفه أنه معضل. ومثل هذا لا يؤخذ إلا عن الوحي.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به بلفظ: «كل أهل سماء».

(٩) تقدم تخريجه في تفسير سورة القيامة: آية ٢٢.

(١٠) أخرجه ابن أبي شيبة والطبري بسند صحيح من طريق مسروق عن ابن مسعود (المصنف ٨/ ٨٧)؛ وأخرجه =

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا زهير، عن سعد أبي المجاهد الطائي، عن عطية بن سعد العوفي، عن أبي سعيد الخدري - أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ - قال: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا شُرْبَةَ مَاءٍ عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا ثَوْبًا عَلَى عَرِي كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ»^(١).

وقال ابن مسعود في قوله: ﴿خَتَمُكُمْ مِسْكٌ﴾: أي خلطه مسك^(٢).

وقال العوفي، عن ابن عباس: طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك^(٣)، وكذا قال قتادة والضحاك.

وقال إبراهيم والحسن: ﴿خَتَمُكُمْ مِسْكٌ﴾ أي: عاقبته مسك^(٤).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن وضاح، حدثنا أبو حمزة، عن جابر، عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي الدرداء ﴿خَتَمُكُمْ مِسْكٌ﴾ قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها^(٥).

وقال ابن أبي نجيع، عن مجاهد: ﴿خَتَمُكُمْ مِسْكٌ﴾ قال: [طينه]^(٦) مسك^(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أي: وفي مثل هذا الحال فليتنافس المتنافسون وليتباها ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون، كقوله تعالى: ﴿لِيُنْزِلَ هَذَا فَلَيعْمَلَ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات].

وقوله تعالى: ﴿وَمَزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ أي: ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم؛ أي: من شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه. قاله أبو صالح والضحاك، ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يشربها المقربون صرفاً وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً.

= الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد. وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٣/٣) وسنده ضعيف لضعف عطية العوفي.

(٢) أخرجه الطبري والحاكم من طريق علقمة بن قيس عن ابن مسعود وصححه الحاكم؛ ووافقه الذهبي (المستدرک ٥١٧/٢).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بسابقه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي حمزة عن إبراهيم والحسن.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وأخرجه آدم بن أبي إياس من طريق شيبان بن عبد الرحمن عن جابر به، وجابر هو الجعفي من تلاميذ شيبان بن عبد الرحمن (ينظر: تهذيب الكمال ٥٩٣/١٢) وسنده ضعيف لضعف جابر الجعفي (التقريب ص ١٣٧).

(٦) كذا في (ح) وتفسير الطبري وفي الأصل صحف إلى: «طيه».

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

[قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم] (١) (٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُبَّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين؛ أي: يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم؛ أي: محتقرين لهم ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (٣١) أي: وإذا انقلب؛ أي: رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبون إليها فاكهين؛ أي: مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ (٣٢) أي: لكونهم على غير دينهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ (٣٣) أي: وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كلفوا بهم؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم، كما قال تعالى: ﴿قَالَ أَخَسُّوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوْا﴾ (١٧٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٧٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءً حَتَّىٰ أَفْسَدْتُمْ فِيهِمْ دِينَهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٨٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [المؤمنون] ولهذا قال ههنا: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ أي: في مقابلة ما ضحك بهم أولئك ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٣٥) أي: إلى الله ﷻ في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ ثُبَّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٦)؟ أي: هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا؟ يعني: قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله. آخر تفسير سورة المطففين، والله الحمد والمنة.

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل وردت قبل ذكر قوله: «ولهذا قال».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة والطبري بسند صحيح من طريق مسروق عن ابن مسعود (المصنف ٨/٨٧). وأخرجه عبد الرزاق بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقول مسروق تقدم ضمن رواية ابن مسعود كما في سابقه، وقول قتادة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه.

سُورَةُ الْأَنْشُقُقِ

قال مالك، عن عبد الله بن يزيد، عن أبي سلمة، أن أبا هريرة قرأ بهم: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها^(١)، رواه مسلم والنسائي من طريق مالك به^(٢).

وقال البخاري: حدثنا أبو النعمان، حدثنا معتمر، عن أبيه، عن بكر، عن أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد، فقلت له. فقال: سجدت خلف أبي القاسم ﷺ، فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه^(٣)، ورواه أيضاً عن مسدد، عن معتمر به. ثم رواه عن مسدد، عن يزيد بن زريع، عن التيمي، عن بكر، عن أبي رافع فذكره^(٤). وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن سليمان بن طرخان التيمي به، وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة، زاد النسائي وسفيان الثوري كلاهما عن أيوب بن موسى، عن عطاء بن ميناء، عن أبي هريرة، قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ﴿١﴾ و﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿٢﴾^(٥) [العلق].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلُ الْإِلَهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِم بَصِيرًا ﴿١٥﴾.

يقول تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ﴿١﴾ وذلك يوم القيامة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: استمعت لربها

(١) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثله بلفظ قرأ لهم (الموطأ، القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن ح ٢٠٥/١) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم من طريق مالك به. (الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة ح ٥٧٨) وكذا النسائي. (السنن الكبرى، التفسير، سورة الانشقاق ح ١١٥٩٦).

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله. (الصحيح، الأذان، باب الجهر في العشاء ح ٧٦٦).

(٤) أخرجه البخاري عن مسدد به (الصحيح، الأذان، باب القراءة في العشاء بالسجدة ح ٧٦٨).

(٥) صحيح مسلم، المساجد، باب سجود التلاوة (ح ١١٠/٥٧٧ و ١٠٨/٥٧٧)؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب السجود في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق] (ح ١٤٠٧)؛ والسنن الكبرى للنسائي، الافتتاح، باب السجود في ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (ح ١٠٣٩).

وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق، وذلك يوم القيامة ﴿وَحُفَّتْ﴾ أي: وُحِقَ لها أن تطيع أمره؛ لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء وذلَّ له كل شيء، ثم قال: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي: بسطت وفرشت ووسعت.

قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين، أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة مدَّ الله الأرض مدَّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه، فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها، فأقول: يا ربِّ إن هذا أخبرني، أنك أرسلته إليَّ. فيقول الله ﷻ: صدق ثم أشفع، فأقول: يا ربِّ عبادك عبدوك في أطراف الأرض، قال: وهو المقام المحمود»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي: ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلَّت منهم. قاله مجاهد وسعيد و قتادة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾^(٢) كما تقدم.

وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أي: إنك ساع إلى ربك سعيًا وعامل عملًا ﴿فَلْيَقْبِهِ﴾ ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر. ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسي عن الحسن بن أبي جعفر، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»^(٣).

ومن الناس من يعيد الضمير على قوله: ﴿رَبِّكَ﴾؛ أي: فملاق ربك، ومعناه: فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك، وعلى هذا فكلا القولين متلازم.

قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ يقول: تعمل عملًا تلقى الله به خيراً كان أو شراً^(٤).

وقال قتادة: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ إن كدحك يا ابن آدم لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله^(٥).

ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْتَبُهُ بِمِيزَانٍ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً بلا تعسير؛ أي: لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله، فإن من حوسب كذلك هلك لا محالة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، أخبرنا أيوب، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب عذب» قالت: فقلت: أفليس قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: «ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثنه، وسنده ضعيف لأنه مرسل، ويشهد لقوله: وهو المقام المحمود ما ورد في تفسير سورة الإسراء: آية ٧٩ في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُومًا﴾.

(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطيالسي بسنده ومثنه (المسند ص ٢٤٢ ح ١٧٥٥) وسنده ضعيف لضعف الحسن بن أبي جعفر وهو الجفري (التقريب ص ١٥٩).

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

الحساب يوم القيامة عُذْبٌ^(١). وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب السخيتاني به^(٢).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا أبو عامر الخزاز، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذباً» فقلت: أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾^(٣)؟ قال: «ذاك العرض إنه من نوقش الحساب عُذْبٌ» وقال بيده على إصبه [كأنه]^(٤) ينكت^(٥)، وقد رواه أيضاً عن عمرو بن علي، عن ابن أبي عدي، عن أبي يونس القشيري، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة فذكر الحديث^(٦)، أخرجاه من طريق أبي يونس القشيري واسمه: حاتم بن أبي صغيرة^(٧) به.

قال ابن جرير: حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا مسلم، عن الحريش بن الخريت أخي الزبير، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: من نوقش الحساب - أو من حوسب - عُذْبٌ. قال: ثم قالت: إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم^(٨).

وقال أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلواته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً» فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه؛ إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك»^(٩). صحيح على شرط مسلم.

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾^(١٠) أي: ويرجع إلى أهله في الجنة. قاله قتادة والضحاك^(١١)، «مَسْرُورًا» أي: فرحاً مغتبطاً بما أعطاه الله ﷻ.

وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال: «إنكم تعملون أعمالاً لا تعرف، ويوشك الغائب أن يثوب إلى أهله فمسرور أو مكظوم»^(١٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٧/٦) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق] (ح ٤٩٣٩)؛ وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب (ح ٢٤٢٨)؛ والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، سورة الانشقاق (ح ١١٥٩٥).

(٣) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل صحت إلى: «فإنه».

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته بلفظ: «ينكته» وفي سنده ابن وكيع وهو سفيان بن وكيع فيه مقال ولكنه توبع فيتقوى بسابقه.

(٥) أخرجه الطبري عن عمرو بن علي به، وسنده صحيح.

(٦) صحيح البخاري، التفسير، (ح ٤٩٣٩)؛ وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب (ح ٢٨٧٦/٨٠).

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثته؛ أخرجه الحاكم من طريق الحريش بن الخريت وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: «الحريش»؛ قال البخاري: في حديثه نظر (المستدرک ٥٨٠/٤) ويتقوى بما سبق.

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٨/٦) وسنده حسن.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «إلى أهل أعداء الله لهم الجنة».

(١٠) أخرجه الطبراني بسند ضعيف (المعجم الكبير ٩٤/٢ ح ١٤١٦) وفي سنده يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف (معجم الزوائد ٢٣٤/١٠).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كَيْلَهُمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٥) أي: بشماله من وراء ظهره تشنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ (١٦) أي: خساراً وهلاكاً ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ (١٧) إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مَسْرُورًا (١٨) أي: فرحاً لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل.

﴿إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ لَنْ يَحْجُوزَ﴾ (١٩) أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته. قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما^(١)، والحدود هو: الرجوع. قال الله: ﴿يَلْحَظُ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ (٢٥) يعني: بلى سعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها، فإنه كان به بصيراً؛ أي: عليمًا خبيراً.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (٢١) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (٢٢) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (٢٣) لَتَرْكُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقِ (٢٤) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٥) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢٦) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ (٢٧) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٨) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٩) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٣٥).

روي عن علي وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وشداد بن أوس وابن عمر ومحمد بن علي بن الحسين ومكحول ويكر بن عبد الله المزني وبكير بن الأشج ومالك وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون أنهم قالوا: الشفق: الحمرة^(٢).

وقال عبد الرزاق: عن معمر، عن ابن خثيم، عن ابن لبيبة، عن أبي هريرة قال: الشفق: البياض^(٣)، فالشفق: هو حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس؛ كما قاله مجاهد، وإما بعد غروبها؛ كما هو معروف عند أهل اللغة.

قال الخليل بن أحمد: الشفق: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفق.

وقال الجوهري: الشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة، وكذا قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء.

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وقت المغرب ما لم يغب الشفق»^(٤)، ففي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٣٣٣/١)؛ والطبري بسند صحيح من طريق العوام بن حوشب عن مجاهد؛ وعزاه السيوطي إلى سمويه في «فوائده» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ وأخرجه عبد الرزاق عن عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر (المصنف ٥٥٩/١ رقم ٢١٢٢)؛ وفي سنده عبد الله بن نافع وهو ضعيف. (التقريب ص ٣٢٦)؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند حسن عن محمد بن راشد عن مكحول عن ثور بن يزيد. (المصنف ٥٥٩/١ رقم ٢١٢١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسنده ومثله. وسنده ضعيف لضعف ابن لبيبة (التقريب ص ٤٩٣) وأيضاً فهو لم يسمع من أبي هريرة.

(٤) صحيح مسلم، المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس (ح ٦١٢).

ولكن صحَّ عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (١٦) هو النهار كله (١)، وفي رواية عنه أيضاً أنه قال: الشفق الشمس (٢). رواهما ابن أبي حاتم، وإنما حمّله على هذا قرنه بقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾ (١٧) أي: جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام.

وقال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مدبراً وبالليل مقبلاً (٣).

وقال ابن جرير: وقال آخرون: الشفق اسم للحمرة والبياض. وقالوا: هو من الأضداد (٤).

قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ وما جمع (٥).

قال قتادة: وما جمع من نجم ودابة (٦)، واستشهد ابن عباس بقول الشاعر:

مستوسقات لو يجدن سائقاً (٧)

وقال عكرمة: ﴿وَاللَّيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾ (١٧) يقول ما ساق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه (٨).

وقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا آسَقَ﴾ (١٨) قال ابن عباس: إذا اجتمع واستوى (٩)، وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد (١٠).

﴿وَالْقَمَرَ إِذَا آسَقَ﴾ (١٨) إذا استوى. وقال الحسن: إذا اجتمع إذا امتلاً (١١)، وقال قتادة: إذا استدار (١٢). ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلاً لليل وما وسق.

وقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩) قال البخاري: أخبرنا سعيد بن النضر، أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد قال: قال ابن عباس: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩) حالاً بعد حال، قال: هذا نبيكم ﷺ (١٣)، هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ. وهو محتمل أن يكون ابن

(١) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه (المصنف ١/٣٣٣)؛ والطبري بسند حسن من طريق العوام بن حوشب عن مجاهد بلفظ: «إن الشفق من الشمس».

(٣) ذكره الطبري بلفظه. (٤) ذكره الطبري بلفظه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) هذا الشطر تمة لرواية ابن عباس السابقة وقد استشهد به أبو عبيدة معمر بن المثنى (مجاز القرآن ٢/٢٩٢).

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق علي بن الحسن، وهو ابن شقيق المروزي، عن حسين، وهو ابن واقد المروزي، عن عكرمة.

(٩) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(١٠) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة؛ وأخرجه أيضاً آدم والطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد، وأخرجه أيضاً الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(١٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(١٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق] ح ٤٩٤٠).

عباس أسند هذا التفسير عن النبي ﷺ كأنه قال: سمعت هذا من نبيكم ﷺ، فيكون قوله نبيكم مرفوعاً على الفاعلية من قال، وهو الأظهر، والله أعلم كما قال أنس: لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم ﷺ^(١).

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد، أن ابن عباس كان يقول: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قال يعني: نبيكم ﷺ يقول: «حالا بعد حال»^(٢)، وهذا لفظه.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حالا بعد حال^(٣). وكذا قال عكرمة ومرة الطيب ومجاهد والحسن والضحاك ومسروق وأبو صالح^(٤).

ويحتمل أن يكون المراد ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حالا بعد حال، قال هذا. يعني المراد بهذا نبيكم ﷺ فيكون مرفوعاً على أن هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبراً والله أعلم، ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة كما قال أبو داود الطيالسي وغندر: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قال: محمد ﷺ^(٥). ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لَتَرْكَبَنَّ بفتح التاء والباء^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن إسماعيل، عن الشعبي: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قال: لتركبني يا محمد سماء بعد سماء^(٧). وهكذا روي عن ابن مسعود ومسروق وأبي العالية ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ سماء بعد سماء^(٨). (قلت: يعنون ليلة الإسراء).

وقال أبو إسحاق والسدي، عن رجل، عن ابن عباس: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ منزلاً على منزل^(٩)، وكذا رواه العوفي، عن ابن عباس مثله وزاد: ويقال: أمراً بعد أمر وحالاً بعد حال^(١٠).

- (١) صحيح البخاري، الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه (ح٧٠٦٨).
- (٢) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده صحيح؛ وأخرجه الحاكم من طريق هشيم به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١٩/٢).
- (٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.
- (٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة، وأخرجه عبد الرزاق بسند حسن من طريق موسى بن أبي عائشة عن مرة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.
- (٥) سنده صحيح. (٦) وهي قراءة متواترة.
- (٧) أخرجه الطبري من طريق وكيع عن إسماعيل به، وسنده صحيح.
- (٨) أخرجه الطبري والحاكم من طريقين يقوي أحدهما الآخر (المستدرک ٥١٨/٢)؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن وأبي العالية.
- (٩) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري عن أبي إسحاق عن رجل حدثه عن ابن عباس.
- (١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

وقال السدي نفسه: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١) أعمال مَنْ قبلكم منزلاً بعد منزل. (قلت): كأنه أراد معنى الحديث الصحيح: «لتركبن سنن مَنْ كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى قال: «فمن؟» (٢). وهذا محتمل.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة، حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولاً يقول في قول الله: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (٣) قال: في كل عشرين سنة تحدثون أمراً لم تكونوا عليه (٤).

وقال الأعمش: حدثنا إبراهيم قال: قال عبد الله: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (٥)، قال: السماء تشقق ثم تحمر ثم تكون لوناً بعد لون (٦).

وقال الثوري، عن [قيس] (٧) بن وهب، عن مرة، عن ابن مسعود: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (٨) قال: السماء مرة كالدهان ومرة تنشق (٩).

وروى البزار من طريق جابر الجعفي، عن الشعبي، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٠) يا محمد يعني حالاً بعد حال، ثم قال: ورواه جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس (١١).

وقال سعيد بن جبير ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٢) قال: قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة، وآخرون كانوا أشرافاً في الدنيا فاتضعوا في الآخرة (١٣).

وقال عكرمة: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٤) حالاً بعد حال فطيماً بعد ما كان رضيعاً، وشيخاً بعد ما كان شاباً.

وقال الحسن البصري: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٥) يقول: حالاً بعد حال، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقراً بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقماً بعد صحة (١٦).

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن عبد الله بن زاهر، حدثني أبي، عن عمرو بن شمر، عن جابر هو: الجعفي، عن محمد بن علي، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن ابن آدم لفي غفلة مما خلق له إن الله تعالى إذا أراد خلقه قال للملك: اكتب رزقه، اكتب أجله،

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة (ح ٣٤).

(٢) سنده مرسل ضعيف ومثل هذا المتن لا يؤخذ إلا من الوحي لأنه غيب.

(٣) سنده منقطع لأن إبراهيم لم يسمع من ابن مسعود ويتقوى بما يليه.

(٤) كذا في (ح) و(حم) وترجمته، وفي الأصل صحف إلى: «قوس».

(٥) أخرجه الطبري عن ابن حميد عن مهران عن سفيان به، وفي سنده ابن حميد وهو حميد الرازي وهو ضعيف لكنه توبع؛ فقد أخرجه آدم بن أبي إياس من طريق السدي عن مرة عن ابن مسعود، وسنده حسن.

(٦) أخرجه البزار من طريق شريك عن جابر به. قال ابن حجر: وجابر ضعيف (مختصر زوائد مسند البزار ٢/ ١١٦ ح ١٥٢٧).

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٨) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد عن قتادة بنحوه.

اكتب أثره، اكتب شقياً أو سعيداً. ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه ملكاً آخر فيحفظه حتى يدرك، ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته، فإذا حضره الموت ارتفع ذاك الملكان وجاء ملك الموت فقبض روحه، فإذا دخل قبره ردّ الروح في جسده. ثم ارتفع ملك الموت وجاء ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعة انحطّ عليه ملك الحسنات وملك السيئات، فانتشطا كتاباً معقوداً في عنقه، ثم حضرا معه واحداً سائقاً وآخر شهيداً^(١).

ثم قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ [ق: ٢٢] قال رسول الله ﷺ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قال: «حالاً بعد حال» ثم قال النبي ﷺ: «إن قدامكم لأمرأ عظيمأ لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم»^(٢) هذا حديث منكر، وإسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين: والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال وأمرأ بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك وإن كان الخطاب موجهاً إلى رسول الله ﷺ جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالاً^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢٦﴾ أي: فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟ وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون إعظاماً وإكراماً واحتراماً؟

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ أي: من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ قال مجاهد وقتادة: يكتمون في صدورهم^(٤). ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٩﴾ أي: فأخبرهم يا محمد بأن الله ﷻ قد أعدّ لهم عذاباً أليماً.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذا استثناء منقطع يعني: لكن الذين آمنوا؛ أي: بقلوبهم وعملوا الصالحات؛ أي: بجوارحهم ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ أي: في الدار الآخرة ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال ابن عباس: غير منقوص^(٥).

وقال مجاهد والضحاك: غير محسوب^(٦)، وحاصل قولهما أنه غير مقطوع كما قال تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُورٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وقال السدي: قال بعضهم: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير منقوص.

(١) سنده ضعيف لضعف جابر الجعفي كما تقدم في الرواية السابق عن الحافظ ابن حجر.

(٢) أخرجه أبو نعيم بسند فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف كما تقدم. (حلية الأولياء ٣/١٩٠).

(٣) ذكره الطبري بنحوه.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ابن جريج عن مجاهد، وهو لم يسمع من مجاهد.

وقال بعضهم: غير ممنون عليهم، وهذا القول الأخير عن بعضهم قد أنكره غير واحد، فإن الله ﷻ له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضلها ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائماً سرمداً والحمد لله وحده أبداً، ولهذا يلهمون تسييحه وتحميده كما يلهمون النفس، ﴿وَأَخِرُّ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

آخر تفسير سورة الانشقاق، والله الحمد.

سُورَةُ الْبُرُوجِ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا زريق بن أبي سلمى، حدثنا أبو المهزم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ﴿١﴾ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ ﴿٢﴾. وقال أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا حماد بن عباد السدوسي، سمعت أبا المهزم يحدث، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسّموات في العشاء^(٢)، تفرد به أحمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ١ وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ٣ قِيلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤ أَلَا ذَاتِ الْوُجُودِ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ٩ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٠ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ١١ ﴿١٠﴾

يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ﴿١١﴾ [الفرقان] قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدي: البروج: النجوم^(٣).

وعن مجاهد أيضاً: البروج التي فيها الحرس.

وقال يحيى بن رافع: البروج قصور في السماء.

وقال المنهال بن عمرو: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ﴿١١﴾ الخلق الحسن، واختار [ابن جرير]^(٤) أنها منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر برجاً، تسير الشمس في كل واحد منها شهراً، ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلاثاً، فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستمر ليلتين^(٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده، وضعف سنده محققوه لضعف أبي المهزم. (المسند ٧٧/١٤ - ٧٨ ح ٨٣٣٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وضعف سنده محققوه كسابقه. (المسند ٧٨/١٤ ح ٨٣٣٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «قصور في السماء»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «ابن خيشمة».

(٥) ذكره الطبري بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۖ وَشَهِدٍ مِّمَّنْهُوَ﴾ (٢) اختلف المفسرون في ذلك وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي، حدثنا عبيد الله يعني - ابن موسى - حدثنا موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ (٢) يوم القيامة، ﴿وَشَهِدٍ﴾ يوم الجمعة؛ وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، ولا يستعيز فيها من شر إلا أعاده، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عرفة»^(١) وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف الحديث، وقد روي موقوفاً على أبي هريرة، وهو أشبه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد، حدثنا شعبة، سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار - مولى بني هاشم -، عن أبي هريرة، أما علي فرفعه إلى النبي ﷺ، وأما يونس فلم يعد أبا هريرة أنه قال في هذه الآية ﴿وَشَهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (٣) قال: يعني الشاهد يوم الجمعة، ويوم مشهود يوم القيامة^(٢).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن يونس، سمعت عماراً مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية ﴿وَشَهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (٣) قال: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، والموعود، يوم القيامة^(٣).

وقد روي عن أبي هريرة أنه قال: اليوم الموعود: يوم القيامة، وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد^(٤). ولم أرهم يختلفون في ذلك، والله الحمد.

ثم قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثنا ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، وإن الشاهد يوم الجمعة، وإن المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا»^(٥).

ثم قال ابن جرير: حدثنا سهل بن موسى الرازي، حدثنا ابن أبي فديك، عن ابن حرملة، عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سيد الأيام يوم الجمعة، وهو الشاهد،

(١) سنده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة وهو الربذي كما قرر الحافظ ابن كثير، ولكنه توبع كما سيأتي في رواية الإمام أحمد، فيكون سنده حسناً لغيره.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وقال محققوه: المرفوع منه ضعيف لضعف علي بن زيد، وهو ابن جدعان، والموقوف لا بأس به. رجاله رجال الصحيح. (المسند ٣٥١/١٣ ح ٧٩٧٢)؛ وأخرجه الحاكم بالسند نفسه وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥١٩/٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وصححه سنده محققوه. (المسند ٣٥٢/١٣ ح ٧٩٧٣).

(٤) قول أبي هريرة تقدم صحيحاً في الرواية السابقة، وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر، وقول ابن زيد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عنه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لضعف رواية محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه. (التقريب ص ٤٦٨).

والمشهدود يوم عرفة^(١). وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب.

ثم قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن شعبة، عن علي بن زيد، عن يوسف المكي، عن ابن عباس قال: الشاهد: هو محمد ﷺ، والمشهدود: يوم القيامة، ثم قرأ ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٢) [هود: ١٠٣].

وحدثنا ابن حميد: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن شباك قال: سأل رجل الحسن بن علي، عن ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾^(٣) قال: سألت أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا: يوم الذبح ويوم الجمعة، فقال: لا، ولكن الشاهد: محمد ﷺ، ثم قرأ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٤) [النساء] والمشهدود: يوم القيامة ثم قرأ: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٥) [هود: ١٠٣]. وهكذا قال الحسن البصري.

وقال سفيان الثوري، عن ابن حرملة، عن سعيد بن المسيب: ومشهدود يوم القيامة^(٦).

وقال مجاهد وعكرمة والضحاك: الشاهد: ابن آدم، والمشهدود: يوم القيامة^(٧).

وعن عكرمة أيضاً: الشاهد: محمد ﷺ، والمشهدود: يوم الجمعة^(٨).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الشاهد الله والمشهدود يوم القيامة^(٩).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا سفيان، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾^(١٠) قال الشاهد الإنسان، والمشهدود يوم الجمعة^(١١)، هكذا رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾^(١٢) الشاهد: يوم عرفة، والمشهدود: يوم القيامة^(١٣)، وبه عن سفيان الثوري، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: يوم الذبح ويوم عرفة يعني: الشاهد والمشهدود^(١٤).

قال ابن جرير: وقال آخرون: المشهدود: يوم الجمعة، ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن: حدثني عمي عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده مرسل.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس عن ورقاء عن المغيرة به، وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري من طريق سفيان به؛ وأخرجه عبد الرزاق من طريق عبد الرحمن بن حرملة به، وسنده جيد.

(٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق خالد الحذاء عن عكرمة.

(٦) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد وهو ضعيف.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٨) سنده ضعيف لضعف أبي يحيى القتات.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد وهو ضعيف.

(١٠) سنده كسابقه في ابن حميد وهو محمد بن حميد وهو ضعيف.

هلال، عن زيد بن أيمن، عن عبادة بن نسي، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة»^(١). وعن سعيد بن جبير الشاهد الله، وتلا: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩] والمشهود: نحن، حكاية البغوي، وقال الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة.

وقوله تعالى: ﴿قِيلَ أَخَذُوا الْأَخْدُودَ﴾^(٢) أي: لُعِنَ أصحاب الأخدود، وجمعه أخاديد وهي: الحفر في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله ﷻ، فقهرهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً، وأججوا فيه ناراً وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقفزوهم فيها ولهذا قال تعالى: ﴿قِيلَ أَخَذُوا الْأَخْدُودَ﴾^(٣) أَلْتَارِ ذَاتِ الْوُقُودِ^(٤) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ^(٥) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ^(٦) أي: مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٧) أي: وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجناحه المنيع؛ الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد، وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس^(٨).

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٩) من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١٠) أي: لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض ولا تخفى عليه خافية.

وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم؟ فعن علي أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم، فامتنع عليهم علماؤهم فعمد إلى حفر أخدود، فقفذ فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم. وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم، فغلب مؤمنوهم على كفارهم، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخذوا لهم الأخاديد وأحرقوهم فيها، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشي.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿قِيلَ أَخَذُوا الْأَخْدُودَ﴾^(١١) أَلْتَارِ ذَاتِ الْوُقُودِ^(١٢) قال: ناس من بني إسرائيل خدوا أخدوداً في الأرض ثم أوقدوا فيه ناراً ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء فعرضوا عليها، وزعموا أنه: دانيال وأصحابه^(١٣). وهكذا قال الضحاك بن مزاحم^(١٤)، وقيل غير ذلك.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته؛ وأخرجه ابن ماجه من طريق عبد الله بن وهب به (السنن، الجناز، باب ذكر وفاته ﷺ ح ١٦٣٧) وسنده ضعيف لأن عبادة لم يسمع من أبي الدرداء، وزيد بن أيمن مقبول. (التقريب ص ٢٢٢)؛ وذكره الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٢) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد وهو الرازي: ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إيهام شيخه.

أبي ليلي، عن صهيب، أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبر سني وحضر أجلي، فادفع إلي غلاماً لأعلمه السحر فدفع إليه غلاماً فكان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر. قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة عظيمة فطبعة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا. فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر؟ قال: فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، وربما هافتها ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك فقال: أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبتلي، فإن ابتليت فلا تدل علي، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس فعمي فسمع به فأثابه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما ههنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله ﷻ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن، فدعا الله فشفاه.

ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك: يا فلان من ردّ عليك بصرك؟ فقال ربي: فقال: أنا. قال: لا، ربي وربك الله، قال: ولك رب غيري؟ قال: نعم ربي وربك الله، فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام، فبعث إليه فقال: أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء! قال: ما أشفي أحداً إنما يشفي الله ﷻ، قال أنا؟ قال: لا. قال: أولك ربّ غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب فلم يزل به حتى دلّ على الراهب، فأتى بالراهب فقال: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدوه^(١) من فوقه، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فدهدوها أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال كفانيهم الله تعالى، فبعث به مع نفر في قرقر^(٢) فقال: إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون.

وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلتي وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كناني، ثم قل: باسم الله ربّ الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي. ففعل ووضع السهم في كبده قوسه ثم رماه وقال: باسم الله ربّ الغلام، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام

يده على موضع السهم ومات، فقال الناس: آمنا بربِّ الغلام. فقليل للملك: أرأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك؛ قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك، فخذت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها، قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابتن لها ترضعه، فكانها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي: اصبري يا أمه فإنك على الحق^(١).

وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هذبة بن خالد، عن حماد بن سلمة به نحوه^(٢)، ورواه النسائي، عن أحمد بن سلمان، عن عفان، عن حماد بن سلمة. ومن طريق حماد بن زيد كلاهما، عن ثابت به واختصروا أوله^(٣)، وقد جوده الإمام أبو عيسى الترمذي فرواه في تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد - المعنى واحد - قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن ضبيب قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر همس. والهمس في بعض قولهم: تحريك شفثيه كأنه يتكلم فقليل له: إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست، قال: «إن نبياً من الأنبياء كان أعجب بأمرته فقال: من يقوم لهؤلاء؟ فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم، وبين أن أسلط عليهم عدوهم، فاختاروا النعمة، فسلط الله عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون ألفاً» قال: وكان إذا حدث بهذا الحديث، حدث بهذا الحديث الآخر قال: كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له، فقال الكاهن: انظروا لي غلاماً فهماً أو قال: فطناً لقناً فأعلمه علمي هذا، فذكر القصة بتمامها، وقال في آخره: يقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَصْحَبُ الْأَخْدُودَ ۖ النَّارِ ذَاتِ الْوُودِ ۖ﴾ حتى بلغ ﴿الْفَرْيزِ الْحَمِيدِ﴾.

قال: فأما الغلام فإنه دفن، فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل، ثم قال الترمذي: حسن غريب^(٤)، وهذا السياق ليس فيه صراحة، أن سياق هذه القصة من كلام النبي ﷺ.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى؛ والله أعلم.

وقد أورد محمد بن إسحاق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال: حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران - ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فيموت ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه، قالوا: نزلها رجل فابتنى

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٦/٦) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، الزهد والرفاق، باب قصة أصحاب الأخدود (ح ٣٠٠٥).

(٣) السنن الكبرى، التفسير، باب قتل أصحاب الأخدود (ح ١١٦٦١).

(٤) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة البروج (ح ٣٣٤٠).

خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر.

فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبدته، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه فكنمه إياه وقال له: يا ابن أخي إنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه، والتامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضنَّ به عنه، وتخوف ضعفه فيه عمد إلى أقذاح فجمعها ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح، حتى إذا حصاها أوقد ناراً ثم جعل يقذفها فيها قدحاً، حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء، فأخذه، ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتبه، فقال: وما هو؟ قال: هو كذا وكذا، قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع، فقال: أي ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل.

فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال له: يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني، وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحد الله ويسلم، فيدعو الله له، فيشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه، فاتبعه على أمره ودعا له، فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له: أفسدت عليَّ أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي، لأمثلن بك، قال: لا تقدر على ذلك، قال: فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ما به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه نجران؛ بحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك فيلقى به فيها، فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر: إنك والله لا تقدر على قتلي حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله، فإنك إن فعلت سلطت علي فقتلتني، قال: فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر، ثم ضربه بعضاً في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله، وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم ﷺ من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر قاله أعلم أي ذلك كان، قال: فسار إليهم ذو نواس بجنده فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل، فخذَّ الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف، ومثل بهم حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نواس وجنده أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ۚ﴾ ١ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُوقُودِ ۚ﴾ ٢ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۖ﴾ ٣ ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۖ﴾ ٤ ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۚ﴾ ٥ ﴿الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۚ﴾ ٦ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ﴾ ٧ ﴿١﴾

هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو: ذو نواس واسمه زرعة، ويسمى في زمان مملكته بيوسف، وهو: ابن بيان أسعد أبي كريب، وهو تبع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة، فكان تهوّد من تهوّد من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن إسحاق مبسوطاً، فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفاً ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له: دوس ذو ثعلبان، ذهب فارساً وطرّدوا وراءه فلم يقدروا عليه فذهب إلى قيصر ملك الشام فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة، فأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهود، وذهب ذو نواس هارباً فلجج في البحر فغرق، واستمر ملك الحبشة في أيدي النصارى سبعين سنة، ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحميري من أيدي النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس، فأرسل معه من في السجون فكانوا قريباً من سبعمائة، ففتح بهم اليمن ورجع الملك إلى حمير، وسنذكر طرفاً من ذلك إن شاء الله في تفسير سورة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل].

وقال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلاً من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته، فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن فيها قاعداً واضعاً يده على ضربة في رأسه ممسكاً عليها بيده، فإذا أخذت يده عنها تفجرت دماً، وإذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دمها، وفي يده خاتم مكتوب فيه ربي الله، فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره، فكتب عمر إليهم أن أقروه على حاله، وردّوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعلوا^(١).

وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حدثنا أبو بلال الأشعري، حدثنا إبراهيم بن محمد، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، حدثني بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطاً من حيطان المدينة قد سقط، فبناه فسقط ثم بناه فسقط، فقبل له: إن تحته رجلاً صالحاً، فحفر الأساس فوجد فيه رجلاً قائماً معه سيف فيه مكتوب: أنا الحارث بن مضاض نقت على أصحاب الأخدود، فاستخرجه أبو موسى وبنى الحائط فثبت.

(قلت): هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مضاض بن عمرو الجرهمي، أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم، وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن، وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام^(٢) إنه أول شعر قالته العرب:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوائر
وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديماً بعد زمان إسماعيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها، وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمن الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه، والله أعلم.

وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا صفوان، عن عبد الرحمن بن جبير قال: كانت الأخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا أتوناً وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد، وفي العراق في أرض بابل بختنصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وصاحبه عزريا وميشائيل، فأوقد لهم أتوناً وألقى فيه الحطب والنار ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله تعالى عليهما برداً وسلاماً وأنقذهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه، وهم تسعة رهط فأكلتهم النار^(١).

وقال أسباط، عن السدي في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ قال: كانت الأخدود ثلاثة: خدٌّ بالعراق، وخذٌّ بالشام، وخذٌّ باليمن^(٢). رواه ابن أبي حاتم.

وعن مقاتل قال: كانت الأخدود ثلاثة: واحد بنجران باليمن، والأخرى بالشام، والأخرى بفارس حرقوا بالنار، أما التي بالشام فهو: انطنانوس الرومي، وأما التي بفارس فهو: بختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو: يوسف ذو نواس، فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآناً وأنزل في التي كانت بنجران^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع - هو ابن أنس - في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ قال: سمعنا أنهم كانوا قوماً في زمان الفترة، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، اعتزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا، وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا: لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، فقال لهم: إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فإني قاتلكم، فأبوا عليه فخذَّ أخدوداً من نار، وقال لهم الجبار ووقفهم عليها: اختاروا هذه أو الذي نحن فيه، فقالوا: هذه أحب إلينا، وفيهم نساء وذرية ففرغت الذرية، فقالوا لهم - أي آباؤهم -: لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها، فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسه حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففي ذلك أنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُوهِ ۖ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۖ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ ٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ ٩﴾. ورواه ابن جرير: حدثت عن عمار، عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه^(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَكُفِّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ﴾ أي: حرقوا. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبيزى^(٦). ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي: لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٢) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٣) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٤) أخرجه الطبري بسند بنحوه، وسنده ضعيف لأنه مرسل وكذلك لإيهام شيخ الطبري.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بالأثرين التاليين: فقد أخرجه آدم بن =

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْخَرِيقِ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل.
قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُمْ هُوَ يُبَدِّلُ وَيُبَدِّلُ ١٣ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ١٤ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ١٦ هَلْ أُنْكِرُ حَدِيثَ الْجَنَّةِ ١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ١٩ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ٢٠ بَلْ هُوَ قَوَّانٌ مَجِيدٌ ٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ٢٢﴾.

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم، ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ أي: إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوي؛ فإنه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ هُوَ يُبَدِّلُ وَيُبَدِّلُ ١٣﴾ أي: من قوته وقدرته التامة يبدىء الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ١٤﴾ أي: يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان، و﴿الْوَدُودُ﴾ قال ابن عباس وغيره: هو الحبيب^(١).

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي: صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق، و﴿الْمَجِيدُ﴾ فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للربِّ ﷻ، والجر على أنه صفة للعرش^(٢). وكلاهما معنى صحيح.

﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ١٦﴾ أي: مهما أراد فعله؛ لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله؛ كما روي عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت: هل نظر إليك الطبيب؟ قال: نعم. قالوا: فما قال لك؟ قال: قال لي: إني فعال لما أريد.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنْكِرُ حَدِيثَ الْجَنَّةِ ١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨﴾ أي: هل بلغك ما أحلَّ الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النعمة التي لم يردّها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ أي: إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديداً أخذ عزيز مقتدر.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال: مرَّ النبي ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿هَلْ أُنْكِرُ حَدِيثَ الْجَنَّةِ ١٧﴾ فقال يستمع فقال: «نعم قد جاءني»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ١٩﴾ أي: هم في شك وريب وكفر وعناد ﴿وَاللَّهُ مِنْ

= أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

وأما قول الضحاك وابن أبزى فقد أخرجهما الطبري بسندين ضعيفين الأول فيه إبهام شيخ الطبري، والثاني فيه ضعف شيخ الطبري.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) القراءتان متواترتان.

(٣) سنده ضعيف لأنه مرسل.

وَرَأَيْهِمْ تُحِيطُ ﴿٢٠﴾ أي: هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾
أي: عظيم كريم ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي: هو في الملاء الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص
والتحريف والتبديل.

قال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا قرّة بن سليمان، حدثنا حرب بن سريج، حدثنا
عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ في لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ
﴿٢٢﴾﴾ قال: إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ في لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ في جبهة
إسرافيل^(١). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، حدثنا معاوية بن صالح أن أبا
الأعبس - هو عبد الرحمن بن سلمان - قال: ما من شيء قضى الله القرآن فما قبله وما بعده: إلا
وهو في اللوح المحفوظ، واللوحة المحفوظ بين عيني إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه^(٢).
وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على
من يشاء من خلقه^(٣).

وقد روى البغوي من طريق إسحاق بن بشر: أخبرني مقاتل وابن جريج، عن مجاهد، عن ابن
عباس قال: إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله، فمن
آمن بالله وصدق بوعدده واتبع رسله أدخله الجنة، قال: واللوحة لوح من درة بيضاء طوله ما بين
السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافته من الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة
حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك^(٤).
وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا منجاب بن الحارث^(٥)، حدثنا
إبراهيم بن يوسف، حدثنا زياد بن عبد الله، عن ليث، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير، عن
أبيه، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من دُرّة بيضاء
صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور وكتابه نور، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة،
يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويعزّ ويذلّ، ويفعل ما يشاء»^(٦).

آخر تفسير سورة البروج، والله الحمد والمثنة.

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف قرّة بن سليمان (لسان الميزان ٤/٤٧٢) وحرب بن
سريج صدوق يخطيء. (التقريب ص ١٥٥).

(٢) سنده ضعيف لأنه معضل.

(٣) معناه صحيح.

(٤) أخرجه البغوي من طريق إسماعيل بن عيسى عن إسحاق بن بشر به (معالم التنزيل ٤/٤٧٢).

وسنده ضعيف جداً لأن إسحاق بن بشر متروك. (ينظر: لسان الميزان ١/٣٥٤، ٣٥٥).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٦) أخرجه الطبراني بسنده ومثته (المعجم الكبير ١٢/٧٢ ح ١٢٥١١) وسنده ضعيف جداً فيه محمد بن عثمان بن
أبي شيبة متهم بالوضع. (لسان الميزان ٥/٢٨٠، ٢٨١).

سُورَةُ الطَّارِقِ

وهي مكية

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله: وسمعتُه أنا منه، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني، عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصى حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعتُه يقول: ﴿وَالسَّمَاءُ وَالطَّارِقُ﴾ حتى ختمها قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام قال: فدعيتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه^(١).

وقال النسائي: حدثنا عمرو بن منصور، حدثنا أبو نعيم، عن مسعر، عن محارب بن دثار، عن جابر قال: صلى معاذ المغرب فقراً: البقرة والنساء فقال النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق، والشمس وضحاها، ونحو هذا؟»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءُ وَالطَّارِقُ﴾ (١) وَمَا أَذْرَكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَتْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَائِدٌ (٨) يَوْمَ يُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) قَالُوا لَمْ يَنْفَعُوا مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠).

يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءُ وَالطَّارِقُ﴾ (١) ثم قال: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الطَّارِقُ﴾ (٢) ثم فسره بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (٣). قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً؛ لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار^(٣)، ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً؛ أي: يأتيهم فجأة بالليل^(٤)، وفي

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد بسنده ومثله في زوائده. (المسند ٣١/ ٢٨٨ - ٢٨٩ ح ١٨٩٥٨) وضعف سنده محققوه لجهالة عبد الرحمن بن خالد العدواني.

(٢) تقدم نحوه في بداية تفسير سورة الانفطار لكن بدون ذكر سورة الطارق، ويشهد له ما تقدم في تفسير سورة الانفطار من رواية الصحيحين بلفظ: «اقرأ ﴿وَالسَّمِينَ وَضَحْهَا﴾ (١) و﴿سَجِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (٢) ونحوهما. فقوله: ونحوهما يدخل فيه سورة الطارق.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الشيخان من حديث جابر رضي الله عنه. (صحيح البخاري، النكاح، باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة ح ٥٢٤٣؛ وصحيح مسلم، الإمارة، باب كراهية الطروق ح ٧١٥).

الحديث الآخر المشتمل على الدعاء: «إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن»^(١).

وقوله تعالى: ﴿التَّائِبُ﴾ قال ابن عباس: المضيء^(٢).

وقال السدي: يثقب الشياطين إذا أرسل عليها.

وقال عكرمة: هو مضيء ومُحَرِّق للشيطان.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ أي: كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى: ﴿لَمْ نُعَمِّقَنَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾^(٣)؟ تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد؛ لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾^(٤) يعني المني يخرج دفقاً من الرجل والمرأة، فيتولد منهما الولد، بإذن الله ﷻ، ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾^(٥) يعني: صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها.

وقال شبيب بن بشر: عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾^(٦) صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما^(٣)، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن مسعر، سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾^(٧) قال: هذه الترائب، ووضع يده على صدره^(٤).

وقال الضحاك وعطية، عن ابن عباس: تريبة المرأة: موضع القلادة^(٥)، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير^(٦).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الترائب بين ثدييها^(٧).

وعن مجاهد: الترائب: ما بين المنكبين إلى الصدر^(٨)، وعنه أيضاً: الترائب: أسفل من التراقي^(٩).

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الرحمن بن خنبل رضي الله عنه مطولاً. (المسند ٢٤/٢٠٢ ح ١٥٤٦١) وضعف سنده محققوه.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) سنده حسن.

(٤) سنده ضعيف لأن الحكم هو ابن أبان لم يسمع من ابن عباس، ويتقوى بما يليه.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما يليه.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي طلحة عن ابن عباس.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق ثوير عن مجاهد، وثوير ضعيف كما في التقريب ص ١٣٥.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

وقال سفيان الثوري: فوق الثدين^(١).

وعن سعيد بن جبير: الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل^(٢).

وعن الضحاك: الترائب بين الثديين والرجلين والعينين.

وقال الليث بن سعد: عن معمر بن أبي حبيبة المدني أنه بلغه في قول الله ﷻ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قال: هو عصارة القلب من هناك يكون الولد^(٣).

وعن قتادة: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ من بين صلبه ونحره^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَلَى رَجَمِهِ لَقَائِرٌ﴾^(٥) فيه قولان:

(أحدهما): على رجع هذا الماء الدافق، إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك. قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما^(٥).

(والقول الثاني): إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق؛ أي: إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر؛ لأن من قدر على البداءة قدر على الإعادة، وقد ذكر الله ﷻ هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع، وهذا القول قال به الضحاك^(٦) واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ أَشْرَافُهُ﴾^(٧) أي: يوم القيامة تبلى فيه السرائر؛ أي: تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والممكنون مشهوراً، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يرفع لكل غادر لواء عند استه»، يقال: هذه غدره فلان بن فلان^(٧).

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْزَمَ﴾ أي: الإنسان يوم القيامة ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾: أي في نفسه ﴿وَلَا نَاصِرَ﴾ أي: من خارج منه؛ أي: لا يقدر على أن يتخذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك.

﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتُ الرِّجِّ﴾^(١١) وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّنِيعِ^(١٢) إِنَّكُمْ لَقَوْلٌ فَصْلٌ^(١٣) وَمَا هُوَ إِلَّا نَزْلٌ^(١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا^(١٥) وَآكِيذٌ كِيدًا^(١٦) فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلُكُمْ رُؤُودًا^(١٧).

قال ابن عباس: الرجع المطر، وعنه: هو السحاب فيه المطر^(٨)، وعنه ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتُ الرِّجِّ﴾^(١١) تمطر ثم تمطر^(٩).

وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا، وهلك مواشيهم^(١٠).

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن الثوري.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

(٣) أخرجه الطبري من طريق الليث به، وسنده ضعيف؛ لأن روايته بلاغ لم يصرح باسم المفسر.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة، وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف لإيهام شيخه.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة الكهف آية ٤٩.

(٨) أخرجه الطبري بسند جيد - بشواهد - من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «رجع القطر، والرزق كل عام».

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

وقال ابن زيد: ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا^(١).

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات^(٢)، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغير واحد^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ قال ابن عباس: حق^(٤)، وكذا قال قتادة^(٥).

وقال آخر: حكم عدل ﴿وَمَا هُوَ بِالْمَرَّةِ﴾ أي: بل هو جدّ حق، ثم أخبر الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن.

ثم قال تعالى: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾ أي: انظرهم ولا تستعجل لهم ﴿أَتَهْلِكُمْ دُونَ﴾ أي: قليلاً؛ أي: وسترى ماذا أحلّ بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك كما قال تعالى: ﴿تُنْعِمُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان].

آخر تفسير سورة الطارق، والله الحمد.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بما يليه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن وعكرمة؛ وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

سُورَةُ الْأَعْلَى

وهي مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخاري: حدثنا عبدان، أخبرني أبي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلوا يقرئنا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله قد جاء، فما جاء حتى قرأت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ في سُورِ مثلها^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن ثوير بن أبي فاختة، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٢). تفرد به أحمد. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هَلَّا صَلَّيْتَ بِـ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾»، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾»^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن أبيه، عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين بـ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية]، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعاً^(٤).

هكذا وقع في مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث، وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي عوانة وجريز وشعبة، ثلاثتهم عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن النعمان بن بشير به، قال الترمذي: وكذا رواه الثوري ومسعر عن إبراهيم، قال: ورواه سفيان بن عيينة، عن إبراهيم، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن أبيه، عن النعمان، ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه، وقد رواه ابن ماجه، عن محمد بن الصباح، عن سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن النعمان به، كما رواه الجماعة فالله أعلم، ولفظ مسلم وأهل السنن: كان يقرأ في العيدين

(١) أخرجه بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، باب سورة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ح ٤٩٤١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٩٦/١)، وسنده ضعيف لضعف ثوير. (التقريب ص ١٣٥).

(٣) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة الانفطار.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٣٠/٣ - ٣٣٣ ح ١٨٣٨٣) قال محققوه: حديث صحيح على خطأ في إسناده كما ذكر عبد الله بن أحمد عقب الحديث.. ونقل ابن أبي حاتم في «العلل» عن أبيه قوله: وهم في هذا الحديث ابن عيينة. اهـ. وسيأتي تخريجه برواية حبيب عن النعمان مباشرة دون: عن أبيه عن النعمان.

ويوم الجمعة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما^(١).

وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، زادت عائشة والمعوذتين^(٢). وهكذا روي الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صدي بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومثونه، ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سُبُّرْتُكَ فَلَا تَسْأَلُ ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ⑦ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑧ وَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ⑨ فَذَكَرْ إِن نَّفَعْتَ الذِّكْرَى ⑩ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ⑪ وَيَنْجِنِهَا أَلْأَشْفَى ⑫ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ⑬ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑭﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا موسى - يعني: ابن أيوب الغافقي -، حدثنا عمي إياس بن عامر، سمعت عقبة بن عامر الجهني: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ⑦ [الواقعة: ٧٤ و ٩٦] قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ① قال: «اجعلوها في سجودكم». ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين، عن

(١) صحيح مسلم، الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة (ح ٨٧٨)؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقرأ في الجمعة (ح ١١٢٢)؛ وسنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في القراءة في العيدين (ح ٥٣٣)؛ وسنن النسائي، الجمعة، باب ذكر الاختلاف على النعمان بن بشير في القراءة في صلاة الجمعة ١١٢/٣؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء في القراءة في صلاة العيدين (ح ١٢٨١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وصححه محققوه. (المسند ٧٨/٣٥ ح ٢١١٤١)؛ وأخرجه أيضاً من حديث عبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة رضي الله عنهم. (المسند ٢٩٩/١ ح ٣/٣٠٦ و ٢٢٧/٦).

(٣) المسند ١٥٥/٤؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (ح ٨٦٩)؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب التسييح في الركوع والسجود (ح ٨٨٧)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، لكن أخرجه ابن خزيمة، (الصحيح ٣٠٣/١ رقم ٦٠٠)؛ وابن حبان في صحيحه (الإحسان ١٨٥/٣ رقم ١٨٩٥)؛ والحاكم (المستدرک ٢٢٥/١) كلهم من طريق موسى بن أيوب به. وصححه الحاكم وتعبه الذهبي فقال: إياس بن عامر بالمعروف. وأخرجه الحاكم أيضاً وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤٧٧/٢). وأما إياس بن عامر فقال العجلي لا بأس به (تاريخ الثقات ص ٧٥) وذكره ابن حبان في الثقات (٤٤١/١) وقال الحافظ ابن حجر: صدوق. كما في التقريب، وعليه فسنده حسن.

سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «سبحان ربي الأعلى»^(١). وهكذا رواه أبو داود عن زهير بن حرب، عن وكيع به. قال وخولف فيه وكيع، رواه أبو وكيع وشعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد، عن ابن عباس موقوفاً^(٢).

وقال الثوري: عن السدي، عن عبد خير قال: سمعت علياً قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فقال: سبحان ربي الأعلى^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن أبي إسحاق الهمداني، أن ابن عباس كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ يقول: سبحان ربي الأعلى، وإذا قرأ: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة] فأتى على آخرها: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة] يقول: سبحانك وبلى^(٤).

وقال قتادة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحان ربي الأعلى^(٥).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ أي: خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة وهدى الأنعام لمراتها^(٦)، وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠] أي: قدَّر قدراً، وهدى الخلائق إليه، كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»^(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أي: من جميع صنوف النباتات والزرع ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ قال ابن عباس: هشيماً متغيراً^(٨)، وعن مجاهد وقاتدة وابن زيد نحوه^(٩).

قال ابن جرير: وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنته، وقال محققوه: صحيح موقوفاً. (المسند ٣/ ٤٩٥ ح ٢٠٦٦)؛ وأخرجه الحاكم من طريق وكيع به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/ ٢٦٣).

(٢) سنن أبي داود، الصلاة، باب الدعاء في الصلاة (ح ٨٨٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٧٨٥).

(٣) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثنته، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف وله شواهد تقوي وهي ما سبق في هذه السورة وما ورد في آخر تفسير سورة القيامة.

(٥) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة لكنه مرسل، ويتقوى بما سبق.

(٦) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ١٧٩.

(٨) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٩) أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بنحوه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة بنحوه؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه.

التقديم، وأن معنى الكلام والذي أخرج المرعى، أحوى: أخضر إلى السواد فجعله غشاء بعد ذلك^(١)، ثم قال ابن جرير: وهذا وإن كان محتملاً إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل^(٢).

وقوله تعالى: ﴿سُقْرُوكُ﴾ أي: يا محمد ﴿فَلَا تَنْسَ﴾ وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له. بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ وهذا اختيار ابن جرير. وقال قتادة: كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله^(٣).

وقيل: المراد بقوله: ﴿فَلَا تَنْسَ﴾ طلب، وجعل معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ؛ أي: لا تنسى ما نقرئك إلا ما شاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ يَعْلَمُ السِّرَّ وَمَا يَخْفَى﴾ أي: يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَى﴾ أي: نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً مستقيماً عدلاً لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ أي: ذكّر حيث تنفع التذكرة، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كانت فتنة لبعضهم^(٤)، وقال: حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله^(٥).

وقوله تعالى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ أي: سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه ﴿وَيَنْجَنِيهَا أَلسْفَى﴾ الذي يصل النار الكبرى ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أي: لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه؛ لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال.

قال الإمام أحمد: حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان - يعني: التيمي -، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء فيأخذ الرجل أنصاره فينبتهم - أو قال -: ينبتون - في نهر الحيا - أو قال: الحياة - أو قال: الحيوان - أو قال: نهر الجنة - فينبتون نبات الحبة في حميل السيل» قال: وقال النبي ﷺ: «أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء؟» قال: فقال بعضهم: كأن النبي ﷺ كان بالبادية^(٦).

(١) ذكره الطبري بلفظه. (٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة بنحوه.

(٤) أخرجه مسلم من قول ابن مسعود. (الصحيح، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، الحديث الثامن ١١/١).

(٥) أخرجه البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه. (الصحيح، العلم، باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم.. ح ١٢٧).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ٧٤.

وقال أحمد أيضاً: حدثنا إسماعيل، حدثنا [سعيد بن يزيد]^(١)، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس - أو كما قال -: تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال: بخطاياهم - فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر فنبتوا على أنهار الجنة فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل» قال: فقال رجل من القوم حينئذ: كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية، ورواه مسلم من حديث بشر بن المفضل وشعبة كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به مثله^(٢)، ورواه أحمد أيضاً عن يزيد، عن سعيد بن إياس الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون، وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة حتى يصيروا فحمًا، ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة فيرش عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل»^(٣).

وقد قال الله تعالى إخباراً عن أهل النار: ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾ [الزخرف] وقال تعالى: ﴿لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰ﴾ ٤ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ ٥ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ٦ ﴿وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ﴾ ٧ ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ ٨ ﴿صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ ٩.

يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰ﴾ ٤ أي: طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ ٥ أي: أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامثالاً لشرع الله.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عباد بن أحمد العرزمي، حدثنا عمي محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰ﴾ ٤ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أنني رسول الله ﷺ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ ٥ قال: «هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها» ثم قال: لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه^(٤)، وكذا قال ابن عباس: إن المراد بذلك الصلوات الخمس^(٥)، واختاره ابن جرير.

(١) كذا في المسند، وفي الأصل صحف إلى: سعيد ثنا يزيد، وفي (ح): باسم سعيد بن أبي يزيد.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة طه آية ٧٤. بعد الحديث السابق.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ١١/٣)، وسنده صحيح؛ وأخرجه مسلم من طريق بشر بن المفضل عن أبي نضرة به. (الصحيح، الإيمان، باب إثبات الشفاعة ح ١٨٥).

(٤) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح ٢٢٨٤) وسنده ضعيف جداً لأن عباد بن أحمد العرزمي متروك. (مجمع الزوائد ١٤٠/٧).

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ؓ.

وقال ابن جرير: حدثني عمرو بن عبد الحميد [الأملي]^(١)، حدثنا مروان بن معاوية، عن أبي خلدة قال: دخلت على أبي العالية فقال لي: إذا غدوت غداً إلى العيد فمر بي، قال: فمررت به فقال: هل طعمت شيئاً؟ قلت: نعم. قال: أفضت على نفسك من الماء؟ قلت: نعم. قال: فأخبرني ما فعلت زكاتك! قلت: قد وجهتها قال: إنما أردت لك لهذا ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٥﴾ وقال: إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء^(٢).

(قلت): وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٥﴾.

وقال أبو الأحوص: إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يدي صلاته زكاته؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٥﴾^(٣).

وقال قتادة في هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٥﴾ زكى ماله وأرضى خالقه^(٤).

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١١) أي: تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٧) أي: ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنية فانية والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟

قال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا ذويد، عن أبي إسحاق، عن عروة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا أبو حمزة، عن عطاء، عن عرفجة الثقفي قال: استقرأت ابن مسعود: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) فلما بلغ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١١) ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم فقال: آثرنا الدنيا؛ لأننا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل^(٦). وهذا منه على وجه التواضع والهضم أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو، والله أعلم.

(١) كذا في تفسير الطبري، وفي النسخ الخطية بلفظ: «الأيلي».

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وعمرو بن عبد الحميد الأملي لم أجد له ترجمة.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق أبي إسحاق - وهو السبيعي - عن أبي الأحوص. (المصنف ٧/٣).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ١٨.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سننه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وعطاء بن السائب اختلط. (مجمع الزوائد ٢٣٦/١٠) وعرفجة الثقفي مقبول. (التقريب ص ٣٨٩) وقد توبع ابن حميد في رواية الطبراني. (المعجم الكبير ح ٩١٤٧) وفي رواية البيهقي (شعب الإيمان ح ١٠٦٤٥) إلا أن روايتهما من طريق عطاء بن السائب به.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي، حدثنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب بن عبد الله، عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب دنياه أضرّ بآخرته، ومن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه فأثروا ما يبقى على ما يفنى»^(١). تفرد به أحمد، وقد رواه أيضاً عن أبي سلمة الخزازي، عن الدراوردي، عن عمرو بن أبي عمرو به مثله سواء^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿٩﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا نصر بن علي، حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿٩﴾ قال النبي ﷺ: «كان كل هذا - أو كان هذا - في صحف إبراهيم وموسى» ثم قال: لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس غير هذا، وحديثاً آخر أورده قبل هذا^(٣).

وقال النسائي: أخبرنا زكريا بن يحيى، أخبرنا نصر بن علي، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ [الأعلى] قال: كلها في صحف إبراهيم وموسى، ولما نزلت: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ﴿٧﴾ [النجم] قال: وفى ﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَةً أُخْرَى﴾ ﴿٣٨﴾ [النجم]^(٤).

يعني: أن هذه الآية كقوله تعالى في سورة النجم: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَةً أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعْيُهُمْ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلُ ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾ [النجم] الآيات إلى آخرهن، وهكذا قال عكرمة فيما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران، عن سفيان الثوري، عن أبيه، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿٩﴾ يقول: الآيات التي في سبح اسم ربك الأعلى^(٥).

وقال أبو العالية: قصة هذه السورة في الصحف الأولى^(٦)، واختار ابن جرير أن المراد بقوله:

(١) أخرجه الإمام بسنده ومثته (المسند ٣٢/ ٤٧٠ ح ١٩٦٩٧) قال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. المطلب بن عبد الله - وهو ابن حنطب - لا يعرف له سماع من الصحابة.

(٢) وسنده ضعيف أيضاً للعللة السابقة.

(٣) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (ح ٢٢٨٥) وفي سنده عطاء بن السائب وقد اختلط، وسماع سليمان والد معتمر يتوقف فيه كما قرر الحافظ ابن حجر إذ صرح بأسماء الذين سمعوا من عطاء قبل الاختلاط ثم قال: ومن عداهم يتوقف فيه. (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٠٧).

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (السنن الكبرى، التفسير، باب سورة الأعلى ح ١١٦٦٨) وسنده كسابقه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وقد تابعه عبد بن حميد حيث عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد وهو من طبقة شيوخ الطبري، فيكون الإسناد حسناً لغيره.

(٦) أخرجه الطبري بسند فيه أيضاً ابن حميد كما تقدم، وقد تويع أيضاً فقد عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور وابن أبي حاتم لم يرو عن ابن حميد بل يروي نسخة أبي العالية من طريق أبيه عن =

﴿إِنَّ هَذَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: مضمون هذا الكلام ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٨) صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩) وهذا الذي اختاره حسن قوي، وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه^(١)، والله أعلم.

آخر تفسير سورة «سبح»، والله الحمد والمنة، وصلواته وسلامه على خير خلقه: محمد وآله.

= آدم بن أبي إياس العسقلاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كما صرح في مقدمة تفسيره.

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

وهي مكية

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) و(الغاشية) في صلاة العيد ويوم الجمعة^(١).

وقال الإمام مالك، عن ضمرة بن سعيد، عن عبيد الله بن عبد الله أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير: بِمَ كان رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة؟ قال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (٢). ورواه أبو داود عن القعنبى والنسائي عن قتيبة كلاهما عن مالك به، ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة، عن ضمرة بن سعيد به^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ مَائِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ (٦) لَا يُسْنَنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧).

﴿الْغَاشِيَةِ﴾: من أسماء يوم القيامة. قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد^(٤)؛ لأنها تغشى الناس وتعمهم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال: مرَّ النبي ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) فقام يستمع ويقول: «نعم قد جاءني»^(٥). وقوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ (٢) أي: ذليلة. قاله قتادة^(٦).

- (١) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة الأعلى.
- (٢) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثته. (الموطأ، الجمعة، باب القراءة في صلاة الجمعة ١١١/١ ح ١٩)، وسنده صحيح.
- (٣) سنن أبي داود، الصلاة، باب ما يقرأ به في الجمعة (ح ١١٢٣)؛ وسنن النسائي، صلاة الجمعة، باب ذكر الاختلاف على النعمان بن بشير في القراءة ١١٢/٣؛ وصحيح مسلم، الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة (٨٧٨).
- (٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
- (٥) سنده ضعيف لأنه مرسل.
- (٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

وقال ابن عباس: تخشع ولا ينفعها عملها^(١).

وقوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ أي: قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه وصليت يوم القيامة ناراً حامية.

قال الحافظ أبو بكر البرقاني: حدثنا إبراهيم بن محمد المزكي، حدثنا محمد بن إسحاق السراج، حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بدير راهب، قال: فناداه يا راهب، فأشرف قال: فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، فقليل له: يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله ﷻ في كتابه: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ فذاك الذي أبكاني^(٢).

وقال البخاري: قال ابن عباس: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ النصارى^(٣).

وعن عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، وناصبة في النار بالعذاب والإهلاك^(٤).

قال ابن عباس والحسن وقتادة: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ أي: حارة شديدة الحر ﴿تَشَقَّى مِنْ عَيْنِ عَائِشَةَ﴾ أي: قد انتهى حرها وغليانها. قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي^(٥).

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: شجر من النار^(٦)، وقال سعيد بن جبير: هو الزقوم^(٧)، وعنه أنها الحجارة^(٨).

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو الجوزاء وقتادة: هو الشبرق^(٩).

قال قتادة: قريش تسميه في الربيع الشبرق وفي الصيف الضريع.

قال عكرمة: وهو شجرة ذات شوك لا طئة بالأرض^(١٠).

(١) لم أجد من أخرجه.

(٢) أخرجه الحاكم من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: الجوني لم يدرك عمر، لكنها حكاية في موضعها. (المستدرک ٥٢١/٢ - ٥٢٢).

(٣) أخرجه البخاري معلقاً، وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة، ومن طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس، وزاد: اليهود. (فتح الباري ٧٠٠/٨) ولعله يريد اليهود والنصارى الذين أشركوا بالله تعالى.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٧) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ويتقوى بالآثار التالية: فقد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه ابن أبي شيبه بسند حسن من طريق عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء، وسيأتي قول قتادة.

(١٠) أخرجه الطبري من طريق نجلة رجل من بني عبد القيس عن عكرمة.

وقال البخاري: قال مجاهد: الضريع: نبت يقال له: الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا ييس وهو سُمُّ^(١).

وقال معمر، عن قتادة: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾^(٢) هو الشبرق إذا ييس سمي الضريع^(٣).

وقال سعيد، عن قتادة: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾^(٤) من شر الطعام وأبشعه وأخبثه^(٥).

وقوله تعالى: ﴿لَا يُسْنِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾^(٦) يعني: لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾^(٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ^(٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ^(١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً^(١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ^(١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ^(١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ^(١٤) وَمَنَازِقُ مَصْفُوفَةٌ^(١٥) وَزَوَاجٌ مَبْنُوثَةٌ^(١٦).

لما ذكر حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ أي: يعرف النعيم فيها وإنما حصل لها ذلك بسعيها.

وقال سفيان: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾^(٩) قد رضيت عملها^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾^(١٠) أي: رفيعة بهية في الغرفات آمنون ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾^(١١) أي: لا تسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾^(١٢) [مريم: ٦٢] وقال تعالى: ﴿لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾^(١٣) [الطور: ٢٣] وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيمًا﴾^(١٤) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا^(١٥) [الواقعة: ٢٦].

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾^(١٦) أي: سارحة. وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عيناً واحدة وإنما هذا جنس يعني: فيها عيون جاريات. وقال ابن أبي حاتم^(٥): قُريء على الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضميرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال - أو من تحت جبال - المسك».

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾^(١٣) أي: عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين، قالوا: فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾^(١٤) يعني: أواني الشرب معدة مرصدة لمن أَرادها من أربابها.

﴿وَمَنَازِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾^(١٥) قال ابن عباس: النمازق الوسائد^(٦)، وكذا قال عكرمة وقاتدة والضحاك والسدي والثوري وغيرهم^(٧).

(١) أخرجه البخاري تعليقاً عن مجاهد. (الصحيح، التفسير، سورة الغاشية).

(٢) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد به.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن سفيان.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومثله في تفسير سورة آل عمران آية ١٥، وسنده حسن.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «المرافق».

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّاءُ مَبْنُوَّةٌ﴾ قال ابن عباس الزرابي البسط^(١)، وكذا قال الضحاك وغير واحد، ومعنى مبنوثة ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها، ونذكر ههنا هذا الحديث الذي رواه أبو بكر بن أبي داود، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبي، عن محمد بن مهاجر، عن الضحاك المعافري، عن سليمان بن موسى، حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل من مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها - وهي ورب الكعبة - نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمره نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبيرة ونعمة، في محلة عالية بهية؟» قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها، قال: «قولوا إن شاء الله» قال القوم: إن شاء الله^(٢)، ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقي، عن الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر به^(٣).

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (٧) ﴿وَلِلَّاسْمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (٨) ﴿وَلِلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (٩) ﴿وَلِلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (١٠) ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (١١) ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (١٢) ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (١٣) ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ (١٤) ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (١٥) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (١٦).

يقول تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (٧) فإنها خلق عجيب وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتوكل ويتنفع بوبرها ويشرب لبنها، ونهبوا بذلك؛ لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل.

وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت؟^(٤) ﴿وَلِلَّاسْمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (٨) أي: كيف رفعها الله ﷻ عن الأرض هذا الرفع العظيم! كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (١٦) [ق].

﴿وَلِلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (٩) أي: جعلت منصوبة فإنها ثابتة راسية؛ لئلا تميد الأرض بأهلها، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن ﴿وَلِلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (١٠) أي: كيف بسطت ومدت ومهدت! فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه والأرض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه، وهكذا أقسم ضمام في سؤاله على رسول الله ﷺ كما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة، عن قتادة بلفظ: «المبسوطة».

(٢) أخرجه ابن أبي داود بسنده ومثله. (البعث ح ٧١) وفي سننه الضحاك المعافري وهو مقبول. (التقريب ص ٢٨٠)؛ وأخرجه ابن ماجه من طريق الضحاك المعافري به. (السنن، الزهد، باب صفة الجنة ح ٤٣٣٢)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق رجل مبهم عن شريح.

عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد إنه أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق» قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله». قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله». قال: فمن نصب هذا الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله». قال: فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة أموالنا؟ قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال: «صدق» قال: ثم ولي فقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئاً ولا أنقص منهن شيئاً؟ فقال النبي ﷺ: «إن صدق ليدخلن الجنة»^(١).

وقد رواه مسلم عن عمرو النقاد، عن أبي النضر هاشم بن القاسم به^(٢)، وعلقه البخاري^(٣)، ورواه الترمذي والنسائي من حديث أسليمان بن المغيرة به^(٤)، ورواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث^(٥) الليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن أنس به بطوله وقال في آخره: وأنبأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر^(٦).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إسحاق، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثني عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها ترعى غنماً، فقال لها ابنها: يا أمه من خلقك؟ قالت: الله. قال: فمن خلق أبي؟ قالت: الله. قال: فمن خلقتني؟ قالت: الله، قال: فمن خلق الأرض؟ قالت: الله. قال: فمن خلق الجبل؟ قالت: الله. قال: فمن خلق هذه الغنم؟ قالت: الله، قال: فإني لأسمع الله شأننا وألقى نفسه من الجبل فتقطع. قال ابن عمر: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يحدثنا هذا. قال ابن دينار: كان ابن عمر كثيراً ما يحدثنا بهذا^(٧). في إسناده ضعف، وعبد الله بن جعفر هذا هو المدني ضعفه ولده الإمام علي ابن المدني وغيره.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾^(٨) أي: فذكر يا محمد

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٣/١٤٣) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام (ح ١٢).

(٣) صحيح البخاري، العلم، باب ما جاء في العلم. قبل حديث رقم ٦٣.

(٤) سنن الترمذي، الزكاة، باب ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك (ح ٦١٩)؛ والسنن الكبرى للنسائي، العلم، باب العرض على العالم (ح ٥٨٦٣).

(٥) زيادة من (ح) و(حم).

(٦) المسند ٣/١٦٨؛ وصحيح البخاري، العلم، باب ما جاء في العلم (ح ٦٣)؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب ما جاء في المشرك يدخل المسجد (ح ٤٨٦)؛ وسنن النسائي، الصيام، باب وجوب الصيام ٤/١٢٢؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس (ح ١٤٠٢).

(٧) أخرجه ابن عدي عن أبي يعلى به. (الكامل في الضعفاء ٤/١٧٨). وسنده ضعيف لضعف عبد الله بن جعفر كما قرر الحافظ ابن كثير.

الناس بما أرسلت به إليهم ﴿فَاتِمَّا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] ولهذا قال: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّطٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: «لست عليهم بجبار» أي: لست تخلق الإيمان في قلوبهم^(١).

وقال ابن زيد: لست بالذي تكرههم على الإيمان^(٢).

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها: عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ﷻ» ثم قرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّطٍ ﴿٢٢﴾^(٣). وهكذا رواه مسلم في كتاب الإيمان والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما من حديث سفيان بن سعيد الثوري به بهذه الزيادة^(٤)، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة بدون ذكر هذه الآية^(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ أي: تولى عن العمل بأركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه، وهذه كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَوْلُ ﴿٣٢﴾ [القيامة] ولهذا قال: ﴿يَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ليث، عن سعيد بن أبي هلال، عن علي بن خالد، أن أبا أمانة الباهلي مرَّ على خالد بن يزيد بن معاوية، فسأله عن أئين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله»^(٦)، تفرد بإخراجه الإمام أحمد، وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يزد على ما ههنا: روى عن أبي أمانة وعنه سعيد بن أبي هلال. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي: مرجعهم ومنقلبهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ أي: نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيراً فخير وإن شراً فشر. [آخر تفسير سورة الغاشية، والله الحمد والمنة]^(٧).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع، عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٣/ ٣٠٠)، وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ (ح ٢١)؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الغاشية (ح ٣٣٤١)؛ والسنن الكبرى، التفسير، باب سورة الغاشية (ح ١١٦٧٠).

(٥) صحيح البخاري، الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام (ح ٢٩٤٦)؛ وصحيح مسلم، الحديث السابق.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وحسن سنده محققوه. (المسند ٣٦/ ٥٦٠ ح ٢٢٢٢٦)؛ وعزاه الحافظ ابن حجر إلى الطبراني وقال: سنده جيد. (فتح الباري ١٣/ ٢٥٤)؛ وصححه الألباني بشواهد. (السلسلة الصحيحة ح ٢٠٤٣).

(٧) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بلفظ: «آخرها».

سُورَةُ الْفَجْرِ

[وهي مكية]

قال النسائي: أنبأنا عبد الوهاب بن الحكم، أخبرني يحيى بن سعيد، عن سليمان، عن محارب بن دثار وأبي صالح، عن جابر قال: صلى معاذ صلاة، فجاء رجل فصلى معه، فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذاً فقال: منافق، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى فقال: يا رسول الله: جئت أصلي معه فطول عليّ، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد، فعلفت ناقتي، فقال رسول الله ﷺ: «أفتان يا معاذ؟ أين أنت من ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا﴾، ﴿وَالْفَجْرِ﴾»، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾»^(١)؟.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ﴾ ١ وَلَيْلٍ عَشْرِ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِمْرَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨ وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ٩ فَرَعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ ١٠ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ رَّصَادٍ ١٤

أما الفجر فمعروف وهو الصبح، قاله علي وابن عباس^(٢) وعكرمة ومجاهد والسدي^(٣). وعن مسروق ومحمد بن كعب: المراد به فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر. وقيل: المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده كما قاله عكرمة. وقيل: المراد به جميع النهار، وهو رواية عن ابن عباس^(٤). والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف^(٥).

(١) تقدم نحوه في مطلع تفسير سورة الانفطار، ولكن بدون قول معاذ: منافق، وكذلك بدون ذكر: والفجر، وأما ذكره لسورة الفجر فيشهد له ما تقدم في تفسير سورة الانفطار من رواية الصحيحين بلفظ: اقرأ ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا﴾ و﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ونحوهما. فقله: ونحوهما يدخل فيه سورة. والفجر.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عاصم الأحول، عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي، عن ابن عباس، ويتقوى بسابقه.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري والحاكم من طريق أبي نصر، وهو الأسود بن هلال، عن ابن عباس؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٢٢/٢).

(٥) أخرجه آدم والطبري والحاكم من الطريق السابق، وهو تنمة للرواية السابقة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح =

وقد ثبت في صحيح البخاري، عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام»؛ يعني: عشر ذي الحجة قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء»^(١).

وقيل: المراد بذلك العشر الأول من المحرم، حكاه أبو جعفر بن جرير ولم يعزه إلى أحد^(٢).

وقد روى أبو كدينة، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَلَيْكِلَ عَشْرٍ﴾^(٣) قال: هو العشر الأول من رمضان^(٣)، والصحيح القول الأول.

قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عياش بن عقبة، حدثني خير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر»^(٤). ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله، وكل منهما عن زيد بن الحباب به^(٥). ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به، وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَالْشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾^(٦) قد تقدم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة لكونه التاسع، وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر، وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضاً^(٦).

(قول ثان) وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثني عقبة بن خالد، عن واصل بن السائب، قال: سألت عطاء عن قوله تعالى: ﴿وَالْشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾^(٦) قلت: صلاتنا وترنا هذا؟ قال: لا، ولكن الشفع يوم عرفة، والوتر ليلة الأضحى^(٧).

(قول ثالث) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم الأصبهاني، حدثني أبي، عن النعمان؛ يعني: ابن عبد السلام، عن أبي سعيد بن عوف، حدثني بمكة قال: سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر، فقال: الشفع قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] والوتر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(٨) [البقرة: ٢٠٣].

= من طريق أبي إسحاق السبيعي عن مسروق؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عاصم الأحول عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(١) صحيح البخاري، العيدن، باب فضل العمل في أيام التشريق (ح ٩٦٩).

(٢) كذا ذكره الطبري، وعزاه البغوي إلى اليمن بن رباب (معالم التنزيل ٤/ ٤٨١).

(٣) سنده ضعيف لأن قابوس بن أبي ظبيان لين الحديث. (التقريب ص ٤٤٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، قال محققوه: هذا إسناد لا بأس برجاله، وأبو الزبير لم يصرح بسماعه من جابر. (المسند ٢٢/ ٣٨٩ ح ١٤٥١١)؛ وأخرجه الحاكم من طريق زيد بن الحباب به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٤/ ٢٢٠)؛ وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة (مجمع الزوائد ٧/ ١٣٧).

(٥) السنن الكبرى، التفسير، سورة الفجر ح ١١٦٧١.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق زرارة بن أوفى، عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عاصم الأحول، عن عكرمة.

(٧) سنده ضعيف لضعف واصل بن السائب. (التقريب ص ٥٧٩).

(٨) أبو سعيد بن عوف لم أعثر على ترجمته.

وقال ابن جريج: أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول: الشفع أو وسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق^(١).

وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»^(٢).

(قول رابع) قال الحسن البصري وزيد بن أسلم: الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه، وهو رواية عن مجاهد^(٣)، والمشهور عنه الأول.

وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ قال: الله وتر واحد، وأنتم شفع، ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب^(٤).

(قول خامس) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ قال: الشفع الزوج، والوتر: الله ﷻ^(٥).

وقال أبو عبد الله، عن مجاهد: الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والأنثى.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ كل شيء خلقه الله شفع. السماء والأرض والبر والبحر والجن والإنس والشمس والقمر^(٦). ونحو هذا، ونحا مجاهد في هذا ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات] أي: لتعلموا أن خالق الأزواج واحد.

(قول سادس) قال قتادة، عن الحسن: والشفع والوتر: هو العدد منه شفع ومنه وتر^(٧).

(قول سابع في الآية الكريمة) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج ثم قال ابن جرير: وروي عن النبي ﷺ خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن أبي الزبير؛ حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني، حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني عياش بن عقبة، حدثني خير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر أن رسول الله قال: «الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث»^(٨). هكذا ورد هذا

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن وهب عن عمر بن قيس عن محمد بن المرتفع به وسنده ضعيف لضعف عمر بن قيس وهو المكي المعروف بسندل يروي عنه ابن وهب. (تهذيب التهذيب ٤٩٠/٧، ٤٩١). وقد تابعه ابن جريج.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف آية ١٨٠.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٥) في سنده أبو يحيى وهو القتات وهو ضعيف وقد تابعه ابن أبي نجيح في الرواية التالية.

(٦) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح به، وزيادة قوله: «والله الوتر وحده».

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى مخالفة المتن لما سبق، وفي سنده أبو الزبير لم يصرح بالسماع من جابر.

الخبر بهذا اللفظ، وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم وما رواه هو أيضاً، والله أعلم. قال أبو العالية والربيع بن أنس وغيرهما: هي الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية، ومنها وتر كالمغرب فإنها ثلاث وهي وتر النهار، وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل^(١).

وقد قال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن عمران بن حصين «وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ» قال: هي الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر^(٢). وهذا منقطع وموقوف ولفظه خاص بالمكتوبة وقد روي متصلاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ ولفظه عام.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو داود هو الطيالسي، حدثنا همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام أن شيخاً حدثه من أهل البصرة، عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال: «هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر»^(٣). هكذا وقع في المسند، وكذا رواه ابن جرير، عن بNDAR، عن عفان، وعن أبي كريب، عن عبيد الله بن موسى وكلاهما عن همام، وهو ابن يحيى، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن شيخ، عن عمران بن حصين، وكذا رواه أبو عيسى الترمذي، عن عمرو بن علي، عن ابن مهدي وأبي داود، كلاهما عن همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن رجل من أهل البصرة، عن عمران بن حصين به، ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وقد رواه خالد بن قيس أيضاً عن قتادة، وقد روي عن عمران بن عصام، عن عمران نفسه^(٤). والله أعلم.

قلت: ورواه ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا همام، عن قتادة، عن عمران بن عصام الضبعي شيخ من أهل البصرة، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ، فذكره، هكذا رأيت في تفسيره فجعل الشيخ البصري هو: عمران بن عصام. وهكذا رواه ابن جرير: أخبرنا نصر بن علي، حدثني أبي، حدثني خالد بن قيس، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ في الشفع والوتر قال: «هي الصلاة منها شفع ومنها وتر»^(٥). فأسقط ذكر الشيخ المبهم، وتفرد به عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري إمام مسجد بني ضبيعة. وهو والد أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي، روى عنه قتادة وابنه أبو جمرة والمثنى بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة، وكان شريفاً نبيلاً حظياً عند الحجاج بن

(١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور، بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.

(٢) سنده ضعيف لأن قتادة لم يسمع من عمران بن الحصين ﷺ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/٤٣٧) وسنده ضعيف لإبهام الراوي البصري عن عمران بن الحصين.

(٤) أخرجه الطبري والترمذي بالسند المذكور. (السنن، التفسير، باب ومن سورة الفجر ح ٣٣٤٢)، وسنده ضعيف كسابقه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى تفرد عمران بن عصام الضبعي به.

يوسف، ثم قتله يوم الزاوية سنة ثلاث وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث، وليس له عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد، وعندني أن وقفه على عمران بن حصين أشبه والله أعلم، ولم يعجز ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والوتر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: أي إذا ذهب^(١).

وقال عبد الله بن الزبير: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ﴾ حتى يذهب بعضه بعضاً^(٢).

وقال مجاهد وأبو العالية وقتادة ومالك، عن زيد بن أسلم، وابن زيد: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ﴾ إذا سار^(٣)، وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس؛ أي: ذهب، ويحتمل أن يكون المراد إذا سار؛ أي: أقبل، وقد يقال إن هذا أنسب لأنه في مقابلة قوله: ﴿وَالْفَجْرُ﴾ فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل، فإذا حمل قوله: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ﴾ على إقباله كان قسماً بإقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس كقوله: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا عَسَسَ﴾ ^(٧) وَالضُّبْحُ إِذَا نَفَسَ ^(٨) [التكوير] وكذا قال الضحاك: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ﴾ أي: يجري.

وقال عكرمة: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ﴾ يعني: ليلة جمع؛ ليلة المزدلفة^(٤). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو عامر، عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في قوله: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَسَّرَ﴾ قال: اسر يا سار ولا تبتئ إلا بجمع^(٥).

وقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ أي: لذي عقل ولب ودين وحجاء، وإنما سمي العقل حجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، ومنه حجر البيت؛ لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي، ومنه حجر اليمامة، وحجر الحاكم على فلان إذا منعه التصرف ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢] كل هذا من قبيل واحد، ومعنى متقارب، وهذا القسم هو بأوقات العبادة وبنفوس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له، الخائفون منه المتواضعون لديه الخاضعون لوجهه الكريم، ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾؟ وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذابين لرسله جاحدين لكتبه، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبراً فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ^(٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ^(٧)؟ وهؤلاء عاد الأولى وهم

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عمر بن قيس عن محمد بن المرتفع عن عبد الله بن الزبير، وسنده ضعيف لضعف عمر بن قيس المعروف بسندل. (تهذيب التهذيب ٧/٤٩٠، ٤٩١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه جابر وهو: الجعفي، وهو ضعيف، وفيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف.

(٥) سنده ضعيف لضعف كثير بن عبد الله بن عمرو. (التقريب ص ٤٦٠).

ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح. قاله ابن إسحاق^(١)، وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هوداً عليه السلام فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم ﴿يَرْجِعْ صَرَصِرَ عَلَيْهِمْ سَخِرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَابُ زَحَابٍ﴾ (٧) ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٨) [الحاقة] وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقوله تعالى: ﴿إِرمَ ذَاتَ الْعِمَادِ﴾ (٧) عطف بيان، زيادة تعريف بهم.

وقوله تعالى: ﴿ذَاتَ الْعِمَادِ﴾ لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقه وأقواهم بطشاً، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ [لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ]﴾ (٢) [الأعراف: ٦٩] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وقال ههنا: ﴿أَلَيْسَ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلْدِ﴾ (٨) أي: القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبيهم.

قال مجاهد: إرم، أمة قديمة؛ يعني: عاداً الأولى.

قال قتادة بن دعامة والسدي: إن إرم بيت مملكة عاد^(٣)، وهذا قول حسن جيد وقوي.

وقال مجاهد وقاتدة والكلبي في قوله: ﴿ذَاتَ الْعِمَادِ﴾ كانوا أهل عُمْد لا يقيمون^(٤).

وقال العوفي، عن ابن عباس: إنما قيل لهم ذات العماد لطولهم^(٥)، واختار الأول ابن جرير، وردّ الثاني، فأصاب.

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلْدِ﴾ (٨) أعاد ابن زيد الضمير على العماد لارتفاعها وقال: بنوا عمداً بالأحقاب لم يخلق مثلها في البلاد^(٦)، وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة؛ أي: لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد؛ يعني: في زمانهم، وهذا القول هو الصواب، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف، لأنه لو كان المراد ذلك لقال التي لم يعمل مثلها في البلاد وإنما قال: ﴿لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلْدِ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثني معاوية بن صالح، عمن حدثه، عن المقدام، عن النبي ﷺ أنه ذكر ﴿إِرمَ ذَاتَ الْعِمَادِ﴾ (٧) فقال: «كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم»^(٧).

(١) ينظر سيرة ابن هشام ٧/١؛ وأخرجه الطبري عن ابن إسحاق.

(٢) كذا في سورة الأعراف آية ٦٩، وفي الأصول: «ولا تعثوا في الأرض مفسدين».

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «أهل عمود»؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٧) سنده ضعيف لإبهام الراوي عن المقدام.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو الطاهر، حدثنا أنس بن عياض، عن ثور بن زيد الديلي قال: قرأت كتاباً وقد سمى حيث قرأه: أنا شداد بن عاد، وأنا الذي رفعت العماد، وأنا الذي شددت بذراعي نظر واحد، وأنا الذي كنزت كنزاً على سبعة أذرع لا يخرج به إلا أمة محمد ﷺ^(١).

(قلت): فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها أو أعمدة بيوتهم للبدو أو سلاحاً يقاتلون به أو طول واحد منهم، فهم قبيلة وأمة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع المقرونون بشمود كما ههنا، والله أعلم.

ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾^(٢) مدينة إما دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة^(٣)، أو إسكندرية كما روي عن القرظي^(٤) أو غيرهما ففيه نظر، فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادِ إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾^(٥) إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذٍ، ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد وما أحلَّ الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم.

وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها، وأن حصباءها لآلئ وجواهر، وترابها بنادق المسك، وأنهارها سارحة وثمارها ساقطة، ودورها لا أنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب، وأنها تتنقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد، فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

وذكر الثعلبي وغيره أن رجلاً من الأعراب وهو عبد الله بن قلابة في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت، فبينما هو يتيه في ابتغائها إذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب، فدخلها فوجد فيها قريباً مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها، وأنه رجع فأخبر الناس فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئاً.

وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة إرم ذات العماد ههنا مطولة جداً فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صحَّ إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك أو أنه أصابه نوع من الهوس والخيال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمُتَحِيلِينَ من وجود مطالب تحت الأرض، فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر واليواقيت والآلئ والإكسير الكبير، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل

(١) هذا الكتاب لا يعتمد لأنه ينص على أمر غيبي لا يؤخذ إلا من الوحي، وعليه فالسند معضل.

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة؛ وأخرجه ابن عساكر عن سعيد المسيب (تاريخ دمشق ٢١٧/١)؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق ابن أبي ذئب عن المقبري، وهو سعيد المقبري.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي صخر عن محمد بن كعب القرظي.

في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانا ويطنزون بهم، والذي يجزم به أن في الأرض دفاثن جاهلية وإسلامية وكنوزاً كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله، فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله ﷻ الهادي للصواب.

وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ (٧) قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف، فيه نظر لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة، ولهذا قال بعده: ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (٩) يعني: يقطعون الصخر بالوادي.

قال ابن عباس: ينحتونها ويخرقونها^(١)، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد^(٢)، ومنه يقال مجتأبي النمار إذا خرقوها، واجتأب الثوب إذا فتحه، ومنه الجيب أيضاً وقال الله تعالى: ﴿وَتَنحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ (٤٩) [الشعراء]، وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا قول الشاعر:

ألا كل شيء ما خلا الله بائد كما باد حي من شنيف ومارد
هم ضربوا في كل صماء صعدة بأيدي شداد أيدات السواعد^(٣)
وقال ابن إسحاق: كانوا عرباً وكان منزلهم بوادي القرى.

وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَفَرَعُونَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ (١١) قال العوفي، عن ابن عباس: الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره، ويقال: كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها^(٥)، وكذا قال مجاهد: كان يوتد الناس بالأوتاد^(٦)، وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدي. قال السدي: كان يربط الرجل في كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه^(٧).

وقال قتادة: بلغنا أنه كان له مظل وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال^(٨).

وقال ثابت البناني، عن أبي رافع: قيل لفرعون ذي الأوتاد لأنه ضرب لامراته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحي^(٩) عظيمة حتى ماتت^(١٠).

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «فخرقوها».

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي يحيى، وهو القتات، عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٣) استشهد به الطبري. (٤) في الآيات رقم ٦٥ - ٧٢.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويتقوى بما يليه.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن السدي.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٩) أي: صخرة ضخمة.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن ثابت به.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾﴾ أي: تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ أي: أنزل عليهم رجلاً من السماء وأحلّ بهم عقوبة، لا يردّها عن القوم المجرمين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَإِلْمَرَصَدٍ ﴿١٤﴾﴾ قال ابن عباس: يسمع ويرى^(١)؛ يعني: يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلّاً بسعيه في الدنيا والأخرى، وسيعرض الخلائق كلّهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلّاً بما يستحقّه، وهو المنزه عن الظلم والجور.

وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثاً غريباً جداً وفي إسناده نظر وفي صحته، فقال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا يونس الحذاء، عن أبي حمزة البيسانى، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ إن المؤمن لدى الحق أسير، يا معاذ إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره، يا معاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو - بإذن الله ﷻ -، فالقرآن دليله، والخوف محجته، والشوق مطيته، والصلاة كهفه، والصوم جنته، والصدقة فكاكه، والصدق أميره، والحياء وزيره، وربّه ﷻ من وراء ذلك كله بالمرصاد»^(٢).

قال ابن أبي حاتم: يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة، عن معاذ مرسل. ولو كان عن أبي حمزة لكان حسناً؛ أي: لو كان من كلامه لكان حسناً.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم، عن صفوان بن عمرو، عن أيفع، عن ابن عبد الكلاعي أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول: إن لجهنم سبع قناطر قال: والصراط عليهنّ، قال: فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى فيقول: ﴿وَقِفُّهُمْ أَيْتَمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الصفات] قال: فيحاسبون على الصلاة ويسألون عنها، قال: فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الأمانة كيف أدوها وكيف خانوها؟ قال: فيهلك من هلك وينجو من نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها؟ قال: فيهلك من هلك وينجو من نجا، قال: والرحم يومئذ متدلية إلى الهوى في جهنم تقول: اللهم من وصلني فصله، ومن قطعني فاقطعه، قال: وهي التي يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَإِلْمَرَصَدٍ ﴿١٤﴾﴾^(٣). هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْبَتَّةَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْتَضَنُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْثَلًا لَمَّا ﴿١٩﴾ وَتَحْبُوتُ أَلْمَالُ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى منكرّاً على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) سنده ضعيف لجهالة أبي حمزة وجهالة يونس الحذاء.

(٣) سنده ضعيف لضعف أيفع. (التقريب ص ١١٧).

ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى: ﴿يُحَسِّبُونَ أَنَّمَا يُنْذِرُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ سُوءٌ لَهُمْ فِي الْفِتْرِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون] وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين: إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيراً بأن يصبر.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ فيه أمر بالإكرام له؛ كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن أبي سليمان، عن يزيد بن أبي عتاب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»، ثم قال بأصبعه: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»^(١).

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان، أخبرنا عبد العزيز؛ يعني: ابن أبي [حازم]^(٢)، حدثني أبي، عن سهل؛ يعني: ابن سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام^(٣)، ﴿وَلَا تَحْضُوتُمْ عَلَىٰ طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ يعني: لا يأمرن بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ﴾ يعني: الميراث ﴿أَكْثَلًا لِّمَاءٍ﴾ أي: من أي جهة حصل لهم ذلك من حلال أو حرام ﴿وَتَحْضُوتُ الْمَالَ جُبًا جَمًّا﴾ أي: كثيراً، زاد بعضهم: فاحشاً.

﴿كَلَّا﴾ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٦٧﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٦٨﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْإِنْسَانَ وَلَهُ لَكُمُ الدُّكْرُ ﴿٦٩﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٧٠﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٧١﴾ وَلَا يُؤْنَسُ وَفَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٧٢﴾ يَكْتُمُنَّ الْأَنفُسُ الْظُغْمَانُ ﴿٧٣﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرضِيَةً ﴿٧٤﴾ فَأَدْخِلْ فِي عِبَادِي ﴿٧٥﴾ وَأَدْخِلْ جَنِّي ﴿٧٦﴾.

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة، فقال تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: حقاً ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أي: وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال، وقام الخلائق من قبورهم لربهم ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ يعني: لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد صلوات الله عليه وسلامه عليه، بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحداً بعد واحد، فكلهم يقول: لست بصاحب ذاكم حتى تنتهي النبوة إلى محمد ﷺ فيقول: «أنا لها أنا

(١) أخرجه ابن المبارك بسنده ومثله (الزهد رقم ٦٥٤)؛ وأخرجه ابن ماجه من طريق ابن المبارك به (السنن، الأدب، باب حق اليتيم ح ٣٦٧٩)؛ وضعفه البوصيري لضعف يحيى بن سليمان (مصباح الزجاجة ٣/ ١٦٥).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضحف إلى: «حاتم».

(٣) أخرجه أبو داود بسنده ومثله. (السنن، الأدب، باب من ضم اليتيم ح ٥١٥٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٢٨٩).

لها» فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء، فيشفعه الله تعالى في ذلك. وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود كما تقدم بيانه في سورة سبحان^(١)، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، عن العلاء بن خالد الكاهلي، عن شقيق، عن عبد الله هو: ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»^(٢). وهكذا رواه الترمذي، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، عن عمر بن حفص به. ورواه أيضاً عن عبد بن حميد، عن أبي عامر، عن سفيان الثوري، عن العلاء بن خالد، عن شقيق بن سلمة - وهو أبو وائل - عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعه، وكذا رواه ابن جرير، عن الحسن بن عرفة، عن مروان بن معاوية الفزاري، عن العلاء بن خالد، عن شقيق، عن عبد الله قوله^(٣).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ أي: عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه ﴿وَأَنَّ لَهُ الذِّكْرَ﴾ أي: وكيف تنفعه الذكرى ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يعني: يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصياً ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعاً؛ كما قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا عبد الله - يعني: ابن المبارك -، حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفيير، عن محمد بن أبي عميرة، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: لو أن عبداً خرّ على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هرمأ في طاعة الله لحقره يوم القيامة، ولو أنه ردّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب^(٤). وقد رواه أيضاً عن خالد بن معدان، عن عتبة بن عبيد، عن رسول الله ﷺ^(٥).

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ أي: ليس أحد أشدّ عذاباً من تعذيب الله من عصاه ﴿وَلَا يُؤْتِي وَكَافَهُ أَحَدًا﴾ أي: وليس أحد أشدّ قبضاً وثقلاً من الزبانية لمن كفر بربهم ﷻ، وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين، فأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ^(٩٥٦) ^(٩٥٧) ^(٩٥٨) ^(٩٥٩) ^(٩٦٠) ^(٩٦١) ^(٩٦٢) ^(٩٦٣) ^(٩٦٤) ^(٩٦٥) ^(٩٦٦) ^(٩٦٧) ^(٩٦٨) ^(٩٦٩) ^(٩٧٠) ^(٩٧١) ^(٩٧٢) ^(٩٧٣) ^(٩٧٤) ⁽

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية، فروى الضحاك، عن ابن عباس: نزلت في عثمان بن عفان^(١).

وعن بُريدة بن الحصيبي: نزلت في حمزة بن عبد المطلب ﷺ^(٢).

وقال العوفي، عن ابن عباس: يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ۖ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾ وروي عنه أنه كان يقرؤها ﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^(٤) وكذا قال عكرمة^(٥) والكلبي، واختاره ابن جرير وهو غريب، والظاهر الأول لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ﴿وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٣] أي: إلى حكمه والوقوف بين يديه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي، حدثني أبي، عن أبيه، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾ قال: نزلت وأبو بكر جالس فقال: يا رسول الله ما أحسن هذا، فقال: «أما إنه يقال لك هذا»^(٦).

ثم قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن يمان، عن أشعث، عن سعيد بن جبیر قال: قرئت عند النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾ فقال أبو بكر ﷺ: «إن هذا لحسن، فقال له النبي ﷺ: «أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت». وكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن ابن يمان به^(٧)، وهذا مرسل حسن.

ثم قال ابن أبي حاتم: وحدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا مروان بن شجاع الجزري، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبیر قال: مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقته، فدخل نعشه ثم لم ير خارجاً منه، فلما دفن ثلثت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾ فادخلي في عَبْدِي ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^(٨).

ورواه الطبراني عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عن مروان بن شجاع، عن سالم بن عجلان الأفطس به فذكره^(٩).

(١) سنده ضعيف لأن الضحاك لم يلق ابن عباس ﷺ، ونسبه السيوطي إلى ابن مردويه.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن بُريدة.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف جداً فيه أبان بن أبي عياش وهو متروك. (التقريب ص ٨٧) وقراءة: «فادخلي عبدي» شاذة تفسيرية.

(٥) أي: كتفسير العوفي عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عكرمة.

(٦) سنده حسن.

(٧) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وهو مرسل ويتقوى بسابقه.

(٨) في سنده مروان بن شجاع الجزري: صدوق له أوهام. (التقريب ص ٥٢٦).

(٩) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن أحمد به (المعجم الكبير ١٠/٢٩٠ ح ١٠٥٨١) وفي سنده أيضاً مروان بن شجاع.

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي - المعروف بشكر - في كتاب «العجائب» بسنده عن ثبات بن رزين أبي هاشم قال: أُسرت في بلاد الروم، فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضُربت عنقه، فارتدّ ثلاثة، وجاء الرابع فامتنع فضُربت عنقه وألقي رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال: يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم بأسمائهم قال الله تعالى في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ ثم غاص في الماء، قال: فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام، قال وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا.

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي، عن أبيها، حدثني سليمان بن حبيب المحاربي، حدثني أبو أمانة، أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «قل اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة تؤمن ببلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك»^(١). ثم روى عن أبي سليمان بن زبر أنه قال: حديث رواحة هذا واحد أمه^(٢). آخر تفسير سورة الفجر، والله الحمد [والمنة]^(٣).

(١) أخرجه ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن عبد الغفار البيروتي عن رواحة به (تاريخ دمشق، قسم تراجم النساء ص ١٠٠) وعبد الرحمن ورواحة لم أجد لهم ترجمة وبقية رجاله ثقات؛ وأخرجه الطبراني من طريق عبد الرحمن بن عبد الغفار عن رواحة به (المعجم الكبير ١١٨/٨ ح ٧٤٩٠)؛ قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه. (مجمع الزوائد ١٠/١٨٠).

(٢) أخرجه ابن عساكر من طريق آخر عن عبد الرحمن بن عبد الغفار به ثم أتبعه بتعليق من طريق موسى السمسار قال: قال أبو سليمان بن زبر: حديث رواحة هذا واحد أمه. (تاريخ دمشق، قسم تراجم النساء ص ١٠١).

(٣) زيادة من (ح).

سُورَةُ الْبَلَدِ

مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَلَدًا ۝ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝ أَلَمْ نَجْعَلْ لَمْ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝﴾

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالاً لينه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها.

قال خُصيف، عن مجاهد: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝﴾ ﴿لَا﴾ ردّ عليهم، ﴿أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(١). وقال شبيب بن بشر: عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝﴾ يعني: مكة ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝﴾ قال: أنت يا محمد يحل لك أن تُقاتل به^(٢)، وكذا روي عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد^(٣). وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلال لك^(٤).

وقال قتادة: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝﴾ قال: أنت به من غير حرج ولا إثم^(٥). وقال الحسن البصري: أحلّها الله له ساعة من نهار، وهذا المعنى الذي قالوه ورد به الحديث المتفق على صحته: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه، وإنما أُحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب»^(٦). وفي لفظ آخر: «فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا: إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم»^(٧).

(١) عزاه السيوطي إلى الفريابي وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) سنده حسن، ويشهد له ما يليه من آثار.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٢٦.

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٢٦.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَمَا وَلَدَ﴾ (٣) قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن عطية، عن شريك، عن خُصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَمَا وَلَدَ﴾ (٣) الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له^(١). ورواه ابن أبي حاتم من حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به^(٢).

وقال عكرمة: الوالد العاقر، وما ولد الذي يلد^(٣). رواه ابن أبي حاتم.

وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثوري وسعيد بن جبير والسدي والحسن البصري وخُصيف وشرحيل بن سعد وغيرهم: يعني بالوالد: آدم، وما ولد: ولده^(٤).

وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي؛ لأنه تعالى لما أقسم بأُم القرى وهي: أُم المساكن أقسم بعده بالسكن وهو آدم أبو البشر وولده.

وقال أبو عمران الجوني: هو إبراهيم وذريته، رواه ابن جرير^(٥) وابن أبي حاتم، واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده وهو محتمل أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (١) روي عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي وخيثمة والضحاك وغيرهم يعني: منتصباً، زاد ابن عباس في رواية عنه: منتصباً في بطن أمه^(٦)، والكبد الاستواء والاستقامة، ومعنى هذا القول لقد خلقناه سوياً مستقيماً كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (١) أَلْزَى خَلْقَكَ فَسَوْنَكَ فَعَدْلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) [الانفطار] وكقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (١) [التين].

وقال ابن جريج، [عن]^(٧) عطاء، عن ابن عباس: ﴿في كَبَدٍ﴾ قال: في شدة خلق ألم تر إليه؟ وذكر مولده ونبات أسنانه^(٨).

وقال مجاهد: ﴿في كَبَدٍ﴾ نطفة ثم علقه ثم مضغة يتكبد في الخلق، قال مجاهد: وهو كقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ وأرضعته كرهاً ومعيشته كره فهو يكابد ذلك.

وقال سعيد بن جبير: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (١) في شدة وطلب معيشة.

(١) أخرجه الطبري بسنده ومنته؛ وأخرجه آدم بن أبي إياس عن شريك به، وفي سنده شريك وخصيف وكلاهما سيء الحفظ.

(٢) سنده كسابقه.

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق النضر بن عربي عن عكرمة.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي بلفظ: «في انتصاب، ويقال: في شدة»؛ وأخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة بلفظ: في نصب، واللفظ الذي ذكره الحافظ ابن كثير عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منصور عن إبراهيم.

(٧) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل: (و) والتصويب كما في التخريج.

(٨) أخرجه الطبري والحاكم من طريق ابن جريج به؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٢٣/٢).

وقال عكرمة: في شدة وطول^(١).

وقال قتادة: في مشقة^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو عاصم، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر، سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلاً من الأنصار عن قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: في قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر^(٣). وروي من طريق أبي مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: يكابد أمراً من أمر الدنيا وأمراً من أمر الآخرة، وفي رواية: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة^(٤).

وقال ابن زيد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: آدم خلق في السماء فسمي ذلك الكبد^(٥)، واختار ابن جرير أن المراد بذلك: مكابدة الأمور ومشاقها.

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [قال الحسن البصري: يعني: ﴿يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾] يأخذ ماله^(٦). وقال قتادة: ﴿يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ قال: ابن آدم يظن أن لن يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه، وأين أنفقه.

وقال السدي: ﴿يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ قال الله ﷻ^(٧).

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأُ﴾ أي: يقول ابن آدم: أنفقت ما لا لبداً؛ أي: كثيراً. قاله مجاهد والحسن وقاتدة والسدي وغيرهم^(٨).

﴿يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ قال مجاهد: أي: أحسب أن لم يره الله ﷻ؟ وكذا قال غيره من السلف^(٩).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ﴾ أي: يبصر بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ أي: ينطق به فيعبر عما في ضميره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمالاً لوجهه وفمه.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي عن مكحول قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعماً عظاماً لا تحصي عددها ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء، فانظر

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق النضر بن عري عن عكرمة بلفظ: «في شدة».

(٢) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بمعناه.

(٣) سنده ضعيف لضعف أحمد بن عصام. (لسان الميزان ١/٢٢٠).

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق علي بن علي بن رفاعة عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٦) زيادة من نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي.

(٧) كذا في الأصول، وفيما عزاه السيوطي إلى ابن المنذر عن السدي أوضح إذ هو بلفظ: «الكافر: يحسب أن لن يقدر الله عليه ولم يره».

(٨) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٩) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة بنحوه.

بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لساناً وجعلت له غلافاً فانطق بما أمرتك وأحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك. وجعلت لك فرجاً وجعلت لك سترأ، فأصّب بفرجك ما أحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، ابن آدم إنك لا تحمل سخطي، ولا تطيق انتقامي»^(١).

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ الطريقتين. قال سفيان الثوري: عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله هو: ابن مسعود ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: الخير والشر^(٢)، وكذا روي عن علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي وائل وأبي صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراساني في آخرين^(٣).

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «هما نجدان فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»^(٤). تفرد به سنان بن سعد، ويقال: سعد بن سنان، وقد وثقه ابن معين، وقال الإمام أحمد والنسائي والجوزجاني: منكر الحديث، وقال أحمد: تركت حديثه لاضطرابه، وروى خمسة عشر حديثاً منكراً كلها ما أعرف منها حديثاً واحداً يشبه حديثه حديث الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديث أنس.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عليه، عن أبي رجاء قال: سمعت الحسن يقول: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يا أيها الناس إنهما النجدان نجد الخير ونجد الشر، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير» وكذا رواه حبيب بن الشهيد ومعمّر ويونس بن عبيد وأبو وهب، عن الحسن مرسلأ، وهكذا أرسله قتادة^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا عيسى بن عقّال، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: الثديين^(٦) وروي عن الربيع بن خثيم وقاتدة وأبي حازم مثل ذلك^(٧)، ورواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن عيسى بن عقّال به ثم قال: والصواب القول الأول، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّا

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل.

(٢) أخرجه الطبري والحاكم من طريق سفيان الثوري به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٢٣/٢).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه ابن عدي من طريق عبد الله بن وهب به (الكامل في الضعفاء ٣٥٦/٣) وسنده ضعيف لتفرد سنان بن سعد به، وفيه مقال أيضاً كما نقل الحافظ ابن كثير عن كبار النقاد.

(٥) أخرجه الطبري بالأسانيد الثلاثة، وهي كلها مرسلة.

(٦) سنده ضعيف لضعف أحمد بن عصام كما في التقريب، وعيسى بن عقّال سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم، وقد خالف ما ثبت عن ابن عباس أنه الهدى والضلالة؛ كما أخرجه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق منذر الثوري عن الربيع بن خثيم بلفظ: «ليسا بالثديين».

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان].

﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿٣﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿٤﴾ بَلِيغًا ذَا مَقَرَبَةٍ ﴿٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتَرَبَةٍ ﴿٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا بِلَيْسِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿١٠﴾

قال ابن جرير: حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن عطية^(٢)، عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ﴾ أي: دخل ﴿الْعَقَبَةَ﴾ قال: جبل في جهنم^(٣).

وقال كعب الأحبار: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ هو سبعون درجة في جهنم^(٤).

وقال الحسن البصري: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ قال: عقبة في جهنم^(٥).

وقال قتادة: إنها عقبة قحمة شديدة فافتحموها بطاعة الله تعالى^(٦).

وقال قتادة: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ.

وقال ابن زيد: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أي: أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بينها فقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿٣﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ ﴿٤﴾. فُرئ ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ بالإضافة، وقرئ على أنه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله، وكلتا القراءتين معناهما متقاربان^(٨).

قال الإمام أحمد: حدثنا [مكي]^(٩) بن إبراهيم، حدثنا عبد الله - يعني: ابن سعيد بن أبي هند - عن إسماعيل بن أبي حكيم، مولى آل الزبير، عن سعيد بن مرجانة أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب؛ أي: عضو - منها إرباً منه من النار حتى إنه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج».

فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ فقال سعيد: نعم. فقال علي بن الحسين لغلام له أفره غلمانته: ادع مطرفاً، فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله^(١٠).

(١) أخرجه الطبري عن أبي كريب به، وفي سنده عيسى بن عقال مسكوت عنه، وهو مخالف ما ثبت عن ابن عباس.

(٢) كذا في (حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل (ح): أبي عطية والتصويب من ترجمة عطية وهو العوفي، ومن التخريج.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثنه؛ وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن إدريس به (المصنف ٣٠٧/١١). وسنده ضعيف لضعف عطية العوفي.

(٤) أخرجه الطبري من طريق حنش عن كعب، وسنده ضعيف لأنه مثل المرسل.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٨) القراءتان متواترتان.

(٩) كذا في المسند، وفي الأصل صحف إلى: «علي».

(١٠) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه، وصححه سنده محققوه. (المسند ٢٦٠/١٥، ٢٦١ ح ٩٤٤١).

وقد رواه البخاري، ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانة به، وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطي فيه عشرة آلاف درهم^(١). وقال قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن أبي نجيع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عَظَامِهِ مُحَرَّرًا مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عَظَامِهَا مِنَ النَّارِ» رواه ابن جرير^(٢) هكذا، وأبو نجيع هذا هو عمر بن عبسة السلمي رحمه الله.

قال الإمام أحمد: حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا بقية، حدثني بجير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن عمرو بن عبسة أنه حدثهم أن النبي ﷺ قال: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِيَذْكُرَ اللَّهَ فِيهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ. وَمَنْ أَعْتَقَ نَفْسًا مُسْلِمَةً كَانَتْ فَدَيْتُهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمِنْ شَابٍ شَبِيهٍ فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا جرير، عن سليم بن عامر، أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عبسة: حدثنا حديثاً ليس فيه تزويد ولا نسيان. قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فَكَاكِهِ مِنَ النَّارِ عَضْوًا بَعْضُو، وَمِنْ شَابٍ شَبِيهٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فَبَلَغَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ كَانَ كَمَعْتَقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ»^(٤). وروى أبو داود والنسائي بعضه^(٥).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الفرج، حدثنا لقمان، عن أبي أمية، عن عمرو بن عبسة، قال السلمي: قلت له: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم، قال: سمعته يقول: «مَنْ وَلَدَ لَهُ ثَلَاثَةَ أَوْلَادٍ فِي الْإِسْلَامِ فَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْحَنْثَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَمِنْ شَابٍ شَبِيهٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَلَغَ بِهِ الْعُدُوَّ أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ كَانَ لَهُ عَتَقُ رَقَبَةٍ، وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ يَدْخُلُهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ مِنْهَا»^(٦). وهذه أسانيد جيدة قوية، والله الحمد.

(١) صحيح البخاري، العتق، باب العتق وفضله (ح ٢٥١٧)؛ وصحيح مسلم، العتق، باب فضل العتق (ح ١٥٠٩).
(٢) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به، وسنده صحيح، ويشهد له سابقه.
(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله قال محققوه: حديث صحيح دون قوله: «مَنْ بَنَى اللَّهُ مَسْجِدًا...» فصحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف فيه بقية، وهو ابن الوليد، يدلّس تدليس التسوية وقد عنعن، وباقي رجال الإسناد ثقات. (المسند ١٨٧/٣٢ ح ١٩٤٤٠) لكن بقية صرح بالسماع، فالإسناد حسن، ويكون بالشواهد صحيحاً لغيره.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١١٣/٤) وسنده صحيح، ويشهد له سابقه ولا حقه.
(٥) أخرجه أبو داود من طريق سليم بن عامر به مختصراً. السنن، العتق، باب أي الرقاب أفضل (ح ٣٩٦٦)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٣٥٦)؛ وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، العتق، باب فضل العتق (ح ٤٨٧٤).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، قال محققوه: حديث صحيح دون قوله: «مَنْ وَلَدَ لَهُ...» و«مَنْ أَنْفَقَ =

حديث آخر: قال أبو داود: حدثنا عيسى بن محمد الرملي، حدثنا ضمرة، عن ابن أبي عبله، عن العريف بن عياش الديلمي، قال: أتينا وائلة بن الأسقع فقلنا له: حدثنا حديثاً ليس فيه زيادة ولا نقصان، فغضب وقال: إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص، قلنا: إنما أردنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، قال: أتينا رسول الله ﷺ في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال: «أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار»^(١)، وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عبله، عن العريف بن عياش الديلمي، عن وائلة به^(٢).

حديث آخر: قال أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا هشام، عن قتادة، عن قيس الجذامي، عن عقبة بن عامر الجهني، أن رسول الله ﷺ قال: «من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار»^(٣)، وحدثنا عبد الوهاب الخفاف، عن سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن قيساً الجذامي حدث عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار»^(٤). تفرد به أحمد من هذا الوجه.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالا: حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بني بجيلة من بني سليم، عن طلحة بن مصرف، عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة، فقال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة، أعتق النسمة وفك الرقبة» فقال: يا رسول الله أو ليستا بواحدة، قال: «لا إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها، والمنحة الكوف»^(٥)، والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير»^(٦).

وقوله: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾ قال ابن عباس: ذي مجاعة^(٧)، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد^(٨)، والسغب هو الجوع.

= زوجين» فصحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف الفرج وهو ابن فضالة. (المسند ٣٢/١٨٢ ح ١٩٤٣٧). والأحسن أن نقول: أن الإسناد يكون حسناً لغيره بالشواهد. ولهذا جوده الحافظ ابن كثير.

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله. (السنن، العتق، باب في ثواب العتق ح ٣٩٦٤) في سننه العريف بن عياش وهو مقبول (التقريب ص ٤٤٢).

(٢) السنن الكبرى، العتق، باب ذكر اسم هذا الولي (ح ٤٨٩١) وسنده كسابقه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/١٥٠) وسنده ضعيف لأن قتادة لم يسمع من قيس، ويشهد له ما سبق فيكون حسناً لغيره.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤/١٤٧) وسنده ضعيف لإبهام شيخ قتادة، ويتقوى بالشواهد السابقة، ولهذا جود الحافظ ابن كثير هذه الأسانيد بمجموعها.

(٥) أي: الغزيرة اللبن.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وصححه سننه محققوه. (المسند ٣٠/٦٠٠ ح ١٨٦٤٧).

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن برقان عن عكرمة؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح =

وقال إبراهيم النخعي: في يوم الطعام فيه عزيز.

وقال قتادة: في يوم [يُشْتَهَى] ^(١) فيه الطعام.

وقوله تعالى: ﴿يَتِيمًا﴾ أي: أطعم في مثل هذا اليوم يتيمًا ﴿ذَا مَقَرَّبَةٍ﴾ أي: ذا قرابة منه. قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي ^(٢)، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا هشام، عن حفصة بنت سيرين، عن سلمان بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة» ^(٣) وقد رواه الترمذي والنسائي ^(٤). وهذا إسناد صحيح.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ﴾ ^(٥) أي: فقيراً مدقعاً لاصقاً بالتراب، وهو الدقعاء أيضاً. قال ابن عباس: ﴿ذَا مَتْرَبٍ﴾ هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب ^(٥). وفي رواية: هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء. وفي رواية عنه: هو البعيد التربة ^(٦).

قال ابن أبي حاتم: يعني: الغريب عن وطنه.

وقال عكرمة: هو الفقير المديون المحتاج.

وقال سعيد بن جبير: هو الذي لا أحد له ^(٧).

وقال ابن عباس وسعيد وقاتلة ومقاتل بن حيان: هو ذو العيال ^(٨). وكل هذه قرية المعنى.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]. وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الآية [النحل: ٩٧] وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ أي: كان من

= من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف فيه إبهام شيخه عن الضحاك، ويتقوى بما سبق.

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، حفصة لم تسمع من سلمان، (المسند ٤١٦/٢٩ ح ١٧٨٨٤) وصححه الحافظ ابن كثير.

(٤) سنن الترمذي، الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة (ح ٦٥٨)؛ وسنن النسائي، الزكاة، باب الصدقة على الأقارب ٩٢/٥؛ وصححه الألباني من حديث الرباب عن عمها سلمان بن عامر (صحيح سنن الترمذي ما بعد حديث ٥٣١).

(٥) أخرجه الطبري من طرق صحيحة عن مجاهد عن ابن عباس؛ وأخرجه الحاكم من طريق مجاهد عن ابن عباس بنحوه وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٢٤/٢).

(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وهو تمة لسابقه.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

المؤمنين العاملين صالحاً، المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث الشريف: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(١). وفي الحديث الآخر: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»^(٢).

وقال أبو داود: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن ابن عامر، عن عبد الله بن عمرو يرويه [عن النبي ﷺ]^(٣) قال: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أي: المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أي: أصحاب الشمال ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾^(٥) أي: مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها!

قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي وعطية العوفي والحسن وقتادة والسدي: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ أي: مطبقة^(٥).

قال ابن عباس: مغلقة الأبواب، وقال مجاهد: أصد الباب بلغة [قريش]^(٦) أي: أغلقه^(٧). وسيأتي في ذلك حديث في سورة ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّزْمَةً﴾ [الهمزة]. وقال الضحاك: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ حِيطٌ لا باب له.

وقال قتادة: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرَجٌ ولا خروج منها آخر الأبد^(٨).

وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره، فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أوصدوها عليهم؛ أي: أطبقوها، قال: فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبداً، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً^(٩)، رواه ابن أبي حاتم.

آخر تفسير سورة البلد، والله الحمد والمئة.

(١) تقدم في تفسير سورة محمد آية ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري من حديث جرير بن عبد الله (الصحيح، التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ...﴾ [الإسراء: ١١٠] ح ٧٣٧٦).

(٣) زيادة من سنن أبي داود.

(٤) أخرجه أبو داود بسنده ومتنه وزيادة من طريق شيخه ابن السرح. (السنن، الأدب، باب في الرحمة ح ٤٩٤٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤١٣٤)؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ١٧٨/٤).

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٨) تقدم تخريجه قبل الرواية السابقة.

(٩) سنده ضعيف حكمه كالمرسل.

سُورَةُ الشَّمْسِ

وهي مكية

تقدم حديث جابر الذي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هَلَّا صَلَّيْتُ بِسُورَةِ الشَّمْسِ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿٢﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿٣﴾﴾؟»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَلَّهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا حَمَلَهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾.

قال مجاهد: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾﴾ أي: وضوئها^(٢).
وقال قتادة: ﴿وَضُحَاهَا﴾ النهار كله^(٣).

قال ابن جرير: والصواب أن يقال: أقسم الله بالشمس ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار^(٤). ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾﴾ قال مجاهد: تبعها^(٥).
وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾﴾ قال: يتلو النهار^(٦).
وقال قتادة: إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس روي الهلال^(٧).
وقال ابن زيد: هو يتلوها في النصف الأول من الشهر ثم هي تتلوه وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر^(٨).

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: إذا تلاها ليلة القدر^(٩).
وقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾﴾ قال مجاهد: أضواء^(١٠).

- (١) ينظر مطلع سورة الانفطار، ومطلع سورة الفجر.
- (٢) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
- (٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.
- (٤) ذكره الطبري بلفظه.
- (٥) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.
- (٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.
- (٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.
- (٩) سنده صحيح.
- (١٠) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق أبي نجيع عن مجاهد.

وقال قتادة: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا﴾ (٣) إذا غشيها النهار^(١).

وقال ابن جرير: وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: والنهار إذا جلا الظلمة، لدلالة الكلام عليها^(٢).

(قلت): ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا﴾ (٣) أي: البسيطة لكان أولى ولصح تأويله في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّيْ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ (٤) فكان أجود وأقوى، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا﴾ (٣) إنه كقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل] وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها، وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّيْ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ (٤) يعني: إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق.

وقال بقية بن الوليد، عن صفوان: حدثني يزيد بن ذي حمامة قال: إذا جاء الليل قال الرب جلّ جلاله غشي عبادي خلقي العظيم فالليل يهابه، والذي خلقه أحق أن يهاب. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَلَّهَا﴾ (٥) يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها، وهو قول قتادة^(٣)، ويحتمل أن تكون بمعنى (مَنْ) يعني والسماء وبانيها، وهو قول مجاهد^(٤)، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أي: بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُنْهَدُونَ (٤٨) [الذاريات] وهكذا قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾ (٦) قال مجاهد: طحاها: دحاها^(٥).

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وَمَا طَحَّهَا﴾ أي: خلق فيها^(٦).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: طحاها قسمها^(٧).

وقال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والثوري وأبو صالح وابن زيد: ﴿طَحَّهَا﴾ بسطها^(٨)، وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة.

قال الجوهري: طحوته مثل دحوته؛ أي: بسطته.

وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) أي: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمية كما قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ﴾ [الروم: ٣٠]

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة، عن قتادة.

(٢) ذكره الطبري بنحوه، ويقصد ببعض أهل العربية: الفراء فقد ذكره في معاني القرآن (٢٦٦/٣).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «وبناؤها خلقها».

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد. بلفظ: «الله بنى السماء».

(٥) أخرجه آدم والطبري بالسند المتقدم عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به.

(٧) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وأما قول مجاهد فقد تقدم قبل روايتين بلفظ: «دحاها».

وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟» أخرجاه من رواية أبي هريرة^(١)، وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حمار المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَالْتَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ أي: فأرشدنا إلى فجورها؛ أي: بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها.

قال ابن عباس: ﴿فَالْتَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ بين لها: الخير والشر^(٣)، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري^(٤).

وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر^(٥).

وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقواها^(٦).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا: حدثنا عزرة بن ثابت، حدثني يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن أبي الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن حصين: أرايت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قضى عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلماً؟ قال: ففزعت منه فزعاً شديداً قال: قلت له: ليس شيء إلا وهو خلقه وملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، قال: سددك الله إنما سألتك لأخبر عقلك، إن رجلاً من مزينة أو جهينة أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرايت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون، شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت به عليهم الحجة؟ قال: «بل شيء قد قضى عليهم» قال: [ففيهم نعمل]؟^(٧) قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهينه لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَنَقِصَ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ٧ ﴿فَالْتَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨»^(٨). رواه أحمد ومسلم من حديث [عزرة]^(٩) ابن ثابت به^(١٠).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء آية ١١٩. (٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء آية ١١٩.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إبهام شيخ الطبري.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير بلفظ: «الزمها».

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٧) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل بياض ثم كلمة: يعمل.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٩) كذا في (ح) و(حم)؛ وصحيح مسلم، وفي الأصل صحف إلى: عروة.

(١٠) المسند ٤/٤٣٨؛ وصحيح مسلم، القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه... (ح ٢٦٥٠).

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ❶، يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه؛ أي: بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الأخلاق الدنيئة والردائل^(١)، ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير^(٢). وكقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ❷ وذكّر أسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ❸ [الأعلى].

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ❹، أي: دسها؛ أي: أحملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله ﷻ، وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دسى الله نفسه؛ كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي وأبو زرعة قالا: حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا أبو مالك يعني: عمرو بن هشام، عن جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ❺ قال النبي ﷺ: «أفلحت نفس زكاها الله ﷻ» ورواه ابن أبي حاتم من حديث مالك به^(٤)، وجوير هذا هو ابن سعيد: متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس.

وقال الطبراني: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، حدثنا أبي، حدثنا ابن لهيعة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ بهذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ❻ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❷ وقف ثم قال: «اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وخير من زكاها»^(٥).

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يعقوب بن حميد المدني، حدثنا عبد الله بن الأموي، حدثنا معن بن محمد الغفاري، عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ❸ قال: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»^(٦). لم يخرجوه من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن نافع، عن ابن عمر، عن صالح بن سعيد، عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول: «رب أعط نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»^(٧). تفرد به.

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري من طريق خُصيف عن مجاهد وسعيد بن جبير عن عكرمة، وخُصيف سيئ الحفظ.

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظه؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «تكذيبها».

(٤) كلا الطريقين ضعيف كما فصل الحافظ ابن كثير.

(٥) أخرجه الطبراني بسنده ومثنه. (المعجم الكبير ١١/ ١٠٦ ح ١١٩١) وحسن سنده الهيثمي (مجمع الزوائد ٧/ ١٤١) وهذا الحكم يستقيم بالشواهد التالية، فإن فيه ابن لهيعة ولكن روي من طرق أخرى كما سيأتي.

(٦) أخرجه ابن أبي عاصم من طريق يعقوب بن حميد المزني به. (السنن ح ٣١٨) وفي سننه عبد الله بن عبد الله الأموي: لين الحديث. (التقريب ص ٣١٠)، ويتقوى بالرواية السابقة.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه، وقال محققوه: رجاله ثقات. (المسند ٤٢/ ٤٩٢ ح ٢٥٧٥٧). ويشهد له رواية الإمام أحمد ومسلم التالية.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عاصم الأحول، عن عبد الله بن الحارث، عن زيد بن أرقم، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والهزم والجبن والبخل وعذاب القبر. اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع. وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها» قال زيد: كان رسول الله ﷺ يعلمناهن ونحن نُعلمكموهن^(١)، رواه مسلم من حديث أبي معاوية، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن الحارث وأبي عثمان النهدي، عن زيد بن أرقم به^(٢).

﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَنِهَا﴾ (١١) إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَّوْهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ﴿١٦﴾

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي. وقال محمد بن كعب: ﴿يَطْغَوْنَهَا﴾ أي: بأجمعها^(٣)، والأول أولى. قاله مجاهد وقتادة وغيرهما^(٤)، فأعقبهم ذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا﴾ (١٢) أي: أشقى القبيلة هو قدار بن سالف عاقر الناقة، وهو أحيمر ثمود، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿فَادَا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ (١٤) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ [القمر].

وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم شريفاً في قومه نسبياً رئيساً مطاعاً، كما قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زمعة قال: خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال: «إذا أنبئت أشقاها أنبئت لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة»^(٥). ورواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما، وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن هشام بن عروة به^(٦).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني يزيد بن محمد بن خثيم، عن محمد بن كعب القرظي، عن محمد بن خثيم [أبي يزيد]^(٧)، عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «ألا أحدثك

- (١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سنده محققوه. (المسند ٣٢/٦١ ح ١٩٣٠٨).
- (٢) صحيح مسلم، الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (ح ٢٧٢٢).
- (٣) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق محمد بن رفاعة القرظي عن محمد بن كعب.
- (٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «بالطغيان»؛ وأخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ: «معصيتها».
- (٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ١٧/٤) وسنده صحيح.
- (٦) صحيح البخاري، التفسير، سورة ﴿وَالْفَتَنِ وَحُحْنَهَا﴾ (ح ٢٩٤٢)، وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون.. (ح ٢٨٥٥)؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿وَالْفَتَنِ وَحُحْنَهَا﴾ (ح ٣٣٤٠)؛ والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، سورة الشمس (ح ١١٦٧٥).
- (٧) كذا في (ح) و(حم) وترجمته، وفي الأصل صحف إلى: بن يزيد.

بأشقى الناس؟» قال: بلى. قال: «رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا - يعني: قرنه - حتى تبطل منه هذه» يعني: لحيته^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني: صالحاً عليه السلام ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أي: احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ﴿وَسُقْيَهَا﴾ أي: لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ أي: كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ﴾ أي: غضب عليهم فدمر عليهم ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ أي: فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء.

قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ وقرئ: «فلا يخاف»^(٣) ﴿عُقْبَهَا﴾ قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعه^(٤)، وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم^(٥).

وقال الضحاك والسدي: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا﴾^(٦) أي: لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع^(٦)، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه، والله أعلم. آخر تفسير سورة ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس].

(١) في سنده محمد بن خثيم أبو يزيد وهو مقبول. (التقريب ص ٤٧٦).

(٢) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن قتادة مقطوعاً لكن روايته بلاغاً.

(٣) القراءتان متواترتان.

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري وأدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء، عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق رزين بن سليمان عن بكر بن عبد الله المزني، ويشهد له ما سبق.

(٦) أخرجه الطبري من طريق جابر بن نوح عن أبي روق عن الضحاك، وجابر بن نوح ضعيف. (التقريب ص ١٣٦) ومعناه صحيح؛ وأخرجه الطبري وابن أبي حاتم - كما في الدر المنثور - بسند حسن من طريق سفيان عن السدي.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ: «فهلّا صليت بـ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾»، ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ ١ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦ فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ٧ وَأَمَّا مَنْ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى ٨ فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ٩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ١٠

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شعبة، عن المغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة أنه قدم الشام، فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال: اللهم ارزقني جليساً صالحاً قال: فجلس له أبو الدرداء فقال له أبو الدرداء: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ ١ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ٢؟ قال علقمة: (والذكر والأنثى)^(٢) فقال أبو الدرداء: لقد سمعتها من رسول الله ﷺ فما زال هؤلاء حتى شككوني ثم قال: ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره، والذي أجير من الشيطان على لسان محمد ﷺ؟^(٣)

وقد رواه البخاري ههنا ومسلم من طريق الأعمش عن إبراهيم قال: قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدتهم فقال: أيكم يقرأ عليّ قراءة عبد الله؟ قالوا: كلنا، قال: أيكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة فقال: كيف سمعته يقرأ: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ ١؟ قال: (والذكر والأنثى) قال: أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدون أن أقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ٣ والله لا أتابعهم^(٤). هذا لفظ البخاري. وهكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفع أبو الدرداء، وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو المثبت في المصحف الإمام العثماني في سائر الآفاق ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ٣ فأقسم تعالى بـ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا

(١) ينظر مطلع سورة الانشقاق ومطلع سورة الأعلى.

(٢) هذه القراءة شاذة قال الحافظ ابن حجر: ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ومن ذكر معه. (فتح الباري ٧٠٧/٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٤٤٩/٦) وسنده صحيح.

(٤) صحيح البخاري، التفسير، باب ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ٣ [الليل] (ح ٤٩٤٤)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب ما يتعلق بالقرآن (ح ٨٢٤).

يَقْنَى ﴿١﴾ أي: إذا غشى الخليفة بظلامه ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى﴾ ﴿٢﴾ أي: بضياؤه وإشراقه.
﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ﴿٣﴾ كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ﴿٨﴾ [النبا] وكقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضاً متضاداً، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ ﴿٤﴾ أي: أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضاً ومتخالفة فمن فاعل خيراً ومن فاعل شراً.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ﴿٥﴾ أي: أعطى ما أمر بإخراجه، واتقى الله في أموره ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٦﴾ أي: بالمجازاة على ذلك قاله قتادة^(١).

وقال خُصِيف: بالثواب.

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٦﴾ أي: بالخلف^(٢).

وقال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٦﴾ أي: بلا إله إلا الله^(٣).

وفي رواية عن عكرمة: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٦﴾ أي: بما أنعم الله عليه.

وفي رواية عن زيد بن أسلم: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٦﴾ قال: الصلاة والزكاة والصوم، وقال مرة: وصدقة الفطر.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا زهير بن محمد، حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال: «الحسنى: الجنة»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَسَتِيرُهُ لِّلشَّرِّ﴾ ﴿٧﴾ قال ابن عباس: يعني للخير.

وقال زيد بن أسلم: يعني للجنة، وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخِلْ﴾ أي: بما عنده ﴿وَأَسْتَفْتِ﴾.

قال عكرمة، عن ابن عباس: أي بخل بماله واستغنى عن ربه ﷻ^(٥). رواه ابن أبي حاتم ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ أي: بالجزاء في الدار الآخرة ﴿فَسَتِيرُهُ لِّلشَّرِّ﴾ ﴿١١﴾ أي: لطريق الشر كما قال تعالى: ﴿وَنَقْلِبُ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١٢﴾ [الأنعام] والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله ﷻ يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عكرمة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن مجاهد فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف؛ وأخرجه الطبري بسند حسن صحيح من طريق نصر بن عربي عن عكرمة.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي حصين عن أبي عبد الرحمن؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ٢٦.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عكرمة به.

رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن [عياش]^(١)، حدثني العطف بن خالد، حدثني رجل من أهل البصرة، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن أبيه قال: سمعت أبي يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول: قلت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتلف؟ قال: «بل على أمر قد فرغ منه» قال: ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: «كل ميسر لما خلق له»^(٢).

رواية علي رضي الله عنه: قال البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار» فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنَنِي لَهُ لِلْخَيْرِ ۝ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِلْعُسْرَى ۝﴾^(٣). وكذا رواه من طريق شعبة^(٤)، ووكيع^(٥) عن الأعمش بنحوه. ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة، عن جرير، عن منصور، عن سعيد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى رسول الله ﷺ، ففقد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس، فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: «ما منكم من أحد - أو ما من نفس منقوسة - إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة» فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء؟ فقال: «أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فيسرون إلى عمل أهل الشقاء»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنَنِي لَهُ لِلْخَيْرِ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنَنِي لَهُ لِلْعُسْرَى ۝﴾^(٦). وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعيد بن عبيدة به.

رواية عبد الله بن عمر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا شعبة، عن عاصم بن عبيد الله، قال: سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر قال: قال عمر: يا رسول الله أرايت ما نعمل فيه أفي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع؟ قال: «فيما قد فرغ منه، فاعمل يا ابن الخطاب، فإن كلاً ميسر، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء»^(٧). ورواه الترمذي في القدر عن بُندار، عن ابن مهدي به، وقال: حسن صحيح^(٨).

(١) كذا في (ح)؛ ومسند الإمام أحمد، وفي الأصل صُحِفَ إلى: «عباس».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ١/ ٢٠٠ ح ١٩) وقال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة الراوي عن طلحة بن عبد الله. اهـ. ويشهد له الحديث التالي.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله. (الصحيح، التفسير، باب ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝﴾ [الليل] (ح ٤٩٤٥).

(٤) المصدر السابق (ح ٤٩٤٦). (٥) المصدر السابق (ح ٤٩٤٧).

(٦) المصدر السابق (ح ٤٩٤٨).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٨/ ١٤٠ ح ٥١٤٠). قال محققوه: حسن لغيره، وهو إسناد ضعيف لضعف عاصم بن عبيد الله.

(٨) سنن الترمذي، القدر، باب ما جاء في الشقاء والسعادة (ح ٢١٣٦).

حديث آخر من رواية جابر: قال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: يا رسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه؟ فقال: «لأمر قد فرغ منه» فقال سراقه: ففيم العمل إذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «كل عامل ميسر لعمله»^(١). ورواه مسلم عن أبي الطاهر، عن ابن وهب به^(٢).

حديث آخر: قال ابن جرير: حدثني يونس، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن طلق بن حبيب، عن بشير بن كعب العدوي قال: سألت غلامان شابان النبي ﷺ فقالا: يا رسول الله أنعمل فيما جفت الأقلام وجرت به المقادير أو في شيء يستأنف؟ فقال: «بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير» قالوا: ففيم العمل إذا؟ قال: «اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له» قالوا: نجد ونعمل^(٣).

رواية أبي الدرداء: قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم بن خارجة، حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمي، عن يونس بن ميسرة بن حلبس، عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء قال: قالوا يا رسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه؟ قال: «بل أمر قد فرغ منه» فقالوا: فكيف بالعمل يا رسول الله؟ قال: «كل امرء مهياً لما خلق له»^(٤). تفرد به أحمد من هذا الوجه.

حديث آخر: قال ابن جرير: حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة، حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا عباد بن راشد، عن قتادة، حدثني خُليد العصري، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم غربت فيه شمسهُ إلا وبجنتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين: اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً» وأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ ۝٦ فَسَيَّرَهُ لِلْيُسْرَى ۖ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۖ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ ۝٩ فَسَيَّرَهُ لِلْعُسْرَى ۖ ۝١٠﴾ ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن ابن أبي كبشة بإسناده مثله.

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الطهراني، حدثنا حفص بن عمر العدني، حدثني الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رجلاً كان له نخيل، ومنها نخلة فرعها في دار رجل صالح فقير ذي عيال، فإذا جاء الرجل فدخل داره ف يأخذ التمرة من نخلته فتسقط التمرة، ف يأخذها صبيان الرجل الفقير، فينزل من نخلته فينزع التمرة من أيديهم، وإن أدخل أحدهم التمرة في فمه أدخل أصبعه في حلق الغلام ونزع التمرة من حلقه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي ﷺ: «أذهب» ولقي النبي ﷺ صاحب النخلة فقال له: «أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة» فقال

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه.. (ح ٢٦٤٨).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن ويشهد له ما سبق.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: صحيح لغيره. (المسند ٤٥/٤٨٠ ح ٢٧٤٨٧).

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده عباد بن راشد صدوق له أو هام. (التقريب ص ٢٩٠) وأظنه هو الذي زاد ذكر نزول الآية؛ لأن الحديث بدون ذكر نزول الآية صحيح قد تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٢٩.

له: لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها وإن لي لنخلاً كثيراً ما فيها نخلة أعجب إلي ثمرة من ثمرها، فذهب النبي ﷺ فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة فقال الرجل: يا رسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتك إياها، أتعطيني ما أعطيت بها نخلة في الجنة؟ قال: «نعم».

ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ولكلاهما نخل، فقال له: أخبرك أن محمداً أعطاني بنخلي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة، فقلت له: قد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها، فسكت عنه الرجل فقال له: أراك إذا بعتها، قال: لا إلا أن أعطى بها شيئاً ولا أظنني أعطاه، قال: وما مُنَّا؟ قال: أربعون نخلة، فقال الرجل: لقد جئت بأمر عظيم، نخلتك تطلب بها أربعين نخلة؟ ثم سكتا وأنشأ في كلام آخر، ثم قال: أنا أعطيتك أربعين نخلة، فقال: أشهد لي إن كنت صادقاً، فأمر بأناس فدعاهم فقال: اشهدوا إنني قد أعطيت من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان، ثم قال: ما تقول؟ فقال صاحب النخلة: قد رضيت، ثم قال بعد: ليس بيني وبينك بيع لم نفتق، فقال له: قد أقالك الله ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة، فقال صاحب النخلة: قد رضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد، قال: تعطينيها على ساق، ثم مكث ساعة ثم قال: هي لك على ساق، وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق، ففترقا، فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب الدار فقال له: «النخلة لك ولعيالك» قال عكرمة: قال ابن عباس فأنزل الله ﷻ: ﴿وَأَيُّهَا إِذَا يَتَنَبَّأُ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَطْعَمَ وَأَنْفَقَ﴾ ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنِ ٦ فَسَيَسِيرُهُ لِلْيُسْرَى ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنِ ٩ فَسَيَسِيرُهُ لِلْعُسْرَى ١٠﴾ إلى آخر السورة^(١). هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جداً.

قال ابن جرير: وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه: حدثنا هارون بن إدريس الأصم، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني أراك تعتق أناساً ضعفاء فلو أنك تعتق رجالاً جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك، فقال: أي أبت إنما أريد - أظنه قال - ما عند الله، قال: فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَطْعَمَ وَأَنْفَقَ﴾ ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنِ ٦ فَسَيَسِيرُهُ لِلْيُسْرَى ٧﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْفَعُ عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ ١١ قال مجاهد: أي إذا مات^(٣).

(١) سنده ضعيف لضعف حفص بن عمر العدني كما في التقريب.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وفي سنده محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وهو مقبول. (التقريب ص ٤٩٠) ومحمد بن إسحاق لم يصرح بالسماع ولكن الحاكم أخرجه من طريق محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٢٥/٢)؛ وأخرجه ابن عساكر من طريق ابن إسحاق به. (تاريخ دمشق ٦٩/٣٠).

(٣) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن أسلم: ﴿إِذَا زُرْتُمُوهَا﴾ في النار^(١).

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ ١٢ ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ ١٣ ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ ١٤ ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ١٥ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ ١٦ ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ ١٧ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ ١٨ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ ١٩ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ ٢٠.

قال قتادة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي: نبين الحلال والحرام^(٢)، وقال غيره: من سلك طريق الهدى وصل إلى الله^(٣)، وجعله كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] حكاه ابن جرير.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ قال مجاهد: أي توهج^(٤).

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: «أنذرتكم النار [أنذرتكم النار]^(٥)» حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا، قال: حتى وقعت خميسة كانت على عاتقه عند رجله^(٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثني شعبة، حدثني أبو إسحاق، سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه»^(٧). رواه البخاري^(٨).

وقال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً»^(٩). وقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ ١٤ أي: لا يدخلها دخولاً يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى ثم فسره فقال: ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ أي: بقلبه ﴿وَتَوَلَّى﴾ أي: عن العمل بجوارحه وأركانه.

(١) أخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) ذكره الفراء (معاني القرآن ٢٧١/٣) والطبري.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) زيادة من المسند.

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٣٠/٣٤٨ ح ١٨٣٩٨) وحسن سنده محققوه.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٣٠/٣٦٢ ح ١٨٤١٣) وصح سنده محققوه.

(٨) صحيح البخاري، الرقاق، باب صفة الجنة والنار (ح ٦٥٦١).

(٩) أخرجه مسلم بسنده ومثله. (الصحيح، الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً ح ٢١٣/٣٦٤).

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا عبد ربه بن سعيد، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلا شقي» قيل: ومن الشقي؟ قال: «الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس وسريج قالا: حدثنا فليح، عن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى» قالوا: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»^(٢). رواه البخاري، عن محمد بن سنان، عن فليح به^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (٧) أي: وسيزحزح عن النار التقي النقي ثم فسر به بقوله: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (٨) أي: يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُكَ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ (٩) أي: ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفًا، فهو يعطي في مقابلة ذلك وإنما دفعه ذلك ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (١٠) أي: طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (١١) أي: ول سوف يرضى من اتصف بهذه الصفات.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فإن لفظها العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (٧) ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (٨) ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُكَ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ (٩) ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: وأما والله لولا يد لك عندي لم أجرك بها لأجبتك، وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإن كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُكَ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ (٩) ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (١٠) ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (١١).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعتة خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير» فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»^(٤).
آخر تفسير سورة الليل، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٢٥٢/١٤ ح ٨٥٩٤) وضعف سنده محققوه، وأعلوه بابن لهيعة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وحسن سنده محققوه. (المسند ٣٤٢/١٤ ح ٨٧٢٨).

(٣) صحيح البخاري، الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (ح ٧٢٨٠).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الزمر آية ٧٣.

سُورَةُ الضُّحَى

وهي مكية

رَوَيْنَا مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَزَةَ الْمُقْرِيِّ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى عَكْرَمَةَ بْنِ سَلِيمَانَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ قُسْطَنْطِينَ وَشَبْلَ بْنِ عَبَادٍ، فَلَمَّا بَلَغْتَ ﴿وَالضُّحَى﴾ ① قَالَا لِي: كَبُرَ حَتَّى تَخْتَمَ مَعَ خَاتَمَةِ كُلِّ سُورَةٍ، فَإِنَا قَرَأْنَا عَلَى ابْنِ كَثِيرٍ، فَأَمَرْنَا بِذَلِكَ، وَأَخْبَرْنَا أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى مُجَاهِدٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ. وَأَخْبَرَهُ مُجَاهِدٌ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُ أَبِي أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ②.

فَهَذِهِ سَنَةٌ تَفْرُدُ بِهَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَزِيُّ مِنْ وَلَدِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَةَ، وَكَانَ إِمَامًا فِي الْقِرَاءَاتِ، فَأَمَّا فِي الْحَدِيثِ فَقَدْ ضَعَفَهُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ وَقَالَ: لَا أَحَدٌ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ أَبُو جَعْفَرٍ الْعَقِيلِيُّ قَالَ: هُوَ مِنْكَرُ الْحَدِيثِ، لَكِنْ حَكَى الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فِي «شرح الشاطبية» عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَكْبِرُ هَذَا التَّكْبِيرَ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ السَّنَةَ، وَهَذَا يَقْتَضِي صِحَّةَ هَذَا الْحَدِيثِ.

ثُمَّ اخْتَلَفَ الْقِرَاءَةُ فِي مَوْضِعِ هَذَا التَّكْبِيرِ وَكَيْفِيَّتِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَكْبِرُ مِنْ آخِرِ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ③ وَقَالَ آخَرُونَ: مِنْ آخِرِ ﴿وَالضُّحَى﴾ ④ وَكَيْفِيَّةُ التَّكْبِيرِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ أَكْبَرُ. وَيَقْتَصِرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. وَذَكَرَ الْقِرَاءَةُ فِي مَنَاسِبَةِ التَّكْبِيرِ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الضُّحَى أَنَّهُ لَمَّا تَأَخَّرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفُتِرَ تِلْكَ الْمُدَّةُ ثُمَّ جَاءَ الْمَلِكُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ: ﴿وَالضُّحَى﴾ ⑤ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ⑥ السُّورَةَ بِتَمَامِهَا كَبِيرَ فَرَحًا وَسُرُورًا، وَلَمْ يَرَوْا ذَلِكَ بِإِسْنَادٍ يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِصِحَّةٍ وَلَا ضَعْفٍ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ ⑦.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

① وَالضُّحَى ② وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ③ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ④ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ⑤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ⑥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ⑦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ⑧ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغَى ⑨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑪ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑫.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندباً

(١) أخرجه البغوي من طريق المفسر أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي المعروف بالنقاش، عن أبي ربيعة محمد بن إسحاق الريعي، عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ به. (معالم التنزيل ٥٠٠/٤، ٥٠١).

(٢) هذا الحديث ضعيف عند النقاد المحدثين، ومعتبر عند كثير من القراء، ويعملون به.

يقول: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتت امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾^(١). رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن الأسود بن قيس، عن جندب، هو ابن عبد الله البجلي، ثم العلقي به^(٢)، وفي رواية سفيان بن عيينة، عن الأسود بن قيس سمع جندباً قال: أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون: ودَّعَ محمداً ربه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي، قالوا: حدثنا أبو أسامة، حدثني سفيان، حدثني الأسود بن قيس أنه سمع جندباً يقول: رُمي رسول الله ﷺ بحجر في أصبعه فقال:

«هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت؟»

قال: فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم، فقالت له امرأة ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾ والسياق لأبي سعيد^(٣).

قيل: إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب، وذكر أن أصبعه ﷺ دُميت، وقوله هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ولكن الغريب ههنا جعله سبباً لتركه القيام ونزول هذه السورة.

فأما ما رواه ابن جرير: حدثنا ابن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سليمان الشيباني، عن عبد الله بن شداد، أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قد فلاك، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾^(٤).

وقال أيضاً: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعاً شديداً فقالت خديجة: إني أرى ربك قد فلاك مما نرى من جزعك، قال: فنزلت ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾... إلى آخرها^(٥). فإنه حديث مرسل من [هذين الوجهين]^(٦) ولعل ذكر خديجة ليس محفوظاً أو قالته على وجه التأسف والحزن، والله أعلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٣١٢/٤) وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، التهجد، باب ترك القيام للمريض (ح ١١٢٤)، وصحيح مسلم، الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين (ح ١٧٩٧)؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة الضحى (ح ٣٣٤٢)؛ والسنن الكبرى، التفسير، سورة الضحى (ح ١١٦٨١).

(٣) سنده صحيح ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وما أظن عبد الله بن شداد سمع من خديجة رضي الله عنها، وما أظن خديجة رضي الله عنها تقول ذلك بل كانت تشجعه وتوازره.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لأنه مرسل؛ وأخرجه الحاكم من طريق هشام بن عروة به؛ وصححه الحاكم وقال الذهبي: صحيح مرسل (المستدرک ٦١٠/٢)؛ وأخرجه البيهقي من الطريق نفسه وقال: في هذا الإسناد انقطاع (دلائل النبوة ٦٠/٧).

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

وقد ذكر بعض السلف منهم ابن إسحاق أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله ﷺ حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها، ودنا إليه وتدلّى منهبطاً عليه وهو بالأبطح ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ عَبْدِي مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم] قال: قال له هذه السورة ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ① ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ﴾ ② .

قال العوفي، عن ابن عباس: لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً فتغير بذلك، فقال المشركون: ودعه ربه وقلاه فأنزل الله ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ③ .^(١)

وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ﴾ ④ أي: سكن فأظلم وادلهم. قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم^(٢)، وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ⑤ ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ ⑥ [الليل] وقال تعالى: ﴿فَالْقُلُوبُ أَلْسِنَاتٌ لِّئَلَّا يُكَلِّمَ الْفَاهِمْ﴾ ⑦ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ ذِكْرُكَ فَتَقَدَّرَ عَلَيْهِ﴾ ⑧ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أي: ما تركك ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: وما أبغضك. ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ ⑨ أي: وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهّد الناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحاً كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، ولما خيّر ﷺ في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله ﷻ، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن عبد الله هو: ابن مسعود قال: اضطلع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أوسع جنبه وقلت: يا رسول الله ألا أذننتا حتى نسط لك على الحصير شيئاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها»^(٣). ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المسعودي به وقال الترمذي: حسن صحيح^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ⑩ أي: في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته، وفيما أعده له من الكرامة، ومن جملة نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه مسك أذفر كما سيأتي^(٥).

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه قال: عُرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما سبق.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «إذا استوى»؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٦/ ٢٤٢ ح ٣٧٠٩) وصححه سننه محققوه.

(٤) سنن الترمذي، الزهد، باب ما أنا في الدنيا إلا راكب (ح ٢٣٧٧)؛ وسنن ابن ماجه، الزهد، باب مثل الدنيا (ح ٤١٠٩)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٣١٧).

(٥) سيأتي في تفسير سورة الكوثر.

بعده كنزاً كنزاً فسر بذلك، فأنزل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝﴾ فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم^(١)، رواه ابن جرير من طريقه، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف.

وقال السدي، عن ابن عباس من رضاء محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم^(٢).

وقال الحسن: يعني بذلك الشفاعة^(٣)، وهكذا قال أبو جعفر الباقر.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا معاوية بن هشام، عن علي بن صالح، عن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝﴾»^(٤).

ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَكَأَنَّكَ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝﴾ وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد ﷺ ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره، ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختر الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين، وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝﴾ كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [الشورى: ٥٢].

ومنهم من قال: إن المراد بهذا أن النبي ﷺ ضلَّ في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع.

وقيل: إنه ضلَّ وهو مع عمه في طريق الشام، وكان راكباً ناقه في الليل، فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاها البغوي^(٥).

(١) أخرجه الطبري من طريق عمرو بن هاشم عن الأوزاعي به؛ وصححه سننه الحافظ ابن كثير؛ وأخرجه الطبراني من طريق الأوزاعي به، (المعجم الكبير ٣٣٧/١٠ ح ١٠٦٥٠)؛ وحسن سننه الهيثمي (مجمع الزوائد ١٣٨/٧).

(٢) أخرجه الطبري من طريق الحكم بن ظهير به، وسنده ضعيف جداً لأن السدي لم يسمع من ابن عباس، والحكم بن ظهير متروك ورمي بالرفض (التقريب ص ١٧٥) وكذلك السدي فيه تشيع.

(٣) عزاه البغوي إلى الحسن (معالم التنزيل ٤٩٨/٤).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة مطولاً دون ذكر الآية. (المصنف ٢٣٦/١٥) وسنده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد وتشيعه (التقريب ص ٦٠١).

(٥) معالم التنزيل ٤٩٩/٤.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨) أي: كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات الله وسلامه عليه.

وقال قتادة في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَأْوَى﴾ (٩) ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (١٠) ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨) قال: كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله ﷻ. رواه ابن جرير^(١) وابن أبي حاتم.

وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»^(٢).

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «[٣]» «قد أفلح من أسلم ورزق كافاً» وقنعه الله بما آناه»^(٤).

ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩) أي: كما كنت يتيماً فأواك الله فلا تقهر اليتيم؛ أي: لا تذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به.

قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم^(٥).

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (١٠) أي: وكما كنت ضالاً فهداك الله، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد.

قال ابن إسحاق: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (١٠) أي: فلا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فحاشاً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله.

وقال قتادة: يعني: رد المسكين برحمة ولين ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١١) أي: وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي: «واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا».

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، حدثنا سعيد بن [إياس الجريري]^(٦)، عن أبي نضرة قال: كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها^(٧).

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا الجراح بن مليح، عن أبي عبد الرحمن، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ على المنبر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الشيخان من طريق أبي صالح عن أبي هريرة ؓ. (صحيح البخاري، الرقاق، باب غنى النفس ح ٦٤٤٦)؛ وصحيح مسلم، الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض (ح ١٠٥١).

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

(٤) صحيح مسلم، الزكاة، باب في الكفاف والقناعة (ح ١٠٥٤).

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «لا تظلم».

(٦) كذا في (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل صحف إلى: «المبرري». ولم يذكر: إياس.

(٧) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»^(١). وإسناده ضعيف.

وفي الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله، قال: «لا ما دعوتكم الله لهم وأثنيتم عليهم»^(٢).

وقال أبو داود: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الربيع بن مسلم، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(٣). ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد، عن ابن المبارك، عن الربيع بن مسلم. وقال: صحيح^(٤).

وقال أبو داود: حدثنا عبد الله بن الجراح، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «من أبلى بلاء فذكره فقد شكره، ومن كتبه فقد كفره»^(٥). تفرد به أبو داود. وقال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا بشر، حدثنا عمارة بن غزية، حدثني رجل من قومي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعطي عطاء فوجد فليجز به، فإن لم يجد فليثن به، فمن أثنى به فقد شكره، ومن كتبه فقد كفره» قال أبو داود: ورواه يحيى بن أيوب، عن عمارة بن غزية، عن شرحبيل، عن جابر، كرهوه فلم يسموه^(٦)، تفرد به أبو داود.

وقال مجاهد: يعني: النبوة^(٧) التي أعطاك ربك، وفي رواية عنه: القرآن.

وقال ليث، عن رجل، عن الحسن بن علي «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١﴾» قال: ما عملت من خير فحدث إخوانك^(٨).

وقال محمد بن إسحاق، ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع إليها، قال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم به عليه من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله، وافترضت عليه الصلاة فصلى.

آخر تفسير سورة الضحى.

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند بسنده ومثته. (المسند ٢٨٤/٤) وضعف سنده الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (المسند ٣٦٠/٢٠، ٣٦١ ح ١٣٠٧٥) وصححه سنده محققوه؛ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد؛ وصححه سنده الألباني في صحيح الأدب المفرد (ح ١٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود بسنده ومثته. (السنن، الأدب، باب في شكر المعروف ح ٤٨١١)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٢٦).

(٤) سنن الترمذي، البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (ح ١٩٥٤).

(٥) أخرجه أبو داود بسنده ومثته. (السنن، الأدب، باب في شكر المعروف ح ٤٨١٤)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٢٩).

(٦) المصدر السابق (ح ٤٨١٣) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٠٢٨).

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر عن مجاهد.

(٨) سنده ضعيف لإبهام شيخ ليث.

سُورَةُ الشَّرْحِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾ .

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ يعني: أما شرحنا لك صدرك؛ أي: نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً كقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

وقيل: المراد بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ شرح صدره ليلة الإسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة^(١)، وقد أورده الترمذي ههنا، وهذا وإن كان واقعاً ليلة الإسراء كما رواه مالك بن صعصعة^(٢)، ولكن لا منافاة فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضاً، فالله أعلم.

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزاز، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن محمد بن أبي بن كعب، حدثني أبو محمد بن معاذ، عن معاذ، عن محمد، عن أبي بن كعب، أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال: يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالساً وقال: «لقد سألت يا أبا هريرة، إني لفي الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو؟ قال: نعم فاستقبلاني بوجه لم أرها قط وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إليّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مساً، فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغلّ والحسد، فأخرج شيئاً كهية العلقة ثم نبذها فطرحها، فقال له: أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هزّ إبهام رجلي اليمنى فقال: أغد واسلم، فرجعت بها أعدو رقة على الصغير ورحمة للكبير»^(٣).

(١) تقدم في مطلع تفسير سورة الإسراء.

(٢) أي: أورده في سننه، التفسير، باب ومن سورة ألم نشرح (ح٣٣٤٦).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائده على المسند بسنده ومثته (المسند ٣٥/ ١٨٠ - ١٨٢ ح ٢١٢٦١) وضعف سنده محققوه.

[وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾^(١) بمعنى: ﴿لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(٢) [الفتح: ٢] ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾^(٣) الإنقاض الصوت، وقال غير واحد من السلف في قوله: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾^(٤): أي أثقلت حمله^(٥).

وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(٦) قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله^(٧).

وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله^(٨).

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك يقول: كيف رفعت ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذكرت ذكرت معي^(٩)». وكذا رواه ابن أبي حاتم، عن يونس، عن عبد الأعلى به. ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة، عن دراج^(١٠).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو عمر الحوضي، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي مسألة وددت أني لم أسأله، قلت: قد كان قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من يحيي الموتى، قال: يا محمد ألم أجذك يتيماً فأوتيتك؟ قلت: بلى يا رب، قال: ألم أجذك ضالاً فهديتك؟ قلت: بلى يا رب، قال: ألم أجذك عائلاً فأغنيتك؟ قلت: بلى يا رب، قال ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أرفع لك ذكرك؟ قلت: بلى يا رب^(١١)».

وقال أبو نعيم في دلائل النبوة: حدثنا أبو أحمد الغطريفي، حدثنا موسى بن سهل الجويني، حدثنا أحمد بن القاسم بن بهزان الهيتي: حدثنا نصر بن حماد، عن عثمان بن عطاء، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السموات والأرض قلت: يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته جعلت إبراهيم خليلاً وموسى كليماً، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي؟ قال: أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله؟ أني لا أذكر إلا ذكرت معي وجعلت صدور أمتك [أناجيل]^(١٢) يقرؤون القرآن ظاهراً ولم أعطاها أمة، وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١٣)».

- (١) زيادة من (ح) و(حم).
- (٢) أخرجه الإمام الشافعي عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (الرسالة ص ١٦)، وأخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق ابن عيينة به، وسنده صحيح.
- (٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
- (٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وسنده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم.
- (٥) سنده كسابقه.
- (٦) أخرجه الحاكم من طريق حماد بن زيد به وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٢٦/٢) وفي سنده عطاء بن السائب وقد اختلط وقد أشار الهيثمي إلى ذلك. (مجمع الزوائد ٢٥٧/٨).
- (٧) في الأصل بياض، واستدرک من نسخة دار الكتب حسب طبعة البابي الحلبي.
- (٨) سنده ضعيف لضعف عثمان بن عطاء وهو الخراساني.

وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان يعني ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت:

أغرُّ عليه للنبوة خاتم من الله نور يلوح ويشهد
وضمَّ الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشقَّ له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد^(١)

وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمرُوا أممهم بالإيمان به، ثم شهد ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه، وما أحسن ما قال الصرصري رحمته الله:

لا يصح الأذان في الفرض إلا باسمه العذب في الفم المرضي
وقال أيضاً:

[ألم تر أننا لا يصح أذاننا ولا فرضنا إن لم نكرره فيهما]^(٢)
وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا حميد بن حماد بن أبي خوار أبو الجهم، حدثنا عائذ بن شريح قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كان النبي ﷺ جالساً وحياله حجر، فقال: «لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه» فأنزل الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾^(٣). ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر، عن حميد بن حماد ولفظه: «لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرجه» ثم قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ ثم قال البزار: لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح^(٤).

قلت: وقد قال فيه أبو حاتم الرازي: في حديثه ضعف، ولكن رواه شعبة، عن معاوية بن قرة، عن رجل، عن عبد الله بن مسعود موقوفاً^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا أبو قطن، حدثنا المبارك بن

(١) ذكر البغوي هذه الأبيات الشعرية، وذكر القول الذي قبله عن مجاهد دون ذكر ابن عباس. (معالم التنزيل ٥٠٢/٤) وهذه الأبيات في ديوان حسان رحمته الله ص ٤٧.

(٢) زيادة من (ح) و(حم).

(٣) سنده ضعيف لضعف عائذ بن شريح. (لسان الميزان ٢٢٦/٣)؛ وأخرجه الحاكم من طريق حميد بن حماد به؛ وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: تفرد به حميد بن حماد عن عائذ، وحميد منكر الحديث كعائذ. (المستدرک ٢٥٥/٢).

(٤) أخرجه البزار بسنده ومثته، وضعفه الحافظ ابن حجر. (مختصر زوائد مسند البزار ١١٩/٢ ح ١٥٣٤).

(٥) أخرجه الطبري من طريق شعبة به، وسنده ضعيف لإيهام الراوي عن ابن مسعود؛ وأخرجه عبد الرزاق من طريق إبراهيم النخعي عن ابن مسعود، وإبراهيم لم يسمع من ابن مسعود. ومعناه صحيح، ويشهد له ما يليه.

فضالة، عن الحسن قال: كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، قال: خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك وهو يقول: «لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين»، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٢). وكذا رواه من حديث عوف الأعرابي ويونس بن عبيد، عن الحسن مرسلًا.

وقال سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال: «لن يغلب عسر يسرين»^(٣). ومعنى هذا أن العسر معرّف في الحالتين فهو مفرد واليسر منكر، فتعدد ولهذا قال: «لن يغلب عسر يسرين» يعني قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٤) فالعسر الأول عین الثاني واليسر تعدد.

وقال الحسن بن سفيان: حدثنا يزيد بن صالح، حدثنا خارجة، عن عباد بن كثير، عن أبي الزناد، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نزلت المعونة من السماء على قدر المؤونة، ونزل الصبر على قدر المصيبة»^(٥).

ومما يروى عن الشافعي أنه قال:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا من راقب الله في الأمور نجاً
من صدق الله لم ينله أذى ومن رجاه يكون حيث رجا^(٥)
وقال ابن دُرَيْد: أنشدني أبو حاتم السجستاني:

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفرج القريب
وقال آخر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فُرجت وكان يظنها لا تفرج
وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِنَّكَ رَبَّكَ فَارְغَبْ﴾^(٨) أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطاً فارغ البال وأخلص لربك النية

(١) سنده حسن.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٤) أخرجه ابن عدي من طريق عباد بن كثير به (الكامل ٤/ ١١٥) وسنده ضعيف لضعف عباد بن كثير قال ابن أبي حاتم عن أبي زرعة ليس بالقوي. (العلل ٢/ ١٣٣)؛ وضعفه الحافظ ابن حجر. (التقريب ص ٢٩٠).

(٥) ذكر البيهقي هذين البيتين. (مناقب الشافعي ٢/ ٣٦٢).

والرغبة، ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته: «لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان»^(١)، وقوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدأوا بالعشاء»^(٢).

قال مجاهد في هذه الآية: إذا فرغت من أمر الدنيا فقمتم إلى الصلاة فانصب لربك^(٣)، وفي رواية عنه: إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك، وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل^(٤)، وعن ابن عباس نحوه، وفي رواية عن ابن مسعود: ﴿فَانْصَبْ وَلِلَّهِ رَبُّكَ فَارْغَبْ﴾ بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: فإذا فرغت فانصب، يعني: في الدعاء^(٥).

وقال زيد بن أسلم والضحاك: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ أي: من الجهاد ﴿فَانْصَبْ﴾ أي: في العبادة^(٦). ﴿وَلِلَّهِ رَبُّكَ فَارْغَبْ﴾.

وقال الثوري: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله ﷻ^(٧).

آخر تفسير سورة ﴿الَّذِينَ تَشَرَّحْ﴾، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها. (الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال ح ٥٦٠).

(٢) أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها. (صحيح البخاري، الأطعمة، باب إذا حضر العشاء فلا يعجل عن عشاءه ح ٥٤٦٥) والمصدر السابق (ح ٥٥٧).

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود.

(٥) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق وكيع عن سفيان، ويرويه سفيان عن منصور عن مجاهد. وسنده صحيح.

سُورَةُ الزَّيْتُونِ وَاللَّيْنِ

وهي مكية

قال مالك وشعبة: عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب: كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين باليتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه^(١)، أخرجه الجماعة في كتبهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِاللَّيْنِ ⑦ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ⑧ ﴿

اختلف المفسرون ههنا على أقوال كثيرة:

ف قيل: المراد باليتين مسجد دمشق^(٢)، وقيل: هي نفسها، وقيل: الجبل الذي عندها^(٣).

وقال القرظي: هو مسجد أصحاب الكهف^(٤).

وروى العوفي، عن ابن عباس: أنه مسجد نوح الذي على الجودي^(٥).

وقال مجاهد: هو تينكم هذا^(٦).

﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ قال كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم: هو مسجد بيت المقدس^(٧).

وقال مجاهد وعكرمة: هو هذا الزيتون الذي تعصرون^(٨).

(١) أخرجه مالك من طريق عدي به بلفظه: «صليت مع رسول الله ﷺ العشاء فقرأ فيها باليتين والزيتون». (الموطأ، الصلاة، باب القراءة في المغرب والعشاء ح ٢٧)؛ وأخرجه الشيخان من طريق شعبة به. (صحيح البخاري، الأذان، باب الجهر في العشاء ح ٧٦٧)؛ وصحيح مسلم، الصلاة، باب القراءة في العشاء (ح ٤٦٤).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد، وهذا قول غريب.

(٣) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وهو غريب أيضاً.

(٤) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب وهو غريب أيضاً.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، وهو غريب أيضاً.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق خُصيف عن مجاهد، ويتقوى بما أخرجه الطبري وآدم بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع أنه التين الذي يؤكل.

(٧) أخرجه الطبري بأسانيد صحيحة عن قتادة وابن زيد كما تقدم، وهو غريب.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي رجاء عن عكرمة.

﴿وَأُورِ سَيْنِينَ﴾ قال كعب الأحبار وغير واحد: هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﷺ^(١).
 ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يعني: مكة. قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم
 النخعي وابن زيد وكعب الأحبار^(٢). ولا خلاف في ذلك، وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة
 بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلأً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار:
 فالأول: محلة التين والزيتون وهي: بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم ﷺ.

والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران.

والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ،
 قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه
 موسى بن عمران - وأشرق من ساعير - يعني: جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن
 من جبال فاران يعني: جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب
 الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم بالأشرف منهما.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خلق
 الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القائمة سوي الأعضاء حسنها ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ﴾
 ﴿٥﴾ أي: إلى النار. قاله مجاهد وأبو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم^(٣)، ثم بعد هذا الحسن
 والنضارة مصيرهم إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل لهذا قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
 وقال بعضهم: ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ﴾ أي: إلى أرذل العمر، وروي هذا عن ابن عباس
 وعكرمة^(٤)، حتى قال عكرمة: من جمع القرآن لم يُرد إلى أرذل العمر، واختار ذلك ابن جرير،
 ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما
 المراد ما ذكرناه كقوله: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر].

(١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق يزيد أبي عبد الله عن كعب: بلفظ: «جبل موسى لله. ويزيد هو الفارسي
 البصري». (ينظر: تهذيب التهذيب ١٦٦/٨).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس ومعناه صحيح ويشهد له ما يليه من الآثار،
 فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من
 طريق ابن أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف - وهو الأعرابي - عن
 الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق حماد عن إبراهيم النخعي؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح
 من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد؛
 وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق يزيد أبي عبد الله - وهو الفارسي - عن كعب الأحبار.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند جيد من طريق
 الربيع بن أنس عن أبي العالية؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن؛ وأخرجه
 الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عكرمة عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي
 رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق حماد عن إبراهيم النخعي؛ وأخرجه عبد الرزاق
 بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

وقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع كما تقدم^(١).

ثم قال: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ أي: يا ابن آدم ﴿بَعْدَ الْإِلَهِينَ﴾ أي: بالجزاء في المعاد، ولقد علمت البداءة وعرفت أن من قدر على البداءة فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأى شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن منصور قال: قلت لمجاهد: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْإِلَهِينَ﴾ (٧) عنى به النبي ﷺ قال: معاذ الله، عنى به الإنسان^(٢). وهكذا قال عكرمة وغيره.

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لَلْحَكِيمِينَ﴾ (٨) أي: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً؟ ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه. وقد قدمنا في حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إذا قرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى على آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لَلْحَكِيمِينَ﴾ (٨) فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»^(٣)..

آخر تفسير سورة التين والزيتون، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: «غير منقوص».

(٢) أخرجه الطبري من طريق عبد الرحمن بن مهدي به، وسنده صحيح.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير آخر سورة القيامة.

سُورَةُ الْاِنشَاءِ (أَقْرَأْ)

- وهي أول شيء نزل من القرآن -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبَّ إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فاجأه الوحي وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال اقرأ: قال رسول الله ﷺ: «فقلت: ما أنا بقارئ»، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: «يا خديجة ما لي؟» وأخبرها الخبر وقال: «قد خشيت على نفسي».

فقلت له: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث وتحمل الكلّ وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي - وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها -، وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت خديجة: أي ابن عمّ أسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟» فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا، حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدي له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن بذلك جأشه وتقرّ نفسه فيرجع، فإذا طالت

عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك^(١). وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري^(٢)، وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتمنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى، فمن أرادته فهو هناك محرر والله الحمد والمنة. فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهنَّ أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقه، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البشرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾. وفي الأثر: قيدوا العلم بالكتابة^(٣). وفيه أيضاً: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم^(٤).

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا ۝ ١﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَقْبَحَ ۝ ٢ إِنَّ إِلَهَ رَبِّكَ الرُّحْمَىٰ ۝ ٣ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝ ٤ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝ ٥ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ۝ ٦ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ ٧ أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ مَا فِي سَرَىٰ ۝ ٨ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَنْصَبَنَّ بِالنَّاصِيَةِ ۝ ٩ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ ١٠ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ ١١ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ۝ ١٢ كَلَّا لَا نُطِيعُهُ ۝ ١٣ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝ ١٤﴾.

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله، ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال: ﴿إِنَّ إِلَهَ رَبِّكَ الرُّحْمَىٰ﴾ أي: إلى الله المصير والمرجع وسيحاسبك على مالك من أين جمعته؟ وفيه صرفته؟.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو عُميس، عن عون قال: قال عبد الله: منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان. قال: ثم قرأ عبد الله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا﴾ وقال للآخر: ﴿إِنَّمَا يَخْتَشَى اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]^(٥). وقد روي هذا مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا»^(٦).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتمنه. (المسند ٦/٢٣٢)، وسنده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، بدء الوحي، باب ٣ (ح ٣)، وصحيح مسلم، الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (ح ١٦٠).

(٣) أخرجه الحاكم من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصححه ووافقه الذهبي وزاد: وصحَّ مثله عن أنس. (المستدرک ١/١٠٦) وقول أنس أخرجه الخطيب البغدادي (تقييد العلم ص ٧٠)؛ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ٢٠٢٦).

(٤) أخرجه أبو نعيم (حلية الأولياء ١٥/١٠) وقال الألباني: موضوع. (السلسلة الضعيفة ح ٤٢٢).

(٥) سنده ضعيف لأن عوناً لم يسمع من ابن مسعود. (جامع التحصيل ص ٣٠٥).

(٦) أخرجه الحاكم من حديث أنس رضي الله عنه وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/٩٢).

ثم قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ١٠﴾ نزلت في أبي جهل لعنه الله، توعده النبي ﷺ على الصلاة عند البيت فوعظه تعالى بالتي هي أحسن أولاً فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَذْكَاءِ ١١﴾ (١) أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله ﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ١٢﴾ وأنت تزجره وتتوعده على صلاته، ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ١٣﴾؟ أي: أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجزيه على فعله أتم الجزاء؟

ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ ١٤﴾ أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿لَسَنَفَعًا ١٥﴾ أي: لنسمنها (٢) سواداً يوم القيامة ثم قال: ﴿نَاصِيَةٌ ١٦﴾ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٧﴾ يعني: ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٨﴾ أي: قومه وعشيرته؛ أي: ليدعهم يستنصر بهم ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ١٩﴾ وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه؟

قال البخاري: حدثنا يحيى، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ فقال: «لئن فعل لأخذته الملائكة» ثم قال: تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله يعني: ابن عمرو عن عبد الكريم (٣). وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به (٤). وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب، عن زكريا بن عدي، عن عبيد الله بن عمرو به. وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا؟ وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٨﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ١٩﴾ وقال ابن عباس: لو دعا نادية لأخذته ملائكة العذاب من ساعته. وقال الترمذي: حسن صحيح (٥).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو يزيد، حدثنا فرات عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل لئن رأيت رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال: فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مალأ ولا أهلاً» (٦).

(١) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٢) أي: لنختمن على نواصي رؤوسهم سواداً.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومتمنه وتعليقه. (الصحيح، التفسير، باب ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَسَنَفَعًا ١٥﴾ [العلق] (ح ٤٩٥٨).

(٤) سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] (ح ٣٣٤٥)؛ والسنن الكبرى، التفسير، سورة العلق (ح ١١٦٨٥)، وسنده صحيح.

(٥) المسند ٣٢٩/١؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَقْرَأْ...﴾ (ح ٣٣٤٦)؛ والسنن الكبرى، التفسير، سورة العلق (ح ١١٦٨٤)؛ وتفسير الطبري، وسنده حسن؛ وصححه أحمد شاكر. (المسند ح ٣٠٤٥)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٦٨).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتمنه، وصححه محققوه. (المسند ٩٨/٤، ٩٩ ح ٢٢٢٥).

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، أخبرنا يونس بن أبي إسحاق، عن الوليد بن العيزار، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝﴾ حتى بلغ هذه الآية ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِفَةٍ ۝﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٧﴾ سَدَّعُ الزَّيَّاتِ ﴿٨﴾ فجاء النبي ﷺ فصلى، فقيل: ما يمنعك؟ قال: قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب، قال ابن عباس: والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر عن أبيه، حدثنا نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال أبو الجهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال: فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة قال: فقال رسول الله: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» قال: وأنزل الله لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۝﴾ إلى آخر السورة^(٢). وقد رواه أحمد بن حنبل ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم من حديث معتمر بن سليمان به^(٣).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ﴾ يعني: يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصل حيث شئت، ولا تباله فإن الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ كما ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن عمارة بن غزية، عن سُمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء»^(٤) وتقدم أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يسجد في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق] و﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٥).

[آخر تفسيرها]^(٦).

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف. وقول ابن عباس الأخير يشهد له سابقه ولا حقه.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح.

(٣) المسند ٣٧٠/٢؛ وصحيح مسلم، صفات المنافقين، باب قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۝﴾ أن رَأَاهُ اسْتَفَقَّ ﴿٧﴾ [العلق] (ح ٢٧٩٧)؛ والسنن الكبرى للنسائي، التفسير، سورة العلق (ح ١١٦٨٣).

(٤) أخرجه مسلم بسنده ومثته (الصحيح، الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ح ٤٨٢).

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الانشقاق.

(٦) زياد من (ح) و(حم).

سُورَةُ الْقَدْرِ

[وهي^(١) مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝ ﴾

يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣] وهي ليلة القدر، وهي من شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ^(٢).

ثم قال تعالى مُعْظَمًا لِّشَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها، فقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ ﴾.

قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا القاسم بن الفضل الحُدَّاني، عن يوسف بن سعد قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال: سَوَّدَتْ وَجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ - أو: يا مسود وجوه المؤمنين - فقال: لا تؤنِّبني، رحمك الله؛ فإن النبي ﷺ أُرِيَ بني أمية على منبره، فسأه ذلك، فنزلت: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ ﴾ [الكوثر] يا محمد؛ يعني: نهراً في الجنة، ونزلت: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ ﴾ يملكها بعدك بنو أمية يا محمد. قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر، لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً.

ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدي. قال: وشيخه يوسف بن سعد - ويقال: يوسف بن مازن - رجل مجهول، ولا نعرف هذا الحديث، على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه^(٣).

وقد روى هذا الحديث الحاكم في مستدركه من طريق القاسم بن الفضل، عن يوسف بن

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء ١٠٦.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومنتنه وتعليقه (السنن، التفسير، باب ومن سورة القدر ح ٣٣٥٠)؛ وضعفه الترمذي والمزي والحافظ كما سيأتي؛ وضعفه الألباني سنداً ومتناً وقال: ضعيف الإسناد مضطرب ومنتنه منكر (ضعيف سنن الترمذي ح ٣٦٣).

مازن، به^(١). وقول الترمذي: إن يوسف هذا مجهول - فيه نظر؛ فإنه قد روى عنه جماعة، منهم: حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد. وقال فيه يحيى بن معين: هو مشهور، وفي رواية عن ابن معين قال: هو ثقة. ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل، عن عيسى بن مازن، كذا قال، وهذا يقتضي اضطراباً في هذا الحديث، والله أعلم. ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر.

قلت: وقول القاسم بن الفضل الحُدّاني: إنه حسب مُدّة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص، ليس بصحيح؛ فإنّ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، استقلّ بالملك حين سلّم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين، واجتمعت البيعة لمعاوية، وسُمي ذلك عام الجماعة، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريباً من تسع سنين، لكن لم تُزل يدهم عن الإمرة بالكلية، بل عن بعض البلاد، إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة، وذلك أزيد من ألف شهر، فإنّ الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكأنّ القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير، وعلى هذا فتقارب ما قاله للصحة في الحساب، والله أعلم.

ومما يدلّ على ضعف هذا الحديث أنّه سيقّ لدم دولة بني أمية، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق؛ فإنّ تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدلّ على دَم أيامهم، فإنّ ليلة القدر شريفة جداً، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر، فكيف تُمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة، بمقتضى هذا الحديث، وهل هذا إلا كما قال القائل:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرَهُ إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا؟
وقال آخر:

إِذَا أَنْتَ فَضَّلْتَ امْرَأً ذَا بَرَاةٍ عَلَى نَاقِصٍ كَانَ الْمَدِيحُ مِنَ النَّقْصِ

ثم من الذي يفهم من الآية أن الألف الشهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية، والسورة مكية، فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية، ولا يدلّ عليها لفظ الآية ولا معناها؟! والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة، فهذا كله مما يدلّ على ضعف هذا الحديث ونكارتة، والله أعلم^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا مسلم؛ يعني: ابن خالد، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، قال: فَعَجِبَ المسلمون من ذلك، قال: فأنزل الله ﻋَلَيْهِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ

(١) أخرجه الحاكم من طريق القاسم بن الفضل به وصححه ووافقه الذهبي ثم قال: وما أدري آفته من أين؟ (المستدرک ٣/ ١٧٠، ١٧١).

(٢) وقد أكد الحافظ ابن كثير على تضعيف الحديث بتفصيل أيضاً في البداية والنهاية (٦/ ٣٤٣، ٣٤٤).

الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا حَكَّام بن سَلَم، عن المثنى بن الصباح، عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ﴿٤﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا يونس، أخبرنا ابن وهب، حدثني مسلمة بن عُليّ، عن علي بن عروة قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً أربعة من بني إسرائيل، عبدوا الله ثمانين عاماً، لم يَعْصُوهُ طرفه عين: فذكر أيوب، وزكريا، وحزقيل بن العجوز، ويوشع بن نون - قال: فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك، فأتاه جبريل فقال: يا محمد، عَجِبْتَ أَمَتَكَ من عبادة هؤلاء نفر ثمانين سنة، لم يَعْصُوهُ طرفه عين؛ فقد أنزل الله خيراً من ذلك. فقرأ عليه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك. قال: فَسَّرَ بِذَلِكَ رسول الله ﷺ والناس معه^(٣).

وقال سفيان الثوري: بَلَّغْنِي عن مجاهد: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خير من ألف شهر. قال: عَمَلُهَا، صِيَامُهَا وقيامها خير من ألف شهر. رواه ابن جرير^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَةَ، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر - ليس في تلك الشهور ليلة القدر -^(٥). وهكذا قال قتادة بن دعامة، والشافعي، وغير واحد.

وقال عمرو بن قيس الملائي: عمل فيها خير من عمل ألف شهر^(٦).

وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر - وليس فيها ليلة القدر - هو اختيار ابن جرير. وهو الصواب لا ما عدها، وهو كقوله ﷺ: «رِبَاطُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ فِي مَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ». رواه أحمد^(٧). وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة، ونية صالحة: «أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقيامها»^(٨) إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك.

(١) أخرجه الواحدي مرسلأً أيضاً (أسباب النزول ص ٤٩٥) وسنده ضعيف بسبب إرساله.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتمه، وسنده ضعيف لأنه مرسل.

(٣) سنده ضعيف جداً وهو معضل لأن علي بن عروة متروك من (التقريب ص ٤٠٣).

(٤) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده ضعيف لإبهام شيخ الثوري، ومعناه صحيح.

(٥) سنده ضعيف لأن ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ومعناه صحيح.

(٧) أخرجه الإمام أحمد من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحسن سنده محققه بالمتابعات (المسند ١/ ٤٩٥ ح ٤٤٢).

(٨) أخرجه أبو داود من حديث أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه. (السنن، الطهارة، باب الغسل يوم الجمعة ح ٣٤٥)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٣٣٣)؛ وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرک ١/ ٢٨١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي هريرة قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهر رمضان، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»^(١).
ورواه النسائي، من حديث أيوب، به^(٢).

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر، ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»^(٣).
وقوله: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له.
وأما الروح فقليل: المراد به ههنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام.
وقيل: هم ضرب من الملائكة. كما تقدم في سورة «النبأ». والله أعلم.
وقوله: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال مجاهد: سلام هي من كل أمر^(٤).

وقال سعيد بن منصور: حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا الأعمش، عن مجاهد في قوله: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ قال: هي سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى^(٥).
وقال قتادة وغيره: تقضى فيها الأمور، وتقدر الآجال والأرزاق، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٦) [الدخان].

وقوله: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قال سعيد بن منصور: حدثنا هُشَيْمٌ، عن أبي إسحاق، عن الشعبي في قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ^(٧) قال: تسليم والملائكة ليلة القدر على أهل المساجد، حتى يطلع الفجر^(٨).
وروى ابن جرير، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «من كل امرئ. سلام هي حتى مطلع الفجر»^(٩).

وروى البيهقي في كتابه «فضائل الأوقات» عن عليٍّ أثراً غريباً في نزول الملائكة، ومرورهم على المصلين ليلة القدر، وحصول البركة للمصلين^(٩).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سننه محققوه. (المسند ٥٩/١٢ ح ٧١٤٨).

(٢) سنن النسائي، الصيام، باب ذكر الاختلاف على معمر فيه ١٢٩/٤.

(٣) صحيح البخاري، الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً (ح ١٩٠١)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، الترغيب في قيام رمضان (ح ٧٦٠).

(٤) أخرجه الطبري من طريق جابر عن مجاهد، وسنده ضعيف لضعف جابر وهو الجعفي.

(٥) سننه صحيح.

(٦) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٧) سننه صحيح.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ضعيف جداً من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والقراءة شاذة تفسيرية.

(٩) أخرجه البيهقي بسند ضعيف جداً فيه سيف بن عمر. (فضائل الأوقات ص ٢٥٣ رقم ١١٠).

وروى ابن أبي حاتم، عن كعب الأحبار أثراً غريباً عجيباً مطولاً جداً، في تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل عليه السلام، إلى الأرض، ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات^(١).

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عمران - يعني: القطان - عن قتادة، عن أبي ميمونة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «إنها ليلة سابعة - أو: تاسعة - وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى»^(٢).

وقال الأعمش، عن المنهال، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله: «مِنْ كُلِّ أَمْرِ سَلَامٌ» قال: لا يحدث فيها أمر^(٣).

وقال قتادة وابن زيد في قوله: «سَلَامٌ هِيَ» يعني: هي خير كلها، ليس فيها شر إلى مطلع الفجر^(٤). ويؤيد هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد: حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا بَقِيَّةٌ، حدثني بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر في العشر البواقي، من قامهن ابتغاء حِسْبَتِهِنَّ، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهي ليلة وتر: تسع أو سبع، أو خامسة، أو ثالثة، أو آخر ليلة». وقال رسول الله ﷺ: «إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بَلُجَّةٍ، كأن فيها قمراً ساطعاً، ساكنة سجيّة، لا برد فيها ولا حر، ولا يحل لكوكب يُرْمَى به فيها حتى تصبح. وأن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية، ليس فيها شعاع مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذٍ»^(٥).

وهذا إسناد حسن، وفي المتن غرابة، وفي بعض ألفاظه نكارة.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا زَمْعَةُ، عن سلمة بن وهرام، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «ليلة سمحة طلقة، لا حارة ولا باردة، وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء»^(٦).

وروى ابن أبي عاصم النبيل بإسناده عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «إني رأيت ليلة القدر فأنسيتها، وهي في العشر الأواخر من لياليها؛ ليلة طلقة بلجة، لا حارة ولا باردة،

(١) ساقه الحافظ ابن كثير في ختام السورة نفسها.

(٢) أخرجه الطيالسي بسنده ومثله (المسند ص ٢٣٢ رقم ٢٥٤٥) وفي سنده عمران وهو ابن داود صدوق يهم (التقريب ص ٤٢٩).

(٣) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عبد الحميد الحمانى عن الأعمش به.

(٤) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وقال محققوه: الشطر الأول من الحديث حسن وأما الشطر الثاني فمحتمل للتحسين لشواهد. (المسند ٣٧/٤٢٥ ح ٢٢٧٦٥). لكن في بعض ألفاظه نكارة كما قرر الحافظ ابن كثير.

(٦) أخرجه الطيالسي بسنده ومثله (المسند ص ٣٤٩ ح ٢٦٨٠)، وسنده ضعيف لضعف زمعة وهو ابن صالح الجندي. (التقريب ص ٢١٧). وأخرجه ابن خزيمة من طريق زمعة به؛ وصححه الألباني لشواهد (الصحيح ح ٢١٩٢).

كأن فيها قمراً، لا يخرج شيطانها حتى [يضيء فجرها] ^(١) ^(٢).

[فصل]

اختلف العلماء: هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة، أو هي من خصائص هذه الأمة؟ على قولين:

قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري: حدثنا مالك؛ أنه بلغه: أن رسول الله ﷺ أرى أعمار الناس قبله - أو: ما شاء الله من ذلك - فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر ^(٣). وقد أسند من وجه آخر. وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر، وقد نقله صاحب «العدة» أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء، فالله أعلم.

وحكى الخطابي عليه الإجماع [ونقله الرافعي جازماً به عن المذهب] ^(٤)، والذي دلّ عليه الحديث أنها كانت في الأمم الماضية كما هي في أمتنا.

قال أحمد بن حنبل: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عكرمة بن عمار: حدثني أبو زُمَيْل سِمَاك الْحَنْفِيُّ: حدثني مالك بن مَرْثَد بن عبد الله، حدثني [مَرْثَد] ^(٥) قال: سألت أبا ذرٍّ قلت: كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر؟ قال: أنا كنت أسأل الناس عنها، قلت: يا رسول الله، أخبرني عن ليلة القدر، أفي رمضان هي أو في غيره؟ قال: «بل هي في رمضان». قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبضوا رفعت؟ أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: «بل هي إلى يوم القيامة». قلت: في أي رمضان هي؟ قال: «التمسوها في العشر الأول، والعشر الأوسط». ثم حَدَّث رسول الله ﷺ وَحَدَّث، ثم اهتبلت غفلته قلت: في أي العشرين هي؟ قال: «ابتغوها في العشر الأوسط»، لا تسألني عن شيء بعدها». ثم حَدَّث رسول الله ﷺ، ثم اهتبلت غفلته فقلت: يا رسول الله، أقسمت عليك بحقي عليك لَمَّا أخبرتني في أي العشر هي؟ فغضب عليّ غضباً لم يغضب مثله منذ صحبتته، وقال: «التمسوها في السبع الأوسط، لا تسألني عن شيء بعدها» ^(٦).

ورواه النسائي عن الفلاس، عن يحيى بن سعيد القطان، به ^(٧).

ففيه دلالة على ما ذكرناه، وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة [بعد النبي ﷺ] ^(٨)، لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية، على ما فهموه من الحديث الذي سنورده

(١) هكذا في (ح)، وفي الأصل صحت إلى: «قضى بحرهما».

(٢) أخرجه ابن خزيمة من طريق أبي الزبير عن جابر؛ وصححه الألباني بشواهد (الصحيح ح ٢١٩٠).

(٣) أخرجه الإمام مالك بلاغاً (الموطأ، الاعتكاف، باب ما جاء في ليلة القدر ح ١٥) وسنده ضعيف.

(٤) زيادة من (ح).

(٥) كذا في المسند، وفي الأصل صحف إلى: «يزيد».

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وضعف سنده محققوه. (المسند ٣٦/٣٩٣، ٣٩٤ ح ٢١٤٩٩).

(٧) السنن الكبرى، الاعتكاف، باب ليلة القدر (ح ٣٤٢٧) وسنده كسابقه.

(٨) زيادة من (ح) و(حم).

بعدُ من قوله ﷺ: «فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم»؛ لأن المراد رفعُ عِلْمٍ وقتها عيناً. وفيه دلالة على أنها ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور، لا كما رُوي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة، من أنها توجد في جميع السنة، وترجى في جميع الشهور على السواء.

وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال: «باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان»: حدثنا حُمَيْدُ بْنُ زَنْجُوِيهِ النَّسَائِيُّ، أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَسْمَعُ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَقَالَ: «هِيَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ»^(١).

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال: رواه شعبة وسفيان، عن أبي إسحاق فأوقفاه. وقد حكى عن أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواية أنها ترجى في جميع شهر رمضان. وهو وجه حكاه الغزالي، واستغربه الرافعي جداً.

[فصل]

ثم قد قيل: إنها في أول ليلة من شهر رمضان، يحكى هذا عن أبي رَزِينٍ. وقيل: إنها تقع ليلة سبع عشرة. وروى فيه أبو داود حديثاً مرفوعاً عن ابن مسعود. وروي موقوفاً عليه^(٢)، وعلى زيد بن أرقم^(٣)، وعثمان بن أبي العاص، وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعي، ويحكى عن الحسن البصري. ووجهه بأنها ليلة بدر، وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر، وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَوْمَ أَلْفُرْقَانٍ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقيل: ليلة تسع عشرة، يُحكى عن علي وابن مسعود أيضاً ﷺ.

وقيل: ليلة إحدى وعشرين؛ لحديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسولُ الله ﷺ العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك. فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: [إن]^(٤) الذي تطلب أمامك. ثم قام النبي ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان، فقال: «من كان اعتكف معي فليرجع، فإني رأيت ليلة القدر، وإني أنسيتها، وإنها في العشر الأواخر في وِثْرٍ، وإني رأيت كأنني أسجد في طين وماء». وكان سقف المسجد جريداً من النخل، وما نرى في السماء شيئاً، فجاءت قَرَعَةٌ فَمُطَرْنَا، فصلى بنا النبي ﷺ

(١) أخرجه أبو داود بسنده ومثله ونحو تعليقه (السنن، الصلاة، باب من قال هي في كل رمضان ح ١٣٨٧) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٢٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، باب من روى أنها ليلة سبع عشرة ح ١٣٨٤)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٢٩٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٧٦/٣)؛ والطبراني (المعجم الكبير ١٩٨/٥ ح ٥٠٧٩) من طريق حوط عن زيد بن أرقم، وحوط: قال البخاري حديثه منكر. (ينظر مجمع الزوائد ١٨١/٣).

(٤) زيادة من (ح) و(حم).

حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه^(١). وفي لفظ: «في صبح إحدى وعشرين» أخرجاه في الصحيحين.

قال الشافعي: وهذا الحديث أصح الروايات.

وقيل: ليلة ثلاث وعشرين؛ لحديث عبد الله بن أنيس في «صحيح مسلم»^(٢) وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد، فالله أعلم.

وقيل: ليلة أربع وعشرين، قال أبو داود الطيالسي: حدثنا حماد بن سلمة، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين»^(٣). إسناده رجاله ثقات.

وقال أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن الصنابحي، عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين»^(٤).

ابن لهيعة ضعيف. وقد خالفه ما رواه البخاري عن أصبغ، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن أبي عبد الله الصنابحي قال: قال أخبرني بلال - مؤذن رسول الله ﷺ - أنها أول السبع من العشر الأواخر^(٥)، فهذا الموقوف أصح، والله أعلم. وهكذا روي عن ابن مسعود، وابن عباس، وجابر، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن وهب: أنها ليلة أربع وعشرين. وقد تقدم في سورة «البقرة» حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً: «إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين»^(٦).

وقيل: تكون ليلة خمس وعشرين: لما رواه البخاري، عن عبد الله بن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى»^(٧). فسره كثيرون بليالي الأوتار، وهو أظهر وأشهر. وحمله آخرون على الإشفاع كما رواه مسلم، عن أبي سعيد^(٨)، أنه حملة على ذلك. والله أعلم.

وقيل: إنها تكون ليلة سبع وعشرين؛ لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب، عن

(١) صحيح البخاري، الأذان، باب السجود على الأنف والسجود على الطين (ح ٨١٣)؛ وصحيح مسلم، الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح ١١٦٧).

(٢) المصدر السابق (ح ١١٦٨).

(٣) أخرجه الطيالسي بسنده ومثته (المسند ص ٢٨٨ ح ٢١٦٧) وكما قال الحافظ ابن كثير: رجاله ثقات، ولكن حماد بن سلمة تردد فيه فقد أخرج الطيالسي عن حماد بن سلمة عن حميد عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً بلفظ: «التمسوها لسبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث بقين». (المسند ص ٢٨٨ ح ٢١٦٦). ومن الجدير بالذكر أن حماد بن سلمة ساء حفظه لما كبر. (ينظر تهذيب التهذيب ٦/٤، ٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وضعف سنده محققوه. (المسند ٣٩/٣٢٣ ح ٢٣٨٩٠).

(٥) أخرجه البخاري بسنده ومثته وأطول (الصحيح، المغازي، باب ٨٨ ح ٤٤٧٠).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ١٨٥.

(٧) صحيح البخاري، فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر. (ح ٢٠٢١).

(٨) صحيح مسلم، الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح ١١٦٧).

رسول الله ﷺ: «إنها ليلة سبع وعشرين»^(١).

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان: سمعت عبدة وعاصماً، عن زُرٍّ: سألت أبي بن كعب قلت: أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول: من يُقِمَّ الحَوْلَ يُصَبِّ ليلة القدر. قال: يرحمه الله، لقد علم أنها في شهر رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين. ثم حلف. قلت: وكيف تعلمون ذلك؟ قال: بالعلامة - أو: بالآية - التي أخبرنا بها، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها، أعني الشمس^(٢).

وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعي، عن عبدة، عن زُرٍّ، عن أبي، فذكره، وفيه: فقال: والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي رمضان - يحلف بما يستثني - والله إني لأعلم؛ أي: ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها^(٣).

وفي الباب عن معاوية، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم، عن رسول الله ﷺ: أنها ليلة سبع وعشرين. وهو قول طائفة من السلف، وهو الجادة من مذهب أحمد بن حنبل رَحِمَهُمُ اللهُ، وهو رواية عن أبي حنيفة أيضاً. وقد حُكِيَ عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن، من قوله: ﴿هِيَ﴾ لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة^(٤)، والله أعلم.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَرٌ، عن قتادة وعاصم: أنهما سمعا عكرمة يقول: قال ابن عباس: دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ: فسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر. قال ابن عباس: فقلت لعمر: إني لأعلم - أو: إني لأظن - أي ليلة القدر هي؟ فقال عمر: أي ليلة هي؟ فقلت: سابعة تمضي - أو: سابعة تبقى - من العشر الأواخر. فقال عمر: ومن أين علمت ذلك؟ قال ابن عباس: فقلت: خلق الله سبع سموات، وسبع أرضين، وسبعة أيام، وإن الشهر يدور على سبع، وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع... لأشياء ذكرها. فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنا له. وكان قتادة يزيد، عن ابن عباس في قوله: ويأكل من سبع، قال: هو قول الله تعالى: ﴿فَأَبْتَلْنَا فِيهَا جَبًا ۖ وَغَبًا ۖ وَقَضَبًا ۖ﴾^(٥) [عبس].

وهذا إسناد جيد قوي، ومتن غريب جداً، والله أعلم.

وقيل: إنها تكون في ليلة تسع وعشرين. قال أحمد بن حنبل: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل، عن عُمر بن عبد الرحمن، عن عبادة بن الصامت: أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، فقال رسول الله ﷺ: «في رمضان،

(١) المصدر السابق (ح ١١٦٩/٢٢٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سننه محققوه (المسند ١٢١/٣٥، ١٢٢ ح ٢١١٩٣).

(٣) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان (ح ٧٦٢).

(٤) ذكره ابن جزي في التسهيل في تفسير سورة القدر.

(٥) أخرجه الطبراني بسنده ومثته (المعجم الكبير ١٠/٣٢٢ ح ١٠٦١٨) وسنده ضعيف لأن رواية إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق فيها مناكير وتصحيفات. (ينظر لسان الميزان ١/٣٤٩، ٣٥٠).

فالتمسوها في العشر الأواخر، فإنها في وثر إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو في آخر ليلة^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود - وهو: أبو داود الطيالسي - حدثنا عمران القطان، عن قتادة، عن أبي ميمونة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى»^(٢).
تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به.

وقيل: إنها تكون في آخر ليلة، لما تقدم من هذا الحديث آفأ، ولما رواه الترمذي والنسائي، من حديث عُيَيْنَةَ بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة، أن رسول الله ﷺ قال: «في تسع ييقين، أو سبع ييقين، أو خمس ييقين، أو ثلاث، أو آخر ليلة»^(٣)؛ يعني: التمسوا ليلة القدر.
وقال الترمذي: حسن صحيح. وفي المسند من طريق أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في ليلة القدر: «إنها آخر ليلة».

[فصل]

قال [الإمام]^(٤) الشافعي في هذه الروايات: صدرت من النبي ﷺ جواباً للسائل إذا قيل له: أتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية؟ يقول: «نعم». وإنما ليلة القدر ليلة مُعَيَّنَةٌ: لا تنتقل. نقله الترمذي عنه بمعناه. وروي عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر.
وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نصّ عليه مالك، والثوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، والمزني، وأبو بكر بن خزيمة، وغيرهم. وهو محكي عن الشافعي - نقله القاضي عنه، وهو الأشبه - والله أعلم.

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين، عن عبد الله بن عمر: أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فَلْيَتَحَرَّها في السبع الأواخر»^(٥).
وفيها أيضاً عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «تَحَرَّوْا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»^(٦). ولفظه للبخاري.

ويحتج للشافعي أنها لا تنتقل، وأنها معينة من الشهر، بما رواه البخاري في صحيحه، عن

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٣٧/٣٨٦، ٣٨٧ ح ٢٢٧١٣) وقال محققوه: حديث حسن دون قوله: «أو في آخر ليلة» ودون قوله: «وما تأخر».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٦/٤٢٨ ح ١٠٧٣٤) قال محققوه: إسناده محتمل للتحسين.

(٣) سنن الترمذي، الصوم، باب ما جاء في ليلة القدر (ح ٧٩٤). وقال الترمذي: حسن صحيح؛ وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٦٣٦)؛ وانظر: السنن الكبرى للنسائي، الاعتكاف، باب التماس ليلة القدر ثلاث ييقين من الشهر (ح ٣٤٠٣).

(٤) زياد من (حم).

(٥) صحيح البخاري، التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصل (ح ١١٥٨)؛ صحيح مسلم، الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح ١١٦٥).

(٦) صحيح البخاري، فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر.. (ح ٢٠١٧).

عبادة بن الصامت قال: خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»^(١).

وجه الدلالة منه: أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين، لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة، إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعيينها إلا ذلك العام فقط، اللهم إلا أن يقال: إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط.

وقوله: «فتلاحى فلان وفلان فرفعت»: فيه استئناس لما يقال: إن الممارسة تقطع الفائدة والعلم النافع، وكما جاء في الحديث: «إن العبد ليُحَرَمَ الرزقَ بالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»^(٢).

وقوله: «رفعت» أي: رفع علم تعيينها لكم، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود، كما يقوله جهلة الشيعة؛ لأنه قد قال بعد هذا: «فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

وقوله: «وعسى أن يكون خيراً لكم» يعني: عدم تعيينها لكم، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها، فكان أكثر للعبادة، بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط. وإنما اقتضت الحكمة إيهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها، ويكون الاجتهاد في العشر الأواخر أكثر. ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله ﷻ. ثم اعتكف أزواجه من بعده. أخرجاه من حديث عائشة^(٣).

ولهما عن ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان^(٤).

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر، أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر. أخرجاه^(٥).

ولمسلم عنها: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره^(٦).

وهذا معنى قولها: «شد المئزر». وقيل: المراد بذلك: اعتزال النساء. ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين، لما رواه الإمام أحمد:

حدثنا [سريج]^(٧)، حدثنا أبو مَعْشَر، عن هشام بن عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان

(١) صحيح البخاري، فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس (ح ٢٠٢٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث ثوبان رضي الله عنه، قال محققوه: حسن لغيره دون قوله: «أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب»، وهذا إسناد ضعيف.

(٣) صحيح البخاري، الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر (ح ٢٠٢٦)؛ وصحيح مسلم، الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر (ح ١١٧٢).

(٤) صحيح البخاري، الباب السابق (ح ٢٠٢٥) والمصدر السابق (ح ١١٧١).

(٥) صحيح البخاري، فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان (ح ٢٠٢٤)؛ وصحيح مسلم، الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر (ح ١١٧٤).

(٦) المصدر السابق (ح ١١٧٥).

(٧) كذا في المسند (وحم)، وفي الأصل (وح) صحف إلى: «سريج».

رسول الله ﷺ إذا بقي عشر من رمضان شدَّ مئزره، واعتزل نساءه. انفرد به أحمد^(١).

وقد حكى عن مالك رحمه الله، أن جميع ليالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء، لا يرجح منها ليلة على أخرى: رأيته في شرح الرافعي رحمه الله.

والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات، وفي شهر رمضان أكثر، وفي العشر الأخير منه، ثم في أوتاره أكثر. والمستحب أن يكثّر من هذا الدعاء: «اللهم، إنك عفوٌ تحب العفو، فاعف عني»؛ لما رواه الإمام أحمد: حدثنا يزيد - هو ابن هارون - حدثنا الجريري - وهو سعيد بن إياس - عن عبد الله بن بُريدة، أن عائشة قالت: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني»^(٢).

وقد رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من طريق كَهَمَس بن الحسن، عن عبد الله بن بريدة، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمتُ أي ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم، إنك عفو تحب العفو، فاعف عني»^(٣).

وهذا لفظ الترمذي، ثم قال: «هذا حديث حسن صحيح». وأخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين^(٤). ورواه النسائي أيضاً من طريق سفيان الثوري، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بُريدة، عن عائشة قالت: يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم، إنك عفو تحب العفو، فاعف عني»^(٥).

ذكر أثر غريب ونبأ عجيب، يتعلق بليلة القدر، رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال:

حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي زياد القُطَواني، حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا موسى بن سعيد - يعني: الراسبي - عن هلال أبي جبلة، عن أبي عبد السلام، عن أبيه، عن كعب أنه قال: إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة، مما يلي الجنة، فهي على حدّ هواء الدنيا وهواء الآخرة، [عُلُوها]^(٦) في الجنة، وعروقها وأغصانها من تحت الكرسي، فيها ملائكة لا يعلم عدّتهم إلا الله ﷻ، يعبدون الله ﷻ، على أغصانها في كل موضع شعرة منها ملك. ومقام جبريل عليه السلام، في وسطها، فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة قَدْر مع الملائكة الذين يسكنون

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: حديث صحيح دون قوله: «واعتزل أهله» فحسن لغيره. (المسند ٤٣٩/٤٠ ح ٢٤٣٧٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سندوه محققوه. (المسند ٣١٦/٤٢ ح ٢٥٤٩٥).

(٣) سنن الترمذي، الدعوات، باب أي الدعاء أفضل (ح ٢٥٠٨)؛ والسنن الكبرى للنسائي، النعوت، باب العفو (ح ٧٧١٢)؛ وسنن ابن ماجه، الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية (ح ٣٨٥٠)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣١٠٥).

(٤) ووافقه الذهبي. (المستدرک ١/ ٥٣٠).

(٥) السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة (ح ١٠٧١٣) وسنده كسابقه.

(٦) زيادة من (حم).

سدرۃ المنتهى، وليس فيهم ملك إلا قد أعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين، [فينزلون]^(١) على جبريل في ليلة القدر، حين تغرب الشمس، فلا تبقى بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك، إما ساجد وإما قائم، يدعو للمؤمنين والمؤمنات، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة، أو بيت نار أو وثن، أو بعض أماكنكم التي تطرحون فيها الحَبث، أو بيت فيه سكران، أو بيت فيه مُسكر، أو بيت فيه وثن منصوب، أو بيت فيه جرس مُعلّق، أو مبولة، أو مكان فيه كساحة البيت، فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات، وجبريل لا يدع أحداً من المؤمنين إلا صافحه، وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه، فإن ذلك من مصافحة جبريل.

وذكر كعب أنه من قال في ليلة القدر: «لا إله إلا الله»، ثلاث مرات، غفر الله له بواحدة، ونجا من النار بواحدة، وأدخله الجنة بواحدة. فقلنا لكعب الأحبار: يا أبا إسحاق، صادقاً؟ فقال كعب: وهل يقول: «لا إله إلا الله» في ليلة القدر إلا كل صادق؟ والذي نفسي بيده، إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق، حتى كأنها على ظهره جبل، فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر. فأول من يصعد جبريل حتى يكون في وجه الأفق الأعلى من الشمس، فيبسط جناحيه - وله جناحان أخضران، لا ينشرهما إلا في تلك الساعة - فتصير الشمس لا شعاع لها، ثم يدعو ملكاً فيصعد، فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل، فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة، فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك، في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات، ولمن صام رمضان احتساباً، ودعا لمن حدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله. فإذا أمسوا دخلوا السماء الدنيا، فيجلسون حلقة حلقة، فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا، فيسألونهم عن رجل رجل، وعن امرأة امرأة، فيحدثونهم حتى يقولوا: ماذا فعل فلان؟ وكيف وجدتموه العام؟ فيقولون: وجدنا فلاناً عام أول في هذه الليلة متعبداً ووجدناه العام مبتدعاً، ووجدنا فلاناً مبتدعاً ووجدناه العام عابداً قال: فيكفون عن الاستغفار لذلك، ويقبلون على الاستغفار لهذا، ويقولون: وجدنا فلاناً وفلاناً يذكران الله، ووجدنا فلاناً راکعاً، وفلاناً ساجداً، ووجدناه تالياً لكتاب الله. قال: فهم كذلك يومهم وليلتهم، حتى يصعدون إلى السماء الثانية، ففي كل سماء يوم وليلة، حتى ينتهوا مكانهم من سدرۃ المنتهى، فتقول لهم سدرۃ المنتهى: يا سكانى، حدثوني عن الناس وسموهم لي. فإن لي عليكم حقاً، وإنى أحب من أحب الله.

فذكر كعب أنهم يعدّون لها، ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم. ثم تقبل الجنة على السدرۃ فتقول: أخبريني بما أخبرك سكانك من الملائكة. فتخبرها، قال: فتقول الجنة: رحمة الله على فلان، ورحمة الله على فلانة، اللهم عجلهم إليّ، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم، فيلهمه الله فيقول: وجدت فلاناً ساجداً فاغفر له. فيغفر له، فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون: رحمة الله على فلان، ورحمة الله على فلانة، ومغفرته لفلان، ويقول: يا رب، وجدت عبدك فلاناً الذي وجدته عام أول على السنّة والعبادة، ووجدته العام قد أحدث حدثاً

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «فيقولون».

وتولى عما أمر به. فيقول الله: يا جبريل، إن تاب فأعتبني قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له. فيقول جبريل: لك الحمد إلهي، أنت أرحم من جميع خلقك، وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم، قال: فيرتجّ العرش وما حوله، والحُجُبُ والسُّمُواتُ ومن فيهنَّ، تقول: الحمد لله الرحيم، الحمد لله الرحيم.

قال: وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان ألا يعصي الله، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب^(١).

آخر تفسير سورة «ليلة القدر»، [ولله الحمد والمِنَّة]^(٢).

(١) سنده ضعيف لإرساله ومثته غريب لما فيه من الإسرائيليات التي اشتهر بها كعب الأحبار.

(٢) زيادة من (ح).

سُورَةُ التَّيْنَةِ ﴿لَمْ يَكُنْ﴾

وهي مدنية

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد - وهو ابن سلمة - أخبرنا علي - هو ابن زيد - عن عمار بن أبي عمار قال: سمعت أبا حبة البدرى - وهو: مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري - قال: لما نزلت: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلى آخرها، قال جبريل: يا رسول الله، إن ربك يأمرك أن تقرئها ألبياً. فقال النبي ﷺ لأبي: «إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة» قال أبي: وقد ذكرت ثم يا رسول الله؟ قال: «نعم». قال: فبكى أبي^(١).

حديث آخر: وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾» قال: وسماني لك؟ قال: «نعم». فبكى^(٢).

ورواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، من حديث شعبة، به^(٣).

حديث آخر: قال الإمام أحمد حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، حدثنا أسلم المنقري، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه، عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا». قلت: يا رسول الله، وقد ذكرتُ هناك؟ قال: «نعم». فقلت له: يا أبا المنذر، ففرحت بذلك. قال: وما يمنعني والله يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. قال مؤمل: قلت لسفيان: القراءة في الحديث: قال: نعم^(٤). تفرد به من هذا الوجه.

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا: حدثنا شعبة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبیش، عن أبي بن كعب قال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن». قال: فقرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، قال: فقرأ فيها: ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال، فأعطيه، لسأل ثانياً، ولو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب. وإن ذلك الدين عند الله الحنيفية، غير

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده بنحوه، وقال محققوه: صحيح لغيره. (المسند ٣٨١/٢٥ ح ١٦٠٠٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ١٣٠/٣)، وسنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري، مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب (ح ٣٨٠٩)؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل (ح ٧٩٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، قال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد. (المسند ٧١/٣٥ ح ٢١١٣٦).

المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل خيراً فلن يكفره^(١).

ورواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي، عن شعبة، به. وقال: حسن صحيح^(٢).

طريق أخرى: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن خليفه الحلبي، حدثنا محمد بن عيسى الطباع، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب، عن أبيه، عن جده، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، إني أمرت أن أعرض عليك القرآن». قال: بالله آمنت، وعلى يدك أسلمت، ومنك تعلمت. قال: فردّ النبي ﷺ القول: فقال: يا رسول الله، أذكرت هناك؟ قال: «نعم، باسمك ونسبك في الملاء الأعلى». قال: فاقراً إذاً يا رسول الله^(٣).

هذا غريب من هذا الوجه، والثابت ما تقدم. وإنما قرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة تثبيتاً له، وزيادة لإيمانه، فإنه - كما رواه أحمد والنسائي، من طريق أنس، عنه^(٤)، ورواه أحمد وأبو داود، من حديث سليمان بن صُرد عنه^(٥)، ورواه أحمد عن عفان، عن حماد، عن حميد، عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عنه^(٦)، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عنه^(٧)، كان قد أنكر على إنسان، وهو: عبد الله بن مسعود، قراءة شيء من القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله ﷺ فرفعه إلى النبي ﷺ فاستقرأهما، وقال، لكل منهما: «أصبت». قال أبي: فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية. فضرب رسول الله ﷺ في صدره، قال أبي: ففَضْتُ عَرَقاً، وكأنما أنظر إلى الله فرحاً. وأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف. فقلت: «أسأل الله معافاته ومغفرته». فقال: على حرفين. فلم يزل حتى قال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف. كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه وألفاظه في أول التفسير. فلما نزلت هذه السورة الكريمة وفيها: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾، قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار، لا قراءة تعلم واستذكار، والله أعلم.

وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله ﷺ يوم الحديبية عن تلك الأسئلة، وكان فيما قال: أو لم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ [قال: «بلى، أفأخبرت أنك تأتيه

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٥/١٣١)، وسنده حسن.

(٢) سنن الترمذي، المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي. (ح ٣٧٩٣)، وسنده كسابقه.

(٣) أخرجه الطبراني بسنده ومثته. (المعجم الكبير ١/٢٠٠ ح ٥٣٩)، وسنده ضعيف لجهالة محمد بن معاذ بن أبي. (التقريب ص ٥٠٧).

(٤) المسند ٥/١١٤؛ وسنن النسائي، الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٤.

(٥) المسند ٥/١٢٤؛ وسنن أبي داود، الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (ح ١٤٧٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٣١٠).

(٦) المسند ٥/١١٤.

(٧) المسند ٥/١٢٧؛ وصحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (ح ٨٢٠)، وسنن أبي داود، الباب السابق (ح ١٤٧٨)؛ وسنن النسائي، الافتتاح باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٣.

عامك هذا؟». قال: لا، قال: «فإنك آتية، ومُطَوَّف به»^(١). فلما رجعوا من الحديدية، وأنزل الله على النبي ﷺ سورة «الفتح»، دعا عمر بن الخطاب وقرأها عليه، وفيها قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ﴾ الآية [الفتح: ٢٧]، كما تقدم^(٢).

وروى الحافظ أبو نعيم في كتابه «أسماء الصحابة» من طريق محمد بن إسماعيل الجعفري المدني: حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم، عن ابن شهاب، عن إسماعيل بن أبي حكيم المدني، حدثني فضيل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ليسمع قراءة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فيقول: أبشر عبي، فوعزتي لأمكنن لك في الجنة حتى ترضى»^(٣).

حديث غريب جداً. وقد رواه الحافظ أبو موسى المدني وابن الأثير، من طريق الزهري، عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن نظير المزني - أو: المدني - عن النبي ﷺ: «إن الله ليسمع قراءة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾» ويقول: أبشر عبي، فوعزتي لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة، ولأمكنن لك في الجنة حتى ترضى»^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۚ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۚ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۚ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ وَبِنِ الْقِيمَةِ ۚ﴾

أما أهل الكتاب فهم: اليهود والنصارى، والمشركون: عبدة الأوثان والنيران، من العرب ومن العجم.

وقال مجاهد: لم يكونوا «مُنْفَكِينَ» يعني: متتهين حتى يتبين لهم الحق^(٥). وكذا قال قتادة^(٦).
﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي: هذا القرآن؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾. ثم فسر البيضة بقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾^(٧). يعني: محمداً ﷺ، وما يتلوه من القرآن العظيم، الذي هو مكتتب في الملاء الأعلى، في صحف مطهرة كقوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۖ رُّفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۚ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس].
وقوله: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ قال ابن جرير: أي في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة: عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ؛ لأنها من عند الله ﷻ^(٨).

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٢) سند ضعيف لأن إسماعيل بن أبي حكيم لم يسمع أحداً من الصحابة فهو من الطبقة السادسة. (التقريب ص ١٠٧)، وقال الحافظ ابن حجر: عبد الله بن سلمة واهي الحديث. (الإصابة ٥٢٨/٣).

(٣) أسد الغابة ٣٢٥/٥، وسنده كسابقه.

(٤) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٦) ذكره الطبري بلفظه وأطول.

(٧)

قال قتادة: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ (٢) يذكر القرآن بأحسن الذكر، ويشني عليه بأحسن الشئ (١).

وقال ابن زيد: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (٣) مستقيمة معتدلة (٢).

وقوله: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ (٤) كقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَرَقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) [آل عمران] يعني بذلك: أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعدما أقام الله عليهم الحجج والبيّنات تفرقوا واختلّفوا في الذي أَرَادَهُ اللهُ مِنْ كِتَابِهِمْ، واختلّفوا اختلافاً كثيراً، كما جاء في الحديث المروي من طرق: «إن اليهود اختلّفوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى اختلّفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستتفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» (٣).

وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء]؛ ولهذا قال: حنفاء؛ أي: مُتَحَنِّفِينَ عَنِ الشَّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ. كقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة «الأنعام» (٤) بما أغنى عن إعادته ههنا.

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وهي أشرف عبادات البدن، ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ وهي الإحسان إلى الفقراء والمحاويج. ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ أي: الملة القائمة العادلة، أو الأمة المستقيمة المعتدلة.

وقد استدلل كثير من الأئمة، كالزهري والشافعي، بهذه الآية الكريمة على الأعمال داخلة في الإيمان؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٥).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٧) ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٨).

يخبر تعالى عن مآل الفجار، من كفر أهل الكتاب، والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلّة: أنهم يوم القيامة ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين، لا يحولون عنها ولا يزولون ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أي: شر الخليقة التي برأها الله وذراها.

ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار - الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بأبدانهم - بأنهم خير البرية.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ٩٣. (٤) في الآية ١٦١.

وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء، على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة؛ لقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

ثم قال: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي: هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبداه كأنه يراه، قد علم أنه إن لم يره فإنه يراه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا أبو معشر، عن أبي وهب - مولى أبي هريرة - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير البرية؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، كلما كانت هيعة^(١) استوى عليه. ألا أخبركم بخير البرية؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «رجل في ثلّة من غنمه، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة. ألا أخبركم بشر البرية؟» قالوا: بلى. قال: «الذي يسأل بالله، ولا يُعطي به»^(٢).
آخر تفسير سورة ﴿لَمْ يَكُنْ﴾.

(١) الهيعة: الصوت الذي تفرع منه وتخافه من عدو.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه محققوه بالشواهد. (المسند ٧٢/١٥ ح ٩١٤٢).

سُورَةُ إِذَا زُلْزِلَتْ

وهي مكية

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا سعيد، حدثنا عياش بن عباس، عن عيسى بن هلال الصّدفي، عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرني يا رسول الله. قال له: «اقرأ ثلاثاً من ذات آكر». فقال له الرجل: كبر سني واشتد قلبي، وغلظ لساني. قال: «فاقرأ من ذات حم»، فقال مثل مقالته الأولى. فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته. فقال الرجل: ولكن أقرني - يا رسول الله - سورة جامعة. فأقرأه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حتى إذا فرغ منها قال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً. ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح الرويجل! أفلح الرويجل!» ثم قال: «عَلَيَّ بِهِ». فجاءه فقال له: «أمرت بيوم الأضحى جعله الله عيداً لهذه الأمة». فقال له الرجل: رأيت إن لم أجد إلا مَنِيحَةً أنشئ فأضحى بها؟ قال: «لا، ولكنك تأخذ من شعرك، وتقلّم أظفارك، وتقص شاربك، وتحلق عانتك، فذاك تمام أضحيتك عند الله ﷻ»^(١).

وأخرجه أبو داود والنسائي، من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ، به^(٢).

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن موسى [الحَرشي]^(٣) البصري: حدثنا الحسن بن سلم بن صالح العجلي، حدثنا ثابت البناني، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾، عدلت له بنصف القرآن». ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن سلم^(٤).

وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الحرشي، عن الحسن بن سلم، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» [الإخلاص] تعدل ثلث القرآن، و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ تعدل ربع القرآن. هذا لفظه^(٥).

وقال الترمذي أيضاً: حدثنا علي بن حُجر، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا يمان بن المغيرة

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنته تقريباً. (المسند ١١/١٣٩ ح ٦٥٧٥) وحسن سنده محققوه؛ وأخرجه الحاكم بسنده ومثنته وصححه ووافقه الذهبي. (المستدرک ٢/٥٣٢).

(٢) سنن أبي داود، الصلاة، باب تحزيب القرآن (ح ١٣٩٩)؛ والسنن الكبرى للنسائي، عمل اليوم والليلة، باب الفضل في قراءة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدْرِؤُ الْمُلُوكَ﴾ [الملک: ١] (ح ١٠٥٥٣)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٣٠٠).

(٣) كذا في (حم)؛ وسنن الترمذي، وفي الأصل صحف إلى: الجويني.

(٤) أخرجه الترمذي بسنده ومثنته. (السنن، فضائل القرآن، باب ما جاء في ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ [الزلزلة: ١] ح ٢٨٩٣)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٥٤٨).

(٥) سنده ضعيف كسابقه.

العنزي، حدثنا عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا زُلْزِلَتْ» تَعْدُلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ، وَ«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» [الإخلاص] تعدل ثلث القرآن، وَ«قُلْ يَتَّيْبُهُ الْكَافِرُونَ» [الكافرون] تعدل ربع القرآن». ثم قال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة^(١).

وقال أيضاً: حدثنا عقبة بن مكرم العمي البصري، حدثني ابن أبي فديك، أخبرني سلمة بن وردان، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: «هل تزوجت يا فلان؟» قال: لا، والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج. قال: «أليس معك» «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»؟ قال: بلى. قال: «ثلث القرآن». قال: «أليس معك» «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ»؟ قال: بلى. قال: «ربع القرآن». قال: «أليس معك» «قُلْ يَتَّيْبُهُ الْكَافِرُونَ»؟ قال: بلى. قال: «ربع القرآن». قال: «أليس معك» «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ»؟ قال: بلى. قال: «ربع القرآن تزوج». ثم قال: هذا حديث حسن^(٢) تفرد بهن ثلاثهين الترمذي، لم يروه غيره من أصحاب الكتب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۚ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۚ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُخْبِثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۚ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۚ﴾

قال ابن عباس: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا» أي: تحركت من أسفلها^(٣). «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» يعني: ألفت ما فيها من الموتى. قاله غير واحد من السلف. وهذه كقوله تعالى: «يَتَّيْبُهُ النَّاسُ أَثْقَالًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ» [الحج]، وكقوله: «وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۚ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ» [الانشقاق].

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاحَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأَسْطُوانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُتِلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحْمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»^(٤).

وقوله: «وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا» أي: استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها؛ أي: تقلبت الحال، فصارت متحركة مضطربة، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها

(١) أخرجه الترمذي بسنده ومثته. (السنن، الباب السابق ح ٢٨٩٤)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٥٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي بسنده ومثته. (المصدر السابق ح ٢٨٩٥)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٥٥١).

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه مسلم بسنده ومثته. (الصحيح، الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ح ١٠١٣).

من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألفت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين،
وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهار.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (١) أي: تحدث بما عمل العاملون على ظهرها.

قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن المبارك، وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي، واللفظ له: حدثنا سويد بن نصر، أخبرنا عبد الله - هو ابن المبارك - عن سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (١) قال: «أتدرون ما أخبارها؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها» (١).

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة: حدثني الحارث بن يزيد - سمع ربيعة الجُرشي -: أن رسول الله ﷺ قال: «تحفظوا من الأرض، فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً، إلا وهي مُخبرة» (٢).

وقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ (٣) قال البخاري: أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها: واحد (٣). وكذا قال ابن عباس: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أوحى إليها (٤).

والظاهر أن هذا مُضْمَنٌ [بمعنى] (٥) أذن لها.

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (١) قال: قال لها ربها: قولي، فقالت (٦).

وقال مجاهد: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمرها (٧).

وقال القرظي: أمرها أن تنشق عنهم.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: يرجعون عن موقف الحساب، ﴿أَشْتَاتًا﴾ أي: أنواعاً وأصنافاً، ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده بنحوه، وضعف سنده محققوه. (المسند ١٤/٤٥٥ ح ٨٨٦٧)؛ وأخرجه الترمذي، (السنن، التفسير، باب ومن سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا﴾ [الزلزلة] ح ٣٣٥٢)؛ والنسائي (السنن الكبرى، التفسير، سورة الزلزلة ح ١١٦٩٣)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٦٦٤)؛ وأخرجه الحاكم وصححه وتعبه الذهبي بقوله: يحى هذا منكر الحديث. قاله البخاري. (المستدرک ٢/٥٣٢).

(٢) أخرجه الطبراني من طريق ابن لهيعة به. (المعجم الكبير ٥/٦٥ ح ٤٥٩٦)؛ وأعله الهيثمي بابن لهيعة. (مجمع الزوائد ١/٢٤١).

(٣) ذكره البخاري (الصحيح، التفسير، باب سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا﴾) قبل حديث رقم ٤٩٦٢.

(٤) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٥) زيادة من (ح) و(حم).

(٦) أخرجه الطبري من طريق شبيب به بلفظ: «أوحى إليها». وسنده حسن.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد.

قال ابن جريج: يتصدعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما عليهم.
وقال السُّدي: ﴿أَشْنَانًا﴾ فرقاً.

وقوله تعالى: ﴿لِيُرَوَّا أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: ليعملوا ويجازوا بما عملوه في الدنيا، من خير وشر.
ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾.

قال البخاري: حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني مالك، عن يزيد بن أسلم، عن أبي صالح السَّمان، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «الخیل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر؛ فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستتت شرفاً أو شرفين، كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي به كان ذلك حسنات له، وهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنياً وتعففاً، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له ستر. ورجل ربطها فخراً ورثاء ونواء، فهي على ذلك وزر». فسئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر، فقال: «ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفائزة الجامعة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾» (٧) ﴿٨﴾» (١).

ورواه مسلم، من حديث زيد بن أسلم، به (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا جرير بن حازم، حدثنا الحسن، عن صعصعة بن معاوية - عم الفرزدق - : أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾، قال: حسبي! لا أبالي ألا أسمع غيرها (٣).

وهكذا رواه النسائي في التفسير، عن إبراهيم بن يونس بن محمد المؤدب، عن أبيه، عن جرير بن حازم، عن الحسن البصري قال: حدثنا صعصعة عم الفرزدق، فذكره (٤).

وفي صحيح البخاري، عن عدي مرفوعاً: «اتقوا النار ولو بشقِّ تمر، [ولو بكلمة طيبة]» (٥) (٦٠٥). وفي الصحيح: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط» (٧).

وفي الصحيح أيضاً: «يا نساء المؤمنات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» (٨) يعني: ظلفها.

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، سورة الزلزلة ح ٤٩٦٢).

(٢) صحيح مسلم، الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (ح ٩٨٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٢٠٠/٣٤ ح ٢٠٥٩٣)، وصححه سنداه محققوه.

(٤) السنن الكبرى، التفسير، باب سورة الزلزلة (ح ١١٦٩٤).

(٥) كذا في (ح) و(حم) وصحيح البخاري، وفي الأصل بياض.

(٦) صحيح البخاري، الرقاب، باب من نوقش الحساب عذب (ح ٦٥٤٠).

(٧) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي جري الهجيمي، وصححه سنداه محققوه. (المسند ٣٣٦/٣٤ ح ٢٠٦٣٣).

(٨) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة. (صحيح البخاري، الهبة، ح ٢٥٦٦)؛ وصحيح مسلم، الزكاة، باب الحث على الصدقة (ح ١٠٣٠).

وفي الحديث الآخر: «ردوا السائل ولو بظلفٍ مُحَرَّقٍ»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة، استتري من النار ولو بشق تمر، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان». تفرد به أحمد^(٢).

وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة، وقالت: كم فيها من مثقال ذرة^(٣).

وقال أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن مسلم، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير: حدثني عوف بن الحارث بن الطفيل: أن عائشة أخبرته: أن النبي ﷺ كان يقول: «يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً».

ورواه النسائي وابن ماجه، من حديث سعيد بن مسلم بن بآنك، به^(٤).

وقال ابن جرير: حدثني أبو الخطاب الحساني، حدثنا الهيثم بن الربيع، حدثنا سماك بن عطية، عن أيوب، عن أبي قلابه، عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٥) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٦)، فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله، إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال: «يا أبا بكر، ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى تُوفاه يوم القيامة»^(٧).

ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه عن أبي الخطاب، به^(٨).

ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا أيوب قال: في كتاب أبي قلابه، عن أبي إدريس: أن أبا بكر كان يأكل مع النبي ﷺ، فذكره^(٩).

ورواه أيضاً عن يعقوب، عن ابن عُليّة، عن أيوب، عن أبي قلابه: أن أبا بكر، وذكره^(٩).

طريق أخرى: قال ابن جرير: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني حُبي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: لما نزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾^(١٠) وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟». قال: يبكي هذه السورة. فقال له رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث حواء، وحسن سنده محققوه. (المسند ٤٥/٤٤٠ ح ٢٧٤٥٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وضعف سنده محققوه. (المسند ٤١/٤٩ ح ٢٤٥٠١).

(٣) أخرجه الإمام مالك بسند ضعيف بلاغاً. (الموطأ، الصدقة، باب الترغيب ص ٩٩٧ ح ٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وحسن سنده محققوه. (المسند ٤٢/٩٦ ح ٢٥١٧٧).

(٥) سنن ابن ماجه، الزهد، باب ذكر الذنوب (ح ٤٢٤٣)؛ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (ح ٣٤٢١). وقال البوصيري: إسناده صحيح.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف الهيثم بن الربيع. (التقريب ص ٥٧٧)، وقد توبع كما في رواية الطبري التالية.

(٧) سنده كسابقه.

(٨) أخرجه الطبري عن ابن بشار به، ويتقوى بما يليه. (٩) أخرجه الطبري عن يعقوب به، وسنده صحيح.

«لولا أنكم تخطئون وتذنبون، فيغفر الله لكم، لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»^(١).

حديث آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن بن المغيرة - المعروف بعَلَّان المصري - قالا: حدثنا عمرو بن خالد الحرَّاني، حدثنا ابن لهيعة، أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٨) قلت: يا رسول الله، إني لراء عملي؟ قال: «نعم». قلت: تلك الكبار الكبار؟ قال: «نعم». قلت: الصغار الصغار؟ قال: «نعم». قلت: واثكل أُمي. قال: «أبشر يا أبا سعيد؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها - يعني إلى سبعمائة ضعف - ويضاعف الله لمن يشاء، والسيئة بمثلها أو يغفر الله، ولن ينجو أحد منكم بعمله». قلت: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة». قال أبو زرعة: لم يرو هذا غير ابن لهيعة^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر، حدثني ابن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٨)، وذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حَبِّهِمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ﴾^(٨)، وكان المسلمون يرون أنهم لا يُؤَجَّرُونَ على الشيء القليل الذي أعطوه، فيجيئ المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك، فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء. إنما تُؤَجَّر على ما نعطي ونحن نحبه. وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر. فرغهم في القليل من الخير أن يعملوه، فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٨) يعني: في كتابه، ويسرُّه ذلك. قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة. وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً، بكل واحدة عشر، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة، دخل الجنة^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عمران، عن قتادة، عن عبد ربه، عن أبي عياض، عن عبد الله بن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه». وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً، كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها^(٤).

[آخر تفسير سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾^(٥)، [ولله الحمد والمنة]^(٦)].

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ورجاله ثقات إلا حيي بن عبد الله فصدوق بهم. (التقريب ص ١٨٥).

(٢) سنده ضعيف لئفرد ابن لهيعة به. (٣) سنده ضعيف لأنه مرسل..

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٦/٣٦٨ ح ٣٨١٨) قال المحققون: حديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة حال عبد ربه - وهو ابن أبي يزيد - ويقال: ابن زيد.

(٥) زيادة من (ح) و(حم). (٦) زيادة من (حم).

سُورَةُ الْعَادَاتِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَّتِ ضَبْعًا ① فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَتِ ضَبْعًا ③ فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪﴾

يقسم تعالى بالخيول إذا أجريت في سبيله فَعَدَتْ وَضَبَحَتْ، وهو: الصوت الذي يُسمع من الفرس حين تَعْدُو. ﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ②﴾ يعني: اصطكاك نعالها للصخر فتقذح منه النار.

﴿فَالْمُغِيرَتِ ضَبْعًا ③﴾ يعني: الإغارة وقت الصباح، كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحاً ويتسمع أذاناً، فإن سمع وإلا أغار.

[وقوله] ①: ﴿فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا ④﴾ يعني: غباراً في [مكان] ② معترك الخيول.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤﴾ أي: توسطن ذلك المكان كُلُّهُن جُمِعَ.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبدة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله: ﴿وَالْعَادِيَّتِ ضَبْعًا ①﴾ قال: الإبل ③.

وقال علي: هي الإبل. وقال ابن عباس: هي الخيل. فبلغ علياً قول ابن عباس، فقال: ما كانت لنا خيل يوم بدر. قال ابن عباس: إنما كان ذلك في سرية بعثت ④.

قال ابن أبي حاتم وابن جرير: حدثنا يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس حدثه، قال: بينا أنا في الحَجَر جالساً، جاءني رجل فسألني عن: ﴿وَالْعَادِيَّتِ ضَبْعًا ①﴾ فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني فذهب إلى علي عليه السلام، وهو عند سقاية زمزم فسأله عن ﴿وَالْعَادِيَّتِ ضَبْعًا ①﴾ فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت ابن عباس فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله. قال: اذهب فادعه لي. فلما وقف على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك، والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر، وما كان معنا إلا

(١) زيادة من (ح) و(حم).

(٢) زيادة من (ح) و(حم).

(٣) أخرجه الطبري من طريق الأعمش به، وسنده منقطع لأن إبراهيم وهو النخعي لم يسمع من ابن مسعود.

(٤) سيأتي مسنداً بنحو الرواية التالية.

فَرَسَان: فرس للزبير وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحاً؟ إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى مِنَى، قال ابن عباس: فنزعت عن قلبي ورجعت إلى الذي قال علي عليه السلام ^(١).

وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال: قال علي: إنما ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أروا إلى المزدلفة أروا النيران. وقال العوفي، عن ابن عباس: هي الخيل ^(٢).

وقد قال بقول علي: إنها الإبل جماعة. منهم: إبراهيم، وعبيد بن عمير ^(٣) ويقول ابن عباس آخرون، منهم: مجاهد وعكرمة، وعطاء وقتادة، والضحاك ^(٤). واختاره ابن جرير. قال ابن عباس، وعطاء: ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب ^(٥).

وقال ابن جُرَيْج، عن عطاء: سمعت ابن عباس يصف الضبح: أح أح ^(٦). وقال أكثر هؤلاء في قوله: ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدَمًا﴾ يعني: بحوافرها. وقيل: أسعَرَنَ الحرب بين رُكبانهم. قاله قتادة ^(٧).

وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدَمًا﴾ يعني: مكر الرجال ^(٨).

وقيل: هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل.

وقيل: المراد بذلك: نيران القبائل.

وقال من فسرها بالخيول: هو إيقاد النار بالمزدلفة.

وقال ابن جرير: والصواب الأول؛ أنها الخيل حين تقدح بحوافرها.

وقوله: ﴿فَالْمُورِبَتِ ضَبْحًا﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: يعني إغارة الخيل صبحاً في سبيل الله ^(٩).

(١) أخرجه الطبري عن يونس به، وسنده ضعيف لأن أبا معاوية البجلي وهو عمار بن معاوية صدوق يتشيع. (التقريب ص ٤٠٨) وهذه الرواية تؤيد بدعته؛ وأخرجه الحاكم من طريق ابن وهب به؛ وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله، ولا ذكر لأبي معاوية في الكتب الستة ولا احتج البخاري بأبي صخر، والخبر منكر. (المستدرک ١٠٥/٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح.

(٣) أخرجه الطبري بسند ضعيف عن إبراهيم فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف؛ وأخرجه الطبري عن عبيد بن عمير بسند ضعيف منقطع.

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سماك عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري وعبد الرزاق بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عطاء عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سفيان عن ابن جريج به.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس؛ وأخرجه الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٩) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من =

وقال من فسرهما بالإبل: هو الدفع صباحاً من المزدلفة إلى مِنَى.

وقالوا كلهم في قوله: ﴿فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا﴾ ❶ هو: المكان الذي إذا حُلَّت فيه أثارت به الغبار، إما في حج أو غزو.

وقوله: ﴿فَوْسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ❷ قال العوفي، عن ابن عباس، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، والضحاك: يعني جمع الكفار من العدو^(١).

ويحتمل أن يكون: فوسطن بذلك المكان جميعهن، ويكون ﴿جَمْعًا﴾ منصوباً على الحال المؤكدة.

وقد روى أبو بكر البزار ههنا حديثاً غريباً جداً فقال: حدثنا أحمد بن عبدة، حدثنا حفص بن جُمَيْع، حدثنا سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً فأشهرت شهراً لا يأتيه منها خبر، فنزلت ﴿وَالْعَدِيدِ صُبْحًا﴾ ❶ صُبِحَتْ بأرجلها، ﴿وَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾ ❷ قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً ﴿وَالْمُعِيرِ صُبْحًا﴾ ❸ صُبِحَتْ القوم بغارة، ﴿فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا﴾ ❹ أثارت بحوافرها التراب، ﴿فَوْسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ❺ قال: صبحت القوم جميعاً^(٢).

وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ❶ هذا هو المقسم عليه، بمعنى: أنه لنعم ربه ليجحود كفور.

قال ابن عباس، ومجاهد وإبراهيم النخعي، وأبو الجوزاء، وأبو العالية، وأبو الضحى، وسعيد بن جبير، ومحمد بن قيس، والضحاك، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وابن زيد: الكنود: الكفور^(٣).

قال الحسن: هو الذي يعد المصائب، وينسى نعم ربه^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ❶ قال: «الكفور الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفده»^(٥).

= طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بالآثار التالية، فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن عكرمة؛ وأخرجه الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه البزار بسنده ومثته. وأعله الحافظ ابن حجر بحفص بن جميع. (مختصر زوائد مسند البزار ١٢٠/٢ ح ١٥٣٦)، وكذا أعله الهيثمي. (مجمع الزوائد ١٤٢/٧).

(٣) أخرجه الطبري بسندين عن ابن عباس يقوي أحدهما الآخر؛ وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق منصور عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق شعيب بن الجحباب عن الحسن.

(٥) سنده ضعيف جداً لأن جعفر بن الزبير متروك كما قرر الحافظ ابن كثير.

ورواه ابن أبي حاتم، من طريق جعفر بن الزبير - وهو متروك - فهذا إسناد ضعيف. وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث حريز بن عثمان، عن حمزة بن هانئ، عن أبي أمامة موقوفاً. وقوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (٧) قال قتادة وسفيان الثوري: وإن الله على ذلك لشهيد^(١). ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان. قاله محمد بن كعب القرظي، فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد؛ أي: بلسان حاله؛ أي: ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]. وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٨) أي: وإنه لحب الخير - وهو: المال - لشديد. وفيه مذهبان:

أحدهما: أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال.

والثاني: وإنه لحريص بخيل؛ من محبة المال. وكلاهما صحيح.

ثم قال تعالى مُزْهِدًا فِي الدُّنْيَا، وَمُرْغَبًا فِي الْآخِرَةِ، وَمِنْهَا عَلَىٰ مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَ هَذِهِ الْحَالِ، وَمَا يَسْتَقْبِلُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَهْوَالِ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ (٩) أي: أخرج ما فيها من الأموات ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١٠) قال ابن عباس وغيره؛ يعني: أبرز^(٢) وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (١١) أي: لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون، مجازيهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة. آخر [تفسير]^(٣) سورة ﴿وَالْعَادِيَّتِ﴾، والله الحمد والمئة، [وحسبنا الله]^(٤).

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) زيادة من (ح).

(٤) زيادة من (ح).

سُورَةُ الْقَلْعَةِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ﴾ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١ ﴿﴾

﴿الْقَارِعَةُ﴾ ١ من أسماء يوم القيامة، كالحاقة، والطامة، والصاخة، والغاشية، وغير ذلك. ثم قال معظماً أمرها ومهولاً لشأنها: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ ٢ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ٣ أي: في انتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، من حيرتهم مما هم فيه، كأنهم فراش مبثوث، كما قال في الآية الأخرى: ﴿كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ ٤ يعني: قد صارت كأنها الصوف المنفوش، الذي قد شرع في الذهاب والتمزق.

قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والضحاك، والسدي: «الْعِهْنُ»: الصوف^(١).

ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة، بحسب أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ٦ أي: رجحت حسناته على سيئاته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ٧ يعني: في الجنة. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ٨ أي: رجحت سيئاته على حسناته. وقوله: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ ٩ قيل معناه: فهو ساقط هاوٍ بأم رأسه في نار جهنم. وَعَبَّرَ عَنْهُ بِأُمِّهِ - يعني: دماغه - رُوي نحو هذا عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي صالح، وقتادة. قال قتادة: يهوي في النار على رأسه^(٢). وكذا قال أبو صالح: يهوي في النار على رؤوسهم^(٣).

وقيل: معناه: ﴿فَأُمُّهُ﴾ التي يرجع إليها، ويصير في المعاد إليها ﴿هَاوِيَةٌ﴾ وهي اسم من أسماء النار.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق إسماعيل، وهو ابن أبي خالد، عن أبي صالح.

قال ابن جرير: وإنما قيل: الهاوية: أمه؛ لأنه لا مأوى له غيرها^(١).

وقال ابن زيد: الهاوية: النار، هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾^(٢) [آل عمران: ١٥١].

قال ابن أبي حاتم: ورُوي عن قتادة أنه قال: هي النار، وهي مأواهم^(٣). ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى: حدثنا ابن ثور، عن مَعْمَرٍ، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: رَوْحُوا أَخَاكُمْ، فإنه كان في غَمِّ الدنيا. قال: ويسألونه: ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية^(٤).

وقد رواه ابن مَرْدَوِيَّه من طريق أنس بن مالك مرفوعاً، بأبسط من هذا. وقد أوردناه في كتاب «صفة النار»، أجازنا الله منها بمنه وكرمه^(٥).

وقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ أي: حارة شديدة الحر، قوية اللهب والسعير.

قال أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «نار بني آدم التي تُوقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم». قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية. فقال: «إنها فَضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً»^(٦).

ورواه البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن مالك. ورواه مسلم عن قُتَيْبَةَ، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد، به. وفي بعض ألفاظه: «إنها فَضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهنَّ مثل حرّها»^(٧).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا حماد - وهو ابن سلمة - عن محمد بن زياد سمع أبا هريرة يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «نار بني آدم التي توقدون، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». فقال رجل: إن كانت لكافية. فقال: «لقد فَضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً حَرّاً فحراً»^(٨).

تفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط مسلم.

(١) ذكره الطبري بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي عروبة عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثته، ورجاله ثقات لكنه كالمُرسل.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

(٦) أخرجه مالك بسنده ومثته. (الموطأ، كتاب جهنم، باب ما جاء في صفة جهنم ص ٩٩٤ ح ١) وسنده صحيح.

(٧) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب صفة النار (ح ٣٢٦٥)؛ وصحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في شدة حر نار جهنم (ح ٢٨٤٣).

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سندَه محققوه. (المسند ٧٨/١٦ ح ١٠٠٣٢).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ - وعمره، عن يحيى بن جعدة -: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد»^(١).

وهذا على شرط الصحيحين، ولم يخرجوه من هذا الوجه، وقد رواه مسلم في صحيحه من طريق [أبي الزناد]^(٢)^(٣).

ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً»^(٤).

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا عبد العزيز - هو ابن محمد الدراوردي - عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم»^(٥).

تفرد به أيضاً من هذا الوجه، وهو على شرط مسلم أيضاً.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو الخلال، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا معن بن عيسى القزاز، عن مالك، عن عمه أبي سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم؟ لهي أشد سواداً من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً»^(٦).

وقد رواه أبو مصعب، عن مالك، ولم يرفعه. وروى الترمذي وابن ماجه، عن عباس الدوري، عن يحيى بن أبي بكير: حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة»^(٧).

وقد روي هذا من حديث أنس^(٨) وعمر بن الخطاب.

وجاء في الحديث - عند الإمام أحمد - من طريق أبي عثمان النهدي، عن أنس - وأبي نضرة العبدي، عن أبي سعيد وعجلان مولى [المشمعل]^(٩)، عن أبي هريرة - عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان يغلي منهما دماغه»^(١٠).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢/٢٤٤) وسنده صحيح.

(٢) كذا في (ح)، وفي الأصل بياض.

(٣) صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها، باب في شدة حر نار جهنم (ح ٢٨٤٣).

(٤) يشهد لهما ما تقدم.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وقال محققوه: إسناده قوي. (المسند ١٤/٤٩٢ ح ٨٩٢١).

(٦) أخرجه الطبراني (المعجم الأوسط ١/١٥٥ ح ٤٨٥) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد ١٠/٣٨٧).

(٧) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٨١. (٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٨١.

(٩) كذا في (ح) و(حم) ومسند أحمد، وفي الأصل صحف إلى: «المعل».

(١٠) تقدم تخريجه في تفسير سورة التوبة آية ٨١.

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف. فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف من حرّها»^(١).

وفي الصحيحين: «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»^(٢).
آخر تفسير سورة ﴿الْقَلْعَةُ﴾.

(١) صحيح البخاري، بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (ح ٣٢٦٠)؛ وصحيح مسلم، المساجد، باب استحباب الإبراد بالظهر (ح ٦١٧).

(٢) صحيح البخاري، مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر (ح ٥٣٣)؛ وصحيح مسلم، الباب السابق (ح ٦١٥).

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ①﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦﴾ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧﴾.

يقول تعالى: شغلكم حبُّ الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا زكريا بن يحيى الوقار المصري، حدثني خالد بن عبد الدايم، عن ابن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ①﴾ عن الطاعة ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②﴾ حتى يأتاكم الموت»^(١).

وقال الحسن البصري: «﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ①﴾ في الأموال والأولاد»^(٢).

وفي صحيح البخاري، في «الرقاق» منه: وقال لنا أبو الوليد: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، عن أبي بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: «﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ①﴾»^(٣) يعني: «لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب»^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة: سمعت قتادة يحدث عن مُطَرِّف - يعني ابن عبد الله بن الشَّخِير - عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ①﴾»، يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»^(٥).

ورواه مسلم والترمذي والنسائي، من طريق شعبة، به^(٦).

(١) سنده ضعيف لضعف ابن زيد بن أسلم، وهو عبد الرحمن.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق إسماعيل، وهو ابن مسلم المكي، عن الحسن، وسنده ضعيف لضعف إسماعيل (التقريب ص ١١٠)، ومعناه صحيح.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، الرقاق، باب ما يُتَقَى من فتنه المال ح ٦٤٤٠).

(٤) المصدر السابق (ح ٦٤٣٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٢٤/٤) وسنده صحيح.

(٦) صحيح مسلم، الزهد (ح ٢٩٥٨)؛ وسنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ①﴾ [التكاثر] (ح ٣٣٥٤)؛ والسنن الكبرى، التفسير، باب سورة التكاثر (ح ١١٦٩٦).

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا سُويد بن سعيد، حدثنا حفص بن ميسرة، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: مالي مالي؟ وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فاقتنى، وما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس». تفرد به مسلم^(١).

وقال البخاري: حدثنا الحُمَيْدِي، حدثنا سفيان، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»^(٢).

وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي، من حديث سفيان بن عيينة، به^(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثنا قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ قال: «يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنان: الحرص والأمل»^(٤). أخرجاه في الصحيحين^(٥).

وذكر الحافظ ابن عساكر، في ترجمة الأحنف بن قيس - واسمه الضحاك - أنه رأى في يد رجل درهما فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي. فقال: إنما هو لك إذا أنفقت في أجر أو ابتغاء شكر. ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر:

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ^(٦)

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة قال: صالح بن حيان، حدثني عن ابن بُريدة في قوله: ﴿أَلْهَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾^(٧) قال: نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار، في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان بن فلان، وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور. فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبر - ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿أَلْهَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾^(٨) حَقَّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ^(٩) لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل^(١٠).

وقال قتادة: ﴿أَلْهَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾^(١١) حَقَّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ^(١٢) كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدُّ من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم^(١٣).

(١) أخرجه مسلم بسنده ومثته. (الصحيح، الزهد ح ٢٩٥٩).

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، الرقاق، باب سكرات الموت ح ٦٥١٤).

(٣) صحيح مسلم، الزهد (ح ٢٩٦٠)؛ وسنن الترمذي، الزهد، باب ما جاء مثل ابن آدم وعمله (ح ٢٣٧٩)؛ والسنن الكبرى للنسائي، الجنائز، باب النهي عن سب الأموات (ح ٢٠٦٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٣/ ١١٥) وسنده صحيح.

(٥) صحيح البخاري، الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر (ح ٦٤٢١)؛ وصحيح مسلم، الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا (ح ١٠٤٧).

(٦) تاريخ دمشق ٨/ ٤٤٣.

(٧) سنده ضعيف لأنه مرسل، ويتقوى بالمرسل التالي.

(٨) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل.

والصحيح أن المراد بقوله: ﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح: أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعود، فقال: «لا بأس، طهور إن شاء الله». فقال: قلت: طهور؟! بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تُزيّر القبور! قال: «فَنَعَمْ إِذَا»^(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَةَ، حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني، أخبرنا حكام بن سلم الرازي، عن عمرو بن أبي قيس، عن الحجاج، عن المنهال، عن زر بن حبيش، عن علي قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿أَلْهَنَكُمْ أَتْكَأْتُ﴾ ^(٢) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ^(٣). ورواه الترمذي عن أبي كُرَيْب، عن حَكَّام بن سلم به، وقال: غريب^(٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سلمة بن داود الغرضي، حدثنا أبو المليح الرقي، عن ميمون بن مهران قال: كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز، فقرأ: ﴿أَلْهَنَكُمْ أَتْكَأْتُ﴾ ^(٤) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ^(٥) فلبث هنيهة فقال: يا ميمون، ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله^(٤).

قال أبو محمد^(٥): يعني أن يرجع إلى منزله، إلى جنة أو نار. وهكذا ذُكر أن بعض الأعراب سمع رجلاً يتلو هذه الآية: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ^(٦) فقال: بُعْثَ اليوم وَرَبَّ الكعبة؛ أي: إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره. وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٧) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ^(٨) قال الحسن البصري: هذا وعيد بعد وعيد.

وقال الضحاك: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٩) يعني: الكفار، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ^(١٠) يعني: أيها المؤمنون^(٦).

وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْبَاقِينَ﴾ ^(١١) أي: لو علمتم حق العلم، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة، حتى صرتم إلى المقابر.

ثم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ^(١٢) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْبَاقِينَ ^(١٣) هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ^(١٤) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ^(١٥) تَوَعَّدَهُم بهذا الحال، وهي رؤية النار، التي إذا زفرت زفرة خَرَّ كل ملك مقرب، ونبي مرسل على ركبته، من المهابة والعظمة ومعاناة الأهوال، على ما جاء به الأثر المروي في ذلك.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ^(١٦) أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس ^(١). (الصحيح، المناقب، باب علامات النبوة ح ٣٦١٦).

(٢) أخرجه الترمذي من طريق حكام بن سلم به. (السنن، التفسير، باب ومن سورة ﴿أَلْهَنَكُمْ أَتْكَأْتُ﴾ ^(٢) [التكاثر] ح ٣٣٥٥؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ح ٦٦٥)؛ وأخرجه الطبري أيضاً بسند ضعيف.

(٣) تقدم تخريجه في الرواية السابقة.

(٤) رجاله ثقات إلا سلمة بن داود الغرضي لم أجد له ترجمة.

(٥) هو ابن أبي حاتم الرازي صاحب التفسير.

(٦) أخرجه الطبري بسند فيه ابن حميد وهو حميد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك. ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَةَ، حدثنا زكريا بن يحيى الخزاز المقرئ، حدثنا عبد الله بن عيسى أبو خالد الخزاز، حدثنا يونس بن عبيد، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة، فوجد أبا بكر في المسجد فقال: «ما أخرجك هذه الساعة؟» قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله. قال: وجاء عمر بن الخطاب فقال: «ما أخرجك يا ابن الخطاب؟» قال: أخرجني الذي أخرجكما. قال: فقعد عمر، وأقبل رسول الله ﷺ يحدثهما، ثم قال: «هل. بكما من قوة، تنطلقان إلى هذا النخل فتصيان طعاماً وشراباً وظلاً؟» قلنا: نعم. قال: «مروا بنا إلى منزل ابن التَّيْهَانِ أَبِي الْهَيْثَمِ الْأَنْصَارِيِّ». قال: فتقدم رسول الله ﷺ بين أيدينا، فسلم واستأذن - ثلاث مرات - وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام، تريد أن يزيدها رسول الله ﷺ من السلام، فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم، فقالت: يا رسول الله، قد - والله - سمعت تسليمك، ولكن أردت أن تزيدنا من سلامك. فقال لها رسول الله ﷺ: «خيراً». ثم قال: «أين أبو الهيثم؟ لا أراه». قالت: يا رسول الله، هو قريب ذهب يَسْتَعِذُّ بِالماء، ادخلوا فإنه يأتي الساعة إن شاء الله، فبسطت - بساطاً تحت شجرة، فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم، فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقاً، فقال له رسول الله ﷺ: «حَسْبُكَ يَا أَبَا الْهَيْثَمِ». قال: يا رسول الله، تأكلون من بُسرِهِ، ومن رطبِهِ، ومن تَدْنُوْبِهِ، ثم أتاهم بماء فشربوا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه»^(١). هذا غريب من هذا الوجه.

وقال ابن جرير: حدثني الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّدَائِقِيُّ، حدثنا الوليد بن القاسم، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: بينما أبو بكر وعمر جالسان، إذ جاءهما النبي ﷺ فقال: «ما أجلسكما ههنا؟» قالا: والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع. قال: «والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره». فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار، فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النبي ﷺ: «أين فلان؟» فقالت: ذهب يستعذب لنا ماء. فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال: مرحباً، ما زار العباد شيء أفضل من شيء زارني اليوم. فعلق قُرْبَتَهُ بِكرب نخلة، وانطلق فجاءهم بعذوق، فقال النبي ﷺ: «ألا كنت اجتنتيت؟» فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم. ثم أخذ الشفرة، فقال النبي ﷺ: «إياك والحلوب؟» فذبح لهم يومئذ، فأكلوا. فقال النبي ﷺ: «لتسئلن عن هذا يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع، فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا، فهذا من النعيم»^(٢).

ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان، به^(٣). ورواه أبو يعلى وابن ماجه، من حديث

(١) في سنده يونس بن عبيد وهو مقبول. (التقريب ص ٦١٣) وعبد الله بن عيسى بن خالد الخزاز وهو ضعيف. (التقريب ص ٣١٧). فسنده ضعيف، ولبعضه شواهد كما يليه.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتمته، وسنده صحيح.

(٣) صحيح مسلم، الأشربة، باب جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك (ح ٢٠٣٨).

[المحاريبي]^(١)، عن يحيى بن عُبيد الله، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بكر الصديق، به^(٢). وقد رواه أهل السنن الأربعة، من حديث عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، بنحو من هذا السياق وهذه القصة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سُريج، حدثنا حُشْرَج، عن أبي نُصرة، عن أبي عسيب - يعني مولى رسول الله - قال: خرج رسول الله ﷺ ليلاً فمرَّ بي، فدعاني فخرجت إليه، ثم مرَّ بأبي بكرٍ فدعاه فخرج إليه، ثم مرَّ بعمرٍ فدعاه فخرج إليه، فانطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: «أطعمنا». فجاء بعذق فوضعه، فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم دعا بماء بارد فشرب، وقال: «لتسئلن عن هذا يوم القيامة». قال: فأخذ عُمرُ العذق فضرب به الأرض، حتى تناثر البُسْرُ قبل رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله، إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: «نعم، إلا من ثلاثة: خرقة لفَّ بها الرجل عورته، أو كسرة سدَّ بها جوعته، أو جحر تدخَّل فيه من الحرِّ والقرِّ»^(٣). تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، حدثنا عمار، سمعت جابر بن عبد الله يقول: أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطباً، وشربوا ماء، فقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه»^(٤).

ورواه النسائي، من حديث حماد بن سلمة [عن عمار بن أبي عمار، عن جابر]^(٥)، به^(٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا محمد بن عمرو، عن صفوان بن سليم، عن محمود بن الربيع قال: لما نزلت ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ﴿١﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿لَتَسْتَئِنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نُسأل؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا، والعدو حاضر، فعن أي نعيم نُسأل؟ قال: «أما إن ذلك سيكون»^(٧).

وقال أحمد: حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، حدثنا عبد الله بن سليمان، حدثنا معاذ بن عبد الله بن حبيب، عن أبيه، عن عمه قال: كنا في مجلس فطلع علينا النبي ﷺ وعلى رأسه أثر

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «المكاري».

(٢) (مسند أبي يعلى ١/٧٩ ح ٧٨)؛ وسنن ابن ماجه، الذبائح، باب النهي عن ذبح ذوات الدر (ح ٣١٨١)؛ وضعفه البوصيري والألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، ويشهد له سابقه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٣٤/٣٦٧ ح ٢٠٧٦٨) وقال محققوه: حُشْرَج، وهو ابن نباتة الأشجعي، مختلف فيه. اهـ. وحسنه الحافظ ابن حجر حيث قال في ترجمة أبي عسيب: أخرج له ابن منده حديثاً من رواية حُشْرَج بن نباتة عن أبي نضرة، وإسناده حسن (الإصابة ١٠/٢٥٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وصححه سننه محققوه. (المسند ٢٣/٩٨ ح ١٤٧٨٦).

(٥) زياد من (حم).

(٦) سنن النسائي، الوصايا، باب قضاء الدين قبل الميراث ٦/٢٤٦؛ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٣٤٠٠).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وقال محققوه: حديث حسن على اختلاف في إسناده على محمد بن عمرو. (المسند ٣٩/٤٧ ح ٢٣٦٤٠)؛ وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق محمد بن عمرو به (المصنف ٨/١٣١) وسنده حسن.

ماء، فقلنا: يا رسول الله، نراك طيب النفس. قال: «أجل». قال: ثم خاض الناس في ذكر الغنى، فقال رسول الله ﷺ: «لا بأس بالغنى لمن اتقى الله، والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى، وطيب النفس من النعيم»^(١).

ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن خالد بن مخلد، عن عبد الله بن سليمان، به^(٢).

وقال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا شبابة، عن عبد الله بن العلاء، عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عزم الأشعري قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال النبي ﷺ: «إن أول ما يسأل عنه - يعني: يوم القيامة - العبد من النعيم أن يقال له: ألم نصِّحْ لك جسمك، ونزوك من الماء البارد؟ تفرد به الترمذي»^(٣). ورواه ابن حبان في صحيحه، من طريق الوليد بن مسلم، عن عبد الله بن العلاء بن زبر، به^(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا مُسَدَّد، حدثنا سفيان، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن حاطب، عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير: لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، قالوا: يا رسول الله، لأي نعيم نسأل عنه، وإنما هما الأسودان التمر والماء؟ قال: «إن ذلك سيكون»^(٥). وكذا رواه الترمذي وابن ماجه، من حديث سفيان - هو ابن عيينة - به. ورواه أحمد عنه^(٦)، وقال الترمذي: حسن.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الطُّهْرَانِي، حدثنا حفص بن عمر العدني، عن الحكم ابن أبان، عن عكرمة قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٧)، قالت الصحابة: يا رسول الله، وأي نعيم نحن فيه، وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: قل لهم: أليس تحتذون النعال، وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم^(٨).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا محمد بن [سليمان]^(٩) بن الأصبهاني، عن ابن أبي ليلى - أظنه عن عامر - عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(١٠) قال: «الأمن والصحة»^(١١).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وحسن سنده محققوه (المسند ٢٢٩/٣٨ ح ٢٣٦٥٨).

(٢) سنن ابن ماجه، التجارات، باب الحث على المكاسب (ح ٢١٤١) وصحح البوصيري سنده. (مصباح الزجاجة ١٥٨/٢)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ١٧٤١).

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومثته. (السنن، التفسير، باب ومن سورة ﴿الْهَنُكُمُ التَّكْوِيْنُ﴾ [التكاثر] ح ٣٣٥٨؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٧٤).

(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٣٦٤/١٦ ح ٧٣٢٠.

(٥) سنده حسن.

(٦) (المسند ١٧٤/١)؛ وسنن الترمذي، الباب السابق ٣٣٥٦؛ وسنن ابن ماجه الزهد، باب معيشة أصحاب النبي ﷺ (ح ٤١٥٨)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٧٢).

(٧) سنده ضعيف لضعف حفص بن عمر العدني، وإرسال عكرمة.

(٨) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «السلطان».

(٩) في سنده محمد بن سليمان الأصبهاني: صدوق يخطئ (التقريب ص ٤٨١)، وفيه تردد في قول الراوي: أظنه =

وقال زيد بن أسلم، عن رسول الله ﷺ: «ثُمَّ لَتُسْتَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾» يعني: شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الحلق، ولذة النوم. رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم عنه في أول السورة^(١).

وقال سعيد بن جبير: حتى عن شربة عسل^(٢).

وقال مجاهد، عن كل لذة من لذات الدنيا^(٣).

وقال الحسن البصري: نعيم الغداء والعشاء.

وقال أبو قلابة: من النعيم أكل العسل والسمن بالخبز النقي. وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «ثُمَّ لَتُسْتَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾» قال: النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: «إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا»^(٤) [الإسراء: ٣٦].

وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٥).

ومعنى هذا: أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا أبو حمزة، عن ليث، عن أبي فزارة، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فوق الإزار، وظل الحائط، وخُبْز، يحاسب به العبد يوم القيامة، أو يسأل عنه»^(٦)، ثم قال: لا نعرفه إلا بهذا الإسناد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا بَهْزُ وعفان قالا: حدثنا حماد - قال عفان في حديثه: قال إسحاق بن عبد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: - قال عفان: يوم

= عن عامر، ويشهد له ما أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس بنحوه.

(١) سنده ضعيف لأنه مرسل، والراوي عنه ابنه عبد الرحمن وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق بكير بن عتيق عن سعيد بن جبير.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد، وكذا أبو نعيم (حلية الأولياء ٢٨١/٣).

(٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) صحيح البخاري، الرقاق، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة (ح ٦٤١٢)؛ وسنن الترمذي، الزهد، باب الصحة والفراغ (ح ٢٣٠٤)؛ وسنن ابن ماجه، الزهد، باب الحكمة (ح ٤١٧٠).

(٦) أخرجه البزار بسنده ومثنه (مختصر زوائد مسند البزار ٥٠٥/٢ ح ٢٣٠١) قال الهيثمي: فيه ليث بن أبي سليم، وقد وثق على ضعف فيه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح غير القاسم بن محمد بن يحيى المروزي وهو ثقة. (مجمع الزوائد ٢٦٧/١٠).

القيامة -: يا بن آدم، حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء، وجعلتك تَرْبَعٌ^(١) وترأس^(٢)، فأين شكر ذلك؟^(٣). تفرد به من هذا الوجه.
آخر تفسير سورة «التكاثر»، والله الحمد [والمِنَّة] ^(٤).

(١) أي: تركتك مستريحاً لا تحتاج إلى مشقة وتعب (شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/١٠٣).
(٢) أي: جعلتك رئيس القوم وكبيرهم (المصدر السابق).
(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه، وصححه سننه محققوه. (المسند ١٦/٢٤٥ ح ١٠٣٧٩).
(٤) زيادة من (حم).

سُورَةُ الْعَصْرِ

[وهي^(١) مكية

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب [لعنه الله]^(٢)، [وذلك بعدما بعث رسول الله ﷺ]^(٣) وقبل أن يسلم عمرو، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة؟ قال: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ ۝٢ لَفِي خُسْرٍ ۝٣ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٤﴾. ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال: وقد أنزل علي مثلها. فقال له عمرو: وما هو؟ فقال: يا وُبر يا وُبر، إنما أنت أذنان وصدر، وسائرک حفز نَفَز. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أنني أعلم أنك تكذب^(٤).

وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف بـ«مساوي الأخلاق»، في الجزء الثاني منه، شيئاً من هذا أو قريباً منه^(٥).

والوُبر: دويبة تشبه الهرّ، أعظم شيء فيه أذناه، وصدره وباقيه دميم. فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن، فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان. وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الله بن حصن أبي مدينة، قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا، لم يتفرقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر «سورة العصر» إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر^(٦). وقال الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة، لوسعتهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ ۝٢ لَفِي خُسْرٍ ۝٣ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٤﴾.

العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هو العشي^(٧)، والمشهور الأول.

- (١) زيادة من (حم).
(٢) زيادة من (ح) و(حم).
(٣) زيادة من (ح) و(حم).
(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة يونس آية ١٧.
(٥) مساوي الأخلاق رقم ١٧٥، وذكر ابن شاهين قصة مسيلمة. (ينظر: الإصابة ٢٢٥/٣).
(٦) المعجم الأوسط ٢١٥/٥ (ح ٥١٢٤)، وسنده مرسل.
(٧) سنده صحيح.

فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر؛ أي: في خسارة وهلاك، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على المصائب والأقذار، وأذى مَنْ يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر. آخر تفسير سورة «العصر»، والله الحمد والمنة.

سُورَةُ ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُحْمَةٌ﴾

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُحْمَةٌ﴾ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩).

الهماز: بالقول، واللاماز: بالفعل. يعني: يزدرى بالناس ويتقصص بهم. وقد تقدم بيان ذلك في قوله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَلَمٍ بِنَمِيمٍ﴾ (١١) [القلم].

قال ابن عباس: ﴿هُمَزَةٍ لُحْمَةٌ﴾ طعان معياب (١).

وقال الربيع بن أنس: الهمزة، يهمزه في وجه، واللمزة من خلفه (٢).

وقال قتادة: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعن عليهم (٣).

وقال مجاهد: الهمزة: باليد والعين، واللمزة: باللسان (٤). وهكذا قال ابن زيد (٥).

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هُمَزَةٌ لَحُومِ النَّاسِ (٦).

ثم قال بعضهم: المراد بذلك الأخنس بن شريق (٧). وقيل غيره (٨). وقال مجاهد: هي عامة (٩).

وقوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ (١) أي: جمعه بعضه على بعض، وأحصى عدده كقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (٨) [المعارج]. قاله السدي، وابن جرير (١٠).

(١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «طعان مغتاب».

(٢) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية.

(٣) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد بلفظ: «الهمزة باليد واللمزة باللسان».

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٦) سنده صحيح.

(٧) ذكره الطبري من غير سند، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن السدي.

(٨) أخرجه الطبري بسند مرسل من طريق ابن أبي نجيع عن رجل نزلت في جميل بن عامر الجُمحي.

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(١٠) ذكره الطبري بنحوه، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن السدي.

وقال محمد بن كعب في قوله: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾: ألهاه ماله بالنهار، هذا إلى هذا، فإذا كان الليل، نام كأنه جيفة.

وقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ (٢) أي: يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار؟ ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب. ثم قال تعالى: ﴿لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْحُمَةِ﴾ أي: ليلقين هذا الذي جمع مالا فعدده (١) في الحطمة وهي اسم من أسماء النار صفة؛ لأنها تحطم من فيها. ولهذا قال: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحُمَةُ﴾ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُؤَدَّةُ (٦) الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَقْدَةِ (٧).

قال ثابت البناني: تحرقهم إلى الأبدية وهم أحياء، ثم يقول: لقد بلغ منهم العذاب، ثم يبكي. وقال محمد بن كعب: تأكل كل شيء من جسده، حتى إذا بلغت فؤاده حَذَوْ حلقه ترجع على جسده.

وقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ (٨) أي: مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد (٢).

وقال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا علي بن سراج، حدثنا عثمان بن [خَرَزَاد] (٣)، حدثنا شجاع بن أشرس، حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ (٨) قال: «مطبقة» (٤).

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن عبد الله بن أسيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح قوله ولم يرفعه (٥).

﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ (٩) قال عطية العوفي (٦): عمد من حديد.

وقال السُّدِّي (٧): من نار.

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ (٩) يعني: الأبواب هي الممدودة (٨).

وقال قتادة: في قراءة عبد الله بن مسعود: «إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة» (٩).

وقال العوفي، عن ابن عباس: أدخلهم في عَمَدٍ فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب (١٠).

وقال قتادة: كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار (١١). واختاره ابن جرير.

وقال أبو صالح: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ (٩) يعني: القيود الطوال (١٢).

آخر تفسير سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، والله الحمد والمنة.

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) آية ٢٠.

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: جردار.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة البلد آية ٢٠. (٥) سنده جيد.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن عطية. (٧) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن السدي.

(٨) سنده حسن، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٩) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وسنده منقطع لأن قتادة لم يسمع من ابن مسعود، والقراءة شاذة تفسيرية.

(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. (١١) أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات لكنه مرسل.

(١٢) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

سُورَةُ الْفِيلِ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِي تَرَىٰ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ۚ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ أَلْفُوفٍ (٥)﴾.

هذه من النعم التي امتنَّ الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم أنافهم، وخيب سعيهم، وأضلَّ عملهم، ورَدَّهم بشر خيبة. وكانوا قومًا نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان. ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم - يا معشر قريش - على الحبشة لخيرينكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد، صلوات الله وسلامه عليه، خاتم الأنبياء.

وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار والتقريب، قد تقدم^(١) في قصة أصحاب الأخدود: أن ذا نُوَّاس - وكان آخر ملوك حمير، وكان مشركاً - هو الذي قتل أصحاب الأخدود، وكانوا نصارى، وكانوا قريباً من عشرين ألفاً، فلم يفلت منهم إلا دُوس ذو ثعلبان، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام - وكان نصرانياً - فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة؛ لكونه أقرب إليهم، فبعث معه أميرين: أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم، في جيش كثيف، فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار، واستلبوا الملك من حمير، وهلك ذو نواس غريقاً في البحر. واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران: أرياط وأبرهة، فاختلفا في أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا، فقال أحدهما للآخر: إنه لا حاجة بنا إلى اصطدام الجيشين بيننا، ولكن أبرز إلي وأبرز إليك، فأينا قتل الآخر، استقل بعده بالملك. فأجابه إلى ذلك فتبارزا، وخَلَفَ كل واحد منهما قناة، فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف، فشرم أنفه وفمه وشق وجهه، وحمل عَتَوْدَة مولى أبرهة على أرياط فقتله، ورجع أبرهة جريحاً، فداوى جرحه فَبَرَأَ، واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن. فكتب إليه النجاشي يلومه على ما كان منه، ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده

(١) تقدم ذكر القصة مختصراً في تفسير سورة البروج ١ - ١٠. وقصة أصحاب الفيل سردها ابن هشام. (السيره

ويجزن ناصيته. فأرسل إليه أبرهة يترقق له ويصانعه، وبعث مع رسوله بهدايا وتحف، وبجواب فيها من تراب اليمن، وجزء ناصيته فأرسلها معه، ويقول في كتابه: ليطأ الملك على هذا الجراب، فيبرّ قسمه، وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك. فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه، ورضي عنه، وأقره على عمله. وأرسل أبرهة يقول للنجاشي: إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يُبْنَ قبلها مثلاً. فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء، ربيعة البناء، عالية الفناء، مزخرفة الأرجاء؛ سمتها العرب: القُلَيْس؛ لارتفاعها؛ لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها. وعزم أبرهة الأشرم على أن يصرف حجّ العرب إليها كما يُحَجّ إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك، وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً، حتى قصدوا بعضهم، وتوصل إلى أن دخلها ليلاً. فأحدث فيها وكرّاً راجعاً. فلما رأى السدنة ذلك الحدث، رفعوا أمرهم إلى ملكهم أبرهة، وقالوا له: إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذي ضاهيت هذا به، فأقسم أبرهة ليسيرنَّ إلى بيت مكة، وليخربنَّ حَجراً حَجراً.

وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها ناراً، وكان يوماً فيه هواء شديد فأحرقت، وسقطت إلى الأرض.

فتأهبَّ أبرهة لذلك، وصار في جيش كثيف عَرَمَرَم؛ لئلا يصدّه أحد عنه، واستصحب معه فيلاً عظيماً كبير الجثة لم ير مثله، يقال له: محمود، وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحبشة لذلك. ويقال: كان معه أيضاً ثمانية أفيال. وقيل: اثنا عشر فيلاً. وقيل غيره، والله أعلم. يعني ليهدم به الكعبة، بأن يجعل السلاسل في الأركان، وتوضع في عُتْق الفيل، ثم يزرل ليلقي الحائط جملة واحدة. فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً، ورأوا أن حقاً عليهم المحاجة دون البيت، وَرَدَّ من أراحه بكيد. فخرج إليه رجل من أشرف أهل اليمن وملوكهم، يقال له: «ذو نَفَر» فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وخرابه. فأجابوه وقاتلوا أبرهة، فهزمهم لما يريد الله ﷻ، من كرامة البيت وتعظيمه، وأسر «ذو نَفَر» فاستصحبه معه. ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم، فعَرَضَ له نُفَيْل بن حَبِيب الخَثْعَمِي في قومه: شهران وناهس، فقاتلوه، فهزمهم أبرهة، وأسر نُفَيْل بن حَبِيب، فأراد قتله ثم عفا عنه، واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز. فلما اقترب من أرض الطائف، خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم، الذي عندهم، الذي يسمونه اللَّات.

فأكرمهم وبعثوا معه «أبا رَغَال» دليلاً. فلما انتهى أبرهة إلى الْمُعَمَّس - وهو قريب من مكة - نزل به وأغار جيشه على سَرْح أهل مكة من الإبل وغيرها، فأخذوه. وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب. وكان الذي أغار على السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة، وكان يقال له: «الأسود بن مَفْصُود» فهجاه بعض العرب - فيما ذكره ابن إسحاق^(١) - وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش، وأن يخبره أن الملك لم يجيء لقتالكم إلا أن تصدّوه عن البيت. فجاء حناطة فَدُلَّ على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب:

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٥١/١ - ٥٢.

والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة، وإن يخلي بينه وبينه، فوالله ما عندنا دَفْعُ عنه. فقال له حنطة: فاذهب معي إليه. فذهب معه، فلما رآه أبرهة أجله، وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سريره، وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال لترجمان: إن حاجتي أن يردَّ عليَّ الملك مائتي بعير أصابها لي. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه، لا تكلمني فيه؟! فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه. قال: ما كان ليمنع مني! قال: أنت وذاك.

ويقال: إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت، فأبى عليهم، وردَّ أبرهة على عبد المطلب إبله، ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة، والتحصن في رؤوس الجبال، تخوفاً عليهم من مَعرة الجيش. ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، وقال عبد المطلب وهو أخذ بحلقة باب الكعبة:

لَا هُمْ إِنْ الْمَرءِ يَمْ — نَعُ رَحْلَهُ فَاْمْنَعُ جَلَالِكَ

لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ — وَمَحَالُهُمْ غَدَوْاً مَحَالِكَ^(١)

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب، ثم خرجوا إلى رؤوس الجبال^(٢).

وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلَّدة، لعلَّ بعض الجيش ينال منها شيئاً بغير حق، فينتقم الله منه.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهياً فيله - وكان اسمه محموداً - وعبأ جيشه، فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال: «أبرك محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام». ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل. وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى. فضربوا في رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم في مَراقه فبزغوه بها ليقوم، فأبى: فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبكسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق، ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق هذا. ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز، ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النعمة، وجعل نفيل يقول:

(١) أخرجه الحاكم من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس بنحوه؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. (المستدرک ٥٣٥/٢).

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٥٢/١، وذكره الطبري أيضاً.

أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَالْإِلَهُ الطَّالِب
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ نُفَيْلٌ فِي ذَلِكَ أَيْضاً:
 أَلَا حُيِّيتَ عَنَّا يَا رُدَيْنَا
 رُدَيْنَةً، لَوْ رَأَيْتَ - وَلَا تَرِيهِ
 إِذَا لَعَذَّرْتَنِي وَحَمَدْتَ أَمْرِي
 حَمَدْتُ اللَّهَ إِذَا أَبْصَرْتُ طَيْراً
 فَكُلَّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ
 وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبِ^(١)
 نَعْمَنَا كُمْ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
 لَدَى جَنْبِ الْمُحْضَبِ - مَا رَأَيْنَا
 وَلَمْ تَأْسَى عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَنَا
 وَخَفْتُ حَجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
 كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دِينَ!

وذكر الواقدي بأسانيده أنهم لما تعبوا لدخول الحرم وهيئوا الفيل، جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب [فيها]^(٢)، فإذا وجهوه إلى الحرم رُبِضَ وصاح. وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه، ليقهر الفيل على دخول الحرم. وطال الفصل في ذلك. هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة، منهم المطعم بن عدي، وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، ومسعود [بن عمرو]^(٣) الثقفي، على حراء ينظرون إلى ما الحبشة يصنعون، وماذا يلقون من أمر الفيل، وهو العجب العجائب. فبينما هم كذلك، إذ بعث الله عليهم طيراً أبابيل؛ أي: قطعاً قطعاً صفراً دون الحمام، وأرجلها حمر، ومع كل طائر ثلاث أحجار، وجاءت فحلقت عليهم، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا.

وقال محمد بن كعب: جاؤوا بفيلين فأما محمود فربض، وأما الآخر فشجع فحُصِبَ. وقال وهب بن منبه: كان معهم فيلة، فأما محمود - وهو فيل الملك - فربض، ليقتردي به بقية الفيلة، وكان فيها فيل تشجع فحُصِبَ، فهربت بقية الفيلة.

وقال عطاء بن يسار، وغيره: ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة، بل منهم من هلك سريعاً، ومنهم من جعل يتساقط عضواً عضواً وهم هاربون، وكان أبرهة ممن يتساقط عضواً عضواً، حتى مات ببلاد خثعم.

قال ابن إسحاق: فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

وذكر مقاتل بن سليمان: أن قريشاً أصابوا ملاً جزيلاً من أسلابهم، وما كان معهم، وإن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة.

وقال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة: أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رُوي به مرائر الشجر الحرمل، والحنظل والعُشر، ذلك العام.

وهكذا روي عن عكرمة، من طريق جيد.

(٢) زيادة من (ح) و(حم).

(١) المصدر السابق ٥٣/١ وتفسير الطبري.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله محمداً ﷺ كان فيما يُعَدُّ به على قريش من نعمه عليهم وفضله، ما رَدَّ عنهم من أمر الحبشة، لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ﴾ ① ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ﴾ ② ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۖ﴾ ③ ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِيلٍ ۚ﴾ ④ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۚ﴾ ⑤ ﴿لَّيْلَفَ ثَرِيشٍ ۖ﴾ ⑥ ﴿إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ۖ﴾ ⑦ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ﴾ ⑧ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۖ﴾ ⑨ [قريش] أي: لئلا يغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه.

قال ابن هشام: الأبابيل: الجماعات، ولم تتكلم العرب بواحدة. قال: وأما السجيل، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب. قال: وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سَنَجٌ وجل يعني بالسنج: الحجر، والجَل: الطين. يقول: الحجارة من هذين الجنسين: الحجر والطين. قال: والعصف: ورق الزرع الذي لم يُقَصَّب، واحدته عصفه. انتهى ما ذكره^(١).

وقد قال حماد بن سلمة: عن عاصم، عن زرٍّ، عن عبد الله - وأبو سلمة بن عبد الرحمن -: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: الفرق^(٢).

وقال ابن عباس، والضحاك: أبابيل يتبع بعضها بعضاً^(٣).

وقال الحسن البصري، وقتادة: الأبابيل: الكثيرة^(٤).

وقال مجاهد: ﴿أَبَابِيلَ﴾: شتى متتابعة مجتمعة^(٥).

وقال ابن زيد: الأبابيل: المختلفة، تأتي من ههنا، ومن ههنا، أتهم من كل مكان^(٦).

وقال الكسائي: سمعت بعض النحويين يقول: واحد الأبابيل: إيبيل^(٧).

وقال ابن جرير: [حدثنا ابن المثنى]^(٨)، حدثني عبد الأعلى، حدثني داود، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل؛ أنه قال في قوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ ③ ﴿هي: الأفاطيع، كالإبل المؤبلة^(٩)﴾.

(١) السيرة النبوية ٥٤/١ - ٥٥.

(٢) أخرجه الطبري من طريق يحيى بن سعيد عن حماد بن سلمة به، وسنده حسن؛ وأخرجه البيهقي من طريق حماد بن سلمة به. (دلائل النبوة ١/١٢٣).

(٣) أخرجه الطبري والبيهقي من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وسنده ثابت؛ وأخرجه الطبري من طريق عن الضحاك بسند فيه إبهام شيخ الطبري، ويتقوى بسابقه.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق الفضل عن الحسن، ومعناه صحيح ويتقوى بسابقه ولاحقه. والفضل هو ابن دلهم البصري يروي عن الحسن ويروي عنه وكيع وهو لين. (التقريب ص ٤٤٦، والتهذيب ٨/٢٧٦ - ٢٧٧)؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٥) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٧) ذكره الطبري عن الكسائي بنحوه وأطول. (٨) زيادة من تفسير الطبري.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن.

وحدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا وَكِيع، عن ابن عون، عن ابن سيرين، عن ابن عباس: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأف الكلاب^(١).

وحدثنا يعقوب، حدثنا هُشَيْم، أخبرنا حصين، عن عكرمة في قوله: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: كانت طيراً خضراً خرجت من البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع^(٢).

وحدثنا ابن بشار، حدثنا ابن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عبيد بن عمير: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قال: هي طير سود بحرية، في مناقيرها وأظافيرها الحجارة^(٣). وهذه أسانيد صحيحة.

وقال سعيد بن جبیر: كانت طيراً خضراً لها مناقير صفر، تختلف عليهم^(٤).

وعن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء: كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها: عَنَقَاء مُغْرَب. رواه عنهم ابن أبي حاتم^(٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عبيد بن عمير، قال: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل، بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر، أمثال الخطاطيف، كل طير منها تحمل ثلاثة أحجار مُجَزَّعة: حجرين في رجله وحجراً في منقاره. قال: فجاءت حتى صفت على رؤوسهم، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره، ولا يقع على شيء من جسده إلا وخرج من الجانب الآخر. وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً^(٦).

وقال السُّدِّي، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَجْأَرُونَ مِن سَيْلٍ﴾ قال: طين في حجارة: «سَنَكٌ ووَكَلٌ»^(٧) وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ قال سعيد بن جبیر: يعني التبن الذي تسميه العامة: هبور^(٨). وفي رواية عن سعيد: ورق الحنطة^(٩). وعنه أيضاً: العصف: التبن. والمأكول: القصيل يجز للدواب. وكذلك قال الحسن البصري.

وعن ابن عباس: العصف: القشرة التي على الحبة^(١٠)، كالغلاف على الحنطة.

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لأن ابن سيرين لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وهو شبيه بالمرسل.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وهو شبيه بالمرسل.

(٤) أخرجه الطبري من طريق عطاء بن السائب، وهو شبيه بالمرسل.

(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٦) سنده شبيه بالمرسل.

(٧) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق السدي به.

(٨) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم في دلائل النبوة عن ابن عباس بلفظ: «الهبور، عصافة الزرع».

(٩) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد والفرابي وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر.

(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس بلفظ: «الذي يكون فوق البر، هو لحاء البر».

وقال ابن زيد: العصف: ورق الزرع، وورق البقل، إذا أكلته البهائم فرائثه، فصار دَرِيناً^(١). والمعنى: أن الله ﷻ، أهلكهم ودمرهم، وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً، وأهلك عامتهم، ولم يرجع منهم بخبر إلا وهو جريح، كما جرى لملكهم أبرهة، فإنه انصدع صَدْرُهُ عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء، وأخبرهم بما جرى لهم، ثم مات. فملك بعده ابنه يكسوم، ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة^(٢). ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى فاستعانه على الحبشة، فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه، فردَّ الله إليهم ملكهم، وما كان في آبائهم من الملك، وجاءته وفود العرب للتهنئة.

وقد قال محمد بن إسحاق: حدثنا عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرار، عن عائشة قالت: لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مُقْعَدَيْن، يستطعمان^(٣). ورواه الواقدي، عن عائشة مثله. ورواه أيضاً عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: كانا مقعدين يستطعمان الناس، عند إساف ونائلة، حيث يذبح المشركون ذبائحهم. قلت: كان اسم قائد الفيل: أنيساً.

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب «دلائل النبوة» من طريق ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد، عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل، ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن، وإنما بعث على الجيش رجلاً يقال له: شمر بن مفصود، وكان الجيش عشرين ألفاً، وذكر أن الطير طرقتهم ليلاً، فأصبحوا صرعى^(٤).

وهذا السياق غريب جداً، وإن كان أبو نعيم قد قواه ورَّجحه على غيره. والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشي قدم مكة كما دلَّ على ذلك السياقات والأشعار. وهكذا روى ابن لهيعة، عن الأسود، عن عُرْوَةَ: أن أبرهة بعث الأسود بن مفصود على كتيبة معهم الفيل، ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه، والصحيح قدومه، ولعل ابن مفصود كان على مقدمة الجيش، والله أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق شيئاً من أشعار العرب، فيما كان من قصة أصحاب الفيل، فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبيري:

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا	كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا
لَمْ تُخْلَقِ الشَّعْرَى لِيَالِي حُرْمَتِ	إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا
سَائِلَ أَمِيرِ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى؟	فَلَسَوْفَ يُنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلِيمُهَا
سَتُونَ أَلْفًا لَمْ يَوْوَبُوا أَرْضَهُمْ	بَلْ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٦١/١.

(٣) أخرجه ابن إسحاق بسنده ومتنه وفي آخره: يستطعمان الناس. (المصدر السابق ٥٧/١) وسنده صحيح، وعبد الله بن أبي بكر هو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري يروي عن عمرة ويروي عن ابن إسحاق. (تهذيب التهذيب ١٦٤/٥، ١٦٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم (دلائل النبوة ص ١٠١) وعقيل بن خالد لم أقف على ترجمة له، واستغرب متنه الحافظ ابن كثير.

كانت بها عادٌ وجُرهُم قبلهم
وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري المدني:
ومن صنّعه يوم فيل الحُبُو
محاجنهم تحت أقرانه
وقد جعلوا سوطه مغولاً
فولّى وأدبر أدراجَه
فأرسل من فوقهم حاصباً
تحت على الصّبر أحبارهم
وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، ويروى
لأمية بن الصلت بن أبي ربيعة:

إِن آيَاتِ رَبِّنَا بَاقِيَاتٌ
خُلِقَ اللَّيْلُ النَّهَارُ فَكُلٌّ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارُ رَبُّ رَحِيمٌ
حُبِسَ الْفِيلُ بِالْمَغَمِّسِ حَتَّى
لَازِمًا خَلَقَهُ الْجِرَانُ كَمَا قُطِرَ
حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكٍ كِنْدَةَ أَبْطَالٍ
خَلَفُوهُ ثُمَّ ابْدَعُوا جَمِيعاً،
كُلَّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ الْ-

ش، إِذْ كُلُّ مَا بَعَثُوهُ رَزْمٌ
وَقَدْ شَرَمُوا أَنْفَهُ فَاَنْخَرَمَ
إِذَا يَمَّمُّوهُ قَفَّاهُ كُلِّيمٌ
وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمَّ
يَلْفُهُمْ مِثْلَ لَفِّ الْقَزْمِ
وَقَدْ تَأْجُوا كَثَوَاجَ الْعَنَمِ^(١)

مَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكُفُورُ
مُسْتَبِينَ حَسَابُهُ مَقْدُورُ
بِمَهَاةٍ شُعَاعَهَا مِنْشُورُ
صَارَ يَحْبُو، كَأَنَّهُ مَعْقُورُ
مَنْ ظَهَرَ كَبُكْبَ مَحْدُورُ
مَلَاوِيثُ فِي الْحُرُوبِ صُقُورُ
كُلُّهُمْ عَظُمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ
لَهُ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفَةِ بَورُ^(٢)

وقد قدمنا في تفسير «سورة الفتح» أن رسول الله ﷺ لما أطلَّ يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش، بركت ناقته، فزجروها فألحَّت، فقالوا: خلأت القصواء؛ أي: حرنت. فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرُمات الله، إلا أجبتهم إليها». ثم زجرها فقامت. والحديث من أفراد البخاري^(٤).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حرُمُها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب»^(٥).

آخر تفسير سورة «الفيل»، والله الحمد والمنة.

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٥٧/١.

(٢) المصدر السابق ٥٨/١.

(٣) المصدر السابق ٦٠/١.

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الفتح آية ٢٦.

(٥) أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (صحيح البخاري، العلم، باب كتابة العلم ح ١١٢؛ وصحيح مسلم، الحج، باب تحريم مكة ح ١٣٥٥).

سُورَةُ ۞ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۞

وهي مكية

ذُكِرَ حديث غريب في فضلها: قال البيهقي في كتاب «الخلافات»: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو، حدثنا أحمد بن عُبيد الله [النرسي]^(١)، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل، حدثني عثمان بن عبد الله بن أبي [عتيق]^(٢)، عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة، عن أبيه، عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «فضل الله قريشاً بسبع خلال: أني منهم، وأن النبوة فيهم، والحجابة، والسقاية فيهم، وأن الله نصرهم على الفيل، وأنهم عبدوا الله ﷻ، عشر سنين لا يعبدونه غيرهم، وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن» ثم تلاها رسول الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ۞ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۞ ۞ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۞^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ۞ ۞ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۞^(٤).

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ۞ وإن كانت متعلقة بما قبلها. كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ۞ أي: لا تتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمين^(٤).

وقيل: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمين في أسفارهم؛ لعظمتهم عند الناس، لكونهم سكان حرم الله، فمن عَرَفَهُمْ احترمهم، بل من صوفي إليهم وسار معهم آمن بهم. هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم. وأما في حال إقامتهم في البلد، فكما قال الله: ﴿أَوَلَمْ

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: المدني.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: عبيد.

(٣) أخرجه الحاكم عن بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي به؛ وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: يعقوب ضعيف، وإبراهيم صاحب مناكير. (المستدرک ٥٣٦/٢).

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد بمعناه.

يُرَوُّ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُحَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴿١﴾ [العنكبوت: ٦٧]. ولهذا قال: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ إِلَّا فِيهِمْ﴾ ﴿٢﴾ بدل من الأول ومفسر له. ولهذا قال: ﴿إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الْيَسَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ﴿٣﴾.

وقال ابن جرير: الصواب أن «اللام» لام التعجب، كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش [ونعمتي عليهم] ^(١) في ذلك. قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان ^(٢).

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ﴿٤﴾ أي: فليوحده بالعبادة، كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٥﴾ [النمل].

وقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ﴾ أي: هو رب البيت، وهو الذي أطعمهم من جوع، ﴿وَأَمَّنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليفرده بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا ندأ ولا وثناً. ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٧﴾ [النمل].

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن عمرو العدني، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويل أمكم، قريش، لإيلاف قريش» ^(٣).

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني، حدثنا عيسى - يعني ابن يونس - عن عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةُ الْيَسَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ﴿٨﴾ ويحكم يا معشر قريش، اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف».

هكذا رأيته عن أسامة بن زيد، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن، أم سلمة الأنصارية ^(٤). فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية، والله أعلم.

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل بياض.

(٢) ذكره الطبري بنحوه مطولاً.

(٣) سنده ضعيف لما قيل في شهر بن حوشب وليث، وهو ابن أبي سليم.

(٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق عيسى بن يونس به عن أسماء بنت يزيد بن السكن، وضعفه محققوه لضعف شهر بن حوشب. (المسند ٥٨١/٤٥ ح ٢٧٦٠٧) وهذا يؤكد ما ذهب إليه الحافظ ابن كثير أن الصواب عن أسماء بنت يزيد بن السكن.

تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون^(١)

[وهي]^(٢) مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاكِبُونَ ﴿٦﴾ وَيَتَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا محمد ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾؟ وهو: المعاد والجزاء والشواب، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه، ولا يطعمه ولا يحسن إليه، ﴿وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٧﴾ وَلَا تَخْضُوتُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر] يعني: الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته.

ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ قال ابن عباس، وغيره: يعني المنافقين، الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر^(٣).

ولهذا قال: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ أي: الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية، كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً، فيخرجها عن وقتها بالكلية، كما قاله مسروق، وأبو الضحى^(٤).

وقال عطاء بن دينار: والحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل: في صلاتهم ساهون^(٥).

وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً. وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به. وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هذا كله، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية. ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل

(١) هكذا جاء عنوان السورة وهي طريقة ابن أبي حاتم في تفسيره.

(٢) زيادة من (حم).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي الضحى عن مسروق.

(٥) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق عمر بن سليمان عن عطاء بن دينار بدون قوله: ولم يقل في صلاتهم ساهون. ولعله سقط هذا النص.

له النفاق العملي. كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقُب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»^(١). فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى - كما ثبت به النص - إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضاً؛ ولهذا قال: «لا يذكر الله فيها إلا قليلاً». ولعله إنما حمّله [على]^(٢) القيام إليها مراعاة الناس لا ابتغاء وجه الله، فهو إذا لم يصل بالكلية. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء]. وقال ههنا: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾^(٣).

وقال الطبراني: حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد ربه البغدادي، حدثني أبي، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن يونس، عن الحسن، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «إن في جهنم لوادياً، تستعبد جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمئة مرة، أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد: لحامل كتاب الله، وللمصدق في غير ذات الله، وللحاج إلى بيت الله، وللخارج في سبيل الله»^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة قال: كنا جلوساً عند أبي عبيدة فذكروا الرياء، فقال رجل يكنى بأبي يزيد: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سمع الناس بعمله، سمع الله به سامع خلقه، وحقّره وصغّره»^(٥). ورواه أيضاً عن عُندَر ويحيى القطان، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن رجل، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، فذكره^(٥).

ومما يتعلق بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾^(٦) أن من عمل عملاً لله فاطّلع عليه الناس، فأعجبه ذلك، أن هذا لا يعد رياء، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا مخلد بن يزيد، حدثنا سعيد بن بشير، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: كنت أصلي، فدخل عليّ رجل، فأعجبني ذلك، فذكرته لرسول الله ﷺ، فقال: «كُتِبَ لَكَ أَجْرَانِ: أجر السر، وأجر العلانية»^(٦).

قال أبو علي هارون بن معروف: بلغني أن ابن المبارك قال: نعم الحديث للمرائين.

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه. (الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التكبير بالعصر ح ٦٦٢).

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «إلى».

(٣) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٢/١٧٥ ح ١٢٨٠٣) وفي سنده عبد الوهاب بن عطاء وهو الخفاف: صدوق ربما أخطأ. (التقريب ص ٣٦٨) وذكر الهيثمي أنه لم يعرف شيخ الطبراني وأباه. (مجمع الزوائد ١٠/٢٢٥) وقال المنذري: رفع حديث ابن عباس غريب ولعله موقوف. (الترغيب والترهيب ١/٦٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصحح المحققون سنده. (المسند ١١/٥٦٦ ح ٦٩٨٦).

(٥) المسند ١١/٤٣٠ ح ٦٨٣٩ وصحح المحققون سنده.

(٦) سنده ضعيف لضعف سعيد بن بشير كما في التقريب وقد روي من طرق أخرى كما سيأتي.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، [وسعيد بن بشير]^(١) متوسط، وروايته عن الأعمش عزيزة. وقد رواه غيره عنه.

قال أبو يعلى أيضاً: حدثنا محمد بن المثنى بن موسى، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو سنان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل يسره، فإذا اطلع عليه أعجبه. قال: قال رسول الله ﷺ: «له أجران: أجر السر وأجر العلانية»^(٢).

وقد رواه الترمذي عن محمد بن المثنى، وابن ماجه عن بُنْدَار، كلاهما عن أبي داود الطيالسي، عن أبي سنان الشيباني - واسمه: ضرار بن مرة^(٣) - ثم قال الترمذي: غريب، وقد رواه الأعمش وغيره. عن حبيب، عن أبي صالح مرسلًا^(٤).

وقد قال أبو جعفر بن جرير: حدثني أبو كُرَيْب، حدثنا معاوية بن هشام، عن شيبان النحوي، عن جابر الجعفي، حدثني رجل، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾» قال: «الله أكبر، هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا، هو الذي إن صلى لم يَرْجُ خير صلاته، وإن تركها لم يخف ربه»^(٥).

فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف، وشيخه مُبْهَم لم يُسَمَّ، والله أعلم.

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني زكريا بن أبان المصري، حدثنا عمرو بن طارق، حدثنا عِكْرِمَةُ بن إبراهيم، حدثني عبد الملك بن عمير، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»^(٦).

وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية، أو صلاتها بعد وقتها شرعاً، أو تأخيرها عن أول الوقت [سهواً عنها حتى ضاع]^(٧) الوقت.

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «سعيد بن جبير».

(٢) أخرجه الطيالسي عن أبي سنان سعيد بن سنان به. (المسند ص ٣١٨ ح ٢٤٣٠) وفي سنده سعيد بن سنان صدوق له أوهام. (التقريب ص ٢٣٧) وحبيب بن أبي ثابت كثير التدليس والإرسال. (التقريب ص ١٥٠) وقد روي مرفوعاً ومرسلًا عن أبي صالح كما يلي، وهذا من صنيع حبيب أو أبي سنان.

(٣) بل اسمه سعيد بن سنان كما صرح الطيالسي في الرواية السابقة.

(٤) سنن الترمذي، الزهد، باب عمل السر (ح ٢٣٨٤) وتتمة كلام الترمذي: وأصحاب الأعمش لم يذكروا فيه عن أبي هريرة؛ وسنن ابن ماجه الزهد، باب الثناء الحسن (ح ٤٢٢٦)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومتمه، وسنده ضعيف للعتين اللتين ذكرهما الحافظ ابن كثير.

(٦) أخرجه الطبري بسنده ومتمه، وسنده ضعيف قال أبو زرعة: هذا خطأ والصحيح موقوف. (ينظر: العلل لابن أبي حاتم ١/ ١٨٧ - ١٨٨). وفي سنده عكرمة بن إبراهيم وهو ضعيف. (ينظر: لسان الميزان ٤/ ١٨١).

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

وكذا رواه الحافظ أبو يعلى بن شيبان بن فروخ، عن عكرمة بن إبراهيم، به. ثم رواه عن أبي الربيع، [عن جابر]^(١)، عن عاصم، عن مصعب، عن أبيه موقوفاً. وهذا أصح إسناداً، وقد ضعف البيهقي رفعه، وصحح وقفه، وكذلك الحاكم^(٢).

وقوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (٧) أي: لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم. فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القُرْبَات أولى وأولى. وقد قال ابن أبي نجیح، عن مجاهد: قال علي: الماعون: الزكاة^(٣). وكذا رواه السدي، عن أبي صالح، عن علي^(٤). وكذا روي من غير وجه عن ابن عمر. وبه يقول محمد ابن الحنفية، وسعيد بن جبیر، وعكرمة، ومجاهد، وعطاء، وعطية العوفي، والزهری، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن زيد^(٥).

وقال الحسن البصري: إن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله^(٦). وفي لفظ: «صدقة ماله».

وقال زيد بن أسلم: هم المنافقون، ظهرت الصلاة فصلوها، وضمنت الزكاة فمنعوها^(٧). وقال الأعمش وشعبة، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار: أن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون، فقال: هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس، والقدر، والدلو^(٨). [وقال المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العبيدين: أنه سأل ابن مسعود عن الماعون، فقال: هو ما يتعاطاه الناس بينهم، من الفأس والقدر^(٩)، والدلو، وأشباه ذلك^(١٠). وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي العبيدين وسعد بن عياض، عن عبد الله قال: كنا أصحاب رسول الله ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو، والفأس، والقدر، لا يستغنى عنهن^(١١). وحدثنا خلاد بن أسلم، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي ﷺ مثله^(١٢).

(١) زيادة من (ح)، وفي مسند أبي يعلى باسم: حماد.

(٢) مسند أبي يعلى ٦٣/٢ ح ٧٠٤؛ والسنن الكبرى للبيهقي ٢/٢١٤.

(٣) أخرجه الطبري والحاكم من طريق ابن أبي نجیح به، وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: منقطع. (المستدرک ٥٣٦/٢) وهو كما قال لأن مجاهداً لم يسمع من علي ويتقوى بالآثار التي تليه.

(٤) أخرجه الطبري من طريق السدي به، وسنده ضعيف كسابقه.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق معمر عن الزهري. (المصنف ٩٤/٣). وأخرجه الطبري بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن ابن عمر وسعيد بن جبیر وقتادة والحسن وابن الحنفية وابن زيد والضحاك.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق مبارك - وهو ابن فضالة - عن الحسن.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم.

(٨) أخرجه الطبري عن الأعمش وشعبة به، وسنده حسن.

(٩) زيادة من (ح).

(١٠) أخرجه الطبري من طريق المسعودي به، وسنده حسن.

(١١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده صحيح. (١٢) يشهد له سابقه ولاحقه.

وقال الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سُوَيْد، عن عبد الله: أنه سئل عن الماعون، فقال: ما يتعاوره الناس بينهم: الفأس والدلو، وشبهه^(١).

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي الفلاس، حدثنا أبو داود - هو الطيالسي - حدثنا أبو عَوَانَةَ، عن عاصم بن بَهْدَلَةَ، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول: الماعون: منع الدلو وأشباه ذلك^(٢).

وقد رواه أبو داود والنسائي، عن قتيبة، عن أبي عوانة بإسناده، نحوه^(٣). ولفظ النسائي عن عبد الله قال: كل معروف صدقة، كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عاريةً الدلو والقدر. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله قال: الماعون: العوّاري: القدر، والميزان، والدلو^(٤).

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٥) يعني: متاع البيت^(٥). وكذا قال مجاهد وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، وأبو مالك، وغير واحد: إنها العارية للأمتعة.

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس: [﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٦)] قال: لم يجيء أهلها بعد^(٦).

وقال العوفي، عن ابن عباس^(٧): ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٧) قال: اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال: يمنعون الزكاة. ومنهم من قال: يمنعون الطاعة. ومنهم من قال: يمنعون العارية. رواه ابن جرير^(٨). ثم روي عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عُليّة، عن ليث بن أبي سليم، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي: الماعون: منع الناس الفأس، والقدر، والدلو^(٩).

وقال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال، وأدناه المنخل، والدلو، والإبرة. رواه ابن أبي حاتم^(١٠).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأعمش عن إبراهيم التيمي به. (المصنف ٩٢/٣) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن.

(٣) سنن أبي داود، الزكاة، باب في حقوق المال (ح ١٦٥٧)؛ والسنن الكبرى للنسائي، الماعون (ح ١١٧٠١)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٤٥٩).

(٤) سنده حسن.

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن عليّ عن ابن أبي نجيح به.

(٦) أخرجه الطبري وابن أبي شيبة من طريق ابن عليّ عن ليث به. (المصنف ٢٠٣/٣). وليث هو ابن أبي سليم فيه مقال وسنده ضعيف وخصوصاً أنه خالف الطريق الصحيح الذي قبله.

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ومعناه صحيح كما تقدم.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق ابن عليّ به. (المصنف ٢٠٣/٣)، وسنده ضعيف لضعف الحارث وهو الأعور الهمداني وكذلك فيه ليث بن أبي سليم.

(١٠) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن عكرمة.

وهذا الذي قاله عكرمة حسن؛ فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد. وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة. ولهذا قال محمد بن كعب: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: المعروف^(١). ولهذا جاء في الحديث: «كل معروف صدقة»^(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: بلسان قريش: المال^(٣).

وَرَوَى هُنَا حَدِيثاً غَرِيباً عَجِيباً فِي إِسْنَادِهِ وَمَتْنِهِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، وَأَبُو زُرْعَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا دَلْهَمُ بْنُ دَهْثَمٍ الْعَجَلِيُّ، حَدَّثَنَا عَائِذُ بْنُ رَبِيعَةَ النَّمِيرِيُّ، حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ دُعْمُوصٍ النَّمِيرِيُّ: أَنَّهُمْ وَفَدُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «لَا تَمْنَعُوا الْمَاعُونَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمَاعُونَ؟ قَالَ: «فِي الْحَجَرِ، وَفِي الْحَدِيدَةِ، وَفِي الْمَاءِ». قَالُوا: فَأَيُّ حَدِيدَةٍ؟ قَالَ: «قُدُورُكُمْ النُّحَاسِ، وَحَدِيدُ الْفَأْسِ الَّذِي تَمْتَهِنُونَ بِهِ». قَالُوا: وَمَا الْحَجَرُ؟ قَالَ: «قُدُورُكُمْ الْحِجَارَةِ»^(٤).

غريب جداً، ورفعته منكر، وفي إسناده من لا يعرف، والله أعلم.

وقد ذكر ابن الأثير في الصحابة ترجمة «علي النميري»، فقال: روى ابن قانع بسنده إلى عائذ بن ربيعة بن قيس النميري، عن علي بن فلان النميري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم. إذا لقيه حيّاه بالسلام، ويرد عليه ما هو خير منه، لا يمنع الماعون». قلت: يا رسول الله، ما الماعون؟ قال: «الحجر، والحديد، وأشباه ذلك»^(٥).

آخر تفسير سورة «الماعون»، والله الحمد.

(١) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق محمد بن رفاعة عن محمد بن كعب.

(٢) أخرجه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه. (الصحيح، الأدب، باب كل معروف صدقة ح ٦٠٢١).

(٣) سنده صحيح.

(٤) ضعفه الحافظ ابن كثير سنداً ومتناً.

(٥) ذكره ابن الأثير (أسد الغابة ٤/١٢٧)، والحافظ ابن حجر (الإصابة ٥١١/٢)، والحافظ ابن كثير (جامع المسانيد ٦/٢٩٢ رقم ٧٧٤٧)، وعائذ بن ربيعة بن قيس النميري لم أجد له ترجمة.

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

مدنية، وقيل: مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝ ﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه مبتسماً، إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه أنزلت عليّ أنفاً سورة». فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ حتى ختمها، قال: «هل تدرون ما الكوثر؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هو نهر أعطانيه ربي ﷻ، في الجنة، عليه خير كثير، تردّ عليه أمتي يوم القيامة، آتيته عدد الكواكب، يُختلج العبد منهم فأقول: يا ربّ، إنه من أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(١).
هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثي، وهذا السياق.

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يشحّب فيه ميزابان من السماء عن نهر الكوثر، وأن عليه آنية عدد نجوم السماء. وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي، من طريق محمد بن فضيل، وعلي بن مسهر، كلاهما عن المختار بن فلفل، عن أنس. ولفظ مسلم قال: «بيننا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ أنفاً سورة»، فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نهر وعنديه ربي ﷻ، عليه خير كثير، هو حوض تردّ عليه أمتي يوم القيامة، آتيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: ربّ إنه من أمتي. فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك»^(٢).

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية، وكثير من الفقهاء على أن البسمة من السورة، وأنها منزلة معها.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٣/١٠٢)، وسنده صحيح، وقد أخرجه مسلم من طريق المختار بن فلفل به. (الصحيح، الصلاة، باب حجة من قال: إن البسمة آية من كل سورة سوى براءة ح ٤٠٠).

(٢) المصدر السابق وسنن أبي داود، الصلاة، باب من لم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم (ح ٧٨٤)؛ وسنن النسائي، الافتتاح، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ٢/١٣٣؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٧٠٦).

فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ فقد تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة. وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى، عن أنس فقال: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أخبرنا ثابت، عن أنس أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ، فإذا هو نهر يجري، ولم يُشَقَّ شَقًّا، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي في تربته، فإذا مسكه ذَفْرَةٌ، وإذا حصاه اللؤلؤ»^(١).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن حميد، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بنهر، حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذفر. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله ﷻ»^(٢).

ورواه البخاري في صحيحه، ومسلم، من حديث شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: لما عُرِجَ بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أُتِيتُ على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر» وهذا لفظ البخاري ﷻ^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا الربيع، أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن هلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال: لما أسري برسول الله ﷺ، مضى به جبريل في السماء الدنيا، فإذا هو بنهر عليه [قصر]^(٤) من لؤلؤ وزبرجد، فذهب يَشْمُ ثَرَابَهُ، فإذا هو مسك. قال: «يا جبريل، ما هذا النهر؟ قال: هو الكوثر الذي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ»^(٥).

وقد تقدم [في]^(٦) حديث الإسراء في سورة «سبحان»، من طريق شريك عن أنس [عن النبي ﷺ]^(٧). وهو مخرج في الصحيحين^(٨).

وقال سعيد، عن قتادة، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذ عَرَضَ لي نهر، حافتاه قباب اللؤلؤ مُجَوَّفٌ، فقال الملك الذي معه: أتدري ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاك الله. وضرب بيده إلى أرضه، فأخرج من طينه المسك»^(٩). وكذا رواه سليمان بن طرخان، ومعمّر وهَمَامٌ وغيرهم، عن قتادة، به.

وقال ابن جرير: حدثنا أحمد بن أبي سُرَيْج، حدثنا أبو أيوب العباسي، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثني محمد بن عبد الله، ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الكوثر، فقال: «هو نهر أعطانيه الله في الجنة، ترابه مسك أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجُرُز»^(١٠). فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنها

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٢٤٧/٣)، وسند صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ١٠٣/٣)، وسند صحيح.

(٣) صحيح البخاري، التفسير، باب سورة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ [الكوثر] (ح ٤٩٦٤).

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: قبة.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وفي سنده شريك سبى الحفظ ولكنه توبع في الروايات السابقة واللاحقة.

(٦) كذا في (ح) و(حم).

(٧) كذا في (ح) و(حم).

(٨) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء.

(٩) أخرجه الطبري عن بشر عن سعيد به، وسنده صحيح.

(١٠) أي: الإبل.

لناعمة؟ قال: «أكلها أنعم منها»^(١).

وقال أحمد: حدثنا أبو سلمة الخزاعي، حدثنا الليث، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الوهاب، عن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أنس، أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما الكوثر؟ قال: «نهر في الجنة أعطانيه ربي، لهو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر». قال عمر: يا رسول الله، إنها لناعمة؟ قال: «أكلها أنعم منها يا عمر»^(٢).

رواه ابن جرير، من حديث الزهري، عن أخيه عبد الله، عن أنس: أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فذكر مثله سواء^(٣).

وقال البخاري: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ قالت: نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه دُرّ مجوف، أنيته كعدد النجوم.

ثم قال البخاري: رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف، عن أبي إسحاق^(٤).
ورواه أحمد والنسائي، من طريق مُطَرِّف، به^(٥).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا وَكِيع، عن سفيان، وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة قالت: الكوثر نهر في الجنة، شاطئاه در مُجَوَّف، وقال إسرائيل: نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء^(٦).

وحدثنا ابن حُمَيْد، حدثنا يعقوب القُمِّي، عن حفص بن حميد، عن شَمِر بن عطية، عن شقيق أو مسروق قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين، حدثيني عن الكوثر. قالت: نهر في بطنان الجنة. قلت: وما بطنان الجنة؟ قالت: وسطها، حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت، ترابه المسك، وحصاؤه اللؤلؤ والياقوت^(٧).

وحدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن أبي جعفر الرازي، عن ابن أبي نجيح، عن عائشة قالت: من أحب أن يسمع خرير الكوثر، فَلْيَجْعَلْ أَصْبَعِيهِ فِي أُذُنِهِ^(٨).

وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة، وفي بعض الروايات: «عن رجل، عنها». ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك، لا أنه يسمعه نفسه، والله أعلم.

قال السهيلي: ورواه الدارقطني مرفوعاً، من طريق مالك بن مَعُوْل، عن الشعبي، عن

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وأخرجه الإمام أحمد من طريق إبراهيم بن سعد به، وحسنه محققوه وصححوه بالشواهد. (المسند ١٣٢/٢١ ح ١٣٤٧٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سنداه محققوه. (المسند ٣٠/٢١ ح ١٣٣٠٦).

(٣) أخرجه الطبري من طريق الزهري به، وسنده صحيح كسابقه.

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، باب سورة الكوثر ح ٤٩٦٥).

(٥) المسند ٣٨١/٦؛ والسنن الكبرى، التفسير، باب سورة الكوثر (ح ١١٧٠٥).

(٦) يشهد له ما سبق.

(٧) في سنده ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، ويعقوب القمي فيه مقال ويتقوى بما سبق.

(٨) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لأن ابن أبي نجيح لم يسمع من عائشة رضي الله عنها.

مسروق، عن عائشة، عن النبي ﷺ^(١).

ثم قال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هُشَيْم، أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبیر: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه^(٢).

ورواه أيضاً من حديث هُشَيْم، عن أبي بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: الكوثر: الخير الكثير^(٣).

[وقال الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير]^{(٤)(٥)}.

وهذا التفسير يعمُّ النهر وغيره؛ لأن الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبیر، ومجاهد، ومحارب بن دُثَار، والحسن بن أبي الحسن البصري^(٦). حتى قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة^(٧).

وقال عكرمة: هو النبوة والقرآن، ثواب الآخرة^(٨).

وقد صحَّ عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضاً، فقال ابن جرير:

حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا عمر بن عبيد، عن عطاء، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: الكوثر: نهر في الجنة، حافته ذهب وفضة، يجري على الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل^(٩).

وروى العوفي، عن ابن عباس، نحو ذلك^(١٠).

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا هُشَيْم، أخبرنا عطاء بن السائب، عن محارب بن

(١) ذكره السهيلي. (الروض الأنف ١/٢٤١) والحديث فيه غرابة.

(٢) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (صحيح البخاري، التفسير، باب سورة الكوثر ٤٩٦٦).

(٣) أخرجه البخاري عن عمرو بن محمد عن هشيم به. (الصحيح، الرقاق، باب في الحوض ٦٥٧٨).

(٤) أخرجه الطبري من طريق الثوري به، وسنده حسن ويرتقي بسابقه إلى صحيح لغيره.

(٥) زيادة من (حم).

(٦) قول ابن عباس تقدم وقول عكرمة أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عمارة بن أبي حفصة عنه، وأما قول سعيد بن جبیر فقد أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي بشر عنه، وأما قول مجاهد فقد أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عنه.

(٧) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف وهذه الرواية تخالف الرواية الصحيحة السابقة عن مجاهد.

(٨) أخرجه هناد (الزهدي رقم ١٤٢)، وابن أبي شيبة. (المصنف ١١/٥٠٨)، والطبري كلهم بسند صحيح من طريق بدر بن عثمان عن عكرمة.

(٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وصححه الحافظ ابن كثير.

(١٠) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به ولكنه يتقوى بالمتابعات في الرواية السابقة التي صححها الحافظ ابن كثير.

دثار، عن ابن عمر أنه قال: الكوثر نهر في الجنة، حافته ذهب وفضة، يجري على الدر والياقوت، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل^(١).

وكذا رواه الترمذي عن ابن حميد، عن جرير، عن عطاء بن السائب، به مثله^(٢)، موقوفاً. وقد روي مرفوعاً فقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن حفص، حدثنا ورقاء قال: وقال عطاء [بن السائب]^(٣) عن محارب بن دثار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب، والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»^(٤).

وهكذا رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من طريق محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، به مرفوعاً. وقال الترمذي: حسن صحيح^(٥).

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُليّة، أخبرنا عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلت: حدثنا عن ابن عباس أنه قال: هو الخير الكثير. فقال: صدق، والله إنه للخير الكثير. ولكن حدثنا ابن عمر قال: لما نزلت: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافته من ذهب، يجري على الدر والياقوت»^(٦).

وقال ابن جرير: حدثني ابن [البرقي]^(٧)، حدثنا [ابن أبي مريم]^(٨)، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، أخبرني حرام بن عثمان، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب يوماً فلم يجده، فسأل امرأته عنه - وكانت من بني النجار - فقالت: خرج يا نبي الله آنفاً عامداً نحوك، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار، ألا تدخل يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه خيساً، فأكل منه، فقالت: يا رسول الله، هنيئاً لك ومريئاً، لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك؛ أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهراً في الجنة يدعى الكوثر. فقال: «أجل، وعرضه - يعني أرضه - ياقوت ومرجان، وزبرجد ولؤلؤ»^(٩).

حرام بن عثمان ضعيف. ولكن هذا سياق حسن، وقد صحَّ أصل هذا، بل قد تواتر من طريق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث، وكذلك أحاديث الحوض.

- (١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن، ويشهد له ما سبق.
- (٢) أخرجه الترمذي من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به. وقال: حسن صحيح. (السنن، التفسير، باب ومن سورة الكوثر ح ٣٣٦١؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح ٢٦٧٧).
- (٣) زياد من (ح).
- (٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقواه محققوه بالمتابعات. (المسند ٩/ ٢٥٧ ح ٥٣٥٥).
- (٥) ينظر المصدر قبل السابق وسنن ابن ماجه، الزهد، صفة الجنة (٤٣٣٤) وتفسير الطبري.
- (٦) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده حسن ويشهد له ما قبله من الروايات المرفوعة والموقوفة.
- (٧) كذا (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل بياض.
- (٨) كذا (ح) و(حم) وتفسير الطبري، وفي الأصل صحف إلى: ابن إبراهيم.
- (٩) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده ضعيف لضعف حرام بن عثمان ولمعظمه شواهد تقدمت.

وهكذا رُوي عن أنس، وأبي العالية، ومجاهد^(١)، وغير واحدٍ من السلف: أن الكوثر: نهر في الجنة. وقال عطاء: هو حوض في الجنة^(٢).

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة وَنَحَرَكَ، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣٦﴾ [الأنعام]، قال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن: يعني بذلك نحر البُذُن ونحوها. وكذا قال قتادة، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، والربيع، وعطاء الخراساني، والحكم، وإسماعيل بن أبي خالد، وغير واحد من السلف^(٣). وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله، والذبح على غير اسمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّكُمْ لَفِسْقٌ﴾ الآية [الأنعام: ١٢١].

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر. يُروى هذا عن علي، ولا يصح. وعن الشعبي مثله^(٤).

وعن أبي جعفر الباقر: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ يعني: ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة^(٥).

وقيل: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ أي: استقبل بنحرك القبلة. ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير.

وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً منكراً جداً فقال: حدثنا وهب بن إبراهيم [الفامي]^(٦) - سنة خمس وخمسين ومائتين - حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزي، حدثنا مقاتل بن حيان، عن الأصبغ بن نباتة، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿٢﴾ قال رسول الله: «يا جبريل، ما هذه النَحِيرَةُ التي أمرني بها ربي؟» فقال: ليست بنحيرة، ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة، ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع، وإذا سجدت، فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين

(١) قول أنس تقدم، وقول أبي العالية أخرجه الطبري بسند جيد من طريق الربيع بن أنس. وقول مجاهد أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عبد الوهاب عن مجاهد، وعبد الوهاب هو ابن مجاهد وهو ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة بسند حسن من طريق فطر - وهو ابن خليفة - عن عطاء. (المصنف ٤٤٣/٧).

(٣) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق فطر عن عطاء؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق عوف، وهو الأعرابي، عن الحسن؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري بأسانيد من طريق عقبة بن ظبيان عن علي، ومن طريق عقبة بن ظهير، وهما واحد وقد سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف عن أبي القموص.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق جابر عن أبي جعفر الباقر، وجعفر هو الجعفي وهو ضعيف.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: العاصي.

في السموات السبع، وإن لكل شيء زينة، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة. وهكذا رواه الحاكم في المستدرک، من حديث إسرائيل بن حاتم، به^(١).

وعن عطاء الخراساني: ﴿وَأَنحَرْ﴾ أي: ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل، وأبرز نحرك، يعني به: الاعتدال. رواه ابن أبي حاتم^(٢).

[كل هذه الأقوال غريبة جداً]^(٣). والصحيح القول الأول، أن المراد بالنحر ذبح المناسك؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد، ثم ينحر نسكه ويقول: «من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك. ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له». فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، إني نسكتُ شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم يشتهي فيه اللحم. قال: «شاة لحم». قال: فإن عندي عناقاً هي أحب إليّ من شاتين، أفتجزئني؟ قال: «تجزئك، ولا تجزئ أحداً بعدك»^(٤).

قال أبو جعفر بن جرير: والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نُحْرُك اجعله له دون الأوثان؛ شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير، الذي لا كُفءَ له، وخصّك به^(٥).

وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى: محمد بن كعب القرظي، وعطاء.

وقوله: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٦) أي: إن مبغضك - يا محمد - ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره.

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبیر، وقتادة: نزلت في العاص بن وائل^(٦).

وقال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول: دعوه فإنه رجل أبتّر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره. فأنزل الله هذه السورة^(٧).

وقال شمر بن عطية: نزلت في عقبه بن أبي معيط^(٨).

(١) أخرجه الحاكم من طريق إسرائيل بن حاتم به وتعقبه الذهبي بقوله: إسرائيل صاحب عجائب لا يعتمد عليه، وأصبغ شيعي متروك عند النسائي. (المستدرک ٥٣٧/٢، ٥٣٨).

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن عطاء بنحوه.

(٣) زيادة من (حم).

(٤) أخرجه الشيخان من حديث البراء رضي الله عنه. (صحيح البخاري، العيدين، باب الأكل يوم النحر ح ٩٥٥؛ وصحيح مسلم، الأضاحي، باب وقتها ح ١٩٦١).

(٥) ذكره الطبري بلفظه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بالمراسيل التالية؛ فقد أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق والطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق هلال بن خباب عن سعيد بن جبیر.

(٧) سنده ضعيف لعنينة ابن إسحاق ولأنه مرسل ويتقوى بالمراسيل السابقة.

(٨) أخرجه الطبري بسند ضعيف فيه ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

وقال ابن عباس - أيضاً -، وعكرمة: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش^(١).
وقال البزار: حدثنا زياد بن يحيى الحَسَّاني، حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الْمُصْنَبِرِ المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه. قال: فنزلت: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٢).

هكذا رواه [البزار]^(٣)، وهو إسناد صحيح.

وقال عطاء: نزلت في أبي لهب^(٤)، وذلك حين مات ابن رسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال: بُتِرَ محمد الليلة. فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٥).
وعن ابن عباس: نزلت في أبي جهل وعنه: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ﴾ يعني: عدوك^(٥). وهذا يَعُمُّ جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم.

وقال عكرمة: ﴿الْأَبْتَرُ﴾: الفرد. وقال السُّدِّي: كانوا إذا مات ذكورُ الرجل قالوا: بُتِرَ. فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بُتِرَ محمد. فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٦).
وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتَر الذي مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا [وكلا]^(٦)، بل قد أبقي الله ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد.

آخر تفسير سورة ﴿الْكَوْثَرِ﴾، والله الحمد والمنة.

-
- (١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق داود عن عكرمة عن ابن عباس.
(٢) أخرجه البزار بسنده ومثله. (مختصر زوائد مسند البزار ١٢١/٢ ح ١٥٣٨)، وصححه سننه الحافظ ابن كثير وضعفه الحافظ ابن حجر.
(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: الترمذي.
(٤) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن عطاء.
(٥) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.
(٦) كذا في (حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: ولما.

سُورَةُ الْقُلُوبِ الْكَافِرُونَ

وهي مكية

ثبت في صحيح مسلم، عن جابر: أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] في ركعتي الطواف^(١).

وفي صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر^(٢). وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة - أو: بضع عشرة مرة - ﴿قُلْ يَتَأْتِيَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣).

وقال أحمد - أيضاً - : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: رمقتُ النبي ﷺ أربعاً وعشرين - أو خمساً وعشرين - مرة، يقرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب بـ﴿قُلْ يَتَأْتِيَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٤).

وقال أحمد: حدثنا أبو أحمد - هو محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري -، حدثنا سفيان - هو الثوري - عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: رَمَقْتُ النبي ﷺ شهراً، وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بـ﴿قُلْ يَتَأْتِيَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٥). وكذا رواه الترمذي وابن ماجه، من حديث أبي أحمد الزبيري. أخرجه النسائي من وجه آخر، عن أبي إسحاق، به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن^(٦).

وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ [الزلزلة: ١] تعدل ربع القرآن^(٧). وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق، عن فروة بن

(١) صحيح مسلم، الحج، باب حجة النبي ﷺ (ح ١٢١٨).

(٢) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر (ح ٧٢٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سننه محققوه. (المسند ٨/ ٣٨١ ح ٤٧٦٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سننه محققوه. (المسند ١٠/ ٣٢ ح ٥٧٤٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢/ ٩٤) وسنده صحيح.

(٦) سنن الترمذي، الصلاة، باب ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر (ح ٤١٧)؛ وسنن النسائي، الافتتاح، باب القراءة في الركعتين بعد المغرب ٢/ ١٧٠؛ وسنن ابن ماجه، الإقامة، باب ما جاء فيما يُقرأ في الركعتين قبل الفجر (ح ١١٤٩)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٩٤٣).

(٧) تقدم في بداية تفسير سورة الزلزلة.

نُوفَل - هو ابن معاوية - عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال له: «هل لك في ربيبة لنا تكفلها؟» قال: أراها زينب. قال: ثم جاء فسأله النبي ﷺ عنها، قال: «ما فعلت الجارية؟» قال: تركتها عند أمها. قال: فمجيء ما جاءك بك؟ قال: جئت لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي. قال: «اقرأ: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾» ثم نُم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك». تفرد به أحمد^(١).

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو القطراني، حدثنا محمد بن الطفيل، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن جبلة بن حارثة - وهو أخو زيد بن حارثة - أن النبي ﷺ قال: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾» حتى تمر بآخرها، فإنها براءة من الشرك»^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن فروة بن نوفل، عن الحارث بن جبلة قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئاً أقوله عند منامي. قال: «إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقرأ: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾» فإنها براءة من الشرك»^(٣).

وروى الطبراني من طريق شريك، عن جابر، عن معقل الزبيدي، عن [عباد أبي الأخضر عن خباب]^(٤)، أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ حتى يختمها^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي أمرة بالإخلاص فيه، فقله: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ ١ شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش.

وقيل: إنهم من جهلهم دَعَوَا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ٢ يعني: من الأصنام والأنداد ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ٣ وهو الله وحده لا شريك له. ف«ما» ههنا بمعنى: «من».

ثم قال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ أي: ولا أعبد عبادتكم؛ أي: لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه؛ ولهذا قال:

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به، وقال محققوه: حديث حسن على اضطراب في إسناده. (المسند ٢٢٤/٣٩ ح ٢٣٨٠٧).

(٢) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ٣٧٠٨١/٤) ويشهد له سابقه.

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في أطراف المسند (٢٢٠/٢) ويشهد له قبل سابقه.

(٤) كذا في المعجم الكبير للطبراني، وفي الأصل: «عبد البر أخضر أو أحمر».

(٥) أخرجه الطبراني من طريق جابر الجعفي به (المعجم الكبير ٩٣/٤ ح ٣٧٠٨). وسنده ضعيف لضعف جابر الجعفي (مجمع الزوائد ١٠/١٢١).

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، كما قال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣] فترأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بد له من معبود يعبد، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه؛ ولهذا كان كلمة الإسلام «لا إله إلا الله محمد رسول الله»؛ أي: لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله؛ ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (١) كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢) [يونس]، وقال: ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال البخاري: يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الكفر ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام. ولم يقل: «ديني» لأن الآيات بالنون، فحذف الياء، كما قال: ﴿نَهَوَ يَهْدِينَ﴾ [الشعراء: ٧٨] و﴿يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] وقال غيره^(١): لا أعبد ما تعبدون الآن، ولا أجيئكم فيما بقي من عمري، ولا أنتم عابدون ما أعبد، وهم الذين قال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ هُمْ أَتَوَلَّوْا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤]. انتهى ما ذكره^(٢).

ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد، كقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٣) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿[الشرح] وكقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (٤) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ آلِ قَيْنِ ﴿(٥) [التكاثر] وحكاها بعضهم - كابن الجوزي، وغيره - عن ابن قتيبة، فالله أعلم. فهذه ثلاثة أقوال: أولها: ما ذكرناه أولاً. الثاني: ما حكاها البخاري وغيره من المفسرين أن المراد: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٦) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿(٧) في الماضي ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ (٨) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿(٩) في المستقبل. الثالث: أن ذلك تأكيد محض.

وثم قول رابع، نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٠) نفي الفعل لأنها جملة فعلية ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ (١١) نفي قبوله لذلك بالكلية؛ لأن النفي بالجملة الإسمية أكد فكأنه نفي الفعل، وكونه قابلاً لذلك ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً. وهو قول حسن أيضاً، والله أعلم.

وقد استدلل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (١٢) على أن الكفر كله ملة واحدة تورثه اليهود من النصارى، وبالعكس؛ إذا كان بينهم نسب أو سبب يتوارث به؛ لأن الأديان - ما عدا الإسلام - كلها كالشيء الواحد في البطلان. وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم تورث النصارى من اليهود وبالعكس؛ لحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين شتى»^(٣). آخر تفسير سورة ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١٣)، والله الحمد والمنة.

(١) السابق ذكره البخاري من كلام الفراء واللاحق من كلام أبي عبيدة (ينظر فتح الباري ٨/٧٣٣).

(٢) ذكره البخاري. (الصحيح، التفسير، باب ١٠٩ سورة الكافرون).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنفال آية ٧٣.

سُورَةُ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ

وهي مدنية

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن، و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ [الزلزلة] تعدل ربع القرآن^(١).
وقال النسائي: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا جعفر، عن أبي العُميس (ح) وأخبرنا أحمد بن سليمان، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العُميس، عن عبد المجيد بن سهل، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عتبة قال: قال لي ابن عباس: يا ابن عتبة، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت؟ قلت: نعم ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال: صدقت^(٢).

وروى الحافظ أبو بكر البزار والبيهقي، من حديث موسى بن عبيدة الرّبذي، عن صدقة بن يَسَار، عن ابن عمر قال: أنزلت هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع، فأمر بإحلاله القصواء فرحلت، ثم قام فخطب الناس، فذكر خطبته المشهورة^(٣).

وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا الأسفاطي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا [عباد بن] ^(٤) العوام، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال: «إنه قد نُعيت إلي نفسي»، فبكت ثم ضحكت، وقالت: أخبرني أنه نُعيت إليه نفسه فبكيت، ثم قال: «اصبري فإنك أول أهلي لحاقاً بي» فضحكت^(٥).

وقد رواه النسائي - كما سيأتي - بدون ذكر فاطمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ تَوَّابٌ ﴿٢﴾

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن

- (١) تقدم تخريجه في مطلع تفسير سورة الزلزلة.
- (٢) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن الكبرى، التفسير، باب سورة النصر ح ١١٧١٣) وسنده صحيح وأخرجه مسلم من طريق جعفر بن عون به (الصحيح، التفسير ح ٣٠٢٤).
- (٣) أخرجه البيهقي (السنن الكبرى ١٥٢/٥) وعزاه الهيثمي إلى البزار وأعله بموسى بن عبيدة لأنه ضعيف. (مجمع الزوائد ٢٦٩/٣).
- (٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل حُرِفَ إلى: «عساكر».
- (٥) أخرجه البيهقي بسنده ومثله. (دلائل النبوة ١٦٧/٧) وفي سنده هلال بن خباب صدوق تغير بأخرة. (التقريب ص ٥٧٥) تارة يذكر فاطمة رضي الله عنها وتارة لم يذكرها كما سيأتي في رواية الطبراني.

جُبَيْر، عن ابن عباس قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، وكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن علمتم. فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رثيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم فقال: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفُتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أأذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول. تفرد به البخاري^(١).

وروى ابن جرير، عن محمد بن حُمَيد، عن مِهْران، عن الثوري، عن عاصم، عن أبي رَزِين، عن ابن عباس، فذكر مثل هذه القصة، أو نحوها^(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضَّيل، حدثنا عطاء، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: لما نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي»... بأنه مقبوض في تلك السنة. تفرد به أحمد^(٣).

وروى العوفي، عن ابن عباس، مثله. وهكذا قال مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وغير واحد: إنها أجل رسول الله ﷺ نُعِيَتْ إِلَيْهِ^(٤).

وقال ابن جرير: حدثني إسماعيل بن موسى، حدثنا الحسين بن عيسى الحنفي، عن مَعْمَر، عن الزهري، عن أبي حازم، عن ابن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال: «الله أكبر، الله أكبر! جاء نصر الله والفتح، جاء أهل اليمن». قيل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية»^(٥).

ثم رواه عن ابن عبد الأعلى، عن ابن ثور، عن معمر، عن عكرمة، مرسلًا^(٦).

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثته. (الصحيح، التفسير، باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر] ح ٤٩٧٠).

(٢) أخرجه الطبري عن محمد بن حميد به، وفي سنده محمد بن حميد وهو ضعيف، وقد توبع في رواية البخاري السابقة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٢١٧/١) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له ما سبق؛ وأخرجه الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن أبي العالية فيه محمد بن حميد، ويتقوى بما سبق؛ وأخرجه الطبري بسند ضعيف عن الضحاك فيه إيهام شيخ الطبري، ويتقوى بما سبق.

(٥) أخرجه الطبري بسنده ومثته، قال ابن أبي حاتم: قال أبي: هذا حديث باطل ليس له أصل، الزهري عن أبي حازم لا يجيء (العلل ١٥٨/٢).

(٦) سنده ضعيف لأنه مرسل.

وقال الطبراني: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا أبو كامل الجَحْدَرِيُّ، حدثنا أبو عَوَّانة، عن هلال بن خَبَّاب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ حتى ختمت السورة، قال: نُعِيتَ لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت، قال: فأخذ بأشد ما كان قط اجتهداً في أمر الآخرة. وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك: «جاء الفتح ونصر الله، وجاء أهل اليمن». فقال رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، لينة قلوبهم، الإيمان يمان، والفرقة يمان»^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رَزِين، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ علم النبي ﷺ أنه قد نُعِيتَ إليه نفسه، فقيل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ السورة كلها^(٢).

حدثنا وَكِيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رَزِين: أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال: لما نزلت نُعِيتَ إلى رسول الله ﷺ نفسه^(٣).

وقال الطبراني: حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عُمَرُ الوَكيعي، حدثنا أبي، حدثنا جَعْفَرُ بن عون، عن أبي العُمَيْس، عن أبي بكر بن أبي الجهم، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٤).

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مُرَّة، عن أبي الْبَخْتَرِيِّ الطائي، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها، فقال: «الناس حيز، وأنا وأصحابي حيز». وقال: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية». فقال له مروان: كذبت - وعنده رافع بن خديج، وزيد بن ثابت، قاعدان معه على السرير - فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدثاك، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة. فرفع مروان عليه الدرة ليضربه، فلما رأى ذلك قال: صدق^(٥).

تفرد به أحمد، وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر، فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح: «لا هجرة، ولكن جهاد ونية، ولكن إذا استنفرتم فانفروا». أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما^(٦).

(١) أخرجه الطبراني بسنده ومثله (المعجم الكبير ١١/٣٢٨ ح ١١٩٠٣) وفي سنده هلال بن خباب تغير في آخره.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ١/٣٤٤) وسنده حسن.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١/٣٥٦) وسنده حسن.

(٤) أخرجه الطبراني (المعجم الكبير ١٠/٣٦٩ ح ١٠٧٣٦) وسنده صحيح وتقدم تخريجه في بداية تفسير هذه السورة الكريمة.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. وقال محققوه: صحيح لغيره، دون قوله: «الناس حيز، وأنا وأصحابي حيز» وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. (المسند ١٧/٢٥٨ ح ١١١٦٧).

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية ٢١٦.

فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر، رضي الله عنهم أجمعين، مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَمَرْنَا إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْمَدَائِنَ وَالْحَصُونِ أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنُشْكِرَهُ وَنُسَبِّحَهُ، يعني نصلي ونستغفره - معنى مليح صحيح، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثمانى ركعات، فقال قائلون: هي صلاة الضحى. وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها، فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافراً لم يَنْوِ الإقامة بمكة؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريباً من تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة ويُفطر هو وجميع الجيش، وكانوا نحواً من عشرة آلاف. قال هؤلاء: وإنما كانت صلاة الفتح، قالوا: فيستحب لأمر الجيـش إذا فتح بلد أن يصلي فيه أول ما يدخله ثمانى ركعات. وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن، ثم قال بعضهم: يصليها كلها بتسليمة واحدة. والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين، كما ورد في سنن أبي داود: أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين^(١). وأما ما فسر به ابن عباس وعمر رضي الله عنهما، من أن هذه السورة نُعي فيها إلى رسول الله ﷺ نفسه الكريمة، واعلم أنك إذا فتحت مكة - وهي قريتك التي أخرجتك - ودخل الناس في دين الله أفواجا، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا، فتهياً للقدوم علينا والوفود إلينا، فالآخرة خير لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ولهذا قال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكَ كَانَ تَوَّابًا﴾.

قال النسائي: أخبرنا عمرو بن منصور، حدثنا محمد بن محبوب، حدثنا أبو عوانة، عن هلال بن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلى آخر السورة، قال: نُعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين أنزلت، فأخذ في أشد ما كان اجتهداً في أمر الآخرة، وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك: «جاء الفتح، وجاء نصر الله، وجاء أهل اليمن». فقال رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، ليثة قلوبهم، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفرقة يمان»^(٢).

وقال البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن^(٣).

وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي، من حديث منصور، به^(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق قال: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه». وقال: «إن ربي كان أخبرني أنني سأرى علامة في أمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره، إنه كان تواباً، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (السنن، الصلاة، باب صلاة الضحى ح ١٢٩٠)؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ح ٢٨١).

(٢) أخرجه النسائي بسنده ومثله (السنن الكبرى، التفسير، سورة النصر ح ١١٦٤٨) وفي سنده هلال بن خباب تغير بآخرة.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثله. (الصحيح، التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر] ح ٤٩٦٨).

(٤) صحيح مسلم، الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (ح ٤٨٤/٢١٧).

النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكَ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴿١﴾
ورواه مسلم من طريق داود - وهو ابن أبي هند - به (٢).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو السائب، حدثنا حفص، حدثنا عاصم، عن الشعبي، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء، إلا قال: «سبحان الله وبحمده». فقلت: يا رسول الله، إنك تكثر من سبحان الله وبحمده، لا تذهب ولا تجيء، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت: سبحان الله وبحمده؟ قال: «إني أمرت بها»، فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾...﴾ إلى آخر السورة (٣). غريب، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مفرد، فيكتب ههنا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ كان يكثر إذا قرأها - ورَكَعَ - أن يقول: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم» ثلاثاً (٤).

تفرد به أحمد. ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن عمرو بن مرة، عن شعبة، عن أبي إسحاق، به (٥). والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، والله الحمد والمنة. وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: دعوه وقومه، فإن ظهر عليهم فهو نبي... الحديث (٦).

وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا: السيرة، فمن أراد فليراجعه هناك، والله الحمد والمنة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق، عن الأوزاعي، حدثني أبو عمار، حدثني جابر بن عبد الله قال: قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله، فسلم علي، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا، وسيخرجون منه أفواجا» (٧).

[آخر تفسير سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾، والله الحمد والمنة] (٨).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٣٥/٦) وسنده صحيح.

(٢) صحيح مسلم، الباب السابق (ح ٤٨٤/٢٢٠).

(٣) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وسنده منقطع فإن الشعبي لم يسمع من أم سلمة رضي الله عنها، وقد استغربه الحافظ ابن كثير.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٢٠٧/٦ ح ٣٦٨٣) قال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، أبو عبيدة، وهو ابن عبد الله بن مسعود، لم يسمع من أبيه.

(٥) سنده كسابقه.

(٦) صحيح البخاري، المغازي، باب رقم ٥٣ (ح ٤٣٠٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ٣/٣٤٣) وسنده ضعيف لإبهام جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٨) زيادة من (حم).

سُورَةُ الْمَيْدَةِ تَبَّتْ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصِلَ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ .

قال البخاري: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مَرْة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء، فصعد الجبل فنَادَى: «يا صباحاه». فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مُصْبِحكم أو مُمْسِككم، أكنتم تصدقوني؟». قالوا: نعم. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تَبَّا لك. فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ إلى آخرها^(١).

وفي رواية: فقام ينفض يديه، وهو يقول: تَبَّا لك سائر اليوم. ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾.

الأول: دعاء عليه، والثاني: خبر عنه. فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عُتْبَة. وإنما سمي «أبا لهب» لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه.

قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: أخبرني رجل - يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الدليل، وكان جاهلياً فأسلم - قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا». والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين^(٢)، يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمُّه أبو لهب^(٣).

ثم رواه عن [سُريج]^(٤)، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، فذكره - قال أبو الزناد: قلت لربيعة:

(١) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، التفسير، باب ﴿وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ [المسد] ح ٤٩٧٢).

(٢) أي: ذو ذؤابتين.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وحسن سنده محققوه. (المسند ٤٠٤/٢٥، ٤٠٥ ح ١٦٠٢٣).

(٤) كذا في المسند وفي الأصل (ح): بلفظ: «شريح».

كنت يومئذ صغيراً؟ قال: لا، والله إني يومئذ لأعقل أني أزفر^(١) القربة^(٢). تفرد به أحمد.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال: سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول: إني لمع أبي رجل شاب، أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل - ووراءه رجل أحول وضيء، ذو جُمَّة - يَقِفُ رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به». وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان، هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو لهب^(٣). رواه أحمد أيضاً، والطبراني بهذا اللفظ^(٤).

ف قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أي: خسرت وخابت، وضلَّ عمله وسعيه، ﴿وَتَبَّ﴾ أي: وقد تبَّ تحقق خسارته وهلاكه.

وقوله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ قال ابن عباس وغيره: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يعني: ولده^(٥). ورؤي عن عائشة، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وابن سيرين، مثله^(٦).

وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إذا كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإني أفندي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي. فأنزل الله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾^(٧).

وقوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: ذات شرر ولهيب وإحراق شديد، ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي: أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان. وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم. ولهذا قال: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ في جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ^(٨) يعني: تحمل الحطب فتلقي على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مُهيأة لذلك مستعدة له.

﴿فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ قال مجاهد، وعروة: من مسد النار^(٨).

(١) أي: أحملها.

(٢) (المسند ٣١/٣٤٢، ٣٤٣ ح ١٩٠٠٥) حسن سنده محققه.

(٣) أخرجه ابن إسحاق (ينظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٨٧) وسنده ضعيف لضعف حسين بن عبد الله بن عبيد الله (التقريب ص ١٦٧) ويشهد له سابقه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد من طريق ابن إسحاق به (المسند ٢٥/٤٠٧ ح ١٦٠٢٥)؛ والطبراني. (المعجم الكبير ٦٣/٥).

(٥) أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند حسن من طريق أبي الطفيل عن ابن عباس.

(٦) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن جريج عن عطاء عن مجاهد وعائشة.

(٧) أخرجه البغوي عن ابن مسعود تعليقا بدون سند (معالم التنزيل ٤/٥٤٣).

(٨) أخرجه الطبري بسند حسن من طريق يزيد عن عروة وهو ابن رومان أو ابن عبد الله بن خصيفة =

وعن مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والثوري، والسدي: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ كانت تمشي بالنميمة^(١).

[وقال العوفي، عن ابن عباس، وعطية الجدلي، والضحاك، وابن زيد: كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ^(٢)، واختاره ابن جرير^(٣)].

قال ابن جرير: وقيل: كانت تُعَيِّرُ النبي ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب، فغيرت بذلك^(٤).

كذا حكاه، ولم يعزه إلى أحد. والصحيح الأول، والله أعلم.

قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد؛ يعني: فأعقبها الله بها حبلاً في جيدها من مسد النار.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا وكيع، عن سليم مولى الشعبي، عن الشعبي قال: المسد: الليف^(٥).

وقال عروة بن الزبير: المسد: سلسلة ذراعها سبعون ذراعاً^(٦).

وعن الثوري: هي قلادة من نار، طولها سبعون ذراعاً^(٧).

وقال الجوهرى: الْمَسْدُ: الليف. وَالْمَسْدُ أيضاً: حبل من ليف أو خوص، وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها، ومسدت الحبل أَمْسَدُهُ مَسْدًا: إذا أُجْدْتُ قَتْلُهُ^(٨).

وقال مجاهد: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: طوق من حديد، ألا ترى أن العرب يسمون البكرة مَسْدًا؟

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي وأبو زُرْعَةَ قَالَا: حدثنا عبد الله بن الزبير الحُمَيْدِي، حدثنا سُفْيَان، حدثنا الوليد بن كثير، عن ابن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما نزلت: ﴿تَبَتَّ يَدَايَ إِلَىٰ لَهَبٍ﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها فهر، وهي تقول:

مُذَمَّمًا أَبِينَا وَدِينَهُ قَلِينَا وَأَمْرَهُ عَصِينَا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك. فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تراني». وقرأ قرآنا اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿وَلِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء] فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر، إني

= (تهذيب التهذيب ١٨٢/٧) وكلاهما ثقة؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

(٤) ذكره الطبري بنحوه.

(٥) لم أجده في تفسير الطبري، ونسبه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن الشعبي.

(٦) أخرجه الطبري بسند حسن تقدم قبل أربع روايات.

(٧) أخرجه الطبري من طريق مهران عن سفیان. (٨) الصحاح ٥٣٥/١.

أخبرت أن صاحبك هجاني؟ قال: لا، وربّ هذا البيت ما هجاك. فولّت وهي تقول: قد علمت قريش أنني ابنة سيدها. قال: وقال الوليد في حديثه أو غيره: فعثرت أم جميل في مِرْطَها وهي تطوف بالبيت، فقالت: تعس مُذَمَّم. فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب: إني لحصانُ فما أكلم، وثَقَافُ فما أعلم، وكلنا من بني العم، وقريش بعد أعلم^(١).

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحاق قالا: حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس، ومعه أبو بكر. فقال له أبو بكر: لو تَنَحَّيْتُ لا تُؤْذِيكَ بشيء. فقال رسول الله ﷺ: «إنه سيُحال بيني وبينها». فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر، هجانا صاحبك. فقال أبو بكر: لا، وربّ هذه البنية ما نطق بالشعر ولا يتفوه به. فقالت: إنك لمصدق، فلما ولّت قال أبو بكر ﷺ: ما رأيتك؟! قال: «لا، ما زال ملك يسترني حتى ولّت».

ثم قال البزار: لا نعلمه يُروى بأحسن من هذا الإسناد، عن أبي بكر ﷺ^(٢). وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: في عنقها حبل من نار [جهنم]^(٣) تُرْفَعُ به إلى شفيرها، ثم يرمى بها إلى أسفلها، ثم كذلك دائماً. قال أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير - وقد رَوَى ذلك -: وعُبر بالمسد عن حبل الدلو، كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب «النبات»: كلّ مسد: رشاء، وأنشد في ذلك: وَبَكْرَةٌ وَمِخْوَرَةٌ صَرَارًا وَمَسَدًا مِّنْ أَبَقِ مُغَارًا قال: والأبَقُ: القنْبُ.

وقال الآخر:

يَا مَسَدَ الْخُوصِ تَعَوِّذْ مِنِّي إِنَّ تَكُ لَدُنَّا لَيِّنًا فَإِنِّي
مَا شِئْتُ مِنْ أَشْمَطِ مُقْسَسِينَ

قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة؛ فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما لا ظاهراً ولا باطناً، لا مُسْراً ولا مُعْلَناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة. [آخر تفسير ﴿تَبَّتْ﴾، والله الحمد والمِنَّة]^(٤).

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٤٥.

(٤) زيادة من (ح) و(حم).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الإسراء آية ٤٥.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

سُورَةُ الْاِخْلَاصِ

وهي مكية

ذكر سبب نزولها وفضلها

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعد محمد بن [مَيْسَر] ^(١) الصاغاني، حدثنا أبو جعفر الرازي، حدثنا الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ يُولَدُ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ ^(٢).

وكذا رواه الترمذي، وابن جرير، عن أحمد بن منيع - زاد ابن جرير: ومحمود بن خَدَّاش - عن أبي سعد محمد بن [مَيْسَر] ^(٣) به - زاد ابن جرير والترمذي - قال: ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله جلَّ جلاله لا يموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ ولم يكن له شبه ولا عدل، وليس كمثله شيء.

ورواه ابن أبي حاتم، من حديث أبي سعد محمد بن مَيْسَر، به. ثم رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن عبيد الله بن موسى، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، فذكره مرسلًا ولم يذكر «أخبرنا». ثم قال الترمذي: هذا أصح من حديث أبي سعد ^(٤).

حديث آخر في معناه: قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا سُريج بن يونس، حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر: أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: انسب لنا ربك. فأنزل الله ﷻ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾... إلى آخرها ^(٥). إسناده مقارب.

وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف، عن سُريج فذكره ^(٦). وقد أرسله غير واحد من السلف.

(١) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: «مبشر».

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وضعف سنده محققوه. (المسند ١٤٣/٣٥ ح ٢١٢١٩) وسنده حسن فقد أخرجه الترمذي (السنن، التفسير، باب ومن سورة الإخلاص ح ٣٣٦٤) وابن خزيمة (التوحيد ٩٥/١ ح ١١)؛ والحاكم (المستدرک ٥٤٠/٢) كلهم بسنده ومثته وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٣٥٦/١٣)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٦٨٠).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: «مبشر».

(٤) تقدم تخريجه في سابقه.

(٥) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ٣٨/٤ ح ٢٠٤٤) وسنده ضعيف لضعف مجالد. ويشهد له سابقه.

(٦) أخرجه الطبري عن محمد بن عوف به، وحكمه كسابقه.

وروى عُبيد بن إسحاق العطار، عن قيس بن الربيع، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: أنسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١).

قال الطبراني: رواه الفريابي وغيره، عن قيس، عن أبي عاصم، عن أبي وائل، مرسلًا^(٢). ثم رَوَى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطائفي، عن الوازع بن نافع، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء نسبة، ونسبة الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٣).

حديث آخر في فضلها: قال البخاري: حدثنا محمد - هو الذهلي - حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو، عن ابن أبي هلال: أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه، عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن - وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ - عن عائشة: أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟». فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يحبه»^(٤).

هكذا رواه في كتاب «التوحيد». ومنهم من يسقط ذكر «محمد الذهلي». ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح. وقد رواه مسلم والنسائي أيضاً من حديث عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، به^(٥).

حديث آخر: قال البخاري في كتاب الصلاة: «وقال عُبيد الله، عن ثابت، عن أنس قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قُباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة. فكلَّمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئُك حتى تقرأ بالأخرى، فإذا أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتهم أن يؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره». فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرُك به أصحابك؟ وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟». قال: إني أحبها. قال: «حُبك إياها أدخلك الجنة»^(٦).

(١) يشهد له ما سبق.

(٢) سنده ضعيف لأنه مرسل، ويتقوى برواية أبي بن كعب.

(٣) سنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن عثمان (التقريب ص ٣٤٦).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومثله. (الصحيح، التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى ح ٧٣٧٥).

(٥) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] (ح ٨١٣)؛ وسنن النسائي، الإفتتاح، باب الفضل في قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١٧٠/٢.

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثله (الصحيح، الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة ح ٧٧٤). وقد وصله الترمذي والإمام أحمد كما يلي.

هكذا رواه البخاري تعليقاً مجزوماً به. وقد رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه، عن البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عمر، فذكر بإسناده مثله سواء، ثم قال الترمذي: غريب من حديث عبید الله، عن ثابت. قال: وروى مُبَارَكُ بن فَضَالَةَ، عن ثابت، عن أنس، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال: «إِنْ حُبَّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(١).

وهذا الذي علقه الترمذي قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلًا، فقال: حدثنا أبو النضر، حدثنا مبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «حُبَّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(٢).

حديث في كونها تعدل ثلث القرآن: قال البخاري: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَةَ، عن أبيه، عن أبي سعيد. أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددّها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقّالّها، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن». زاد إسماعيل بن جعفر، عن مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، عن أبي سعيد قال: أخبرني أخي قتادة بن النعمان، عن النبي ﷺ^(٣).

وقد رواه البخاري - أيضاً - عن عبد الله بن يوسف^(٤)، والقَعْنَبِيِّ. ورواه أبو داود، عن القعنبي، والنسائي، عن قتيبة، كلهم عن مالك، به. وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين، عن إسماعيل بن جعفر، عن مالك، به^(٥).

حديث آخر: قال البخاري: حدثنا عُمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا إبراهيم والضحاك المَشْرِقِيُّ، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟». فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يُطِيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن»^(٦).

تفرد بإخراجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي والضحاك بن شَرَحْبِيلِ الهمداني المَشْرِقِيِّ، كلاهما عن أبي سعيد، قال القَرَبِرِيُّ: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراقاً أبي عبد الله قال: قال أبو عبد الله البخاري: عن إبراهيم مرسل، وعن الضحاك مسند^(٧).

(١) سنن الترمذي، فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص بعد حديث (٢٩٠١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٤١/٣) وسنده حسن.

(٣) أخرجه البخاري بسنده ومثته (الصحيح، التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى ح ٧٣٧٤).

(٤) صحيح البخاري، فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] ح (٥٠١٤).

(٥) المصدر السابق ح (٥٠١٣) وسنن أبي داود، الصلاة، باب في سورة الصمد ح (١٤٦١) والسنن الكبرى للنسائي. فضائل القرآن، باب سورة الإخلاص ح (٨٠٢٩).

(٦) أخرجه البخاري بسنده ومثته (المصدر السابق ح ٥٠١٥).

(٧) المصدر السابق بعد حديث ٥٠١٥ مباشرة.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «والذي نفسي بيده، لتعدل نصف القرآن، أو ثلثه»^(١).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا حُيَّ بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي، عن عبد الله بن عمرو: أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول: ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلاث القرآن كل ليلة؟ فقالوا: وهل يستطيع ذلك أحد؟ قال: فإن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلث القرآن. قال: فجاء النبي ﷺ وهو يسمع أبا أيوب، فقال: «صدق أبو أيوب»^(٢).

حديث آخر: قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا يزيد بن كيسان، أخبرني أبو حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن». فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: «إني سأقرأ عليكم ثلث القرآن». إني لأرى هذا خبراً جاء من السماء، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «إني قلت: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن»^(٣).

وهكذا رواه مسلم في صحيحه، عن محمد بن بشار، به^(٤). وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، واسم أبي حازم سلمان.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن زائدة بن قدامة، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن الربيع بن خثيم، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن امرأة من الأنصار، عن أبي أيوب، عن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فإنه من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ﴿فِي لَيْلَةٍ﴾ فقد قرأ ليلتئذ ثلث القرآن»^(٥).

هذا حديث تَسَاعِي الإسناد للإمام أحمد. ورواه الترمذي والنسائي، كلاهما عن محمد بن بشار بن دار - زاد الترمذي وقتيبة - كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي، به^(٦). فصار لهما عشاريا.

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٨٦/١٧ ح ١١١١٥) وضعفه محققوه لضعف ابن لهيعة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ١٨٤/١١ ح ٦٦١٣) وسنده كسابقه.

(٣) أخرجه الترمذي بسنده ومثله (السنن، فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الإخلاص ح ٢٩٠٠) وسنده صحيح.

(٤) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] (ح ٨٢١).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله (المسند ٤١٨/٥) وسنده ضعيف لإبهام المرأة الأنصارية، ويشهد له ما سبق فيكون حسناً لغيره.

(٦) سنن الترمذي، الباب السابق (ح ٢٨٩٦)؛ وسنن النسائي، الافتتاح، باب الفضل في قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (ح ١٧٢).

وفي رواية الترمذي: «عن امرأة أبي أيوب، عن أبي أيوب»، به. ثم قال: وفي الباب عن أبي الدرداء، وأبي سعيد، وقتادة بن النعمان، وأبي هريرة، وأنس، وابن عمر، وأبي مسعود. وهذا حديث حسن، ولا نعلم أحداً رَوَى هذا الحديث أحسن من رواية «زائدة». وتابعه على روايته إسرائيل، والفضيل بن عياض. وقد رَوَى شُعْبَةُ وغيرُ واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور، واضطربوا فيه^(١).

حديث آخر: قال أحمد: حدثنا هُشَيْم، عن حُصَيْن، عن هلال بن يَسَاف، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بن كعب - أو: رجل من الأنصار - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكَانَ مَا قَرَأَ بِثَلَاثِ الْقُرْآنِ»^(٢).

ورواه النسائي في «اليوم والليلة»، من حديث هُشَيْم، عن حُصَيْن، عن ابن أبي ليلى، به^(٣) ولم يقع في روايته: هلال بن يساف.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، عن سفيان، عن أبي قيس، عن عمرو بن ميمون، عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعَدَّلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ»^(٤).

وهكذا رواه ابن ماجه، عن علي بن محمد الطَّنَافِسي، عن وَكِيع، به. ورواه النسائي في «اليوم والليلة» من طرق أخرى، عن عمرو بن ميمون، مرفوعاً وموقوفاً.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا بَهْز، حدثنا [بُكَير]^(٥) بن أبي السَّمِيط، حدثنا قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن مَعْدَانَ بن أبي طلحة، عن أبي الدرداء، أن رسول الله ﷺ قال: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ؟». قالوا: نعم يا رسول الله، نحن أضعفُ من ذلك وأعجز. قال: «فإن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثَلَاثُ الْقُرْآنِ»^(٦).

ورواه مسلم والنسائي، من حديث قتادة، به^(٧).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أمية بن خالد، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم - ابن أخي ابن شهاب - عن عمه الزهري، عن حُمَيْد بن عبد الرحمن - هو ابن عوف - عن أمه - وهي: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْط - قالت: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعَدَّلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ»^(٨).

(١) سنن الترمذي، ما بعد حديث (٢٨٩٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: صحيح لغيره. (المسند ١٩٧/٣٥ ح ٢١٢٧٥).

(٣) السنن الكبرى (ح ١٠٥٢١).

(٤) (المسند ١٢٢/٤)؛ وسنن ابن ماجه، الأدب، باب ثواب القرآن (ح ٣٧٨٩)؛ والسنن الكبرى (ح ١٠٥٢٤) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٣٠٥٦).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «بكر».

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٤٧/١) وسنده صحيح.

(٧) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] (ح ٨١١)، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة (ح ١٠٥٣٧).

(٨) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، (المسند ٢٤٤/٤٥ ح ٢٧٢٢٧٤) وصححه سند محققوه.

وكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة»، عن عمرو بن علي، عن أمية بن خالد، به^(١). ثم رواه من طريق مالك، عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، قوله. ورواه النسائي أيضاً في «اليوم والليلة» من حديث محمد بن إسحاق، عن الحارث بن الفضيل الأنصاري، عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن: أن نقرأ من أصحاب محمد ﷺ حديثه عن النبي ﷺ أنه قال: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ﴿١﴾ تعدلُ ثلث القرآن لمن صلى بها^(٢).

حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة: قال الإمام مالك بن أنس، عن عبيد الله بن عبد الرحمن، عن عبيد بن حنين قال: سمعت أبا هريرة يقول: أقبلت مع النبي ﷺ، فسمع رجلاً يقرأ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ﴿١﴾ فقال رسول الله ﷺ: «وَجَبَتْ». قلت: وما وجبت؟ قال: «الجنة». ورواه الترمذي والنسائي، من حديث مالك. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث مالك^(٣).

وتقدم حديث: «حُبَّكَ إياها أدخلك الجنة».

حديث في تكرار قراءتها: قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا [قطن بن نسير]^(٤) الغبري، حدثنا عبيس بن ميمون القرشي، حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ﴿١﴾ ثلاث مرات في ليلة، فإنها تعدلُ ثلث القرآن؟»^(٥).

هذا إسناد ضعيف، وأجود منه حديث آخر، قال عبد الله ابن الإمام أحمد:

حدثنا محمد بن أبي بكر المَقْدَمي، حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا ابن أبي ذئب، عن أسيد بن أبي أسيد، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب، عن أبيه قال: أصابنا طشٌّ وظلمة، فانظرنا رسول الله ﷺ يصلي لنا، فخرج فأخذ بيدي، فقال: «قل». فسكت. قال: «قل». قلت: ما أقول؟ قال: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ﴿١﴾ والمعوذتين حين تَمسي وحين تصبح ثلاثاً، تكفك كل يوم مرتين^(٦).

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي، من حديث ابن أبي ذئب، به. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقد رواه النسائي من طريق أخرى، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب، عن أبيه، عن عقبة بن عامر، فذكره [ولفظه: «تكفيك كل شيء»]^{(٧)(٨)}.

(١) السنن الكبرى (ح ١٠٥٣١).

(٢) السنن الكبرى (ح ١٠٥٣٢).

(٣) أخرجه الإمام مالك بسنده ومثله (الموطأ، القرآن، باب ما جاء في قراءة «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ﴿١﴾ [الإخلاص] ٢٠٨/٢ ح ١٨)؛ وأخرجه الترمذي من طريقه (السنن، فضائل القرآن باب سورة الإخلاص ح ٢٨٩٧)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢٣٢٠)؛ وكذا أخرجه النسائي، السنن، الإفتتاح (١٧١/٢).

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «مطر بن بشير».

(٥) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثله (المسند ١٥٠/٧ ح ٤١١٨) وسنده ضعيف جداً لأن عبيس بن ميمون متروك. (مجمع الزوائد ١٤٧/٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وحسن سنده محققوه (المسند ٣٣٥/٣٧ ح ٢٢٦٦٤).

(٧) زيادة من (ح) و(حم).

(٨) سنن أبي داود، الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (ح ٥٠٨٢)؛ وسنن الترمذي، الدعوات، باب الدعاء يقال عند النوم (ح ٣٥٧٥)؛ وسنن النسائي، كتاب الاستعاذة، في بدايته، (٢٥٠/٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٢٤١).

حديث آخر في ذلك: قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا ليث بن سعد، حدثني الخليل بن مرة، عن الأزهر بن عبد الله، عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله واحداً واحداً صمداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحدًا، عشر مرات، كُتِبَ له أربعون ألف ألف حسنة»^(١).

تفرد به أحمد، والخليل بن مرة: ضعفه البخاري وغيره بمرّة.

حديث آخر: قال أحمد أيضاً: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا [زبان]^(٢) بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يخطمها، عشر مرات، بنى الله له قصرًا في الجنة». فقال عمر: إذن نستكثر يا رسول الله. فقال ﷺ: «الله أكثر وأطيب». تفرد به أحمد^(٣).

ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده فقال: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا حيوة، حدثنا أبو [عقيل]^(٤) وغيره عن معبد - قال الدارمي: وكان من الأبدال - أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إن نبي الله ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات، بنى الله له قصرًا في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة». فقال عمر بن الخطاب: إذن لتكثر قصورنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أوسع من ذلك»^(٥). وهذا مرسل جيد.

حديث آخر: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا [نصر]^(٦) بن علي، حدثني نوح بن قيس، أخبرني محمد العطار، أخبرني أم كثير الأنصارية، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مرة غُفِرَ له ذنوب خمسين سنة»^(٧). إسناده ضعيف.

حديث آخر: قال أبو يعلى: حدثنا أبو الربيع، حدثنا حاتم بن ميمون، حدثنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ في يوم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائتي مرة، كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين»^(٨). إسناده ضعيف، حاتم بن ميمون: ضعفه البخاري وغيره. ورواه الترمذي، عن محمد بن مرزوق البصري، عن حاتم بن ميمون، به. ولفظه: «من قرأ كل يوم، مائتي مرة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ محي عنه ذنوب خمسين سنة، إلا أن يكون عليه دين».

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ١٠٣/٤) وسنده ضعيف لضعف الخليل.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «زياد».

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته (المسند ٤٣٧/٣) وسنده ضعيف لضعف ابن لهيعة وزبان كما في التقريب.

(٤) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «عبيد».

(٥) أخرجه الدارمي بسنده ومثته (السنن، فضائل القرآن، باب في فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] ٤٥٩/٢) وسنده ضعيف لأنه مرسل.

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «مصر».

(٧) ضعف سنده الحافظ ابن كثير.

(٨) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ١٠٣/٦) وضعف سنده الحافظ ابن كثير.

قال الترمذي: وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «من أراد أن ينام على فراشه، فنام على يمينه، ثم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» مائة مرة، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب ﷻ: يا عبدي، ادخل على يمينك الجنة». ثم قال: غريب من حديث ثابت، وقد روي من غير هذا الوجه، عنه^(١).

وقال أبو بكر البزار: حدثنا سهل بن بحر، حدثنا حَبَّان بن أغلب، حدثنا أبي، حدثنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» مائتي مرة، حطَّ الله عنه ذنوب مائتي سنة». ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر، والأغلب بن [تميم]^(٢)، وهما متقاربان في سوء الحفظ^(٣).

حديث آخر في الدعاء بما تضمنته من الأسماء: قال النسائي عند تفسيرها: حدثنا عبد الرحمن بن خالد، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني مالك بن مِغُول، حدثنا عبد الله بن بُرَيْدَة، عن أبيه: أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي، يدعو يقول: اللهم، إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. قال: «والذي نفسي بيده، لقد سأله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب».

وقد أخرجه بَقِيَّةُ أصحاب السنن من طُرُق، عن مالك بن مِغُول، عن عبد الله بن بُرَيْدَة، عن أبيه، به. وقال الترمذي: حسن غريب^(٤).

حديث آخر في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة: قال الحافظ أبو يعلى [الموصلي]^(٥): حدثنا عبد الأعلى، حدثنا بشر بن منصور، عن عمر بن [نبهان]^(٦)، عن أبي شداد، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من جاء بهنَّ مع الإيمان دَخَلَ من أيِّ أبواب الجنة شاء، وزُوج من الحور العين حيث شاء: من عفا عن قاتله، وأدَّى ديناً خفياً، وقرأ في دُبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾». قال: فقال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول الله؟ قال: «أو إحداهن»^(٧).

حديث في قراءتها عند دخول المنزل: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمد بن

(١) سنن الترمذي، فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص (ح ٢٨٩٨) وسنده ضعيف كسابقه لضعف حاتم بن ميمون.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «مهم».

(٣) أخرجه ابن الضريس من طريق الحسن بن أبي جعفر عن ثابت به (فضائل القرآن ح ٢٦٧).

(٤) أخرجه أبو داود (السنن، الصلاة، باب الدعاء ح ١٤٩٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٣٢٤، ١٣٢٥)؛ وسنن الترمذي، فضائل القرآن (ح ٣٨٧٥)؛ وسنن ابن ماجه، الأدب، باب اسم الله الأعظم (ح ٣٨٥٧).

(٥) زيادة من (ح).

(٦) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صحف إلى: «سان».

(٧) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ٣/ ٣٣٢ ح ١٧٩٤) وسنده ضعيف جداً لأن عمر بن نبهان متروك (مجمع الزوائد ١٠/ ١٠٢).

عبد الله بن بكر السراج العسكري، حدثنا محمد بن الفرج، حدثنا محمد بن الزبرقان، عن مروان بن سالم، عن أبي زُرْعَةَ بن عمرو بن جرير، عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حين يدخل منزله، نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران»^(١). إسناده ضعيف.

حديث في الإكثار من قراءتها في سائر الأحوال: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي، حدثنا يزيد بن هارون، عن العلاء بن محمد الثقفي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا جبريل، ما لي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت بمثله فيما مضى؟». قال: إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي، مات بالمدينة اليوم، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه. قال: «وفيم ذلك؟» قال: كان يكثر قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في الليل وفي النهار، وفي ممشاه وقيامه وعوده، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه؟ قال: «نعم». فصلى عليه^(٢).

وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في [كتاب]^(٣) «دلائل النبوة» من طريق يزيد بن هارون، عن العلاء أبي محمد^(٤) - وهو متهم بالوضع - فالله أعلم.

طريق أخرى: قال أبو يعلى: حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله، حدثنا عثمان بن الهيثم - مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي - عن محمود أبي عبد الله، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس قال: نزل جبريل على النبي ﷺ فقال: مات معاوية بن معاوية الليثي، فتحب أن تصلي عليه؟ قال: «نعم». فضرب بجناحه الأرض، فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت، فرفع سريره فظفر إليه، فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة، في كل صف سبعون ألف ملك، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل، بم نال هذه المنزلة من الله تعالى؟». قال بحبه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقراءته إياها ذاهباً وجائياً وقاعداً، وعلى كل حال^(٥).

ورواه البيهقي، من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن، عن محبوب بن هلال، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس، فذكره^(٦). وهذا هو الصواب، ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي: «ليس بالمشهور»^(٧). وقد روي هذا من طرق أخرى، تركناها اختصاراً، وكلها ضعيفة.

حديث آخر في فضلها مع المعوذتين: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا معاذ بن رفاعة، حدثني علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ، فابتدأته فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، بم نجاة المؤمن؟ قال: «يا عقبة،

(١) أخرجه الطبراني بسنده ومثته (المعجم الكبير ٢/٣٤٠ ح ٢٤١٩) وسنده ضعفه الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ٧/٢٥٦ ح ٤٢٦٧) وسنده ضعيف جداً لأن العلاء متهم بالوضع.

(٣) زياد من (ح). (٤) دلائل النبوة ٥/٢٤٥.

(٥) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثته (المسند ٧/٢٥٨ ح ٤٢٦٨) وضعف سنده محققه: حسين سليم أسد، وضعف طرقه كلها الحافظ ابن كثير.

(٦) دلائل النبوة ٥/٢٤٦. (٧) الجرح والتعديل ٨/٣٨٩.

أَخْرُسُ لِسَانِكَ وَلَيْسَعَكَ بَيْتُكَ، وَابْنُكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ». قَالَ: ثُمَّ لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَابْتَدَأَنِي فَأَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: «يَا عَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، أَلَا أَعْلَمُكَ خَيْرَ ثَلَاثِ سُورٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالزَّبُورِ، وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؟». قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: فَأَقْرَأْنِي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝﴾ [الفلق] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝﴾ [الناس] ثُمَّ قَالَ: «يَا عَقْبَةُ، لَا تَنْسَهُنَّ وَلَا تُبْتَ لَيْلَةٌ حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ». قَالَ: فَمَا نَسِيتُهُنَّ مِنْذُ قَالَ: «لَا تَنْسَهُنَّ»، وَمَا بَتَ لَيْلَةٌ قَطُّ حَتَّى أَقْرَأَهُنَّ. قَالَ عَقْبَةُ، ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَابْتَدَأَنِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ. فَقَالَ: «يَا عَقْبَةُ، صَلِّ مِنْ قَطْعِكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»^(١).

رَوَى التِّرْمِذِيُّ بَعْضَهُ فِي «الزَّهْدِ»، مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زَحْرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدٍ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٢). وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ أَسِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَثْعَمِيِّ، عَنْ فَرْوَةَ بْنِ مُجَاهِدٍ اللَّخْمِيِّ، عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ سِوَاءً^(٣). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

حَدِيثٌ آخَرٌ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ بِهِنَّ: قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا الْمَفْضَلُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفِيَّهُ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٤).

وَهَكَذَا رَوَاهُ أَهْلُ السَّنَنِ، مِنْ حَدِيثِ عُقَيْلٍ، بِهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ ۝ ١ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ ٣ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ ٤ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ ٥ ۝

قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ سَبَبِ نَزُولِهَا. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: لَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ: نَحْنُ نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. وَقَالَتِ الْمَجُوسُ: نَحْنُ نَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَالَتِ الْمُشْرِكُونَ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْأَوْثَانَ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾^(٥).
يَعْنِي: هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدِهِ وَمَتْنُهُ (الْمُسْنَدُ ٤/١٤٨) وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ لَضَعْفِ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدٍ وَالْقَاسِمِ.

(٢) السَّنَنِ، الزَّهْدِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ (ح ٢٤٠٦) وَسَنَدُهُ كَسَابِقُهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِهِ، وَحَسَنَ سَنَدِهِ مُحَقَّقُوهُ بِالْمَتَابِعَاتِ (الْمُسْنَدُ ٢٨/٦٥٤ ح ١٧٤٥٢).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ وَمَتْنُهُ (الصَّحِيحُ، فَضَائِلُ الْقُرْآنِ، بَابُ فَضْلِ الْمُعْذَاتِ ح ٥٠١٧).

(٥) سَنَدُهُ ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ مَرْسَلٌ، وَيُخَالِفُ مَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ.

يُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﷻ؛ لَأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.
وقوله: ﴿اللَّهُ أَضْكَمُّ ۝١﴾ قال عكرمة، عن ابن عباس: يعني الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم^(١).

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته^(٢).

وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفاء، وليس كمثله شيء، سبحانه الله الواحد القهار.

وقال الأعمش، عن شقيق، عن أبي وائل: ﴿الضَّكْمُ﴾ السيد الذي قد انتهى سؤدده^(٣)، ورواه عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، مثله^(٤).

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿الضَّكْمُ﴾ السيد^(٥).
وقال الحسن، وقتادة: هو الباقي بعد خلقه^(٦). وقال الحسن أيضاً: ﴿الضَّكْمُ﴾ الحي القيوم الذي لا زوال له.

وقال عكرمة: ﴿الضَّكْمُ﴾ الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم^(٧).
وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد^(٨). كأنه جعل ما بعده تفسيراً له، وهو قوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٢﴾ وهو تفسير جيد. وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير، عن أبي بن كعب في ذلك، وهو صريح فيه.

وقال ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعبد الله بن بريدة، وعكرمة أيضاً، وسعيد بن جبيرة، وعطاء بن أبي رباح، وعطية العوفي، والضحاك، والسدي: ﴿الضَّكْمُ﴾ الذي لا جوف له^(٩).

قال سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿الضَّكْمُ﴾ المصمت الذي لا جوف له^(١٠).

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٣) أخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق الأعمش به.

(٤) أخرجه الحافظ ابن حجر بسنده من طريق عاصم به. (تغليق التعليق ٤/ ٣٨٠) وسنده حسن.

(٥) سنده صحيح.

(٦) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة: وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق قتادة عن الحسن.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق أبي رجاء محمد بن سيف عن عكرمة.

(٨) أخرجه الطبري بسند جيد من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية.

(٩) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ويتقوى بالآثار التالية: أخرجه الطبري وابن أبي عاصم (السنة ٦٧٥) بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سلمة بن نبط عن الضحاك؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن عكرمة.

(١٠) أخرجه الطبري بسند صحيح عن الثوري به.

وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب^(١).

وقال عبد الله بن بُريدة أيضاً: ﴿الصَّمَدُ﴾ نور يتلأأ.

روى ذلك كله وحكاه: ابن أبي حاتم، والبيهقي والطبراني، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده، وقال: حدثني العباس بن أبي طالب، حدثنا محمد بن عمر بن رومي، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش، حدثني صالح بن حيّان، عن عبد الله بن بُريدة، عن أبيه قال - لا أعلم إلا قد رفعه - قال: ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له^(٢). وهذا غريب جداً، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بُريدة.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له، بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير «الصمد»: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا ﷻ، وهو الذي يُصمَدُ إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا شرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك أيضاً.

وقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلَدْ﴾ (٢) وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوا أَحَدٌ (٣) أي: ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.

قال مجاهد: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوا أَحَدٌ﴾ (٣) يعني: لا صاحبة له^(٣).

وهذا كما قال تعالى: ﴿يَدْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لِي صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١] أي: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه من نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟ تعالى وتقدس وتنزه. قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَفْطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشُقُ الْأَرْضَ وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا (٩٠) أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَخَصَّنَّمْ وَعَدَّاهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا (٩٥) [مريم] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ (٢١) لَا يَسْئِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٢) [الأنبياء] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (٥٨) سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٥٩) [الصافات] وفي الصحيح - صحيح البخاري -: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً، وهو يرزقهم ويعافيهم»^(٤).

وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يُعِيدَنِي كما بداني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته،

(١) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق طلحة بن مصرف عن مجاهد.

(٤) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ. (الصحيح، الأدب، باب الصبر على الأذى

وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً. وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد^(١).

ورواه أيضاً من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن همام بن مُنَبِّهٍ، عن أبي هريرة، مرفوعاً بمثله. تفرد بهما من هذين الوجهين^(٢).

آخر تفسير سورة «الإخلاص»، والله الحمد والمِنَّة.

(١) أخرجه البخاري بسنده ومنتنه (الصحيح، التفسير، باب سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] ح ٤٩٧٤).

(٢) المصدر السابق، باب قوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص] (ح ٤٩٧٥).

تفسير سورتي المعوذتين

وهما مدنيتان

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش قال: قلت لأبي بن كعب: إن ابن مسعود [كان] ^(١) لا يكتب المعوذتين في مصحفه؟ فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام، قال له: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ^(٢) فقلتها، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ^(٣) فقلتها. فنحن نقول ما قال النبي ﷺ ^(٤).

ورواه أبو بكر الحميدي في مسنده، عن سفيان بن عيينة، حدثنا عبدة بن أبي لبابة وعاصم بن بهدلة، أنهما سمعا زر بن حبيش قال: سألت أبي بن كعب عن المعوذتين، فقلت: يا أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يحكهما من المصحف. فقال: إني سألت رسول الله ﷺ، فقال: «قيل لي: قل، فقلت». فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ ^(٥).

وقال أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عاصم، عن زر قال: سألت ابن مسعود عن المعوذتين فقال: سألت النبي ﷺ عنهما فقال: «قيل لي، فقلت لكم، فقولوا». قال أبي: فقال لنا النبي ﷺ فنحن نقول ^(٦).

وقال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا عبدة بن أبي لبابة، عن زر بن حبيش - وحدثنا عاصم عن زر - قال: سألت أبي بن كعب فقلت: أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا. فقال: إني سألت النبي ﷺ فقال: «قيل لي، فقلت». فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ ^(٧).

ورواه البخاري - أيضاً - والنسائي، عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة، عن عبدة وعاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب، به ^(٨).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الأزرق بن علي، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا الصلت بن بهرام، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كان عبد الله [يُحْكُ] ^(٩) المعوذتين من المصحف، ويقول:

(١) زيادة من المسند.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله، وحسن سنده محققوه، وصححوه بالمتابعات. (المسند ٣٥/١١٦ ح ٢١١٨٥).

(٣) أخرجه الحميدي بسنده ومثله. (المسند ١/١٨٥ ح ٣٧٤)، وسنده صحيح.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٥/١٢٩)، وسنده حسن.

(٥) أخرجه البخاري بسنده ومثله. (الصحيح، التفسير، سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق] ح ٤٩٧٧).

(٦) المصدر السابق (ح ٤٩٧٦).

(٧) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: «يحل».

إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما^(١).

ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه، ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله. قال الأعمش: وحدثنا عاصم، عن زر بن حبیش، عن أبي بن كعب قال: سألنا عنهما رسول الله ﷺ، قال: «قيل لي، فقلت»^(٢).

وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء: أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ، ولم يتواتر عنده^(٣)، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة، فإن الصحابة رضي الله عنهم، كتبوهما في المصاحف الأئمة، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك، والله الحمد والمنة.

وقد قال مسلم في صحيحه: حدثنا قتيبة، حدثنا جرير، عن بيان، عن قيس بن أبي حازم، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(٤).

ورواه أحمد، ومسلم أيضاً، والترمذي، والنسائي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عقبة، به. وقال الترمذي: حسن صحيح^(٥).

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جابر، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن عقبة بن عامر قال: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نَقَب من تلك النقاب، إذ قال لي: «يا عقبة، ألا تركب؟». قال: [فَأَجَلْتُ رسول الله ﷺ أن أركب مركبه. ثم قال: «يا عُقَيْب، ألا تركب؟». قال^(٦): فأشفقت أن تكون معصية، قال: فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيئة، ثم ركب، ثم قال: «يا عُقَيْب، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس؟». قلت: بلى يا رسول الله. فأقراني: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. ثم أقيمت الصلاة، فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما، ثم مرَّ بي فقال: «كيف رأيت يا عُقَيْب؟ اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت»^(٧).

ورواه [النسائي]^(٨) من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك كلاهما عن ابن

(١) يشهد له ما يليه.

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائده على المسند من طريق الأعمش به، وصححه سنده محققوه. (المسند ١١٧/٣٥، ح ٢١١٨٨).

(٣) وبهذا أجاب الحافظ ابن حجر عن هذا الإشكال. (فتح الباري ٧٤٣/٨).

(٤) أخرجه مسلم بسنده ومثته. (الصحيح، صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوذتين ح ٨١٤).

(٥) (المسند ١٥٢/٤ والمصدر السابق، وسنن الترمذي، فضائل القرآن، باب ما جاء في المعوذتين ح ٢٩٠٢)؛ وسنن النسائي ١٥٨/٢.

(٦) زيادة من المسند.

(٧) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته. (المسند ١٤٤/٤) وسنده حسن؛ وقد حسنه الألباني كما سيأتي.

(٨) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل حُرِّفَ إلى: الترمذي.

جابر به^(١).

ورواه أبو داود والنسائي - أيضاً - من حديث ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن عقبة، به^(٢).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني يزيد بن عبد العزيز الرعيني وأبو مرحوم، عن يزيد بن محمد القرشي، عن علي بن رباح، عن عقبة بن عامر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دُبُر كل صلاة.

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي، من طرق، عن علي بن رباح. وقال الترمذي: غريب^(٣).
طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ بالمعوذتين، فإنك لن تقرأ بمثلهما». تفرد به أحمد^(٤).

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا بَقِيَّة، حدثنا بَحِير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جُبَيْر بن نُفَيْر، عن عقبة بن عامر أنه قال: إن رسول الله ﷺ أهديت له بغلة شهباء، فركبها فأخذ عقبة يقودها له، فقال رسول الله ﷺ لعقبة: «اقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾». فاعادها له حتى قرأها، فعرف أنني لم أفرح بها جداً. فقال: «لعلك تهاونت بها؟ فما قمت تصلي بشيء مثلها».

ورواه النسائي عن عمرو بن عثمان، عن بَقِيَّة، به. ورواه النسائي - أيضاً - من حديث الثوري، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عقبة بن عامر: أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين، فذكر نحوه^(٥).

طريق أخرى: قال النسائي: أخبرنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر، سمعت النعمان، عن زياد أبي الأسد، عن عقبة بن عامر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(٦).

(١) أخرجه النسائي من طريق الوليد بن مسلم به. (السنن، الاستعاذة باب (١) ٢٥٣/٨) حسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠٢٥).

(٢) سنن أبي داود، الصلاة، باب في المعوذتين (ح ١٤٦٢)؛ وسنن النسائي، الاستعاذة ٢٥٣/٨؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٤٦٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه. (المسند ١٥٥/٤)؛ وأخرجه أبو داود. (السنن، الصلاة، باب في الاستغفار ح ١٥٢٣)؛ والترمذي (السنن، فضائل القرآن، باب المعوذتين ح ٢٩٠٣)؛ والنسائي (السنن، السهو ٦٨/٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ١٣٤٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه. (المسند ١٤٦/٤) وفي سنده ابن لهيعة؛ ويشهد له ما أخرجه النسائي عن جابر. (السنن، الاستعاذة ٢٥٣/٨)؛ وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ح ٥٠٢٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه. (المسند ١٤٩/٤)؛ وأخرجه النسائي؛ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠٢١).

(٦) أخرجه النسائي بسنده ومثنه. (السنن، الاستعاذة، باب (١) ٢٥٢/٨)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠١٩).

طريق أخرى: قال النسائي: أخبرنا قتيبة، حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن عقبة بن عامر قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال: «يا عقبة، قل». فقلت: ماذا أقول؟ فسكت عني، ثم قال: «قل». قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ [فسكت عني، فقلت: اللهم اردد عليّ فقال: «يا عقبة قل»]. قلت: ماذا أقول يا رسول الله^(١) فقال: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾»، فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال: «قل». قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾»، فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «ما سألت سائلاً بمثلهما، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما»^(٢).

طريق أخرى: قال النسائي: أخبرنا محمد بن [بشار]^(٣)، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا معاوية، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول، عن عقبة بن عامر: أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في صلاة الصبح^(٤).

طريق أخرى: قال النسائي: أخبرنا قتيبة، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي عمران أسلم، عن عقبة بن عامر قال: اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكب، فوضعت يدي على قدمه فقلت: أقرئني سورة هود أو سورة يوسف. فقال: «لن تقرأ شيئاً أنفع عند الله من ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾»^(٥).

حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا محمود بن خالد، حدثنا الوليد، حدثنا أبو عمرو الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن أبي عبد الله، عن ابن عباس الجهني: أن النبي ﷺ قال له: «يا ابن عباس، ألا أدلك - أو: ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟». قال: بلى، يا رسول الله. قال: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾» و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾»، هاتان السورتان^(٦).

فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه، تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث. وقد تقدم في رواية صُدَيِّ بن عجلان، وقرّوة بن مُجاهد، عنه: «ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن؟ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾»^(٧).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا الجريري، عن أبي العلاء قال: قال رجل: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، والناس يعتقبون، وفي الظهر قلة، فحانت نَزْلَةُ رسول الله ﷺ ونزلتي، فلحقني فضرب منكبي، فقال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾»، فقرأها

(١) زيادة من سنن النسائي.

(٢) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (المصدر السابق)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠٢٦).

(٣) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: يسار.

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (المصدر السابق) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠٢٣).

(٥) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (المصدر السابق) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠٢٧).

(٦) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (المصدر السابق) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (ح ٥٠٢٠).

(٧) تقدم في فضائل سورة الإخلاص.

رسول الله ﷺ وقرأتها معه، ثم قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه، فقال: «إذا صليت فاقرا بهما»^(١).

الظاهر أن هذا الرجل هو عتبة بن عامر، والله أعلم.

ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عليه، به^(٢).

حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، عن عبد الله بن سعيد، حدثني يزيد بن [رومان]^(٣)، عن عتبة بن عامر، عن عبد الله الأسلمي - هو ابن أنيس - أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال: «قل». فلم أدر ما أقول، ثم قال لي: «قل». قلت: «هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» [الإخلاص]. ثم قال لي: «قل». قلت: «أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» من شرِّ مَا خَلَقَ، حتى فرغت منها، ثم قال لي: «قل». قلت: «أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» حتى فرغت منها. فقال رسول الله ﷺ: «هكذا فتعوذ، ما تعوذ المتعوذون بمثلن قط»^(٤).

حديث آخر: قال النسائي: أخبرنا عمرو بن علي أبو حفص، حدثنا بدّل، حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة، عن سعيد الجريري، حدثنا أبو نضرة، عن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ يا جابر». قلت: وما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال: «اقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾». فقرأتهما، فقال: «اقرأ بهما، ولن تقرأ بمثلهما»^(٥).

وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن، وينفث في كفيه، ويمسح بهما رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده.

وقال الإمام مالك: عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه، رجاء بركتها^(٦).

ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم؛ عن يحيى بن يحيى، وأبو داود، عن القعني، والنسائي عن قتيبة - ومن حديث ابن القاسم، وعيسى بن يونس - وابن ماجه من حديث معن وبشر بن عمر، ثمانيتهم عن مالك، به^(٧).

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وصححه سننه محققوه. (المسند ٣٣/٤٠٦ ح ٢٠٢٨٤).

(٢) السنن الكبرى، الاستعاذة (ح ٧٨٥٩) وسنده صحيح كسابقه.

(٣) زيادة من (ح) و(حم).

(٤) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (المصدر السابق ح ٧٨٤٥) وتقدمت شواهد الصحيحة.

(٥) أخرجه النسائي بسنده ومثته. (المصدر السابق ح ٧٨٥٤). وقال الألباني: حسن صحيح. (صحيح سنن النسائي ح ٥٠٢٩).

(٦) أخرجه مالك بسنده ومثته. (الموطأ، العين، باب التعوذ والرقية في المرض ٩٤٢/٢ ح ١٠).

(٧) صحيح البخاري، فضائل القرآن، باب فضل المعوذات (ح ٥٠١٦)؛ وصحيح مسلم، السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث (ح ٥١/٥١٩٢)؛ وسنن أبو داود، الطب، باب كيف الرقي (ح ٣٩٠٢)؛ والسنن الكبرى، عمل اليوم والليلة (ح ٧٥٤٩)؛ وسنن ابن ماجه، الطب، باب النفث في الرقية (ح ٣٥٢٩).

وتقدم في آخر سورة: ﴿ت﴾ [القلم] من حديث أبي نضرة، عن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما، وترك ما سواهما. رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا حسن بن صالح، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر قال: الفلق: الصبح^(١).

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿الْفَلَقُ﴾ الصبح. وروى عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن محمد بن عقيل، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وابن زيد، ومالك عن زيد بن أسلم، مثل هذا^(٢).

قال القرظي، وابن زيد، وابن جرير: وهي كقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]^(٣). وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿الْفَلَقُ﴾ الخلق^(٤). وكذا قال الضحاك: أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله.

وقال كعب الأحبار: ﴿الْفَلَقُ﴾ بيت في جهنم، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره^(٥)، ورواه ابن أبي حاتم، ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا سهيل بن عثمان، عن رجل سماه، عن السدي، عن زيد بن علي، عن آبائه أنهم قالوا: ﴿الْفَلَقُ﴾ جب في قعر جهنم، عليه غطاء، فإذا كشف عنه خرجت منه نار تصيح منه جهنم، من شدة حر ما يخرج منه^(٦).

وكذا روي عن عمرو بن [عَبَسَةَ]^(٧)، والسدي^(٨)، وغيرهم. وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكر، فقال ابن جرير:

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي، حدثنا

(١) أخرجه الطبري من طريق أبي أحمد الزبيري به. وسنده حسن.

(٢) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به، ويشهد له سابقه ولاحقه.

وأخرجه آدم والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق سالم الأفتس عن سعيد بن جبير؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة؛ وأخرجه الطبري بسند حسن من طريق أبي صخر عن القرظي.

(٣) تقدم تخريجهما بالسندين السابقين. (٤) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق علي به.

(٥) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق أبي عبيد عن كعب.

(٦) سنده ضعيف لإيهام شيخ سهيل بن عثمان.

(٧) كذا في (ج) و(حم)، وفي الأصل ضُحِفَ إلى: عبسة.

(٨) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سفيان عن السدي.

نصر بن خزيمة الخراساني، عن شعيب بن صفوان، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «﴿الْفَلَقِ﴾ جُبَّ فِي جَهَنَّمَ مَغْطًى»^(١) إسناده غريب ولا يصح رفعه.

وقال أبو عبد الرحمن الحبلي: «﴿الْفَلَقِ﴾ من أسماء جهنم»^(٢).

قال ابن جرير: والصواب القول الأول، أنه فلق الصبح^(٣). وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري رحمه الله، في صحيحه^(٤).

وقوله: «مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» ﴿١﴾ أي: من شر جميع المخلوقات.

وقال ثابت البناني، والحسن البصري: جهنم وإبليس وذريته مما خلق.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ﴿٢﴾ قال مجاهد: غاسقُ الليل إذا وَقَبَ غروبُ الشمس. حكاها البخاري عنه^(٥). ورواه ابن أبي نجيح، عنه. وكذا قال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، وخُصيف، والحسن، وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلامه^(٦).

وقال الزهري: «﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ﴿٢﴾ الشمس إذا غربت.

وعن عطية وقتادة: إذا وَقَبَ الليل: إذا ذهب»^(٧).

وقال أبو المهزم، عن أبي هريرة: «﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ﴿٢﴾ كوكب»^(٨).

وقال ابن زيد: كانت العرب تقول: الغاسق سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها^(٩).

قال ابن جرير: ولهؤلاء من الأثر ما حدثني: نصر بن علي، حدثني بكار بن عبد الله - ابن أخي همام - حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ﴿٢﴾ قال: النجم الغاسق»^(١٠).

(١) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وضعفه الحافظ ابن كثير.

(٢) أخرجه الطبري من طريق خثيم بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي، وإن كان خثيم هو ابن عراك فسنده حسن، وأما خثيم بن عبد الله لم أجد ترجمة له.

(٣) رجحه الطبري.

(٤) أخرجه البخاري تعليقاً عن مجاهد (الصحيح، التفسير، سورة الفلق قبل حديث ٤٩٧٦) ووصله الفريابي بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. (تغليق التعليق ٣٨١/٤).

(٥) الأثر تنمة لسابقه.

(٦) أخرجه الطبري بسند ثابت من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس؛ وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن الحسن؛ وأخرجه الطبري بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٧) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري من طريق أبي المهزم عن أبي هريرة، وسنده ضعيف جداً لأن أبا المهزم متروك. (التقريب ص ٦٧٦).

(٩) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق ابن وهب عن ابن زيد.

(١٠) أخرجه الطبري بسنده ومثته، وضعفه الحافظ ابن كثير.

قلت: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ.

قال ابن جرير: وقال آخرون: هو القمر.

قلت: وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد: حدثنا أبو داود الحفري، عن ابن أبي ذئب، عن الحارث، عن أبي سلمة قال: قالت عائشة ؓ: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فأراني القمر حين يطلع، وقال: «تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الْغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ»^(١).

ورواه الترمذي والنسائي، في كتابي التفسير من سننهما، من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن، به. وقال الترمذي: حسن صحيح. ولفظه: «تعوذي بالله من شر هذا، فإن هذا الغاسق إذا وقب». ولفظ النسائي: «تعوذي بالله من شر هذا، هذا الغاسق إذا وقب»^(٢).

قال أصحاب القول الأول وهو أنه الليل إذا ولج: هذا لا ينافي قولنا؛ لأن القمر آية الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تضيء، إلا في الليل، فهو يرجع إلى ما قلناه، والله أعلم.

وقوله: «وَمِنْ شَرِّ الْفَقْصِ فِي الْعَقَدِ ۝» قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة والضحاك: يعني: السواحر، قال مجاهد: إذا رقين ونفثن في العقد^(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: ما من شيء أقرب من الشرك من رقية الحية والمجانين^(٤).

وفي الحديث الآخر: أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: اشتكت يا محمد؟ فقال: «نعم». فقال: باسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل حاسد وعين، الله يشفيك^(٥).

ولعل هذا كان من شكواه ﷺ، حين سحر، ثم عافاه الله تعالى وشفاه، ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم، وجعل تدميرهم في تدميرهم، وفضحهم، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يوماً من الدهر، بل كفى الله وشفى وعافى.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن يزيد بن حيان، عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، قال: فجاء جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحر، عقد لك عقداً في بئر كذا وكذا، فأرسل إليها من يجيء بها. فبعث رسول الله ﷺ [عليه رضي الله تعالى عنه]^(٦) فاستخرجها، فجاء بها فحللها، قال: فقام

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثله. (المسند ٣٧٨/٤٠ ح ٢٤٣٢٣)، وحسن سنده محققوه.

(٢) سنن الترمذي، التفسير، باب، ومن سورة المعوذتين (ح ٣٣٦٦).

(٣) أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق عوف - وهو الأعرابي - عن الحسن، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري بسنده ومثله، وأخرجه عبد الرزاق عن معمر به. وسنده صحيح.

(٥) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري ؓ. (السنن، الطب، باب ما عوذ به النبي ﷺ، وما عوذ به ح ٣٥٢٣)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٢٨٤٠).

(٦) زيادة من المسند.

رسول الله ﷺ كأنما نَشَط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات^(١).
ورواه النسائي عن هناد، عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير^(٢).

وقال البخاري في «كتاب الطب» من صحيحه: حدثنا عبد الله بن محمد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: أول من حدثنا به ابن جُرَيْج، يقول: حدثني آل عُرْوَة، عن عروة، فسألت هشاماً عنه، فحدثنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ سُحْر، حتى كان يُرَى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن - قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا - فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طَبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم - رجل من بني زُرَيْق حليف لليهود، كان منافقاً - قال: وفيم؟ قال: في مُسْط ومُشَاقَّة. قال: وأين؟ قال: في جُفْ طُلُعَة ذكر تحت رعوقة^(٣) في بئر ذُرْوَان». قالت: فأتى البئر حتى استخرجه فقال: «هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نُقَاعَة الحنَّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين». قال: فاستخرج. فقلت: أفلا؟ أي: تَنْشَرَتْ؟ فقال: «أمَّا الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً^(٤)».

وأسنده من حديث عيسى بن يونس، وأبي ضَمْرَة أنس بن عياض، [وأبي أسامة]^(٥)، ويحيى القطان وفيه: «قالت: حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعل». وعنده: «فأمر بالبئر فدفنت». وذكر أنه رواه عن هشام أيضاً ابن أبي الزناد والليث بن سعد^(٦).
وقد رواه مسلم، من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير^(٧). ورواه أحمد، عن عفان، عن وهيب، عن هشام، به^(٨).

ورواه الإمام أحمد - أيضاً - عن إبراهيم بن خالد، عن رباح، عن مَعْمَر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: لبث رسول الله ﷺ ستة أشهر يُرَى أنه يأتي ولا يأتي، فأتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر: ما باله؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، وذكر تمام الحديث^(٩).

وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره: قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما: كان غلام من اليهود

(١) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتمه، وصححه محققوه. (المسند ١٤/٣٢ ح ١٩٢٦٧).

(٢) أخرجه النسائي عن هناد به. (السنن، تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب ١١٢/٧)؛ وصححه الألباني. (صحيح سنن النسائي ح ٣٨٠٢).

(٣) هي صخرة تترك في أسفل البئر إذا حُفرت تكون ناتئة هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المُنْقِي عليها، وقيل هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقي عليه. (النهاية ٢/٢٣٥).

(٤) أخرجه البخاري بسنده ومتمه. (الصحيح، الطب، باب هل يستخرج السحر ح ٥٧٦٥).

(٥) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِفَ إلى: وأبي أمانة.

(٦) المصدر السابق (ح ٥٧٦٦ و ٥٨٦٣ و ٦٣٩١).

(٧) صحيح مسلم. (السلام، باب السحر ح ٢١٨٩، ٤٣، ٤٤).

(٨) أخرجه الإمام أحمد عن عفان به. (المسند ٩٦/٦)، وسنده صحيح.

(٩) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومتمه، وصححه سند محققوه. (المسند ٤٠/٤٠ ح ٢٤٣٤٧).

يخدم رسول الله ﷺ فدبّت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مُشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مُشطه، فأعطاهم اليهود، فسحروه فيها. وكان الذي تولى ذلك رجل منهم - يقال له: لبيد ابن أعصم - ثم دسّها في بئر لبني زُرَيْق، يقال لها: دَرَوَان، فمرض رسول الله ﷺ وانتشر شعر رأسه، ولبث سته أشهر يُرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذُوب ولا يدري ما عراه. فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان ففَعَد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طُبَّ. قال: وما طُبَّ؟ قال: سحر. قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي. قال: وبم طَبَّهُ؟ قال: بمشط ومشاطة. قال: وأين هو؟ قال: في جُف طلعة تحت راعوفة في بئر دَرَوَان - والجف: قشر الطلع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح - فانتبه رسول الله ﷺ مذعوراً، وقال: «يا عائشة، أما شعرت أن الله يُخبرني بدائي؟». ثم بعث رسول الله ﷺ علياً والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء البئر كأنه نُقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر معقود، فيه اثنتا عشرة عقدة مغروزة بالإبر. فأنزل الله تعالى السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نَشَط من عقال، وجعل جبريل عليه السلام يقول: باسم الله أَرْزِيكَ، من كل شر يؤذيك، من حاسد وعين الله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن يثير على الناس شراً»^(١).

هكذا أورده بلا إسناد، وفيه [غربة]^(٢)، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم، والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

هذه ثلاث صفات من صفات الربّ ﷻ؛ الربوبية، والملك، والإلهية: فهو ربّ كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة عبيد له، فأمر المستعبد أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يُزِين له الفواحش، ولا يألوه جهداً في الخبال. والمعصوم من عصم الله، وقد ثبت في الصحيح أنه: «ما منكم من أحد ألا قد وُكِّل به قرينه». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»^(٣).

(١) ضعفه الحافظ ابن كثير.

(٢) كذا في (ح) و(حم)، وفي الأصل صُحِف إلى: «عوانة».

(٣) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود عليه السلام (الصحيح)، صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان ح ٢٨١٤.

وثبت في الصحيح، عن أنس في قصة زيارة صفية النبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معها ليلاً ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعَا، فقال رسول الله: «على رسلكما، إنها صفية بنت حُيي». فقالا: سبحان الله، يا رسول الله. فقال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا، أو قال: شرأ»^(١).

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا محمد بن بحر، حدثنا عدي بن أبي عمارة، حدثنا زياد التميمي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر خَس، وإن نسي التَّم قلبه، فذلك الوسواس الخناس»^(٢). غريب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم، سمعت أبا تيممة يُحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال: عَثَرُ بالنبي ﷺ حماره، فقلت: تعس الشيطان. فقال النبي ﷺ: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاظم، وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت: باسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب»^(٣).

تفرد به أحمد، إسناده جيد قوي، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا الضحاك بن عثمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا كان في المسجد، جاءه الشيطان فأبَسَ»^(٤) به كما يُبَسُّ الرجل بدابته، فإذا سكن له زنقه - أو: أَلجمه. قال أبو هريرة: وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلاً - كذا - لا يذكر الله، وأما المُلجم ففاتح فاه لا يذكر الله ﷻ^(٥). تفرد به أحمد.

وقال سعيد بن جبیر، عن ابن عباس في قوله: ﴿الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خَسَّ^(٦). وكذا قال مجاهد، وقتادة^(٧).

وقال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: ذَكَرَ لي أن الشيطان، أو: الوسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خَسَّ^(٨).

(١) أخرجه الشيخان من حديث صفية بنت حُييٍّ ؓ. (صحيح البخاري، الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب ح ٦٢١٩)؛ وصحيح مسلم، السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة.. أن يقول هذه فلانة (ح ٢١٧٥).

(٢) أخرجه أبو يعلى بسنده ومثنه. (المسند ٧/ ٢٧٨ ح ٤٣٠١) وسنده ضعيف لضعف عدي وزياد. (فتح الباري ٧٤٢/٨ ومجمع الزوائد ١٥٢/٧).

(٣) تقدم تفسيره في بداية سورة الفاتحة.

(٤) التلطف بالدابة بأن يقول لها: بس بس تسكيناً لها. قاله السندي في حاشية المسند.

(٥) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثنه، وقال محققوه: إسناده قوي. (المسند ١٤/ ١٠٥، ح ٨٣٧٠).

(٦) أخرجه عبد الرزاق وأدم بن أبي إياس والطبري والحاكم (المستدرک ٢/ ٥٤١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس والطبري بسند صحيح من طريق ابن أبي نجیح عن مجاهد وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري من طريق ابن ثور عن أبيه به وسواء كان عن والد ابن ثور أو والد معتمر بن سليمان فالسند ضعيف لجهالة المفسر.

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿الْوَسْوَاسَ﴾ قال: هو الشيطان يأمر، فإذا أطيع خنس^(١).

وقوله: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ هل يختص هذا ببني آدم - كما هو الظاهر - أو يعم بني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبا.

وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم (رجال من الجن) فلا بدع في إطلاق الناس عليهم^(٢).

وقوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هل هو تفصيل لقوله: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ثم بينهم فقال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ وهذا يقوي القول الثاني. وقيل قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ تفسير للذي يوسوس في صدور الناس، من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وكما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا المسعودي، حدثنا أبو عمر الدمشقي، حدثنا عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فجلست، فقال: «يا أبا ذر، هل صليت؟». قلت: لا. قال: «قم فصل». قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: «يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن».

قال: قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: «نعم». قال: قلت: يا رسول الله، الصلاة؟ قال: «خير موضوع، من شاء أقل، ومن شاء أكثر». قلت: يا رسول الله فما الصوم؟ قال: «فرض يجزئ، وعند الله مزيد». قلت: يا رسول الله، فالصدقة؟ قال: «أضعاف مضاعفة». قلت: يا رسول الله، أيها أفضل؟ قال: «جهد من مقل، أو سر إلى فقير». قلت: يا رسول الله؛ أي: الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم». قلت: يا رسول الله، ونبي كان؟ قال: «نعم، نبي مكلّم». قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «ثلثمائة وبضعة عشر، جمعا غفيرا». وقال مرة: «خمس عشرة». قلت: يا رسول الله، أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]^(٣)».

ورواه النسائي، من حديث أبي عمر الدمشقي، به^(٤). وقد أخرج هذا الحديث مطولا جداً أبو حاتم بن حبان في صحيحه، بطريق آخر، ولفظ آخر مطول جداً^(٥)، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن ذر بن عبد الله الهمداني، عن عبد الله بن شداد، عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أحدث

(١) أخرجه الطبري بسند ضعيف من طريق العوفي به. (٢) ذكره الطبري بنحوه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بسنده ومثته، وقال محققوه: إسناده ضعيف جداً لجهالة عبيد بن الخشخاش ولضعف أبي عمر الدمشقي. (المسند ٣٥/٤٣١، ٤٣٢ ح ٢١٥٤٦).

(٤) أخرجه النسائي مقتصراً على بدايته في ذكر الاستعاذة (السنن، كتاب الاستعاذة ٣١٦/٨) وسنده ضعيف كسابقه.

(٥) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧٦/٢ ح ٣٦١٠ وسنده ضعيف جداً لأن فيه إبراهيم بن هشام الغساني الدمشقي وهو كذاب (ميزان الاعتدال ١/٧٣٩).

نفسى بالشيء لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به. قال: فقال النبي ﷺ: «الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة»^(١).

ورواه أبو داود والنسائي، من حديث منصور؛ زاد النسائي: والأعمش كلاهما عن زر، به^(٢).



آخر التفسير، والله الحمد والمئة [والحمد لله رب العالمين]^(٣)، وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. [حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير]^(٤).

(١) أخرجه الإمام أحمد سنده ومثته، وصححه سنده محققوه. (المسند ١٠/٤ ح ٢٠٩٧).

(٢) سنن أبي داود، الأدب، باب في رد الوسوسة (ح ٥١١٢)؛ والسنن الكبرى للنسائي، عمل اليوم والليلة (ح ١٠٥٠٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح ٤٢٦٤).

(٣) زيادة من (حم).

(٤) زيادة من (حم).

وقد جاء ختام التفسير بخط كاتبه وهو ما نصه:

قال كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى: محمد الشاذلي ابن الشيخ جاد الكريم الشافعي (عفى الله عنه وغفر له): نجز هذا الكتاب المبارك وهو: تفسير الحافظ عماد الدين بن كثير في يوم الثلاثاء المبارك عشري شهر جمادى الأول من شهور سنة أربع وثمانين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. وقد أمرني بكتابته لنفسه استئجار الشيخ الإمام العالم العلامة: أبو السعادات بن نور الله قاضي القضاة^(١) بمصر المحروسة عفى [الله]^(٢) عنه.

وقد كتبت نحو نصفه في حال توليته، ثم تولى قضاء مكة المشرفة، فذهب مع الحاج المصري^(٣)، وتوفي إلى رحمة الله تعالى بمكة المشرفة عشري شهر الحرام سنة ثلاث وثمانين وألف. وقد أكملت هذا الكتاب بحمد الله وعونه بعد وفاته، وأوصلته إلى وصيه يدفعه إلى أولاده بمكة المشرفة أوصله الله إليهم سالماً بمنه وكرمه آمين.

اللهم إني أسألك يا مقيل العثرات، وكاشف الكربات والبلبات، وجامع الشتات، وسامع الأصوات الخفيات بحرمة نبيك محمد ﷺ أن تكشف كربتي، وتكرم عندك منزلتي، إنك أرحم الراحمين. اللهم كما أدخلتني في هذه الدنيا على سلامة فأخرجني منها على سلامة، وأدخلني دار السلام بسلامة من غير سابقه عذاب ولا حساب، ولا ندامة يا مجيب المضطر إذا دعاه ويكشف كربته وبلاه، ويرحم تضرعه وشكواه.

اللهم صلّ وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته والتابعين وتابع التابعين، وعبادك الصالحين وعلينا معهم. آمين والحمد لله رب العالمين. تم. اهـ.

(١) الصواب: رئيس القضاة.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) أي: مع جماعة الحجيج المصريين.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٦	تفسير الآيات: ١٩ - ٢٦		سورة ق
٧٠	تفسير الآيات: ٢٧ - ٣٢	٧	تفسير الآيات: ١ - ٥
٧١	تفسير الآيات: ٣١ - ٣٢	٩	تفسير الآيات: ٦ - ١١
٧٤	تفسير الآيات: ٣٣ - ٤١	١٠	تفسير الآيات: ١٢ - ١٥
٧٧	تفسير الآيات: ٤٢ - ٥٥	١١	تفسير الآيات: ١٦ - ٢٢
٧٩	تفسير الآيات: ٥٦ - ٦٢	١٥	تفسير الآيات: ٢٣ - ٢٩
	سورة القمر	١٦	تفسير الآيات: ٣٠ - ٣٥
٨١	تفسير الآيات: ١ - ٥	٢١	تفسير الآيات: ٣٦ - ٤٠
٨٧	تفسير الآيات: ٦ - ١٧	٢٤	تفسير الآيات: ٤١ - ٤٥
٩٠	تفسير الآيات: ١٨ - ٣٢		سورة الذاريات
٩١	تفسير الآيات: ٣٣ - ٤٠	٢٦	تفسير الآيات: ١ - ١٤
٩٢	تفسير الآيات: ٤١ - ٤٦	٢٩	تفسير الآيات: ١٥ - ٢٣
٩٣	تفسير الآيات: ٤٧ - ٥٥	٣٤	تفسير الآيات: ٢٤ - ٣٠
	سورة الرحمن	٣٥	تفسير الآيات: ٣١ - ٣٧
١٠٠	تفسير الآيات: ١ - ١٣	٣٦	تفسير الآيات: ٣٨ - ٤٦
١٠٣	تفسير الآيات: ١٤ - ٢٥	٣٧	تفسير الآيات: ٤٧ - ٥١
١٠٥	تفسير الآيات: ٢٦ - ٣٠	٣٨	تفسير الآيات: ٥٢ - ٦٠
١٠٧	تفسير الآيات: ٣١ - ٣٦		سورة الطور
١٠٩	تفسير الآيات: ٣٧ - ٤٥	٤٠	تفسير الآيات: ١ - ١٦
١١٢	تفسير الآيات: ٤٦ - ٥٣	٤٤	تفسير الآيات: ١٧ - ٢٠
١١٥	تفسير الآيات: ٥٤ - ٦١	٤٥	تفسير الآيات: ٢١ - ٢٨
١١٨	تفسير الآيات: ٦٢ - ٧٨	٤٨	تفسير الآيات: ٢٩ - ٣٤
	سورة الواقعة	٤٩	تفسير الآيات: ٣٥ - ٤٣
١٢٥	تفسير الآيات: ١ - ١٢	٥٠	تفسير الآيات: ٤٤ - ٤٩
١٢٩	تفسير الآيات: ١٣ - ٢٦		سورة النجم
١٣٧	تفسير الآيات: ٢٧ - ٤٠	٥٤	تفسير الآيات: ١ - ٤
١٥٠	تفسير الآيات: ٤١ - ٥٦	٥٦	تفسير الآيات: ٥ - ١٨
١٥١	تفسير الآيات: ٥٧ - ٦٢		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تفسير الآيات: ٦٣ - ٧٤	١٥٢	تفسير الآيات: ١٠ - ١١	٢٤٨
تفسير الآيات: ٧٥ - ٨٢	١٥٦	تفسير الآية: ١٢	٢٥٢
تفسير الآيات: ٨٣ - ٩٦	١٦١	تفسير الآية: ١٣	٢٥٩
سورة الحديد		تفسير الآية: ١٣	٢٦٠
تفسير الآيات: ١ - ٣	١٦٦	سورة الصف	
تفسير الآيات: ٤ - ٦	١٦٩	تفسير الآيات: ١ - ٤	٢٦٢
تفسير الآيات: ٧ - ١١	١٧١	تفسير الآيات: ٥ - ٦	٢٦٦
تفسير الآيات: ١٢ - ١٥	١٧٦	تفسير الآيات: ٧ - ١٣	٢٦٨
تفسير الآيات: ١٦ - ١٧	١٨٠	تفسير الآية: ١٤	٢٦٩
تفسير الآيات: ١٨ - ١٩	١٨٢	سورة الجمعة	
تفسير الآيات: ٢٠ - ٢١	١٨٤	تفسير الآيات: ١ - ٤	٢٧١
تفسير الآيات: ٢٢ - ٢٤	١٨٦	تفسير الآيات: ٥ - ٨	٢٧٣
تفسير الآية: ٢٥	١٨٧	تفسير الآيات: ٩ - ١٠	٢٧٤
تفسير الآيات: ٢٦ - ٢٧	١٨٨	تفسير الآية: ١١	٢٧٨
تفسير الآيات: ٢٨ - ٢٩	١٩١	سورة المنافقون	
سورة المجادلة		تفسير الآيات: ١ - ٤	٢٨٠
تفسير الآية: ١	١٩٤	تفسير الآيات: ٥ - ٨	٢٨١
تفسير الآيات: ٢ - ٤	١٩٥	تفسير الآيات: ٩ - ١١	٢٨٧
تفسير الآيات: ٥ - ١٠	٢٠١	سورة التغابن	
تفسير الآية: ١١	٢٠٤	تفسير الآيات: ١ - ٤	٢٨٩
تفسير الآيات: ١٢ - ١٣	٢٠٨	تفسير الآيات: ٥ - ١٠	٢٩٠
تفسير الآيات: ١٤ - ١٩	٢١٠	تفسير الآيات: ١١ - ١٣	٢٩١
تفسير الآيات: ٢٠ - ٢٢	٢١٢	تفسير الآيات: ١٤ - ١٨	٢٩٢
سورة الحشر		سورة الطلاق	
تفسير الآيات: ١ - ٥	٢١٥	تفسير الآية: ١	٢٩٦
تفسير الآيات: ٦ - ٧	٢٢٣	تفسير الآيات: ٢ - ٣	٢٩٩
تفسير الآيات: ٨ - ١٠	٢٢٧	تفسير الآيات: ٤ - ٥	٣٠٣
تفسير الآيات: ١١ - ١٧	٢٣٢	تفسير الآيات: ٦ - ٧	٣٠٦
تفسير الآيات: ١٨ - ٢٠	٢٣٤	تفسير الآيات: ٨ - ١٢	٣٠٩
تفسير الآيات: ٢١ - ٢٤	٢٣٦	سورة التحريم	
سورة الممتحنة		تفسير الآيات: ١ - ٥	٣١٢
تفسير الآيات: ١ - ٣	٢٤٠	تفسير الآيات: ٦ - ٨	٣٢٠
تفسير الآيات: ٤ - ٦	٢٤٤	تفسير الآيات: ٩ - ١٠	٣٢٥
تفسير الآيات: ٧ - ٩	٢٤٦		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٩٧	تفسير الآيات: ١١ - ١٧	٣٢٦	تفسير الآيات: ١١ - ١٢
٣٩٩	تفسير الآيات: ١٨ - ٢٤		سورة الملك
٤٠١	تفسير الآيات: ٢٥ - ٢٨	٣٣٠	تفسير الآيات: ١ - ٥
	سورة الزمر	٣٣٢	تفسير الآيات: ٦ - ١١
٤٠٤	تفسير الآيات: ١ - ٩	٣٣٣	تفسير الآيات: ١٢ - ١٥
٤١١	تفسير الآيات: ١٠ - ١٨	٣٣٤	تفسير الآيات: ١٦ - ١٩
٤١٣	تفسير الآيات: ١٩ - ٢٠	٣٣٥	تفسير الآيات: ٢٠ - ٢٧
	سورة المدثر	٣٣٦	تفسير الآيات: ٢٨ - ٣٠
٤١٦	تفسير الآيات: ١ - ١٠		سورة القلم
٤٢٠	تفسير الآيات: ١١ - ٣٠	٣٣٧	تفسير الآيات: ١ - ٧
٤٢٤	تفسير الآيات: ٣١ - ٣٧	٣٤٤	تفسير الآيات: ٨ - ١٦
٤٢٨	تفسير الآيات: ٣٨ - ٥٦	٣٤٩	تفسير الآيات: ١٧ - ٣٣
	سورة القيامة	٣٥١	تفسير الآيات: ٣٤ - ٤١
٤٣١	تفسير الآيات: ١ - ١٥	٣٥٢	تفسير الآيات: ٤٢ - ٤٧
٤٣٥	تفسير الآيات: ١٦ - ٢٥	٣٥٤	تفسير الآيات: ٤٨ - ٥٢
٤٣٨	تفسير الآيات: ٢٦ - ٤٠		سورة الحاقة
	سورة الإنسان	٣٦٢	تفسير الآيات: ١ - ١٢
٤٤٣	تفسير الآيات: ١ - ٣	٣٦٥	تفسير الآيات: ١٣ - ١٨
٤٤٥	تفسير الآيات: ٤ - ١٢	٣٦٨	تفسير الآيات: ١٩ - ٢٤
٤٤٨	تفسير الآيات: ١٣ - ٢٢	٣٧٠	تفسير الآيات: ٢٥ - ٣٧
٤٥١	تفسير الآيات: ٢٣ - ٣١	٣٧٢	تفسير الآيات: ٣٨ - ٥٢
	سورة المرسلات		سورة المعارج
٤٥٣	تفسير الآيات: ١ - ١٥	٣٧٤	تفسير الآيات: ١ - ٧
٤٥٥	تفسير الآيات: ١٦ - ٢٨	٣٧٩	تفسير الآيات: ٨ - ١٨
٤٥٦	تفسير الآيات: ٢٩ - ٤٠	٣٨١	تفسير الآيات: ١٩ - ٣٥
٤٥٨	تفسير الآيات: ٤١ - ٥٠	٣٨٣	تفسير الآيات: ٣٦ - ٤٤
	سورة النبأ		سورة نوح
٤٥٩	تفسير الآيات: ١ - ١٦	٣٨٦	تفسير الآيات: ١ - ٤
٤٦٢	تفسير الآيات: ١٧ - ٣٠	٣٨٧	تفسير الآيات: ٥ - ٢٠
٤٦٦	تفسير الآيات: ٣١ - ٣٦	٣٨٩	تفسير الآيات: ١٢ - ٢٤
٤٦٧	تفسير الآيات: ٣٧ - ٤٠	٣٩١	تفسير الآيات: ٢٥ - ٢٨
	سورة النازعات		سورة الجن
٤٧٠	تفسير الآيات: ١ - ١٤	٣٩٣	تفسير الآيات: ١ - ٧
٤٧٤	تفسير الآيات: ١٥ - ٢٦	٣٩٥	تفسير الآيات: ٨ - ١٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تفسير الآيات: ٢٧ - ٣٣	٤٧٥	سورة الفجر	
تفسير الآيات: ٣٤ - ٤٦	٤٧٦	تفسير الآيات: ١ - ١٤	٥٥٤
سورة عبس		تفسير الآيات: ١٥ - ٢٠	٥٦٢
تفسير الآيات: ١ - ١٦	٤٧٨	تفسير الآيات: ٢١ - ٣٠	٥٦٣
تفسير الآيات: ١٧ - ٣٢	٤٨١	سورة البلد	
تفسير الآيات: ٣٣ - ٤٢	٤٨٥	تفسير الآيات: ١ - ١٠	٥٦٧
سورة التكويد		تفسير الآيات: ١١ - ٢٠	٥٧١
تفسير الآيات: ١ - ١٤	٤٨٨	سورة الشمس	
تفسير الآيات: ١٥ - ٢٩	٤٩٦	تفسير الآيات: ١ - ١٠	٥٧٦
سورة الانفطار		تفسير الآيات: ١١ - ١٥	٥٨٠
تفسير الآيات: ١ - ١٢	٥٠٢	سورة الليل	
تفسير الآيات: ١٣ - ١٩	٥٠٦	تفسير الآيات: ١ - ١١	٥٨٢
سورة المطففين		تفسير الآيات: ١٢ - ٢١	٥٨٧
تفسير الآيات: ١ - ٦	٥٠٧	سورة الضحى	
تفسير الآيات: ٧ - ١٧	٥١٠	تفسير الآيات: ١ - ١١	٥٨٩
تفسير الآيات: ١٨ - ٢٨	٥١٢	سورة الشرح	
تفسير الآيات: ٢٩ - ٣٦	٥١٥	تفسير الآيات: ١ - ٨	٥٩٥
سورة الانشقاق		سورة التين	
تفسير الآيات: ١ - ١٥	٥١٦	تفسير الآيات: ١ - ٨	٥٩٩
تفسير الآيات: ١٦ - ٢٥	٥١٩	سورة التعلق	
سورة البروج		تفسير الآيات: ١ - ٥	٦٠٣
تفسير الآيات: ١ - ١٠	٥٢٥	تفسير الآيات: ٦ - ١٩	٦٠٤
تفسير الآيات: ١١ - ٢٢	٥٣٤	سورة القدر	
سورة الطارق		تفسير الآيات: ١ - ٥	٦٠٧
تفسير الآيات: ١ - ١٠	٥٣٦	سورة البيئة	
تفسير الآيات: ١١ - ١٧	٥٣٨	تفسير الآيات: ١ - ٥	٦٢٣
سورة الأعلى		تفسير الآيات: ٦ - ٨	٦٢٤
تفسير الآيات: ١ - ١٣	٥٤١	سورة الزلزلة	
تفسير الآيات: ١٤ - ١٩	٥٤٤	تفسير الآيات: ١ - ٨	٦٢٧
سورة الغاشية		سورة العاديات	
تفسير الآيات: ١ - ٧	٥٤٨	تفسير الآيات: ١ - ١١	٦٣٢
تفسير الآيات: ٨ - ١٦	٥٥٠	سورة القارعة	
تفسير الآيات: ١٧ - ٢٦	٥٥١	تفسير الآيات: ١ - ١١	٦٣٦

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
سورة التكاثر	تفسير الآيات: ١ - ٨ ٦٤٠	سورة الكافرون	تفسير الآيات: ١ - ٦ ٦٧٧
سورة العصر	تفسير الآيات: ١ - ٣ ٦٤٨	سورة النصر	تفسير الآيات: ١ - ٣ ٦٧٩
سورة الهمزة	تفسير الآيات: ١ - ٩ ٦٥٠	سورة المسد	تفسير الآيات: ١ - ٥ ٦٨٤
سورة الفيل	تفسير الآيات: ١ - ٥ ٦٥٢	سورة الإخلاص	تفسير الآيات: ١ - ٤ ٦٩٧
سورة قريش	تفسير الآيات: ١ - ٤ ٦٦٠	سورة الفلق	تفسير الآيات: ١ - ٥ ٧٠٦
سورة الماعون	تفسير الآيات: ١ - ٧ ٦٦٢	سورة الناس	تفسير الآيات: ١ - ٦ ٧١٠
سورة الكوثر	تفسير الآيات: ١ - ٣ ٦٦٨	* فهرس الموضوعات	٧١٤

دار ابن الجوزي 8428146



161661